ـذا العدد هدية تقويم ١٣٩١ هـ

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة العدد ٧٣ غرة محرم ١٣٩١ هـ — ٢٧ فبراير (شباط ١٩٧١ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

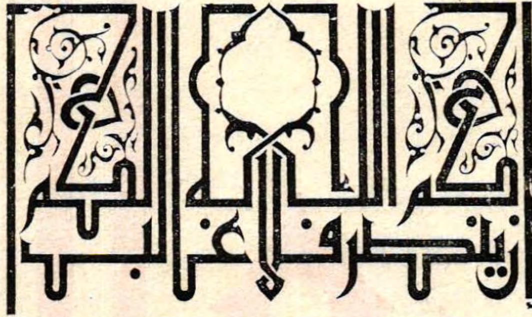


حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، لدى تفضله بالقاء النطق السامى عند افتتاح الدورة الاولى من الفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

ان ينصركم الله فلا غالب لكم

(صدق الله العظيم)



الوعي الإسلامي

أسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السابعة

العدد الثالث والسبعون

غرة محرم سنة ١٣٩١ هـ

٢٧ فبراير (شباط) ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ يناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



العبرة من الهجرة

للدكتور : محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

يشرق على الوجود هلال المحرم فيجدد فى دنيا الاسلام ذكرى من أروع الذكريات وأجلها خطرا وأعظمها أثرا فى مســيرة الانسانية ، ذكرى حادث لم يعرف له التاريخ نظيرا فى أمة من أمم الارض ولا فى حياة زعيم من زعماء الدنيا ذلك هو هجرة المختار صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى المدينة المنورة ، تلك الهجرة التى تجلى فيها صدق الارادة وكمال البطولة وقوة الايمان وشرف الفداء والتضحية والتى فرقت بين الحق والباطل والخير والشر وفصلت بين الهدى والضلال والنور والظلام ، وأرست دعائم العدالة وأعلت صروح الفضيلة فنضرت وجه الارض وعدلت مجرى الحياة .

وكل خير أصـــابه المسلمون وكل رشاد ظفرت به البشرية منذ هاجرت رسالة التوحيد الى يثرب انما كان ثمرة طيبة من ثمار هذه الهجرة المباركة .

فما كانت الهجرة الا تحريرا للانسان من رق الطواغيت وانقاذا للبشرية المعذبة من ضـــلال الجاهلية وحماقة الطغيان والا حفاظـــا على صرح الاخلاق الفاضلة الذى شاده الأنبياء من قبل محمد بن عبد الله صلوات الله وســـلامه عليه ، وجاء هو ليكمل دين الله ويتم البناء « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

فقد كانت الهجرة انتصارا للحق الأعزل الا من الايمان فى مواجهة الباطل المدجج بأســـلحة البغى يريد أن يفتك به ويكتم أنفاســـه ويعطـــل موكبه عن المسير .

ولم يكن انتصار الحق بالهجرة الكريمة سهلا لينا وانما كان موضع ابتلاء ومحنة تعرض فيها لأقذر مؤامرة وأبشع جريمة ، ولكن الحق كان مؤيدا بالجهاد والصبر والثبات والتضحية والايثار والفداء والشجاعة والايمان والثقة بنصر الله « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

فقد ظل الرسول العربى صلوات الله وسلامه عليه فى مكة ثلاثة عشر عاما من عمر نبوته يدعو الى توحيد الله وشرف الانســـان وكرامته ، ويفتح القلوب على الحق والنور والسيادة والعزة ، قال للعرب حطموا هذه الأصنام وتعالوا الى كلمة سواء ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ودعا قريشا سادة العرب ان اتركوا هذه السيادة فما كان بعض الناس أربابا لبعض وانما الناس كلهم سواء لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح ، وهتف بكسرى وقيصر أن دعا هذا الجبروت الظالم وتلك الربوبية الكـــاذبة واتبعانى اهدكما سبيل الرشاد ، ولكن صادفته قلوب عليها أقفالها ونفوس أوصدت عن قبول الحق وانصرفت عن الهدى الى متابعة الهوى والشيطان ولم يستجب له غير قلة قليلة تحملت لأواء دعوته وخلاف قومه وعشيرته فاســـتمرأت العـــذاب فى سبيل الحق واستعذبت الألم فى سبيل الله واشـــتد الأذى به وبالنفر الذين استجابوا لدعوته ، وتنوعت مواقف المشركين ضده من السخرية والاستهزاء الى العنف والاضطهاد الى اللين والاغراء ، ولكنه ثبت على الحق وصبر على الأذى فما ضعف ولا تخور ولا لانت له قنـــاة فراحوا يعرضـــون عليه المـــال والسلطان ولكنه أبى الا أن يكون داعيا الى الله وأعلنها قوية مدوية ما زالت تتردد فى أسماع الزمان « والله لو وضـــعوا الشـــمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وأزعج هؤلاء الطغاة أن ركب الهدى يتقدم وأن قائده لا يثنيه عن هدفه عنف ولا يغريه لين وأعيتهم الحيل ولم يجدوا وسيلة تريحهم من الدعوة الجديدة الا بالقضاء على محمد فقد تشـــاوروا فيما بينهم وانتهى رأيهم الى أن يختاروا فتيانا أشداء من كل القبائل يرصدونه أمام بيته حين يهدأ الليل ثم ينقضون عليه ضربة رجل واحد فيستريحون منه ويتفرق دمه بين القبائل فتنوء بنو عبد مناف

بثأره وترضى بديته ، ولكن الله من ورائهم محيط فأطلع رسوله على مكرهم وأذن له بالهجرة الى يثرب « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وفى الليلة الموعودة فيما بينهم لسفك الدم الزكى وازهاق روح الدعوة أحاط النفر الأشقياء بدار النبوة وكان فيهم أبو جهل وعقبة بن أبى معيط وأمية ابن خلف والنضر بن الحارث وطعمة بن عدى وزمعة بن الأسود وغير هؤلاء الصناديد ممن بلغوا مائة عدا .

وما كان بيت النبوة مدينة محصنة ولا قلعة محكمة ولم يكن بداخله عدد غفير حتى تواجهه قريش بهذا الحشد الجلد بعد تشاور وتحاور وانما كان بيتا متواضعا لا يعز على مقتحم ولا يستعصى على متسلق ، وانما كان فى داخله مع محمد شاب تحدى وحده جموع الشباب المتربص فى شجاعة مؤمنة وفدائية جريئة .

ورقد على بن أبى طالب فى فراش النبى وغطاه صلوات الله عليه بردائه الحضرمى ، وخرج يخطو على اطمئنان الواثق بنصر الله فى مواجهة الموقف الحاسم الذى صمم الكفر فيه على تنفيذ مؤامرته التى أعد لها هذا الحشد الفتى المسلح ، خرج على الجمع المتربص به فى عتمة الليل وهو يحثو التراب على رؤوسهم يتلو قرآنه « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فاذا الشباب المتحفز مغشى على بصره مطموس على بصيرته فقد طلعت عليهم شمس الوجود ونور الحق فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا .

ومضى الرسول الى بيت صاحبه أبى بكر على موعد معه ، ومن هناك خرجا الى غار ثور ثم يواصلان الرحلة الى يثرب .

وبقى القوم يترقبون النبى مطمئنين الى أنهم سيقضون به أمرا يؤمنهم على ما هم عليه ويبقى على آلهتهم وضلالهم .

وشربت قريش كئوس الندامة عندما عرفت أن فتيانها باتوا ليلتهم حراسا لعلى لا متربصين بمحمد وفشلت المؤامرة وسقط التدبير وفسد المكر وأفلت الزمام ولم يعد أمامهم من أمل الا أن يدركوه فيحبسوه أو يقتلوه فأغلوا الجعل لمن يرشد اليه وراحوا ينشرون العيون حول مكة ويقتفون الأثر وانتهى المسير بالقصاص الى ذلك الغار فاذا حمامات مستكنة فى عشها واذا شجرة تمتد فروعها وتتصافح أغصانها واذا عناكب تتشابك خيوطها ويتكاتف نسجها فيحلف أحدهم أن نسج هذا العنكبوت أقدم من ميلاد محمد ، ويتجمع القوم ويتفرقون ويتناقشون ويتجاولون والرسول فى الغار وقد احيط به من كل جانب والقفاة وقريش كلها تملأ الفجاج وتقذف بلهب الغيظ والحقد فلا يهن عزمه ولا يرجف فؤاده ولا يفقد ثقته بنصر ربه ويخفق قلب الصديق خوفا على الرسول فيثبته قائلا له « لا تحزن ان الله معنا » وبعد ليال ثلاث اذ خمدت نار الطلب مضى

الركب المهاجر فى طريقه تحوطه عناية الله تلحظه فى كل خطوة وتدركه عند كل عقبة وتدفع عنه السوء وترد عنه الكيد حتى القى رحله فى يثرب لتتخذ اسم المدينة المنورة علما جديدا لها فكانت ردء الدعوة وسند الحق ومصـــدر النور والعزة وكانت وطن المجتمع الجديد مجتمع الوحدة والايثار والعدالة والمساواة والعلم والحضارة .

وهناك صنع الرسول القادة وراسل الملـــوك وبعث البعوث وملأ الدنيا بالنظم والمثل التى فتحت القلوب بالعدل والعقول بالعلم والبصائر بالنور .

ومن هناك بدأ الزحف المجيد للحملة الآلهية التى جردها الله على الكفر والبغى والجهل وجعل قائدها محمد بن عبد الله ولم يقف الزحف النبوى ولم يتباطأ فلم يمض شـــهر بدون معركة ينتصر فيهـــا الحق وبدون تشريع وتجديد وعادت الدعوة الطريدة الى مكة بالفتح الأكبر تملك الزمام وتنشر السلام وتؤثر العفو والصـــفح وأكمـــل الله الدين وأتم النعمة ودخل النـــاس فى دين الله أفواجا .

وهكذا لم تكن الهجرة فرارا من الميدان ولا مجرد انتقال من بلد الى بلد وانما كانت هجرة من أرض جثم فيها الشرك وحكمها الجهل وسادها البغى الى أرض سطع فيها نور الحق وأشرق منها ضياء التوحيد .

وكانت ثورة على الظلم : ظلم النفس بالشرك والرذيلـــة وظلم المجتمع بالطغيان والفوضى .

وكانت حربا على الضعف الانسانى فى شتى صوره وألوانه وانتصـــارا للحق مهما بطشت به قوة الباطل وكانت تأسيسا لأول دولة دعائمهـــا العدل والعلم والحرية والحضارة والأخاء والمساواة فى ظل وحدة الأمة التى رضيها الله لعباده « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

وما أشبه الليلة بالبارحة فذكرى الهجرة تطالعنا اليوم ونحن نواجه قوى الشر والعدوان وهى أشد ضراوة تريد أن تقضى من جديد على دعوة التوحيد وتغتصب ديارها وتذل أهلها وترد العالم الى عهود الجاهلية الأولى .

والعبرة الواضحة من الهجرة أن الايمان بالله والثبات على الحق والصبر على المكاره والكفاح فى سبيله كل ذلك يستلزم النصر بأذن الله .

فليكن لنا فى رحاب الذكرى مدد يوثق صلتنا بالله ويربط على قلوبنا فى معركة المصير حتى نصون الحق ونسترد الارض ونطهر القدس وترفرف أعلام السلام على أرض السلام .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

هلال خير

أطل على العالم اليوم هلال شهر جديد وعام جديد .. وهلال المحرم من كل عام يجدد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم ، ويفتح أعينهم على يوم مأمول وغد مرتقب ...

ويومنا فى هذا العام مشحون بالجهود التى تبذل لجمع الشمل ، واعداد العدة لملاقاة العدو فى يوم الفصل .

وغدنا القريب تتطاول نحوه الاعناق ، وتتطلع اليه العيون لترى أعلام النصر والوية العدل وهى ترفرف فوق أرض المقدسات ومهد النبوات .. غد يعود فيه المسلمون المبعدون الى دورهم وبلادهم ، ويدخلون المسجد الأقصى مهللين مكبرين فرحين بنصر الله .

وهذا الغد قد يتراءى فى نظر ضعفاء الايمان ، ومن انحلت عرى عزائمهم سرابا خادعا أو حلما كاذبا ، ولكنه ليس كذلك عند أقوياء الايمان وذوى العقيدة المكينة ، بل هو حقيقة آتية لا ريب فيها .

قبل صلاح الدين كان المحتلون للاراضى المقدسة يظنون الدنيا دانت لهم ، وأنهم باقون الى الأبد لأن قوى الأرض تناصرهم وتظاهرهم ، وكان ضعفاء الايمان يجبنون أمام الواقع الزائف ، أما صلاح الدين ومن استجاب لصيحته فقد كانوا أقوى من الواقع ، وفوق مستوى الاحداث كانوا أوثق بوعد الله مما يمليه الواقع ، وتصدقه عقول الجبناء الفارغين والخشب المسندة .

ان حق الفرد يمكن أن يؤكل ويهضم ويضيع فى هذه الدنيا .. أمانة يغتالها خائن ، دار يستولى عليها غاصب ، دم يراق بغير حق ، ويبوء باثمه مجهول — الى أن تسترد الامانات وتعود المظالم الى أربابها فى يوم ينفرد فيه بالحكم أحكم الحاكمين .

أما حقوق الشعوب والأمم فلن تموت ، ولن تضيع على هذه الارض مهما طال الزمن واختلت **الموازين** ، ستعود الارض المغصوبة والحقوق المنهوبة ..

بهذا جرت سنة الله فى خلقه .. لن يدوم الظلم الجماعى ما دامت الأمة قائمة على حقها متجمعة حوله . محتشدة للموت دونه : « وكأى من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم » « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

وكيف تضيع حقوق أمة وهى تؤمن بأن المعركة الناشبة مع الصهيونية حول الأرض الاسلامية المحتلة ليست معركة ثلاثة ملايين فلسطينى ، ولا مائة مليون عربى من سكان الشرق الاوسط ، بل هى معركة سبعمائة مليون مسلم يشغلون مساحات شاسعة من المعمورة ، ويمثلون جزءا كبيرا وعددا ضخما من المجموعة الدولية .. سبعمائة مليون مسلم لن يظلوا غثاء كغثاء السيل ، بل سيتحولوا فى المدى القريب ، بله المدى البعيد الى سيل مدمر ، يكتسح الظالمين ، ويغسل الارض من رجس الغادرين .

كيف لا تثبت هذه الأمة وجودها ، وتسترد حقوقها وتنتصر على البغاة العادين ، وهى أمة ما عرفت فى تاريخها الطويل الاستكانة لظالم ، ولا الرضوخ لقاهر ، بل تمردت على كل طغيان ، وقهرت كل عدوان ، وخاضت كل شدة ، ثابتة القلب ، شديدة العزم ، واثقة بربها ، معتزة بايمانها حتى كتب لها النصر .

ان اليأس من النصر لم يعرف طريقه الى قلب هذه الأمة يوم كانت فى بداية أمرها أفرادا قلائل يعدون على الاصابع ، وان الاضطهاد والعسف والتعذيب لم يزحزح هذه القلة المؤمنة عن ايمانها ، ولم يفت فى عضدها ، وان تكالب قوى الشر والكفر من أهل مكة وممن حولها على هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم زادهم ايمانا واصرارا ، ومنحهم قوة واقتدارا ، وان رجحان ميزان القوى المادية فى جانب أعدائهم لم يرهبهم ولم يثنهم عن عزمهم ..

لقد كانت مكة مولد النبوة، ومنشأ الأمة ، كانت كلها عيونا عليهم ترقب خطواتهم ، وآذانا تتسمع همساتهم ، وأيديا تبطش بهم ، ومع هذا فما استسلموا ولا وهنوا ، بل صبروا وصابروا ، وضحوا وحاربوا وانتصروا ..

فكيف يعرف اليأس طريقه الى قلوب الملايين من أبناء هذه الأمة بعد أن بسطت جناحيها على المشرق

والمغرب ، وخفقت راياتها من أقصى الشـــمال الى أقصى الجنــوب ، وارتفعت مآذنها سامقة فى أكناف الارض ، وتجاوبت الاصداء بأذانها فى آفاق السماء .

ان الذين يحاولون توهين العزائم ويخافون من مغارم العزة والسيادة ويستطيبون الذلة والدنية ليســوا من هذه الأمة فى شىء ، وقد ابتليت بأمثالهم من الخوالف والمعوقيــن ، والحراص على الحياة ، ففضحتهــم ونبذتهم ، ومضت فى طريقها الــى قدرها المنتصر .

وقد ندد الله بأولئك المعوقـــين الانهزاميين الذين ظهروا فى عهــد الرسالة فقال سبحانه : « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لأخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا . أشحة عليكم فاذا جــاء الخـــوف رأيتهم ينظرون اليك نظر المغشــى عليه من الموت فاذا ذهب الخــوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة علــى الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط اللــه أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا »

كما أشاد الحق تبارك وتعالــى بثبات أقوياء الايمان ، وأصحـــاب العزائم الصادقة أمام الاهـــوال والمخاوف ، فقال جل شأنه : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق اللــه ورسوله وما زادهـــم الا ايمانــا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلـــوا تبديلا » .

ان الهجرة النبوية التى يحتفــل العالم الاسلامى بذكراها مع مطلــع العام لتعتبر أكبر معلم من معالـــم التاريخ يضىء للمجاهدين طريقهم ، ويثبت أقدامهم على درب الكفـــاح والنضال ، ويلوح لهم من خلال حجب الظلام الكثيف بالفجر الصادق .. فجر الحرية الذى لا يبصره الا أولو الايمان المتين والعزم الحديد .

وما كان هذا الحــدث التاريخى الفريد يبلغ هذا المدى من الخلود ، ويحقق ما حققه من انتصـــارات وأمجاد باقية على وجه الدهر الــى يوم الدين لولا ما سبقه من ألـــوان الشدائد والمحن التى مرت بالرسول وصحبه المهاجرين خلال ثلاث عشرة سنة . كانت تربية واعدادا للجولة التالية ، واستعدادا للصراع العنيف الحاد الذى وقع بعد الهجرة .

لقد بلغت الشدة على المؤمنيــن منتهاها قبل هجرة النصر ، وكـــان أعظم الناس سياسة وأشدهم كياسة يتوقع للدعوة الفشل ، وللمؤمنيــن بها الهزيمة ، وما كان يدور بخلــد مخلوق مهما أوتى من فسحة الأمل ، وسعة الخيال أن هؤلاء العزل الذين نفضت الدنيا يدها منهم سيصبحون عما قريب سادة العالم وأمـــراء الارض ، وكيف يسودون وينتصرون وهم لا يملكون شيئا قط من أسباب النصر المادية ، لا مال ولا رجال ولا سلاح ، ولا حكم ، ولا قوة تناصرهم ولا مجتمع يساندهم ، ولكن القيادة النبوية كانت فوق المحــن والارزاء ، فوق الشدائد والابتلاء ، كان الايمان أصدق من السياسة وأعظم مــن الكياسة ، كان الحق فوق المـــال والرجال والسلاح ، كان الأمل فى عون الله ونصر اللــــه يملأ قلــب

الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقف من أصحابه يداوى جراح نفوسهم ، ويربط على قلوبهم ، ويخفف عنهم ما يلقون من عنت واضطهاد ، ويبشرهم بنصر مؤزر وفتح عظيم .

روى البخارى عن قيس قال : سمعت خبابا يقول : أتيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو متوسد ببرده ، وهو فى ظل الكعبة ـ وقد لقينا من المشركين شدة ـ فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر الوجه فقال : « قد كان من كان قبلكم لتمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ... ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه .. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

ترى ماذا كان يمكن أن يحدث لو اهتز الايمان فى قلوب المؤمنين فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدعوة تحت تأثير الضغوط والمؤثرات الجائرة ؟

ماذا كان يمكن أن يحدث لو نظر هؤلاء الى ميزان القوى وهو مع الاعداء ؟

ماذا يكون لو نظر هؤلاء الى الرأى العالمى وهو فى هذا الحين كافر من كافر ؟

لو كان لهذا كله حساب ووزن فى نفوس المؤمنين لنفد صبرهم ،وانهارت عزائمهم وخمدت دعوتهم ، وكان ما لا يمكن أن يكون الا فى خيال من أفئدتهم وقلوبهم هواء ، لأن الايمان بالحق حين يتخلخل فى قلوب أصحابه يتبدد الأمل وتخور العزائم ويوقع صك الاستسلام والهزيمة .. أما حين يقوى الايمان فانه يملأ القلب بالأمل فى الوصول الى الحق المفقود ، ويساند هذا الأمل السعى الجاد لبلوغه ، واحتمال التضحيات والمغارم فى سبيله .

ان الهجرة النبوية التى نحتفل بذكراها اليوم لو استعرضنا ما سبقها من شدة وبلاء ، وما صاحبها من كيد ومكر ، وما أعقبها من تكتل جبهات الكفر ، وتألب معسكرات البغى ، ثم ما كان من أثر العقيدة فى الصمود للبلاء ، واحباط الكيد والمكر ، والوقوف فى وجه القوى الغاشمة ، لو وعينا هذا كله ، واجتزنا مرحلة الوعى الى مرحلة العمل والتنفيذ لأحطنا بالعدو ، وملأنا الفجاج المؤدية اليه بالجيوش الزاحفة المؤمنة ، وتحقق لنا ما وعد الله به المؤمنين : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

أيها العام الهجرى :

باسم الله نستقبلك ، وباسم الله نرجو أن تكون خيرا من سلفك وأن تصبح أيامك صفحات عز ونصر للمسلمين .

رضوان النبلى

مدير ادارة الدعوة والارشاد

من
هدي
السّنة

قِـمّةُ الإنسانيّة

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :
« كأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليـه وسلم يحكى نبيا من الأنبياء ضربه قومه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » رواه الامام مسلم .

١ ـ فى ظواهر الوجود ، ومـا يبدو منه محسا ، وما يدرك واقعا ، مفارقات تثير العجب ، ولا تخضع لميزان ثابت ولا تدخـل تحت تصنيف علمى لا يقبل النقض ، وقد تكـون لشدة جلائها ووضوحها من المعميات وان حاول ناس بحثها وتعميق القول فيها فهم على أدنى درجات الادراك لم يتفقوا على استنتاج ماهيتها ولا مصدرها ولا مدى فعاليتها لو اخذت كما بدت ، فكثير ممن سما ادراكهم ، وتوطدت بمدبر الكون صلاتهم ، بدوا فى مسوح العازفين عن مهـاوى العامة ومنازل الدون ، وللعـامة والدون تفسير خاص فى عرفهم لم يستقوه من مظهر مادى بل قديكون هذا المظهر فى شرعتهم دون الدون، يمرون بالحياة مرور النسائم المنعشة ويلتقون بالاحياء التقاء النمير الصافى الزلال بعابر الصحراء الفاقد حبالته وأشطان بئره ، يبذلون دائما ولا يبسطون أيديهم طالبين أبدا مهمـا عز عليهم الكن أو ضاق بهم المأوى ، وقد كانوا ضياء دياجـير النفس الانسانية المظلمة ، ورواد دروبهـا المتشعبة ، وحلالى عقدها المستعصية عاشوا لغيرهم رغم عدوان الغـير عليهم ، وتجريده كل سلاح لحربهم، واعداده ما اسـتطاع لازاحتهم من طريقه ، زاعما ان ما يفعل هـو

الاجدى نفعا على الانسانية . ولو أدرك أو حاول ولم يصمه ما أصمه للوى عنان مطيته نحــوهم ، وكبح جماح أدهمه للاقتراب منهم ولمـــا تركهم يرددون مقالة اتسمت بهـــا طرائقهم ، وتنــاقلتها الأعصر عنهم : **« رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون »**

٢ — من دراسة واقع عاشـــــه من دلفوا الى بواطن الامــــور ، ورأوا بعين الحقيقة ماهية الاشياء كما يجب أن تكون وكما يصــح أن تؤخذ ، وأيقنوا أن لا خلود لمخلوق ، ولا بقاء لعالم ، وبدت لبصائرهم التى لم يصبها العمى ان وراء الأكمـــــة ما وراءها ، فلكل كائن نهاية ، وله من ايجاده غاية . هؤلاء آمنوا بحقهم فى الذى أعد بعد هذه المرحـــــلة الزائلة فأعدوا أنفسهم للسير على نهج غير ذى عوج وان ظهر لبـــادى الرأى أنه خروج على طبيعة البشر، فكان فى فعلهم خلودهم،وفى سلوكهم بقاؤهم ، واستعصى على الزمـــان الذى لا يرحم ان يعفى أثارهم ، بل طأطأ الرأس اجلالا لهم ومضى يسجل فى اضبارة أخبارهم نمـــاذج انسانية رائعة وحقائق الهية ظهـــرت فى أقوالهم ونفذوها فى فعالهم ، فهــذا رجل يضر بماله ويؤذى دنيـــاه ، ويعطى ما لم يطلب منه ظاهـــرا خضوعا لايمانه وعرفانا بما يدخر له فى غده : قال جرير بن عبــد الله

رضى الله عنه : **« بايعت النبىصلى اللهعليه وسلم علىالنصح لكلمسلم»**

وقد روى الحافظ أبو القاســـــم الطبرانى مكرمة من أخلاق هـــذا الصحابى وحرصه على الوفاء بمــا عاهد عليه رسول الله صلى اللهعليه وسلم ولو نال ذلك من ماله ــوالمال عدل النفس — روى الطبرانى أن جريرا هذا كان على جانب من الثراء وقد أمر مولاه يوما أن يؤم السوق ليشترى له فرسا ، فاشترى لـــــه فرسا بثلاثمائة درهم وجاء بالفرس وصاحبه الى جرير لينقـــده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس :**«فرسك خير من ثلاثمائة درهم !! أتبيعـــه بأربعمـــائة درهم ؟ »** قال : ذلــك اليك يا أبا عبد الله ، فقال : **«فرسك خير من ذلك !!** — اتبيعه بخمسمائة درهم ؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائـــة وصاحبه يرضى ، وجرير يقـــول : **« فرسك خير »** الى ان بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها ، فقيل له فىذلك، فقال : **« انى بايعت رســـــول الله صلى الله عليه وسلم على النصـــح لكل مسلم » .**

٣ — ابتعد الموجه الاسلامى عن المسرح الحقيقى الذى كان يجب أن يلعب عليـــــه دوره ، واختفى وراء الكواليس يقوم بدور لم يندب لـــه وليس هو الوضع الطبيعى لـــــــه ولأضرابه ، ولنعد مستعرضين بعض وقائع الزمان الذى مـــــر من قبــل حيث نرى القدوة هو من بيــــــده السلطة ، ومن له الامر والنهى ،وان الاسلام ليس قبوعا فى صومعة ،ولا حديثا عابرا يتلاشى مع الريح ، ولا كتابا ينمق ثم يوضـــــع على الرف لا تحس به الا الأرضة محاولة نيــل غذائها من أوراقه وشرابها من مداده، تعال معى الى القمة قمة الاســـلام رواده الاول : هذا ابو بكر رضى الله عنه كان يعمل قبل خلافته تاجرا ، فما أفضت اليه الخلافة أخذ يغــدو ويروح الى السوق ليحصل على طعامه وطعام أسرته ولولا حمل المسلمين له على التفرغ لامورهم ما تـــــرك التجارة أبدا ، وكان يوزع ما يصــل الى يده من حصيلة بيت المـــال بين المسلمين جميعا لا يفرق فى ذلــك بين أحد منهم ، وقد قيل له يوما : لتقدم أهل السبق على قدر منازلهم ،

فكان جوابه رضى الله عنه : انما أسلموا لله ، فوجب أجرهم عليه يوفيهم ذلك فى الآخرة وانما الدار الدنيا بلاغ .

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقوم بخدمة عجوز أخنى الدهر عليها فأفقدها المال والولد وسلبها نور العين حتى اصبحت مسخا لا تقدر على شىء حتى رفع اللقمة الى فيها ، وكثيرا ما جاء اليها فوجد غيره قد سبقه اليها قائما بكل حاجياتها ، فتربص يوما مستخفيا ليعلم من هو ؟ فاذا هو أبو بكر رضى الله عنه ، فصاح : أنت هو لعمرى ما سابقناك الى خير الا وسبقتنا اليه وأبو بكر يومئذ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا على بى أبى طالب كرم الله وجهه يذهب الى تاجر ليشترى منه ثوبا فيستصحب معه غلامه وبعد أن يشترى ثوبين متماثلين يقول لغلامه : اختر أيهما شئت فيأخذ الغلام أحدهما ويلبس سيدنا على الآخر منهما . .

وهكذا كان الموجه هو من يسمع له ويطاع قوله فلما مضى الزمان الذى استضاء بنور النبوة ، وأظلته هداية الرسالة المباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حملة الشريعة بالدخول فى المجتمعات وفى قمتها مجالس الخلفاء يولونهم النصح ويتحملون فى سبيل ذلك كل أنواع الابتلاء ضربا واضطهادا وقتلا أحيانا ، دخل يوما مالك بن أنس وابن طاوس على أبى جعفر المنصور وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ اليهما بالجلوس ، فجلسا ، فأطرق زمنا طويلا ، ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثنى عن أبيك قال : سمعت أبى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى ملكه فأدخل عليه الجور فى حكمه** » فأمسك أبو جعفر ساعة . يقول مالك ، فاسود مابيننا وبينه وأمسكت ثيابى مخافة أن ينالها شىء من دم ابن طاوس ، ثم قال أبو جعفر : يا ابن طاوس : ناولنى هذه الدواة ، فأمسك عنه ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ، قال : أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها ، فلما سمع ذلك قال : قوما عنى ، فقال ابن طاوس : ذلك ماكنا نبغى ، قال مالك : فما زلت اعرف لابن طاوس فضله منذ ذلك اليوم .

ودار الفلك وهو دائب فى سيره لا يتوقف وقسا الخليفة وخاف الموجه الاسلامى أن يغشى مجلسه ناصحا أو موجها ، فغاب عن ذلك المجلس الناصح الامين وولج اليه المنافق الاثيم ، ونشأ مجلس آخر لواحسن استغلاله فى تلك الاعصر دون مهابة ولا وجل لأدى الرسالة وأغنى ،ولكن مادت به الارض وساخت قوائمه فيها وأصبح ظلالا خفيفة وعادة لا عقيدة، فالتوى الامر وضاعت الفائدة المرجوة وانحسرت قوة الاسلام عن البيت واختفت من الشارع ، وومضت فى بعض دور التثقيف ، واخيرا عصفت بها الريح الهوج ، فأرزت الى الزوايا كما تأرز الحية الى جحرها منتظرة من يتحمل الضرب والموت فى سبيلها وهو يقول : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » .

٤ ــ يعود معذب القلب فيتساءل : أحقا استدار الزمان واشرف على نهايته ، أم أن الطريق لا زال طويلا

الى تلك النهاية ، وهـــل تغــير الاحوال ، واستنواق الجمل ، وخلاء الجو يشير الى أن عودة الخير غـير ممكنة والجواب الصراح : كلا ثمكلا: فلو انك عدت الى قرون قبل ميــلاد المسيح عليه وعلى نبينا أفضـــــل الصلاة وأزكى السلام لوجدت بيديا الفيلسوف يقول فى كتابه العظيم : (كليلة ودمنة) على لسان (برزويه) (أنا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان حتى كان أمور الصدق قد نزعت من الناس فأصبح ما كان عزيزا فقـده مفقودا ، وموجودا ما كان ضـــائرا وجوده ، وكأن الخير اصبح ذابــلا والشر ناضرا ، وكأن الفهم قد زالت سبله ، وكأن الحق قـــد ولى كبرا وأقبل الباطل من بعده ، وكأن اتباع الهوى واضاعة الحكم اصبحبالحكام موكلا ، وأصبح المظلوم بالحيف مقرا، والظالم بنفسه مستطيلا ، وكـــأن الحرص اصبح فاغرا فاه من كـل جهة ، يتلقف ما قرب منه وما بعد، وكأن الرضا اصبح مجهولا ، وكأن الاخيار يريدون بطن الارض نـزولا وكأن الاشراريقصدون السماءصعودا فأصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلى شرف الى أسفل درك ، وأصـبحت الدناءة ممكنة « بتشديد الكـــاف المكسورة » واصبح السلطان منتقلا من أهل الفضل الى أهل النقص ، وكأن أم **دفر مسرورة جذلة** تقـول : قد غيبت الخيرات وأظهرت السيئات

فهذا حديث عاقل ينقد أمة عاش فيها منذ آلاف السنين ومن بعده تطورت الامور وتبدلت من شر الى خير ومن خير الى شر وتلك سـنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبـديلا ، والضمان لبقاء الخير وانتشــــار المعروف هو ضمان الحرية الواسعة فى اسمى صورها لكل كلمة حق ، ولكل قائل بها ، ومعاونة مروجيها، مع الاخذ برفق اولئك المتمردين على الحقائق الجاهلين بنتائج ما اليــه يسعون وما فيه يعمهون ، وتبصيرهم بالحقيقة النافعة المفيدة ، والاخـذ بيدهم الى دار السلام ونور الاسلام فى رفق وهوادة ، وان لله رجـالا — وانلم يعرفوا — عندينه يكافحون وهم فى كل مكان بالحق قائمون وعلى شرعة رسوله سـائرون ، وان بلدا تنمو فيه الحرية لا بد وان ينمـو فيه الخير ، وينجاب عنه الظلم ، ولما كان الضغط يولد الانفجار ، واعتمال المواد المتعاكسة فى بطن الارض ينتج الزلازل والبراكين ، وربمـــا ثارت الطبيعة على البشر فابتلعتهم الارض أو أغرقتهم بمائها ، أو أخذتهم ريـح صرصر عاتية ، أقوال تضرب للعبرة ليتذكر من يتذكر ، وليقوى على دعوة الحق القائمون بها وليقولوا فى هدوء لمخالفيهم وقائليهم : **« رب اغفـر لقومى فانهم لا يعلمون »** .



على هامش الهجرة

للشيخ أحمد حسن الباقوري

لم تكن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يثرب من بلد الله الحرام هربانا من عداوة ولا رحمة بضعيف ، ولا ايثارا لحياة وادعة ناعمة يعبد المسلم فيها ربه عبادة الصوفى الذى استلان خشونة الضيم فأصبح يجد فى عبادته هذه من اللذاذة ما يجده الشاب فى ريعان شبابه وقد واتته وطأة العيش وأحاطت به أطايب المتارف ، وتهيأت له أسباب النعيم .

ولكن هجرته صلى الله عليه وسلم كانت من أجل اقامة دولة المتقين أول دولة للاسلام فى مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وهذه الدولة التى أقامتها الهجرة النبوية الشريفة هى التى أخرجت الانسانية كلها من الظلمات الى النور ، ومن تسلط الهوى الى رشد العقل ، ومن عبودية البشر الى عبودية الله رب العالمين ، ثم هى الدولة التى تقوم شامخة فى دنيا النظريات كما قامت شامخة فى دنيا الواقع حينا من الدهر على أصول من الحق والعدل ينكر الشمس فى رائعة النهار من ينكرها أو يتنكر لها .

ومن هذه الأصول التى قامت عليها هذه الدولة ، وتقوم عليها كل دولة خليقة بالانتساب الى الاســـلام « الحرية » « العدالة » « العلم » القوة والسلام » .

فأما الحرية ، فلا يعرف الناس مبدأ أو مذهبا احترم الحرية ورفع من قدرها كما يعرفون ذلك فى الاسلام الذى جاء به محمد رسول الله ، شرفا للعروبية ورحمة للانســـانية . ذلك أن الباب الذى يدخل منه الناس الى الاســـلام ليس الا تلك الكلمة الشريفة « لا اله الا الله » . !

وربما كان الفنا لهذه الكلمة وتكرارنا اياهـــا قد صرفنا عما ينبغى من التـــدبر الواجب لهـــا فان الف الشىء موجب للغفلة عما ينطوى عليه من معان جليلة لولا هذا الالف لكانت هذه المعانى ملء الأسماع والأبصار .. والمعنى لهذا الشعار الاســـلامى الذى لا سبيل للاسلام الا من طريقه هو أنه لا موجود يستحق الخضوع له والتذلل بين يديه الا الله رب العالمين ، الذى أعطى النعمة ومنح الخير وسخر للانسان ما فى الســـموات وما فى الارض ينتفع به حيث شاء متى شاء . فالا قرار بهذه الكلمة واعتقاد معناها وتحقق المسلم بها هو أسمى ما تتطلع اليه حرية الأحرار .

وعن فقه أسلافنا لمعنى هذه الكلمة وحرصـــهم على تحقيق معناها نبذوا العنصرية وكانوا فى مجتمعهم سواسية كأسنان المشط لا فضـــل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، فكان أمير المؤمنين عمر حين يرى بلالا الحبشى مقبلا عليه يرحب به قائلا له مرحبا بسيدنا ومولى سيدنا . وعن هذا الفقه نفسه ــ خرج بلال هذا مع أخيه الى قوم من بنى ليث يخطب اليهم من نسائهم لنفسه ولأخيه ، فلما بلغ ندى القوم . قال : أنا بلال وهذا أخى . كنـــا ضالين فهدانا الله ، وكنـــا عبدين فاعتقنا الله ، وكنا فقيرين فأغنانا الله ، فان تزوجونا فالحمد لله ، وان تردونا فالمستعان الله ، فلما سمع القوم . قالوا نعم وكرامة وزوجوهما .

وأما العناية بالعدالة فى مجتمع المسلمين فانها تأخذ صورا عدة : ــ

أولاها ــ العدالة فى الحكم للناس أو عليهم « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين النـــاس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا » والمسلم لايجوز له ولا يجمل به ملتزما حدود ربه أن يحكم هواه أو يستجيب لنزواته وشهواته واثراته فى التعامل مع النـــاس « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى .. » .

فاذا جاوز المسلم العدل فى هذا الاطار الى تلمس العدل فى

اطار الاقتصاد والمال وجد القرآن يقرر أن المال مال الله عند الناس ، وأن الذى لا مال عنده له حق معلوم يقتضيه ممن له مال ، وعلى الدولة أن تأخذه من الأغنياء لترده على الفقراء بسلطان الله وقوة الدولة مع فارق واحد ينبغى أن يلاحظه المسلم فى هذا المجال الاقتصادى ان الاسلام لا يثير طبقة على طبقة ولا يستنبت الأحقاد أو يستغلها ضد اصحاب المال ممن لا مال لهم ، فالجميع اخوة والجميع يجب أن يكونوا خاضعين لاحكام الله .

وأما العلم فاننا لا نعرف دينا حرض على تحصيله كما نعرف ذلك للاسلام سواء فى ذلك ما يسمى العلوم الانسانية وما يسمى العلوم المعملية ، ومن الأول الاشارة بقول الله « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب » .

والى العلوم المعملية من الجماد والنبات والحيوان يشير قول الله تعالى « الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » .

فليس يسمع المتأمل لكتاب الله متدبرا له على بصيرة أن يتغاضى عن تذييل الآية الشريفة بخشية العلماء لله أو توقيره تعالى لأهل العلم فان العلم فى هذه الآية ليس من العلوم التى تسمى علوما انسانية بل هو علم طبقات الارض ، وعلم الحيوان ، وعلم النبات وليس فى دين أو مذهب سبق القرآن تكريم للعلم والعلماء بمثل هذه الصورة التى ذكرتها الآية الكريمة .

وأما القوة فما أكثر ما يجد المسلم تحريض الاسلام على اعداد القوة وتوفيرها للدفاع عن الحرمات وصيانة المقدسات مع فرق جليل هو أن القوة فى الاسلام للتخويف والارهاب ، وليست للتخريب والتدمير على ما يقول تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

واما السلام فحسب أهل العلم من ذلك أن يعرفوا أن المادة اللغوية التى يتكون منها السلام هى المادة اللغوية نفسها التى يتكون منها الاسلام .

ان الحديث عن الهجرة النبوية الشريفة لا ينبغى أن يكون قولا يردد يتشدق به متشدق أو يتفاصح متفاصح وانما ينبغى أن يكون هذا الحديث منطويا على ما يذكر المسلمين بأمجادهم ويستحث هممهم الى الاعتزاز بها حتى لا يفنوا فى شرق أو غرب لأنهم أعظم وأجل عند الله وعند أنفسهم وعند الناس من أن يكونوا خاضعين الا لسلطان واحد هو سلطان رب العالمين .

على طريق الهجرة

للدكتور : محمد عبد الرحمن بيصار
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية — الأزهر

يجيء هلال المحرم من كل عام ، ومع شعاعه الفضى يذكــــر المسلمون ساعة الشدة والعسر ، ساعة النضال والنصر ، والافلات من الاسر ، تلك الساعة التى بلغ فيها الشرك غايته فى ايذاء المسلمين وايذاء الرسول الأمين ، الذى خرج بأمر ربه فرارا الى الله بدينه ،وكتابه، ولحاقا بالمهاجرين قبله من أصــحابه ، انها لحظات حاسمة فى تــاريخ الدعوة المحمدية وفى عمر الانسانية ، حددت المسار ، واقالت العثــار ، ومضت بالدعوة الى الغاية المرجوة . وان ملامح النصر فيهــا كانت شعاعا كشعاع هلال المحرم فضى اللون ، هادىء المصافحة تراه العين ولا يضيرها ، يبصرها ولا تعشى به .

ان ساعات الشدة هى محك الرجال .

ولقد كانت الهجرة شدة ظهرت فيها رجولة محمد عليه السلام ،وتجلت أصالته ، فما ضعف وما استكان وما لان ، ومضى ينفذ أمر ربه تحف به الملائكة ، وتسعده عناية الله .

حدث ابن اسحاق قال :

« ان مدة ما أخفى محمد صلى الله عليه وسلم أمره بعـــد نزول « يأيها المدثر » ثلاث سنوات فكان من اسلم اذا أراد الصلاة يـــذهب الى بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين .

وكان استخفاء النبى عليه السلام فى دار الأرقم المخزومي وهى المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا على ما تقرره كتب السيرة .

وحين جاء الامر الالهى « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » والامر الالهى الآخر « وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » جمع النبى عليه السلام قومه وخطبهم وكان ممـــا قال : « ان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا

وبالسوء سوءا ، وانها لجنة ابدا أو النار أبدا ، والله يا بنى عبد المطلب ما اعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، انى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » .

وكان لهذه الكلمات التى قرعت آذانهم صدى عميق فى نفوسهم .. ان الرجل أمين بينهم ، ألفوا فيه الامانة ، وعرفوا فيه الصدق ، وسرعان ما انفجر أتون الحقد فى نفس أبى لهب ، وعلى لسانه ، فقال موجها خطابه الى النبى عليه السلام : « تبا لك الهذا جمعتنا » ؟ وتولى ربك الرد فى ابلغ عبارة « تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب » الخ السورة .

وتحدث أبا لهب نفسه بأن ماضى محمد ، وما ألفه الناس منه ، أو عرفوه عنه يوشك أن ينشر مبادئه ، وأن يجلب اليه المزيد من الانصار ، فيلتفت وكله خيفة من محمد ويقول « يابنى عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل ان يأخذ على يديه غيركم ، فان اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم » .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت الألسن العادية والعقول الغاوية والنفوس الحاقدة تنال من النبى الكريم وتتعرض له بالايذاء والكيد والاعراض والصد .

واشتد الايذاء على المسلمين فأذن النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الهجرة فخرج الناس ارسالا متتابعين .. واشتد البلاء على الباقين من المستضعفين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه يقلب نظره فى الكون ضراعة الى ربه ، وربطا لتصرفاته فى الارض بارشاد السماء وكأنه يقول : رب أمرتنى بالبلاغ وبلغت ، وأمرتنى بالجهر بدعوتى فصدعت ، وها هم أولاء أصحابى الذين آمنوا بك وبى يصيبهم ما ترى من قسوة العذاب ، وجفوة الطباع ، وخشونة الايام ، وهم يصبرون ، ولك يضرعون ، ومنك ينتظرون العفو والعافية .

وبقى محمد عليه السلام ينتظر الاذن بالهجرة وتخلف معه صاحبه أبو بكر ، وابن عمه على بن أبى طالب ، ومن كان مستضعفا محبوسا عند قريش .

وكثيرا ما كان أبو بكر يستأذن رسول الله فى الهجرة الى المدينة فيقول له : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا .. ورجا أبو بكر أن يكون الصاحب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حقق الله رجاء أبى بكر ، ونزل الوحى كخيوط الفضة فى هلال المحرم يكشف ظلمات القوم ، ويفضح نواياهم . ان قريشا تبيت لقتل محمد مخافة أن يهاجر الى المدينة فيكون هو وقومه وأتباعه قذى فى عيونهم ، وشجى فى حلوقهم ، وخطرا على تجاراتهم مع الشام .

وأوحى ربك اليه أن هاجر ...

فذهب الى الصديق فى بيته وأخبره بأن الله قد اذن له فى الهجرة وانفرجت أسارير الصديق وطلب على التو أن يصحبه فى رحلته فأجيب الى طلبته .

ولست هنا بصدد الحديث عن القصة سردا لتاريخها . فان الدنيا جميعا على امتداد العصور وكر الدهور تعرف كل شىء وتعى الصفحات الوضاءة فى حادث الهجرة .

ان الهجرة لم تكن مغامرة فى سبيل الحق والعقيدة والايمان فحسب ، بل كانت أكثر من ذلك وفاء للمبدأ ، واخلاصا للرسالة ، وفداء من أجلها، وتضحية فى سبيلها . وما كان محمد عليه الصلاة والسلام وصاحبه يشكان ادنى شك فى أن قريشا ستتبعهما بشرها فى محاولة لضرب الدعوة الاسلامية والقضاء على الدين الجديد .

وسلك محمد عليه السلام ومعه صاحبه طرقا غير مألوفة ،ومسالك غير مأنوسة ، أشجع ما يكون ، وأحكم ما يكون ، وفى الجنوب بعيدا عن أعين الرقباء قبعا فى غار ثور ، وكان المفروض ان يتجها نحو اليمين ، وابن أبى طالب فى فراش المصطفى عليه السلام يتسجى ببرده الحضرمى الاخضر لايهام الشرك أنه نائم ، وليؤدى عنه ودائع الناس التى أمنوه عليها .

ومضت الرحلة الى غايتها تجوب القفار على نحو ما سردت كتب السيرة ، واستقبل محمد وصاحبه فى المدينة استقبالا أصبح حديث الدنيا ، عوضه أساه ولوعته حين قال : وهو يلتفت الى مكة :

« الله يعلم أنك أحب بقاع الارض الى ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت » .

ولم تنقطع عن الرحلة أخبار الدنيا فقد كان عبد الله بن أبى بكر يسمع الاخبار نهارا ويقصها عليهما ليلا ، وعامر بن فهيرة مولى الصديق يعفى آثار الاقدام بما يرعى من أغنام ، ولا يعرف أحد غير عائشة وأسماء بنتى الصديق أنباء أخطر رحلة ، وأعز رجلين على الله والناس .

ومع تمادى الشرك فى الكيد والمكر والتبييت فان الله أقوى تدبيرا وأحكم أمرا .

« واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر والله خير الماكرين »

« الا تنصروه فقد نصره الله » .

ولشد مادهش الشرك لوصول الموكب الأسنى الى يثرب واستقباله الضخم بالحب والتضحية .

وفى يثرب بدأ الرسول يضع الاسس القوية لبناء الدولة الجديدة ، فبنى المسجد ليكون مقرا لدعوته ، ومنطلقا لكل تنظيمات دولته ففكر عليه الصلاة والسلام لذلك فى كفالة حرية العقيدة لاهل يثرب جميعا ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وعقد مع اليهود معاهدة وتم له الامر فى يسر ورفق ومحبة واعزاز ، واخذ يرسل السرايا الصغيرة لمناواة الاعداء، ولتدريب رجاله من حين لآخر على وسائل الهجوم ، والدفاع ، حتى يضمن رفع مستواهم العسكرى ، والارتقاء بكفائتهم التدريبية ، تمهيدا للمعارك الفاصلة التى سيخوضها مع أعدائه ، مما برهن بصدق ويقين على أن هذا النبى الأمى كان يتلقى عن ربه خطط كفاحه ، وكان يستهدى العناية الالهية فى أهم معاركه ، وكان يحسن ما يسمى فى علوم الحرب: التكتيك والاستراتيجية ، وما يسمى بالفدائية والاستخبارات وتعمية العدو .

فما أحرى شباب الامة ، وقادتها ، وجندها ، ورجالها ، ونساءها ، أن يتأسوا بالهجرة ، ودور أبى بكر فى وفائه ، وعلى فى شجاعته وبلائه ، وبعبد الله بن أبى بكر فى دهائه ، وعامر بن فهيرة فى كتمانه ، وعائشة وأسماء فى ثباتهما ، ان عدو الاسلام لا ينام وما أشبه الليلة بالبارحة ، فالعيون التى راقبت محمدا عليه الصلاة والسلام وبيتت له هى نفسها العيون التى تكيد لأتباع محمد فى هذا الزمان ، وهى نفسها التى تشرد المواطنين وترغمهم على الهجرة .

ان محمدا عليه السلام بهجرته الى المدينة قد فتح الطريق لآفاقجديدة نحو حياة مستقرة ، وضع عليه الصلاة والسلام بنفسه أساسها بخطته المحكمة وتدبيره الواعى .

فما من هجرة الا وسببت مشكلات اقتصادية ، واجتماعية ، وسكنية ، ولقد تجلت الحكمة والحزم فى ادارة شئون أولئك وهؤلاء بما يضمن للجميع استقرارا وانتاجا فى جو المدينة التى استقروا بها ، وتغلبوا على صعابها .

فلقد انصرف الى التجارة من كانوا يشتغلون بها ، وانصرف الى الزراعة فى أرض الانصار بالمزارعة من لم يكونوا على دراية بالتجارة ، ومنهم أبو بكر وعمر وعلى وأسرهم .

ولئن كان غير هؤلاء وأولئك يلقون من الحياة عسرا وقسرا ورهقا وعنتا الا انهم لم يقبلوا أن يعيشوا عالة على غيرهم ، فجهدوا ، وكدوا ، فى العمل شعورا باللذة وكسبا للقوت من عرق الجبين .

وكان هناك جماعة وفدوا على المدينة وأسلموا ، احنت الايام ظهورهم ونال الزمن منهم ، فأصبحوا فى متربة ومسغبة ، دون ملجأ يلوذون به أو سكن يقيمون فيه ، وهؤلاء أفرد لهم النبى الاجتماعى العظيم صلوات الله وسلامه عليه صفة فى المسجد ، وأجرى عليهم الأرزاق مما آتاه الله للمسلمين من المهاجرين والانصار ، وتلك عبقرية كبرى فى زمان لم يكن يعرف تنظيمات الحضارة .

ان مجتمع المدينة على عهد محمد صلى الله عليه وسلم كان مجتمع الوحدة والاخاء وهى حجر الاساس فى كل نهضة ، وسلاح الدفاع ضد كل عدو .

ولأمر ما كان فى خطبته عليه السلام الاولى لاهل المدينة .

« من استطاع أن يقى وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة بعشر أمثالها » .

وفى خطبته عليه الصلاة والسلام الثانية .

« اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوا الله حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون ، وتحابوا بروح الله بينكم ، ان الله يغضب أن ينكث عهده » .

تلك ومضات من هدى الهجرة النبوية ، وهذا هو طريقها المرسوم، فليست الهجرة قصة تروى ، أو أحداثا يتسلى بها ، أو مجدا يفاخر به ، وانما هى قبل كل شىء وبعد كل شىء عرق وكفاح ، وتضحية وفداء ، وتماسك واخاء ، واستعذاب للموت من أجل المبدأ ، وطلب للنصر بأسباب النصر،وللحياة وللخلود بأغلى أثمان الخلود .

الشخصية المسلمة

ضمان للسلام

للشيخ حسن خالد
مفتي الجمهورية اللبنانية

السلام حديث اليوم في الشرق والغرب تتناوله أقلام المفكرين والأدباء والسياسيين في أعمدة الصحف اليومية والاسبوعية ، كما يعالجونه في أبحاث مفردة مستفيضة .

وتهتم بالسلام في هذه الايام الدول الكبرى والصغرى ، ويغلب على الظن ان هذا الاهتمام هو لدى البعض منها بنسبة ما لها من مصلحة . ولذلك فان خوضهم فيه يأتي بأساليب منوعة ، فمنهم من يعقد له المؤتمرات المختلفة هنا وهناك يدعون اليها مختلف الجهات العلمية والدينية والفكرية والسياسية ، وكثيرا ما يخفي البعض منهم وراء ذلك ما يهدم السلام .

ومنهم من يتحرك لذلك ويستخدم طاقاتها كلها فكريا وماديا وعسكريا ،

مقدما على ذلك نشر قرارات وبيانات يخرج بها على الشعوب لابسا مسوح الرهبان ومدافعا عن السلام وداعيا اليه ، ومبررا تحركه بأنه للسلام وحده ، ولمصلحة الشعوب المتخلفة ، ودون أن يكون له مأرب آخر . والله يعلم وهو يعلم وأذكياء الناس يعلمون أنه براء مما يقول ، وأن مفهوم السلام لديه هو الاعتداء على أمن البلاد المتخلفة واستغلال ثرواتها وخاماتها ثم المحاولات الواضحة لايجاد التوازن فى المناطق عن طريق الضغط على هذه البلاد او تلك لتسير فى ركب سياسته او تبقى فى ظلاله .

ولقد كان لنا نصيب فى المساهمة فى عقد بعض هذه المؤتمرات على اختلاف الداعين اليها وتباعد مبادئهم الاجتماعية ومناهجهم السياسية . ولا يساورنا الشك لحظة فى أنه كانت تتخللها نوايا صادقة ونشاطات مخلصة وجهود بارة . بيد أنه تبين لنا من خلال الاجتماعات ومناقشات المدعوين اليها والمشرفين عليها ان ثمة سياسات خاصة تعمل فى الخفاء فى توجيه المؤتمرين وتحرص على ان يظلوا فى قراراتهم وتوصياتهم ومطاليبهم وتمنياتهم ضمن اطار محدود كما ثبت لنا ايضا أن هذه المؤتمرات وأن كان ينفق عليها الملايين من الدولارات تقتصر على تحصيل مكاسب آنية ، تتناول الشكل والمظهر ، متجاهلة الجوهر والحقيقة .

وكأننا بالغالبية من هؤلاء العاملين فى هذه المؤتمرات أو على رأسها كأننا بهم لا يهمهم أمر السلام فى الواقع ونفس الأمر .
بل انا لنعتقد أنهم حتى ولو رغبوا فيه واهتموا وأخلصوا فى القصد اليه ، لا يملكون فى ذواتهم ولا فى مجتمعاتهم المادة التى تمكنهم من الوصول الى تحقيق ذلك .

ذلك أن السلام ليس شعارات تطلق ولا مقالات تدبج ، ولا أفكارا ومناهج ترسل . كما أنه لا يكون بالمال الغزير يغدق على طالبيه والراغبين فيه والعاملين فى الاجهزة المختلفة ، ولا فى أسلحة قوية من مختلف الاوزان والاحجام والطاقات الفاعلة ، تمنح الى هؤلاء وأولئك ، وليس بالعلم المجرد يحصل ويستوعب ويستخدم لتحقيق منجزات وكشوفات رائعة فى مختلف الحقول البشرية يفيد منها الناس أو يتضررون ، ولا بالرجال الاشداء الموهوبين ، الذين يحسنون العمل فى مراكز الادارة والسياسة والاقتصاد والتوجيه حتى ولا بالانظمة التى توضع ، والتشريعات والقوانين التى تنشأ . نقول انها ليست بهذه الامور وحدها بل لا بد قبل ذلك من ضمان وجود الشخصية الانسانية الصالحة ، القادرة على تحمل مسؤوليات الحياة بأمانة واخلاص ، وصبر وتضحية ، واستيعاب لمقاصد الحياة وما بعدها ، التى تستطيع وحدها بالاستعانة بما سبق أن تعمل بجد وحرص وغيرة وحماس لبناء مجتمع السلام المنشود .

• • •

لقد شاء جميع المشرعين السابقين من وراء قوانينهم التى وضعوها تنظيم المجتمعات البشرية وتحديد تحركات افرادها بحيث لا يطغى منهم احد على أحد ويبقى لكل واحد منهم كامل حريته مع كامل حرية الآخرين وبحيث يضمن بالتالى الحياة الفاضلة والعيش الرغيد فى ظل المحبة والطمأنينة والسلام .

ولكنهم مع ذلك كانوا فى غالب الامر يقعون فى الاخطاء والمزايدات اذ يضفون على الانظمة كثيرا من هوياتهم وذاتياتهم ويصيغونها بالاسلوب الذى يكفل لهم وللمقربين منهم مصالحهم وبذلك أنحرفوا عند الخط القيم الذى شاءوه لانفسهم وللناس ودفعوا بالمجتمعات لتعيش فى ظل ورحمة مصالح بعض الافراد ، فاختلط الحابل بالنابل وانقلب السحر على الساحر وتصادم الناس وكانت الثورات فالحروب ، وتبخرت فكرة العدالة وهيمن على الارض مكانها الرعب والخوف بدل أن يخيم عليها الرخاء والسلام .



من اجل ذلك سبقت مشيئة الله تعالى أن لا يترك الانسان وحده فى متاهات الدنيا ومسبعاتها فأرسل الرسل وأنزل معهم الكتب ليقوم الناس بالقسط ويعيشوا بسلام . قال تعالى « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » .

وكان الاسلام هذا الدين الذى ارتضاه الله للناس أجمعين فى قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا . » أجل كان فى أكمل ثوب وأدق صيغة وأصلحها لمعاشهم فى الدنيا ولاعدادهم لليوم العصيب ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » . ويقول تعالى « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

بل كان هذا الدين الذى لم يرض سبحانه وتعالى من أى كان أن يتعبده الا بواسطته فقال « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . » ذلك أن هذا الدين هو وحده بين أديان السماء الذى استوفى كل عناصر الخير الدنيوى والاخروى ، حوى العقيدة السليمة التى تناسب الفطرة لامتيازها بالوضوح والبساطة وخلوها من التعقيد ، وضم الشريعة الغراء التى ضبطت سلوك الفرد وكبحت جماحه فنظمت له علاقته مع الله بواسطة عبادات « الصلاة والصوم والزكاة والحج » ومن قبل بواسطة الايمان به وبالملائكة والكتب المنزلة والرسل واليوم الآخر والقدر ، ونظمت له علاقته مع أخيه الانسان ضمن دائرة الاسرة أبا وأما وأخا وأختا وابنا وبنتا ، ثم المجتمع الكبير فالمجتمع

الاكبر ، وبنيت له فى كل منها حقوقه وواجباته وحدوده وكفلت له حريته الفكرية والعقيدية والعملية والحياة الآمنة المطمئنة المكتنفية فى دائـــرة الحكم الاسلامى الرشيد ، وبهذا الدين الاسلامى الكامل عقيدة وشريعة وسلوكا تبرز شخصية نادرة المثال هى شخصية المسلم التى يمكنهـــا وحدها ــ لو وجدت ــ ضمان تحقيق السلام فى العالم .

ذلك ان من طبيعة هذه الشخصية انها تتقيد بالنظام الذى آمنت بـــه ثم تعمل مخلصة على انجاح التقيد به من الذين آمنوا فى حال الانحراف ومن الناس أجمعين . فهى وان كانت مأمورة بتنفيذ بنوده وتطبيقها على ذاتها أولا « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ، « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

غير انها تعتبر ذاتها فى الوقت نفسه صاحبة هذا النظام وترى ذلك واجبا عليها فترتفع فى نفسها الحرارة الغيورة التى تدفعها للسهر على تطبيق الآخرين له والتعبد به بل انها لتنظر الى نفسها نظرة الاثـــم اذا هى لم تقم بهذا الواجب ، وتنتظر من الله فى اليوم الآخر سوء الحساب ، وبتعبير آخر ان الشخصية المسلمة هى فى الواقع والدولة الحـــاكمة سيان : تشاركها فى الحكم وتنقاد لها وتسلم لانجاح مقاصدها فيه وتأتمر بأمرهـــا .

ان المسلم فى الدولة الاسلامية ركن ايجابى مسؤول ، يســـهر على مصالحها ، ويتحمل معها مسؤولية الحكم . قال تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ». وقوله : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ، وقوله : « أنت على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يأتين من قبلك » .



وفضلا عن هذا فان شخصية المسلم مزودة بأجمل الاخلاق واحلى الشمائل وأرق الصفات ، وكلها تحدوه برفق وبصدق وعزيمة لتعـــزيز نزعة السلام والامان فى نفسه وفى من حوله ، فالمسلم فى عرف الاسلام هو « من سلم الناس من لسانه ويده » ، وشعار المسلم فى لقائه مـــع الناس ومنصرفه عنهم افشاء السلام والامان فى نفسه وفيمن حوله . فالمسلم فى عرف الاسلام يسن له السلام على من عرف ومن لايعرف .

والمسلم فى صلواته يتعهد باستمرار بضمان اشاعة السلام بـــين العباد الخيرين وتجافى الكبر واسباب الخصام والنفرة مع النـــاس فهو يقول فى جلوسه للتشهد من كل صلاة « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » كما يجتهد بأن يعفو عن السيئات ويتجاوز عن الهفوات ،

واذا خاطبه الجاهلون قال حسنا وسلاما . يقول تعالى « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

• • •

والسلام فى العالم مادته الاولى كما نعتقد هى الناس ، فهم منه كالقلب من جسم الانسان . فكما انه اذا صلح القلب صلح الجسد واذا فسد فسد الجسد فان الناس اذا صلحوا واستوفوا مادة الخير والتسامح تحقق السلام فيهم أو كانوا أقرب اليه من سواه ، واذا فسدوا وأخلدوا الى الارض ومادتها ضلوا وزاغوا ونزغ الشيطان بينهم وتعذر أن يشيع فى ربوعهم السلام .

لذلك فان الملحدين والمهرجين والماجنين والفسقة والمنافقين والماديين والكافرين بالله واليوم الآخر . كل هؤلاء وسواهم ممن يشاركونهم التخلى عن أديان السماء وفضائلها وحدودها وأنظمتها لا يمكنهم أن يؤمنوا للمجتمعات العالمية والخاصة ما تصبو اليه من الامن والرخاء والسلام . ولو عقدوا المؤتمرات وانفقوا الملايين وأتعبوا أدمغة المفكرين، ما برحوا لا يملكون فى ذواتهم مادة الاسلام التى هى كما قلت سابقا تكون فى الشخصية الصالحة القادرة على تحمل مسؤوليات الحكم والحياة بأمانة واخلاص وصبر وتضحية واستيعاب لمقاصد الحياة وما بعدها .

ولما كان يمكن تحقيق هذه الشخصية العاملة الساهرة المنتجة بالتعاليم الاسلامية ، فاننا نرفع عقيرتنا موقنين أن فى وجود الشخصية المسلمة وحدها الضمان لتحقيق السلام العالمى الصحيح ، واشاعة الامان والطمأنينة والنجاة من الويلات واحداث الرعب والدمار التىتزرعها الحروب فى أى مكان تكون .

حفظ الله العالم من كل كرب وهدى الناس جميعا لمادة الاسلام ولما يحب ويرضى « هذا نذير من النذر الاولى . أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة » .



لماذا
أرخ المسلمون بالهجرة

للشيخ عبد الحميد السائح

حينما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته كان العرب يؤرخون بعام الفيل واستمروا على ذلك الى أن حان الوقت فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ليؤرخوا بأحداث الاسلام ، ولم يؤرخوا ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بوفاته ، وانما أرخوا بالهجرة (١) ، لماذا ؟

الهجرة لم تكن هروبا من العمل ، وانما كانت اعداد لخطة محكمة منتجة .

الهجرة لم تكن ترويحا للنفس ، وانما كانت ترويضا للنفس على هجرة المعوقات والمخذلات

الهجرة لم تكن هجرا للاوطان ، وانما كانت تهيئة لاستعادة الاوطان .

الهجرة لم تكن استهانة بالمقدسات ، وانما كانت حافزا لحوزة المقدسات .

الهجرة لم تكن تخليا عن الرسالات ، وانما كانت حافزا لحماية المبادىء والرسالات .

الهجرة لم تكن زهدا فى الكيان ، وانما كانت سبيلا لايجاد الكيان .

الهجرة لم تكن طريقا للمفاخرة والمباهاة ، وانما كانت مجالا للنفوس الصافية المؤمنة التى تستجيب لامر الله .

الهجرة لم تكن سبيل المنافع المادية ، وانما كانت سبيل التخلى عنها والتحلى بالاهداف السامية والايثار .

الهجرة لم تكن لنصرة العصبيات والقبليات ، وانما كانت نصرا لدين الله ، وهدما لجميع الاهواء والعنعنات .

الهجرة لم تكن لمصلحة جماعات أو فئات ، وانما كانت درب الوحدة والالتحام والاخاء والانسجام .

فالهجرة كانت القمة فى أحداث الاسلام نظرا لاهدافها ونتائجها وأبعادها

قبــل الهجرة :

وقبل أن يبدأ الرسول وأصحابه بالهجرة هيأ لها بالاتصال بالقبــائل والجماعات العربية وعرض نفسه عليهم ، حتى يذيع دعوته وينشر رسالته ويتعرف القوم أهدافه ، وتتهيأ النفوس لقبول الحق والاذعان اليه ،واقامة الحجة على المكابرين فى اصرارهم وعنادهم على الباطل والضلال .

وفى أحد المجالس العربية ، التى هى من حلقات الاتصالات جــرى حوار بينه وبين شيوخ شيبان بن ثعلبة بحضور أبى بكر وعلى رضى الله عنهما . منهم مفروق قال لرسول الله إلام تدعو يا أخا قريش : فقــال الرسول : أدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله والى أن تؤونى وتنصرونى .

فان قريشا تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق فقال مفروق — وإلام تدعو اليه أيضا يا أخا قريش ؟ فقــال رسول الله : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شــيئا وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق : وإلام تدعو أيضــا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى » الآية .

فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك . وكأنه أراد أن يشرك فى الكلام هانىء بن قبيصة ، فقال : وهذا هانىء بن قبيصة شيخنــا وصاحب ديننا . فقال هانىء سمعت مقالتك يا أخا قريش ، وانى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك لمجلس جلسته الينا لوهن فى الراى وقلة نظر فى العاقبة ، وانما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظــر ، وكأنه احب ان يشرك فى الكلام المثنى بن حارثة ، فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، والجواب هو ما قاله هانىء بن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنــا اياك .. الى أن قال المثنى انما نزلت على عهد أخذه علينا كسرى ، لا نحــدث حدثا ولا نؤوى محدثا . وانى ارى أن هذا الامر تكرهــه الملوك ، فان احببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أســأتم فى الرد ، اذ افصحتم بالصدق ، **فان دين الله لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه،** ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ثم نهض النبى فأخذ بيدى أبى بكر فقال يا أبا بكر ، يا أبا حسن ، أية أخلاق فى الجاهلية؟ ما أشرفها ، فيها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجــزون فيما بينهم .

قال على ، ثم دفعنا الى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا صدقا صبرا .

فلما قدموا المدينة اظهروا الاسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شــيوخ على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح ، وكان ابنه معاذ ممن شهد

العقبة وتابع الرسول ، وكان عمرو سيدا من سادات بنى سلمة وشريفا من أشرافهم وقد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له « مناة » كماكانت الاشراف يصنعونَ ، يتخذه إلها يعظمه ويظهره .

ولما أسلم معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو وآخرون من شباب بنى سلمة، شعروا بواجبهم نحو الدعوة ، ومحاربة من يقف فى سبيلها ، ولو كان ابا أو أخا ، ومهما كانت درجته من الزعامة والرياسة .

وأخذوا يتسللون بالليل على صنم عمرو فيحملونه ويطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة منكسا على رأسه .

فاذا أصبح عمرو قصد ذلك الصنم فغسله وطيبه وأعاده مكانه ، وتكرر العمل من الشبان عدة مرات ، وعمرو يعيده كل مرة ، ثم جاء عمرو بسيفه وعلقه عليه ، وقال للصنم : ان كان فيك خير فامتنع ، والسيف معك ، فلما عاود الشبان خطتهم أدرك عمرو أن ذلك الصنم أعجز من أن يحمى نفسه فضلا عن أن يحمى غيره ، فأسلم وحسن اسلامه .

وأمر رسول الله أصحابه فى مكة بالخروج الى المدينة والهجرة اليها ، واللحوق باخوانهم الانصار ، وقال : ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا ارسالا .

وقال البراء : أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ، مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرآن الناس القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا ، ثم جاء رسول الله ، فما رأيت الناس فرحوا بشىء فرحهم به ، حتى رأيت النساء والاطفال والآباء يقولون : هذا رسول الله ، قد جاء رسول الله .

التضحية بالأموال فى سبيل انقاذ دين الله :

قال ابن هشام : وبلغنى ان صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: اتيتنا صعلوكا حقيرا ، وكل مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تذهب بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب ، ان جعلت لكم مالى اتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال صهيب : انى قد جعلت لكم مالى ، ولحق برسول الله واصحابه فى المدينة ، ولما بلغ ذلك رسول الله قال : ربح صهيب ، ربح صهيب .

الانجازات بعد الهجرة :

وأول ما شرع به بناء المسجد فى المدينة حتى يكون مستقر الدعوة ومنطلق الهداية والاصلاح ، ثم آخى بين الانصار والمهاجرين ، حتى تكون القاعدة الداخلية صلبة متينة .

ثم تكونت الدولة الاسلامية ليعم العالم بعد ذلك خيرها ، وينشر هديها ويوضع بعد تلك الهجرة الاساس السليم للاصلاح البشرى ، والاخاء الانسانى ، : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله »

ولما استقر رسول الله بالمدينة وايده الله بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، وكان أعداؤهم يدبرون المكايد ويعدون الخطط لمحاربة الاسلام ومنع انتشاره ، اذن الله لهم حينئذ بالقتال « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

فكانت الهجرة نتيجة الظلم والعدوان ، والخطر على كيان الدعوة الاسلامية ووجودها ، وكان الجهاد بعد الهجرة لرد العدوان وحماية الكيان، وتثبيت قواعد الايمان والامان .

عبرة الهجرة :

وان العرب والمسلمين فى فلسطين قد اعتدى على ديارهم.، التى هى ديار الاسلام ، واغتصبت قدسهم التى هى قدس الاسلام ، وانتهكت حرماتهم ومقدساتهم التى هى حرمات ومقدسات الاسلام ، وأكره الكثير منهم على هجرة الاوطان تمهيدا لتمكن اعدائهم بالديار والمقدسات ، وتحدتهم الصهيونية العالمية ، وسخرت منهم الامبريالية والاستعمار ، وانحازت الى خصومهم المعتدين ، وامدتهم بالسلاح والمال والمعدات ، لتهيىء لهم فرص الاستقرار فى الديار ، وليملكوا حريتهم فى تغيير معالم القدس وتهويدها ، والقضاء على حضارتنا الاسلامية ، واقامة الهيكل مكان الاقصى ، مسرى الرسول وموطن معراجه .

والمسلمون الان اينما كانوا وحيثما وجدوا ، امام تحد صارخ يشمل عقائدهم وديارهم ومقدساتهم ، فاما أن يكونوا على درب رسولهم سائرين، ولدينهم مخلصين ، وعلى مقدساتهم حريصين ، وحينئذ عليهم أن يقفوا صفا واحدا متراصا ، يجاهدون بأموالهم وانفسهم وجميع طاقاتهم وامكاناتهم ، وهى قادرة على مجابهة التحدى وايقاف المعتدى ، وانقاذ الكرامة المسلوبة والشرف المهان ، واستعادة الاوطان والمقدسات ، واما ان يبقوا متخاذلين متفككين متفلتين ، وحينئذ عليهم ان ينتظروا عدوانا اثر عدوان يقضى على كيانهم ، وينتزع منهم مصادر ثرواتهم ، ومقومات حياتهم ووجودهم ، نتيجة توليهم عن الاذعان لامر الله والاستجابة لله ولرسوله : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

وأملى بالله العظيم ، أن يتحرك المخلصون المؤمنون فى ديار الاسلام لتقدير الاخطار ودفع الاضرار ، والمبادرة الى هجرة الاهواء ، والقيام بالجهاد المتواصل حتى يحققوا الهدف الذى ينجيهم أمام الله ، وامام الاجيال فى انقاذ الديار والمقدسات والشرف والكرامات ، وحينئذ تعود لنا عزتنا ، كما عادت للمؤمنين الاولين عزتهم بعد الهجرة بالجهاد ، ونتلو قول الله سبحانه بفخر واعتزاز : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

---

(١) انظر البخارى ومختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ١٥٤

خطوات في الهجرة والحركة

للدكتور
عماد الدين خليل
جامعة الموصل

- ١ -

وضع رسولنا العظيم (صلى الله عليه وسلم) خطواته الأولى في الدرب صوب المدينة ، وقلبه يخفق بهذا الدعاء (وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) . وكان يعلم جيدا ان حركة الانسان في التاريخ لا تستقيم وتصل الى هدفها الا بان يرفع الانسان بصره وفؤاده وعقله وسمعه وحسه الى السماء يتلقى عنها الصدق والنصر .. صدق الحركة وانتصار قيمها .. لكنه لم ينس لحظة ، أن هذا التوجه الى السماء يجب ان يقترن بثبات الخطى على الارض ، وبتحمل مسؤولية البصر والسمع والفؤاد بأمانة كاملة .. وبصياغة الحرية الانسانية بما ينسجم ، في المدى القريب والبعيد ، مع قدر الله ونواميسه وسننه . وبدون هذا التناغم بين مشيئة الله وحرية الانسان .. بين نور

السماء وشـــفافيتها .. وبين كثـــافة الارض ووعورة الطريق .. بدون هذا الحوار الدائم الفعال بين الانسان وخالق الانسان .. بين انطلاق الروح وشد الجسد .. بدون هذا التواصل الدائم بين الحضور والغياب .. بين عالم المشاهدة المبـــاشرة والغيب البعيد .. بدون هذا وذاك لن تكون هناك حركة جـــادة .. ولا مصير عظيم .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم ظل قلبه يخفق بدعاء الله .. وهو يرسم الخطط ، ويضع الضمانات ، ويهيىء المواد والامكانات والدفوع الكفيلة بايصاله الى هدفه .. لم يجىء هذا الدعاء قبل التخطيط فحسب ، ولا جاء بعده فحسب ، فليس فى علاقة الارادة البشرية بالمشيئة الالهية ــ خلال الحدث ــ قبلية ولا بعدية .. وانما تسير الاثنتان بانسجام رائع .. لأن هـــذه من تلك ، ولأن الانسان فى أصغر جزئيات حركته وفى أكبرها انما ينفذ قدر الله وناموسه فى الارض ، فى مدى الحرية التى اتيحت له . أما أن يجىء الدعاء والتوجه قبل التخطيط فحسب ، أو بعد التنفيذ فحسب ، فهو من قبيل الثنائيات التى ترفضها مبادىء السماء أشد الرفض لأنها تفصل بين الله والانسان ، وتقسم حظ الطرفين فى حركة التاريخ ، بما لا يتفق أساسا والسنن الكبرى .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم هيأ الأسباب (الارادية) الكاملة لنجاح الحركة وهو ينظر الى الله .. ووضع خطواته الأولى على الدرب وهو يدعو الله .. وما لبثت الأسباب أن آتت أكلها ، والخطوات أن انتهت الى هدفها .. وظل الرسول ينظر الى الله ويدعوه .. وما أحرانا فى يوم هجرته أن نتمعن فى هذه التعاليم ، فى زمن طغت فيه التفاسير والأهواء ، وكل قال ما عنده ، شرقيا كان أو غربيا ، لكن المسلمين لم يقولوا ــ بعد ــ كل ما عندهم ..

ــ ٢ ــ

استغرق (هيكل) الهجرة زمنا طويلا .. حمل الرسول واصحابه معاولهم وبدأوا يحفرون الأسس من أجل أن يستقيم البناء . ان الاسلام جاء لكى يعبر عن وجوده فى عالمنا من خلال دوائر ثلاث ، يتداخل بعضها فى بعض ، وتتسع صوب الخارج لكى تشمل مزيدا من المســـاحات : دائرة الانسان ، فالدولة ، فالحضارة . ولقد اجتاز الاسلام فى مكة دائرة الانسان ، ثم ما لبثت العوائق السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية أن صدته عن المضى فى الطريق صوب الدائرة الثانية حيث الدولة .. لانه بلا دولة ستظل دائرة الانســـان ، التى هى أشبه بنواة لا يحميها جدار ، ستظل مفتوحة على الخارج المضاد بكل أثقاله وضغوطه ، وامكاناته المادية والروحية . ولن يستطيع الانسان (الفرد) أو (الجماعة) التى لا تحميها (دولة) أن تمارس مهمتها حتى النهاية ، سيما اذا كانت قيمها وأخلاقياتها تمثل رفضا حاسما لقيم الواقع الخارجى والتجربة المعاشة . ولا بد اذن من ايجاد الأرضية الصالحة التى يتحرك عليها الانسان المسلم قبل أن تسحقه الظروف الخارجية أو تنحرف به عن الطريق . وليست هذه الأرضية سوى الدائرة الثانية ، وليست هذه الدائرة سوى الدولة التى كان على المسلمين أن يقيموها والا ضاعوا .

وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم تبدأ منذ اللحظات التى أدرك فيها ان (مكة ، لا يمكن أن تكون الدولة ، وأن واديها الذى تحاصره الجبال ، وكعبتها التى تعج بالأوثان ، لا يمكن أن تكون الوطن . .ومن ثم راح الرسول يجاهد من أجل الهجرة التى تمنح المسلمين دولة ووطنا ، وتحيط كيانهم الغض بسياج من امكانيات القوة والتنظيم والارض !!! .

— ٣ —

ولن نستطيع ان نحدد بالضبط تلك البدايات .. لكنا نعلم جميعا ان رسولنا صلى الله عليه وسلم بدأ نشاطا واسعا ومشهودا اثر خروج المسلمين من حصارهم القاسى فى (شعب ابى طالب) ذلك الذى استغرق ستين طوالا ، وجاء اشارة حاسمة على أن المشركين عامة ، والقيادة الوثنية القرشية على وجه الخصوص ، لا يمكن بحال ان تتهاون مع المبدأ الجديد الذى جاء يمثل رفضا حاسما لكل قيم الوثنية واهدافها وتقاليدها ومصالحها .. وانهم سيظلون يدفعون حتى النهاية الاخطار التى يمثلها الاسلام بوجه اهدافهم وتقاليدهم ومصالحهم .

والرسول عليه الصلاة والسلام — الذى علمتنا سيرته مدى الواقعية الايجابية التى كان يتمتع بها ، والحرص على الطاقة الانسانية أن تتبدد فى غير مواضعها — سرعان ما نجده يتحرك صوب الخروج الى مكان جديد يصلح لصياغة الطاقات الاسلامية فى اطار دولة تأخذ على عاتقها الاستمرار فى المهمة بخطى أوسع ، وامكانات أعظم بكثير من امكانات افراد تتناهبهم شرور الوثنية من الداخل ، وتضغط عليهم قيم الوثنية من الخارج ، وتصرف طاقاتهم البناءة اضطهادات قريش ، بدلا من أن تمضى هذه الطاقات فى طريقها المرسوم .

ان هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بدأت يوم خرج الى الطائف ، فصد صدا قاسيا ، لكنه لم ييأس ، لأنه يعلم يقينا أن الخاتمة ستكون له ، فقط اذا استمر على بذل جهده البشرى الكامل فى البحث والتخطيط للهجرة التى ستعقب دولة .. وللدولة التى ستعقب انصارا .. ووقف عند اسفل جدار لبستان فى الطائف ، ريثما يستريح ، ونادى ربه (ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى) !! ثم واصل الطريق وراح يتصل دون كلل بوفود القبائل التى كانت تنهال على مكة فى مواسم الحج ، يعرض عليهم الدين الجديد ، ويعرض مع الدين الجديد طلبا بأن يمنحوه أرضهم ويحموه ، لكى يتمكن من (الاسراع) فى اداء مهمته الصعبة قبل أن يجىء البين ويضطرب المصير .

ان الهجرة كان يمكن ان تكون الى الطائف ، أو الى ديار اية قبيلة عربية قوية الجانب عزيزة المنال ، سواء كانت بلادها فى الشرق أم فى الغرب .. لكن ايا من هذه القبائل (بنو كندة ، بنو عامر بن صعصعة ، بنو حنيفة ... الخ) لم تمد يدها مبايعة الرسول ومرحبة بهجرته الى ارضها وديارها .. فقد أعمت الوثنية الجاهلية قلوبهم وأبصارهم عن الشرف الذى كان يمكن أن يحظوا به لو قالوا للرسول : بايعنا .. ونصرنا !! .

ويمضى الرسول فى بحثه عن الطريق الذى سيهاجر عليه واصحابه صوب هدفهم المحتوم . وكان أن بعث الله نفرا من يثرب .. ساقتهم ارادته التى لا تغلب الى الرسول فى السنة الحادية عشرة للبعثة .. فالتقوا به عند العقبة ، المنفذ الذى لا بد من اجتيازه للقادمين من يثرب صوب أم القرى .. وعرض عليهم الرسول مبادىء الاسلام ، غاية فى الوضوح والسماحة والعدل والمساواة والانسجام مع تكوين الانسان ونشاطه واهدافه .. فما كان منهم الا أن يلبوا الطلب ، ويعلنوا اسلامهم ، ويعدوا الرسول بأنهم سيرجعون الى يثرب ويبشرون بدعوته العادلة هناك . وما لبثت السنة التالية ان جاءت الى الرسول عليه الصلاة والسلام فى نفس المكان بوفد ثان من أوس يثرب وخزرجها : اثنا عشر رجلا ، بضمنهم الستة الذين أسلموا من قبل .. جاءوا لا ليعلنوا اسلامهم هذه المرة بل ليبايعوا الرسول على الاسلام ، تمسكا بأهدافه ، والتزاما بقيمه وأخلاقياته . ولم يشأ الرسول أن يتسرع الخطوة التالية ويعرض عليهم طلبه القديم : أن يمنحوه أرضهم وبلدهم وان يحموه .. انه بذكائه العجيب وبالهدى الالهى الذى يمده بنوره ، كان ينتظر نتيجة مساعى أصحابه الجدد ، ويجس النبض ويختبر الامكانات . انه فى المرة الاولى اكتفى بأن يعرض الاسلام ، وان يودع الستة الذين أسلموا دون أية مبايعة ، وفى المرة الثانية بايعهم على الجانب السلمى — اذا صح التعبير — من برنامج الاسلام ، وأرسل معهم داعيته الشاب مصعب بن عمير — الذى لم يشأ أن يجازف به فى المرة الأولى — أرسله هذه المرة بعد أن استبانت ملامح المستقبل ، لكى يتولى شئون الدعوة والتثقيف العقائدى هناك .

ومرت اشهر واشهر ، ومصعب يعمل فى المدينة بهمة لا تعرف كللا ولا فتورا .. يتحرك بالقرآن ، ويحرك أفئدة الناس هناك وعقولهم بالقرآن .. كانت آيات الله تملك فى بنيتها المعجزة سحر الاقناع ، وكان مصعب يزيدها سحرا فى تلاوته اياها وسط حشود الناس التى كانت تجتمع مبهورة الأنفاس من حوالى مصعب فى أزقة المدينة وطرقاتها ، وهو يتلو آيات من القرآن الكريم .. وعندما اقترب موسم الحج من السنة الثالثة عشرة للبعثة ، غادر مصعب يثرب ، يطير به الشوق للقاء رسوله وقائده .. وفى مكة اجتمع به وعرض عليه نتائج مساعيه فى يثرب .. وانه عما قريب سيلتقى الرسول بوفد كبير منهم تقر له عينه ويطمئن به باله !!

وعند العقبة أيضا .. اجتمع الرسول (عليه الصلاة والسلام) بأعضاء الوفد الموسع الجديد .. كان يضم هذه المرة ثلاثا وسبعين رجلا وامرأتين .. اتفق معهم سرا على أن يوافوه فى الثلث الثانى من الليل ، حيث ينام الناس وتغفل العيون .. يتسللون اليه واحدا واحدا واثنين اثنين .. وتمت البيعة الثانية .. البيعة الكبرى .. هذه المرة صريحة واضحة مكتملة ، على كل جوانب الاسلام ، سلما كان أو قتالا ، ومدوا اليه أيديهم مصافحين ، ومقسمين بالله الواحد الذى آمنوا به ، أنهم سيحمون الرسول وينصرونه ، وانهم سيرفعون السلاح فى وجه أية قوة فى الارض ، سوداء كانت أو حمراء ،

تسعى الى الفتك به وبدعوته واصحابه . وقبل أن يرجعوا اختار الرسول من بينهم اثنى عشر نقيبـــا ، ليشرفوا بأنفسهم على سير الدعوة فى يثرب ، حيث استقام عود الاسلام هناك وكثر مثقفوه ، وحيث أراد الرسول بفقهه العميق لأساليب الدعوة ، أن يشعرهم انهم لم يعودوا غرباء لكى يبعث اليهم احدا من غيرهم ، وأنهم غدوا أهل الاسلام وحماته وأنصاره .

خطوات محكمة ، واستخدام حصيف للامكانات ، وفقه عميق لخطوات الحركة .. يرافق هذا كله هدى السماء الذى لم يفارق خطى الرسول لحظة ، والذى ساق اليه ــ بما أوجده من ظروف صعبة فى يثرب ــ هذه الوفود التى جاءت تحمل اليه ما كان يرجوه ويعمل على تحقيقه جاهدا .

ــ ٥ ــ

أصدر الرسول أوامره الى أصحابه بأن يبدأوا هجرتهم ، مختفين ، متفرقين قدر الامكان .. وبدأت طرقات مكة وبيوتها وأزقتها ونواديها تشهد يوما بعد يوم غيابا مستمرا لأصحاب الرسول .. أما هو صـــلى الله عليه وسلم فكان ينتظر تأمين هجرة أصحابه .. ثم يبدأ هو ومن سيختارهم للبقاء معه خطواته صوب المدينة ريثما يتلقى اشارة الوحى الكريم بالتحرك .

وفتح القرشيون يوما أعينهم على مكة وقد اقفرت من المســـلمين !! لقد غادروها صوب المهمة التى تنتظرهم مخلفين وراءهم أموالا وبيوتا ونساء واطفالا وشيوخا ومتاعـــا كثيرا .. ان الهدف الذى تحركوا من أجله أغلى وأثمن من الأموال والبيوت والمتاع ، وأكثر الحاحا من تلبية مطالب جسدية أو حيوية أو اجتماعية .. انهم مستعدون لأن يبذلوا أرواحهم ودماءهم فى سبيل هذا الهدف الذى ينتظرهم هناك فى نهاية الهجرة .. فكيف لا يتخلون عن الاموال والنساء والمتاع ؟ ! .

وها هم رءوس قريش يجتمعون فى (دار الندوة) قبل أن تفلت الفرصة من أيديهم ولات حين مندم .. وطرحت آراء باعتقال الرسول عليه السلام وتكبيله بالأغلال ، أو بنفيه بعيدا فى منقطع الصحراء . .ولكن رأيا بقتله وتفريق دمه بين القبائل هو الذى حاز الموافقة والاعجاب .. انهم ان استطاعوا قتل الرسول عليه السلام فقد استطاعوا قتل الدعوة التى لم تستكمل أسبابها بعد .. وان طالبتهم بنو هاشم بدمه فسيشيرون الى العشائر جميعا والى ســـيوف ابنائها حيث تقطر دماء الرسول .

ــ ٦ ــ

ويجىء امر الله يحمله الوحى الى الرســـول : تحرك يا محمد .. كانت تلك هى الاشارة التى ينتظرها الرسول بفارغ الصبر . لكن شـــوقه للهجرة ، وتحرقه لأن يضع خطواته على الارض الموعودة حيث أصحابه القدامى والجدد ينتظرونه على احر من الجمر .. ورغم يقينه الكامل بأن الله معه يرعاه ويسدد خطاه .. فأنه لم يتعجل الحركة ، ولم يرتجل الخطوات .. كان عليه أن يخطط للهجرة مستخدما كل ما وهب من امكانات الفكر والبصـــيرة والارادة .. لأنه بهذا وحده يستحق نصر الله ووعده .. والا فـــلأى شىء منحنا الله بصـــائر

وعقولا وحرية وقدرة على التحرك والتخطيط ؟ ! وما أبرع البرنامج الذى رسمه رسولنا عليه السلام من اجل أن يصل الى الهدف بأكبر قدر ممكن من الضمانات .

انتقى من بين أصحابه أول اثنين أسلما فى تاريخ الدعوة : أبا بكر وعليا (رضى الله عنهما) .. استبقاهما لكى يؤديا الادوار التى رسمت لهما فى حركة الهجرة . أما على فلكى يؤدى مهمة مزدوجة .. الايهام ، ورد الامانات الى أهلها . ورب قائل يقول : ان وراء الهجرة هدف اكبر بكثير من التمسك بجزئيات أخلاقية قد يسمح الظرف الخطير بتجاوزها . لكن منطق رسول الاسلام شىء آخر .. ما الفرق بين الاسلام وبين المبادىء الاخرى اذا كان هو متأسيا بها فى تخلّيه عن أخلاقياته فى ساعات المحنة والخطر ؟ وماذا سيقول المشركون لو غادر الامين مكة دون أن يرد عليهم أماناتهم .. ما أسرع ما يمكن أن يتهموه حيث يأكلهم الغيظ : الامين تحول الى سارق ، وضاعت الامانة .. وحاشاه !!

أما أبو بكر فقد اختير ليكون رفيق النبى وأخاه فى هجرته .. فما أعظم حظك يا أبابكر .. تسلل اليه الرسول فى ضحى أحد الايام ، على غير عادته فى التردد على داره صباحا أو مساء .. خطوة من خطوات الايهام والتدبير بأولئك الذين يريدون أن يمكروا به .. ودهش أهل الدار لمجىء الرسول فى وقت غير ما اعتادوه ، لكن الرسول عليه السلام لا يلتفت الى دهشتهم ، بل يتجه الى رفيقه فورا ويطلب منه أن يخرج ابنتيه من المكان .. فيطمئن أبو بكر رسوله بأنه ليس ثمة ما يخشى .. ويتكلم الرسول (ان الله أذن لى فى الخروج والهجرة) ، فيرد عليه الصديق وهو يهتز انفعالا : (الصحبة يا رسول الله) ؟! فيجيبه الرسول : (الصحبة) . وتقول عائشة : (فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ) !!

— ٧ —

ومعا استكملا الخطة ووضعا الاسباب ، وتركا — من ثم — مصيرهما ومصير الدعوة لله .. صانع المصائر ومقدر النهايات . التسلل من شباك خلفى على غفلة من قريش .. التوجه جنوبا على طريق اليمن واللجوء الى احدى مغارات جبل الثور هناك .. التوقف عن الحركة ثلاثة أيام ريثما تخف محاولات القرشيين المستميتة فى البحث عن الرسول . ثم الانطلاق — بعد ذلك — صوب المدينة فى طريق وعر غير مطروق ، يعينهما فى ذلك دليل ماهر من المشركين انفسهم !! اختير اعتمادا على كفاءته العالية كدليل ، وعلى أمانته التى لا بد وأن يكون الرسول قد سبر اغوارها . أما أنباء تحركات القرشيين ومطارداتهم فسيأتيهما بها عبد الله بن أبى بكر ، وأما الطعام فسيقوم به راعى أبى بكر ، عبد الله بن أرقط ، الذى كلف باراحة الاغنام عند الغار مساء كل يوم كى يحتلبها المهاجران ويشربا من لبنها .. كما كلفت أسماء بتوفير الطعام فى المرحلة التالية من الهجرة . وأما آثار الاقدام التى سيخلفها عبد الله بن أبى بكر لدى ذهابه وايابه والتى تقود الى الغار مباشرة فان هناك راعى أبى بكر ، ابن أرقط ، يعود فى الامسيات فى أعقاب عبد الله لكى تطمس حوافر الاغنام على خطوات الرجال !!

خطة محكمة ورائعة .. ولا يبقى الا أن يتنزل نصر الله على قادة استكملوا

كل الاسباب التى منحهم الله اياها .. انه التوافق المنغم الرائع ، الذى تحدثنا عنه ، بين مشيئة الله ، وارادة الانسان ، وبين هدى الله وخطوات عباده الابرار ..

— ٨ —

وفى تجربة الهجرة يتنزل نصر الله ، فعلا مباشرا مرئيا ، ثلاث مرات .. فيما عدا خط الهجرة والتاريخ كله حيث ارادة الله التى لا راد لها .. لكننا هنا نريد أن نشير الى أفعال الله المباشرة فى هجرة رسوله عليه الصلاة والسلام . مرة لدى مغادرته داره ، فى أعقاب ليل مريع أحاط أبناء القبائل المسلحون طيلة ساعاته بدار الرسول ينتظرون اللحظة التى سيطيحون فيها برأسه ويفرقون دمه بين القبائل .. الا أن هذه اللحظة السوداء لم تجىء ولن تجىء .. لقد فتح الرسول الباب على مصراعيه وراح يقرأ آيات من سورة يس : « يس . والقرآن الحكيم . انك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون .. » !! وعبر هذا السد الذى أغشى به الله أبصار المشركين انطلق الرسول ورفيقه الى الهدف على الصراط المستقيم .

ومرة اخرى عند الغار .. وما أخطر ساعات الغار بأيامها ولياليها .. لقد رأى أبو بكر بأم عينيه نعال المشركين المطاردين المحنقين تخفق عند أسفل الغار .. فارتعد فرقا .. ليس على نفسه ، فما أهون النفس على أصحاب رسول الله وعلى رفيقه وصديقه بالذات .. لكن على الرسول نفسه وعلى ما يمثله الرسول . فيهمس فى أذنه : (لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا) !! ويجىء رد الرسول منبثقا عن تلك اللحظات العليا حيث يقف الله مع عباده يدفع عنهم .. (يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ !) .. وتطيش الباب المشركين ، وعبثا يرهق مقتفو الآثار أنفسهم .. ان الرسول ورفيقه فى حماية الله .. وكفى .. ودون الوصول اليهما المستحيل .. ولو أجتمعت جنود الارض كلها عند الغار تطالب برأسه .. وما أروع كلمات الله وهو يعلن هذه الحماية التى لا حماية بعدها : (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) !!

ومرة ثالثة فى الطريق الى يثرب .. ان (سراقة بن مالك) الذى خلبت لبه الجائزة التى رصدتها قريش لمن يأتى بالرسول حيا أو ميتا ، يلهث الآن ركضا وراءها ، بفرسه المنطلقة ورمحه المصوب الى هدفه .. ان سراقة كألوف من الأعراب ، بل كألوف من الناس .. نلتقى بهم فى كل مكان وزمان .. أولئك الذين ما أن تبرق أمام أعينهم قطع النقود ، وتطرق أسماعهم أصوات الذهب والفضة وهى ترن ، حتى يصبحوا على استعداد لأن يبيعوا مبادئهم وضمائرهم وشرفهم وعرضهم ، من أجل أن يصلوا الى قطع النقود ، ويضعوا

أيديهم على أكوام الذهب والفضة .. انهم موجودون فى كل مكان وزمان .. ولذا كانت خير وسيلة للاتيان بالزعماء الهاربين من وجه الظلم والطغيان هو أن يعلن عن جائزة قدرها (....) لمن يأتى بالهارب حيا أو ميتا .. لكن ارادة الله لن تدع الرغائب السافلة تطغى على الأهداف العليا .. ان هذا الطغيان يحدث — يوم يحدث — عندما يتخلى أصحاب الأهداف الكبيرة عن حشد طاقاتهم والتخطيط العاقل لخطواتهم والتلقى الكامل عن خالقهم .. حينذاك تغدو كل آمالهم وتمنياتهم كالزبد الذى يذهب جفاء .. تكنسه الاقذار وتعجنه فى تيارات الماء عجنا .. أما والرسول قد استكمل الأسباب ، فان سراقة تعثر به فرسه وتمرغه فى التراب ، كلما اقترب من هدفه .. مرة ومرتين .. فيطلب الأمان .. انه الآن لا يطارد رجلين مرهقين قد عصرهما الجوع ، وأرهقهما السفر الطويل ، والتشرد .. لكنه يقف بازاء جند الله التى لا ترى ، فأنى له ما يريد ؟ انه بعد دقائق يلوى زمام فرسه ويقفل عائدا ، وكلما رأى أحدا من اللاهثين كالكلاب الجائعة ، رده قائلا : كفيت هذا الوجه .. وذلك ما طلبه منه الرسول !!

— ٩ —

وفى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول من السنة الثالثة عشرة للبعثة ، وصل الرسول وصاحبه مشارف يثرب ، حيث جرى استقبال حافل من قبل أولئك الذين انتظروا رسولهم طويلا .. وها هى تكبيراتهم تشق أجواز الفضاء .. انهم سيبدأون معه ، وبه ، ومن أجله وأجل دعوته ، عهدا جديدا كتب عليهم شرف وضع أسسه التى سيقوم عليها البناء .. الدائرة الثانية من دوائر الدعوة ، دائرة الدولة التى ستحمى المسلمين أفرادا وجماعات ، وستمنح الاسلام خطوات حاسمة وسريعة فى طريق النصر . .فلا عجب ان يخرج الأنصار بأسلحتهم يستقبلون الرسول ، فها هم أولاء الجنود الذين سينضمون الى اخوانهم المهاجرين ، وسيبنون معا ، بقوة العقيدة والسلاح الدولة التى ستصنع حضارة تشرف الانسان ، فى كل مكان ، وتباركه ، وتضعه موضعه الحق الذى أراده له الله عندما استخلفه ومنحه السيادة على العالمين .

ان اليوم الثانى عشر من ربيع الأول هو نهاية حركة حاسمة من أجل اقامة (الدولة) لكنه فى الوقت نفسه بدء حركة حاسمة أخرى من أجل تعزيز الدولة واقامة (الحضارة) .. تماما كما كانت بعثة الرسول — فى البدء — حركة صوب اقامة (الانسان) ، صانع الدول والحضارات !!

— ١٠ —

ولن نغادر حركة الهجرة قبل أن نستمد منها تعاليم أخرى قد تعيننا على فهم وتفسير تاريخ البشرية عامة وتاريخنا الاسلامى على وجه الخصوص .. ان أى حدث تاريخى — كما يتضح من خطوط الهجرة — انما يجىء تعبيرا عن ارادة الله التى تصوغه من خلال ارادة الانسان .. أو مباشرة عن طريق اتصالها بالزمن والتراب . ولا يمكن دراسة تاريخ الكون ، وتاريخ البشرية ، وتاريخ الأحياء الا من هذا المنطلق . ان الفعل الالهى يتخذ أشكالا ثلاثة لخلق

الحدث وصياغته ، أحدهما مباشرة الفعل التاريخى (كما حدث فى تجربة الهجرة ، فى تلك اللحظات التى كان الرسول يجابه فيها موقفا يتعدى حدود قدراته وارادته وتخطيطه) والشكل الثانى : يتم عن طريق ما يمكن تسميته بالسببية التاريخية ، أى تهيئة الأسباب لتوجيه الأحداث هذه الوجهة أو تلك . وقد تكون هذه الأسباب مادية طبيعية أو حيوية انسانية ، وقد تجىء على شكل مجموعة من السنن التى تنظم حركة الكون والحياة والانسان ، والتى تفرض حتمية قانونية على بعض أحداث التاريخ ، (وقد رأينا فى تجربة الهجرة كيف هيأ الله سبحانه الأسباب لأن تكون يثرب الأرضية التى تقوم عليها دولة الاسلام ، ولأن يكون أبناؤها الطاقات البشرية التى تنصر هذه الدولة وتحميها ريثما يتم البناء) . أما الشكل الثالث للفعل الالهى فيجىء عن طريق الحرية الانسانية ذاتها ، والتى هى فى مداها البعيد جزء من ارادة الله فى خلق الافعال والاحداث .. لقد منح الله الحرية للانسان ابتداء فى أن يصنع تاريخه الفردى والجماعى ، وفى أن يشكل مصيره فردا وجماعة ، اعتمادا على ما ركب فى وجوده من قوى العقل والارادة والانفعال والحس والحركة (وهذا يبدو فى تجربة الهجرة من خلال تلك الخطط الاجتهادية التى وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى قدمت لحركته صوب اقامة الدولة ، ضمانات حاسمة فى طريق النصر) . والانسان بدوره ، عندما يستخدم حريته لصناعة الحدث وتوجيه المصير ، انما يعتمد على مقومات لا يمكنه بحال الاستغناء عنها : الزمن ، التراب ، ثم التعاليم والقيم والاعراف والتقاليد ، وضعية كانت أو دينية .. وها هو الرسول فى هجرته ينسق خطواته صوب هدفه ، مستخدما هذه العناصر الثلاث ، متخذا منها عجينته فى صياغة الحركة وضمان الأهداف ..

— ١١ —

ان معظم مذاهب التفسير التاريخى ، وضعية كانت أو دينية قدمت معطياتها متخطية الاجابة عن هذا السؤال المهم : ما هى العلاقة بين الله سبحانه وبين الطبيعة ، بما فيها القوى المادية ، والانسان ، بما أنه روح ومادة فى صنع التاريخ واقامة الحضارات ؟ وهل من المحتم أن تتكىء أحداث التاريخ على عامل واحد من هذه العوامل الثلاث ، ويلغى العاملان الآخران ، أو على الأقل يغدوان ظلالا باهتة لفاعلية العامل الرئيسى ؟ ولماذا هذه الجدران التى أقيمت بين الله والطبيعة والانسان ؟ .

ان معظم مذاهب التفسير تخطت الاجابة عن هذا السؤال ، تاركة فى طريقها ثغرة عميقة ، ومنغلقة فى بحثها عن الفرضية الخاطئة التى تمنح صفة الفاعلية لعامل واحد وتلغى العوامل الاخرى الغاء .. ومن ثم برز التفسير السحرى (الميتافيزيقى) للتاريخ وتطور ليعبر عن نفسه بالتفسير اللاهوتى الذى ساد تفكير مثقفى العصور الوسطى الأوروبية ، كما برز التفسير الفردى (البطولى) للتاريخ ، والتفسيرات الطبيعية التى بلغت أقصى حدتها بالمادية التاريخية التى يصفونها (بالعلمية) ! .

ولقد أدرك بعض فلاسفة التاريخ المعاصرين ، وعلى رأسهم شبنجلر ،

وتوينبي ، وكيرالنج ، والناقد كولن ولسون ، ابعاد هذا الخطأ ، فعادوا خطوة متمعنة الى الوراء لكى يجيبوا على السؤال الأول ، ويجتازوا ــ من ثم ــ طريقا مرصوفا لا ثغرات فيه . والحق أن التفسير الحضارى ، تقدم خطوات فى هذا المجال ، خطوات تتسم ــ الى حد ما ــ بالاتزان والتعقل والموضوعية والشمول الذى يستند الى نظرة كلية وادراك عميق لمقومات الحدث التاريخى . ولكن الموقع الذى رصــد منه هؤلاء التاريخ وفلســفوا حركته ، تقف أمامه كثير من المرتفعات كسدود وحواجز تمنع الرؤية الكاملة والحكم الشامل الصحيح . كما ان التجربة النفسية التى لامسوا بها أحداث التاريخ تحمل الكثير من عنـــاصر الذاتية المزدوجة والتأثيرات العلمانية . لذا فانهم لم يقدروا على اعادة الالتئام الكامل بين فاعلية العوامل الثلاث ، وابقوا بعض الجدران المزيفة ، مرئية وغير مرئية ، بين الحضور والغياب ، والله والانسان والمادة والروح ، والطبيعة وما وراء الطبيعة .

صحيح أنهم أعلنوا أن الحدث التاريخى لا يمكن أن تصنعه قوة واحدة ، لأن أية (حركة) تاريخية انما هى نتاج لقاء خلاق بين الله والانسان والطبيعة ــ بما فيها الزمن ــ وأن اغفال أى عنصر منها انما هو جهل بالأسس الحقيقية لحركات التاريخ .. لكنهم لم ينجوا من الوقــوع فى أسر المذهبية المحدودة ، والنظرة الذاتية القاصرة ، وأضطراب التجربة النفسية فى عملية الاستشراف والاستقراء التاريخى ، الامر الذى أدى الى تأرجح مواقع رؤياهم ، والوقوع بالتالى فى كثير من الأخطاء ، ليس هذا بطبيعة الحال مجال سردها وتحليلها .

— ١٢ —

ثم أن هجرة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ تعلمنا كيف يرتبط تاريخ الدعوات بالحركة .. حركة الانسان الفرد ، وحركة الجماعة . كما تعلمنا أنــه ليس من المحتم أبدا أن تكون (الحركة) صدورا عن صراع النقيضين كما أكد هيجل وماركس وغيرهما ، بل انها فى كثير من الأحيان تجىء بمثابة استجابة داخلية ، مقرونة بعمل خارجى ، لنداء من فوق .. ان هذا الحوار بين القيم العليا والوجود السفلى ، هو الذى يحرك ــ فى أحيان كثيرة ــ أحداث التاريخ على خط صــاعد . ان المثل الأعلى كان دائما بمثابة هدف يتحرك اليه الذين يتخبطون تحت ، أو الذين يتقلبون فى الظلمات ، أو الذين يتعذبون بشتى صنوف العذاب وتمنعهم القوى العقائدية المضادة من تحقيق أهدافهم (والهجرة تمثل حركة هذه الجمــاعة الأخيرة) .. ان بحث الضــائعين والحائرين والمعذبين والمأسورين عن الخلاص ، عن مثل أعلى ، عن هدف يطمحون للوصول اليه .. هذا البحث الجاد كان فى معظم الأحيان المحرك الذى يسوق الأفراد والجماعات الى مصائرهم ، ويصنع تاريخهم .. واذن فان من الخطأ والتزييف أن نصدر حكما على كل حركات التاريخ بأنها جاءت نتيجة لصراع النقيضين ..

ان (الصراع) نفسه يتخذ أشــكالا عديدة لا تقتصر على تقابل الضدين وتغلب أحدهما على الآخر .. انه يبدو ــ أحيانا ــ ارادة ذاتية تســعى الى التوحد والائتمان الذاتى فى وجدان الانســان ومع المحيط الخارجى ، ويبدو أحيــانا أخرى رغبة فعالة فى تحقيق تفاهم متبادل وســلم عام بين الانسان

والوجود .. وهو يبدو احيانا ثالثة عملية استقطاب للقوى والطاقات ، وتنظيم لها ، وحماية لمقدراتها من أجل أن تصب جميعا فى مجرى المبادىء الجديدة والدعوات الكبرى (كما حدث فى تجربة الهجرة) . وكل هذه الأشكال من الصراع لا نجد فيها تقابل نقيضين بقدر ما نجد محاولة للالتئام والتوحد والاستقطاب والتجمع .. وبعد هذا ــ وخلاله أيضا ــ لا بد للحركات أن تجتاز صراعا بين النقائض ، لكنها نقائض من مستويات شتى : نفسية وفكرية وعقيدية ووجدانية وعرفية واجتماعية وسياسية واقتصادية .. الخ .. بمعنى آخر أنها نقائض بشرية ، فيها كل ما فى الانسان من مكونات روحية ونفسية ومادية .. ومن التزييف لتاريخ الحركات أن نقصر النقائض على جانب فحسب ، هو الجانب العقلى (كما عند هيجل) أو المادى الاقتصادى (كما عند ماركس) ، لأن هذين الجانبين لا يغطيان كل مساحة الفاعلية الانسانية التى تنبثق عن رغبة ارادية شاملة فى مصارعة كل ما يتعارض مع ارادتها ووجودها وأهدافها ، روحية كانت أو مادية .

— ١٣ —

ومهما قلنا .. ومهما كتبنا .. فسيظل فى هجرتك يا رسول الله (بعدا) لن نبلغه ابدا .. لأن احدا منا لم يكن معك .. رفيقا وصديقا .. ليرى بأم عينيه بصرك وهو يمتد الى الدولة التى ستقوم عما قريب .. فى نهاية خطواتك صوب المدينة .. ولأن احدا منا لم يكن الى جوارك ، مهاجرا وغريبا .. ليسمع قلبك الكبير وهو ينبض بآمال وأمان لا يحتملها قلب انسان ، وينوء بها كل وجد الا وجدك يا رسول الله ، ذلك الذى وسع كل أمنية وكل امل ، وخفق بانتظار الزمان الذى ستطأ فيه سنابك خيول اصحابك واتباعك امكنة المشارق والمغارب ، ممرغة فى الوحل والتراب كل الأنوف التى استعلت زيفا وخديعة وكذبا على قيم الله وتوحده المطلق !!

إن بعدا (غيبيا ــ روحيا) يكمن دائما فى كل خطوة خطوتها يا رسول الله . لأنك هيأت كل الممكنات الارادية ، وتركت الباقى على الله ، وهو ما لم ندرك منه الا صور المشيئة الالهية المباشرة تتنزل نصرا حاسما ، وحماية دائمة ، وايصالا الى الأهداف البعيدة .. لكن حسك الخفى ، وصلتك الروحية بالله ، ومناجاتك له ، وحوارك العميق معه فى ساعات الرعب والتغرب والمطاردة ، ستظل ابعادها خافية علينا . وانت القائل (لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) !! ..

فعفوا ، رسول الله ، ان قصرنا او اخطانا ، ونحن نتحدث عنك فى يوم هجرتك .. حديث المحبين الذين تحاصرهم القيود من كل مكان ، وتسعى الى سحق مطامحهم ظلمات بعضها فوق بعض ، فيلجاون اليك ، مؤملين أن تمنحهم المزيد من التعاليم .. كسرا ثوريا للقيد ، واستعلاء روحيا على الظلمات ، وحركة ايجابية صوب المصير الفذ المتفرد .

وما احرى (الهجرة) ان تكون هذا الدرس ..
والف سلام على (المهاجر) ..
معلمنا العظيم !!

الوطن مهاد لا بدّ منه

للدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

اجل ، فما من الوطن بدّ ، وما للانسان عنه من منصرف او غنى .

فى ظله يأتلف الناس ، وعلى ارضه يعيش الفكر ، وفى حماه تتجمع اسباب الحياة .

وما من ريب ان ائتــلاف الناس هو الأصل ، وسيادة العقل فيهم هى الغاية .

ووفرة اسباب العيش هو القصد مما يسعون ويكدحون

ولكن الوطن هو المهد الذى يترعرع فيه ذلك كله ، كالأرض — هى المنبت الذى لا بدّ منه للقوت والزرع والثمار .

ولكن العقيدة وحدها هي المعتصم والأساس

وكما لا قيمة للأرض اذا غدت قيعانا لا تمسك ماء ، ولا تنبت زرعا ، فانه لا قيمة للوطن اذا لم تقم من فوقه روح جامعة ، ولم يترعرع فى حناياه فكر متبصر حر ، ولم تتجمع فيه أسباب العيش الكريم . بل قل : انه لا يبقى للوطن من وجود ان لم يتوفر فيه هذا كله ، فانه انما يتخذ حصنه وملاذه من هذه الثمرات ذاتها ، وقد علم التاريخ ورجاله انه ما حافظت أمة على وطنها بوقاية خير من العقل الحر ، تخلص فى اتباعه ، والمبدأ الواحد المستقيم تجمع شملها عليه . وما ضيعت أمة أوطانها بشر من الأهواء الجانحة اذ تمعن فى اتباعها ، والسبل المنحرفة اذ تمضى أوزاعا فى متاهاتها ..!

والرقيب الذى اليه تدبير هذا الأمر كله انما هو الاسلام ..

فقد علم الاسلام أهله الذين مارسوه عقيدة وعملا ، أن يجعلوا من أوطانهم سلاحا للدفاع عن القيم والمبادىء التى لا تستقيم الحياة بدونها . وبيَّن لهم أنهم ان فعلوا ذلك تحولت هذه القيم فى أيديهم الى أعظم سلاح يحمى لهم تلك الأوطان ، ويقيها من كل عادية وسوء . أما ان جعلوها مرتعا للأهواء ، ومصطرعا للسبل المهزوزة المنحرفة ، فان ذلك سرعان ما ينقلب سلاحا للقضاء عليها وبابا يتسلل منه الأعداء اليها .

لقد ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة ، وكانت مكة وطنا حبيبا اليه ، ولكن الله عز وجل أراد له أن يتخذ من هذا الوطن الحبيب أرضا لغراسة القيم والمبادىء . حتى اذا أينع الغرس ، جعل من وشائجه وأغصانه سياجا وحماية له .

ولما استعصت الأرض على الغراس ، وضاعت فيها جهود الزراعة والاستنبات أراد له الله عز وجل أن يتحول عن ذلك الوطن الى غيره . فان الوطن الذى لاخير فيه لحماية عقيدة ولا مبدأ ، لا يبقى على نفسه ولا على

أصحابه . فتحول عنه رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وان فى قلبه من مفارقته لحسرة وألما .. وقال له وهو مهاجر عنه ــ والله انك لأحب بلاد الله الىّ ولو أن أهلك أخرجونى لما خرجت .

لقد فارق وطنه الحبيب ، لأن حق الله تعالى أحب الى قلبه منه . ولم يكن فى شأنه ذاك الا كشأن ابراهيم من قبله ، اذ اعتزل أباه على حبه له وشدة فراقه عليه . وقال له وهو منصرف عنه (سلام عليـــك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا ، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا) .

ولقد فعل أصحابه مثل ذلك . فهجروا الوطن والدار ، وفارقوا العشيرة والربع ، واستغنوا عن المال والأهل . واستبدلوا بذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقوا معه الى حيث ينتجعـــون الهدى ويبلغونه الناس . واستقبلتهم يثرب بوبائها وسوء مناخها ، فما منهم الا من أصيب منها بوباء أو علة .

واجتمع عليهم الى الفقر الذى لم يألفوه المرض الذى لم يعرفوه ، حتى فاض الحنين عليهم من ذلك فى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبسط يديه الى السماء قائلا : اللهم حبب الينا يثرب كمـــا حببت الينا مكـــة وانقل وباءها الى مهيعـــة .

أتراهم قد ضيعوا الوطن بهذا الذى فعلوه ...؟

هكذا يبدو عملهم فى ظـــاهر الأمر . وهكذا يتصـــور من لا يستطيع أن يعالج المحسوسات الا بمثلها . ولكن الحقيقة أنهم انما دافعوا بذلك عن الوطن . بل أنهم لم يكن أمامهم من سبيل لحفظه وتحصينه الا هذا الذى فعلوه . هكذا علمهم الاسلام ، وبذلك أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد علمهم الاسلام ان استبقاء الأرض والمال والأهل والسلطان ، انمـــا يكون باستبقاء أساس ذلك كله ، وانما أساسه تقويم منهج الحق واقامة صرح العقيـــدة الصادقة فى القلوب .

وقد يبدو للذى يتخلى عن هذا الأساس ، ويمضى متشبثا بمظهر الأرض وما عليها أنه محافظ على ذلك كله متمكن منه ، وانما هو فى الحقيقـــة قد يسر السبل الى انفلاته وضياعه ، ولا يغنيه أن يشتد فى التشبث به الا كما يغنى الرجل أن يحبس الماء فى داخل يديه . وقد يبـــدو للذى ينصرف عنه الى رعاية الأساس وحفظه أنه انما ضيع بذلك ما يظلّ الناس يتســـابقون الى امتلاكه ورعايتـــه والتضحية بكل شىء فى سبيله ، وانمـــا هو فى الحقيقة ممسك بينبوع ذلك كله .

ان الذى يخيره اللصـــوص بين أن يقتلعوا أشجار بستانه ، أو يستلوا الثمار التى عليها ، يعد أحمق مجنونا لو تعلق بالثمار ومكنهم من اقتلاع الأشجار وأن توهم عند نفسه أنه حافظ بذلك على غاية جهده ونتيجة سعيه ..!

وهذه هى الحكمة العليا من تدرج كليـــات المصـــالح فى حكم الشريعة الاسلامية بدءا من أهمها وهو الدين ، فالحياة ، فالعقل ، فالنسل ، فالمـــال . فان أهمية السابق منها انما تأتى بسبب أنه حصن ووقاية للذى يليه . فالدين ليس أهم فى حقيقته من الحياة فى مظاهرها الجزئية الا لأنه هو الوقاية الحقيقية

لها . ولا ينافىذلك أن يضحى الانسان بحياته من أجل سلامة الدين . اذ الشأن فى ذلك كالقصاص الذ ىلا تنافى فى أن يكون هو ذاته أقوم سبيل للمحافظة على الحياة .

اذا ، فلقد كان فى هجرة رسول الله صلى الله عيه وسلم مع أصحابه عن الوطن ، فى سبيل حماية الدين خير وسيلة للدفاع عن الوطن وتحصينه . ولم تكن السنوات الثمان فى عمر هجرته عليه الصلاة والسلام وهجرة أصحابه ، الا منهجا بينا راسخا لتحقيق هذه الوسيلة . ولم يكن هذا خفيا الا عن أعين من خفيت عنهم حقيقة الايمان بالله ورسوله .

ولكن الأمر بعد ذلك أصبح واضحا للجميع .

بعد سنوات ثمان ... ادرك التاريخ وجميع من يؤمنون به ، أن شيئا من مظاهر البؤس والضيعة والشتات عن الوطن لم يذهب بددا ، ولم تهدر نقطة دم لمسلم هدرا ، ولم تطف المحنة عليهم ــ ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ لأن رياح المصادفة ساقتها اليهم ، ولكن كل ذلك كان يجرى وفق حساب ... وكل ذلك كان اداء لأقساط من الثمن .. ثمن النصر والفتح وامتلاك الوطن السليب .

اتذكر يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه مستخفيا ، يتسلل ــ مهاجرا الى يثرب فى بطون الشعاب والوديان ، وقد سبقه من قبله ولحقه من بعده أصحابه القلة المستضعفون .. ؟

ها هم أولاء قد رجعوا الى الوطن والأهل والمال ، وقد كثروا بعد قلة وتقووا بعد ضعف واستقبلهم أولئك الذين أخرجوهم بالأمس خاشعين أذلاء خاضعين ..!!

وهل تذكر بلالا ، وهو الذى طالما عذب فوق رمضاء مكة على أيدى المشركين ؟ ها هو اليوم يصعد على الكعبة المشرفة ينادى بأعلى صوته : الله اكبر ... الله أكبر ..

ذلك الصوت الذى كان يهمس يوما ما تحت أسواط العذاب : أحد .. احد .. ها هو اليوم يجلجل فوق كعبة الله تعالى ــ لا اله الا الله محمد رسول الله ، والكل منصت خاشع .. !!

الا انها لحقيقة واحدة كبرى لا ثانية لها ــ هى الاسلام .

فما أجهل الانسان حينما يكافح أو يناضل أو يجاهد فى غير سبيله .!! انما يكافح حينئذ عن وهم لا حقيقة له ولا طائل منه .

لقد كانت العبرة التى علمها الله تعالى عباده من خلال أمره للرسول عليه الصلاة والسلام بالهجرة ، هى : أن الدين الحق اذا فقد أو غلب ، لم يغن من ورائه الوطن أو المال والأرض ، بل سرعان ما يذهب كل ذلك من ورائه . أما اذا قوى شأنه وقامت فى المجتمع دعائمه ورسخت فى الأفئدة عقيدته فان كل ما كان قد ذهب فى سبيله من مال وأرض ووطن يعود .. يعود أقوى منه عندما ضحى أصحابه به ، حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة .

وتلك هى سنة الله فى الكون ..! فلقد شاء أن تكون القوى المعنوية هى الحافظة للقوى والمكاسب المادية .. فمهما كانت الأمة غنية فى خلقها وعقيدتها السليمة ومبادئها الاجتماعية الصحيحة ، فان سلطانها المادى يغدو أكثر تماسكا وأرسخ بقاء وأمنع جانبا .

ومهما كانت فقيرة فى خلقها مضطربة فى عقيدتها ، تائهة أو جانحة فى نظمها ومبادئها ، فان سلطانها المادى يصبح أقرب الى الاضمحلال والزوال .



وقد تصادف أن تجد أمة تائهة فى عقيـدتها عن جادة الصواب ، منحطة فى مستواها الخلقي والاجتماعى ، وهى مع ذلك واقفة على قدميها فى الحياة ، لها بسطة في القوة والمنعة والسلطان ولكنها تمضى فى الحقيقة وواقع الأمر ، بسرعة مذهلة ، نحو هاوية سحيقة .

وطبيعى أنك لا تحس بحركة هذا المضى السريع . وذلك لما تعلمه من قصر عمر الانسان أمام طول عمر التاريخ والأحقاب .

ان مثل هذه الحركة انما تبصرها عين التاريخ ، لا عين الانسان الفـانى الساهى . . !!

أرأيت الى الرجل يقف على ظهر سفينة عظيمة تمخر عباب البحـر الى الغرب ، ماذا عسى أن يكون من معنى لسعيه الحثيث فوقها نحو جهة الشرق ؟! ان الأمم التى تقوم حياتها على قيم جانحة ، وأخـلاق منحطة ، وعقيدة تائهة ـ انما تسير نحو مصيرها بدافع من هذه العوامل ، لا بدافع من هياجها أو حركة أفرادها . وربما اغتر الناظر بما قد تتمتع به من سيما النعمة ومظاهر القوة وأسباب الحياة . ولكن هيهات أن يغتر المفكر فى واقع أمرها ، المتأمل فيما أعقبته تلك العوامل من آثار خطيرة فى نفوسها .

وما رأيت أسخف ممن يضرب المثل على عكس ما نقول ، بدولة كأمريكا ، ولدت فى الوجود أول البارحة ، وتتطوح بها الأدواء الخطيرة اليوم ، لتعلن عن نهايتها بعد غد . . !! ويستدل على وهمه ، بما فى أيديها اليوم من أرقام الغنى وبما ينبسط تحت سلطانها من مظاهر البطش وأسباب النعيم . . !

ماذا يفيدها هذا كله اذا لم يكن شىء منه يصنع لأفرادها الا مزيدا من أسباب العقد النفسية والانحراف العقلى والضيق بالدنيا وأسبابها .؟! (١) .

ماذا يعنى ذلك كله من أسباب الحيـاة ، اذا لم يكن شىء من ذلك كله يساهم الا فى رفعة نسبة من يؤثرون الانتحار والموت على التقلب فى أسباب البذخ والنعيم . . ؟

وما بال علمائهم الفكريين والنفسانيين قد شغلوا عن متعة الدنيا وأسبابها بالعكوف (فى رعب وهلع) على دراسة هذه الوقائع العجيبة المذهلة وتبين أسبابها ، وما بالهم يضربون نواقيس الخطر على أسماع القادة دون هـدوء ليكونوا على بينة من هذا البلاء الداهم العجيب ؟

ألم يتجسد هذا كله فى أروع تسمية أطلقها أحد الروائيين على واقع هذه

---

(١) نشرت دائرة أبحاث جامعة الامبسادور كتيبا بعنوان : (الهيبيون منافقون وسـعداء) وآخـر بعنوان (عالمنا الرهيب) يجد فيها القارىء الصورة الحقيقية المذهلة للعـالم الذى فتن به اليوم كثير من الأغرار .

الأمم والأيام العصيبة التى تعيش فيها دون أن تحسّ بخطورتها المرعبة : (الساعة الخامسة والعشرون (٢)) .

وانه لعجيب حقا أن تجد بعض الناس ينظر ــ مع هذا كله ــ الى الرجل الذى يمضى مسرعا فوق ظهر السفينة الى جهة الشرق ، دون أن يلتفت الى الدنيا العظيمة التى تشق طريقها تحت قدميه الى الغرب ..!!

ينظر الى الصاروخ الذى ارتفع فى الجو ، أو الانسان الذى طار الى القمر ، أو البذخ الذى رقصت عليه الدنيا أو خطوط (النيون) التى أضاءت لها ناطحات السحاب ــ ينظر الى كل ذلك على أنه جاء ناسخا لما كان يسمى بالخلق والقيم ، والعقيدة الصادقة عن الكون والانسان والحياة .

ولو كان كل شىء من هذه المظاهر كلها مغنية للانسان عن الحق ومعرفته واليقين به ، والفضيلة والتمسك بها ــ لما طوى التاريخ أمما كانت تصنع لنفسها عرش الربوبية فى الأرض ، ولما رفع أمما أخرى الى ذروة العزة والمجد ، كانت لا تملك الثوب الذى يكفى لستر عريها ، ولا اللقمة الكافية لسد جوعها .

لو كان ذلك صحيحا ، لما خلفت لنا ملوك بنى الأحمر فوق ربا الاندلس ، آثارا من الصولة والدولة والبذخ والمال ، يبكى عليها الغادى والرائح ، ويتساءل عن أمرها كل ذى عقل ولب ..!! ما بال قصورهم العظيمة وسلطانهم الباذخ ومالهم الوفير ، لم يغنهم عن القيم والأخلاق أى غناء ، وما بال كل ذلك لم يحرس سلطانهم اذ غابت عن حراستهم هذه القيم التى أهملوا الكثير منها ..؟

ألم تقم دولتهم ، يوم قامت ، على رجال غرباء كانوا فقراء فى كل شىء الا فى العقيدة الصادقة الراسخة فى قلوبهم ، والخلق الاسلامى العظيم المسيطر على حياتهم . ثم هل تقوضت دولتهم تلك ، يوم تقوضت الا على رجال كانوا أغنياء فى كل شىء ، الا فى تلك العقيدة الراسخة وذلك الخلق الاسلامى العظيم ...

ومع ذلك ، فان التاريخ وحده ، هو الذى كان يرصد انطلاقتهم السريعة نحو وادى الهلاك فى تلك الليالى التى كان يضج من حولهم فيها الضياء ، وتسكرهم فيها نشوة اللهو والترف ..

الأرض والوطن والمال والقوة بكل مظاهرها ، وسيلة طبيعية لتحصين الحق والذود عنه ولكنه لا يصلح وسيلة لذلك الا اذا تحصن هو نفسه ضمن حرز من العقيدة الصادقة ، والخلق المتين والمبدأ الذى يعلو ولا يعلى عليه .

فان رأيت أمة قد فقدت فى حياتها هذا الحرز ، ومع ذلك فهى تتقلب فى مظاهر القوة والبطش والنعيم ، فاعلم أنها ماضية الى حتفها ما فى ذلك شك . وقد يقصر الطريق أو يطول . ولكنّ النتيجة آتية لا ريب فيها .

واذكر وأنت ترى ذلك قول فاطر السموات والأرض :

(ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء يتضرعون . فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) .

صدق الله ، وآمنت بكلامه وسنته فى العالمين ..

---

(٢) « الساعة الخامسة والعشرون » رواية كتبها أديب رومانى هو : « كونستانتان جيوروجيو يعرض فيها أخطار الحياة الآلية التى سيطرت على الانسان الأوربى والأمريكى .

دين زاحف

مهما كانت العوائق..

للشيخ محمد الغزالي

- أحاديث الفتن لا تغري باليأس والقعود عن الجهاد.
- غربة الإسلام ليست موقفا سلبيا إنها جهاد قائم دائم.
- سيبلغ الإسلام مواقع النور والظل في أرض الله.

كلما قرأت أبواب الفتن فى كتب السنة شعرت بانزعاج وتشاؤم ، وأحسست أن الذين أشرفوا على جمع هذه الاحاديث قد أساءوا — من حيث لا يدرون ومن حيث لا يقصدون — الى حاضر الاسلام ومستقبله !

لقد صوروا الدين وكأنه يقاتل فى معركة انسحاب ، يخسر فيها على امتداد الزمن اكثر مما يربح !

ودونوا الاحاديث مقطوعة عن ملابساتها القريبة فظهرت وكأنهاتغرى المسلمين بالاستسلام للشر ، والقعود عن الجهاد ، واليأس من ترجيح كفة الخير لان الظلام المقبل قدر لا مهرب منه ..

وماذا يفعل المسلم المسكين وهو يقرأ حديث انس بن مالك الذى رواه البخارى عن الزبير بن عدى قال : شكونا الى انس بن مالك ما نلقى من الحجاج ، فقال : « اصبروا ، فانه لا يأتى عليكم زمان الا الذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم » !!

وظاهر الحديث « أن أمر المسلمين فى ادبار ، وأن بناء الامة كلها الى انهيار على اختلاف الليل والنهار » !!

وهذا الظاهر باطل لا يقبل ، وهو يخالف نصوصا أخرى ثابتة سوف نذكرها ، كما يخالف الاحداث التى وقعت فى العصر الاموى نفسه ..!

فقد جاء الوليد بن عبد الملك فمد رقعة الاسلام شرقا حتى احتوت اقطارا من الصين ، وامتدت رقعة الاسلام غربا حتى شملت اسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا ..

ثم تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فنسخ المظالم السابقة ، واشاع الرخاء حتى عز على الاغنياء أن يجدوا الفقراء الذين يأخذون صدقاتهم ..!

ولقد أتى بعد أنس بن مالك عصر الفقهاء والمحدثين الذين أحيوا الثقافة الاسلامية وخدموا الاسلام أروع وأجل خدمة ، فكيف يقال : ان الرسالة الاسلامية الخاتمة كانت تنحدر من سىء الى أسوأ ؟؟ هذا هراء !!

الواقع أن أنسا رضى الله عنه كان يقصد بحديثه منع الخروج المسلح على الدولة بالطريقة التى شاعت فى عهده ومن بعده ، فمزقت شمل الامة ، والحقت بأهل الحق خسائر جسيمة ، ولم تنل المبطلين بأذى يذكر !!

وانس بن مالك اشرف دينا من أن يمالىء الحجاج أو يقبل مظالمه ، ولكنه أرحم بالامة من أن يزج بأتقيائها وشجعانها فى مغامرات فردية تأتى عليهم ، ويبقى الحجاج بعدها راسخا مكينا .. !

وتصبيره للناس حتى يلقوا ربهم ، اى حتى ينتهوا هم ، لا أن الظلم سوف يبقى الى قيام الساعة ، وأن الاستكانة للظلمة سنة ماضية الى الأبد .. !!

ان هذا الظاهر باطل يقينا ، والقضية المحدودة التى أفتى فيها انس لا يجوز أن تتحول الى مبدأ قانونى يحكم الاجيال كلها ..

لقد سلخ الاسلام من تاريخه المديد أربعة عشر قرنا ، وسيبقى الاسلام على ظهر الارض ما صلحت هذه الارض للحياة والبقاء ، وما قضت حكمة الله أن يختبر سكانها بالخير والشر ..

ويوم ينتهى الاسلام من هذه الدنيا ، فلن تكون هناك دنيا ، لأن الشمس ستنطفىء ، والنجوم ستنكدر ، والحصاد الاخير سيطوى العالم اجمع .. !!

فليخسأ الجبناء دعاة الهزيمة وليعلموا أن الله أبر بدينه وعبـــاده مما يظنون ..

لقد ذكر لى بعضهم حديث « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء » وكأنه يفهم منه أن الاسلام سينكمش ويضعف ، وأن على من يسمع هذا الحديث أن يهادن الاثم ، ويداهن الجائرين ، ويســتكين للأفول الذى لا محيص عنه !

وايراد الحديث وفهمه على هذا النحو مرض شائع قديم ..

ولو سرت جرثومة هذا المرض الى صلاح الدين الأيوبى ما فكـر فى استنقاذ بيت المقدس من الصليبيين القدامى !!

ولو سرت جرثومة هذا المرض الى سيف الدين قطز ما نهض الى دحر التتـــار فى « عين جالــوت » !!

ولو سرت جرثومة هذا المرض الى زعماء الفـــكر الاســلامى فى عصرنا الحاضر ابتداء من جمال الدين الأفغانى الى الشهداء والأحيـاء من حملة اللواء السامق ، ما فكروا ان يخطوا حرفا او يكتبوا سطرا .. !!

وقلت فى نفسى : أيكون الاسلام غريبا واتباعه الذين ينتســـبون اليه يبلغون وفق الاحصاءات الاخيرة ثمانمائة مليون نفس ؟ يا للخذلان والعـــار !!

الواقع أن هذا الحديث وأشباهه يشير الى الازمات التى ســوف يواجهها الحق فى مسيرته الطويلة ، فان الباطل لن تلين بسهولة قناته ، بل ربما وصل فى جراته على الايمان أن يقتحم حدوده ، ويهدد حقيقته ، ويحاول الاجهاز عليه .. !

وعندئذ تنجلى الظلماء عن رجال صدقوا ما عاهـــدوا الله عليه ، يقاومون الضلال بجلد ، ولا يستوحشون من جو الفتنة الذى يعيشون فيه، ولا يتخاذلون للغربة الروحية ، والفكرية التى يعانونها ، ولا يزالون يؤدون ما عليهم لله حتى تنقشع الغمة ، ويخرج الاسلام من محنته مكتمــل الصفحة ، بل لعله يستأنف زحفه الطهور ، فيضم الى أرضه أرضا والى رجاله رجالا ..

وذلك ما وقع خلال أعصار مضت ، وذلك ما سيقع خلال أعصار تجىء ، وهذا ما ينطق به حديث الغربة الآنف ، فقد جاء فى بعض رواياته (طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى) ، فليست الغربة موقفا سلبيا عاجزا ، انها جهاد قائم دائم حتى تتغـــير الظروف الرديئة ويلقى الدين حظوظا أفضل ..

وليس الغرباء هم التافهون من مسلمى زماننا ، بل هم الرجال الذين رفضوا الهزائم النازلة وتوكلوا على الله فى مدافعتها حتى تلاشت .. !

والفتن التى لا شك فى وقوعها ، والتى طال تحذير الاسلام منها ، فتنة التهارش على الحكم والتقاتل على الامارة ، ومحاولة الاســـتيلاء على السلطة بأى ثمن ، وما استتبعه ذلك من اهدار للحقوق والحدود ، وعدوان على الاموال والاعراض .. وهذا المرض كان من لوازم الطبيعة الجاهلية التى عاشت على العصبية العمياء ..

والعرب فى جاهليتهم ألفوا هذا الخصام والتعادى ، فهم كمـا قال دريد بن الصمة :

يغـــار علينا واترين فيشتفى ... بنا ان اصــبنا او نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضى الا ونحن على شطر

وقد غلبت طبيعة الاسلامفى العصر الاول طبيعة العرب، واستفاضت نصائح النبى صلى الله عليه وسلم لقمع هذه الغرائز الشرسة ..

وتدبر قوله للانصار : «انكم ستجدون أثرة بعدى» قالوا : فما تأمرنا؟ قال : « أدوا الذى عليكم وسلوا الله الذى لكم » وهذا القول أحكم وأشرف ما يعالج به نبى أدواء قوم ..

ماذا يصنع الرجل الكفء اذا جحدت كفايته ، وتقدم غيره بوسائل مفتعلة ؟ أيقاتل وليكن ما يكون ؟ لا ، ليؤد واجبه الذى عليه ، وليسأل الله ــ لا الناس ــ الحق الذى له ، وليرض بما يقسمه الله له فى الدنيا ويدخره له فى الأخرى .. !!

فاذا شاعت بين الناس تلك الخيانات فليحرص المؤمن على الترفع والتنزه ، وليرفض المشاركة فى معارك المال والجاه والمطامع والوجاهات، وليستمسك بعروة الايمان متجاوزا تلك الصغائر التى يهلك فيها أصحابها، وذاك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به » والحديث يوصى بنفض اليد من هذه الفتن ، ويذكر أن صاحب الجهد القليل فيها خير من الناشط المتحمس ، ثم ينصح المؤمن أن يبحث عن حصن يعوذ به من شرورها !!

هل يعنى ذلك العزلة وترك الامة دون ناصح أمين ، ورائد مخلص ؟ كلا .. ان العزلة قد تصلح للبعض ، وقتا ما ، ولكنها لا تصلح للامة كلها بداهة والا كان ذلك حكما عليها بالفناء !!

غير أن بعض العلماء للاسف تأول هذه الاحاديث ونظائرها مما ورد فى أبواب الفتن على أنها دعوة للانسحاب من المجتمع وترك بناء الاسلام ينهار على أساس أن الدنيا الى شر ، وأن الدين الى غربة وان المؤمنين الى استضعاف .. وأن النجاة أولى ! !

وذلك كله إفك ، فان الاسلام لما يكتمل بعد كيانه السياسى ، ولما يبلغ سيله ــ بعد ــ مداه الطبيعى ، وقافلة الاسلام التى تحركت من اربعة عشر قرنا ، وتعثرت حينا وهرولت حينا آخر ، لا تزال على الدرب العتيد ماضية الى وجهتها المكتوبة لها من الأزل ، تلك الوجهة التى قال القرآن فى تحديدها : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » والتى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم فى أحاديث صحيحة أولى بالنشر والترويج من أحاديث الفتن التى أولع الضعفاء بروايتها وسوء شرحها ..

ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منهـا » ..

وروى الامام احمد فى مسنده عن تميم الدارى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار!! ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله هذا الدين ، يعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر .. »

وكلمة ما بلغ الليل والنهار فى هذا الحديث الرائع كلمة جامعة من خصائص البلاغة المحمدية ، ولا أرى نظيرا لها فى الدلالة على السعة والانتشـار !!

وما رواه أحمد عن تميم الدارى يؤيده ما رواه عن المقداد بن الاسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا دخلته كلمة الاسلام يعز عزيزا ويذل ذليلا ، أما الذين يعزهم الله فيجعلهم من أهلها ، وأما الذين يذلهم الله فيدينون لها » .

وكذلك ما رواه عن قبيضة بن مسعود : صلى هذا الحى من محارب — اسم قبيلة — الصبح ، فلما صلوا قال : شاب منهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انه ستفتح لكم مشارق الارض ومغاربها ، وان عمالها — أمراءها — فى النار الا من اتقى وادى الامانة » .

ويقول صاحب المنار فى نهاية تفسيره لقوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم .. » « اعلم أن الاستدلال بما ورد من الاخبار والآثار فى تفسير هذه الآية لا يدل هو ولا غيره من أحاديث الفتن على أن الامة الاسلامية قد قضى عليها بدوام ما هى عليه الان من الضعف والجهل كما يزعم الجاهلون بسنن الله ، اليائسون من روح الله ، بل توجد نصوص أخرى تدل على أن لجوادها نهضة من هذه الكبوة ، وأن لسهمها قرطة بعد هذه النبوة كالآية الناطقة باستخلافهم فى الارض — سورة النور — فان عمومها لم يتم بعد وكحديث « لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف الا ضلال الطريق » رواه احمد ،والشطر الاول منه لم يتحقق بعد ،ويؤيده ويوضح معناه ما صح عند مسلم من ان مساحة المدينة المنورة سوف تبلغ الموضع الذى يقال له اهاب ، أى أن مساحتها ستكون عدة أميال . فكونوا يا قوم من المبشرين لا من المنفرين .

« ولتعلمن نبأه بعد حين »

وخطأ كثير من الشراح جاء من فهمهم أن ترك الشر هو غاية التدين، وان اعتزال الفتن هو آية الايمان .

وهذا عجز سببه ضعف الهمة وسقوط الارادة ، وانى لاذكر فيه قول المتنبى :

انا لفى زمن ترك القبيح به — من أكثر الناس احسان واجمال

أجل ، فان ترك الصغائر غير بلوغ الامجاد ، وتجنب التوافه والرذائل غير ادراك العظائم وتسنم القمم ، والتلميذ الذى لا يسقط شىء، والذى يحرز الجوائز شىء اخر .. !!

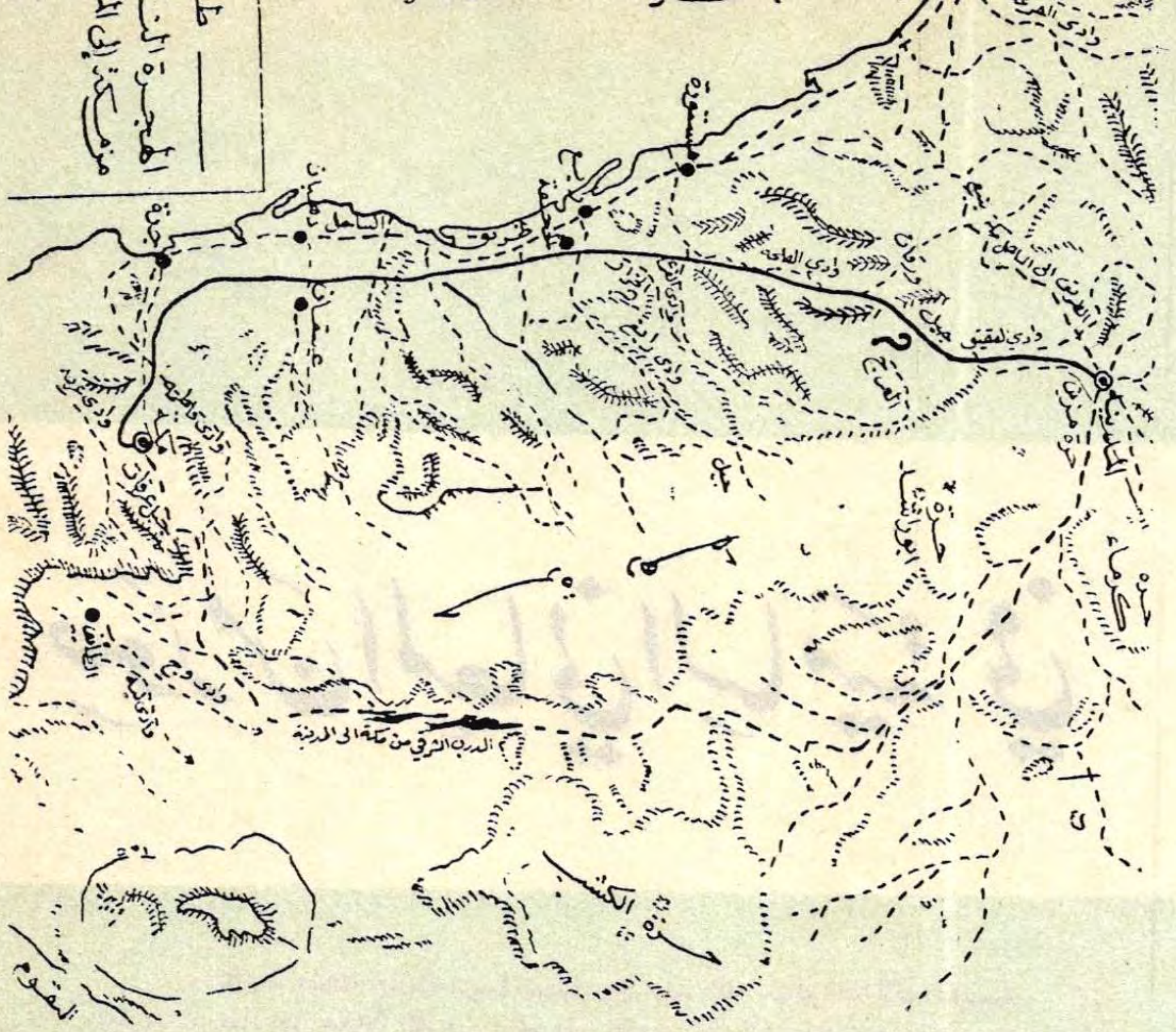
والرسول الكريم عندما يأمرنا باعتزال الفتن لا ينهى واجبنا عند ذلك الحد ..

سوف يبقى بعد ذلك الاعتزال الواجب ، بناء الامة على الحق ، ومد شعاعاته طولا وعرضا حتى تنسخ كل ظلمة ..

ولا نمارى فى ان تصدعات خطيرة اصابت الكيان الاسلامى قديما وحديثا .. بيد أن الضعاف وحدهم هم الذين انزووا بعيدا يبكون ، ويتشاءمون ، وينتظرون قيام الساعة !!

أما الراسخون فى العلم فقد أقبلوا على رتق الفتوق ، وجمع الشتات ، واعادة البناء الشامخ ، حتى يدركهم الموت او القتل وهم مشتغلون بمرضاة الله ، حتى يبلغ الاسلام مواقع النور والظل من أرض الله ، أو كما قال الرسول العظيم :(ما بلغ الليل والنهار) ..

• • •



طريق الهجرة .. فى سطور

● تبعد المدينة المنورة ـ دار الهجرة ـ عن ساحل البحر الأحمر بنحو ١٦٠ كيلو مترا ، وتبعـد عن مكة ـ فى خط مستقيم ـ بنحو ٣٣٥ كيلو مترا .

● تمت الهجرة فى صيف عـام ٦٢٢ ميلادية وجو الجزيرة فى مثل هذا الوقت جفاف وقيظ ..

● لمكة ثلاثة مداخل .. طريق الغرب ، وطريق الشمال ، وطريق السفلة والطريق الاخير ابعدها الى المدينة ومع ذلك فقد سلكه الرسول متجهـا الى الجنوب ـ نحو اليمن ـ ثم سلك الطريق الساحلى متجنبا الجادة المطروقة فى اكثر الأحيان .

● غار ثور الذى لجا اليه الرسول وصاحبه يبعد عن المدينة خمسة كيلو مترات شاقة وعرة حتى ان الرسول لم يصل اليه الا بعد ان نضح الدم من قدميه

● مكث الرسول فى الغار ثلاثة ايام ليتسمع على الوضع فى مكة بواسطة عبد الله بن ابى بكر الذى كان يبيت مع الرسول وصاحبه ويخرج فى القمر ، وليخرج الى الطريق بعد هدأة المشاعر فى مكة .

● وصل الرسول الى قباء يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول حين اشتد الضحى وبلغ المدينة يوم الجمعة الذى يليه .

صور من المعاني السامية في

• كانت هناك علاقة تربط محمد بن عبد الله صلوات الله عليه بيثرب . فله بها علاقة القربى وهم بنو النجار اخوال جده عبد المطلب ، وله بها قبر عزيز على نفسه . قبر ابيه عبد الله الذى مات ومحمد جنين لم يولد بعد ، والذى حج اليه وهو فى سن السادسة مع أمه آمنة الزوج الوفى التى ماتت فى الطريق وهى قافلة الى مكة ودفنت بالأبواء فى منتصف الطريق . فأصبح قبر أمه فى الطريق الى قبر ابيه ، وهذا مما يجعله بحكم البنوة متطلعا الى هذه البقعة ، اضف الى هذا علاقاته التجارية حينما كان يتجر فى مال السيدة خديجة .

• فلما بالغت قريش فى ايذائه والتضييق عليه فى نشر دعوته ، وبالغت ايضا فى تعذيب واضطهاد من آمن به واتبع دعوته اتجهت نفسه الى الهجرة من هذه القرية الظالم اهلها ، والقرار بيثرب والدعوة بدين الله منها وخاصة أن بها كثيرا ممن يؤمنون برسالة السماء من اهل الكتاب ، ومن تأثروا بهم بعض الشيء وعرفوا التطلع الى السماء وان كانت لهم عقائد وثنية . كما انه صلوات الله عليه كان قد احس بذلك القدر فى اهل يثرب حينما قدم « سويد بن الصامت » الى مكة وهو احد كبار الأشراف بيثرب والتقى به الرسول وعرض عليه دعوةالاسلام وتلا عليه بعض ما معه من القرآن فما نفر سويد ولا ضجر ولا أعرض ولكنه انصت وتأمل وقال : هذا حسن وانصرف يفكر فيه . كما لمس هذه

للدكتور : محمد سلام مدكور

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

محمد مؤذن

الروح أيضا فى اياس بن معاذ ومن معه حين جاءنى وفد من اهـــل يثرب لقضاء حاجة بمكة وكذلك لمس فى وفد من الخزرج كان قد وفـد الى مكة فى موسم الحج فلقيهم ودعاهم الى الاسلام فاطمأنوا له وآمنوا به وعادوا الى قومهم مؤمنين برسالة الاسلام فلم يجدوا منهم صـــدا واعراضا وانما وجدوا تشوقا وارتياحا . وما استدار العام وجـــاء الحجيج الى مكة حتى بايع اثنا عشر رجلا من أهل يثرب الرســـول بالعقبة على الا يشركوا بالله أحدا ولا يأتون ببهتان وآمنوا بدعوتـــه واسلموا وجههم لله . وهكذا تزايد عدد المسلمين فى يثرب ، وتزايد عدد الذين لانت قلوبهم واستعدوا بشىء من التوجيه للاستجابة اليها .

ثم حدثت بيعة العقبة الثانية وكانت مع جمع كبـــــير من الأوس والخزرج ، ولم تقتصر بنودها على الدعوة الى الاسلام فحسب بـــل تضمنت بنودها حماية الرسول ومنعته مما يمنعون منه أبنـــــاءهم ونســــاءهم .

• طابت نفس محمد صلوات الله عليه بهذه الظواهر الطيبة وازداد اطمئنانه الى اهل هذا البلد فأمر أصحابه بالهجرة اليها فهاجر كل من استطاع الهجرة تاركا المال والأهل والوطن فارا بعقيدته غير عابئين بالعراقيل التى تضعها قريش فى طريق هجرتهم ، وكان من أوائـــل

الراغبين فى الهجرة أبو بكر رضى الله عنه غير ان النبى اسـتمهله فأرجأ هجرته استجابة لتوجيه الرسول وان لم يعلم السبب الذى أراد الرسول اخفاءه ليبقى مخططه سرا محفوظا فى صدره .

وسرعان ما أصبح جو يثرب جوا اسلاميا . فأحست قريش بأن الخطر يكمن وراء ذلك ففكروا فى قتل محمد والتخلص منه والقضـاء على دعوته التى تمثل خطرا قويا على عباداتهم . وأحس صلوات الله عليه بما عزموا عليه فاتجه الى الهجرة ودعـا الله أن يأذن له بذلك فاستجاب الله لدعوته وحقق له رغبته . ولكن كيف المفر وقد تآمـرت عليه قريش وأحاط شبانها بداره ليقتلوه فما كان منه الا أن أسر الى على ابن عمه أن يتسجى برده وأن ينام فى فراشه حتى تنخدع به قريش وتظنه محمدا ، وحتى يتمكن هو من الخروج فى غفلة منهم . وأوصى عليا أن يبقى بمكة فترة حتى يقوم ببعض الشئون ويرد الودائع ويقضى الديون .

• خرج الرسول ليلا مع أن قريشا تحيط بداره من كل جـانب تترقب خروجه لتظفر بقتله . لكن الله جلت قدرته جعل على ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون ، وخرج الرسول آمنا حتى وصـل الى دار صديقه وصهره أبى بكر وأخبره بما اعتزم عليه وبأنه استمهله من قبل ليكون فى صحبته ففرح أبو بكر واعد نفسه وخرجا معا الى غار ثـور وهو فى غير طريق يثرب بل هو فى الطريق الى اليمن . ولم يعـلم بمكانهما الا عبد الله بن أبى بكر وأختاه عائشة التى عقد عليها الرسـول فى هذه الآونة — وأسماء ومولاهم عامر بن فهيرة . ومكثا فى هـذا الغار نحو ثلاثة أيام . ثم استأنفا السير فى الطريق الى يثرب وتمت خطته فى الهجرة اليها بسلام كما هو معروف متداول .

• • •

• واننا سوف لا نتصدى فى مقالنا هذا لمراحل الهجرة ووصـف الطريق ووعورته ، وما الى ذلك من النواحى الجغرافية أو التاريخية ، وانما الذى نتصدى اليه هنا ما فى مواقف الهجرة كلها من المعـانى السامية والايثار والتضامن والتفانى فى سبيل العقيدة وايثار الله ورسوله على كل مافى الدنيا من مال وأهل . وقد صور الله سبحانه مافى الهجرة من ايثار وتضامن تصويرا جامعا فى قوله جل شـأنه : « للفقراء والمهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون .والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجـدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

• فهذا يصور لنا ما صدر من ايثار وتضحية من أهل مـكة الذين

هاجروا ، وأهل المدينة الذين استقبلوا اخوانهم المهاجرين أما الأولون فقد ضحوا وآثروا الله ورسوله فتركوا وطنهم وأهلهم وأموالهم فرارا بعقيدتهم . انفصلوا عن وطنهم انفصال الغصن من شجرته عائدا الى شجرة أخرى من الايمان واليقين تبشر بالثمار والظلال .

وأما الأنصار فقد احبوا المهاجرين حبا صادقا دون مبالاة بما يترتب على ذلك الحب من تضحيات وفقدان بعض متع الحياة ومظاهرها المادية فأشركوهم فى أموالهم وأقواتهم ، وما أقوى فعل الدين والايمان فى نفوس المؤمنين فتسابقوا فى مد يد العون لاخوانهم فى كل ما تتطلبه حياة الاستقرار . بل وصل بهم التسابق فى مد يد العون لاخوانهم الى شىء من التشاحن فلم يك يفصل بينهم فى هذا الا الأقتراع .

• انظر الى على بن أبى طالب وقد سره أن يعرض نفسه للهلاك حين هم الرسول بالخروج من الدار ليلة الهجرة . والمشركون يحيطون الدار من كل جانب يترقبون مرقد النبى فى فراشه ويتحسسون حركاته وتقلباته ليظفروا به يقظا فيقتلوه . ومع وضوح نية الغدر فى نفوس المشركين لم يتوان على امعانا فى تضليل المشركين لتخليص الرسول واظهار كلمة الله من أن يتسجى برد الرسول وينام على فراشه . فعل على ذلك وهو يعلم سوء العاقبة وانه قد يستثير بهذا حفيظة المشركين عليه ، وانه من المحتمل أن يكون ذلك سببا فى اطاحة عنقه خطأ منهم أو عمدا لكن شيئا من ذلك لم يترك فى نفسه أى اثر من خوف أو تراجع او نكوص لأن ايمانه بالله وقوة عقيدته وصدق اخلاصه يأبى عليه شيئا من ذلك بل يدفعه الى أكثر منه . بل يرى بصدق ايمانه أن كل ما يصيبه من أذى فى سبيل تمكين الرسول من تبليغ رسالة ربه ونشر دعوته يمكنه من حياة سعيدة فى كنف الله . حياة تطيب بها نفس كل مؤمن صادق فى ايمانه .

• وهذا أبو بكر وقد صاحب الرسول فى أحرج المواقف مضحيا بتجارته وعمله وماله وولده . ويخرج مع الرسول فى هجرته لايصاحبهما الا الله فى وحشة الليل ووحشة الصحراء ووحشة الفرار من تتبع الأعداء واقتفائهم أثر الرسول وبذلهم الجوائز النفيسة لكل من يستطيع العثور عليهما . ثم يستقر معه فى غار ثور ذلك الغار الموحش الذى يزيد الوحشة تفاقما والخوف تضاعفا دون أن تهدأ نفسه ، وكان متيقظا بكل معانى التيقظ يرهف أذنيه وكل حواسه ليتعرف ما فى خارج الغار من حركات ويتبين ما عساه يسمعه من أصوات . حتى أحس بنفر من المشركين على قرب من الغار وسمعهم يسألون أحد الرعاة فيجيب بأنهما قد يكونان فى الغار . فأقبل بعض القرشيين متسلقا الى الغار لكنه قفل راجعا دون اقتحامه ، ولما سأله رفاقه قال : ان للعنكبوت على فتحتيه بيتا خاطه من

قبل مولد محمد ، وان بفم الغار حمامتين وحشيتين ، وأن شجرة تدلت فروعها الى فوهة الغار لا تمكن أحدا من الدخول .

كان أبو بكر يسمع هذا الحوار فيقترب من صاحبه ويلصق نفسه به لا خوفا على نفسه ، ولكن خوفا على صاحبه . فيهمس محمد صلوات الله عليه فى أذنه قائلا : لا تخف ان الله معنا !! ولما انصرف الكفار ، اطمأن أبو بكر وازدادت نفسه ايمانا بالله ورسوله ونادى محمد : الحمد لله . الله أكبر ..

وقد صور الله هذا الموقف الرهيب بقوله سبحانه : « اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » وقد قال ابو بكر فىتصوير بعض ما كان فى هذه اللحظات : « رأيت أقدام المشركين ونحن فى الغار فقلت لرسول الله : لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ؟! فقال الرسول يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

• وهذه أسماء بنت أبى بكر تأبى الا أن تخرج من مكة بالطعام والشراب لتحضره لهما فى مخبئهما المحزن البعيد فى ظلمة الليل ووحشة الطريق غير مبالية بما عساه ان يقع لها من أذى او ينالها من هلاك ودون أن تشعر بتقلبات الجو ووعورة الطريق ــ لأن الايمان والتضحية والايثار اذا تملك كل منهما على نفس هان كل شىء بل هانت النفس أيضا . وكيف لا تضحى وقد رأت أباها يهاجر مع الرسول ويرافقه فارا بدينه تاركا الأهل والولد والمال والوطن .

أنظر الى أسماء وقد ذهبت لهما بالغار فى اليوم الثالث بالطعام والشراب الذى يكفى لرحلتهما ، ولما ارتحلا ولم يجدا ما يعلقان به الطعام والماء الى رحالهما شقت نطاقها وعلقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر فسميت لذلك « ذات النطاقين » .

• وهذا عبد الله بن أبى بكر أذنهما عند قريش يقضى نهاره بينهم يتسمع ما يأتمرون وما يقولون ثم يأتيهما حينما يسدل الليلستاره فيخبرهما بما دار وما سمع ، ولما يعود الى مكة يتبع عامر بن فهيرة مولى أبى بكر أثره بالغنم حتى يعفى عليه فلا يتبينه أحد .

• وهذا سراقة بن جعشم وقد علم من أحد الافراد بأن الرسول وصاحبه فى طريقهما الى يثرب كما أخبر قريشا كلها بذلك فأسرع سراقة ليأسرهما وينفرد بالمائة ناقة الجائزة التى وعدت بها قريش . ولما اقترب منهما كبا فرسه من شدة انطلاقه وطار سلاحه من يده . فكان هذا دافعا لان يرد نفسه عما قدم اليه ، وأن يعمل على حمايتهما فأخذ يضلل من جاء من خلفه لمطاردتهما وهان المال فى نظره وضوئلت الجائزة واصبحت غير ذات قيمة أمام ما أحس به عند كبوة جواده من ايمان

يتخذ طريقه الى قلبه ونور صادق يضىء الطريق امام بصيرته .

• ولما وصل الرفيقان الى يثرب وخرجت الطلائع لاستقبالهما واستقرا فى المدينة ودخل الناس فى دين الله أفواجا وأصبحت الكلمة للمسلمين، وربط الدين بين قلوب المؤمنين من المهاجرين والانصار . الا أن الرسول خشى أن تثور فى نفوسهم عصبية الجاهلية . العصبية القبلية فدعاهم الى المؤاخاة وآخى بينهم على الحق والمؤاساة وعلى أن يكون كل منهم دمه دم الآخر وهدمه هدمه وان يرث كل منهما الآخر دون ذوى رحمه .

وتمت المؤاخاة بين أبى بكر وخارجة بن زيد الانصارى وبين عمـــــر وعثمان بن مالك الأنصارى وبين جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبــل الأنصارى وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الأنصارى ، وبين أبى عبيدة الجراح وسعد بن معاذ الأنصارى .. وهكذا ..

وقد بلغ من كرم الأنصار واخلاصهم ان كان الواحد منهم يعـــرض على صاحبه أن يشاطره ماله . وأبى المهاجرون العيش كلا على غيــرهم فكافحوا وعملوا فى سبيل لقمة العيش لأن العمل فى سبيل الكســب أمر يدعو اليه الدين . فالانصار يزهدون فى أموالهم لان اخوانهم أحوج اليها منهم ، والمهاجرون يشكرون لهم هذا البذل والايثار ويقدرون فيهــم روح التعاون لكنهم يأبون الا العمل والكفاح . كى لا يسنوا للناس من بعدهم سنة العيش عالة على مجهود الغير وماله دون كد وعمل ... فكلاهما سباق للبذل والعطاء : الانصارى بماله ، والمهاجر بعمله .



• وبهذه الروح تمت الهجرة على خير وجه فى جو يغمره ذلك الحب والتفانى ، وبهذا الاخاء والتعاون كتب الله لهم النصر والفلاح وكــانت هجرتهم معالم حدود بين طور وطور فى دعوة الاسلام وبدء تحــوله من توجيه روحى وتقويم خلقى الى تكوين تشريعى وتنظيم دولى فبدأت معالم الدولة كاملة ، وكانت فكرة الهجرة بدء التوجيه لمعالم الدولـــة الاسلامية ذات القوانين والنظم التى يكفــل اتباعها السعادة لانها كلها تقوم على التضامن والتعاون .

وهكذا يضع الله أمامنا مثلا عليا من صفات المؤمنين الاولين وصورة عملية لتطبيقهم تعاليم الدين حتى نحذو حذوهم ونسير على نهجهم ، ولو اخذنا بتعاليم ديننا وتلمسنا فى ماضى سلفنا العظات والعبر فضحينا كما ضحوا وتعاونا وتضامنا كما تعاونوا وتضامنوا وأحب كل منا لأخيه ما أحب لنفسه لصرنا جسدا واحدا يحس كل مسلم مهما بعد موطنــه بآلام أخيه المسلم أينما كان . فبالتضحية والايثار نقوى ، وبذكر الله ومناصرته يكتب لنا النصر والفلاح .

مائدة القارئ

صور من النفاق

قال الشاعر محمد حمام :

ما دمت فى جنــــة النفـــاق | فاعـــدل بســـاق ، ومـــل بساق
ولا تقــــــارب ولا تباعــــــد | ودر مـــع الثـــور فى الســـواقى
وضاحــك الشـــمس فى الدياجى | وداعب البـــدر فى المحـــاق
ولا تحقـــــق ولا تدقـــــق | وانســب شآمــا الـــى عـــراقى
وقـــل كـــلاما بغيـــر معنى | واحـــلف عـــلى الافـــك بالطلاق
والا تصــــادق ولا تخــاصم | واستقبـــل الكـــل بالعنـــاق
فأى شـــخص كأى شـــخص | بـــلا اختـــلاف ولا اتفـــاق
وأى كــــأى شـــــىء | ما دمـت فــى جنـــة النفـــاق

الجــواسيس

قال المأمون لأحد جلسائه : هل فى القرآن الكريم ذكر للجواسيس .

قال : نعم . الم تسمع قوله تعالى : ((يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)) هؤلاء هم الجواسيس : يسمعون ، ثم ينقلون الأحاديث ، ويرفعون الأخبار الى من استاجروهم .



ســن القاضى

لما ولى يحيى بن اكثم قضاء البصرة كانت سنه عشرين سنة فاستصغره أهلها ، فقال أحدهم : كم سن القاضى ؟ فعلم أنه قد استصغره ، فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل مكة يوم الفتح ، وأكبر من معاذ بن جبل الذى وجهه النبى قاضيا على أهل اليمن وأكبر من كعب بن سود الذى وجهه عمر بن الخطاب قاضيا عـــلى البصرة .

علم وتربية

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده :

علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة ، فانهم أسوأ الناس رغبة فى الخير وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فانهم لهم مفسدة ، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم يستاكو عرضا ، ويمصوا الماء مصاولا يعبوا عبا .

واذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب وليكن ذلك فى سر لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيهونوا عليهم .

طرائف لغوية

لاحظ علماء اللغة ما بين الحرف والمعنى من مناسبة ، ومما لاحظوه :

ان الحاء اذا اتت في آخر الكلمة دلت على الاتساع والانتشار مثل ساح ، وباح ، وصاح ، وشرح ، ومرح .

وان الكلمة المبدوءة بحرف الشين تدل على التشتت والتفرق مثل : شتت ، وشطر ، وشعث ، وشع .

وان الكلمة المبدوءة بالغين تدل على الغموض مثل : اغمض . غابت الشمس . غار الماء ، غطى الشىء .

علم الفراسة

قال الشافعى : مررت فى طريقى برجل واقف فى فنـاء داره ازرق العينين ناتىء الجبهة ، فقلت فى نفسى : هذا اخبث ما يكون فى الفراسة ، وسألته : هل منزل ؟ قال : نعم . وانزلنى ، فما رايت اكرم منه ، وبعث الى بعشاء طيب وعلف دابتى وفراش ولحاف ، فقلت علم الفراسة دل على دناءة هذا الرجل ، وانا لم اشاهد منه الا الخير فهذا العلم باطل، ولما اصبحت قلت للغلام اسرج الدابة فلما اردت الخروج قلت له : اذا قدمت مكة : ومررت بذى طوى فاسأل عن منزل محمد بن إدريس .

فقال الرجل : اخادم ابيك انا ؟

قلت : ماذا تقصد ؟

قال : فاين ثمن الذى تكلفت لك البارحة ؟ قلت : وما هو ؟

قال : اشتريت لك بدرهمين طعاما ، واداما بكذا ، وعلف دابتك بكذا واللحاف بكذا .

قلت : يا غلام اعطه . فهل بقى شىء ؟

قال : كراء المنزل ، فانى وسعت عليك وضيقت على نفسى .

قال الشافعى : فعظم اعتقادى فى علم الفراسة .

دار الهجرة

والمؤلفات والمؤلفون فيها

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

تالت مدينة الرسول من اهتمام المؤرخين ، وعناية المؤلفين ما لا يجوز اغفال الحديث عنه فى فصل خاص ، فان الكتب فى موضوع دار الهجرة متناثرة على مر العصور فى مدار التاريخ العربى الاسلامى الطويل لم يجمعها مؤلف فى مقام واحد ، الا ما كان من تلك الاشارات السريعة الوجيزة التى سجلها المؤرخ السخاوى فى كتابه المشهور : « الاعلان بالتوبيخ ، لمن ذم أهل التاريخ » والا ما كان من تلك النظرات العابرة التى سجلها المؤرخ الخبير بالتصنيف حاجى خليفة فى كتابه المعروف : « كشف الظنون » . .

والحق أن متابعة المؤلفات والكتب التى دارت حول موضوع دار الهجرة ، ومدينة الرسول عليه الصلاة والسلام تعد عملا لا يخلو من مشقة ، فان الباحث مضطر أن يجول خلال العصور ، منذ بدأ التدوين فى الأدب العربى . وأن يتعرف الى المؤلفين الذين ولوا وجههم شطر المدينة المعظمة ، يؤرخون لها ، ويترجمون لرجالها ، ويدونون ما تعاقب من الأحداث عليها ، ويذكرون فضائلها التى خصها الله بها ، بعد مكة المكرمة ، ويسطرون سير من دفن فى أرضها المباركة وفى بقيعها الطاهر من كبار الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم على مر العصور .

واذا كان التأريخ للمدن الاسلامية هو جزء من مخطط منظم لكتابة التاريخ العام للعرب والمسلمين ــ كما نراه فى التأريخ للاسكندرية ، وأشبيلية ، والبصرة ، وبغداد ، وبيت المقدس ، وجرجان ، وحلب ، وخراسان ، ودمشق ، والرقة ، وطليطلة ، وغرناطة ، وقرطبة ، والقاهرة ، والقيروان ، ومراغة ، ومرو ، ومصر ، والموصل ، وواسط وغيرها مما لا مجال هنا لذكره ــ فان المدينتين المقدستين العظيمتين : مكة والمدينة قد ظفرتا من التصنيف فيهما بنصيب عظيم .

وندع الحديث عن مكة الآن جانبا الى أن تحين له فرصة ملائمة فى مجلة

(الوعى الاسلامى) ونخص المدينة ــ وهى دار هجرة الرسول ــ بالحديث اليوم ، ما دمنا نحتفل بأحياء ذكرى العام الهجرى الجديد ، الذى نرجو أن يكون مطلع سعد وخير وعزة للعرب والمسلمين .

ومن الحق ــ ونحن نكتب هذا البحث البكر لأول مرة ــ أن نذكر الرائد الاول فى كتابة تاريخ للمدينة المنورة ، وهو محمد بن الحسين بن زبالة ــ كما ذكره بروكلمان فى تأريخه الأدبى ، وان كان صاحب « معجم المؤلفين » يذكره باسم محمد بن الحسن ، أما حاجى خليفة فيذكره باسم : محمد بن حسن بدون اداة تعريف . وأيا ما كان الاسم فان معلوماتنا قليلة جدا عن هذا المؤلف الأول فى تاريخ مدينة الرسول ، وعن كتابه الذى نقل لنا بعض نصوص منه المؤرخ السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ فى كتابه المشهور : « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ويذكر لنا حاجى خليفة ان اسم كتاب ابن زبالة هو « أخبار المدينة » ولا نعلم شيئا عن هذا الكتاب ولا عن مكان وجوده فيما لدينا من مراجع . ولعله مما اضاعه الزمان . ولا نعرف بالضبط تاريخ وفاة ابن زبالة ، وان كان صاحب « هدية العارفين » يستظهر انه توفى فى حدود سنة ٢٠٠ من الهجرة لأن بعض المؤرخين يقول : انه أتم كتابه فى سنة ١٩٩ هـ . ومهما يكن فان ابن زبالة ــ بفتح الزاى ــ كان من تلاميذ الامام مالك بن أنس كما يذكر صاحب « كشف الظنون » ..

ويأتى بعد ابن زبالة مؤرخ آخر هو الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ وهو من أحفاد الزبير بن العوام ، وكان راوية عالما بالأنساب والأخبار ، وقد ولد فى مدينة الرسول ، وان كان تولى قضاء مكة بعد ذلك ودفن فيها ، وبهذا جمع فى حياته بين المدينتين المقدستين . ويذكر السخاوى المؤرخ أن له كتابا فى أخبار المدينة ، وان كنا نعلم أن له كتاب « الأوس والخزرج » ولعله هو الكتاب الذى يقصده السخاوى .

ولقد كان للزبير بن بكار معاصر مؤرخ هو عمر بن شبة (ا) المتوفى سنة ٢٦٢ هـ ، وكان ابن شبة هذا شاعرا راوية مؤرخا ، كما اشتهر بحفظ الحديث ، وترك لنا كتابين حول مدينة الرسول : أولهما : كتاب « أمراء المدينة » ، وثانيهما « أخبار المدينة » وأكثر كتبه لا يزال مخطوطا ولا نعرف شيئا عن كتابه « أخبار المدينة » الا من خلال ما يحدثنا به الرواة والمؤرخون .

وهناك على مقربة من تاريخ وفاة ابن شبة نلتقى بمؤرخ آخر هو يحيى بن الحسن بن جعفر الحسينى العلوى ، ويقال له العقيقى ، وقد ترك لنا كتابا عنوانه : « أخبار المدينة » يتفق فى الاسم مع كتاب عمر بن شبة الذى سبقت الاشارة اليه . ومبلغ علمنا عن هذا الكتاب أنه ليحيى بن جعفر الحسينى ، ولكن مكان وجوده غير معلوم .

ويشير السخاوى المؤرخ الى كتاب لأبى بكر جعفر بن محمد بن الحسن ابن المستفاض الفريابى فى تاريخ مدينة الرسول ، ويذكره ابن العماد الحنبلى ــ صاحب شذرات الذهب ــ فى وفيات سنة ٣٠١ هـ ، ويصفه بأنه كان اماما

حافظا علامة من النقادين ، وهو تركى الأصل ، وقد رحل الى مصر ، وامتد عمره حتى بلغ أربعا وتسعين سنة ، وتسكت مصادرنا كلها عن هذا الكتاب الذى ذكره السخاوى وقال عنه ان أبا القاسم بن منده قد ذكره فى « الوصية » له .

واذا كان هؤلاء الخمسة السابقون من المؤرخين قد ألفوا فى تاريخ مدينة الرسول وأخبارها ، فاننا بعد هذا نبدأ عهدا جديدا بالتأريخ لفضائل المدينة النبوية والحديث عن مآثرها . وأول من نلقاه فى هذا الميدان المؤرخ المفضل بن محمد الجندى ــ بفتح الجيم والنون ــ المتوفى سنة ٣٠٨ هـ .

والمفضل هذا يمانى الأصل ، وكان من أصحاب الحديث فى مكة وتوفى بها . ويذكر بعض المؤرخين أن له كتابا فى : « فضائل مكة » ، كما أن بعضهم يضيف اليه كتابا فى « فضائل المدينة » وينص صاحب « الاعلان بالتوبيخ » صراحة على أن له كتابا فى فضائل المدينة ، كما يذكر له كتابا فى فضائل مكة . . .

وينقضى القرن الرابع الهجرى فلا يصادفنا ــ فيما نعلم ــ كتاب حول مدينة الرسول ودار هجرته ، الا ما لا علم لنا به مما قد يكون ضائعا أو مطويا . . ويجىء القرن الخامس فيصادفنا فى أواخره المؤرخ المحدث القاسم بن على ابن الحسن بن هبة الله بن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠ هـ . وهو ولد المؤرخ الكبير ابن عساكر المشهور صاحب تاريخ دمشق . وله كتاب فى « فضل المدينة » عنوانه : « الأنباء المبينة ، فى فضل المدينة » أشار اليه السخاوى فى اعلانه . وكثيرا ما يختصر المؤرخون اسم هذا الكتاب فيجعلونه كتاب (فضل المدينة) كما صنع خير الدين الزركلى فى اعلامه ، ويلحق هذا الكتاب بسابقيه من الكتب الضائعة التى لا نعلم عنها شيئا ، ولعلها ضاعت فيما ضاع من تراث الاسلام الفكرى . ولم يكتف القاسم بن عساكر بكتابه هذا عن فضل مدينة الرسول ، فألف كتابا آخر فى فضائل المسجد الأقصى ، عنوانه « الجامع المستقصى ، فى فضائل الأقصى » . .

ونلتقى على مسيرة العصور فى القرن السابع الهجرى بمؤرخ من أهل بغداد ترك لنا كتابا فى تاريخ المدينة ، وهو محمد بن محمود بن هبة الله المشهور بمحب الدين بن النجار ، وكان مؤرخا من حفاظ الحديث ، ولد فى بغداد ومات فيها بعد رحلة سبعة وعشرين عاما فى ديار العرب والاسلام وخاصة مكة والمدينة . واسم كتابه الذى يهمنا فى موضوع اليوم « الدرة الثمينة ، فى أخبار المدينة » وهو مطبوع من عهد غير بعيد ، وهو من مراجعنا فيما ننوى اخراجه من كتاب عن تاريخ لمدينة الرسول . وتوفى ابن النجار سنة ٦٤٣ هـ . وليس كتاب ابن النجار فى تاريخ المدينة من المطولات أو الكتب الضخام ، ولكنه كتاب مختصر مرتب على ثمانية عشر بابا . ولا بد للمهتم بتاريخ هجرة الرسول عليه السلام ان يقرأ هذا الكتاب ، ففيه فوائد ولطائف جمعها المصنف من مصادر تأريخية متعددة .

ويذكر حاجى خليفة صاحب « كشف الظنون » كتابا عنوانه : « اتحاف

الزائر » (٢) ، ولا يخصص لنا موضوعه . ولكن السخاوى المؤرخ يقـول ان اتحاف الزائر هو لأبى اليمن بن عساكر ، ويدور موضوعه حول مدينة الرسول عليه السلام . وقد بحثنا فى أنباء عساكر عن كتاب بهذا العنوان فى هذا الموضوع فلم نهتد اليه . ولعل فاضلا من قراء « الوعى الاسلامى » يدلنا عليه .

وفى أخريات القرن السابع الهجرى نلتقى بمؤرخ لدار الهجـرة وتاريـخ الهجرة هو كما جاء فى السخاوى : محمد بن عبد الملك المرجانى . وقد جاء فى « كشف الظنون » أن اسمه أبو محمد عبد الله بن عبد الله المرجانى ، وأن اسم كتابه « تاريخ المدينة » ، ولكن مؤرخنا المعاصر عمر رضا كحالة صاحب « معجم المؤلفين » يذكر أن اسمه : عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد البكرى التونسى الاسكندرى المعروف بالمرجانى . ولم يذكر لنا السخاوى اسم الكتاب ، ولكن ذكر أنه حول المدينة النبوية . على أن حاجى خليفـة قد حسم القضية فذكر أن اسم كتاب المرجانى : « بهجة النفوس والأسرار ، فى تاريخ هجرة النبى المختار » . ومن هنا يتضح انه كتاب فى تاريـخ الهجرة ومـا لابسـها من احـداث ووقائع وليس كتـابا فى تـاريخ دار الهجرة ذاتها ، الا ما يقتضيه سرد حوادث هذا الحدث التاريخى العظيم ، وقد توفى المرجانى سنة ٦٩٩ هـ ودفن بتونس ، وان كان مولده بالاسكندرية من أصل تونسى . وبهذا ودع أبو عبد الله المرجانى القرون الهجرية السبعـة التى سجلت بعض التصانيف حول دار الهجرة لنستقبل القرن الثامن . .

وأول من نلقاه من مؤرخى دار الهجرة فى القرن الثامن الهجرى الرحالة المؤرخ محمد بن أحمد بن أمين الآقشهرى ، وهو من مواليد آقشهر بقونيـة ، وكانت له رحلات وجولات الى بلاد العرب ، والمغرب ، والحجاز ، حيث جاور فى مدينة الرسول عليه السلام ودار هجرته وتوفى بها سنـة ٧٣١ هـ كما جاء فى الدرر الكامنة لابن حجر ، أو سنة ٧٣٩ هـ كما جاء فى بعض المخطوطات للدرر وبعض المصادر ومنها كشف الظنون لحاجى خليفة . ويسمى السخاوى المؤرخ كتابه « الروضة » ، ويصفه بأن فيه أسماء من دفن بالبقيع ، كمـا يذكره حاجى خليفة فى باب الراء من كتابه باسم « الروضة » أيضا . ويقول — مؤرخنا ابن حجر انه جمع كتابا فيه اسماء من دفن بالبقيع سماه «الروضة» ولكن الاستاذ عمر رضا كحالة يذكر فى معجمه أن اسم هذا الكتاب : « روضة الفردوس » .

وفى القرن الثامن الهجرى أيضا نلتقى بمؤلف آخر فى تاريخ المدينـة المنورة ، هو محمد بن أحمد المطرى المتوفى سنة ٧٤١ هـ ، وهو منسوب الى بلدة المطرية بمصر ، وان كان من أهل المدينة المنورة وتولى القضاء فيها ، وكتابه فى تاريخ المدينة يحمل هذا العنوان : « التعريف بما أنست الهجرة من معالـم دار الهجرة » . ويصف المؤرخ السخاوى هذا الكتاب بأنه مفيد .

وكأن المطرى لم يشأ أن ينفرد وحـده بكتـاب فى تاريخ دار الهجـرة ومعالمها ، فاننا نجد ابنه المسمى العفيف عبد الله بن محمد بـن أحمد المطرى يلقى بدلوه فى الدلاء بين المصنفين حول دار الهجرة . فيخرج لنا كتابا عنوانه : « الاعلام ، فيمن دخل المدينة من الأعلام » .

ولا نعلم شيئا عن وجود هذا الكتاب أو مكان وجوده . ولـكن المؤرخين يذكرونه ، كالسخاوى فى اعلانه ، وابن حجر فى الدرر الكامنة جـ ٢ ص ٢٨٥ . وقدترجم له هذافى «درره» ترجمةلابأس بها ذكر فيها أنه ابتلى بمحنةسنة٧٤٢هـ فنهبت داره وأخذ منها المال الكثير وحبس ثم أطلق . ونقل عن زين الدين بن رجب ان العفيف هذا كان حافظ وقته ، وكان حسن الأخـلاق ، كثير العبادة ، حسن الملتقى للواردين من أهل العلم . وتوفى سنة ٧٦٥ هـ .

ونلتقى فى الفترة ذاتها بمؤرخ آخر ذكره السخاوى فى اعلانه ، وهو البدر عبد الله بن محمد بن أبى القاسم بن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩ هـ ، وقد أسهم هذا المؤرخ فى التأريخ لدار الهجرة بكتابه « نصيحة المشاور ، وتعزية المجاور » وهو كما يقول السخاوى يشتمل على تراجم جماعة من أهل المدينة . وقد ترجم له ابن حجر فى الدرر الكامنة جـ ٢ ص ٣٠٠ ، ولكنه لم يشر الى هـذا الكتاب ، كما ترجم له الزركلى فى الأعلام ولم يذكر هذا الكتاب من بين مؤلفاته .

أما صاحب كتاب « الديباج المذهب » فقد ترجم له ترجمة طويلة جيدة ص ١٤٤ طبعة ابن شقرون — وعد بضعة من مؤلفاته ، ولكنه لم يذكر من بينهـا الكتاب الذى أشار اليه السخاوى ، ولا ندرى ممن أخذ السخاوى ، معارفه ، وهل أتيح له الاطـلاع على الكتاب أم اكتفى بالنقل عن غيره ؟

ويصادفنا فى القرن التاسع الهجرى مؤلفان كتبا فى تأريخ دار هجرة الرسول عليه السلام ، أما أولهما فهو الزين أبو بكر بن الحسين بن عمر المراغى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، وكان زين الدين هذا من أعيـان المذهب الشافعى ، ولد بالقاهرة ، ورحل الى المدينة المنورة فاستوطنها قرابة نصـف قرن ، وولى خطابتها وقضاءها وأمامتها بعض الحين ومات فيها . واسم كتابه : « تحقيق النصرة ، بتلخيص معالم دار الهجرة » وهو فى تأريخ المدينة المنورة . وقد أشار السخاوى الى هذا الكتاب فى اعلانه ، وتحدث عنه فى « الضوء اللامع » جـ ١١ ص ٢٩ قائلا : « وعمل للمدينة تاريخا حسنا ، سماه تحقيـق النصرة ، بتلخيص معالم دار الهجرة ، فرغ من تبييضه فى رجب سنة ست وستين وسبعمائة ، وسمع منه عليه البرهان الايناس .. وقرأه عليه ابن الجزرى فى صفر سنةست وثمانين ، بسعيدالسعداء من القاهرة ، واثنى علىكل من المؤلف والمؤلف ، فقال : انه ملء العيون ، وشغف المسامع ، وجمع مؤلفه محاسن من تقدمه وزاد ، فلو قيل ما الفرق ، قلنا الفرق الجامع ، فهيج لى بذلك المغنى طربا ، وجدد الاشواق أربا ، وأدار على مسمعى مدامة توشحت حببا ، فقلت والقلب يقيم شوقا ويقعد أدبا :

أقول لصحبى عند رؤية « طيبة » وقد أطرب الحادى بأشرف مرسل
خليلى ! هـذا ذكره ، ودياره قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقد طبع هذا الكتاب من زمن غير بعيد .

أما ثانى الكتابين فهو « المغانم المطابة ، فى فضائل طابة » وطابة هو اسم

من أسماءمدينة الرسول،أودار الهجرة،وهىطيبةبفتح الطاءوسكون الياءوالطيبة والمطيبة . ومؤلف المغانم هو المجد الفيروز ابادى صاحب « القاموس المحيط » و « بصائر ذوى التمييز ، فى لطائف الكتاب العزيز » وغيرهما وقد توفى المجد سنة ٨١٧ أى بعد وفاة الزين المراغى بسنة واحدة .

بقى من المصنفات القديمة حول تاريخ دار الهجرة المنورة كتاب ظهر فى القرن العاشر الهجرى لمؤلفه على بن عبد الله بن احمد السمهودى ، مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها . وهو من مواليد مصر بقرية سمهود بالصعيد ، ورحل الى المدينة وهو فى سن الثلاثين فاستوطنها وتوفى بها سنة ٨٧٣ هـ . واسم كتابه : « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » . وقد أشار اليه السخاوى فى « الاعلان بالتوبيخ » ولكنه لم يحسن الظن به حيث قال : « وللسيد نور الدين السمهودى فى تاريخ المدينة مؤلف مفتقر الى تحرير ونظر » وقد طبع الوفاء فى مصر سنة ١٣٧٤ هـ فى مجلدين ، ورجع اليه كل من يكتب فى زماننا عن تاريخ الرسول وهجرته ، ودار هجرته ، فأفاد منه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه المشهور : « فى منزل الوحى » ، ووقف بعض وقفات طوال أمام رواياته ، وخاصة حول « المربد » حيث المسجد النبوى اليوم ، وحول مسجد السقيا الذى كان السمهودى أول من كشفه فى القرن التاسع الهجرى . كما أفاد منه ورجع اليه الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف حين ألف كتابه الجيد « مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول » وهو من منشورات دار الفكر العربى بالقاهرة .

ولم لا نضيف هذا الكتاب الأخير — أعنى كتاب مكة والمدينة — الى سلسلة الكتب القديمة التى شاركت فى التأريخ لدار الهجرة ومدينة الرسول ، التى حظيت — وما تزال تحظى — من المؤرخين المسلمين بكل رعاية وعناية واهتمام ؟

على أننا لا يفوتنا هنا الاشارة الى كتاب طيب ألفه أديب سعودى معاصر هو الاستاذ أحمد عبد القدوس الأنصارى ، وعنوانه « آثار المدينة » ، ويتصل بمدينة الرسول ودار هجرته من ناحية معالمها وآثارها المقدسة . وقد رجع اليه الاستاذ صالح محمد جمال فى تحقيقه لكتاب « الدرة الثمينة ، فى أخبار المدينة » ، الذى سبقت الاشارة اليه ، والذى طبع فى مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٣٦٦ هـ .

---

(١) جاء فى كشف الظنون ، طبعة استنبول جـ ١ ص ٢٣٠ ان اسمه عمر بن شيبة بزيادة ياء مثناة تحتية قبل الباء المفردة التحتية ، وهو خطأ .

(٢) يذكر حاجى خليفة أن اسم مؤلف (اتحاف الزائر) الشيخ الامام ابن عساكر ، ويذكر السخاوى أن اسمه أبو اليمن .

فى خيمة أم معبد

قال ابن القيم الجوزية فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد : فى سياق حديثه عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم :

ثم مر فى مسيره ذلك حتى مر بخيمتى أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبى بفناء الخيمة ثم تطعم وتسقى من مر بها فسألاها هل عندها شىء فقالت والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى والشاء عازب وكانت سنة شهباء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال : هل بها من لبن ؟ قالت هى أجهد من ذلك فقال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ فقالت نعم بأبى وأمى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ضرعها وسمى الله ودعا فتفاجت عليه ودرت فدعا بأناء لها بربض الرهط فحلب فيه حتى علته الرغوة فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب وحلب فيه ثانيا حتى ملأ الاناء ثم غادره عندها فارتحلوا ، فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزالا ، فلما رأى اللبن عجب فقال من أين لك هذا والشاة عازب ولا حلوبة فى البيت ؟ فقالت : لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك كان من حديثهكيت وكيت ومن حاله كذا وكذا قال والله انى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه ، صفيه لى يا أم معبد . قالت : ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزريه صعلة وسيم قسيم فى عينيه دعج وفى أشعاره وطف وفى صوته صحل وفى عنقه سطح أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر اذا صمت علاه الوقار وان تكلم علاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب حلو المنطق فضل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن ربعة لا تقحمه عين من قصر ولا تشنؤه من طول غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا الى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال أبو معبد والله هذا صاحب قريش الذى ذكروا من أمره ما ذكروا لقد هممت أن أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا واصبح صوت بمكة عاليا يسمعونه ولا يرون القائل :

جزى الله رب العرش خير جزائه — رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به — وأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم — به من فعال لا يجازى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم — ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها — فانكم ان تسألوا الشاة تشهد

في مستهل عام ١٣٩١ الهجري

ما هي التحديات التي تواجه العالم الاسلامي ؟

هذه محاولة لالقاء ضوء على أحوال الاسلام والمسلمين فى أوائل العقد الاخير من القرن الرابع عشر الهجرى ، ولم تبق الا سنوات قليلة حتى يبدأ القرن الخامس عشر الذى أرتجى كثير من دعاة الاسلام ومفكريه أن يكون بدأ عصر التحرر الكامل فى مختلف مجالات الاقتصاد والفكر والسياسة وبروز العالم الاسلامى كقوة عاملة فى سبيل بناء الحضارة الجديدة التى تترقبها البشرية : « حضارة التوحيد » بعد أن بلغت حضارة الغرب المعاصرة مرحلة يمكن ان توصف بأنها مرحلة الانهيار والانحلال بشهادة عشرات من الباحثين ، وليس هناك ما يمنع فى التاريخ ان تتجاور الحضارات وأن يبزغ نجم حضارة تعطى الانسانية ما تعجز عنه حضارة غاربة .

كذلك ظهرت الحضارة الاسلامية فى ابان افول حضارة الرومان ، وكذلك ظهرت الحضارة الغربية ابان انحدار الحضارة العربية ، ودورة

للأستاذ: أنور الجندي

التاريخ جارية بالحق ، وفق نواميس طبيعية وكل حضارة بلغت غايتها من القوة لا بد ان تتجه الى مرحلة الضعف حين يغلب عليها الترف والانحلال .

ومن حيث ضعفت الحضارة الاسلامية العربية تبدأ يقظتها ، وهى حضارة بناءة أخلاقية لا تفصل القيم الروحية عن القيم المادية ولكنها تجمع بينهما فى تناسق وتوازن ، أشبه بجناحى الطير الذى لا يحلق الا بهما معا ، فاذا توقف أحدهما اضطربت حركته وضعف عن التحليق .

ولقد بدأت يقظة العالم الاسلامى منذ وقت طويل ، وكان القرن الرابع عشر الهجرى هو قرن انبساط النفوذ الاستعمارى الى أوسع مداه ، وهو فى نفس الوقت قرن المقاومة والتحضير والمراجعة الواسعة لأسباب الضعف والتخلف ومحاولة بناء منهج أصيل للنهضة ، يدفعها الى الطريق الصحيح المفتوح على عودة العالم الاسلامى الى مكانه فى البشرية ودوره فى الحضارة . .

غير أن الاستعمار الغربى من خلال عشرات المؤسسات والحركات، قد حرص على استبقاء العالم الاسلامى فى مكان العاجز عن استثمار ثرواته وعن حرية حركته وتعاونه فى ظل مخطط مرسوم قوامه ابقاء السيطرة الاقتصادية والثقافية عليه ليظل دائرا فى فلك الغرب أطول وقت ممكن .

واذا كان الاحتلال العسكرى قد سحب وجوده من اعظم أجزاء العالم الاسلامى خلال هذا القرن فان النفوذ الاقتصادى والثقافى ما يزال قائما ومستمرا ، وما تزال الثروات الوطنية تتحرك ببطء فى سبيل الاستقلال ، وما تزال قضية الاقتصاد الاسلامى من أكبر المعضلات التى يرجى أن يجد لها المفكرون حلولا جذرية فى ضوء الاسلام وخاصة فى مجال التجارة والمصارف والربا والتأمين وغيره من قضايا مايزال النفوذ الغربى يفرض مفاهيمه ومخططاته على حركتها . .

فما تزال ثروات العالم الاسلامى معرضة للضياع ، دون أن تحقق الكثير لاصحابها ، ولعل ذلك يرجع أساسا الى ما يتطلع اليه المسلمون من تصحيح لمناهج التربية والتعليم والثقافة على النحو الذى يوجه العقل الاسلامى مرة أخرى الى خوض معركة العلم التكنولوجى وبناء نهضة اسلامية علمية لها مقوماتها وأهدافها العاملة لخدمة العالم الاسلامى نفسه ولا يتم ذلك الا بتعريب العلوم على النحو الذى عربت به العلوم فى القرن

الرابع الهجرى . فليس ما يجرى الان من تحويل أبناء المسلمين والعرب الى علماء فى داخل الفكر الغربى نفسه ومن واقع لغاته وعلومه بالطريق الصحيح أو الطريق الموصل الى قيام المؤسسة العلمية العربية الاسلامية التى لن تقوم الا بترجمة كل مراجع العلوم الى اللغة العربية وخلق حضانة عربية كاملة للعلوم الحديثة فى نطاق اللغة العربية ، وعندما يتم ذلك على نحو كامل يمكن أن يقال إن نواة الحضارة الاسلامية الجديدة من جانبها العلمى تكون قد أعدت ، فاذا أضيف اليها قيم الاسلام العقائدية والاخلاقية ومنهجه الاجتماعى والاقتصادى والقانونى ، تكامل جناحا الحضارة وبدأت تحلق لتقيم حضارة العصر الاسلامية التى يرتبط فيها العلم بالخلق ، والتى تستهدف اسعاد البشرية بعيدا عن أخطار الحضارة الغربية : « الذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا » .

فالحضارة الاسلامية هى التى علمت الانسانية ارتباط العلم بالخلق، وارتباط الدنيا بالآخرة ، وارتباط الروح بالمادة ، وهى التى حررت الانسان من أخطار الانانية والظلم والتفرقة الجنسية ، وهى التى بنت الشخصية الانسانية السليمة المتحررة من الترف والفساد والانحلال ..

فبناء العلم العربى قاعدة أساسية من قواعد بناء النهضة الاسلامية العربية لا معدى عنها ، و لاسبيل لها بغير بناء هذه القاعدة ، عن طريق اعداد مناهج للتربية والتعليم والثقافة تكون « قيم الاسلام » ركنها الركين، ذلك أن الأزمة الحقيقية التى تواجه العالم الاسلامى هى أزمة الغزو الثقافى أو ما أطلق عليه الغربيون عبارة « التغريب » وهى أزمة قد استحكمت وامتدت جذورها فى تربة الفكر الاسلامى بما أدخلت اليه من شبهات وما حرفت من مفاهيم وما حاولت تغييره من قيم تستهدف عزل المسلمين عن قيمهم الأساسية المستمدة من القرآن والسنة النبوية الصحيحة ، والتى يعد « التوحيد » قاعدتها المثلى ، وذلك بتسريب قيم من الثقافات الغربية الوثنية التى تتنافى فى أصولها مع قاعدة التوحيد وخاصة فى مجال القانون والتربية والاقتصاد والفنون .

وقد بدأت محاولة « التغريب » منذ اليوم الاول للاستعمار وتمثلت فى السيطرة على التعليم والصحافة والثقافة واستحصدت من خلال معاهد الارساليات ومؤسسات التبشير ومراكز الاستشراق ، واتخذت سبيلها من خلال دعوات الماسونية والبهائية والروحية الحديثة ومن خلال مذاهب ماركس وفرويد وديوى ودوركايم ووليم جيمس فى الاقتصاد والنفس والتربية والاجتماع .

هذه الدعوات والمذاهب التى حاول التغريب مؤيدا بالنفوذ الغربى بثها وحضانتها واغراء المثقفين بها .

ومن نتائج استشراء هذه المذاهب ضعفت القيم الاساسية للفكر الاسلامى والثقافات المستمدة منه وفى مقدمتها الثقافة العربية فقد أصابها الاضطراب فى فهم مفهوم المجتمع وحل قضية المرأة ، وفى تصور العلاقة بين الحضارة والثقافة ، وفى اضطراب الرابطة بين العروبة والاسلام وفى استعلاء النظرة المادية وفى تأخر مناهج الشريعة الاسلامية وفى تحرير قضايا اللغة الفصحى والعامية والاخلاق والمجتمع ، والفرد والجماعة ، والعلاقة بين الفلسفة والعلم وبين العلم والدين ، وبين الثقافة والمعرفة .

بل لقد حاولت مخططات التغريب أن تسىء تصـــوير دورنا فى الحضارة البشرية ، وان تنكر العمل الايجابى الضخم الذى قام به المسلمون والعرب حين قدموا للانسانية « منهج المعرفة القائم على ترابط العقل والوجدان » والمنهج العلمى التجريبى الذى قامت عليه التكنولوجيا العصرية

• • •

وقد جرت محاولات التغريب عن طريق مناهج التعليم ومفـاهيم الثقافة وكتابات الصحافة الى تصوير الاسلام بصورة الدين اللاهــوتى الذى يقصر أمره على العلاقة بيـن الله والانســان ، وتجاهلت وحاربت بعنف ، الصورة الصحيحة للاسلام والمفهوم الاساسى له والقائم على أنه « دين ومجتمع ومنهج حياة » يتكامل ولا ينفصل . فاذا عجز المسـلمون والعرب عن الاقتناع بهذا المفهوم والايمان به فان نهضتهم ستظل عاجزة عن أن تحقق هدفها فى بناء الحضارة الاسلامية الجديدة التى تتطلع اليها الانسانية .

ذلك لأن منطلق النظرة المادية الغربية التى تقوم عليها مـــذاهب فرويد وسارتر وديوى وغيره هو الانفصال الكامل بين الاديان وبيـــن علاقات المجتمع ، وتحرر هذه العلاقات من الجزاء الأخروى ، فاذا ثبت فى أذهان المسلمين « وهو هدف رئيسى للتغريب » ان الدين علاقة بين الله والفرد ، وحجب عنهم علاقته بالمجتمع وقيامه على المســئولية الفردية ذات الجزاء الأخروى ، فقد انصهروا فى الفكر الغربى والحضارة الغربية ولم يعد للتحلل الخلقى أو الانفصال بين العقل والروح أى قيمة فى نظرهم ، ومن هنا يكون العالم الاسلامى بكيانه وفكره قد القى نفسه فى بوتقة العالمية والأممية الغربية القائمة على مفاهيم المادية والعلمانيــة المستمدة أصولها من الوثنية الأغريقية .

وما تزال هذه المفاهيم المستمدة من الفلسفات الوثنية سواء الافريقية أم الهندية القديمة ام الفارسية المجوسية تظلل الكثير من القيم الاسلامية التوحيدية وتحجب طابعها الحقيقى خاصة فى مجال التصوف والأخـلاق والتاريخ والتربية ، وتمثل انحرافات خطيرة تؤخر النهضة الاسلاميـــة وتحول بينها وبين تحقيق هدفها .

ذلك ان للاسلام ومنهجه الفكرى أيدلوجية لها طابعها الذاتى ولهـــا مقوماتها المفردة ، ولها مزاجها النفسى والاجتماعى الخـــالص الذى لا يختلط ولا يضطرب بأى ايدلوجيات أخرى والذى يهدف أساسا تحرير الانسانية والانسان من الوثنية والقيود والاغلال التى فرضتها الحضارات الرومانية والاستعمار الغربى والتى استمدتها من فلسفة أرسطو وفلسفة افلاطون حول تقسيم المجتمعات الى سادة وعبيد ، ذلك أن الاسلام حين جاء انما أراد أن يعيد للانسان اعتباره فى المساواة والعدل والاخاء حيث لا سيادة لأبيض على أسود ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، وحيث جعل تمايز الناس بالعمل والتقوى وليس بالعناصر والألوان والأمم .

واذا كانت أكبر معضلات المجتمع العالمى المعاصر تتمثل فى دعوته الى مطالب ثلاث هى :

(١) العدل الاجتماعى (٢) رفع قيد التفرقة العنصرية (٣) الشـورى « الديمقراطية » فان حلول هذه المعضلات موجودة فى الاسلام ، وفى قدرة

الحضارة الاسلامية المقبلة أن تقدمه للبشرية ، شريطـــــة أن تستكمل وجودها بفرض ذاتيتها ، والاستمداد من جوهرها ، والتماس مصـــادرها الاصيلة والتحرر من القيود التى فرضها النفوذ الاستعمارى والغـــزو التغريبى الثقافى عليها .

لقد آن للعالم الاسلامى والأمة العربية فى مقدمته حاملة لواء اليقظة أن تتحرر من التبعية للنظريات الغربية والقيم الغربية وأن تحرر الفكـــر الاسلامى بالتماس منابعه وأن يكون القرآن مصدرا هاديا اساسيا للقانون والأدب والفكر جميعا ، وان يحمل المصلحون لواء تحرير المفاهيم من الافكار الزائفة والعقائد المنحرفة ، وان يصححوا ما دسته الشعوبية والاستعمار والاباحية فى تاريخ الاسلام وفكره من سموم وأخطاء .

• • •

هذا ولا نستطيع أن نتجاوز الحديث عن أخطار التغريب دون أن نذكر تحديات القوى الاستعمارية العالمية وواجهته اسرائيل التى اتخذت رأس جسر فى فلسطين منذ اكثر من عشرين عاما والتى استطاعت ان تمـــزق وحدة الامة العربية والعالم الاسلامى باقامة مرتكز لها عام ١٩٤٩ ، ثم استطاعت عام ١٩٦٧ أن تسيطر على القدس فضـــلا عن توسعاتها فى صحراء سيناء والجولان والضفة الغربية للاردن .

وما تزال الصهيونية العالمية وواجهتها اسرائيل تمثل أخطر نقـــاط النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامى من خلال مطامعها فى التوســـع والسيطرة .

وقد ادخلت هذه « النكبة » الامة العربية فى « أزمة » من أخطـــر أزمات تاريخ العالم الاسلامى والتى تمثلت فى الحروب الصليبية وحملات التتار وغزو الفرنجة لاسبانيا الاسلامية وللمغرب العربى . وتمثل حركة الصهيونية العالمية مرحلة جديدة من مراحل النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامى ، من حيث مطامع هذه الحركة التى صورتها بروتوكولات صهيون والطامعة فى السيطرة على الحضارة العالمية والشعوب والأديان ،والتى تعمل مؤسسات الماسونية والبهائية ودعوات التغريب وحملات التشكيك ومذاهب العرى والاباحة والهيبز وموجات الجنس التى تحملها الأفـــلام السينمائية والمسرحيات ، تعمل على تمهيد الطريق لأخطر مؤامرة تواجه البشرية ، من حيث محاولة السيطرة على العالم والحضارات بعـــد أن وصلت الى قدر كبير من احتواء المذاهب والفلسفات وتيارات الحضـــارة ومؤسسات العلوم والذرة والتكنولوجيا .

غير أن يقظة الامة العربية « بحسبانها قلب العالم الاسلامى وأكبر أهداف السيطرة الاستعمارية » الى هذه المخططات وكشفها لهذه المؤامرات وتعرية هذه الدوافع ، وتحرير الفكر العربى الاسلامى ، من مخططـــات التبشير والتغريب والشعوبية وتصحيح مفاهيمه وتحريره والتمـــاس منابعه وأصوله ، من شأن هذا كله أن يحطم أهداف القوى الاستعمارية ومخططات الصهيونية العالمية ، ومن هنا تعلو كلمة « الحق » التى يشرق من خلالها ضياء فجر جديد للانسانية وتبزغ فى نوره الحضارة الاسلامية الجديدة هدى للبشرية وسلاما وأمنا للعالمين .

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار محمد فيض

تعريف عـــام بالاســلام

من تأليف الأستاذ على الطنطاوى وهو كتاب جديد يعرف الاسلام باسلوب سهل بدليل قوى وواقعية صادقة .

ولكى نعطى الكتاب حقه من التقدير العلمى ، ونعرف قيمته فى حقل الدعوة الى الاسلام ينبغى أن نعرف ان المؤلف وهو من كبار الدعاة واعلام الأدباء والمربين يعتبره أملا من آماله كان يراوده خلال أربعين عاما حتى بدأ بتحقيقه فكان هذا الكتاب .

وهذا الكتاب ضرورى لمن يجهل الاسلام ، وللمترددين أو الشاكين ، فهو يزيـل شكوكهم بلا تعسف ويوضح أسس الاسلام ومبادءه بلا تعقيد ، ويغنى عن عديد من الكتب فى هـذا الباب ، وهو يقع فى٢٢٥ صفحة، ومن منشورات مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ص‌ب ٤٤٧٩ بيروت ــ لبنان

ملحمـــة عمـر

لأديب العروبة والاسلام الاستاذ المرحوم على أحمد باكثير وهى الملحمة التى تتناول سيرة ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتفرغ الكاتب لكتابتها سنتين قبل وفاته ، وقد صدرت طبعتها الأولى فى ثمانية عشر جزءا هى على التوالى ــ على أســوار دمشق ، معركــة الجسر ، كسرى وقيصر ، أبطال اليرموك ، تراب من أرض فارس ، رستم ، أبطــال القادسية ، مقاليد بيت المقدس ، صلاة فى الايوان ، مكيدة من هرقل ، عمر وخالــد ، سر المقوقس ، عـــام الرمادة ، حديث الهرمزان ، شطا وارمانوسة ، الولاة والرعية ، القــوى الأمين ، غروب الشمس

وهذه الملحمة صيغت فى قالب مسرحى ، وتقع فى حوالى ٢٢٠٠ صفحة ، وطبعت فى مطابع دار البيان ص ب ٢٠١٧ الكويت .

العالم الاسلامى ... والاستعمار السياسى والثقافى والاجتماعى

قصة الاستعمار مع الاسلام والمسلمين فى هذا العصر قصة عجيبة تمتلىء بالدروس والعبر ، وتحفل بكل الوسائل والحيل التى أصطنعها الاستعمار للاستيلاء على أرض المسلمين ومقــدراتهم الفكرية والثقافيـــة .

وللأسف الشديد فان هذه القصة ما زالت تعانى فراغا فى المكتبة العربية بينما كتاب الغرب قد نشطوا من زمن طويل للدراسات المتخصصة حــول الاسلام وشئون المسلمين .

وكتاب الأستاذ أنور الجنــدى « العالم الاسلامى والاستعمار السياسى والثقافى والاجتماعى » يملأ فراغا كبيرا فى هذه الناحية ، وقد تعرض فيه الأستاذ الجنــدى الى مختلف احابيل الاستعمار وطرقه فى السيطرة على المسلمين ، وتغيير مجرى ثقافتهم وتغريب حياتهم الاجتماعية فى أسلوب سهل وعرض أمين، والكتاب يقع فى٤٩٩ صحيفة من القطع الكبير، وقامت بنشره دار المعرفة بالقاهرة .

عبد العزيز الرشــيد

ترجمة لمصلح كبير وعالم جليل برز فى الكويت فى أواخر القرن الماضى ومطلــع هــذا القــرن وامتد أثره الى العالمين العربى والاسلامى وهو المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد . وقد لخص مؤلف الكتاب الأستاذ يعقوب العودات (البدوى الملثم) حياة المترجم لــه أحسن تلخيص ، وجاء الكتاب دالا بايجاز على تاريخ الكويت الحديث ، وعلى صورة الفترة التى عاشها .

وقد اعتمد المؤلف فيما كتب على علمه الخاص ، وعلى دراسته للمؤلفات العديدة التى أصدرها المترجم له ، والشعر الذى خلفه ، والمقالات التى حررها ، وجاء ذلك كله فى سرد مسلسل وأسلوب أدبى تاريخى . والكتاب يحتوى على ٧٠ صفحة ومن طبع دار المعارف بمصر .



للدكتور
أحمد الشرباصي

جاء فى « معجم مقاييس اللغة » ، أن مادة « هجر » لها أصلان ، أحدهما يدل على قطع أو قطيعة ، والآخر يدل على شد شىء أو ربطه ، وهاجر القوم من دار الى دار : تركوا الأولى للثانية ، واذا كانت الهجرة فى الأصل مشتقة من الهجر ، وهو ضد الوصل ، فان الكلمة قد غلبت على الخروج من أرض الى أرض ، والمهاجر — بفتح الجيم — هو موضع الهجرة ، والتهجير : التبكير الى الشىء ، وفى الحديث : « لو يعلم الناس ما فى التهجير لاستبقوا اليه » والهجر — بضم فسكون — هو الفحش فى الكلام .

هذا بعض حديث اللغة عن مادة « الهجرة » فما حديث القرآن الكريم عنهـــا ؟

هجرة بين القرآن والسنة

لقد وردت هذه المادة فى التنزيل المجيد فى ثلاثين موضعا ، وقد وردت بمعنى الترك والبعد والقطع فى قوله تعالى فى سورة المدثر : « والرجز فاهجر » وفى سورة مريم : « لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا » وفى سورة المزمل : « واصبر على ما يقــولون واهجرهم هجرا جميلا » ، وفى ســورة النساء : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع » وفى سورة الفرقان : « وقال الرســول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا .. »

وجاءت المادة فى موضع واحد بمعنى الهذيان والقول الفاحش ، فذلك فى « سورة المؤمنون » : « مستكبرين به سامرا تهجرون » أى تهــذون بالطعن فى الآيـــات .

ولكن الأغلب فى استعمال القرآن الكريم لمادة الهجرة هو أن يراد بها معنى الارتحال والانتقال من مكان الى مكان ، أو من بلد الى بلد ، فرارا من ضلال أو أذى ، وطلبا لموطن سكينة وطمأنينة ، وهذه الهجرة هى التى نوه بها القرآن ودعا اليها ، وزكى سيرتها ، ومدح أهلها ، وذم المتقاعسين عنها بعد لزومها ووجوبها ، ففى سورة النساء نجد هذه الآيات :

« ان الذين توفـــاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قـــالوا فيم كنتم قالـــوا كنـــا

مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما .. » .

وهذه الآيات تجلو لنا عدة أمور منها :

١ ــ الاسلام يطالب بالهجرة عند التعرض للذل ، أو تعرض العقيدة للضياع .

٢ ــ من يقدر على الهجرة عند وجوبها ولا يهاجر يعرض نفسه للعذاب الالهى الأليم .

٣ ــ العاجزون عن الهجرة لضعف أو قلة حيلة أو مانع قهرى ، يعفو الله عنهم ولا يؤاخذهم .

٤ ــ أرض الله تعالى رحيبة فسيحة ، فيها متسع لمن ضاق به جانب من جوانبها أو طغى عليه .

٥ ــ الهجرة لله كالجهاد فى سبيله ، فمن مات وهو على طريقها ضمن له ربه أجر المجاهدين .

وما دام للهجرة فى سبيل الله تعالى هذه المكانة فلا غرابة أن يعطر القرآن الحكيم حديثها وأن يكرر ذكرها وأن يمجد أهلها ، فنجد فى سورة البقرة : « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » . وفى سورة آل عمران : « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب . » وفى سورة التوبة : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم » ، وفى سورة النحل : « والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » وفى السورة نفسها : « ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » وفى سورة الحج : « والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين . ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ..

. . . . . .

وقد فهمنا من آية النساء التى سبقت ، وهى قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن الأرض واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » . ان الممتنع عن الهجرة المطلوبة مع القدرة عليها يكون آثما لأن الهجرة حينئذ تكون واجبة مفروضة ، وقد قال الامام مالك بوجوبها .

وحينما تعرض جار الله الزمخشرى لتفسير الآية قال فيما قال : « وهذا

دليل على أن الرجل اذا كان فى بلد لا يتمكن فيه من اقامـــة أمر دينه كما يجب ، لبعض الأسباب ــ والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر ــ أو علم أنه فى غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة ، حقت عليه المهاجرة ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « من فر بدينه من أرض الى أرض ــ وان كان شبرا من الأرض ــ استوجبت له الجنة ، وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد » عليهما الصلاة والسلام (١) « اللهم ان كنت تعلم أن هجرتى اليك لم تكن الا للفـــرار بدينى ، فاجعلها سببا فى خاتمة الخير ، ودرك المرجو من فضلك ، والمبتغى من رحمتك ، وصل جوارى لـــك بعكوفى عند بيتك بجوارك فى دار الكرامـــة ، يا واسع المغفرة » .

واذا كانت الهجرة تقع فرارا من شىء ، أو طلبا لشىء ، فان كلا منهما أقسام ، فهجرة الفرار من شىء ــ كما ذكر ابن العربى ــ ستة أقسام :

الأول : الهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام ، وقد كانت فرضا فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذه الهجرة مفروضة باقية الى يوم القيامة ، والتى انقطعت بفتح مكـــة هى القصد الى النبى حيثما كان .

الثانى : الخروج من أرض البدعة ، كأن يكون فيها من يسبون السلف أو يأتون المنكر ، لقول الله تعالى فى سورة الأنعام : « واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » .

الثالث : الخروج من أرض يغلب عليها الحرام ، لأن طلب الحلال فريضة على كل مسلم .

الرابع : الفرار من الأذية فى البدن ، وهذه رخصة من فضل الله تعالى ، وأول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام فانه لما خاف من قومه قال : « انى مهاجر الى ربى » وقال : « انى ذاهب الى ربى سيهدين » وقال القرآن عن موسى : « فخرج منها خائفا يترقب » .

الخامس : الخروج لخوف المرض فى البلاد الـــوخمة ، والانتقال الى الأرض الطيبة .

السادس : الفرار خوف الأذية فى المال ، فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه ، والأهل مثله وأوكد .

والخروج لطلب الشىء قسمان : طلب دين ، وطلب دنيا ، وطلب الدين يتعدد بتعدد أنواعه ، فقد يكون سفرا للعـــبرة ، لقوله تعالى : « أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » ، وقد يكون سفرا للحج وهو فرض على من استطاع اليه سبيلا ، وقد يكون الخروج للجهاد وهذا له أحكامه المقررة ، فقد يكون فرض كفايـــة وقد يكون فرض عين ، وقد يكون السفر لطلب الضرورى من أمور المعاش وهذا مفروض عليه شرعا ، ويجوز السفر لهـــذا الغرض اذا كان يريد التجارة وكسب الزائد عن القوت ، لقوله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » . وقد يكون الخروج لطلب العلم ، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ، وقد يـــكون الخروج بنية العبادة فى أماكن نص عليها الشارع ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشـــد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ، ومســـجدى بالمدينـــة ، والمسجد الأقصى » ، وقد يكون الخروج للمرابطة فى الثغور ، وقد يكون لزيارة الأخوة فى الله بنية الحب فى الله .

وأما الخروج لطلب الدنيا فأنواعه كثيرة تختلف باختلاف مقاصد العباد وتنوع البلاد .

ولقد أورد « تفسير المنار » رأى الامام محمد عبده فى الهجرة بعد أن ذكر خلاف الفقهاء فى وجوبها وبقائه أو عدم بقائه ، ونص على أن المالكية يقولون بالوجوب ، ثم قال : « ولا معنى عندى للخلاف فى وجوب الهجرة من الأرض التى يمنع فيها المؤمن من العمل بدينه ، أو يؤذى فيه ايذاء لا يقدر على احتماله وأما المقيم فى دار الكافرين ، ولكنه لا يمنع ولا يؤذى اذا هو عمل بدينه ، بل يمكنه أن يقيم جميع أحكامه بلا نكير ، فلا يجب عليه أن يهاجر ، وذلك كالمسلمين فى بلاد الانكليز لهـذا العهد ، بل ربما كانت الاقامة فى دار الكفر سببا لظهور محاسن الاسلام واقبال الناس عليه » .



واذا كان القرآن الكريم قد تحدث عن الهجرة مصرحا بمادتها فى عدة مواطن منه ، فانه قد تحدث عنها فى مواطن أخرى بمادة « الاخراج » فقال فى سورة البقرة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله » وقال فى سورة التوبة : « ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسـول » وقال فى سورة محمد : « وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم » وقال فى سـورة الممتحنة : « يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقـد كفروا بما جاءكم مـن الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهـادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى » وفى سورة الأنفال : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وليس المراد من اخراج المشركين للرسول والمؤمنين المهاجرين من ديارهم بغير حق ، ان المشركين تولوا طـردهم واخراجهم بالفعـل ، مجتمعين أو متفرقين ، فان كثيرا من المهاجرين قد خرج مستخفيا ، كمـا خرج النبى عليه الصلاة والسلام مع صاحبه أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وانما المراد أنهم كانوا سببا فى هجرة هؤلاء المؤمنين بالكفران الذى كان من المشركين وعنادهم واضطهادهم للمؤمنين وايذائهم للمستضعفين منهم .

ولا شك أن أفضل أنواع الهجرة التى تحدث عنها القرآن الكريم هى هجرة سيد البشرية وامام الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ولقد تجلت فى حـادث الهجرة عناية الله تعالى برسوله وحفظه له ، وحسبنا أن نسمع فى ذلك قول الحق جل جلاله : « ألا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السـفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

لو عرفنا الظرف الدقيق الحرج الذى كانت عنده الهجـرة لأدركنا مبلـغ عناية الله بنبيه ، ولرأينا مبلـغ المكر الأثيم الذى أراده المشركون برسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فقد روى ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم فى تفاسيرهم ، وأبو نعيم والبيهقى فى دلائل النبوة عن ابن عباس رضى

الله عنه ، روايات منها هذه الرواية التى نقلها السيوطى فى « الدر المنثور » عن ابن عباس قال : « ان نفرا من قريش ، ومن اشراف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، واعترضهم ابليس فى صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من أهل نجد ، سمعت بما اجتمعتم له ، فأردت أن احضركم ، ولن يعدمكم منى رأى ونصح . قالوا : أجل فادخل ، فدخل معهم فقال : ــ انظروا فى شأن هذا الرجل ، فوالله ليوشكن أن يواثبكم فى أمركم بأمره ، فقال قائل : احبسوه فى وثائق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير ونابغة ، فانما هو كأحدهم .

فقال عدو الله الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله ليخرجن رائد من محبسه لأصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ، ثم يمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم ، فانظر فى غير هذا الــرأى .

فقال قائل : فأخرجوه من بين أظهركم فاستريحوا منه ، فانه اذا خرج لم يضركم ما صنع وأين وقــع ، واذا غــاب عنكم أذاه استرحتم منــه ، فانه اذا خرج لم يضركم ما صنع ، وكان أمره فى غيركم .

فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، الم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذه للقلوب بما تســمع من حديثــه ، والله لئن فعلتــم ثم استعرض العرب لتجتمعن عليه ، ثم ليسيرن ، اليكم حتى يخركم من بــلادكم ويقتل أشرافكم .

قالوا : صدق والله ، فانظروا رأيا غير هــذا .

فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأى لا رأى غيره .

قالوا : ما هــذا ؟

قال : نأخذ من كل قبيلة غلاما وسطا شابا نهدا ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ، ثم يضربونه به ضربة رجل واحد ، فاذا قتلتموه تفرق دمــه فى القبائل كلها ، فلا أظن هــذا الحى من بنى هاشم يقــدرون على حرب قريش كلهم ، وانهم اذا رأوا ذلك قبلوا العقل (الدية) واسترحنا ، وقطعنا عنا أذاه .

فقال الشيخ النجدى : هــذا والله هو الرأى ، القــول ما قال الفتى لا أرى غيره .

وتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له ، فأتى جبريل عليــه الســلام النبى صلى الله عليه وسلم فأمره الا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم ، فلم يبت رسول اللــه صلى الله عليه وسلم فى بيته تلــك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك فى الخروج ، وأمرهم بالهجرة ، وافترض عليهم القتال ، فأنزل الله : « واذ يمكر بك الذين كفــروا ليثبتوك أو يقتلــوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

ومن الملامح التى نلحظها فى حديث القرآن عن الهجرة انه يقرنها بالايمان فى كثير من المواطن ، وكأنه يشير بذلك الى أن الهجرة ثمرة من ثمرات الايمان ، لأن من آمن بالله واستجاب لــه ، يخرج مهاجرا فى سبيل ربــه اذا رأى أن فى هــذه الهجرة نصرا لدينه أو حماية لعقيدته ، ولذلك نجد القرآن فى سورة البقرة يقول : « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئــك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم) . ويقول فى سورة التوبة « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى ســبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجــة عند الله

واولئك هم الفائزون » وفى سورة الممتحنة « يا أيهـا الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهم فان علمتوهن مؤمنـات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » .

وأحيانا يشير القرآن الكريم الى الايمان المطلوب مـع الهجرة ، فيذكره بغير لفظه كما اذا وصف الهجرة بأنها فى الله أو فى سبيـل الله ، لأن ذلـك يقتضى الايمان ، ففى سورة النساء : « ومن يهاجر فى سبيل الله » وفى سورة النحل « والذين هاجروا فى الله » وفى سورة الحج « والذين هاجروا فى سبيل الله » ... وفى سورة النور « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسـعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله » وفى سـورة العنكبـوت « فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم » .

ولأن الهجرة تستلزم الايمان جاء فى حديث عمر رضى الله عنه ــ كما فى النهاية ــ أنه قال : « هاجروا ولا تهجروا » أى أخلصوا الهجرة لله تعـالى ، ولا تتشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم أو ايمان عندكم .

والقرآن يرينا مـدى الارتباط بين الايمان والهجرة ، حين يحدثنا فى أواخر سورة الأنفال عن اقسام المؤمنين الموجودين على عهد الرسول صـلى الله عليه وسلم ، فيشير الى أنهم أربعة أصناف :

الصنف الأول : صنف المؤمنين المهاجرين المجاهدين ، وهم الذين هاجروا من مكة الى المدينة قبل غـزوة بدر ، وهؤلاء هم أفضل الأصناف .

الصنف الثانى : هم الأنصار الذين آووا المهـاجرين ونصروهم ، وهـذا الصنف يرتبط بالصنف السابق برابطة التعاون والتناصر وتبادل الولايـة فيمـا بينهم ، فكل مناصر لأخيه ، فهم يتشاركون ويتكافلون .

الصنف الثالث : صنف المسلمين الذين لم يهاجروا ، بل ظلوا باختيارهم بين المشركين فى دار الحرب ، وهؤلاء لا يثبت لهم شىء من ولايـة المسلمين المستقرين فى دار الاسلام ، اللهم الا اذا كان هناك اضطهاد لهم بسـبب دينهم من المشركين .

الصنف الرابع : هم الذين تأخر ايمانهم وهجرتهم عن الهجرة الأولى ، وهذا الصنف يلحق بمن سبقه من المهاجرين والانصار .

يقول الله تعالى فى تلك الأصناف :

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل اللـه . والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجـروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجـروا . وان استنصروكم فى الدين فعليكـم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصيـر . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير . والذين آمنـوا وهاجروا وجاهـدوا فى سبيل الله والـذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معـكم فأولئك منكم والوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتـاب الله ان الله بـكل شىء عليم » .

ويقرب من هـذا ما ذكره الله تعالى فى سورة الحشر ، حيث يقول عن طوائف من المؤمنين السابقين واللاحقين : « للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ،

ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم . »

هذا بعض حديث الهجرة فى القرآن الكريم .

ثم يأتى حديث الهجرة فى السنة المطهرة :ـ

لعل أول ما يشد أفكارنا وأبصارنا هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته الى ماهاجر اليه » .

فهذا الحديث صريح فى الدلالة على أن الهجرة الشرعية المحمودة عند الله تعالى هى الهجرة الخاصة القائمة على الايمان وصدق الاستجابة لله وللرسول ، وكأن هذا تأكيد لما لمحناه من قرن التنزيل المجيد بالايمان فى مواطن كثيرة .

ولقد تعرض شبهة التعارض بين قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » وقوله فى حديث آخر « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة » ولكن ابن الأثير يجمع بين الحديثين بقوله : « الهجرة هجرتان : احداهما التى وعد الله عليها الجنة فى قوله « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » فكان الرجل يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويدع أهله وماله لا يرجع فى شىء منه ، وينقطع بنفسه الى مهاجرة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أن يموت الرجل بالأرض التى هاجر منها ، فمن ثم قال : « لكن البائس سعد بن خولة » يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة وقال حين قدم مكة « اللهم لا تجعل منايانا بها » فلما فتحت مكة صارت دار سلام كالمدينة ، وانقطعت الهجرة .

والهجرة الثانية : من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين ، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى ، فهو مهاجر ، وليس بداخل فى فضل من هاجر تلك الهجرة ، وهو المراد بقوله : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة » .

فهذا وجه الجمع بين الحديثين ، واذا أطلق فى الحديث ذكر الهجرتين فانما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة .

ويظهر لنا من السنة كذلك أن التوجيه الالهى الى الهجرة كان سابقا على تنفيذها بمدة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل ، فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو هجر ، فاذا هى المدينة « يثرب » واليمامة هنا مدينة من اليمن على مرحلتين من الطائف ، وهجر بلد من البحرين ، كان فيها مساكن عبد القيس .

وقال النبى فى حديث آخر : « انى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان » فهاجر من هاجر الى المدينة ، وعاد المهاجرون الى الحبشة منها الى المدينة « والحرة » هى الحجارة ذات اللون الأسود واذا كانت الهجرة من مكة الى المدينة ، ذات شأن وجلال ، فان السنة المطهرة تحدثنا بأن هناك هجرة أخرى ذات شأن وجلال ، فقد جاء فى الصحيحين عن أبى موسى رضى الله عنه قال :

بلغنا مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين اليه ، أنا واخوان لى ، أنا أصغرهما ، أحدهما أبو بردة ، والآخر أبو رهم ، فى بضع وخمسين رجلا من قومى ، فركبنا سفينة ، فألقتنا الى النجاشى

بالحبشة ، فوجدنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر : ان النبى صلى الله عليه وسلم بعثنا ههنا ، وأمرنا بالاقامة ، فأقيموا معنا .

فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا ، فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فأسهم لنا وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا ، الا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فقسم لهم معهم ، فقال بعض النـاس لنا : نحن سبقناكم بالهجرة .

فدخلت أسماء بنت عميس ، على حفصة رضى الله عنها تزورها ، فدخل عمر عليهما فقال : من هذه ؟ فقالت : أسماء بنت عميس . فقال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ فقالت أسماء : نعم . فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم .

فغضبت وقالت : كذبت ياعمر ، كلا والله ، كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا فى أرض البعداء البغضاء فى الحبشة ، وذلك فى الله وفى رسوله ، وايم الله لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا ، حتى أذكر ماقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن كنا نؤذى ونخاف ، وسأذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسـأله ، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك .

فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم قالت : يا نبى الله ، ان عمر قال كـذا وكـذا .

فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم : ليس بأحق بى منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان .

قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوننى ارسالا ، يسألوننى عن هـذا الحديث ما من الدنيا شىء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالت : فكان أبو موسى يستعيد هذا الحديث منى .

وبعد ، فاذا كان هناك خـلاف فى فرضية الهجرة الحسية من مكان الى مكان على توالى الزمـان ، فانه لا خلاف هناك على الهجـرة المعنوية الروحية فانها واجبة على المؤمن دائما ، وهجرة الـروح هى أن يولى الانسان وجهه وقلبه دائما الى طاعة ربه واتباع رسوله ، ولذلك يقول الامام ابن القيم فى كتابه « طريق الهجرتين » ان المسلم له فى كل وقت هجرتان : هجرة الى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والانابـة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء ، والاقبال عليه ، وصدق اللجوء والافتقار فى كل نفس اليه وهجرة الى رسوله ، فى حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة ، بحيث تكون موافقة لشرعه الذى هـو تفصيل محاب الله ومرضاته ، ولا يقبل الله من أحد دينا سـواه ، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زادا لمعـاد .

وقد قال شيخ الطريقة وامام الطائفة الجنيد بن محمد قدس الله روحه : الطرق كلها مسدودة الا طريق من اقتفى آثار النبى صلى الله عليه وسلم ، فان الله عز وجل يقول : « وعزتى وجلالى ، لو أتونى من كل طريق ، واسـتفتحوا من كل باب ، لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك » . . .

صلاة وسلاما على صاحب الهجرة رحمة الله للعالمين .

---

(١) استشهد الزمخشرى بهذا الحديث ، وقد علق عليه ابن حجر العسقلانى بقوله : أخرجه الثعلبى فى تفسير العنكبوت ، من رواية عباد بن منصور الناجى عن الحسن مرسلا .

تقرير مفزع عن التدخين

اذاعت كلية الاطباء الملكية البريطانية تقريرا من ١٥٠ صفحة عن أضرار التدخين قالت فيه ان ٢٧٥٠٠٠ بريطانى تتراوح أعمارهم بين ٣٤ و ٦٥ يموتون سنويا نتيجة تدخين السجائر الذى اصبح من العوامل الكبرى للفتك بالأرواح ، تماما كما كــان حال مرض التيفود والكوليرا والسل خــلال الاجيال السابقة .

وحذرت الكلية من انه اذا استمر الحال على ما هــو عليه ، فان أكثر من ١٥٥ ألف بريطانى سيموتون سنويا بسرطان الرئة خــلال الثمانينات .

وأكدت هذه الكلية الشهيرة أن ٩٠ فى المائة من حالات الوفاة بسرطــان الرئــة تحدث نتيجة التدخين . وأن مدخنى السجائر أكثر عرضة للوفاة فى الأعمار المتوسطة بنسبة الضعف عن غيــر المدخنين ، كما أن شخصين من كل خمسة مدخنين يموتون قبل أن يبلغوا الخامسة والستين مــن اعمارهم

وذكر التقرير أيضا أن من بين الأسباب الرئيسية لحدوث الوفــاة بين المدخنين الاصابــة بسرطــان الرئة والنزلات الشعبية المزمنة . وتليف الكبد . والسل وامراض الشريــان التاجى والذبحة الصدرية ، وانتفاخ الرئة ، وسرطان الفم والبلعوم والحنجرة والمثانة والبنكرياس . يضاف الى ذلك ان الاطفال الذين تلدهن نساء يدخن السجائر يولدون أقل فى الوزن الطبيعى بما يتراوح بين ١٥٠ الى ٢٤٠ جراما ، كما أن هؤلاء الأمهات أكثر عرضة « للسقط » والولادة قبل الاوان .

وأوصى التقرير بمنع جميع اعلانات السجائر ومنح جوائز مجزية لغير المدخنين عن طريق شركات التامين والزام الشركات المنتجة بوضع تحذير من التدخين على علب السجائر كما يحدث حاليا فى الولايات المتحدة الاميركية .

واختتمت الكلية البريطانية تقريرها بان ذكرت انه ينبغى على الحكومة والبرلمان أن يختــارا ما بين مصدر سهل للدخل القومى « يقصد السجائر » وبين الحفاظ على الارواح والقدرة الانتاجيــة للمواطنين .

وقد اســـتغرق ملايين من البريـــطانيين فى تفكير عميــق واســـتبد بهم التردد قبــل أن يشعلوا سجائرهـــم الاولى ، وذلك بعد ان قرأوا فى ذهــول التقرير الـــذى اذاعته كليـــة الأطباء الملكية البريطانية وقالت فيه بايجاز « أقلعوا عن التدخين .. والا عاجلتكم المنية » .

وقد أوصت الكلية باتخاذ أربعة اجراءات للحيلولة دون وفاة ٣٠ الف شخص سنويا تتراوح أعمارهم بين الخامسة والثلاثين والرابعة والستبن بسبب التدخين . وهذه الاجراءات هى : ــ

١ ــ منع الاعلان عن السجائر فى كل وسائل الاعلام . ٢ ــ طبع تحذيرات شديدة من التدخين على كل علبة سجائر . ٣ ــ اقــلاع جميع الأطباء عن التدخين فورا . ٤ ــ منع التدخين فى كــل الأماكن العامــة .

وقد أعلنت الكلية على اثر اذاعة تقريرها ، أنها أعدت حملات ضد التدخين فى كل أنحـــاء بريطانيا وأنها ترجو أن تجمع تبرعات تصل الى مليون جنيه استرلينى سنويا للانفاق على الملصقات والمنشورات واعلانات التلفزيون .

هجرته

عليه الصلاة والسلام

نحن مع عام جديد من أعوام الهجرة التى ارتضيناها تاريخا لمسيرتنا وقيدا نقيد به أعمالنا .

وقد اخترنا هذا التاريخ بالذات لأنه يهدى الينا خطة العمل ، ويفتح أمامنا طريق الأمل ، ويذكرنا فى كل موقف من مواقفنا باليقين المنتصر على الكفر .. وبالثقة المتغلبة على التردد والقلق والخوف .

واذا كانت كل خطوة من خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم عملا محسوبا فى صميم بناء الدعوة الاسلامية ، وخطة محكمة لتربية المؤمنين وتعليمهم أساليب الكفاح والجهاد واعدادهم لمواجهة أخطاء الفتن ، فقد وجب أن نجد فى الهجرة ، التى بدأت بها مرحلة تغير فى موازين القوة والتقدم آية من آيات التربية الاسلامية وشاهدا من شواهد طريق الايمان .

لقد كان هينا على الله سبحانه وتعالى أن ينصر رسوله والمؤمنين دون أن يكلفهم مؤونة الصبر فى البأساء والضراء وحين البأس .

وكان هينا على الله جل شأنه أن يجنب رسوله والمؤمنين مؤونةالهجرة الى المدينة المنورة ، وهو القاهر فوق عباده .

وكان هينا على الله عز وجل أن يزيل الجبارين من زعماء قريش الذين آذوا رسوله والمؤمنين ، ويكفى عباده شر القتال والمعاناة .

ولكنه لم يفعل ذلك لأن الابتلاء بالخير والشر سنة من سننه الخالدة ، ولأن الفتنة التى يواجهها المؤمن هى وحدها التى تثبت الايمان الصادق وتكشف الزيف فى نفوس المنافقين .

هكذا كان الصبر على عداوة المشركين من قريش قبل الهجرة امتحانا للايمان . .وكانت الوحدة والعزلة وما تسببانه من الاحساس بالضعف والهوان وسيلة للكشف عن صدق الصلة بين العبد المؤمن وربه.

للأستاذ : رمضان لاوند

والمسرفون على أنفسهم

ثم جاءت الهجرة خطة عمل كبرى لتأهيل المؤمنين واعدادهم لمواجهة الموقف الأكبر من مواقف الخطر الداهم .

◆ ◆ ◆

ثلاثة عشر عاما مضت على ابتداء الدعوة الى الله .. وقد انقضت هذه الأعوام كلها ، ولما تتجمع تحت راية الايمان غير قلة من المؤمنين .

ثلاثة عشر عاما توالت كلها وتعاقبت فيها الأحداث التى سقيت بها القلوب فتفجرت عند كل موقف من مواقف الخطر فيها ينابيع قوة وركائز يقين وتواعد ثقة بالله عز وجل .

كانت هناك قلة من المؤمنين ولكنها القلة التى تعدل فى قوتها المستمدة من الايمان الكثرة من أصحاب الشرك والعناد .

وقد كتب لهذه القلة أن تواجه الامتحان الأكبر ليؤذن لها من بعد بالخروج من مرحلة الصبر والمصابرة الى مرحلة القتال والمجاهدة فى بناء المجتمع الاسلامى الجديد .

واختار الله لامتحانه العظيم أحب عباده اليه ، فكان فراش الرسول صلى الله عليه وسلم مكانا لهذا الخطر حين تخلف فيه الامام على رضى الله عنه بأمر من الرسول عليه الصلاة والسلام فى محاولة لتضليل المشركين المتآمرين ، وكانت الرحلة التى جمعت رسول الدعوة محمد بن عبد الله وصاحبه أبا بكر .

وتنكشف خطته صلى الله عليه وسلم لأن المتآمرين حين وجدوا بعد فوات الأوان فى شخص الامام الشاب على بن أبى طالب ممددا فوق فراشه عليه الصلاة والسلام ، ما أخلف ظنهم وحطم خطتهم وعرقل سعيهم الى تحقيق جريمتهم النكراء .

ثم يمضى المتآمرون وعبيدهم والطامعون فى الجائزة التى وضعتها قريش لمن يقبض على الرسول المهاجر وصاحبه . وتكون المعركة بين الطرفين معركة بين الغوغاء التى يحركها الطمع فى الجائزة والعناد فى الكفر والعمى فى البصيرة والاصرار على ايقاف مسيرة الهداية ، وبين الرسالة الجديدة التى تتفتح بها أبواب اليقين والرحمة ، وتتغير بها مصائر البشرية جمعاء .

ويكاد المطاردون أن يقفوا على آثار الرجلين المهاجرين اللذين لجآ الى غار فى طريقهما إلى المدينة، ومن الحق أن تبلغ القلوب الحناجر فى مثل هذا الموقف من الخوف والهلع ، ولكن النبى وصاحبه يسكنان فى الغار آمنين مطمئنين ، ويظن النبى عليه الصلاة والسلام أن الخوف والحزن قد دخلا قلب صاحبه فيردد قوله تعالى أمامه : **« لا تحزن ان الله معنا »** .

وتمضى دقائق من العمر هى فى حساب الدعوة الالهية الجديدة عمر مديد ، ثم ينجلى الموقف بأن يعود المطاردون وقد يئسوا من العثور على ضالتهم ، يغشى الحقد قلوبهم ، وتعمى نفوسهم بالأسف والأسى على فشلهم فى المطاردة .

ويتابع المهاجران طريقهما التى رسمت لهما من قبل الله عز وجل ، ويتم النصر للايمان ،وتنتهى مرحلة الصبر والمصابرة والاحساس بالوحدة والعزلة لتبدأ مرحلة المجاهدة ببناء المجتمع الاسلامى المتين .

• • •

ولعل من الحق أن نتساءل هنا عن طبيعة هذا الانتصار الذى سجلته الهجرة الناجحة الى الله وباسم الله .

هل هو انتصار السلاح والجيوش المعباة ؟

او هو انتصار الايمان العظيم حين تتفجر ينابيعه فى مواقف الخطر ؟

المهاجرون قلة فى العدد كما نعلم ، فهم لم يخوضوا حرب ميدان ، ولم يشهروا سلاحا على العدو ، ولكنهم استعانوا بالقوة الخفية الوحيدة التى تفسر طبيعة انتشار الرسالات ، وتسلط الضوء على مواطن الانتصارات الحقيقية ومصادرها .

لقد كانت الهجرة وكان ما قبل الهجرة عنوانا على التربية الدينية التى يحددها قوله تعالى فى محكم كتابه :

« ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه

راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » .

وهل هناك ما هو أشد امتحانا للمرء من أن يجد نفسه في موقف الخطر وهو اعزل من كل سلاح غير سلاح الايمان واليقين برحمة الله عز وجل ؟

وأين يكون الخطر حين لا تبدو نواجذه قبيحة رهيبة فى الموقف الذى وجد الرسول وصاحبه نفسيهما فيه وهما فى الغار لاجئان ينتظران أن يمضى المطاردون عنهما ، وقد أحاطوا بهما من كل جانب ؟

ويسقط الخطر امام اليقين ..

وتمر جائحة الخوف دون أن تصيب بالوهن والضعف قلبى الرجلين اللذين اسلما أمرهما الله عز وجل فلم يداخلهما الحزن اعتقادا منهما بأن الله معهما .

بل أين يكون الخطر حين لا نجده من وراء الرجال الذين تركوا ديارهم وأموالهم وعيالهم فى مكة فى سبيل الله ، نجاة بايمانهم وطاعة منهم لأمر الله ؟

الجميع ينجحون فى الامتحان ، والجميع يصدرون فى تحركهم عن قوس واحدة ، وينطلقون انطلاقة السهم الواحد تدفع به يد واحدة فقط .

وتتضح الصورة بكل ابعادها لمن يريدون أن يشهدوا وجه الحقيقة فى العملية التربوية الاسلامية متبدية فى الآية الكريمة التى سبق أن استشهدنا بها قبل قليل .

الخوف والجوع وفقدان النسب والمال والتضحية بالدم والنفس كلها مراحل أساسية فى مسيرة الكفاح للأمة التى ربطت مصيرها بارادة الخالق عز وجل ، وكلها بالتالى مصادر الطاقة الحقيقية التى تم بفضلها بناء المجتمع الاسلامى فى المدينة المنورة من بعد .

◆ ◆ ◆

وتسرب المسلمون الى موطن هجرتهم وراح الرسول عليه الصلاة والسلام يستعين بهذا الرصيد الأخلاقى العظيم الذى جمعته العقيدة ، ووفرته اختبارات الكفاح الصامت فى مكة المكرمة ، فكان أول ما كشف عن روعة الايمان وجلال قدر العقيدة نجاحه عليه الصلاة والسلام فى مؤاخاة المهاجرين والأنصار ، فأقبل هؤلاء على مواساة أولئك بأموالهم ، وأشركوهم فى الافادة من كل أسباب المعاش فى حياتهم ، ونجح الأمر النبوى كما لم يعرف تاريخ الدعوات الدينية نجاحا مثله ، وفى أحداث هذه المواساة ووقائعها آيات وعلامات باهرة على عظمة الايمان وروعة الرسالة .

• • •

قلنا انه قد كان هينا على الله ان ينتصر لمن آمن به ، وأن يزيـل الجبارين من قريش دون مؤونة تصيب المؤمن فى ماله أو فى دمـه ، ولكنه سبحانه وتعالى لم يفعل ، لأن ما قدره من نظام الخلق والعمـل وأساليب التربية لعباده هو سنة من سننه الخالدة .

ونتساءل هنا : لماذا كانت هذه السنن ؟

ويأتينا الجواب فى طبيعة الدعوة الجديدة حين ينفى صاحبها أن يكون العبث صفة من صفاتها .

فالاسلام دين نزل على صورة الفطرة التى خلق الله الناس عليها . فمن وفق الى الاحتفاظ بهذه الفطرة فقد وفق حتما الى اكتشـاف مافى الاسلام من الحق ومافى تعاليمه من الهداية .. واستحق المثـوبة من الله وجاز الطريق الى ميدان الفوز المبين .

واذا كان الاسلام هو دين الفطرة فقد وجب أن يكون نظاما ذا طـابع تربوى وأغراض انسانية خالصة ، الحكمة منه أن يكون فيـه عـلم للانسان . وأسلوب لابتلاء الانسان .. وخطة لامتحان الصبر فى نفسه. وطريقة عملية صالحة لاستيعاب هذا الانسان فى عقله ووعيه الاعتقادى وقدرته على الايمان بالغيب مستعينا بما فى روحه من الشفوف وبما فى وعيه من القدرة على استشعار الحضور الالهى العظيم .

كل موقف من مواقف المؤمنين هو عملية تربوية لأنه تحد لمادة الوعى فى نفوسهم .

أول ما نزل الوحى فى غار حراء كان تحديا لمادة هذا الوعى فى نفسه عليه الصلاة والسلام ..وحينما فتر الوحى كان تحديا من نوع آخر .. ثم تتابع بعد ذلك ، وفى كل طائفة منه أمر موجه أو علم مرسـل أو خطة مبسوطة أو محاكمة مطروحة أمام العقول .. وفى هـذه كلها تحديات لمادة الوعى عند الرسول وأصحابه الذين استجابوا لدعوته .

والتربية عملية مستمرة استمرار الحياة لا تتوقف الا بتوقف الحيـاة نفسها .. وهى تطالب من حولها باليقظة والاستعداد الدائمين للتحرك فى ضوء أغراضها الخاصة ، فاذا كان الأمر بالهجرة من مكة الى المدينة، كانت العملية التربوية قد بلغت أقصى غاياتها وحققت صناعة النموذج الاسلامى ، وبنجاح الهجرة تغيرت المواقف وتبدلت طرائق العمل ، فكان

كل ما بعد الهجرة اعلانا عن قدرة الانسان المسلم على الخروج من مرحلة السلب الى مرحلة الايجاب .. أو على الخروج من مرحلة الصبر الى مرحلة الجهاد .. أو على الخروج من مرحلة الترقب فى ثبات الى مرحلة الهجوم فى نشر الدعوة الى الله .

واذا فالهجرة شىء فى صميم التربية الاسلامية للانسان المسلم ، انها الفتنة الكبرى التى يمتحن بها فى ماله ورغبته فى القعود عن القتال ، وحبه لأهله ، وركضه الى شهوات الدنيا من حوله .

ولئن كانت الهجرة فى مظاهرها المادية نقلة من أرض قريش المشركة الى أرض الأنصار المؤمنين فهى تمام التعبير عن هجرة النفس من الظلمات الى النـــور .



١٣٩٠ عاما مضت على يوم الهجرة ، أى ١٣٩٠ ذكرى تجـــــدد الاحتفال بها فى ضمائر الأجيال الاسلامية المتعاقبة . تكررت العـــودة الى معناها فى كل مرة ، أفلا نتساءل بعد ذلك فى نفوسنا هامسين أو صارخين عن جدوى هذه الذكريات ، ونحن الذين نحمل اليوم على ظهورنا عار الهزيمة أمام أبواب بيت المقدس أولى القبلتـــين وثالــث الحـــرمين ؟

وماذا يبقى من معانى الهجرة فى نفوس المسلمين حين يرضـــون الدنية فى دينهم ، والهوان فى قدس من أقداسهم ؟

هل انتهت قصة الايمان فى نفوس المسلمين كما تنتهى قصة الحيـــاة فى جانب من الأرض بعد مرور العاصفة المدمرة ؟ أو هى اعـــلان عن بداية قصة جديدة تعود فيها الحياة الى الدين بعد أن سجلت هزيمتها من قبل وهى منفصلة عنه ؟

نحن متفائلون لسببين :

أولهما أن الله سبحانه وتعالى قد قال فى محكم كتابه : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » والله لا يخلف وعده .

وثانيهما : اننا لم نفقد يوما من الأيام ثقتنا بالأمة التى اختارها الله لحمل رسالته الى البشر ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

واذا كان لنا ما نقوله فى الذكرى الجديدة لهجرة القائد والمعلم والنبى عليه الصلاة والسلام فهو ترديد قوله تعالى الى البائسين المسرفين على انفسهم : « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمـــة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم** » .





خواطر عن الهجرة الإسلامية إلى العالم الجديد

للدكتور : محمد عبد الرؤوف

اكتشفت الامريكتان فى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) على يد عملاء للحكومات الكاثوليكية المتعصبة فى شبه جزيرة ايبيريا ..

وقبل ذلك بسنوات قليلة كان المسلمون قد طردوا من شبه الجزيرة المذكورة شر طردة ، بعد ان ازدهر الاسلام وحضارته فيها لثمانية قرون، وكان ذلك بسبب تخاذل المسلمين وجريهم وراء الشهوات والمصالح الذاتية ، فخسروا الدنيا والآخرة واورثوا ذرياتهم من انواع البؤس والاضطهاد شر ما عرفه التاريخ .

ولما اكتشفت هذه الحكومات المسيحية ما فى هذه البلاد الجديدة من خيرات لا حصر لها وامكانيات بعيدة المدى بادرت منذ القرن السادس عشر باستعمارها واستغلال خيراتها ، فهاجر اليها الاسبان والبرتغاليون، ثم زاحمهم الهولنديون ثم الانجليز ثم الايطاليون والالمان والبولنديون وغيرهم من سائر بلاد اوربا ..

اقام هؤلاء المهاجرون الذين يعرفون بالشعب الابيض مستعمرات ودولا فى كل من امريكا الجنوبية وامريكا الشمالية وكانت هذه المستعمرات تحكم من قبل الحكومات التى أسست هذه المستعمرات ، ثم أضحت هذه البلاد تستقل بطريقة أو بأخرى ، واكتسب بعضها قوة وسيطرة ونفوذا دوليا كبيرا ، وكان أهمها الولايات المتحدة الامريكية .

وقد قضى الشعب الابيض على سكان امريكا الاصليين من الهنود الحمر ليستأثر بالسلطان وبخيرات البلاد ، وأوشك على ابادتهم ابادة تامة ..

وهكذا ظهرت البلاد الامريكية على مسرح الحياة كدول بيضاء مسيحية تربطها بشعوب أوربا علاقات تاريخية وأواصر عنصرية ودينية ..

ونتساءل هنا : وماذا كان دور الاسلام والمسلمين فى تعمير هذه البلاد وتنميتها فى المراحل الاولى من تاريخ استعمارها ؟ وماذا نأمل ان يكون للاسلام واهله من شأن فى هذا النصف الغربى من العالم ؟

يقف التاريخ مكتوف اليدين ازاء الشطر الاول من هذا السؤال ، حتى انه ليسود الاعتقاد بأن مجد البلاد الامريكية بنى بسواعد أجيال الشعب الابيض المسيحى وحدهم الذين هاجروا اليها فى القرن السادس عشر الميلادى وما تلاه ..

الحقيقة غير ذلك ، لقد ساهم المسلمون مساهمة فعالة فى بناء المجد الشامخ لهذه البلاد ولولا جهودهم ما وصلت الى ماهى عليه اليوم ، ولكن الظلم والتعسف والطمع والضلال والكفر ، كل ذلك جحد على المسلمين فضلهم وطمس ما كان لهم وأضاع عليهم حقوقهم ، بل حرمهم حتى من المعاملة الانسانية التى هى حق مكتسب لكل وليد من البشر !

لقد عجز الاوروبيون عن تعمير البلاد وفلاحة الاراضى بأيديهم ، فلجأوا ــ كما هو معروف ــ الى العدوان على بلاد غرب افريقيا ودولها التى كانت قد بدأت تضمحل وتتفكك وتقع فريسة للاستعمار الاوربى الغربى الغاشم ، فاختطف المستعمرون لامريكا الاشداء من أبناء غرب أفريقيا مستخدمين فى ذلك كل مابيدهم من وسائل الظلم والتعسف والفساد ، وشحنوا الآلاف المؤلفة من هؤلاء المساكين مشدودة أيديهم مكبلة بالحديد الى ضياعهم وحقولهم عبر المحيط الاطلنطى ، ليعيشوا عيشة لم يعرف التاريخ لها نظيرا من البؤس والغبن والحمق ، وقد بلغ عدد من جلب منهم الى أمريكا فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، ما بين عشرة ملايين الى خمسة عشر مليونا ضرب عليهم الذل والاسترقاق !

ولقد كان رجال الكنيسة انفسهم أصحاب فكرة هذا الاسترقاق الافريقى ، وادخلوا فى روع الاوروبيين أن الله تعالى خلق هؤلاء ليكونوا عبيدا لهم ليخدموهم فى ضياعهم ومساكنهم كما خلق الله تعالى الأنعام ليركبوا على ظهورها وليعيشوا على ألبانها ولحومها !

كما قطع الاوربيون الصلة تماما بين هؤلاء المغلوب على أمرهم وبين ثقافة آبائهم ودينهم ولغتهم وحضارتهم ، كانوا يسكنونهم فى زرائب كقطعان البقر ، ويبعدون الاطفال منذ مهدهم عن آبائهم وأمهاتهم حتى لا يتعلموا لغة كبارهم أو يسمعوا قصصهم او احاديثهم أو ينقلوا عنهم عادة أو

تقليدا ، فنطقت الاجيال البائسة بلغة سادتهم وتبعوهم الى كنائسهم .
والآن نسأل : ماذا كان دين هؤلاء الملايين من المغتصبين المسترقين من الافريقيين الذين كافحوا وكدوا وعاشوا وماتوا فى تشييد هذه البلاد الامريكية واستغلال ثرواتها ؟ هلم بنا لنقتبس بعض الحقائق التاريخية عن البلاد الواقعة فى غرب افريقيا فى القرون السابقة مباشرة على اختطاف هذه الملايين البشرية منها ولنلتمس منها قبسا يساعدنا على الاجابة على هذا الاستفسار . .

اننا لنعلم أن القارة الافريقية أوت الاسلام منذ مهده ، ورحبت بأول فئة هاجرت من أتباعه عند بدء الدعوة ولجأت الى رحاب أحد ملوكها ، كان من بينهم ذو النورين وذو الجناحين وكريمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى القرن الاول من حياة الاسلام انتشر نوره حتى شمل الساحل الشمالى الافريقى كله ووصل الى المحيط الاطلنطى ثم بدأ يتسرب للشعوب الافريقية جنوبا عبر الصحراء وعلى السواحل الغربية للقارة ، ثم قامت دول وحضارات افريقية كان الاسلام عنصرا هاما فيها ، يعتنقه الكثير او الاكثر من أهلها وحكامها ، كان من بين هذه الدول امبراطورية « غانا » القديمة التى قامت فى غرب افريقيا وبلغت أوج مجدها فى الحقبة مابين القرن التاسع الى منتصف القرن الثانى عشر الميلاديين ، يقول المؤرخون ان عاصمة غانا القديمة « كومبى » كانت تنقسم الى حيين وكان اغلب السكان فى احد الحيين مسلمين كثر بينهم العلماء والفقهاء ، وبفضل علمهم وعلو كعبهم قلدوا المناصب الوزارية ونحوها من المراتب الراقية فى الدولة .

ومن بين هذه الدول التى نهضت في غرب افريقيا واصطبغت بصبغة الاسلام ، امبراطورية « مالى » العظيمة التى قامت فى القرن الثالث عشر ووسعت ملكها فى جميع النواحى ، وكان من حكامها الامبراطور (منسا) المعروف فى المراجع الاسلامية باسم « موسى » وقد حكم منذ ١٣٠٧ الى ١٣٣٢ م ، وقد قام برحلة الى الحجاز عام ١٣٢٤ م يرافقه خمسمائة من الخدم والحشم وحمل معه ثروة كبيرة من الذهب وزع منها بسخاء فى البلاد التى مر بها فى طريقه الى الحجاز وفى عودته منه ويحدثنا مؤرخ مسيحى زار هذه البلاد عام ١٥١٠ عن ثروة هذه البلاد العظيمة وحضارتها وعما شاهد من مساجدها ومن لقيه من الكثير من علمائها وفقهائها . .

كما يحدثنا التاريخ ايضا عن مملكة « سونجى » الاسلامية التى نالت حظا عظيما من الحضارة والمجد فى القرن الخامس عشر ، ومما يذكر انها كانت اعظم دولة افريقية عرفها التاريخ فى العصور الغابرة بعد مصر القديمة ، ولقد كان احد ملوكها يسمى « محمد الأول » .

والآن وقد ذكرنا طرفا عن هذه الدول على سبيل المثال لنرسم صورة لما كان عليه الاسلام فى بلاد غرب أفريقيا عندما بدأ الاوروبيون يستعمرون البلاد الامريكية ويجلبون اليها اليد العاملة من هذه المنطقة ، نقطع جازمين بأن الكثير من هؤلاء الملايين التعساء كانوا من المسلمين ، بل لقد كان

سائرهم على وشك ان يسلموا او تسلم ذرياتهم لولا تدخل الاوربيين وقضاؤهم على الحكومات الوطنية واستعمارها لصالحهم ، وبيع سكانهم ليعيشوا عبيدا أذلاء فى أمريكا .

لذلك لما ألغى الرق عام ١٨٦١ واسترد أحفاد هؤلاء حريتهم أدرك الاذكياء منهم صلة آبائهم بالاسلام وصلتهم بالعروبة لحما ودما ، ولنقتبس هنا ما ذكره « ادوارد بلايدين » وهو أمريكى أفريقى الاصل عاش فى القرن الماضى والتحق بأعمال التبشير المسيحى ، كتب يقول :

« ان الحضارة العربية والدين الاسلامى أنسب للأفارقة » ، كما تنبأ بأن الاسلام لا المسيحية سوف يتفشى بين الافريقيين نظرا لروحه الباعثة على التقدم . ومما قال : « ان الافريقى عرف المسيحية كرقيق مستغل مستعبد ومهان ، وعرف الاسلام كانسان دائما وكقائد غالبا » .

ولما قامت بعد ذلك حركات بين الافريقيين الامريكيين (١) تنادى بحقوقهم السياسية والمدنية ارتبط كثير من هذه الحركات باسم الاسلام ، وباتجاه نحو تعلم اللغة العربية ، ويسود التفكير بين الكثير منهم بأن اعتناق الافريقى الامريكى للاسلام عودة الى دين آبائه الذى سلبه منهم الابيض المستعبد ، وان نطقه بالعربية استئناف للغة قومه الاصلية التى أنساهم اياها هؤلاء المستبدون ..

والحديث عن الحركات الاسلامية بين الافريقيين فى أمريكا حديث شيق ولكنه يطول وربما يخرج بنا عن أصل الموضوع ، لذلك نقتصر على هذه الاشارة داعين الله تعالى أن يبارك هذه الحركات وينقيها من المزيفات ويحفظها من المكايد الظاهرة والباطنة ويجعلها لصالح الاسلام والمسلمين ..

• • •

والى جانب هذا الاتجاه لدى الاخوان الأفارقة الامريكيين نحو احياء ما يعتقد أنه كان دين أسلافهم الذى محى ظلما وعدوانا ، جاء الاسلام الى العالم الجديد على يد المهاجرين من البلاد العربية وغيرها من البلاد الاسلامية منذ بداية هذا القرن .

كان المهاجرون المسلمون الاوائل قلة ، اغراهم ما سمعوا عن خيرات البلاد فضربوا فى الارض يبتغون من فضل الله مراغما كثيرا وسعة ، وقد كان لبعضهم حظ موفور من الرزق بعد كدح وكفاح ، والمعروف ان هذه البلاد بلاد كفاح وعمل ولا يربح فيها المتواكل . ثم جاء بعد هؤلاء أفواج أخرى من المهاجرين من شتى البلاد ، ثم تكاثر عددهم فى الاعوام الاخيرة حيث حضر عشرات الالوف من بينهم الكثير من الجمهورية العربية وغيرها من البلاد العربية ..

---

(١) ان كلمة « زنجى » ومقابلها بالانجليزية « نجرو NEGRO » كلمة مبغضة لدى الملونين فى أمريكا لذلك نؤثر اللقب الذى يطلقونه على انفسهم وهو ، الافريقى الامريكى AFRO - AMERICAN

وأن الأمل لكبير أن يكون فى هذه الظاهرة كسب للاسلام بعد أن يستقر هؤلاء النازحون ، ويتغلبوا على متاعب المراحل الاولى للهجرة ، ويكتسبوا الثقة والامن ، فينظموا جهودهم ويوحدوا كلمتهم ، ويستخدموا ما يكسبون من نفوذ لصالح الاسلام ووطنه كما تعمل الجاليات الاوربية المختلفة على خدمة شعوبها وبلادها ومجدها عن طريق نفوذ هذه البلاد .

على أن لنا بعض الملاحظات نود أن نبديها بهذا الصدد .

لقد نزح منذ قرون عدد من المسلمين أيام غارات المغول والتتار على قلب البلاد الاسلامية الى أطراف الارض شرقا فرارا من أهوال الحرب ، وقد استطاع هؤلاء المهاجرون أن يؤثروا على الشعوب التى هاجروا اليها بفضل خلقهم واعتزازهم بدينهم وثقتهم بأن ما بيدهم أسمى وارقى مما بيد من هاجروا اليهم ، فانعكست هذه الثقة على من جاورهم فأحبوهم وخالطوهم وصاهروهم وقلدوهم حتى تبعوا دينهم ، ونرى الآن من أحفاد هؤلاء دولا اسلامية شرقية لها مكانتها ومهابتها ، فليكن لنا اليوم مثل طيب فيما صنع هؤلاء الاسلاف وما حققوا لدينهم الكريم والخدمات الانسانية العظيمة التي نشأت عن هذا النصر الاسلامى العظيم .

فينبغى لنا اذ ننزح فى هذا العصر أن نعتز بثقافتنا وتراثنا ، والا نسمح لانفسنا بأن نذوب فى المجتمع الذى نعيش فيه ونقلده تقليدا أعمى بدعوى التقدمية الكاذبة ، ليس فى هذا التقليد خير لأنفسنا ماديا أو أدبيا ، وانه لو أخذنا به لا سمح الله ، سيضيع علينا وعلى ديننا فرصا ذهبية ، ونظلم بذلك أهلنا وأسلافنا وذرياتنا من بعدنا .

انه لينبغى أن نلقى جانبا بالعنصرية والشعبية الوطنية والخلافات المذهبية والمنهجية الكاذبة ، وأن تكون الصلة الاسلامية الاساس الاول والاخير والرابطة التى تجمع بيننا وتبعث على تعاوننا الاسلامى فى هذا البلد الغريب .

ان من العبث أن نسمع المسنين من العرب المهاجرين القدماء يشيرون الى الأفارقة من اخواننا المسلمين بكلمة « العبيد » ولقد ساء هذا الكاتب ما سمع فى بدء عهده بالعمل بهذه البلاد من عائلة عربية قدمت لزيارته بمكتبه فذكروا أنهم يضنون بارسال أولادهم الى المدرسة الاسلامية حتى لا يكونون بجانب أولاد « العبيد » ولقد نفرت أذنه من هذا الاستعمال ويعلم الله أن هؤلاء ليسوا عبيدا ولم يخلقوا عبيدا ، وانهم لأحرص على دين الله واكثر جودا وأسخى بما فى أيديهم من اجل الله وأخلص قلبا وطبعا من الكثير منا ممن نشىء على الاسلام وولد فى احضانه ، وصدقنى أيها القارىء اذا ذكرت أن الكثير من هؤلاء المسلمين من اخواننا الافريقيين الامريكيين شعروا بهذا الجانب من المعاملة السيئة من اخواننا الذين سبقونا عندما خالطوهم فى الأربعينيات والخمسينيات ، آملين أن يكتسبوا منهم دينا وعلما ولكن آمالهم تحطمت على صخور هذا الكبرياء ففقدوا ثقتهم وانسحبوا وكونوا لأنفسهم جمعياتهم مؤثرين القناعة بالقشور فى عزة على المزيد فى ذل ومهانة .

وعلينا أن نكون في مهجرنا مثلا لما نزعم انه أدب ديننـــا وتكاليف شرعنا ، فلا يليق بمهاجر مسلم ، أو مبعوث من قبل دولة اسلامية أن يجهر بتناول المسكر في الاجتماعات أو يدخن أو يتناول الطعام في نهـار شهر رمضان ، كما ينبغي لهؤلاء أن يأخذوا أنفسهم ــ مهما كانت المعاذير والمشاغل ــ بأن يشتركوا ولو أحيانا نادرة في اقامة الشعائر والواجبات الدينية ، وان المرء ليخجل من تعليق بعض المسلمين هنا في حياء وخجل على موقف هؤلاء : « أليس قوله تعالى ــ أقم الصلاة ــ موجها اليهم ؟ أولا يصل النداء ــ حي على الصلاة ــ الى آذانهم ولو مرة واحدة ؟ »

أما التشدق بما يسمى التقدمية والنعي على ما يسمونه بالرجعية فهو مغالطة ومكابرة ومجاراة من الجاهلين المغمورين لذوى النوايا السيئة من أعداء الله ورسول رب العالمين .

أهناك دين يحض على التغيير والتجديد والاخذ بأنسب الاساليب من ديننا ؟

ان الاسلام جاء ثورة على التقليد الاعمى ، ودعا الى تحطيم التقاليد البالية ، وأي بأس هناك في تقليد الغربيين في جهدهم في العمل والحرص على الوقت ، والصدق في القول ومراعاة شعور الغير ؟ وأي مســـلم يعارض في الاخذ بالعلوم النافعة والاساليب الدراسية الحــديثة ؟ وأي مبدأ اسلامي لا يتفق مع الانتفاع بما أنتجته العلوم والفنون في العصـر الحديث ؟

ان الاسلام قديم وحديث وعتيق وجديد ، ومبادئه الاســـاسية بسيطة سليمة تتلاءم مع كل بيئة ، ولا تتعارض مع حاجة أي عصر ،انما ينفر الاسلام من المادية الجافة والشذوذ الخلقي مما أدى الى تصـــدع المجتمع الغربي وثورة الاجيال الناشئة على الاوضاع الباليـــة المشحونة بالنفاق والبهتان . .

وان ظهورنا أمام من يجاورنا بالتمسك بآدابنا ومراعاة تقاليدنا لمـــا يبعث الثقة فينا ويعمل على احترام تراثنا ويثير الرغبـــة في دراســته والتعرف عليه ، وبالتالي لاحتمال الهدى به ، وخاصة في زمن كثرت فيه الشكوك وتتطلع فيه النفوس لقاعدة تبعث على الامل وتعطي الحيـاة والوجود مغزى ومعنى وقيمة وهدفا ، وما من قاعدة تفي بذلك كـــله كما يزود به ديننا المجيد .

اننا بهجرتنا في طلب العلم أو السعي الى الرزق نتبع سنة رسول الله ونطيع هدى الكتاب الذي يرشدنا ويقول : « فامشوا في مناكبهـــا وكلوا من رزقه » .

فلتكن هجرتنا للدنيا وللدين معا ، « فمن كانت هجـــرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

أرتريا

تعريف عام

أرتريا

أول الطراز الإسلامي

محمود

اخى القارىء
هل تعلم ...
.. أن ارتيريا هى عتبة العالم العربى ..وان اهلها عرب مسلمون؟
.. وان مناخ ارتيريا شبيه بمناخ لبنان .
.. وان الاسلام قد ظهر فى ارتيريا منذ القرن الاول للهجرة
.. وان الاستعمار الاوروبى يقول : الحبشة جزيرة يجب حمايتها وسط بحر اسلامى ..
.. وان ثورة ارتيريا تسيطر الان على معظم مناطق الريف ..
اذا اردت يا اخى ان تعرف ذلك وغيره فاليك هذه الكلمات عن ارتيريا :



اعداد
عرفات كامل العشى
بادارة الشؤون الإسلامية

الموقع والسكان :

تقع ارتيريا على الشاطىء الغربى الجنوبى للبحر الاحمر ، فهى تمتد مسافة ٦٧٠ ميلا على الساحل الافريقى للبحر الاحمر ولا يفصلها عن الجزيرة العربية الا مضيق باب المندب . وتشتق اسمها من الاسم اليونانى القديم للبحر الاحمر وهو (سينوس أرتريوس) وتبلغ مساحتها ١٢٠٫٠٠٠ كيلو مترا مربعا وعدد سكانها يقارب الثلاثة ملايين نسمة ٧٥ ٪ منهم مسلمون ، وعاصمتها أسمرا وتحدها السودان من الغرب واثيوبيا من الجنوب والصومال من الجنوب الشرقى (انظر الخارطة) .

التضاريس :

ارتيريا بلاد متنوعة التضاريس ، ففيها جزء يشبه مرتفعات وسط افريقيا وصحارى شمال السودان ، وبها غابات كغابات افريقيا الاستوائية وقفار بركانية شبيهة بتلك القفار المطلة على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية ، وقلبها يتكون من هضبة تتخللها جبال شاهقة من الصخور الصلدة تشقها اودية خصبة ومرتفعات تتراوح بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ومناخها ربيعى دائما . وتتبعها حوالى ثلاثمائة جزيرة متناثرة فى البحر الاحمر .

مصادر الثروة :

تعيش اكثرية السكان فى الريف، فهم فلاحون ورعاة اذ تبلغ الثروة الحيوانية فى البلاد حوالى ثمانية ملايين رأس من الابل والاغنام

والابقار والماعز ، وبها ثروة معدنية لا يستهان بها كما ان البحر الاحمر يعتبر مصدرا رئيسيا للثروة السمكية

نبذة تاريخية :

ظهر الاسلام فى ارتيريا منذ نهاية القرن الاول للهجرة وقامت فيها ممالك اسلامية سميت بالممالك السبع او الطراز الاسلامى فى القرن الثالث الهجرى ، وانتشرت اللغة العربية فى ارتيريا حتى اصبحت اللغة الرسمية الى يومنا هذا ، ويفتخر السكان بأنهم عرب مسلمون وكانت ارتيريا جزءا من بلاد الخلافة الاسلامية منذ عهد الدولة الاموية ، وفى عام ١٥٥٧ميلادية احتلتها الدولة العثمانية وفى عام ١٨٦٦ م تنازلت عنها للحكومة الخديوية فى مصر ، ثم احتلتها ايطاليا فى عام ١٨٨٥ م حتى هزمت فى الحرب العالمية الثانية فتنازلت عنها لبريطانيافى عام ١٩٤١ م ، وفى عام ١٩٥٠ مأصدرت الامم المتحدة قرارا نص على جعل ارتيريا جزءا من اتحاد فيدرالى مع الحبشة ..

ارتيريا والحبشة :

لم تكن ارتيريا قط فى اى فترة من تاريخها جزءا من الحبشة ولكن قرار الاتحاد جاء دون استفتاء شعب ارتيريا ، وتعلل بحجة العمل على فتح نافذة للحبشة على البحر الاحمر وكان القرار ينص على اقامة كيان ذاتى مستقل فى ارتيريا وحكم برلمانى حر نزيه .

ولكن الحبشة لم تحقق ذلك ، فبدأت الحكومة الاثيوبية بمنع تدريس اللغة العربية فى المدارس وفرضت اللغة الامهرية بدلا منها كما منعت صدور الصحف باللغة العربية وحظرت دخول الصحف العربية الى البلاد وطردت بعثات التعليم العربية ،واخيرا الغت الاتحاد المزعوم وضمت ارتيريا عنوة الى اراضيها وعينت عليها حاكما عاما من اثيوبيا ..

ارتيريا بين التبشير والاستعمار :

لم تكن الاجراءات التى اتخذتها الحبشة نابعة من حكومتها ابتداء . فالاستعمار الصليبى هو الذى وضع الخطة لطمس معالم الاسلام لا فى ارتيريا وحدها بل فى منطقة شرق افريقيا كلها ، ووكل أمر التنفيذ لحكومة اثيوبيا واسرائيل ..

لقد فرضت اميركا الاتحاد الفيدرالى على ارتيريا لتجعل منها قاعدة عسكرية اميريكية ، وانطلق المبشرون يطمسون معالم الاسلام فى البلاد ، واعطيت اسرائيل حرية كاملة لاستغلال الاراضى وانشاء المزارع واقامة شركات الاستثمار ، فلم يكن غريبا ان تنشط شبكات التجسس ضد الدول العربية من ارتيريا والحبشة ، وما قصة باخرة التجسس ليبرتى التى انطلقت من ميناء مصوع فى حرب حزيران منا ببعيد . ولم يكن غريبا ايضا ان تتلقى اسرائيل اللحوم والمعونات الغذائية من حكومة الحبشة بعد حرب حزيران مباشرة .

ثورة ارتيريا :

لم يكن الاتحاد المصطنع اذن اتحادا حقيقيا يكفل حقوق الانسان الاساسية لشعب ارتيريا ، لذلك هب الشعب الارتيرى كله مسلمون ومسيحيون واعلنوا الثورة على الظلم والاستبداد وامتصاص الدماء فقامت جبهة تحرير ارتيريا لترفع صوت الشعب الارتيرى عاليا ضد هذا الجبروت ، فبدأته بعدد محدود

من الرجـال وقليل من البنـادق الايطالية القديمة واخذت تقـاوم القوات الاثيوبية الغازية .. وتقدمت الجبهة بطلب الى الامم المتحـدة تدعوها فيه الى ارسال لجنة دولية للتحقيق ولكن ذلك لم يجد فتيلا .

الحبشة تشرد الشعب الارتيرى :

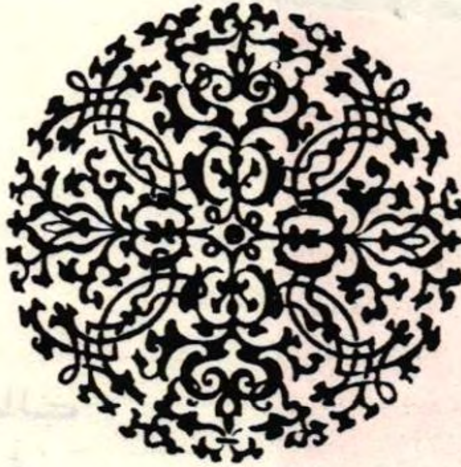
لكن الحكومة الاثيوبية لم ترعو ، بل زادت من ظلمهـا وجبروتها ، واخذت ترتكب جرائم القتل بالجملة ولما حمل الشعب الارتيرى السلاح ووقف الى جانب الجبهة للدفاع عن حريته واستردادها من الغاصـبين قامت الحكومة الاثيـوبية بمحاولة وحشية لقمع الثـورة ، فقصفت طائراتها الحـربية القرى الارتيرية واشعلت فيها النيران فراح ضحيتها آلاف النساء والشيوخ والاطفـال ، وتحول آلاف من الارتيريين الى شعب من اللاجئين حتى بلـغ عددهم فى السودان وحده حوالى اربعين الفـا يعيشون فى أوضاع سيئة للغاية .

ولكن هل تزعزع ايمـان شعب ارتيريا بعدالة قضيته ؟ هل اثنـاه ذلك عن المقاومة ؟ ابدا .. بـل لقد تضاعف عدد المقاتلين فى صفوف الجبهـة حتى زاد على عشرة آلاف مقاتل ، وهم الان يسيطرون على معظم أنحاء الريف فى ارتيريا .

واجب العرب والمسلمين :

ان شعب ارتيريا العربى المسلم يشعر بخيبة أمل تجاه موقف العرب والمسلمين منه ، فهو يشعر بوحدة المصير والعقيدة مع اخوانه فى العالم العربى والاسلامى ، وشعب ارتيريا يقاوم بضراوة نفوذ اسرائيل فى بلاده ، ويضرب بشدة على اليد التى تساند اسرائيل فقد قامت الجبهة باحـراق شركة سيناء الاسرائيلية وهى شركة استثمارات زراعية فى ارتيريا .

فاذا كانت اسرائيل هى العـدو المشترك فما احرى بالعرب ان يقفوا صفا واحدا مع اخوانهم فى ارتيريا . واذا كانت اخوة الاسلام هى الاساس فهل ينصر المسلمون اخوتهم المظلومين فى ارتيريا ؟





للأستاذ: أحمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى بمكة المكرمة

عندما بدأ الاسلام كدعوة الى الله الواحد الأحد ، كان من البديهى : ان يستفز المشركين والوثنيين لجدال أتباعه ونضالهم ، وأن يتصدى أهل الرياسات والزعامات والاختصاصات الروحية والمادية ، لمكافحة هذا الدين الجديد الرشيد : دين التوحيد والأخوة والمساواة والعدالة ، دين الاتصال المباشر بالله الخالق الرزاق ، الخافض الرافع ، المحيى المميت ، بلا حاجة الى شفاعة شافع ، أو وساطة وسيط .

وحينما ضاق المسلمون القلائل ، بايذاء المشركين والوثنيين صدرا ، واستنفدوا صبرا — اذن لهم نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة ، فاتخذوها مهجرا فى فترتين متقاربتين فارين اليها بدينهم الجديد الرشيد ، راجين ان يمكنه الله لهم ، وان يثبتهم عليه ، وقد لتاهم الله عز وجل عطف نجاشى الحبشة ولطفه ، وترحيبه وتوسعته عليهم فى بلاده .

وانتظر النبى فى مكة ، بعدهم ، ولم يهاجر معهم ، انتظر صابرا على ايذاء الجاحدين وكيد الحاسدين أجمل صبر ، مدافعا عن رسالته الفضلي ودينه الأمثل أصدق دفاع ، مرتقبا وعد الله الذى لا يخلف وعده ، بالهجرة الى المدينة التي نورها عليه الصلاة والسلام حين قدمها بأنواره، واتخذ من أهلها بعض أنصاره .

واقترب الوعد الحق بهجرة النبى الى المدينة ، وعرف المشركون عزمه عليها ، وبدأت مجتمعاتهم تهمس حولها ، والشيطان يوسوس لهم : الا يدعوا محمدا يهاجر ، والا يمنعوه من الهجرة يكن حربا عوانا عليهم بما يؤلب أعداءهم ثم يقودهم اليهم ..

واختلفت الآراء المهموسة فى ندوة المشركين بين مقترح : ان يسجن محمد فى حجرة ضيقة لا نافذة لها ولا باب — وآخر يرى أن يحمل محمد وينفى خارج مكة — وثالث يقترح ان يختار فتيان أشداء من شتى القبائل ، ليضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، ويتعذر على بنى هاشم المطالبة بدمه من هؤلاء جميعا ، فيرضوا بديته مكرهين !

وصدق ابليس الرجيم عليهم ظنه ، فاتبعوه على تأييد المقترح الثالث

باغتيال اكرم حياة لأعظم رسول ! وتراص الفتيان الاشداء عند باب داره ليلة سفره عليه الصلاة والسلام الى المدينة مشهورة سيوفهم ، مفتحة عيونهم وسمعها على مخرج النبى ـ حتى اذا اراد الله لنبيه النجـــاة والعافية أوحى اليه أن يتخذ من ابن عمه (على بن ابى طالب) كرم اللـــه وجهه ضجيعا يرقد فى فراشه ويلتحف بردته ، ويخرج عليه الصلاة والسلام حاثيا التراب على رءوسهم ، تاليا على وجوههم قول الله عـــــز وجل : « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (١) .

كذلك أتم الله نعمته على نبيه بالهجرة الى المدينة مع الصديق أبى بكر رضى الله عنه ـ على النحو المفصل فى كتب السيرة النبوية .

• وكذلك باء المشركون بالخيبة المرة ، والخسران المبين ، فلم ينالوا خيرا ، ولم يقضوا من الرسول وطرا .

وكذلك قدر (للمدينـــة) أن تحظى بهجرة النبى صلى الله عليـــه وسلم اليها ، وبجهاده هو واصحابه فيها ، ونشرهم نور الاسلام منها الى العـــالمين .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » (٢) .

• • •

والحديث عن مكر الله لأنبيائه وعباده الصالحين معجب مطرب ـ فكما مكر عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى حادث الهجرة .. مكر تبارك وتعالى من قبل ليوسف عليه السلام حين أراد أن يستبقى اخاه عنده ، فحاكم إخوته الى شريعة أبيهم يعقوب عليه السلام التى تتيح لـــه أن يحتجز اخاه بنيامين جزاء على التهمة المصطنعة عليه ـ ومكر سبحانه لموسى عليه السلام ، فضرب له فى البحر طريقا يبسا لينجو عبره ببنى اسرائيل ، وينخدع فرعون فيتبعهم بقومه فيغرق ويغرقون ـ ومكر كذلك لابراهيم عليه السلام فأحال تبارك وتعالى نار النمرود التى القاه فيهـــا بردا وسلاما . الا انها (معية) الله الحاضرة الناصرة لأنبيائه واوليائه : ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ـ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ـ الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

لقد كان أبو بكر رضى الله عنه رفيقه فى الهجرة ، وصـــاحبه فى الغار ـ يقول للرسول صلى الله عليه وسلم : لو نظر احدهم ـ يعنى المشركين الذين تعقبوهما ـ تحت قدمه لأبصرنا ! فيرد الرسول عليه : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟

• • •

تلكم احدى قصص الهجرة فى القرآن الكريم .

وهذه قصة اخرى :

كان (جندب بن ضمرة) احد مسلمى مكة المكرمة ، الذين لم يغادروها مع المهاجرين الى المدينة ، وقد انتظر حتى سمع بآية نزلت ، مع القرآن الكريم ، وأوعدت أشد ايعاد من اخلد الى مكة ، وهو قادر على الهجرة مع المسلمين الى المدينة . سمع جندب بهذه الآية : (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) (٣) .

عندئذ ضاق صدر جندب بالبقاء فى مكة ، ونظر فى نفسه وبين يديه فألفاه موسرا وان كان شيخا كبيرا : فقال لأهله : احملونى على سرير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا ببائت ليلتى هذه بمكة !!

وصدقت عزيمة جندب ، فلم يبت ليلته بمكة . ولكنه أيضا لم يبت أية ليلة بالمدينة فقد كان له الموت السعيد بالمرصاد .. ينتظره فى الطريق قريبا من مكة فى موقع يقال له حتى اليوم (التنعيم) (٤) .

وكان جندب وهو يحتضر .. يصفق بيمينه على شماله ، ويقول : اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك !! ومات جندب قبل أن يدرك أربه ظاهرا — فكان ذلك مثار سخرية عليه من قومه الهازئين الذين قالوا عندما بلغهم نبؤه : (ويح جندب لا هو بلغ الذى يريد ، ولا هو اقام فى أهله فمات بينهم فجهزوه ودفنوه) .

ولكنه — رضى الله عنه — أدرك أربه وحقق رغبته حقيقة وواقعا . لقد جهل هؤلاء الهازئون من قومه أن الاعمال فى ثواب الله بالنيات ، وان كان الله عز وجل لا يرضاها دائما وحدها دون عمل ، ما لم تحل دون الاعمال حوائل لا تطاق . فقد تقبل الله تبارك وتعالى هجرة جندب وان لم تتم ، وكتب الله له ثوابها كاملا وان لم تتحقق ، وانزل سبحانه من قرآنه ما يغيظ الهازئين من جندب : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » (٥) .

ولقد حرم اولئك المؤمنون القلائل الذين رضوا بالمقام فى دار الكفرة، ولم يلحقوا باخوانهم فى دار الهجرة — حرموا من نعمة المناصرة والمساعفة التي تجب للمؤمن على المؤمن ، بل حرموا أيضا من كرامة المؤاخاة والموارثة التى سنها القرآن بادى الرأى بين المهاجرين والانصار ، ثم نسخها بعد ذلك ، ومن حق الارث بين المؤمن المهاجر والمؤمن المتخلف . بل حرموا كذلك من نصر اخوانهم المؤمنين المهاجرين فى حربهم مع اعدائهم ، ولو كانت الحرب دينية ، اذا كان بين هؤلاء الاعداء وأولئك الاخوان المهاجرين ميثاق بالسلام قال الله عز وجل فى شأن هؤلاء المتخلفين عن الهجرة : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير » (٦) .

• • •

هذا بعض القصص القرآنى عن (الهجرة) التى هى سنة كثير من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم . فقد هاجر موسى الى مدين ، وهاجر عيسى الى الجليل فالى بيت المقدس ، وكان قبل ذلك بالناصرة .. وكذلك هاجر أبو الأنبياء ابراهيم الى آشور فالى بيت المقدس . وحيثما هاجر النبى وجد النصر والتأييد ، من حيث افتقدهما عند قومه ، وفى بلده .

واحسب أن المثل العربى القديم : (زامر الحى لا يطرب) ، والمثل الاخر : (أزهد الناس فى الرجل أهل بيته) والثالث : (لا كرامة لنبى فى

البقية على ص ١١٩

نداء الهجرة

— ١ —

صلوات الله على الذى خلى وراءه الدار وأمان الاستقرار ، واختار الهجرة ضمن خطة محكمة ، ورسم بها المعلم الأول لدولة التاريخ المثلى ، وجعل منها الخطوة الاولى للنصر والعودة .

ورضوان الله على صاحبه فى الغار ، من لو شاء شهوات الدنيا لكان فى غير موضعه مع الرسول فى مختبأ ، ولشهدته مكة وجيها غنيا مقربا ، ولكان له فيها غير الغار منزلا وغير الحجارة والتراب فراشا ، وغير العناكب ستارا .

— ٢ —

هذه رسالة من الكويت الى عمان ، تستكتبنى فى وقت مبكر قبل موعد الهجرة عن الهجرة ، وفى ذلك احترام للعمل ، وتكريم لروح التخطيط والنظام ، والمجلة اخذت على عاتقها تحقيق مستوى فى العمل اقرب الى روح الاسلام ، وادعى الى احترام العقل فى التنظيم والاعداد .. وهى بذلك لا تترك لى مجالا لحجة احتج بها أو اعتذار ..

لكن الليلة شديدة القر ، حرارة الجو فيها دون الصفر ، ومع ذلك

للأستاذ أحمد الغناني

فالآفاق التى كساها الثلج غلالة بيضاء من أروع علامات القدرة محمرة جنباتها بالرصاص ينطلق من كل ناحية ، وبقذائف متفجرة تهتك صمت الجو المقرور ، ومن الذين يطلقون ومن يطلق عليهم ؟ .. كلهم واحسرتاه مسلمون ، وماذا على الحدود من قريب ؟ أرتال تتلوا أرتالا من المعتقلين فى سجون الاسرائيليين .

فمن أية نبعة يغرف الكاتب ، واية ايجابية وآمال يصطنعها ويبشر بها ؟ .

ومع ذلك فالقلم أمانة ، والكلمة مسئولية ، وقد تتضح تحت وهج أفدح الحرائق حقائق تظل تحت بنود السلام خافية منزوية .

— ٣ —

سيل الرصاص المنهمر بقسوة متواصلة ، وغزارة كثيفة لا يكف عن ثرثرته الأليمة ..

وأنا ساهر مع الحبيب النبى ارتفع بذكرى الود الذى يربط قلوبا اصبحت فى يثرب ، وأخرى منثورة على الطريق اليها ، بقلوب ما زالت تحيا فى ظلال الخطر ، لا تستطيع منه فكاكا فى مكة .. ثم اهبط على سبخ الواقع فى وحل تتكسر فيه أجنحة الخيال ، وتتحطم قوادم الفكر وخوافيه . واذا بى بين القاع والأوج لا أملك الا دموعا حائرة لا تدرى أهى لفرح تهمى أم لعار جلل الحياة بالسواد ..

لقد كنت أحسب الأخطار الكبيرة فى حياتنا تناهت الى ابعد ابعاد انحداراتها السفلية ، فاذا وراء ذلك أبعاد ما تزال باقية ، مالها وا أسفاه من قرار ..

ان فى قلبى لصرخات رهيبة ، حبيسة كانت تفجرها هذا القتال المفجع ، وبدا لى وجود المسلمين صغيرا .. رأيته وجودا صغيرا متطامنا ، غارقا فى أطمار وأسمال ، مسكينا مهزوزا يتوارى من الناس فى زاوية ذل واهمال ..

لكن حياة محمد عليه السلام لم تكن عبثا ، وقدوته لا يمكن ان تضيع سدى ، وأنواره ليست مما يخفى بين اطباق الظلام المتراكبة ، وصوت محمد أعلى من صوت البارود والمتفجرات .. ولا يمكن أن نيأس من روح الله ، مهما مالت موازين الأحياء فى هذه الحياة ..

مالى لا ابلور افكارى واجمعها .. ؟ مالى لا ارفع الصرخة وارسلها وهذه مجلة تسير على وعى وهدى .. فلأنظر هذا الذى يتفجر لهيبا فى

ضلوعى ، ولاترجم عنه مهما كانت ظروفى وشجونى .. وأمسكت بقلمى ، وهو عدتى ، ورحت ، وها انا ما أزال أكتب ..

— ٤ —

ايها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ..
الى كل آمل فى رضـــوان الله يوم يصنف الناس زمرا الى الجنة أو قطعانا آثمة تساق الى النار .
أيها الناظرون الى يوم تضـــحى الوجـــوه التى كذبت فيه على الله مسودة .
أيها الخائفون يوما يجعل الولدان شيبا .
ان هـــــذا الرصاص المنهمر هـــو اعلان خطأ كبير رهيب فى حياتكم ، وعلامة فشل ذريع فيما تهدهدون الضمائر به لتسكت عن الحاحها عليكم ..
آن أوان هجرة جديدة يا أتباع ممجد ، وأحفاد أصحاب محمد .
هجرة تباشرها القلوب ، صادقة تتفجر ينابيعها من صميم الروح باذلة حاسمة .ى بذلها توازن بين الدنيا والآخرة موازنة فاصلة لا رجعة بعدها ..

— ٥ —

طائفتان منا يجب أن تهاجرا تلك الهجرة الميمونة التى تضع أســـاس العودة ، وترفع على الأســـاس المكين بنيان هذه الأمة ، بعد ان أنحينا مع الأيام ، على البنيان القديم تقويضا وتحطيما ..
العلماء والقادرون يجب ان يهاجروا والا ضاعت مع الرياح ســـائر آهاتنا ، وتبددت بلا طائل سائر مجاهيدنا .
ان الرجلين اللذين اجتمعا بالهجرة ، مترافقين فى الغار بين فكى أروع الاخطار ، كانا الرسول العالم العامـــل محمدا ، والثرى القـــادر المضحى أبا بكر .. وبالعلم العامل ، وقدرة المال الباذلة تشكلت نواة الحركة اليثربية التى نشأت منها كل السرحة العظمى .

— ٦ —

لقد قرأ الرسول باسم الله ، حين ناداه الملاك ، وظل باسم الله يقرأ حتى نهاية الحياة !
حياته كلها جعلها لبث الهداية تماما كما علمه الوحى ، لم يشغله مال يثمره ، ولا ابنة لو سرقت يحابيها فلا يقطع يدها ، وحق يشهره باللين حين ينفع اللين وما دام ينفع ، وبالقوة المسخرة فى ركاب الحق ، الجاعلة النصر وغنيمة النصر لله ولكلمة الله ، وبالصـــمت حين يكون الصمت ســـياسة مثمرة .
ثبت كما لم يثبت أحـــد من المسلمين ، وجاع كما لم يجع أحد منهم ،

واحبهم جميعا ، وما عاب الا النقص فى اعمالهم دون حنيظة أو موجدة على أحد منهم ، وسامحهم وعفا عنهم ، ولم يحدث ابدا أن تباعد عنهم ، ولا تخلى عن رسالته لحظة واحدة الا أن تكون لحاجة جسد مكدود من الجهد حين يطعم او يخلد لراحة تجدد الجهد ، أو نوم غرار لا يستغنى عنه أحد ..

وأبو بكر كان يحمل معه الى دار الهجرة ماله الا نزرا مطففا خلاه لعياله ومن بعد ما صنع نظير ذلك واكثر فى تبوك حين جهز مع المجهزين جيش العسرة بكل ما يملك من دنياه ، الا عباءة ربط فيها خلالا لكى تستره .

ـ ٧ ـ

لقد آن أوان اليقظة على حقيقة رسالة المعرفة ، وأخلاق طلبة العلم فى عالم المسلمين !

فما بينهم وبين القدوة المحمدية من البعد ما بين اقصى الغرب وأقصى الشرق .

العالم المسلم رجل طهور تبسط الملائكة له اجنحتها .

صادع بالحق ، ناطق بالصدق ، كلمته تخرق أعتى الأسوار ، وتزلزل كل جبار ، صانع قوة لا يحيا على زاد سواه ، فرار من لقمة الحرام والزاد السحت ، راع أمين للامة يرد القطعان الضالة منها بصليل الكلمة الصادقة الهادية ، ودليل القدوة النيرة الصالحة قبل ان تسيخ أقدامها فى سيخ الضلالة .. مساهم بعقله ويده فى الانتاج ، عزوف عن التمسح بالأعتاب .

والعلم الذى يريده الاسلام علم نافع يبنى الأمة ، ويرفع مستوى القوة ويوفر القيادة الصالحة والقدوة ..

ديدبان رقيب على تطبيق روح العدل فى المجتمع ، ساهر على حرمات الله ان تنتهك ، مرمم لرباط المحبة بين المسلمين كلما رث أو فتر . مؤكد لذاتية هذه الأمة فى ثقافتها الخاصة ، وحدودها الواضحة ، وشاراتها فى ملبس وطعام وجد ولهو ، ومعاملة وسلوك .

لكن ما نراه يحطم القلب ويسفر عن مثل ما يئن منه الجو المقرور البهيم من تراشق بالرصاص ..

ولكن أين هى مؤسسات المعرفة التى تخرج أمثال هؤلاء المصلحين الربانيين ؟

يريد الوطن الاسلامى الآن فئة طلائعيين من العلماء المهاجرين .

مهاجرين يضعون أيديهم بأيدى اخوان لهم هاجروا من دنيا أموالهم الى دنيا الايمان المتجرد من حطام الرغائب .

ان القيادات العلمانية فى دنيا ثقافاتنا المختلطة المتنافرة تفخر بشىء غير الاسلام ، وتتباهى بأهداف غير أهداف الاسلام ، وهى مصابة الى جانب الانفصال عن ضمير الأمة بأقبح أشكال الأنانية ، وعبادة الشهوات ، وتفريق كلمة الناس ، ناهيك عما يعيبها من انتهازية وتلون ، وهروب ورفض .

ان هؤلاء لا يكيدون عدوا ، ولا ينصرون صديقا ، ولا يتحدثون بلغة الامة التى لا تفهم عن سواها ، وهم مشتتون مذبذبون فى الارض لا الى هؤلاء ولا الى أولئك .. دينهم المنفعة واللذة ، وولاؤهم قطعا لغير القرآن والسنة ،

وعندهم معين لا ينضب من أعذار الكسل وترك كل التزام ، ناهيك عن حب الحمد بغير حق ، والمال بغير كسب ، والشهرة ولو بالاثم .

هؤلاء الذين عن غير الرتب والألقاب والعلاوات لا يكادون يسألون ، ومع كل هبة ريح ينحنون ويخضعون ، ولكل غالب يصفقون .

ولكن محاضن المعرفة الجديدة ، ومدارسها وجامعاتها لا تنهض بالكلام وانما تقوم ببذل غزير ، وهجرة حقيقية كهجرة أبى بكر .

فهل يدرك القادرون على البذل من المسلمين انه لا بقاء لهم ولا لشعوبهم الا بقيام الثقافة التى تحفظ للأمة كيانها وذاتيتها وشرفها ، وتوجد رجالا لهم مواقف واضحة صارمة حاسمة فى الدفاع عن النسيج الداخلى للأمة فى وقت السلم ، والوقوف على أسوارها الخارجية فى الحرب .

— ٨ —

اننى أومن بالعذاب والآلام والأزمات سبلا لا تخيب فى ايقاظ الوجدان النائم ، وتفتيح العيون الغافلة وابراز أبعاد الخطر .

لقد سقطت أمشاج الثقافات العلمانية الواهنة المتراخية ، وباءت بالفشل سائر المعارف السفسطائية البيزنطية المتباهية بالالفاظ الجوفاء الفارغة ، بل هى أثبتت بما لا يدع للشك مجالا انها تهدم ولا تبنى وتفرق ولا تجمع ،وسقطت أيضا كل هجرة لا تغلغل فى الصحراء مدى المسافة كلها من مكة الى يثرب .

ان المسلمين يقفون موقف حياة أو موت كما وقفوا لأول مرة فى الخندق وما لم يتقدم القادرون بكل قواهم ، وكل امكانهم ، وكل عزائمهم .

وما لم يوقفوا تيار الافساد الموغل فى تحطيم فلذات اكبادهم بتحريف رسالة المعرفة فى أبنائهم ، وغزو عقولهم فى عقر ديارهم .

وما لم ينهضوا بصروح العلم الحق ، الذى ينشىء المقدرة والخلق ، تحت راية القرآن وقدوة الرسول ، ومخطط واضح لبناء القوة بالبحث العلمى وفنون الصناعة التطبيقية وفق حاجات كل بيئة بذاتها ، وعلى أساس استغلال ثرواتها ، فى ظلال التراحم والتكافل التى ضمنتها مبادىء الاسلام .

انهم ما لم يفعلوا فالفتن السود ، وهذه الانهيارات الداوية التى يلعلع فى ظلماتها الرصاص بين أهل البلد الواحد ، قد تستمر وتستشرى وتصبح لا سمح الله قدر العذاب لهذه الامة فى الارض ..

وصلى الله على محمد الذى هاجر من مكة الى يثرب ما فى يقينه من وراء الهجرة الا نصرة الحق ، ورفع راية الله فى الارض .

ورضوان الله على أبى بكر فهو قدوة المهاجرين من الجاه والمال فى سبيل انتصار كلمة العدل والحق ..

واللهم أهد هذه الامة ، اللهم اكشف عن أبصارها الغشاوة ، اللهم هىء لها أسباب تبلور الفئة المهاجرة الطلائعية التى ينتظرها تخليص هذه الأمة من طرف الهاوية الرهيبة .



مع الطبيب



أمراض الشتاء

للدكتور : محمد محمد أبوشوك

ما ان يهل علينا فصل الشتاء ، وما يحمل بين طياته من برد قارس ، إلا وتكون معه أمراضه التى تكثر فى أيامه ، وكما نهرب من فصل الصيف الى جبل مرتفع ، أو شاطىء جميل ، فاننا نهرب من هذا الفصل ونحمى أنفسنا بجوار المدافىء الكهربائية ، أو حول نار متأججة ، أو فى الغرف المكيفة ، وبينما يحس الانسان بسعادة الدفء ، اذا هو يعرض نفسه لأخطار وأمراض الشتاء ، لأن سرعة تغير الجو المفاجىء عند خروجه من مكان دافىء الى آخر بارد ، يساعد كثيرا على حدوث مثل هذه الامراض ، وهذه بعض الامراض التى يشيع انتشارها فى الشتاء :

اولا : الزكام .. نزلة البرد .. الرشح .. النشلة :

وهو مرض سرعان ما ينتشر بين الناس ، لأنه ينتقل بواسطة الرذاذ الذى يخرج من أنف المصاب عندما يعطس ، وهذا الرذاذ المحمل بفيروسات ـ سرعان ما تذهب الى الغشاء المخاطى المبطن للأنف ، مسببا التهابا له مع الاحساس باحساس غريب ـ يسبب حكة فى الأنف مع العطس الشديد ـ ودموع تنزل من العينين ـ وصداع بالراس ، ثم سعلة جافة مع الاحساس بالالتهاب فى الحلق ـ كل هذا يكون مصحوبا بارتفاع بسيط فى درجة الحرارة ـ وكل هذه الاعراض تستمر يومين أو ثلاثة سرعان ما تنقشع . وفى بعض الحالات تحدث بعض المضاعفات ربما تكون خفيفة أو شديدة كالتهاب الجيوب

الأنفية مسببة زيادة فى الصداع ، والم بالرأس ــ أو التهاب فى الجهاز التنفسى العلوى مع سعال جاف ، ثم سعال مصحوب ببلغم ــ وربما امتد الالتهاب الى الرئة ، ونتج عن ذلك التهاب رئوى .

والملاحظ أن هذه المضاعفات تكثر خصوصا عند المرضى المصابين بمرض الربو ، فانهم سرعان ما يتعرضون لنزلات حادة بعد تعرضهم لمثل هــذه النوبات من الزكام ، أو لعل مما يجعل الفرد منا يتعرض لعدة نوبات فى الشتاء راجع لأن المناعة التى تحدث من فيروسات هذا المرض المختلفة الانواع هى مناعــة قصيرة لا تتجاوز أسابيع قليلة .

ونصيحتى لمن يتعرضون للزكام اذا كانوا من مرضى الربو أو من مرضى القلب أو غيرها من الأمراض التى تضعف من مناعة الجسم ، نصيحتى لهم أن يخلدوا للراحة عند حدوث النوبة والا تعرضوا لهذه المضاعفات .

والوقاية فى هذا المرض خير من العلاج ، خصوصا عند الذين يتعرضون للمضاعفات ، فالابتعاد عن الأماكن المزدحمة قدر المستطاع واستعمال (مناديل) الورق عند الاصــابة بالزكام ثم حرقها تكون عاملا أساسيا فى عــدم انتشار العــدوى .

واذا ارتفعت درجــة الحرارة وجب على المريض الراحــة فى الفراش ، واخذ أقراص الاسبرين ثم شراب الكودايين واستنشاق صبغة الجاوة يســاعد على تخفيف حدة السعال ــ ثم تناول المركبات الحيوية التى تقتل الميكروبات التى تصيب الجهاز التنفسى اذا دعت الضرورة لذلك .

ثانيــا ــ ((الانفلونزا)) :

وهى مرض معد ، اشد وطأة من الزكام ــ يسببها فيروس كذلك ، وربما تجىء على هيئة حالات فردية ــ أو تجتاح أجزاء كثيرة من العالم وتتخذ شكــلا وبائيا ــ كما يحدث من آن لآخر .

واعراضها تظهر فجأة بعد حضــانة لفيروس المرض ، مدة يوم أو يومين والذى ينتقل بواسطة الرذاذ الذى ينتقل فى الهواء .. ويشعر المصــاب باعياء شديد ، مع صداع وآلام فى جميع العظام والمفاصل خصوصا فى الظهر ــ ثم ارتفاع فى درجة الحرارة مع قشعريرة وشعور ببرودة ثم غثيان ، وربما قىء ــ كل هذا مصحوب باحتقان فى الحلق وسعال وفقدان للشهية وفى معظم الأحوال تستمر هذه الأعراض لمدة ثلاثة الى خمسة أيام تتحسن حالة المريض بعــدها وتذهب عنه كل الأعراض .

وفى بعض الحالات تحدث بعض المضاعفات مثل الالتهاب الرئوى ــ أو الاحساس بضعف عام مع اسهال شديد وكآبة لمدة اسبوعين بعد المرض ــ وفى الحالات الشديدة كما حدث فى وباء سنة ١٩٥٢ يلتهب المخ ويحدث ما يسمى مرض الرعاش أو أعراض أخرى نتيجة لاصابة المخ .

والوقاية هنا هامة خصوصا فى زمن الوباء بهذا المرض فالبعد عن الأماكن المزدحمة ، واستعمال (مناديل) الورق عنــد العطس واخراج افرازات الأنف والفم ثم حرق هذه المناديل . ولقد اكتشف مصل لهذا المرض ، ولكنه ما زال يستعمل على نطاق ضيق ويعطى للعاملين فى حقل التمريض والطب ، والمخالطين للمرضى والعاملين فى حقل الخدمات المختلفة ، وذلك عند حدوث وباء .

وما زال الطب قاصرا من أن يجـــد علاجا لقتل الفيروس ـــ والعلاج الذى يعطى هو علاج الأعراض كالاسبرين للصداع وآلام الظهر ـــ ومنوم عند الأرق ـــ وشراب الكودايين للسعال ، ثم علاج المضاعفات عند حدوثها ، كعلاج الالتهاب الرئوى بالمركبات الحيوية كالبنسلين وغيرها من الأدوية المماثلة .

ثالثـا ــ النزلات الشعبية :

وهى التى تصيب الشعب الهوائية وتبدأ فى معظم الحالات بالحنجرة ـــ ثم القصبة الهوائية . نتيجة للاصابة بالمكروبات التى تملأ الجو ـــ من رذاذ خارج من مريض ـــ ويساعد على ذلك اذا كان الجو مليئا بالضباب ، أو الدخان ـــ أو الأتربة ـــ ويكثر المرض بين المدخنين ـــ ومدمنى المشروبات الكحولية ، والذين يتعرضون للغبار ـــ وتكثر هذه النزلات فى الشـــتاء خصوصـــا اذا كان تغيير الجو مفاجئا .

وتكون النوبة حادة سرعان ما تزول اذا ما عولجت العـــلاج الناجع وفى أسرع وقت ممكن والابتعاد عن المسببات ـــ أما اذا أهمل العلاج واستمر التعرض للسبب فان المرض يطول ـــ ويطول ـــ وتكون النزلات الشعبية المزمنة ـــ والربو وغير ذلك من أمراض الرئة المزمنة ، لذا كانت أهمية العـــلاج المبكر والابتعاد عن السبب ، وتبدأ الاعراض بسعال جاف يتضايق منه المريض ، مع الاحســـــاس بألم وشرخ ملتهب خلف عظم القفص مع ضيق فى الصـــدر ـــ وعدم ســـهولة التنفس ـــ مع حدوث صوت مسموع عند التنفس . ويجد المريض صعوبة فى إخراج بصاق لزج فى بادىء الأمر ، الا أنه بعد يومين يصير البصاق صديديا ، وترتفع درجة الحرارة .

وفى معظم الحالات تتحسن حالة المريض فى ظرف أربعة أيام الى ثمانية أيام ـــ الا اذا حدثت المضاعفات ، وهى تنتج من امتداد الالتهاب الى الشعيبات الصغيرة أو أنسجة الرئة نفسها .

والعلاج كما أوضحت يجب أن يكون مبكرا ، مع التزام الراحة بالفراش على أن تستمر الراحة بعد رجوع الحرارة الى طبيعتها بيومين خوف النكسة أو المضاعفات .

والعلاج بالمضادات الحيوية كالبنسلين وغيره بعد عمل فحص للبصـــاق ومعرفة الميكروب المسبب للمرض ومدى استجابته للعلاج ـــ حتى يمكن القضاء عليه وعدم تركه ليحدث المضاعفات أو يسبب أزمات المرض .

وعندما يكون البصاق لزجا فى بادىء الأمر ويستحال خروجه الا بمشقة فصبغة الجـــاوة بوضعها على ماء مغلى واستنشاق بخارهـــا يسهل خروج البصاق .

وشراب الكودايين يهدىء من شدة السعال فى الليـــل لكى ينعم المريض بقسط من الراحة فيمكنه التغلب على مرضه .

رابعـــا ــ الالتهاب الرئوى :

وهو كثيرا ما يحدث فى الشتاء اذ أن الطريق يكون ممهدا أمام المكروبات

المختلفة لتذهب الى الرئة وتسبب التهابا ، وذلك نتيجة لتعدد حدوث نوبات الزكام ، والعدوى بالفيروسات المختلفة .

وتظهر الأعراض فجأة مع قشعريرة فى الجسم ، مع اعياء شديد — وفقدان فى الشهية وآلام فى الرأس والمفاصل والظهر ، ومن هنا تظهر أن الأعراض لا تختلف كثيرا عن اعراض الانفلونزا فى بدايتها — ثم ترتفع درجة الحرارة . ويحس المريض بألم فى الصدر يكون من النوع الوخزى يزداد عندما يسعل المريض أو يأخذ نفسا طويلا — ونرى المريض يسعل كثيرا ، وربما أرقه هذا السعال وانهك قواه — وفى أول الأمر يكون السعال جافا غير مصحوب ببلغم ، ثم بعد يومين او ثلاثة يخرج بلغم قاتم سرعان ما يتحول الى بلغم مصفر أو مخضر تبعا لنوع الميكروب المسبب للمرض .

والذى يساعد على حدوث مثل هذه المضاعفات هو عدم خلود المريض الى الراحة والعلاج ، واجهاده نفسه رغم ما يقاسى من آلام ومن ارتفاع فى درجة الحرارة .

وتدريجيا تنخفض درجة الحرارة مع استعمال العلاج اللازم فى مثل هذه الحالات .

والعلاج يتلخص فى راحة المريض بالفراش مع اخذ وجبات خفيفة من الاغذية سهلة الهضم كشربة الخضار — أو خضار مسلوق أو لحم دجاج مسلوق — ثم الاكثار من عصير الفواكه الطازجة ، والماء لتعويض ما يفقد الجسم من سوائل وذلك فى العرق الذى يكون غزيرا فى مثل هذه الحالات .

ثم استعمال الأدوية الحيوية المضادة للميكروبات وعلى رأسها البنسلين ، وغيرها من مثل هذه المركبات . وكلما كان العلاج مبكرا فى بادىء الأمر ، كان الشفاء العاجل دون حدوث مضاعفات ، لذا كان من اللازم استشارة الطبيب فى وقت مبكر ، وليس بعد فوات الأوان . واذا احتاج المريض الى مسكن كالاسبرين — أو مسكنات السعال كشراب الكودايين او منوم — أو لزقة ساخنة على آلام الصدر كل هذا يساعد المريض على التغلب على مثل هذه الأعراض .

خامسا — التهاب اللوزتين :

وهذا كثير الحدوث فى الشتاء لكثرة حدوث نوبات الزكام — فتلتهب اللوزتان وتتضخم — ويحدث تقيح فيهما مع ارتفا عفى درجة الحرارة ، ويخاف على المريض فى بعض هذه الحالات من أن يصاب بعد ذلك بالتهاب فى المفاصل ، وبما يسمى الحمى الروماتيزمية — أو التهاب الكلى الحاد .

والحمى الروماتيزمية تصيب المفاصل الكبيرة ، فتلتهب المفصل وتتورم ، وتؤلم مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، وسرعان ما تتحسن الحالة فى هذا المفصل — ليتأثر المفصل الآخر ويلتهب وتتحسن حالة المفاصل باستعمال الاسبرين أو مركبات الكورتيزون — ولكن الخوف كل الخوف أن يصاب القلب بالروماتيزم ، وما يترك من أثر على صمامات القلب ، فاما أن تضيق أو تتسع — لذا كان من الواجب اذا أصيب الطفل أو الشاب بالحمى الروماتيزمية أن يعرض

نفسه على طبيبه ، ويتبع تعاليمه بدقة فى الراحة والعلاج ، حتى لا يتعرض لمثل هذه المضاعفات .

واذا تكرر التهاب اللوزتين ، وتكررت معه آلام المفاصل . كان من الواجب اخذ البنسلين طول مدة الشتاء حتى لا يتعرض المريض لحدوث مثل هذه الالتهابات فى المفاصل . وفى حالة ما

اذا كانت اللوزتان قد أصبحتا مصدرا للالتهاب المزمن ، وبالتالى مرتعا خصبا للميكروبات التى طالما تؤدى بما تفرزه من سموم تؤثر على أجزاء عدة من الجسم فان ازالتهما يكون مستحسنا ، ويكون ذلك بعد استشارة الطبيب .

سادسا ـ الآلام العضلية والمفصلية :

ومع الشتاء تكثر الشكوى من الآلام التى تكون فى العضلات والمفاصل وذلك ان البرد يؤثر على بؤر حساسة فى العضلات فتبعث هذه بدورها الى كل اجزاء العضلة والعضلات المجاورة باحساس بالألم ، كما يحدث ذلك فى عضلة الظهر ـ والمرض المعروف (باالليمباجو) وكذلك الآلام التى تصيب عضلات الرقبة ، والعضلات حول المفاصل ، ويلاحظ من يعانون من الآلام المفصلية المزمنة بالركبتين مثلا ، ان هذا يزداد فى الشتاء لا لشىء الا أن العضلات حول المفاصل تزداد تيبسا ، وتزداد أوقات الجلسات حول المدافىء فتتيبس المفاصل اكثر فأكثر ، ويجد المصاب صعوبة فى بدء الحركة حتى تتفكك المفاصل عند القيام وتبدأ الحركة .

ونصيحتى لهؤلاء أن لا يعرضوا أنفسهم للبرد القارس وأن يحافظوا على عضلاتهم ومفاصلهم بارتداء الثياب الصوفية ، واذا جلسوا بجوار المدافىء فلا يطيلوا واذا أطالوا يجب أن يحركوا مفاصلهم حتى لا تتيبس ـ بل واذا أحسوا بالدفء ، أن يمرنوا العضلات حول المفاصل التى طالما تكون ضعيفة وذلك بتحريك المفصل عدة مرات ، وهو أمام المدفأة ، فيستفيدوا من الدفء ، ولا يعرضوا انفسهم للآلام الشديدة التى تحدث من تيبس المفصل . ومع آلام العضلات التى فى الصدر والوخزات التى تحدث تبعا لذلك يكون الخوف على القلب ، ومن أمراض القلب ـ ولكن عندما يكون الألم وخزيا ينتقل من مكان الى مكان ، بل وفى بعض الأحيان يذهب الى عضلات أخرى فى الاطراف فاحتمال مرض القلب بعيد ـ وكل هذا ناتج من الآلام الشبه روماتيزمية التى تصيب تلك العضلات شأنها فى ذلك شأن العضلات الاخرى .

واذا زاد الألم فى العضلات والمفاصل رغم التدليك والتدفئة والتمرينات ـ فأخذ أقراص الاسبرين لمن ليسوا عندهم حساسية له ـ أو اقراص الباراستامول وفى الحالات الشديدة البيوتازولدينتساعد على تخفيض حدة الألم ويمكن للانسان مزاولة عمله فى همة ونشاط بدلا من أن يركن الى الخمول وعدم الحركة ، أو يصبح قعيدا عالة على أهله .

سابعا ـ التسمم بغاز الفحم :

ولكى اوفى الموضوع حقه لا بد وان القى الضوء على حالات التسمم بغاز الفحم ، أى أو ل اوكسيد الكربون ، فبعض الناس ما زال يستعمل الفحم كوسيلة للتدفئة ، رغم ما يحيطها من اخطار ولعل اكثرها خطرا هو أن يؤخذ الفحم فى الحجرة ، وتقفل نوافذ وابواب الحجرة ، باحكام ـ وينام الناس ، والفحم ما يزال مشتعلا ـ فيستولى على أوكسجين الغرفة ، ويتنفس النائمون غاز الفحم ، أول اكسيد الكربون فسرعان ما يحسون بدوار ، ثم غثيان وفى بعض الحالات قىء ـ واذا لم يسعف المريض واستمر تحت تأثير الغاز ، فانه يصاب بغيبوبة ـ لو طالت ادت الى الموت ، والوقاية هنا هامة ، ويا حبذا لو استبدل الفحم بالمدافىء الكهربائية ـ وان كان ولا بد من الفحم ـ فليستعمل خارج الغرفة ثم اذا ادخل الغرفة ، فلا تقفل كل نوافذها واذا حدث أن أصيب بعض الأشخاص بتسمم هذا الغاز ، فيجب أن يخرجوه بسرعة إلى الهواء الطلق ، وتزال كل أشياء حول الرقبة ليسهل التنفس ، ثم يلف المصاب حتى لا يبرد جسده ، ويساعد ذلك على سوء حالته واذا حدث وتوقف نفسه ، فلنعمل له تنفسا صناعيا ، واحسن طريقة ـ هى من الفم الى الفم ، وذلك الى أن تحضرسيارة الاسعاف ، وينقل المريض الى المستشفى لتكملة علاجه ، خصوصا اذا كان فى غيبوبة ، لأن ضياع الوقت يؤثر على المريض ، فربما طالت الغيبوبة ، وهذا يؤثر على المخ ، وحتى لو فاق المريض من غيبوبته فانه يترك اثرا بالمخ مما يسبب شللا فى بعض العضلات أو تيبسا فى الجهاز العضلى أو خللا فى التوازن وغير ذلك من الاضطرابات التى تصيب المخ .

لذا اكرر اهمية نقل المصاب بالتسمم بالغاز الى المستشفى ليعطى الأوكسجين بأسرع وقت ممكن حتى نقيه من المضاعفات ويفيق من غيبوبته تحت الملاحظة الدقيقة وعلاج اى طارىء يجد فى حالته .

هذه بعض أمراض الشتاء احببت أن القى الضوء عليها ، كما القيت الضوء على امراض الصيف لعل فى ذلك ما يجعلنا نتقى شرها ونحافظ على انفسنا منها لنتمتع بفصل الشتاء شهر الجد والاجتهاد ، شهر العمل والانتاج فنسعد به ونجنى ثمار جدنا واجتهادنا .



وطنه) .. من مسلمات الواقع ومصدقا تاالتاريخ الانسانى ، بالنسبة لحملة رسالات الاصلاح جميعا بلا اختلاف .

• • •

وبعد .. فعسى أن تكون لنا فى مناسبة الهجرة النبوية نحن مسلمى اليوم : موعظة وذكرى .. اعتبار بأحداثها وتجاريها الحلوة والمرة ، واستنارة بأضوائها ، وتحليق فى أجوائها .

لعلنا نرتفع من حضيض ، ونخرج من ظلمة ، ونجتمع بعد افتراق .

وان لنا ــ نحن مسلمى اليوم ــ لهجرة عجيبة غريبة .. هاجرناها ــ ونحن فى أوطاننا ــ وهجرنا فيها تعاليم الاسلام وآدابه ، الى تقاليد الحضارة الغربية التى سنها اهلها للهو واللغو والمجون ، وليست تقاليدهم الاخرى التى أمسكوا بها لتقدير الاعمال والعلوم والفنون .

فكل حياتنا اليوم (مظاهر) ذات زخارف ومتع وزينات . استنفذت حظ (مخابرنا) من الشعور الطاهر والفكر النائر ، وابدلتهما شعورا ضعيفا ، وفكرا سخيفا .. لا حول لهما ولا طول فى انكار منكر ، أو اقرار معروف .

أجل نحن مهاجرون ــ منذ قرون عديدة ــ الى المتع والملذات ، مخلدون الى الدعة والسلامة ، حريصون على جمع المال من اية سبيل ، والتباهى بالقصور المشيدة ، والمزارع المديدة ، والنزه والرحلات ، والاغراق فى المآكل والمشارب والمسامر .. لا نريد أن نبذل مالا ، ولا أن نريق دما ، ولا أن ننفق جهدا لاحقاق حق ، أو ازهاق باطل ، أو زجر ظالم ، أو اعانة مظلوم .

ومن هنا حقرتنا الامم القوية ، وتقاسمتنا الدول الكبيرة ، واصبحت مصائرنا فى أيديهم ، وثرواتنا فى خزائنهم ، وقضايانا تحل بقوانينهم ، ونحن ــ فوق ذلك ــ فيما بيننا مختلفون متشاكسون !

لقد كانت هجرة الأولين فى سبيل نشر دعوة الخير والحق والنور . وجاءت هجرتنا نحن مسلمى اليوم فى السبيل الاخرى . . التى تغرى عابريها بلذائذها وزخارفها بنسيان تلك القيم الرفيعات .. وصدق الرسول الكريم : (.. ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) .

• فمتى نعود الى الصراط السوى ، ومتى نهتدى ؟

• ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا ..

• ربنا ظلمنا انفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين

---

(١) سورة يس ٨ ، ٩ .

(٢) سورة الانفال ٣٠ .

(٣) سورة النساء ٩٠ .

(٤) موضع خارج الحل اعتمرت منه عائشة رضى الله عنها ، وكذلك يفعل العمار اليوم .

(٥) سورة النساء ١٠٠ .

(٦) سورة الانفال ٧٢ .

نقل الدم لا يحرم

السؤال :

هل يترتب على نقل الدم من الرجل الى المراة وبالعكس من الحرمة ما يترتب على الرضاع بداعى نقل الجزئية من جسم الى آخر فى كل منهما ؟ .
وجه هذا السؤال الى الدكتور حسن هويدى ، فتفضل بالاجابة التالية نقلا عن مجلة حضارة الاسلام الدمشقية .

الاجابة :

اذا نظرنا الى شروط الرضاع المحرم من كونه من امرأة ، وخلال الحولين باستثناء حديث سالم مولى ابى حذيفة الذى عده الجمهور شاذا ولم يأخذ به انتفى التحريم بالدم فى كل الحوادث التى ينقل فيها بعد الحولين ، والتى ينقل فيها من ذكر الى ذكر أو من ذكر الى أنثى مطلقا (لأن القول بتحريم لبن الرجل اذا در لبنه شاذ جدا لم يرد عن السلف ولم يأخذ به الخلف) ، ويبقى البحث دائرا فى صورة واحدة هى نقل الدم من امرأة الى طفل لم يتجاوز الحولين .

واذا تبين لنا ذلك أمكننا أن نقول : —

لا يحرم الدم المنقول كما يحرم الرضاع للأسباب التالية ..

١ — لأن الرضاع أمر تعبدى ورد به صريح الكتاب والسنة ، وان أصل الاشياء الاباحة فلو لم يرد النص بالتحريم من الرضاع ليقى الأمر على الأصل من حل النكاح ، فمن قال بالتحريم من الدم فكأنما يدعى نصا أو توقيفا وانى له ذلك ؟

٢ — لا يحرم الدم كما يحرم اللبن ، لأن الدم ليس بغذاء فى حد ذاته يمتصه الجسد ويغتذى به كما يمتص اللبن ويغتذى به ، وانما ينقل المواد الغذائية والأكسجين ويطرح ثانى اكسيد الفحم فهو خادم غريزى وناقل للغذاء وموفر للهواء (الأكسجين) فلا ينبت اللحم بذاته ولا ينشز العظم ، وانك لترى انسانا يموت فى الصحراء جوعا وفى عروقه ما يقارب خمس ليترات من الدم فهلا اغتذى به ؟ كما يلفت النظر الى أن الدم المنقول لا تلبث كرياته الحمر أن تموت بعد بضعة أيام ، ولا يبقى منه فى الجسم الا الماء والأملاح .

٣ — يشترط فى صحة القياس كثرة أوجه الشبه بين المقيس والمقيس عليه وما ثمة شبه بين اللبن والدم حيث ان الدم يوفر الحرارة والهواء (الأكسجين — وغاز الفحم) بينما اللبن محض غذاء فكيف يسوغ القياس ؟ ومن هنا يبطل الاحتجاج بنقل الجزئية من جسم الى آخر لعدم الشبه والا لكان تطعيم الجلد وتطعيم القرنية من انسان الى آخر محرما بداعى نقل الجزئية ، فهل يقول بذلك أحد ؟

٤ — ليس من ضابط توقيفى فى نوع النسب الحاصل — زعما — من نقل

الدم فان الرضيع نسبه الى المرضعة البنوه من الرضاعة توقيفا قال الله تعالى « وامهاتكم اللاتى ارضعنكم » .

وشهودا صوريا أشبه فيه ابنها الحقيقى بايوائه الى حجرهـــا والقامه ثديها واغتذائه بلبنها وفوزه بحنانها ، أما المنقول اليه الدم فلم يكن له نصيب فى هذا المشهد ، ولم ينل هذا النصيب من الغذاء ، ولم يرد فى نسبه توقيف فهل هو ابن لمن اعطاه الدم أو اخ أو ماذا .. ؟

لا شك ان ذلك يحتاج الى توقيف وماثمة من توقيف وان الصـــورة الحسية اختلفت فلم يعد بالامكان القول (بالبنوة) قياسا على الرضاع ، وليس بعدالتوقيف والقياس الصحيح والاجماع الا الابتداع اجارنا الله تعالى ..

من مسائل الربـــا

بعث الينا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعـــة الاسلامية بالمدينة المنورة الفتوى التالية ..

أما بعد فقد سألنى غير واحد عن معاملة يتعاطاها كثير من الناس ، وهى ان بعضهم يدفع الى البنك أو غيره مالا معلوما على سبيل الأمانة ، أو ليتجر به القابض على أن يدفع القابض الى الدافع ربحا معلوما كل شهر أو كل سنة مثال ذلك ان يدفع شخص الى البنك او غيره عشرة آلاف ريال او أكثر ، على ان يدفع اليه القابض مائة ريال او اكثر او اقل كل شهر أو كل سنة ، وهذه المعاملة لا شك انها من مسائل الربا المحرم بالنص والاجماع ، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ان أكل الربا من كبائر الذنوب ومن الجرائم المتوعد عليها بالنار واللعنة قال الله سبحانه « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم » وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ..

ففى هذه الآيات الكريمات الدلالة الصريحة على غلظ تحريم الربا وانه من الكبائر الموجبـــة للنار ، كما ان فيها الدلالة على ان الله سبحانه يمحق كسب المرابى ويربى الصدقات اى يربيها لأهلها وينميها حتى يكون القليل كثيرا اذا كان من كسب طيب ، وفى الآية الأخيرة التصريح بأن المرابى محارب لله ورسوله وان الواجب عليه التوبة الى الله سبحانه وأخذ راس ماله من غير زيادة ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لعن آكل الربـــا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال هم سواء .

فالواجب على كل مسلم ان يتقى الله سبحانه ويراقبه فى جميع الأمـــور وان يحذر ما حرم الله عليه من الأقـــوال والأعمال والمكاسب الخبيثة ، ومن أعظمها وأخطرها مكاسب الربا الذى انزل الله فيه ما يوجب الحذر منه والتواصى بتركه ، وقد نقل ابو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة رحمه الله فى كتابه المغنى عن الحافظ بن المنذر اجماع العلماء على تحريم مثل هـــذه المعاملة ، وفى ذلك كفاية ومقنع لطالب الحق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ..

حق القراءة

رزقني الله زوجة صالحة احمد فيها كل شيء الا انها لا تريد ان تترك لي وقتا افرغ فيه الي القراءة التي تعودتها منذ صغري فهل من حقوقي عليها شرعا ان تتيح لي فرصة المطالعة .

ع ـ س ـ الكويت

من حقوق الزوج على الزوجة أن تسارع الى هواه وان تعمل على مرضاته فيما يرضى الله ورسوله ، ومن ذلك أن تترك لـــه وقتا يفرغ فيه الى عبادة الله ، ووقتا يقرأ فيه ويكتب ويؤلف ، وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ترى ميل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العبادة ، فتسارع الى هواه وتقول له اوثر هواك على هواى .

والزوجة لا تشعر باللذة التي يجدها زوجها فى اشباع هوايته فى القراءة وقد تؤولها على معنى الكراهية لها والبعد عنها ، وهى فى ذلــك متجنية على زوجها ، واذا أصرت على هذا فقد تحمله على أن يترك البيت وان يفر الى مكان ينجو فيه من مضايقاتها ، وقد تمتد الكراهية الى معاشرتها بغير المعروف وعندئذ تكون الكارثة التى تهدد الأسرة .

ومن واجب الزوجة أن تكون عونا لزوجها فى كل خير ، والاعتدال فى كل شيء خير وفى الحديث (ان لبدنك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولربــك عليك حقا) .

• • • •

حق التاليف والنشر

ظهر اخيرا كتاب لأحد المؤلفين وباطلاعى عليه تبين ان هذا الكتاب منقول بنصه من كتاب لى سبق نشره ، ولا ادرى كيف ساغ لهذا الانسان ان يســطو على جهد غيره ، وان ينسب لنفسه ما ليس له ، والذى اريد الاستفسار عنـــه هو موقف القانون من هذا العدوان .

سيد الهايج ـ ج . ع . م

من الحقوق المعترف بها قانونا حق ملكية الاعمال الأدبية والفنية ، وقد نشأ هذا الحق ليفيد كل شخص من ثمرة فكــره وفنه .

ولحق التأليف جانبان متميزان :

أولهما أدبى يتركز فى حق الشخص أن تنسب اليه افكاره ، وان يكــون له وحده حق نشرها أو عدم نشرها ، وحق تعديلها والاضافة عليها ، وهــذا الجانب يعد من الحقوق الشخصية .

والثانى : مادى ويتمثل فى حق الشخص فى الافادة ماليا من أعماله ،

ويجوز له التصرف فيه ، وينتقل من شخص الى آخر ، كما ينتقل بعد موته الى ورثته .

ويختلف هذا الحق باختلاف الدول ، وهو فى القانون المصرى ٥٠ عاما بصفة عامة تبدأ من تاريخ وفاة المؤلف ، وبعد هذه المدة يسقط الجانب المالى لحق التأليف اى الحق فى استغلاله ، وهذا الأجل تقضى به المعاهدات الدولية وتأخذ به اغلب تشريعات الدول الاوروبية ، وقد قبلت كثير من الدول معاهدة برن (١٨٨٧) لتبادل حقوق النشر ، واجتمعت ٤٥ دولة فى جنيف ١٩٥٢ وأقرت معاهدة عالمية لحقوق النشر وقد استقينا هذه المعلومات من الموسوعة الميسرة .

هذا من الناحية القانونية ، أما من الناحية الأدبية فما أعتقد أن انسانا ما يقر هذا العمل أو يرضاه لنفسه ، فضلا عن أن ينتسب للعلم .

النقود

كيف كان الناس يتعاملون قبل استعمال النقود ؟ وما هو الغرض من اختلاف العملة بين نحاس ورصاص وفضة وذهب ؟ وهل قيمتها التجارية تعادل قيمتها المعدنية ، والعملة الورقية المستعملة الآن هل لها غطاء ذهبى يعادل قيمتها ؟

هاشم عبيد ـ عدن

كان التبادل يتم فى المجتمعات الفطرية عن طريق المقايضة ، اى مبادلة السلع بالسلع ، غير انه مع اتساع نطاق المبادلة ، وظهور تقييم العمل ، لم تعد المقايضة تفى بحاجات المجتمع الذى جاوز مرحلة البداوة ، ومن هنا ظهرت الحاجة الى واسطة تقوم بها الأشياء ، وتتمتع بقبول عام ، بحيث تستخدم فى التبادل . وكانت النقود فى بداية عهدها سلعة من السلع الشائعة الاستعمال ، فهى فى بعض المجتمعات ماشية أو نوع من الاحجار والأصداف ، بحسب ظروف كل مجتمع . ثم ظهرت النقود المعدنية تدريجيا ، من النحاس أو الرصاص فالذهب والفضة . وبقيت النقود المعدنية أداة التبادل ومقياسا للقيمة ردحاطويلا من الزمان، نظرا لما تتمتع به من دوام وقابلية للتجزئة الى قطع مختلفة الأحجام والأوزان . كان الاصل فيها التعادل بين قيمتها التجارية وقيمتها النقدية ، بمعنى انه يستوى أن تباع كقطعة معدنية أو كقطعة من النقود ، غير أن حاجة الحاكم الى ايراد ، مع عدم استقرار نظام الضرائب ، دفعته الى السيطرة على المضمون المعدنى للنقود . ومنذ ذلك التاريخ افترقت القيمة التجارية عن القيمة النقيدية للعملة ، واحتكر الحاكم لنفسه سلطة ضرب النقود ، وأجبر الأفراد على قبولها . ولم يلبث أن انتهى ذلك الى ظهور العملة الورقية ، وتطورت هذه بدورها تطورا كبيرا ، فقد بدأت صكوكا تخول حاملها الحق فى أن يبادلها بالذهب على أساس القيمة المثبتة عليها . وساعد فى ذلك أن العملة الورقية كانت فى بداية أمرها تستند الى غطاء ذهبى بنسبة ١٠٠ ٪ ، ثم تلاشى هذا الحق وأصبح الأفراد ملزمين قانونا بقبولها فى التعامل . وليس معنى ذلك أن الدولة تصدر العملة الورقية دون قيد أو شرط ، فأن الاسراف فى استعمال هذه السلطة يعرض النظام الاقتصادى لأخطار فادحة ، تتمثل فى التضخم النقدى ، والارتفاع الشديد فى الأسعار ، وزعزعة الثقة فى النقود ، ولا توجد حكومة تقدر

مسئوليتها تقدم بسهولة على هذه المخاطر . لذلك كان أصدار العملة الورقية ، سواء قامت به الدولة او البنك المركزى يخضع لتنظيم دقيق ولم يقف تطور النقود عند حد ظهور العملة الورقية وشيوع استعمالها ، فان نمو النظام الائتمانى اقترن بظهور الودائع المصرفية ، واستخدامها عن طريق الشيكات فى تسوية كثير من المعاملات ، وهى تؤدى ما تؤديه النقود تماما من وظائف .

(الموسوعة الميسرة)

تعقيب
حول مقال الأحاديث الضعيفة والقوية

جاءنا من الأستاذ مصطفى احمد الزرقا خبير موسوعة الفقه الاسلامى التعقيب الآتى :

نشرتم فى العدد الماضى (٧١/من السنة السادسة) كلمة الأستاذ المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى تحت عنوان (الأحاديث الضعيفة والقوية) وذكر فيها اننى اوردت فى كتابى (المدخل الفقهى العام) حديثا بنص : (الشفعة كحل العقال) ثم نقل عن ائمة الحديث ما يفيد انه غير ثابت .

فاود ان اقول : اننى اوردت هذا الحديث نقلا عن كتاب (بداية المجتهد) لابن رشد الذى بين اعتماد فريق من فقهاء الشريعة عليه فى ايجاب الفورية فى طلب الشفعة واننى بينت فى الحاشية ضعفه فقلت ما نصه : « وهذا الحديث لم يبلغ سنده رتبة الصحة » ..

وقد كان على الفاضل المذكور ان يبين انى نبهت على ضعفه وان يذكر ايضا اننى نقلته عن بداية المجتهد .

هذا ما تقتضيه امانة النقد فارجو نشر هذا الايضاح لبيان الواقع .

وبهذه المناسبة اقول : اننى اقدر الأستاذ الألبانى غيرته على تنقية الحديث النبوى مما لحق به من دخيل ــ شكر الله له ذلك ــ واننى متفق معه فى انه لا يجوز الاعتماد على الأحاديث الضعيفة الثبوت حتى فى فضائل الأعمال ، فان فضائل الاعمال ايضا من الشريعة فلا يعتمد فى تقريرها الا النصوص الصحيحة الثبوت خلافا لمن يقولون بجواز اعتماد الحديث الضعيف فى فضائل الاعمال . كما انى معه ايضا فى ضرورة التعاون بين العلماء من مختلف الاختصاصات بحيث يرجع غير المختصين بعلم الحديث النبوى الى المختصين فيه ، او مصادره الموثوقة لمعرفة رتبة كل حديث . واننى شخصيا كنت فى كثير من الأحيان اطلب اليه نفسه ان يفيدنى عن رتبة بعض الأحاديث التى تمر بى وما قرره علماء الحديث فى رتبتها .

الهدى فى الحج

وحول هذا الموضوع بعث الأخ حمد العبد القاضى من الكويت برسالة جاء فيها : انه سبق له ان كتب فى هذا الموضوع منذ عشر سنوات وانه اقترح تعليب لحوم الهدى بطريقة صحية ومساعدة المحتاجين بها ، كما اقترح الانتفاع بالجلود والقرون والمخلفات وانفاق ثمنها فى مد خطوط السكك الحديدية وربط المدينة ومكة وجدة بها .

بأقلام القراء

الايمان فضيلة وحضـــارة

كتب الاستاذ محمد سيد احمد المسير تحت هذا العنوان يقول :

يمكن تصور اشراقات الايمان على الجنس الانسانى واثره فى قيــادة القافلة البشرية الى حيث القيمــة والقمة من ثلاثة مواقع ...

اولا ــ الفـــرد :

فالمؤمن كما اراده الله ــ تجسيد لكل معـــانى الشرف والنبل والعزة والكرامة والرجـــولة والشهامة ، وهو مثل حى يمتزج فيه السمو الروحى بالشعور الانســـانى فهو يستروح بقدس الله ويتصل بمصـــدر الخير الاكمل والفضل الاسنى فى اطار قوى وسياج منيع مؤسس على تقوى من الله ورضوان .. وعلى العكس من ذلك الرجل الذى يهوى الى الارض يستلهم وجهته ممن عليها بما ينطوى عليـــه من ضعف فى الادراك والسعى ، وضعف فى العلم والاحـــاطة ، وضعف فى القدرة والارادة . « وخلق الانسان ضعيفا » .

ثم ان المؤمن عصى على القلق ، بعيد عن امراض النفس ، تستشعر نفسه روعة الحق ونضارة الصدق ، ويعيش مع من حوله فى جو تسوده نسمات السعادة ، وتحوطه بسمات العزة بلا نفاق او رياء ، وبلا كيـــد او دهاء كما قال تعالى :

« الذين آمنـــوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » ..

كذلك يسيطر الايمـــان على نفسية المؤمن فيسمو به على كل المعوقات وينطلق به من فوق كل المثبطات فيصل الى هدفه قويا عزيزا ...

ثانيا ــ الحس الاجتماعى :

ونعنى به ذلك الشعور المستبطن لذات الانسان تجاه ما يموج فى مجتمعه وصـــدى ذلك فى نفسه وما يصـــدر عنه من احاسيس واعمال تتصل ببنى المجتمـــع وتتعلق بمختلف مناحى الحياة فيه .. ويتحقق خير المجتمع بمدى ما يتاصل فيه من معانى الاخـــوة وقرابة الرحم ، وكرامة الانسان والتعاون القـــائم على تلاحم حقيقى ووحدة متماسكة ..

والايمان وحده هو الذى ينتظم كل هذه المعانى ، وينسق بينها ، ويقدمها فى احسن صـــورة واجلاها ، فهو يسعى الى تربية النفس ، وتاصيل مبادىء الخير والبر فيها ، واستحثاثها غيرة على الحق لا تعرف الملق ، وخدمة للآخرين فى السر والعلن لا يشوبها من ولا اذى ، ونصرة للضعفاء وذوى الحاجات لا تعرف خورا او تفريطا .

ثم ان الحس الاجتماعى المؤمن غير متاثر بالعاجل من المنافع بل هـــو يولى وجهه شطر غايات ارحب ، الا وهى ما يفهم من قول الله تعالى : « انمـــا نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جـــزاء ولا شكورا » .

وهذه الخاصية المؤمنة هى التى تخلق انبل النفوس واكرمها ، وادخلها فى الرفعة والسمو

الانسانى ، فالمؤمن يعتقد أن الله تعالى يجب أن يطاع بلا قيد ولا شرط ، وبلا علة خاصة أو غرض شخصى ، لانه هو الحق والعدل ، والجدير بكل حب وطاعة « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » ..

ثالثا ــ حضارة الأمــة :

ان أمــة تتكون لبناتهــا من أفراد يمثلون الفضيلة فى أرقى صــورها ويســود مجتمعها حس اجتماعى مؤمن ، ويقودها منهج للاصلاح « يهدى للتى هى أقوم » ، وتسير بخطى ثابتة فى كفــالة العقل الراشد ، هى بلا ريب من الانسانية ذروتها ومن الحضارة قمتها .

ان الحضارة فى غير الاطــار المؤمن تشبع جوانب الانســان الحيوانية من غرائز البطش والجبروت ، وغرائز اللذة الشره .. وغرائز المتاع الحسى الرخيص .

أما الحضارة بمعنى قيم الانســـان النبيلة ، وارساء قواعد العــــدل المطلق ، والتعمق فى ملكوت السموات والارض وصولا لعمارة الارض ، وسعــادة السماء ، فهذا هو دور الايمان صــانع المعجزات .

ان النفس المؤمنة تسارع الى الخير بمقتضى فطرتها ، وان النفس الملحــدة تســاق من ظاهرها برهبة السوط ، وعين القانون ، ومتى اخطأ السوط ، او غفل القــانون ، فهناك مجالات رحبة من فوضى الاخلاق والمعاملات ، وصراع الطبقــات ، وغلبة الاقوياء ، وسريان قانون الغاب .. فلنسر فى ظلال الايمــان وتحت أطياف الوحى ، ولنتــابع الخطى بعزم المؤمنين ، وصدق المتقين وصولا لأشرف الغايات وأنبلها .

علمـــاء الاســـلام

وكتب الأستاذ مصطفى يوسف راجع بكلية الحقوق جامعة الاسكندرية تحت هذا العنوان يقول : الاسلام هو دين العلم ، دين الحقيقــة ، دين الايضاح ، غايتــه التبصرة ، هو الدين الذى يهتم كثيرا بالمؤمنين به أن يؤمنوا عن عقيــدة وبصيرة واقتناع ، وقد سلك للوصول الى هذا الغرض سبلا شتى ، وجعــل من العلماء أئمة وقادة وهداة مهدين ، ولهم الدرجات العلا ، وقــد أثنى عليهم رب العزة ثناء كثيرا فى القرآن الكريم ، حيث يقول سبحانه وتعالى :

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ، ويقول عز من قائل : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والعلم أساس متين وراسخ تقوى به الامم والافراد ، وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، وذهب بعيــدا فجعله صلوات الله وسلامه عليه فريضة على كل مسلم ومسلمة .

والايمان يقوى فى النفس ويرسخ بحسب معرفة المسلم بربه وبقرآنه ، وبهدى النبى صلــى الله عليه وسلم ، ولا ريب أن العــــلم مقدم على العبادة ، فبواسطته يتقن العبــد مناجاة ربه ، والله سبحانه وتعــالى يقول فى محكم آياته (انمــا يخشى الله من عبــاده العلمــاء ...) لأن معرفتهم بالله جل وعلا تجعلهم يخشونه أكثر من غيرهم .

وبقدر ثواب العلماء والدرجــات التى أعدهــا الله لهم فى الآخــرة ، وبقــدر الارث الذى ورثوه عن الأنبيــاء ، ان هم أحسنوا القدوة ، وأجــادوا الريادة ، بقــدر ذلك كله فمسئوليتهم عظيمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صنفان من أمتى اذا صلحوا صلح النــاس ، واذا فسدوا فسد الناس : الأمراء والفقهاء) .

نخلص من ذلك كله الى أن هناك واجبــا كبيرا ملقى على عاتق العلمــاء من أمة الاسلام ، هذا الواجب هو الاستزادة من العــلم ، والجهاد فى نشر تعاليم الاســلام على أسس حديثة ، وكتاب الله هو الرائد وهو أصل المعرفة .

وعلماء الاسلام هم النور والنبراس الذى به يقتــدى المسلمون ، وهم الأعلام التى ترفرف عالية خفاقة ترفع كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ...



التغلغل الاسرائيلى فى أفريقيا

عن مجلة حضارة الاسلام الدمشقية :

بلغ عدد الدول الافريقية حتى عام ٦٨ ــ ٣٨ دولة منها (٣١) دولة لها علاقات مع اسرائيل وتقوم أوثق هذه العلاقات مع :

الحبشة (اثيوبيا) وغانا وساحل العاج والسنغال ونيجيريا ، أما الصومال وموريتانيا فلا يعترفان باسرائيل .

من بين الـ (٣١) دولة التى لها علاقات مع اسرائيل هناك ٢٩ دولة منها على درجة سفارة وبلغ تعداد الجالية اليهودية فى أفريقيا حتى عام ١٩٦٥ ٦٨٠ر٥٠١ يهوديا .

من أقوال ابن غوريون عام ١٩٦٠ : « اننا لا نستطيع أن نكره جيراننا على عقد السلام معنا . ولكن ما من شىء يمكن أن يؤدى الى تخفيف حدة البغضاء لدى العرب نحونا ، وبالتالى يؤدى الى السلام بيننا وبينهم أفضل من أن نكسب مزيدا من الأصدقاء من دول افريقيا وآسيا » .

ويقول آموس بن مزيد عن التعاون الاسرائيلى الافريقى : « **بان هذه الروابط انما هى المرتكز الرئيسى لاسرائيل مع العالم الخارجى ــ ما وراء وفوق السور ــ العدائى الذى أقامه العرب حولها ، هذه الروابط هى الطريق غير المباشر الى السلام مع اسرائيل** » .

غانا : أنشأت اسرائيل شركة النجمة السوداء للنقل البحرى برأسمال (١٥٠) الف جنيه اسرائيلى منها ٤٠٪ لاسرائيل ٦٠٪ لغانا . ثم أشرفت على معهد البحرية الغانى ، وفى سنة ١٩٥٧ وقعت الدولتان اتفاقية منحت غانا بموجبها ٢٠ مليون دولار ، وفى الفترة ما بين ١٩٥٨ ــ ١٩٦٠ م ساهمت اسرائيل فى انشاء مدرسة الطيران الحربية الغانية ، كما قامت اسرائيل بانشاء منظمة على غرار الناحال عام ١٩٦٣ .

الحبشة : بعد فشل الجيش الأثيوبى فى حرب الحدود مع الصومال عام ١٩٦٥ تولت اسرائيل تدريب وحدات الفدائيين التابعة لجيش الحبشة .

تكونت شركة انكوده الاسرائيلية لاستغلال الثروة الحيوانية ، تنتج هذه الشركة يوميا ٣٥ الف علبة ، ٣٠٠ طنا من اللحم المثلج ٣٥٠٠ قطعة من الجلود .

لها مصانع لتحويل فضلات اللحوم والعظام والشحم لمواد أخرى .

المركز الرئيسى للشركة فى أسمرة (**ارتيريا الجزء المغتصب من وطننا**

الكبير) ولها فروع في أديس أبابا والصومال الفرنسى ((**جيبوتى**)) . وفى عام ١٩٦٤ م تمكنت شركة أنكوده من شراء مزرعة تبلغ مساحتها ٥٠ الف فدان تقع بالقرب من السودان ويتم ريها من نهر القاش الذى يعتمد عليه السودان فى تزويد مشاريعه الزراعية .

نيجيريا : انشأت شركة سوليل بونيه التابعة للهستدروت شركة تستخدم (٤٠٠٠) عامل نيجيرى ، ٦٠ موظفا اسرائيليا برأسمال مشترك مع حكومة لاغوس . بلغ ما استثمرته اسرائيل خلال خمسة أعوام من افريقيا ١٥٠ مليون دولار عادت بمردود لا يقل عن (٥٠) مليون دولار .

السنغال : قامت اسرائيل عام ١٩٦٣ بانشاء منظمة للشبيبة السنغالية على غرار منظمة الناحال ، يديرها ضباط اسرائيليون وفى عام ١٩٦٥ م زار المشرفون على المدارس الزراعية الستة فى السنغال اسرائيل وذلك لحضور دورات تدريبية خاصة استمرت لمدة ستة أشهر ، وقد أمضى هؤلاء المشرفون معظم هذه الفترة عند الجادنا والناحال .

ساحل العاج : فى عام ١٩٦٢ قام سبعة ضباط اسرائيليين بتدريب مرشدين من ساحل العاج على انشاء مستعمرات زراعية فى أدغال ساحل العاج وقد تم فعلا تدريب أول فريق من المرشدين وهو مؤلف من ١٢٨ نفرا وضابطا احتياطيا .

وفى عام ١٩٦٣ أسس ضباط اسرائيليون مدرسة عسكرية فى ساحل العاج كما قاموا بارشاد جيش البلاد على تسيير ٦ مزارع ، وفى تموز من السنة نفسها أعلنت حكومة ساحل العاج أن ضباطا اسرائيليين سيقومون بتنظيم فرقة نسائية فى الجيش كما تم فى تلك السنة انشاء منظمة مماثلة للناحال بادارة ضباط اسرائيليين .

تانزانيا : درب ١٥ ضابطا وخمسة طيارين حربيين فى اسرائيل عام ١٩٦٣ ساهمت بعثات اسرائيلية مختلفة مؤلفة من الضباط والمزارعين فى انشاء تنظيمات الشبيبة وفى تدريب أعضائها على غرار منظمات الناحال والجادنا .

كينيا : تدرب ثلاثون ضابطا من الجيش الكينى وخمسة طيارين وعسكريين فى اسرائيل وذلك فى عام ١٩٦٣ م أى قبل حصولها على الاستقلال السياسى .

يوغندا : دربت اسرائيل عام ١٩٦٣ م خمسة عشر ضابطا وخمسة طيارين حربيين ، وقد تم تدريب كتيبة من كتائب الجيش اليوغندى فى اسرائيل ، كما أخذت اسرائيل على عاتقها مسؤولية تدريب السلاح الجوى اليوغندى وقد ساهم عالم ذرة اسرائيلى فى انشاء مختبر للنظائر المشعة فى يوغندا وما ذكرناه هنا عبارة عن غيض من فيض هو عبارة عن نماذج فقط لتدل على مقدار التغلغل الاسرائيلى فى افريقيا ويكفى لمعرفة مقدار الفائدة التى تجنيها اسرائيل من وراء ذلك أن نعلم أنها اقامت فى حيفا معهدا للدراسات الافريقية استفاد منه ٥٥ طالبا كونغوليا حتى الآن ..

اعـداد : الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادى الأول للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة وقد القى سموه توجيها أشار فيه الى الفترة الحرجة التى تمر بها الامة العربية والتطورات المنتظرة من منطقة الخليج العربى ..

● انتخب أعضاء مجلس الأمة الجديد وعددهم خمسون عضوا فى الشهر الماضى ، وقد شكلت وزارة جديدة برئاسة سمو ولى العهد الشيخ جابر الأحمد الصباح ، وقد أسندت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الى معالى الوزير راشد الفرحان ..

● عقدت فى الشهر الماضى بمقر جمعية الخريجين الكويتية ندوة فلسطين العالمية ، وقد حضرها مفكرون وسياسيون من شتى أنحاء العالم ، وقد افتتح سمو ولى العهد الجلسة الافتتاحية للندوة ..

● وافقت الجهات المختصة على اتفاق تجارى بين الكويت وتركيا فى سبيل تدعيم الصلات الاقتصادية بين البلدين ، والمعروف أن تركيا تعمل على تقوية الصلات مع الدول العربية بدل اسرائيل ..

● أصدرت وزارة الصحة قرارا بمنع تداول مادة القات ..

● تقرر انعقاد مؤتمر اتحاد المعلمين العرب السابع فى الكويت فى ١٩٧١/٣/٦ م ..

القاهرة : صرح مسئول كبير بأن حربا ضارية ستقع فى الشرق الأوسط اذا لم يتم الاتفاق على جدول زمنى لجلاء قوات الاحتلال الاسرائيلى قبل السابع من شهر مارس القادم ..

● تقدم مندوب ج ع م لدى هيئة الامم المتحدة الى سكرتير عام المنظمة مذكرة عن الأعمال الوحشية التى ترتكبها سلطات الإحتلال ضد المدنيين فى سيناء وغزة ..

● وجه فضيلة شيخ الأزهر من جبل الرحمة فى عرفات يوم وقفة عيد الأضحى بيانا الى المسلمين فى العالم أهاب بهم فيه أن يعملوا متضامنين لصالح قضاياهم وفى مقدمتها قضية فلسطين ..

● ستهدى الجمهورية العربية المتحدة الى « الوفاق العالمى للدعوة الاسلامية بكراتشى » خمسمائة كتاب اسلامى ومنحتين دراسيتين لخريجى الجامعة العلمية الاسلامية التابعة للدعوة الاسلامية فى كراتشى ..

السعودية : ناشد جلالة الملك فيصل العرب والمسلمين التضامن والتعاون والتمسك بالعقيدة حتى يخرجوا من هذه المحنة القاسية ..

● عقد بمكة المكرمة بعد الحج مباشرة مؤتمر للمنظمات الاسلامية لبحث القضايا الاسلامية العامة ..

● بلغ عدد الحجاج هذا العام مليونا و ٧٩ ألفا بما فيهم الحجاج السعوديون ..

● صرح أمين عام الأمانة الاسلامية فى جدة بأن أحداث الشرق الاوسط كانت وبالا على الأمة الاسلامية وتتطلع الأمانة الى أن يشكل المسلمون مستقبلهم بكل ثقة ..

● أنشئت وكالة أنباء سعودية بدأت نشاطها بتغطية أنباء موسم الحج هذا العام ..

● صرح معالى وزير الدولة للشئون الخارجية أن المؤتمر الثانى لوزراء الخارجية المسلمين قد نجح نجاحا كبيرا بحيث أصبحت هناك أمانة اسلامية ومشروع لبنك اسلامى ، واتفاق على مساعدة المراكز الاسلامية فى العالم ..

الأردن : أصدر المجلس الاسلامى بمدينة القدس بيانا يقاوم فيه مشروعات التهويد للمدينة معلنا

أن اسرائيل تهدف من وراء هذه المشروعات تمكين سيطرتها على القدس العربية ومحو طابعها العربي ..

● تعد لجنة الرقابة العربية العليا مذكرة بالوضع فى الأردن لرفعها الى الملوك والرؤساء الذين اشتركوا فى مؤتمر القاهرة فى سبتمبر ١٩٧٠ م ..

● أصدرت هيئة الصليب الأحمر الدولية تقريرا يدين فيه اسرائيل بانتهاك الحقوق الانسانية ، وهدم الممتلكات والقرى ، ونفى الأهالى فى الأرض العربية المحتلة ..

العراق : اتخذت الاجراءات لتحويل مبلغ ربع مليون دولار للهيئة العربية العليا لاغاثة المنكوبين فى حوادث الاردن فى سبتمبر الماضى ..

سوريا : عقدت المباحثات فى دمشق فى الشهر الماضى بين وزيرى النقل الاردنى والسورى حول تسيير خط حديد الحجاز والاعداد لاجتماع الهيئة العليا لهذا الخط ، والتى تضم وزراء النقل فى السعودية والأردن وسوريا ..

البحرين : صرحت مصادر وزارة التربية فى البحرين أن حوالى ألف طالب بحرينى يدرسون الآن فى الجامعات العربية والأجنبية ..

اليمن : أعلن الرئيس الايريانى الدستور الدائم للبلاد والذى يجعل المسئولية بين مجلس الشورى والمجلس الجمهورى ومجلس الوزراء والسلطة القضائية ، كما يجعل الملكية الخاصة مضمونة ولا تنزع الا للمصلحة العامة ..

قطر : بلغت التبرعات التى جمعها الهلال الاحمر الفلسطينى من قطر مليون وربع مليون ريال قطرى ..

الجزائر : بذلت وزارة الاوقاف مع جبهة التحرير الوطنى جهدا أسفر عن جمع مبلغ ثلاثمائة وخمسة عشر ألف جنيه استرلينى ضمن حملة للتضامن مع الشعب الفلسطينى ..

● عقدت أثناء عطلة الشتاء الماضية بمدينة قسنطينة دورة لمؤتمر الفكر الاسلامى حضره مفكرون مسلمون حيث بحثوا المراحل الراهنة التى يمر بها الفكر الاسلامى ..

المغرب : زار البلاد وفد تعليمى من المملكة العربية السعودية مثل قطاعات التعليم العام والتعليم العالى والتعليم الفنى والبعثات الخارجية لاتخاذ الطرق الكفيلة بتنفيذ الاتفاق الثقافى بين البلدين الذى عقد فى ١٣٨٧ هـ ..

تركيا : أجرى وفد عراقى مع المسئولين الاتراك مباحثات حول تطوير التعاون الاقتصادى والصناعى والتجارى بين العراق وتركيا ..

باكستان : أقيم فى مكتبة البنك المركزى الاسلامى معرض للقرآن الكريم عرضت فيه نفائس خطية من الخطوط الجميلة التى كتبت بها المصاحف من كثير من بلدان الاسلام ، كما عرض فيه المصحف الذى كان أصلا للنسخ المتداولة من مصحف عثمان ..

● نظمت مظاهرات ألحقت أضرارا بالقنصلية البريطانية من أجل كتاب نشر فى لندن تناول شبها غير لائقة بشخص رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ..

ماليزيا : أتهم الأمين العام للأمانة الاسلامية وكالات الانباء الغربية بأنها تشن حربا نفسية لتشويه الأمانة الاسلامية ، وأنه سيحاول انشاء وكالة أنباء اسلامية سريعا وسيدير مكتبا للمعلومات ..

أندونيسيا : وجهت ٥ منظمات اسلامية فى أندونيسيا نداء الى الأمم المتحدة لدراسة أوضاع المسلمين فى الصين والاتحاد السوفيتى ..

اخبار متفرقة

الدانمارك : شيد لأول مرة فى دول اسكندنافيا مسجد فى احدى ضواحى كوبنهاجن حيث يبلغ عدد المسلمين فى الدانمارك أربعة آلاف ..

سيلان : ستبدأ فى كولمبو برامج تدريبية تنظمها جمعية الشبان المسلمين فى سيلان للشباب الاسلامى لاكتساب المهارة العلمية ..

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأ، عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ـ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ـ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ـ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ـ الدوحة / قطر .

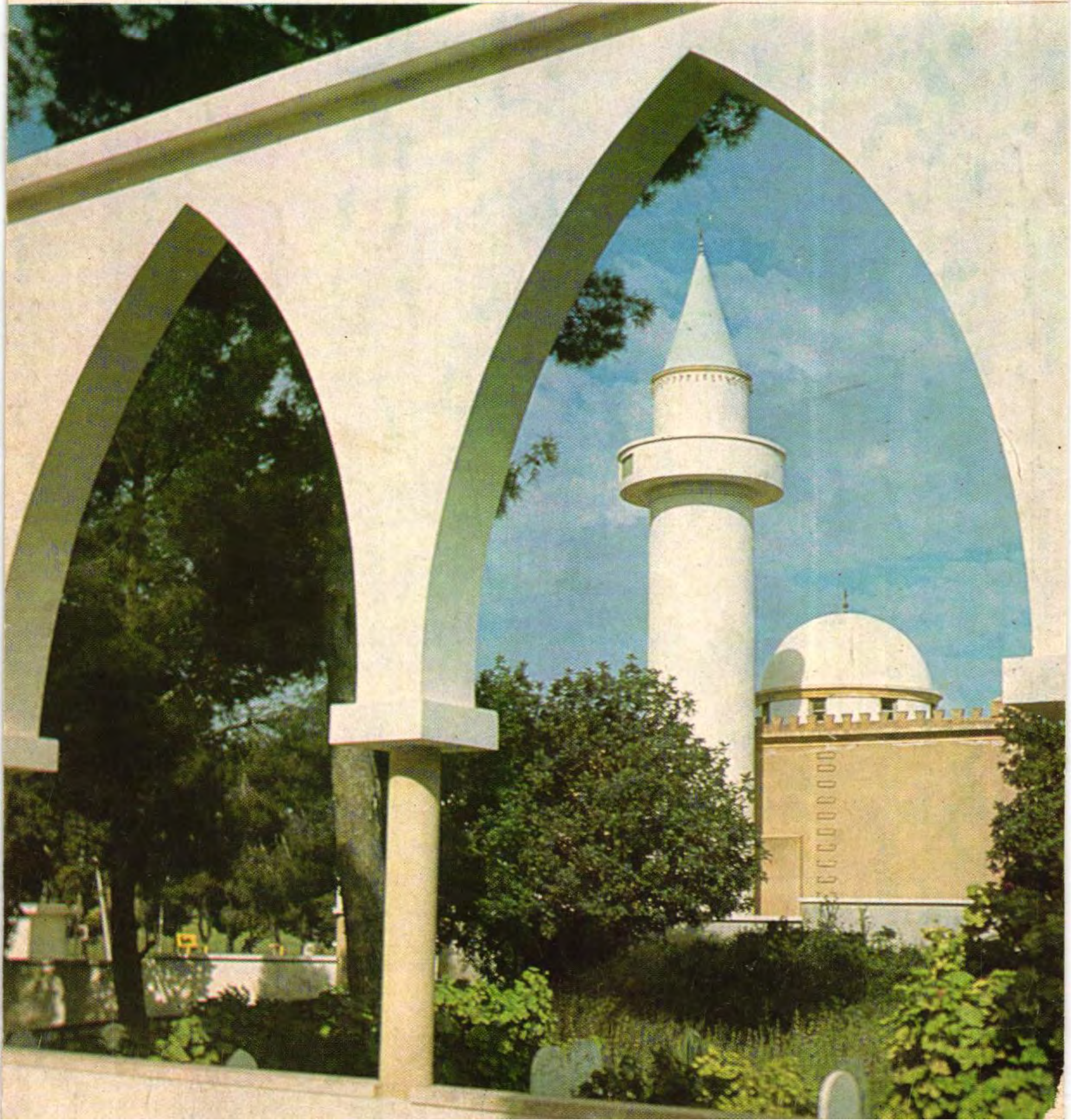
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الاسلامي

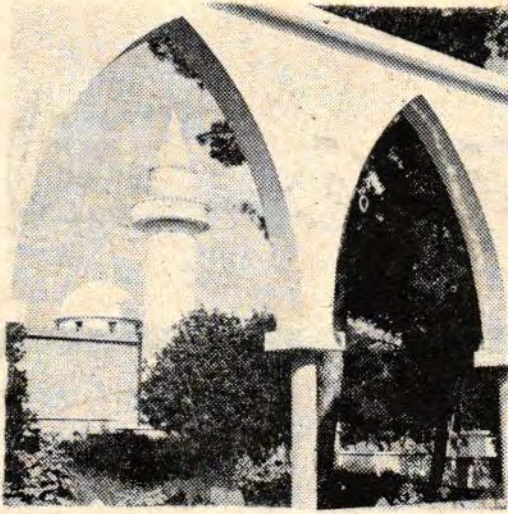
اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة العدد ٧٤ ـ غرة صفر ١٣٩١ هـ ـ ٢٨ مارس (آذار) ١٩٧١ م





سمـــو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجـــابر وبعض كبار المسئـــولين والسادة المشتركين فى ندوة فلسطين العالمية الثانية وذلك فى حفل افتتاح الندوة .



مسجد سيدى رويفع الانصـــارى الصحابى بمدينة البيضاء بليبيـا ، وتظهر فى الصـــورة قبة المسجـد ومنارته الجميلة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السـنة السابعـة

العدد الرابع والسبعون

غرة صـفر سـنة ١٣٩١ هـ

٢٨ مارس (آذار) ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمـن

الـكويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجـزائر		دينـار وربع
المغـرب		درهم وربـع
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشـتركون رأسـا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت

الهجرة عبرة من الماضي وعظة للحاضر

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مساء الجمعة ٣٠ من ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ فى مسجد السوق الكبير ، ونقلت وقائع الحفل بالتليفزيون والاذاعة وقد تفضل معالى الوزير الاستاذ راشد عبد الله الفرحان بالقاء الكلمة التالية :

يطل علينا هلال المحرم ، فيذكرنا بيوم الهجرة ، هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة .. ففى مثل هذا اليوم كان انبثاق نور الاسلام ، مؤذنا بتغير وجه التاريخ .. وفى مثل هذا اليوم صدع محمد بأمر ربه ، داعيا الى الوحدة والتوحيد ، ونبذ عبادة الافراد والاصنام ، مناديا بانصاف الضعفاء والفقراء من ظلم الاقوياء .

ولكن الغيث الذى نزل ، والنور الذى سطع ، صادف قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، ولم يؤمن به الا نفر قليل ، وآذاه قومه ، وتآمروا لقتله ، وهو يقول : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » .. وأمر بالهجرة الى المدينة وهاجر معه صحبه ، ولم يزده ذلك الا اصرارا على دعوته ، وايمانا بمبدئه وهناك استقبله أهل المدينة وآووه ونصروه ، فأسس الدولة ، وأقام الوحدة ، فكانت الاخوة والالفة بين الاوس والخزرج ، بعد أن كانوا يقتتلون على بعير ضال ، أو كلمة قيلت فى بيت من الشعر « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » ..

وكانت المشاركة والمساواة بين المهاجرين والانصار ، فقد أشرك الانصار المهاجرين فى أموالهم وحقوقهم وبيوتهم . وتقاسموا لقمة العيش



معهم ، وساوى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم فى الحقوق والواجبات « الناس سواسية كأسنان المشط » .

حقا .. لقد أرسى محمد صلى الله عليه وسلم قواعد العدل فى المجتمع .. فأسس مبدأ الشورى فى كل الامور « وأمرهم شورى بينهم » وأعطى للفرد حرية التعبير وابداء الرأى والنقد وحرية الكلام والتفكير ، حتى المرأة التى بلغ من هوانها على أهلها أنهم كانوا يدسونها فى التراب وهى حية .. صارت بعد الهجرة ذات رأى تعبر عنه ، لها مال تمتلكه واحساس ووجود فى الأمة « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » ، « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

أيها الأخوة :

اننا حين نحتفل بذكرى الهجرة كل عام ، انما نأخذ منها العظة والعبرة نأخذ العبرة من الماضى ، والعظة للحاضر .

ومن ذكرى الهجرة نعلم أن كل صاحب دعوة ، وكل قائد ، أو زعيم لا بد وأن يلاقى من خصوم دعوته صنوفا من النقد الكاذب ، وزيفا من أنواع الأذى ليثبطوا همته ، ويصرفوه عن دعوته ، ولكن من كان مع الله كان الله معه ، فيا دعاة الحق وورثة الانبياء والرسل ، ان لكم فى رسول الله الأسوة الحسنة اذ يقول : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الامر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ومن ذكرى الهجرة ، نتعلم الثبات على الحق عند مواجهة الاعداء ، وعدم الفرار من الميدان ، وعدم التولى يوم الزحف ، فعندما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة لم يكن ذلك فرارا من الموت ، ولا خوفا من المواجهة ، وانما كان ذلك تطبيقا لخطة عسكرية (استراتيجية) لأنه من القواعد العسكرية الاسلامية ، ان الجندى فى المعركة لا يبارحها الا فى حالتين : الاولى أن يتخذ له مكانا أمكن وأفضل من مكانه ليتسلط على العدو والثانية أن ينضم الى قوة أخرى تمكنه من العودة للعدو ، والتغلب عليه « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وبذلك استطاع الرسول وصحبه العودة الى مكة ، وفتحها بلا قتال ، ثم توالى انتصار جيوش المسلمين على الروم والفرس وغيرهم .

وأنتم ، يا من تقفون على خط النار مع العدو ، وأنتم ، يا جنود الفداء ، مطالبون بالثبات وتحرير الارض المحتلة والمقدسات الاسلامية ، وعدم التولى يوم الزحف ، فان لكم احدى الحسنيين ، فاما الشهادة ، واما النصر ، « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون » .

أيها الاخوة المواطنون :

ليكن لكم من ذكرى الهجرة حافز للمشاركة والتعاون والصراحة والبذل ، فكلنا شركاء فى المسئولية ، كما نحن شركاء فى الوطن ، وكلنا أصحاب حق كما نحن حراس لهذا الحق ، فأنتم مدعوون للمشاركة فى بناء وطنكم والذود والدفاع عن أمتكم .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

وفى الختام .. لا يسعنى فى هذه الذكرى الا أن أتقدم بالصلاة والسلام على صاحب هذه الذكرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. والى صاحب السمو الامير المعظم وولى العهد وسائر الشعوب الاسلامية بالتحية والاحترام ، سائلا المولى عز وجل أن يعيدها على المسلمين ، وقد تحررت أوطانهم ونصرهم الله على عدوهم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

المسئولية

كل فرد فى الأمة الاسلامية ، فى أى موقع من مواقع عمله مسئول أمام الله ، وأمام ضميره ، وأمام الأجيال المسلمة المقبلة عن الواجب عليه للاسلام والمسلمين فى هذه الظروف القاسية التى تمر بها أمتنا ، وستجنى الأمة فى مستقبلها نتيجة النهوض بهذا الواجب ، او التقاعس عن أدائه ، وسيكون الحكم العادل فى الدنيا قبل الآخرة لنا أو علينا للتاريخ الذى لا يجامل فى قضائه ولا يحابى فى حكمه . والنهوض بالواجب شرف وعزة ، والتفريط فيه دناءة وخسة .

والنهوض بالواجب كاملا ينبع من الشعور بالمسئولية كاملا ، وهذا الشعور لا يفرض على الانسان من خارج نفسه ، فلا يأتى نتيجه لأمر يصدر ، أو قانون يفرض أو ضغط يمارس ، وانما يتولد من ايمان المرء بربه ، وثقته بنفسه ، وتقديره لوجوده واحساسه بأنه عضو كريم فى مجتمع كريم ومجتمعه الكريم لبنة فى أمة عزيزة وأمته جزء من الانسانية التى كرمها الخالق جل علاه : ((ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا)) ((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم)) فالشعور الكامل بالمسئولية يأتى ثمرة للعقيدة التى تشعر الفرد بكرامته وكرامة أمته وكرامة البشرية .. العقيدة التى تأبى الضيم ، وترفض الدنية ، وتمقت الظلم ، وتواجه الظالمين ، وتشترى العزة والكرامة بأغلى التضحيات ، وأفدح المشقات .. العقيدة التى تصهر هذا الشعور وتحوله الى أعمال وواجبات تسترخص فيها الأرواح وتبذل الدماء ((ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم

الذى بايعتم به وذلـــك هـــو الفوز العظيم)) .

والواجبات التى تفرضـــها علينا ظروف المعركة التى تخوضها أمتنا مع الصهيونية الشرسة المتبجحة تبدأ من العـــامل فى المصـــنع والزارع فى الحقل والطالب فى المعهد والمدرس فى حجرة الدراسة ، وتتـــدرج الى المهندس فى الموقـــع والعـــالم فى المختبر والطبيب فى المســـتشفى ، وتنتهى بالجنود والقادة فى ميادين التدريب وعلى خطوط المواجهة مع العدو .

كل فرد فى الأمة جندى فى مكانه . فارس فى موقعه ، محارب بسلاحه الذى فى يده ، مسئول عمـــا قـــدم وأخر ، محاسب على ما أنجز وفرط ، وبمقدار التعاون والتكامل والاخلاص فى أداء كل لواجبه يكون عون اللـــه ونصر الله .

ان الشراسة التى تسرى فى دماء العدو ، والصلف الذى يدل به يجعل الرؤية واضحة أمام أعيننا ، فالمعركة طويلة الأمد ، فادحة التضحيات .. هذا قدرنا الذى لا مفر منـــه ، ولا خيار فيه ، فاما حياة عزيزة كريمة ، واما ممات لعمرى لم يقس بممات .

بهذا يجب أن نتصارح ، وعلى هذا يجب أن نوطد العزم ونحمى النفس ونبذل العرق والدم ، ونشد الأحزمة على البطون ، ونبنى جســـورا من الصبر والاحتمال والأقدام نعبر عليها الـــى أرضـــنا المفقـــودة وكرامتنـــا الموءودة ، وعلى هذا يجب أن نعاهد الله ، ونصدق فى العهد ، كما عاهده آباؤنا الصادقون : ((من المـــؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)) .

وهناك أوليات لا بد منها جميعـــا لكسب المعركة :

- العقيدة الراسخة .
- الوحدة الكاملة .
- الانفاق الذى يبلغ حد الايثار والمشاركة فى الكسرة الواحدة .
- الاعداد الذى يبذل فيه أقصى حدود الطاقة .
- الاقدام الذى يجعل الموت أحب من الحياة .

هـــذه أضـــواء على واجبـــاتنا ومسئولياتنا ، ولا يتحلل من هـــذه المســـئولية الا الفـــارغون الهازلون الذين لا يدركون سر وجودهم ولا قيمة حياتهم ، ولا ينفعون أنفسهم ، ولا تنتفع بهم أمتهم ، لا يسدون كريهة ، ولا يشاركون فى محمـــدة ، يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام ، والنار مثوى لهم .

ان بعض الذين لم يجاوز الايمان حناجرهم يتوهم أن حدود مسئوليته انما تنحصر فى تدبير شئون نفسه وشئون أسرته ، وما يقتضـــيه هذا التدبير من توفير المـــأكل والمشرب والملبس والمسكن والدواء والتعليـــم والمتع قدر المستطاع ، وما عليه بعد ذلك أن يشقى جـــاره ، أو يمرض مجتمعه ، أو يحتل وطنه ، أو تستذل أمته .. هذا فهم خـــاطىء لحـــدود المسئولية : فمن بات شبعان وجاره جائع مسئول ، ومن اســـتيقظ آمنا وأخوه خائف مسئول ، ومن شـــيد داره وحدود وطنه مكشوفة للعدو مسئول ، ومن صلى فى بيته وبيوت اللـــه تتعرض للتخريب والتـــدمير مسئول ، ومن انطوى على نفســـه يعبد ربه ودين الله تنتهك محارمه

مسئول . فكلكم راع . وكل مسلم حارس على ثغور الاسلام والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، والمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه .

وقد أبتليت الأمة الاسلامية فى عصرها الأول بجماعة رضوا بالدون من الحياة ، وتحللوا من مسئولياتهم عن الدفاع عن دينهم ، فأخلدوا الى الأرض ، وقعدوا عن الجهاد ، وآثروا الراحة والدعة ، فذمهم الله وعاب عليهم مسلكهم ، وجعلهم مثار العجب للأجيال من بعدهم .. يقول الحق تبارك وتعالى فى سورة النساء ((ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا.أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)) .

وتناول القرآن الكريم جماعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا المال وضنوا به عن النفقة فى سبيل الله ، فندد بهم وبين أنهم أول من يتضرر بهذا البخل والشح يقول الله سبحانه فى سورة محمد ((هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)) .

والحديث عن مسئولياتنا يقودنا الى الحديث عن مسئولية من نوع آخر .. مسئولية مزورة حرفها المغرضون عن مواضعها .

ان مفهوم المسئولية ظاهر واضح فهو يتمثل فى القيام بحق الله ، والعمل على رقى الفرد والسعى لخير الامه والمشاركه فى سعادة الانسانيه ، ودفع الغوائل عنها ، ومع هذا الجلاء والظهور لمفهوم المسئوليه فان كثيرا من الناس يعمى ، ويضل عن طريقها ويتاولها على النقيض من مفهومها ، فيتصرف بحمق ، وهو يحسب انه يقوم بواجب ، وينهض بمسئوليه ، ويحسن صنعا .

ان الذين تخدعهم مطامعهم الاستعماريه ، فتلون لهم معنى المسئولية ، وتعكس مفهومها فى عقولهم وتفكيرهم هم جد مخطئون واهمون . ان تسليح المجرم اجرام ، ومساندة الظالم ظلم وحماية الباغى افساد وتحريض المعتدى اذكاء للحرب لا اقرار للسلام .

ما هى المسئولية التى يجب أن تتحملها الانسانية لمواجهة رعاع برابرة سفاحين روعوا الآمنين وقتلوا الأطفال والنساء ، واغتصبوا أرضهم ونهبوا أموالهم ؟

ما هى المسئولية التى يجب أن تتحملها الانسانية لمن تنكر للمقدسات الدينية فاستباح حرمتها وانتهك قداستها ، وخربها وأشعل النار فيها .

أهى تزويده بالسلاح ، ومده بالخبرة ، واعانته على المظلوم ..

انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى

منهج الحياة في الإسلام

للدكتور: علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى (١) فقال :« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » (٢)

رواه البخارى

١ ــ دار اقامتنا فيها محدودة بزمن معين ، وكل لحظة تمر تقربنا خطوة نحو النهاية مجتازين طريقا وعرة المسالك ، تحيط بها الأهوال من كل صوب ، ولا بد لعابرها من أن ياخذ حذره ، ويعد لكل بادرة ما يناسبها ، حتى لا تفجأه الحوادث فيهن أمامها ، ولا يستطيع الافلات من مآزقها ، وقد حرص الاسلام كل الحرص على أن يبين فى جلاء ووضوح معالم العيش فى هذه الدار العاجلة ، وجرت سنته فى تعاليمه أن يفهم الانسان أن سلامته فى سلامة غيره ، وأن أمنه وراحته فى أمن الجماعة وراحتها ، وأن الطمأنينة النفسية التى هى مصدر السعادة الحقة لا تتحقق له الا بسعيه لتمكين الغير منها ، فهو لا يعيش فردا ، ولا

(١) المنكب ، بكسر الكاف مجمع العضد والكتف .

(٢) قال ابن حجر العسقلانى : قال الطيبى : ليست (أو) للشك بل للتخيير والاباحة ، والاحسن أن تكون بمعنى بل ،فشبه السالك بالغريب الذى ليس له مسكن يؤويه ، ثم ترقى وأضرب عنه الى عابر السبيل ، لأن الغريب قد يسكن فى بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طريق ، فان من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يهدأ لمحة .

يمكن أن يصل الى أهدافه بفرديته وتطور الوجود الذى نلمسه كل يوم هو خلاصة مجهود بشرى عبر قرون ، وعصارة عقول من وادى عبقر تضافرت وتكاتفت فكان هذا نتاجها ، وكل متأخر يرقى السلم الذى وضع أسسه المتقدم مضيفا درجة جديدة ، ومن ونى وتقاعس لفظته الأيام ، ونأت به عن مركز الصدارة ، ومضى لم يحس به أحد ، بعد أن يقطع أيامه عبئا على غيره ، وكلا على مولاه ، يشار اليه — ان أشير — بازدراء ، فينزوى فى ظلام يلفه ، وديجور يعفى آثاره ، والمسلم الذى فقه وعرف ما هو الاسلام ، وأدرك ، لماذا أرسل خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحب مختارا متعقلا متفهما أن ينضوى تحت اللواء ويسير مع الركب الالهى لا يرضى بالدنية ، ولا يقبل محقرات الأمور ، ولا يستكين أمام عداته ، ولا يضعف عزمه مهما أحيط به ، فلا تخضد شوكته ولا تلين قناته ، ولا تنكس رايته ، ما دام به عرق ينبض بالحياة ونفس يتردد معلنا أنه موجود ، فما الموت الزؤام الا لمسة رقيقة من يد القدر تصله بالبقاء الدائم ، وترقى به الى الخلود السرمدى ، وهو فى الوقت نفسه حذر يعرف موضع قدمه ومنطلق سيره ، يقلب الأمور على جميع وجوهها ، ويلبس لكل حالة لبوسها ، ويلج الى كل ميدان بسلاحه ، فلا تسيل منه قطرة دم الا حيث يجب أن تسيل ، ولا يترك لعدوه فرصة لينال منه ، نومه لماما ، ويقظته دفع لعجلة الحياة نحو الأفضل والأكمل ، ان طعم فلكى يعيش ويحيا ، وان صام فلتنفيذ أمر علوى ، مكانه الصدارة فى كل مسلك والقيادة فى قوافل الخير ، خير الانسانية للانسان الذى يتابع نفس الطريق ، والابادة للعنيد العاتى المتصدى لعداوته ، غير هياب مهما ادلهم الأمر ، وتتابعت الخطوب ثقة منه بقدرة مبدعه على نصره ، وسيرا على سنن الذين قالوا للجبار العنيد الخائب القصد : « فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا » .

٢ — وهنا تتردد أصداء أصوات تتلاحق آتية من بعيد أو قريب صائحة وكيف الخلوص من علائق الحياة ، وهى حلوة خضرة ، تتجاذب هذا الانسان الذى خلق ضعيفا من كل جانب ، وتلوح له بشهواتها ومتعها من كل طاق وباب ، وتهيب به أن هلم ولا تقاعس ، فتعميه وتصمه عن الحقيقة الماثلة ، ويخيم بخار أنفاسها المتصاعد على عينيه فيحجب الشمس عنهما ، ويرده الى ليل وأحلام ورؤى ، يغرق فى بحارها ليالى وأياما ، متوهما أنه أصاب المأرب ، ووقع على الخبير وأدرك كل مطلب ، وتلك لعمر الحق شراك الهوى ، ومدرج السقوط ، وحبائل السوء ، فكيف بربك يصل الى وسيلة النجاة وأين طريق الخلاص ؟! ولن يطول التساؤل كثيرا ، فالجواب قد أعد منذ قرون ، والخطة رسمت بعناية ، وما بقى الا عقل يتدبر لينجو ويعمل ليسعد ، بعد أن يدرك دقة التعبير وبلاغة القول ولطائف الحكمة فى عبير الكلم الطيب : « كن فى الدنيا كأنك غريب » . . حقا غريب ناء عن الديار فالاقامة التى لا نهاية لها ليست هنا ، والخلود المستمر ما هذا مكانه ، فأنت فى دنياك (غريب) حل بلدا لهدف يقصده ، وعمل يريده ، وواجب يقوم به سحابة نهار ثم ينطلق مع الامساء الى مقره ومرده ، والغريب لا سند له الا شجاعته وخلقه ، وحكمته وحسن تأتيه للأمور والحرص على جيد القول ، وكريم المعاملة واسداء النصح والمعروف لكل من يلاقى ، والبعد ما استطاع عن

مواطن الشكوك والفتن ، لا يدخل أنفه فى أمور البلد الذى حل به ضيفا وأقام به ليرتحل عنه ، فسيرته محمودة ، وخيره مرجو ، وشره مأمون ، وبهذا تدوم له العافية ، ويلقى اكراما ، ويقيم على الرحب والسعة ، فلا يضيق به الناس ولا يتذمرون من وجوده بينهم ، ولا يحاولون به شرا ، وما ذاك الا لثقته هو بأن بقاءه معهم لن يطول فيحمله هذا على طهارة اليد واللسان ، وان أراد الخير لنفسه زاد فى المعروف ، والعاقل لا يعبر دون أن يترك أثرا كريما ، فيجب أن يتفحص ويدرس ، ويراقب ويتفقد ويكتسب الاصدقاء والخلان ، ويأخذ ما استطاع من جنى الخير وثمار الفضائل حتى اذا بارح البلد الذى حل به غريبا خرج منه وجعبته ملأى بالتجارب النافعة وتزود منها بالتقوى التى تحفظ عليه ذماءه ، وتعينه على الوصول الى مستقره فى أمن وعافية وسعادة وايناس ، فكل ما يدخر محفوظ له ، وكل ما يقدم من خير سيجده عند الشدة ، وتجىء نهايته على أحسن حال ، وتحمد اقامته ورحيله .

٣ ــ وحال أخرى تلف فى طياتها معان ومعان ، وتذكر بأمور واقعة ووقعت ، وتدق بشدة أبواب المسلمين فى كل مكان ، وتهيب بهم لم لم تعوا بعد أن طرقت أسماعكم منذ قرون وقرون ، أنى لم آت عبثا ، ولم أسجل دون غاية ، وانما لأمر خطير أشار الى راعى الانسانية وهاديها ، وجئت على لسانه الشريف كلمة طيبة فهل من مدكر : « أو عابر سبيل » القوا الى عقولكم لتدركوا ما يرمى اليه سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسائلوا أنفسكم : ماذا يجب أن يفعل عابر السبيل وأية عدة بها يعتد ، وأى سلاح يحمل ، وبأى زاد يتزود ، ان عبور السبيل ليس بالأمر الهين ولا سيما اذا كان مجهولا لم يطرقه السالك من قبل ، لا بد اذن من تحسس كل خطوة فى هذا الطريق ، وفرض أسوأ الفروض التى قد تصادف السارى فيه ، فوجود قطاع الطرق محتمل ، وعوادى الضاريات متوقعة ، والتواء السبيل وتعدد دوربه ومعمياته من طبيعته ، فالسالك الواعى يحمل زاده ويريش سهامه ، ويشحذ سيفه ، ويملأ كنانته ، ثم يمضى لطيته معتمدا على قيوم السموات والأرض بعد أن يتهيأ لملاقاة جميع الأخطار ، وبهذا يسير بخطى ثابتة ، وقلب حديد ، وايمان أكيد بالوصول الى غايته دون تعثر أو ابطاء ، فلو عرض له عدو ، أو التقى به فاتك ألوى ، أو مضى ولم يلق ماء ولا طعاما ، لا يضيره كل أولئك فلديه وسائل الدفاع عن نفسه ، وما يرد به غائلة الجوع والظمأ ، وما يدحر به كل معترض ، وما يقوى به على كل من أراد به سوءا ، وهذا ما أراده الحديث الشريف حتى يقتلع حب البقاء فى هذه الآجلة من قلوب قوم آمنوا بالله ورسوله ومع ذلك تمر أيامهم فيها فى أسمى ما يتصور انسان من القيادة والريادة ، فلا يعيشون امعات ولا جبناء ، ولا يتكلون ولا يتواكلون ، يعرفون مكانهم فى الوجود فيتسنموه وحماهم فيذودون عنه ، وحياضهم فيحمونها ، ويحيون مستعدين للنهاية الكريمة المرجوة فى ايمان بنعيم دائم وخير مقيم ، ودائما تشير الاحاديث الى تقلب الأمور وعدم ثباتها ، وتحث على اقتناص الفرص وعدم تركها تفلت ، فهى ان أفلتت فلن تعود ، ويضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال بالمحسات لنرقى منها الى معان أسمى وأفضل ولا نحصرها فى دائرة لفظها الذى صيغت به ، وكل لبيب بالاشارة يدرك ما ترمى اليه ، وما تهدف الى نيله ، واستمع

معى الى قوله عليه أفضل الصلاة والسلام مما جاء فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أخرجه الحاكم أن النبى صلى الله عليم وسلم قال لرجل وهو يعظه : « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

٤ ـ بعد أن أدركت ما استطعت مما مر بك من حديث سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعال معى نتأمل يوم المسلمين أتباع معلم الانسانية وهادى الثقلين ، كيف نجدهم ؟ هل فكروا منذ قرون فى يومهم هذا الذى يعيشونه الآن ؟ وهل تنبهوا الى وجود عدو تقليدى معتد أثيم صاحب الاسلام منذ بدا فجره ولاح نوره فى الأفق محاولا طمس معالمه واقصاء رواده عنه ، وهل أدركوا أنه يعمل جاهدا على محوهم وان قائدهم الاول لم يسترح من شر هذا العدو أبدا ، ان غفلة الآباء والأجداد هى التى يجنى الجيل المعاصر ثمارها المرة القاتلة ، فليس ما يجرى على المسرح الآن وليد يومه أو أمسه القريب وانما هو شىء خطط له منذ قرون متباعدة ضاربة فى أغوار الماضى ، ولا أدرى ـ وان كانت الأمور جلية ـ كيف لم يحرص الآباء والأجداد على وحدتهم ، وجديتهم ، وتعاضدهم ، ويعملوا ليوم أسود يثب فيه العدو على الأبناء والأحفاد ، لقد استناموا الى ما انغمسوا فيه من متع فانية زالت عنهم وتركوا البغاث بأرضهم يستنسر ولعل هذه الصدمات المتوالية تفيق المعاصرين الى الأخطار اللاحقة بهم ، فيحاولوا النظر فى آثار قائدهم وهاديهم سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخلصوا ولو على المدى البعيد من آثار عدوان عدوهم ، وليكن المسلمون فى دنياهم غرباء وعابرى سبيل لا يهتمون الا بما يمكن لهم من رقاب الفجرة الكفرة رجس هذا الزمان وكل زمان . .

يا قومنا أجيبوا داعى الله ، وتوحدوا ، ابدأوا العمل الجاد ودعوا الاحلام والرؤى فلن تدوم ، احزموا أمركم جماعة لئلا تؤكلوا فرادى ، وأعلموا أنه ما أفاد قول لا يتوج بعمل ، ولا تنفع دعوة ليس وراءها سلاح وصوارم وامة أمرها جميع ، وأردد : « لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » . .



الصلاة

الصلاة في مجال الإيمان،
بالله وحده هي السبيل الى :
١ـ نقل الايمان بوحدة
الألوهيّة إلى الحقيقة
النفسيّة المستمرة
٢ـ وَإلى نصر الله للمؤمنين
أفراداً وَجماعة .
٣ـ وإلى ذكر الله كثيراً. يجب،
ألاّ يذكر في بيت الله سوى اسم الله

محمد مؤذن

للدكتور : محمد البهي

الايمان بأن الله واحد ــ اذا عبر عنه من يعلن الايمان به بشهادة : أن لا اله الا الله ــ هو فى ذاته حقيقة نفسية ، أو يجب أن يصبح حقيقة نفسية تستقر فى قلب المؤمن أو فى أعماق نفسه . والا بقى قولا : لا مدلول له فى واقع النفس وفى واقع حياتها .

وبتحليل عبادة (الصلاة) ــ كما جاءت فى الاسلام ــ وتحليل علاقتها بتلك الحقيقة النفسية للايمان بوحدة الله يتضح :

أولا : أن الصلاة هى العبادة التى تؤدى فى : الصحة والمرض ، وفى السفر والاقامة ، وفى الحرب والسلام ، وفى الصغر والكبر . .

أى تؤدى فى كل وضع للانسان ، ويطلب أداؤها فى كل حال من أحواله على نحو ما . فيترخص فى أدائها فى السفر فتقصر الصلاة الى ركعتين :

« واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » (١) .

وبالاضافة الى قصر الصلاة وقت القتال مع الاعداء ، يترخص فى أدائها جماعة على نحو لا يمكن العدو من المؤمنين ، كما جاء فى قوله تعالى ، بعد ذلك :

« واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم ، وخذوا حذركم ، ان الله أعد للكفارين عذابا مهينا . فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (٢) .

● وهى العبادة التى تعد لها الأرض جميعها مسجدا تقام فيه . فليس أداؤها مرتبطا بمكان معين أو ببيت خاص تقام فيه : « جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » .

● وكذلك هى العبادة التى تؤدى من فرد على حدة ، أو من أفراد مجتمعين .

● هى العبادة اليومية كذلك : يفتح بها يوم السعى والعمل ، وتتخلل أوقاته ، ويختتم بها نهاره : « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل » (٣) « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل » (٤) « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » (٥) .

● وهى العبادة التى :

يؤذن لها باعلان الشهادة بأنه : لا اله الا الله ، ويتكرر النداء بهذه الشهادة فى أدائها فى اليوم الواحد ، وتصطحب كل حركة من حركاتها : فى القيام فيها ، والركوع ، والسجود : بالاقرار بأنه سبحانه وتعالى : « الله أكبر » .

● وهى العبادة التى يدعو فيها المصلى فى كل ركعة من ركعاتها ــ عندما يقرأ الفاتحة الواجب قراءتها ــ : بأن يمنحه الله العون فى أن يجنبه اتجاه « المادية » فى شرورها وآثامها ، وأن يبقيه على « روحية الاسلام » :

فى الايمان بوحدة الألوهية ، عندما يناجى المولى جل وعلا : « اياك نعبد واياك نستعين » ، وفى الايمان باليوم الآخر ، عندما يقر بأنه : « مالك يوم الدين » وفى اتباع الصراط المستقيم الذى لا انحراف فيه ، عندما يتوسل اليه سبحانه فى مناجاته بقوله : « اهدنا الصراط المستقيم » .

واضداد هذه الامور الثلاثة وهى :

انكار اليوم الآخر ، والشرك بالله ، والضلال فى السبيل . هى نتائج اتجاه المادية فى الحياة .

وسورة الفاتحة التى تتكرر فى كل ركعة من ركعات الصلاة اليومية، سواء منها الفريضة أو النافلة ، والتى يتوسل الانسان بما جاء فيها من دعاء الله بأن يقيه من الشرك ، وانكار البعث واليوم الآخر ، والضلال فى فى السلوك ، ويؤمنه البقاء على الايمان بالله وحده وعبادته اياه لا غيره، وبالبعث واليوم الآخر ، وبالهداية فى طريق العمل والسلوك .. هذه السورة القصيرة ــ وهى أم الكتاب ــ تحمل الدور الأول فى عبادة الصلاة فى نقل الايمان بوحدة الالوهية ونتائجه من « المفهوم » الذى يتحدث به اللسان الى « الحقيقة النفسية » المستقرة فى القلب ، والتى هى فى الواقع العامل الدافع الى التطبيق العملى للنظرة الاسلامية الى « المادية » والتبعية لها .

وثانيا : ان الصلاة ــ بما لهامن عناصر التأثير ، سواء بفعل صيغة الدعاء فيها ، أو بلحظة اللقاء النفسى والتصورى فيها مع الله سبحانه وتعالى ، أو بتكرار وقوعها وتقارب زمن الوقوع ــ تكاد تكون العبادة الاصيلة التى تقرب المؤمن من الله ، وبالتالى التى «ترسب» مفهوم الايمان بوحدة الألوهية فى نفس المؤمن ، وتجعله مدلولا واقعيا وحقيقة مستقرة فيها .

فالصلاة فى روحياتها ، وفى سعة الفرصة فى حياة المؤمن لادائها ، بعدم العوائق التى تحول دون هذا الأداء ، وفى تركيز الروحية فيها على « وحدة الالوهية » ــ التى هى فى مقابل المادية والشرك فيها ــ ضرورة لازمة للمؤمن ، الذى يريد أن يكون لايمانه فاعلية فى سلوكه ، وعلاقاته، وحياته على العموم ، وضرورة لازمة كذلك فى تحول ايمان الامة والجماعة الى سلوك مستقيم وعلاقات طيبة فيما بين الافراد بعضهم مع بعض .

وصلاة الجماعة ان قصد منها اخراج الفرد من عزلته الروحية التى ربما يوحى بها تصوره الضعيف لوحدة الالوهية فى عبادته لله وحده ،

فيقصد بها قبل ذلك نقل روحية الصلاة من مستوى الفرد الى مستوى « روحية الجماعة » حتى يكون أثرها مضاعفا فى نفس الفرد ، وحتى ينقل كذلك « مفهوم » الجماعة الى « حقيقة نفسية للجماعة » تستقر فى النفس ، بجانب حقيقة الايمان بالله وحده .

واذا اقترنت الحقيقتان النفسيتان : حقيقة الايمان بالله وحده ، وحقيقة الجماعة ، فى نفس المؤمن وترسبت كلتاهما فى أعماق النفس، فان هذا الترسب ذاته للحقيقتين معا سيكون فى أثره مزدوجا : على تجنب « المادية » التى هى سبيل الشرك ، وعلى عدم خضوع الذات للشهوة والهوى ، ذلك الخضوع الذى يمثل أنانية الذات من جهة ، والبعد عن الروح الجماعية من جهة أخرى ، كما يمثل التبعية للالتجاء المادى فى الحياة والبعد عن التأثر بالايمان بوحدة الالوهية كذلك .

• • • • • • • •

● ولأهمية الصلاة فى حياة المؤمن — عن طريق فاعليتها فى ترسيب حقيقة نفسية لمفهوم الايمان بالله وحده — جاء فى القرآن الكريم اقتران أدائها بالانتهاء من الفحشاء والمنكر ، واقتران عدم أدائها باتباع الشهوات والاسترسال فى انحرافات الاتجاه المادى فى الحياة :

فاقتران الانتهاء من الفحشاء والمنكر بأداء الصلاة جاء قول الله تعالى :

« اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٦) .

... فالصلاة التى ترسب فى النفس حقيقة الايمان بالله وحده لا بد أن تنتهى معها الفحشاء والمنكر فى مباشرتهما ، وكذا فى الاندفاع تحت تأثير الهوى والشهوة ، فى الرغبة فيهما .

واقتران عدم أدائها باتباع الشهوات والمنكر تقصه الآية القرآنية الاخرى فى الحديث عن الاجيال التى خلفت الانبياء منذ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، نبيا بعد آخر ، فيما يقول الله تعالى :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا .

« الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا » . (٧)

... فالخلف الذى كان يأتى بعد جيل الرسالة لاى رسول من الرسل على عهد ابراهيم حتى رسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، كان يهمل فى أداء الصلاة حتى يضيعها ، وبالتالى كان يسقط فى التبعية الى الشهوات وانحرافاتها ، حتى يأتى رسول آخر يحذر من الاستمرار فى انحرافات الشهوات ، وينذر بتغيير المجتمع كله وسقوطه، فيؤمن به البعض ويكفر برسالته البعض الآخر . وهو ذلك البعض الذى أعماه ترف الحياة ، وطغيان اتجاه المادية عن أن يرى الصواب فى السلوك والهداية فى طريق الحياة .

فضياع الصلاة اقترن به هنا فى الآية اتباع الشهوات والعمل السىء ، كما اقترن به الشرك بالله . ولذا ترشد الآية الثانية الى الوضع السليم الذى يجلب من جديد الرضا ، ويبعد عن الشقاء . وهو وضع

العودة الى الصلاة ، ومن ثم الى العمل الصالح والايمان بالله وحده : « الا من تاب (وعاد الى الصلاة) وآمن (بالله وحده ولم يشرك معه شريكا آخر) وعمل صالحا (بالابتعاد عن الشهوات) .

واذا كان هدف الصلاة ، وشأنها أيضا ، ان تنقل مفهوم الايمان بالله وحده الى حقيقة نفسية واقعية فى ذات من يعلن الايمان به ، فانها العبادة « الأم » وعليها يقع الاعداد السليم والنافذ لتطبيق النظرة الاسلامية كلها فى حياة الانسان ، سواء تعلقت بالمادية ، أو بملكية المال ومنفعته . والعبادتان الأخريان بعدها ــ وهما عبادتا الصوم والزكاة ــ تضيفان اليها فقط فاعلية ثانوية .

والصلاة لهذا كله تعتبر « عماد الدين » . ولهذه الاهمية الكبرى لها اذ ينصح القرآن الكريم فى كثير من المواطن بأمر أو بعبادة أخرى فى مقام يتطلب النصح بهذا الامر أو بهذه العبادة لوجود علاقة مباشرة بين مقام الحال وهذا الامر أو هذه العبادة . فانه كثيرا ما يضيف الصلاة فى النصح الى الامر الخاص أو العبادة الخاصة .

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين . ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ، ولكن لا تشعرون . ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله ، وانا اليه راجعون » (٨) .

... فالمجال هنا هو مجال العرض لموقف الكافرين : فى عنادهم ، وفى تآمرهم على الدعوة ضد المؤمنين . ووضع المؤمنين يتطلب الآن التحمل والصبر ، سواء على ايذاء الكافرين لهم ، أو على رفضهم لنداء الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو للشدائد التى يلاقونها فى القتال مما يترتب عليها : النقص فى الاموال والثمرات والانفس ، كما يترتب عليها : الخوف والقلق .

ولكن مع النصح بالصبر هنا فى قوله تعالى : « استعينوا بالصبر » وتأكيد هذا النصح فى تعقيب الآية : « ان الله مع الصابرين » .. فان القرآن عندما طلب من المؤمنين أن يستعينوا بالصبر ، أضاف الى الاستعانة به الاستعانة بالصلاة أيضا وكانت الآية : « يا أيها الذين آمنوا : استعينوا بالصبر ، والصلاة » .

وكذلك فى مقام آخر حددت جو هذه الآيات :

« يا بنى اسرائيل !

« اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين . أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون . ؟

« واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون . » (٩) .

... والجو القائم فى هذه الآيات هو أن بنى اسرائيل ، رغم نعمة

الله عليهم بانقاذهم من الذل والاستضعاف الذى ذاقوا بسببه ألوانا عديدة من العذاب واهدار الآدمية ، ورغم ما فى التوراة من عهد ووصية من الله لبنى اسرائيل بالايمان بكل رسول يأتى ، بما فى الرسل : محمد صلى الله عليه وسلم ، فان بنى اسرائيل تحت :

التأثر بحب الرياسة والاستمتاع بمتع الحياة وزخرفها ، من كبرائها ، .. اعلنوا الكفر برسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

وفى سبيل الحرص على الزعامة والرياسة ، والبقاء فى التبعية للاتجاه المادى فى الحياة كانوا يخلطون الحق بالباطل ، مع العلم بالحق فى ذاته ، كما كانوا يستخدمون التأويل التعسفى فيما جاء بالتوراة لتبرير كفرهم ، رغم نصح الاحبار منهم لاتباعهم بطاعة ما جاء فيها . فكان تنديد القرآن بصنعهم ، وبموقفهم ، وبعدم وفائهم للعهد ولما جاء فى الكتاب المنزل اليهم ، كما جاء طلبه اليهم فى :

أن يوفوا بالعهد ، ويؤمنوا بالقرآن ويطرحوا التزييف وخلط الحق بالباطل جانبا .

وبأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويدخلوا فى صفوف المؤمنين (واركعوا مع الراكعين) ويتخلوا بذلك عن الكبرياء والرياسات واتباع ما أترفوا فيه .

وبأن يستعينوا على التغلب على الوقوع فى اتجاه المادية فى الحياة ، وفى اتباعهم لاهواء النفس فى الزعامة ولشهواتها فى الاستغراق فى الملذات ، ثم فى نقلتهم الى خط الايمان بالله وحده ، والتحرر من سيطرة الانانية وطغيان المادية .. أن يستعينوا بالصبر ، وبالصلاة معا .

وأضاف الى الصبر الصلاة ، رغم أنه طلبها من قبل مع الزكاة ، والاندماج عن طريقهما فى صفوف المؤمنين .

فالوضع لبنى اسرائيل الكافرين والطغاة الآن عن طريق المادية وضع يتطلب الاحتمال والصبر منهم فى التحول من وضع التبعية الى المادية ، الى السيطرة على النفس وأهوائها وشهواتها . فهو وضع تسود فيه المشقة النفسية ، لانه انتقال من النقيض الى النقيض .

ولكن القرآن — لما لمنزلة الصلاة من أثر فى ابعاد السيطرة المادية ، وبالتالى فى تحرير النفس من طغيانها الذى يتمثل : مرة فى الميل الى الرياسة ، وأخرى فى الاستغراق فى الملذات الحسية ، يضيف الصلاة الى الصبر هنا لمضاعفة شأن التغلب على المشقة النفسية القائمة فى الوضع الموجود حينئذ بين الاسرائيليين .

وفيما جاء فى تقرير عظم الصلاة هنا فى قوله : « .. وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » .. لينبىء عن أن مباشرة الصلاة وهى العامل الاساسى فى التحول النفسى من ترك النفس فى التبعية المادية الى رفع النفس فوق مستوى هذه التبعية أمر يشق كثيرا على النفس الطاغية والمستغرقة فى التبعية المادية . فهى أشبه بنفس « مدمنة » ليست لها ارادة على ممارسة ما يخرجها من ادمانها ، وهى لا تقبل على هذه الممارسة الا بشق الانفس وكارهة غير راضية .

أما النفوس الاخرى — وهى عادة نفوس الضعفاء من الفقراء والرعايا والاتباع للاثرياء الذين لا يملكون من المتع المادية ما يجعلهم طغاة

أو يجعلهم أشبه بالمدمنين ــ فلا تشــق عليهم مبــاشرة الصــلاة . لان ضعفهم فى الاقتناء والترف والوجاهة والجاه يجعلهم أقرب الى المصدقين باليوم الآخر وبلقاء الله فيه . أى يجعلهم قريبين الىالعودة الى الايمان بالله والخلاص من التبعية المادية فيؤمنون بالآخرة كما آمنوا بالله وحده .

والفريقان : ــ من تشق عليه الصلاة ، ومن لا تشق عليه ــ هما من بنى اسرائيل : كبراؤهم وزعماؤهم والمترفون فيهم وأصحاب الجــاه منهم يمثلون الفريق الاول . والفقراء الضعفاء ، غير أصحاب الحــظ الموفور فى المتع واقتنائها ومباشرتها ، والبعيدون عن الحكم والرياسة ، يمثلون الفريق الثانى .

والآية اذن فيما تقول : « واستعينوا بالصبر والصلاة » .. تطلب الى جميع بنى اسرائيل عامة فى انتقالهم من الكفر برسالة الرســول عليه الصلاة والسلام الى الايمان بها ، ومن العنجهية المادية فى الزعامة ومتع الحياة وزخرفها الى الاسلام ، حتى يكونوا فى صفوف المؤمنين : « واركعوا مع الراكعين » وليسوا فوقهم ، أو فى عزلة ونفرة منهم .. تطلب اليهم ، ان يستعينوا بالصلاة بجانب الصبر والاحتمال .

... ثم فيما تقوله بعد ذلك : « وانها لكبيرة » فى وصف مباشرتها. تقوله بالنسبة للمتكبرين والمتعجرفين من أصحاب الترف والرياسات فى اسرائيل على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

... وفيما تستطرد فيه بعد هذا من قولها فى صورة الاستثناء : « ... الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليــه راجعون » .. تقصد به الفريق الآخر من بنى اسرائيل الذى لم يكن تأثره بالمادية وبالاتجاه المادى فى الحياة من القوة ، على نحــــو تأثر الكبراء والسادة والأحبار منهم ، وهو ذلك الفريق الضعيف عادة فى المجتمع بسبب قلة حظه فى الحياة المادية ، وبعده عن الرياسات ، وشرف الاسرة أو القبيلة ، وهو مع ذلك كافر أيضا بالرسول ورسالته تبعا للوجهــاء فى كفرهم .

وليس بسليم ــ فى التفسير لهذا الاستثناء ــ اذن ان يقصد بــه المؤمنون من أمــة الرســول عليه الصلاة والسلام . لانهم بايمــانهم بالله وحده وباليوم الآخر يؤمنون ويوقنون ــ ولا يظنون فقط ــ بلقــاء الله فى الآخرة وبالرجوع اليه بعد البعث .

فالوصف لهذا الفريق بأنهم : « .. الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، وانهم اليه راجعون » وهو كناية عن تخلخل الاتجاه المادى فى حياتهم وعدم سيطرته عليهم ، منهم أقرب الى الايمان باليوم الآخر وبلقاء الله .. يشير فقط الى أنهم من الكافرين غير المتعنتين . ولذلك يســهل عليهم التحــــول .

و « الصــلاة » اذن هنا ــ فى توجيه القرآن لبنى اسرائيل ــ هى كبيرة وشاقة على المتعنتين ، من الوجهة النفسية وحدها . وهى كذلك من الوجهة النفسية وحدها يسيرة ومذللة على غير المتعنت من الكافرين الاسرائيليين برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام . والصلاة اذن من حيث الركوع والسجود والأداء البدنى لا تنطوى على مشقة . والمشــقة

أو عدمها هى فى الاقدام عليها . اذ الاقدام عليها معناه التنازل عن وضع، والنقلة الى وضع آخر : اجتماعى ، واقتصادى مادى .

. . . .

● وعن طريق الصلاة — لاهميتها فى تخطيط اتجاه حياة الانسان — لا يتميز بها المؤمن عن المنافق والكافر فقط ، وانما نتيجة أدائها فى وعى هى النصر الابدى للفرد والمجتمع . بينما أداؤهـــا فى رياء لا يأتى الا بالضلال والحيرة فى سبيل الحياة .

والذى يؤديها فى وعى تام هو المؤمن .

والآخر الذى يباشرها فى رياء هو المنافق .

أما الكافر فهو لا يؤديها ، وانما يستهزىء ويسخر بمن يؤديها ، وهو ليس الا ذلك المادى فى حياته الذى تخلى عن ارادته وحريته ليقع تحت الاغراء والفتنة بالمتع الحسية . ونهاية أمره — سواء أكان فــردا أم مجتمعا — هو القضاء على ذاته بفعل نفسه .

١ — يعد الله المؤمنين بالدفاع عنهم والوقوف بجانبهم ونصرهم حتما، وهم أولئكم الذين ان تمكنوا فى الارض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور . اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير .

« الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا : ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومســاجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقـــوى عـــزيز » .

« الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » (١٠) .

ويعدهم كذلك بسعة الرزق وزيادة الفضل ، ان لم تصرفهم التجارة والبيع والشراء عن مباشرة الصلاة فى وقتها ، وايتاء الزكاة فى حينها :

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيهـــا بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة، وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغـــير حساب » (١١) .

. . . فيعد الله المؤمنين هنـــا بالنصر مرة ، كما يعدهم بزيادة الفضل وسعة الرزق مرة أخرى ، وهم اولئكم الذين يرسبون فى أعماق نفوسهم حقيقة الالوهية فى وحدتها ، وفى جلالها وفى كمالها ، بحيث لا يستطيع الاتجاه المادى — ان تمثل فى الجاه والسلطان مرة ، أو فى كسب المال عن طريق التجارة مرة أخرى — أن يخفف باغرائه وفتنته فاعلية ما ترسب فى نفس المؤمن عن تلك الحقيقة الالوهية . فــلا التمكن فى الارض بمغر لهم ، ولا التجارة والبيع والشراء بملهية لهم عن ذكر الله وجلاله فى الصلاة حين يؤدونها فى وقتها دون تأخير او كسل .

٢ — كمايصف المنافقين ويعرفهم عن طريق الصلاة وحدها، فيماتذكره الآية القرآنية الكريمة :

« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ،
« واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يرأءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا .
« مذبذبين بين ذلك ، لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء ،
« ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » (١٢) .

... فالمنافقون ليسوا فقط مذبذبين بين الكافرين صراحة والمؤمنين حقا ، ولا ينتمون فى واقع الامر الى اى من الفريقين ، بل يتجهون الى هؤلاء ان كانت لهم منفعة مادية . والى أولئكم ان كانت لديهم منفعة مادية اخرى : « الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا : ألم نكن معكم ؟ وان كان للكافرين نصيب قالوا : ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ؟ » . بل امارتهم الحقيقية الواضحة أنهم اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى .

ذلك لان الصلاة فى حقيقة امرها وصحة أدائها الفصل بين الايمان وما عداه من نفاق أو كفر .. فالمؤمن فى حقيقته يقبل فى مسرة وفى شوق الى لقاء المولى عز وجل على الصلاة لانها هى مجال اللقاء النفسى .

أما الكافر فلا يقبل اطلاقا بل يرفض ويستهزىء بمن يؤديها .

والمنافق اذا — لانه يريد أن ينتفع انتفاعا ماديا من المؤمنين والكافرين معا — ليس لديه الدافع النفسى للاقبال على الصلاة ، ولكنه لا بد أن يصلى حتى يستمر فى منفعته من المؤمنين كواحد منهم فى ظاهر الأمر ، فيقبل عليها فى كسل وتراخ .

٣ — وبالاضافة الى هذا وذاك فان القرآن لا يحدد الكافرين من موقفهم من الصلاة . فأمرهم واضح تجاه الايمان بالله وحده ، وهو الرفض . ولذا كل ما يخص الايمان بالله وحده فهم يستخفون به تقليلا لشأنه ، وخداعا لانفسهم بصحة مسلكهم . وانما يطلب من المؤمنين عدم اقامة علاقة ولاء ومودة بينهم وبين الكافرين ، ويبرر ذلك بأن هؤلاء يستهزئون بدين المؤمنين ، وبوجه خاص يسخرون من الصلاة عند أدائها والنداء اليها :

« يا أيها الذين آمنوا ! :
« لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين .
« واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (١٣) .

... والكافرون يسخرون بوجه خاص من الصلاة ، لانها تكاد تكون كل شىء يميز بين صحيح الاتجاه فى الحياة : فى النظرة والسلوك ، وخاطىء السبيل فيها ، فى النظرة والسلوك كذلك .

ولا ريب بعد ذلك ان نداء القرآن الى المؤمنين فى قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا :
« اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون .
« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ،

واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١٤) .

... هو نداء يرتكز على قيمة الصلاة فى الفصل بين الاتجاه الصحيح والاتجاه الآخر الخاطىء فى النظرة والسلوك معا فى الحياة . ولذا كان تقرير الآية الاولى من هاتين الآيتين بأن الاستجابة الى هذا النداء « خير » : « ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » كما كان ربط الامل فى الفلاح ، فى السعى ومباشرته بعد أداء الصلاة فى الآية الثانية ... وهذا وذاك من النتائج المتوقعة للمسلك الصحيح وهو مسلك الايمان بالله وحده .. مسلك الصلاة والالتقاء فيها مع الله جل جلاله ، والحرص على استحضار جلاله دوما ، فى كل صلاة لا يتأخر بها عن وقتها أبدا .

. . . .

● ولكى لاتفتر حيوية الفاعلية للصلاةفى حياة المؤمنبالله وحدهينصح القرآن الكريم ــ بجانب ما تنصح به السنة النبوية من الصلاة النافلة وراء الصلاة المفروضة ــ بذكر الله فى كل وضع وحال للانسان . فهو يوجه الى الرسول عليه الصلاة والسلام قوله :

« واذكر ربك فى نفسك ، تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول ، بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين » (١٥) .

... ويطلب اليه عليه الصلاة والسلام أن يكون قدوة للمؤمنين فى ذكر الله ، فى غير الصلاة الفريضة والنافلة ، فى غير جهر وعلانية ، وفى بداية النهار وآخره ، غير غافل لشأن هذا الذكر وأثره على الايمان بالله وحده وحيوية فاعليته فى حياة المؤمن .

كما يوجه الى المؤمنين النداء :

« يا أيها الذين آمنوا !

« اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا .

« هو الذى يصلى عليكم وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم ، يوم يلقونه ، : سلام ، وأعد لهم أجرا كريما » (١٦) .

... وهو نداء يوصى فيه بذكر الله كثيرا ، دون تقيد بوقت اوبوضع للانسان ، كما يوصى بتسبيح الله وتنزيهه عن الشرك فى بداية السعى ونهايته ، وهو أول النهار وآخره . حتى يكون السعى مثمرا ، وبعيدا عن انحرافات الشرك والمادية .

وهذه الغاية التى تترتب على ذكر الله كثيرا ، هى التى تذكرها الآية الاخرى بعد آية النداء : « هو الذى يصلى عليكم ، وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيما » . فصلاة الله على المؤمنين هى رحمته بهم فى أن صاروا مؤمنين به وحده ، وغير ضالين فى طريق المادية واغرائها ، وما لهم من عمل او سعى لا ظلم فيه لاحد حتى لأنفسهم . وبذلك لا تمسهم ظلمات المادية فيتخبطون فى السير والحركة ، او ينحرفون فى تحصيل ما يحصلونه من رزق الله وفضله فى نهارهم .

واذ يطلب القرآن هنا فيما قبل من رسول الله عليه الصلاة والسلام من ذكر الله فى أول النهار وآخره ، ويطلب الآن من المؤمنين ان يذكروا الله كثيرا دون تحديد لوقت معين ، على أن يسبحوه فى أول النهار

وآخره .. فان التسبيح ، أولا : هو ذكر الله جل شأنه ، وذكر له بالصفة المميزة له تماما عن كل موجود سواه ، وهى صفة « الوحدة » : وثانيا : تخصيص اول النهار وآخره ، كى يستعين الانسان بالله ـــ عن طـــريق ذكراه على عمله فى بدايته ، وكى يشكره عن هذا الطريق كذلك على توفيقه اياه فى نهاية العمل .

ولا يقصد القرآن اطلاقا من ذكر اول النهار وآخره هنا وهناك تحديد وقت لذكر الله ، كأوقات الصلاة الفريضة مثلا . اذ ذكـــر الله مطلوب فى غير زمان ومكان وفى أى وضع للانسان ، كى يبقى المؤمن فى حيوية ايمانه بالله وحده .

وفى آيات أخرى من القرآن الكريم نجد هذا واضحا فى قـــوله تعالى :

« ان فى خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما ، وقعـودا ، وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هـــذا باطلا ، سبحانك ! فقنا عذاب النار » (١٨) .

وفى قوله أيضا :

« فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا ، وعلى جنوبكم ، فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ، ان الصلاة كانت على المؤمنين كتـــابا موقوتا » (١٩) .

... فيصف فى قوله الاول الذين يذكرون الله فى أى وضع لهم وفى أى وقت بأنهم : أولو ألباب ، ممـــا يدل على العناية بذكر الله فيمـــا وراء الصلاة كذلك . كما يوضح القول الثانى مطلوب القرآن من المؤمنـــين فى أن يذكروا الله فى كل وقت ووضع . ولا يغير هذا المطلوب ان الذين يوجه اليهم من المؤمنين كانوا فى شدة ، هى شدة الاشتباك فى قتـــال مع الاعداء . لان الشدة اذا استدعت ذكر الله كثيرا فمعنى ذلك : ان ذكر الله له أثر فى حياة الانسان ، على نحو ما للصلاة من اثر فى هـــذه الحياة . وهنا يكون النداء للمؤمنين ـــ مقيدا أو مطلقا عن الوقت ـــ بذكر الله ، بجانب الصلاة ، هو لاستمرار « حيوية » الحقيقة النفســـية ، وهى حقيقة الايمان بالله وحده التى تترسب فى نفس المؤمن عن طريق الصلاة . اذ ليست الصلاة الا ذكرا لله جل شأنه فى وحدانيته ، وفيما له من صفات تدفع المؤمن به الى القربى منه والتوجه اليه فى كل عمل ، لصالح نفسه ومجتمعه .

وصورة ذكر الله هى كما جـــاء فى القرآن الكريم عندما يطلبه من الرسول عليه الصلاة والسلام فى غير جهر وعلانية ، وهى ما يجب أن ينهج المؤمنون نهجها : اذ المطلوب تأثر النفس بالمولى سبحانه وتعالى عندما يذكر جـــل جـــلاله على نحو ما تصور الآية : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » (٢٠) .

ولا شك أن تلاوة القرآن صورة واضحة لذكر الله ، ولكن من غير

أن يصحبها ما يخرجها عن أن تكون ذات فعالية .

• • • • • • • •

● والمسجد لكى تبقى للصلاة أثرها ولذكر الله فعله يجب أن ينحى فيه ذكر أى موجود سوى اللـــه تعـــالى . يجب ألا يشرك فيه غير اللـــه من انسان ، مهما كان وضعه ومهما كانت صلاحيته . اذ ذكر اى انسان بجانب الله فى بيت الله من شأنه أن يصرف قليلا او كثيرا التركيز على تصور الحقيقة النفسية لوحدة الله سبحانه وترسيبها فى نفـــوس المؤمنين .

والشرك بالله ليس الا رفع ما عدا الله فى مستوى جـــلال الله وقدسيته ، والا صرف القلوب وأعماق النفوس عن أن تعى الحقيقـــة الالهية وعيا كاملا وواضحا : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيـــه القلوب والابصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

هذا وضع بيت الله ، وهؤلاء : هم المؤمنون الذين وعدوا بالنصـــر أبدا ، على شهواتهم وأهوائهم وعلى أعدائهم . وهذه هى الصلاة التى أعدتهم للنصـــر . وهذا هو ذكر الله الذى زاد فى طاقتهم على التغلب على صعاب الحياة ومشاقها .

وبهذا تكون الصلاة ذات صلاحية فعالة وعميقة فى تجربة المصلى فى صلته بالله وعبادته اياه وحده . وبالتالى ذات اثر قوى فى تحـــويل النظرة الاسلامية الى المادية والشرك الى حقيقة نفسية يصدر عنهـــا المؤمن فى الابتعاد عن المادية والركون الى الله وحده فوق المتع الحسية ومغرياتها .

« الصـــلاة الصـــلاة ، وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون » . تلك وصية الرسول عليه الصلاة والسلام فى مرض موته للمؤمنين ، أراد أن يدلهم فى اختصار ما به وجودهم ، وعزتهم فى حياتهم .

---

(١) النساء : ١٠١

(٢) النساء : ١٠٢ ، ١٠٣

(٣) وعن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جعلت الارض كلها لى ولأمتى مسجدا وطهورا ، فأينما أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره» رواية أحمد فى مسنده .

(٤) هود ١١٤ (٥) الاسراء ٧٨ (٦) البقرة ٢٣٨

(٧) العنكبوت ٤٥ (٨) مريم ٥٩ ، ٦٠

(٩) البقرة ١٥٣ ــ ١٥٦

(١٠) البقرة ٤٠ ــ ٤٦

(١١) الحج ٣٨ ــ ٤١ (١٢) النور ٣٦،٣٧،٣٨، (١٣) النساء ١٤٢ ، ١٤٣

(١٤) المائدة ٥٧ ، ٥٨ (١٥) الجمعة ١٠

(١٦) الاعراف ٢٠٥ (١٧) الاحزاب ٤١ ــ ٤٤

(١٨) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ (١٩) النساء ١٠٣

(٢٠) الانفال ٢ ــ ٤

الفكر الاسلامي

من المخطوطات إلى الالكترونات

للأستاذ : فاروق منصور

لن نحاول هنا تقديم دراسة تاريخية ، ولن نتابع الفكر الاسلامى فى مسار انتشاره ، أو عصور ازدهاره وانكماشه ، ولا متابعة مراحل حركته وجموده .

ان مثل هذه الدراسة أمر بالغ الأهمية ، ونقصها يعد تفريطا فيما يجب ألا نفرط فيه ، أو نقصر عنه ، تفهما لحياتنا ووعيا لاحتياجاتها ، وحفاظا على وجودنا وادراكا لمتطلبات هذا الوجود .

ولكن هذه الدراسة التى تنقص حياتنا الفكريـــة ، برغم ما لها مـــن أهمية ، وما يمكن أن تحققه من فوائد ، يجب أن تؤجل مؤقتا لنوجه العناية الى ما يحتاج الى العناية فعلا ، ويتطلب الدراسة السريعة ، حفاظا على ما هو موجود ، واحتياطا لما قد يقع ، واستعدادا لما يمكن أن يكون .

فالفكر الاسلامى اليوم لا يحتاج الى التأريخ له ، أو الكتابة عنه قـــدر ما يحتاج الى تفهم واقعه ، وادراك حقيقته ، وهو لا يحتاج الى بحوث فيه ، ولكنه يحتاج الى بحوث له عن مخرج من أزماته ، ومحاولات لتعديل الفهم له والمعرفة بقضاياه ، والعناية بتشعب مشاكله ، حتى يمكن أن ينطلق الـــى حيث يكون أكثر فائدة ، وأجدى نفعا ، الى حيث نستطيع أن نستلهمــــه فنلهم به ونلهم ، نتطور بمبادئه ونغير ونطور الحياة حولنا بضوئه ومعطياته حين ذاك يكون قد خرج من أزمته ، ووضـــع فى موضعه ، متمشيـــا مع طبيعته ، صالحا لاثراء الحياة كما كان ، وكما يجب أن يكون :

إعربى الدعوة والسمات فليكن عربى الجند والدعاة !]

وأول علامة على الطريق ، أن نحدد : **أن قيمة هذا الفكر فيمن يحمله** وأنه لا قيمة له ما لم يحمله قوم توافق طبيعتهم خصائصـــــه ، وتتمشـــى **غرائزهم مع ما ينحو اليه ، وتتسق قيمه مع مفاهيمهم** • قوم يؤمنون بـــأن هـــذا الفكر صورتهم ومزاجهم ونفسيتهم ، وانه انعكاس ايمانهم واسهام عقولهم فى أوج خصوبتها ، وهو حياتهم يوم يكون لهم حياة ، ووجودهم اذا أرادوا لهم وجودا ، فمن هؤلاء ؟ وأين هم ؟

أن أقدر الجماعات على حمل تلك الأمانة أولئك الذين حملوها يوما عندما آمنوا بالاسلام دينا ، وبالعروبة وعاء لهذا الدين ، وبهذا الفـــكر الاسلامى طريقا للتفاهم مع البشر والالتقاء الحضارى بالبشرية .

ان أجدر الناس بحمل أمانة الفكر الاسلامى واحيائه بعد سكونه ، وتحريكه بعد جموده هم العرب ، الذين بشروا به فنجحوا ونجح ، وفكروا فى اطاره فأعطوا الانسانية من خلاله ما أخرجها من ظلام عصورها المظلمة وكان دواء للكثير من أمراضها ، استطاع أن يجنبها الزلل ، ويزيل القلق ، ويوفر لها الأمن والرعاية ، ويحقق الرشد والهداية .

واذا قلنا ان العرب الذين حملوا الاسلام ، وأسهموا بفكرهم فى تكوين الفكر الاسلامى مهتدين بالقرآن والسنة ، ومقدمين خلاصة ايمانهم والتزامهم فكرا وفنا وعملا ، هم اليوم أجدر الناس بحمله وتقديمه وتطويره فاننا لا نرشحهم بحق الميراث ، ولا نسلم لهم بحق الارث ، وان كان هو حقهم وهم أصحابه ، ولا بعصبية الدم ، وان كانوا قد بذلوا دماءهم رخيصة فى سبيله ، ولكن نرشحهم بخاصية الصلاحية ، وميزة التلاؤم مع هذا الفكر الاسلامى ، والقدرة على التوافق معـــه ، والتوفيق فى رعايتـــه وحملـــه وتقديمه للآخرين .

نرشحهم لأهليتهم فى القيام بهذا العمل ، ولأنهم أصحاب تجربـــــة وأصحاب تراث .

ان الفكر الاسلامى عربى الدعوة ، أساسه القرآن تنزل بلسان عربى والشريعة عيون الفكر الاسلامى فى كل علومها ، وهى أيضا عربية المعنى واللفظ ، وعربية الفكرة والروح ، لأن كل تشريع مصدره كيان بشرى أو تجمع جاء ليصوغ قيمه ، وينظم علاقاته .

ولقد نزل القرآن عربيا ، وفى بيئة عربيـــة ، وبين قوم هم ذروة العروبة جنسا ولغة وتقاليد .

واذا سلمنا بهذا وارتضيناه ، فاننا نمضى قدما نتحسس الـــداء ونشخصه ، ونحدد الدواء ونستخدمه ، نحدد واقعا ، ونرسم مســـاره ونتوخى غايته .

نعم .. ولكنهم عاشوا عربا .

ويقول قائل أليس فى ذلك اجحاف بالبعض ، وظلم لهم ؟ ألم يكن لكثير من الاعلام المسلمين جهود فى مجال الفكر الاسلامى ولم يكونوا عربا ؟ أليست هذه نعرة عنصرية ؟ وتعصبا لجنس ؟ وديننـــا يمقت العصبيـــة ورسولنا يقول : « ليس منا من دعا الى عصبية » ؟

نعم : لقد أسهم المسلمون من جنسيات كثيـــرة فى تطوير الفــكر الاسلامى حتى كان لنا هذا التراث الضخم العظيم ، وفى امكاننا أن نحصى المئات من الأفذاذ الذين قدموا روائع الفكر الاسلامى ولم يكونوا عربا وأن ايمانهم بالدين كان الدافع لهم ولولا هذا الايمان لما قدموا شيئا ..

نعم : **ان ديننا لا يعرف العصبية وليس من ديننا بغض العروبـــة ، ولكن من ديننا حبها ، وليس من ديننا ذل العرب ولكن عزهم .**

نزل القرآن عربيا ، وفصله الله عربيا لقوم يعقلونه ، والمسلـــم به أننا لا نستطيع أن نعقل شيئا لا نعقل لغته ، أو نفهم علما لا نفهم الكلمات التى صيغت بها قوانينه وقضاياه ، وكتبت بها بحوثه ودراساته .. فالمفكر الذى أنتج فكرا اسلاميا لم يفعل ذلك الا فى ضوء ثقافة عربيـــة تلقاهـــا ، وكتابا عربيا تفقه منه وبه ، ومجتمعا عربيـــا عايشه أو عايش قيمـــه وأنظمته ..

فلقد كانت الدولة الاسلامية فى واقعها وفى صورتها العامة والخاصة تمثل حضارة عربية ، وذوقا عربيا ، وكانت العروبـــة هى البوتقة التـــى انصهرت بداخلها ثقافات وعلوم ، وكانت العربية هى الوعاء الذى ضـــم بداخله لبا اسمه الاسلام أو الفكر الاسلامى ، فكان العالم المسلم عربى التفكير والقيم ، وكلما زادت معايشته للعروبة لغة وناسا زاد توفيقـــه ، وتمكن من التعبير فى دقة واقتدار ، لا من حيث اللفظ أو الاسلوب الكتابى فحسب ، ولكن من حيث المنهج العلمى أيضا ، فان أفذاذ العلماء المسلمين قد أدركوا جوهر فكرهم ، وأدركوا الطريق الى بلوغ غايتهم ، فآمنوا بأنه لا حصيلة فكرية لهم ، ولا نتاج فكرى لعقولهم ، ما لم تكن هذه العقول عربية التلقى عربية العطاء ، عربية فيما تستقبله فترفض منه ما خالف المـــزاج العربى ، أو تخضعه لهذا المزاج ، وكانت عربية فيما ترسله ، حتى اننـــا

نستطيع أن نحس بالعقلية العربية واضحة ومتميــزة لو قرأنا لبعض هؤلاء الأفذاذ مؤلفات بلغة غير العربية .

تلك قضية يجب أن تصفى فى البدء ، وأن نسلم بأنه لا عصبيــة ولا عنصرية بيننا ، فالاسلام يعز العروبة ، والعروبة حصن الاسلام ، والعرب هم أصلح وأجدر من يحمل هذا الدين ، ويتفهم هذا الفكر وينقله ، والمجتمع العربى هو أيضا البيئة الصالحة لهذا الفكر القادر على انمائه واثرائــه ، والدليل على ذلك أن الفكر الاسلامى قد عاش عربى المناحى والأساليــب والسمات فى بيئات غير عربية ، وفى نفس الوقت مات الكثير من الدعوات والفلسفات التى حاولت أن تقوم فى العالم العربى ولم تعش طويلا لأنهــا لا ترتبط بواقع ولا تماشى بيئة وخصائصها عربية ، ولذلك نجح الاســلام وفشل ما عداه فى تحقيق وجود كامل بدون قوة تسنده .

الفكر الاسلامى وتحديات العصر :

فالفكر الاسلامى فى ضوء فهمنا العربى له يمثل حضارة وتراثا وقيما وبمقدوره أن يقدم اسهاما ايجابيا لرقى البشرية وتقدمها ، كما أنه فــى مقدورنا فى ضوء ايماننا بالاسلام ، وتفهمنا له ، والتزامنا به أن نأثر فى مسار البشرية اليوم .

والأمر يتوقف علينا فى أن ندرك حقيقتنا فنعى من نحن ؟ وماذا نريد ؟ وماذا يمكن أن نقدم ؟ وكيف نقدم ما نستطيع ؟

والأمر يتوقف ثانيا على معرفة ديننا وتراثنا وفكرنا فى ضوء ظروفه التاريخية والبيئية .

والأمر يتوقف ثالثا : على معرفة عالمنا المعاصر ، واكتشاف حاضره ، ومحاولة تفهم مستقبله ، ليس على أساس التخمين والحدس ، ولكن على أساس البصر العلمى ، والبصيرة التجريبية .

تلك أمور ثلاثة يتوقف عليها نجاحنا ، أن نعرف امكانياتنا ، وطبيعتنا ، ومجال تأثيرنا لنحدد نوع العطاء وحجمه ولنحدد له المعيار الكمى والقيمى ، بهذا نسترد مكانتنا ، ونقوم بدورنا الذى نصلح له ، والذى اختارنا الله له ، وحملنا أمانته فى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمــــرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله جل جلاله : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . وقوله تبارك وتعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . »

هذا هو ديننا ، وتلك هى رسالتنا فى الحياة ، ارتضاها لنا الله ، وآمنا بالقيام بها ، واذا كنا نريد حقا أن نقوم بدور فعلينا أن نبحث أولا ما يواجه فكرنا الاسلامى اليوم من تحديات عصرية ، وما يوجه اليه من أسئلة كثيرة ، تحاول امتحان قدرته الحضارية ، وتفهم مقدرته على العطاء اليوم وغدا .

مع ملاحظة أن هناك كثيرا من الشكوك عند موجهى الأسئلة بل ربما كان من الأصوب أن نقول ان هناك رغبات أو أمنيات سوء بالنسبة لدورنا أكثر من الاهتمام بالحصول على المعرفة .

ان أصحاب الأسئلة فى الغالب — وهم من أعدائنا — لا يهمهم المعرفة المجردة ولكنهم يسعون لنتيجة يريدون فرضها هى قولهم بافلاس الحضارة الاسلامية ، وعجز الاسلام عن القيام بدور حضارى جديد وهم يعلمون بكل تأكيد ، خطأ هذا القول ، ولكنهم يبذلون الجهد لاقراره كبديهية ، ويريدوننا أن نرتضى أنها من المسلمات .

انهم لا يريدون أن يؤكدوا لأنفسهم عجز الاسلام كدين وفكر وتراث عن اثراء الحياة ، وخلق الحضارة ، وتغذية ثورية الانسان ، وخدمة نضاله وحفز جهده ، فهم يعلمون أن الاسلام يملك قوته فى ذاته ، ويملك تأثيره من داخله ، وهم أذكى من أن يكرروا ، جهل النعامة ، وهى تخفى نفسها من الصياد .

ان ما يريدونه تقوية الشعور لدينا بالعجز ، وتعميق ما فى نفوسنا من احساس بالنقص والتخلف ، فنسلم — فى وجود الشعور بالعجز والنقص — بافلاسنا حضاريا ونؤمن بعجز فكرنا الاسلامى عن تقديم أى شىء ذى قيمة ، فى عصر أزدهار العلوم والفنون ، وفى عصر تصنع الالكترونات حضارته ، وتبنى مجده فنلقى بثوبنا عنا ، ونرمى قيمنا بعيدا ، ما دمنا نسلم بأنه لا جدوى من ورائها ، ثم نجرى وراء بريق القوى الذى يخطف أبصارنا ، ويهز عقولنا فى عنف ، وحينئذ يتم لهم عمليا القضاء علينا لأنه فى غيبة الاسلام دينا وشريعة وفكرا وأسلوب حياة يموت المسلمون . وفى غيبة الاسلام عقيدة وفكرا وسلوكا يموت العرب ، وتموت العروبة ، كما أن فى ابعاد العرب عن الاسلام ضعف الاسلام وتوقفه المؤقت عن القيام بأى اسهام حضارى ، فمعركة القضاء على العروبة والاسلام تتمثل أساسا فى احراز نصر فعال لا يمكن أن يتحقق الا فى فصل العرب عن الاسلام وابعاد الاسلام عن الجماهير العربية والمزاج العربى والبيئة العربية ، ونحن هنا لا نحاول فلسفة الأمور ، ولا نزعم أننا أتينا بجديد ، ولكننا نقرر واقعا ونقوم بعملية استقراء لتاريخ هذه المنطقة التى نعيش فيها ، واستقراء تاريخ الغزو والاستعمار الذى تعرض له الوطن الاسلامى وتعرضت له البلاد العربية .

ان دراسة التاريخ والمخططات الاستعمارية سواء ما كان منها دوليا أو عن طريق الارساليات يعطينا ما يؤكد سلامة هذا القول ، انك لكى تقتل العروبة والاسلام فعليك أن تنجح فى الفصل بينهما ، فكل منهما لا شىء فى غيبة الآخر ، وهما كل شىء اذا التقيا .

انها تذكرة . . فهل من مدكر ؟

إن هذه الحقيقة ثابتة ، والمعركة التى يواجهها الاسلام أيضا واحدة تختلف باختلاف الأزمان ، والظروف ، والأشخاص ، وتتكرر هى بنفس الدوافع ونفس الأهداف مع اختلاف الوسائل أحيانا ، وفى أحيان أخرى

بالوسائل نفسها ، ومكان المعركة أيضا لا يتغير ، وهو الميدان الذى لو تم فيه النصر لتوفرت ضمانات استمراره ، ان المكان دائما هو الأرض العربية إن الأرض العربية تعيش فى عقول أعدائنا ، وتلهب خيالهم ، لا لفـــــراغ عقولهم ، أو ارتمائهم فى خيالات مريضة ، أو لأن الرومانسية قد صرعتهم ، ولكن لأنهم يتفهمون واقعا ويدركون حقيقة : أن معركة تصفية الحضـــارة العربية لا بد أن تتم على الارض العربية وان نـــزول الستار عن الفكـــر الاسلامى لا بد أن يتم هنافى الشرق العربى .

اننا نكتب دائما فى سذاجة أن « ألف ليلة وليلة » تغزو عقول الأجانب وأنهم لا يعرفون الشرق الا بها ، وبالأساطير التى تسحرهم عن لياليه ، وعن الطرب والترف والقيان والنساء ، ونقول فى سذاجة إن « كتاب الأغانى » للأصبهانى يمثل الحياة العربية ، وهو قول ساذج أيضا ومدمر فلا هذا ولا ذاك من صادق القول وسليم الرأى .

فى البناء والهدم .. أهداف :

إن كتاب « ألف ليلة وليلة » لا يقدم نموذجا صحيحا للانسان العربى ، فالأسطورة ليست مقياس العقل العربى وليست خاصيته لكن الانســـان العربى يتمثل فى الكلمة الواضحة والعبارة المحددة ، واذا كانت اللغـــة العربية تتميز بكثرة المترادفات وأن للمعنى الواحد أكثر من كلمة تعبر عنه ، فليس معناه أن تظل العبارة العربية فضفاضة أو متأنقة .. ولكن معنـــاه الثراء المعنوى بحيث يكون للكلمة معنى دقيق محدد فى كل حالة وتأخـــذ الكلمة الطابع النفسى عند السياق ، ونستطيع أن نقول أن العربى يستخدم الكلمة فى قالب صحيح ، وفى جو صحيـــح أيضا . أى أنه ينقل المعنـــى والجو النفسى له فى آن واحد ، وهذا من شأنه احداث تأثير أكبر عنـــد السامع أو القارىء ، وهذا يعبر أيضا عن طبيعة العربى ، ومزاجه فـــى تمسكه بالقوة ، وحرصه على بلوغ الكمال ، وتحقيق قدر أكبر من الوضوح وإصراره على ازالة كل لبس .

حتى أننا نجد أن التورية والكناية والمدح الذى يراد بالذم فى اللغـــة العربية يخضع لقانون وضوابط محددة وليس عفويا .

كما أن كتاب الأغانى لا يمثل واقعا عربيا ، فالأمة العربية لم ولـــن تكن سهرات ماجنة ، وقيانا وخمرا ونساء .

والفكر العربى ليس المدح والذم والغزل فى المذكر ، انها صور تمثل واقعا مريضا ، وتمثل مزاجا غير عربى ، والانسان العربى سليم المزاج ، سليم الواقع ، فكتاب الأغانى ليس تعبيرا سليما عن العربى وليس عملا عربيا خارقا لأنه يصور أمراض النفس أكثر مما يظهر سلامتها . فلماذا اذا يقبل الأجانب على (الف ليلة وليلة) ؟ ولماذا يمجدون كتابا كالاغانى ؟ ان « ألف ليلة وليلة » تجذب خيال الطفل الى حياة ، وتوجه ذهنه الى منطقة اسمها الشرق العربى ، أو تلك البيئة التى يعيش أهلها حياة حالمة ويجد من يرتادها الكنوز التى تفتح له عندما يملك القوة ، وان هذه الأرض المليئـــة بالكنوز تنتظر الفاتح القادم من خارج الأرض العربية ، وعندما يتذكر هذه

الأرض ويتعلق بها ، سيحاول أن يفهم كل شيء عنها .. ويتصرف عليها ويعى تاريخ هذه المنطقة من خلال أدلاء يغذونه بفكر معين ، ومن خلال مربين يربونه تربية معينة ، ويعدونه اعدادا خاصا ، لكى يكون غازيا لهذه المنطقة ، ولكى يدرك أن هناك حربا فاصلة لا بد أن تكون فى ذلك الميدان ، هنا بناء الطفل الذى سيكون رجل الغد ، سواء فى الناحية الحربية أو المدنية ، انه يربط الطفل بالمعركة وبأرضها عن طريق ما يمكن أن يخاطب عقلية الطفل ، ويثير شجونه ، ويولد أحاسيسه ، وينمى مشاعره . وهذا هو الجانب الايجابى الهام فى الاعداد لمعركة تصفية الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى والعقيدة الاسلامية ، معركة القضاء على العروبة والاسلام .

أما الجانب الايجابى الآخر فى المعركة فهو تصفية العرب ، بالقضاء على خصائص الانسان العربى .. وذلك بوضعه فى حياة غير عربية ، واقناعه بسلوك غير عربى ، والعروبة ليست رداء ولكنها واقع وحقيقة ، فالعربى هو عربى اللغة والفكر والمزاج والسلوك ، عربى القيم والمبادىء والمشاعر والارادة ، عربى الفهم والتصرف ، ومع محاولة تصفية العرب بسلبهم خصائصهم يتم أيضا تحطيمهم معنويا بغرس الشعور بالعجز فى نفوسهم عندما يعطيهم صورة مزركشة عن ماضيهم ، ويلقى أمام بصرهم بواقع متخلف فاما اغراقهم فى أحلام رومانسية وربطهم سطحيا بماضى خيالى يكتفى معه بالعزاء واما صدمه عن طريق واقع يحطمهم ويجبرهم على التسليم بأن ما يتمسكون به لا قيمة له ولا جدوى فيهربون منه ، وبذلك ينسلخون عن حضارتهم وقيمهم وفكرهم وهو المطلوب .

كان بمقدورهم وعى الحقيقة !!

ان الفكر الاسلامى مطالب اليوم بأن يبرهن عمليا وفى ضوء تأثير حقيقى ملموس على أصالته ، وأن يثبت قدرته على الاسهام فى حركة الجماهير ، وتطوير هذه الحركة وأثرائها بما يصنعه من قيم ، وما يمكن أن يجمع الناس حوله من أهداف ، وما يمدهم به من الهام .. لأن فى قدرة هذا الفكر على الاشعاع والتأثير والتوجيه ، ومقدرته على التجميع والايقاظ والبعث ، يتحقق وجوده ، ويتضح كماله ، وتفهم صلاحيته ولقد أدرك المفكرون المسلمون ذلك منذ البدء ، والقراءة المتأنية لما بين أيدينا من تراث عربى تعطينا الدليل على ذلك ، فمنذ عرف المسلمون التدوين نرى أن الحقيقة واضحة أمامهم والطريق محدد ..

فالمفكر المسلم لم يكن يسود الصفحات لازجاء الفراغ ، أو للظهور بمظهر العالم ، ولكنه كان يعرف قيمة الكلمة ويدرك قيمته وهو يستخدمها ، لذلك استخدموا كلماتهم فى التعبير عن رسالاتهم ، ونقل قيم آمنوا بها ، وآراء التزموا بها ، وضحى الانسان منهم بحياته دفاعا عن كلمته .

بل يمكن القول أن غير الملتزمين منهم بالمبدأ أو الرسالة قد التزموا بأهداف وضعوها لأنفسهم ، حتى المتكسبين بالقول منهم كانت لهم غاية هى ارضاء السلطان أو الحصول على الجاه ، فكانوا كمندوبى الدعاية فى

العصر الحديث ، أو مؤلفى الاعلانات وقد تغير شكل المعلن من صاحب سلعة الى صاحب سلطة أو صاحب جاه .

لقد كانت بداية التفكير الاسلامى التزام بالهدف والرسالة ، وايمان بقيمة الكلمة وجدواها ، وكان رجل الكلمة يفهم دوره ، ويعرف طريقه ، ويعطى التعبير الصادق عن ايمان صادق ، فعاش فكرهم ، وبقيت كلماتهم منارات هدى ونجحت فى تقديم عطاء سخى للبشرية .

كان الصدق والايمان سمات الفكر الاسلامى وكان الصدق والايمان يميز فكر الانسان العربى منذ عرف التدوين وكتب المخطوطات ، وكان الالتزام بالهدف والرسالة واضحا ومتمثلا فيما كتب ، وظل الفكر الاسلامى على هذه الصورة فى كل عصور ازدهاره ، وكان فى عصور انكماشه يعمد الى التقوقع ، ويختفى تحت ستار التقليد ، كى لا يخضع أو يذل ، بل اننا نظام أحيانا عصور التقليد عندما نصمها بالتخلف دون دراسة وتحليل واقعها لكشف سر تخلفها .

الفكر الاسلامى فى عصر الألكترونات : الى أين ؟

فاذا ما أدركنا أن سلامتنا تتمثل فى حاضر يرتبط بالماضى ، ويأخذ من قيمه وتراثه ما ينير له الطريق ، واذا سلمنا بأن الاسلام عقيدتنا ، وحياتنا وسلوكنا ، وان الفكر الاسلامى فى عصوره المزدهرة يجب أن يكون منبع فكرنا ومنهل عرفاتنا ، فاننا نمضى لمعرفة مدى اتصالنا بهذا الفكر ، وما مدى ارتباطنا به ؟ وما مدى فهمنا له ؟ وما مدى ما نقترب منه أو نبتعد عنه ؟

نجد أننا نقترب اسما ونتخلف فعلا ، نقترب وهما ، ونبتعد حقيقة ، نقترب أملا ، ونبتعد غاية وأسلوبا .

ان ما نكتبه فى أغلبه بعيد عن واقعنا ، بعيد عن تفهم حقيقتنا وادراك دورنا فى الحياة ، وهو بالتالى بعيد عن التأثير فى هذه الحياة واقناع الآخرين بجدوى ما نملكه ، أو اقناعهم بأن لنا دورا حضاريا يمكن أن ننهض بـه .

ان فكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات ينقصه الجدية ويفتقر الى الموضوعية ، لا يمثل قيمة ولا يعبر عن هدف ولا يوصل لغاية ، ان فكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات منفصل عن جوهر ديننا وجوهر حضارتنا ، ومنسلخ عن جوهر تراثنا .

وفكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات فكر ممسوخ لا صورة له ولا سمات واضحة تميزه .. وفكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات فكر مريض لا يلائم الواقع ولا يتمشى مع الحياة .

انه فى أغلبه تزجية فراغ وطيش أقلام وتسويد أوراق،انه لمن الغريب أن يكون هذا النتاج هو ثمرة الفكر الاسلامى المزهر والعقلية الاسلامية ذات التراث الفكرى الأصيل ، ان فكرنا يدور فى نطاق ضيق لا يخرج عن الحلال والحرام ، والحلال بين والحرام بين كما يقول نبينا الصادق المصدوق .

إننا نشغل أنفسنا فى قضايا لا يحتاجها عصرنا ونشغل بأمور ليست معروضة للمناقشة أصلا ، ولسنا فى حاجة الى مناقشتها ولكن الافلاس يجعلنا نناقشها ونجادل حولها .

إن الفكر الاسلامى المعاصر يجب أن يخرج من المتاهة التى دخلها يجب أن ينطلق متسلحا بالايمان والقيم وملتزما بالكتاب والسنة والتراث ليرتاد آفاقا أرحب ، وليمهد الطريق أمام نهضة عربية جديدة ، وليفتح الباب لاسهام حضارى اسلامى تحتاجه البشرية ، ويستطيع جيلنا أن يقدمه ، وأن يصنعه ، لوعدنا الى هذا الدين الذى تنزل علينا بالحق ، وحملنا أمانته فى صدق واخلاص .

انه عصر النظريات ، والتحليل ، والبحث !!!

أن عصر الالكترونات هو عصر النظريات العلمية ، والدراسات الجادة القائمة على التحليل والفهم والمناقشة والبحث الجاد الهادف ، وهذا العصر ليس عصر الكتابات الانشائية ، وليس عصر تجميع النقول والنصوص ، انه عصر تفهم النصوص للاستفادة منها ، وليس عرضها للمباهاة بحفظها ، فالعقل الالكترونى أكثر من ذاكرة الانسان ، وليس المهم اليوم أن نردد كم كتابا قرأنا ، أو كم من النصوص نحفظ ، ولكن أن نثبت مدى فهمنا لما قرأناه ، ومدى استفادتنا مما بين أيدينا من نصوص لخدمة قضايانا ولتنمية قدرات الانسان والعمل على ما فيه خيره ، ان مراعاة المصلحة أساس فى الشريعة الاسلامية وخدمة الصالح العام هدف اسلامى .

ان الانسان يعيش اليوم فى كل مكان محاصرا بنظريات ، وتحدد الفلسفات له سلوكه ومساره ، فهو ملتزم بالقضايا ، وملتزم بالمناهج والاهداف سواء فى جده أو مجونه ، فى عمله أو عبثه ، فى حربه أو سلمه فى ايمانه أو يأسه .

إننا نعيش عصرا لكل شىء فيه فلسفة ، حتى الجريمة قد أصبح لها فلسفتها ، فلقد كان اللص فى الماضى لا يعلل اقدامه على السرقة ويجرى هاربا من وجه العدالة ويدارى خجله من الناس عند اكتشافه ، فأصبح اليوم يفلسف السرقة ويرجع جريمته الىاحساسه بالضياع أو القلق أو الى شعوره بالظلم والاضطهاد .

وكانت الحروب لا تعلل ، فالغازى يحرك جيوشه متى أراد ، وحيثما أراد ، فأصبح اليوم يفلسف خطواته ، ويبنيها على أسس عقائدية ، حتى أضحى كل شىء فى عالمنا عقائديا حتى ما هو قائم على هدم العقائد ، وما هو ثائر على النظم والقيود والنظريات يقوم أصلا على أساس عقائدى، لذلك فان فكرنا الاسلامى يجب أن يلتزم عقائديا ، وأن يلتزم تعبيرنا بهدف ورسالة ، والا انعزل عن الحياة ، وسقط فيما يريده له الأعداء .

وعلينا أن ندرك أن كثيرا من أصحاب الفلسفات فى عالمنا يختلفون فيما بينهم ، وتتعارض مصالحهم ، ووجهات نظرهم ، ولكنهم — وهذا هو المهم — يتفقون على موقف تجاه الاسلام ، أساسه الاحساس بقدرة هذا الدين ، ومقدرته الفكرية على احياء النفوس ، ويدركون أن الفكر الاسلامى قادر على اصلاح المجتمعات ، وتغيير الكثير فيها . . وهم يتفقون أيضا فى الرغبة الأكيدة فى أن يظل هذا الدين مجمدا ، أو محصورا فى قوالب صماء ، وأن يظل أتباعه فى عزلة عن الحياة ، وتظل الحياة بعيدة عن مجال تأثيرهم ، لأن فى تأثير الاسلام كدين وفكر على الحياة ما يغيرها ويفيد العرب ويعز المسلمين وهو كره لهم « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

اليهود

في إقامتهم وخروجهم من مصر

للأستاذ: محمد صبيح

سأل القارىء الفاضل السيد عبد العزيز ابراهيم الميمان ــ الدمام ــ السعودية ــ عن فترة اقامة اليهود فى مصر ، منذ دعاهم اليهـا سيدنا يوسف الصديق ، وعن تعدادهم عند خروجهم منها واشار فى رسالته الى ما ذكره المسعودى فى هذا الصـدد ، وشك ابن خلدون فى تقديـرات المسعودى وعقب القـارىء الفاضل بقوله ... من هذا اختلط علينا الامر فنرجو الايضاح .

* * *

وقد يحسب البعض أن ظـروف المعركة تستدعى أن نخصص لهـا جهدنا كله ، فكرا ، وعمـلا ، ولكنى أرى انها ظـاهرة صـحية ان نقلب أوراق الماضى ، وننبش تاريخ اليهود

بعد ان تأكـدت صلة الحاضر بهذا التاريخ ، وان الاسرائيليين الـذين يحاربوننا اليوم ، انما يعيشون فـى صفحـات التـوراة ، والتلمود ، والبروتوكولات ، ويرتبطون بهـا

ارتباط العقيدة الراسخة . ومعرفة عدونا ، والبحث فى مكونات فكره ، وخلفياته التاريخية جزء لا يتجزأ من عدة انتصارنا عليه ، ولقد اتفق اليهود الفى عام الا قليلا منذ طردوا من فلسطين ، وهم يدرسون عقائدنا وظروفنا جميعا ، استعدادا للعودة اليها ..

وفي رحلة اخيرة الى الولايات المتحدة ، كثيرا ما سمعت مواطنين هناك يسألون فى دهشة : لماذا تحاربون اليهود أيها العرب ، وانتم أبناء عمهم فاسماعيل جدكم الكبير ، وبانى كعبتكم ، هو أخو اسحق الذى أنجب يعقوب والاسرائيليين جميعا ؟ وكان ردى على هذا السؤال اننا نحن لا نحارب اليهود ، ولكنهم هم الذين وغدوا الى أرضنا محاربين ، ومعتدين ، ومغتصبين للارض والوطن . وأما قرابة اسماعيل من اسحق ، فنحن لا ننكرها ، ولكن اليهود هم الذين انكروا ان ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل هما اللذان اشتركا فى بناء الكعبة ، بأمر من الله تعالى حيث توجد الآن ، وكأن هذا الاثر الباقى من أقدم العصور فى مكانه لا يوجد قط !! حتى لقد اضاع مؤلفو التوراة كل أثر لاسماعيل ، وسلالته ، وكأنه لم يوجد الا بالاسم فقط ، بل اضاعوا أيضا اثر عيسو الاخ الكبير والوارث الطبيعى لعهد اسحق ، وكأنه لم تكن له سلالة ، وكل العهد ، وكل السلالة هى ليعقوب الذى سمى اسرائيل .

بل لقد بلغ من جهل العالم الغربى ، ولا سيما الامريكان ، انى سمعت من كثيرين منهم ، ان كل ما تفعله الولايات المتحدة ، هو ازالة اثر من آثار هتلر ، الذى طرد اليهود من فلسطين ، وزرع العرب مكانهم ..

أجل : ان كثيرين يظنون — بفعل الدعاية الصهيونية المضللة — ان هتلر هو الذى اسكن العرب فى فلسطين فى عام ١٩٣٣ بعد الميلاد !!

اذن فنحن فى حاجة الى كثير من الجهد للوصول الى الحقائق وايصالها الى اذهان الرأى العام العالمى .. ولنعد الآن الى موضوعنا .

علامات فى الطريق

المرجع الاساسى الذى نعتمد عليه فى معرفة التاريخ اليهودى ، هو القرآن الكريم ، والاشارات التى وردت فيه عن مراحله ، وكذلك ما ورد فى الانجيل عن هذا التاريخ : ثم الحفريات الكثيرة التى تمت فى أواخر القرن الماضى وهذا القرن ، وفكت رموزها واهمها حفريات العراق ، وفلسطين ، ومصر .

وقد تحدثت كتب السماء عن الانبياء ، والرسل : نوح ، وابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسى ، واخيه هارون ، وخليفته يشوع بن نون .. ثم داود ، وسليمان .

وبقى على الحفريات ان تدلنا على مواقيت ظهورهم ، وما اقترن بحياتهم من أحداث . وحتى نقدم خلاصة ما وصلت اليه الحفريات ، فاننا سنذكرها ، ومن أراد توسعا فى البحث والدراسة ، فما عليه الا أن يسأل عن طريق الوعى الاسلامى ، ونحن نجيب بما يسر الله لنا من معرفة ومراجع .

* ولد ابراهيم الخليل فى بلدة « أور » بجنوب العراق فى عهد الملك البابلى زابوم عام ٢١١٩ ق.م (تاريخ التوراة ٢١٦٠ ق.م) وهاجر الى

فلسطين ، التى هى أرض كنعان ، وكان فى الخامسة والسبعين من عمره كما تقول التوراة ، وكانت هذه الهجرة فى الراى الارجح قبيل عصر حمورابى فى بابل وفى وقت معاصر تقريبا لنهاية الاسرة السادسة عشرة المصرية : وفى عودته من مصر مع هاجر المصرية ولد له اسماعيل ، وبعد احدى عشرة سنة ولد له اسحاق من زوجته العراقية سارة .

انجب اسحق ابنيه عيسو ثم يعقوب حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م ، وبعد ١٣٠ سنة دعاه يوسف الصديق الى مصر ، وكان بصره قد كف ، وارتد اليه على نحو ما روت لنا السيرة المشهورة : وكانت قبيلة يعقوب أول قدومها الى مصر مكونة من سبعين شخصا فى « رواية التوراة » وقد اقاموا فى اقليم الشرقية ، وحثهم يوسف على الا يتخذوا لهم صناعة الا رعى الاغنام حتى لا يختلطوا بالمصريين . وكان المصريون يكرهون رائحة الرعاة ، وكان اليهود لا يستحمون ، فتظل رائحة الاغنام عالقة بهم . وبهذا فرض هؤلاء الوافدين الى مصر على نفسهم عزلة تجنبهم مشاق العمل مع المصريين فى زراعة او صناعة أو بناء . والراى الارجح انهم تركزوا حول مركز « فاقوس » المعروف الى الآن بأرض الشرقية .

* طالت فترة اقامة اليهود فى مصر خلال حكم الهكسوس لها . وهناك راى يقول ان الهكسوس هم اليهود ، بل الفت رسالة دكتوراه تؤيد هذا الراي ! ولكنه راى غير ناضج ، اذ كيف يتاح لآلاف قليلة من البشر ان تحكم شعبا كالشعب المصرى ، ويستمر حكمهم قرونا . مع اختلاف الطبائع ، والعقائد ، والحضارات (لم تكن لليهود حضارة على الاطلاق) .

وكان وفود اليهود الى مصر مع يعقوب حوالى عام ١٨٧٠ ق.م وكان احمس قد بدأ حرب التحرير بعد ٣٠٠ سنة تقريبا من وجودهم . وبه يبدأ حكم الاسرة الثامنة عشرة فى مصر . وهى اعظم أسر التاريخ المصرى القديم .

ولد موسى الكليم فى مصر . وتقول التوراة انه من اسرة ليفى ، أو لاوى اليهودية . وتقول مصادر أخرى انه من أسرة مصرية ولكنه فى جميع الاحوال يحمل اسما مصريا ، والراى الارجح انه تحريف لاسم مصرى شائع جدا هو احموس الذى كان بطل التحرير . وان كان برستد ، وهو مؤرخ عظيم ولا شك يفسره بأنه طفل امون أو بتاح أحد الهين مصريين قديمين ، اذ ان كلمة (موسى) فى الهيروغرافية تفسر بكلمة طفل .

وكان ميلاد موسى عام ١٥٢٠ ق.م فى حياة الامير ثم الملكة حتشبسوت ، وهى التى انقذته من الغرق ، وتولت تربيته ، وعمل ضابطا فى الحرس الفرعونى ، ثم سافر الى السودان فى بعثة عسكرية ، ولما نشب نزاع خطير بين الملكة وأخيها تحتمس الثالث انحاز موسى الى الملكة التى ربته ، وهرب الى أرض مدين « شمال الحجاز » وكان سنه أربعين سنة فلما عاد تولى زعامة القبيلة اليهودية ويبدو ان هذه القبيلة شاركت فى النزاع على العرش مؤيدة حتشبسوت ضد أخيها تحتمس الثالث ، فحل بها اضطهاد فرعون والزمها بالعمل فى بناء المعابد وغيرها .

وهنا نأتى لفترة الخروج من مصر ، والتى يرجح جدا انها كانت عام ١٤٤٠ ق.م .

ولا يوجد لدينا فرعون فى هذه الفترة مات فى العام المذكور فان حكم اعظم فراعنة مصر تحتمس الثالث بدأ عام ١٥٠١ ق.م ، وانتهى عام ١٤٤٧ ق.م ليليه حكم أمونحتب الثانى الذى مات عام ١٤٢٣ ق.م .. وقد وجدت جثث هذين الفرعونين وهى محفوظة فى المتاحف

وعلى هذا فنحن فى قصة الخروج امام فرضين :

أولهما أن قائد جيش المطاردة الفرعونى كان أحد امراء البيت المالك من الذين يمكن ان يطلق عليهم لقب فرعون (وهذا اللقب أقرب الى لقب الباب العالى فى تركيا العثمانية) وهو الذى غرق .

وثانيهما ان فرعون قائد المطاردة كان أحد هذه الاسماء من ملوك الاسرة الثامنة عشرة ، وانقذت جثته، وعلينا ان نصحح تاريخ الخروج أو تاريخ وفاة الفراعنة . وفى القرآن الكريم أشارة صريحة الى ان جثة فرعون أنقذت وعلى هذا فنحن نعتمد هذه الرواية .

وردت بعد ذلك فى رسائل تل العمارنة اشارات الى حروب اليهود فى فلسطين . اذ طلب حكامها من اخناتون نجدات تقمع هذه الحروب . وكان اخناتون قد تولى الحكم عام ١٣٧٧ ق.م وهذه الرسائل تؤيد ان الخروج والتيه كانا فى وقت سابق لاخناتون ،كما وردت أشارات فى عهد منفتاح بن رمسيس الثانى ، بانه حارب اليهود ، وسرى وهم لدى بعض المؤرخين ان منفتاح ــ بناء على هذه الاشارة ــ هو فرعون الخروج ولكن النصوص تؤيد الآن ان الخروج تم قبل عهده بأكثر من مائتى سنة .

اقامتهم فى مصر وعددهم

وعلى ضوء هذه التواريخ التى أيدتها الحفريات ، ولا سيما حفريات أريحا بفلسطين ، قد أكدت ميقات مذبحة اليهود لاهلها جميعا وحيوانها وشجرها ، بانه كان عام ١٤٠٠ ق.م وقد تمت هذه الحفريات عام ١٩٣٦ م ونشر خلاصة البحث العلمى الذى اسفرت عنه ، فى جريدة التايمز اللندنية ، كل من (جون جارستاج) رئيس بعثة اريحا و الان رو) رئيس بعثة حفريات بيسان .

وفى أواخر القرن الماضى ، وبتأييد من حكومة مصر قام قنصل الولايات المتحدة فى القاهرة بدراسة على الطبيعة لخط سير موسى واليهود الهاربين ، وفى تقديره ان بحيرة المنزلة كانت تمتد الى جنوب شواطئها الحالية وربما كانت اقرب الى البحيرات المرة وكانت اعشاب البوص تملأ المنطقة والرياح فى مواسم معينة كانت تدفع مياه البحيرة حتى لتشبه موج البحر ثم تدفعها مرتدة حتى يظهر قاع البحيرة ، وما بين فترتى جزر ومد كان العبور الى سيناء ، ثم مطاردة فرعون الهاربين الذين ما لبث المد أن اغرقهم من يمين ويسار ، وبحر (سوف) الذى وردت اشارات كثيرة له ، هو بحر « البوص » الذى ينمو فى المياه الضحلة ، وهو ما تعنيه كلمة سوف العبرية : وفى تقدير هذا الباحث الامريكى ان العبور لم يكن من خليج السويس ، أو من البحر الاحمر : وعلى كل حال هذه فروض لها بعض الابعاد العلمية ولكنها ليست كلها علما .

أما النقطة الهامة التى دلت عليها هذه الرحلة فهي المكان الذي صعد

اليه موسى فوق قمة الجبل (مارا بدير سنت كاترين الحالى) والسفح ثم السهل الذى استقر فيه اليهود فترة السنين الاربعين التى قضى عليهم بالبقاء فيها تائهين ومن حولهم جبال سينا وصحاريها هذا السهل كما رآه وقدر ابعاده القنصل الامريكى ، لا يمكن بحال ان يتسع لحوالى ثلاثة ارباع مليون نسمة . واذا كان المن والسلوى معجزة السماء التى ساقتها الى هؤلاء القوم ، فان الماء هو الذى اعوزهم ، واى مياه تتفجر من الصخر معجزة لموسى ، أو تحويه الآبار بحكم الوجود الطبيعى ، لا يمكن أن تكفى هذا العدد الضخم من البشر ، ومعهم حيواناتهم ، هذه السنوات التى عرف انها اربعون سنة هلك فيها جيل المعاندين والكافرين من يهود العبور ، وظهر من بعدهم خلف أقرب الى الطاعة ولم يتشبع بعبادة الاوثان التى خرج بها اليهود من مصر ، ورفضوا من أجلها رسالة التوحيد التى جاء بها موسى ، ووصاياه العشر . ساحة الاقامة بحسب ابعادها التى لم تتغير خلال خمسة وعشرين قرنا ، قد تكفى لعشر العدد من اليهود الذى ورد فى التوراة اى تكفى لسبعين الفا فقط ، وهو رقم متفائل ، اطمأن اليه الصهيونى بن جوريون ثم عدل عنه ، بعد ان هدده الحاخام بالكفران والعصيان ..

ان سبعين شخصا ، اذا تكاثروا وغالبوا الامراض والاوبئة التى عاش فيها اليهود بسبب قذارتهم البدنية ، فانهم يزيدون الف مثل فى اربعة قرون وبعض قرن ، اى بنسبة ٥ر٢ ٪ تقريبا ..

وهكذا يمكننا أن نرفض الارقام التى وردت فى التوراة الحالية عن عدد اليهود الخارجين من مصر ، وعن تعداد قوتهم المحاربة التى قادها خليفة موسى وخادمه يشوع بن نون ، والتى بالغت فى كل شىء ، والقت القول على عواهنه .

اما كيف انتصر اليهود فى معاركهم الحربية فى فلسطين ، فان هذا البحث يحتاج الى مقال خاص به ، ولكنا نسرع فنقول ان اليهود لم يسيطروا على أكثر من ١٥٪ من ارض فلسطين ، وان فلسطين فى ذلك العهد لم تكن محكومة بحكومة مركزية مثل مصر أو بابل ، ولكن مدنها وقراها كانت تحت سيطرة رؤساء قبائل ، وتوجد لمصر سيطرة اسمية ، ما لبثت أن تفككت بعد عهد تحتمس الثالث ، وعهد اخناتون . ورسائل تل العمارنة تشهد بذلك .. ومع ذلك فما أكثر الهزائم التى منى بها اليهود فى حروبهم للكنعانيين — عرب فلسطين فى ذلك الوقت — أو أهل الساحل الفلسطينيين الذين حملت هذه الارض اسمهم بعد ذلك . ومن هنا نستطيع أن نقول ان ابن خلدون عندما شكك فى أرقام المسعودى كان على حق ، وكذلك فعل كثير من الباحثين فى اكثر ما اشتملته التوراة من اخبار ووقائع حتى المزامير وقصص الانبياء وجدت لها أصول فى آداب مصر وبابل القديمة .

وعندما نسب القرآن الكريم للتوراة المتداولة وقت نزوله ، الزيف الزور ، والبهتان ، فقد فتح الباب على مصراعيه لكثير من الدراسات تلت بعد ذلك لتكشف هذا الزيف ومن الخير ان يكون لنا نصيب أوفى من هذه الدراسات .



غزو الفضاء

يا أبناء الفناء : مهما بلغتم من المضاء والذكاء ، ومهما هيمنتم على الأرض والفضاء ، فأنتم فى قبضة القضاء ، « وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء »

جاوزْتَ منطقــةَ الهــواء وبلغْتَ أسْبابَ السَّمــاء
ومشَيْتَ يا ابنَ الأرض فَـوْ قَ الهدرِ مرفوعَ اللـواء
من كوكب نَــاء قَفَــزْ تَ لـكوْكبٍ فى الأفق نائى
وأردْتَ تحقيقَ الرَّجــا ء ، فنِـلْتَ مافوقَ الرَّجاء
فاَخْلَع ثياب العُجْبِ واحـ ـذَرْ مِنْ دُوارِ الكِـبْرياء
مافُــزْتَ الأَ بعــد أنْ سبقَتْكَ (لايْـكَا) في الفضاء
فَمضَيْتَ أنتَ وراءهــا مُتَهيِّبـاً وقْع القضــاء
فاعِرفْ لنفسِكَ قَدْرَهــا ومصيرَها يا ابن الفنــاء



حـلْمٌ تحقق بالعُــلو مِ وبالعزيمَةِ والمضَــاء
وشجـــاعة قامَتْ على أُسسِ الضَّحيَّةِ والفِــداء
ومَعونَةِ اللهِ الـــذى أعطَى فأجْزَل في العطــاء

للأستاذ : عَلي عبد العظيم

فاخشَعْ لَهُ ، واضْـرَع إليـ ... ـهِ بالتحيّـةِ والثَّنـاءِ
لَولا العِنـايَةُ ما مَشَـيْـ ... ـتَ على الثَرَى بَـلْهَ السماءِ



يا ابنَ الثَّـرَى فِيمَ التَّطَلُّـ ... ـعُ نَحـوَ آفاقِ الفَضَاءِ ؟
أتريد تلـويثَ الكَوا ... كِبِ بالتعاسَةِ والشَّقاءِ ؟
أتريدُ فـوق أديمِهـا ... سَكْبَ الدِّماءِ على الدِّماءِ ؟
أتُحِبُّ نشرَ الحربِ فيـ ... ـها والضغينَـةِ والعَداءِ ؟
أتريد تَسْخِـيرَ العُلُو ... مِ لِبَثِّ ألوانِ البَـلاءِ ؟
أمْ باسْـتراقِ السمْعِ تَـرْ ... جو كَشْفَ أستارِ الخَفَـاءِ ؟
الغَيْبُ ـ يا ابن الأرض ـ أسْـ ... ـمَى من ذكاءِ الأذْكِيـاءِ



يا ابنَ الثَّرَى مهمـا سَمَوْ ... تَ فأنتَ من طِـينٍ وماءِ
مهما بَلغتَ مِنَ الذكـا ... ءِ فأنتَ محـدودُ الذَّكاءِ
مهما قَضَيْتَ من الأمـو ... رِ فأنتَ فى أسْرِ القضـاء

مهما كشفتَ مِنَ العَمـــا   ءِ فأنتَ تَخبْطُ فى العمـاءِ
مهما حشدْتَ من المضـــا   ءِ فأنتَ مغلولُ المضـاءِ
مهما عَلِمْتَ فلسْـــتَ تَعْـ   ـلَمُ غيرَ ومْضٍ من سَـناءِ
بالروح ـ لا بالجســم ـ تَحْـ   ـظَى بالسُّمــوِّ والارْتِقاءِ
وَبِفَضْلِ مَنْ ســوّاكَ مُعْـ   ـجِزَةً وخَصَّــكَ بالوَلاءِ



أَعلِمْتَ سِرَّ الأرض ـ يا ابنَ الأَرْ   ضِ ـ من أَلِـفٍ لِيـاءِ ؟
أَسَبرْتَ أعمــاقَ الثرَى؟   أَكَشَفْتَ أَبعــادَ الفضاءِ ؟
أَتراهُ مُمْتـدَّ المجـــا   لِ بِلاَ أَمـامٍ أَوْ وَراءِ ؟
وإذا انتهى فَبِــأَيِّ حَـ   ـدٍّ لابتدَاءٍ وانْتِهَـاءِ ؟
أَعَلِمْتَ مايَطْـويهِ جِسْـ   ـمُكَ مِنْ غُموضٍ أو خَفاءِ ؟
أَعلِمْتَ أَسْرارَ الخَـــلا   يا والتَّــكاثُرِ والنَّمــاءِ ؟
أَعرفْتَ كيف تفاعلُ الطَّــ   ـاقاتِ فى هـذا البنـــاءِ ؟
أَفقِهْتَ كُنْــهَ الروح أَمْ   أَدْرَكْتَ أَســرارَ الذَّكاءِ ؟
أَعلِمْتَ سِـــرَّ الجاذِبِيَّــ   ـةِ والحَرارةِ والضِّيــاءِ ؟
تلك الطلاسمُ يسْـــتَوى   فيها الذَّكاءُ مع الغَبـاءِ
مَهما عَلِمْتَ فأَنتَ تَضْـــ   ـرِبُ مِنْ خَواءٍ فى خـواءِ



الـــكونُ قام على مَـــلا   يينَ المَجَرّاتِ الوِضـاءِ
فِي كُلِّ واحـدةٍ بَـــلا   يِينُ الشموسِ عَلَى اسْتِواءِ
كلٌّ يســير بأُفقـــهِ   دونَ انْحِرافٍ والْتِــواءِ
هُـــوَ عالَمٌ ضخـــم يعـ   ـزُّ على المَراقب والمَرائى

والأرضُ فيـــــه ذَرَّةٌ صُغرَى تطــوفُ على ذكاءِ
والناسُ فوقَ أديمهـــا أَشبـــاه ذرَّات الهبـــاءِ
والـكُلُّ جاء مِنَ الفنـــا ءِ، وسوفَ يَمضِي للفنـــاءِ
سُبحـــانَ مَنْ حاز الـكما لَ وَمَنْ تَفَــرَّدَ بالبَقاءِ !!!



يا ابنَ الرَّدَى لُـــذْ بالمُهَيــــمنِ واعْتَصِمْ بالأَنبياءِ
واسلُكْ سبيلَ الدِّينِ تَظْـــفرْ بالسَّعادةِ والرِّضـــاءِ
تَســبَّحْ بِحَمْــدِ اللهِ فى فَلَقِ الصباحِ وَفى المَســاءِ
وانْظُرْ بعينِــكَ أو بِقلْـــبِكَ ما يحفُّكَ من بَهــاءِ
آياتُ رَبِّكَ أَسْـــفرتْ فَدَعتْ إليهِ بلا امْــتراءِ
آلاؤُه العظمى تلــــوحُ لِكُلِّ مُستَمِعٍ ورائِي
تدعو إلى نَشْرِ المحبـــــةِ والمودَّةِ والإخــــاءِ
فيها الخلاصُ مِنَ الشـــدائِدِ والشِّـــفاءُ لِكُلِّ داءِ
فالنـــاسُ – لولا الدِّينُ – كــالأنعامِ ، من إبلٍ وشـــاءِ



يا ابنَ الثَّــرَى ناداك ربُّـــــكَ فاستمِعْ قُدسَ النِّداءِ
وأَعِــدَّ رَكْبَكَ لِلرَّحيـــلِ غدًا الى دارِ البقـــاءِ
فَاهبط أَو اصعد ما اسْتطَعْـــتَ فأنتَ في شَرَكِ الفَناءِ
مَهمـــا نأَيتَ فأنتَ عَنْ كَفِّ المَنيـــةِ غير نائِى
لَكَ ضَجعـــةٌ تحتَ الثَّرَى تَبْقَى إلى يومِ الجـــزاءِ
ما أنتَ قـــطُّ بمُعْجزٍ فى الأرضِ أو فـوقَ السَّماءِ

نقد ودراسة لكتاب المصاحف لابن أبي داود

للشيخ : محمد صادق عرجون

اطلنا رشاء القول فى مقالنا السابق فى نقد أول باب من ابواب كتاب (المصاحف) الذى طبعه وقدم له الدكتور المستشرق (آرثر جفرى) ، وهو باب (من كتب الوحى لرسول الله) على وجازته ، وقلة ما أورد فيه المؤلف من بحث ، لأنه وجه الكتاب ، وطليعة البحث ، وقد روى فيه — مع اجحافه بحق زيد بن ثابت هذه الرواية الساقطة التى يتشبث بها وبأمثالها من الأباطيل المستشرقون وتلاميذهم ، لأنها تعطى الناظر فيها أن القرآن الكريم كان يكتب بالهوى والتشهى ، وعبث العابثين ، من أضراب الرجل المجهول ، الذى لم يجد مؤلف كتاب «المصاحف» كتابا للوحى غيره يضعه معه ، يسود بالحديث عنه بابه الأول فى كتابه ، كما تعطى أن كتاب الوحى كانوا يكتبون ما يشاءون غير ما يملى عليهم ، وما كان النبى صلى الله عليه وسلم يغير عليهم ، فيردهم الى الحق الذى أنزل عليه ، بل ان الرواية تمعن فى هذا العبث الخبيث فتقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يستفهم عن المكتوب أو الذى يكتب فيقول : — كما تقول الرواية الساقطة — اى ذلك كتبت فهو كذلك ، وليس هناك طريق لزعزعة الثقة بالنص القرآنى ، بل لنسفها من أساسها أفحش ولا اخبث من هذا الطريق .

واذا كان الكتاب يطالعك فى اول ما يطالعك به هذا النحو من البحث فهو يريد أن يعطيك انموذجا لما سيجرى عليه فى سائر أبوابه وفصوله ، وهكذا كان كتاب (المصاحف) لابن أبى داود .

وكان من الممكن أن يستغنى بتفاهة ما فى هذه الرواية ومخالفتها نصا وموضوعا لأصول الروايات الكثيرة فى موضوعها عن اطالة الوقوف عندها بالنقد والتمحيص ، ذلك أن هذه الرواية الثالثة سندا وموضوعا لم تذكر تغييرا أو تحويرا فى آية أو جملة لها قدر من آية ، وانما كل ما ذكرته ، وطنطن له وبه المستشرقون وتلاميذهم استبدال اسم من أسماء الله تعالى التي تختم بها بعض الآيات باسم آخر من أسمائه تعالى ، وهذا لا يمكن أن يكون آتيا من اختلاف الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن ، كما فى الحديث الصحيح ، للتيسير على الناس فى أول أمر البعثة ومبادىء الرسالة ، حتى يمكن أن يكون وجها من وجوه الاختلاف فى فهم معنى الحديث .

وفى هذه الطريقة التى سلكها مؤلف كتاب (المصاحف) خبيئة سوداء ، ذلك أنها تهدم بناء الاسناد المتواتر فى تلقى القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقله الى الأمة من بعده .

واذا جاوزنا باب (من كتب الوحى لرسول الله) الى باب « جمع القرآن » وجدنا ابن أبى داود يذكر فى هذا الباب سبع روايات لحديث واحد لم يختلف سنده عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى غير شيخ ابن أبى داود أو شيخ شيخه مع اتفاق متن الحديث الذى يثبت أن أبا بكر الصديق بشهادة على بن أبى طالب رضى الله عنهما خاف على القرآن الضياع ، فأمر عمر وزيد بن ثابت أن يقعدا على باب المسجد ، فمن جاءهما بشاهدين على شىء من كتاب الله كتباه ، وهذا رواية غريبة جدا، ولكنها مروية، ثم اتبع ابن أبى داود هذه الرواية بالرواية المتعارفة المشهورة التى رواها البخارى وغيره ، وهى التى تفيد أن عمر هو الذى فزع الى أبى بكر فى جمع القرآن بعد مقتل اهل اليمامه ، والأختلاف بين الروايتين وسيلة من وسائل القاء الريب فى جمع القرآن — وهذا ما اسرع الى التقاطه آرثر جفرى مقدم كتاب (المصاحف) الى قرائه — ، فأبدى شكا مريبا فى هذه الرواية المتفق على صحتها ، ثم راح ابن أبى داود يبدى ويعيد متكثرا برواياته وغرائبه حتى جاء بغريبة الغرائب ، وختم بها الحديث عن جمع أبى بكر القرآن ، وروى من طريق ابن وهب عن مالك بن أنس عن ابن شهاب عن سالم ، وخارجة أن أبا بكر جمع القرآن فى قراطيس ، وكان سأل زيد بن ثابت النظر فيها فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل ؟ ! أرأيتم أيها المسلمون كيف كان يكتب عن القرآن ، وكيف يتصيد هذه الكتابات الخبيثة المستشرقون وتلاميذهم ؟ .

ويمضى ابن أبى داود فى غرائبه المتضاربة ، فمرة يكون المملى لجمع القرآن زيد بن ثابت ، ومرة أبى بن كعب ، ومرة يجعل صاحب فكرة الجمع عمر ، ومرة يجعله أبا بكر ، ومرة كان الجمع على يد عمر وزيد ، وهكذا مما يوقع البلبلة والاضطراب ، وهو يأبى أن يقبل فكرة جمع على بن أبى طالب للقرآن فى مصحف ، ويطعن فى سند الرواية بأن احد رواتها لين الحديث ، وأن الرواة غيره رووا حتما جمع القرآن دون ذكر فى (مصحف) ثم فسر ذلك باتمام الحفظ ، ثم يقول فى الجمع الذى نسبه الى عمر انه قتل وهو يجمع القرآن فقام عثمان بعده باتمام ما بداه ، وهذا متضارب مع ما قدمه فى جمع عمر ، وماذا يفهم من الرواية التى تقول (لما أراد عمر أن يكتب الإمام اقعد له نفرا من

اصحابه وقال لهم : اذا اختلفتم فى اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فان القرآن نزل على رجل من مضر) سوى اغراء الشك بالقلوب ؟!

وانظر الى سياقه لجمع عثمان ، وهو الجمع الذى اتفقت عليه الأمة ، واصبح اماما للناس فى جميع أمصار الاسلام ، فأنه يسوقه مساقا غريبا ويذكر فى سنده (يزيد بن معاوية) !! ثم ذكر بعد ذلك قصة كراهة عبد الله بن مسعود لجمع عثمان المصحف مع ما قدمه عن مصعب بن سعد انه قال : ادركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ولم ينكر ذلك منهم احد ، وقد اطال واكثر من الروايات المتضاربة فى هذا الفصل ، ثم اعقب ذلك بعنوان : رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان المصاحف ، ثم ذكر جمع عثمان فى روايته المشهورة المعروفة ، وهى تقضى على سائر ما قدمه مما يخالفها ، واطال فى ايراد الروايات الباطلة حتى روى عن ابن شهاب انه قال : بلغنا انه كان انزل قرآن كثير فقتل علماؤه يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه فلم يعلم بعدهم ولم يكتب . أريتم الى هذه الشنشنة الرافضية يقحمها صاحب كتاب (المصاحف) بين الروايات ليوقع الشك فى أن ما بين الدفتين لم يكن هو جميع القرآن الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقلته عنه الأمة نقلا متواترا يقطع شك كل مرتاب ، وقد ورد فى بعض الروايات الرافضية التى لا يعرج عليها ثقاة المحدثين أن قرآنا كثيرا قد ضاع ، وأن سورة كذا كانت حجم سورة كذا ، وقد ضاعت ، وهذا شىء ينشره أعداء الاسلام واعداء القرآن وينسبونه الى الشيعة ، وعلماء الشيعة يبرؤون الى الله من اسناد هذه الأباطيل اليهم . يقول الشيخ أبو جعفر محمد بن على بن بابويه — وهو من اكبر ائمة الامامية الاثنى عشرية — فى رسالته الاعتقادية : (اعتقادنا فى القرآن أن القرآن أنزله الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين ، وهو الذى بأيدى الناس ، ليس بأكثر من ذلك ، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة ، عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على انه كان مجموعا مرتبا غير منشور وعندنا والضحى ، والشرح سورة واحدة ، والفيل وقريش سورة واحدة ، من نسب الينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب) .

وفى تفسير مجمع البيان الذى يعتبر من أصول التفاسير عند الشيعة : (ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجد ابو القاسم على بن الحسين الموسوى : أن القرآن كله كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو الآن ، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى صلى اللهعليه وسلم عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على انه كان مجموعا مرتبا غير منشور ولا مبثوث . وذكر أن من خالف من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فان الخلاف مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا اخبارا ضعيفة ظنوا صحتها ، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته) .

وقال السيد المرتضى ايضا : (أن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث الكبرى ، والوقائع العظام المشهورة ، واشعار العرب المسطورة ، فان العناية اشتدت والدواعى تواترت على نقله وبلغت الى حد لم تبلغ اليه فيما

ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء من اعرابه وقراءاته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد) .

فهل بعد هذه النصوص القاطعة من أكبر ائمة علماء الشيعة وأساطينهم ، وهي مدونة في اشهر كتبهم واكبر داواوينهم المعتبرة عندهم ، يمكن أن تقوم لروايات الملاحدة من أعداء القرآن والاسلام قائمة تمس قدسية هذا الكتاب الكريم . ؟

ثم تحدث ابن أبي داود في الجزء الثاني من كتابه (المصاحف) عن اختلاف الحان العرب في المصاحف ، وقد أحسن ففسر الالحان باللغات ، ولكنه نسي نفسه ونسي تفسيره للألحان باللغات ، وراح يروي آثارا ، تفيد أن اللحن الذي وقع في القرآن هو لحن الاعراب النحوي ، وأنه جاء من طريق الكتاب ، وذلك كأثر عن سعيد بن جبير ، وأثر عن أبان بن عثمان ، وأثر عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وهذه الآثار كلها باطلة موضوعة ، وقد ذكر المفسرون وجوه الاعراب تلك في الآيات بما يكفي ويشفي ، فلا حاجة الى نقل ذلك هنا ، وهي بين يدي من يريد في كتبها .

ثم عقد ابن أبي داود بابا بعنوان (اختلاف مصاحف الأمصار التي نسخت من الامام) واطال الحديث في آيات قراها قراء الأمصار بقراءات مختلفة ، وآيات أدرجت فيها على السنة المفسرين القدامى كلمات على سبيل التفسير كما أوضحه وتتبعه ابن الأنباري في كتابه « الرد على كتاب المصاحف » ، وابن الأنباري معاصر لابن أبي داود متأخر الوفاة عنه .

وخلص ابن أبي داود من هذا الباب الى باب عجيب ذكر فيه شنيعة الشنائع ذلك هو باب (ما كتب الحجاج بن يوسف في المصاحف) وفي غير خشية من الله أو خجل من أهل العلم يروي ابن أبي داود هذه الأكذوبة المفضوحة في هذا الباب ، ولا يذكر معها شيئا آخر يدل على توقفه في قبولها ، ذلك أن الرواية تقول بسند ابن داود الى عوف بن أبي جميلة : أن الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان احد عشر حرفا . أي والله هكذا تقول رواية كتاب (المصاحف) الحجاج غير مصحف عثمان الذي أجمعت عليه الأمة اجماعا لم يعرف له نكير ، وبقي هذا التغيير الحجاجي هو القرآن الذي تقرؤه الأمة وتتعبد بتلاوته ، ويشتغل علماؤها بتفسيره ، وذهب القرآن الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلته الامة نقلا متواترا قاطعا الى مصحف عثمان الذي صار اماما في جميع الأمصار ، أليس هذا من أشنع ما كتب الكاتبون ؟ ليس من العلم في شيء أن يناقش ابن أبي داود في ايراده لهذه الرواية الساقطة ، ولكنا نقول : ما كان أعلم والده به حين دمغه بالكذب ، وبقي أن يقال : ان من يذكر هذا الكلام في كتاب يؤثر عنه لا بد أنه مصاب بلوثة في عقله .

ثم راح ابن أبي داود يذكر اختلاف مصاحف الصحابة — في زعمه — في الخط أو الزيادة أو النقصان ، مسندا ذلك الى أبيه الامام أبي داود ، وأبوه من ذلك بريء ، وقد سقنا الرد من علماء الشيعة على ما زعمه بعض الناس من

مقالة تنسب اليهم انهم يقولون بشيء من ذلك ، اليس من العجيب أن ينقل ابن ابى داود عن عمر بن الخطاب انه قرأ فى الصلاة وهو امام المسلمين (صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) فليتأمل اولو الألباب : ان عمر قرأ فاتحة الكتاب ، وهى السورة التى يحفظها جميع من على أرض الله من ملايين المسلمين ، ويقرؤها عمر اماما بالمسلمين فى الصلاة ، وعهد عمر ان صلاة الجماعة كانت تجمع الجم الغفير من المسلمين لا يتخلف عنها الا من بعدت داره فلا يدركها أو بعد قلبه عن الايمان من المنافقين ، ثم يغير فيها هذا التغيير الجوهرى ، ولا ينقله عن عمر من هذا الجمع الذى صلى خلفه وسمعه يقرأ بها الا رجلان ، هذا من أعجب العجب ، ومن مضحكات هذه الروايات ما يرويه ابن ابى داود عن ابن الزبير أنه سمع يقرأ (فى جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك فى سقر) وأن ابن الزبير سمع عمر بن الخطاب يقرؤها كذلك فهل هذا اسلوب عربى ، بله أسلوبا فصيحا ، بله أسلوبا قرآنيا ؟! ومثل هذا السخف رواية (آمن الرسول بما انزل اليه وآمن المؤمنون) هذا كلام لا يقع من الأطفال البله ، وهذا كثير فيما ذكر صاحب كتاب (المصاحف) .

أما ما ذكره من الروايات عن زيادة كلمات فى بعض الآيات فى مصحف ابن مسعود ، فقد ذكر العلماء أن ذلك من باب التفسير ولم يكن قرآنا قط ، ويجرى هذا المجرى ما ذكره فى مصاحف الصحابة والتابعين مما أطال به ابن ابى داود اذا صح عنهم — وكثير منه دخيل مدخول .

واعجب عجائب هذا الكتاب — وكله عجائب وغرائب — انه يشتمل على باب بعنوان : (باب : ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فهو كمصحفه) وى وهل فى دنيا الاسلام قرآن لم يرو متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ اى شىء هذا الذى يقوله ابن ابى داود ؟ وأى شىء هذا الذى يكتب عن القرآن وعن رسول القرآن صلى الله عليه وسلم فى كتب يتداولها المسلمون فى تاريخهم الفكرى ؟ ولكن هكذا كان الاسلام فى دستوره وشريعته وتاريخه يلقى من اعدائه الذين عجزوا عن مواجهته بقوة السلاح أو قوة الحجة فتواروا وراء البحث ، ووضعوا على السنة البله والضعفاء ، ولقنوهم طامات مدمرة ، حدثوهم بها على أنها حديث وسنة مأثورة ، وتناقلها هؤلاء وأثرت عنهم حتى حوتها كتب تلقفها المستشرقون وهللوا لها وكبروا ، وقد آن لليقظة الفكرية الاسلامية أن تشهر أسلحة النقد العلمى فى وجه هذه الملفقات لتكشف عنها القناع حتى يبدو باطلها فلا يغتر بها أحد من عامة مثقفى المسلمين .

ومؤلف كتاب (المصاحف) اذ يروى تحت هذا العنوان ما يروى لم يكن مختلفا مع نفسه ، ولكنه كان هو هو الذى روى ورأى أن سنده فى كتابه (المصاحف) يجب أن يتشرف بادخال (يزيد بن معاوية) فيه ، وهو هو الذى روى ورأى أن الحجاج بن يوسف الثقفى أدخل على الناس (قرآنا) لم ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقل عنه ولو بطريق آحادى أو شاذ ، ونحسب أن الحجاج على ما كان عليه من فجور الدماء وتعطشه لسفكها ، لو عرض عليه هذا الذى نسب اليه لنفر عنه وتأبى أن ينسب اليه .

ويمضى ابن ابى داود فى غرائبه وأباطيله فيقول : ان مروان بن الحكم

هو اول من قرا (ملك يوم الدين) وأن النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرءونها (مالك يوم الدين) ولا شك أن هذا عين المحال والباطل ، فليس لمروان ، ولا من هو اكبر من مروان ، من التابعين والصحابة وسائر افراد الأمة أن يقرأ بما لم يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا صح من جهة السند أن يقرأ مروان أو غيره من التابعين أو غيرهم من ائمة الصدر الأول بقراءة دون غيرها ، فليس هذا قراءة لم يقرا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والا كانت قراءات القرآن من قبيل الهوى والتشهى الذى لا يعتمد على التلقى والنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر القطعى كما هو اجماع المسلمين ، وانما مخرج ما ينسب الى بعض التابعين من أنه قرا كذا على ترجيح قراءة على قراءة اخرى مماثبت قطعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا به ، ونزل عليه به جبريل عليه السلام ، وللترجيح وجوه كثيرة ذكرها ائمة القراءات والتفسير ، فقد يكون الترجيح من جهة الأبلغية وزيادة الروعة البيانية ، وقد يكون أساس الترجيح افادة احدى القرائتين معنى أكثر من معنى القراءة الأخرى ، وهذا ما يفيده صنيع امام المفسرين ابو جعفر الطبرى ، فانه بعد أن ذكر القراءتين (ملك ومالك) رجح قراءة (ملك) وبين أنها أكثر معنى ، فقال من كلام طويل مسهب ، نلخص بعضه بما يبين مقصودنا منه : ولا خلاف بين جميع اهل المعرفة بلغة العرب أن (الملك) من (المُلك) مشتق ، وأن (المالك) من (المِلك) مأخوذ ، فتأويل قراءة من قرأ ذلك (ملك يوم الدين) أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك ملوكا جبابرة ينازعونه الملك فى الدنيا ، فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا . .

وأما تأويل قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) فهو كما روى عن عبد الله بن عباس (مالك يوم الدين) يقول : لا يملك احد فى ذلك اليوم معه حكما كملكهم فى الدنيا . ثم قال أبو جعفر رحمه الله : وأولى التأويلين بالآية ، وأصح القراءتين فى التلاوة عند التأويل الاول ، وهى قراءة من قرأ (مَلِك) بمعنى (المُلك) لأن فى الاقرار له بالانفراد بالمُلك ايجابا لانفراده بالمِلك وفضيلة زيادة الملك على المالك اذا معلوما أن ما من ملك الا وهو مالك ، وقد يكون المالك لا ملكا .

ثم ذكر أبو جعفر أن قراءة (ملك) تفيد معنى تأسيسيا زائدا على ما يفيده وصف الله تعالى بأنه (رب العالمين) الذى تقدم بقرب منه ، ووصفه تعالى بأنه رب العالمين يفيد أنه مالك العالمين فى الدنيا والآخرة ، فمجىء (مالك يوم الدين) عقبه يكون من باب تكرار الفاظ مختلفة بمعان متفقة ، أما مجىء قوله تعالى (ملك يوم الدين) فانه يفيد بأنه تعالى مالكهم ومَلِكهم ، وهو ما لا تفيد قراءة (مالك يوم الدين) .

ثم قال أبو جعفر ملخصا زبدة رأيه : فبين اذا أن أولى القراءتين بالصواب ، وأحق التأويلين بالكتاب قراءة من قرأ (ملك يوم الدين) بمعنى اخلاص الملك له يوم الدين ، دون قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) الذى بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء متفردا به دون سائر خلقه .

على أنه ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بالقراءتين ، روى

الترمذى من حديث ام سلمة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها (ملك يوم الدين) ، وفى حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها (مالك يوم الدين) .

لكن ابن ابى داود صاحب كتاب (المصاحف) لا يتقبل كما تقبل اجماع المسلمين ان النبى صلى الله وعليه وسلم ثبث عنه انه كان يقرأ بالقراءتين المنزلتين عليه من رب العالمين (ملك — مالك) ويذهب ابن ابى داود الى ان قراءة (مالك يوم الدين) هى القراءة المأثورة ، لان فيمن قرأ بها ، (يزيد بن معاوية) ، وان قراءة (ملك يوم الدين) مستحدثة ، واول من احدثها وقرأ بها مروان بن الحكم ، وابن ابى داود لا يغفل عن حديث الترمذى الذى يثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ (ملك يوم الدين) ، ولكنه يتأوله ويتعسف فى تأويله ليثبت ان فى قراءات القرآن ما لم يقرأ به النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه مستحدث بالهوى والتشهى على لسان مروان بن الحكم والحجاج بن يوسف الثقفى وغيرهما كثير وكثير ، وهذا ما تتصيده شباك المستشرقين وتلاميذهم من زمر هذه الكتب ومستنقعاتها ، وينشرونه على الناس (علما وبحثا) والله من ورائهم محيط .

يتأول ابن ابى داود حديث الترمذى المثبت بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ (ملك يوم الدين) بأن هذا ليس من قبيل القراءة المنزلة ، وانما هو وارد فى تقطيع النبى صلى الله عليه وسلم قراءته ؟؟

فليحاول المغنون والمطربون والحداة أن يقطعوا (مالك يوم الدين) ليصلوا بها الى (ملك يوم الدين) حتى نعلم كيف أن التقطيع يبلغ بالكلمات هذا المبلغ ، والمروى ان تقطيع النبى صلى الله عليه وسلم المعبر عنه فى القرآن الكريم (بالترتيل) وفى اصطلاحات القراء (بالترسل والترسيل) اى نظم الكلمات متتابعة فى انات وتلبث حتى تكون كل كلمة بينة النطق لا تشتبه بغيرها ، حتى انه ورد فى بعض الروايات (وان كلماته لتعد) فكيف يبلغ التقطيع فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ان يجعل من كلمة (مالك) (ملك) وفى الأولى ميم ممدودة ، والمذكور فى وصف قراءة النبى صلى الله عليه وسلم انها كانت (مدا) لا قصرا ؟؟ وقد عقد ابن ابى داود بعد ذلك فى كتابه فصولا فى اختلاف خطوط المصاحف ، واعاد شنعة ما نسبه الى الحجاج من انه غير فى مصحف عثمان فى أحد عشر موضعا .

وبعد . فان كتاب (المصاحف) لابن ابى داود كتاب اعتبره التاريخ من كتب التراث الثقافى فى الاسلامى ، وهو صورة من صور البحث فى اسلوبه ، وطريقة من طرائق التأليف فى موضوعه ، يعطينا فكرة عما كان يجول فى عصر المؤلف من الآراء والمذاهب والأفكار حول القرآن ، وهو كتاب يجمع الغث الى السمين ، والرخيص الى الثمين ، والصحيح الى السقيم ، والقوى الى الضعيف ، والحق الى الباطل ، والصواب الى الخطأ ، يوجز حتى يخل ، ويسهب حتى يمل ، يذكر الرأى وينقضه ، ويروى الرواية ثم يهدمها ، فهو لا يكاد يربط حتى يحل ، ولا يكاد يجمع حتى يفرق ، وهو من دعائم البحث الاستشراقى حول القرآن ، فليحذر قارئوه أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب الله . والمستعان الله .

••

السيرة النبوية في الأدب القديم

للاستاذ
محمد عبد الغني حسن

فى العدد الثالث والستين من مجلة « الوعى الاسلامى » تحدثت عن «السيرة النبوية فى الادب الحديث» ، ولم تكن متابعتى لما كتب فى العصر الحديث عن النبى عليه السلام على سبيل الحصر ، والا فان هناك جوانب أخرى من سيرة الرسول تناولها مؤلفون معاصرون فأحسنوا تناولها ، كما فعل اللواء الركن محمود شيت خطاب فى كتابه « الرسول القائد » . وكما فعل الاساتذة محمد عطية الابراشى فى « عظمة الرسول » وخالد محمد خالد فى « انسانيات محمد » وعبد الوهاب حمودة فى « الرسول فى بيته » وفى « ساعات حرجة فى حياة الرسول » ومحمد شوكت التونى فى « محمد محرر العبيد » . والدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه « الرسول : لمحات من حياته ، ونفحات من هديه » وأنور الجندى فى كتابه (محمد الرسول) ومحمد حلمى محمود فى « ديمقراطية محمد » .

واليوم أود ان التقى مع القارىء الكريم فى موضوع محمد عليه السلام والسيرة النبوية فى الادب القديم ، وهو موضوع يطول مداه خلال التاريخ العربى الاسلامى منذ القرن الاول الهجرى — حيث بدأ الرواة والمؤرخون يتناولون سيرة محمد — الى أخريات القرن الثالث عشر الهجرى وأوائل القرن الرابع عشر .

ولقد كانت السيرة النبوية فى بدء عهدها بابا من أبواب الحديث النبوى ، فيرى القارىء فى كتب الصحاح من الحديث كتابا فى « الجهاد والسير » ، وكتابا آخر فى « المغازى » بجانب الكتب الاخرى فى الحديث .

واختص جماعة من رجال الحديث

بالتأريخ للسيرة النبوية والاهتمام بجمع اخبارها وروايـة وقائعهـا ، فاشتهروا بأنهم من رجال السيرة اكثر من اشتهارهم بالتاريخ والحديث.

وتصادفنا من مؤرخي السيرة النبوية أسماء كثيرة يزدحم بهم القرنان الثاني وأوائل القرن الثالث وينتمون بالنسب الى اكثر من ارض عربية حيث بدأت الرقعة الاسلامية في الاتساع . فهناك مؤرخون لسيرة النبي من المدينة ، وهناك مؤرخون لها من مكة ، ومن البصرة والكوفة ، واليمن ، والعراق ، ومن مؤرخي السيرة في مدينة الرسول عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٢ هـ ، وعاصم ابن قتادة المتوفى سنة ١٢٠ هـ ، وشرحبيل بن سعد المتوفى سنة ١٢٣ هـ ، وعبد الله بن حزم المتوفى سنة ١٣٥ هـ ، وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ ، ومحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٢ هـ ، والواقدى مؤلف المغازى والفتوح المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

ويمثل المؤرخين المكيين للسيرة النبوية ابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، أما البصريون فنجد منهم معمر بن راشد ، ومحمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبرى ، وابن هشام الذى اشتهر بكتابه « السيرة النبوية » التى اخذها عن شيخه ابن اسحاق ، وقد توفى ابن هشام سنة ٢١٨، فكان آخر من انتهت اليهم كتابة السيرة فى القرن الثالث . ويمثل اليمن فى كتابة السيرة النبوية بضعة من المؤرخين منهم وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ ، وابو بكر عبد الرازق بن همام الحميرى الصنعانى المتوفى سنة ٢١١ هـ .

واشهر ما بقى لنا من كتب السيرة النبوية حتى القرن الثالث الهجرى كتاب ابن هشام الذى جمع ما رواه عن أستاذه ابن اسحاق واختصر منه، وعلق عليه واضاف اليه ، وحذف منه، وصحح رواية الكثير من اشعاره .

وقد استطاع كثير من مؤرخى السيرة الاولين أن يتحرروا من بعض القيود التى وضعها المحدثون لرواية الحديث : فأسقطوا الاسانيد ، وتخلصوا من عبارة « حدثنا فلان عن فلان » وأمثالها ، مراعاة للاختصار وفسح المجال لسرد الاخبار من ناحية ، ووصلا لسلسلة الحوادث من ناحية اخرى.. وممن صنع هذا ابن اسحاق شيخ ابن هشام ، والواقدى صاحب المغازى والفتوح ، وتبعهما ابن هشام ، الذى انتهى اليه تاريخ السيرة النبوية فى اجمع واوثق رواياتها .

وبالطبع لم يجرد هؤلاء المؤرخون سيرة الرسول عليه السلام من كل اسانيدها ، بل ابقوا على بعضها ، كما نراه عند ابن اسحاق حين يروى عنه ابن هشام . ويذكر ابن اسحاق اسماء أصحاب الأسانيد معنعنة بقوله : حدثنا فلان عن فلان . وان كان فى قلة من الأحيان يقول (حدثنى من لا اتهم) ولا يعين اسمه .

وقد تعرض مؤرخو السيرة — بإسقاطهم للأسانيد — لحملات النقد من رجال الحديث الذين لم يعجبهم هذا المسلك . ولم ينج ابن اسحاق من هذه الحملات ، وان كان قد تصدى للدفاع عنه بعض المؤرخين وردوا على ما وجه اليه من طعون . ومن الذين دافعوا عنه بعد وفاته بسبعة قرون المؤرخ الاندلسى ابن سيد الناس اليعمرى صاحب كتاب « عيون الأثر » ومن مؤلفى السيرة النبوية فى القرن الثامن الهجرى .

والحق ان ابن اسحاق كان مهتما الى حد كبير بجمع اكبر قدر من

الأخبار حول السيرة ومقدماتها ومقدمات عصر النبوة كله ، فلم يشغل نفسه بتحقيق رجال السند ولا بتعديلهم وجرحهم كما كان يفعل رجال الحديث ، بل قبل كل ما كان يصل الى علمه سماعا أو قراءة — دون تنخل أو تحقيق — ، وهو معذور لأن التاريخ كان فى ذلك العهد علما فى بدايته .

والحق ان ابن اسحاق كان فوق هذا يعتمد على الكتب المدونة يأخذ منها ، ولم يعتمد على السماع مثل اعتماده على النقل من الكتب المدونة قبله . وقد غلبت خاصة الجمع على ابن اسحاق فيما كان يدونه ويرويه ، وخصوصا انه أدخل نفسه فيما لا يحسنه من ابواب العلم والأدب ، ولم يكن له بالشعر بصر ولا تذوق ولا معرفة بالأوزان والقوافى . ومن هنا دخل الضعف الى اكثر ما رواه من شعر جاهلى واسلامى . فقد كان يجمع كل شعر قيل انه نظم حول السيرة ويدخله فيها دون تحقيق ودون تفريق بين المنحول وغير المنحول ، وقد لاحظ المؤرخون والأدباء والنقاد عليه هذا منذ اطلعوا على السيرة النبوية التى كتبها عنه ابن هشام ، فنرى ابن النديم صاحب «الفهرست» يقول عنه : (انه كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها فى كتابه فيفعل ، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر ..) والحق اننا نجد ابن اسحاق ينسب شعرا لاناس لم يقولوه ، ويجوز عليه هذا الخلط فلا ينتبه له ولا ينخله ولا يصحح نسبته ، الى أن يجىء تلميذه ابن هشام — وكان عالما بالشعر وغريب اللغة والأدب — فيصحح ما وقع فى شعر السيرة من أوهام ، بل يزيد اكثر من هذا فيعلق على ما روى من شعر السيرة من حيث الجودة والرداءة ، او يذكر اسم الشاعر اذا كان ابن اسحاق قد اغفله ، او يشير الى عيوب الشعر والقافية ، او يحقق نسب الشاعر ، أو يسقط بعض الشعر الذى رواه ابن اسحاق لبعض الاعتبارات والأسباب ، كالاقذاع أو الفحش ، أو مخافة الاكثار ، ولا يقف ابن هشام عند هذا الحد ، بل قد يصحح المناسبة التى قيل فيها الشعر .

ولم يكن ضعف ابن اسحاق فى الشعر الذى ورد فى السيرة وعدم معرفته بالشعر العربى على العموم موضع النقد عند القدماء وحسب كما نجده عند ابن النديم فيما سلف من القول ، ولكن المؤرخين والعلماء المحدثين لم يغفروا للرجل ما وقع فيه من وهم ، كما فعل جرجى زيدان فى « تاريخ آداب اللغة العربية » ، والشيخ محيي الدين عبد الحميد فى مقدمته لسيرة ابن هشام ، والدكتور عبد العزيز الدورى فى كتابه « نشأة علم التاريخ عند العرب » وقد اشترك المستشرقون فى حملة النقد على ابن اسحاق من حيث الأشعار التى وردت فى السيرة ، ومن هؤلاء « بروكلمان » فى كتابه المشهور ، « وديلافيدا » فى دائرة المعارف الاسلامية ، وهوروفتس فى كتابه عن « المغازى الاولى ومؤلفوها » وان كان هذا الأخير قد حاول أن يلطف من حدة الحملة عليه ، وان يلتمس له بعض العذر فيما وقع فيه ..

وتتجلى عدالة ابن هشام فى نظره للشعر الهجائى المقذع فى السيرة فيما قام به من اسقاط لهذا الشعر فى كتابه الذى اخذه عن شيخه محمد ابن اسحاق . فقد كان الميزان مستويا بين يديه فى نظرته لشعر المسلمين

والمشركين على السواء . فحذف الاقذاع والمفحش من الهجاء سواء أكان لشاعر مسلم أم لشاعر مشرك. وكثيرا ما نراه يحذف شعرا لحسان ابن ثابت رضى الله عنه لأنه أقذع فيه فى هجاء المشركين .

واشعار حسان التى وردت فى سيرة ابن هشام هى غير ما نجدها عليه فى ديوانه . فجامع ديوانه جمع فيه كل شىء بقضه وقضيضه .. أما ابن هشام فكان يقف موقف الرقيب ، فلم يسمح بأن يشتمل كتابه فى سيرة الرسول على شعر فيه هجر واقذاع.

وقد يقال ان هذا قد يتنافى مع أمانة التاريخ ، ولكن ابن هشام كان اكثر من أن يكون مؤرخا وجماعا .. انه كان رجلا يربأ بسيرة الرسول أن يدخلها ما لا يليق أن تشتمل عليه .

ولقد قوبلت سيرة ابن هشام بما هى جديرة به من حسن التلقى والقبول عند العرب والمسلمين فى كل عصر وكل مصر . فترجمت الى الفارسية كما يذكر المستشرق الألمانى بروكلمان ، كما ترجمها المستشرق « ڤيل » الى الالمانية سنة ١٨٦٤ ، ونشرها المستشرق وستنفيلد محققة مفهرسة فى ليبزج سنة ١٨٩٩ .

ولم يسكت المسلمون على تتابع العصور منذ سيرة ابن هشام عن التأليف فى السيرة النبوية وفى تاريخ محمد عليه السلام ، وأن كنا نلاحظ أن حركة التأليف فى حياة النبى محمد وسيرته بدأت تستعيد كثرتها فى القرن الخامس الهجرى ، فنرى ابن فارس اللغوى المشهور وصاحب « المجمل » و « معجم مقاييس اللغة » يؤلف كتابا فى سيرة النبى عليه السلام عنوانه « أوجز السير لخير البشر » وهو من مطبوعات الهند والجزائر ، ونرى ابن حزم الأندلسى يؤلف كتابه « جوامع السيرة » الذى حققه الدكتور ناصر الدين الأسد وزميله ، ونرى ابن عبد البر القرطبى صاحب كتاب (الاستيعاب) المشهور فى تاريخ الصحابة يؤلف كتابا فى سيرة الرسول عنوانه « الدرر فى اختصار المغازى والسير » .

واكثر المؤلفين فى تاريخ محمد عليه السلام وسيرته كانوا يفردون سيرة الرسول بكتاب خاص قائم بذاته ، كما صنع القاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤ فى كتابه المشهور « الشفا فى تعريف حقوق المصطفى » وكما صنع عبد المؤمن شرف الدين الدمياطى المؤرخ المصرى المعروف والمتوفى سنة ٧٠٥ هـ فى كتابه « المختصر فى سيرة سيد البشر » ، وكما صنع ابن سيد الناس اليعمرى المتوفى سنة ٧٣٤ فى كتابه « عيون الأثر ، فى فنون المغازى والشمائل والسير » ، وكما صنع المؤرخ مغلطاى المتوفى سنة ٧٦٢ فى كتابه « الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم » وكما فعل المؤرخ المقريزى صاحب (السلوك) و (الخطط) وغيرهما فى كتابه «امتاع الأسماع » الذى ذكر فيه طائفة كبيرة من أخبار الرسول عليه السلام لا نجدها فى كتاب غيره ، وان كان مؤرخنا المصرى الامام السخاوى صاحب « الضوء اللامع » و « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » يقول عنه ان فيه الكثير مما ينتقد . وكما صنع شهاب الدين القسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣ فى كتابه « المواهب اللدنية ، فى المنح المحمدية » وكما صنع نور الدين الحلبى من رجال القرن الحادى عشر الهجرى فى كتابه « انسان العيون ، فى سيرة **الأمين والمأمون** » وهو المعروف فى المكتبة العربية وبين

العلماء والباحثين بالسيرة الحلبية ، فرقا لها من سيرة ابن هشام .

على أن من المؤرخين لسيرة النبى عليه السلام من لم يفردها بكتاب خاص مستقل بنفسه ، بل جعلها قسما من كتابه فى التاريخ العام او فى تراجم الرجال ، ونجد هذا عند الطبرى المؤرخ المتوفى سنة ٣١٠ هـ فى كتابه المشهور ، وعند ابن الجوزى المؤرخ المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وعند ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ فى كتابه « الكامل » وعند الامام الذهبى المؤرخ الحافظ المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى موسوعته التاريخية الكبرى المسماة « تاريخ الاسلام » ، وعند ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى كتابه الضخم « البداية والنهاية » ، وعند الامام أبى زكريا النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فى كتابه المشهور « تهذيب الأسماء واللغات » ، وعند أبى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ فى كتابه « تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » وعند الديار بكرى المتوفى سنة ٩٨٢ هـ فى كتابه « الخميس فى احوال أنفس نفيس » ولسنا هنا بسبيل احصاء هذا الكون من سيرة الرسول الذى لم يفرده كاتبوه بمؤلف خاص ، بل جعلوه قسما من مؤلفاتهم .

وقد أفاد الناشرون المعاصرون من هذه السيرة النبوية غير القائمة بذاتها ، ففصلوها من كتبها الأصلية ، ونشروها على حدة ، وبهذا أضافت ثروة جديدة الى حصيلة المكتبة العربية فى السيرة النبوية .

ولقد بلغ من طول هذه السيرة الملحقة للرسول عليه السلام فى بعض المصنفات أنها بلغت من الضخامة وعدد الصفحات حدا يجعلها كتبا مستقلة . فسيرة الرسول فى كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير — مثلا — تبدأ فى صفحة ٢٥٢ من الجزء الثانى ، ثم تمضى فتحتل الأجزاء الثالث ، والرابع، والخامس، والسادس من الكتاب كله الذى يقع فى أربعة عشر جزءا . وسيرة الرسول فى كتاب « الكامل » لابن الأثير تحتل قرابة أربعمائة صفحة من الجزاين الاول والثانى من هذا الكتاب ، وقس على هذا سيرة الرسول فى كتاب تاريخ الطبرى .

على ان الذى يلاحظ ان كثيرا من اخبار السيرة النبوية فى كتب السيرة المفردة والملحقة تكاد تتشابه وتتفق الفاظها وعباراتهاورواياتهاالانها جميعا تأخذ من معين واحد او ينقل بعضها عن بعض . وهى كلها تتشابه فى الحرص الشديد على جمع الأخبار النادرة والشاردة اكثر من حرصها على التحقيق والتمحيص ، الا ما نجده من تحقيقات ابن هشام لأشعار السيرة وشعرائها ، والا ما نجده عند السهيلى فى كتابه « الروض الأنف » من بعض الزيادات والتعليقات المفيدة . أما تحليل المواقف ، وتعليل الاحداث ، وتفسيرها ، والمقابلة بين الروايات ، والدراسات المتكاملة للظروف والملابسات ، والمقارنات بين المواقف ، والكشف عن الجوانب المتعددة من حياة الرسول ، ودراسة الرجال والأحداث على ضوء العلم الحديث فلا نجده الا فى كتب السيرة النبوية فى العصر الحديث التى كانت موضوع دراستنا فى مقال خاص نشر فى عدد سابق من هذه المجلة .

والمرجو أن نلتقى ان شاء الله فى بحث قادم بجوانب أخرى طريفة من سيرة الرسول جمعناها ولمنا اطرافها من قراءات متعددة فى هذا الحقل الخصيب . .

مائدة القارئ

غيروا

اوحى الله عز وجل الى نبى من الأنبياء : انه ليس من اهل بيت ولا اهل دار ولا اهل قرية يكونون لى على ما احب فيتحولون عن ذلك الى ما اكره الا تحولت لهم مما يحبون الى ما يكرهون ، وليس من اهل بيت ولا اهل دار ولا اهل قرية يكونون لى على ما اكره فيتحولون من ذلك الى ما احب الا تحولت لهم مما يكرهون الى ما يحبون .

الشافعى والعلم

قيل للشافعى : كيف شهوتك للعلم ؟ قال : اسمع بالحرف مما لم اسمعه ، فتود أعضائى أن لها اسماعا تتنعم به مثلما تنعمت أذناى .

قيل له : فكيف حرصك عليه ؟ قال : حرص الجموع المنوع فى بلوغ لذته للمال .

قيل له : فكيف طلبك له ؟ قال : طلب المراة المضلة ولدها ليس لها غيره .

مبدع الجسم

اجرى احد الجراحين عملية لسيدة ، وجاءت السيدة لتشكره ، فقال لها : يا سيدتى ما انا الا كحائك الثياب ، والفضل كله يرجع الى مبدع الجسم (الثوب) الذى جعل فيه حيوية يتجدد بها كل يوم ، فجسمك يعمل ليل نهار بغير توقف على تجديد خلاياه ويرتق ما به من خدوش وجراح ، ويسد ما فيه من ثغرات وقرح ، وان كل ما يعمله الجراح هو قص شىء من الجسم او خياطته :

فالفضل والشكر لله مبدع الجسم .

الصداقة

يروى أن هذيلا اصابت دما فى بعض العرب ، فأسر اصحاب الدم رجلين من هذيل متصادقين ، فقالوا لهما : أيكما أشرف ، فنقتله بصاحبنا ؟ فقال كل واحد منهما : انا ابن فلان الحسيب النسيب فاقتلونى ، وخلوا صاحبى : فكل بذل نفسه للقتل دون صاحبه ، فلما عيوا بأمرهم صفحوا عنهما ، وقالوا : « هذا التصافى لا تصافى المحلب » مثل عربى ومعناه هذه هى الصداقة لا صداقة المنادمة على الشراب .

شمع الفتـــــلة

هذا تعبير عامى طريف ، ومعنـــاه (هرب فى نصب واحتيال) وله حكاية لطيفة :

يروى ان سلطانا سمع بمهارة نصاب محتال ، فاستدعاه وقال له : انى اجزل لك العطاء ان امكنك ان تنصب على ، فقال له : اعطنى الفا اشترى بها (عدة النصب) : فأعطاه ، وامر من يلازمه حتى لا يهرب ، ثم حضر بعد مدة بعدته وادواته ، ونصب السلطان سرادقا دعا اليه من شاهد نصب النصاب .

وكان مما احضره النصاب بكرة خيط كبيرة ، فتقدم الى السلطان وقال له : امسك هذا الطرف ، وانا اشمع الفتلة لألعب بها لعبتى ، فأمسك السلطـــان طرفها ، واخذ النصاب يشمـــع الفتلة ويتراجع رويدا رويدا حتى اختفى عن الأنظار وبحثوا عنــه فلم يجدوه وبذلك تمت لعبته .

ما قل ودل

● لا يؤمن بربوبية القوة الا شـــبح الضعفاء .

● الف قول لا يســـاوى فى الميزان عملا واحدا .

● بالضغط والتضييق تلتحم الأجزاء المبعثرة .

حـــلال المشكــلات

كان فى القرية رجل يدعى عم على يلجأ اليه اهلها فى حل مشكلاتهم .

وحدث ان ثورا ادخل راسه بقرونها فى (زير) فذهب الناس الى عم على يطلبون حل هذه المشكلة ، فاشار عليهم اولا بقطع رقبة الثور فقطعوها ، وبقيت المشكلة كما هى اذ بقيت الراس بقرونها فى الزير ، فذهبوا اليــــه مرة ثـــانية يستشـــيرونه ، فاشار عليهــم بكسر الزير .

وما اكثر الذين على شاكلة عم على فى حل المشكلات .

دابة عمـــرو

ركب عمرو بن العاص بغلـــة مسنـــة واجتاز بها منازل امراء الصحابة وكبار القواد فى الفسطاط ، فقال له احدهم :

اتركب هذه البغلة ايها الأمير وانت من اقدر الناس على امتطاء اكرم ناقة بمصر .

فقال : لا ملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ، ولا لامراتى ما احسنت عشرتى ، ولا لصديق ما حفظ سرى ، فان الملل من كوانب الأخلاق .

اصطناع الرجال

استدعى يحيى بن خالد البرمكى ابنه ابراهيم يوما ، ودعا مؤدبه ، فساله عن حاله فقال :

بلـــغ من الأدب كذا ، وحفظ من العلوم كذا ، قـــال ليس عن هذا سالت ، قال : قد اتخذنا له من الضياع كذا وغلته كذا ، قال : ولا عن هذا سالت .. انما سالت عن سيادته وبعد همته . وهل اتخذتم له فى اعناق الرجال مننا ، وحببتموه الى الناس ؟ قال : لا . قال : فبئس العشراء انتم والأصحاب . هو والله احوج منه الى ما قلتم ، ثم امر بحمل خمسمائة الف درهم اليه ، ففرقت على قوم لا يدرى من هم .

أثر الترف

الألم يولد الحركة والعمل ، والحركة تنتج الخير وتحقق التقدم ..

والحرمان يؤدى الى التمرد والنقمة ، والتمرد قد يصحح الأوضاع .

والقسوة فى الحياة المعيشية قد تسبب الانفجار ، والانفجار قد يحطم الحواجز ..

وشظف العيش وخشونة الفراش ينبتان هامات الرجال العظام الذين لا تلين لهم قناة .

والانغماس فى المتع واللذات آفة التخلف والضياع ، والتخلف داء وبيل لافناء الامم كالموت البطىء .

هذه ومضات فكرية مرت بخاطرى مستقاة من الواقع الملموس قبل الكتابة فى الموضوع ، وهى فى الحقيقة تصور عواقب الترف الوخيمة وغوائل الاسراف فى اجتناء اللذات وأهواء المادة وشهوات المال ، مما يكون له أسوأ الأثر فى تربية الجيل الصلبة ، ولا سيما جيلنا العربى أو المسلم الذى يعيش الآن ضجيج التأخر والتخلف ، ثم يروح سادر الخيال يتأمل تحقيق العدل ، والانصاف والرحمة والاستقلال المادى والمعنوى من عدو ماكر يخطط لاضعاف أمتنا وابقائنا فى ظلمات الماضى ولكن هل يرجى الخير من الأفاعي ، أو ينتظر الدواء الشافى من عقارب السوء ، وذئاب البشرية الضارية ؟ !

لقد تقدمت البشرية فى هذا العصر تقدما سريعا ، وقامت المدنية الحاضرة كما هو مشاهد على دعائم أربعة : العلم والمال والنظام والأخلاق القويمة فى المعاملات ، فكلما توفرت هذه الأركان فى شعب تحقق له

في إفساد التربية والأخلاق والمجتمع

للدكتور : وهبة الزحيلي

العزة والرقى والنهوض ، وكلما تجردت امة عن هذه الدعائم أصابها الوهن والضعف والانحطاط والتأخر ، بل انه اذا حدث خلل او نقص أو تقصير فى هذه الاسس الراسخة تعثرت الأمة فى طريقها ، وضلت الهدف فى مسيرتها ، وتعقدت سبل النجاة امامها .

ونحن العرب والمسلمين فى هذه الايام لم يكن سبب تأخرنا هو الجهل التام ، والفقر ، والفوضى ، وانعدام الأخلاق ، وانما داؤنا فى نقص العلم والمعرفة ، وسوء التدبير ، وضعف الارادة ، وانحراف الخلق ، والاهتمام بالمظاهر ، والحرص على ترف الحياة والشح بالمال فى سبل الخير العام .

ويهمنى الآن بحث الداء الأخير الذى هو الانغماس فى الترف والتقلب فى اعطاف النعيم والتزاحم على مطالب الدنيا الخاصة وعدم الالتفات الى المصالح العامة ، وهذا لأن ترف الاغنياء العرب والمسلمين واضطرار الناس الى تقليدهم ، والاهتمام بالمظاهر الجوفاء ، والكماليات الظاهرة ، والأوضاع السطحية البراقة ، ادى كل ذلك الى اهمال واجبات الحياة الحرة الأساسية فى توطين النفس على الدفاع بحق عن حرمات البلاد ، واعداد المواطن اعدادا صحيحا لمجابهة العدو ، وتهيئة الامكانيات المادية والمعنوية التى تتطلبها الظروف والحاجيات الحاضرة .

وهذا بعينه كان من أسباب سقوط دول عظمى فى تاريخنا المجيد ، فقد كان تفاقم المفاسد الاجتماعية من تسرى واقتناء جوارى واستهتار بعض الخلفاء ، وانغماسهم فى اللهو ، وشيوع حياة البسطة فى اللذاذات والترف والمجون فى اوساط الناس ، هو السبب فى سقوط الدولة العباسية ، كما أن اضاعة الأندلس — الفردوس المفقود — وذهاب عظمة الدولة الأموية عنها كان ضحية الغطرسة والترف والوقوع فى حماة المادية الطاغية والأنانية الشخصية عند الأمراء وأتباعهم .

وتجنبا لهذه الآفات والأمراض الاجتماعية الفتاكة حض الاسلام

على الاعتدال فى المعيشة والقناعة والاقتصاد ، ونعى على الاسراف والتبذير ، كما نعى على الشح والتقتير ، فالمسلم الصادق الايمان هو من اعتدل فى شئون معيشته ، والتزم القصد ، وابتعد عن الحرام ، ولم يغتر بالجاه ولا بالمال ولا بالثروة ، ولم ينغمس فى الترف ولم يتجاوز حدود الشرع والعرف الصحيح فى طعامه وشرابه ومسكنه واثاثه وأفراحه وأحزانه .

ففى القرآن الكريم نهى صريح عن الطمع فى الدنيا والغرور بها بعد أن يكون الانسان قد بذل وسعه ، وعمل واجبه ، ووصل الى ما تيسر له ، فقال سبحانه : « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » « ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور » « انما أموالكم وأولادكم فتنة » وفى آية أخرى يمدح الله من قنع فى الدنيا وعف فيها : « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا » .

وهناك اى تحض على التزام الاعتدال فى الانفاق منها : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » « وان المسرفين هم أصحاب النار » ووردت أحاديث نبوية كثيرة فى شأن الاقتصاد فى المعيشة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « ما عال من أقتصد » « التدبير نصف العيش » « ثلاث منجيات : خشية الله تعالى فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب » « ليس الغنى عن كثرة العرض ـ المال ـ ولكن الغنى غنى النفس » « قد أفلح من اسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه » .

وليس القصد من مدح القناعة الترغيب فى البطالة والكسل والخلود الى الراحة ، وانما المطلوب توفر الرضا بالرزق الذى يؤتيه الله للانسان بعد الكسب وبذل الجهد والبحث عما خبأه الله للبشرية فى هذا الكون ، وهذا مما يجعل الشخص بعدئذ مطمئنا مرتاح النفس هادىء البال غير ساخط ، ولا متبرم ، وانما يعمل لخيرى الدنيا والآخرة ، قال أبو حازم : « ثلاث من كن فيه كمل عقله : من عرف نفسه ، وحفظ لسانه ، وقنع بما رزقه الله عز وجل » . .

ويؤكد الاسلام حرصه على تنبيه المسلم الى حساب الله له على كل حال فى السراء والضراء ، كيلا تكون قلة المورد سبيلا الى الكفر ، أو كثرة المال والاستغناء طريقا الى البطر والأشر والطغيان ، فقال تعالى محذرا من عاقبة المصير المحتوم والحساب على المال ايرادا وانفاقا : « كلا ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى . ان الى ربك الرجعى » قال عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما : « منهومان لا يشبعان : صاحب العلم ، وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ، فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن ، وأما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان . ثم قرأ عبد الله : « كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى » وقال للآخر : « انما يخشى الله من عباده العلماء » . وقد روى هذا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا » وفي حديث قدسي : « عبدي خلقتك لعبادتي فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعب ، فان أنت رضيت بما قسمت لك أرحت نفسك وكنت عندي محمودا ، وان لم ترض بما قسمت لك ، فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا ، فتركض فيها كما يركض الوحش في البرية ، ولا ينالك الا ما كتبت لك ، وكنت عندي مذموما » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان روح القدس نفث في روعي أن لا تموت نفس الا بعد أن تستوفي رزقها واجلها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب » .

فهذه النصوص التشريعية او الاخلاقية تنبىء عن واقع صحيح يتطابق مع احداث الزمان ، ونوازع الناس وأهوائهم ، وحبهم المنافسة والمفاخرة،والمكاثرة بالأموال والأولاد،وأطايب الحياة،مما يضر بدين الانسان وعلاقاته مع أبناء مجتمعه ، لذا قرر العلماء أن « أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء » ، وقال الامام الغزالي وابن قدامة المقدسي : « غوائل المال وآفاته دينية ودنيوية ، أما الدينية فثلاث :

الأولى : انه يجر الى المعاصي غالبا ، لأن من استشعر القدرة على المعصية انبعثت داعيته اليها . والمال نوع من القدرة يحرك داعيته الى المعاصي ، ومتى يئس الانسان من المعصية لم تتحرك داعيته اليها .

الثانية : انه يحرك الى التنعم في المباحات ، حتى تصير له عادة والفا ، فلا يصبر عنها ، وربما لم يقدر على استدامتها الا بكسب فيه شبهة ، فيقتحم الشبهات ، ويترقى الى آفات من المداهنة والنفاق .

الثالثة : وهي التي لا ينفك عنها أحد ، وهو انه يلهيه ماله عن ذكر الله ، وهذا هو الداء العضال ، فكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران .

ومن جملة الآفات الدنيوية : ما يقاسيه أرباب الأموال من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه » .

هذه بعض الآثار الظاهرة التي يعانيها اصحاب المال ، وهناك آثار أعمق واخطر لما لها من مفعول جسيم وبعيد الاثر في حياة الفرد والجماعة .

فالترف او تنعم رب المال يؤثر في صحة صاحبه وصحة أولاده ، حتى ليجد المرء أمراضا جسدية مستعصية أحيانا يقال لها : «امراض الأغنياء» . اما التأثيرات الخلقية والفكرية الأخرى بالنسبة للأبناء والأسرة فلا علاج لها في مستقبل الايام ، اذ ينشأ الولد في كنف المال مترع النفس ممتلىء اللذات ، فلا يندفع الى تكوين شخصيته تكوينا علميا وواقعيا صحيحا ، وانما نجد عنده غالبا الخوف والهلع ، والضعف والجبن والفتور ، والميوعة واللين ، وسطحية المحاكمة والتفكير ، وبطء الحركة والانتاج ، قال الامام ابن الجوزي : « اعلم ان الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه جوهرة ساذجة ، وهي قابلة لكل نقش ، فان عود الخير نشأ عليه ، وان عود الشر نشأ عليه ، وكان الوزر في عنق وليه ، فينبغي أن يصونه ويؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ،

ولا يحبب اليه الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ، بل ينبغي ان يراقبه من أول عمره فيعوده الأخلاق الطيبة ، وذلك علامة النجاح ، وهي مبشر بكمال العقل عند البلوغ ، وهذا يستعان به على تأديبه بحياته .

ولدك جزء منك ، اختر لجزئك ما تشاء ، الولد نعمة وفخار ، أو نقمة وعار ، والخيار اليك ما دام زمامه بيديك . ويظل يربيه ويفهمه الأخلاق من الثالثة من عمره حتى العاشرة ، ويصونه من قرناء السوء حتى العشرين وبعدها يتركه حرا . »

فالتعود على التنعم مجلبة النقائص والقبائح ، ودليل العجز والقصور ، اذ أن الغنى لا يدوم ، والشخصية القوية هي التي تثبت وجودها بنفسها وبمقوماتها ، قال تعالى : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ، وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما ، وفي الآخر عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » أي ما الدنيا الا عرض زائل يتمتع ويغتر بـه كـل من زين له الشيطان الأماني الكاذبة والمفاتن الزائلة . ويرشد الى ذلك ما هو مشهور على الألسنة : « اخشوشنوا فان النعم لا تدوم » وأصله حديث رواه الطبراني في الكبير وغيره عن القعقاع بن ابي حدرد مرفوعا : « تمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا وانتضلوا وامشوا حفاة » . ومعنى « تمعددوا » : تشبهوا بمعد بن عدنان لكونه كان لا يبالي بأكل ولا لباس «اخشوشنوا» : أي الزموا خشونة اللباس « اخلولقوا » : البسوا الثياب الخلقة البالية ، « انتضلوا » : ارموا السهام للسبق « امشوا حفاة » حث على التواضع ونهي عن الافراط في الترفه والتنعم » .

وليس القصد من هذا الحديث ــ علما بأنه ضعيف ــ سوى ضرورة التدرب أحيانا على قسوة الحياة وخشونة العيش وتربية الناس تربية قوية للصمود في وجه العدو ، عن معاذ رفعه : « اياكم والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين » فليس معنى الحديث اذا اهمال متطلبات الحياة الضرورية المعتادة : لأن التغذية وانتعال الاحذية مثلا أساس في درء الأخطار عن الجسد والصحة ، بل ان الغذاء اللازم عماد قوة البدن والعقل سواء في أثناء السلم أم في الحرب والاستمتاع بالطيبات في حدود القدر المعتاد مما أباحه الله وأحله في قرآنه : « يأيها الناس كلوا من طيبات مارزقناكم . . » « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » « ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

واذا كان من اهم ما يحتاجه الاسلام والعرب في الماضي والحاضر هو اعداد الرجال الأشداء المحاربين وتهيئة كل الامكانيات والوسائل اللازمة لمواكبة سير المدنية والتطور ومتطلبات الحرب الحديثة فقد ندد الرسول صلى الله عليه وسلم بالاقبال على الحياة الناعمة في زمن يتعين فيه الجهاد ، روى ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا ضن

الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة (١) واتبعوا اذناب البقر (٢) ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، انزل الله بهم بلاء فلا يرفعه ، حتى يراجعوا دينهم » رواه أحمد وأبو داود ، ولفظه : « اذا تبايعتم بالعينة ، واخذتم اذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم » .

وبهذا يظهر أن الاسراف والترف يفسدان أخلاق الرجال ، اذ بهما تضيع الحقوق ، وتزول الدول ، وتفقد البلاد ، وتقسو القلوب ، وينضب الخير من المجتمع ، وتذوب مصالح الناس الاجتماعية فلا يعطف احد على بائس ، ولا يظهر تعاون فى بناء المساجد والمدارس والمشافى ومؤسسات الدفاع ومصانع الحرب مثلا ، ولا تستقر أوضاع سليمة ، ولا تسود أخلاق قويمة بسبب حرص كل شخص على ارضاء أهوائه ، واشباع لذاته ، وترفهه فى الحياة ، ومن هنا يمكننا تفسير ما آلت اليه أوساط شبابنا من ضعف وتخنث ، وميوعة ومجون ، واستهتار وتراخ ، قال معاوية رضى الله عنه : « لم أر اسرافا الا وفى جانبه حق مضيع » وبذلك أيضا يمكننا فهم شيوع عادة تختم الرجال بالذهب ولبس الحرير ، مع أن الاسلام — كما هو معروف — حرمهما على الرجال تحريما ابديا غير مؤقت ولا معلل بزمن لمنافاتهما طبيعة الرجولة الحقة ولأنهما مظهر الترف ، ومبعث الخيلاء والعجب والكبرياء ، فضلا عما فى ذلك من تشبه بالأعاجم غير المؤمنين ، قال بعض الحكماء : « ليست العزة فى حسن البزة ، فان التنعم بلبس الثياب ، والتجمل بحسن الزى يشغل العبد حتى لا يعبأ بشىء من أمر دينه ميلا لدنياه ، وقلما يخلو صاحبه من العجب » . .

فعلى العرب والمسلمين حكاما ومحكومين ، دولا وافرادا أن يوجهوا طاقاتهم وميزانياتهم فى اعداد الجيل اعدادا قويا حسب متطلبات الحرب المفروضة علينا فرضا ، بحيث لا يكون هناك أثر لترف او مظهر فارغ أو كماليات وزخارف خادعة . وهنا يمكن أن اتساءل : لماذا ندعى الفقر الحربى ثم لا نحسن معالجته بالاختراع والتصنيع والزراعة الحديثة ؟ وذلك مثلما فعلت اليابان التى اقامت نهضة شامخة فى غضون خمسين سنة ، حتى انها نافست بصناعاتها ومنتجاتها فى اسواق العالم الاقتصادية أحسن ما أنتجه الاوروبيون . وعندنا بحمد الله الموارد الطبيعية الضخمة والأدمغة الصالحة والبيئة الممتازة والاصالة المدنية التى ورثناها من تاريخنا العريق الذى تمكن فيه المسلمون من تأسيس مدنية رائعة بين العرب وغيرهم . وهذا نداء القرآن عام فى كل شىء من أنواع الجهاد الحربى والاقتصادى : « يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » .

---

(١) وهو ان يبيع الشخص شيئا من غيره بثمن مؤجل ويسلمه الى المشترى ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد اقل من ذلك القدر تحايلا على اكل الربا .

(٢) المراد الاشتغال بالحرث والزرع .

غريب القرآن الكريم

محمد مؤذن

بين اللهجة القرشية واللهجات العربية

١ ـ اللهجة القرشية

من المكرر المعاد القول بأن القرآن الكريم نزل بلســـان عربى مبين فهذه حقيقة لا يختلف فيها احد ، اللهم الا من أعمى الله ابصارهم وطمس على قلوبهم .

وقد اكد الله سبحانه هذه الحقيقة حيث اعادها اكثر من مرة فى كتابه العظيم حيث يقول ـ « وهذا لسان عربى مبين (١) » .

« نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » (٢)

« انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (٣)

« وكذلك انزلناه حكما عربيا » (٤)

« وكذلك انزلناه قرآنا عربيا » (٥)

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا » (٦)

« وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا » (٧)

« انا جعلناه قرآنا عربيا » (٨)

« وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا » (٩)

ويذكر الرواة والعلماء أنه نزل بلهجة قريش ، ولهجة قريش ، هى اللهجة النموذجية الأدبية ، وقد نضجت حتى وصلت الى الـــذروة فى فصاحتها وبلاغتها .

وقد شاع بين العلماء هذا القول ، وسجلته كتب الرواية والتاريخ حتى أوشك أن يكون حقيقة مؤكدة .

وقد أرجع بعض العلماء المحدثين هذا الانتصار الكبير للهجة القرشية فى مجال الفصاحة والبلاغة الى عدة عوامل اجملها فيما يأتى :

١ ــ العامل الجغرافى

لأن قريشا تسكن منطقة مستقلة تسمى حجازا لها يحفظها من التأثر البعيد المدى بالمؤثرات الخارجية ، ولذلك احتفظت بخصـــائصها اللغـــوية .

٢ ــ العامل الدينى

فقد كانت قريش سدنة البيت ، والبيت محجة العرب فى الجاهلية

للدكتور
عبد العال سالم مكرم

٣ ــ العامل الاقتصادى

فمعظم تجارة العرب كانت فى أيدى قريش يجوبون بها طـــرف الجزيرة شمالا ، وجنوبا ومجامع العرب واسواقها بعد الحجيج كـانت تعقد على مقربة من مكة .

٤ ــ العامل السياسى

وهو مرتب على العوامل السابقة ، وقد يسر ذلك كله أســباب النفوذ لقريش فى أنحاء الجزيرة (١٠) .

ومن القدماء الذين اثر عنهم هذا القول « أبو نصر الفارابى » فقد قال فى كتابه المسمى بـــ « الألفاظ والحروف » كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق (١١)

من هذا الذى قدمت تبين لنا فى وضوح السر الذى من أجله نزل القرآن الكريم بهذه اللهجة القرشية ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نزل القرآن الكريم على قلبه لينذر به قومه « أفصح العرب » وهو من قريش ، وقريش من ولد اسماعيل وولد اسماعيل أفصح من اليمن

الذين هم من ولد يعرب بن قحطان » (١٢) .

وحينما كتب المصحف قال عثمان رضى الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة « اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه انما نزل بلسانهم » (١٣) .

قال الزهرى : فاختلفوا فى « التابوت » فقال زيد : هو « التابوه » وقال النفر القرشيون هو « التابوت » فرفع الأمر الى عثمان فقال : اكتبوه بلسان قريش ، فان القرآن نزل بلسانهم . (١٤)

وفى رأيى أن نزول القرآن الكريم باللهجة القرشية دون غيرها من اللهجات العربية لمر فيه نظر ، فان القرآن الكريم اشتمل على كثير من لهجات العرب التى انتشرت فى الجزيرة العربية ، ولو كان الأمر كما يقول هؤلاء المؤرخون — لما رأينا بعض الصحابة يرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ليفسر له بعض كلمات القرآن التى غمض عليه معناها ، فقد سأله السائل فى قوله تعالى : « ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » (١٥) .

قائلا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فيفسر له النبى صلى الله عليه وسلم هذا الظلم بالشرك مستشهدا بقوله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » (١٦)

وايمانى بهذا الرأى يبعد ما يدعيه بعض المحدثين من أن الاسلام فرض على العرب جميعا لغة عامة هى لغة قريش ، مع أن الاسلام برىء من هذا الادعاء ، فقد نزل القرآن بسبعة أحرف لييسر للعرب جميعا الانتفاع به والالتصاق بأحكامه وآدابه .

وقد بينت ذلك فى بحث سابق نشر فى « مجلة الفكر الاسلامى »(١٧)

ومالى أذهب بعيدا ، فقد وضع الأمر فى نصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما رد على بعض أصحابه الذين سألوه : يا رسول الله : انك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه ، ونحن العرب حقا فقال : ان ربى علمنى فتعلمت (١٨) أليس يدل هذا على أن النبى عليه السلام الذى تربى فى قريش ، ونشأ بين احضانها علمه ربه كلام العرب ، لأنه أرسل اليهم خاصة والى الناس عامة ؟ وكيف يتحدى العرب بهذه المعجزة الخالدة ولغة القرآن بلسان قبيلة واحدة ؟

ان القول بأن القرآن الكريم انما نزل بلسان قريش وحدها يتعارض مع النصوص القرآنية ذاتها فالنصوص السابقة التى سجلتها فى مقدمة هذا البحث تؤكد أن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، فكيف أتحكم فى تفسير اللسان العربى بأنه اللسان القرشى ؟ وهل قريش وحدها العرب ؟ ذلك أمر لا يقبله المنطق .

وكيف نفسر قول أبى بكر حينما سأله سائل عن قوله تعالى : « وكان الله على كل شىء مقيتا » (١٩) فقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، ان قلت فى كتاب الله ما لا أعلم (٢٠) وقول عمر رضى الله عنه حينما قرأ على المنبر « وفاكهة وأبا » (٢١) فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع الى نفسه فقال — لعمرك ان هذا هو التكلف يا عمر(٢٢) فلو كان أبو بكر رضى الله عنه يعلم معنى « مقيتا » لما وقف حائرا أمامها ولاذ بالصمت فى مجالها ، ولو كان عمر رضى الله عنه يعرف معنى «أبا» لما تساءل هذا التساؤل .

كل ذلك يفسر أن القرآن الكريم (اختص بدقيق المعانى ، وكنوز

الأسرار ، وعلو مرتبته فى الفصاحة ، ومباينته لكلام فصحاء العرب ، وكل ذلك فيه دلالة على شرفه ، وأنه فائق على غيره من سائر الكلام كله بحيث لا يدانيه كلام (٢٣) واحب أن أبين فى هذا المقام ان العرب يختلف بعضهم عن بعض فى الالمام بهذه اللغة الواسعة التى انتشرت فى أرجاء الجزيرة العربية ، وتعددت الى لهجات ، ولا أبالغ اذا قلت : ان القبيلة الواحدة قد يعز على بعض افرادها أن يحيطوا بقاموس لهجتها ومن هنا نعرض الى قضية أخرى ، وهى قضية غريب القرآن .

٢ ـ غريب القرآن :

يوضح لنا « الرافعى » فى كتابه « اعجاز القرآن » معنى الغريب فيقـــول :

فى القرآن الكريم ألفاظ اصطلح على تسميتها بالغرائب ، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة ، فان القرآن منزه عن هذا جميعه ، وانما اللفظة العربية ها هنا هى التى تكون حسنة مستغربة فى التأويل ، بحيث لا يتساوى فى العلم بها أهلها ، وسائر الناس » (٢٤)

وفى مجال الغريب ظهر ابن عباس رضى الله عنهما ـ مفسرا ومبينا ، وكما يحدثنا التاريخ انه أول صحابى خاض فى معمعة هذا الغريب ، وأنه وضع الأسس الأولى لكل من جاء بعده من أصحاب الغريب ، وأسئلة نافع بن الأزرق له تدل على قدم راسخة فى معرفة لغات العرب ، والعلم بمواقع كلامها ، ومدلولات ألفاظها ، واليك أيها القارىء هذه الأمثلة :

١ ـ سأله نافع عن قول الله تعالى : « عن اليمين وعن الشـــمال عزين » (٢٥) .

قال ابن عباس : حلق الرفاق ، قال نافع ، وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم ، اما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجـــاءوا يهرعـــون اليه حتى
يكونوا حـــول منبره عـــزينا .

٢ ـ وسأله عن قوله تعالى : « وابتغوا اليه الوسيلة » (٢٦) قال : الوسيلة ، الحاجة اما سمعت قول عنترة :

ان الرجـــال لهم اليك وســـيلة
ان يأخذوك تـــكحلى وتخضبى .

٣ ـ وسأله عن قوله تعالى : « اذا أثمر وينعه » (٢٧) قال : نضجه وبلاغه .

اما سمعت قول القائل :

اذا ما مشت وسط النســاء تأودت
كما اهتز غصن ناعم النبت يانـــع

وسأله عن قوله تعالى : « أفلم ييأس الذين آمنوا » (٢٨) قال : أفلم يعلم .

٤ ـ اما سمعت قول مالك بن عوف :

لقد يئس الأقـــوام انى انا ابنـــه
وان كنت عن أرض العشـــيرة نائيا

٥ ـ وسأله عن قوله تعالى : « ولا تضحى » (٢٩) قال : لا تعرق من شدة حر الشمس .

اما سمعت قول القائل :

رات رجلا اما اذا الشمس عارضت

فيضـــحى وامــــا بالعشى فيخصر

ويعلق الامام السيوطى على هذه المسائل العديدة فى الغريب ، والتى ذكرت طرفا منها فى هذا البحث بقوله :

« هذا آخر مسائل نافع بن الأزرق ، وقد حذفت منها يســيرا نحو بضعة عشر سؤالا ، وهى أسئلة مشهورة أخرج الائمة افرادا منها بأسانيد مختلفة الى ابن عباس .

واخرج أبو بكر بن الانبارى فى كتاب « الوقف والابتداء » منها قطعة « واخرج الطبرانى فى معجمه الكبير منها قطعة » (٣٠)

وعلى الرغم من انكار الدكتور طه حسين فى كتابه «الأدب الجاهلى» قصة استدلال ابن عباس على الكلمات القرآنية الغريبة بالشعر العربى ، فاننا لا نوافقه على هذا الانكار ، ذلك لأن الدكتور يعتمد على انكاره هذا بأن هذه القصة قد وضعت فى تكلف وتصنع لتثبت أن الفاظ القرآن الكريم كلها مطابقة للفصيح من لغة العرب ، أو أن هذه القصة مدسوسة عليه فقد كان له مولى وهو « عكرمة » يدس عليه كثيرا من الأخبار (٣١) والواقع أنه لا داعى لهذه الاحتمالات أو هذه الافتراضات فعبد الله بن عباس يعلم أن الشعر ديوان العرب ، وهو المصدر الوحيد الذى يلجأ اليه فى تفسير هذا الغريب ولعله كان متأسيا فى منهجه هذا بما رواه : أن رجلا ســأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أى علم القرآن افضل ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم عربيته فالتمسوها فى الشعر (٣٢) .

هذا فضلا عن أن ابن عباس رضى الله عنه تميز عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بميزة التأويل ، وهى مــيزة لا تتأتى بالممارسة ، أو تكتسب بالتجربة ، ولكنها الهام من السماء يتفتح له العقل، فيعى ، ويحفظ ما وعاه ، ويتفتح له القلب فيدرك من الأسرار ما لا يدرك غيره ، وكان كذلك ابن عباس ، لأن النبى عليه السلام بشره ، فقال : اللهم علمه التأويل .. (٣٣)

ومن حق القارىء بعد هذا الذى قدمت أن يقول : وما دليلك على ان القرآن الكريم اشتمل على لغات أو لهجات غير اللهجة القرشية ؟ فأقول له ان المحققين من العلماء بينوا لنا كثيرا من هذه اللهجات ، وقد الف فى ذلك اسماعيل بن عمرو المقرىء كتابه « اللغات فى القرآن » وانى اكتفى بذكر طائفة منها فى سورة واحدة هى سورة البقرة ، لتكون دليلا على ما اقــول .

من سورة البقرة :

(رغدا) آية ٣٥ = الخصب بلغة طىء .

(فأخذتكم الصاعقة) آية ٥٥ = الموت بلغة عمان .

(رجزا) آية ٥٩ = العذاب بلغة طىء .

(خاسئين) آية ٦٥ = صاغرين بلغة كنانة .

(فباءوا بغضب) آية ٩٠ = استوجبوا بلغة جرهم

(واشتروا) آية ١٦ = باعوا بلغة هذيل

(سفه نفسه) آية ١٣٠ = خسر بلغة طىء

(فلا رفث) آية ١٩٧ = الجماع بلغة مذحج

(ثم أفيضوا) آية ١٩٩ = انفروا بلغة خزاعة
(بغيا بينهم) آية ٢١٣ = الحسد بلغة تميم
(وان عزموا الطلاق) آية ٢٢٧ = حققوا بلغة هذيل
(فلا تعضلوهن) آية ٢٣٢ = لا تحبسوهن بلغة أزد شنوءة
(فتركه صلدا) آية ٢٦٤ = أجرد بلغة هذيل (٣٤)

على أن هذه الكلمات عدت غريبة بالنسبة لغير القبائل التى لم تحتو لهجاتها مثل هذه الكلمات أما القبائل التى وردت هذه الكلمات وفق لغاتها فليست بالنسبة لهم غريبة .

ومن هنا كان واجب العلماء أن يتقصوا هذه الكلمات ، وينسبوها الى أصحابها وقد فعلوا تيسيرا لمعانى القرآن الكريم ، وكشفا للدلالات التى تدل عليها هذه الكلمات ، والحق نجد أن العلماء لم يقصروا فى هذا المضمار ، شمروا عن ساعد جدهم وبذلوا كل جهدهم ليذللوا مصاعب هذا الغريب خدمة لكتاب الله وتوضيحا لمعانيه .

ولعنا اذا بحثنا مدققين عن أول مصنف يطالعنا فى هذا المجال نجده كتاب « مجاز القرآن » لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، فقد نص السيوطى فى كتابه « الوسائل » أن أول من صنف فى غريب القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى لأنه جاء بعد قتادة بن دعامة السدوسى المتوفى ١١٧ هـ وأبى عمرو بن العلاء المتوفى ١٥٤ هـ ، وهما لم يخلفا لنا أثرا مكتوبا ، وانما كانت الأخبار تنقل عنهما مشافهة (٣٥) .

وهذا الكتاب وان كان يحمل اسم المجاز ، فهو فى حقيقة أمره كتاب يدور حول الغريب من الكلمات القرآنية ، وتفسير هذا الغريب بالشعر وكلام العرب .

وبعد هذا الكتاب ظهرت كتب أخرى فى الغريب مثل « تفسير غريب القرآن » لابن قتيبة (٣٦) وكتاب « لغات القرآن » (٣٧) لأبى حيان الأندلسى ، وككتاب « اللغات فى القرآن » لاسماعيل بن عمرو (٣٨) وانظر كتب غريب القرآن فى الفهرست لابن النديم تجدها عديدة .

ومن الحق أن أقرر فى هذا البحث أن هذه اللهجات العربية التى وردت فى القرآن الكريم لم تطغ على لهجة قريش ، فمعظم كلمات القرآن الكريم قرشية ، ولكنى أظلم الحقيقة حينما أقول : ان القرآن الكريم فرض لهجة قريش على قبائل العرب وألزمهم القراءة بها ، ذلك أمر يخالف منطوق الحديث : انما أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وأظلم الحقيقة مرة أخرى لو قلت ان جميع الكلمات القرآنية قرشية بدليل ما قدمت من كلمات وردت فى هذا الكتاب العزيز غير قرشية على أنه من ظلم الحقيقة مرة ثالثة أن أدعى أن اللهجة القرشية تختلف اختلافا كبيرا عن غيرها من لهجة العرب ذلك أمر لا نقبله للأمور الآتية :

١ ـ معرفتنا باللهجة القرشية غير كاملة ، فليس لنا معجم يوضح رصيدها من الكلمات ، حقا ان هناك دراسات دارت حول خصائص اللهجات ، ولكنها محاولات تخطىء وتصيب ، وليس لها من المراجع التى تعتمد عليها غير المعاجم ، وجمعها لم يكن على منهج علمى سليم ، فلم تحاول أن تصنف القبائل ، وتنسب كل لفظ الى مصدره اللهم الا اشارات معدودة لا تغنى شيئا فى مجال الدراسات على أن السيوطى فى «المزهر» يؤكد أن « الذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ

اللسان العربى من بين قبائل العرب هم قيس ، وتميم واسد ، فان هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ، وعليهم اتكل فى الغريب ، وفى الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانه » (٣٩) .

ومن حقى بناء على هذا أن أقرر : أن لهجة قريش مختلطة بغيرها من اللهجات الأخرى العربية . وان ميزان الفصل للتحكم فى هذه القضية لم يصنع بعد .

٢ ــ من قال : ان قريشا أغلقت على نفسها باب الهجرة أو الرحلة من مكان الى آخر وذلك ببعدها عن الاحتكاك بغيرها من اللهجات الأخرى، فتسلم لها فصاحتها ، ويصان لها لسانها .. ؟

ان هذا القول مخالف لمنطق القرآن الكريم الذى ينص على أن لقريش رحلتين ، رحلة الشتاء والصيف ، وناهيك بهذه الرحلات ، أليس فيها كلمات تتبادل ؛ أليس فيها مسميات جديدة لم تعهدها قريش فى لهجتها ؟ الا يؤثر الكلام بعضه فى بعض ؟ ان قوانين تصارع اللهجات تثبت هذه الحقيقة ، وهى انه ما دام هناك اختلاط فهناك احتكاك لغة بلغة ، ولهجة بلهجة ، وأسلوب بأسلوب مما لا يجعل القول بصيانة هذه اللهجة فى هذه الحالة قولا صائبا .

هذا فضلا عن الاحتكاك اللغوى والأدبى فى أسواق العرب التى كانت تقام فى الجاهلية ولا تنسى ما يفعله موسم الحج من تأثير لغوى كبير ، يقولون : ان قريشا كانت تأخذ من هذه القبائل الموفدة أو التى تختلط بها فى رحلاتهم ما خف وقعه على مسامعهم من الألفاظ الرقيقة والكلمات العذبة الموسيقية ، وعلى مدى السنين تكونت لهجتهم ، ان صح ذلك فهو دليل على أن لهجة قريش خليط من لهجات عديدة تمثل اللهجات العربية فى الجزيرة العربية ، ومن ثم نزل القرآن الكريم بها ، لانها اللهجة التى تتمثل فيها لهجات العرب ولا غرو حينئذ أن تكون اللهجة القرشية التى نزل بها الصورة الحية فى مجال تحدى العرب جميعا أن يأتوا بمثله .

وهذا القول فى نظرى قريب الى الصواب ، لأن لهجة قريش انتخبت من جميع اللهجات ، ولكن حينما نقول : ان لقريش لهجة خاصة فى ألفاظها ، وتراكيبها تختلف عن لهجات العرب المنتشرة فى الجزيرة ، وان القرآن الكريم نزل بها وحدها فذلك أمر لا يقبله العقل ، لأن فى القرآن الكريم كما قدمت سابقا كلمات كثيرة ليست قرشية الأصول كما نصت على ذلك كتب الغريب ، وكتب المعاجم .

٣ ــ القبائل العربية قبل الاسلام لم تكن تعيش فى عزلة ، ومن ثم كانت لهجاتهم جميعا متقاربة ، يفهم بعضهم بعضا حتى القبائل التى كانت تعيش فى شمال الجزيرة لم تبتعد فى لهجاتها كثيرا عن القبائل التى كانت تعيش فى جنوب الجزيرة ، بل لا أتجاوز الحقيقة اذا قلت : انها لغة واحدة فى صميمها ، ولا يغدو الاختلاف أن يكون الا اختلافا يسيرا فى صفات الحروف من جهر وهمس ، وتفخيم وترقيق وهمز وتسهيل ، وهذا أمر طبيعى يقتضيه التطور اللغوى .

ومما يؤيد ذلك وفد الحجاز عند سيف بن ذى يزن ملك اليمن ، فقد اتجه هذا الوفد وعلى رأسه سيد قريش عبد المطلب بن هاشم ، الى ملك اليمن يخطب ببيانه القرشى ، وسيد اليمن يصغى اليه ، ويستمع

الى شاعر الوفد أمية بن أبى الصلت ، ويفهم ما يقول فى غير غرابة او غموض (٤٠) .

ومالى أذهب بعيدا ونحن فى عالمنا العربى نتكلم بلهجات عديدة لا شك هى من أم واحدة هى العربية التى تطورت الى هذه اللهجات ، ولم يكن هذا الاختلاف فى غير الأشكال .

ويعجبنى فى هذا الموقف كلمة الدكتور « غوستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » حيث يقول : « واللغة العربية من اكثر اللغات انسجاما وهى مختلفة اللهجات لا ريب فى سوريا وجزيرة » العرب ، ومصروالجزائر وغيرهـــــا .

ولم يكن هذا الاختلاف فى غير الاشكال ، فترى المـــراكشى يفهم بسهولة لهجة المصريين ، أو لهجة سكان جزيرة العرب مثلا ، مع أن سكان القرى الشمالية الفرنسية لا يفهمون كلمة من لهجات ســـكان القرى الجنوبية فى فرنسا » .

وقد نقل « لوبون » كلمة الرحالة « بركهارد » الذى يعد حجة فى هذا الموضوع فقال : « نجد اختلافا كبيرا لا ريب فى لهجات اللغـــة العربية العامية اكثر من اية لغة اخرى على ما يحتمل ، ولكنه لا يصعب عليك أن تفهمها جميعا اذا ما تعلمت احداها ، وذلك على الرغم من اتساع البلدان التى يتكلم اهلوها بها » (٤١) .

اما كلمة أبى عمرو بن العلاء : « وما لسان حمير بلساننا ، ولا لغتهم بلغتنا » تلك الكلمة المأثورة عن أبى عمرو ، والتى ترددت فى كتب الرواة ــ فأحسن تفسير لاشكالها تفسير الدكتور الحوفى فى كتابه « الحيـــاة العربية من الشعر الجاهلى » (٤٢) حيث يقول : « أن اللغتين عربيتان ، ولكن التطور ، والمكان ، والزمان ، والأحداث ، والألسنة الخ قد شققت من اللغة الواحدة لهجتين ، بدليل قوله (فى رواية أخرى) ولا عربيتهم بعربيتنا ، والعرب يطلقون على اللهجة اللسان » .

٤ ــ على أن مقياس الفصاحة وقف أمامه العلماء حيارى ، فابن فارس يشيد بلهجة قريش او بلغتها حيث يقول : « ان قريشا افصـــح العرب السنة واصفاهم لغة ، ذلك أن الله تعـــالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل قريشا قطان حرمه، وولاة بيته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ، ويتحاكمون الى قريش فى دارهم ، وكانت قريش مع فصاحتها ، وحسن لغاتها ، ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العـــرب تخيروا من كلامهم واشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التى طبعـــوا عليها ، فصاروا بذلك افصـــح العرب » (٤٣) والبصريون يشترطون فى الفصاحة أن تصدر من العرب الخلص الذين لم تؤثر فيهم الحضارة ، واعتصموا بالبادية عن الاختلاط بغيرهم .

ومن ثم كانوا « يفتخرون على الكوفيين بأنهم يأخذون اللغـــة عن حرشة الضباب ، واكلة اليرابيع ، على حين يأخذها الكوفيون من اكلة الشواريز وباعة الكواميخ (٤٤) .

مع أن لغتنا العربية التى تتمثل فى المعاجم جمعت فى معظمهـــا بروايات البصريين وحسبنا أن نذكر فى هذا المجال أن أول عمل معجمى

قام به الخليل بن أحمد عميد مدرسة البصرة هو معجم العين .

ومن الحق أن نذكر بجانب ذلك أننا لو طبقنا منهج البصريين فى أخذ اللغة لتجنبنا لغة قريش ، لأنها خليط من اللهجات كما قلت سابقا ، ولأن أصحابها كانوا يقومون برحلات عديدة صيفا وشتاء الى أطراف الجزيرة العربية فى اليمن ، وفى الشام ، ولكن الحق يفرض علينا سلطانه فى هذه القضية ، وهو أن لغة القرآن الكريم ــ كما يقول الفراء ــ افصح أساليب العربية على الاطلاق (٤٥) .

من أجل ذلك أحب أن أبين هنا أن لغة القرآن الكريم لم تكن لغة لهجة واحدة ولكن من كمالها أن تكون مشتملة على كثير من لغات العرب الأخرى ليكون التحدى أتم والمعجزة ابلغ .

وقد لمس هذا المعنى الامام ابن الجزرى فأصاب المحز حينما قال : « لو جاء القرآن الكريم كله بالأفصح لكان على غير النمط المعتاد فى كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح ، فلا تتم الحجة من الاعجاز اذ يقال مثلا : انه جاء بما لا قدرة للعرب على جنسه ، كما لا يصح أن يقول البصير للأعمى : قد غلبتك بنظرى ، لأن الأعمى يقول له : انما تتم لك الغلبة اذا كنت قادرا على النظر ، وكان نظرك أقوى من نظرى ، أما اذا فقد أصل النظر فكيف تصح المعارضة ؟ » (٤٦) .

ولعلى بعد هذا العرض أكون قد وفيت الموضوع حقه فى قضية غريب القرآن الكريم وآمل أن أكمل هذا البحث بقضية أخرى تعالج ما ورد فى القرآن الكريم من كلمات أعجمية فالى اللقاء فى مقال آخر ان شاء الله .

---

(١) النحل ١٠٣ (٢) الشعراء ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ (٣) يوسف ٢ (٤) الرعد ٣٧ (٥) طه١١٣ (٦) فصلت ٣ (٧) الشورى ٧ (٨) الزخرف ٣ (٩) الأحقاف ١٢ .

(١٠) من مقال للمرحوم الدكتور النجار : مجلة الأزهر مجلد ٢٣ ص ٤٩ (١١) المزهر جـ ١ ص ١٢٨ مطبعة السعادة (١٢) الزينة ج١ ص ١٤٦ (١٣) الاتقان جـ١ ص٥٩ (١٤) الزينة جـ ١ ص ١٤٦ .

(١٥) الأنعام ٨٢ (١٦) لقمان ١٣ (١٧) مجلة الفكر الاسلامى ، العدد التاسع (١٨) المسائل لابن قتيبة : ورقه ــ ٤ : مخطوط (١٩) النساء ٨٥ (٢٠) مقدمتان فى علوم القرآن ص ١٨٣ .

(٢١) عبس ٣١ (٢٢)مقدمتان فى علوم القرآن ص١٨٢(٢٣) الطرز جـ ٣ ص ٢١٩(٢٤) اعجاز القرآن ص ٧٤ (٢٥) المعارج ٣٧ .

(٢٦) المائدة ٣٥ (٢٧) الأنعام ٩٩ (٢٨) الرعد ٣١ (٢٩) طه ١١٩ (٣٠) الاتقان جـ ١ ص١٣٣ (٣١) الأدب الجاهلى ص ١٠٩ (٣٢) مقدمتان فى علوم القرآن ص ٢٦١ .

(٣٣) مفتاح السعادة جـ٢ ص ٤١٥ (٣٤) اللغات فى القرآن ص ٢٠ ، ص ٢١ .

(٣٥) الوسائل فى مسامرة الأوائل ص ٦١٢ (٣٦) مطبوع بتحقيق الاستاذ سيد صقر (٣٧) مخطوط التيمورية ٧٤ لغة (٣٨) مطبوع (٣٩) المزهر جـ ١ ص ١٢٨ ، الاقتراح:ص٢٤ .

(٤٠) انظر قصة هذا الوفد والتعليق عليه فى كتاب «مولد اللغة» لأحمد رضا العاملى ص٥٦ (٤١) حضارة العرب ص ٥٣٢ (٤٢) جـ١ ص ٤١ (٤٣) المزهر جـ ١ ص ٢١٠ .

(٤٤) حرشة الضباب = الصيادون ــ اليرابيع = جمع يربوع وهى دويبة . الشواريز الألبان الثخينة الكوامخ = المحللات تشهى بها الطعام (٤٥) العربية يوهان فك ص ٥(٤٦) نقل هذا النص من مقال للمرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان نشر بمجلة الأزهر المجلد ٢٢ ص ٦٠٠

المستشرقون

وتعدد الزوجات

للأستاذ عبد القادر السبسبي

ان المستشرقة الالمانية (زيغريد هونكة) تحكى فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » صفحة (٤٧) (وكان تعدد الزوجات فى الجاهلية ضرورة اقتضتها ظروف المعيشة والرغبة فى العدد الكبير من الاولاد لتقوية مركز القبيلة ولتوطيد العلاقات بين مختلف القبائل بالمصاهرة . وبظهور الاسلام استمرت تلك الضرورة نتيجة لبدء الفتوح . الى ان قالت . . فالاسلام قدس الزواج وطالب بالعدل بين الزوجتين او الثلاث او الاربع فى المعاملة « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » أليس هذا نصا صريحا يطلب فيه من المؤمنين ان يتزوجوا بواحدة فقط ، ومن ذا الذى يستطيع ان يعدل بين النساء) .

اقول : ان الكاتبة المستشرقة تريد ان تقول فى الأصل لا يوجد تعدد زوجات وان الكتب السماوية لم تبح ذلك . بل هذا التعدد نشأ فى زمن الجاهلية لضرورة اقتضتها الظروف ، وقد استمرت تلك الضرورة بظهور الاسلام نتيجة لبدء الفتوح وتزعم ان الاسلام قد منع هذا التعدد وامر بالرجوع الى التزوج بواحدة فحسب لعدم استطاعة العدل بين النساء مستدلة بقوله تعالى : (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) . ولما كان كلام هذه المستشرقة ومن كان على شاكلتها بان فكرة تعدد الزوجات منشؤها العرب وانها حاجة اقتضتها الضرورة الزمنية هو خلط كمن يخبط خبط عشواء . ولذلك فقد رايت ان الرد عليها وعلى امثالها ضرورى فبدات بما يلى :

١ ــ تعدد الزوجات منشؤه قديم :

ليس تعدد الزوجات بدعا فى تاريخ البشرية ، فقد عرفته العصور القديمة ولا تزال بعض الشعوب تسير عليه فى عصرنا الحاضر ، عرف تعدد الزوجات قديما عند السكان الاصليين لأستراليا وأمريكا والصين وغيرهم ، وقد عرف ذلك عند قبائل أوربا القديمة كالجرمانيين والصقالبة قبل المسيحية . وقد نشأ في الرومان حتى حظره جوستنيان فى قوانينه ولكنه ظل ماشيا من الناحية العملية . وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الاسلام كشرلمان ملك فرنسا كما يأتى بيانه .

٢ ــ منع تعدد الزوجات واباحة الاعارة والتاجير :

وانتشر تعدد الزوجات عند العرب فكان الواحد منهم يجمع بين عشر نسوة حتى جاء الاسلام وقيد هذا الاطلاق وحصرها بأربع نسوة فقط ، حيث ورد فى القرآن العظيم « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » (١) .

وأما أوروبا المسيحية فقد منعت تعدد الزوجات الشرعيات ، وقام مقامه السفاح واتخاذ الأخدان ، وجعلت المراة سلعة تتاجر ببضعها ، وسمحت للرجل فى أن يعير زوجه لذوى الشأن للنجابة والتبريك (٢) .

يقول الفيلسوف هربت سبنسر الانكليزى فى كتابه (علم وصف الاجتماع) أن الزوجة كانت تباع فى انجلترا **خلال القرن الحادى عشر** وأنه حدث أخيرا فى القرن الحادى عشر أن المحاكم الكنيسية سنت قانونا ينص على أن للزوج أن ينقل أو يعير زوجته الى رجل آخر لمدة محدودة (٣).

٣ ــ الأديان كلها إباحت تعدد الزوجات :

فليس الاسلا مهو الدين الوحيد الذى اباح تعدد الزوجات أو انه أول دين اباحه بعد الموسوية والمسيحية ، وانما أباحت الشرائع القديمة تعدد الزوجات فقد كان لابراهيم الخليل عليه السلام زوجتان ، كما أن الديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد ، وأنبياء التوراة كان لهم زوجات كثيرة كيعقوب وداود وسليمان . ولم يأت فى الانجيل نص يدل على التحريم وانما ورد على سبيل الموعظة لأن الله خلق لكل رجل زوجه ، وهذا لا يفيد على أبعد الاحتمالات الا الترغيب بأن يقتصر الرجل فى الاحوال العادية على زوجة واحدة . ولكن اين الدليل على أن زواج الرجل ــ بزوجة ثانية مع بقاء زوجته الاولى فى عصمته يعتبر زنى ويكون العقد باطلا . ليس فى الاناجيل نص على ذلك بل ورد فى رسالة بولص الاولى المرسلة الى دتيو شاوس ما يفيد أن التعدد جائز . وهذا ما كان عليه الاقدمون كما ثبت ذلك (٤) .

٤ ـ ما يؤيد تعدد الزوجات عند الأمم الغابرة :

قال وستريماك العالم الثقة فى تاريخ الزواج : ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقى الى القرن السابع عشر . وكان يتكرر كثيرا فى الحالات التى تحصيها الكنيسة والدولة . ويقول ايضا : ان (ديار ما سدت ملك آرلندا) كان له زوجتان وسريتان ، وتعددت زوجات الميروفنجيين غير مرة فى القرون الوسطى وكان لشارلمان ملك فرنسا الذى كان معاصرا للخليفتين المهدى والرشيد من العباسيين زوجتان وكثير من السرارى . فكما يظهر من بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولا بين رجال الدين أنفسهم . وكان فيليب أوفاهيس ، وفرّوذريك ، وليام الثانى البروسى يبرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين .

٥ ـ اباحة تعدد الزوجات عند غير المسلمين :

وفى سنة ١٦٥٠ ميلادية بعد صلح وسنفاليا وبعد أن تبين النقص فى عدد السكان من جراء حروب الثلاثين أصدر مجلس الفرنكيين (نيورمبرج) قرارا يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية الى ايجاب تعدد الزوجات ، ففى سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون فى (مونستر) صراحة بأن المسيحى ينبغى أن تكون له عدة زوجات ويعتبر المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام الهى مقدس .

وقال جرجى زيدان : فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع اتباعها من التزوج من امرأتين فأكثر ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزا عندهم، ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها ــ وكان ذلك شائعا فى الدولة الرومانية ــ فلم يعجزهم تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امراة حراما كما هو مشهور .

٦ ـ اباحة التعدد فى افريقيا :

ونرى المسيحية المعاصرة تعترف بتعدد الزوجات فى أفريقيا السوداء فقد وجدت الارسالات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعى ، فأعلنت الكنيسة رسميا السماح للافريقيين النصارى بتعدد الزوجات الى غير حد . والشعوب الغربية المسيحية تتخبط بنفس المشكلة ، وخاصة بعد الحربين العالميتين .

٧ ـ المانيا تطالب بوجوب اباحة التعدد :

فقد حدث أن مؤتمرا للشباب العالمى عقد فى ميونيخ بألمانيا عام ١٩٤٨ وكان من لجانه لجنة تبحث مشكلة زيادة عدد النساء فى المانيا عن عدد الرجال فأقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة باباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة .

وفى عام ١٩٤٩ تقدم أهالى بون عاصمة ألمانيا بطلب الى السلطة المختصة يطالبون فيه أن ينص فى الدستور الالمانى علــى اباحة تعــدد الزوجات تأكيدا لطلبهم السابق أيام هتلر . علما أن المفكرين الغربييــن الاحرار أثنوا على تعدد الزوجات منهم جرونيوس العالم القانونى المشهور والفيلسوف الالمانى الشهير (شوبنهور) وخاصة غوستاف لوبون فإنه يتحدث فى كتابه حضارة العرب عن تعــــدد الزوجات ومحسناته عنــد المسلمين (٥) .

ولقد اختارت المانيا النصرانية التى تحرم التعدد ، ما اختاره الاسلام وهى لا تدين بالاسلام ، فقادة الفكر فى المانيا وفى غيرها قد خرجوا عــن قانون وحدة الزوجة فى بلادهم .

لقد آن للعالم الحائر المتخبط فى دياجير المادة أن يستفيق من غفلته بعد أن أدت به المدنية الحديثة الى الهلاك والدمار ، وأصبحت الانسانية معذبة يرفض ضميرها فساد الاخلاق وقلق النفس واضطراب المجتمع .

٨ ــ حكمة التشريع فى تعدد الزوجات :

ومن يتأمل فى حكمة التشريع يعلم بأنه ليس اباحة تعدد الزوجات فى الشريعة الاسلامية لارضــاء الشهوات الجامحات كمـا يزعمون ، ولكن هى للضرورات الاجتماعية التى تعرض المجتمع للاخطار . علما بأن الاسلام قد قيد الاطلاق الذى كان فى العصور الغابرة وحصرها فى أربع نســوة فقط ومنع الزوجات فيما زاد على ذلك .

ولقد صدمت تلك الضرورات ــ اخيرا ــ الباحثين من علماء الاجتماع ورأوا بأعينهم ما يستهدف له بعض المجتمعات فى أوروبا من أخطار النساء واباحة الاختلاط وتضييق حدود الزواج ، رأوا رأى العين ، فكتبت احدى الكاتبات الاجتماعيات كلمات مؤثرة ، نشير الى بعضها ، وليرجع اليها من شاء ، فى تاريخ الاستاذ العلامة (محمد عبده) المعروف بالمنشآت . قالت تلك الكاتبة الانجليزية :

(لقد كثرت الشاردات من بناتنا ، وعم البلاء ، وقــل الباحثون عن أسباب ذلك وان كنت امرأة ، فأنى انظر الى هاتيك البنات ، وقلبى يتقطع شفقة عليهن وحزنا لهن ، وماذا عسى يفيدهن حزنى وتوجعــى ، وان شاركنى فيه الناس جميعا لا فائدة الا فى العمل على ما يمنع هذه الحالــة الرجسة ، ولله در العالم (توماس) فإنه رأى الداء ووصف الدواء ، وهو : الاباحة للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة بذلك يزول البلاء وتصبح بناتنــا ربات بيوت ، وأمهات أولاد شرعيين ، اننا نعانى تحريم زواج اثنتين فقــد ألقى ببناتنا شوارد ، وقذف بهن الى التماس أعمال الرجال فكثر الاختلاط وتفاقم الشر) .

وهكذا ، يرجع الباحثون الى تعرف الحقائق الاجتماعية ، التى لــم يغفلها المشرع الاسلامى من قبل أربعة عشر قرنا .

٩ ــ وجوب اقامة العدل بين الزوجات :

جاء فى سورة النساء آية (٣) قول الله تعالى : « فانكحوا ما طاب

لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة .. الخ » وجاء فى آية ١٢٩ « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » .

أى ولن تستطيعوا العدل بين النساء ولو كنتم حريصين على ذلك فان فى المعاملة أمورا مادية وأخرى غير مادية ، أما المادية فتستطيعون فعلها والعدل فيها كالبيت والنفقة والكسوة والتطبيب الخ .. أما الأمور القلبية كالميل والحب وغير ذلك بما يكون الباعث عليه الوجدان والشعور النفسى فهذا مما لا تملكونه ولهذا خفف الله عنكم ورفع الحرج فيه . كما قال ابن عباس وغيره رضى الله عنهم فى قوله تعالى : (ولو حرصتم) اى على اقامة العدل وبالغتم فى ذلك لأن الميل يقع بلا اختيار فى القلب .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ، فيعدل ثم يقول : اللم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك . يعنى القلب (٦) .

ثم نهى الله تعالى فقال : (فلا تميلوا كل الميـــل) قال مجاهـــد : لا تتعمدوا الاساءة بل الزموا التسوية فى القسم والنفقة لأن هذا مما يستطاع وروى قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل) (٧) .

هذا ما ورد فى الاحاديث الشريفة وما قاله المفسرون والعلماء . وعلى هذا يكون قول المستشرقة (زيغريد هونكه) ومن كان على شاكلتها لغوا لأن القول المعتمد هو ما قاله رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ومـــا عداه هباء .

١٠ ــ العوامل الطبيعية :

على أن تعدد الزوجات أو الطلاق كحق للزوج لا غبار عليهما أبدا ، بل لعلهما من الضرورات اللازمة للطبيعة البشرية ، ولكن الخطأ الأكبر يجيىء من سوء الاستعمال . أما القول بمنعهما ففيه مخالفة لصريح القرآن ومخالفة لمصلحة الرجل والمرأة على السواء .

ماذا نفعل برجل تزوج بأمرأة لا تلد ؟ وهو غنى يريد الولد وعنـــده القدرة على كفاية اثنتين من النساء .

ورجل عنده نهم على النساء وعنده امرأة بها مانع أو مرض أو عزوف عن الرجال فهل يرتكب الفاحشة فيضيع بذلك الدين والمال والصحـــة والشرف أو يتزوج بامرأة اذا التزم العدل فى معاملة الاثنتين .

١١ ــ العوامل الاجتماعية :

وماذا نعمل فى الأمة عقب الحروب التى تبيد اكثر رجالها فتبقـــى النساء كثيرات مع قلة الرجال ، أمن الخير أن يتمتع بعض النساء بالزوج ويبقى قسم كبير منهن محرومات من عطف الرجل والعائل ، وقد تضطرها الظروف الى ارتكاب الاثم والفواحش .

اذا الخير فى علاج المسألة بعلاج الدين ، فنحافظ على المراة محافظة تامة ونعتنى بها عناية كاملة فى الحرب والسلم .

١٢ ـ اخى الشاب العربى :

ان الاسلام يجمع بين المادة والروح ، على أن هذا لا يدركه الا من اطمان قلبه بالايمان ، بل لا يدركه الا الراسخون فى العلم واما تاويله فلا يعلمه الا الله . (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تأويله الا الله) (٨) .

فمن اين لهذه المراة وامثالها من المستشرقين او المستشرقات ومن كان على شاكلتهم أن يفهموا القرآن الكريم وروحه أو تاويله ، وانى لهم أن يؤولوا القرآن حسب فهمهم ، علما أن فاقد الشىء لا يعطيه .

١٣ ـ تقديس الاديان واجب :

على أن الغريب فى الأمر أن المسلمين لا يهاجمون غيرهم فى دياناتهم ومعتقداتهم بل يحترمونها على انه لو تعرض أحد منهم لشىء من ذلك لقامت عليه الطامة الكبرى فيعتبرون هذا تحديا لهم وتحقيرا للاديان وتدخلا فى ما لا يعنيه .

أما اذا جاء التعرض من قبلهم كما صدر من المستشرقة (زيغريد هونكه) بتعرضها للقرآن بقولها ان سورة (اذا السماء انفطرت) من نثر محمد ورددت عليها فى مقال سابق وما تعرضت اليه هنا من تفسيرات عقلية لا أصل لها لقيل إنه يجب غض الطرف عنها لأنها مستشرقة ولها ملء الحرية فى التكلم والبحث ولو كان متعلقا فى الاديان .

لقد تحقق عند الكافة من الشرقيين أن جل الغربيين لهم فى كل مصلحة مفسدة وفى كل حسنة سيئات ، وفى كل اخلاص دغل وفى كل صفاء دخل . وللمستزيد أن يرجع الى (كتاب الغارة على الاسلام) وكتاب (استعباد الاسلام وغيرهما) .

هذه ملاحظاتى على كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) والله من وراء القصد .

---

(١) سورة النساء .
(٢) كتاب نظام الاسرة فى الاسلام (مناع قطان المدرس بكلية الشريعة بالرياض) .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) كتاب المراة بين الفقه والقانون .
(٥) كتاب المراة بين الفقه والقانون .
(٦) رواه الامام احمد فى المسند ص ١٤٤ من الجزء السادس (انظر تفسير القاسمى)
(٧) تفسير القرطبى سورة النساء / ١٢٩ جـ ٥ .
(٨) سورة آل عمران .

نــداء موجه الى جميع الدول والهيئات الاسلامية فى العالم ·

لا تزال سلطات الاحتلال الصهيونية تعيث فســادا فى جميع الارض المحتلة وتعمل جاهدة على تغيير معالم القدس والخليل وغيرهما من الديار المقدسة ، بالحفريات والمستوطنات · وقد بلغ الاستهتار حدا لا يجــوز السكوت عنه أو التساهل فيه ، نظرا لما ينطوى عليه من أخطار بعيــدة المدى ، وتحد لمشاعر المسلمين فى أعز مقدساتهم فى الديار الفلسطينيــة المقدسة ، ذلك أن السلطات المحتلة قامت بتقديم مشروع قانون للكنيست (البرلمان الاسرائيلى) يقضى بأن الاماكن الاسلامية المقدسة فى القدس هى بناية المسجد الاقصى ومسجد الصخرة المشرفة فقط ، اما الســاحات والاراضى التى تقع ضمن سور الحرم فليست من المقدسات ، وانه يجوز لتلك السلطات اجراء اية حفريات أو تنظيمات فى تلك الساحات والاراضى ... الخ ، كما اشارت الى ذلك جريدة الدفاع الاردنية تاريخ ٨ ذى الحجة سنة ١٣٩٠ الموافق ٤ شباط سنة ١٩٧١ ، العدد ١٠٧١١ ·

وبما أنه بتاريخ ١٩٦٧/٨/١٥ اقدم حاخام جيش الدفاع الاسرائيلى ، بريجادير شلومو غورين على الصلاة مع جماعة مــن تابعيه فى ســاحة المسجد الاقصى المبارك ، وأعلن عن عزمه على اقامة صلوات اخرى فى مكان آخر من تلك الساحة ، وعلى اقامة كنيس فيها ، بزعم أن الساحــة ليست من المسجد الاقصى ، كمــا ذكرته جريدة هــا أرتس الاسرائيليــة بتاريخ ١٩٦٧/٨/١٦ ·

وبما أن ذلك العمل اثار مشاعر المسلمين حينئذ وادى الى اصدار فتوى دينية من جميع علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بتاريخ ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ الموافق٨/٢٢ سنة ١٩٦٧،تضمنت ان المسجد الاقصى المبارك ، الذى هو مسرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وموطن معراجه ، هو جميع ما دار عليه السور ، ويشمل عمــارة المسجد الاقصى ومسجد الصخرة ، كما يشمل جميع الساحات والاراضى التى هى داخل الســور ، ونظرا لصحــة تلــك الفتوى وسلامتهــا من الناحيتين الدينية والتاريخية ، فقد ايدها المؤتمر الرابع لمجمع البحــوث الاسلامية فى الازهر الشريف المنعقد فى أواخر سنة ١٩٦٨ ، كما اكــد تاييدها المؤتمر الخامس للمجمع الذى عقد بتاريخ مارس سنة ١٩٧٠ ، وقد حضر المؤتمرين علماء يمثلون العالم الاسلامى ·

ويؤيد ذلك كله ما جاء فى كتاب بلدانية فلسطين العربية للأب أ. س. من أن الاقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور ، وان هذا البناء الموجود فى صدر المسجد وغيره من قبة الصخرة والاروقة وغيرهــا هى مكملة له ·

ان لجنة انقاذ القدس تستصرخكم للوقوف فى وجه هذه المحاولــة الاجرامية ، وتعبئة جميع القوى والجهود ، وعلى جميع المستويــات ، لاحباطها ·

سـليمان النابلسى
رئيس لجنــة انقــاذ القــدس



مجالس العلم الزاهرة في عصر الدولة الإسلامية

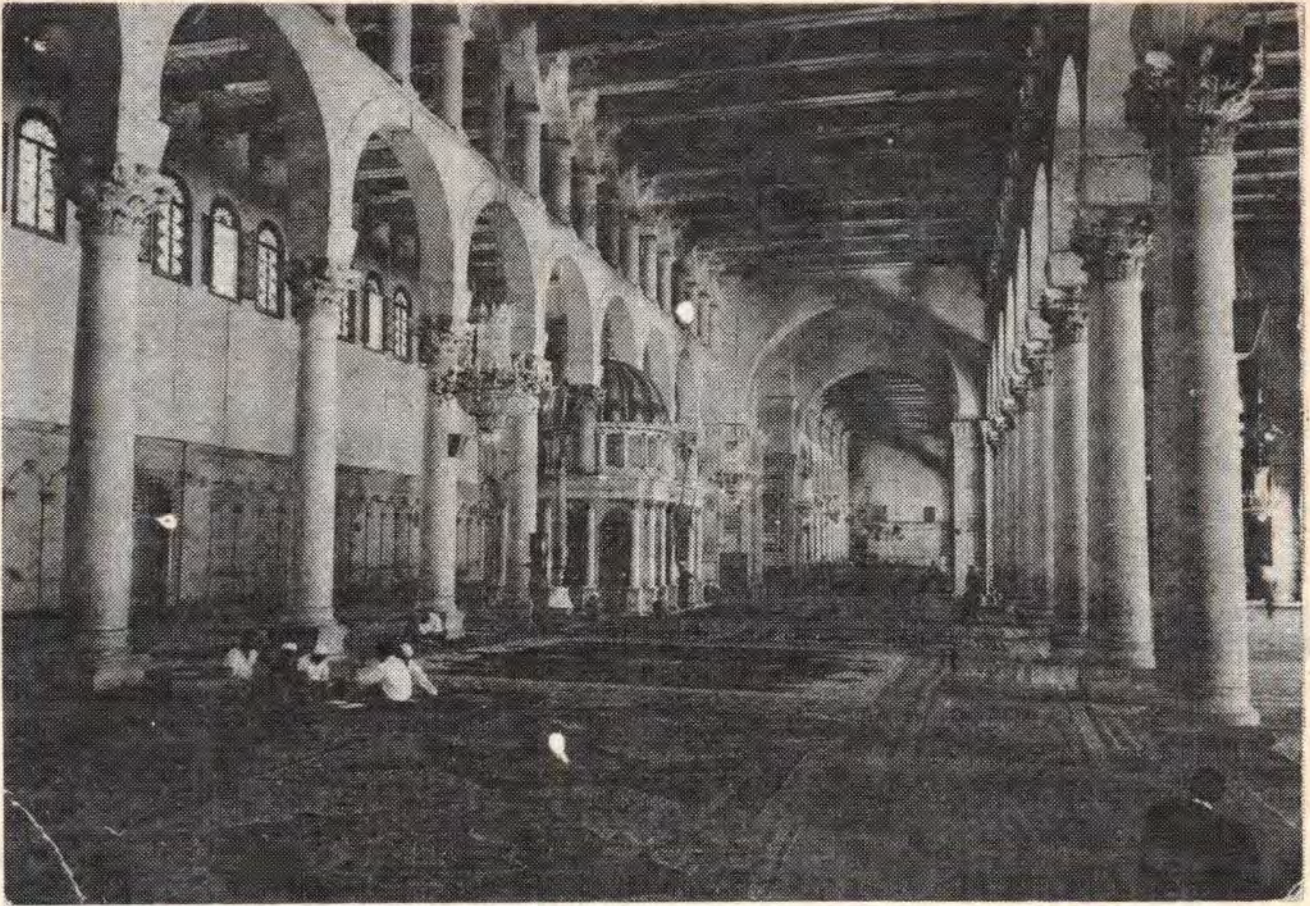
للأستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

كان للمجالس العلمية اثرها فى تقدم العلم وتطوره ، اذ كان العلم من أهم مظاهر الحياة العقلية والانسانية لأنه كان سمة العصر وطابعه ، ولن يقل أثره فى حياة الانسان عن الفن أو الفلسفة أو الدين .

واستطاع العلماء بفضل تشجيع الخلفاء وبما اكتسبوا من خبرات ومران أن يصنفوا المعارف العلمية ، أن يستنبطوا القوانين والمشاهدات والتجارب والملاحظات التى تسجل بعناية ودقة ، وسميت طريقة استقراء النظريات والفروض والقوانين بالطريقة العلمية أو التجريبية وهذه دفعت الابحاث العلمية الى الامام وجعلت العلم ينمو ويتقدم ويتفرع ليشمل آفاقا جديدة .

ولما كان العلم يصنع المعرفة عن طريق البحث المنظم والدراسة المنطقية لنتائج البحث العلمي واصبح للمعرفة العلمية تقاليدها وطرائقها التى تقتضى من الباحث أن يحصر جهده فى تجربة معينة يستوحى منها آراءه وآراء من سبقوه ، ويعنى العلم بدراسة ظواهر الحياة والاحياء عن طريق التجربة والاختبار والمشاهدة ، ويعتبر العالم العربى ابن الهيثم مبتكر الطريقة العلمية التى تجمع الحقائق وفق خطة محددة ودراستها منطقيا لتتمشى مع الواقع ولا ريب أن العلماء الذين يتابعون تطور المسائل العلمية يكتب لهم التوفيق فى دراساتهم وأبحاثهم ، وعندما يمارس العلماء أبحاثهم لكشف الظواهر ويستخدمون ملكاتهم العقلية فى جمع المشاهدات وافتراض الفروض للربط بين المشاهدات ليختبروا حقيقة الفروض أو خطأها ولهذا فالعلم لا يتعلمه الانسان من الكتب لكن يصل اليه بالممارسة الفعلية للتجارب والمشاهدات .

ولقد رفع الدين الاسلامى من قدر العلماء ، وشحذ هممهم وحث على طلب العلم ، وكانت المساجد معاهد علمية تعقد بها الندوات هى فى ذلك



الجامع الاموى من الداخل

مثل قصور الخلفاء والامراء والعلماء وفى داخل المكتبات ، وكان خلفاء بنى العباس يعدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن قصورهم مراكز تشع منها الثقافة والمعرفة وقبلة يلتقى فيهـا العلماء والأدباء وكان المعتضد بالله العباسى قد خصص فى قصره أماكن ومساكن يجلس فى كل واحد منهـا رئيس كل صناعة علمية وصاحب اى نظرية ويمنحهم العطايا ويغدق عليهم الأموال ، وارتبطت قصور الخلفاء منذ العصر الأمـوى بالنـدوات والمجالس العلمية التى بدأت تنمـو وتزدهر بوضوح فى عصر عبد الملك ابن مروان والوليد ابنه .

لكنها بلغت الـذروة أيام بنـى العباس اذ اتخذت هذه القصـور والمجالس أهمية خاصة لتناسب تقدم العصر ورخاء الدولة ، ويشـيد (هوجز) بعصر المأمون ويعتبره أزهى عصور النهضة فى العالم الاسلامى ، اذ كان الخليفة نفسه عالما من جهابذة العلماء واختار رجال دولته من صفوة العلماء وجهابذتهم هذا الى جانـب الأساتذة والمترجمين والمفكرين الذين زخر بهم بلاط المأمون ، ولقد أطنب المؤرخ سيد أمير على فى وصـف بلاط المأمون فقال : (ان بلاطه كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والاطباء والفلاسفة الذين استدعاهم الخليفـة من كـل صوب وشملهم برعايته على اختلاف جنسياتهم) .

ولما ضعفت الخلافة العباسـية وانتقلت المراكز العلمية الى الولايات والامصار الاسلامية فى مصر والشام حيث استقلت هذه الدويلات عـن الدولة الأم عقـدت مجـلس العلم فى قصـور حكـام هذه الدويـلات التى لم تعد تقتصر على المسائـل



ايوان مسجد الرسول بالمدينة

الدينية بل تعدتها الى علوم اللغة والمنطق والطب والفلك فقد شملت الدروس التى ألقيت بالمسجد الطولونى بالقطائع دروس فى التفسير والحديث والفقه والطب والفلك وغيرها .

وهكذا نشأت المدارس التى كانت أول الأمر تقوم بتعليم العلوم الدينية ثم عرفت العلو مالدنيوية « كما كانت تعرف آنذاك » وهى الطب والفلك والكيمياء والصيدلة وقد أمر الخليفة المستنصر أن يعين طبيب حاذق بمدرسة المستنصرية يتعلم على يديه بعض الطلبة وكان بالمدرسة المستنصرية ايوان بوسطه قاعة للمحاضرات وبه مساكن الطلبة والاساتذة وهذه أشبه بالمدينة الجامعية فى العصر الحديث وعلى هذا النحو بدأ ظهور المدارس النظامية وفى سوريا انشأ نور الدين زنكى المدرسة النورية ونشأت فى بغداد وبعض المدن العراقية مدارس

على الاساليب الحديثة أما مدارس الطب فقد اقيمت فى المستشفيات ليمكن التطبيق العملى والنظرى للنظريات العلمية فى مكان واحد حيث يتجمع الدارسون ويجرون التجارب ويشاهدون عمليا الامراض والعمليات الجراحية التى تقع وتحدث كل يوم بين أيديهم .

وجاءت الخطوة التالية بانشاء المكتبات العامة التى كانت تعد لاستقبال أفراد الشعب وكانت المكتبات موضع اهتمام المسلمين لادراكهم فوائدها فخصصوا لها الغرف المتعددة والاروقة الفسيحة واقاموا بها الرفوف لوضع الكتب بينما اتخذوا الاروقة مكانا للمطالعة وبعض الغرف الاخرى لنسخ الكتب والبعض للدراسة والبحث .

وروى المؤرخ المقريزى أن دار الحكمة فى القاهرة لم تفتح أبوابها الا بعد أن تم فرشها وعلقت على جدرانها وجميع أبوابها الستائر وعين لها الخدم الذين



المدرسة المستنصرية ببغداد منظر عام من الداخل يبين المدخل الاصلى للمدرسة بعد صيانتها .

اختصوا بخدمة القراء وتلبية طلباتهم وكانت تضم نحو ثمانية عشر الف مجلد وهى فى متناول كل قارىء ويستطيع اى انسان أن يحصل بنفسه على الكتاب الذى يريد ، واذا وكان للمكتبة فهارس منظمة يشرف على هذه المكتبات علماء ممتازون مثل سهل بن هارون أمين مكتبة بيت الحكمة فى بغداد وعلى بن محمد الشابشتى أمين دار الحكمة بالقاهرة.

وكان بالمكتبات العامة والخاصة المترجمون والنساخ وقد عين فى دار الحكمة بالقاهرة عدد من النساخ ليزودوا خزانة الكتب بما عساه الا يكون موجودا فيها ، كما كان بمكتبة بنى عامر بطرابلس بالشام نساخ لا ينقطعون عن العمل ليل نهار وكانت منزلة العلماء ومكانتهم رفيعة وفى رسالة أحد الخلفاء قوله : « اعلم أن مواقع العلماء من تلك مواقع السرج المتألقة والمصابيح المتعلقة ، وعلى قدر تعاهدك تبذل الضياء ، وتجلو بنورها صور الأشياء » .

وكان العلماء مراتب يعين كبيرهم صغيرهم يأخذ بيده ويعاونه حتى يغدو من العلماء وهناك الشيوخ « الاساتذة الجامعيون » وهناك المدرسون والمعيدون ومهمتهم اعادة الدرس بعد انتهاء الشيخ من القائه فالمعيد يجلس مع الطلاب لسماع المحاضرة ثم يقوم بشرح النقط الصعبة على محدودى الذكاء ، وكان المعيدون يصحبون الاساتذة ويعملون معهم ، وكان للعلماء زى خاص يميزهم عن غيرهم

ويروى ليد بول عن الأزهر قوله : انه كان يجتمع فيه الطلاب من مختلف البلاد الاسلامية من ساحل الذهب حتى الملايو وحدد رواق خاص لكل قطر من الاقطار ويتلقى الطلاب دروسهم على شيوخ أجلاء ورعين وهكذا كان الأزهر نموذجا لمجانية

التعليم للطلبة على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم من غير تمييز لعنصر أو طبقة من الطلاب .

وقد تعددت المراكز العلمية فـي المدينة والكوفة والبصرة والقاهـرة واليمن وأصبح لكل مدرسة طابعهـا المميز وكان الطلبة يسعون الـى حلقات الدرس لينتفعوا بعلم الاساتذة كما كانوا يرحلون فى حماس بالـغ عبرآسيا وافريقيا وأوروبا ثم يعودون الى بلادهم ويعكفون على التـدوين ويؤلفون كتبا أشبه بدوائر المعارف وهذه الكتب كانت مصادر العلـوم الحديثة .

ومن اشهر العلما الرحالة ياقوت الحموى وابن جبيـر وابن بطوطة والمقدسى وغيرهم وهؤلاء كانـوا رواد البحث والتأليف فى العصـور الاسلامية .

الجامع الازهر فى القـاهرة



صحن جامع ابن طولون وبه قبة ومنارة المنصور

وهكـذا سـطعت الحضـارة الاسلامية فى هذه العصور الزاهرة لتشجيع الخلفاء للعلماء وكيف هيأوا الاسباب لنشر العلم والمعرفة فـى أرجاء الدولة الاسلامية مما جعل هذه الحقبة خاصـة القـرن الخامس الهجرى أزهى عصور البحث العلمى عبر العصور الاسلامية .

الرافعي

محمد رجب البيومي

المعارك الفكرية اللافحة التى نشبت بين الرافعى وغيره من الأدباء ، كانت وما تزال على المستوى الفكرى من أخصب المعارك التى شهدها هذا القرن ، وان كان قد تخللها كثير مما لا يتلاءم مع روح البحث العلمى المحايد الذى يجب أن يكون دائما على مستوى الحوار الثرى والعف والرشيد .. ولقد يخيل الى ان طبيعة « الموضوع » الذى دار من حوله هذا الحوار كانت السبب فى جنوح كل الأطراف المتصارعة الى هذا الشطط أو قل هذا الاسراف .. وأعتقد أننا لسنا فى حاجة الى تأكيد أن الحوار ينفعل الى درجة التوتر حين يكون التراث أو الدين أو اللغة أو الموقف الحضارى للأمة هو محور هذا الحوار .. وهذا هو ما حدث بالفعل — حتى لقد خاض الرافعى المعركة « تحت راية القرآن » — اسم واحد من كتبه — لأنه كان يستشعر أن الهجوم على الأدب العربى أو اللغة العربية هجوم على خصائص الوجود العربى المسلم فى الصميم ، وليس مجرد ثورة عارمة تريد أن تضع الأدب واللغة فى مهب الرياحات النقدية المعاصرة حتى يأخذا وجههما المعاصر والحضورى ، ويكتسبا من خلال هذا اللقاء حصانة أقوى ضد عوامل التفتت أو التخلف أو الجمود !!

لقد كان الرافعى رجلا يقاتل وهو يكتب .. حتى حين يتصدى للغابرين فى موقفهم من قضية الاعجاز القرآنى تراه ثائرا ومقاتلا بسلاحه المألوف الذى هو « العاطفة » وهذا وحده يؤكد أن موقفه من المجددين وعلى رأسهم طه حسين لم يكن تعصبا منه ضد فرد معين أو جماعة معينة أو مرحلة بذاتها .. بقدر ما هو تعصب لفكرة .. أو عقيدة .. أو قضية آمن بها ايمانه بالحياة !!! وحتى لا نرسل الكلام عاريا من الدليل فسنسوق هنا مثالين من كتابه (اعجاز القرآن) لنرى الى أى حد كان الرافعى « عاطفيا »



المقاتل تحت راية القرآن

للأستاذ : محمد أحمد العزب

فى حواره الفكرى ، وغير متعصب ضد « واحد » بعينه من الناس ، وانما هو غاضب لدينه ولغته وقرآنه . .

فى صفحة ٤٧ وفى معرض التعليل لنزول القرآن بلغة قريش يقول الرافعى : « ان طائفة من الناس يذهبون الى أن القرآن لو هو قد نزل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير القرشية لكان ذلك وجها من اعجـــازه تلتمس به الحجة ويستبين الظفر ، ولخلى عنه العرب فترة وعجزا ، وهو زعم لا يقول به الا أحد رجلين : من لا يدرى كيف يقول . . أو من يقول ولا يبالى أن يدرى انك مطلع منه على جهل وسفه » !!

حقيقى . . أن الرافعى بعد هذا التوتر العاطفى فى رده على زعم من زعم أو قول من قال ، دافع دفاعا رائعا عن نزول القرآن الكريم بلغة قريش . . ولكن ذلك لا يعفيه ــ وهو الكاتب المسلم الملتزم ــ من لوم يوجه اليه على ما اسلف من تجهيل وتسفيه ولا أدرية لراى المعارضة مهما كان هذا الراى باطلا ومرفوضا . . وهو بالتأكيد باطل ومرفوض !!

وفى فصل « تأثير القرآن فى اللغة » من كتاب الاعجاز أيضا يعرض الرافعى لآيات من القرآن الكريم كوثيقة من أروع ما يمكن أن نواجه بـــه مطاعن الحاقدين على هذا الدين السوى ، الا انه كشأنه دائما يقف مـــن الآيات موقفا يحدده اطار من التوتر والانبهار العاطفى الذى يلون كتاباته أبدا . . ولقد كان فى استطاعته ان يعرض هذا الموقف فى اطار من الحوار العقلى العميق الذى يتناول القضايا تناولا مقارنا ذكيا يهدف الى مقابلة كل شىء بكل شىء ، ثم ينتهى الى « حقيقة علمية » تؤكد أن مشارق الضوء فى تراثنا أغنى من مشارق الضوء فى كل التراثات . . الا أنه لم يفعل بل لجأ الى التحديق العاطفى المبهور فى النص . . ونسى أو كاد أن قضيتـــه

الاولى هى أن يقنع بالدليل لا بالسوط .. وأن يكتب بالقلم لا بالخنجر !!!
لقد كان الرافعى كما أسلفت قضية عاطفية صادقة ، وقد نضح ذلك على أسلوبه فى معالجة الأشياء ..

وكان رجلا يغار على شرقه العربى المسلم ، ويرى فى مجرد ارتباط رجل شرقى بامرأة أوربية ـ مهما كان هذا الارتباط على مستوى الفردية وليس على مستوى الظاهرة ـ شيئا يدمر مملكة العرف ، ويهز قواعد الأخلاق !!

فى فصل « الربيطة » من كتابه الرائع « السحاب الاحمر » يشهر الرافعى الغيور قلمه المقتدر سلاحا على واحد ممن ارتبط بأوربية على هذا النسق فيصفه مثلا بهذه الكلمات : « وكان من هؤلاء الفتيان الذين اذا تعلموا فى أوربا نفوا جهلهم بالعلم ، ثم نفوا علمهم بجهل آخر ، ثم جاءونا كحرفى النفى : ما .. ولا. .فليس منهم الا التكذيب والانكار والشك .. وتراهم أظرف وأجمل وازهى من فراشة الربيع ، لا يريدون الحياة الا أزهارا ، ولا يطيقونها الا ربيعا ، وعلى أزهارهم وربيعهم فليس لنا منهم الا نقط من الالوان ، وأصوات من الطنين ، وأجسام ليس فيها رجالها » !!

هكذا يصور الرافعى واحدا من هؤلاء .. فاذا سلمنا بكل مضمون ما قال فنحن لا نستطيع من خلال منظور اسلامى قاصد منضبط أن نسلم باطار ما قال .. ولو أنه خلص هذا الفصل الرائع بحق « الربيطة » مما فيه من عرامة وتجهيل للآخرين .. لتبقى لنا منه بعد ذلك واحد من أروع ما كتب فى هذا الصدد .. بعيدا عن كل اسراف فى الحكم أو مغالاة فى التقدير .. فالرافعى لا يقف من المسألة موقفا دائريا يغلق الحديث فيها حول نقطة واحدة لا يتعداها الى غيرها كما يفعل الكثيرون .. ولكنه يتنقل بفكره الطائر .. وحساسيته المرهفة .. فى كل زاوية من زواياها .. قادرا فى كل سطر من سطورها على طرح الاسئلة وعلى بذل الاجابات

ان غيرة الرافعى على شرقه .. وعروبته .. واسلامه .. مرتبطة فى ذهنه بمواريث كثيرة .. بالخوف من تتارية أخرى تولد على أرض المنطقة .. يمهد لها فكر منحل .. وعرى مفكوكة .. وعزم شليل !!! وبالخوف من هولاكو آخر يدمر فى زحفه وجه حضارة الشرق !!! وبالخوف من شعوبية من لون جديد تسدل بظلام قلبها الواغر آلاف الأقنعة السوداء على روح تاريخنا كله .. فى القديم والحديث !!!

ولندع هذا التجريد الذى ربما تحيفنا فيه الرافعى أكثر مما أنصفناه .. الى نوع من التحديد المسئول فيه للرافعى منطلقات تحدد مساره الفكرى والعاطفى جميعا فى تصديه للدفاع عن الدين واللغة ..

أول هذه المنطلقات : ابراز الحقائق الموضوعية الكبيرة التى ينطوى عليها الاسلام كدين شمولى ابرازا مجردا وفاهما وعميقا ، وربما استبان ذلك أكثر فأكثر فى كتابه « اعجاز القرآن » فهو فى هذا الكتاب يحرك القضايا تحريكا موضوعيا عميقا ، وان لونته فى بعض اللحظات أو كثير منها انفعالات عاطفية صاخبة كم كان يكون رائعا لو انه تحاماها عبر كل السطور !!

وثانى هذه المنطلقات : الدفاع البطولى عن الاسلام ضد كل المفتريات التى تستضرى دائما من حوله ، ويستبعلن ذلك أوضح فأوضح فى كتابيه

« تحت راية القرآن » و « وحى القلم » فلقد خاض الرجل معركة فكرية وعقائدية معا .. واجه فيها كل انماط القوى وكل اشكال الصراعات ، ولم يكن منازلوه ناسا من الناس الذين يمكن أن يظفر بهم فى جولة او جولات .. وانما كانوا طلائع فكرية مثقفة ومدربة على الحوار .. سلحتها الثقافة الهائلة بكل الوان القدرة على مواصلة الجدل .. مما يصعب معه أن يتصدى لدفع تيارهم جيل بأكمله لم تتح له المكونات الثقافية التى اتيحت لهم .. فضلاً عن واحد فقط من الناس .. ولكن الرافعى والحق يقال صمد فى معركته حتى النهاية وهو وان يكن قد كبا فى بعض جولاته الا انه انتصر كذلك فى كثير منها ، وحسبك من رجل ان يجابه طوفانا ويظل صامدا شامخا لا يحنى له رأسا !!

وثالث هذه المنطلقات : التسلق الى آفاق النضال عن الدين واللغة من خلال التأمل الكونى ، والتصوف العاكف فى رحاب الطبيعة ومجاليها الفساح .. ويتضح ذلك أشمل فأشمل فى كل كتبه الأخرى اذا استثنينا منها ما وقفه على فلسفة الجمال والحب « كرسائل الاحزان » و « اوراق الورد » .. حتى هذه أيضا لم تكن تخلو من الحوار الهادف الى تجلية غوامض الاسرار فى الكون ، وسيطرة القوى الخالقة على نمط الاعجاز فى تدافع سيرها المنتظم العجلان فى آن !!

هذا التقسيم .. لا يعنى أن كل طائفة من الكتب تنهض بمضمون محدد يشكل فى النهاية منطلقا معينا لا يتعداه الى غيره من المضامين .. فقد تتشابك المضامين وتختلط .. ربما اكثر فى كتبه التى لا تقوم على منهج مسبق .. فهذه فى مجموعها تضم مقالات متعددة ، ان دار اكثرها حول محور واحد فلا يلبث باقيها أن يدور حول محاور مختلفة .. نستطيع أن نرى ذلك مثلا فى كتابه الرائع « وحى القلم » ومثله فى كتابه « المساكين » الا ان ذلك لا ينفى أن كتبا بكاملها تنهض على محور واحد تدور حوله ولا تخرج عليه .. ككتابه الفذ « اعجاز القرآن » فلقد محضه الرافعى من بدئه لختامه .. لفكرة الاعجاز لا يتعداها الى غيرها ابدا !!

وبعد ..

فان أقلاما ضارية ومتسرعة قد حاولت أن تهدم فى الرافعى قلعة من قلاعنا الشاهقة .. ولكنها لم تفلح فى ذلك على ما يخيل الى .. وان كانت قد افلحت فى شىء قريب منه .. هو انها استطاعت أن تعطى للجماهير القارئة عن الرافعى انطباعا صرف عنه كتلا هائلة من الجماهير تحت زعم انه كاتب « متحفى » يعيش فى عصر غير هذا العصر .. أو انه كاتب ضحل المفاهيم لا شىء عنده يقوله وانما هو يلجأ الى تعمية الاشياء حتى يقال انه فيلسوف .. الى آخر هذه المطاعن الراعنة التى يجب أن نواجهها على مستوى التحرر الكامل ، فنقول فى الرافعى ما له .. وما عليه .. دون أن يجذبنا عدم الفهم الى مناطق الرجم بالحجارة لواحد من اخصب كتابنا الغيورين فى هذه الحقبة .. وآمل أن اكون قد اضأت بصيصا من هذا الذى أرجوه عبر هذه المحاولة فى هذه السطور !!

من قصص القرآن

مَريم العَذراء والمسيح
عَليهما السّلام..

للدكتور : مصطفى عبد الواحد

« إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » .

سورة آل عمران سورة مدنية نزلت بعد سورة الأنفال وفيها مائتا آية ، وسميت بآل عمران لأنه ورد فيها قصة مريم بنت عمران وابنها عيسى عليه السلام ..

. . . .

حنة بنت فاقود : انظر يا عمران الى هذا الطائر الذى يزق فراخه .. يا له من حنان يحرك القلوب !

عمران : لماذا تذكرين هذا يا حنة .. أولست راضية بحكم الله ؟ إنه يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور .. وهو كذلك يجعل من يشاء عقيما ..

حنة : لست ساخطة على حكم الله يا عمران .. ولكن رحمته وسعت كل شىء .. ولا حرج على فضله ، فماذا لو تمنيت أن يمن علىّ بوليد ..؟!

. . . .

عمـــــران : أنت وذاك يا حنة .. ولا أملك الا أن أدعـو الله أن يحقق رجاءك ، وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار .
(واستجاب الله لدعاء حنة وزوجها عمران ، وحملت حنة بعد أن كانت عقيما) .

حنة (في فرح) : إنك لمبارك يا عمران .. ما أسرع مـا استجاب الله لدعائك ..

عمـــــران : فلتقرى عينـا يا حنة .. وليكن لك في هـذا المولود المنتظر خير وبركة .

حنـــــة : إنني لا أجد ما أشكر به ربي واستزيد من نعمته إلا أن أجعل ما في بطني نذرا لله .. حبيسا للعبادة والخدمة في بيت المقدس ..

عمـــــران : ذلك بعض ما يجب علينا من الشكر لنعمة الله ..
(وجاء حنة المخاض ، ووضعت مريم عليها السلام) .

حنـــــة : « رب .. إني وضعتها أنثى » .

عمـــــران : ما هذا يا حنة ؟ أوليس الله أعلم بما وضعت ؟

حنـــــة : بلى يا عمـران .. ولكني نذرت مـا في بطني محررا لخدمة بيت المقدس وهـذه أنثى .. « وليس الذكـر كالأنثى واني سميتها مريم (رباه) .. واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ..

عمـــــران : ما أرى الا قد استجيب لك يا حنة .. فما من مولود الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا ، أما مولودتك هذه فقد ولدت هادئة مبتسمة ، وتلك بشارة القبول .

حنـــــة : إنها نبتة مباركة ، نذرتها لله قبل أن تولد ، ولا بد أن أغرسها في مهد العبادة ، وأجعل كفالتها بيد الرهبان خدام بيت المقدس .
« فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نبـاتا حسنا وكفلها زكريا» .

قـال زكريـا : أيها العباد القانتون .. تلك مريم بنت عمران جاءت بها أمها بعد أن وضعتها الى المسجد ، تريد أن يقوم على كفالتها عباد الله ..

الرهبـــان : أهلا بها فرعا مباركا من شجرة مباركة .. ابنة شيخنا وإمامنا عمران ..

زكـــريا : أتأذنون لي بكفالتها أيها الرهبان ؟

الرهبـــان : كلنا نريد ذلك الشرف يا نبي الله ..

قـال زكريـا : فلنقترع على هذا الأمر ، فأينما خرجت قرعته رضينـا به كفيلا لمريم ..

الرهبـــــان : نعم .. نعم .. ذلك فصل الخطاب ..
قـــال زكريـــا : ليلق كل منا قلمه فى النهر .. فأينا جرى قلمــه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ..
« وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم اذ يختصمون » .
(فكان زكريا عليه السلام هو الغالب لهم ، فكفلها اذ كان احق بذلك شرعا وقدرا .. وكان ذلك تشريفا لمريم وتكريما ..)
قـــال زكريـــا : ليس لك من عمل يا مريم إلا العبادة .. وليس لك من دار الا المسجد .. وقد جعلت لك فيه مكانا لا يدخله سواك تعبدين فيه ربك .. وتقومين بما يجب عليك من سدانة بيته .

. . . .

راهـــــب : اى بركة تلك التى أصابت تلك الفتاة .. لقد أصبحت مريم ابنة عمران مثلا فى العبادة لبنى اسرائيل ..
قـــال زكريـــا : إنى لأعجب من أحوالك الكريمة يا مريم .. كلما دخلت عليك المحــراب وجدت عندك رزقا غريبــا .. فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهــة الشتاء فى الصيف فــأنى لك هذا ؟!
مريـــــــم : « هو من عنــد الله ، ان اللــه يرزق من يشاء بغير حساب » .
قـــال زكريـــا : ما أوسع رحمتــك عــلى عبادك يا رب .. وما أسبغ نعمتك على من يخلصون فى عبادتك ، فلا حرج على إن طمعت فى فضلك .. يا من يرزق مريم الثمر فى غير أوانه هب لى ولدا ، وان كان فى غير أوانه ..
« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء » .

. . . .

مريـــــــم : رباه .. لقد أخلصت هى عبــادتك .. فهل اطمع فى قبولك .. واستشرفت الى رضاك فهل أنال رحمتــك يوم القاك .. لو أعلم عملا يقربنى اليك أكثر مما أعلم لسارعت إليه .
« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهــرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربــك واسجدى واركعى مع الراكعين » .
مريـــــــم : ما ابهى طاعتك يا مولاى .. وما أشرف السجود لك .. وما أكرم الوقوف بين يديك .. ان لطاعتك لذة أحلى من الدنيا وما فيها ..

. . . .

« اذ قالت الملائكة يـا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكـلم الناس فى المهـد وكهـلا ومن الصالحين » .

مريـــــم : رباه .. ماذا أسمع « انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » ماذا يقول عنى قومى ..؟
« قال كذلك الله يخلق ما يشــاء اذا قضى أمرا فانمـا يقول له كن فيكون » .
« واذكـر فى الكتاب مريم إذ انتبـذت من اهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » .

مريـــــم : ماذا يقـول عنى بنو اسرائيـل حين يعلمون اننى قد حملت .. هل يصدقون بآية الله ..؟ أم تنطلق منهم السنة السوء .. رباه فاجعل لى من هذا الهم مخرجا .

. . . .

يوسف النجار : ماذا بك يا مريم ؟..
مريـــــم : لا شيء يابن الخال ، فماذا ترى بى ؟
يوســـف : هل يكون زرع من غير بذر ..؟
مريـــــم : نعم يا يوسف .. والا فمن خلق الزرع الاول ؟
يوسف النجار : ما اعجب أمرك .. هل يكون ولد من غير ذكر ؟
مريـــــم : نعم يا يوسف .. ان الله خلق آدم من غير ذكر ولا انثى
يوســـف : فأخبرينى خبرك يا مريم ..
مريـــــم : ان الله بشرنى بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم النـاس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ..
يوســـف : ما اعظم المعجـزة .. ولكنى اخاف عليـك السنة بنى اسرائيل وأنت القانتة الطاهرة .
مريـــــم : حسبى علم الله .. وانه لقادر أن يبرئنى ويظهر طهارتى من كل دنس ..
يوســـف : فلتكن إرادة الله ..

. . . .

« فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » .

مريـــــم : إلهى .. هكذا شاءت إرادتك ان تبتلينى .. وأن تجعل منى آية للعالمين .. ولكنى حملت من الهم ما تنوء بـه الجبال .. فماذا يقول عنى بنو اسرائيل حين ادخـل

عليهم بغلام احمله على يدى .. وانا من بيت النبوة والديانة ..

« فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا فقولى : إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا » .

ومضت أربعون يوما .. ورجعت مريم الى قومها بعد أن افتقدوها .. وهى تحمل ولدها ..

الرهبان : ما هذا يا مريم .. من اين لك هذا الغلام ؟..

صوت : « لقد جئت شيئا فريا » .

صوت : « يا أخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا » .

« فأشارت اليه .. » .

الرهبان : « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » ..

تلاوة : « قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا » .

. . . .

راهب : ما اعجب تلك الآية التى ظهرت فى مريم وابنها عيسى.. لقد تكلم فى المهد وبراها من كل فرية ..

راهب آخر : او ما علمت برسل ملك الفرس ؟.. لقد ظهر نجم عظيم فى السماء ، فأشفق ملك الفرس من ظهوره وسأل كهنته عنه فقالوا هذا لمولد عظيم فى بيت المقدس .. فبعث رسله الى الشام .. حتى قدموا بيت المقدس بهداياهم الى مريم ..

الراهب : لقد علمت بهذا الوفد .. وعلمت أن ملك الفرس بعث مع هذا الوفد من يقتل عيسى بعد أن يخرج رسل الملك الذين يحملون الهدايا اليه ..

(وخرجت مريم هاربة بابنها عيسى ، فذهبت به الى مصر وأقامت به حتى بلغ اثنتى عشرة سنة .. ثم امر الله عيسى وامه ان يخرجا من مصر ويرجع الى بيت المقدس ، فأقام بها حتى علمه الله التوراة وأوحى اليه الانجيل ، واظهر على يديه الآيات ..)

« واذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس » .

. . . . .

(وبينما كان عيسى عليه السلام يتعبد فى رأس جبل إذ جاءه ابليس .)

ابليس : يا عيسى .. انت الذى تزعم ان كل شيء بقضاء وقدر ؟
قال عيسى : نعم .. يا عدو الله ..
ابليس : فالق بنفسك من هذا الجبل وقل قدر عليّ ..
قال عيسى : يا لعين ، ان الله هو الذى يختبر العباد وليس العباد هم الذين يختبرون ربهم ..
ابليس : يا عيسى .. انت الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تكلمت فى المهد صبيا .. ولم يتكلم فيه احد من قبلك !
قال عيسى : بل الربوبية للاله الذى انطقنى ثم يميتنى ثم يحيينى .
ابليس : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تحيى الموتى .
قال عيسى : بل الربوبية لله الذى يحيى ويميت من أحييت ثم يحييه .
ابليس : لا يا عيسى .. إنك لإله فى السماء وإله فى الأرض ..
قال عيسى : امض عنى يا لعين . اللهم انصرنى عليه ..
(وجاء جبريل فصك ابليس بجناحه صكة خسفت به الأرض .. فخرج وهو يقول :)
ابليس : ما لقيت من احد مثلما لقيت من عيسى ابن مريم .. انه لعبد معصوم ليس لى عليه من سبيل .. وسأضل به بشرا كثيرا .. وابث فيهم أهواء مختلفة .. وأجعلهم شيعا يجعلونه وأمه إلهين من دون الله ..

. . . .

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولا الى بنى اسرائيل » .
قال عيسى : يا بنى اسرائيل .. إنى رسول الله إليكم .. لاقيم لكم التوراة ولأجدد فيكم التوحيد والايمان ..
اصوات : رسول جديد ..؟ ما لنا وله.. ان فى أيدينا توراة موسى
صوت : أتستطيع يا عيسى أن تخبرنى بما خبأت فى بيتى ؟..
(ضحك واصوات استهزاء ...)
قال عيسى : لا تعجبوا ولا تهزأوا يا بنى اسرائيل ، فان الله قد أيدنى بروح القدس .
تلاوة : « وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » .
(ومضى عيسى فى دعوته لبنى اسرائيل وآيات الله تؤيده بالمعجزات ، وكان اعظم معجزاته احياء الموتى باذن الله .. وكان اول ما أحيا من الموتى انه مر ذات يوم على امراة تبكى عند قبر :)
قال عيسى : مالك ايتها المراة ؟
المراة : ماتت ابنتى ، وليس لى ولد غيرها ، ولقد عاهدت ربى ان لا ابرح من موضعي هذا حتى أذوق ما ذاقت من الموت أو يحييها الله فأنظر اليها ..
قال عيسى : فان نظرت اليها .. اترجعين وتتركين هذا المكان ؟
المراة : نعم .. فكيف لى بذلك ..؟

قــال عيســى : صبرا .. سترين الآن .. قومى أيتهــا الفتــاة باذن الرحمن فاخرجي ..

(وخرجت الفتاة من القبر ، ثم أقبلت على أمها فقالت :)

ــ يا أماه .. ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين .. يا أماه اصبرى واحتسبى فلا حاجة لى فى الدنيا .. وأنت يا روح الله وكلمته سل ربى أن يردنى الى الآخرة وأن تهون على كرب الموت .

المــراة لعيسى : يا لك من مبارك أيها الرجــل .. ما كنت أدرى انك عيسى بن مريم .. أشهد انك رسول الله ..

. . . . . .

(وبلغت اليهود تلك المعجزات فكانوا يزدادون عليــه غضــبا .. وكان الكافرون والمنافقون يزدادون شــكا وكفرانا .. فوشوا به الى الحاكم الرومانى بيلاطس .)

« ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » ..

يقــول عيسى : يا معشر الحواريين .. احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة .. هــا قد فرغتم من طعامكم فدعــونى أغسل أيديكم وأوضئكم بيدى ..

الحــــواريون : معاذ الله يا روح الله وكلمته ..

يقــول عيسى : من رد علىّ شيئا الليــلة مما أصــنع فليس منى ولا أنا منه ..

الحــــواريون : ماذا أردت بذلك الذى صنعت بنا ..؟

قــال عيســى : أما ما صنعت بكم الليلة فليكن لكم بى أسوة ، فلا يتعظم بعضكم على بعض .. وليبذل بعضكم لبعض نفســه كما بذلت نفسى لكم ..

الحــــواريون : سمعا وطاعة يا نبى الله ..

قــال عيســى : ثم ان لى اليكم حاجة أستعينكم عليها .. تدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر أجلى ..

وقام الحواريون يدعون فأخذهم النــوم فلم يستطيعوا الدعاء وكأنما حيل بينهم وبينه ..

قــال عيســى : سوف يذهب بالراعى وتتفرق الغنم ــ أيها الحواريون ، الحق أقول لكم .. ليكفرن بى احدكم قبل أن يصــيح الديك ثلاث مرات .. وليبيعنى أحــدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى ..

الحــــواريون : ويل لنا ان فعلنا ذلك ..

« وإذ قال الله يــا عيسى إنى متوفيك ورافعــك الىّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فــوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » .

. . . . . .

رُكْن الموسُوعَة الفقهِيَّة

تحرره : إدارة الموسوعة

الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى (١)

نتناول فى هذا العدد بحث وجه ثالث من وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى ،وهو كونها مرحلة تمهيدية للاجتهاد والتشريع المعاصر ..

***

ويخطىء من يظن أن الموسوعة نفسها تصلح تشريعا يسد حاجة العصر ، فحاجات العصور متجددة ولا بد لسدها من نظم اجتماعية واقتصادية وسياسية وتشريعية متطورةمع الزمن ،مرنة مع الحاجات متغيرة بطبيعة الحال من بلد الى بلد ومن زمن الى زمن ، ضمن اطار القواعد العامة والمقاصد الاساسية للشريعة الاسلامية ..

والفقه الاسلامى ــ الذى تعنى الموسوعة بجمعه وتنسيقه وحسن عرضه بمختلف مذاهبه ــ جاء نتيجة اجتهاد الفقهاء على مر العصور سدا لحاجات بيئاتهم وازمانهم التى تختلف بطبيعة الحال عن بيئتنا اليوم، لذلك يكون من الجمود ان نعتبر اجتهادات الفقهاء الاقدمين اجتهادا ملزما لنا بكل جزئياته وفرعياته نقف عنده ولا نتعداه ، دون تمييز بين ما هو من المراكز الشرعية الثابتة ، وما هو مرتبط بظروف الزمان والمكان المتحولة ، فسنة الحياة وتطور الحاجات يقتضيان منا تطورا ومرونة فى التشريع ..

ولا يعنى هذا التطور وهذه المرونة ان يصبح التشريع تابعا يسير فى ركاب الحياة ويخضع لتياراتها ..

بل لم يقل بذلك احد من علماء

---

(١) ورد فى المقال السابق بعدد ذى الحجة خطأ يلزم التنبيه اليه بصفحة ١٠ سطر ٣٢ تحت « خامسا » اذ ورد ان « الثاني يقابلهعدم الانعقاد » والصحيح أن « الثانى يقابله الانعقاد » .

التشريع الوضعى انفسهم ، لان للقانون وظيفة اجتماعية لا بد ــ كى يؤديها على وجهها ــ ان يكون هادفا تحقيق اغراض معينة ، تضيق وتتسع بحسب حاجة الناس والحياة ولكن يبقى للقانون ، وظيفة تجعله يضع للحياة ــ مع تطورها ورغم تياراتها ــ معالم توجهها وقواعد ترتكز عليها وخطوطا عريضة تسير فى حدودها ولا تخرج عنها لانها تمثل حدود النظام العام للحياة الاجتماعية فى نظر الشارع . هذه المعالم والقواعد والخطوط العريضة هى الجزء الثابت من القانون الذى يعلو به على تطورات الازمان وتغيرات البيئات .

فكذلك يلزم التفريق ــ فى ظل الاسلام ــ بين نصوص الشريعة الاصلية التى تتضمن هذه المعالم والقواعد والخطوط العريضة التشريعية ، فى الكتاب العظيم ، وسنة الرسول الكريم صلى اللهعليه وسلم وتضع للحياة قيمها العليا ، وبين اجتهادات الفقهاء التى حاولوا بها تطبيق هذه القيم والقواعد على بيئاتهم وعصورهم سواء فيما هو ثابت الاعتبار ، وما هو مرتبط بالبيئة والعصر .

ومن هنا كان قولنا ان الموسوعة ــ بما تجمعه من اجتهادات الفقهاء ــ لا تصلح تشريعا يسد حاجة العصر ، لا من وجهة النظر الاجتماعية ولامن وجهة النظر الاسلامية نفسها ،وانما تقدم الموسوعة الفقهية للمجتمعات الاسلامية المادة التى تستمد منها المجتمعات التقنين الاسلامى المناسب لها فى عصرها وبيئتها . .

وهنا يرد تساءل لا بد منه . .

لماذا لا تنصرف الموسوعة اذن عن جمع هذا التراث من اجتهادات الفقهاء السابقين الى وضع اجتهادات جديدة لمجتمعنا المعاصر ، والحاجة داعية الى هذه الاجتهادات التى تكون فى مجموعها التشريع الاسلامى للعصر الذى نحياه . .

وهو تساؤل فى محله ، من حيث الدافع اليه ومن حيث منطق التفكير نفسه . .

بيد أن النظر الفاحص الى ما تستهدفه الموسوعة من جمع الفقه القديم وتصنيفه ، يظهر لنا ان الموسوعة لم تنصرف عن ذلك الواجبمن وضع الاجتهادات الجديدة للحياة المعاصرة ، وانما هى تسير فى طريق التهيئة الى أداء ذلك الواجب من نقطة الانطلاق السليمة التى تعتبر عملية جمع الفقه القديم وتصنيفه اولى مراحلها ، وليست بحال من الاحوال هدفها النهائى ولا مقصودها الاساسى . .

ولبيان اهمية هذه المرحلةالتمهيدية بل وضرورتها ، ينبغى أن نشير الى انه يلزم المجتهد أن يعرف النصوص الشرعية ــ فى الكتاب والسنة ــ التى تحكم المسألة التى هو بصدد الاجتهاد فيها ، كما يلزمه أن يعرف مختلف الآراء التى ذهب اليهاالفقهاء من قبله ــ لا على اساس التقيد بما ذهبوا اليه ــ ولكن لمعرفة دليل كل منهم وما احتج به لرأيه ، لان ذلك مما يعين المجتهد فى فهم النص الشرعى الذى يحكم المسألة . .

ولا شك فى اهمية عمل الموسوعة فى هذا المجال اذ تجمع فى موضع واحد ، وبصورة منسقة مقارنة ، ما تشتت فى عشرات الكتب من آراء المذاهب المختلفة .

وإذا كان عمل الموسوعة مهما ومفيدا بالنسبة الى علماء الشريعة، فهو ضرورة لغيرهم من العلماء المختصين فى غير المسائل الشرعية كعلماء القانون والاقتصاد والاجتماع والسياسة والطب والتربية وغير ذلك من العلوم الحديثة التى يحتاج الاجتهاد فى عصرنا الحاضر الى تعاون العلماء المختصين فيها مع العلماء الشرعيين على تحقيق مقاصد الشريعة وتطبيق نصوصها فيما يستجد من المشكلات التى يحيط أولئك الخبراء المختصون بمعرفة ابعادها وحلولها ..

ثم ان الاجتهاد المعاصر لا يجوز أن يكون منقطع الصلة بالماضى وخبراته ، فان الحلول التى وضعها الفقهاء الاقدمون لم تقتصر فائدتها على الناحية العلمية ، بل وضع الكثير منها موضع التطبيق فى حياة الناس سواء فى صورة فتاوى عمل بها الافراد أم احكام تقضى بها القضاة أم نظم أمر بها الحكام ، ولا شك فى فائدة وضع هذه الخبرات الماضية تحت نظر المجتهد المعاصر حتى يكون على بصيرة من تجارب القرون الماضية فى مختلف بلاد الاسلام

ليس الاجتهاد والتشريع مجرد راى يطلق او مادة تكتب ، وانما هو عملية معقدة يتفاعل فيها ادراك مرمى النص وحكمته مع وعى لواقع الحياة المتشابك ، فى ضوء خبرات اسلافنا من المسلمين ومعاصرينا من غير المسلمين .. ولا يجوز أن نكون اقل حرصا على اتقان العمل التشريعى من السويد مثلا التى ظلت تعد لتعديل قانونها الجنائى الصادر سنة ١٨٦٤ منذ الحرب العالمية الاولى حتى صدر التعديل فى سنة ١٩٦٢ . ولا ان نكون أقل تقديرا لميراثنا الشرعى من اسرائيل التى ما زالت مجلة الاحكام العدلية فيها قانونا مدنيا عاما امتدادا من عهد الحكم الانكليزى ، وقبله العهد العثمانى ، وهى فى عهد الاغتصاب والحكم الاسرائيلى لا تزال نافذة الاحكام فى جميع الاراضى التى تحكمها من تل أبيب الى سائر المجتمعات العربية فيها وتطبيق أحكامها على اليهود والعرب، بانتظار تمخض العمل التشريعى عندهم عن بديل مناسب لهم ..



الفتاوى

التيمم

السؤال :

انا سيدة شافعية المذهب ، اصبت بمرض شديد ، ويزداد هذا المرض اذا اغتسلت فما حكم الشرع فى التطهر من الجنابة ؟

ع ـ س ـ بغداد

الاجابة :

مذهب الشافعية ان تتيممى للجنابة ، وأن تغسلى مع التيمم مالا يضر غسله من البدن ، ولا تصلى بهذا التيمم الا فرضا واحدا ، ولك أن تصلى ما تشائين من النوافل ، فاذا أردت أن تصلى فرضا آخر وجب عليك اعادة التيمم .

ومذهب المالكية أيسر لك وهو ان تتيممى لكل فرض متى كنت غير قادرة على الاغتسال ولا يجب عليك غسل شىء من بدنك .

صلاة الجمعة

السؤال :

نحن اهل قرية صغيرة ومذهبنا مالكى ، وشرط صحة صلاة الجمعة عند المالكية حضور اثنى عشر رجلا غير الامام على الأقل ، وفى بعض الجمع لا يحضر هذا العدد الى المسجد مع حضور الامام فهل نصلى الجمعة باى عدد او ننتظر الى صلاة العصر رجاء ان يحضر العدد المطلوب ، او نصلى ظهرا ؟ .

عامر السيد ـ مسقط

الاجابة :

مذهب المالكية كما جاء فى السؤال أن الجمعة لا تصح بأقل من أثنى عشر رجلا غير الامام ، فليس لأهل القرية أن يصلوا الجمعة بأقل من هذا العدد ، وليس لهم أن يصلوا ظهرا ما داموا يرجون تمام العدد ، وانما ينتظرون الا أن يخافوا دخول وقت العصر ، فان خافوا دخول وقت العصر صلوا ظهرا .

ولكن مذهب أبى حنيفة وابن حنبل وقول للشافعى فى مذهبه القديم أن الجمعة تصح بأربعة أحدهم الامام ولأهل البلد أن يعملوا بهذا ، ولا يتركوا اقامة الجمعة .

عذاب القــبر

الســـؤال :

هل يوجد عذاب فى القبر ، وهل يكون للروح فقط ام للجسم والروح .

على الهاشمى ــ بيروت

الاجــــابـة :

عذاب القبر للروح والجسم معا ، والأدلـــة من القرآن الكريم والســـنة الصحيحة تؤيد ذلك قال تعالى : (أغرقوا فأدخلوا نارا) والفاء فى اللغة العربية تفيد التعقيب والترتيب ، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان العبد اذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقــول فى هذا الرجل (محمد) فأما المؤمن فيقول : اشهد انه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد بدلك الله به مقعدا من الجنة ــ قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا ، وأما الكافر والمنافق ، فيقول : لا أدرى كنت اقول ما يقول الناس فيه ، فيقال لـــه : لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين) .

هذه النصوص تدل على أن من فى القبر هو المعذب ، والموجود فى القبر هو الجسم والجسم لا يعذب بدون روح تدرك الألم واللذة .

وليس يلزم فى الحياة البرزخية ، ما هو لازم فى الحياة الدنيا من مشاهدة تحرك الجسم مثلا . والله أعلم .

تربية الكــلاب

الســـؤال :

هل يجوز تربية الكلاب لحراسة الدار مثلا او لا يجوز ؟

محمد الرشيد ــ الكويت

الاجــــابـة :

تربية الكلاب ، واقتناؤها لمصلحة مشروعة كالصـــيد والحراســـة جائز شرعا ، فقد جاء فى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى كلب الغنم والصيد والزرع .

عــــلاج الزوجــة

الســـؤال :

هل يجب شرعا على الزوج اذا مرضت زوجته ان ينفق عليها للعلاج كاجرة الطبيب وثمن الدواء .

عائشة الحسينى ــ حماة

الاجــــابـة :

نقل عن الامام ابن عبد الحكم من فقهاء المالكية أن على الزوج أجرة علاج زوجته وثمن دوائها ، ونرى أن هذا من النفقات الضرورية التى يلزم بها الزوج ، فضلا عما توجبه المروءة ويقتضيه العرف .

ميراث

السـؤال :

توفى رجل وترك شقيقين وثلاث شقيقات ، وزوجة مطلقة طلاقا رجعيا ، ولا تزال فى العدة فمن يرث من هؤلاء وما نصيب كل وارث ؟

مراد العبد ـ عمان

الاجـابـة :

أولا المطلقة طلاقا رجعيا اذا مات عنها زوجها وهى فى العدة ترث زوجها ، ولها الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، والباقى لاخوته الاشـقاء ذكورا واناثا للذكر مثل حظ الأنثيين .

معاشرة الزوجة بعد الطلاق دون علمها

السـؤال :

رجل طلق زوجته ولم يخبرها بالطلاق ، وظل يعاشرها معاشرة الأزواج مع وقوع الطلاق الذى لا تعلم به ، فما حكم الشرع فى هذه المعاشرة ؟

آدم اسماعيل ـ الخرطوم

الاجـابـة :

الطلاق الذى أوقعه الزوج ان كان رجعيا ، وعاشرها الزوج قبل انقضاء عدتها ، كانت هذه المعاشرة رجعة ولو لم تعلم بالطلاق ، أما اذا كان الطـلاق بائنا أو كان رجعيا وعاشرها بعد انقضاء عدتها فهذه المعاشرة محرمة شرعـا ، ويجب التفريق بينهما .

التيمم لخروج وقت الصلاة

السـؤال :

استيقظت من نومى قبل طلوع الشمس بزمن يسير ووجدت نفسى محتلما ، واذا اغتسلت خرج وقت الصلاة بطلوع الشمس فهل يجوز لى ان اتيمم لأؤدى الصلاة فى وقتها او اغتسل ولو خرج وقت الصلاة .

م ـ د ـ القاهـرة

الاجـابـة :

فى فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية أن للعلماء فى ذلـك قولين ، فالأكثر كأبى حنيفة والشافعى وأحمد يأمرونه بالاغتسال وان صلى بعد طلوع الشمس .
ومالك يرى أن يتيمم ويصلى قبل خروج الوقت .
والأحوط أن يتيمم ويصلى ، ثم يغتسل ويعيد الصلاة بعد خروج الوقت .

بأقلام القراء

موازنـــة
بين صحافـــة الراى والخبـــر

كتب الأستاذ عبد الرحمن احمد شادى تحت هذا العنوان يقول : ــ

ذاع وشـاع بين الناس ان صحافة الراى تضاءلت مكانتها ، وأخلت الطريق لصحافة الخبر ، ولست ممن يؤمنون بهذا الراى ، وتكونت على هـــذا الأساس صحف كثيرة همها الأكبر ، وعملها الأوحد ، نقل الأخبار الى القراء ، أو كانت من صحافة الراى أولا ، ثم غيرت من هيئتها وصورتها وتحولت الى صحافة خبر ، ميلا مع الريح حيث تميل ، وسيرا مع الاتجاه السائد ، وظنا انها لن تعيش اذا ظلت على صبغتها الاولى ، واستكثرت من مستطلعى الأخبار والوصـــافين ، واستغنت عن الكتاب . ومهما فعلت فلن تستطيع أن تحوز قصب السبق ، لأن الاذاعات لها بالمرصاد ، تنافسها فى هذا المجال وتتفوق عليها ، والوليد الجديد التلفاز يشق طريقه بقدم ثابتة ويقدم الأخبار هو الآخر ، فما تفعل صحافة الخبر أمام هذين المنافسين !! لقد اصبحت عرجاء أمامهما فى السباق .. فهل تسبق العرجاء ؟

ومن الصحف من زاوجت بين المنهجين ، وظهرت فى الصورتين ، الا أن قلة الصفحات التى خصصتها للراى تجعلها من صحف الأخبار ، وندرة الصفحات التى تشغلها بالأخبار تجعلها من صحافة الراى ، وخير نموذج للصحافة فى رأيى هو النوع الأخير ، لأن الأخبار لا يستغنى عنها من يريد أن يكون على صلـــة بالعالم ، ولكن الأخبار ليست هى كل شىء ، ومن المعروف أنها تبلى بسرعة كلما مر عليها الزمن ، اما الأفكار والعقائد والآراء فهى أبقى وأخلـــد على ظهر الارض واعتقد أن أى مجتمع لا يستغنى عن صحافة الرأى ، لأن الواقع متخلف باستمرار عن عالم المثل بحكم النقص البشرى ، ونزوع الانسان نحو الكمال ، وعمـــل المصلحين والدعاة والرواد يتمثل فى نقل المجتمع الى مبادىء افضـــل ، ونظم احسن ، ولا يصلح لهذه المهمة الا صحافة الراى التى تهتم بتنظيف المجتمع من الآراء الفاسدة ، واحلال الآراء الجديدة محلها ، فهى معرض للآراء الحكيمة ، والتوجيهات السديدة ، والنصائح الرشيدة ، ومجال أمام تبادل وجهات النظـــر والشورى الفكرية ، وتقوم بالرقابة والتوجيه لبيئات المجتمع التى استشرى فيها الفساد ، وتعلم الجهال ، وتشغل أوقات الفراغ بالمفيد النافـــع ، ثم يأتى دور العمل النافع بعد الاعتقاد والايمان ، فهى سابقة باستمرار لصحافة الخبر التى لا هم لها الا وصف الأعمال التى ظهرت نتيجـــة الايمان والاقتنـــاع ،

صحافة الراى عليها أن تزرع الارض وترويها وتحرسها من الآفـــات ، وتتعهدها بالعناية والرعاية ، ثم تأتى صحافة الخبر لتصف حياة النبات ، والأعمال

التى قام بها الفلاح ، حتى جاء الزرع فى النهاية بخير الجنى وأطيب الثمر ، واذا مثلنا بمحنة فلسطين وجدنا أن صحافة الرأى هى التى تقوم بالعبء الأكبر والنصيب الأعظم فى غرس عقيدة الفداء ، ومبدأ التضحية والنضال ، من أجل الحق المغتصب ، ثم تأتى صحافة الخبر لتنقل الى العالم ما فعلته الأجيال التى تغذت عقولها على موائد صحافة الرأى ، فعملها بناء وتأسيس وتشييد ، أما صحافة الخبر فلا هم لها الا وصف هذا البناء وتصويره دون المشاركة فى أعباء التأسيس ، ومتاعب البناء ، ومشتقات زرع البذور ، ولولا صحافة الراى ، وقيامها بدورها الفعال ، وجهدها الكبير ، ما وجدت صحافة الخبر مجالا للعمل ، وميدانا للحديث .

وتنزل صحافة يتسلى بها ، ثم يكون مصيرها الضياع والاهمال والهوان .

رعاية الاسلام للعقل

ومن كلمة للأستاذ عبد الخالق عبد الرحمن تحت هذا العنوان نقتطف ما يلى : —

القرآن الكريم لا يذكر العقل الا فى موضع الاكبار والتعظيم ، وينبه الى وجوب العمل به ، والركون اليه ، والذى يستقرىء القرآن الكريم يرى أن كثيرا من الآيات تأتى مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر فى مختلف معارض الصور فى الأمر والنهى التى تحث المسلم على أن يحكم عقله ، وأن يزن الأمور بالقسطاس المستقيم ، ولم يأت تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أرباب العلوم الحديثة ، بل هى تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها ، وخصائصها ، وكثيرا ما نجد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص فى مواطن الخطاب ومناسباته .

ان الخطاب فى القرآن الكريم يعم بحيث يتسع له الذهن الانسانى ، ولا شك أن العقل المدرك هو العقل المفكر الذى يولى الموازنة حق قدرها للحكم على ما تتضمنه من المعانى .

ومن خصائص العقل التأمل فيما يدرك الانسان ليقلب الأمور على أوجهها المختلفة ، ويسبر غورها ، ويستخرج أسرارها ، ليتبين نتائج الأحكام على أساس متين من العقل .

والقرآن الكريم يشمل العقل الانسانى بكل ما يحتوى من وظائف مختلفة الخصائص ، متشعبة الميادين ، وما ينوء بحمله من واجبات .

فمما جاء فى القرآن الكريم يدل على عظمة العقل والركون اليه فى ما خلق الله فى الكون من نظام دقيق ما جاء فى سورة آل عمران « **ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » ..

هذه صورة فنية رائعة ترينا خلق السماوات والأرض ، وارتباط ذلك باختلاف الليل والنهار ، وتدلنا على التفكير فى هذا الكون البديع الصنع المنسق ، وأن نذكر صانعه جلت قدرته .



دخل الحجاج عصر النصف مليـــون

احصائية عن عدد الحجاج من جميع البلاد الاسلامية

وتحت هذا العنوان نشرت مجلة المجتمع الكويتية الاحصائية التالية :
أعداد وأجناس الحجاج الوافدين من خارج المملكة والذين وقفوا بعرفات يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة ١٣٩٠ هـ الموافق ٥ فبراير ١٩٧١ م

الحجاج القادمون من البلاد العربية

عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد
٤٢٣٣٩	سوريا	٢١٠٣	الجنوبى العربى	٤٢٠٧	تونس
١١٤٩٠	مصر	٨١٥	ابو ظبى	١٣٩٢	قطر
١٩٤٨٢	العراق	١٠٦٤٠	المملكة المغربية	٢٤١٨	البحرين
١٤٨٦٥	السودان	٨٣٨	فلسطين	١٢٦	الشارقة وراس الخيمة
١١٨٣٥	ليبيـــا	٨٠٧٢	الكويت	٨٨	عجمان وامارات اخرى
٣٩٦٠	الجزائر	٦٧١٢	لبنـــانَ	٣٥٥	دبـــى
١٠٩٠٩	الاردن	٥٠٢٦٩	اليمن		
١٥٦٩	عمـــان				

مجموع حجاج الجامعة العربية ١٩٥٥٩٤ — مجموع حجاج الخليج العربى ٦٧٨٦

مجموع حجاج البلاد العربية ذكور ١٣٥٦٩٩ — اناث ٧٣٧٨٤ المجموع ٢٠٩٤٨٣

الحجاج القادمون من بقية دول آسيا

عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد
١٣٢٦٩	تركيا	١٠٣٦١	ماليزيا	١١	الصين الوطنية
٤٨٣٦٧	ايران	٤٩٨١	تايلاند	٤٠٤	سنغافورة
١٦٤٧٠	الهند	١٥٢	سيلان	١٥٠	فلبين
٣٨٢٥٦	باكستان	١	كمبوديا		
١٤٦٣٣	اندونيسيا	٧١	فيتنام الجنوبية		
١٣٦٦٣	افغانستان				

المجموع ذكور ١٠٧٣٥٣ — اناث ٥٣٦٩٢ — الجميع ١٦١٠٤٥

الحجاج القادمون من بقية دول افريقيــا

عــدد	اسم البلد	عــدد	اسم البلد	عــدد	اسم البلد
٢٥١٨٧	نيجيريا	٣٣١	تنزانيا	٤٠٢	غانــا
٢٤٢٢	السنيغال	٤٦٧	كينيــا	١١١	توجو
١٨٢٧	النيجر	٤٦٨	داهومى	١٢١	جنوب وسط افريقيا
٢٩٥٥	الحبشة	٨٥	ليبريا	٥٦٧	ساحل العاج
١١٢٣	مالى	٣٦٣	زامبيا	٣٥٢	سيراليون
٥٤٠	فولتا العليا	٢٠٣٤	تشاد	١١١	جزيرة موريس
٧٢٤	موريتانيا	٢٦٣١	غينيا	٣١	مالاقاسى
٨٠٨	الكمرون	١٩٠	الصومال	٧	الكونغو كينشاسا
٩٤٠	اوغندا	١٩٥١	جنوب افريقيا	١٣٦	دول افريقية اخرى

المجموع ذكور ٣٥٥٣٦ انات ٢١٣٧٨ الجميع ٥٦٩١٤

الحجاج القادمون من اوروبا وامريكا

عــدد	اسم البلد	عــدد	اسم البلد	عــدد	اسم البلد
٧٨٦	بريطانيا	٧٩	البرتغال		
٢٢٢	اليونان	٨٤	الولايات المتحدة		
٢٢١١	يوغوسلافيا	٣٢	اسبانيا ، دول اوروبية		
٣٧٢	فرنسا	٤١	دول اخرى		

مجموع الحجاج القادمين من اوروبا وامريكا ٣٨٢٨

المجموع الكلى لعام ١٣٩٠ هـ ٤٣١٢٧٠
مجموع حجاج عام ١٣٨٩ هـ ٤٠٦٢٩٥
الزيادة عام ١٣٩٠ هـ ٢٤٩٧٥

. . . .

وراء السوالف الطويلة تقف الصهيونية

تحت هذا العنوان نشرت مجلة (الأزهر) هذا المقال للواء الركن محمود شيت خطاب :

– ١ –

فجأة انتشرت بين شباب العالم هذه (السوالف) التى هى امتداد لشعر الراس الموازى للأذنين ليتصل بشعر اللحية فوق العارضين ، بحيث تغطى هذه السوالف نصف الوجه تنقص أو تزيد قليلا .

والسوالف : جمع (سلف باللهجة العامية المصرية ، وهى ما يطلق عليها اسم (الزلف) فى بعض الأقطار العربية ومنها العراق .

والزلف : جمعها (زلوف) وهى بمعنى (العلف) فى اللهجة العامية المصرية

وربما يكون لكلمة (الزلف) سند لغوى ، فيقال : زلف فى حديثه : زاد فيه ، وزلف الشىء : زاد فيه . فاذا امتد شعر الرأس الى أسفل شحمتى

الأذنين ، فقد زاد مقداره عن المعتاد .

ولست بصدد اللغة الآن ، ولكنى بصدد الظاهرة التى اجتاحت اكثر شبابنا تقليدا لممثلى السينما الأجانب ، واتباعا للشباب الأجانب الذين تحرروا من كل فضيلة فأصبحوا عبيدا لكل رذيلة .

واذا كان الشباب الأجنبى يشكو (الضياع) ، لتفسخ الأسرة ، واهتمام الآباء والأمهات بالجنس ، وتكالب الناس على (المادة) وحدها ، دون الاهتمام (بالروح) ومتطلباتها .

واذا كان عقلاء الأجانب يشكون مر الشكوى من تردى شبابهم تميعا وانهيارا ، دون أن تقدم لهم الحضارة الغربية التى ثبت اخفاقها فى توجيه (القلوب) الى الصراط المستقيم ، والى المثل العليا ، وثبت تقصيرها عن الحلول الناجعة السليمة للأرواح الحائرة الضائعة .

فما المسوغ لشبابنا أن يقتفوا آثار الشباب الأجنبى ، والحضارة الاسلامية العربية حضارة (الروح) . و (المادة) ، تقدم الدواء الشافى للعقول والقلوب معا ، وتهدى للتى هى أقوم ، وتقود الى سبيل الحق والخير والنور ؟؟ !!

– ٢ –

فما هى حقيقة هذه السوالف ؟

هذه السوالف هى سمة من سمات يهود ..

لقد عملت الصهيونية العالمية على اشاعتها بين الشباب ، حتى تجرب مدى قدرتها على بث التقليعات القبيحة الشاذة ، ومدى تأثيرها فى الشباب بخاصة وفى الشعوب بعامة .

وقد استطاعت الصهيونية العالمية نشر رذائل كثيرة ، كلها معاول هدم للبشرية ولمثلها العليا ، اذ من المعروف أنها تهدف الى اشاعة الفحشاء والتحلل الخلقى والتفسخ فى العالم ، لكى تستطيع السيطرة على مصالح الأمم والشعوب غير اليهودية ، لأن الأمم والشعوب والجماعات والأفراد المتمسكة بالايمان والأخلاق القويمة ، لا يمكن أن تخضع لغيرها ابدا ، وليس من السهل السيطرة عليها .

« الخمر .. والمجون المبكر .. اعمال الرشوة والخديعة والخيانة .. » ، تلك هى وسائل الصهيونية لتحطيم المثل العليا فى غير يهود ، كما تنص عليها بروتوكولات حكماء صهيون ، وهذا ما نلمسه تطبيقا عمليا على غير يهود ، بحرص يهود على نشره بشتى الطرق والوسائل وبمختلف الأشكال والأساليب .

وقد طغى مد النشاط الصهيونى لنشر الفساد فى الأمم الأخرى بعد عام ١٩٤٨ ، اى بعد خلق اسرائيل فى الأرض المقدسة .

وكلما اشتد ساعد اسرائيل وتوسعت ، ازداد مد نشاطها التخريبى فى العالم ، حسب مخططات موقوتة لها أهداف واضحة : هى تدمير المثل العليا فى العالم ، والقضاء على الأديان عدا اليهودية – خاصة المسيحية والاسلام .

– ٣ –

ان الذين يشكون فى نشاط الصهيونية التخريبى الذى يستهدف تحطيم المثل العليا فى الأمم غير اليهودية ، واهمون كل الوهم ، أو مغرر بهم كل التغرير ، او عملاء كل العمالة .

واذا أحصينا شركات السينما ودور اللهو والنوادى الليلية والحانات والمقاصف وملاعب القمار ومحلات الجنس ومصدرى التصاوير الخليعة ومؤلفي

الكتب الجنسية ، الى غير ذلك من معاول الهدم والتدمير ، لوجدنا أن أكثر من تسعين بالمائة منها تابعة لمؤسسات صهيونية ، والمؤسسات غير الصهيونية القليلة التى هى وراء تلك المباذل تمول بصورة مباشرة أو غير مباشرة برأس المال الصهيونى ، كما تشجع الى أبعد الحدود من أجهزة الاعلام الصهيونية ، ومن المصارف الصهيونية .

فهل كل هذا صدفة وبدون تخطيط ، أم وراء الأكمة ما وراءها !

أما المؤسسات التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتكافح الرذيلة وتدعو الى التمسك بالدين والأخلاق ، فتقاوم من رأس المال الصهيونى ، وأجهزة الاعلام الصهيونية سرا وعلانية ، حتى تتلاشى وتذهب مع الريح .

وليس سرا ، أن أول من أنشأ شركات السينما فى مصر بالذات هم اليهود ، ثم تلاقف انتاج تلك الشركات موزعون من يهود فى بيروت والبلدان الأخرى .

لهذا ليس عجبا أن تكون ثمرات السينما العربية فجة فيها السم الزعاف !

— ٤ —

حدثنى أستاذ جليل كان منتدبا للتدريس فى الولايات المتحدة الامريكية عاما دراسيا كاملا ، عن مظاهر التفسخ فى المجتمع الامريكى المعاصر .

وقد ذكر هذا الأستاذ الجليل انه صادف مقصورة لبيع الصور العارية الفاضحة والمجلات الجنسية الداعرة ، فسأل صاحبها عنها ، فعلم منه أنه يهودى ، وانه مستعد لاستصحابه الى المحلات الصهيونية التى تنتج الرذائل وتصدرها .

ويهود وراء التحلل الخلقى فى انكلترا وهولندا والسويد وفرنسا ، وهم الذين أفسدوا الشباب والمجتمع ، وأباحوا الجنس ، وسنوا القوانين لدعمه واباحته .

— ٥ —

وحين وجد غير يهود فى تلك الدول وفى غيرها أيضا ، من الذين لا خلاق لهم ولا ضمير ، ما تغدقه تجارة الجنس من أرباح ضخمة ، سال لعابهم جشعا، وقلدوا الصهاينة ، فنالوا تشجيع الصهيونية العالمية وتأييدها ، لأنهم أصبحوا آلات طيعة لتنفيذ مخططات الصهيونية فى التخريب .

والأمل وطيد فى أن يكتشف العالم قريبا حقيقة الصهيونية العالمية ، وحقيقة نشاطها التخريبى فى اشاعة الفحشاء والمنكر والثقافة الرخيصة بين الناس .

وأخشى ما أخشاه أن يفوت الوقت قبل أن يكتشف العالم ذلك ، فيفوت الوقت المناسب لاتخاذ التدابير اللازمة للحد من هذا الوباء .

والسوالف .. !

هذه السوالف جزء لا يتجزأ من محاولة الصهيونية العالمية للضحك على القطعان الضالة الضائعة ، والتلاعب بأهوائها وتوجيهها الى التيه والضياع .

لقد كنا نقول عن اليهودى : **« يهودى أبو سوالف .. أو يهودى أبو الزلوف » .**

ذلك لأن الذكور من يهود ـ خاصة المتدينين منهم ـ كانوا يطيلون سوالفهم ، كما يفعل الشباب اليوم تطوعا وعن طيب خاطر !

وقصة سوالف يهود معروفة .. فقد سبى بختنصر ملك بابل عام ٥٨٧ قبل الميلاد بنى اسرائيل ، وأخذهم أسرى الى بابل فى أرض الرافدين ، حيث انتشروا فى العراق وفى الأقطار المجاورة .

وأراد بختنصر أن يجعل لهم علامة فارقة يعرفهم بها النـــاس ، ليتجنبوا شرهم ويأمنوا مكرهم ، فأمرهم أن يطيلوا سوالفهم وألزمهم بهذا التقليد .

وبدأ حاخامـــات يهود يكتبون (التلمود) وهو الكتـــاب الدينى ليهود بعد التوراة ، فسجلوا فى التلمود عادة اطالة الســـوالف ، وجعلوها شـــعيرة من شعائرهم الدينية ، لتبرئة ســـاحة بختنصر من الزامهم بهـــا من جهة ، ولرفع معنويات يهود بجعلها سنة دينية من جهة ثانية .

وأخذ يهود أنفسهم بهذه العادة منذ ذلك التاريخ ، فلما تفرقوا شرقا وغربا بعد اضمحلال الدولة البابلية ، حملوا معهم هذه العادة ، وأصـــبحت جزءا من تعاليمهم الدينية .

وهكذا نجد اليهودى فى سورية ومصر وشمال افريقية واوروبا وامريكا واستراليا وفى جميع أصقاع الدنيا ، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، يطيل سوالفه اذا كان متمسكا بتعاليم التلمود ، ويعتبر ذلك سمة من سماته وميزة من مميزاته .

وفجأة ظهر قبل ثلاث سنوات ممثل يهودى اسمه (دافيد) فى رواية من روايات الشركات الصهيونية التى تنتجها مدينة السينما (هوليوود) فى الولايات المتحدة الامريكية مركز تجارة السينما اليهودية ، وهو بسوالف طويلة ، لأنه كان يمثل دور يهودى متدين .. فما كان من الشباب فى العالم الا أن قلدوا هذا الممثل اليهودى الصهيونى .. !!

— ٦ —

وليس غريبا انتشـار السوالف المسبلة بين شباب العالم للتميـــع ، ولكن الغريب انتشارها بين شباب العرب والمسلمين . وبالطبـــع بدأ شـــباب يهود بتقليده ، ثم انتشر هذا التقليد بالعدوى كما تنتشر الأوبئة .

ان شباب العرب والمسلمين فى معركة مصيرية على الصهيونية العالمية ..

والمتوقع منهم ان يخالفوا الصهاينة ، تنفيذا لسنة النبى صلى اللـــه عليه وسلم فى مخالفة يهود ، وحرصا على شخصيتهم العربية الاسلامية .

ان الصهاينة ليسوا أقل عداوة للمسيحية من عداوتهم للاسلام ، فهم أعداء كل دين وكل فضيلة وكل خلق كريم .. لقد رأيت شبابا عربا مسلمين يرتادون المساجد ويؤدون فرائض الله ، ولكنهم أسبلوا سوالفهم وقلدوا الصهاينة .

وقلت لنفسى : ترى ! هل يعرف هؤلاء حقيقة أمر السوالف ؟ ! هل يعرفون انهم ضحية (تقليعة) صهيونية ! أما وقد انكشف أمر السوالف ، فهل يتخلون عن هذه التقليعة السخيفة ؟ !

ان اليهودى الصهيونى هو الذى يطيل وحده سوالفه اتباعا لآثار تقاليده الدينية .

وهو وحده يرغب فى أن يفرض اتباع هذه التقليعة على شـــباب العالم بوسيلة أو بأخرى ..

فاذا كانت السوالف من سمات الصهاينة ، تهافت عليها الامعات والتافهون من شباب العالم ، فلمصلحة من يقتفى آثار الصهاينة الشباب العربى المسلم !!

اقلعوا يا شباب العرب والمسلمين عن اسبال السوالف ، حرصـــا على تاكيد ذاتكم ، وحفاظا على رجولتكم ، وتطبيقا لتعاليم دينكم الحنيف ..

تجنبوا تقاليد يهود ، وكونوا من مخططاتهم على حذر .

اعداد الاستاذ عبد المعطي بيومي

يهود يثرب

من الأسئلة التي وجهها كثير من القراء سؤال حول جنسية اليهود الذين سكنوا المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اهم عرب اعتنقوا اليهودية أم هم اسرائيليون ساكنوا العرب ..؟

والجواب : أن المؤرخين اختلفوا في هذه المسألة فعلا الى رأيين : رأى عامة مؤرخي الغرب وهو أن هؤلاء اليهود هم من جنس اسرائيلي .

رأى بعض المؤرخين من أشهرهم « اليعقوبي » وهو انهم عرب اتخذوا اليهودية دينا لهم ، ويرى هؤلاء أن بني النضير وبني قريظة فرعان من قبيلة جذام العربية تهودوا وسموا باسم المكان الذي نزلوا فيه ، فبنو النضير كما يقول اليعقوبي فخذ من جذام الا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير ، فسموا به ، و (وبنو قريظة) فخذ من جذام اخوة النضير ، ويقال ان تهودهم كان في أيام السموال ، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه .

ولا نستطيع أن نختار مرجح أحد الرأيين الا بعد أن نقف عند الاسس والادلة التي بنى كل من الفريقين رأيه عليها :

فاصحاب الراى الاول يقولون : ــ

١) انه باستقراء عادات وأخلاق يهود بني قريظة ، وبني قينقاع ، ومطابقة خط التفكير الذي سار فيه هؤلاء اليهود مع تفكير اليهود القدامى ــ الاسرائيليين ــ كما وصفهم القرآن فاننا نجد أن خط التفكير واحد ، وأن العادات والاخلاق التي سجلها القرآن الكريم على الاسرائيليين هي نفسها عادات يهود المدينة وأخلاقهم ، مما يفيد بأن هؤلاء من أولئك وأن يهود المدينة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هم من الجنس الاسرائيلي .

٢) ومما يزيد هذا الدليل ايضاحا ، ويضيف دليلا جديدا في الوقت ذاته ، أن الاسرائيليين قوم مغلقون مغرورون بوهم أنهم شعب الله المختار ، فلا يسمحون بأن ينضم اليهم أحد حتى لا يتمتع بنعمة الاختيار الآلهي ، وقد تعاقب هذا الوهم في أجيالهم دون أن يتخلى جيل عنه ، مما يقطع بأن قبائل بني النضير ، وبني قينقاع ، وبني قريظة ، هي قبائل اسرائيلية ، ويستبعد جدا أن تكون قبائل عربية ، اذ يستبعد أن تدخل هذه القبائل هكذا بالجملة في شعب الله المختار دون أن يشتهر هذا بين الناس كما حدث مع قبائل اليمن التي تهودت أو تنصرت .

صحيح انه قد ورد فى الأخبار أن بعض اليهود من جنس عربى ، لكن هذا البعض لا يعدو افرادا محدودين من قبائل مختلفة وكانوا معروفى النسبة ، ولم يرد فى كتب الانساب العربية أن بنى النضير وبنى قريظة ، وبنى قينقاع من أصل عربى .

٣) وبالاضافة الى هذه الأدلة فقد كانت القبائل اليهودية فى المدينة تحرص على نسبتها الاسرائيلية فقد كان بنو قينقاع يزعمون أنهم من ذرية يوسف الصديق وكان بنو النضير وقريظة يسمون «الكاهنين» وكانت القبائل العربية كذلك ـ حتى المتهودة منها أو المتنصرة فى اليمن ـ شديدة الحرص على نسبتها العربية .

٤) حتى الحصون والقلاع التى شيدها يهود المدينة تدل دلالة قوية على غربتهم وسط الخضم العربى ، وعلى سوء العلاقة بينهم وبين العرب مما اضطرهم الى بناء القلاع والقرى المحصنة ، وقد برزت هذه بشكل واضح عندما حاربهم النبى صلى الله عليه وسلم وطردهم من المدينة ، وعندما أجلاهم عمر حيث لم يلجأوا الى قبيلة عربية تربطهم بها قربى ، بل نزحوا مباشرة على غير رجعة ، ومن غير أن يتوددوا الى أحد ، أو يتودد اليهم أحد .

أما أصحاب الرأى الثانى : الذين يذهبون الى ان هذه القبائل اليهودية هى قبائل عربية اعتنقت اليهودية ، ولكنها ليست باسرائيلية فيجعلون للعامل اللغوى أهمية فى الاستدلال على جنسية يهود المدينة ، ويقولون ان أسماء الاماكن التى نزلت بها هذه القبائل عربية ، فتكون جنسيتها بالتالى عربية ، بينما تحاول طائفة من المؤرخين الفرنجة أن تجد اشتقاقا عبريا لأسماء بعض القبائل اليهودية .

لكن الحقيقة أن الاستدلال باللغة على الجنس استدلال لا يعتد به كثيرا ، فالافراد الذين تسموا بأسماء عربية كانت أسماء آبائهم تظل عبرية ، منهم على سبيل المثال عبد الله بن صوريا ، ووهب بن يهوذا ، وبالعكس مثل شمويل بن زيد ، وكروم بن قيس .

ومن هنا فاننا نتوصل الى القناعة بأن القبائل اليهودية الثلاث التى سكنت المدينة ـ بنى النضير ، وبنى قريظة ، وبنى قينقاع ـ هى قبائل من جنس اسرائيلى .

الاحوال الشخصية

تذكر كلمة الاحوال الشخصية كثيرا ، فيقال لجنة الأحوال الشخصية ، وقانون الأحوال الشخصية ، ومحكمة الاحوال الشخصية ، فما المقصود بهذه الأحوال ؟ وهل هى قاصرة على الزواج والطلاق ؟

المهند عز الدين ـ الأبيض

الجواب : الأحوال الشخصية هى مجموعة ما يتميز به الانسان عن غيره من الصفات الطبيعية أو العائلية التى رتب عليها القانون أثرا قانونيا فى حياته الاجتماعية مثل كونه ذكرا أو أنثى ، وكونه زوجا أو أرمل أو مطلقا ، أو أبا أو ابنا شرعيا ، أو كونه تام الأهلية أو ناقصها لصغر سن أو عته أو جنون ، أو كونه مطلق الأهلية أو مقيدها بسبب من اسبابها القانونية .

اعـــداد : ع•ب

الكويت : صرح سمو الشيخ جابر الاحمد ولى العهد ورئيس الوزراء ان الكويت تشعر بعـــدم جدوى الحلول السلمية ولن توافق الكويت على أى حل لا يرضى عنه الشعب الفلسطينى .

● عقد فى الكويت الشهر الماضى مؤتمر اتحاد المعلمين العرب وقد بحث المؤتمر أوضاع التعليم ووسائل الرقى به وتوحيده فى الدول العربية .

● تبرعت الكويت بمبلغ ٤٠٠ الف دولار لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين الدولية وسيستخدم هذا المبلغ فى الاغراض التعليمية للفلسطينيين .

● تلقت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية مذكرة من وكالة الانباء الاسلامية الجـديدة فى نيجيريا تطلب من الوزارة التعاون الاعلامى الاسلامى .

● تقوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدراسات لانشاء عدة مساجد فى السودان خاصة فى المناطق النائية وقد سافر وفد من الوزارة الى السودان لهذا الغرض .

● صرح سعادة وكيل الأوقاف والشئون الاسلامية بأن الوزارة ستنشىء مجموعة من المساجـد فى الكويت كما تقوم الوزارة بتحديد الاتصال برجال الفكر الاسلامى لمعرفة واقع المسلمين .

القاهـــرة : أعلن السيد رئيس الجمهورية انه لا يوافق على تمديد وقف اطلاق النار مع العدو وأن الحرب القادمة طويلة الأمـــد .

● يعقد مجمع البحوث الاسلامية مؤتمرا لعلماء المسلمين وقد صرح فضيلـــة شيخ الازهـــر بان علماء المسلمين فى العالم سيبحثون وسائل الانتفاع باضحيات الحجاج ووسائل تنسيق شعائر الحج ومسائل أخرى .

● قام فضيلة شيخ الاسلام فى السنغال وغرب افريقيا باجراء محادثات مع شيخ الازهـــر والمسئولين لتنسيق الدعوة الاسلامية .

● ناقش مؤتمر المجمع اللغوى الذى انعقد فى الشهر الماضى ٢٠٠٠ مصطلح علمى تمهيدا لتقريب التعليم الجامعى وتوحيد المصطلحات العلمية فى اللغة العربية وقد ابقى المجمع اسمـــاء الاماكن التاريخية كما هى .

السعودية : صرح الامير فهد بن عبد العزيز ان الحاجة كانت ماسة الى وكالة انباء اسلاميـــة تغطى أنباء المنطقة والدول الاسلامية بحيث تتيح للراى العام العالمى الاطلاع على الاحداث بنزاهـــة وصدق .

● عقد بعد موسم الحج مؤتمر المنظمات الاسلامية وقد بحث المؤتمر انشاء الصندوق العالمى الاسلامى ومركز الدراسات الاسلامية وميزانية الامانة العامة للمنظمات الاسلامية .

الأردن : ستقيم جامعة الدول العربية بالاشتراك مع منظمة التحرير الفلسطينية أسبوعا عالميا لقضية فلسطين فى دول العالم الكبرى وذلك فى يوم ١٢ ابريل الجارى .

● عقد مؤتمر المجلس الوطنى الفلسطينى فى الشهر الماضى بالقاهرة وقد اتخذ عدة قرارات هامة لتوحيد العمل الفدائى ورسم خطة الكفاح الفلسطينى فى المرحلة القادمة .

● قال كريستور مايهيو النائب العمالى البريطانى ان مئات الألوف من غير اليهود يطردون من فلسطين فى عملية قمع عنصرية لا مثيل لها .

العـراق : عقدت فى الشهر الماضى فى بغـداد اجتماعات اتحاد الاذاعات العربية واشتركت فيها الوفـود العربية ومندوبون من منظمة اليونسكو والاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية .

سوريا : صدر قرار بالعفو عن جميع السوريين الذين أخرجوا أموالهم خارج البلاد وحثهم على العودة للمشاركة فى بناء بلادهم .

السودان : قال الرئيس نميرى ان الشعب السودانى لم يرث عن الاستعمار غير الفقر والجهل والمرض وورث عن الاحزاب الاذلال والتنافر الحزبى .

ليبيـا : كذب السيد صالح بويصير الانباء التى أذاعها راديو لنـدن وبعض الصحف اللبنانية عن اضطهاد للمسيحين فى ليبيا وقال انه لم يتم تحويل أى كنيسة الى مسجد .

● بعثت ليبيا الى الدول العربية مشروعا يدعو الى قومية المعركة ضد اسرائيل وقد بعثت الكويت ردها على المشروع وهى ان الكويت تؤمن بقومية المعركة وضرورة تبادل الرأى لتنفيذ ذلك .

تونس : عقدت الجمعية التونسية لحماية القرآن مؤتمرا وطنيا استمر يومين فى الشهر الماضى وحضره مندوبون من الجزائر والمغرب وقد نادى المؤتمر بوجوب تدريس القرآن فى جميع مدارس تونس كما طالب بجعل يوم الجمعة هو يوم العطلة الاسبوعية ليتمكن المسلمون من صلاة الجمعة .

تركيـا : أهاب رئيس بعثة الحج التركية بالمسلمين جميعا بتوثيق التعاون فى المجالين الاقتصادى والثقافى .

اندونيسيا : صرح الجنرال نابتيون رئيس المجلس الاستشارى الاندونيسى ان بـلاده تحس باحساس كل مسلم وعربى نحو القضية العربية وفى مقدمتها تخليص المسجد الاقصى .

ماليزيا : صرح الامير تنكو عبد الرحمن الامين العام للامانة الاسلامية بأن الامانة لن تبدأ فى تنفيذ برامجها الا بعد ان تنقل الى مقرها فى جـدة .

الهنـد : اجتاحت الاضطرابات ولايات الهند على أثر خطف كشميريين لطائرة هندية وقد أعربت الاحزاب الاسلامية فى الهند عن قلقها من توجيه الاتهامات الى اتباع دين معين فى الهند .

افغانستان : اكـد رئيس الوزراء مجددا تأييد افغانستان التام للقضية العربية .

نيجيريا : أنشئت وكالة عالمية اسلامية جعل مقرها لاجوس .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مسـقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ــ العدد ــ ٧٥ ــ غرة ربيع الأول ــ ١٣٩١ هـ ــ ٢٦ ابريل « نيسان » ١٩٧١ م





حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائدالاعلى للقوات المسلحة وهو يصافح أحد الجنودالبواسل الذين
اشتركوا فى المناورة العسكريةبالذخيرة الحية التى قامت بها مجموعة من اللواءالسادس فى الجيش الكويتى .



مسجد الشيخ فهد السالم أحدث المساجد بالكويت وأفخمها وله منارتان سامقتان تتوسطهما قبة من البلاستك ، فريدة فى صنعها ، وبه مصلى للسيدات .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السابعة

العدد الخامس والسبعون

غرة ربيع الأول سنة ١٣٩١ هـ

٢٦ ابريل « نيسان » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

خطاب معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

ألقى معالى الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الخطاب التالى فى حفل افتتاح المؤتمر السادس لعلماء المسلمين الذى دعا اليه مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة وقد ترأس معاليه وفد الكويت وكان برفقته الاستاذ عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس وكيل الوزارة المساعد .

فضيلة شيخ الأزهر ، السادة العلماء :

أحييكم بتحية الاسلام وأحمل لكم تحيات وتقدير الكويت البلد العربى المسلم الذى تعرفونه مادا يد العون والمساعدة لاخوانه المسلمين تطبيقا لقوله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم) ، آملا لكم بالتوفيق والسداد فى هـذا اللقاء الاسلامى الكبير الذى ينتظره المسلمون ويتطلعون الى ما يعرض فيه من بحوث ، وما يصدر عنه من مقررات ، تؤكد للعالم غنى الاسلام بكل مقومات الحياة . ومقدرته على معالجة المشاكل وايجاد الحلول العلمية لكل ما يحدث من أقضية الحياة وحتمية التطور .

أيها الاخوة :

اننا نلتقى هنا على المحجة البيضاء استجابة لداعى الله حماية لدينه وتفقها فى شريعته . وان خدمة الاسلام هى الهدف الاصيل لهذه المؤتمـرات المباركة ، المنبثقة من مجمع البحوث الاسلامية ، وان ميدان العمل هو المجتمع الاسلامى الكبير وحدود هذا العمل هى النظر فى كتاب الله والفهم لسنة رسوله وحمل دعوة محمد صلى الله عليه وسلم للعالم بوجهها المشرق ونظامها الخالد ، الذى كفل للانسانية العدل والمساواة والكرامة وأعطاها حرية التفكير والتعبير وابداء الرأى ، فكان بذلك أن كفل مصلحة الجماعة والافراد (العدالـة الاجتماعيـة والشورى) .

ان تبعاتكم ــ يا علماء المسلمين ــ فى هذا العصر جسيمة ومسئولياتكـم عظيمة . فشريعة الله بين أيديكم وأنتم سدنتها وحماتها ، وفيها الحل لكل مشكل والحكم لكل جديد ، والبديل عن كل مستورد محرم ، وهنا كان لزاما علينـا أن

في مؤتمر علماء المسلمين

نكون على تقدير كامل لواقعنا ، وفهم واسع لشريعتنا ، وعمل مشترك يجلى حقيقة هذا الدين ويبرز فضائله ومزاياه وحيويته وقدرته على استيعاب جوانب الحياة .

أيها الاخوة :

ان الاسلام يواجه اليوم هجوما عنيفا على مبادئه ومعتقداته ومعتنقيه ومواطنه ، وها هى الصهيونية العالمية بتأييد من الكفر والاستعمار قد ركزت جهودها الخبيثة فى أرض فلسطين لتكون لها منطلقا الى سائر البلاد العربية والاسلامية ، وانكم أيها الاخوة تحملون أمانة الدفاع عن الاسلام والحفاظ على مقدساته وتحرير أرضه وانقاذ المستضعفين من المؤمنين ، وعلى عاتقكم يقع عبء ايقاظ الوعى وتعبئة الجهود للوقوف فى وجه هذا الزحف الوحشى على بلاد المسلمين .

وهنا اسمحوا لى أيها الاخوان أن أسجل بعض الملاحظات :

١) جميل بنا أن نكثر من البحث والتأليف واحياء التراث ونقوم بعقد اللقاءات والمؤتمرات ولكن مع هذا يجب أن يكون أول بند فى جدول الاعمال هو النظر فى اعداد التخطيط للمنهج والاسلوب الذى يجب أن يتبع ليقوى بناء جسر العمل والتطبيق والتنفيذ مع السلطات والشعوب . ان الاسلام لا يتغير ولكن الناس تغيروا فوجب أن يتغير الاسلوب ليفهم الناس الاسلام .

٢) انه لا تعارض بين الوحدة العربية والاخوة الاسلامية التى نادى بها الاسلام فأول ما بدأ به محمد صلى الله عليه وسلم هو اقامة الوحدة ثم دخل الناس فى دين الله أفواجا . لذلك فاننا نبارك قيام الوحدة ونحذر من أية فرقة عربية أو اسلامية (ان فى الوحدة قوة وفى التفرق ضعفا) ، (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) .

٣) ان اخوانكم الفدائيين فى فلسطين يقاتلون فى سبيل الله وعملهم جهاد فى سبيل الله تجب مؤازرته ومده بالمال والرجال حتى التحرير والنصر ان شاء الله .

٤) ان الحرب الدائرة فى فلسطين هى قضية اسلامية كما هى قضية عربية وعلى المسلمين أن يهبوا للدفاع عنها وألا تقف الحكومات المعنية وحدها فى الميدان فى حرب أصبحت واضحة أنها موجهة ضد الاسلام والمسلمين (وأن من نغدى بأخيك اليوم تعشى بك غدا) .

العقيدة

الذكريات النبوية المحمدية التى يحتفل المسلمون بها على مدار العام كذكرى الهجرة ، والاسراء والمعراج ، والمولد تعتبر بلغة العصر مواسم توعية اسلامية ، تتيقظ فيها المشاعر ، وتتفتح القلوب ، وتتجه الانظار الى صاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام تنشد القوة فى عقيدته ، والحق فى شريعته ، والخلق فى سيرته وتتلمس الطريق فى خطاه ، والخير فى هداه .

ومجالات التوعية فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف فسيحة الآفاق ، ومظاهر العظمة والقدوة فى حياة صاحب السيرة العطرة متعددة الجوانب ، وكل مجال من هذه المجالات الفسيحة ، وكل مظهر من مظاهر هذه العظمة جديـــر بالتنويه والتذكير ، ولعل أروعها وأولاها بالحديث ما جاء به من عقيدة كانت مركز التحول فى حياة الانسانية ، والاساس المتين لتكوين الامة الاسلامية ، وحسبك أن تدرك أن غرس العقيدة فى القلوب ، وتنشئة الرعيل الأول من المسلمين عليها استغرق من مدة دعوته صلى الله عليه وسلم أكثر من نصفها ، ومن القرآن الكريم كل ما نزل منه بمكة ، فقبل العقيدة الحية النابضة المتدفقة لم تكن هناك جدوى من التشريع العبادى ، ولا التقنين المالى ، ولا التنظيم الاجتماعى ، ولا التوجيه الخلقى ، ولا التخطيط العسكرى .

ما قيمة الآراء والأفكار والنظريات ، ما قيمـــة التشريعات والقوانـــين والتنظيمات ان لم تكن وراءها عقيدة تؤمن بها ، وتدفع الى العمل بمقتضاها ، وتحولها من معان مجردة ومواد وبنود مسطورة الى حقيقة حية ، وسلوك جاد . فالرأى لا يستلزم العمل ، أما العقيدة فانها تبعث على التطبيق والتنفيذ .

ان الرأى مهما بلغ من الصدق والوضوح لا قيمة له ما لم يتحول الى عقيدة تملأ القلب ، وتجرى فى الدم ، وتوجه السلوك ، وأقرب مثل لبيان هذه الحقيقة التى لا تحتمل الجدل والمناقشة ما يراه الآن سبعمائة مليون مسلم ، من أن الجهاد هو الحل الوحيد لحمل اسرائيل على الارتحال من أرض المسلمين ، وأن التضحية بالنفس والمال لا بديل عنها ، وقد ملأ هذا الرأى صفحات الكتب ، وأنهار الصحف ، وصدرت به قرارات وتوصيات ، ورددته شعارات ، وعلقت به لافتات ، فهــل حشد هذا الرأى المسلمين فى كتائب زاحفة ، وهل أخـــرج هـــذا الرأى ما فى الخزائن من أموال طائلة ، وهل بدا لهذا الاجماع فى الرأى مظاهر جـــادة فى سلوك الافراد والجماعات ، فى الأسرة ، والمعهد ، والسوق ، والمصنع ، ودوائر العمل .. الجواب هو ما نرى ونحس « لا » بكل ما فى كلمة لا ، من سلبية وخمود ،

وتوقف عن الحركة ، فلا المسلمون تجمعوا ، ولا الكتائب زحفت ، ولا الامـوال خرجت ، ولا مجرد السلوك تغير ، لأن الجهاد مجرد رأى لا عقيدة ، والرأى يسهل التحول عنه ، والتنصل منه ، والاعتذار عن العمل بمقتضاه ..

أما حين يتحول الجهاد الى عقيدة ، والبذل الى ايمان ، فانك تجد المسلمين من أقصى الارض يشمون رائحة الجنة ، فى أرض فلسطين ، فيسرعـون ولا يقعدون ، ويرون الله ورسوله أبقى لأولادهم من الدرهم والدينار ، فيبذلون ولا يبخلون .

ان الفصل فى معركتنا مع الصهيونية الباغية ليس فى حاجة الى مزيـد من الآراء ، ولا كثير من الدراسات ، ولا عدد من الحلول ، فقد تنوعت الآراء حتـى تضاربت وكثرت الدراسات حتى تعارضت ، وتعددت الحلول حتـى تعقـدت ، وكثرت العروض حتى رخصت .. لسنا بحاجة الى رأى جديد ، ولا فكر جديد ، وانما نحن فى حاجة الى عقيدة تجعل الجبان شجاعا ، والشحيح كريما ، والمتردد مقداما .. عقيدة تسوق المؤمنين الى ميدان الحديد والنار .. عقيدة تقتحـم الاسوار ، وتدك الخطوط ، وتزلزل الجبال ، وتفرض على التاريخ مسيرتها .

ان القرآن الكريم يصف الفارغين من العقيدة بصفات تجعل الركون اليهـم خيبة ، والاعتماد عليهم هزيمة « يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم » و « اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » « يحسبون كل صيحة عليهم » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يدمغهم بالغدر والخيانة ، « ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الذئاب » والعرب قديما قالت فيهم : « ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل » .

الرأى صورة وشكل : والعقيدة حقيقة وجوهر .

الرأى جثة هامـدة : والعقيدة حياة وحركة .

الرأى ألفاظ وكلمات : والعقيدة عمل وتنفيذ .

الرأى قذيفة فارغة : والعقيدة متفجرات مشتعلة .

جدير بالمسلمين أن يجعلوا العقيدة مجالا للتوعية فى الاحتفال بيوم الذكرى الخالدة ، فاننا فى أشد حالات الضرورة الى عقيدة صاحب الذكرى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فى صدقها وثباتها .. عقيدة لا تهاب قوة الصاعدين الـى القمر ، ولا بأسهم وعلمهم ، ولا « تكنولوجيتهم » بل ولو استطاعوا أن يمسكوا بالشمس والقمر ، ويضعوها فى أيدينا « والله لو وضعوا الشمس فى يمينـى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الأمر الذى جئت به ما تركته » .

اننا فى حاجة الى عقيدة الذين رأوا أعداءهم رأى العين فى بدر ثلاثـة أضعافهم مدججين بأسلحة أضعاف أضعاف ما معهم ، فما زحزحهم ذلـك من موقفهم ، ولا أخرهم عن زحفهم ، بل قالوا لقائدهم : « أمض يا رسول الله لمـا أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضتـه لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، وانا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء لعل الله يريك ما تقر به عيناك ، فسر على بركـة الله » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان النبلي

قيم المجتمع الفاضل

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ : بجامعة الكويت

حدث البخارى قال : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الناس كالابل المائة (١) لا تكاد تجد فيها راحلة » : رواه الامامسلم (٢) والامام أحمد (٣) .

١ ـــ عرفته منذ أزمان باحثا منقبا غائصا على الدر فى كل لج ، متابعا للمثل الكريمة فى أى منعطف وفج يتحرى اللفظ وينتقى المعنى ، واصلا ليله بنهاره ، وصباحه بامسائه ، دارسا فى عزم وجد يجرى وراء صيوده فى مظان وجودها فيحظى بالكثير من تراث الآباء قائلا : « كل الصيد فى جوف الفرا » موقنا بأن هذا التراث هو الذى خلدوا به وخلد بهم ، ولن يعيه الا من سار على دربهم وسلك طريقهم ، متجافيا عن راحته مجانفا لمطالب البدن الا بقدر ، والتقيت به ـــ ذات مساء ـــ فى رحلة خارج البلاد ساعيا وراء الدر النادر فى محيط متلاطم الأمواج من العالم الرحب الفسيح ، حيث ثوى على يدى نقلته من مكامنه فى غفلة من عقل أصحابه وورثته ، ولم تقعد به سن تقدمت ، ولا سنون بدا أثرها فى شعر أبيض ، وعظم قد وهن ، وتجاذبنا أطراف الحديث ، والحديث ذو شجون ، بدأته مداعبا وكنت أعلم من أمره أنه حليف فلسفة وصنو حكمة ،

---

١ ـــ قال الخطابى العرب تقول للمائة من الابل ـــ ابل ، يقولون لفلان ابل أى مائة بعير ، ولفلان ابلان أى مائتان فقوله مائة تفسير للابل ، وقال ابن الأثير الراحلة من الابل البعير القوى على الأحمال والأسفار والذكر والأنثى فيه سواء ، وهى التى يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخلق (بسكون اللام) وحسن المنظر ، فان كانت فى جماعة من الابل عرفت ، وقال القرطبى الذى يناسب التمثيل أن الرجل الجواد الذى يحمل أثقال الناس والحمالات عنهم ويكشف كربهم عزيز الوجود ، كالراحلة فى الابل الكثيرة ، وقال ابن بطال ـــ معنى الحديث أن الناس كثير والمرضى (بضم الميم وفتحها) منهم قليل .

٢ ـــ فى رواية الامام مسلم عن طريق معمر عن الزهرى « تجدون كابل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة » .

٣ ـــ وفى رواية الامام أحمد عن سالم عن أبيه قال : ـــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الناس كابل مائة لا يوجد فيها راحلة » ورواه الترمذى وابن ماجة بلفظ مقارب .

ومدمن صداقـــة الأقدمـــين من بناة الانسانية الفاقهة .

قلت سيدى .. هل وصـــل الى علمك أن « ديوجين » عثر على ضالته قبل أن يلقى عصا سيره ويرقد بين الصفائح والجنـــادل ؟ أم أن البحث اعياه وعجل به الى مثواه أسفا حزينا كاسف البال مقطوع الرجـــاء خائب الأمل ؟ فأجاب صاحبى هون عليك ، ولا تلق بالا لمن ذهب ، ومصباحـــه أحـــاديث فـــى الغـــابرين بعــــد فلسفـــــــة تبـــــدو للبعـــض عرجاء ولغير مدركها بلهاء ، وعرج مسرعا على الوادى الخصيب ، حيث الجنى الطيب والثمر الشهى فهناك مصدر الخير الخالص ، ومشرق النور الساطع ، ومورد العلوم الهادفة ، وينابيع الحكمة الصافية ، التى علت فى مصدرها حتى ما تطاول وسمقت فلا تدرك قننها ودنت قطوفها وتدلت ، فكانت قاب قوســـين أو أدنى من راغبيها وقصادها ، وذهبت مثلا فريدا فى بابها ، باب التوجيه الانسانى الحق الى الأهداف السامية التى تضرب اليها آباط الابل ، وتشد الى رحابها الرحال ، وتطهم الجياد ، حيث الهادى سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمع اليه بقلب واع ، وألق السمع وأنت شهيد ، تجمـــع أطراف الفضـــائل ، وتصل الى قوام الحياة الحرة العزيزة المشيدة على أسس ثابتة ، من بنـــاء مجتمع متماسك ، مـــن كل جوانبه عياف للنقص ، ساع فى سبيل الكمال ، وان ندر فى غيره الرجال ، فقد حوى هو وسيلة للسيادة والريادة المسعدة فى العاجلة والآجلة .

٢ ـــ يحـــذر سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاندفاع وراء المظهر قبل ابتـــلاء المخبر ، فالنظرة العابرة تريك فى سوق الابل أنواعا وجمالا ذات جمال ، ولدى الفحص تخرج من الابل بواحدة تصلح راحلة ان وفقت ، وقد لا تجدها ان تسرعت ، ولذا رسم للمجتمع الفاضل خطوطه وأوضح معالمه وحض على انتهاجها فى حزم وعزم وثبات ودءوب ، فقال عليه الصلاة والسلام « من عامـــل الناس فلم يظلمهم ، وحـــدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت محبته ، فمن صفات العائش فى حمى الاســـلام حبه لغـــيره من البشر ، والمسارعة الى معونة مـــن استعان بـــه ، وكف أذاه عن قومه والاحسان الى من أساء اليه فوصل من قطعه ، وأعطى من حرمه ، وصفح عمن ظلمه ، ولم يقف موقف الخصومة أبدا من عشرائه واخوانه ، وجعل أساس تعاطفه مع الآخرين الحب فى الله والبغض فيه ، فقد روى البخارى عن أنس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف الى من هو أهله والى غير أهله ، فان أصبت أهله أصبت أهله ، وان لم تصب أهله كنت أنت أهله » وروى الديلمى : « أن الله يحب اغاثـــة اللهفان » وروى ابن عساكر عن أبى هريرة « ان الله يحب المداومة على الاخـــاء القـــديم فداوموا عليه » وروى مســـلم عن قتادة والبخارى عن أنس « من أغاث ملهوفا كتب الله لـــه ثلاثا وسبعين مغفرة ، واحدة فيها صلاح أمره كله ، واثنتان وسبعون له درجات يـــوم القيامة » .

ويقول الله تبارك وتعالى : ـــ ومن اصدق من الله قيلا ـــ « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثـــم والعدوان » ومن جميل ما يروى ما جاء عن البيهقى أنه قال : « شتم رجل ابن عباس رضى الله عنهما فأجابه أتســـبنى وفى ثـــلاث خصال ؟ انى

لأسمع بالحاكم يعدل فى رعيته فأحبه ولعلى لا أقاضى اليــه أبدا ، وانى لأسمع بالغيث يصيب بلــدا فأفرح وما لى به فيه سائمــة ولا راعية ، وانى لآتى على آية من كتاب الله فأود أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم » .

ولعل أبا العلاء فطن الى معنى ما قصد اليه ابن عباس فأنشد شعرا :

ولو أنى حبيت الخلــد فــردا
لما أحببت بالخلد انفــرادا
فــلا هطلت عــلى ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البـــلادا

٣ ــ يعنى الاسلام بالمجتمع كثيرا ، كى يقــوى ويشتد وتنمــو روابطه الكريمة ، ويكثر فيه الرجال الصالحون والنساء الصالحات ، فاذا به يثمر رواحل عديدة فيزيد حيزه وتتضــاءل شروره ، وتتلاشى فيه الأنانية والأثرة وحتى يصل الى هــذا الهدف ، يولى الأسرة اهتماما عظيمــا فينظر الى عمدها المتمثلة فى الرجل والمرأة معا فصار للمنزل المقام الأول، لأنه أساس لنظام المجتمع كلــه ، فالمقر الأول للذرية والأولاد بنين وبنــات ، هــو المكان الذى استنشقوا لأول وجودهم فى هذه الحياة هواءه فاذا زكت بهم التربة الأولى طابت ثمــارهم وحلا جناهم ، ولما كان الرجل هو الــذى يبحث عن شريكة حياته ، وجهــه الاسلام الى القرينة القويمة الخلق ، العارفة بربها ، المؤمنة بأسرتها ، البعيدة عن مظان الشبه ومصــادر الزلل ، فقد روى ابن عدى عن أنس مرفوعا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا فى الحجــر الصالح فان العرق دساس » . وحث على مداومــة الاحسان الى الزوجة والأولاد وتعهدهم بما يديم استقامتهم ، ويمضى بهم فى مدارج الكمال ، روى البخارى قول سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارجعوا الى أهليكم فكونوا فيهم ، وعلموهم وبروهم » وروى ابن عساكر عن على كرم الله وجهه ، أن رسول الله قال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » ويستفاد من تتبع الأحاديث الشريفة فى هــذا المجال أن البيت العامــر بالذرية خير وأجدى على الانسانية من بيت خلا منها،ومما جاء فى هذا الباب ما رواه ابن حبان قال : ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بيت لا صبيان فيه لا بركــة فيــه » وروى الترمذى : « الولد من ريحان الجنة » وواضح ان صقال الرجال والنساء لا يكون الا فى الأسرة القويمة السلوك التى يسهر فيها الوالدان على الاهتمام بأولادها واعطائها صورة السلــوك الصالح فى سلوكها عمليا ، فالنموذج العملى له تأثيره السحرى فى الناشئة خصوصا ، والصغار يقلدون الكبار فى كل ما تقع عليــه أعينهم منهم ، ففى الحديث الذى رواه البخــارى « أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهــم فان أولادكم هدية اليكم » ومعلــوم أن التفريط فى الهدية كفران لحــق من أهداها ، وباعث عــلى غضبه وسخطه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمــرأة الراعيــة لأولادها المنزلة الكريمة يوم القيامة فضلا عن الحياة السعيدة فى الــدنيا فقال : « أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهى معى فى الجنة » .

وحث عليه الصلاة والسلام على العدل بين الأولاد فى كل شىء ففى الحديث الذى رواه الطبرانى يقــول صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم فى العطية ، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء » معارضا بذلك موقف بعض الجــاهلين من البنات وكرههم لهن ، وفى مســند أحمد وصحيح الطبرانى قوله عليه السلام

« لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات » وكره رسول الله فعل من لا يعطف على أولاده ، ففى مسند أحمد أن الأقرع بن حابس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال له : ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » من لا يرحم لا يرحم » .

٤ — وينتقل الاسلام بتوجيهاته الكريمة من الأسرة الى المجتمع العام حاثا على ترابطه محذرا من الفرقة والانقسام فيقول صلى الله عليه وسلم « الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » رواه عبد الله بن أحمد وفى الطبرانى من فرق « بتشديد الراء » فليس منا » وروى الترمذى : « يـد الله على الجماعة وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » وفى البخارى « لا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » وعن أبى ذر الغفارى فيما رواه أحمد « اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فان الله لن يجمع أمتى الا على هدى » ومما يزرع المحبة ويمكن لها من الجماعة هو التراحم والتواد ، وبذل المعروف لكل من عرفت ومن لم تعـرف ، والاحسان فى المقـال والأعمال ، وأحق ما يورد فى هـذا الموضع للاقتداء والتأسى ما كان عليه سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلق كريم استحق ثنـاء الله تعالى « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حـولك » ووصفه ربه فقال « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حـريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » وحض عليه السلام على الرحمة حضا عاما فقال « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا مـن فى الأرض يرحمكم مـن فى السماء » رواه البخارى ، وروى أن الامام الشعبى ألقى السلام على وثنى قائلا « السلام عليكم ورحمة الله » فقيل له أتدعو له بالرحمة والرحمة استغفار ؟ فأجاب أليس فى رحمة الله يعيش ؟ وهذا ضرب من الاحسان الى الناس جميعـا وبه تسود المحبة بينهم .

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالمـا استعبد الانسان احسان

والقول فى هذا يطول وقد عمـرت به مجتمعات اتخذته سننا وطريقـة فسادت .

وتطورت الى الافضل دائما وغفلت عنـه أخرى فهـوت وتمزقت أيدى سبا ، وصارت أثرا بعد عين ، وجرت مثلا سيئا فى الغابرين .

٥ — والخلاصة أننا لا نجد مصدرا ولا مـوردا لكل أصـول الانسانية الفاضلة استوعب جميـع مقوماتها الخيرة كهـدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى الحديث موضـوع البحث يحذر من الاندفاع وراء المظاهر الخلابة ويحث عـلى حسن الاختيار والتروى والأناة فى اصطفاء العشراء ، ووزنهم بالمـوازين الصـادقة التى رسمها رب العالمـين وأوحاها الى **المصطفين الأخيار** ، فالظـواهر قـد تخدع ، وكثيرا ماأوقعت فى مشكلات كان لهـا الأثـر السىء فى حيـاة المجتمعات ، والتجارب هى مفاتيح القلوب ، وطول الاختبار قد يبين عن خبىء لا يدرك لأول وهلـة والناس كالابل المائة والراحلة بينها قليل ، ولا استقامة لأمورهم الا بالسعى الحثيث الى اقتفاء آثار المبشرين والمنذرين من صفوة خلق الله ، أولئك هم رسله وأنبياؤه وعـلى قمتهم وفى مقدمتهم خاتمهم سيدى رسـول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فاللهم وفقنا لانتهـاج طريقه واتباع سبيله ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير .. »

الكويت تحتفل باليوم الدولي

محمد مؤذن

للقضاء على التميز العنصري

احتفلت الكويت مع سائر دول العالم باليوم الدولى للقضاء على التميز العنصرى . وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اتخذت قرارا بتسمية عام ١٩٧١ م عاما دوليا للعمل على مكافحة العنصرية والتميز العنصرى ، وانه يجب الاحتفال بها باسم الكفاح المتزايد ضد التمييز العنصرى بكافة أشكاله ومظاهره ، وبأسم التضامن الدولى مع هؤلاء الذين يكافحون ضد العنصرية ، وناشدت الجمعية العامة بالحاح كافة الدول تشديد وتوسيع جهودها على المستويين الوطنى والدولى من أجل ضمان القضاء السريع والكامل على التميز العنصرى بما فى ذلك سياسة الفصل بين الأعراق ، والمظاهر الأخرى للعنصرية وقد خصصت دولة

الكويت الأسبوع الأخير من الشهر الماضى للاحتفال بهذه المناسبة بناء على اقتراح من جامعة الدول العربية بأن تحتفل الدول العربية محليا بهذه المناسبة .

وقد عقد مجلس الأمة جلسة استثنائية مساء ٢١ مارس الماضى شجب فيها سياسة التفرقة العنصرية والصهيونية العالمية ، ودعا الى دعم حركات التحرير فى العالم ، وخاصة حركة التحرير الوطنى الفلسطينى .

وقد ألقى سعادة خالد الغنيم رئيس المجلس الكلمة التالية : —

حضرات الزملاء المحترمين . . ،

تعلمون حضراتكم أننا نجتمع اليوم فى عام سمى — السنة الدولية من أجل مكافحة العنصرية والتمييز العنصرى — وفى الحادى والعشرين من شهر مارس ١٩٧١ المعتبر (اليوم الدولى للقضاء على التمييز العنصرى) نجتمع استجابة لهذين المعنيين فى عامنا هذا ، وفى يومنا هذا بل واستجابة كذلك وقبل ذلك لما أكده ديننا الاسلام منذ أربعة عشر قرنا عندما كرس هذه المعانى على أوسع نطاق يتصوره العقل ، والى أبعد مدى يمكن أن تبلغه المساواة بين بنى البشر ، وذلك فى العديد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال السلف الصالح وأفعالهم .

فمن القرآن الكريم وعلى سبيل المثال نذكر قوله تعالى **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .**

ومن الأحاديث الشريفة أخص بالذكر قول الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام **(الناس سواسية كأسنان المشط)** وقوله فى خطبة الوداع **(يأأيها الناس ، ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب .. ألا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى) .**

وعن السلف الصالح أخص بالذكر قول سيدنا عمر بن الخطاب لواليه على مصر عمرو بن العاص عندما آذى ابنه قبطيا مصريا (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) .

من أجل هذه المعانى الاسلامية العظيمة التى اعتنق جانبا هاما منها ميثاق الأمم المتحدة ، والاعلان العالمى لحقوق الانسان ، والتى تكافح منظمة الأمم المتحدة كفاحا عظيما من أجلها ، وتعاونها فى ذلك الأمانة العامة واللجان والوكالات والهيئات والمؤتمرات المتعددة معاونة أوضحت أن التفرقة العنصرية التى لا تزال قائمة فى قلة من الدول حتى اليوم تعتبر وصمة وعارا فى جبين القرن العشرين .

فلنعلن من هذا المكان أننا نشارك الأمم المتحدة مثلها هذه ، ونساندها فكريا وقلبيا وماديا فى كفاحها المذكور ، ونندد أيما تنديد باصرار دولة جنوب افريقيا خاصة على التفرقة العنصرية ، مهدرة بذلك أبرز الحقوق الأساسية والحريات الفردية والاجتماعية التى نص عليها ميثاق الأمم المتحدة ، وأكدها الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، كذلك نوجه الأنظار بأعلى صوت وبكل أسف وألم الى ما استحدثته اسرائيل فى قلب العالم العربى من تفرقة عنصرية نازية مريرة ضد العرب وما استحدثته بذلك

فى العالم من عنصرية جديدة أشد ضراوة وقسوة ووحشـــية فى عصرنا الحاضر ، عصر الأمم المتحدة والمساواة ، وحق تقرير المصير .. والتعاون الدولى للقضاء على بقايا التمييز العنصرى فى العالم .

فالى المكافحين من أجل القضاء على التمييز العنصرى أبعث من هذا المكان بتحية مجلس الأمة وتأييده لهم أينما كان مكانهم فى العالم .

والى الممارسين للتمييز العنصرى أينما ثقفوا أبعث باستنكارنا ، وأندد باصرارهم على طريقهم الوعر ، وتمييزهم العنصرى البغيض .

وفى الختام أستأذنكم فى أن أبعث الى الســـيد الأمين العام للأمم المتحدة بتقديرنا لجهود المنظمة الدولية وأجهزتها ، وجهوده الشخصـــية من أجل القضاء على التفرقة العنصرية فى العالم بأسره ، وتنديدنا بما عاق ويعوق تلك الجهود المخلصة من معوقات مغرضة ومحاولات آثمة للاستمرار فى تلك التفرقة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والقى بعد ذلك الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية كلمة هذا نصها : ـــ

سعادة الرئيس :

أيها الأخوة أعضاء مجلس الأمة يسعدنى أن أتحـــدث اليكم اليوم نيابة عن زملائى أعضاء الحكومة بمناسبة الاحتفال هذا العام بالعام الدولى للعمل من أجل مكافحة العنصرية والتمييز العنصرى ، ونحن اذ نحتفـــل بهذه المناسبة فاننا نعرب عن تضامننا مع جميع الشـــعوب التى تعـــانى من ويلات التفرقة العنصرية ، فميثاق الأمم المتحدة يؤكد ايمانه بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد ، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .

وانه لما هو جدير بالذكر حقا فى مثل هذا اليوم هو أن ديننا الاسلامى الحنيف سطر منذ بزوغه مبادىء أساسية فى العلاقات الانســـانية ، اذ يقول الله جل جلاله فى كتابه العزيز **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعـــارفوا ان أكرمكم عند اللـــه أتقاكم)** صدق الله العظيم .

وبذلك يكون الاسلام الحنيف الذى نعمل بهديه أول من عمق مفهوم المساواة ، ومبادىء العدالة ، ومعانى الكرامة الانسانية .

وانه لمن المؤلم حقا ونحن نشارك جميع شعوب العالم وحكومـــاته بهذه الذكرى أن نرى قضيتنا العربية ـــ قضية فلسطين ـــ لا تزال تتخبط فى أروقة الأمم المتحدة منذ ثلاثة وعشرين عاما بدون حل ليكون ضحيتها شعب آمن اغتصبت الصهيونية أرض آبائه وأجداده ، وجعلته شعبا من اللاجئين ، ذلك لأن اسرائيل بتكوينها الحالى ما هى الا دولة عنصرية فى تركيبها ، ونرى اخواننا العرب تحت الاحتلال يتعرضون لأقسى أنواع التفرقة العنصرية الأمر الذى يشكل خرقا فاضحا لجميع المواثيق الدولية الخاصة بمحاربة التمييز العنصرى بكافة أشكاله وصوره .

أيها الأخوان .

لقد سبق لدولة الكويت ايمانا منها بمبدأ محاربة التفرقة العنصرية أن أقرت الاتفاقيات الدولية الخاصة بالقضاء على التفرقة العنصرية بكافة صورها وأشكالها بموجب القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٦٨ ، وقد أودعت الدولة وثيقة انضمامها الى تلك الاتفاقية المهمة بتاريخ ١٥ اكتوبر عـام ١٩٦٨ ، ولقد جاءت الاتفاقية المذكورة لتتمشى الى حد بعيد مع دستور دولة الكويت الذى نصت المادة ٢٩ منه على (الناس سواسية فى الكرامة الانسانية وهم متساوون لدى القانون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين) وجاءت خطوة دولة الكويت منسجمة أيضا مع قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٢٣١٦ بتاريخ ١٩٦٧/٣/١٨ حيث أوصى الدول العربية الأعضـاء بالانضمام الى تلك الاتفاقية التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحـدة بتاريخ ٦٥/١٢/٢١ وانسجاما مع هذا المبدأ الذى تؤمن به دولة الكويت ، فقد صادقت الدولة على الاتفـاقية رقم ١١١ التى تحـارب التمييز فى الاستخدام أو المهنة ، كما صادقت على اتفاقية اليونسـكو لعـام ٦٢ ، والخاصة بمكافحة التمييز فى التعليم ، وكذلك الاتفاقية الخاصة بالقضاء على الرق ، وتلك التى تتعلق بتحريم السخرة والعمل الأجبارى ،وانسجمت دولة الكويت فى سياستها الخارجية مع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بمقاطعة جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا ، واتخذت اجراءات لأحكام تطبيق المقاطعة ، وعدم التعامل مع حكومات تلك الأقطار .

أيها الأخوان :

أن ما يسود عالمنا اليوم من أزمات وصراع تعود أسبابه الى قيام بعض الفئات بممارسة هذه السياسة البغيضة سياسة التفرقة والتمييز بين أبناء البشر .

ولعله من أولى واجبات المجتمع العالمى فى عصرنـا الحـاضر أن يتكاتف ويعمل بجد واخلاص ضمن اطار الأمم المتحدة من أجل القضـاء على هذه الآفة التى تواجه البشرية ،لكى ينعم العالم بما يصـبوا اليـه من أمن وسلام وطمأنينة والله ولى التوفيق .

هذا وقد تكلم فى الجلسة بعض السادة النواب .

وأشاروا فى كلماتهم الى أن التفرقة العنصرية تمـارس بأبشـع صورها فى فلسطين المحتلة وكمبوديا ، والمستعمرات البرتغالية ، وأن الولايات المتحدة تغذى هذه التفرقة ، والى أن اسرائيل دولـة عنصرية تقوم على أساس التفرقة بين المواطنين العرب وغيرهم ، وقالوا ان الأمم المتحدة التى طالبت بالاحتفال بهذا اليوم كان الأجدر بها أن تنفذ مقرراتها بشأن حقوق الانسان ، والقضـاء على التميز العنصرى ، وفى نهـاية الجلسة التى استغرقت زهـاء سـاعتين أعلن الرئيس أن المجلس قرر ارسال برقية الى المستر يوثانت السكرتير العام للأمم المتحـدة ، يعلن فيها أن الكويت تدين التفرقة العنصرية بشتى الوسائل ، وتؤكد وجوب دعم حركات التحرير الوطنيـة فى العالم ، وخاصـة حركـة التحرير الفلسطينى ضد العدو الاسرائيلى .

الزكاة

١ الزكاة العبادة هي اخراج المال
عن التزام ذاتي، في حرّية واختيار

٢ صلتها في فاعليتها بالصلاة

٣ الانفاق في سبيل الله صنو
الزكاة في الالتزام الذاتي

٤ مدى التطبيق العملي للالتزام الذاتي
في شأن المال في المجتمع الاسلامي

في مجال الاعطاء الحر للمال :

للدكتور محمد البهي

الزكاة « العبادة » ليست هى اخراج نسبة معينة من أربــاح رأس المال فى التجارة ، أو الصناعة ، أو الزراعة أو مما يكتنز ويدخر من مال ، وليست هى أيضا اخراج نسبة خاصة مما يكتشف أو يستغل من معــادن الارض ، أو مما يعثر عليه من ذهب أو فضة مدفون فى باطن الارض ، أو من رأس المال نفسه أن بلغ نصاب الزكاة ولم يتغير بنقص فى آخر العــام .. ليست هذا كله فحسب .. وليست هى كذلك صرف ما يخرج من المال باسم الزكاة فى مصارف الزكاة التى جاء القرآن الكريم بتحديدها . وانما بالاضافة الى اخراج النسبة المعينة من الارباح أو من المال نفسه ، والى صرفها فى المصارف المحددة لها ، ان اخراجها وصرفها لم يكن واحد منهما عن طريق « الالزام » . والا كان شأنها شأن الضريبة يلزم بها قانون الدولة تلك الدولة التى هى من صنع الانسان وثمرة فلسفته .

وانما « العبادة » فى الزكاة أن يكون اخراج المال وصرفه ناشئا عن « التزام » المؤمن بالله نفسه للاخراج والصرف معا . وهو التزام ليست فيه شائبة اكراه ، لأنه نتيجة الايمان .

والمؤمن لا يدخل الايمان مكرها . بل ايمانه يتم بفعل مشيئته ومحض اختياره . اذ لا يقبل ايمان المكره عند اللــه ، ولا يترتــب عليه أثر ما فى حياته .

ولذا : « التزام » المؤمن هو قربى منه الى الله ، هو عبــادة . اذ العبادة « التزام » حر بأداء ما يترتب على الايمان ذاته :

فالايمان اذ يوجب الصلاة والزكاة مثلا على المؤمن بالاسلام يلتــزم المؤمن به عن مشيئته بأداء الصلاة والزكاة . والصلاة أو الزكاة من جانب آخر فى أداء أى منهما تزكى ايمان المؤمن وتتفاعل معه تفاعلا ايجابيا . واذا زاد ايمان المؤمن وقوى كان « التزامــه » بالاداء عندئذ أيسر وأنشــط وأدوم .

ولأن الزكاة عبادة والتزام ذاتى ، وليست قهرا ، ولا الزاما من خارج الذات عن طريق القانون أو السلطة التنفيذية ، على نحو ما فى الدولة المعاصرة — لا تكون الضريبة بديلا عنها ، ولا هى بديلة عن الضريبة ، لأن معنى العبادة والالتزام الحر ليس موجودا فى الضريبة ، فضلا عن اختلاف المصارف بين الاثنتين .

وما يذكر عن « ديمقراطية » التشريع فى الضريبة فانه لا يوفر فيها اطلاقا عنصر المشيئة والرغبة الفردية والقربى فى غير مقابل ، الذى هو متوفر فى الزكاة .

شتان بين « العبادة » فى أداء الزكاة لله وبين « الواجب » فى أداء الضريبة للدولة .

شتان بين « جلال الله » الذى يتقرب اليه المزكى بزكاته ، و « معنى الدولة » الذى يوجب على دافع الضريبة طاعته فيما يدفع من ضرائب .

ان قلب المؤمن لا يعمر الا بالمحبة لله ، ولكن قلب الفرد فى المجتمع المعاصر قلما ينطوى على رضا بالدولة أو بنظام الحكم القائم . ومن هنا تعبر الدولة المعاصرة عن افلاسها فى كسب طاعة الافراد طاعة نفسية لنظامها ، عندما يكثر فى اصدار التشريعات وتزيد فى قوى « الأمن » الداخلية التى تؤلفها لصيانة النظام والأمن فيها .

ولأن العبادة التزام حر بقربى الى الله ، يترتب على الايمان به ، ليس لتركها — اذا ما تركت — « حد » فى الاسلام وان كان تاركها عاصيا . أى ليس لتركها « عقوبة » معينة جاء بها الاسلام ، كعقوبة القتل أو السرقة أو مباشرة الزنا مثلا (١) . اذ من غير المعقول أن يجتمع ايمان بالله على سبيل الحقيقة مع ترك الصلاة ، أو ترك الزكاة ، أو ترك الصوم . فالأمر فى حقيقته يدور بين « وجود » الايمان بالله أو « عدم وجوده » . فان وجد الالتزام الحر بنتائجه قائم . والعبادات من بين ما يتلزم بأدائه أداء حرا ، تبعا للمشيئة فى الايمان .

وان لم يوجد الايمان فليس هناك التزام يؤدى ، عبادة أو غير عبادة .

ومن هنا تارك الصلاة أو تارك أية عبادة أخرى ان أريد محاسبته ، فيجب أن يحاسب على الايمان أو الارتداد فيه ولو بالعمل ، وليس على ترك العبادة فى ذاتها . ولذا الحرب التى واجه بها الحقيقة أبو بكر — رضى الله عنه — مانعى الزكاة كانت فى حقيقة أمرها بسبب ارتدادهم عن الايمان ، وليست بسبب تركهم عبادة الزكاة .

. . .

هذا الالتزام الحر لمعنى العبادة فى الزكاة هو الذى يجعل من الزكاة عطاء حرا للمال ، أى عطاء غير مشروط بمبادلة منفعة أخرى ، وغير مكره عليه من أحد ، وغير متعثر أو متردد فيه .

ليست هناك عقبات نفسية دونه ، ولا هناك محاولات للهرب منه . وهنا تحقق المنفعة العامة للمال لأنها عطاء المال ، بدون مقابل .

ولأن أداء أية عبادة يرتبط بالايمان بالله كانت صلة الزكاة صلة وثيقة بالصلاة خاصة التى هى كمصدر لنمو فاعلية الايمان ، وكعبادة يلتزم فيها بتحويل مفهوم « وحدة الالوهية » الى « حقيقة نفسية » مترسبة فى أعماق النفس .

فالصلاة كعبادة تترتب هى أيضا على الايمان بالله فيلتزم المؤمن

بأدائها التزاما التزاما حرا مطلقا خالصا ولكن طبيعتها ، وهى دعاء لله ومناجاة اياه ، وتوسل اليه فى ان يعينه على الصراط السوى ، وفى ان يحمى من الانحرافات والنزوات التى يدفع اليها الاتجاه المادى فى الحياة ، تتصل بذات الله فتكون له فى ذات المصلى خشية ، وفيه أمل فى النجاح والانقاذ .

وهذا الأمل وتلك الخشية هما العاملان فى زيادة الايمان نفسه بالله . وكلما زاد الايمان وقوى كلما كانت القدرة على اجتياز العقبات النفسية — سواء بحكم العادة والالف ، أو بحكم التوجيه السىء السابق ، أو بحكم سيطرة الانانية — فى سبيل أداء الالتزامات التى تترتب أساسيا على الايمان بالله .

والزكاة وان كانت عبادة يلتزم بها المؤمن نتيجة ايمانه بالله ، الا أنها ترتبط بالمال والملك والاقتناء ، أى ترتبط بما تحرص الذات عليه بحكم الغريزة وبحكم الانانية فى سبيل « حفظ البقاء » للذات . حتى يتخيل للبعض أن خلود البقاء هو فى جمع المال وادخاره : « ويل لكل همزة لمزة . الذى جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده » (٢) .

وقد تمضى الحياة كلها على البعض الآخر فى سبيل تكاثر المال والأولاد : « ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر (٣) . بحيث يكون الهدف لأى منهما هو ذات المال ، سواء نظر من خلاله الى خلود النفس فى بقائها أو الى القوة التى يحفظ بها وجوده وكيانه .

والحرص على المال المقتنى ، والسعى لاقتنائه طبيعة فى النفس البشرية لا تتخلى النفس عنها بحال . واذا وجدت الظروف معدة لتحقيق هدف الاقتناء فان الشح سيكون لازما لها . وعندئذ يشتد الحرص على المال فى اقتنائه ، ويزداد الأمر صعوبة فى انفاقه .

ولارتباط الزكاة بالمال كانت عبادة الزكاة فى قوتها نحو التحويل من الشح والامساك الى الاعطاء الحر بحاجة الى فاعلية أكثر من طريق الايمان بالله فى قوته وفى حيويته . ومن هنا كان اقتران أداء الزكاة بأداء الصلاة فى كثير من آيات القرآن الكريم ، عندما يتحدث عن شأن العبادة أو يوصى بها ، أو يلخص قوام الروحية فى الدين . فيقول الله تعالى :

١ — « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة .

٢ — « وما أمروا :

« الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، حنفاء ،
« ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ،
« وذلك دين القيمة » (٤) .

... فالآية الاولى من هاتين الآيتين تشير الى أن أهل الكتاب السابقين لم يختلفوا على بعضهم بعضا فيتجه بعضهم الى الوثنية والشرك ويقع تحت طغيان المادية ، ويبقى البعض الآخر فى دائرة الايمان الصحيح ، ولم تقم بينهم فرقة على هذا النحو فى الدين — دين الله — الا بعد ان جاءتهم الحجة برسالة رسول منهم اليهم ، توضح لهم الحق فى ذاته . بينما الآية الثانية تلخص قوام هذا الحق الذى ينحصر :

فى وحدة الألوهية : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين (فى عبادتهم اياه) له الدين (وحده لا شريك له) ،

وفى الاستقامة الناشئة عن اقامة الصلاة وايتاء الزكاة : « حنفاء (مستقيمن) ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » .

. . . ثم يصف القرآن الكريم ما جاء فى الآية الثانية من مجموع عبادة الله وحده ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة بأنه : « دين القيمة » أى دين الجماعة المستقيمة .

فعماد الدين اذن :

وحدة فى الالوهية تحول دون الشرك وبالتالى دون طغيان المادية ، وروحية تتمثل فى الصلاة والزكاة ، وهى الروحية التى تدخل للمؤمن النهج المستقيم فى الحياة .

فاقتران الصلاة هنا بالزكاة لتيسير أمر الزكاة على النفس الانسانية ، واقتران الزكاة هنا أيضا بالصلاة لاضعاف الأنانية وسيطرة الاتجاه المادى فى الحياة .

وقد أوصى القرآن المؤمنين ــ فى معرض ما يتمناه لهم أهل الكتاب من عودتهم الى الكفر ــ بالثبات على أمرين :

على اقامة الصلاة ،

وعلى ايتاء الزكاة ، تاركين لهم حقدهم وحسدهم . الأمر الذى يدل على أن أداء هاتين العبادتين فى ارتباط بينهما من شأنه أن يبقى المؤمنين على تميزهم عما عداهم . يقول الله تعالى :

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ،

« حسدا من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ،

« فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ، ان الله على كل شىء قدير .

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير (أى بالانفاق فيما عدا الزكاة) .

« تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير » (٥) .

. . . فالصلاة وحدها أو الزكاة وحدها اذن لا تبقى فى نظر القرآن على ما يتميز به المؤمنون من الايمان بالله وحده ، وعدم التبعية للاتجاه المادى وطغيانه فى حياتهم وفى مواقفهم . والاقتران بينهما هو الامارة المميزة .

وكذلك فيما وعد به المؤمنين من الاستخلاف فى الارض فى قول الله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ،

« يعبدوننى ، لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون .

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،

« واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » (٦) .

. . . فقد طلب منهم ــ لبقاء هذا الاستخلاف ــ اقامة الصلاة وايتاء الزكاة مقترنتين لا انفصال لأحداهما عن الأخرى . وبأدائهما معا يكون هناك ضمان لوجودهم فى العبادة فى دائرة الله وحده ، لا يخرجون عنها الى ما تدفعهم اليه المادية من شرك ووثنية .

واذ يوجه القرآن قوله تعالى :

« ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ، ونصفه وثلثه ، وطائفة من الذين معك ،

« والله يقدر الليل والنهار ،

« علم ان لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرءوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى ،

« وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ،

« فاقرءوا ما تيسر منه ،

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير .

« تجدوه عند الله ، هو خيرا وأعظم أجرا ،

« واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم » (٧) .

... الى الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ والمؤمنين معه فيخفف الأمر عليهم فى شغل الليل بالدعاء والتوجه الى المولى سبحانه لأسباب متنوعة اقتضتها حكمته جل وعلا ، ويطلب منهم أن يواظبوا على أداء الصلاة والزكاة والانفاق فى سبيل الله .. اذ يوجه القرآن قوله هذا الى الرسول والمؤمنين معه يوجهه لأمرين :

أولا : انه فى أداء الصلاة وأداء الزكاة وما بعدها من الانفاق فى سبيل الله ما يكفى لبقاء المؤمن بالله مؤمنا بالله ، لا تقربه المادية ، ولا يحوله طغيانها الى الشرك .

وثانيا : أن السعى فى الارض ابتغاء من فضل الله هو ظاهرة طبيعية للحياة الانسانية ، كالمرض الذى يطرأ على صحة الانسان سواء بسواء .

ولولا السعى فى الأرض وتحصيل رزق الله لما كان هناك ما يقتنى من مال ، ولما كانت هناك بالتالى زكاة أو انفاق فى سبيل الله . واذن لا بد أن يشغل الانسان بالسعى لابتغاء فضل الله فيعوقه عن التفرغ للعبادة ، كما قد تشغل صحة الانسان بالمرض فلا يتمكن من أن يؤدى العبادة على الوجه المطلوب .

واذ يكتفى توجيه القرآن هنا بقراءة ما تيسر من القرآن ، بجانب المداومة على الصلاة وايتاء الزكاة فلكى يجمع بين ما هو من خصيصة الطبيعة البشرية فى حياتها ، وما هو واجب الله من عبادة لصالح المجتمع الانسانى .

وآيات عديدة أخرى فى مناسبات عديدة وفى مجالات مختلفة تطلب الى المؤمنين ــ كى يستمروا على ايمانهم ــ اقامة الصلاة وايتاء الزكاة معا كعبادتين فيهما الضمان لتحقيق الهدف المقصود ، وفيهما العون لبعضهما البعض على انجاز كل منهما فى يسر .

أما الانفاق فى سبيل الله أو اقراض الله قرضا حسنا فهو يتبع أداء الزكاة كعبادة يتقرب بها المزكى الى الله ، كما يتبع الصلاة كعبادة يتقرب بها المصلى الى الله الانتهاء عن الفحشاء والمنكر .

• • •

ولأن الانفاق فى سبيل الله ــ وراء أداء الزكاة ــ أمر يقوى الروابط فى المجتمع ، وعامل يزيد فى صفاء النفس ، ويحول باستمرار دون أن

تطغى بكنز المال وجمعه ، ومن ثم تتبع المادية فى اتجاهها ، كان أشبه بالزكاة فى الالتزام به . فهو قربى وعبادة ، ولكن ترك أداؤه لطواعية الذات لأداء الزكاة . أى ترك أداؤه للتأثر بفاعلية الزكاة . فالمزكى وقد سهل لديه الآن اخراج الزكاة لما فيها من قربى وعبادة الى الله يسهل عليه بعد ذلك أن يزيد فيما يخرجه ، حتى يصل الى ما هو فى حاجة اليه فقط ، وبذلك يغطى « العفو » كله .

ومن غير شك أن ما يشير اليه القرآن الكريم فى نداءاته العديدة الى المؤمنين من الانفاق فى سبيل الله لا يدخل فى معطى الزكاة الواجبة . وآية « المزمل » السابقة تقول : « فاقرأوا ما تيسر منه ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير (وهو هذا القرض الحسن) تجده عند الله ، هو خيرا وأعظم أجرا » .. توضح أنه الزيادة فى الاخراج من المال يعد أداء الزكاة . اذ قد أطلقت عليه قرضا حسنا ثم جعلته فى أدائه تقديم خير لمن يفعله ، لن يترك جزاؤه عند الله ، وهو أجر عظيم .

ولأنه غير الزكاة ووراءها فهو لا يتقيد بالنسب والمقادير ، ولا بأنواع المال وأصنافه التى ترتبط بها الزكاة . وتقييده فقط بدائرة تبعده عن الاكراه أو عدم الرضا ، وتقربه الى معنى المحبة وراحة النفس واطمئنانها الى مباشرته . فهو :

أولا : لا يتحدد مقداره بنسبة ولا كمية معينة : « ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : العفو ! كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . فى الدنيا والآخرة » (٨) . فالآية تنصح بالانفاق من المال ... الى العفو . فهناك مسافة بين المال فى كميته وما يزيد منه عن حاجة المالك له ولأسرته .

ثانيا : أنه يتحدد فى نوعه بأنه من طيبات وأحب ما يقتنى المالك فى ماله : « يا أيها الذين آمنوا : انفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الارض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه ، الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » (٩) . « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم » (١٠) .

ثالثا : أن يكون هناك اخلاص فى انفاقه ، أى يبتغى به المنفق وجه الله وحده : « ليس عليك هداهم ، ولكن يهدى من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (١١) . فالآية تخبر عما ينبغى فى الانفاق وهو ان يقصد به وجه الله .

رابعا : ان يبتعد فيه عن الايذاء المعنوى لمن يعطاه وعن الامتنان به عليه : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم . يا أيها الذين آمنوا : لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان (أى حجر صلد) عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » (١٢) .

خامسا : ان مصرفه ليس هو مصرف الزكاة على وجه التحديد : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين ، والأقربين ،

واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله بـــه عليم » (١٣) . فهنا اذا كان اليتامى والمساكين وابن السبيل قد نصت عليهم الآية وتشارك بذلك آية الزكاة ، فقد نصت على غيرهم مما لم تجعلهم آية الزكاة من مصارفها ، وهم : الوالدان والأقربون . وهذا يفيد أن الانفاق فى سبيل الله أريد به أن يكمل فاعلية الزكاة فى الأمة ويقوى الروابط فيها .

واذا كان الانفاق فى سبيل الله من أصحاب الاموال فى الأمة يعتبره القرآن الكريم قرضا حسنا لله ــ وهو فى واقع الأمر من مال الله الــذى استخلف عليه الانسان ــ يجازى عليه جزاء كريما فى كمه ونوعه ، كمـــا تنطق هذه الآية : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ، وله أجر كريم » (١٤) .. فالقرآن الكريم ذاته يطلب الى الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينذر المؤمنين بالمبادرة بالانفاق وعدم التراخى فيه ، فيما تقوله الآية : « قل لعبادى الذين آمنوا : يقيموا الصلاة ، وينفقوا مما رزقناهـــم سرا وعلانية ، من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال »(١٥) . ويقرن طلب الانفاق سرا وعلانية . باقامة الصلاة ليؤكد أهمية الانفاق فى حياة المؤمنين ــ على نحو أهمية الصلاة فيها ــ وأنه جزء لا يتجزأ من سبيل النجـــاة والنجاح .

ثم بالاضافة الى ذلك يشدد القرآن فى الانذار ، اذ يرى فى التخلف عن الانفاق دفعا بالأنفس ــ من ذواتها وليس مـــن أجنبى عنها ــ الـــى الضعف والهلاك . وهو ضعف الأمة فى روابطها ، وهلاكها فى خصومـــة بعض أفرادها لبعض : « وانفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الـــى التهلكة (أى بمنع الانفاق فى سبيل الله ، لما يؤدى اليه من ضعف وغلبة للعدو) وأحسنوا (أى الى أنفسكم بالانفاق فى سبيل الله) ان الله يحب المحسنين » (١٦) .

... فتطلب الآية من جميع المؤمنين القادرين على الانفاق أن ينفقوا فى سبيل الله ، فى صيغة الأمر والوجوب ــ ولم تذكر سبيل الترغيب فى هذا الانفاق ، على نحو ما تذكر الآية الأخرى السابقة : « من ذا الـــذى يقرض الله قرضا حسنا ؟ » ــ ثم تذكر : انه ليس وراء التخلف عن الانفاق الا التهلكة ، ليس للذين لم ينفقوا وحدهم ، وانما للجميـــع : « ولا تلقـــوا بأيديكم الى التهلكة » . وكأنه ليس هناك خيار ولا وضع آخر بعد التخلف والامتناع عن الانفاق ، الا الهلاك ، والهلاك بأيدى الهالكين أنفسهم وليس بأيدى أعدائهم .

ومع ذلك فهى بعد هذا التحذير تطلب اليهم أن يحسنوا الى أنفسهم بالانفاق فى سبيل الله ، وفى الوقت نفسه اذا صنعوا ذلك أرضوا اللـــه سبحانه وتعالى : « ان الله يحب المحسنين » .

. . .

والمؤمنون اذن من خصائص صفاتهم : أن ينفقوا فى سبيل اللـــه ، بجانب صفات أخرى تقتضيها نتائج الايمان بالله ، وتنص عليها آيات قرآنية عديدة بما يفيد : ان المؤمنين فى واقع أمرهم هم ما على هذه الصفات . فان تخلوا عنها أو عن بعضها فأمرهم عندئذ يدور بين النفاق والكفر .

تبتدىء سورة البقرة بقول الله تعالى :

« ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ،

« هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وممـــا

رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» (١٧) .

... ففى وصف المتقين ــ وهم المؤمنون صدقا ــ كان الانفاق فى سبل الله ركنا أساسيا من أركان التقوى : « ومما رزقناهم ينفقون » . واكتفى هنا بالانفاق فى سبيل الله ما يدفع بالاولى على اخراج الزكاة . اذ قلما يكون هناك انفاق من منفق فى سبيل الله ، ولا يكون هناك اخراج زكاة منه . ولكن على العكس قد يكون هناك المزكى فى ماله الذى يقف بالاخراج من المال عند حد الزكاة .

وشرط أولى اذن لمن يوصف بالايمان صدقا أن يتناول ايمانه الماضى فيؤمن بما أنزل من الله قبل رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما يتناول المستقبل فيؤمن بالآخرة ، وكما يتناول الحاضر فى شهادته يتناول الغيب وهو فى حيز عدم الرؤية . وفى تطبيقه لما يؤمن به يكون مؤديا للصلاة محافظا على أدائها ، كما يكون قد بلغ فى صلته بالمال أنه ينفق طواعية من ماله فى سبيل الله ، عدا ما يتقرب به كعبادة من اخراج الزكاة .

ويزداد المؤمنون وضوحا فى صفاتهم عندما توضع صفاتهم فى مواجهة صفات الآخرين من غير المؤمنين ، مما بقوا على كفرهم وماديتهم أو تستروا وراء اعتراف ظاهر بالايمان .

وقد جاء فى سورة الفرقان ما يتلى من صفات المؤمنين فى مقابلة صفات من عداهم ، فى قوله تعالى :

١ ــ « وعباد الرحمن :

أ ــ « الذين يمشون على الارض هونا (أى فى غير كبرياء أو طغيان الماديين) ،

« واذا خاطبهم الجاهلون (وهم الكافرون الماديون) قالوا : سلاما (أى كانوا متسامحين : اذ لا جدوى من مناقشتهم) .

ب ــ « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما (أى مصلين) .

« والذين يقولون : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما .

« انها ساءت مستقرا ومقاما .

جـ ــ « والذين اذا أنفقوا (أى على أنفسهم وأهليهم) لم يسرفوا « أى لم يكونوا كأولئكم الماديين الكافرين الذين يتبعون ما أترفوا فيه) ،

« ولم يقتروا (أى لم يمسكوا ويبخلوا على أنفسهم وعلى من عداهم) وكان بين ذلك قواما .

أ ــ « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ،

ب ــ « ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ،

« ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ،

« ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا .

« والذين لا يشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما .

جـ «والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » (١٨) .

. . . فهذه الآيات جمعت ثلاثة أنواع من الصفات للمؤمنين هى :

عدم الطغيان بالمادية : « الذين يمشون على الارض هونـا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما » .

وقيام الصلاة : « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » .

والانفاق فى سبيل الله : « والذين اذا أنفقـوا لم يسرفوا ، ولـم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » . لأن عدم مجاراة الماديين فى البذخ والترف يدل على عدم الخضوع للمادية ، وعدم التقيد فى الانفاق يزيد فى تأكيد عدم الخضوع لها . ومن لم يخضع للمادية فى اتجاهها فهو فى جانب روحيـة الدين . وعندئذ يزكى وينفق فى سبيل الله .

. . . كما جمعت هذه الآيات أيضا ثلاثة أنواع أخرى من الصفـات يوصف بها الماديون الكافرون ، وبأضداها المؤمنون بالطبع والضرورة .

الشرك بالله يوصف به الكافر المادى ، وبعدمه يوصف به المؤمـن بالله : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر » .

وارتكاب الجرائم الاجتماعية من الزنا ، والسرقة والقتل يوصف بها الكافر المادى ، وبعدم ارتكابها يوصف المؤمن : « ولا يقتلون النفس التـى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون . . . والذين لا يشهدون الزور . . » .

والاعراض عن كتاب الله ودعوة الرسول عليه الصلاة والسـلام يوصف به الكافر المادى وبعدمه يوصف المؤمن : « والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

أما من يتستر وراء اعلان الايمان ظاهرا فأهم أمر يكشف عن طبيعته المختبئة هو مطالبته بانفاق المال أو بالخروج الى ميدان القتال . اذ أنه لا يستطيع أن ينافق هنا فى مجال التطبيق العملى ، لو استطاع فـى أداء الصلاة أو الصوم .

ففى مجال طلب القتال تقول الآية الكريمة :

« ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ! (أى هلا أنزلت سورة) :

« فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض (وهم المنافقون) ،

« ينظرون اليك نظر المغشى عليه من « الموت » (١٩) . فهنا يبدو عليهم أثر الرعب والخوف الذى يكشف عن ايمانهم بأنه كان ايمان احتراف ومنفعة مادية ، ولم يكن ايمان تقوى ورسالة .

وفى مجال الانفاق لكشف المنافقين يقول الله تعالى فى مواجهتهـم صراحة :

« انما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ، ولا يسألكم أموالكم (أى ولم يختبركم بعد بسؤالكم انفاق الاموال فى سبيل الله) . ان يسألكموها فيحفكم ، تبخلوا ويخرج أضغانكم . ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٢٠) . .

. . . فهو يطالبهم بالايمان والتقوى أولا — مع أنهم أعلنوا الايمان من قبل — ليوجه الى حقيقة أمرهم ، مع أن هذه الحقيقة لم يكشف عنها النقاب عيانا بعد امام المؤمنين ، عن طريق سؤالهم الانفاق فى سبيل الله والالحاح

فيه واقتران هذا السؤال والالحاح فيه بالامساك منهم والبخل واثـــارة الضغينة الكامنة فى النفس والتعبير عنها : « وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكـم أجوركم ، ولا يسألكم أموالكم . ان يسألكموها فيحفكم ، تبخلوا ويخرج اضغانكم » . ثم يرفع النقاب عن هذه الحقيقة التى تبتعد عن الايمان بمقدار ما تقترب من الكفر ، عن توجيه طلب الانفاق فعلا فى سبيل الله اليهم لتظهر عاقبة هذا الطلب جلية واضحة ، وهى الشح الذى يدل على عدم التأثـر بالايمان بالله : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

. . .

وهكذا : اذا كانت الزكاة عبادة وقربى ، وكان الانفاق بعدها فـى سبيل الله عبادة وقربى ، فانه فى وقوعه يتأثر باخـراج الزكاة ومـدى فاعليتها فى نفس المزكى ، وكلاهما يدلان على حقيقة الايمان بالله ووزنه فى نفس من يعلنون الايمان به ، كما يدلان على التفاعل بالايمان فى نفس المزكى والمنفق .

ومن هنا كان الانفاق فى سبيل الله أمارة قاطعة على حقيقة الايمان ، كما يكون رفضه ، ورفض الزكاة قبله ، أمارة على الكفر وطغيان الاتجـاه المادى فى الحياة ، بينما أمارة النفاق فى الايمان تنصـح فى الشح فـى الانفاق فى سبيل الله بعد المطالبة به . ولا يختلف المنافق فى الايمان عن الكافر به الا فى المعارضة المختبئة وراء الشح عند المنافق ، والمعارضـة الصريحة والانكار العلنى لدى الكافر .

وفى حياة المسلمين فى تاريخهم لم يبق النداء للانفاق فى سبيل الله ــ وراء اخراج الزكاة ــ دعوة من القرآن الكريم لم تجد صداها فــى التطبيق العملى . وانما اقبال المؤمنين على « الحبوس » فى سبيل الخيرات العامة التى تشمل منفعتها الكافة فى الامة يصور : أى مدى تعمق هـذا النداء وترسبت حقيقته النفسية فيهم ، بحيث أصبحوا يتنافسون فيما بينهم على « وقف » الاموال فى صورها المختلفة ، وحبس منفعتها عـلى ضرب من ضروب « البر » والخير : ان فى سبيل التعليم والدعوة الى الله ، أو فى سبيل المرضى ورعايتهم الصحية ، أو فى سبيل أصحاب الحاجة ممـن لا يملكون الوسيلة لسد حاجاتهم بأنفسهم ، أو فى سبيل قوة الامة واعدادها فى مواجهة العدو ، أو فى سبيل رعاية حجاج بيت الله فى حرمه الآمن ، بل قد تجاوزت منفعة ما حبسوه الانسان فى تعلمه وتثقيفه وصحته وسـد حاجته الى الحيوان فى عدم اضطهاده وتعذيبه .

وقد بلغت رعاية الواقفين حدا لم يقفوا به عند الجانـب المادى أو الثقافى والتعليمى والصحى فحسب ، بل كان مما شملوه بمنفعة ما حبسوا من أموال أولئكم الذين يقومون بخدماتهم فى العمل المنزلى أو الخارجـى لغيرهم ، لو اتلفوا ــ أو تلف منهم ــ ما هو أمانة لديهم بالكسر أو بعلـة أخرى لم يتنبهوا اليها فيعرضون عما تلف لديهم حتى لا يكون هنا حرج فى علاقتهم بمن يقومون بخدمتهم ، وكذلك اللاتى لا يستطعن فى اقراضهن لفقر أيديهم اسعاد أنفسهم بلبس أثواب الزفاف أو التزين فى الاعناق والآذان بما يتزين به القادرات فى تلك المناسبة فتقدم لهن الفرصة من المنفعة العامة لما حبس من أموال ، كى لا يعدمون الفرحة فى المناسبة السارة . فراعوا

الاحاسيس الانسانية وحافظوا على الاعتبارات البشرية ، كما حافظوا على الوقاية من الجوع ، والمرض ، والجهل ، والتشرد .

وبهذا لم يبق الاسلام دعوة تجوب الخيال وتناجى من لم يسمعها فى الصحراء . وانما هو نظام لحياة الانسان يأخذ طريقه العملى فيها فى يسر، لو توفرت فى الانسان حقيقة الايمان بالله . ومعجزة القرآن هى فى امكان الأخذ به فى كل وقت وعهد ، وفى امكان النجاح به عند اتباعه فى أى طور من أطوار البشرية .

---

(١) يحاول بعض العلماء أن يحددوا لتارك الصلاة عقوبة من قول الرسول عليه الصلاة والسلام ، فى رواية ابن عمر رضى الله عنه : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا ما فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام ، « وحسابهم على الله عز وجل » نيل الاوطار ﺟ ١ ص ٣١١ .

وهذه العقوبة هى المقاتلة . ولكن ظاهر الحديث : أنه فى مواجهة الذين لم يؤمنوا بعد برسالته عليه الصلاة والسلام . أما من آمن وترك الصلاة أو الزكاة بعد ذلك فهو قطعا آثم ، ولكن هل عقوبته هى المقاتلة أيضا مع بقائه على الايمان وترك الصلاة أو الزكاة ؟. أليس عندئذ يكون الوضع هو وضع مؤمن يقاتل مؤمنا ؟ وقد ورد فى هذا الشأن قوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين » (الحجرات ٩) ..

.. فجعلت الآية البغى والظلم من بعض المؤمنين للآخرين منهم سببا لمقاتلتهم من اخوانهم فى الايمان . واذن ليس ترك واجب من الواجبات فى نظر القرآن ما يبعث على مقاتلة تاركه .

(٢) الهمزة ١ ، ٢ ، ٣ .
(٣) التكاثر ١ ، ٢ .
(٤) البينة ٤ ، ٥ .
(٥) البقرة ١٠٩ ، ١١٠ .
(٦) النور ٥٥ ، ٥٦ .
(٧) المزمل ٢٠ .
(٨) البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٩) البقرة ٢٦٧ .
(١٠) آل عمران ٩٢ .
(١١) البقرة ٢٧٢ .
(١٢) البقرة ٢٦٢ — ٢٦٤ .
(١٣) البقرة ٢١٥ .
(١٤) سورة الحديد ١١ .
(١٥) ابراهيم ٣١ .
(١٦) البقرة ١٩٥ .
(١٧) البقرة ٢ — ٦ .
(١٨) الفرقان ٦٣ — ٧٣ .
(١٩) محمد ٢٠ .
(٢٠) محمد ٣٦ — ٣٨ .

أعظم مولود وأشرف موجود

للشيخ عبد الحميد السائح

اعتاد المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها أن يحتفوا بذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم بتلاوة بعض فصول سيرته ، واقامة الزينات والاحتفالات ..

ومع أن المسلمين فى عهد السلف الصالح لم يكونوا يحتفون بهذه الذكرى على النحو المعروف الآن فانهم كانوا أبدا يقتدون بهدى الرسول ، ويأنسون بسيرة الرسول ، ومناقب الرسول ، وأخلاق الرسول ، فكان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لهم فى سيرتهم وتصرفاتهم ، اهتداء بقول الله سبحانه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (١) وقوله : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (٢) ومن ثم كان المسلمون يتسابقون فى ميادين التضحية بالأنفس والأموال اقتداء بسيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكانوا يتقربون الى الله بالجهاد فى سبيل الله اسوة برسول الله ..

ولذلك لم يكن عجبا أن يسارع أبو بكر رضى الله عنه الى بذل كل ماله ، وان يبادر عمر رضى الله عنه الى بذل نصف ماله ، وان يتقدم عثمان رضى الله عنه بتجهيز جيش العسرة ، يوم تبوك ..

وأن ترى بين صفوف المسلمين أولئك الاخيار الابرار ، الذين كانوا يتنافسون على دخول المعارك ، امثال على بن ابى طالب وخالد بن الوليد ، وابى عبيدة وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ومن سار على

دربهم الى يومنا هذا ، مبادرة منهم للجنة التى أعدها الله للمجـاهدين والشهداء والصالحين ..

ولم يكن غريبا أن يستجيب الخليفة المعتصم لاستغاثة امرأة مسلمة، تعرضت للهوان والمذلة ، يوم عمورية ، فيقود جيشه ، انقاذا لشرفهـــا وكرامتها ، عملا بقول الله سبحانه : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » (٣)

ولم يكن مستهجنا ان يخطط صلاح الدين ، ويدبر ويهيىء لمعركـــة حطين ، حتى ينقذ القدس وباقى فلسطين ، من حرب جهنمية ، انتزعت الديار المقدسة والقدس الشريف من سلطان المسلمين ، وكادت تعصف بهـا الأهـواء ، وتقضى عليها الفرقة والشحناء والبغضاء ، وتصبـح كلها فى خبر كان ، يلفها النسيان ، وتطويها المظالم ، وعنجهية الجبروت والطغيان ، لولا اشعاع نور الايمان ، الذى استولى على قلب صـلاح الدين ، وهداه الى طريق النجاة والنجاح فكل ذلك قبس من ســيرة الرسول ، ونابع من تبجيل وتعظيم الرسول ، واستجابة لله والرسول ..

الا أن الغريب العجيب المستهجن ، ان نرى المسلمين الان فى مختلف ديارهم وامصارهم يسمعون فى كل يوم دفعة من دفعات المظالم ، تحل على اخوانهم فى فلسطين وغير فلسطين ، ودفقة من دفقات التحـديات للمشاعر والعواطف ، يقذف بها فى مقدساتهم ، فتنتهك حرمتها ، ويعتدى على طهرها ، مع ما يربط هذه المقدسات من روابط وثيقـــة بصاحب الذكرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى مسراه الكريم ، وموطن معراجه الشريف ، ومع هذا نزعم أننا نحتفى بذكرى مولد الرســـول ارضاء للرسول ، ونرنم القصائد ، وندبج المقالات ونوزع الحـلويات اطاعة للرسول !!!

أيها المسلمون فى المشارق والمغارب :

ان تبجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب مقدس مطلوب من كل مسلم وتعظيم هذا الرسول الأكرم فريضة لازمة ، لا مناص منها ونصرة هذا الرسول الأعظم أمانة فى أعناقكم جميعا ، قال تعالى : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الـذى أنزل معه أولئك هم المفلحـون » (٤) ..

لكن ما سبيل التعظيم والتبجيل ؟

هل سبيله القيام بتظاهرات عاطفية لا تلبث أن تخبو بعد هـدوء العاصفة ، كما هو الحاصل فى المجتمعات الاسلامية ؟

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . (٥)

اذن فهذه التظاهرات ليست الدليل على قوة الايمان ، وتمـكن احترام وتوقير الرسول فى النفوس ، وانما سبيل ذلك نصرة الرسول

فى حياته ، والجهاد معه فى غزواته ، وامتثال أوامره وتوجيهاته ، أما بعد انتقاله للرفيق الأعلى فسبيل ذلك اتباع النور الذى انزل معه ، بالعمل بشريعته ، وتنفيذ سنته ، والتأسى بسيرته ، وتوفير ما يرضيه ، من اعزاز المسلمين ورفع شأنهم ، والحفاظ على كرامتهم ، وصيانة مقدساتهم وديارهم ، واعراضهم وأموالهم ، والجهاد فى سبيل المستضعفين والمعذبين والمشردين ، من الرجال والنساء والولدان ان الديار المقدسة — فلسطين — وغيرها من ديار العروبة والاسلام ، ابتليت باحتلال الصهاينة ، وعبثهم وفسادهم ، كما تعرضت فيها الاعراض لانتهاك حرماتها والعدوان على طهرها ، وتعرضت فيها المقدسات ، ومنها المسجد الاقصى المبارك — لعدوان ماحق ، ومخطط خطير ، يقضى على مسرى الرسول ومركز معراجه الشريف ..

وقد اختبرت الصهيونية حرصكم على مقدساتكم ، ومدى تأثيرها فى نفوسكم ، يوم أقدمت على احراق المسجد الاقصى المبارك ، فلم تر منكم الا اقوالا جوفاء ، ودعوات صماء ، او انهمار العيون بالدموع والبكاء ..

لكنها لم تر كتائب التحرير تتسابق ، ولا مراكب الذخائر والمعدات تسير ، تدق أبواب القدس ، والديار المغصوبة ، لانقاذها وتحريرها ، مما ادى بها الى أن تعد خطة جهنمية جديدة ، امعانا فى التحدى ، وزيادة فى الاستهتار ، وذلك لشروعها فى وضع قانون يخولها حق الحفر والتصرف ووضع اليد ، فى ساحات المسجد الاقصى المبارك — وهى جزء منه — تمهيدا لاقامة الهيكل هناك ، فهل من مدكر ؟ وهل من معتبر ؟

أيها المسلمون :

ان تبجيل الرسول فى ذكرى مولده الشريف يكون فى الاعداد والتخطيط لعمل حاسم يغسل العار ، ويسترد الشرف والكرامة ، وفى استرخاص الانفس والاموال فى سبيل ذلك كله ، وان يتقدم الحاكم والمحكوم ، والراعى والرعية والرئيس والمرءوس ، وان نضع جميعا نصب أعيننا :

قول الله سبحانه : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله » (٦) ..

وقوله سبحانه : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » (٧)

وقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : تكفل الله لمن جاهد فى سبيله ، لايخرجه الا الجهاد فى سبيله ، وتصديق كلماته ، بأن يدخله الجنة ، أو يرجعه الى مسكنه مع أجر أو غنيمة . (٨)

وقوله أيضا : لولا أن اشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت

ان اقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم اقتل ، ثم أحيا ، ثم اقتل . (٩)
وان المشردين من أخوانكم فى المخيمات والكهوف يستنجدونكم ، والنساء والاطفال والشيوخ فى المناطق المحتلة يستغيثونكم ، والمسجد الأقصى يناشدكم ، ويطلبون الحركة والانتصار ..
وقد آن للمسلمين فى هذه الذكرى العطرة أن يستيقظوا ، ويتنبهوا للمخاطر ، ويدركوا المكائد ، التى تدبر لهم ، لزعزعة عقيدتهم ، وزلزلة ايمانهم ، والتشكيك فى قرآنهم ، ويبادروا للقيام بواجباتهم ، ويتذكروا قول الله تعالى : وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، واحسنوا ان الله يحب المحسنين » (١٠) ويثبتوا للعالم أجمع انهم حقيقة خير أمة اخرجت للناس ، لا تسكت على ذل أصابها ، ولا تقيم على ضيم حل بها ، والله تعالى يقول : « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » (١١) .
ويقول أيضا « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (١٢) وحينئذ نكون قد أقمنا البرهان على قوة ايماننا ، وتمسكنا بمقدساتنا ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى ارسله الله رحمة للعالمين ، فأنقذ العالم من ضلالاته وويلاته ، سيبقى فى ذكرى مولده منبع الهداية والارشاد للانقاذ المستمر ، والحماية الدائمة للديار والمقدسات والعقائد والمبادىء ..
اللهم ألهم ولاة أمور المسلمين وشعوبهم رشدهم ، والرجوع الى صوابهم ، وهيىء للجميع سبيل العودة الى ما يرضى الرسول ، بطرق أبواب الجنة ، والعمل معا على الوصول الى احدى الحسنيين ، النصر او الشهادة ، وذلك هو الطريق الصحيح ، لارضاء الرسول ، واحياء ذكرى مولده الشريف صلوات الله وسلامه عليه ..

---

(١) الآية ٨٠ من سورة النساء .
(٢) الآية ٢١ من سورة الاحزاب .
(٣) الآية ٧٥ من سورة النساء .
(٤) الآية ١٥٧ من سورة الاعراف
(٥) اخرجه الامام مسلم .
(٦) الآية ١١١ من سورة التوبة .
(٧) الآية ١٥ من سورة الحجرات .
(٨) رواه الامام البخارى .
(٩) رواه الامام البخارى .
(١٠) الآية ١٩٥ من سورة البقرة .
(١١) الآية ١١١ من سورة الاسراء .
(١٢) الآية ٨ من سورة المنافقون .

جوانب من العظمة

محمد يوسف

للدكتور : محمد سلام مدكور

باسم الله كتب لنفسه العزة ولرسوله والمؤمنين ، وصلوات الله وسلامه على نبى الكرامة وقائد الأحرار الى النصر المبين ، ورضوان الله على أصحابه الذين سجلوا على جبين التاريخ صفحات تتلألأ بنور البطولة والفداء وآيات الايمان واليقين ، حين أن كانت البشرية غارقة فى ظلام كثيف صفيق وظلم غليظ راسخ تتخبط فى عقائدها ، تزيف فى أفكارها ، تصطنع للظلم فلسفة وللضلال شريعة ومبادىء ، وفى وسط هذا الجو الخانق منذ أربعة عشر قرنا انبثق النور من أعماق هذه الجزيرة بمولد محمد ابن عبد الله الذى أعده الله للبشرية ليبشرهم بالحق ويهديهم الى الصراط المستقيم ، انبثق النور من أعماق الجزيرة العربية رحمة لا تعرف التفرقة بين جنس وجنس . وهدى لا يدين الا بالحق ، ولا يتعصب الا له وكانت كلمة الله هى العليا ، وكانت رسالة محمد بحق رحمة للعالمين ، « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

جاء محمد صلوات الله عليه يدعو الى الايمان باله واحد ويتخذ من هذا الايمان حجر الأساس للشريعة الجديدة حتى لا تتجه القلوب الا اليه ولا ترعى فى حياتها غيره ولا تبتغى المثوبة الا منه ولا تخشى فى سبيله لومة لائم .

كانت أولى خطواته الاصلاحية الدعوة الى اله واحد لا شريك له ، وذلك هو أساس دعوة الانبياء والرسل من قبله . يقول الله سبحانه — « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »

المحمدية

في ذكرى مولد الرسول

ويقول سبحانه « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » . .

لقد اصطفاه الله من بين خلقه ليكون خاتم النبيين ، يوجه البشرية كلها الى الصراط المستقيم وشاءت حكمته جل شأنه أن يكون نبيه المصطفى قد نشأ يتيما فقيرا بعيدا عن الجاه والسلطان ، لم يعلمه بشر ، ولم يتعهده بالرعاية والتوجيه انسان وانما أدبه ربه فأحسن تأديبه وقــوم خلقه فأحسن تقويمه ورعاه فأحسن رعايته ، وغرس فى نفسه مبادىء الخير والبــر والتعاون واستأصل من نفسه كل معانى الشر وصدق الله اذ يقــول : « ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى » . .

اصطفاه ربه وطهر نفسه وعلمه وأدبه ، فكان خير تلميذ لأفضل أستاذ ، وكانت رسالته أساسها التوجيه الى العلم والخلق والكفاح فى سبيل العمل النافع ، والجهاد فى سبيل الحق ومقاومــة البغى والطغيان .

وكان المثل الأول فى مظاهر التحرر الاسلامى فهو عبد الله ورسوله القائل « لا تعظمونى كما تعظم الأعاجم ملوكها » وقد تبرأ أن يكون شفيعا فى تغيير منزلة فيقــول « يا فاطمة يا بنت محمد اعملى لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا عباس يا عم محمد اعمل لا أغنى عنك من الله شيئا » . وكان لذلك أثره فى نفوس صحابته والمسلمين فقويت عقيدتهم ، وازدادوا ايمانا

على ايمانهم . فكان لهم شأن وجاه لا بالمال ولا بالسلاح ولا بكثرة الأفراد وانما بما غرسته العقيدة الصادقة فى نفوسهم من قوة وصلابة فى الحق .

وفى الحق أن العقيدة دائما هى القوة التى تدفع الى العمل وتشحذ الهمم وتحول دون الانهيار والضعف .. وبهذا الايمان وحده غرس النبى فى أتباعه معانى الفضيلة فشاعت فيهم خصال الخير ، وبهذا الايمان وحده التزم المسلمون جادة الصواب يستمسكون بالفضيلة حبا فيها ويهربون من الشر بغضا فيه ، شعارهم ما علمهم اياه الرسول « اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » ..

ولقد كانت مثالية النبى صلى الله عليه وسلم فى الخلق الرفيع أكبر حافز لهم على أن يتنافسوا فى القرب من معانيه العظيمة بعد أن لمسوا فيها كل الخير والسعادة وعرفوا وصف الله له بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » وقد كان ذلك الوصف الآلهى داعيا لاهتمام الصحابة وتطلعهم الى تصرف ذلك الخلق العظيم فسألوا السيدة عائشة عن خلق النبى فقالت « كان خلقه القرآن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقف عند حدوده » ولقد صدقت فيما وصفت فقد كان هذا القرآن الكريم هو رضاه وسخطه ، به يصادق وفيه يعادى ، ولا تأخذه هوادة فى تنفيذ حكم من أحكامه .

ولقد عرف له صلوات الله عليه هذا الخلق منذ قام يدعو الى ربه وقامت رءوس الشرك تناهضه فى دعوته وتحتال لصرفه عن وجهته بالترغيب تارة والترهيب أخرى . فما أغراه ما عرضوا وما أثناه ما فعلوا ووقف فى فم الدنيا يقول : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ومن أجل استمساكه بالحق ألغى الفوارق وحاربها وجعل معيار التفاضل التقوى والعمل النافع ، وكان يحرص على غرس هذا المعنى فى نفوس أصحابه والناس جميعا ، فغضب لما استشفع أحد صحابته فى حد من حدود الله استجابة لرجاء كبار قريش وقال أيها الناس : « انما أهلك من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفسى بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ولما حرم الله الربا بأثر رجعى فكان أول من نفذ عليه ذلك هو عمه العباس اذ يقول : « ان أول ربا أضعه فى الجاهلية هو ربا عمى العباس » ..

وفى هذا أعظم توجيه الى تقديس خلق المساواة فى الحقوق ، وقد ترك هذا التوجيه آثارا كريمة فى نفوس أصحابه حتى أقام عمر الحد على ابنه ، ولما اعتدى ابن أحد الولاة على أحد أفراد الرعية بغير حق معتزا بأنه ابن الأكرمين . أمر عمر بن الخطاب المعتدى عليه أن يقتص لنفسه قائلا : اضرب ابن الأكرمين . ثم قال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

وكان من أثر هذا الخلق الذى غرسه الرسول فى نفوس صحابته أن قوى المجتمع الاسلامى قوة ناهز بها جميع الأمم المعادية واستولى على

نواصى الجبابرة حتى فتحت لهم الآفاق وانساحوا فى الارض يبشرون بدعوة الحق فتلوذ الناس بهم وتعتصم بعدالتهم ويتسابقون الى الدخول فى دين الحق .

ولئن كانت العقيدة المحمدية تكفل للمسلمين سلامة الخلق وصدق الاخاء والجنوح الى السلم والعفو عند المقدرة ، فانها لكذلك تحيلهم الى أسود الشرى وعشاق الشهادة اذا مس حقهم بظلم أو تهددهم عدوان .

بهذا كله جاء محمد صلوات الله عليه رسول سلام ينادى به ويحرص عليه . ولكنه السلام العادل . والعدل المسالم ، فاذا ما تهدده البغى هب للدفاع لا يرجو الا النصر أو الشهادة ويتحدى خصومه فى ساحة الحرب قائلا : قول ربه « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » .

هذا هو نبى الاسلام ، نبى السلام ونبى الجهاد ، رسول الرحمة والعدل ، ورسول رد الطغيان والظلم ، وفى ظل هذه العدالة وتحت لواء هذه القوة المنصفة يشعر كل مسلم أنه عليه السلام رسم لنا سبيل الحياة وسبيل الدفاع عن حق الحياة ، وأنه بدأ البناء على أساس من عقيدة صلبة وايمان كامل ، ثم أرسى فوق هذا الأساس صرح الأخلاق حتى فاز من ربه بما لم يفز به أحد وهو ما وصفه الله به من قوله « وانك لعلى خلق عظيم » وعلى هذا الأساس الصلب من عقيدة راسخة ، وخلق جاد مستقيم أقام محمد صلوات الله عليه دولة الاسلام قوية بالحق فياضة بالعدل محمية بسلاح الايمان .

فيا أمة الاسلام هذا نبيكم نور وهدى وعدالة وسماحة ، وبسالة وفداء ، وهذه شريعته بينكم تربطكم اليه ، توجهكم الى الخير وتدعوكم الى الكد والكفاح ، وهذه جوانب من عظمته الخلقية والانسانية تأسى بها الرعيل الأول فاستحقوا بأن يوصفوا بأنهم خير أمة أخرجت للناس وانساحوا فى العالم يبشرون بسلوكهم بدعوة الاسلام فيندفع الناس اليها دفعا ، فهل لنا أن نصل حاضرنا بماضينا وأن نتأسى برسولنا الكريم كما تأسى به الأولون ، وأن نذكر الله ولا ننساه وان نعرفه وقت الرخاء حتى يعرفنا وقت الشدة .

يا أخى المسلم فى كل مكان هل لنا أن نتعرف على حقيقة واقعنا فنصلح من أنفسنا وقد حان وقت الاصلاح وأصبحنا فى حاجة ماسة الى اللجوء الى كلمة الله والاعتصام بحبله وصدق الله اذ يقول « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

اللهم وفقنا للخير وجنبنا الزلل فى القول والعمل واهدنا الى سبيل الرشاد ، واغفر لنا واعف عنا . واللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مولد نبيّ وميلاد كلمة !

محمد مؤذن

- ١ -

في بيت من بيوت مكة المتواضعة في البناء ، الشامخة في السؤدد والمجادة ، اللائذة بحمى البيت الحرام ، العائذة برب هذا البيت من عدوان المعتدين ، وبغى الباغين ، في هذا البيت ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وليد ، منذ نحو خمسة عشر قرنا ، وفى عام كانت فيه مكة قد ولدت ميلادا جديدا في الحياة ، هو عام الفيل ، الذى

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

نجى فيه الله هذا البلد الحرام من هذا الكيد الذى رماها به أبرهة ، وقد جاءها بجيش كثيف ، ممتطيا صهوة فيل ضخم ، يريد أن يهدم البيت الحرام، ويشتت اللائذين بحماه !!

وكما كان عبد المطلب — جد هذا الوليد — هو الذى استقبل بالبيت الحرام طغيان هذا الطاغية فأراه الله فيه ، وأرى أهل مكة والعرب جميعا ، كيف تنهزم جحافل الباطل الهادرة المزمجرة ، أمام انفاس الحق الوادعة الساكنة — كذلك كان جد هذا الوليد ، هو الذى استقبل بهذا اليتيم الذى فارق أبوه الدنيا ، وهو لا يزال جنينا فى بطن أمه ، فأرى أهل مكة ، والعرب قاطبة ، وأشهد الدنيا جميعا — أراهم وأشهدهم من هذا الوليد اليتيم الفقير كيف يصطنعه الله لدينه ، ويصنعه على عينه ، فيجعل منه شمسا لا تغيب ، ويجعل نور تلك الشمس هدى للبصائر ، وشفاء لما فى الصدور ، ونورا ورحمة للعالمين ..

وما أن تبزغ شمس هذا الوليد ، حتى يخلع الله تعالى عليه من خلع أفضاله واحسانه ، اسم (محمد) ليكون سمة له ، وشارة دالة عليه ..

ولأول مرة تتحرك الشفاه فى قريش بكلمة (محمد) ولاول مرة يطرق أسماعها أن من أبنائها من يسمى (محمدا) ..

ومع أن العرب قد استولدت فى لغتها من حروف هذا الاسم كلمات كثيرة ، كانت تدور فى محاوراتها ، ومساجلاتها ، وأشعارها ، كالحمد ، والمحمدة ، والمحامد ، والحامد ، والمحمود ، وغيرها — فانها لم تتخذ اسم (محمد) علما تطلقه على غلمانها ، من أحرار أو عبيد !!

وما كان لأحد يومئذ أن يسأل جد هذا الوليد ، أو يسأل أمه آمنة ، لم اختارا لوليدهما هذا الاسم (اليتيم) الغريب فى عالم الأسماء التى تعرفها العرب ، وتتنادى بها ؟ ما كان لاحد يومئذ أن يسأل هذا السؤال ، وأن تردد فى خاطره ، وجمجم به صدره ، فما أكثر ما تلد الحياة من غرائب الاسماء ، وما أكثر ما يطلق الآباء على أبنائهم من الاسماء ما يبدو معه وكأن دنيا الاسماء قد أقفرت ، فلم يبق منها غير هذا الاسم !!

— ٢ —

وندع هذا ، لنسأل :

أهنالك علاقة بين الاسم وصاحبه ، بمعنى أن دلالة الاسم تتحقق فى المسمى ، وتفسر فى صفاته ، وتظهر فى سلوكه فى الحياة ؟

والذى يطلب الجواب عن هذا السؤال ، لا يمكن ان يقع عليه فى مقررات علمية ثابتة ، اذ لم تخضع هذه الظاهرة لدراسة علمية منظمة بعد ، وغاية ما استدل عليه الناس من وشائج القربى بين الاسم والمسمى ، انما كان عن ملاحظات شخصية ، لاحوال فردية ، تصدق أحيانا ، ولا تصدق فى كل حين ..

على أن الذى يعنى بالتعمق فى دراسة هذه الظاهرة ، ويحفل برصد النتائج التى تلوح له من خلال هذه الدراسة — يقع على كثير من عجائب الموافقات بين المسميات ، والاسماء ، وقل ألا ينكشف للمتوسم فى اسم ومسماه شىء من التوافق والتطابق بينهما ، حتى ليكاد يعد ذلك من قبيل الخطأ فى التأويل لتلك الحالات التى لا تتضح فيها علاقة بين الاسم وصاحبه ، استنادا الى تلك الحالات الكثيرة التى تبدو فيها تلك العلاقة واضحة أشد الوضوح ، بحيث لا تحتاج الى كثير من النظر والتأمل !!

ومن عجب أن نرى أن هذه الظاهرة كانت موضع دراسة ذكية واعية ، عند كثير من علمائنا السابقين ، زمانا ، وفضلا ، واحسانا .. فرضوان الله عليهم ..

يقول ابن قيم الجوزية فى هذا المقام :

(لما كانت الاسماء قوالب للمعانى ، ودالة عليها ، اقتضت الحكمة أن يكون بينهما ارتباط وتناسب ، وألا يكون المعنى معها بمنزلة الاجنبى المحض ، الذى لا تعلق له بها .. فان حكمة الحكيم تأبى ذلك ، والواقع يشهد بخلافه .. بل للاسماء تأثير فى المسميات ، وللمسميات تأثر بأسمائها ، فى الحسن والقبح ، والخفة والثقل ، واللطافة والكثافة ..

ثم يأتى ابن القيم بشواهد من أقوال النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن أفعاله ، تؤيد ما ذهب اليه من وجود هذا التوافق بين الاسماء والمسميات .. فيقول :

(وكان صلى الله عليه وسلم ، يأخذ المعانى من أسمائها ، فى اليقظة والمنام ..

(فقد رأى — صلى الله عليه وسلم — فى منامه ، انه فى دار عقبة بن رافع ، فأتوا برطب من رطب طاب) — فأوله ، صلى الله عليه وسلم ، بأن لهم العاقبة فى الدنيا ، والرفعة فى الآخرة ، وأن الدين الذى اختاره الله تعالى لهم ، قد أرطب ، وطاب) (١) ..

ثم يقول ابن القيم :

(وتأول — صلى الله عليه وسلم — سهولة أمرهم يوم الحديبية (٢) من مجىء سهيل بن عمرو(٣) اليه ، فقال لأصحابه يومئذ : (سهل الله أمركم) (٤) ..

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم ، غير اسم (عاصية) وقال : (أنت جميلة) (٥) ..

كما ثبت أنه — صلوات الله وسلامه عليه — غير اسم (حزن) — وهو جد سعيد بن المسيب — وجعله (سهلا) فأبى صاحب الاسم ، وقال: السهل يوطأ ، ويمتهن ! (٦) ..

وكما غير النبى (صلوات الله وسلامه عليه — الاسماء المنكرة للاشخاص ، غير كذلك الاسماء الكريهة ، للاماكن ، فهو اذ يسمى

(حربا) (سلما) و (المضطجع) (المنبعث) ويسمى (عفرة) من الارض (خضرة) ويسمى (شعب الضلالة) (شعب الهدى) (٧) ..

ولما قدم — صلوات الله وسلامه عليه — المدينة ، وكان اسمها (يثرب) سماها (طيبة) ..

ويلفتنا ابن القيم الى شاهد من واقع الحياة ، لما بين الاسماء والمسميات من تطابق وتوافق ، فيعرض مشهدا من مشاهد القتال بين المسلمين والمشركين في (بدر) فيقول :

(وتأمل اسماء الستة المتبارزين يوم (بدر) كيف اقتضى القدر مطابقة أسمائهم لاحوالهم يومئذ : (فكان الكفار : شيبة ، وعتبة ، والوليد. ثلاثة أسماء من الضعف .. فالوليد ، له بداية الضعف ، وشيبة ، له نهايته ، كما قال تعالى : (الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) (٨) . وعتبة ، من العتب ، اى اللوم ، فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم ، وضعف ينالهم !!

وكان اقرانهم — من المسلمين : (عليا) و (عبيدة) و (الحارث) — رضى الله عنهم — ثلاثة أسماء تناسب أوصافهم ، وهى العلو (فى على) والعبودية لله (فى عبيدة) والسعى الذى هو الحرث (فى الحارث) — فعلوا عليهم بعبوديتهم ، وسعيهم فى حرث الآخرة) (٩) ..

وسواء أكان هناك توافق خفى او ظاهر ، بين الاسم ومسماه ، بحيث يمثلان حقيقة واحدة ، أم لم يكن — فان الذى لا شك فيه هو ان للاسم موحيات تقع فى النفس عند ذكره ، أو سماعه .. فكلمات : النجاح ، والنصر ، والعزة ، والغنى ، والسعادة ، والشباب ، تبعث فى النفس رضا ، وتشيع فى القلب غبطة وروحا ، على خلاف أضدادها ، من : الاخفاق ، والهزيمة ، والذلة ، والفقر ، والشقاء ، والشيخوخة ، فانها تشيع فى النفس انقباضا ، وتبعث فى الصدر وحشة وكآبة !

— ٣ —

وننظر فيما كان لرسول الله — صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه — من حظ موفور فى اختيار الاسم اللائق به ، وبالرسالة التى ندبته السماء لها — فنجد فى ذلك أننا بين يدى آية من آيات الله ، وفى أضواء معجزة قاهرة متحدية ..

فلقد أعلن الله تعالى اسم هذا النبى — صلوات الله وسلامه عليه ، وبشر به فى الانجيل ، على لسان عيسى عليه السلام ، كما ينطق بذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (١٠) ، هكذا ينطق المسيح باسم الرسول الذى يأتى من بعده ، وانه يولد عربيا ، أميا ، يسمى (أحمد) وذلك قبل مولده بنحو ستة قرون — ومع هذا يظل هذا الاسم مرددا فى أفواه الحواريين ، وعلى السنة الأحبار والرهبان ، وفى صحف الانجيل ، وبين كثير من قبائل العرب التى دخلت فى النصرانية— من غير أن يخطر ببال أحد — على مدى هذا الزمن المتطاول — أن يسمى به ابنا من أبنائه ، خلافا لما جرت به عادة الناس ، من تهالكهم على تسمية أبنائهم بأسماء النبيين ، والقديسين ، وأهل الفضل والخير من الناس ،

عسى ان يصيبوا من بركة أصحابها شيئا ، أو أن يكون لهم من اسمهم الطيب نصيب !

واسم (أحمـــد) فى ذاته ، اسم جميل ، سمح ، حلو النغم ، عذب الجرس ، يغرى بالتسمى به ، فكيف يظل هذه القرون ، دون أن يتفق لانسان أن يقع عليه ، أو ينتفع به ؟ ان ذلك ان دل على شىء ، فانمــا يدل على أن الله سبحانه وتعالى قد آثر نبيه الكريم ، بهذا الاسم الكريم ، واختصه به ، وجعله على أفواه الناس ، ارهاصا بمولد النبى الذى يحمل هذا الاسم ، دون ان يطوف أحـــد بحماه ، أو أن يتخذه ثوبا يتزيا به ، الا أن يكون ذلك على سبيل الاقتداء ، والتبرك بعد أن تزيا به النبى ! وأما (محمـــد) فهو اسم علم ، منقول من صفة .. من قولهم رجل محمد ، وهو الكثير الخصال المحمودة ، والمحمد فى لغة العرب ، من حمد حمدا بعد حمد ، مرة ، بعد مرة ..

يقول القاضى عياض :

(فهو ــ أى النبى ــ أحمـــد الحامدين ، وأحمـــد المحمودين ، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ، ويبعثه ربه مقاما محمودا كما وعده ، ويحمده الأولون والآخرون بشفاعته لهم ، وسمى أمته فى كتاب أنبيائه بالحمادين .. فحقيق أن يسمى (محمـــدا) و (أحمـــد) ..

(ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصـــــه ، وبدائع آياتــه فن آخر ، هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه) (١١).

وقال السهيلى : (لم يكن ــ أى النبى ــ (محمدا) حتى كـــان (أحمـــد) حمد ربه ، فنبأه ــ أى جعله نبيا ــ وشرفه ، فلذلك تقدم اسم (أحمـــد) على الاسم الذى هو (محمد) فذكره عيسى ابن مريم باســمه (أحمـــد) (١٢) ..

ونعم ، فقد سمى الله عبده ورسوله (أحمـــد) قبل أن يولد ، وســـماه (محمدا) بعد أن ولد ، فهو الحامد لربه ، المحمود من ربه ومن خلقه .. حمد ربه على ما أفاء عليه من فضل ، وما أسبغ عليه من نعم ، وحمده ربه والناس لما جاء به من الحق ، وما هدى اليه من الايمان .. فهو حامد لله محمود ومحمد ، من الله ومن الناس ، سماه الله تعالى فى الانجيل (أحمـــد) وسماه فى القرآن (محمدا) ..

ــ ٤ ــ

وننظر فى ذات (محمد) نفسه ، وكيف كانت المحامد كلها مجتمعة اليه فى أكمل كمالاتها ، وأعدل أوضاعها ، فما كان من خلق كريم محمود فهو فى (محمد) على أوفى صورة وأتمها ، وما كان من فعل طيب جميل فهو فى (محمد) على أكمل حالة وأجملها ..

وانه ليس يجمع هذه الصفات الكريمة ، ويستولى على غاياتهــا اسم أتم ، ولا أعدل من اسم (محمد) .. فقد يكون فى اسم : أمين ، أو صادق ، أو نبيل ، أو كريم ، أو طيب ، ونحوها ــ قد يكون فى كل اسم من هذه الاسماء وما شاكلها، ما ينبىء عن صفة أو أكثر من الصـــفات الطيبة ، التى ان صدقها مسماها ، أو صدقت هى فى مسماها ــ كان ذلك دلالة على اتصاف صاحبها بالصفة التى يدل عليه لفظها ومنطوقها ، دون أن ينسحب ذلك الى غيرها من الصفات .. فالمسمى بالأمين ــ مثلا ــ ، ان طابق فيه الاسم المسمى ، كان نصيبه من الصفات الطيبة ، صـــفة

الأمانة ، وقد يكون الى جانبها صفات أخرى لا تحمد ، كالجبن ، أو البخل، ونحو هذا .. وكذلك يقال فيمن يتصف بالصدق ، أو النبل ، أو الكرم ، وما شابه ذلك من صفات محمودة .. فقد ينال المرء منزلة الاتصاف بواحدة من تلك الصفات ، دون أن يكون من لوازم ذلك أن يتصف بصفة محمودة غيرها ، ودون أن يكون من لوازم ذلك أيضا ما يمنع من أن تعلق بـه صفة مذمومة أو أكثر من صفة ..

أما (المحمد) فلا يكون مستأهلا تلك الصفة ، حتى يجمع المحامد كلها ، وحتى يسلم من كل ما يعيب او يشين ، فتكون كل أقواله وأفعاله على الوجه الذى يحمده الناس ، كل الناس ، وفى جميع الاحوال ، وانه لن يكون جديرا باسم (محمد) من جمع أكثر المحامد ، ثم فاته كثير أو قليل منها ..

فماذا نقول بعد هذا فى هذا التوافق التام ، وذلك التطابق المحكم بين (محمد) الذات ، رسول الله ، و (محمد) الاسم عبد الله ، ورسول الله ؟ ..

قد يقول قائل : وماذا فى هذا التوافق وذلك التطابق ؟ ولم لا تكون الصدفة وحدها هى التى جمعت بين هذا الوليد اليتيم ، وبين هذا الاسم (محمد) حتى اذا تألق محمد ، وعلا ذكره فى الوجود ، كان كل شىء فيه ، وكل حدث منه ، ذا شأن أى شأن ، له تقدير وحساب ، تكثر دلالاته وتعود مفاهيمه ، ما دام قد اتصل بالنبى ، ولابس حياته ؟ أليس ذلك هو حساب الاشياء ، تتغير وجوهها ، وتثقل أو تخف موازينها ، حسب من تضاف اليه ، وتنتسب له ؟ فالكلمة مثلا ينطق بها انسان من الناس فتهتز لها الدنيا ، وتخفق أو ترجف منها المشارق والمغارب ، والكلمة ذاتها ينطق بها الناطقون هنا وهناك ، فلا يستمع اليها أحد ، ولا يحفل بها انسان .. أليس هذا من ذاك سواء بسواء ؟

ونقول ، ان فى ظاهر هذا القول شيئا من الحق .. ولكن ذلك ليس على اطلاقه ، فيما هو من شأن النبى ، وفيما يتصل به من قريب الامور وبعيدها ..

وحقا ان عظمة العظيم تلقى على كل شىء اتصل به ، من أقوال وأفعال ، ألوانا وظلالا تجعل له فى مشاعر الناس ، وفى تصوراتهم مكانا غير مكانه الذى له عند عامة الناس ، فيبدو صغير أمره كبيرا ، وقليله كثيرا ، وقريبه بعيدا .. ولكن ذلك ليس على اطلاقه ــ كما قلنا ــ اذ أن هناك فى حياة العظماء الموهوبين أمورا هى فى ذاتها عظيمة ، رائعة ، معجبة ، مذهلة ، سواء نظر اليها من خلال أربابها ، أو بمنقطع عن النظر اليهم !!

ونحن هنا اذ ننظر فى تسمية (محمد) باسم محمد ، بعيدا عن جلال النبوة وعظمة النبى ، نجد أن هذه التسمية لا يمكن أبدا أن تكون وليدة الصدفة ، وانما كانت نعمة من نعم الله ، وفضلا عظيما منه سبحانه باصطفاء هذا الوليد اليتيم لهذا الاسم المبارك ، كما اصطفاه ربه بعد ذلك للنبوة ، واختصه بالرسالة الخاتمة ..

وقد أشرنا من قبل الى أن هذا الاسم المبارك لم يتسم به أحد قبل رسول الله .. فمن أين اذن لجده عبد المطلب أو لأمه آمنة ، النظر الى هذا الاسم ، واختياره لهذا الوليد ؟

ثم انه لو فرض ان اسم (محمد) كان من الاسماء المعروفة الشائعة في العرب يومئذ ، فان الاتجاه اليه لم يكن من الامور المنتظرة في شأن هذا الوليد الهاشمي ، القرشي .. اذ أن ضخامة الاسماء في لفظها ، وفي مدلولها ، كان لها الشأن الغالب في تسمية المولودين من أشراف قريش ، مثل حنظلة ، ومرة ، وأسد ، وفهر ، وغالب ، وعبد العزى ، وعبد الدار ، وعبد اللات ، وعبد مناة ، وما أشبه ذلك مما كان يتسمى به أجداد هذا الوليد ، وآباؤه ، وعمومته ، وأبناء عمومته ، وخئولته ..

فكيف تنفذ الصدفة من هذه الحوائل جميعها ، ثم تحمل الى هذا الوليد اليتيم هذا الاسم الفريد اليتيم ، من بين العديد من الاسماء المنصوبة في قائمة أشراف العرب وأبطالها ؟

ثم كيف تظل الصدفة هذا الزمن الطويل — والصدفة لحظة عابرة ، تجيء خلسة وتذهب خلسة — كيف تظل هذا الزمن الطويل محتفظة للنبي بهذا الاسم الذي سمي به ، دون ان يزحزحه عن مكانه لقب أو كنية؟ وما أكثر ما هناك من القاب وكنى ، وانه قل أن يكون في العرب من لا يكون له لقب أو كنية ، أو لقب وكنية معا ، أو عدة القاب وكنى ، تغلب على اسمه ، فلا يكاد يذكر به ، أو لا يكاد يعرفه أحد ؟!

كيف يظل (محمد) هو (محمد) ، لا لقب ، ولا كنية ، حتى يكون هو — صلوات الله وسلامه عليه — الذي يكنى نفسه (أبا القاسم) بعد أن ولد له مولوده (القاسم) .. والقاسم — كما نعلم — صفة من صفات النبي ، لانه قاسم في الناس هذا الرزق العظيم من الهدى والرحمة ، فيما تلقى من آيات الله ، فكان لكل من آمن بالله حظه المقدور ، والمقسوم له من هذا الرزق الطيب المبارك ؟

كيف يكون للصدفة هذا التصرف المتمكن من الاحداث ، الممتد مع الزمن ، الجاري على الحكمة والمنطق ؟ كيف وشأن الصدفة أن تكون خلسة خاطفة ، وأن تجيء على غير حساب وتقدير .. هكذا .. خبط عشواء .. ؟

ان يكن ذلك شأن الصدفة ، فماذا تركت للحكمة والتدبير ؟ وأين تكون مواقع أفضال الله ، ومنازل رحمته ؟ وأين تتجلى آيات تدبيره ، وحكمته فيمن يصطفي ويختار من عباده ؟

وأكثر من هذا .. فان الفرعين الزكيين اللذين ولدا (محمدا) قد أراد الله تعالى لهما اسمين كريمين ، يليقان بهذا النبي العظيم الذي سينسب اليهما !!

فأبوه عبد الله ، وقليل جدا في العرب — قبل الاسلام — من تسمى به ، فما عرف العرب لأجيال متعاقبة — قبل البعثة النبوية — هذه العبودية الخالصة لله ، حتى عند من عرف منهم أن لهذا الوجود الها واحدا ، هو الله ، بل كانت عبوديتهم هي لتلك الأصنام التي عبدوها من دون الله ، فأضافوا انفسهم اليها ، وسموا : عبد العزى ، وعبد اللات ، وعبد ود ، وعبد مناة .. وقد كان اقرب شيء الى عبد المطلب اذا أضاف ابنه (عبد الله) هذا ، الى معبود ، أن يضيفه الى صنم من تلك الاصنام المعبودة .. أما أن يضيفه الى (الله) فذلك أمر لا يعلم تأويله الا الله !!

أفهذا من قبيل الصدفة أيضا ؟

وأكثر من هذا أيضا .. آمنة بنت وهب ، هي أم هذا الوليد ..

فلم تكن عفراء ، أو خنساء ، أو سودة ، أو أم الهيثم مثلا ، كما كان ذلك وما أشبهه من الاسماء الشائعة فى نساء العرب ..

ولا يقف الامر عند هذا ، فهناك سلسلة طويلة لا تنتهى من هـذه الموافقات التى احتشدت بين يدى النبى ومن خلفه ، فى هـذا الامر ، العرضى ، أو كالعرضى فى حياة الرسول ..

فالمرضعة التى أرضعت هذا الوليد ، هى (حليمة) والقبيلة التى شهدت مطالع طفولته هى قبيلة (بنى سعد) !!

ومن عجب ـ ولا عجب فى مقام النبوة ـ أن تكون هذه الاسماء : عبد الله ، وآمنة ، وحليمة ، وبنو سعد ـ أن تكون غير شائعة ، ولا غالبة ، ثم يجتمعن جميعا على نسق ، كما تنتظم حبات الجوهر الكريـم فى عقد !!

فالعبودية لله من (عبد الله) والأمن للناس من (آمنة بنت وهب) والهبة للانسانية ، من (وهب) والحلم فى التربية ، من (حليمـة) ، والسعد للمؤمنين ، من بنى سعد ـ كل اولئك مما تدثر به هذا الوليد ، ظاهرا وباطنا ، صفة وذاتا ، اسما ومسمى ، فكانت جميعها ينابيـع هدى ورحمة ، وغيوث خير وبركة ، اقامت وجوه الناس على عبـودية خالصة لله ، وملأت قلوب المؤمنين طمأنينة وأمنا ، عطاء من غير من ولا أذى ، واحسانا لا يغيض ، ولا ينقطع ، فمن اتصل به ، واخذ بحظه منه ، فهو من أهل السعد والسعادة ، فى الدنيا والآخرة جميعا !!

ـ ٥ ـ

نحن الى هنا ، ما زلنا بعيدين عن مواقع النبوة ، وعن النظر اليها فى فلكها الذى تتحرك فيه على طريق الدعوة الى الله ، وان كنا نشيم بروقها ، وننسم أرواح نفحاتها الزكية ، ونتنشق أنسام ريحها العطر .. فكيف بنا نحن اذا قاربنا حمى النبوة ، أو نزلنا بساحة أنوارها وجلالها ؟ تلك سماء تتملاها الانظار ، ولا تطول نجومها الاقدار . واذن فمن بعيد ـ مرة أخرى ـ نقف موقف الطائفين حـول هذا الحمى الجليـل المهيب ، لا نجاوزه الى حيث تسطع أنوار النبوة ، وحيث تتنزل آيات الله على النبى ، وحيث يشهد الوجود هذه المعجزات تتحدى الانس والجن ، وتبهر الصديق والعدو ، فتعنو لها الجباه ، وتذل بين يدى جلالها وجوه المعاندين والمتكبرين ..

فهذا داعية أمى .. ما قرأ كتابا ، ولا خط بيمينه سطرا !

وهؤلاء قوم أميون .. أعراب بادية ، ورعاة ابل وشاء ..

وهذا موطن قفر جديب ، لا يمسك ماء . ولا يخرج حبا ولا ثمرا ..

فماذا يقع فى حسابك من دعوة هذا الداعى الأمى ، فى هذا الموطن الجديب ، مع هؤلاء البدو الجفاة ؟ ولا تنظر فى حسابك هذا ، الى أن الداعى هو (محمد) ولا أن الموطن هو الجزيرة العربية ، ولا أن القوم هم أمة العرب .. واقم نظرك هنا الى أية داعية أمى ، فى أى بلد قفر ، فى أى مجتمع يعيش عيش البداوة ، ويحيا حياة الصحراء ..

ثم ارجع البصر كرتين ، وقدر لهذه الدعوة أقصى ما يمكن أن يكـون لها من ثمر ، وما تؤتيه من أكل .. أفيخرج بك هذا التقدير لهـــذه الدعوة ـ فى أحسن أحوالها ـ عن أن تكون نسمة بليلة هبت فى أعقاب يوم طويل من أيام السموم ، فاستروحت بها النفوس ساعة ، ثم ذهبت

وذهب ريحها ، ليستقبل الناس بعدها ما الفوا من أنفاس الصحراء الملتهبة ، وما يشوى الوجوه من شهيقها وزفيرها !!

أو أيجاوز بك التقدير لهذه الدعوة عن أن تكون نغما شجيا ، أو حداء عبقريا يسرى فى وحشة الليل ، ثم لا يلبث أن يذوب ويغرق فى هذا السكون المطبق العميق ؟ أو أن يكون دوحة ظلية ، ينـــزل بها الســـفر المتعبون ساعة من نهار ، يتقون بها لفح الهاجرة ، ووهج الهجير ، ثـــم يتركونها ليواصلوا مسيرتهم تحت ضربات الشمس ، ولفحات السموم ؟

انه لا يكون لهذا الداعي فى هذه الاحوال ، وفى تلك المواطن ، الا هذا الاثر المحدود الموقوت ، الذى يلمع كما يلمع البرق ، فى سواد ليل حالك ثم ينطفىء فى فحمة هذا الليل ، ويغيب فى ظلامه المتراكم !!

أرأيت الى الشعراء ، والخطباء ، والحكماء ، والابطـــال ، وكل ما أخرجت البوادى والصحارى من رجال وأعمال .. فماذا بقى فى هذه المواطن من آثارهم ؟ وماذا خلد فى الحياة من أعمالهم ؟ انها مجرد ذكريات عابرة ، لا تلبث أن تبهت الوانها الصارخة ، ويذهب بريقها الذى خطف الابصار فى يومها الذى ليس له غد !

— ٦ —

ولكن الامر يختلف أشد الاختلاف ، ومحصل النظر يجىء بمـــا لم يقع فى التقدير والحسبان ، حين يستقبل الانسان بنظره مطلع النبى العربى ، فى الامة العربية ، فى الصحراء العربية ..

هنالك نجد الداعى الأمى على غير ما عرفت الحياة من دعاة أميين ، وفلاسفة ، وحكماء ومصلحين ..

وهنالك نجد الصحراء ، وساكنى الصحراء ، على غير مألوف الحياة فى الصحارى ، وفى ساكنى الصحارى .. فى قديم الزمن وحديثه على الســـــواء ..

ومن هنا كان هذا (المحصول) الموفور من معطيات الخير وثمراته، فيما غرس الداعى من غراس ، وفيما أخرجت الارض من طيبات ، وفيما حصل الناس من رزق ، وفيما بلغوا من كمال فى منازل الانسانية ، كانوا به ، كما وصفهم الله تعالى : (خير أمة أخرجت للناس) ..

اننا هنا بين يدى آيات بينات ، ومعجزات قاهرات ، وفى مواجهة أحداث خطيرة مثيرة ، وانقلاب شامل فى ماديات الحياة ومعنوياتها ، يعتدل به ميزان الوجود الانسانى على هذا الكوكب ، الذى كان قد اختل ميزانه ، واضطربت سفينته ، وكادت تغرق فى متلاطم الامواج ..

نبى أمى ، وقوم أميون ، وأرض جديب ، وحياة غليظة جافية متجهمة .. ثم مع هذا فانه من كل هذه (الأميات) ، مجتمعـــات ، تلد الحياة أكرم مواليدها ، وتخرج الارض أطيب ثمراتها ، فتتفجر ينابيع الحكمة من فم هذا النبى الأمى ، ثم تقع هذه الحكمة فى عقول هؤلاء الاميين وفى قلوبهم موقع الماء الغدق فى الارض القفر ، فاذا الناس غير الناس ، واذا الحياة غير الحياة ، واذا أعراب البادية ، ورعاة الابل ، شامة فى الناس ، وأساتذة فى العلم ، وساسة فى الحكم وفى تربية الامم ، وقيادة الشعوب، واذا هذا البلد القفر مطلع النور ، ومشرق الهدى ، ومهوى الافئدة ، وقبلة أنظار العالم من عدو وصديق ..

لقد كان التقاء هذا النبي الامي بقومه الاميين ، وفي موطنهم (الامي)

ـ كان هذا اللقاء مقدورا بقدر ، موقوتا بميقات ، لتتجلى منه آيات الله، ولتستبين به حكمته ، ولتكون منه للمتوسمين عبرة وعظة ، فيما يقضى به فى خلقه ، وفيما يختص به من يشاء من فضله ، من أفراد وأمم ، ومن ديار وأوطان ، وعز وصدق من قائل : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ..

ـ ٧ ـ

ولا أحسب أن هذا الحديث عن النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يرضى كثيرا من هؤلاء الذين قرءوا كتب السيرة النبوية ، وماتحدث به من عجائب الاحاديث وغرائبها ، ومن تروى من تلك الاحداث والمعجزات التى سايرت موكب المولد النبوى ، واحتشدت من بين يديه ومن خلفه ـ لا أحسب أن أحدا ممن اعتاد أن يغذى عاطفته الدينية من تلك الاحاديث وهذه الاخبار ـ لا أحسبه يقيم وزنا لهذه اللمحات التى قبسناها من أضواء النبوة الى جانب هذه البروق اللامعة الخاطفة التى تعج بها كتب السيرة ، وقد حملت من كل عجيب وغريب !

ولا بأس من أن نعرض هنا بعضا مما تحدث به كتب السيرة فى هذا المقام ، وهو قليل من كثير ، لتكون موضع نظر أولى النظر ..

فقد روى ابن هشام ـ صاحب السيرة ـ عن ابن اسحق ، ان آمنة حين حملت بوليدها ، رأت انه خرج منها نور رأت به قصورى بصرى من أرض الشام ..

ثم يعلق على هذا الخبر بقوله : (قد تواترت الاخبار الصحيحة بذلك !!) (١٣) ..

ويروى (شهاب الدين الدينورى) فى كتابه (نهاية الأرب) فيقول : (وحكى الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبى فى كتابه (الاعلام) عن ابن عباس ، رضى الله عنهما أنه قال : (كان من دلائل حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان كل دابة نطقت تلك الليلة ، وقالت : حمل بمحمد ورب الكعبة ، وهو امام الدنيا وسراج أهلها، ولم تبق كاهنة فى قريش ، ولا فى قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبها ، وانتزع علم الكهنة منهم (!!) ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا .. وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يوم ذاك ، وفرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار (!!) صار يبشر بعضهم بعضا .. وله ـ أى للنبى ـ فى كل شهر من شهوره ـ أى شهور حمله ـ نداء فى الارض ، ونداء فى السماء: أن أبشروا ، فقد آن لأبى القاسم أن يخرج الى الارض ميمونا مباركا ..) !! (١٤)

وفى السيرة الحلبية ، عن آمنة ، قالت : لما ولدت محمدا ، ثم خرج من بطنى ، نظرت اليه ، فاذا هو ساجد لله عز وجل ، رافع يديه الى السماء ، كالمتضرع المبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشيته ، فغيبته عن عينى برهة ، فسمعت قائلا يقول : طوفوا بمحمد مشارق الارض ومغاربها ، وأدخلوه البحار كلها ليعرفه جميع الخلائق كلها باسمه وصفته ، ويعرفوا بركته ، انه حبيب لى ، لا يبقى شىء من الشرك الا ذهب به (!!) .. قالت آمنة : ثم انجلت عنى فى أسرع من طرفة عين ، فاذا أنا به مدرج فى ثوب أبيض أشد بياضا من اللبن ، وتحته حريرة خضراء ، قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ

الرطب الابيض ، واذا قائل يقول : قد قبض محمد مفاتيح النصرة ، ومفاتيح الدنيا ، ومفاتيح النبوة) (١٥) . .

ولا نستكثر من عرض مثل هذه المقولات التى خلطت الحق بالباطل، وجمعت بين اللباب والقشر ، ونظمت عقد السيرة النبوية من جواهر وحصى حتى لقد خرج الامر عن حدود العقل ، وجاوز موازين المنطق ، بهـذا الجمع بين التناقضات ، حيث تلتقى الحكمة مع السذاجة ، والجلال المهيب، مع التهريج الغبى ، وحيث اتسعت من ذلك مداخل الذين يتربصون بالاسلام ويكيدون له ، فاستكثروا من هذه المبالغات الساذجة المفضوحة ، يلقـون بها فى حمى النبوة ، وبين آياتها البينة ، فلا يدرى الناس ماذا يأخذون من السيرة النبوية الكريمة ، أو يدعون ، بل ان هذا الزيف من تلك الاخبار قد خدع العامة ببريقه ، فأقاموا أبصارهم عليه ، دون أن يلتفتوا الى ما بين أيديهم من آيات النبوة ، فى جلالها ووقارها . . وهكذا يروج النقـد الزائف ، ويكثر تداوله . . حتى اذا استقبل المسلمون مولد النبى ، محتفين بهذا اليوم العظيم ، ومستقبلين مواطر النفحات والرحمات من تلقائه ، كان أكثر زادهم فى هذا المقام الكريم ، هو معاطاة هذه المقولات الساذجة الزائفة ، وادارة كئوس شرابها الآسن بغير حساب فى حلقات الذكر ، ومجامع الذاكرين ، وسرعان ما تغيب عقول القوم ، فى (الحضرة) فلا يدرون ما يدار عليهم فى الكئوس ، وقد دارت من القوم الرء وس !!

والذى نريد أن نقرره هنا ، هو أن معجزة النبى الخالدة خلود الزمن، الباقية بقاء الابد ، الثابتة ثبات النجوم فى ابراجها ، المشرقة اشراق الشمس فى ضحاها ــ هذه المعجزة هى القرآن الكريم الذى نزل به الروح الأمين على قلب النبى صلوات الله وسلامه عليه ــ وبهذه المعجزة أعجز العالمين ، وبهذه المعجـزة أخرج فى الوجـود خير أمـة أخرجـت للنـاس !

فليقل القائلون فى النبى ما شاءوا من قصـيد المدح والثناء ، ولينظموا له ما وسعهم الخيال من غرائب الاحداث ، وعجـائب الاساطير ــ فان ذلك كله ومثله معه ، اذا وضع فى ميزان النبوة ، لن يتأثر به هذا الميزان ، ولن يتحرك (مؤشره) قيد أنملة . صعودا أو هبوطا . . فمقام الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ جل عن أن يتأثر بشىء من هذا ، فقد رفعه ربه فوق كل مقام ، وأعلى منزلته فوق كل منزلة ، اذ يخاطبه ربه بقوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فبهذا العطاء الموعود من رب العالمين لم يبق للنبى شىء يعطاه من أفواه المحبين المادحين ، فضلا عن أفواه الاغرار المفترين . .

فلنقتصد اذن قدر ما نستطيع من ادارة مثل هذه المقولات ، والمرويات ومن تعطير سيرة النبى بها ــ كما يقال ــ فان من الجور على جـلال النبوة وعظمتها ، أن يطلق فى سمائها القدسى مثل هذا (البخور) الذى لا يجاوز مواقع مطلقيه . . ان ذلك أشبه بمن يضىء شمعة ، يمد بها يده الى الشمس المتألقة فى كبد السماء ليزيدها ضياء الى ضياء ، ونورا الى نـور . .

وحسبنا فى هذا المقام ، مقام ذكرى المولد العظيم ــ أن نطالع وجه النبى فى كتاب الله ، وأن نتذاكر ذكره فى آيات الله . . فالقرآن الكريم هو سيرة الرسول ، وآيات القرآن الكريم هو آيات الرسول ومعجزاته .

فمن أراد أن يشهد النبى فى أعلى مقام ، وأكمل كمال ، فليقف بين يدى آيات الله وقوف متأمل فيها ، دارس لها ، قاطف من جناها ، طاعم من ثمرها ، مهتد بهديها ، مستقيم على طريقها .. فذلك هو الطـــريق القاصد الى الله ، والموصول بأنوار رسول الله .. (ومن لم يجعل الله له نـــورا فماله من نور) (١٦) ..

فيا أمة محمد ، ويا أحباب محمد ، أحيوا ذكرى محمد ، ومولد محمد، وسيرة محمد ، بالحياة مع الكتاب المنزل على محمد ، كلمات متلوة فى آيات الله ، وآيات مشهودة فى رسول الله ، الذى تحدث السيدة عائشة رضى الله عنها ، وقد سئلت عنه ، فتقول : (كان خلقه القرآن) ..

فما أصفى القرآن موردا نرد منه على رسول الله ، وما أصـــدق القرآن حديثا يحدثنا به الله ، عن رسول الله .. (ان هذا لهو القصص الحق ، وما من اله الا الله ، وان الله لهو العزيز الحكيم) (١٧) ..



---

(١) تأول الرسول الكريم ، (عقبة) بالعاقبة ، و (رافع) بالرفعة ، وجعل العاقبة فى الدنيا ، والرفعة فى الآخرة ، لان عقبة جاء لفظه قبل رافع ، وكذلك الدنيا ، فانهـــا تجيء بعد الآخرة .

(٢) الحديبية .

(٣) سهيل بن عمرو ، هو الذى ندبته قريش ليلقى النبى ، وهو على رأس جيش المسلمين فى الحديبية ، وهو الذى أمضى صلح الحديبية مع النبى ، ممثلا لقريش ..

(٤) لقد كان صلح الحديبية فتحا ونصرا لرسول الله وللمؤمنين ، وان كان قد بدا فى ظاهره يومئذ غلبة لقريش ، التى صدت النبى والمؤمنين عن دخول مكة ، والطواف بالبيت الحرام ، وفى أعقاب هذا الصلح تنزلت على رسول الله (سورة الفتح) ومفتتحها :

(انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمتـــه عليك ويهديك صراطا مستقيما) .

(٥) صحيح مسلم (٦) صحيح البخارى ، وسنن أبى داود (٧) سنن أبى داود

(٨) سورة الروم : آية / ٥٤ (٩) زاد المعاد ، لابن القيم جزء ٢ ص ١٩ (١٠) سورة الصف : آية / ٦ (١١) الشفاء للقاضى عياض جزء / ١ ص / ١٩٠ (١٢) الروض الانف للسهيلى جزء / ١ ص ١٥٦ (١٣) السيرة ، لابن هشام ، جزء / ١ ص/٦٢ (١٤) نهاية الأرب جزء / ٦ ص / ٦١ (١٥) السيرة الحلبية جزء / ١ ص / ٥٤

(١٦) سورة الروم : آية / ٤١ (١٧) سورة آل عمران : آية / ٦٢ .

شجاعة النبي

— ١ —

ما احوج العرب والمسلمين اليوم ، الى الاقتداء بشجاعة الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ، والارض المقدسة والقدس الشريف والضفة الغربية وقطاع (غــزة) وســيناء والهضبة السورية تئن تحت وطــاة الاحتلال الاسرائيلى ، وبلادهم من النيل الى الفرات مهددة بالتوسع الصهيونى الاستيطانى ، حتى يخاطبوا اسرائيل باللغة الوحيدة التى تفهمها وترضخ لها ، وحتى يستعيدوا حقوقهم المغتصبة ويفرضوا السلام فى ارض السلام ..

وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم العطرة ، تقدم نماذج رائعــة فذة ، تبرز بها شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أيام السلام والحرب على حــد ســواء ..

كانت رجولته النادرة تملأ الأعين قدرا وجلالا ، وكان فى الســلم

(رجـــــلا) يوحد من أجل الجهاد ، وكان في الحرب (رجــــــلا) يجاهد من أجل التوحيد ، وكانت حياته المباركة منذ مبعثه الى التحاقه بالرفيق الأعلى توحيدا من أجل الجهاد وجهادا من أجل التوحيد ، وكان بعض آثار جهاده وتوحيده جمع شتات العرب في شبه الجزيرة العربية تحت لـــــواء الاسلام ..

ولست بصدد ذكر أمثلة من شجاعته في أيام السلام ، لانني أحب أن يقتصر حديثي على شجاعته في أيام الحرب ، لان العرب والمسلمين يعانون في هذه الايام العصيبة من حرب فرضت عليهم فرضا ، فهم أحوج ما يكونون الى تدارس شجاعته العسكرية ، لتكون أسوتهم الحسـنة

صلى الله عليه وسلم

للواء الركن : محمود شيت خطاب

في حاضرهم ومستقبلهم ، وليقتفوا أعماله البطولية في ميدان القتال ..

ولكنني استأذن القراء بذكر مثال واحد دليلا على شجاعته في أيام السلام ، ما قرأته في السيرة النبوية العطرة الا وهتفت من صــــميم قلبي : ما أعظم شجاعتك يا رسول الله عليك أفضل الصلاة وأزكى الســـــلام !!

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : (حضرتهم (١)، وقد اجتمع أشرافهم يوما بالحجر (٢) ، فذكروا رســـول الله صلى اللــه عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ــ لقد صبرنا منه على أمر عظيم . فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت . فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش ! أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح (٤) ! .. فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى ان أشــــدهم فيه وصاة (٥) قبل ذلك ليرفؤه (٦) بأحسن ما يجد من القول ، حتى انه

ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا !! فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى (الحجر) وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبينما هم فى ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : انت الذى تقول كذا وكذا ، لمـــا كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا الذى أقول ذلك ! . . . (٧)

كان ذلك أيام ضعف المسلمين ، قبل الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وقبل اسلام حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم . .

وهذا يدل على تحـــد شديد لقريش ، وعلى شجاعة مذهلة حقا . .

— ٢ —

ولكن ما نحتاج اليه اليوم ، هو التذكير بشجاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أيام الحرب ، حتى تكون نبراسا للعرب والمسلمين قادة وجنودا وحكاما ومحكومين وحكومات وشعوبا . .

ان من أهم صفات القائد بخاصة والجندى بعامة ، هـــو التحلى بالشجاعة الشخصية . .

والقائد الذى لا يتحلى بالشجاعة لا ينتصر أبدا ، لان جنــــوده لا يثقون به ، ولانه لا يستطيع أن يكون مثالا شخصيا لرجاله فى الاقدام والتضحية ، ولانه لا يخاطر بروحه فلا يخاطر اتباعه بأرواحهم . .

والقائد الشجاع يتبعه رجاله الى الموت ، والقائد الجبان يسبقه جنوده الى النجـــاة . .

والشجاع يربى الشجعان ، وخصلة الشجاعة تنتقل منه الى اتباعه بالعدوى ، وفاقد الشىء لا يعطيه . .

لقد برزت شجاعة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام فى غزواته كلها بشكل يبهر العقول والقلوب معا ، ويدعو الى أعظـــم الاعجاب والتقدير . .

ان (قراره) بقبول خوض غزوة (بـــدر) الكبرى ، وهى أول غزوة خاضها المسلمون ، شجاعة نادرة فذة ، لان تعداد المسلمين يبلغ ثلث تعداد المشركين ، ولان المشركين كانوا متفوقين على المسلمين بالتسليح والقضايا الادارية . .

فقد بلغت قوة المسلمين فى (بـــدر) ثلاثمائة وخمسة رجال من المهاجرين والانصار (٨) ، وبلغت قوة المشركين تســـــعمائة وخمســـين رجـــلا . .

وكان مع المسلمين فرسان فقط وسبعون بعيرا ، وكان مع المشركين مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الابل لركوبهم وحمل أمتعتهم . .

وكان المسلمون فقراء يفتقرون الى الطعام ، وكان المشركون أغنياء ينحرون كل يوم تسعة من الابل أو عشرة لطعامهم ، بينما يكتفى المسلمون غالبا بالتمر والسويق (٩) . .

وكان الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام يدرك كل الادراك خطورة الاشتباك بالمشركين ، لان اندحار المسلمين فى هذه الغـــــزوة الحاسمة قد يؤدى الى القضاء المبرم على مستقبل الاسلام . لذلك ابتهل

الى الله سبحانه وتعالى فى دعائه قبل نشوب القتال وفى أثنائه قائلا : (اللهم هذه قريش ، قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك . اللهم ، فنصرك الذى وعدتنى . اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) ..

وحين اشتد أوار القتال ، نزل الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام بنفسه ليقود صفوف المسلمين ويباشر القتال ، فلم يكن أحـد من المسلمين أقرب منه الى العدو . قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : (لما كان يوم (بدر) ، اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس بأسا ، وما كان أحد أقرب الى المشركين منـه) (١٠) ..

وقال الامام على رضى الله عنه : (انا كنا اذا اشتد الخطب (١١) واحمرت الحدق (١٢) ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيتنى يوم (بدر) ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا الى العدو) (١٣) ..

— ٣ —

وكانت قوة المسلمين فى (أحـد) ستمائة وخمسين راجلا وخمسين فارسا ، وكانت قوة المشركين ثلاثة آلاف راجل وفارس ..

وقد أعـد الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام خطة تعبوية لخوض غزوة (أحـد) ، قادت المسلمين الى النصر فى المرحلة الاولى من المعركة ، حتى انهزم المشركون وتكبدوا خسائر فادحة ..

ولكن (الرماة) الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم ألا يبرحوا أماكنهم ولو رأوه وأصحابه يقتلون ، اختلفوا فيما بينهم ، فانطلق أكثرهم لجمع الغنائم من معسكر المشركين ظنا منهم بأن المعركة قد انتهت بنصر المسلمين ..

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة ، فهاجم مواضع رماة المسلمين ، وضرب المسلمين من الخلف ، وطوقهم . فلما رأى المشركون ذلك ، قاموا بهجوم مضاد على المسلمين ، فأصبح المسلمون مطوقين من كل جانب ، وأصبح مصيرهم مهددا بالفناء ..

ولجـأ أكثر المسلمين الى جبل (أحـد) ، وثبت مع الرسـول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام أربعة عشر رجلا : سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار (١٤) يقاتلون ليشقوا لهم طريقا من بين قـوات المشركين التى أطبقت عليهم من كل جانب . واستطاع المشركـون أن يصلوا قريبا من موضع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فرماه أحدهم بحجر أصاب أنفه وكسر رباعيته (١٥) . وتمالك النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ، وسار مع البقية الباقية من أصحابه مقاتلا ، فاذا به يقع فى حفرة حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، فأسرع اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ بيده . ورفعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى استوى ..

وأخذ المشركون يديمون زخم هجومهم المضاد للقضاء على المسلمين وعلى النبى صلى الله عليه وسلم بالذات ، وصاح أحدهم بأعلى صوته : قتلت محمدا ..) ..

وقاد الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه رجاله ، ورمى بنفسه عن قوسه ، حتى تحطمت القوس .. وتساقط المسلمون حوله صرعى واحدا بعد الآخر ، حتى استطاعوا بقيادته الفذة شــــق طريقهم عبر صفوف المشركين ، ولجأوا الى رابية مشرفة من روابى جبل (أحـــد) ..

وتركت هذه الشجاعة المذهلة اثرها فى قريش ، فتوقف زخـــم هجومها ، وذهبت محاولات قريش كافة للقضاء على النبى صلى الله عليه وسلم أدراج الرياح ..

وصدق الله العظيم : (ولقد صدقكم الله وعده ، اذ تحسونهم (١٦) بأذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعـــد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين) (١٧) ..

وعاد المشركون أدراجهم الى مكة ، وعاد المسلمون الى المدينة ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم قرر القيام بحركة جـــريئة ترد الى المسلمين معنوياتهم ، وتدخل الى روع يهود والمنافقين الرهبة ، وتعيد الى المسلمين سلطانهم بالمدينة المنورة قويا كما كان ..

لذلك خرج بأصحابه الذين شهدوا غزوة (أحـــد) فقط ، فى اليوم الثانى من يوم (أحـــد) لمطاردة المشركين . فلما وصل موضـــع (حمراء الاسد) (١٨) ، جاءه من يخبره أن قريشا قررت السير اليه ..

وقرر الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لقاء قريش ، وبقى ينتظرهم هناك ثلاثة أيام ، ولكن المشركين المنتصرين خافوا لقاءه وحرصوا على الاحتفاظ بمكاسبهم ..

ان شجاعة النبى صلى الله عليـــه وسلم فى (أحـــد) تجل عن الوصف ، فقد استطاع أن يسيطر على الموقف الحربى تجاه تفـــوق ساحق للمشركين فى معركة يائسة الى أبعد الحدود ، ثم يعيد تنظيم رجاله ويعيد اليهم معنوياتهم ويصد هجمات مضادة للمشركين ، فيحيل الهزيمة النكراء الى نصر ، لانه اضطر قريشا الى اليأس من القضـــاء على المسلمين ، بعد أن كان فناء المسلمين أمرا حتميا ، ثم اضطرهم الى الانسحاب من ساحة المعركة بعد اليأس من ابادة المسلمين ..

ولم يكتف بذلك ، بل خرج فى اليوم الثانى من المعركة ، لمطاردة المشركين ، حتى اضطرهم الى اتخاذ (الحيلة) بارسال معلومات كاذبة للمسلمين حول اعتزامهم على اعادة الكرة على المسلمين ، فلم يكترث الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التهديد والوعيد ، وانما أعد العدة لمجابهة المشركين ، وقرر لقاءهم مهما تكن الظروف والاحوال ..

اننى لم أقرأ فى تاريخ الحرب ، قائدا تميز بمثل هـــذه الشجاعة الخارقة ، ولعل موقف النبى صلى الله عليه وسلم فى (أحـــد) هو من أعظم مواقفه العظيمة فى الحرب التى تدل على شجاعته التى لا تتكرر أبـــدا ..

— ٤ —

أ) . وكان تعداد جيش المسلمين فى غزوة (الخندق) ثلاثة آلاف رجل، وكان تعداد الاحزاب عشرة آلاف مقاتل ، أربعة آلاف من قريش وستة آلاف من سليم وأسد وفزارة وأشجع وغطفان ..

وحاصر المشركون المدينة المنورة ، واشتد القتال ، وكان رجحان كفة المشركين على المسلمين ظاهرا للعيان ، لذلك نكث يهود قريظة وانضموا الى المشركين ..

وتحرج موقف المسلمين كثيرا ، اذ أصبح الخطر يتهددهم من داخل المدينة بيهود ومن خارجها بالمشركين ..

فى ذلك الموقف العصيب ، الذى يفتت أصلب النفوس وأشجعها ، والذى وصفه القرآن الكريم وصفا أبلغ وصف وأصدق وصف ، فقال تعالى : (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) (١٩) . واشهد اننى لا اكاد أقرأ هذه الآية بعد أربعة عشر قرنا من نزولها ، الا وتكاد اعصابى تتمزق ويتملكنى الشعور بالخوف الشديد والاشفاق على المسلمين من الموقف الرهيب الذى عاشوه يومذاك وعلى رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الأحزاب ..

ومع ذلك ثبت الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ثبات الجبال الشم الراسيات لا يتزعزع ولا يريم ، واثقا بالله معتمدا عليه معتدا به . يقاتل كما يقاتل أصحابه ، ويحفر كما يحفرون (٢٠) ، ويحرس كما يحرسون ، ويسهر كما يسهرون ، بل كن يستأثر بالخطر ويؤثرهم بالامن ، ثم يحرضهم على القتال ويبشرهم بالنصر أو الجنة ، وانما هى احدى الحسنيين : انتصار أو شهادة ..

ب) . ويوم (حنين) كان خالد بن الوليد رضى الله عنه على مقدمة المسلمين فى مائة فرس هى خيل بنى سليم عند التقدم من مكة المكرمة الى الطائف لقتال هوازن وثقيف الذين أجمعوا على حرب المسلمين (٢١).

وكان مالك بن عوف النصرى قائد المشركين قد عبأ رجاله فى وادى (حنين) ليلا وأمرهم أن يحملوا على المسلمين حملة واحدة ..

وانحدر المسلمون فى عماية الصبح فى وادى (حنين) على تعبية، وهو واد من أودية (تهامة) أجوف خطوط (٢٢) ينحدر انحدارا . وهاجم المشركون المسلمين من كل جانب ، فانكشفت خيل بنى سليم مولية وتبعهم أهل مكة وتبعهم الناس منهزمين ..

ولكن الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ثبت وثبت معه نفر قليل من أصحابه وأهل بيته لا يزيدون على العشرة رجال (٢٣) ..

وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم ينادى الناس اذ يمرون به منهزمين: (أين أيها الناس ؟ أين ؟ .. هلموا الى ! أنا رسول الله ! أنا محمد بن عبد الله .. !) ..

وتقدم عليه أفضل الصلاة والسلام وهو راكب بغلته البيضاء يركضها نحو العدو وهو يقول :

(أنا النبى لا كــذب   انا ابن عبد المطلب)

وأمر صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضى الله عنه أن ينادى : (يا معشر الانصار ! يا أصحاب البيعة يوم الحديبية) ..

وكرر العباس النداء ، حتى تجاوبت أصداؤه فى جنبات الوادى .. وسمع المهاجرون والانصار النداء ، فكافحوا ليبلغوا مصدر الصوت ،

ورمى أكثرهم درعه وترك بعيره واستصحب معه سيفه وترسه فقط ، ليبلغ مصدر الصوت بسرعة ..

واجتمع حول الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام نحو مائة مسلم وهم يتصايحون : (لبيك .. لبيك ..) فاستقبل بهم صلى الله عليه وسلم المشركين ..

واشتد القتال ، وتقدم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام برجاله ، ففر المشركون .. واستسلم كثير منهم أسرى ، فلما عاد المسلمون وجدوا الكثيرين من المشركين أسرى مصفدين بالاغلال ..

ولولا ثبات النبى صلى الله عليه وسلم ، لاصيب المسلمون بكارثة عسكرية ، ولصدق القائل حين رأى انهزام المسلمين : (لا تنتهى هزيمتهم دون البحر) (٢٤) ..

ولكن شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم غيرت الموقف من حال الى حال ..

قال البراء بن عازب رضى الله عنه : (كنا اذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله وسلم ، وان الشجاع الذى يحاذى به) (٢٥) ..

وأخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أنس رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أشجع الناس . ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم الى الصوت ، وهو على فرس لأبى طلحة رضى الله عنه عرى ، فى عنقه السيف ، وهو يقول : لم تراعوا .. لم تراعوا ..)

لقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يقود رجاله من (الامام) ، يقول لهم : (اتبعونى .. اتبعونى ..) ..

لم يكن يقودهم من الخلف ، يقول لهم : (تقدموا .. تقدموا ..) ثم يأوى الى مقر آمن مريح ..

لذلك استحوذ بشجاعته واقدامه .. بمثاله الشخصى الذى يضربه لرجاله فى الشجاعة والاقدام .. ببذله وتضحيته واستئثاره بالاخطار وايثار أصحابه بالامن .. يستحوذ على (ثقة) رجاله ، فقادهم من نصر الى نصر ، ومن فتح الى فتح ، حتى شمل الاسلام أرجاء شبه الجزيرة العربية ، فوحد العرب تحت لواء الاسلام ..

ذلك هو الدرس العظيم الذى يعلمه الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لاتباعه المسلمين ولقومه العرب .. فى هذه الايام بالذات ..

فما أحرج العرب والمسلمين ان يتلقوا هذا الدرس ، عن سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال ، امام المجاهدين وقدوة المؤمنين وخاتم النبيين ..

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

---

(١) يريد : حضرت قريشا .

(٢) . الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما تركته قريش فى بنائها من أساس ابراهيم عليه السلام ، وحجرت على المواضع ليعلم أنه من الكعبة ، فسمى حجرا لذلك لكن فيه زيادة

على مافى البيت ، وكان ابن الزبير أدخله فى الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بناءه رده على ما كان عليه فى الجاهلية. (راجع معجم البلدان) .

(٣) غمزوه : طعنوا فيه .

(٤) . الذبح : مجاز عن الهلاك ، ومنه فى حديث القضاء : (من تصدى للقضاء وتولاه فقد تعرض للذبح ، فليحذره) .

(٥) الوصاة : الوصية .

(٦) يرفؤه : يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له .

(٧) انظر التفاصيل فى : سيرة ابن هشام (١ / ٣٠٩ — ٣١٠) — تحقيق مصطفى السقا ورفاقه — القاهرة — ١٣٥٥ هـ .

(٨) كان المهاجرون أربعة وسبعين رجلا وسائرهم من الانصار . انظر طبقات ابن سعد (٢ / ١٢) ، مع اختلاف طفيف فى عددهم بالمصادر الاخرى . انظر جوامع السيرة لابن حزم (١١٤ — ١٤٦) وسيرة ابن هشام (٢ / ٣٢٤ — ٣٥٤) .

(٩) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمى بذلك لانسياقه فى الحلق ، جمعها : أسوقة .

(١٠) أنظر : دلائل النبوة للبيهقى (١ / ٢٧٨) — القاهرة — ١٣٨٩ هـ .

(١١) الخطب : الحال والشأن . وفى القرآن الكريم : (قال : فما خطبكم أيها المرسلون ؟! .. والامر الشديد يكثر فيه التخاطب جمعها : خطوب . وهنا يريد : الامر الشديد ، والخطر المحدق .

(١٢) الحدق : جمع حدقة . والحدقة : السواد المستدير وسط العين . واحمرت الحدق : اشتد الخطر وتفاقم الامر ، حتى احمرت الحدق من جراء ذلك . وهذا التعبير : احمرت الحدق ، كناية عن تفاقم الخطر واشتداده .

(١٣) انظر الرسول القائد (٤٣١) .

(١٤) طبقات ابن سعد (٢ / ٤٢) .

(١٥) الرباعية : السن بين الثنية والناب ، وهى أربع : رباعيتان فى الفك الاعلى ، ورباعيتان فى الفك الاسفل .

(١٦) تحسونهم : تستأصلونهم بالقتل . قال ابن هشام : الحس : الاستئصال . يقال : حسست الشىء : أى استأصلته بالسيف وغيره . انظر سيرة ابن هشام (٣/٦٦) .

(١٧) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٢) .

(١٨) حمراء الاسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، على طريق المدينة — مكة . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣ / ٣٣٧) .

(١٩) الآيات الكريمات من سورة الاحزاب (٣٣ : ١٠ — ١٢) .

(٢٠) عمل النبى صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق كأى فرد من المسلمين ، بل كان المسلمون يستعينون به عندما تصادفهم بعض العقبات والصعاب فى اثناء الحفر ، كظهور الصخور ، فيحضر هو بنفسه لتفتيتها ..

(٢١) انظر طبقات ابن سعد (١ / ١٤٩) والطبرى (٢ / ٣٤٤) وسيرة ابن هشام (٣ / ٦٨) .

(٢٢) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . واجوف : متسع . وحطوط : منحدر .

(٢٣) هم : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب والعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد الذى قتل يومئذ .

(٢٤) انظر التفاصيل فى : الرسول القائد (٣٥٧ — ٣٦١) وخالد بن الوليد المخزومى (٨٠ — ٨٢) .

(٢٥) رواه البخارى .

استطلاع عن

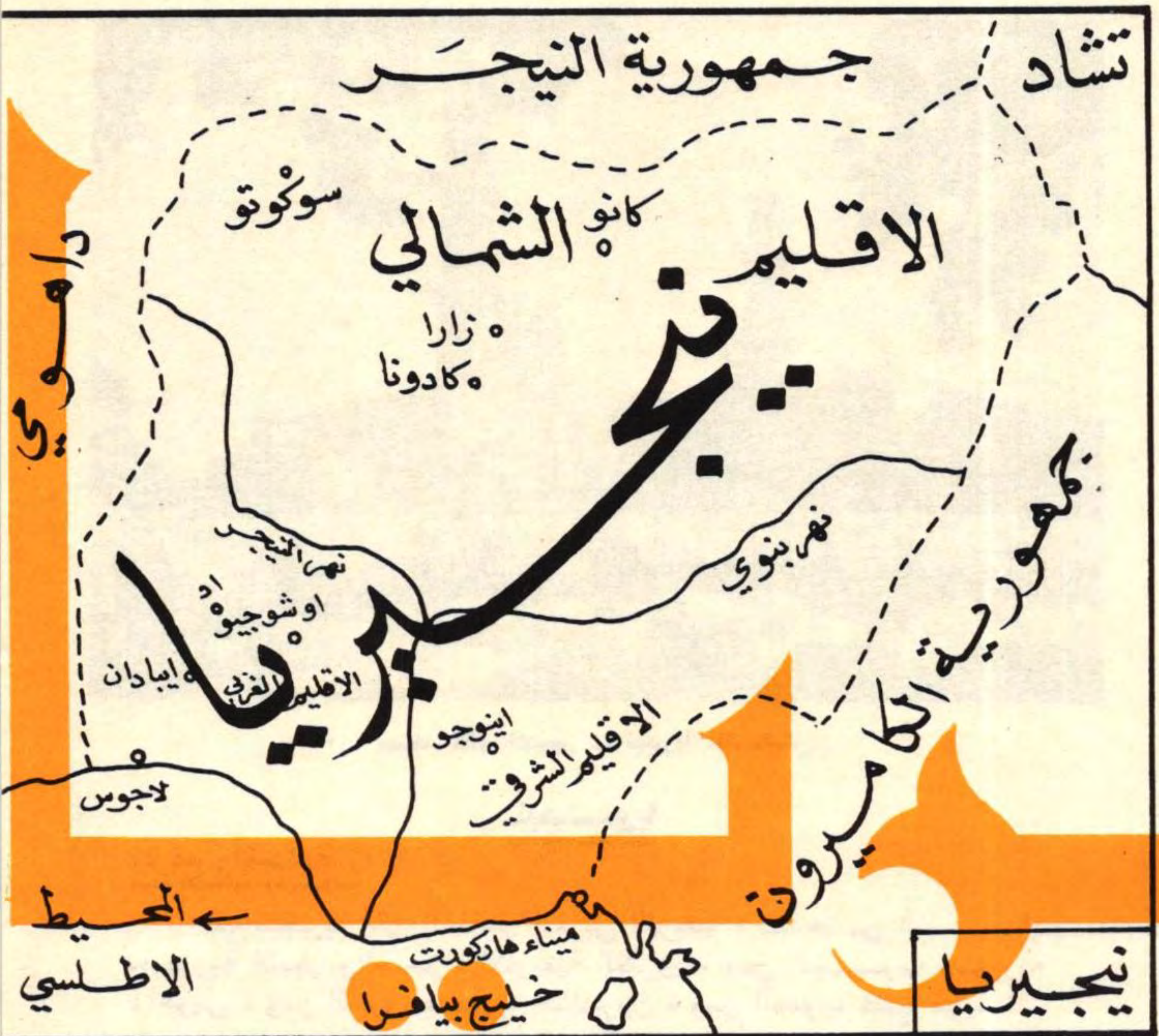




أخي القارىء

هل تعلم :

- **أن نيجيريا هى اكبر بلد افريقى من ناحية عدد السكان .**
- **وان نيجيريا اشتق اسمها من كلمة نيجرو اى الزنجى**



اعداد : الأستاذ عرفات كامل العشى

الأسود ثم أطلق الاسم على النهر الكبير الذى يشقها ، ثم على البلاد نفسها .

- وأن امبراطورية اسلامية كبيرة قامت فى نيجيريا فى القرن التاسع عشر .
- وأن نيجيريا من البلاد التى انتشر فيها الاسلام بقوته الروحية تماما كاندونيسيا وغيرها من الأقطار .



مسجد كانو الشهير ـ نيجيريا الشمالية ..

نيجـــيريا

الموقع والمساحة :

تقع نيجيريا على الساحل الغربي لأفريقيا ، يحدها من الشـــمال جمهورية النيجر والصحراء الافريقية الكبرى ، ومن الغـــرب جمهورية داهومى ، ومن الشرق جمهورية الكاميرون ، ومن الجنوب خليج غينيـــا .

وهي من حيث مساحتها تكاد تعادل مساحة باكستان أو ما يعادل أربعة أمثال مساحة بريطانيا ، فمساحتها (٣٦٧ر٦٦٩) ميـــلا مربعـــا ، وتعطى هذه المساحة الهائلة من الأراضى أنواعا شتى من النبات ، فهناك نباتات استوائية ، وأعشاب سافانا ، وهناك أراض شبه صحراوية .

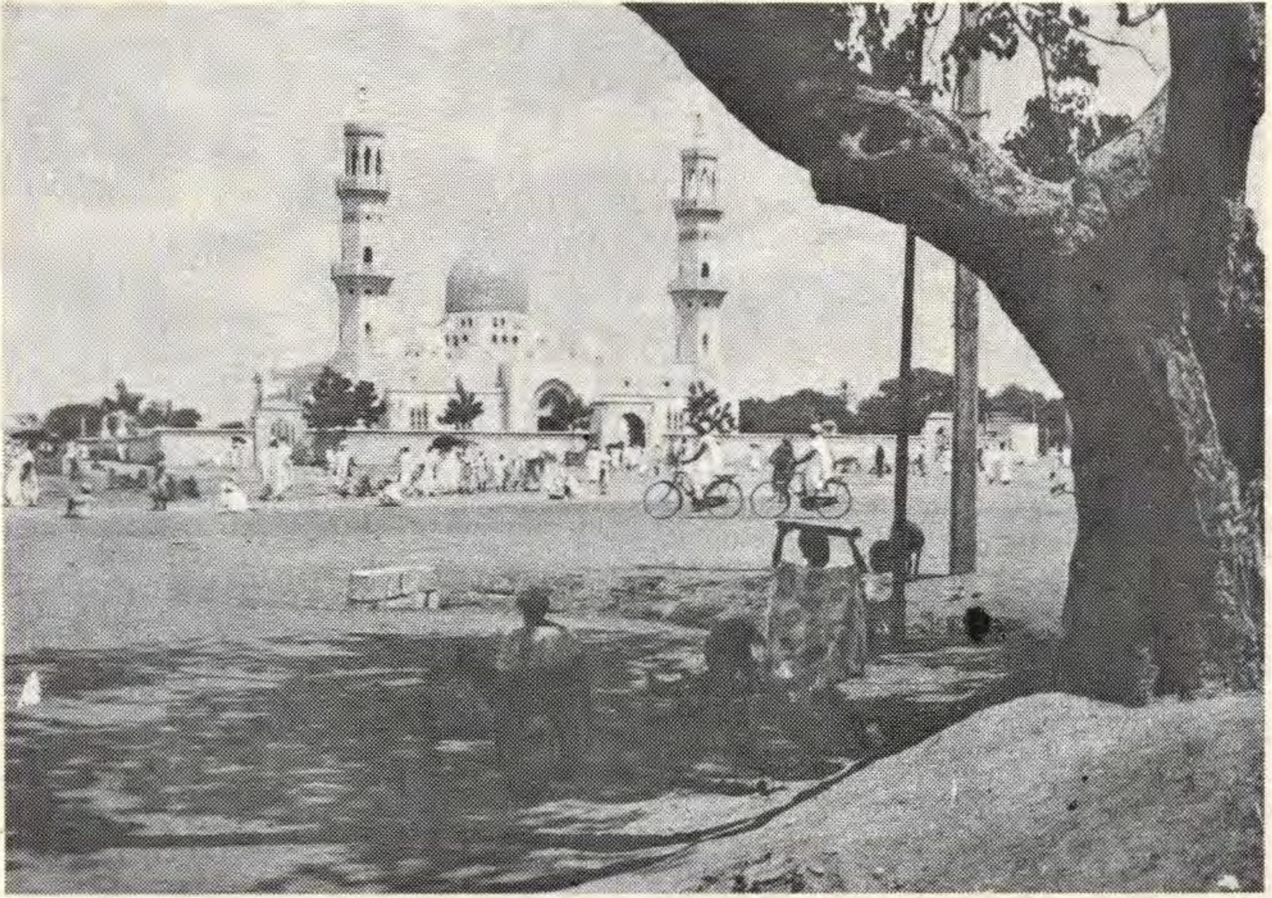
التضاريس والمناخ :

المنطقة الساحلية من نيجيريا مكسوة بالغابات والمستنقعات تتلوها فى الداخل المنطقة الاستوائية وهى غنية بالأخشاب ثم تأتى الاراضى المنبسطة المكسوة بالشجيرات والحشائش وتكثر فيها المرتفعات والتلال .

أما مناخ نيجيريا فيغلب عليه الطابع الاستوائى وهنـــاك فصلان رئيسيان فى البلاد :

الأول فصل جاف ويمتد من شهر نوفمبر الى شهر مارس .

والثانى فصل الشتاء المطير ويشمل بقية أيام السنة ، وتسقط أمطار



مسجد كانو المركزى ــ الواجهة الثانية ..

غزيرة فى المناطق الجنوبية ، وتقل الامطار بالتدريج كلما اتجهنا شمالا ، الا أن الامطار تكفى فى البلاد كلها للاغراض الزراعية .

الأنهــــار :

فى نيجيريا نهران عظيمان هما نهر النيجر ، ونهر بنوى . وينبــع الاول من جبال فوتا فى غينيـــا ، ويأتى الثانى من الكاميرون . ويلتقى النهران فى منتصف أراضى نيجيريا فيتحدان وتتفرع عنهما عدة فروع ثم يصب الجميع فى خليج غينيا .

درجات الحرارة :

أما درجات الحرارة فنادرا ما ترتفع فى المنطقة الساحلية عن ٩٠ درجة فهرنهايت أى حوالى (٣٣ درجة مئوية) الا أن نسبة الرطوبة عالية بها ، وكلما انتقلنا الى الشمال كلما كان الطقس أكثر جفافا .

ثروات البلاد ومنتجاتها :

تعتبر نيجيريا أغنى بلد أفريقى من حيث مقدراتها . ففى عام ١٩٦٦م كانت تضخ ١٩ مليون طن من النفط وقد ارتفع ذلك الى أكثر من سبعين مليون طن مؤخرا (اللهم الا أثناء حرب الانفصال فى بيافرا) .



كلية عبد الله بايرو ـ كانو ـ نيجيريا الشمالية

ونيجيريا أكبر بلد منتج لجوز الهند فى العالم ، فيبلغ انتاجها منه حوالى (٧٠٠ر٠٠٠) (سبعمائة ألف طن) سنويا ، وتعتبر الثانية بين دول العالم المنتجة للكاكاو بعد غانا ، وهى أكبر رابع دولة منتجة للصفيح ، وهى مسئولة عن نصف انتاج العالم تقريبا من بذرة النخيل وعن ٧٠ ٪ من زيت النخيل . وهناك (١٢٠ر٠٠٠) ميل مربع من أراضى نيجيريا مكسوة بالغابات وتزرع نيجيريا ٢٤ صنفا من الأخشاب ، وبها مزارع للمطاط فى الاقليم الغربى الأوسط والاقليم الشرقى ، أما الشمال فغنى بالثروة الحيوانية .

السكان وتوزيعهم :

تعتبر نيجيريا أكبر بلد فى أفريقيا من حيث عدد السكان ، فقد بلغ عدد سكان نيجيريا حسب احصاء عام ١٩٦٣ حوالى ٥٥ مليون نسمة ، وبديهى أن هذا الرقم قد تضاعف كثيرا خلال السنوات السبع الماضية ، فيقدر عدد السكان حاليا بأكثر من ستين مليونا . و ٧٥٪ من السكان مسلمون .

أما توزيع السكان فى الاقاليم الاربعة التى يتكون منها اتحاد نيجيريا فهو كما يلى : الاقليم الشمالى : ٣٥ مليون نسمة ٩٩ ٪ منهم مسلمون ، والاقليم الشرقى : ١٣ مليون نسمة أغلبيتهم من النصارى وبه قليل من

المسلمين وبقيــة السكــان فى الاقليمين الغربى الاوسط والغــربى من الوثنيين والنصارى والمسلمين . هـــذا بالاضافة الى منطقة العاصمة الاتحادية لاغوس .

القبـــائل :

وفى نيجيريا يسود النظام القبلى فيها حوالى ٢٥٠ قبيلة لكل منها لغتها الخاصة بها ، الا أن هناك أربعة تجمعات قبلية رئيسية هى الهاوسا والفولانى واليوروبا والايبو ، وتتركز قبائل الهاوسا والفولانى فى الشمال، وتتركز قبائل الأيبو فى الاقليم الشرقى ، أما قبائل اليوروبا فأكثر أفرادها فى الاقليم الغربى .

اللغـــات :

ولغة الهاوسا تعتبر أكثر اللغات انتشارا فى نيجيريا ، فثمانون فى المئة من السكان يفهمون الهاوسا وتكتب بالأبجدية اللاتينية والعربية ، أما اللغة الرسمية للبلاد فهى اللغة الانجليزية .

اهـم المـدن :

يعيش حوالى ١٠ ٪ من السكان فى المدن الرئيسية فى نيجيريا ، ومعظم المدن الكبرى توجد فى بلاد اليوروبا وهى تشتمـل على لاغـوس (أو لاجوس) العاصمة الاتحادية ، ومدينة ايبادان ، عاصــمة الاقليم الغربى ، ولا يضم الاقليم الشرقى سوى عدد ضئيل من المـدن الكبرى اهمها اينوجو عاصمة الاقليم وميناء هاركورت ، وأهم المدن فى الاقليم الشمالى هى كانو ، الورين ، زاريا ، كادونا عاصمة الاقليم .

دخـول الاسلام :

انبثق فجر الاسلام فى نيجيريا فى أواخـــر القرن الأول الهجرى (القرن الثامن الميلادى) عندما فتح المسلمون العرب شمال أفريقيا وجزءا من غربها ، واندفع تيار الاسلام الى نيجيريا من مصر وشمال أفريقيا .

وقد تميز دخول الاسلام الى هذه البلاد بالتسامح ، فقد غزاهـا هذا الدين بقوته الروحية وليس بقوته المادية ، وكانت النفوس ولا زالت تنجذب اليه بفطرتهـا لا بدعايــة الأمـوال أو قـــوة السلاح ، وللتجار المسلمين فضل كبير بعد الله فى ذلك .

ولقد ازدهرت الثقافة العربية مع الدين الاسلامى قرونا عديدة فى نيجيريا قبل أن تتسربالیها الديانة النصرانية والثقافةالاوروبية الحاضرة .

امبراطورية اســلامية :

ولقد قامت فى نيجيريا عدة ممالك اسلامية على مر القرون ، الا أن

أهم هذه الممالك الامبراطورية المسماة بالامبراطورية الفولانية . ففى عام ١٨٠٤ ميلادية قام رجل يدعى عثمان دان فوديو ، وكان عالما مسلما من قبائل الفولانى ودعا الى حركة بعث اسلامى ، ولقد بايعه الناس على الامارة فاستطاع أن يوحد البلاد تحت ادارة قوية وأصبح هو السلطان واتخذ لقب أمير المؤمنين ، وأصبح نوابه أمراء للأقاليم ولا يزال لقب أمير متوارثا الى يومنا هذا ، والجدير بالذكر أن أحمدو بلو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية الأسبق هو من احفاد السلطان عثمان ، وهكذا قامت فى القرن التاسع عشر مملكة اسلامية قوية أدت الى نهضة اسلامية .

التبشير والاستعمار :

لكن الحال لم يدم فالأيام دول ، وهكذا بدأ الضعف يدب فى المسلمين ، وعم الجهل والتخلف ، وبدأ المكتشفون الأوروبيون يصلون الى افريقيا ، وتلاهم المبشرون النصارى والمستعمرون .

وقد بدأ النشاط التبشيرى النصرانى فى نيجيريا مبكرا على يد المبشرين البرتغاليين فى العقد الثامن من القرن الخامس عشر للميلاد ، واتخذ التبشير مدارس كثيرة مرصادا لاقتناص أبناء المسلمين ، ولما استولى الاستعمار البريطانى على البلاد أخذ يعمل على احلال اللغة الانجليزية محل اللغة العربية حتى غدت اللغة الرسمية .

ولقد كادت اللغة العربية تندثر لولا جهود وفق الله اليها بعض الجمعيات الاسلامية التى أنشأت مدارس اللغة العربية لكافة المراحل ، من ذلك مدرسة اللغة العربية فى كانو والمعهد العربى النيجيرى فى ايبادان وجامعة عبد الله بايرو .. وغيرها كثير .. وأهمها كلية عبد الله بايرو التى يجيد طلابها العربية اجادة تامة .

لكن التبشير النصرانى قد بلغ درجة من التغلغل فى نيجيريا بحيث أصبح له فى كل قرية مدرسة أو مستشفى أو مركز تبشيرى خاص به ، وتدفقت عليه الأموال الطائلة من كل فج ، لذلك لم يكن غريبا أن يبلغ عدد النصارى فى الاقليم الشرقى وحده حوالى عشرة ملايين ونيف . ويعمل المبشرون على تنصير المسلمين حتى أن احدى الاحصائيات الاخيرة تقول بأن أحد عشر طالبا مسلما من طلاب المدارس يدخلون كل يوم فى الديانة النصرانية .

مأساة نيجيريا :

فى مطلع الستينات برزت نيجيريا كدولة مستقلة قوية ، عبارة عن اتحاد مؤلف من أربعة أقاليم تسيطر عليه أكثرية من المسلمين ، فرئيس وزراء نيجيريا الشمالية رجل مسلم مجاهد هو أحمدو بلو ، ورئيس وزراء الحكومة الاتحادية مسلم وسياسى محنك هو أبو بكر تفاوا بليوا ، وأخذت البلاد تسير سيرا حثيثا نحو اشاعة الاسلام فى كافة مناطقها ، فقد هدى الله الى الاسلام فى يوم واحد على يد أحمدو بلو حوالى ستين الف شخص ، وأخذت البلاد تتجه لمحاربة النفوذ الاسرائيلى فى بعض أقاليمها ، وأخذ المد النصرانى ينحسر ويتراجع شيئا فشيئا .

ومن هنا جن جنون المبشرين والمستعمرين وخافوا أن يشتد عود العملاق الناشىء فدبروا له ضربة قاصمة فى شهر يناير عام ١٩٦٦ م فحدث عصيان عسكرى قاده مجموعة من الضباط النصارى من قبائل الايبو فقتلوا أحمدو بلو وزوجته وأحرقوا بيته ، كما قتلوا رئيس وزراء الاتحاد ابو بكر تفاوا بليوا ، وهكذا أطاحوا بالحكومة المدنية الديمقراطية، وانشئت حكومة عسكرية بقيادة الجنرال جون أيرونزى ، فسعت الى الغاء نظام الأقاليم، واقامة حكم دكتاتورى تعسفى .

لكن الحال لم يدم لها اذ قام انقلاب آخر فى شهر يوليو ١٩٦٦ قاده بعض الضباط من قبائل الهاوسا فأدى الى مقتل الجنرال ايرونزى ، وانشاء حكومة عسكرية جديدة بقيادة الكولونيل يعقوب جوون ، وهو نصرانى من الشمال .

بيـــافرا :

ولما لم تفلح مؤامرة أعداء الاسلام لسحق الاتحاد وضرب الحركة الاسلامية الناشئة فى نيجيريا ، أعلن الاقليم الشرقى انفصاله عن الاتحاد فى ٣٠ مايو ١٩٦٧ وكون جمهورية بيافــرا ، وهنا هبت اسرائيل والبابا والدول الاستعمارية وعلى رأسها فرنسا فمدت يــد العون المــادى والعسكرى لحكومة بيافــرا الانفصالية ، وقامت حرب أهلية طاحنــة استمرت عدة سنوات انتهت بفشل الانفصال وضم بيافرا نهائيا الى الاتحاد من جديد .

وبعد ، فلئن هزم اعداء الدعوة الاسلامية فى معركتين فى نيجيريا، فليس معنى ذلك أنهم استكانوا وقعدوا عن التآمر ، فلا تزال الأمــوال الطائلة تتدفق لدعم التبشير النصرانى تحت ستار المساعدات الخيرية .

ولا يزال كثير من النصارى يسيطرون على مراكز رئيسية حساسة فى الحكومة الاتحادية ، ولا يزال المسلمون يتجمعون على أساس واه هو التجمع القبلى لا العقائدى . ومن الطريف أن يعقوب جوون النصرانى قام بانقلابه ضد الجنرال ايرونزى النصرانى أيضا بدافع من الثأر للقتلى من أبناء قبيلته رغم كونهم مسلمين .

وقبل أن نختم يرد تساؤل مؤلم : فالى متى تتحكم أقليــة نصرانية بأكثرية مسلمة فى كثير من البلاد المسلمة فى أفريقيا .

الم يأن للمسلمين أن يستيقظوا ويتشبثوا بدعوتهم الربانية ويتركوا دعاوى الجاهلية ؟ فصدق الله العظيم اذ يقول :

(لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون)

المراجــع :

١ ــ كتاب أفريقيا ــ دراسة لمقومات القارة اصدار مؤتمر العالم الاسلامى ــ باكستان
تاليف الدكتور محمد رياض
والدكتورة كوثر عبد الرسول
٢ ــ كتاب تقــويم العالم الاسلامى باللغــة الإنجليزية
٣ ــ الانسيكلوبيديا بريتانيكــا (الموسوعــة البريطانية ــ المجلد ١٦ .
٤ ــ موجز تاريخ نيجيريا للأستاذ آدم عبد الله الإلورى .

وَمَا أَحلى الغدا

فِي حاضِرِى أَبْنِي الْغَـدَا   وَتَخِـذْتُهُ لِي مَوْعِـدَا
وَذَكرتُ أيامِـى وأَحْـ   ـلاَمِي الَّتِي ذَهَبَتْ سُدَى
ونفضتُ آلامى تُـؤَرِّ   قنِى ، وَضِقتُ بِهَا يدَا
وملِلْتُهـا ، ومللتُ كُلَّ   حَدِيثِهَا لِي وَالصـدَى
وغدِى وليس الأَمْسُ كَا   ن ـ كَمَا أَرَى ـ لِي مَوْلِـدَا
وَاهًـا لِأَمسِ مُشَـرَّدَا   وَاهًـا لِأَمْسِ مُبَـدَّدَا
مَا أمس مِنْ عُمْر الزمَـا   ن ، ولم يَدَعْ عِنـدِى يَدَا
لِمَ لَمْ أَعِشْ فِي عَصْر أَجْـ   ـدَادِي الْقُدَامَى سَرْمَدَا ؟
لِمَ لَمْ أَعِشْ فِي دَارِ آ   بَـائِى ، لِأُمْطِـرَهَا نَدَى ؟
جئْتُ الزَّمَـانَ مولِّيـا   هـرِمًا ، وَقَدْ بَلَغَ الْمَدَى
جئْتُ الْحَيَـاةَ وَوَجْهُهَا   أَمْسِي كَئِيبًا أَرْبَـدَا
وكأمسِ يَـوْمِي عِشْتُهُ   عِشْتُ الزمَـانَ الْأَنْكَدَا
فَاليَوْمُ كَالْأَمْسِ الْغَرِيـ   ـبِ ، وَعِشْتُ فِيه مُفرَدَا
أَنَا عِشْتُ الاثْنَيْنِ الْحَزِيـ   ـنَ ، الساهم ، المُتَمَرِّدَا
لَوْلَا الْغَـدُ الْمَرْمُوقُ سر   تُ كَمَنْ يَسِيرُ الى الرَّدَى

للأستاذ : محمد عبد المنعم خفاجي

لَوْلَاهُ عِشْتُ عَلَى الْأَسَى   أَسِفَ الْفُؤَادِ مُسَهَّدَا
جُمِعَ الزمانُ ، فَكَانَ ، كَا   نَ غَدًا ، وَمَا أَحْلَى غَدَا
لِلدِّين ، لِلْإِسْلَامِ ، سَوْ   فَ يَجِيءُ ، يَقْبل ، لِلْهُدَى
لِلْمَجْدِ ، لِلْحِلْمِ الْكَبِيرِ   وَمَا أجلَّ وَأَخْمَدَا
لِلنَّصْرِ ، لِلْآمَالِ أحْـ   ـيَا فِيه ، أَحْيَيَا مُسْعَدَا
لِحَيَاتِنَا الْمُثْلَى يجيءُ   غَدٌ ، وَيَخطر سُودَدَا
وَتكَادُ تَنْدَى أرْضُنَا   مِنْه ، وَتُنْبِتُ عَسْجَدَا
وَتكَادُ تُورِقُ مِنْهُ أزْ   هَارُ الرَّبِيعِ زَبَرْجَدَا
أعلامُنَا تَخِذَتْ بِهِ   فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَقْعَدَا
يَعْنُو له وَجْهُ الْجَلَا   لِ ، وَهَامُ دَهْرِي ، سُجَّدَا
وَنصُوغُ فِيه لِدِينِنَا   عِقْدَ الْفَخَارِ مُنَضَّدَا
وَيعُودُ فيه الْمَجْدُ ، بال   ـهمم الْكِبَار مُخَلَّدَا
كَرُمَ الْغَدُ الْمَأْمُول نَحْـ   ـيَاهُ وَمَا أَحْلَى الْغَدَا
الْمُسلِمُون بِهِ يَطُو   لون السُّهَا ، والْفَرْقَدَا
وَبِهِ يَنَالُونَ الْفَخَا   رَ ، طَرِيفَه ، وَالْمُتْلَدَا

فِيـه وَفِي أَبْـرادِه نسمُو ونكرَمُ محتِـدَا
نَخْتَالُ فِيـه وَفِي ضُحَا ه عَلَى الخطُوبِ ، عَلَى الْعِدَا
لاَ نَحْذَرُ الْمَوتَ الرهِيـ ـبَ ، ولَا نَخَافُ بِهِ الرَّدَى
وَنَمُدُّ فِيهِ ، نَمُدُّ أيـ ـدِينَا ، تُصَافِحُ (أحْمَدَا)
وَنقُولُ : عَادَ لَنَا الزمَا ن ، ومَا أَعَزَّ وأمْجَدَا

* * *

سَيَجِيءُ ، للبَعْثِ الْعَظِيـ ـمِ غَدٌ ، ويوقِظُ رُقَّدَا
يَمْشِي سَعِيدًا بيْنَنَا وَيَطِيبُ فِينَا مَوْرِدَا
وَيروح ، يغدو فِي رَوا بِينَا جَلِيلاً ، سَيِّدَا
وَيَجِيءُ للأَمَلِ النَّبِيـ ـلِ ، وللرَجاء مُؤكِّدَا
وَيَجِيءُ للزَّحْفِ الكَبِيـ ـر ، وللبنَاء مُوَطِّدَا
وَيَجِيءُ للعِزِّ التَّلِيـ ـدِ ، وللسلام مُؤَيِّدَا
لِفَضَائِل الاسلام ، لل ـخُلق الزَّكِيِّ مُمَجِّدَا
وَثَنِيَّة العصر الذي نحيَاه يَصْرَعُهَا الرَّدَى
ولكل بهتَان ومَسْـ ـواةٍ يَجِيءُ مُشَرِّدَا
يَبْنِي لهُ القرآن مَجـ ـدًا بالقَدِيم مُشَيَّدَا
ولَهُ ، لَه ، عَزَمَاتُنَا تَبْنِي وتَرْفَعُ أعْمُدَا
هَذَا سَنَاه وذَاكَ مش ـرقه يَجِيء مُجَدِّدَا
هَذِي رُؤَاه وَذَاكَ مَو كِبُه يَسِيرُ ، لَقَدْ بَدَا
كَرُم الْغَد المنْشُود نحـ ـيَاه ومَا أَحْلَى الغَدَا
ونمُدُّ فِيه ، نمدُّ أيـ ـدِينَا ، تُصَافِح (أَحْمَدَا)
إن قيل : من لمآثر الـ إسلام ؟ قَال : (محمدًا)

تأملات في يوم الذكرى

للأستاذ محمد المجذوب

روى مسلم فى صحيحه من حديث طويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب » (١) .

فى هذا التعبير النبوى صورة رهيبة ودقيقة لحالة العالم أيام مبعثه ، اختصرت التاريخ البشرى فى كلمات يسيرة ، ولو شئنا تتبع ظلالها فى واقع ذلك العالم لرأيناه أشبه بتفسير مفصل لهذا الوصف البليغ المكثف ..

فالتصريح النبوى يستوعب أهل الارض جميعهم على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ومواطنهم فيعرضهم فى وضع لا يستحق من خالقهم الا المقت ، ولا يستثنى من هذا المقت الا بقايا من أهل الكتاب .. وطبيعى ان هذه البقايا لا تشمل سوى النزر اليسير من مجموع الأمم الكتابية ، وهم دون ريب طائفة من حملة العلم الالهى ، الذين احتفظوا بأمانة الوحى نقية كما

أراد الله ، وشاء الله حمايتهم واستبقاءهم ليكونوا حجته على عبـــاده . وشهداءه على رسالته الخاتمة ..

ونظرة الى مخطط الحياة البشرية آنذاك من أقصى الصين الى تخوم الاطلسى تبرز لنا هذه الحقيقة فى أجلى بيان ، اذ نرى (العالم ـــ على حد تعبير العلامة الندوى ـــ أشبه ببناء ضربه زلـــزال فقلب أوضاعـــه ... فالشعوب قطعان ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج منطلق ، والحكام كسيف فى يد سكران ..) واذا كان هـــذا الوصف يلخص الواقع المنظور لأرقى أمم هذه الكرة ، وهى أمة الفرس وأمة الروم ، فغيرهما من الامم ، التى لم تبلغ مبلغهما فى الحضارة والرقى العلمى ، أشد تمثيـــلا لهـــذا الانهيار . وقد ضاعت فى هذه الظلمات رسالة النبيين ، فانطلقت الغرائز البهيمية تتحكم فى مصير الجنس البشرى ، اذ أصبحت المنافع العابرة هى مقياس المجد والعظمة ، والتفوق ، سواء فى ذلك الافراد أو الجماعات . وهكذا اشترك الناس كلهم فى هذا الصراع الذى لا يعترف بحق لغير القوة، قوة المال ، وقوة السلاح وقوة العصبية ، وما الى ذلك من مظاهر الطغيان الذى أفلت من كل زمام ونظام ورباط أخلاقى . فالدولة الرومية أداة لترفيه الطبقة الحاكمة ، على حساب شقاء الجماهير ، ولم يكن حكم اليونان قبلها بأقل قسوة وتحيزا ، وهو الذى أغرق ديار الشام بالنزاع والشقاق والدماء طوال سبعة قرون ... ولم تقصر الدولة الكسروية فى هذا المضمار ، حيث استطال الطغيان على كل شىء ، وفرض على عامل الارض ان يكـــون شيئا من متاعها ينقل معها من مالك الى آخر ، دون أن يكون له أى حق فى تغيير سيده أو تبديل حرفته .. واذا صرفنا النظر تلقاء الهند واجهنا المجتمـــع العجيب الذى يعتبر التقسيم الطبقى أصل وجوده ، فالنعيم المتـــرف حظ البراهمة وحلفائهم من الطبقات العليا ، والشقاء والذل نصيب المنبوذين الذين خلقوا ـــ بزعم الوثنية الهندية ـــ من قدم بوذا ، فليس لهم ان يرفعوا أعينهم عن التراب . ومع أن سكان الجزيرة العربية أيامئذ كانـــوا أقرب الخلق الى سلامة الفطرة ، لم تعد حياتهم ان تكون جحيما من الرعب لا نهاية له ، لان قسوة البادية ، وضنك العيش ، وضغط النظام القبلى ، كل أولئك كان يزج بهم فى حروب مستأصلة يقتل فيها الاخ أخاه والقريب قريبه ، فما تكاد دماء الضحايا تجف ولا حملات الثأر تفتر ... وقد أناخ الشقـــاء بكلكله على الجميع فلا منفذ ولا أمل ، ولا شعاع من هداية ، الا لمعا هزيلة مثل أضواء الحباحب يرسلها بعض الشعراء أو الخطباء أو الحنفاء ، فى حكم بتراء لا تعدو كونها تعبيرا عن حاجة الفطرة الى نور لا تعلم من أين ينبثق ! .. وقد زاد البلاء عمقا انسياق رجال الدين فى هاتيك التيارات الجارفة ، فبدلا من ان يتجردوا للنهوض باعباء الاصلاح تذكيرا وارشادا ، وتحذيرا واجتهادا ، اذا هم ـــ أو معظمهم ـــ يقتلون طاقاتهم فى تأييـــد الطواغيت من جانب وخوض معارك الجدل العقيم من جانب آخر .. وذلك ما سبب العديد من المذابح الطائفية ، ولا سيما فى مصر والشام ، حيث طورد دعاة التوحيد ، وفرضت الدولة فلسفتها الوثنية على رعيتها المسيحية بقوة الارهاب وفنون النكال .. وهكذا شمل الضياع كل مكان ، اذ بات

الناس مقطوعى الصلة بهداية السماء ، فكل خطوة ينقلونها تزيدهم بعدا عن ساحل النجاة وغوصا فى النائبات . وقد أثبت العقل افلاسه فى هذه الظلمات الطاغية ، فلا سبيل للخلاص عن طريقه ، بل لا أمل بالخلاص الا عن طريق معجزة الهية توقظ ضمير البشرية النائم ، وتضىء للعقل الحائر طريق الحق ليسلكه على بصيرة . ومهما أوتى الانسان من بلاغة الوصف ، فهو سيظل عاجزا عن الاحاطة بما يصوره القرآن العظيم من هذا الواقع الأليم ، وذلك فى قوله الكريم : (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا . . . » فالفساد قد شمل الكرة كلها لم يستثن منها برا ولا بحرا ، وهو نتيجة زيغ الانسان عن سبيل الهدى الحق ، الذى أخذ الله عليه العهد باتباعه ، منذ أخرج طلائعه الى هذه الدنيا ، مزودة بوصيته تعالى ، التى تقول للجنس البشرى ممثلا بأصوله الأولى « فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا . . » . . تلك الوصية الرحيمة التى تؤكد وقائع التاريخ كل حين أنها العاصمة من كل قاصمة . فالحياة التى كتب للانسان أن يعيشها على هذه الارض قد شاء خالقها ان تبلغ من التعقيد الحكيم حدا لا تستكشفه العقول كلها ولو كان بعضها لبعض ظهيرا ، فهى كالمفازة المهلكة ، لا بد فيها من الدليل الخريت ، والا ضاع الركب ، وفنى الزاد ، وهلك الرائد . . . ولا دليل يصلح فى حياة الانسان الا رعاية الله الذى لم يقطع عنه مدده طوال العصور . . فلم يخل أمة من نذير يوحى اليه بما يكفل لها الهدى الذى يدفع عنها كل ضلال وشقاء . . . والويل للمعرض عن ذلك النور اذ لا مصير له سوى الضنك ، والضياع ، وما يعانيه البشر الزائغون عنه من العمى المفسد للحياة المدمر للطمأنينة والأمن فى الدنيا والآخرة .

وعلى ضوء هذه الحقائق المشهودة نفقه دلائل قول الله للذين خاطبهم بوحيه على لسان رسوله « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » . . فالعداوة أساس علاقاتهم فيما بينهم ، وقد وضعتهم هذه العداوة على شفا النار . . فلما اتبعوا ما أنزل الله على نبيه أبدلهم بالعداوة أخوة ، وبالجحيم الذى كانوا متهافتين عليه رحمة وسعادة ، أظلتا دنياهم وآخرتهم على السواء . ولو هم أعرضوا عن دعوة الله لاستمروا فى صراعهم الشقى حتى يخوضوا به نار جهنم ، لا ينقذهم من ذلك فكر ولا ذكر ، لان المفازة مهلكة ، ولا مندوحة فيها عن الدليل ، ولا دليل يصلح لها الا هداية خالقها المحيط علما بكل خصائصها ، الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .

— ٢ —

ومرت البشرية فى مراحل متآلفة مع تدرجها الفكرى . . . وكانت هداية الله مساوقة لذلك التدرج ، ففى مطلع وجودها على الارض تلقت أشارات السماء عن طريق أبيها آدم عليه السلام ملائمة لاستعدادها ، لا تكلفها فوق ما تطيق ، ثم تكاثرت وتباعدت بها المنازل ، فكانت قبائل وعشائر

ثم شعوبا وأمما ، وظل الرباط القصير هو الذى يشد كلا من أجزائها بعضا الى بعض ، وكان الوحى الالهى تبعا لذلك يخص كل فريق من الاسرة البشرية الكبيرة بمعلم يهديها سواء السبيل . ولكن الله جلت حكمته لم يشأ أن يكون هذا الوضع هو الخط النهائى لمستقبل الانسانية ، بل كان التدبير الأعلى قد قضى بان يمهد هؤلاء المنذرون لعودة القطعان المتفرقة الى الحظيرة الجامعة وهكذا أخذ العهد على كل نبى ان يذكر بأخيه ، وأخذ الميثاق على كلهم ان يبشروا أقوامهم بخاتمهم ، ويأخذوا بدورهم العهد عليهم بأن ينقلوا ذلك البلاغ الى الأجيال المتوالية ، لكيلا يكون للمخالفين عن سبيل الله حجة أو عذر فى انفصالهم عن الركب الذى ستظله راية خاتم النبيين ..

ثم هيأ الله للرسالة الخاتمة سبيل التجميع البشرى بما هدى اليه الانسان من الكشوف ، التى قربت البعيد ، وذللت العسير ، ولاقحت بين الافكار ومازجت بين المشاعر ، فاستعدت البشرية بذلك لفهم الدعوة الجامعة .. حتى اذا اقترب موعد الفجر الصادق انطلقت النذر والمبشرات تهز قلوب البقية الثابتة على عهد الله من أهل الكتاب ، فتجدد التذكير بالبشير النذير ، وتهىء الأذهان لاستقبال المنقذ العالمى ، ولم يكتف كثير منهم بالكلام ، فغادر وطنه ونعيم بيته ، ليضرب فى أكناف الارض يتوكف ظهور ذلك النور الموعود ..

ومن هنا كانت النذر تتوالى على السنة القسس والحنفاء وبقية الصالحين من أهل الكتاب وحملة العلم المستضىء بمشكاة الوحى ، تلفت الافكار الى المبعوث الذى بشر به موسى وأشعياء وداود وعيسى ، والذى تحدثت عنه أسفار الهند وفارس وتتبع مطالع فجره العديد من رواد ذلك العهد ، الذين تحملوا أقسى العنت نشدانا لذلك الخير .. فكانوا بذلك كله ترجمة حية لحاجة البشرية الى المنقذ الذى اصطفاه الله رحمة للعالمين ، وضياء للمدلجين ، وتصحيحا للادراك الانسانى حتى تتم له الرؤية الواضحة لطريقه الأمين ..

فتطلعا لميلاد هذا الفجر السعيد رابط بحيرا على سيف البادية ، يرصد مسيرة القوافل الزاحفة من أرض المبعث ، يتنسم أخباره ، ويتطلب آثاره .. (٢) ..

وشوقا الى لقاء الحبيب غامر ابن دهقان جى — سلمان — بحياته ففارق الأرائك ، وخاض المهالك ، وأسلم عنقه راضيا للرق ، رجاء الوصول الى مطلع ذلك الرسول .. (٣)

وتلهفا الى أنباء ذلك النبى المكتوب فى التوراة والانجيل ، زحف الحبر الاسرائيلى الصالح ابن الهيبان ، يجر شيخوخته الفانية ، الى قريظة والنضير وقينقاع ، يثير تطلعاتهم الى السعادة التى أوشكت ان تظلل يثرب باجنحتها الملائكية ، لئلا يسبقهم الى نصرة صاحبها المبعوث بالرحمة والحرية سابق (٤) ..

وقبل ذلك سجلت أسفار الهند أنباء تلك الرسالة ، وحددت معالمها ومواطنها ، فقرأ الهنود فى كتابهم المقدس (بهو شيا بران) قوله فى نعت

تلك الرحمة المهداة « ان رجلا جاء فى المنام الى الملك بهوج — ملك السند — فقال له : عليك أن تلحق بدين رجل ظهر فى الصحراء ، وهو مختون ، له كلام يسمع (٥) اصطفاه برهما ، يأكل الكيبات من اللحوم ، تظهر على يديه معجزات كثيرة ، وهو محفوظ من أعدائه ، اسمه محامد يعنى كثير الحمد » وقد طالما طالعهم هذا الاسم المكرم أحمد وأحامد ومحامد فى كتابيهم الآخرين (اثارويد) و (سام ويد) (٦) حتى بات مألوفا عند أولى الحكمة من فضلائهم على مر الازمان ..

وعلى هذا القائد الرحيم ركز المسيح (عليه السلام) انظار حوارييه بهذه الصفات التى لا تدع مجالا لتطلبها فى غيره من المصلحين والمرسلين « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم (بار قليط) آخر ليثبت معكم الى الأبد .. وهو يعلمكم كل شىء ... وهو يذكركم كل ما قلته لكم .. يشهد لاجلى ، يوبخ العالم لانهم لم يؤمنوا بى .. وان لى كلاما كثيرا وانكم لستم تطيقون حمله .. واذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق .. لانه ليس يتكلم من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما سيأتى » (٧) .

فالمسيح هنا يبشر أنصاره برسول مثله ، يمتاز على جميع الرسل بان شريعته ثابتة الى الأبد لانه خاتمهم ، وانها تستوعب كل الحقائق ، وموضحة لحقيقة المسيح التى طمسها غلو النصارى وبهتان اليهود .. وفى ذلك توبيخ لكلهم أى توبيخ .. وهو روح الحق ، لانه صفوة رسل الله ، والجامع بين أتباعهم جميعا ، وهو يبلغ الحق الذى يوحى اليه مما يصحح الماضى ويوضح طريق المستقبل ..

وقبل المسيح كانت بشرى داود شاهدا لا يدفع عند كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، اذ يثير اهتمام قراء مزاميره بمثل هذه المشوقات الملهبات « غنوا لله ... أعدوا طريقا للراكب فى القفار باسمه .. أبو اليتامى ، وقاضى الارامل ... يقضى لمساكين الشعب ... يخلص بنى البائسين ويسحق الظالم ... ينجى الفقير المستغيث والمسكين ، ويخلص أنفس الفقراء من الظلم والخطف » (٨) ..

ومن حق الخليقة كلها أن تفرح وتنشد ترانيم الشكر لله على ارساله هذا الرءوف الرحيم ، الذى سيرد باسمه الى قلوبهم الهالعة ما فقدته من روح الأمن والحرية والعدالة .. وهيهات أن يجد الباحث فى تاريخ العالم انسانا يمكن ان تنطبق عليه كل هذه الصفات غير محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه ، مكرم اليتامى ومنصف المساكين ، ومنقذ البائسين وقاهر الجبارين ، ومحطم الظالمين والمستعبدين ... ومحقق الخير والعدالة للفقراء والمحرومين .

والى هذه الثمرات المباركات يشير أشعياء أيضا اذ يقول فى وصف أثر بعثته صلى الله عليه وسلم فى عالم المظلومين والمعذبين « تفرح البرية ، والارض اليابسة ، ويبتهج القفر ويزهر النرجس ... شددوا الأيدى المسترخية ، والركب المرتعشة ثبتوها . قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا . هو ذا الهكم . الانتقام يأتى . جزاء الله . هو يأتى يخلصكم » .

ثم ماذا ؟ . . .

(حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم . . يقفز الأعرج كالابـل ، ويترنم لسان الأخرس ، لانه قد انفجرت فى البرية مياه وأنهـار فـى القفر . .) . .

انه انقلاب يتناول كل شيء فى تلـك البوادى يهز سكانهـا فيطلق طاقاتهم ، ويفجر مواهبهم ، حتى يصبح رعاة الابل والغنم أهـلا لسياسة الأمم . . .

ثم ماذا . .

« فى مسكن الذئاب ، فى مربضها دار للقصب والبردى . . (٩) » .

أجل . . فى تلك الصحراء التى كانت حتى قبيل البعثـة مرتعـا لذئاب البشر ، التى لم تألف غير الفتك والبطش والخطف ، حتى لتغير على أخيها ، اذا ما لم تجد الا أخاها ، هناك تنهض منائر العـلم سامقـة ترسل أشعتها الى أنحاء الدنيا ، بأقلام الأمة التى لم تنطلق مـن ربقـة الأمية الا بالاسلام . .

ثم ماذا ؟ . .

« وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة ، لا يعبر فيها نجس ، بل هى لهم . . . لا يكون هناك أسد . وحش مفترس لا يصعـد اليها . . »

انها حدود الحرمين التى حرمت على الشرك وأهله ، فهى للمؤمنين خاصة ، وكل من عداهم فهو نجس لأنه حامل لقذارة الشرك . وهنـاك الأمن الذى خصت به هذه الارض دون بقاع الدنيا ، فلا خوف ولا قلق ، بل من دخلها كان آمنا !! . .

ثم ماذا ؟ ما شأن هذه الطريق المقدسة ؟

« يسلك المفديون فيها . ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون ــ فلسطين ــ بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم . . ابتهاج وفرح يدركانهم ، ويهرب الحزن والتنهد . . » (١٠) . .

ومن المفديون هؤلاء ؟ . . انهم الحجاج وفود الرحمن القادمـون من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات . . وأى وصف أليق بهم من أنهم المفديون ؟ . . أليس لكل هفوة يأتونهـا فدية يقدمونها طلبا لمرضاة الله . . ذبائح وصدقات وضراعات ! . . ومن ظفـر بكل هذا الخير كان حقيقا بأن يعود الى أهله بترنم وفرح . . ترنم السعيد بأداء المناسك، وفرح الواثق برضوان الله ، الذى يرجو أن يكون ممن شملهم التجلى الاعلى يوم عرفة ، فرجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم ! . . وأشعياء عليه السلام لم يخص صهيون بالذكر لمجرد الحصر ، ولكن لينذر قومه بسلطان الرسالة الخاتمة التى ستحول جميع المؤمنين الى البيت الحرام . .

— ٣ —

ذلك الضياع الذى عانته البشرية حتى البعثة المحمدية ، والـذى يمثله الحديث الصحيح الذى صدرنا به هذا البحث وتؤكده النبـوات السابقة ، قد أعطى الدليل القاطع على أن طريق الانسـان الى الأمـن والاستقرار لن يتوفر الا فى ظل القيادات النبوية . فلا الفلسفات اليونانية ،

ولا الرياضيات الهندية ، ولا الحكمة العربية والفارسية ، كانت قادرة على ان تخفف من هول المأساة ، أو توقف التدهور العام ، اذا لم نقل انها زادت الواقع الشقى عمقا وتعقيدا . ذلك لأن العقل البشرى ليس فى طوقه ان يتحرر من عوامل البيئة وقوانين الوراثة الاجتماعية ، وبسبب من ذلك كانت تجاربه فى ميدان الاصلاح البشرى ولا تزال مجموعة من التناقضات التى تمثل تضارب المصالح . وانما تستقيم هذه الطاقة المفكرة فى طريقها الصحيح حين تسلك الى غاياتها الجادة التى تضيئها مشكاة الوحى ، الذى لا تؤثر فيه أهواء البشر ، ولا تفوته شاردة ولا واردة من اسرارهم ومؤثراتهم فاذا أصدر حكما أو قرر أمرا أو نهيا ، كان ذلك لمصلحة الانسان فردا وجماعة . فكل زيغ عن سبيله انما هو دفعة نحو الهاوية ، التى لا مخلص له منها الا بالتزام سبيله والاستعانة بدليله ..

ومن كمال حجة الله على خلقه تزويد مرسليه بصفات الكمال الذى به يحققون معانى الرسالة المنزلة ، فيكونون بذلك الأسوة الصالحة للاقتداء والانموذج المنظور للربانية فى الارض . واذ كان محمد صلى الله عليه وسلم هو امام هؤلاء المصطفين الأخيار ، الذى به وعلى يديه وبرسالته الخاتمة قدر الله ولادة الوحدة العالمية ، اذ بعثه كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ورحمة مهداة للعالمين ، لذلك ميزه بالكمالات العليا التى تؤهله لهذه الامامة ، فكان (الانسان) الأعلى الذى يحمل بتصرفاته الممتازة دلائل نبوته . وحسبه من ذلك شهادة ربه فى قوله الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » ثم أثره العجيب فى تأليف تلك الطبائع المتنافرة ، التى تولى تربيتها وتهذيبها ، فجعل من أصحابها خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وتنسخ بضياء المعرفة ظلمات الجاهلية العالمية ، فأعطيت بذلك امامة الدنيا فى العلم والعدل والاحسان ، ورد الخلق الى ما أضاعوا من روابط الانسانية ، حتى لم تبق زاوية من العالم المعروف لم تستنر بشىء من أشعتهم ، بعد ان كانوا من الفرقة بحيث لا يستحقون اسم الشعب ــ كما أشار اليهم موسى (١١) ــ ومن الجاهلية المدمرة بحيث لا يرتفعون عن مستوى الذئاب الضارية ــ كما وصفهم أشعياء ــ ولا جرم أن مجرد نجاحه صلى الله عليه وسلم فى هذا الوسط الفوضوى كاف للدلالة على انه فى القمة من الحكمة ، وفى الذروة من الكمال النفسى والعقلى ، اذ استطاع بهذه المواهب اللدنية أن يملك قلوب أصحابه حتى ليؤثرونه على أنفسهم وأبنائهم ، فيتسابقون الى الموت ذيادا عن دعوته وحرصا على سلامته ، ويمتد حبه الى اتباعه على مدى الزمن ، حتى يود أحدهم لو فداه بأهله وماله (٢) وهو نوع من الحب لا تعرفه البشرية لغير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه صادر من منطق الحقيقة التى عليها قام تاريخه كله ، فلا دعاية ولا طنطنة ، ولا أضاليل اعلامية تجعل من الحبة قبة ، ومن الأقزام عمالقة !! ..

ــ ٤ ــ

واليوم ، وقد تهيأ العالم الاسلامى لاستقبال ذكرى ميلاد ذلك الحبيب الاعظم ، لا بد للمفكر المؤمن من التأمل فى واقع هذه الامة وما صارت

اليه من جاهلية جديدة انقلبت فيها الاوضاع ، فضاعت فى غمارهـا معالم الشخصية الاسلامية التى أنشأتها تربيته المثلى لتكون الانموذج الـذى لا مندوحة للامة كلها وفى تاريخها كله من اقتفاء أثره ، لتستحق ما استحقته من العزة والكرامة والعناية الالهية .

انه ينظر الى المسلمين فيراهم قد عادوا الى أسوأ ما كان عليـه الجاهليون من التفكك والتنابز والتخاذل ، الا من رحم الله .. وقد انسلخ معظمهم من طابعه الأصيل ، فهو يستبدل به راضيا مزقا يستعيرها من هنا وهناك ، ليؤلف منها ما يظنه شيئا مذكورا ، وليس هو الا وهما وزورا .. حتى لكأنه صورة مجسمة لأولئك (الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

وانه لينظر الى العالم البشرى من حوله فيراه نسخة من ذلـك الماضى الرهيب الذى سبق فجر الاسلام . بغى فتاك يستذل به الاقوياء أعنـاق الضعفاء . وانحدار بالانسان الى أهول ما سجله التاريخ من مهاوى القلق والشقاء ، حتى ليقتل الاخ أخاه ، وتسحق الغوغائية العمياء أحق الخلق بمودتها ورحمتها !! ..

ويتساءل عن آثار الرسالة المنقذة فى هذا الخضم الطاغى ، فلا يكاد يسمع جوابا ، لأن اضطراب المقاييس يحول دون وضوح الرؤية . فهناك طائفة من أهل الحق لم تزلزلها الأحداث ، تهيب بالناس ليسلكوا طريق الرب ، ولكن آلافا من وسائل التضليل تحول بين صوتها وآذانهم . ثم الى جانب هذه الطائفة المجاهدة طوائف وطوائف يزعمون انهم دون غيرهم حملـة الدعوة الهادية ، مع أن كل ما يملكون من فكرة عن الاسلام لا يعدو مجموعة من الاوهام ، فكأنهم لم يقرءوا كتاب الله ، ولم يسمعوا قط بسنة رسوله ، فهم من أجل ذلك لا يستطيعون أن يتصوروا رسول الله صلى الله عليـه وسلم بشرا من الناس ، ولا يكادون يصدقون انه مبعوث بالشريعة التى يجب على المؤمنين بها أن يجاهدوا بأنفسهم وأموالهم ليقوموا بها عـوج الانسانية ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ! ..

وهكذا يرسل بصره فى اكناف الارض فلا يلمح الا ظلمات بعضهـا فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ، فيتردد بين يأس يقطع صلته بكل أمل وأمل يرفع قلبه فوق كل يأس . ثم لا يلبث أن يغلب ايمانه تردده ، فيزداد ثقة بدين الله الذى لا سبيل سواه الى الخلاص ، وقد امتلأ جنانه يقينا بان البشرية لم تكن قط أحوج الى قيادة محمد ورسالته منها فى هـذه المرحلة الكالحة من تاريخ الانسان .

انه يتذكر — فى هذا الموقف المتأمل — كلمة رسول الله وهـو يقدمها الى جبابرة قريش ، الذين أقبلوا يفاوضون عمه وهو على فراش الموت ، ليضع حدا بينه وبينهم ، فيقول « نعم .. كلمة واحدة تعطونيها تملكـون بها العرب وتدين لكم بها العجم .. تقولون : لا اله الا الله وتخلعـون ما تعبدون من دونه » (١٢) .. وعلى الرغم من رفضهم يومئذ لتلك الكلمة ، سرعان ما جاءت الاحداث تترى بتوكيدها ، اذ لم تنقض سوى سنوات

قصيرة حتى حقق الله وعد نبيه ، فقال العرب هذه الكلمة ، مخلصين دينهم لله ، ثم انطلقوا يحملونها الى أمم الدنيا ، فاذا الارض مشرقة بنور ربهـا ، واذا الجميع أخوة فى ظل لا اله الا الله ، وبذلك ملك دعاة هذه القضيـة الالهية قلوب العرب بانقاذ الله اياهم من فوضى الفتك والبغى ، اذ كانوا اعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخوانا ، ودانت لهم أمم العجم اعترافا بفضلهم فى هدايتهم الى طريق ربهم فهم أحب اليهم من الصق الناس بهم ..

أجل .. انه ليتذكر هذا كله ، فلا يتمالك ان يهتف بالطائفة الظاهرة على الحق : أيها المؤمنون .. ان الزمان قد استدار كهيئته يوم بعث اللـه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فالظلمات المتكاثفة فى حياة البشرية انما هى تعبير عن حاجتها الماسة الى كلمة التوحيد .. وتلك هى سنة الله فى بعثة الرسل وانبثاق المصلحين ، لا يظهرون الا عندما تنطمس السبل فى أعين المدلجين ، فيكون وجودهم آنذاك كاقبال الصالحين من الاطباء على البلد الذى اكتسحته الاوباء ..

أيها الهداة الثابتون على الحق ، الحافظون لأمانة الله .. تذكروا انكم الطوف الأخير فى خضم المهالك التى تحيط بالكرة الارضية .. وانكم شهداء الله على خلقه ، والمسئولون الوحيدون عن عملية الانقاذ التى تتطلع اليها أعين المكروبين .

وأخيرا لا تنسوا ان الله وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحـات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ... فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

---

(١) من حديث طويل رواه مسلم ج ١٧ ص ١٩٧ ط المطبعة المصرية ١٩٢٤ .

(٢) سيرة ابن هشام طبعة الحلبى ١٣٧٥ ج ١ ص ١٨٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤

(٣) نفس المصدر .

(٤) يشير بذلك الى تأثير كلامه فى نفوس المؤمنين واسراعهم الى طاعته صلى اللـه عليه وسلم .

(٥) عن مجلة كانتى الصادرة من دلهى عدد يوليو ١٩٦٩ بقلم ويد بركاش .

(٦) انجيل يوحنا .

(٧) مزامير ٦٨ — ٧٢ .

(٨) يريد بالقصب الاقلام ، والبردى ما يكتب عليه ..

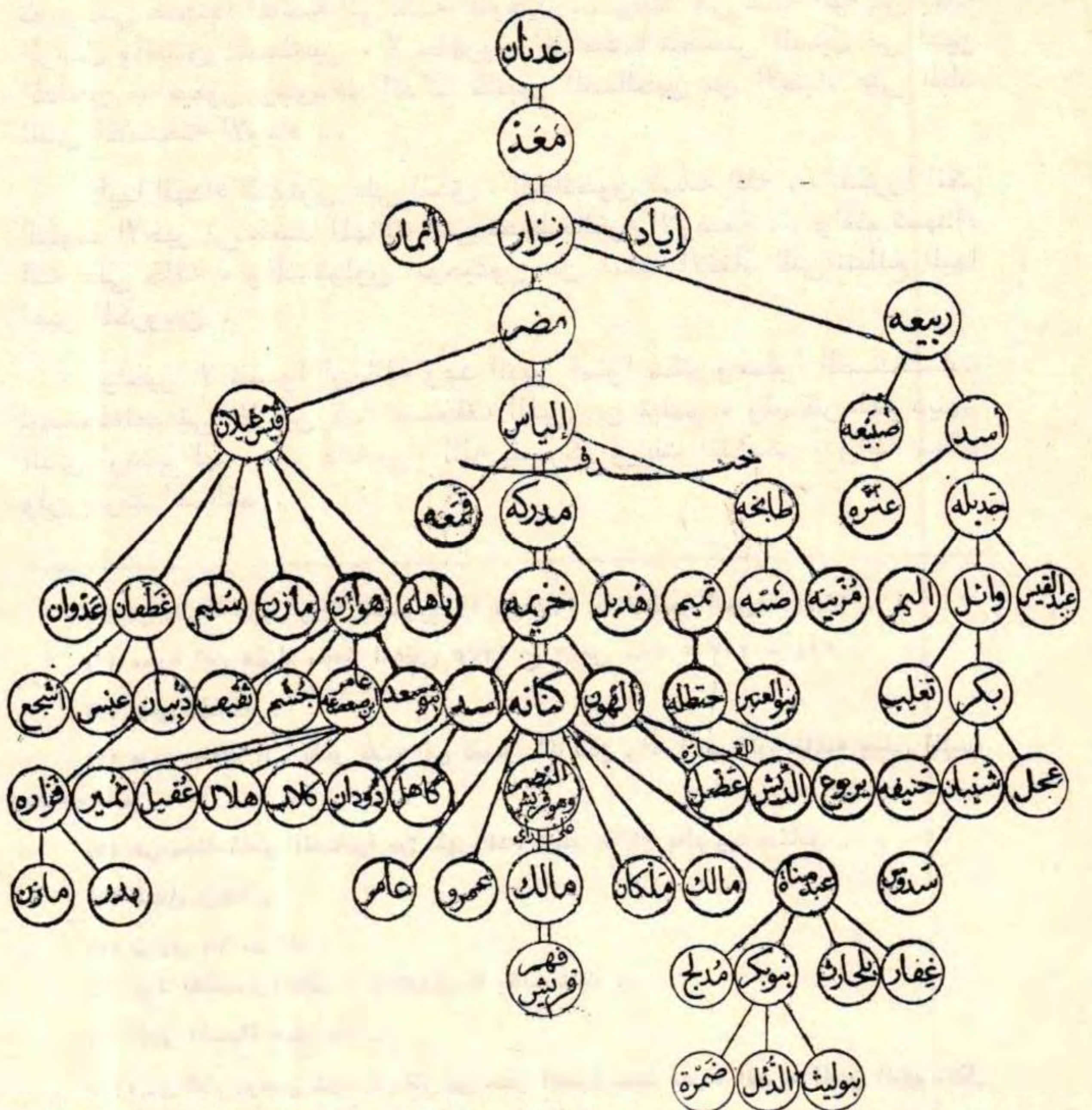
(٩) أنظر أشعياء صح ٣٥ ..

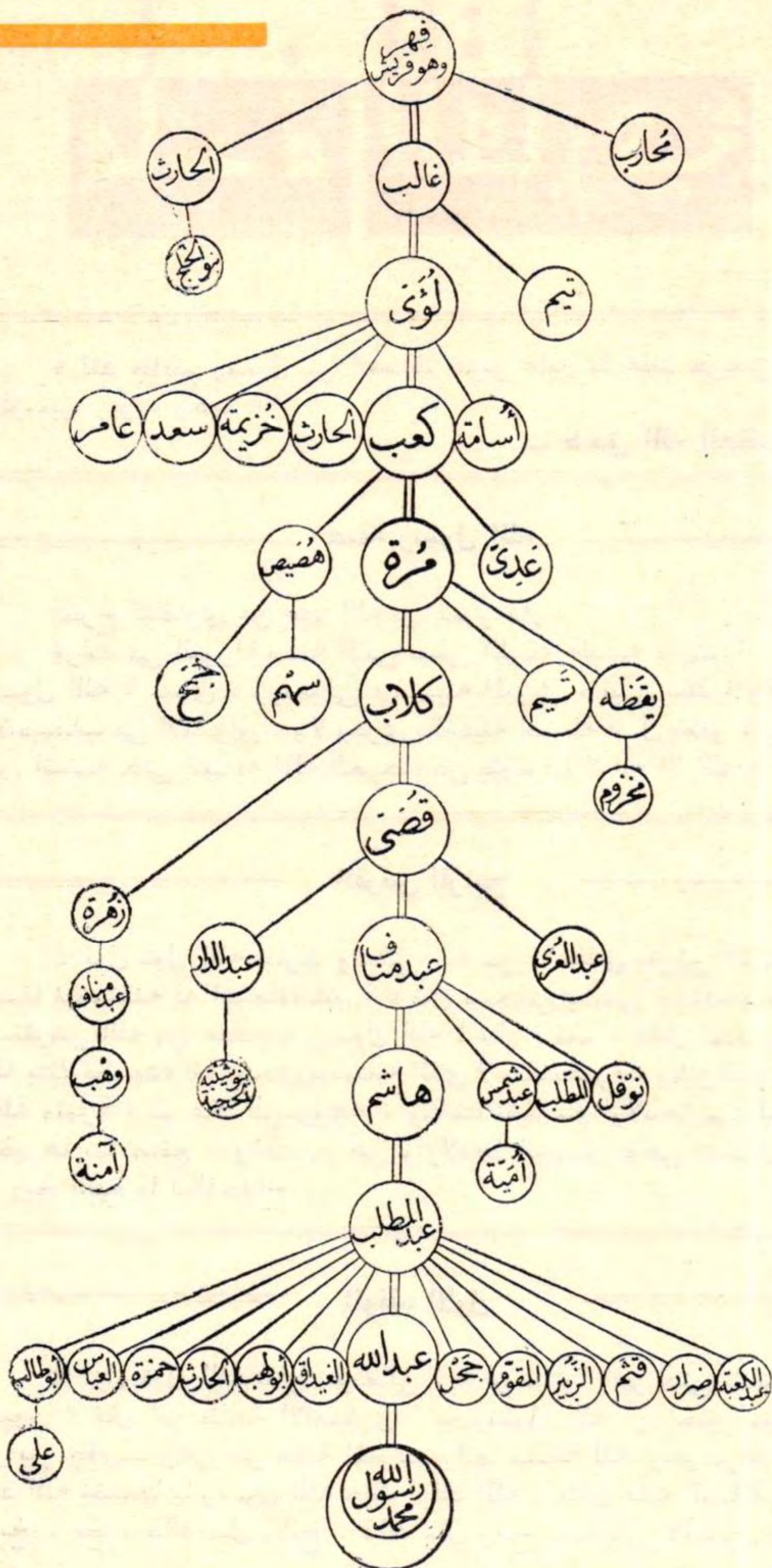
(١٠) من كلام موسى عليه السلام فى سفر التثنية حيث يعرف العرب الذين اليهم ينتقل ارث النبوات بقوله عن ربه « أغيرهم بما ليس شعبا » ..

(١١) مضمون حديث شريف رواه مسلم عن أبى هريرة فى « كتاب الفضائل » ..

(١٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٧ ط الحلبى ١٣٧٥ ه .

النسب الشريف




فهر وهو قريش
الحارث
غالب
محارب
بنو الخلج
لؤي
تيم
عامر
سعد
خزيمة
الحارث
كعب
أسامة
هصيص
مرة
عدي
جمح
سهم
كلاب
تيم
يقظة
مخزوم
قصي
زهرة
عبد الدار
عبد مناف
عبد العزى
عبد مناف
بنو شيبة الحجبة
هاشم
عبد شمس
المطلب
نوفل
وهب
أمية
آمنة
عبد المطلب
أبو طالب
العباس
حمزة
الحارث
أبو لهب
الغيداق
عبد الله
حجل
المقوم
الزبير
قثم
ضرار
عبد الكعبة
علي
محمد رسول الله

مائدة القارئ

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

— صدق الله العظيم —

صفة رسول الله

أخرج البخارى عن عبد الله بن عمرو قال :

قرأت فى التوراة صفة النبى صلى الله عليه وسلم : « محمد رسول الله ، عبدى ، ورسولى ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، بل يعفو ، ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العرجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله » . .

القرض الرابح

لما نزل قول الله تبارك وتعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة » قال صحابى يسمى أبا لدحداح : أو يستقرض الله من عباده يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال أمدد يا رسول الله يدك فأشهده انه تصدق ببستانه الذى لا يملك غيره ، وكان فيه سبعمائة نخلة مثمرة ، ثم عاد الى زوجه ، وكانت تقيم مع أولادها فى البستان ، فأخبرها بما صنع ، وغادرت هى وأولادها البستان وهى تقول له : ربح البيع يا أبالدحداح .

الوقف الأول

لما نزل قول الله تبارك وتعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » قال أبو طلحة الأنصارى : يا رسول الله ان أحب أموالى الى بير بير جاء — وهى بئر طيبة الماء — وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال عليه الصلاة والسلام « بخ . بخ . ذاك مال رابح . ذاك مال رابح . حبس الأصل وسبل التمر .

مريض يختبر الأطباء

زار دمشق عام ٨٣١ هـ رجل أعجمي من أهل الفضل والذوق ، فلما دخل المستشفى النورى ، ونظر الى كثرة أطبائه أراد أن يختبرهم فتمارض ، وأقام به ثلاثة أيام ، ورئيس الأطباء يتردد عليه ليختبر مرضه ، فلما جس نبضه علم أنه غير مريض ، وانما أراد اختيار الأطباء فوصف له الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوى والأشربة والفواكه : ثم بعد ثلاثة أيام كتب له ورقة يقول فيها : ان الضيافة عندنا ثلاثة أيام فعرف الأعجمى أنهم فطنوا لحيلته .

فيلسوف المجانين

كانت حركات البهلول ومنظره يغرى الأطفال بالضحك عليه والصياح وراءه ، ورميه بالحجارة ، وكان يقابل ذلك منهم بالعطف والشفقة ، وقد رموه مرة فأدموه فقال :

حسبى الله توكلت عليه — ونواصى الخلق طرأ بيديه
ليس للهارب فى مهربه — أبدا من روحة الا اليه
رب رام لى بأحجار الأذى — لم أجد بدا من العطف عليه

حب الدنانير

طلب الرشيد من البهلول أن يدعو له ، فقال :
يا أمير المؤمنين اسأل الله ان يرزقك ، ويوسع رزقك ، فضحك الرشيد ، وقال : آمين ، فلما مر بهلول بالحاجب صفعه ، وقال أهكذا تدعو لأمير المؤمنين يا مجنون ؟ ، فقال بهلول له : اسكت يا مجنون ، فما فى الدنيا أحب الى أمير المؤمنين من الدنانير ، فبلغ ذلك الرشيد ، فضحك ، وقال ، والله ما كذب .

مستشفيات متنقلة

كتب الوزير عيسى بن على الجراح الى سنان بن ثابت ، وكان يتولى النظر على مستشفيات بغداد وغيرها :
فكرت فيمن بالسواد (القرى) وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء فتقدم بايفاد متطببين (أطباء) وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السواد ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة الى مقامهم . ويعالجون من فيه ثم ينتقلون الى غيره . وقد بلغ بعض المستشفيات المتنقلة فى أيام السلطان محمود السلجوقى حدا من الضخامة بحيث كان يحمل على أربعين جملا .

قصَّة القافلة التائهَة

مع دليلها الأمين محمَّد

للدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

لا يعنينى أن أتحدث ، فى هذه الكلمة ، عن مظاهر العظمة فى حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن ألفت النظر الى نواحى بطولته ، ولا أن أفيض فى مقومات عبقريته . فقــد تجرد للبحث فى كل ذلك كثير من الكاتبين ، حتى أنساهم الخوض فيه ذكر ما يتعلق بنبوته ورسالته

والكثير من هؤلاء الكاتبين أجانب أو اشياع لهم ، فعلوا ذلــك عن عمد وسابق تخطيط ، ابتغــوا منه اقامة ستر كثيف يحجب عن الناس أبرز سماته وأخطر ما ينبغى أن يفهموه من حياته ، وهو أنه رسول أوحى اليه بشرع من قبل الله عز وجل ليبلغه الناس جميعا .

والبعض القليل منهم فعلوا ذلك بسائق من حب المدح والثناء ، وبتأثير من بساطة فى الفكر وطيب فى القلب . فقد غاب عنهم أن دعاة الغــزو الفكرى لا يبالون أن تحشى أدمغة الناس بمظاهر بطولة النبى عليه الصلاة والسلام ، ودلائل عظمته وعبقريته ، على أن يشغلهم ذلك عما بينه وبين الله تعالى من صفة النبوة ، وعما بينه وبين الناس من صفة الرسالة ، وعلى أن يقصيهم ذلك عن التنبه الى المسؤولية الخطيرة العظمى التى تركها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم بعد أن بلغهم الرسالة وأدى اليهم الأمانة .. !!

وغاب عن هؤلاء البعض ، أن التاريخ قد أحصى أسماء كثيرة من العباقرة والأبطال والعظماء . طويت عبقريتهم وبطولاتهم بطى الزمن ومروره . اذ كان كل ذلك ثمرة عصورهم التى كانوا فيها ، فلما ولت تلك العصور ولت معها جميع ثمارها وأعراضها ، وانما عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصبح فى حسابهم من هذا القبيل : كان أعظم مخلوق .. وأذكى انسان .. وأروع قائد .. فلما أدبر العصر الذى كان فيه أدبر كل ذلك معه ، ولم يبق من واجب الناس نحوه بعد ذلك الا أن يكونوا أمناء على ذكرى تلك الخصائص والصفات ، يتحدثون عنها بألسنتهم ثم يدونونها فى كتاباتهم ، لا تربطهم — وراء ذلك — برسول الله عليه الصلاة والسلام أى رابطة ولا ينهضون بأى مسؤولية !! ..

فمن أجل ذلك لا يعنينى أن أتحدث عن شىء من هذا كله رغم ايمانى الكامل به .

عليه الصلاة والسلام

ولكن الذى يعنينى ، وينبغى أن يعنى القراء جميعا ، هو التنبه الى مصدر ذلك كله وأساسه ... ان الذى يعنينى هو أن أتساءل مع القارىء :

أرأيت الى قافلة تقطع طريقا فى مفازة لم ترها من قبل ، ولا علم لها بطبيعتها وموقعها ، وفيما هى حائرة فى السبيل ، اذ طلع عليها رجل أخبرها أنها ان سلكت ذات اليمين انتهت بسلام الى غايتها التى تبحث عنها، وان سلكت ذات الشمال وقعت فى مهلكة لا نجاة منها ، وقدم الرجل بين يدى بيانه هذا براهين العلم والأمانة والصدق .. أرأيت لو أنها تشاغلت عن اتباع نصيحته ودلالته ، بالحديث عن ألمعيته وذكائه ووصف علمه وبالغ وفائه ، ثم ركبت رأسها — وهى تتغنى بذلك كله — وراحت تخوض فى طريق الضلال والهلاك ؟ !! ..

تلك هى قصة القافلة الانسانية التائهة ، مع دليلها الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ، اذ أرسله الله تعالى اليها على فترة من الرسل ، يبشر وينذر ، ويعرف الانسان على هويته وسر وجوده ومنتهى أمره ، واضعا أمامه الشرعة التى ارتضاها له قيوم السموات والارض ، محذرا اياه من التحول عنها ذات اليمين أو ذات الشمال ، مبلغا اياه خطاب الله عز وجل : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

فأما صفوة من عباده فقد استمعوا الى هذا البيان بعقول حرة ، واستقبلوه بنفوس متفتحة لم تعقدها العصبية ولم تؤثر فيها العقد والأهواء فأدركوا الحق واستيقنوه ، وعلموا قيمة الدنيا التى من حولهم وحقيقة الآخرة التى تنتظرهم .. ثم اتجهوا بسلوكهم الى السبيل التى خطها لهم

القرآن ، وشرحها لهم نبى الله محمد عليه الصلاة والسلام ، وباعوا فى سبيل ذلك النفس والنفيس .

سخر منهم المارقون ، واستحمقهم الجاهلون ، فكان جوابهم : سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين طاف بهم الضر ، وانحط فيهم الأذى ، وأصابتهم المحنة ، فكان ردهم على ذلك كله — مع الصبر الجميل — « ومالنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » . .

تألبت عليهم جيوش البغى ، وأحدقت بهم قوى الطغيان ، وقيل لهم : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا اللـــه ونعم الوكيل .

لم يبالوا أن رأوا أنفسهم غرباء فى الطريق التى يقتفون فيها خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد تفرق الناس عنهـــم الى متاهـــات متعرجة ، وارتضوا أن يعيشوا غرباء . . لأنها من غربة التبر ، بين التراب الأغبر ، وندرة الماس وسط الفحم الأسود !! . .

فماذا كانت عاقبة الأذى الذى تحملوه ، والمحنة التى عاشوا فى أوارها ، والغربة التى خاضوا غمارها ؟ لقد ملكهم الله عز وجل ناصية الدهر ، وأورثهم عز الدنيا ، وأخضع لهم تيجان الملوك ، وصدق فيهم قوله جل جلاله « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

وأما طائفة أخرى جاءت على أعقابهم ، فقد طاب لهم أن يستغنوا عن الاتباع ، بالتقريظ والثناء . سمعوا آيات الله عز وجل فقالوا : ما أجل وأروع . . ! ثم راحوا يجملون به حديثهم ، ويدبجون به محافلهم ويزينون بفقرات منه جدرانهم . . !

وسمعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وحياتـــه وأخلاقه ، فقالوا : عبقرى فذ . . ! وعظيم مدهش . . ! ومصلح قل نظيره . ! ثم انحطوا ينحدرون فى الطريق التى حذرهم منها وأنذرهم عقباها ، وهم يواصلون التغنى بعظمته والتفنن فى وصف عبقريته .

وانتهى بهم المنحدر الى طرائق تائهة متباعدة ، تفرقت فى شعابهـــا جماعات كانت بالأمس أمة واحدة فاستذلها البغى ، وأحاط بها الهوان ، وقد كانت فيما مضى تؤدب البغى وأهله ، وتنشر العدل فى الناس ، وتفرق منها أمم الأرض . . !!

والعجيب أنها — مع ذلك كله — لا تعالج هذا البلاء الا بمزيـــد من بضاعة التقريظ والكلام ، الى مزيد من الانغماس فى بضاعة اللهو وفنون الأهـــواء . . !!

فاذا قام فيها من ينصح أو يحذر كان جواب أحسنهم حالا : سيغفر الله لنا !! وسبحان من وصف حـــال هؤلاء بقوله « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » .

يا قارئى الكريم :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلب يوما ما الى أحـــد من

أصحابه أن يبايعه على التنويه بعظمته ، والاشادة بعبقريته ، والحديث عن بطولاته وسياسته . ولو قصد الى ذلك لنسج حول نفسه مظاهر ذلك كله أثناء حياته .

ولكنه بايع الناس على أن يؤمنوا بالله وحده ، فيرفعوا دعائم أحكامه ، وينهجوا منهج العبودية لسلطانه ، ويسيروا الى ذلك كله فى طريق من المحنة والابتلاء والمشقة والعناء .

ولم يقم من واسطة فيما بينه وبينهم لتحقيق ذلك كله الا ايمانهم برسالته ، وبأنه نبى يوحى اليه بحكم وشرع من الله عز وجل فهو يبلغهم اياه فى أمانة ودقة وصدق .

فأى نسب بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن نطوى عنا مبادىء هذه البيعة ، ونبعد عن حياتنا ما تنطوى عليه من شرعة ومبادىء وأخلاق ، ثم نقتفى خطى أولئك المنهجيين من أرباب الغزو الفكرى فى اختلاق نسب آخر بيننا وبينه من مجرد التقريظ لسيرته والثناء على خلقه ؟ !

ألعل لوثة الغرب ، من الكفران بنبوته ، قد أصابت أفئدتنا أيضا ، فمن أجل ذلك ننهج نهجهم ونردد كلامهم ؟ !

ولكن الذى ساق الغرب الى ذلك الكفران انما هو دوافع من العصبية وعوامل من ردود الفعل ، لها أسبابها التاريخية فى نفوسهم ، فما هو سائق ذلك فى عقولنا أو فى نفوسنا نحن المسلمين ؟ !

لقد قالوا : ان ظاهرة الوحى فى حياته صلى الله عليه وسلم لم تكن أكثر من اشراق والهام انبثق من داخل نفسه ، ولم تكن خبرا الهيا جاءه من خارج كيانه . !!

وقد علموا أن الالهامات النفسية لا تسبب اصفرارا فى الوجه ، ولا ارتعادا فى الفرائص ، ولا تشعريرة فى الجسد ولا كائنا يضمه اليه ولا بحثا عن الالهام الداخلى فى شواهق الجبال .

فان أنكروا تلبس النبى صلى الله عليه وسلم بكل ذلك ، فينبغى أن ينكروا ظاهرة الوحى من أساسها ، ولا يتعبوا أنفسهم بأى تفسير لها ، فان الوثيقة التاريخية التى اثبتت لهم هذه الظاهرة فى حياته ، هى نفسها التى تحدث عن تلبسه بذلك كله .

وقالوا : انها فكرة انعكست الى شعوره من واقع ما كان يتطلع اليه قومه من ارادة التغيير والثورة على الوثنية والشرك والنزوع الى التوحيد . . !!!

ولقد علموا أن الوثنية ، بكل ما معها وما يتبعها ، لم تعم فى عصر من عصور الجزيرة العربية . كما عمت فى الفترة التى بعث فيها محمد عليه الصلاة والسلام .

ولم يكن ذاك الذى يظهر على السنة بعضهم من كلمات التوحيد والسخرية بالأوثان وعبادتها ، الا بقايا لمع خاطفة من الحنيفية الحقة التى

كان قد بعث بها ابو الأنبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكانت هـذه البقايا تذوى وتضعف مع الزمن . ويقل أنصارها ما بين سنة وأخرى ، منذ أن ادخل عمرو بن لحى الخزاعى الأوثان وعبادتها فى الجزيرة العربية .

وقد كان المقتضى اذا ــ حسب تصور هؤلاء ــ أن تكون بعثة النبى صلى الله عليه وسلم قبل العصر الذى بعث فيه بعدة قرون وأجيال ، اذ كانت نزعة التوحيد حينئذ اتم وأقوى ، وكانت دلائل الثورة على الشرك والوثنية أشد وأبين .

ثم أين هؤلاء الذين انسجمت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مطامحهم وآمالهم وما كان يعتلج فى نفوسهم من دواعى الثورة عـلى الوثنية والشرك ؟ ! العلهم أولئك الذين لم يألوا جهدا فى تسفيهه وابذائه والسخرية منه ومن دعوته ، حتى اضطر أن يهاجر من بينهم بعد محاولة طويلة دامت ثلاثة عشر عاما لم يأت وراءها بأى ثمرة من صحاب هـذه المطامح والأمال المتفقة ــ فيما زعموا ــ مع دعوته .

وقالوا ايضا : انما كان محمد « صلى الله عليه وسلم » رجلا ينبض فى عرقه دم الزعامة ، فهو يبتغى من وراء دعوته السعى اليها !! ..

ونحن نبحث طويلا ، فلا ندرى متى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعيه الى تلك الزعامة التى كان ينشدها !! ..

العله انتهى اليها يوم أن جاءه عتبة بن ربيعة مفاوضا من قبل قريش ، فعرض عليه المال والزعامة والملك والنساء .. على أن يتخلى عن تسفيه افكارهم ودعوتهم الى التوحيد والايمان بالله وحكمه ، فأبى ذلك كله ، وقال لهم أخيرا « ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وانزل على كتابا ، وأمرنى أن اكون بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ما جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على اصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم .

أم لعله انتهى الى هذه الزعامة يوم كان يشترك مـع المئات مـن أصحابه فى حفر الخندق ، وقد تكاثف التراب على جلدة بطنه وانحاء جسمه ، حتى ما يعرف شكله ، ورآه جابر ــ فيما يرويه الشيخان ــ يهوى بمطرقته على صخرة عاتية فى الخندق ، وقد شد صلى الله عليه وسلم على بطنه حجرا من الجوع ، وكان قد مرت ثلاثة أيام لم يذق هو واكثـر اصحابـه مذاقا .. !!

أم لعله انتهى الى الزعامة يوم أن اكتشفها عدى بن حاتم ، عندما أقبل اليه من الشام ، وهو يقـول فى نفسه : ان كان ملكا أو كاذبا لم يخف على ، وان كان صادقا اتبعته ، فانطلق به رسول الله صلى الله عليـه وسلم الى بيته ، فلقيته فى الطريق امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ، فقال فى نفسه والله ما هذا بملك ، ثم مضى به الى بيته ، واذا هو أرض مترية خالية عن اى شيء يستند اليه الجنب ،

الا وسادة من جلد محشوة ليفا فقذفها صلى الله عليه وسلم اليه ليجلس عليها، وقعد هو متربعا على الأرض، فقال فى نفسه، والله ما هـذا بأمر ملك.

أم لعله وصل الى هذه الزعامة يوم ان احتشد من حوله الآلاف فى حجة الوداع فاتجه اليهم قائلا: لا ادرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا فى مثل هذا الموقف أبدا، ثم راح يلخص لهم مبادىء الاسلام وأحكامه، وينهى اليهم توصياته الأخيرة، وختم خطابه قائلا: —

وانكم ستسألون عنى، فما انتم قائلون ؟

قالوا نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت.. فاطمأن الحبيب الأعظم، وشعشع الرضا فى عينيه ونظر بهما الى الأعلى مشيرا بسبابته الى السماء ثم يشير بها الى الناس قائلا: اللهم اشهد.. اللهم اشهد.

أم لعله قد وصل الى الزعامة يوم أن نزل به مرض الموت، فوقف فى أصحابه يقول: عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، ثم انقلب الى بيته يعانى من برحاء المـوت عـلى حشية من الجلد والليف، لا يعثر الجنب منه على راحة أو نعيم، وليس من القوت المدخر فيه الا شطر من الشعير قد وضع على رف.. !!

وغشيته سكرة الموت وهو يرفع الستر ينظر الى صفوف المصلين من أصحابه فى المسجد، يطمئن بذلك الى أنه يتركهم وهو متلبسون بالحق الذى أرشدهم اليه، وغالب ذلك المشهد الذى رآه آلام الموت السارية فى جسده حتى غلبها، فاستغرق فى ابتسامة راضية أغمض عينيه على أثرها، ولحق بالرفيق الأعلى.

تلك هى مراحل حياته عليه الصلاة والسلام، فعند أى مرحلة منها وصل أودنا الى الزعامة التي كان يبتغيها ؟!!

الجواب: ان العصبية العمياء لا تعرف منطق هذه الأسئلة ولا الجواب عليها، وانما هى تعرف شيئا واحدا، هو ضرورة الوصول الى الغاية المرسومة من اى طريق.. !!

وللعصبية والعقد النفسية وردود الفعل أسبابها التاريخية القديمة — كما قلنا — عند هؤلاء الغربيين ومن لف لفهم، فالكيدللحق الذى بعث به محمد عليه الصلاة والسلام، داخل فى تركيبهم النفسى وجوهـر كيانهم، ولكن ما هى عوامل هذه العصبية ذاتها عند طائفة من المسلمين انفسهم ؟!

أى خير تتوقع — وأنت مسلم حر التأمل والتفكير — من التلبيس فى حقائق هذا الدين واخفاء غاشية من اللبس والغموض المصطنعين عـلى شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

بـل ما الـذى تخشـى أن يستفيـده رسـول اللـه من ايمانك بنبوته، وبأنه، ليس الا أمينا على شرع كلفه اللـه بابـلاغه الناس جميعا، حتى لا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ثم من سمعيك لتطبيق هذا الشرع ؟!

أتريد أن تعلم الجواب ؟

أبعد عن نفسك قليلا ضجيج الشهوات والأهواء ، ونداء البيئة والتقاليد ، وتشويش العقد النفسية وصراخ الكبر والعصبية ، ثم أصغ جيدا الى صوت العقل وحده ، وهو ينبعث من أعماق كيانك حرا متجردا فتسمع منه الجواب المقلق الخطير .. !!

ان الذى يستفيد أو يتضرر انما هو أنت وحدك ، وان بعثة الأنبياء ما كانت الا لتعرف هويتك وتنتبه الى مصيرك .. ! مصير مذهل عجيب ، شاءت ارادة الله أن يكون الآن محجوبا عنك فى غيبة المكنون ، لا تبصره عيناك ولا يقع تحت حسك الا عندما تحيق بك سكرة الموت ، وترتد متفرقة عنك جميع وساوسك النفسية ودوافعك العصبية . عندئذ تتجرد الحقيقة وحدها ماثلة أمام عينيك ، ويغدو بصرك حديدا فى رؤيتها والايمان بها ولكن الايمان عندئذ لا يغنى ولا يفيد ..

فمن أجل التهيوء لذلك المصير والتصديق بتلك الحقيقة ، أرسل الله أنبياءه الى الأمم تترى ، يبلغون .. وينذرون ويحذرون ... وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة هؤلاء المبلغين والمنذرين من قبل الله عز وجل .

فأى فائدة تجنيها العصبية ، أو اضمار التحايل والكيد ، والمصير واحد ومحتوم ، والسفينة تجرى ، والنهاية موشكة .. ؟ ! ..

يا من تقومون وتقعدون بالحديث عن ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتريدون أن تعلنوا بذلك أن بينكم وبينه نسبا موصولا ؟ .. اذا فانظروا الى الطريق التى سار فيها ، يعانى المحنة ويستعذب المر . !!

انه اليوم طريق غريب موحش ! .. قلماتجد فيه غاديا أو رائحا .. !

اذا كنتم تفتخرون بهذا النسب ، فعفروا أقدامكم قليلا فى الطريق التى دميت فيها قدما رسول الله .. اصبروا على شىء من المحنة التى عاش فى غمارها رسول الله .. تحملوا بعض الغربة التى ارتدى جلبابها راضيا رسول الله ..

أعيدوا صرح المجتمع الذى شاده لكم رسول الله عقيدة وخلقا وتشريعا ، فقوضته المعاول تحللا وميوعة وكفرانا .. !!

ان فعلتم ذلك ، فبينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب موصول ، وأنتم اخوانه الذين تشوق الى رؤيتهم يوم أن قال وقد توسط البقيع ، وددت أنى قد رأيت اخواننا ، فقال بعض من كان معه ، ألسنا اخوانك يا رسول الله ؟ ! قال بل أنتم أصحابى ، واخوانى الذين لم يلحقوا بعد . وأنا فرط لهم على الحوض ...

أما أولئك الذين يمعنون فى التبديل والتغيير ، فقد قال عنهم عليه الصلاة والسلام فى آخر هذا الحديث الصحيح نفسه ؟

ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال ، أناديهم ألا هلم ألا هلم . فيقال : انهم قد بدلوا بعدك فأقول : فسحقا ، فسحقا ، فسحقا .

رحلة الفهرسة الهجائية والمعاجم عبر تاريخنا

للشيخ محمد سليمان الأشقر

جانب مشرق من جوانب تاريخنا الاسلامى وحضارتنا العتيدة يبرز عند الكشف عما صنعه الاجداد فى مجال التعجيم والفهرسة . لقد استخدمت الفهارس والمعاجم على نطاق واسع في شتي أنواع المعرفة . واستغلت كوسائل فعالة في تسهيل الوصول الى المعلومات المطلوبة . استغلالا أدى الى نشر الثقافة وتنميتها .

أولا ــ المعاجم الهجائية

المعاجم :

أما المعاجم فنستطيع أن نفخر بأنه كان لدينا فى القرن الثانى الهجرى

(الثامن الميلادى) معجم هجائى على درجة عالية من الجودة ، هو معجم (العين) ، فى متن اللغة للخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) .
وأما فى القرن الثالث الهجرى فلدينا معجم فى أسماء رجال الحديث للامام محمد اسماعيل البخارى مرتب ترتيبا جيدا ، ولا يزال مستعملا واسمه (التاريخ الكبير) .

أما فى القرن الرابع الهجرى وما بعده فقد وجدت معاجم هجائية لمتن اللغة والاعلام وغيرها لا تزال تؤدى دورها كمراجع فى موضوعها سهلة الاستعمال بالاضافة الى احتوائها على معلومات ذات قيمة فائقة . كما أنها غطت نواحى مختلفة من المعرفة فمنها فى اللغة وفى التراجم بصفة عامة ، أو فى أعلام فن معين كالاطباء ، والفلاسفة ، والنحويين ،واللغويين، والمحدثين ، والسياسيين ، أو فى موضوعات معينة كالصيدلة والأدوية أو الحيوان أو البلدان أو غير ذلك .

وسوف نستعرض الجهود المبذولة فى ذلك بشىء من التفصيل .
ان المعاجم أما أن تكون مختصة فى حدود موضوع معين كمتن اللغة أو التراجم ، أو البلدان ، مثلا ، وأما أن تكون عامة شاملة لكل نواحى المعرفة .

دوائر المعارف العامة :

أما المعاجم العامة فلها اسم خاص هو (دوائر المعارف العامة) أو (الموسوعات العامة) ولا أعرف فى الحضارة الاسلامية قبل العصر الحاضر كتابا يصح أن يوصف بأنه (دائرة معارف عامة) ومرتبا على الحروف ما عدا كتابين أولهما هو المسمى بـ (كشاف اصطلاحات الفنون) لمؤلفه محمد بن على التهانوى الهندى ، ذكر فى مقدمته أنه فرغ من تسويده سنة ١١٥٨ هـ استعرض فيه المصطلحات فى جميع العلوم التى كانت فى عصره وذكر معنى كل مصطلح وشيئا قليلا من المعلومات عنه . الا أن جل غايته كانت منصرفة الى تعريف المصطلح وقد نشر كتابه بعنوان (كشاف اصطلاحات العلوم الاسلامية) .

والثانى (الكليات) تأليف أبى البقاء أيوب بن موسى الكفوى (١٠٩٥ هـ) وقد جمع فيه معلومات كثيرة متنوعة تحت عناوين ، ثم رتب المعلومات بحسب الترتيب الهجائى لتلك العناوين الا أن ترتيبه جاء قاصرا ومعلوماته مبتسره .
أما فى العصر الحاضر فقد جرت محاولات لتأليف دوائر معارف عامة منها ما عمله محمد فريد وجدى وسماه (دائرة معارف القرن الرابع عشر ــ العشرين) فى عشرة مجلدات .
ومنها دائرة معارف البستانى ، باشر اعدادها المعلم بطرس البستانى وأصدر منها ستة مجلدات من ١٨٧٦ الى ١٨٨٢ م ثم تابع أبناؤه نشرها الى أن صدر الجزء الحادى عشر منها منتهيا بلفظ (عثمانية) ويعاد الآن

نشرها بادارة فؤاد أفرام البستانى بصورة متقنة وممتازة وصدر منها المجلد السابع منتهيا بلفظ (أخيليا) من حرف الهمزة .

المعاجم المتخصصة :

أما المعاجم المتخصصة فهى التى تختص بنوع معين من المعرفة كالتراجم مثلا . ثم ان بعضها قد يكون أكثر تخصصا من الآخر فبينما نجد معاجم للتراجم بصفة اذ بنا نجد معاجم لتراجم اللغويين ، أو لتراجم النحويين من اللغويين ، أو لتراجم البصريين من النحويين من اللغويين . فتفاوت درجات التخصص بحسب هدف واضع المعجم .

ولا يمكننا أن نحصر عدد المعاجم المختصة المؤلفة بالعربية ، ولكن نذكر أمثلة مما اطلعنا عليه منها على سبيل الايجاز مع محاولة حصر اتجاهاتها العامة ضمن البنود التالية :

(١) معاجم اسماء الكتب والمؤلفات والفنون : منها

١ ـ « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » لمؤلفه الحاج خليفة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى ، المتوفى ١٠٦٧ هـ استعرض فيه أسماء الفنون فى الحضارة الاسلامية واسماء الكتب المؤلفة فى ذلك بتسلسل هجائى واحد شامل للفنون والكتب جميعا . وهو كتاب واف فى موضوعه وترتيبه جيد . وذيل عليه اسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادى (ـ ١٣٣٩ هـ) بمجلد ضخم وقد تم طبعهما سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م فى ثلاثة مجلدات .

٢ ـ المعاجم الاسلامية العامة :

لم يؤلف فى هذا الموضوع قديما فى ما أعلم ، وقد قام لفيف من المستشرقين فى هذا القرن بتأليف (دائرة المعارف الاسلامية) شاملة لموجزات عن المعلومات التى كانت متوفرة لهم عن كل نواحى الحضارة الاسلامية . ونشرت باللغات الالمانية والانجليزية والفرنسية . وصدر من ترجمتها العربية بمصر الى حرف (الطاء) بتعليقات من المختصين بالشؤون الاسلامية كشفت عن مدى جهل بعض كتابها أو تجنبهم لذكر الحقائق قصدا مع انه لا يسعنا الا الاعتراف بعظمة العمل فى ذاته .

والآن يعاد اصدار الطبعات الأوروبية بمزيد من التوسع .

وصدر بمصر من (القاموس الاسلامى) ، للأستاذ أحمد عطية ، مجلدان . وهو مختصر يقتصر على التعريف بمصطلحات الفكر الاسلامى ومعالم الحضارة الاسلامية وتراجم المشهورين انتهى فيهما الى حرف الراء .

٣ ـ معاجم القرآن وعلومه :

لم تؤلف معاجم لفظية أو معنوية للقرآن فى ما أعلم قبل العصر الحديث اما فى هذا العصر فقد صدر (تفصيل آيات القرآن) للمستشرق جول لا بوم وقد ترجمه الى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله . وهو جمع حسن غير انه قاصر فى التفاصيل . ولسنا بحاجة الى أن نشير الى بعض الاعمال الجامعة فى هذا الميدان التى أخرجت مرتبة على الابواب

لأن بحثنا منصب على المعاجم (المرتبة على حروف المعجم) .
فعلى هذا يكون هذا الميدان بكرا . ولعل الله يوفق احدى المؤسسات أو الافراد للقيام بعمل (معجم قرآنى) شامل لكل المعلومات القرآنية .

٤ ــ معاجم الحديث النبوى

لقد كان نشاط المحدثين فى دراسة الحديث وتدوينه وترتيبه نشاطا قويا وواسعا فبالاضافة الى منجزاتهم فى ترتيب الأعلام سلكوا فى ترتيب الاحاديث سبلا كثيرة اذ رتبوا الاحاديث على انواع مختلفة من الترتيب ، فمنهم من رتبها على أبواب الفقه ، ومنهم من رتبها على أسماء الــراوة ورتب أسماء الــرواة حسب الافضليــة أو حسب حــروف الهجــاء ، ومنهم من رتبها على أوائل حروفها ، أو على مواضيعها ، وجعل المواضيع بترتيب معجمى .

والذى يعنينا من ذلك هو الانواع الثلاثة الاخيرة .

أ) فمما رتبت فيه الاحاديث بترتيب « الفبائى » باعتبار اسماء الرواة (المعجم الكبير) للطبرانى سليمان بن أحمد (٣٦٠ هـ) .
ب) ومما رتبت فيه الاحاديث بحسب أوائل حروفها (جمع الجوامع) للسيوطى قصد فيه جمع الاحاديث النبوية القولية بأسرهــا على حروف المعجم . وله أيضا (الجامع الصغير) وهو مطبوع متداول ويحسن أن لا تخلو منه مكتبة أى دارس للاسلام .
ج) ومما رتبت فيه الاحاديث بحسب أحرف الهجاء لموضوعاتهــا . كتاب (كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال) للشيخ علاء الدين على المتقى (٨٨٨ ــ ٩٧٥ هـ) ثم عاد فاختصر كتابه مع المحافظة على ترتيبه وسماه (منتخب كنز العمال) . وهو مثال حسن للترتيب المعجمى الموضوعى ، وهو أكثر تفصيلا وأحسن ترتيبا من سابقه (جامع الأصول من أحاديــث الرسول) لابن الأثير الجــزرى . الا ان الميدان لا يزال مفتوحا ولا يزال الحديث النبوى بحاجة الى معجم تفصيلى . فالى المهتمين بتيسير الســنة النبوية للمؤمنين والدارسين أسوق هذه الرغبة راجيا أن يوفق منهم مــن ينهض لاداء هذه المهمة .

٥ ــ المعاجم الفقهية :

لا أعرف أن معجما للفقه الاسلامى برز الى عالم الوجود قبل صدور (معجم فقه ابن حزم الظاهرى) الذى أصدرته سنة ١٣٨٥ هـ لجنة موسوعة الفقه الاسلامى بجامعة دمشق . فكان بداية حسنة يرجى أن تتلوها خطوات اكثر تقدما فى هذا الميدان الفسيح .
وقد صدرت أيضا بمصر مؤخرا ستة أجزاء من (موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الاسلامى) من حرف الألف ، مرتبة للموضوعات الفقهية على حروف الهجاء . وترتيبها حسن الا انه يظهر أنه سيكون فيها تــكرار كثير يضخم محتوياتها نظرا لتكرار الموضوع الواحد فى مواضع مختلفــة بحسب أوجهه المختلفة (أنظر موضوعى ابن ، وأب ، لترى كيف تكررت

بعض الاحكام كعصمة الابن باسلام أبيه جـ٢ ص ١٤٩ ، ٢٣١ ، وكذلك وجوب انفاق الأب على أبنائه) ويظهر أنه ينبغى للقائمين عليها اعادة النظر فى منهج الترتيب فيها . ولديهم امكانية استخدام نظام الاحالات .

وتقوم لجنة (الموسوعة الفقهية) بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت بالتحضير لاصدار موسوعة فقهية وقد أصدرت (موضوعين) فى طبعة تمهيدية يراد بها تلقى ملاحظات القراء المختصين وتوجيهاتهم للخروج بموسوعة مستكملة من حيث الشكل والمضمون . وليت القائمين على الموسوعتين يوفقون لتنسيق العمل بينهما بطريقة تؤدى الى تيسير الفقه الاسلامى تيسيرا كاملا باستخدام الأساليب العلمية المتطورة فى هذا المجال .

وقد قامت لجنة موسوعة الفقه الاسلامى بتهيئة معجم للفقه الحنبلى كان لى مشاركة فى مراجعة مادته وترتيبه ويرجى أن يصدر قريبا ان شاء الله .

٦ ـ معاجم الأدب واللغة :

أما المعاجم الأدبية المتخصصة فلا أعرف منها شيئا يستحق الذكر وأما معاجم اللغة فانها من مفاخرنا . والبحث فيها له مكان آخر

٧ ـ المعاجم العلمية :

فى تراثنا من معاجم العلوم بأنواعها الشىء الكثير ، فمنها :

أ) فى علم الحيوان كتاب (حياة الحيوان) لكمال الدين الدميرى محمد بن موسى (ـ ٨٠٨ هـ) يذكر فيه كل حيوان باسمه الخاص ثم يبحث فى الاسم بحثا لغويا ثم يذكر أوصاف الحيوان وطباعه وخواصه وخواص أجزائه وأحكامها الفقهية والطبية والعلاجية وبعض الاخبار الأدبية التى لها صلة بذلك الحيوان . الا انه لم يراع فى الترتيب غير الحرف الاول وهو مطبوع متداول .

ب) فى الاغذية والادوية والعقاقير ونحوها الف ابن البيطار عبد الله بن أحمد الاندلسى كتابه (الجامع لمفردات الادوية والاغذية) بأمر الملك الصالح نجم الدين أيوب استوعب فيه ذكر الادوية والاغذية المفردة التى كانت مستعملة لزمانه . وذكر أقوال الاطباء فيها ورتبه على حروف المعجم مراعيا الحرفين الاول والثانى فقط .

٨ ـ معاجم البلدان والامكنة والبقاع :

الف فى هذا النوع أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الاندلسى (ـ ٤٨٧ هـ) كتابه (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع) ومعجمه مرتب على حروف الهجاء على طريقة المغاربة ، وراعى فى الترتيب الحرف الاول والثانى فقط ، ولذلك أعاد ناشره (مصطفى السقا) ترتيبه . وليته تركه على وضعه الاول ليكون نموذجا لذلك النوع من الترتيب . والذى أفضله لكل كتاب من الكتب القديمة التى تنشر أن لا يخل ناشره بترتيبه الذى وضعه عليه مؤلفه وان يكتفى بالفهرسة المتقنة ما لم يقصد ان يضع الكتاب وضعا جديدا بتهذيبه أو ضم معلومات أخرى اليه .

والف فى هذا النوع ايضا ياقوت الحموى الرومى كتابه (معجـــم البلدان) وهو كتاب قيم فى بابه . لم يؤلف بعده ما يوازيه .

٩ ـ معاجم الاعلام :

لقد كان نشاط العلماء المسلمين فى مجال معاجم الاعلام نشـــاطا واسعا ومنوعا ، فمن معاجم لاعلام طائفة معينة كالصحابة ، أو المحدثين أو الاطباء أو الادباء أو الشعراء أو اللغويين ، أو النحاة ، أو المؤلفين ، أو النساء الى معاجم لاعلام مدينة معينة كاعلام بغـــداد ، أو دمشق ، الـــى معاجم لاعلام قرن معين ، أو عهد معين ، الى معاجم عامة شاملة لكل نوع وكثير من ذلك مشهور ونكتفى بذكر معجم عـــــام للاعلام هو (الوافـــى بالوفيات) لخليل بن ايبك الصفدى (ـ ٧٦٤ هـ) ويشتمل علـــى ١٤٠٠٠ ترجمة . وآخر حديث هو كتاب (الاعلام) لخير الدين الزركلى وهو من خير ما ألف فى موضوعه .

ان حاجتنا الى متابعة خطا أسلافنا فى هذا المجال حاجة حقيقيـــة وعلينا أن نهىء لكل صنف من أصناف العلوم معجما ينبع من القديم ويستمد من الحديث ويواكب التطور الفنى والعلمى .

وان من المؤسف أن تعتمد جامعاتنا الاسلامية فى معلوماتها الاسلامية على دائرة معارف (اسلامية) وضعها غير المسلمين ممن لم يفقه الاسلام حق فقهه . وان لذلك تأثيره الذى تبين فى النتاج الفكرى لناشئتنا الاسلامية فليت احدى وزارات الشؤون الدينية التربيوية أو الجامعات الاسلامية فى اقطارنا الكثيرة تتولى وضع دائرة معارف اسلامية لتكون روحها اسلامية .

واننا بحاجة الى دائرة معارف متخصصة فى كل فن ، فى اللغة ، وفى الأدب ، وفى التاريخ ، وفى الطب والكيمياء والطبيعة والحيوان والنبات والجيولوجيا . وان دوائر المعارف المتخصصة هذه تخدم دائرة معارف عامة بلادنا بأشد الحاجة اليها لتسهيل الطريق على المشتغلين بصناعة المعرفة للوصول الى المعلومات عن (كل شىء) .

ثانيا ـ الفهارس الهجائيـــة

اما فى مجال الفهرسة الهجائية فاننا نجد فى تراثنا نماذج قليلة من ذلك . ولعل السبب فى قلتها أن الشأن فى الفهرسة أن تعزى المسألة المعينة الى صفحة ذات رقم معين من الكتاب . ولا يكون لهذا فائدة ذات قيمة للجمهور ما لم تكن نسخ الكتاب موحدة فى أرقام صفحاتها . ولذلك كانت نهضـــة صناعة الفهرسة لاحقة لنهوض الطباعة اذ أن الطباعة تخرج مجموعة كبيرة من نسخ الكتاب موحدة الصفحات بخلاف الكتابة اليدوية .

ولكن مع ذلك فقد ذكر الشيخ أحمد محمد شاكر (مفتاح كنوز السنة ـ المقدمة) أنه يمكن اعتبـــار كتب اطراف الحديث فهـــارس . واطراف الحديث كتب تجمع أحاديث كل صحابي وحده وترتب أسماء الصحابة على الحروف ثم يبين موضع كل حديث بـ (عزوه) الى أبواب كل كتاب من كتب الحديث . وفى المكتبة الاسلامية عدد لا بأس به من كتب هذا الفن . وقد طبع

منها مؤخرا كتاب (الاطراف) للمزى يوسف بن عبد الرحمن (ــ ٧٤٢ هـ) .
كما أن هناك فهارس (مصنفة) أى على الابواب ، نجدها لعلمائنا فى كثير من كتبهم .
أما بعد انتشار الطباعة فى البلاد الاسلامية فقد زودت كثير من الكتب والمجلات بفهارس الا أن هذا الفن عندنا لا يزال قاصرا عن بلوغ المستوى الكافى ليكون مفاتيح لكنوز الثقافة الاسلامية .
وأشير هنا الى فهارس ذات قيمة للباحثين لا أقصد بذكرها الحصر ولكن أقصد ذكرها كنماذج .

١ ــ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن : وضعه محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله وهو أفضل ما ألف من فهارس القرآن اللفظية .
وما زلنا بحاجة الى فهرس هجائى مستوف (لموضوعات) القرآن .
وانى لأنظر أيضا الى الوقت الذى يلحق فيه بكل نسخة من نسخ الكتاب الكريم فهرس موضوعى هجائى موجز يعين القارئين لكتاب الله .
٢ ــ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى : وهو فهرس هجائى لفظى من مستوى رفيع ذو قيمة لا تحد لكل من له صلة بالحديث النبوى . وهو ذو قيمة للمعتنين بتاريخ دلالة الالفاظ . وقد فهرست فيه الكتب التسعة الرئيسية من كتب السنة رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين باشراف المستشرق (فنسنك) بجامعة ليدن . وقد تم اصداره حديثا فى سبعة مجلدات ضخمة .
وقد وضع المستشرق فنسنك نفسه فهرسا (موضوعيا) مختصرا لكتب الحديث ترجمه محمد فؤاد عبد الباقى بعنوان (مفتاح كنوز السنة) وهو مطبوع متداول .
٣ ــ فى مجال فهرسة كتب الفقه الاسلامى صدر حديثا فهرس هجائى لحاشية ابن عابدين لأحمد مهدى الخضر .
وصدر حديثا أيضا فهرس لكتاب المغنى فى فقه الحنابلة تمت بتحضيره وأعاننى الله على اكماله ونشرته دار البحوث العلمية بالكويت .
٤ ــ فهرس كتاب (الاغانى) لأبى الفرج الاصبهانى صنعه أحد المستشرقين وترجمه محمد مسعود وطبعه الحاج محمد الساسى بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

٥ ــ فى مجال فهرسة المجلات والصحافة دأبت بعض المجلات العربية على الحاق فهارس هجائية موضوعية بآخر مجلداتها السنوية كما صنعت ذلك مجلة المنار ومجلة الازهر غير انى لا أعلم مجلة عربية أصدرت فهرسا هجائيا يغطى اكثر من سنة واحدة ، فى حين أنه مما ييسر على الباحثين أن تصدر المجلة فهرسا لها كل خمس سنوات أو عشر سنوات وأيسر منه أن تصدر المجلة فهرسا لعدد اكبر من السنوات . بل ان بالامكان اصدار فهرس عام موحد لمجموعة من المجلات التى تشترك فى اتجاه معين .
وهنا اثنى عنان القلم وكلى رجاء الى الله سبحانه أن يأخذ بأيدى العاملين لنفع الأمة الاسلامية وسائر البشرية فيما يوسع ميدان المعرفة وينير آفاقها انه العليم الحكيم .

كيف ترقى رقيك الأنبياء

كيف ترقى رُقيك الأنبياءُ　　يا سماءً ما طاولتها سماءُ
لم يُساوُوك فى علاكَ وقدْ حا　　لَ سنًا منك دونهم وسناءُ
انما مثَّلُوا صفاتِك للنا　　س كما مثَّلَ النجومَ الماءُ
أنتَ مصباحُ كلِّ فضلٍ فما تصـ　　ـدُرُ الا عن ضوئِكَ الأضواءُ
لكَ ذَاتُ العلوم من عالِمِ الغيـ　　ـبِ ومنها لآدمَ الأسماءُ
لم تزلْ في ضمائِرِ الكون تُختـا　　رُ لكَ الأمهاتُ والآبـاءُ
ما مضتْ فترةٌ من الرُّسْلِ الا　　بَشَّرتَ قومَها بكَ الأنبياءُ
تتباهى بكَ العصورُ وتسمو　　بكَ علياءُ بعدَها علياءُ
وبَدا لِلْوجودِ منك كريم　　من كريمٍ آباؤُه كُرَمَاءُ
نسبٌ تحسِبُ العُلاَ بحُلاَهُ　　قَلَّدَتْهَا نجومَها الجوزاءُ
حبذا عِقدُ سُؤْددٍ وفخارٍ　　أنتَ فيه اليتيمة العصماءُ

للإمام البوصيري

وُمحَيًّا كالشمسِ منكَ مضيءٌ   أسفرَتْ عنه ليلةٌ غـرَّاءُ
ليلةُ المولدِ الذى كان للدِّين سـرورٌ بيومِهِ وازدِهـاءُ
وتَوالتْ بُشْرَى الهواتفِ ان قدْ   وُلدَ المصطفى وحُقَّ الهَنَاءُ
وتَدَاعى ايوانُ كِسرى ولوْلا   آيةٌ منكَ ماتداعى البنـاء
وغَـدَا كلُّ بيتِ نارٍ وفيـهِ   كُربةٌ من خمودِها وبـلاءُ
وعيونٌ للفرسِ غارتْ فهل كا   نَ لنيرانِهِمْ بِها إطفـاء
مَولدٌ كان منهُ فِي طَالعِ الكـفْر وبالٌ عليهِمُ ووبـاء
فهنيئًـا له لآمنـةَ الفضْـلُ الذى شُرِّفَتْ به حـوَّاء
مَنْ لحـواء انها حملتْ أحمـد   أو إنهـا بـه نُفَسـاء
يومَ نالت بوضعهِ ابنةُ وَهْبٍ   من فَخَارٍ مالم تنلْه النِّساء
وأتَتْ قَومَها بأَفضلَ مِمَّا   حملتْ قبلُ مريمُ العـذراء
شَمَّتَتْهُ الأَملاكُ إذ وضعتْه   وشَفَتْنَا بقولهـا الشَّفَّاء
رافعًا رأسَـه وفي ذلك الرفـعِ الى كل سُؤْدُدٍ إيمـاء
رَامِقًا طرْفُه السماءَ ومرمَى   عينِ من شَأْنُهُ العلُوُّ العَلاَءُ
وَتدلَّتْ زهرُ النجومِ إليهِ   فَأَضَـاءتْ بضوئها الأرجـاء

الشفاء : قابلة النبي أم عبد الرحمن بن عوف

قصَّة

ذهب الركب الصغير وعاد .. كان قليل العدد حقا بين ركب غفير .

وفرق كبير بين ذهابه وعودته .. فى ذهابه تأسى عليه الآخرون ، وضحكوا منه ساخرين ، وتندروا عليه ليكسبوا رحلتهم ترفيها يسهل عليهم أمر الطريق وفكاهة تهون على قلوبهن مشقته .. أما فى عودتهم فهالهم ما وجدوه عليه من تغير ، وعلتهم الدهشة ودارت فى نفوسهم نسمات الغيرة أحيانا ، وأحيانا عدم التصديق لما يرون اذا لم يرجعوه الى فعل سحر عظيم .

كان الركب الكبير ركب المراضع من نساء البادية .. يذهبن بين الوقت والآخر يلتمسن الأطفال حديثى الولادة يرضعنهم ، ويكسبن لقاء لبنهن ما يحييهن حتى يرزقن فى العام القادم بأطفال جدد .. وكان الامهات وخاصة نساء الاشراف والسادة من قاطنى مكة يلقين بأولادهن الى هؤلاء المراضع ويغدقن عليهن من الاجر والمكافأة وفضل العطاء بمقدار ما يتناسب مع ما طبعت عليه نفوسهن ونفوس أزواجهن من كرم وسماحة وحب للخير .

وارضاع أولاد الاشراف فى مكة من نساء البادية لم يكن بدعا .. بل كان احدى عاداتهم أن يبعثوا بأطفالهم الذكور يعيشون فى أحضان مراضعهم من نساء البادية لاعتقادهم أن جو البادية فيه حرية ونقاء وهواءها المتجدد الصحيح أحسن أثرا فى نموهم الجسمى والفكرى ويطلق لسانهم فى اللغة ويطبع حياتهم من أولها على الشجاعة والفروسية والشعر والحرية وقوة القلب وعلو الهمة ..

والمراضع ــ شأن كل تاجر يبيع بضاعته ــ يسعين الى ما يزيد

النسمة المباركة

للأستاذ عبد المقصود حبيب

كسبهن .. فكن يبحثن اول ما يبحثن عن ذوى الغنى واليسار من الآباء طمعا فيما يمكن أن يجرى عليهن من بر واعطيات ..

• • •

جد ركب المراضع فى سيره .. وكل منهن تطمع أن يكون فى المجهول خير لها .. فترزق رضيعا ثرى الأب غنى الاهل .. مما يضفى عليها الوفير من الخير والنعمة وكل منهن تضحك .. وفى ذهنها أن تقضى رحلتها ضاحكة حتى تواجه رزقها المرجو وهى مستبشرة فيكون من السعة بما يرضى خاطرها ويريح نفسها .

وناهيك عن ركب من نساء يسافرن الى مكة كى يرضعن أبناءها .. كيف يكون ؟ مهما تكن حالة بؤسه .. فقد زاد هذا البؤس على ركب صغير بينهم مكون من امرأة هى حليمة بنت الحارث ، وزوجها وطفل لهما رضيع .. قدموا مع الآخرين الى مكة من بادية بنى سعد .. وحالتهم من دون الركب تدل على شدة الفقر والجدب .. حليمة بادية الضعف والهزال ، وزوجها ظاهر البؤس والفاقة وطفلهما لا يكف عن الصراخ ولا ينقطع عن أنين الجوع .. لا تكاد حمارتها الهزيلة تحملها من شدة ضعفها ، ولا فرق بين ضعفها وهزال ناقة زوجها .

• • •

بينما ذلك الركب يسير فى فيافى الصحراء كانت مكة ما تزال تحتفل بفرحة نصرها على أصحاب الفيل وقائدهم أبرهة .. ويردد أهلها صيحات الفرح والسرور لذلك النصر الحاسم الذى حفظ أم القرى من دمـــار أكيد .. وينشد شعراء القوم أشعارهم ويحدون بها الناس فى أرجـاء مـــكة :

فتنكلوا عن بطن مكة انهـــا — كانت قديما لا يرام حريمهـــا
سائل امير الجيش عنها ما رأى — ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ســتون الفا لم يؤوبوا ارضهم — بل لم يعش بعد الاياب سقيمها

وكان فى بيت من بيوت مكة .. يجلس هناك عبد المطلب بن عبـد مناف .. ينتظـر ما ستلده زوجة ابنـه الفقيد عبد الله . . ويفكـر فيما سترزقه به الاقدار من هذا الجمل الذى أوشك أن يلمس الارض بين لحظة وأخرى .

وأخذت تدور برأسه أفكار كثيرة .. وتزدحم فيه بشارات لخـير قادم اليه رآها فى أشياء كثيرة وبشارات رواها له ناس من قبل .. وألحت عليه ذكرى ذلك اللقاء بينه وبين (سيف بن ذى يزن) عنـدما ذهب اليه عبد المطلب فى صنعاء على رأس وفد من قريش لتهنئتـه بانتصاره على الحبشة واحتفى به سيف بن ذى يزن وقربه فى مجلسـه وأدناه اليه ثم اختلى به وقال له :

ــ يا عبد المطلب .. انى مفض اليك من سر علمى ما لو يكون غيرك لم أبح به ، ولكنى رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره .. انى أجد فى الكتاب المكنـون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خيرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فاهتز قلب عبد المطلب ورد عليه فى تساؤل ملكته الدهشة :
ــ أيها الملك .. مثلك سر وبر فما هو ؟ فداؤك أهل الوبر زمـــرا بعد زمـــر ..
قال له الملك وانظاره الى السماء كأنما يقرأ فى كتاب يراه فى أجواز الفضاء :

ــ اذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامة ، كانت لـه الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة ..

فمرر عبد المطلب أصابعه فى لحيته وتفكر برهة ثم قال للملك سيف ابن ذى يزن :
أبيت اللعن .. لقد أبت بخير ما آب به وافد ولولا هيبة الملك واجلاله وأعظامه لسألته من بشارته اياى ما أزداد به سرورا .
فرد عليه الملك وهو لا يزال محلقا فى سماء الخيال :

ــ هذا حينه الذى يولد فيه .. اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم

الارض يكسر الاوثان ويخمد النيران بعبد الرحمن ويدمر الشيطان قــوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله ..

وما ان انتهى شريط هذه الذكرى من رأس عبد المطلب حتى دخلت عليه من تبشره بمولود جديد .. وتستدعيه الى (الوالدة) آمنة بنت وهب .. فلما جاءها رأى سحابة قد أظلت حجرتها فجعل يمسح عينيه ويقول :

أنا نائم أم يقظان ؟

وفتحوا له الباب .. فاذا المسك يعبق المكان وتفوح رائحته العطرة من أركان الحجرة فاستخبرها فقالت :

ــ يا أبا الحارث ولد لك مولود له أمر عجيب ..

فذعر عبد المطلب وقال :

ــ اليس بشرا سويا ؟

فقالت :

ــ نعم .. ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأســه وسـبابته الى السماء فقال :

ــ دعينى أنظر اليه ..

وحمله بين يديه ، وذهب به الى الكعبة ، وشكر الله على انعامه ، وعوذه ودعا له وأخذ يطوف بالكعبة وهو ينشد :

الحمــــد لله الذى أعطــانى هذا الغــــلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان أعيــذه بالبيت ذى الأركــان
من فاسد مضــطرب العيان حتى أراه بالـــغ البنيــان

كان مولودا عظيما .. تنبأ لمولده العارفون .. وجاءت بشــارات مولده العظيم نورا وسرورا لجده وأمه .. ونصرا لقومه على أصحـاب الفيل وللعالم كله خيرا فى خير .. هــو من دون الآخــرين للحياة فتح مبــين ..

ولدته أمــه آمنة بنت وهب فى عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الاول .. وكان حملها له غير حمل النساء لابنائهن .. كان يسرا وسهولة ونورا مشرقا .. قالت آمنة :

ــ لقد حملت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ..

وكانت تحضر ولادته زوجة أبى العاص فقالت :

ــ لقد شهدت ولادة آمنة ليلة ولدتــه فما شىء أنظره فى البيــت الا نور .. ولقد رأيت النجوم تدنو ثم تدنو حتى لقد خشيت أن يقضى على .

• • •

فرحت به أسرته رغم عدم وجود أبيه .. وظل فى حجر أمه بضعة أيام .. كان ركب المرضعات خلالها وصل الى مكة .. وأخذت نساؤه يجبن الطرقات وتدق أيديهن بيت الوالدات ومروا جميعا ببيت آمنة ولـم

يغرهم ما سمعوه عن نور مولده .. فهم يريدون أهل الغنى حتى يأخذوا من غناهم مالا وفيرا وأجرا كبيرا ..

وحليمة .. مرت بذلك البيت هى الاخرى .. وكانت نظرتها نحو الوليد وفقر أهله ويتمه مثل صاحباتها : فمالت عنه مثلهن ، واخذت تدور على البيوت الاخرى وراءهن ..

وانتهت الدورة .. وخرجت كل مرضعة بما أثلج صدرها وأرضى شوقها فيما تمنت وارادت .. الا حليمة لم تجد من ذلك شيئا فعادت لزوجها عند أطراف مكة وحيدة خفيفة من أى شىء تحمله .. فقال لها :

ــ ما بالك يا حليمة قد عدت من دون الصاحبات صفر اليدين ؟

قالت فى أسى :

ــ حظى اليوم كان نكدا ..

ــ وكيف ذلك ؟

ــ ما وجدت سوى طفل فقير يتيم ، وليس له الا جده وأمه ..

ــ ورغبت عنه ؟

ــ ما عسى أن يصنع لنا جده وأمه وحالنا كما تعلم فى هذه السنة القاحلة ..

فأصاب الرجل صمت ، ودارت فى خاطره شدة عيشهم . وزوجته بجانبه صامتة أيضا لكنها تفكر فى شىء غير حالهما .. انها تفكر فى الوليد اليتيم الذى زهدت فيه وتركته ، ووجدت فى نفسها شيئا مبهما يدفع بها لان تعود اليه فربما لا يكون أخذه أحد .. فنهضت وقالت لزوجها :

ــ اننى والله ما زلت مشفقة على هذا اليتيم مذ رأيته ، وما زالت نفسى تراودنى أن أعود اليه فآخذه ..

ــ هكذا ؟

ــ أى والله .. هكذا

فنظر الزوج حواليه .. ثم رد الطرف الى ناقته وحماره وزوجته ثم طفلهما .. وقال لزوجته فى هدوء واستسلام :

ــ وما علينا اذا أخذناه يا حليمة .. فلأن ترجعى ومعك هذا اليتيم خير من أن ترجعى من دون الرفيقات صفر اليدين ..

فقالت وهى من تفكيرها شبه حالمة :

ــ انى والله به عالقة ..

وأشرق فى قلب الرجل نور وقال :

ــ اذهبى اليه فخذيه لعله يكون لنا بركة ..

• • •

غذت حليمة سيرها واجنحة من الشوق تحملها فوق الثرى .. حتى جاءت بيت آمنة ، واستقبلها عبد المطلب باسما وقال لها :

ــ من أنت ؟

فقالت :

ــ امرأة من بني سعد ..

فسألها من جديد :
ــ وما اسمك ؟
فقالت :
ــ حليمة ..
فزادت بسمته اتساعا ، وتلألأ الاستبشار على وجهه وقال :
ــ بخ بخ .. سعد وحلم .. خصلتان فيهما خير الدهر وعــــز الأبـــــد ..
ولم تكد حليمة تتناول محمدا حتى وضعته فى حجرها وضمته الى صدرها ضم الظامىء الملهوف ووضعت يدها على صدره فتبسم ضــاحكا وفتح عينيه ونظر اليها وخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء .. ولكنها بهتت وزادت دهشتها عندما وجدت ثدييها يحفلان بلبن كثير بعد جدب واعسار .. فرضع حتى امتلأ .. وكذلك ابنها رضع هو الآخـر حتى امتلأ ..
وعادت بالوليد اليتيم الى موقع اقامتها فى حدود مكة وهى فرحة لما فاض عليها من رزق فى ثدييها بعد وشك الجفاف ، وحكت لزوجهــا مالا يمكن أن يتصوره : أن رضع اليتيم حتى شبع ، ورضع ابنهما حتى شبع .. وما زال ثدياها مثقلين بما يحملان والرجل يعجب لمــا يسمع وتتملكه الحيرة فى ارجاع ما تقول حليمة الى سبب ..

• • •

ظل هذا الركب الصغير تحت خيمته يستظل بها حتى يحين موعد العودة .. واشتد الجوع بحليمة وزوجها .. وأرهقهما العطش . . . وضيق الحر انفاسهما وليس هناك ما يطعمانه .. فالناقة جافة الضرع كعهدهما بها .. لا تلين الا كل وقت ووقت وبين الوقتين مدى طويل .. لكن الأمل فى استمرار الحياة دفع به أن يضع يده على ضرع الناقة .. ربما .. وما مسه بيده الا ودر اللبن منه درا غزيرا .. فشرب هو وزوجته ما شاء لهما الرى حتى شبعا ولم يعد عندهما مكان لزيادة ..
نظرت حليمة لزوجها ونظر زوجها اليها .. كلتا النظرتين كـانت واحدة .. تقول من الدهشة والتعجب :
ــ ما هذا ؟
وقال الزوج سريعا يرد على قلبه المتسائل وعلى نظرة زوجتــه التى تحمل نفس السؤال المندهش :
ــ يا حليمة .. لقد ــ والله ــ حصلنا على نسمة مباركة .. الم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه .. فلم يزل الله يزيدنا خــــيرا ..
وأقبـــلا على (محمد) يقبلانه ويضمانه فى حنانهما الغامر وينظران الى وجهه فيشرق نوره الوضىء فى قلبيهما .. ويضفى على فؤاديهمــا راحة كبيرة وطمأنينة فياضة .. وأخـــــذت هى ترقب ذلك الوليــد الذى باركها وتقول :

يا رب اذ اعطيتـــــه فابقـــــه وأعله الى العـــلا وارقــه
وادحض اباطيل العـــدا بحقه

• • •

غادر الركب حدود مكة .. وسار عائدا برضيعه الى مقامه فى بادية بنى سعد وقامت حليمة الى حمارتها البيضاء فركبتها ومحمد على صدرها .. وقام زوجها الى ناقته فامتطى فوق سنامها وابنه الرضيع معه .. واندفعا بالراحلتين الهزيلتين ليلحقا بالركب الذى سبق وأمعن فى السير على طريق العودة ..

قنع هذا الركب الصغير المتخلف براحلتيه الهزيلتين وآمن أنه سيعود وحيدا بعد أن يكون الركب الكبير قد وصل الى أرضه وقضى وقتا طويلا من الراحة والاستقرار ..

ولكن ــ ويا للعجب ــ فهذا الركب قد حصل على نسمة مباركة .. فما هو الا أن وجد الركب راحلتيه وقد استبدلتا بالضعف قوة وبالهزال عافية ونضارة وبالتأخر فى المسير تقدما وبالتريث فى الخطو اسراعا .. حتى لحقا بالرواحل السابقة وأصبحت حليمة تزاحم سابقاتها حتى خلفتهن وراءها .. فأخذن يتضاحكن ولا يصدقن ما رأين فقلن :

ــ ارفقى بنا يا ابنة أبى ذؤيب .. أهذه اتانك العرجاء التى كنت تركبينها فى الغدو ..

فترد عليهن حليمة ضاحكة مستبشرة :

ــ هى العرجاء .. انها والله هى ..

فيملؤهن العجب .. وينبو الامر بهن عن التصديق الا لو أرجعنه الى سحر عظيم .. ويقلن فى نفوسهن :

ــ حقا .. انه لشىء عجيب ..

ــ لا والله .. ان لها لشأنا ..

• • •

عادت حليمة الى أرضها بكسب كبير ــ كانت رفضته أول الامر .. ولكن رفق الله بها وبمن أراد أن يصنعه على عينه ، وان يحمله رسالته لهداية الخلق ــ من عليها وأشفق به .. فعادت وحملته فى ذراعيها .. فكثر لبنها بعد اقلال واشبعه مع ابنها بعد أن لم يكن يكفى ابنها . . وامتلأ ضرع ناقتها بالغذاء بعد أن كانت وزوجها يتضوران من الجوع أوقاتا طويلة حتى تحن الناقة .. ويكرمهما ضرعها بجرعات ممعنة من القلة ..

ونظرت حليمة .. فوجدت أن الخير أقبل عليها من كل ناحية .. والبركة تحل عندها فى كل شىء .. حتى أغنامها تخرج الى المراعى مع أغنام غيرها فتعود أغنامها ممتلئات الضروع ريانة العود .. ويظن الناس أن أغنامها ترعى فى المراعى الخصيبة وأغنامهم ترعى فى المراعى القاحلة ..

ولكن .. لم يظن أحد منهم مطلقا .. أنها عادت من رحلتها الى مكة بالبركة .. تحمل رسول الخير والبر .. الى الوجود كله ..

• • •

الفتاوى

حكم الصلاة فى النعال

هل يجوز للمسلم دخول المسجد ونعلاه فى قدميه والصلاة بهما فى كل وقت ؟

يجيب على هذا السؤال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف :

فى صحيح البخارى عن سعيد بن زيد الأزدى قال : سألت انس بن مالك : « أكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه ؟ قال : نعم » وقال الحافظ فى الفتح : هو محمول كما قال ابن بطال على ما اذا لم يكن فيهما نجاسة والصلاة فى النعال من الرخص لا من المستحبات كما ذكره ابن دقيق العيد لأن ذلك لا يدخل فى المعنى المطلوب من الصلاة .

وعن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم : « انه صلى فخلع نعليه فخلع الناس نعالهم فلما انصرف (أى من الصلاة) قال لهم : لم خلعتم ؟ قالوا : رأيناك خلعت فخلعنا ، فقال : ان جبريل اتانى فأخبرنى أن بهما خبثا بولا أو غائطا ، فاذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما ، فان رأى خبثا فليمسحه بالارض ثم ليصل فيهما » (رواه أحمد وأبو داود) .

وقال النووى فى المجموع بعد أن أورد هذا الحديث : انه يؤخذ منه جواز المشى فى المسجد بالنعل ، وأن الصلاة فى النعال الطاهرة جائزة اهـ.

ونقل الشوكانى عن صاحب منتقى الأخبار أنه يؤخذ من هذا الحديث أن دلك النعال يجزىء ، وأن الصلاة فى النعلين لا تكره ـ اهـ .

وقال انه يؤخذ منه أيضا جواز المشى فى المسجد بالنعل ـ اهـ .

وقد ورد مرفوعا : خالفوا اليهود فانهم لا يصلون فى نعالهم ولا خفافهم فيفيد استحباب ذلك من جهة قصد المخالفة المذكورة ، فاذا كان اهل الكتاب اليوم يصلون فى النعال فلا استحباب فى صلاتنا بالنعال ، ويبقى أنها رخصة فقط مقيدة بالطهارة من النجاسة ، فيجوز لمن تحقق خلو نعليه منها ان يصلى بهما فى المسجد وغيره ما شاء من الفرائض والنوافل .

ولا يصح اعتقاد عدم جواز الصلاة فى النعال بعد ثبوت الجواز عن الشارع ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى مرة بغير نعال واخرى بنعال طاهرة .

غير ان الجائز شرعا يستوى فيه طرفا الفعل والترك ، ورخصة الجواز يجوز العمل بها ويجوز تركها ، ولنا مع اعتقاد الجواز وبيانه ان نرجح أحد

الجائزين على الآخر بما يقتضيه ظرف الزمان وظرف المكان . وأهل الكتاب عامة يصلون الآن فى معابدهم بالنعال والأحذية فنخالفهم فى ذلك .

ولا شك أن المساجد اليوم من حيث الفرش والنظافة غيرها فى العهود السابقة ، والطرق غير الطرق ، فاذا رجحنا للعامة الذين لا يقفون عند الحدود ولا يفقهون مواقع القيود الدخول فى المساجد والصلاة فيها بغير النعال لم نجاوز فى ذلك أصلا شرعيا ، والله أعلم .

فى التسمية

هل يجوز شرعا التسمية بعبد النبى ؟

عيسى المطيرى ــ الكويت

الاجابـــة :

لا يجوز شرعا التسمية بعبد النبى خشية اعتقاد العبودية للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت أن بعض الصحابة كان اسمه قبل الاسلام عبد العزى فسماه الرسول بعد الاسلام عبد الرحمن ، وتكرر ذلك لعدد منهم .

الوضوء فى المسبح

هل يجوز أن أتوضأ فى المسبح (الحمام) مع العلم بأن فيه المحل المعد لقضاء الحاجة ، ولا يتيسر لى الوضوء فى غيره .

داود الشاغورى ــ الكويت

الاجابـــة :

يجوز الوضوء فى هذا المسبح مع وجوب التحرز عن النجاسة ، ومن الأدب الذى يجب الأخذ به تعظيم ذكر الله تعالى وأسمائه فلا تذكر فى مواضع قضاء الحاجة .

فى الميـــراث

توفيت امرأة عن أختين شقيقتين ، وعن أولاد بنت ، وعن أولاد عم أشقاء ذكور وإناث فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث وما نصيب كل وارث .

عيسى حمـــدان ــ بيروت

الاجابـــة :

للأختين الشقيقتين الثلثان فرضا ، والباقى للذكور من أولاد العم تعصيبا ، وأما أولاد البنت فلا شىء لهم .

في الوضوء

سافر جماعة في الصحراء وعندهم بعض المـاء للشرب ، فأراد أحـد المسافرين أن يتوضأ من هذا الماء فمنعه اخوانه من ذلك فما الحكم الشرعي

مطير الصداوي ـ الكويت

الاجابـة :

اذا كان الماء محتاجا اليه في أمر ضروري كشرب حيوان محترم ، فلا يجوز استعماله في الوضوء ، والواجب التيمم .

صلاة المراة في المسجد

ما هو الأفضل للمرأة اتصلي في المسجد أم في بيتها ؟

س.أ ـ البصرة

الاجابـة : يجوز للمرأة أن تصلي في المسجد بشرط أن تكون مستـورة العورة مأمونة الفتنة وصلاتها في بيتها أفضل .

تكرار الفاتحة

ما حكم صلاة من يكرر قراءة الفاتحة في الركعة الواحدة وهل هذا مبطل للصلاة .

عز الدين اسماعيل ـ البحرين

الاجابـة : لا تبطل الصلاة بتكرار قراءة الفاتحة في الركعة ولكنه خـلاف السنة .

التماثيـل

جاء في القرآن الكريم ان سيدنا سليمان كانت الجن تصنع له التماثيل ، فهل يجوز ذلك عند المسلمين ؟

هشام الدباغ ـ سوريا

الاجابـة : تمثيل غير ذي الروح لا يمنع منه الشرع ، أما تمثيل ذي الروح فهو حرام ، وعلى فرض ان تمثيل ذي الروح كان جائزا في شرع سليمان عليه السلام ، فان شرع من قبلنا ليس شرعا لنا .

حكم الاجهاض

هل يجوز شرعا اجهاض من حملت سفاحا ؟

زايد ن.ع ـ دبي

الاجابـة :

الجنين في نظر الشـارع محترم يحافظ عليه ولو كان من زنا بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقم الحد على من زنت وكانت حاملا حتى وضعت ، وفي رواية حتى مضى زمن بعد الوضع ترعى فيه الجنين ، فلا يكون مجرد كونـه من زنا موجبا لاسقاطه .

قالت صحف العالم

من صفات الرسول

نشرت مجلة لواء الاسلام القاهرية تحت هذا العنوان تقول :

جاء فى الحديث القدسى ان الله تبارك وتعالى قد قال فى التوراة عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : »

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا اله الا الله ، فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا » .

رواه البخارى .

يروى فى مناسبة هذا الحديث أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قرأ قوله تعالى : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .. » ثم ذكر أن هذه الآية التى وردت فى القرآن الكريم قد جاء مثلها فى التوراة ، ثم ذكر الحديث كما سبق .

ويروى أن عطاء بن يسار لقى عبد الله بن عمرو فقال له : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فقال عبد الله : أجل ، والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ، ثم ذكر الحديث . وكان عبد الله بن عمرو قد قرأ التوراة وعرف ما فيها ، ولذلك أتجه اليه عطاء بالسؤال .

« شاهدا » : الشاهد هو الحاضر ، والشهيد صيغة مبالغة من المادة ، وجاء فى حديث على عن النبى « وشهيدك يوم الدين » أى شاهدك على أمتك يوم القيامة ، . والمعنى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام يشهد يوم القيامة عند الله تعالى لأمته التى تابعته بأنها صدقته ، وعملت بدعوته ، ويشهد على الكافرين بأنهم كذبوا وأعرضوا .

ولقد ورد فى سورة الأحزاب قوله تعالى : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا » وجاء فى سورة الفتح : « انا أرسلناك شاهدا » وفى سورة المزمل : « انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا » .

« ومبشرا » : البشرى هى الخبر السار الذى تنبسط له بشرة الانسان ، والمعنى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يبشر المؤمنين بالجنة . والمبشر والبشير بمعنى .

« ونذيرا » : الانذار هو الاعلام مع تخويف وتحذير ، يقال : أنذرته انذارا اذا أعلمته وحذرته ، والمنذر أو النذير هو المخوف والمحذر ، والذى يخبر القوم بما يكون قد دهمهم من عدو أو غيره . وفى صفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه : « كان اذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر جيش ، يقول : صبحكم ومساكم » وفى شأن صفتى « المبشر والنذير » جاء قوله تعالى فى سورة البقرة : « انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » وفى سورة الأعراف : « ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » . وفى سورة هود : « الا تعبدوا الا اياه اننى لكم منه نذير وبشير » . وفى سورة الأسراء : « وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا » . وفى سورة سبأ : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

« وحرزا » : الحرز هو الحصن ، وتقول : احرزت الشىء اذا حفظته وضممته اليك وصنته عن الأخذ ، وفى حديث الدعاء : « اللهم اجعلنا فى حرز حارز » أى كهف منيع .

« للأميين » : الأميون جمع أمى ، وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب ، وقيل انه الذى لا يكتب وان قرأ ، والمراد هنا بالأميين هم العرب ، لأنهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون وفى الحديث : « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » وفيه أيضا : « بعثت الى أمة أمية » أى على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة ولا الحساب ، فهم على جبلتهم الأولى ، وقد جاءت كلمة « الأمى » وكلمة « الأميين » فى مواطن من القرآن الكريم .

ففى سورة الأعراف : « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . وفى سورة البقرة : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون » . وفى سورة آل عمران : « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » . وفى السورة نفسها : « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك ، الا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » : وفى سورة الجمعة : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

« سميتك المتوكل » : اي المتوكل على ربه المعتمد عليه فى الرزق والنصر والتوفيق الواثق بتمام وعده ، الصابر على انتظار ثوابه . والله تعالى يقول لرسوله فى القرآن المجيد : « فاذا عزمت فتوكل على الله » .

المسجد الأقصى

المسجد الأقصى ــ أعاده الله ــ كان وقت الاسراء والمعراج برسول الله صلى الله عليه وسلم خرابا ، ودعــوة الاسلام فى هذا الحين لم تكن قد وصلت الى فلسطين حتى يمكن أن يقال انه كان يوجد فى القدس مسلمون يــؤدون الصلاة فى مكانه ، فكيف سماه القرآن مسجدا حيث يقول الله سبحانــه : **« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » ؟**

اسماعيل الدفتردار ــ تركيا

ما ذكره السائل عن المسجد الاقصى يمكن أن يقــال عن المسجد الحرام ، فقد سماه الله مسجدا مع أنه كــان فى ذلك الحين بيتا للأصنام ، وقد سمى الله كلا منهما مسجدا بالنظر الى ما كان عليه وما بنى من اجله ، فقد انشىء كل منهما للعبادة الصحيحة ، ويمكن ان يقال فى صحة هــذه التسمية إنه اخبار من الله تبارك وتعالى واعلام لنبيه وللناس كافة ان كلا من هذين المكانين سيصبح عما قريب مسجدا مطهرا للمسلمين .

اهانــة العلماء

كثر فى هذه الايام الاستخفاف بالعلماء ، والتهجم على كتب العلم القديمة والتهوين من أمرها ، كما كثر اتهام العلماء بالجمود والتشنيع على تراثنا بعــدم ملاءمته للعصر الحاضر ، فلماذا لا يقوم العلماء برد هذه التهم عنهم ؟

عبد الله الواحدى ــ الكويت

هذه حملة مدبرة يراد بها النيل من الاسلام وصرف الناس عنه ، حملة للهدم لا للبناء ، وللفسوق لا للايمان ، وكثير من المسلمين قد ينساقون فى هذا التيار بدافع الغرور بأنفسهم مع أنهم يعيشون عالة على أسلافهم وكتبهم ، وقد تعرض الاسلام وعلماؤه لمثل هذه الحملات فى عصور كثيرة ، وانتهت هذه الحملات بالفشل ، وبأصحابها بالخزى ، وبقى الاسلام صرحا منيعــا ، وبقى علمــاؤه مصابيح هادية ، ترمقهم الأجيال بعين الاكبار والاجلال .

وقد وجهت مثل هذه الرسالة الى المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا فقال فى رده عليها : وأما سب العلماء واهانة الكتب الدينية فهو من اكبر المعاصى لأنه يسقط احترام العلم والدين من نفوس الجاهلين ، ويجرىء السفهاء على الفضلاء ، حتى تكون الأمــة فوضى ليس فيها كبير يحترم لفضله ، ولا عالم يقدر لعلمه .

ولا يضير الشمس من بعينــه رمق ، ولا يغض من حلاوة المــاء مرارة الفم .

والشاعر العربى يقــول :

كناطح صخرة يوما ليوهنها … فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

النقـــوط

عادة بلادنا فى الأفراح والمناسبات السارة كالميلاد وعيد الزواج أن يقدم الأهل والأصدقاء الى أصحاب المناسبة هدايا نقدية أو عينية ، ويقضى العرف بأن ترد هذه الهدايا أو أكثر منها الى أصحابها عند المناسبات ، فهل هذا حـلال أو حرام ؟

درويش الطهطاوى

كل ما يبذل من المال بالرضا والاختيار تبرعا ، فلا حرج على باذله ، ولا على المبذول له الا ان يقصد به الاعانة على محرم ، والنقوط عادة يقصد به المساعدة ، ولا يقصد به شىء من المحرمات ، وانما هو اكرام وهدية تؤكد الود وتقـوى الأخـوة ، والأصل فى جميع التبرعات الاباحة .

المـولى

كثيرا ما نسمع هـذه الكلمة يقولها بعض الناس للعلماء أو للرؤساء ، تعظيما لهم فيقولون مولانا لفلان من الناس ، مع أننا نعلم ان المـولى هو الله ، وقد جاء فى القرآن الكريم ، ((**بل الله مولاكم**)) فما رايكم فى هذا ؟

ابو اياد ـ سوريا

لا بأس باطلاق لفظ المولى على الانسان للتكريم أو التعظيم ، وقد بين الله تبارك وتعالى ان المؤمنين يعظم بعضهم بعضا ، وليس كل ما أطلق على اللـه عز وجل يحرم اطلاقه على المخلوق كما هو معلوم من لفظ رءوف ورحيم ، ومن تسمية بعض المسلمين اولادهم بالحكيم والرشيد ، وقد استعمل المسلمون لفـظ المولى من عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا العهـد وهو بمعنى السيد ، وشاع عندهم اطلاقه على المعتوق ، فكانوا يقولون : زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنه ، ومن استعماله بمعنى السيد قول الخنساء فى أخيها صخر :

وان صخرا لمولانا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتوا لنحـار

البتـــول

تلقب السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم بالبتول فما معنى هنا اللقب ؟

قيس الهمذانى ـ بغداد

البتول : لغة النبت الأملود الذى يقطع عن أصله ، والبتول مـن النساء العذراء المنقطعة من الأزواج ، وقيل هى المنقطعة الى الله تعالى عن الدنيا ، والتبتل الانقطاع عن الدنيا .

والبتول لقب اطلق على :

١) السيدة فاطمة الزهراء بنت النبى صلى الله عليه وسلم من زوجـه خديجة بنت خويلد ، وزوج على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولقبت بالبتـول لأنها انقطعت عن لداتها فى السن لما كانت عليه من طيب الشمائل .

٢) مريم بنت عمران وأم المسيح عليه السلام ، ولم يرد هذا اللفظ فـى القرآن الكريم نصا ، ولكن تشير اليه الآية :

((يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)) .

بأقلام القراء

ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشىء من سيرته

يقول الشيخ عبد الله السند تحت هذا العنوان :

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى الخلق جميل الصورة صحيح الجسم ، وكانت ولادته فى عام الفيل فى الليلة الثانية عشرة أو التاسعة من شهر ربيع الاول الموافقة للعشرين من شهر ابريل ، وكان العام هو الحادى والسبعين بعد الخمسمائة من مولد المسيح عليهما الصلاة والسلام ، وقد توفى والده وهو حمل فكفله جده شيبة الحمد فأرضعته أمه ثلاثة أيام وكذا ثويبة مولاة أبى لهب عدة أيام ، وكانت نساء قريش لا يرضعن الأولاد فعهد جده بارضاعه لحليمة السعدية وجعله فى قبيلتها بالبادية لينشأ فى العيشة الخلوية ، ثم ردته حليمة الى امه بعد أربع سنين فحضنته الى أن توفيت وله ست سنين فأصبح صلى الله عليه وسلم يتيم الأبوين فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين ثم توفى بعد أن اوصى به أبا طالب عمه فحاطه بعنايته كما يحوط ولده واهله الا أنه كان لفقره يعيش عيشة القشف فلم يتعود صلى الله عليه وسلم نعيم الترف وذلك فى عنايته تعالى بتربية هذا الرسول الكريم عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم .

ولد صلى الله عليه وسلم يتيما ، ونشأ فى قومه فقيرا ومات والده فى سن الشباب ولم يترك له مالا الا خمسة جمال وبضع نعاج ، وكان قد ألف رعى الغنم مع اخوته فى الرضاع فصار يرعى لأهل مكة فيوفر على كافله أبى طالب بما يأخذ على ذلك من الأجرة ثم سافر مع عمه أبى طالب فى تجارته الى الشام وله من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ، وهنالك رآه بحيرا الراهب وبشر به عمه أبا طالب وحذره من اليهود عليه بعدما راى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم أنه سافر الى الشام مرة ثانية متجرا بمال خديجة تجارة المضاربة فأعطته افضل ما كانت تعطى غيره اذ جاءت تلك التجارة بأرباح مضاعفة بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة .

كانت خديجة بنت خويلد أعقل وأكمل امرأة فى قريش حتى كانت تدعى فى الجاهلية « الطاهرة » لما لها من الصيانة والفضائل الظاهرة ، ولما حدثها غلامها ميسرة بما رأى منه عليه الصلاة والسلام فى رحلته معه الى الشام من الاخلاق العالية والفضائل السامية وما قاله بحيرا الراهب لعمه أبى طالب تعلقت رغبتها بأن تتخذه بعلا بل سمت أفكارها الى ما هو أعلى ، فتم ذلك الزواج الميمون ، وكان هو ابن خمس وعشرين وهى ابنة أربعين ، وتوفيت رضى الله عنها بعد البعثة بعشر سنين ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها ، ولا أحب أحدا مثلها ، وكان طول عمره يذكرها .

نشأ يتيما شريفا وشب فقيرا عفيفا ، لم يصبه شىء من رجس الجاهلية فلم يعبد عبادتهم ولم يحضر سامرهم ولا ندوتهم ولم ينظم الشعر كما كانوا ينظمون

ولا عنى بالخطابة كما كانوا يعتنون ، ولم يؤثر عنه قول ولا عمل يدل على حب الرياسة أو البحث فى شؤون السياسة ، ولم يشاركهم فى شىء من خرافات الجاهلية وضلالات الشرك ولا من المفاخرة الكلامية وشؤون الغزو والحرب ، بل كان يحب العزلة ويألف الوحدة ، وروى أنه فى حداثته حضر سمرهم مرتين ألقى الله فيهما عليه النوم .

ولد من اصطفاه الله لرسالته واختاره لاخراج الناس من الظلمات الى النور من الباطل الزهوق الى الحق الذى هو أحق أن يتبع من عبادة الاوثان والتمسك بالاوهام الى توحيد الله العلى الكبير من تعاظم الانسان على أخيه الانسان الى الحب فى الله والأخوة فى الدين ، من تنافر الآراء وتعدد الأهواء وفوضى النظم وتباين المشاعر وتشتت السبل والاهداف الى الوحدة فى المعتقد والوحدة فى الاتجاه من تحين الفرص للسلب والنهب وغزو الآمنين والافتخار بالظلم والانتقام الى الدأب على نشر الهدى والايمان والمسارعة الى اعلاء كلمة الله .

وهكذا كانت الرسالة تحمل الهدى للارواح بعد ضلالها ، وتشيع الثقة فى النفوس بعد حيرتها واضطرابها ، وتنشر الأمن والسلام فى الناس بعد ذلك الشقاق القاتل ، وبعد تلك الحروب المبيدة ، وكانت تبدل الشحنات والبغضاء بالمودة والألفة والايثار والمشاركة فى الشعور بالآلام والمسرات بحيث يكونون كالجسد الواحد يتألم بعضه للبعض الآخر ، وكالبنيان يشد بعضه بعضا .

وبعد أن طهرت القلوب من فاسد الاعتقاد ودنس الاباطيل ملأتها هدى ويقينا ، وعفة وايمانا ، وجرى فى عروقها الاعتزاز بالله سبحانه وحب العمل الصالح الخالص فى سبيل الله فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس قال الله عز وجل : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » .

وقد علمتهم آيات الله وسيرة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يتواصوا بالصبر ويتواصوا بالرحمة بعد أن ــ أوجبت على كل مؤمن أن يصبر ويثبت ، أمرتهم مجتمعين أن يوصى بعضهم بعضا بذلك ففرضت عليهم أن يكونوا مثبتين لا مثبطين ، ومناصرين لا مخاذلين ، أوجبت عليهم وجوبا حتميا أن يتعاونوا على دفع ما يحل بهم من المصائب والنوازل ويكونوا يدا واحدة عندما تقع على الأمة الكوارث وتشتد الأزمات ، وتدلهم الخطوب ، وكانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قد أقرت فى نفوس المسلمين أن رأس الحكمة مخافة الله تعالى وبمخافة الله عز وجل استطاعوا أن يسيطروا على نزعات النفوس وهواها الذى استولى على العصاة فأوردهم النار وبئس الورد المورود .

أما المؤمنون الصادقون فقد نهوا أنفسهم عن هواها واستعانوا بالخوف من الله فأنجاهم جل شأنه وأدخلهم فى رحمته .

لقد تجمعت الفضائل البشرية ومكارم الاخلاق فى خلق الرسول محمد وفى سيرته صلى الله عليه وسلم ، فكان المثل الأعلى فى كل فضيلة ، وكان العبقرى الفذ فى كل معرفة ، وكان أفضل البشر فى كل مكرمة وسبحان من قال له : « وانك لعلى خلق عظيم » فكان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس ، وأفصح الناس وأعلم الناس ، وأسخى الناس ، وأعدل الناس وأعف الناس غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه ، فزاد فى عبادته ، وكان يقوم من الليل ما شاء الله ، ولما قيل له فى ذلك قال : افلا اكون عبدا شكورا ، وكان صلى الله عليه وسلم يجالس الفقراء والمساكين ، ويبدأ أصحابه بالسلام وكان كواحد من سائر المسلمين وتراه يساعد أهله فى شؤون بيته كان يفعل ذلك واكثر من ذلك ليضرب للمؤمنين

أمثلة عملية فى الابتعاد عن الكبر وعن التعاظم ، ويعلمهم ان الطيب من الناس من كان طيبا بأفعاله واخلاقه لا بمنصبه وجاهه .

فصلوات الله وسلامه عليه فى الأولين والآخرين .

. . . .

دعـــاوى المبطلين

وكتب الأستاذ محمد سيد احمد المسير تحت هذا العنوان يقول :

ذات مساء قابلنى شـــــاب تجاذبت معه الحديث حول مشكلات العالـــم الاسلامى .. واذا بآخر يقحم نفســـــه بيننا ويقول : ـــ فيم تتناقشون ؟ وعـــم تتساءلون ؟ دعونا من الاسلام ودعاوى الايمان .. لقد سحق المسلمون واستبيح دمهم وديست مقدساتهم .. فأين الهكم يحول بينكم وبين ما أنتم فيه من ضيـــاع وتشرد ومذلة وهوان .. دعونا نواجه المعتدى بالصواريخ وتكنولوجيا العلم ...

يا سبحان الله !!..

انطلب ايمانا يهدر السنن الكونية ويتكفل عنا بأعباء الحياة كما قال بنـــو اسرائيل لموسى عليه السلام « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » ؟ !!

ان مسلمى مدرسة النبوة حين خالفوا أمرا من الرسول صلى الله عليـــه وسلم فى غزوة أحد حاقت بهم هزيمة مروعة .. أفنبغى ـــ نحن ـــ نصرا ملائكيا ـــ ان صح التعبير ـــ ونحن ننأى عن هدى الله ونتنكب صرطه المستقيم ؟ !!

ان الكعبة ـــ فى عهد الاسلام ـــ رميت بالمنجنيق وهدمت أكثر من مرة ولم ينزل الله تعالى على مرتكبى هذا الجرم « طيرا أبابيل » كما فعل بأبرهة الحبشة .. لماذا ؟ لأنه فى العهد الأول لم يكن للايمان جند فتكفل الله تعالى بحماية بيتـــه ليظل مثابة للناس وأمنا .. وحين فتح المسلمون مكة استودع الله سبحانه بيتـــه الحرام أيدى المسلمين ليبتليهم « وليمحص الله الذين آمنوا » ...

ثم ان الايمان ليس تقاعسا عن الحياة ونضالها انتظارا لخوارق العادات فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الذين يزعمون ذلك انما يريدون ان يسلبوا الانسان خصائصه النوعية ويهـــووا به الى مكان سحيق يلتقى فيه بالقـــردة والخنازير وهوام الارض ..

وان المسلمين يوم عرفوا طريقهم الى كتـــاب الله واستلهموه رشـــــدهم وصبروا وصابروا واوذوا وقتلوا ـــ جاءهم نصر الله وقادهم الى أمة هى مـــن التاريخ غرته ، ومن الزمان ربيعه ، ووصلوا الى حضـــــارة الارض وسعـــادة السماء ..

وان دعاوى العلم والتقدم التكنولوجي كلمة حق أريد بها باطل ... فهل الايمان عاق المسلمين عن تقدمهم الحضارى أم أن تخليهم عنه هو سبب ترديهم الحيوانى ؟!

ان المسلمين يوم رغبوا عن دينهم تناهشتهم ذئـــاب الأرض ، وأضحـــت مصائرهم بيدى المستعمر الدخيل ...

واذا كان البحث العلمى قد صودر يوما ما بقانون كنسى .. فان التهمة لا يمكن بحال من الأحوال أن يتناقلها غر ليلصقها بالاسلام الذى أتاح للفكر مناخه الصحى بتلك الاشراقة الأولى للوحى الآلهى .. « اقرأ باسم ربك الـــذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .. » ..

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : رفع معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية تقريرا الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم عن مؤتمر علماء المسلمين السادس الذى انعقد فى القاهرة فى الشهر الماضى .

● مثل الكويت فى مؤتمر علماء المسلمين الذى دعا اليه مجمع البحوث الاسلامية بالازهر معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية وسعادة وكيل الوزارة المساعد .

● وافق مجلس الامة على مشروع قانون الوصية الواجبة وأعلن المجلس استنكاره للمحاولات التى ترمى لضرب المقاومة الفلسطينية .

● قام وفد صومالى برئاسة وزير الخارجية بزيارة البلاد وقد أجرى مباحثات مع المسئولين استهدفت تدعيم التعاون الاسلامى .

● صرح معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بان الحرب الدائرة بين العرب والصهيونية جهاد فى سبيل الله . وقال ان الاسلام كل لا يتجزأ ، وان انحراف البعض لا يجيز للآخرين أن يتأخروا عن واجبهم .

● شكلت لجنتان فى وزارة التربية لمقابلة المتقدمين محليا لوظائف التدريس فى العام القادم .

القاهرة : عقد مؤتمر علماء المسلمين السادس فى القاهرة وقد ألقى الرئيس انور السادات كلمة فى العلماء قال فيها : نحن مقبلون على أكثر المعارك شراسة فى تاريخ الأمة الاسلامية وسنخوضها مهما كانت ضراوتها ومهما كان الثمن وقال الرئيس السادات : على أرضنا كان الصمود دائما دفاعا عن الاسلام ومقدساته ..

● قرر المؤتمر العالمى للجمعيات والمنظمات الاسلامية الذى انعقد فى الشهر الماضى انشاء بنك اسلامى واتخذت الاجراءات لجمع أسهمه من الدول الاسلامية كما قرر تنشيط الفكر الاسلامى وانشاء اتحاد عالمى للشباب المسلم .

● قام وفد أزهرى برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر بجولة فى امارات الخليج العربى لتدعيم التعاون الاسلامى بين الازهر وامارات الخليج .

● سيفتتح الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الازهر ٣ معاهد دينية فى محافظة الشرقية وستبدأ الدراسة بها أول العام القادم .

● وافق مجلس الأمة بالاجماع على اصدار سندات الجهاد على الخزانة العامة لمدة عشر سنوات .

السعودية : قام السيد عمر السقاف باجراء مباحثات مع المسئولين فى القاهرة حول الاستعانة بعدد كبير من المعلمين فى مدارس وجامعات المملكة .

● تقوم رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بدعم جهود المراكز الاسلامية فى العالم بالمكتبات الثقافية والاسلامية .

● قدمت المملكة دفعة كبيرة من المعونة التعليمية لليمن وسيتم ارسال دفعات أخرى قريبا .

● قام وفد ثقافى سعودى حيث اتفق مع المسئولين عن التعليم فى المغرب على أمور تهم البلدين فى مجال التربية والتعليم .

الاردن : اشتعلت المعارك فى الشهر الماضى بين الجيش الاردنى والفدائيين خاصة فى جرش

وعجلون واربد وامتد التوتر الى عمان نفسها وقد سحبت كل من السودان ــ ومصر ــ وليبيا ــ من قبل ضباطها من لجنــة المتابعة العربية .

● كشف السيد روحى الخطيب عمدة القدس السابق عن مخطط صهيونى يرمى الى الاستيلاء على ساحات المسجد الاقصى وتحويلها الى أماكن عبادة يهودية وقد كونت اسرائيل منظمة لهذا الغرض أسمتها « أمناء جبل المبيت » .

● وجه مدير عام اليونسكو نداء الى شعوب العالم لتقديم العون اللازم لتربية ابنــاء اللاجئين الفلسطينيين واعلن مدير المنظمة العالمية أن جهود المنظمة قد يكون مآلها الفشل لقلة الاعتمــادات وتزايد اللاجئين .

● قامت القوات الاسرائيلية بهدم مسجد فى منطقة الجليل وعشرة بيوت عربية واعتقلت أصحابها .

● قامت شرطة الامن فى عمان بحملة على الشباب الذين يقلدون « الهيبز » حيث كانت تقتــادهم لتقص شعورهم حفاظا على الاخلاق .

العــراق : تبحث المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس استبدال الارقام العربية المستعملة حاليــا فى العالم وفى دول المغرب العربى بدلا من الارقام الهندية المستعملة الآن فى المشرق العربى .

● بدأت محافظة السليمانية باستعمال اللغة الكردية الى جانب اللغة العربية فــى المراسلات والمكاتبات الرسمية داخل المحافظة .

سوريا : وقعت اتفاقية بين سوريا وتركيا لحل مشكلة أملاك كل منهما الموجودة فى البلد الآخر .

لبنــان : قام رئيس الوزراء اللبنانى بجولة فى كل من دمشق وبغداد والسعودية لتوطيــد العلاقات بين البلدان الثلاثة ولبنــان .

الســودان : اجرى وزير الارشاد القومى السودانى مباحثات مع المسئولين فى العربية المتحــدة استهدفت تدعيم التعاون الثقافى الاسلامى بين البلدين وتم الاتفاق على تزويد السودان بالمصاحف المرتلة والمجودة والمكتبات الاسلامية .

ليبيــا : يعد قريبا مشروع لانشاء مركز للبحوث والدعوة الاسلامية بمدينة طرابلس .

● عقدت ليبيا اتفاقات لتبادل اليد العاملة مع كل من العربية المتحدة وتونس .

تونــس : تنظم اللجنة الثقافية للجهوية بسدسة مسابقتها السنوية الرابعة بين الشبان لحــفظ القرآن الكريم بجوائز مالية للفائزين .

الجــزائر : أسفرت حملة التضامن من أجل الشعب الفلسطينى التى نظمها حزب جبهــة التحرير مع وزارة الاوقاف الجزائرية عن جمع مبلغ ٣١٥ ألف جنيه استرلينى .

المغــرب : سيقوم عدد من المهندسين الأوزبكيون بترميم منارة جامع الكتبية بالمغرب والذى يرجــع تاريخه الى القرن الثانى عشر .

● تلبية لطلب المؤتمر التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى من المغرب قامت المغرب باهداء عــدد ضخم من المصاحف بخط مغربى الى نيجيريا .

تركيــا : أسس جماعة من الاساتذة الجامعيين وكبار الاسلاميين المتخصصين جمعية على مستوى علمى عال لبحث المسائل الاجتماعية والاقتصادية على ضوء الاسلام .

باكستان : اشتعلت الحرب الاهلية فى باكستان الشرقية لقمع الحركة الانفصالية التى دعا اليهــا مجيب الرحمن لكن الامور سرعان ما هدأت وعادت الى طبيعتها فى باكستان .

الهنــد : يقوم وفد من علماء الهند فى جامعة بنارس الاسلامية بجولة فى بعض الدول الاسلامية وامارات الخليج العربى .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

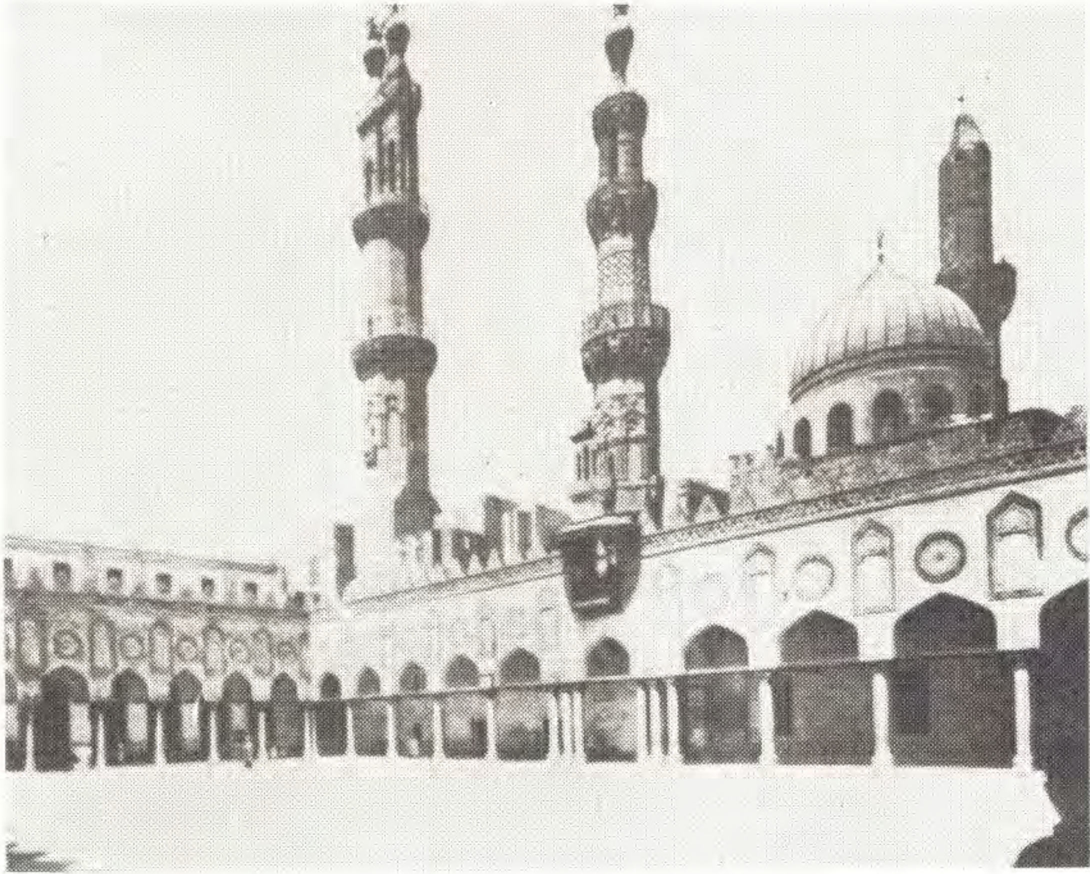
اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

السنة السابعة ـ العدد ٧٦ ـ غرة ربيع الآخر ـ ١٣٩٠ هـ ـ ٢٥ مايو « أيار » ١٩٧١ م







١) الجامع الازهر من الداخل
٢) حلقات الدرس القديمة فى الازهر الشريف



أحد مساجد المدينة المنورة ، وينسب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهو مع بساطة بنائه ترتفع منارته البيضاء مشرقة وضيئة ، وتلوح قبته من خلال الأغصان المورقة ..

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السابعة

العدد السادس والسبعون

غرة ربيع الآخر سنة ١٣٩١ هـ

٢٥ مايو « أيار » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

ذكرى المولد النبوي الشريف

رسول الخير والبر

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المولد النبوى الشريف فى مسجد السوق الكبير بعد صلاة العشاء يوم الخميس ١١ من ربيع الأول ، وتولت الاذاعة والتليفزيون نقل وقائع الاحتفال وفى مستهل الحفل ألقى معالى الاستاذ الوزير الكلمة التالية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كل أمة تعتز بميلاد زعمائها الذين أشاعوا النور فى بلادها ، وكل شعب يحتفى بذكرى أبطاله الذين انقذوه من وهدته ، وأقالوه من عثرته ، وكل ملة تحيى أيام الانبياء الذين جاءوا لسعادة البشر ، ومحو الشقاء ، والعالم الاسلامى اليوم من أقصاه الى أقصاه يحتفل بخير أنبياء الله .

فى مثل هذا الشهر أشرقت الأرض بنور ربها ، وظهر قمر الهداية فيها . وفى مثل هذا الشهر اهتز الكون لميلاد محمد بن عبد الله ، واستبشرت آمنة بولدها ، وقرت عينا بثمرة فؤادها وفلذة كبدها ، وسمعت الهواتف والكون يردد يوم الميلاد (جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا) وهتفت البشائر وحدثت الكائنات أن قد ولد خير البريات .

ولد الهدى فالكائنات ضياء — وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله — للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو والحظيرة تزدهى — والمنتهى والسدرة العصماء

أيها السادة : يحتفل كثير من الناس بيوم ميلادهم ، ويحتفى بهم فى حياتهم ، ولكن سرعان ما ينساهم العالم بعد موتهم ، وتغيب أخبارهم بدفن أجسادهم . فلا يبقى لهم ذاكر ولا يحتفل بهم حافل . ذلك أن حقيقة الاحتفال وأحياء الذكرى انما هى احتفال بالأعمال الجليلة واحتفال بالمبادىء السامية والمثل العليا . احتفال بالبر والخير والتعاون والاحسان . احتفال بشعور الانسان بأخيه الانسان ..

وصاحب هذه الذكرى صلى الله عليه وسلم يذكرنا فيقول : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) ..

وفى هذه المناسبة الكريمة وهذه الذكرى العظيمة لا بد لى من أن أشيد



معالى الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أثناء القائه كلمته فى الحفل ..

باولئك الصالحين من الرجال والنساء المحسنين الذين لم ينسوا المجتمع من بعدهم فأوصوا بأثلاث أملاكهم ، وأوقفوا عقارات من فضول أموالهم ، تصرف فى وجوه البر والخير صدقة جارية يذكرون فيها كلما نال منها بائس أو فقير . وأحيى اولئك الذين عمروا ويعمرون مساجد الله ، والذين أنفقوا أموالهم سرا وعلانية ابتغاء مرضاة الله : اللهم عمر قلوبهم وأصلح ذريتهم وأدخلهم فى عبادك الصالحين انك سميع مجيب .

أيها السادة :

وما دمنا نذكر أهل الفضل بما قدموا لمجتمعهم وما خلفوه لغيرهم فاننا نذكر أصحاب رءوس الاموال بأن عليهم واجبا نحو ربهم ومواطنيهم وأخوانهم وأن يؤدوا ضريبة المال زكاة واجبة وصدقة ضرورية ، وان يسهموا بقسط من أموالهم الفائضة ويشاركوا فى تخفيف العبء على أموال الدولة العامة ويساعدوا الفقراء والمساكين ، فقد زادت متطلبات الناس الضرورية على دخولهم واحتاج الكثير منهم الى سلف عقارية واجتماعية وان هناك أناسا فى أمس الحاجة تحسبهم أغنياء من التعفف لا يسألون الناس الحافا ، وهناك الكثير الكثير من أوجه البر والخير فى الداخل والخارج ولا سيما البلاد الاسلامية التى غزاها الكفر والاستعمار والصهيونية تقف عاجزة عن بناء مساجدها ومدارسها ومراكز الثقافة فيها ازاء المعونات الاجنبية التى تصرف لصد الدعوة الاسلامية ..

ان للمال وظيفة اجتماعية ونفعا عاما فى المجتمع يجب أن يتحقق فينتفع به صاحبه وينفع به فيكون عليه بركة وخيرا ..

واعلموا أيها الاخوة أن المال ظل زائل لا يبقى للانسان منه الا العمل الصالح والذكر الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم (يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) ..

وفى الختام لا يسعنى الا أن أتقدم الى حضرة صاحب السمو الامير المعظم وولى العهد والى الشعوب الاسلامية بالتحية والتهنئة بهذه المناسبة الكريمة ، أعادها الله علينا وعلى الناس بالخير والأمن والسلام ..

بسم الله الرحمن الرحيم



البشير النذير

مع الذكريات النبوية المحمدية تهب على المسلمين نسمات روحيـــة ندية تنعش نفوسهم ، وتحيى قلوبهم ، وتجدد آمالهم فى حياة أرقى ، ومستوى أعلى يواكب الخيرية التى أهلوا لها والأفضلية التى توجوا بها ، والرسالة التى حملوا اعباءها والشهادة التى سبقت لهم فى علم الله القديم ، وتنزلت بها آيات الذكر الحكيم : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـــر وتؤمنون بالله) ..**

وقد عاش المسلمون مع ذكرى المولد النبوى الشريف مرحلة توعية شاملة . انتظمتهم أفرادا وجماعات ، واستوعبتهم رجالا ونساء ، وملأت أســـماعهم وقلوبهم فيها وسائل الاعلام المتعددة ، فتفتحت أمامهم آفاق الأمل والرجـــاء ، وتبددت من سمائهم سحائب اليأس والقنوط ، وأدركوا بما تعلموا من ســـيرة صاحب الذكرى أن محنتهم عارضة ، وليست دائمة ، وان غـــربتهم زائلة ، وليست لازمة ، وأن الله عز وجـــل أبر بدينه وعباده مما يتشاءم المتشائمـــون ، وان الاسلام سيخرج من هذه الفتنة القاسية ظاهرا منتصرا : **(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .**

ان الذين ينظرون الى الاسلام والمسلمين من خلال الغيوم المتراكمـــــة التى تمر بسمائهم ، ويحكمون على مستقبل الاسلام والمسلمين تحت تأثير هذه الرؤية ، فاتهم أن هذا الدين بمـــا أودع الله فيه من عوامل البقاء والنماء ، وبما دبر له من — استمرار وجود طائفة من أهله قائمة على الحق مستمسكة به — لن يتقلص ظله ، ولن تنكس رايته وأنه سيبقى ما بقى الليل والنهار ، وسيبلغ ما بلغ الليل والنهار . روى الامام أحمد فى سنده عن تميم الدارى قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين . يعز عزيزا ، ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر .

ان الجهل بطبيعة هذا الدين جعل الأولياء يتخوفون عليه أشد التخوف ، وأغرى الأعداء بأن يطمعوا فيه أشد الطمع ، ولو كان هؤلاء وهؤلاء على علم بقوة هذه الدعوة ومسيرة هذه الرسالة لاطمأن المتخوفون ، واستيأس الطامعون.

لقد امتحن الاسلام وهو غض طرى عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشد أنواع الفتن ، وأقسى ضروب الابتلاء ، ولو عهد بالحكم على الاسلام والمسلمين فى هذه النكسة الى أكبر علماء الاجتماع وأكثرهم تفاؤلا — ما توقع لهذا الدين بقاء ولا امتدادا ولكن يأبى الله الا أن يتم نوره ، والنور أقوى من الظلام ، والحق أبقى من الباطل . ان الباطل كان زهوقا .

ويتحدث الأستاذ العقاد عن الفتن التى أدركت المسلمين بعد عصر النبوة فيقول : لقد كان النبى مناط الاستقرار فى الجزيرة العربية بعد نجاح دعوته ودخول العامة والخاصة فى دينه ، أو كان كما قال الشاعر :

فانك موضع القسطاس منها ... فتمنع جانبيها أن يميلا

واذا غاب مناط الاستقرار او موضع القسطاس ، فماذا يكون ؟ بل ماذا يمكن أن يكون ؟

يكون نقيض الاستقرار لا جرم .

أو يكون الميل هنا والميل هناك ، ولو كان كل العارض الذى طرأ قد عرض لأجسام من المادة لا تعرف الدين باختيار ، ولا تعرفه باضطرار ، فلما غاب مناط الاستقرار أول مرة حدث مالا بد أن يحدث ، وطرأ التقلقل الذى لا مناص منه فى كل بيئة ريثما يزول الأمر الطارىء ، وترجع الأمور الى نصابها .

فعرض لكل طائفة من الناس تقلقل يناسبها ، ويجرى فى مجراها .

تقلقل الأنصار وهم مسلمون حق مسلمين ، واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة يبتون بتهم فى مصير الخلافة ، لأنه مصير لا بد لهم من البت فيه .

وتقلقل المهاجرون من بايع منهم أبا بكر ومن لم يبايعوه ، ومنهم عترة النبى ، وأقربهم اليه وأعظمهم ايمانا بدينه والغيرة عليه .

وتقلقل فى مكة أناس قريبو عهد بالنفاق ، فهموا بالعصيان لولا نذير من ولى السلطان .

أما القبائل فيما وراء ذلك فكان لكل منها نصيب من التقلقل يناسب نصيبها من القرب والبعد والمودة والجفاء . فأقربهم الى عهد الاسلام كانوا يخلصون للنبى ، ويخرجون على من ولى الحكم بعده :

أطعنا رسول الله مذ كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبى بكر ؟

وأناس منهم آمنوا بالزكاة ولم يؤمنوا بمن يؤدونها اليه ، واحتجوا بآيات من القرآن حرفوها الى المعنى الذى أرادوه ، ومنها **(خذ من أموالهم صـــدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم)** قالوا : **(فلسنا نـــدفع زكاتنا ألا ألى من صلاته سكن لنا ، وأبوا أن يدفعوها وأن علموا أن دفعهـــا فريضة من فرائض الدين ، فهم لم ينكروا الفريضة ، ولكنهم أنكروا الجباة) .**

وهكذا تجمعت الفتن وأحدق الخطر وامتحن الاسلام أشد امتحان ، وهو بعد قليل الاتباع لم يتجاوز حدود الجزيرة ، فلم تكن له حواضر فى الشـــرق والغرب ، ولا علوم مدونة ، ولا حضارة مشرقة مغربة ، ولا ثمانمائة مليـــون قلب يؤمن به ويدين الله عليه ، ومع هذا فلم يخالط قلب الخليفة الأول ولا القلة المؤمنة من حوله أدنى شك فى أن الاسلام سينتصر على الدين كـــله : (ولا ريب أن يقين الصديق بنصرة الاسلام على الدين كله فى يوم من الأيـــام كان أقوى يقين سكن فى قلب انسان ، او سكن اليه قلب انسان ، فكل وعـــد من وعود القرآن كان عنده حقيقة عيان ، بل امكن من حقيقة العيان ، وكل كلمة سمعها من النبى بخبر من أخبار الغيب المجهول ، فهى عنده شاهد من شواهد الحاضر الملموس باليدين) .

ونحن المسلمين الذين جئنا من بعدهم لا يخالطنا شك فى أى وعد من وعود الله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ، **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (كتب الله لأغلبن انا ورسلى ان الله لقوى عزيز)** وكل خبر من أخبار الغـــد المغيب جـــاء على لسان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم نؤمن بوقوعه وتحققه : **(ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها ، وسيبلـــغ ملك أمتى ما زوى لى منها) (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار) .**

ان امام الاسلام آفاقا فسيحة سيفتحها ، وأجيالا ممتدة سيغزوها ، ولئن توقف زحف الاسلام حينا ، أو تقلص ظله قليلا فليس التوقف ، والتقلص الى جمود ، أو مزيد من التراجع والانحسار بل الى امتداد ووثوب .

ألسنا نؤمن بأن الاسلام هو الدين الذى ارتضـــاه الله لعباده ، وان القرآن هو كلمة الله الأخيرة الى خلقه ، وانه لا رسول بعد محمد ، ولا كتاب بعد القرآن ، ولا دين بعد الاسلام ، وان النتيجة الحتمية لزوال الاســـلام هى زوال الدنيا ، وأنه يوم يطوى كتاب الله من الأرض تطوى صحائف الليل والنهار ، فتنطفىء الشمس ، ويأفل القمر ، وتنطمس النجوم ، وتتشـــقق السماء وتسير الجبال ، وتسجر البحار ، وتنتهى الحياة على هذا الكوكب .

من العالم الذى أوتى علم الغيب ؟ من الكاهن المتنبىء الذى يحدس أو يتنبأ بأن ذلك الخراب والدمار قد آن أوانه وحان حينه ؟ **(ان الله عنده عـــلم الساعة) (يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربـــك منتهاها) .**

ان بعض المسلمين اليوم هزتهم الأحداث التى أحاطت بهم هزا عنيفا وأثرت فيهم الانحرافات التى ظهرت فى مجتمعهم تأثيرا عميقا ، وتحولت هذه الاهتزازات وتلك التأثيرات الى موجة عارمة من الغضب على المسلمين . والى يأس قاتل من استقامة أمورهم وصلاح أحوالهم ، أعان عليه وبالغ فيه الحقد الخبيث الخفى من جانب أعداء الله وأعداء المسلمين .. فالمسلمون فى ضلال ، والاسلام فى زوال ، والغضب الالهى نازل ، وما يقام من صلاة نفاق ، وما يؤدى من زكاة من ورياء ، وما يكون من حج تجارة ومن صوم جلادة ، وليس شىء من هذه العبادات خالصا لوجه الله ، والفضيلة مفقودة ، والغيرة على محارم الله موءودة ، والطريق المؤدى الى الله مقفرة من السالكين ، وسبل الشيطان مزدحمة بالراغبين ، ولا شىء مما يرضى الله موجود ، ولا شىء مما يرضى الشيطان مفقود ، والناس سائرون الى الهاوية ، وأبواب جهنم فتحت للوافدين ، وأبواب الجنة غلقت لعدم العاملين ، وليس فى قاموس التأنيب والتوبيخ والانذار والوعيد لفظ غاب عن ألسنة المنذرين المتوعدين .

وما أظن أن أسلوبا كهذا الأسلوب يقوم على الزجر والتنديد ، والترهيب والوعيد يصلح لهداية ضال ، أو تقويم منحرف أو اصلاح خطأ ، وما أظن أن العصا أو السوط ينفع فى غزو القلوب والتأثير فى النفوس والتمكين للعقيدة .

انه كما لا يوجد خير محض ولا شر محض كذلك لا يوجد فرد متجرد للشر ، وفرد لا يفعل الا الخير ، وكذلك شأن الأمم والجماعات . فيها الحسن وفيها القبيح ، فيها الفضيلة وفيها الرذيلة ، والدعوة الى التخلص من الرذائل لا تستلزم أهمال الاشادة بالفضائل ، ولهذا كانت الأمم فى نهضتها فى حاجة الى صوتين يرتفعان صوت التنديد بالمساوىء والحث على التخلص منها ، وصوت الاشادة بالفضائل والترغيب فى الاستكثار منها ، صوت التبشير وصوت الانذار .

ولهذا كان من أهم صفات المرسلين وهم قمة المصلحين أنهم كانوا مبشرين ومنذرين ، وصاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام لم يبعثه الله جبارا ، ولا متسلطا ، ولا فظا ولا غليظا ، وانما بعثه رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا ، يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويأمر بالمعروف بالمعروف ، وينهى عن المنكر بالمعروف ، ويبشر المحسنين بالثواب ، وينذر المسيئين بالعقاب **(يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين) .**

مدير ادارة الدعوة

ضوان النبلي

السبع الموبقات

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » .

« متفق عليه »

منذ عدة قرون لاح ضوء الدعوة ، وأخذ يرسل خيوطه النيرة ، **توقظ** سكان (بكة) ليأخذوا أهبتهم لعمل جاء يتعدى حاجات البطن ، **وارضاء** ما يقاربها من شهوات ، وما يقوى غرائز حيوانية أصيلة ، تنمو **فتهلك** حين تثور ، ولا ترضى العقل حتى حين تهدأ ، تحكم أشباحا تغدو وتروح **سحابة** صيف ثم تمضى دون أثر يدل عليها ، أو يشير الى وجودها ، وشاء الله أن يجتمع المتفرقون ، وأن يلتقوا فى ظل عقيدة تقيهم حمارة **الشقاق ، وصبارة** النفار ، وتملأ ما بين جوانحهم تراحما ، وتعاطفا فيما بينهم وشدة **وعزة على** أعدائهم ، وما أعداؤهم الا جاهل بما تشتمل عليه حقائق الدعوة من **سلم وأمن** ورفعة ، وحرية وقوة وسيادة ، ومعرفة الهية انسانية حافلة **بالعلم والدراية** ، ومن عادى تلك الفضائل فهو عدو نفسه التى بين جنبيه يريدها أن تقيم على ضعة وضعف ، وجهل وبهيمية شنعاء ، جاهر المصطفى بما أمر أن يبلغه لعشيرته الأقربين ثم الأبعدين ثم الناس كافة ، وزال الكابوس عن الديار التى بوركت وفتحت عيونها على مثل انسانية تسنمت **غارب المسئوليات الجسام فى**

حرب وسلم ، وجال البدوى فى الجزيرة وصال وفى يمينه هدى الله متمثلا فى قرآنه ، ونور ايمانه يسعى بين يديه ، وتعددت الشعلات وأرز (١) الى ساحتها حداة الابل ، ومن تسامع الى حدائهم ، وكانت دولة لها الأصول والأسس التى تضمن سيادتها وتحفظ بقاءها ، وتعددت تلك المبادىء والقواعد ، لتشمل كل جانب من جوانب الحياة تقوم المعوج ، وتشجع المستقيم وتنشر الحب والخير ، وتولى المصطفى التعليم بنفسه والشرح والايضاح والتطبيق لا ينازعه فى ذلك منازع ، فهو مبلغ ، وهو قدوة فى العمل ولأتباعه أسوة حسنة فيه لأنهم يرجون الله واليوم الآخر ، وكان صلى الله عليه وسلم يقتلع جذور المفسدات قبل أن تنمو ، بل يدل على بذورها لتباد قبل أن تنبت ، فيظل لجو الجماعة صفاؤه ونقاوته من أغيار نشاز وبعده عن أنفاس حقد محرقة ، ولما كان لا ينطق عن هوى ، وانما يصدر ويورد عن وحى يوحى ، كان العليم بالسر وأخفى ، والبارىء للجسد والروح يوحى اليه عليه الصلاة والسلام الخطط التى لا تحتاج اذا طبقت واقعيا الى برهان على نجاحها وكفاءتها وكفايتها لانشاء مجتمع متكافل واع متماسك من كل طرف ، ونظرة فى الحديث الشريف موضوع البحث ترى المتأمل الواعى مدى ضرر المهلكات التى أشار اليها لو بقيت ، ومقدار النضوج العقلى والفكرى الذى يقوم برهانا عليه حال مجتمع خلافها ، ويكشف النقاب عن شرورها ، وبالتالى بيان الأثر الطيب على اختفائها نعرض لها واحدة تلو الأخرى .

١) **الشرك بالله :** وهو رأس الموبقات وأول المهلكات ، فهو الظلم العظيم الذى نهى عنه لقمان ابنه فيما حكاه القرآن الكريم حيث قال : (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) وهو كفر لا يغتفر ، فالمشرك لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والتوحيد هو أول ما طالب به الله عباده على لسان جميع أنبيائه ورسله يقول صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله الا الله) وقد حطم رسول الله الأصنام يوم فتح مكة وكان هذا آخر العهد بها فى جزيرة العرب ، ومن خلا قلبه من الشرك فقد استحق رضوان الله ، والدخول فى رحمته ، ولو عصى بعد ذلك فلكل معصية توبة ، ومآل الموحدين جميعا الجنة كما نص عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى وهو متفق عليه : عن أبى ذر قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : (ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة) قلت : وأن زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذر) وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال : وإن رغم أنف أبى ذر .

---

(١) فى الحديث الشريف « أن الاسلام (ليارز) الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها أى ينضم ويتجمع بعضه الى بعض فيها » .

٢ ــ **السحر** : وهو لغة : كل ما لطف مأخذه وخفى سببه ، وسحره أى خدعه ، وجاء فى كلام العرب عين ساحرة وعيون سواحر وفى الحديث الشريف (أن من البيان لسحرا) وهو اما حيلة وشعوذة ، واما صناعة وعلم خفى ، يعرفه بعض الناس ويجهله الكثيرون ، ومن هنا يسمون العمل به سحرا لخفاء سببه ،وقد ورد ذكر السحر فى القرآن كثيرا وخاصة فى قصص موسى وفرعون ، ووصفه القرآن بأنه خداع وتخييل للأعين حتى ترى ما ليس بكائن كائنـــا قال تعالى : (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وقال جل شأنه (فسحروا أعين الناس واسترهبوهم) وفى آية سورة البقرة نص صريح على أن السحر كان يعـــلم ويلقن قال تعالى : (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) ومهما يكن من أمر السحر فهو حرام لأنه تدجيل وتخييل وقد يكون تأثيره من باب الايحاء والتأثير فى الحواس والأفكار بأقوال وأفعال تبلبـــل العقل ولا ترتكز على حقيقة ثابتة ، وفى القيام به ضياع للوقت وافساد للعلاقات بين الناس ، والاسلام عد السحر كفرا فقال تعالى فى آية سورة البقرة (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) روى أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس قال : فاذا أتاهما الآتى يريد تعلم السحر نهياه أشد النهى وقالا له : انما نحن فتنة فلا تكفر وذلـــك لانهما علما أن السحر من الكفر ، وقال ابن جريج : لا يجترىء على السحر الا كافر ، وروى الحافظ أبو بكر البزار قال : (من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) واسناده صحيح ، والنهى عن السحر دعوة الى الجد والعمل النافع والاشتغال بما يفيد وترك كل ما يضر المجتمع وما يؤذى العباد ، وما يسبب الشقاق والفرقة بينهم ويؤرث نار العداوة بينهم من الوسوسة والشعوذة والخنس (قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس) فقد أمرنا الله أن نلجأ اليه أن ينجينا من شرور شياطين الانس والجن الموسوسين المختفين الذين يلقون الينا بشرورهم وايحاءاتهم المشككـــة المفسدة ، وما السحر الا نوع من الوسوسة المهلكة ، فليتجه المسلمون الى ما يجدى وينهض بهم وليبتعدوا عن الترهات والخيالات الضارة ، ولتقم العلاقات والصلات بينهم على أسس خيرة واضحة بعيدة عن الالتواء والخرافة .

٣) **وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق** : معلوم من أصول الشريعـــة السمحاء أن دم المسلم لا تحل أراقته الا بواحد من ثلاثة أمور : كفر بعد ايمان ، وزنى بعد أحصان ، وقتل نفس بغير حق ، والآية الكريمة من سورة النساء رقم (٩٣) توعد القاتل المتعمد بغضب الله ولعنته ، والعـــذاب الطويـــل فى نار جهنم قال تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) وأخرج أحمد والنسائى عن معـــاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كل ذنب عسى الله أن يغفره الا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا) وأخرج البهيقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أعان على دم أمرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمـــة

الله تعالى) وروى عن البراء بن عازب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله من قتل مؤمن ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله تعالى النار) ولهذا كله كان الاقدام على قتل النفس التى حرم الله بغير حق جرما شنيعا وعملا مغضبا لله ولرسوله ولكان الخلود فى النار ، ومجتمع لا يأمن فيه الانسان على نفسه لا يستقر أمره ولا تقوم له قائمة ولا يمكن أن يكون مجتمعا فاضلا بحال ، فأول أركان المجتمعات الفاضلة أمن الناس على أرواحهم وأموالهم ووجود الحرية الكاملة فى القول والعمل فى حدود الشريعة وتعاليمها .

٤ ـ **وأكل الربا :** والربا مما أجمعت الأديان السماوية على تحريمه ، ودواعى تحريمه كثيرة فهو عائق عن الاشتغال بما ينفع الناس ، فرب المال اذا يمكن بالربا من أنماء ماله تسهل لديه أسباب العيش فيألف الكسل والبطالة ،وتزيد شراهته فى الاستيلاء على أموال الناس بغير حق فلا يرحم فقيرا ولا يشفق على بائس ، والربا يؤدى الى انتشار العداوة والمشاحنات والخصومات بين الناس وينمى المشاكل الاجتماعية ، والطريق الشرعى المستقيم للتعامل بين الناس هو ما يؤدى الى استفادة كل منهم من الآخر فى نظير عوض ، لكن الربا أخذ مال بلا عوض وهو نوع من الظلم الذى حرمه الله إذ هو استيلاء على المال بغير طريق مشروع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (حرمة مال الانسان كحرمة دمه) وزد على ذلك أن عاقبة الربا الخراب والدمار ، روى أحمد وابن ماجة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلمقال: (ان الربا وان كثر فعاقبته قل) (بضم القاف وتشديد اللام) وقال تعالى : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) وقال عز شأنه (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقد تناول القرآن الكريم حديث الربا فى أربعة مواضع ، جاء فى المرحلة الرابعة منها التحريم الحاسم لكل ما يزيد على رأس المال الدائن، وقال ابن عباس رضى الله عنهما أن الطور الرابع من النص القرآنى على تحريم الربا كان ختاما لكل تشريع قرآنى وتحقق ذلك فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) الآيات ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ من سورة البقرة (٢) فأولى بالمسلمين ان يبحثوا عن مصادر تنمية أموالهم تحت ظلال تعاليم الشريعة الشريفة ، ليكون اقتصادهم متميزا بطابعه الخاص الذى لا التواء فيه ، ولا بغى ، ولا استغلال بغير حق ، وهم واجدون للطريقة المثلى لو أرادوا ، ولكن انسياقهم وراء التقليد دون وعى ، وتقصير المليئين منهم فى تطبيق الاحكام الشرعية هو سبب كل انحراف عن الجادة المستقيمة وهو الذى أوقعهم فى براثن المرابين منهم ومن أمم أخرى تستغل أموالهم فيما ينفعها وهم يرضون بالقليل ويقفون متفرجين يتثاءبون كسلا ويعوون ضعفا ..

---

(٢) من أفضل ما قرأت فى هذا الموضوع ما جاء فى محاضرة القاها المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز فى مؤتمر القانون الاسلامى فى شهر يوليو سنة ١٩٥١ رحمه الله رحمة واسعة

٥ ــ **وأكل مال اليتيم** : قد أوضحت الآيتان الثانية والسادسة من سورة النساء الموقف السليم من أموال اليتامى قال تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا) وقال عــز وجــل (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيــا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهــدوا عليهم وكفى بالله حسيبا) .

وروى أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس لى مال وانى ولى يتيم فقال : (كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متأثل مالا ومن غير أن تقى مالك بماله) والواجب شرعا أن يرعى الوصى مال اليتيم ولا يبيح لنفسه شيئا منه الا عند الضرورة القصــوى ، فالاجماع على أن مال اليتيم ليس مالا للوصى فليس له أن يأكــل منه شيئا الا بحق شرعى وضحته الآية الكريمة ، وفى ذلك ابقاء على صلات المودة بين الناس ، وكما تدين تدان قال تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) الآية ٩ من ســورة النســاء .

٦ ــ **والتولى يوم الزحف** : قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتــم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الأنفال ، وقال الامام الشافعى رضى الله عنه فى شرح هذا النص القرآنى الكريم : إذا غزا المسلمون حرم عليهم أن يولوا الأدبار الا متحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة ، والمؤمن أولى بالصبر فى القتــال ، فالصبر من أكبر عوامل النصر والمفروض أن المؤمن أقل حرصا على متــاع الدنيا وأعظم رجاء فى ثواب الآخرة يقول العزيز العليم (ولا تهنــوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) الآية ١٠٤ من سورة النساء ، وحرم الله التولى يوم الزحف لأن فيه اضعافا لصفوف المسلمين ، وتثبيطا لعزائم المقاتلين ، وبالتالى صد عن سبيل الله ، وتقوية للعدو ، وتشجيع له على الغلبة والسيطرة على بلاد المسلمين وكفى بذلك اثمــا مبينــا .

٧ ــ **وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات** : نهى القرآن الكريم عن رمى المحصنات بالزنى وشدد فى عقوبته فى الدنيا والآخرة ، فجعل عقوبته فى الدنيا الجلد بفتح الجيم المنقوطة من تحت وسكون اللام) وألا نقبل ممن أقدم على ذلك شهادة أبدا ، وجعله ساقط الاعتبار فى نظر المجتمع لا تسمع لــه كلمــة ، وأما عقوبته فى الآخرة فهى العذاب الأليم قال تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شــهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) الآية ٤ من سورة النــور فسماه القرآن الكريم فاسقا

أى خارجا عن طاعة ربه فقد ارتكب كبيرة باتهامه للمحصنات المؤمنات الغافلات كذبا وبهتانا ، وحذر الشارع من ذلك منعا لانتشار الفضائح بين المسلمين ، وقتلا للنفوس الخبيثة التى تحب اثارة السوء ، كما تتغذى لفسادها بالقيل والقال ، غير ناظرة الى رابطة دم أو لحمة أو دين ، ويطلب الى المسلم أن يكون عفـا غفارا متسامحا بعيدا عما يريب ، متجافيا عن ظلم الناس بقول أو بفعـل وشـدد سبحانه النكير على الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى المسلمين ، فقال سبحانه (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) الآية ١٩ من سورة النـور وفى الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) .

والواجب على المسلم ذى المروءة والخلق الكريم أن ينأى بنفسـه عمـا يؤذى الناس فى أعراضهم وأنفسهم وأموالهم ، ولمثل فاعل هذا أجر عظيم ، ومثوبة ومغفرة من الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يستر عبد مؤمن عورة عبد مؤمن الا ستره الله يوم القيامة ، ومن أقال عثرة مسلم أقال الله عثرته يوم القيامة) . .

والخلاصـــة :

ان المتتبع للمعانى الكريمة الواردة فى حديث رسول الله يجدها تهدف دائما الى اقامة مجتمع مثالى تتحقق فيه كل الفضائل وتستل فيه من النفوس السخائم ، وتجتمع فيه كلمة المسلمين على الخير لأنفسهم فيقوون ويشـتد ساعدهم ، ويصبحون يدا واحدة على ماناوأهم وآذاهم ، وأن الأمل فى فضل الله ورحمته لا تنقطع ، فلعل الله أن يهدى الضال ويرشد الحـائر ويعين المسلمين على أنفسهم ليتخلصوا مما هم فيه من عبودية لها ، حتى يمضـوا قدما للنضال الشريف فى ميدان الحياة ويدركوا مكانهم الاسمى الذى يريده الله لهم فيقودوا الدنيا الى الرشاد لكن بعد أن يطبقوا أحكام الله فيما بينهم وأن يكون فى سلوكهم حقائق اسلامية تتحرك على الارض وما توفيقى الا باللـه عليه توكلت واليه أنيب .



مولد الكرامة الانسانية

لن يجد من يريد الكتابة فى ذكرى مولد رسول الله عنوانا ألصق بروح الحق ، ولا أليق بمنطق القرآن الكريم من هذا العنوان فيعتبر مولده صلى الله عليه وسلم مولدا لكرامة الانسان . ولن يسلم بهذا المعنى تسليما يقوم على حجة نيرة ، ويستند الى برهان ساطع الا من يدير فكره متأملا الناس فى الفترة التى كان فيها ميلاده الشريف . وسوف يراهم أصناما عاكفة على أصنام ، فالناس آنئذ بين صنم هائم فى صنم ، وبشر مستعبد لبشر ، سواء فى ذلك الناس فى الشرق والغرب ، لا نستثنى منهم أحدا الا أن يكون هذا الاستثناء قائما على الاستغراق الكامل فى الوثنية والاعراض الكامل عن الله رب العالمين أو أن يكون قائما على نوع من التأول يجعل الاستغراق الوثنى غير تام ، والاعراض عن الله رب العالمين غير كامل ، فهذه الصورة من الوثنية غير المستغرقة ، انما كانت للشعب العربى ، على ما يقول الله تعالى : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » فهؤلاء الذين مستهم طيوف من أوهام الوثنية كانوا يتقربون الى الله بعبادة التماثيل والأوثان والأصنام التى نحتوها أو صنعوها تكريما لأبطال يحمون الذمار أو وفاء لذكريات طيبات موصولة بمن آثروا غيرهم على أنفسهم طلبا لحسن الاحدوثة فأطعموا الجياع وأغاثوا الملهوفين ، وأمنوا الخائفين .

للشيخ أحمد حسن الباقوري

ففى هذا الجو المفعم بالمذلة فى كل مكان ، ولد محمد رسول الله شرفـــا للعرب ورحمة للعالمين وقد استشرفت الانسانية الى الحرية ومضت تنشد الكرامة التى كرمها بها رب العالمين ، وقد سخر سبحانه للانسان ما فى السموات وما فى الأرض ، وسخره هو فى عبودية رب السموات والأرض وهى العبودية التـــى ينتهى اليها أقصى ما تبلغه حرية الأحرار .

ومن أعز مواطن هذه الكرامة أن كانت الآية التى أيد الله بها محمدا فـــى دعوته الى هداية الناس بعد أربعين عاما من مولده هى كتاب الله العزيز مصدقا لما بين يديه هاديا الى الحق والى طريق مستقيم ، ومخاطبا فى الناس عقولهم بعد أن أدركوا تمام الرشد ، وبلغوا غاية النضوج ، وصاروا قادرين على الموازنـــة والمقارنة والاستنتاج بما أيقظ القرآن عقولهم من الغفوة التى طال عليها الأمد ، وبما ساقهم فى غير هوادة الى تدبر القرآن ، والنظر فى ملكوت الســـــموات والأرض « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولـــى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكـــــرون فى خلـــق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

ومع هذا التنبيه الى وجوب العمل بما يقتضيه العقل فى هذه الآية وفى أمثالها من كتاب الله ، نرى كثيرا من المسلمين فى مقام الاحتفال بالذكريـــات العظيمة الموصولة بحياته صلى الله عليه فى ميلاده وغزواته يتركون العقـــل والاحتكام اليه جانحين الى الخيال والتحليق فى أجوائه ، فتراهم يتركون فـــى الاحتفال بمولده المعانى الكبار الموصولة بخلقه ، أو خلقه ، أو رسالته ، ويلوذون فى تكريمه بما لا يسيغه منطق ولا يقوم عليه دليل، من قولهم ان شرفات القصور قد انهدمت ، وان نار المجوس قد خمدت وأن البحيرات المقدسة قد غاضت ، وأن الوحوش فى البرارى مضى بعضها الى بعض مهنئا ، وأن الاسماك فى البحار سبح بعضها الى بعض مبشرا بميلاد محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ونحن حين ننكر هذا الكلام وأمثاله مما يستند الى الخيالات المريضة فاننا لا نفعل ذلك الا ايثارا للمضى مع الدعوة المحمدية التى أنكرت الجهالات ، وسفهت الجرى وراء الخيالات ، ماضية الى الحق ترفع بنيانه وتشد أركانه لأن فى الحق وحده عزة الحياة وطمأنينة القلب وكرامة الانسان ، والا فانه عليه السلام بدعوته الى الاسلام قد صنع ما هو أكبر وأعظم وأبقى على وجه الزمن من سقوط شرفة فى قصر ، أو خمود جذوة من نار أو غيض ماء فى بحيرة أو بحر ، لأن تحرير الانسان من عبوديته لحجر ينحته أو لبشر يعبده ، ودعوته جميع الناس أن يكونوا سواء فى الحقوق والواجبات ، لا ينبغى أن يقل فى موازين طلاب الاصلاح ورواد الحق عن كل ما ألصقته الجهات أو الخيالات بميلاده الشريف .

اننا حين نحتفل مع مجلة الوعى الاسلامى بذكرى مولده الشريف ، انما نخضع لما جرى به العرف فى العصور الحديثة من اقامة احفال يذكر فيها بالخير والثناء قادة أبطال ورواد مصلحون عرفهم التاريخ ، وأسبغ عليهم من تقديره وتكريمه ما جعلهم موطن اعزاز ومتلفت أعناق .

ولو قد كان لنا أن نتحرر من هذا العرف المستحدث ، لكان لنا أن نقول : ان النبى غنى عن كل احتفال به ، وكل ثناء عليه ، بما ضمن الله تعالى له من علو القدر وشرف الذكر ، وبما أسبغ عليه من التعظيم والتشريف كتاب الله العظيم .

ومصداق ذلك قول الله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذى أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك » .

فقد امتن الله عليه فى هذه الآيات :

أولا : قد أفسح له صدره حتى اتسع لهموم النبوة ، غير ضائق بكيد الكائدين ولا جحود الجاحدين .. ومن يؤت سعة الصدر وطيب النفس ، على ترادف الهموم وتذاؤب الاحداث فقد أوتى خيرا كثيرا ... وهذا المعنى لشرح الصدر يظاهره قول الله فى آية أخرى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » .

وثانيا : أنه وضع عنه الوزر الثقيل ، يعنى طهر نفسه من الغم الذى يجده لشدة أعراض المعاندين عنه ، مع شدة حرصه على أن يستجيبوا لدعوته ، منقادين للحق الذى يدعوهم اليه والخير الذى يعدهم به .. وكذلك كان شأنه عليه السلام ، كان لشدة حرصه على ايمان الناس بدعوته ، يرى نفسه كأنه مسئول عن هدايتهم ، أو قادر على تحصيل الايمان لهم ، وكان ذلك يقع به على أسى بالغ وألم شديد ، على ما تقرره الآية الكريمة « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » . كذلك كان شأنه عليه السلام ، وكذلك يقول الله له « ان أنت الا نذير » ويقول له « ليس لك من الأمر شىء » ويقول له « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » .

وثالثا : أنه سبحانه قد رفع له ذكره . وأى رفع لذكره أرفع من أن يكون الله جل جلاله معاهدا من يعاهده على ما تقرره الآية « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله » . ثم أى رفع لذكره أرفع من أن يقرن الله تعالى طاعته الى طاعته فيقول سبحانه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وأى رفع لذكره أرفع من أن يقسم الله تعالى بمدة عمره فيقول : « لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمون » ، وأن يقسم بالزمن الذى كان يعيش فيه عليه السلام فيقول : «والعصر .

ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وأن يقسم بالمكان الذى يحل فيه فيقول : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » ، وأن يقسم للجاحدين على أنه صلوات الله عليه صادق رشيد لا تستميله الأهواء ولا تضله الشهوات فيقول : « والنجم اذا هوى . ماضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى » . . ثم يقسم له هو على أن عناية الله لم تتخل ولن تتخلى عنه فيقول : « والضحى . والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم يقول الله له بعد ذلك كن حريصا على هذا الذكر الكريم ، وهذا الشرف العظيم فيقول : « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

ذلك بعض ما فى كتاب الله مما يعلو به قدره الشريف ويرتفع به ذكره ، فاذا أحب المسلم أن يلتمس علو قدره ورفعة ذكره صلى الله عليه وسلم فى مجال التطبيق ، فانه يرى حقيقة الاسلام خفية حتى تعلنها كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ، ثم يرى المؤذن للصلاة لا يصح له أذان حتى يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله . وكل مسلم فى كل شؤون حياته لا يكاد يتناول عملا من أعمال نهاره وليله الا ولرسول الله فيه قضاء ، وله فيه ارشاد . فهو صلوات الله وسلامه عليه فى الأحلام رؤيا سعيدة ، وفى القلوب خاطرة حميدة ، وعلى الألسن حديث جليل .

وغير المسلمين فى كل أقطار الأرض يبذلون غاية وسعهم فى تقصى سيرته ودراسة أحواله ، ثم يضعونه فى موازين النبوة أنجح نبى ، وفى موازين الاصلاح الاجتماعى أعظم مصلح .

ذلك قليل من كثير تشير اليه آية الانشراح من رفع الله ذكره وتعظيمه قدره . . فأين نحن من ذلك أو من بعض ذلك !! أين قول مصنوع يخبط به لسان عاجز ، من ذكر لا يبلى ومجد خالد لا يزول .

ولعله من أجل هذه المعانى لم يؤثر عن أسلافنا أنهم أقاموا أحفالا لمولده أو هجرته أو غزواته ، لأنهم نظروا اليه كما ينظر اليه كل فاقه بصير ، على أنه فوق كل احتفال ، وأجل من كل تكريم .

غير أننا حين نحتفل به أو بشأن من شئونه عليه السلام ، لا يقع فى أوهامنا أننا نشرفه بحديث عنه ، وانما نعتقد أننا نشرف بكل حديث نصف به حالا من أحواله أو شأنا من شئونه ، وثواب الله بعد ذلك للمؤمنين الصادقين .

والقادة المصلحون حيال الاحتفال بهم واحياء ذكراهم أحد رجلين : رجل خرج الى الدنيا ثم خرج عنها وقد عمل عملا صلحت به دنيا قومه . فهو مقدور مذكور ما دام الشعور به قائما والحاجة اليه بينة . فاذا زال ذلك عنه عاد ذكرى باهتة وحديثا مملولا . وأصبح على ما يقول أمير الشعراء :

لدى منزل كبيوت الكراء ... مرارا خلا ومرارا عمر
يزار كثيرا فدون الكثير ... فغبا فينسى كأن لهم يزر

ورجل خرج الى الدنيا ثم خرج عنها ، وقد وضع للحياة الانسانية نماذج خيرة ومقاييس عادلة ، فهو باق بقاء الحياة الانسانية نفسها ، ومهما جد فى اللحاق بالرفيق الأعلى فلا يبعد بالموت الا جسمه ، ولا يغيب عن الأبصار الا رسمه ، لأنه فى الضمائر ذكرى لا تغفو ، وعلى الألسن حديث لا يمل ، وكلما زاده

الموت قدم عهد زادته الحياة جدة حديث ، فمثله كمثل الشجرة العظيمة كلما ضربت جذورها فى ظلام الأرض شمخت فروعها فى أجواز الفضاء . وأنبياء الله ورسله هم أحياء على الموت ، شهود على المغيب . والفطرة الانسانية سوف تظل متلفتة اليهم كما يتلفت الى الواحة الخضراء ضارب فى ضلال الصحراء ، وقد جهده سعار الظمأ وأحرق كبده لفح الهجير .

ومولانا محمد رسول الله هو بين اخوانه من النبيين واسطة عقد ، وبين أمته من المؤمنين مهفى روح ، وبين الناس كافة سيد من ينتسب اليه طالب حق وخير من تناخ ببابه نجائب اصلاح ، ولهذا يكون من الظلم للحق وللخير معا أن يحتفل المسلمون وحدهم بمولده الشريف ، فانه عليه السلام قد رفع من خسيسة الانسانية كلها فى كل مكان ، وكل اصلاح استهدف للناس خيرا فانه ومضة من دعوته وقبس من رسالته صلى الله عليه وسلم .

ان أسمى ما تتطلع اليه البشرية اليوم من خلال المذاهب المعاصرة لا تكاد تجاوز ثلاثة أمور : أحدها : طلب المساواة بين الناس بغير نظر الى جنس أو لون . وثانيها : مطاردة الجوع فى المجتمع الانسانى . وثالثها : اقرار الأمن وصيانة السلام .

فأما المساواة بين الناس فان الرسالة المحمدية منذ بدأت خطواتها الأولى وضعت هذه المساواة وضعا يقوم الاقناع فيه مقاما لا يتأتى معه التمييز العنصرى فى حال من الاحوال . وهى مع ذلك لم تمنع التفاضل فيما بينهم ، بل تخيرت له صورة تجعله يعود بالخير على المجتمع كلما أراد مريد أن يظفر بفضل فيه . فذلك قول الله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

وليس الأمر فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أمر نصوص خادعة . ولكنه أمر تطبيق صادق ، وآية ذلك أن المجتمع الاسلامى لم يعتز بالالوان والاجناس ، ولم ينظر الى القضية القائمة عليها نظرة اعتبار أو احترام . بل ان التاريخ الذى دونه المسلمون ليتهكم أشد التهكم بأولئك الذين لم تصدهم سماحة الاسلام عن الاعتزاز بمبادىء التمييز العنصرى .

وأما ما يتصل بحلم البشرية فى مطاردة الجوع عن البشر ، وفى اسباغ ظلال الأمن عليهم ، فحسب الفاقه البصير أن يقف وقفة تأمل أمام قول الله تعالى « فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . فقد طلب الله تعالى من خلقه أن يعبدوه لقاء ما أنعم عليهم بنعمتى الطعام والأمن ، مع أن نعم الله جل شأنه على خلقه لا يحصيها محص ، ولا يعدها عاد . وقد اعتبر القرآن الجوع والخوف من أشد البلايا التى تخف بها عقوبة الله الى الجاحدين ، فذلك حيث يقول جل شأنه « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » . . وعلى قدر ما اعتبر القرآن الجوع والخوف نقمة شديدة جعل بذل الطعام للمحتاجين اليه عملا تتفتح به أبواب الجنة للمطعمين ، فذلك حيث يقول الله جل شأنه « ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينايشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » .

وكذلك جعل الله تبارك وتعالى الأمن جزاء طيبا للذين يؤمنون ايمانا صحيحا ويعملون عملا صالحا ، والى هذا المعنى تشير الآية الكريمة « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

وهكذا تتضح عناية القرآن بقضيتى الطعام والأمن فى المجتمعات التى ترعى شئونها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

واذا كانت الدعوات المعاصرة قد اتخذت لدعوتها المقدورة شعارا حبيبا الى النفوس ، وهو ما أسمته السلام العالمى ، فان دعوة محمد ليس لها عنوان الا هذا السلام ، وهذا العنوان هو « الاسلام » . ولفظ الاسلام مع لفظ السلام يعودان الى أصل واحد فى اللغة التى نبت بين أهلها محمد ، وتنزل على أساليبها القرآن . فالسلام جزء من طبيعة الاسلام ، وحقيقة من الحقائق التى يحيا عليها المسلم ، وعليها يموت . وذلك كله مع الفرق الواضح بين المجال الذى يعمل فيه السلام العالمى والمجالات التى يعمل فيها سلام الاسلام .

وهكذا يستبين على غاية الوضوح والبيان أن مولد الرسول النبى الأمى هو ميلاد لكرامة الانسان .

نضرع الى الله تعالى أن يعيد هذا العيد على أمتنا والأمن سابغ والعدالة سائدة والحرية موفورة والشمل جميع .

دولة الكويت
وزارة التربية
ادارة النشاط المدرسى
مكتب التوجيه الفنى

النتائج النهائية لمسابقة تحفيظ القرآن الكريم

الرقم	الاسم	المرحلة	المدرسة	الدرجة	الترتيب
١	محمد جدو ولد مبارك	الثانوية بنين	معهد المعلمين	٩٠	الاول
٢	اسامه محمد حسن	الثانوية بنين	الشويخ	٨٥	الثانى
٣	خالد عبد الرحيم اسماعيل	الثانوية بنات	الرميثية	٨٠	الثالث
٤	ايمان عماد الدين راضى	الثانوية بنين	عبد الله السالم	٩٥	الاولى
٥	ايمان مبارك العنيزى	الثانوية بنات	الجزائر	٩٣	الثانية
٦	نوال مصطفى احمد	الثانوية بنات	طليطلة	٩٢	الثالثة
٧	معتصم تاج الدين الدرينى	المتوسطة بنين	ابن ماجد	٩٠	الاول
٨	ايمن حسن الاردنلى	المتوسطة بنين	الجهراء	٨٩	الثانى
٩	مصطفى ابو الفتوح عبد المجيد	المتوسطة بنين	المتنبى	٨٨	الثالث
١٠	هبه احمد عبد الحكيم مرعى	المتوسطة بنات	خولة	٩٦	الاولى
١١	مها عبد الحميد حبشى	المتوسطة بنات	خولة	٩٥	الثانية
١٢	عبير محمد بكر الطباع	المتوسطة بنات	خولة	٩٢	الثالثة
١٣	حسام عبد اللطيف على الحبشى	الابتدائية بنين	خالد بن الوليد	٩٦	الاول
١٤	صالح قاسم عبد الرب علوى	الابتدائية بنين	المقوع	٩٥	الثانى
١٥	داود السيد ابراهيم محمد	الابتدائية بنين	الرازى	٩٤	الثالث
١٦	أمل يحيى محمد البنا	الابتدائية بنات	المعاهد الخاصة	٩٢	الاولى
١٧	رولا رشدى بيدس	الابتدائية بنات	عائشة	٩١	الثانية
١٨	شاهة احمد عبد الله	الابتدائية بنات	آمنة	٩٠	الثالثة

أهمية الدعوة

للواء الركن : محمود شيت خطاب

– ١ –

زار أحد الدعاة قطرا من أقطار غرب أفريقية ، فسأل شيخا من رجال الدين الاسلامى فيه عن مصير ولده الذى كان يلقاه حين يحل فى بيت أبيه الشيخ ضيفا ، فقال له الشيخ وهو يتنهد « لقد تمدن » (١) . وتعبير : « تمدن فلان » .. أصبح من التعابير الشائعة فى كثير من أقطار القارة السوداء ، ومعناه : تنصر فلان ، وهو يطلق على المسلم الذى ارتد عن دينه فأصبح نصرانيا ، وعلى غير المسلم الذى اعتنق النصرانية أيضا .

وسبب اقتران التنصر بالتمدن فى هذا التعبير ، هو أن الارساليات التبشيرية فى افريقية التى تعتمد على المؤسسات الدينية والمسيحية فى تمويلها وعلى الدول الاستعمارية وعلى شبكات المخابرات وشركات النفط والبيوت المالية الكبرى والقوى الاحتكارية العالمية ، قد أقامت مدارس ومعاهد وجامعات فى المناطق الحيوية من افريقية ، وحرمت على غير المسيحيين الانتماء اليها والتعلم فيها ، فأصبح لزاما على غير المسيحيين من

مسلمين وغير مسلمين أن يعتنقوا المسيحية أولا ، ويثبتوا تمسكهم بها ثانيا ، من أجل اتاحة الفرصة لهم للانتساب الى تلك المدارس والمعاهد والجامعات التبشيرية ، حتى ينالوا شهاداتها العلمية فى النهاية ، تلك الشـــهادات التى تؤهلهم لتسلم الوظائف الحكومية فى المجتمع ، وتفتح أمامهم مجال العيش الرغيد .

من هنا اقترن التنصر بالتمدن ، فلا عجب أن يكون أحد رؤساء جمهوريات افريقية حاليا يدين ــ بالنصرانية وهو من عائلة اسلامية ولا يزال أهله يدينون بالاسلام .

- ٢ -

لقد تطورت أساليب المبشرين فى نشر المسيحية ، فلم يعودوا ينفرون من تعميد السود ، ولم يعودوا يتخوفون من الحقوق التى ينالها الملون الذى يعمد ، كما أصبح التبشير وثيق الصلة بالاستعمار وبالشركات الاحتكارية وبدوائر المخابرات ، لهذا لم يبق المبشرون جامدين على أساليبهم القديمة التى طبقوها فى أواخر القرن العشرين ، ولم يعد بامكان الداعية المسلم أن يحول جموعا أكبر بمجهود أقل من مجهود المبشرين . ومن المذهل حقا أن المسلمين لا يزالون يرددون ما زعمه قسم من المستشرقين فى مؤلفاتهم عن (الدعوة الى الاسلام) ، « **وانتشار الاسلام** » من هذه المزاعم : **((ان الاسلام ينتشر انتشارا سريعا فى افريقية ، بالرغم من وسائل الدعـــاة المسلمين البدائية المرتجلة وعلى الرغم من أساليب المبشرين المتطــورة))** .... الخ ..

ان هؤلاء يهدفون من أقوالهم هذه أمرين : الأول تخدير المسلمين حتى لا يقوموا بواجباتهم فى الدعوة الى الله كما ينبغى ، والثانى استدرار عطف ممولى المبشرين لزيادة معوناتهم ودعمهم . والواقع هو ان الاسلام ينحسر أمام التبشير المسيحى ، خاصة فى افريقية وأندونيسيا .

واستنام المسلمون واستسلموا لسبات عميق بفعل هـــذه المزاعم المخدرة ، ولكن الواقع المرير يكذب هذه المزاعم ، وأجراس الخطـــر تدق بشدة ، لعلها توقظ الغيورين من المسلمين على ما يتهدد الاسلام ـــ من أخطـــار جسيمة داخل بلادهم وخارجها على حد سواء ..

وقد انتبه أحد سفراء الدول العربية الى تزايد نشاط المبشرين فى افريقية ، فكتب الى دولته تقريرا يؤكد فيه : **((انه لا اسلام فى افريقية بعد عشرين عاما ، اذا لم يتدارك المسلمون أمرهم))** ..

لقد أصبح الفكر الاسلامى غير واضح المعالم فى البلاد الاسلامية ذاتها ، بل أصبح هذا الفكر مشوها الى أبعد الحدود بفعل العصور المظلمة

وتأثير الاسرائيليات التى أقتحمت حرمه ، وبترسبات الاستعمار الفكرى البغيض الذى هو أخطر أنواع الاستعمار على الاطلاق ..

فما أحوج المسلمين اليوم الى دعاة من الطراز الرفيع ، يفهمون الفكر الاسلامى ويجلون عنه الصدأ والغبار ويعيدونه كما كان منهجا مثاليا للحياة الدنيا وسبيلا هاديا الى الآخرة ..

واذا كانت حصون المسلمين تنهار من الداخل ، فكيف تقوى على مصاولة العدو الخارجى ؟ ..

كما أن الفكر الاسلامى يعانى من هجمات خارجية خطيرة يخطط لها الاستعمار الجديد معتمدا على المبشرين والمستشرقين والصهيونية العالمية ودعاة التحلل والالحاد .

ولعل آثار المستشرقين التى تزجى المديح والثناء للتراث الاسلامى هى أكثر خطورة وضررا من آثارهم التى تكيل القدح والنقد ، لأن المدح والثناء يخدر الرأى العام الاسلامى ويلفته عن حاضره ومستقبله ، وشفاء أمراض مجتمع ما لا يمكن أن يتم بذكر أمجاد ماضيه فحسب ، بل بالعمل الجاد الدائب فى الحاضر والمستقبل .

لقد بهر الغرب المسلمين بتفوقه فى العلوم التطبيقية ، فأراد قسم من علماء المسلمين أن يقحموا آيات من الذكر الحكيم فى المجال العلمى ليزعموا أن القرآن الكريم سبق علماء العصر فى نطاق العلوم التطبيقية وغير التطبيقية أيضا .

ولست أشك فى وجود آيات بينات تدل بوضوح على السبق العلمى للقرآن الكريم ، ولكن اقحام بعض الآيات اقحاما ، لا يشرف القرآن بقدر ما يشرف العلم ، لأن القرآن ((**رأس**)) فلا ينبغى أن نجعله فى غير مكانته بحجة أو بأخرى ..

ان هذا التشبث يضطرنا الى طرح مشكلة الاسلام والعلم بشكل جديد يناسب سمو الدين ومنطق العلم ، بحيث لا نبحث فى الآيات الكريمة : هل ذكر فيها شىء عن غزو الفضاء أو تحليل الذرة مثلا ، وانما نتساءل : هل فى روحها ما يعطل حركة العلم أو فى روحها ما يحث عليه ويشجعه وينميه ؟

يجب أن نتساءل : هل يستطيع القرآن أن يخلق فى المجتمع الاسلامى المناخ المناسب للروح العلمى وأن يطلق الأجهزة النفسية الضرورية لتقدم العلم من ناحية وتبليغه من ناحية أخرى ؟ (٢) ..

ولست أعرف كتابا مقدسا كرم العلم والعلماء كما كرمها القرآن الكريم ، وصدق الله العظيم :

((قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) .

كما أن المناخ العلمى الذى هيأه القرآن للمسلمين ، هو الـــذى جعلهم يقودون الحضارة العالمية قرونا طويلة .

- ٣ -

ان المواد الأولية لبناء أفكار **((حية))** متيسرة فى : **((القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والتراث العربى الاسلامى العظيم)) ..**

وهذه الأفكار كفيلة باظهار الشخصية الاسلامية على حقيقتها : قوية لا تضعف ، متماسكة لا تتخاذل ، أخلاقية لا تنحل ، عزيزة لا تهون ، وهى كفيلة بأن تصمد أمام تيار الصراع الفكرى الجــارف ، لأنها تعنى بالمادة والروح ، والعقل والوجدان ، ولا تقتصر على المادة والعقل .

انها مادة وروح ، وليست مادة فقط ، وهى عقل وقلب ، وليست عقلا فقط ، والمادة تفنى والروح باقية ، والعقل يتبدل ، والقلب سر المحبــة والعطف والاخاء ..

ان العالم الاسلامى تخلص أو أوشك أن يتخلص من الاستعمــــار العسكرى والاستعمار السياسى والاستعمار الاقتصادى .

ولكنه لا يزال يرزح تحت اثقال الحضارة الغربية بما فيها من خير وشر وهى حضارة مسيحية كما هو معروف .

واذا كان هناك ما يسوغ استيراد ما فى الحضارة الغربية مــن **((خير))** فما المسوغ لاستيراد ما فيها من **((شر))** ؟

لقد ضاعت معالم الشخصية الاسلامية فى خضم مد الشخصيـــة الغربية المسيحية ، لأن المسلمين عانوا من الفراغ الفكـــرى ردحا طويلا ، فتسربت اليهم حضارة الغرب بشتى الوسائل لملء هذا الفراغ .

والأفكار **((الحية))** الاسلامية ، هى التى تعيد للمجتمع الاســـلامى مكانته المرموقة ، فما يصيب أى مجتمع يكون من جراء ضحالـــة أفكاره لا من جراء قلة أشيائه ..

لا بد من وضع الأسس الاسلامية الرصينة للمجتمع الاسلامى ، بحيث تكون هذه الأسس منهجا كاملا للحياة ، باستطاعتـــه مواصلـــة الصراع الفكرى الرهيب ..

ولا بد من تقنين الشريعة الاسلامية الغراء بحيث تبرز القـــوانين الوضعية الحديثة وتنقذ المسلمين من فجور القانون .

ولا بد من ترجمة تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتراث الاسلامى الى اللغات الأجنبية المختلفة ، ليعود الاسلام من جديد الى قيادة الفكر البشرى نحو النور والحق والسلام .

والسبيل الى ذلك هو تعاون السلطات الحاكمة مع العلماء .

ان السلطات الحاكمة مطالبة اليوم بتدارك المجتمع الاسلامى من التميع والانهيار ، وقد سجل التاريخ صفحات باهرة للذين وحدوا من أجل الجهاد ، وجاهدوا من أجل التوحيد ، حين نسيت ((**السلطات**)) التى فكرت بمصالحها الذاتية وتنكرت لمصالح شعوبها ، وما عند الناس لا يبقى وما عند الله خير وأبقى .

والعلماء مطالبون اليوم أن يتخذوا من العلم ((**عبادة**)) كما فعل السلف الصالح من علماء المسلمين وألا يتخذوه ((**تجارة**)) كما فعل الذين نسوا الله فنسيهم وأنساهم أنفسهم .

— ٤ —

ان التاريخ يذكر بمزيد من التقدير والاعجاب جهود الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى نشر الاسلام .

فقد نقص خراج مصر فى عهده لدخول الاقباط أفواجا فى دين الله ، فاقترح ((**والى**)) مصر على الخليفة ألا يعفى الذين يدخلون الاسلام من الجزية ، ولكن الخليفة الورع أبى أن يجيب هذا ((**الوالى**)) الى طلبه قائلا : « **ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه جابيا**)) ولا تزال قولته هذه ترن فى أذن الزمن وستبقى .

وعين عمر بن عبد العزيز سنة مائة الهجرية ((**٧١٨ م**)) اسماعيل بن عبد الله واليا على شمال افريقية ، وبعث معه عشرة علماء ليفقهوا البربر فى أمور دينهم ، ولا يزال التاريخ يذكر هذا العمل الدينى الحضارى بأعظم التقدير والاعجاب .

وقد أوفد الدعاة الى ((**السند**)) التى فتحها محمد بن القاسم ، فأستجاب كثير من زعماء السند لدعوة الخليفة التقى ، ودخلوا فى دين الله أفواجا .

وما يقال عن « **السند** » يقال عن بلاد((**ماوراء النهر**)) فقد استجاب كثير من أهلها لدعوة الحق التى أطلقها عمر بن عبد العزيز .

وقد امتاز عهده بحركة تحول واسعة النطاق الى الاسلام ، فنظم حركة ملؤها الحماسة فى نشر الدعوة ، وقدم للشعوب لونا من ألوان التشجيع لقبول الاسلام . فقد أعطى فى احدى المناسبات ألف دينار لقائد نصرانى ((**بطريق**)) تألفه بها على الاسلام وقد كتب الى ملك الروم ((**لاون الثالث**)) يدعوه الى الاسلام ، وألغى بعض الضرائب التعسفية المفروضة على المسلمين وغير المسلمين .

ولم يقتصر تقدير خدمات عمر بن عبد العزيز للاسلام على المؤرخين المسلمين فى مختلف العصور ، بل حاز تقدير المؤرخين غير المسلمين أيضا ، وكمثل على ذلك فان أحد المؤرخين المسيحين يضيف الى اسم عمر كلما ذكره قوله : « **رضى الله عنه** » .

أما العلماء الذين نهضوا بالدعوة أيام عمر بن عبد العزيز رضى الله

عنه ، فلا يزالون مفخرة تاريخ العلماء العرب المسلمين ، وسيبقون كذلك حتى يرث الله الارض ومن عليها .

لقد أمضى عمر بن عبد العزيز فى الحكم ثلاث سنوات فقط ؛ ولكنه شغل المؤرخين ولا يزال يشغلهم حتى — اليوم — لأنه كان مؤمنا حقا ، وكان ايمانه ايجابيا ، فرفع ذكر الله شرقا وغربا ، فرفع الله ذكره فى كل مكان وبكل زمان .

وعاش فى عهده علماء كثيرون من التابعين ، ولكن الذين نذروا حياتهم للدعوة لا يزالون يذكرون وحدهم بالاجـــلال والاكبار ، ولا تزال آثارهم باقية حتى اليوم .

فهل يكفى عمر بن عبد العزيز مثالا يحتذى به أصحاب السلطة من العرب والمسلمين اليوم وغدا ؟ وهل يكفى دعاته من العلماء مثالا يحتذى بهم علماء المسلمين اليوم وغدا ؟

— ٥ —

ان الطريق أمام العاملين المخلصين للعودة الى الاسلام فى الداخل ونشره بين الناس فى الخارج مفتوح ، والعرب والمسلمون مطالبون بأداء حق الله عليهم فى الدعوة الى دين الحق والخير والسلام وصد غارات أعدائه الكثيرين عنه ، وما أكثر هؤلاء الاعداء .

ان الدعوة الى الاسلام واجب دينى يقع على عاتق المسلمين حكامـــا ومحكومين ، وواجب وطنى دفاعا عن وجودهم ومقوماتهم فى الحياة لأن بقاءهم ببقاء عقيدتهم ، وقوتهم بقوتها ، فاذا ضعفت ضعفوا واذا انهارت انهاروا .

والدعوة الى الاسلام واجب انسانى ، لأنه يهدى للتى هى أقوم ، ويقتلع الشر من جذوره وينشر الفضيلة والطهر والمحبة ، ويقضى على عوامل الفساد ويكرم بنى آدم فى الدنيا والآخرة . فمن سيكون خليفـــة عمر بن عبد العزيز من المسئولين العرب والمسلمين فى القرن العشرين ؟ ومن سيكون خليفة دعاة عمر بن عبد العزيز من علماء المسلمين فى القرن العشرين ؟ — وصدق الله العظيم : « **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** » .

---

(١) نص ما قاله بالانكليزية He Became Sivilized

(٢) مالك بن نبى — انتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الاسلامى الحديث — ص ٣٤) — القاهرة — ١٩٧٠ م ..

البلاغة النبوية

للدكتور : صبحي الصالح

— ١ —

شغل الناس عن بحث البلاغة النبوية أمران ، أحدهما يتعلق بالقرآن والآخر يتصل بالحديث .

أما القرآن فشغل الناس حديثهم عن اعجازه ، حتى أخذ بعضهم بالصرفة ، وزعموا أن الله صرف الناس عن الاتيان بمثل هذا القرآن .

وأما الحديث فحالت مكانته التشريعية دون اسهاب البحث فى مكانته الأدبية . بل تجرأ نفر من العلماء على أن ينكروا الاحتجاج بالحديث فى اللغة والنحو — كما سنرى فى حلقة أخرى من هذا البحث ، وتجرأ آخرون فأنكروا الاحتجاج بالحديث الآحادى حتى فى التشريع كما سنوضح ذلك بعد قليل .

ولئن عذرنا القوم على انصرافهم باعجاز القرآن عن بلاغة الرسول ، فأنى لهم العذر وقد صرفهم فقه الحديث عن أدب الحديث ؟

ان البلاغة النبوية تدور حول محور الحديث ، وكما اشتمل الحديث على مواد غنية صلحت لاستنباط التشريع احتوى مواد أخرى لا تقل عنها

غنى تصلح أطرا لبيان الرسول أفصح من نطق بالضاد . بل المواد التى صلحت أصولا للفقه من وجه صلحت بنفسها صورا للفصاحة من وجه آخر . !

وبلاغة أهل البيان اما شعر واما نثر ، ولكن البلاغة النبوية برئت لاسباب دينية — من الشعر ، وخلصت للنثر ، فكان نطاقها الأساسى الحديث المنثور . بيد أن أطر هذا الحديث تعددت تبعا لتعدد مدلوله الاصطلاحى ، فكان فى كمه وكيفه مغنيا بروائع نثره عن جمال الشعر وسحره . .

ولا بد أن ننبه هنا الى ضرب من التشابه آنسناه بين مصطلحات المحدثين وما نود أن نقترحه من مصطلحات أدبية تعيننا على اماطة اللثام عن وجوه البلاغة النبوية . فالنثر البيانى النبوى هو ما يسمى عند المحدثين « بالحديث » و « السنة » على مذهب من يقول بترادف هذين اللفظين (١) وهو على كل حال أما حديث شفوى ، واما خطة مرتجلة واما كتاب مدون . وحتى على الرأى القائل بانتفاء الترادف بين ذينك المصطلحين ، ليس ضروريا حصر نطاق دراستنا البلاغية فيما أطلق عليه لفظ « الحديث » بوجه خاص ، ابتغاء التأكيد أنه وحده يشتمل على فنون قولية ، مرتجلة أو مكتوبة ، لأنا لو تناسينا موارد التسمية الاصطلاحية فيما عزى الى النبى من روايات لوجدناها جميعا ترتد الى « الأخبار (٢) ونحن

فى بحثنا بلاغة الرسول ندور حول محور واحد : هو ما نقل من قول الرسول وأيدته أعماله .

وانما الحجنا كرة أخرى على المادة القولية ، لأنها تشتمل على الصياغة الأدبية اشتمالها على الفكرة التى أراد الرسول بيانها . لكنا — من غير أن نخوض فى النزاع بين الشكل والمحتوى — لا يسعنا أن نحصر بحثنا — ولو بلاغيا — فى المادة القولية ، اذ نحتاج الى المحتوى الفكرى الذى حكى عن الرسول مستلهما من قوله وفعله وسيرته المطهرة ، وان لم يثبت أنه نطق بالذات بما رووا من الفاظه وتراكيبه .

والحق أن موضوع « الحديث » لا يغاير موضوع « السنة » ، وبالرغم من أن كلامنهما أطلق فى كثير من المواطن على غير ما أطلق عليه الآخر ، وبالرغم من أن رد لفظيهما الى أصولهما التاريخية يؤكد وجود بعض الفروق الدقيقة بينهما لغة واصطلاحا (٣) نستنتج من الرأى السائد بين المحدثين ، ولا سيما المتأخرين منهم ، أن لا مانع من وضع أحدهما مكان الآخر ، ففى كل منهما اضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة الى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم (٤) .

على أنا — وان لم نحصر نطاق دراستنا البلاغية فيما أطلق عليه لفظ « الحديث » — نؤثر أن نلتزم غالبا فى جونا الأدبى هذا اللفظ الأشيع

أدبيا ، حتى نفيء الى ظلاله الموحية ، اذ لو استخدمنا لفظ « السنة » عوضا عن لفظ « الحديث » لاصطبغ بحثنـــا ـــ عن غيــر قصد منا ـــ بلون فقهى أو شرعى ، أبعد ما يكون عما تصدينا لابرازه من أدب الرسول .

وان ذلك ليملى علينا ـــ فيما نستشهد به من نصوص وأمثلة ـــ أن نعرض الأحكام الشرعية التى قد نضطر الى شرحها عرضا موجزا لا نفصله الا بالقدر الضرورى لالقاء الضوء على أصل الفكرة ، باعتبار هذا الأصــل أحد العنصرين المقومين لكل عمل أدبى ، ولكل فن قولى . ولكى يصح هذا الاعتبار نحسب القارىء أكثر ارتياحا اذا عبرنا له « ببلاغـــة الحديث » لا « بأدب السنة » وكذلك اذا عبرنا له « ببلاغة الحـــديث » لا « ببلاغـــة السنة » .

ومع ذلك عنونا بحثنا « البلاغة النبوية » لا « أدب الحديث » . وان هذه التسمية لتشى بشىء آخر : وهو أن الأدب الخلقى الاجتماعى الـــذى حفل به الحديث حتى عنونت به بعض المصنفات ـــ قد يظن أنه مـــا نرمى الى تبيانه بوجه عام ، مع أن مرادنا محصور فى الجانب الفنى تصـــويرا وتعبيرا لا الجانب الاجتماعى فضيلة وخلقا .

وذلك لا يمنع أمرين : أحدهما أنا بعد هذا الاحتراز ـــ قد نستعمل ـــ ان شئنا ـــ عبارة « الأدب النبوى » أو « أدب الحديث » ما دام الســـياق يعين أن الغرض بيانى أو بلاغى محض . والآخر أنا بعد هذا الاحتراز أيضا قد نبرز ما يطيب لنا ابرازه من شمائل الرسول ومكارمـــه ، لا على أنهـــا دراسة تفصيلية لفلسفته الخلقية بل على أنها أنماط من نظرته الى جانب من جوانب الحياة ، وتلك النظرة تشكل حينئذ جزءا لا يتجزأ من عنصر الفكرة فى العمل البيانى الرفيع .

نخلص من ذلك كله الى أن قطب دراستنا هو الحديث المنثور الذى يشمل فنون الأدب النبوى مرتجلة ومكتوبة ، كأنها انعكاســـات لصـــوت الرسول على شريط مسجل ، اذ ارتسمت فيها حركات روحه وخفقات قلبه ، وتجلت عليها أصالة تفكيره ، وألوان تصويره ، ونغمات تعبيره .

ولكى نظل فى نطاق هذا الحديث المنثور مفترضين أنه غالبـــا نتاج الرسول الأدبى فكرة وأسلوبا ، ينبغى لنا ـــ اصطلاحا ـــ أن نشترط فى الحديث الذى ندرسه أن يكون مرفوعا بوجه صريح . والمشهور فى المرفوع أنه ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم خاصة من قول أو فعل أو تقرير ، سواء أأضافه اليه صحابى أم تابعى أم من بعدهما ، وسواء أتصل اسناده أم لا (٥) .

ومن الواضح أنا ـــ بتعريف المرفوع على هذا النحو ـــ انما لاحظنا انتهاء متن الحديث الى النبى الكريم بقطع النظر عن اسناده متصلا أو غير متصل ، محكوما بصحته أو ضعفه : ذلك بأن القول والفعل والتقرير صالحة

لأن تسمى « متن الحديث » من غير التفات الى حال اسنادهـا حين ينظر اليها لذاتها (٦) .

ومن الواضح أيضا أنا ـ باشتراطنا المرفوع « الصريح » ـ احترزنا عن المرفوع حكما الى النبى من قول أو فعل أو تقرير ، وهو الذى يقال لـه « ما فى حكم المرفوع » (٧) ، لأن أمثلته وتعريفاته ترد الى « الموقوف » الذى ينتهى متنه الى الصحابى لا الى الرسول ، ومثله اذا قبل فى الأحكام الشرعية فلفرط حاجتنا الى الاحتجاج بالسنة العملية التى حكيت سندا عن الرسول وان كانت متنا من الفاظ الصحابى (٨) .

وحصر الحديث المنثور فى نطاق « الرفع الصريح » يظل « احتماليا » أو « افتراضيا » لا يلحظ فيه ـ كما أوضحنا ـ الا انتهاء متنـه غالبا الى النبى ، وذلك لا يكفى للاستيقان من صحته سندا ، بل ولا متنا ، وذلـك لا يكفى أيضا ـ من زاوية أخرى ـ لادارة بحثنـا التحليلى الأدبى حـول فكرته وأسلوبه ، وألفاظه وتراكيبه ، فلنخط خطـوة أخرى ، ولنضف الى شرط الرفع شرط الاتصال ، ليكون كل واحد من رواة الحديث سمعه ممن فوقه حتى انتهى ذلك الى آخره وحينئذ نسمى الحديث مسندا .

لكن المسند ـ رغم غلبة اسـتعماله فى المـرفوع المتصـل ، على الأرجح ـ لا يجعل منه مجرد اسناده حديثا « صحيحـا » : لأن المسـند ـ ومثله المرفوع والمتصل ـ مصطلحات مشتركة بين الصحيـح والحسن والضعيف فلا بد ـ ليكون الحديث « المسند » الذى ندرسه مقبولا ـ من أن يكـون على الأقل « حسنا » ونفضـل عليه ما يكون « صحيحـا » ، ولو « آحاديا » أمـا ما اصطلح على تسميته « بالضعف » فـلا مكان له فى دراستنا ، لأن المفروض فى مثله أنه مردود وأنه لم يرد الا لغلبة الظن بأنه ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، ونحن انما نتناول بدراسـتنا الأدبية التحليلية ما رجحنا أنه تعبير النبى أو ما يمكن أن يكون نظيره صادرا عن النبى الكريم . والا فكيف نتقصى خصائص البلاغة النبويـة من ألفاظ وتراكيب لم نكد نستيقن من صحة عزوها الى أفصح من نطق بالضاد !

١ـ أنظر الملل والنحل للشهرستانى ، هامش الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ج ١ ص ٦٤ .

(٢) كليات أبى البقاء ص ١٥٢ .

(٣) قارن بكتابنا علوم الحديث ومصلحه ص ٩ الطبعة الخامسة (دار العلم للملايين ـ بيروت)

(٤) المرجع السابق ص ٣ .

٥ ـ توضيح الافكار (الصنعانى) ٢٥٤/١ وقارن بشرح النخبة « لابن حجر » ٢٦ .

٦ ـ قارن بكتابنا « علوم الحديث » ٢١٧ .

٧ ـ شرح النخبة ٢٧ ـ ٢٨ .

٨ ـ قارن بتوضيح الأفكار ٢٦٢/١ .

لا علاقة بين العلم والإلحاد

فى أرجاء الأمة الاسلامية ناس أشباه متعلمين يعلنون الحادهم دون حياء ، ويزعمون أنهم ثوار على الرجعية ، عشاق للمعرفـــة ، ضائقون بالأفكار القديمة ، معتنقون للأفكار الحديثة !!

وكثيرا ما لقيت فى طريقى صورا من هـــؤلاء الناس ، فأتفرس فى مسالكهم ، وأتأمل فى أقوالهم وأحوالهم ، ثم أذكر كلمة العقاد رحمه الله : هناك مقلدون فى كراهية التقليد !!

ان هذا النفر المعوج من الشباب ضحل الثقافـــة ، قصير الباع فى ميادين العلم ، ولكنه يريد الظهور فى ثياب العلماء فيثرثر بكلمات ضخمة يحسبها تنظمه فى سلكهم وهيهات !! انهم لم يكفروا بعد دراسات عميقة فى علوم الكون والحياة ، فان أنصبتهم من هذه العلوم فوق الصفر بقليل ، ولكنهم كفروا لعلل نفسية أو اجتمـــاعية أو اقتصـــادية نمت فى نفوسهم وأصـــابتهم بهذا الدوار أو هـــذا السعار فقـــالوا مـــا قالوا دون وعى حق .. !

أما حديث العلم وتقدمه ، والكون وكشوفه ، فهو تعلة خادعة ينكرها العلم والعلماء ..

وأول ما نلحظه على أولئك الناس نقلهم لكلمـــات أوحت بها بيئات أخرى ، وترديدها فى بلادنا دون أى حســاب لاختلاف الزمان والمكـــان والباعث والنتيجة . !!

لقد كان الفيلسوف الألمانى « نتشة » ملحدا ، وكـــان كفره باللـــه شديدا . ومما يؤثر عنه قوله فى الهجوم على الدين « عندما نستمع فى صباح الأحد الى دقات الأجراس القديمة نتساءل : أهذا ممكن ؟ ان هذا كله من أجل يهودى صلب منذ ألفى عام كان يقول انه أبن الله !! وهو زعم يفتقر الى برهان ..

لا جدال أن العقيدة المسيحية ــ هكذا يقول « نتشة » ــ هى بالنسبة الى عصرنا أثر قديم نابع من الماضى السحيق ، وربما كان ايماننا بها فى الوقت الذى نحرص فيه على الاتيان ببراهين دقيقة لكـــل رأى نعتنقـــه ، شيئا غير مفهوم فلنتصور الها أنجب أطفالا من زوجة فانية ، وخطايا ترجع الى الله ثم يحاسب هو نفسه عليها خوفا من عالم آخر يكون الموت هـــو المدخل اليه ! لكم يبدو كل ذلك مخيفا ، وكأنه شـــبح قد بعث من المـــاضى السحيق ! أيصدق أحد أن شيئا من ذلك لا يزال يصدق ؟؟؟

للشيخ محمد الغزالي

وهذا الطراز من الالحاد هو الذى يحمل جرثومتـــه بعض الناس ، يحسبون أنهم يفتنوننا به نحن المسلمين عن ديننا ويصرفوننا عن رسالتنا ..

وهو طراز يختلط فيه التقليد الأعمى بالنقص المركب ، أو حب الظهور بالحقد على المجتمع .. أما الزعم بأن العلم المادى ضد الدين ، وأن بحوثه المؤكدة وكشوفه الرائعة تنتهى بانكار الألوهية فهذا هو الكذب الصراح .. !

بل ان أساطين العلم والفلسفة تشابهت مقالاتهم فى اثبات الوجود الأعلى ، وتكاد فى وصفها لله تنتهى الى ما انتهى اليـــه القرآن الكريم من توحيد وتمجيد ..

نحن لا ننكر أن خصاما شديدا قد وقع بين العلم والدين فى أوروبا حيث كان القول بكروية الأرض كفرا ، والقول بدورانها حـــول الشمس الحادا !!

ولا ريب أن تلك الجفوة المفتعلة بين حقيقة الدين وطبيعة العلم تركت آثارا سيئة هنا وهناك ، بيد أن الاعتماد على هذا فى التجهم للايمان الحق لا يسوغ ، فان تجريد الدين من الشوائب التى لحقت به ، والتزام العلم للنهج السوى فى البحث عن الحقيقة قد انتهى بصلح شريف يذكرنا بقوله جل شأنه : « سنريهم آياتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

كانت المادية بدعة القرن الماضى ، وكان الزعم السائد أنه لا وجود

الا للمادة وأن ما وراء المادة عدم محض ، وان المادة لا تفنى ولا تستحدث ، وأن الدين بعد هذا كله أمسى لا مكان له . !!

ثم مضت الحقائق العلمية تكشف عن وجهها فاذا مقررات الماضى تنسف من أصولها ، يقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى : كان العلم يتصور الأمور تصورا ماديا بحتا الى أن جاء العالم الشهير « البرت انشتين » فغير ببحوثه الطبيعية النظرة الى المادة تغييرا حاسما ، وقد صور الفيلسوف الانكليزى « رسل » ذلك قائلا : درسنا العالم الطبيعى فوجدنا المادة عند العلم الحديث قد فقدت صلابتها وعنصريتها ، اذ حللها العلماء الى مجموعات ذرية كل مجموعة منها تنحل الى ذرات ، وكل ذرة تعود بدورها فتنحل الى كهارب موجبة وأخرى سالبة ، ثم مضى العلماء فى التحليل ، فاذا هذه الكهارب نفسها تتحول الى اشعاعات !!

وختم « رسل » كلامه بهذه العبارة « ليس فى علم الطبيعة ما يبرهن على أن الخصائص الذاتية للعالم الطبيعى تختلف عن خصائص العالم العقلى » .

ونحن نقول : انتساب ذلك الكون الضخم الى أصول من الأشعة شىء مثير حقا !! ترى ما الذى كثف النور ، وجمد حركته ووزعه على ألوف الأشكال التى نراها ؟

انك لن تعدم سفيها يقول لك : تم ذلك من تلقاء نفسه !!

وهذا القائل مستعد أن يقول لك أيضا : ان الصحف فى عواصم العالم تصدر عن دورها مليئة بالأخبار والتعليقات والصور ، متسقة الحروف والأرقام تلقائيا من غير ما اشراف ولا اعداد ولا تبويب ولا ترتيب !!

لعمرى أن ذلك أدنى الى التصور من خلق الموت والحياة فى هذا العالم الفخم الضخم تلقائيا كما يأفك الأفاكون !!

لكن أى عاقل يحترم نفسه ويقدر علمه يأبى هذا المنزلق ، يقول الدكتور التفتازانى :

ولعل هذا ما جعل العلامة « انشتين » يؤثر الايمان بالله ويرفض الشبهات التى تختلق ضده ، وقد دار حوار بينه وبين صحفى أمريكى يدعى « فيرك » فى هذا الموضوع قال فيه الرجل العالم بحسم : اننى لست ملحدا !! ولا أدرى : هل يصح القول بأنى من أنصار وحدة الوجود ؟ (١) ان المسألة أوسع نطاقا من أن تحيط بها عقولنا المحدودة . . !!

وعاد الصحفى الى سؤاله بطريقة أخرى — يريد بها هز الايمان الذى لاذ به هذا العالم — فقال : ان الرجل الذى يكتشف ان الزمان والمكان منحنيان ، ويحبس الطاقة فى معادلة واحدة ، جدير به الا يهوله الوقوف فى وجه غير المحدود !!

فيرد « أنشتين » : اسمح لى ان أضرب لك مثلا ، ان العقل البشرى مهما بلغ من عظم التدريب وسمو التفكير عاجز عن الاحاطة بالكون — فكيف بخالقه — نحن أشبه ما نكون بطفل دخل مكتبة كبيرة ارتفعت كتبها الى السقف ، فغطت جدرانها ، ثم هى مؤلفة بشتى اللغات ،

ان هذا الطفل يعلم أن شخصا ما كتب هذه الكتب ، ولكنه لا يعرف بالضبط من هو ، ولا كيف كانت كتابته لها ، ثم هو لا يفهم اللغات التى كتبت بها !!

وقد يلاحظ الطفل أن هناك طريقة معينة فى ترتيب الكتب ، ونظاما

غامضا يشمل صفوفها وأوضاعها ، نظاما يحس أثره ولا يدرى كنهه .

ان ذلك القصور هو موقف العقل الانسانى مهما بلغ من العظمة والتثقيف !!

وعاد الصحفى الأمريكى يسأل : أليس فى وسع أحد حتى أصحاب العقول العظيمة أن يحل هذا اللغز ؟

فأجاب « انشتين » مرة أخرى يعلل لماذا هو مؤمن ، ولماذا يعجز عن معرفة كنه الله فقال : نرى كونا بديع الترتيب خاضعا لنواميس معينة ، ونحن نفهم تلك النواميس فهما يشوبه الابهام فنؤمن بالله ، ولكن عقولنا المحدودة لا تدرك القوة الخفية التى تهيمن على مجاميع النجوم .. » .

لوكانت المواد التى يتكون منها هذا العالم الضخم تتراكم بعضها فوق بعض دون تبصر أو حكمة لدلت كثرتها وحدها على غنى واسع وثراء عريض .. !! فان الأبعاد الآلية لهذا الكون مذهلة .. !!

لكن الأمر أبعد ما يكون عن الجزاف والفوضى .

والبناء العقلى المتغلغل فى الكون من الذرة الى المجرة يجعلنا نكون عن هذا العالم الدقيق صورة أخرى .

ولن نأتى بهذه الصورة من عند أنفسنا بل من أقوال الفلكى الانجليزى « سير جميس جنز » الذى ينطق بهذه العبارة المثيرة « لقد بدأ الكون يلوح أكثر شبها بفكر عظيم منه بآلة عظيمة .. » .

ان الروعة لا تكمن فى ضخامة الآلة التى نراها بل فى الطريقة التى تدور بها وتؤدى وظيفتها .

ان الروعة لا تكمن فى ضخامة الآلهة التى نراها بل فى الطريقة التى حبكة الموازنة والضبط والتقدير . ومن ثم يتجه الاعجاب الى العقل الواضع الحاسب قبل أن يتجه الى أثره المحدود .

ولننظر الى عقلنا الانسانى بين ما ننظر اليه من صنوف المخلوقات ، ماذا نرى ؟ انه كائن ذكى قدير يبدو ويخفى فى أدمغة الألوف المؤلفة من سكان الأرض الأحياء والراحلين ، الذين وجدوا والذين سيوجدون ، من أين تولد هذا العقل ؟ من الماء والطين كأعشاب الحدائق ..

هذا فرض مضحك ولا ريب ، انه نفحة من الخالق الأعلى وحده .

يقول : « سير جميس جنز » يجب أن ننكر المقدمات التى يفترضها بعض النقاد من غير علم ، فالكون لا يبيح لنا أن نصوره تصويرا ماديا ، وسبب ذلك فى رأيى أنه قد أصبح من المدركات الفكرية العميقة ، اننا واجدون فى الكون دلائل على قوة مدبرة أو مسيطرة يوجد بينها وبين عقولنا الفردية شىء مشترك ، ليس هو العاطفة أو الأخلاق ، أو تقدير الجمال ، ولكنه الرغبة فى التفكير بطريقة خير ما نصفها به انها رياضية (!) لأننا لا نجد الآن أصلح من هذا التعبير » .

والعلامة الانجليزى معذور فى وصف الابداع الالهى بهذا الأسلوب .

لقد راعه وهو فلكى راسخ أن يجد فى نظام الشروق والغروب والدوران والانطلاق دقة تسجد علوم الرياضة فى محرابها ، فقال : « ان التفكير المشرف عليها تفكير علمى رياضى !! بل انه اعتبر العقل الانسانى أثرا للعقل الكلى الذى توجد فيه على شكل فكر تلك الذرات التى نشأت منها عقولنا ، ثم انتهى أخيرا الى أن الآراء متفقة الى حد كبير فى ميدان العلم الطبيعى الى أن نهر المعرفة يتجه نحو حقيقة غير آلية » أى غير

مادية ، أى الى الله الكبير المتعـــال ، على هذا النحو يفكر علمـــاء الكون الكبار ، ويحكم أئمة العلم الحديث ورواده الأكابر ولذلك شعرت بسخرية أى سخرية عندما قرأت لصحـــافى كبير فى بلادنا هـــذه الكلمة الغبيـــة السمجة . « ان التقدم العلمى يوشك أن يجعل أخطر الوثائق العقائدية نوعا من البرديات القديمة التى حال لونها ، وبليت صفحاتها ، وعدت عليها عوامل الزمن بالتعرية والتآكل ، وأصبح من الضرورى للابقاء على أثرها أن يخصص لها مكان فى متاحف التاريخ » .

قلت ما أوسع الفرق بين منطق العلماء ومنطق الجهـــلاء فى تناول القضايا وارسال الأحكام . هل يمحى الايمان كله بهذه السهولة ؟

ولقد شعرت كذلك بسخرية أى سخرية عندما رأيت كتابا بعنوان « العالم ليس عقلا » ألفه شخص ولد فى نجد ، وقضى أغلب عمـــره على قهوات القاهرة وبيروت ، وتلقى أكثر علمـــه من الأوراق الشاحبـــة التى يسطرها بعض المعلولين والمعقدين !

هذا المسخ الذى لم يعمل يوما فى مرصـــد ولا مختبر للكيميـــاء أو الفيزياء ، ينكر الألوهية ، ويسفه النتائج التى وصل اليها أمثال « انشتين » من قادة المعارف الكونية ، طبعا لأنهم رجعيون وهو تقدمى ، ولأنهم قاصرون وهو نابغة . . !!

ولست أتهم كل ملحد بأنه صورة للملحدين الصـــغار ، فان هنـــاك بعض العلماء والفلاسفة ــ وان كانوا قلة ــ تنكروا للايمان وقواعـــده وغاياته ، بيد أن المتتبع لأقوال هؤلاء يجزم بأن انتسابها الى العلم تزوير جرىء فهم يخمنون ويفترضون ثم يبنون قصورا على رمال . !

وقد قرأت لبعضهم كلاما عن بداية الخليقة يثير الضحك ، فهم يزعمون أن العناصر فى الأزل السحيق تفاعلت اعتباطا ، وسنحت فرصة لن تتكرر بعد أبدا (!) فتكونت جرثومة الحياة ! ثم أخذت تنمو وتتنوع على النحـــو الذى نرى . .

وهذا كلام لا يصدر عن عقل محترم ولا يصفه بأنه علم الا مخبول !!

وصدق الله العظيم « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » .

أذكر أنى ــ وأنا أناقش بعض الأدلة ــ سألت نفسى هذا السؤال : هل أنا كائن قديم أم مخلوق جديد ؟

فكان الجواب القاطع : لقد ولدت سنة كذا ، فأنا حادث بلا ريب . !!

ولكن شبهة ثارت تقول : انك تخلفت من مادة الذين هلكوا قبلك ، وعندما تموت فستكون أجساد أخرى منك ومن غيرك . !

فقلت اذا أسلمت بهذا فى الأجساد فلن أسلم به فى روحى أنا . . ان هذه « الأنا » المعنوية هى حقيقتى الكبرى ، وأنا مستيقن بأنى كائن جديد مستقل وجدت بعد عدم محض ، فمن أبرزنى من لا شىء . ؟

اننى لست معتوها حتى أشك فى بداية وجودى وشعورى فمن رب هذه المنحة الخطيرة ؟ فتلوت قوله تعالى « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (٢) انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » .

وعدت الى قصة الجسد الذى أحمله فى حياتى وأنضوه بعد مماتى هل هو قديم المادة حقا ؟ فسألت العلم : كيف يوجد ؟ وهل يمكن أن يتمثل

بشرا سويا هكــذا عشواء ؟ فقال العلم : ان الوليد يتخلق أول أمره من التقاء الحيوان المنوى بالبويضة ! فما الحيوان المنوى ؟ كائن دقيق توجد فى الدفقة الواحدة منه قرابة مائة مليون حيوان ، كل واحد من هذه الألوف المؤلفة يمثل الخصائص المعنوية والمادية للانسان من الطول أو القصر والسواد أو البياض والذكاء أو الغباء والحدة أو الهدوء .. الــخ ويبدأ التكــون الانسانى بوصول واحد — لا غير — من هذه الألوف الكثيفة الى البويضة وتفنى البقية . قلت : فلأقف عند نقطة الابتداء هذه لأسأل : من الذى صنع هذه الحيوانات السابحة فى سائلها ، الحاملة لخصائص السلالة الآدمية من أجيال خلت .. ؟

قالوا غدة فى الجسم !! قلت : غدة أوتيت الذكاء والوعى والاقتدار على خلق مائة مليون كائن من طراز واحد !! مجموعة دراهــم من اللحم تتصرف من تلقاء نفسها فى صنع الذكاء أو الغباء ، والحلم أو الغضب ؟

ما يصدق ذلك الا مغيب العقل !! وتلوت قوله تعــالى : « أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ؟

اننا أمام أدوات القدرة العليا ، وهى تبرز مشيئة الخالق الجليل ، وكأنها تقول لنا : ان الله للعالم ليس فيه شائبة غرابة ! أليس يخلق فى كل لحظة تمر ألوفا من الناس ، وألوفا من الدواب ، وصنوفا من النبات ؟؟

ان ابداع الخليقة ليس فلتة وقعت وانتهت ، وأمست فى ذمة التاريخ بحيث يستطيع المكابرون أن يجادلوا فيها .. لا .. ان الايجاد من الصغر يقع أمام أعيننا كل يوم فى عالم الأحياء فلم هذا المراء ؟

ان بديع السموات والأرض لا يزال يخلق فى كل وقت وفى كل شبر صنوفا من الأحياء الدقيقة والجليلة لا حصر لها فكيف ينكر ما كان من خلق أول أو ما سوف يكون من بعث وجزاء ؟ « أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شىء قدير » .

ولنفرض جدلا أن بعض النــاس يرى أن الفلك الدوار يجــرى فى الفضاء ، دون ضابط ولا رابط ، وأن الوليد الخارج من ظلمات الرحم لا مع العين ، مورد الخد ، مفتر الثغر ، قد صنعه على هذا التقويم الحسن شىء ما فى بطن الأم !!

لنفرض أن بعض الناس ركب رأسه وقال هذا الكلام .

فما الذى يجعل هذا الزعم السخيف يوصف بأنه علم وتقدمية على حين يوصف منطق الايمان بأنه جمود ورجعيــة ؟ سبحــانك هذا بهتــان عظيم !

لقد آن الأوان لتهتك الأستار عن أدعياء التقــدم الذين يمثلون فى الواقع ارتكاسا انسانيا الى جاهلية عديمة الشرف والخير مبتوتة الصلة بالعقل وذكائه والعلم وكشوفه ..

---

(١) ليس هذا العالم ممن يعتنقون مذهب الوحدة على النحو الذى يعرفه الهنود ، أو النحو الذى تسرب من الهندوكية الى بعض الديانات الأخرى ، ولكنه يريد أن يقول : انه يرى الله فى كل شىء ، يلمح صفاته العظمى فى مجالى الكون كلها « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » وعذر الرجل أنه لا يعرف الاسلام فيعبر التعبير المأثور ..

(٢) الاستفهام تقريرى كما يقول العلماء ، يعنى قد أتى على كل أمرىء وقت كان فيه عدما محضا ، وهو الوقت السابق لميلادنا ، فما كنا شيئا قط قبله ، فمن استحيانا من ذلك الفناء ؟

مائدة القارئ

الامـــارة

عن عطاء بن يسار قال : قال رجل عند رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : بئس الشيء الامارة فقال النبى : نعم الشيء الامارة لمن أخذهـــا بحلها وحقها وبئس الشيء الامارة لمن أخذها بغير حقها وحلها . تكـــون عليه يوم القيامة حسرة وندامـــة .

امارات الانصراف

كانت لكل حاكم امارة يفهم منها جلساؤه أنه يريد الانصراف .
كان (أنوشروان) يقول : قرت أعينكم و (عمر) يقـــول : قامت الصلاة ، (وعثمان) يقـــول : العزة لله ، (ومعاوية) يقول : ذهب الليل ، (وعبد الملك) يقول : اذا شئتم ، (والوليد) يلقى المخصرة ، (والرشيـــد) يقول : سبحان الله ، (والواثق) يمس عارضيه .

درس مـــالك

كـــان الامـــام مالك اذا أتاه الناس خرجت اليهم الجاريـــة فتقول لهم :
يقول لكم الشيخ : أتريدون الحديث أم المسائل ، فان قالوا المسائل خرج اليهم ، فأفتاهم ، وان قالوا الحديث ، قـــال لهم اجلسوا ، ودخل مغتسلـــــه فاغتسل ، وتطيب ، ولبس ثيابا جددا وتلقى له المنصة ، فيخرج اليهم ، وعليـــــه الخشوع ، ويوضع عود ، فلا يزال يبخـــر حتى يفرغ من حـــديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلنسوة خالـــد

فقد خالد بن الوليد قلنسوته يوم اليرموك ، فقال : أطلبوها فبحثوا ، ونظروا فلم يجدوها ، فما زال بهم يأمرهم ، ويلح فى طلبها حتى وجدوها ، فاذا هى خلقة لا تساوى شيئا ، فسئل عن ذلك ، فقال : اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فحـــلق رأسه ، فابتدر الناس شعره ، فسبقتهم الى ناصيته ، فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى الا تبين لى النصر .

فراسة عمـــر

روى أن عمر أبصر أعرابيا نازلا من جبل فقال : هذا رجل مصاب بولده ، قد نظم فيه شعرا لو شاء لأسمعكم ، ثم قال : يا أعرابى من أين أقبلت ؟ قال : من أعلى هذا الجبل . قال : وما صنعت فيه ؟ قال : أودعته وديعة لى . قال : وما وديعتك ؟ قال : بنى لى هلك ، فدفنته فيه . قـــال : فأسمعنا مرثيتك فيه ، فقال وما يدريك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما تفوهت بذلك وانما حدثت به نفسى ، ثم أنشد :

يا غائبـــا ما يـــؤوب من سفـــره ... عاجلـــه موتـــه عـــلى صغـــره
يا قـــــرة العين كنت لـــى أنـــا ... فى طول ليلى نعم وفـــى قصـــره
ما تقـــع العين حيث مـــا وقعت ... فى الحى منـــه الا عـــــلى أثـــره
شربت كأســـا أبـــوك شاربهـــا ... لا بـــد منهـــا لـــه على كبـــره

النحوى البخيـــل

وقف أعرابى على نحـــوى معروف وهو يتغـــدى ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام ، ثم أقبل على الأكل ، ولم يعزم عليه ، فقال له الأعرابى : انى قد مررت بأهلك ، قال : كذلك كان طريقك . قال : وامرأتك حبلى . قال : كذلك عهدى بها . قال : قد ولدت . قال : كـــان لا بد لها أن تلد . قال : ولدت غلامين : قال : كذلـــك كانت أمها . قال : مات أحدهمـــا . قال : ما كانت لتقوى عـــــلى ارضاع اثنين . قال : ثم مات الآخر . قال : ما كان ليبقى بعد موت أخيه . قـــال : وماتت الأم قال : حزنا على ولديها . قال : ما أطيب طعامك . قال : لأجل ذلك أكلته وحدى .

أرخص أجـــرة

استأجر رجل حمالا ليحمل قفصا فيه زجاج ، وجعل أجره أن يعلمه ثلاث وصايا نافعة ، فحمل الرجل القفص ، فلما بلغ ثلث الطريق ، قـــال : هـــات الوصية الأولى . فقال له :

من قال لك أن الجوع خير من الشبع فلا تصدقه ، فقال نعم ، فلما بلغ ثلثى الطريق قال : هات الوصية الثانية ، فقال له :

من قال لك أن المشى خيـــر من الركوب فلا تصدقه ، فقال نعم ، فلما انتهى الى باب الدار قال له : هات الوصية الثالثة ، فقال له : من قال لك انه وجـــد حمالا أرخص منك ، فلا تصدقه، فرمى الحمـــــال القفص على الارض وقال له : ومن قال لك ان فى هـــــذا القفص قارورة وأحدة صحيحة ، فلا تصدقه .

الاتجاهات المنحرفة في
دوافعها ودفعها
الاتجاه المنحرف

تتبع فضيلة الاستاذ كاتب المقال الانحرافات فى كتب التفسير على اختلاف عصورها ، وتباين مذاهبها واتجاهها ، وله فى هذا الموضوع بحث مستفيض فرغ من اعداده منذ سنة ١٩٦٦م ولكنه لم ينشره ، ونحن فيما يلى ننشر المقالة السابعة من هذا البحث .

. . . .

وجد التصوف – بمعنى الزهد والتقشف والمبالغة فى العبادة – منذ الصدر الأول للاسلام ، ولم يعرف لفظ التصوف ، وتطلق كلمة الصوفية على هؤلاء الزهاد الا فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، وفى هذا القرن تولدت بعض الأبحاث الصوفية وظهرت تعاليم القوم ونظرياتهم التى تواضعوا عليها ، وأخذت هذه الأبحاث والتعاليم تنمو وتتزايد كلما تقادم العهد عليها ، وبمقدار ما يستفيده القوم ممن يتصلون بهم من الفلاسفة وغيرهم .

ولقد كان لبعض المتصوفة صلات قوية بالفلاسفة ، واهتمام ظاهر – بالنظريات الفلسفية ، حتى وجدنا من بينهم رجالا أشبه بالفلاسفة منهم بالصوفية ، وأصبحنا نرى بعضهم يدين بنظريات فلسفية لا تتفق ومبادىء الشريعة ، ومن هنا كان للمتصوفة فى تصوفهم اتجاهان : اتجاه نظرى يقوم على البحث والدراسة واتجاه عملى يقوم على التقشف والزهد والتفانى فى طاعة الله .

وكان للمتصوفة – كغيرهم من طوائف المسلمين – دراسات فى القرآن الكريم ، وكان لهم فى تفسيره مؤلفات حوتها المكتبة الاسلامية ، بعضها قديم وبعضها حديث ، وكانت دراسات المتصوفة للقرآن وشروحهم له عليها طابع التصوف ، فظهر فيها بوضوح أثر التصوف النظرى الذى

تفسير القرآن الكريم

للأستاذ محمد الذهبي

في التفسير للصوفية

ينبنى على مقدمات علمية تنقدح فى ذهن الصوفى أولا ، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك .

كما ظهر بوضوح — أيضا — أثر التصوف العملى الذى يرتكز على رياضة روحية ، يأخذ بها الصوفى نفسه حتى يصل الى درجة تنكشف له فيها من سجوف العبارات اشارات قدسية ، وتنهل على قلبه من سحب الغيب معارف سبحانية ، يشرح بها كتاب الله عز وجل .

واذا ما ذهبنا نستعرض ما للقوم من تفسير صوفى نظرى ، وما لهم من تفسير اشارى فيضى ، وجدنا فى هذا وذاك اتجاها منحرفا عن النهج القويم لتفسير القرآن الحكيم ، فالتفسير الصوفى النظرى تفسير يخرج بالقرآن — فى الغالب — عن هدفه الذى يرمى اليه .. يقصد القرآن هدفا معينا بنصوصه وآياته

ويقصد الصوفى هدفا معينا بأبحاثه ونظرياته ، وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد ، فيأبى الصوفى الا أن يحول القرآن عن هدفه ومقصده الى ما يقصده هو ويرمى اليه ، وغرضه بهذا كله أن يروج لتصوفه على حساب القرآن ، وأن يقيم نظرياته وآراءه على أساس من كتاب الله وبهذا الصنيع يكون الصوفى قد خدم فلسفته ونظرياته التصوفية ، ولم يقدم للقرآن شيئا الا هذا التأويل الذى كله شر على الدين وإلحاد فى آيات الله .

رأينا ابن عربى يميل ببعض الآيات الى ما يذهب اليه من القول بوحدة الوجود ، ورأينا غيره كأبى يزيد البسطامى والحلاج ومن على شاكلتهما يسلك هذا المسلك نفسه أو قريبا منه ، ووحدة الوجود — عندهم — معناها : أنه ليس هناك

الا وجود واحد،كل العالممظاهرومجال له ، فالله سبحانه هو الموجود بحق وكل ما عداه ظواهر وأوهام ، ولا توصف بالوجود الا بضرب من التوسع والمجاز .

هذا المذهب خول لمثل الحلاج أن يقول : أنا الله ، ولمثل ابن عربى أن يقول : ان عجل بنى اسرائيل أحد المظاهر التى اتخذها الله وحل فيها ، والذى جره فيما بعد الى القول بوحدة الأديان ، وأنه لا فرق بين سماوى وغير سماوى ، اذ الكل يعبدون الاله الواحد المتجلى فى صورهم وصور جميع المعبودات .

ولقد وجدنا لابن عربى فى الفتوحات المكية ، وفى فصوص الحكم ، وفى كتاب التفسير المنسوب له أقوالا فى التفسير بناها على نظريته فى وحدة الوجود ، فمن ذلك أنه فسر قوله تعالى فى سورة الاسراء : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه .. » .. « الآية : ٢٣ فقال ما نصه : (.. فعلماء الرسوم يحملون لفظ قضى على الامر ، ونحن نحمله على الحكم كشفا وهو الصحيح ، فانهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الاشياء الا لتقربهم الى الله زلفى ، فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم ، وما ثم صورة الا الالوهية فنسبوها اليهم ، ولهذا يقضى الحق حوائجهم اذا توسلوا بها اليه غيرة منه على المقام أن يهتضم ، وان أخطأوا فى النسبة فما أخطأوا فى المقام ..) أ. هـ. من الفتوحات ج ٣ ص ١١٧ .

ولما فسر قوله تعالى فى سورة البقرة : « والهكم اله واحد » الآية ١٦٣ قال ما نصه : « .. ان الله تعالى خاطب فى هذه الآية المسلمين .. والذين عبدوا غير الله قربة الى الله فما عبدوا الا الله ، فلما قالوا : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فأكدوا ذكر العلة ، فقال الله لنا : إن الهكم والاله الذى يطلب المشرك القربة اليه بعبادة هذا الذى اشرك به واحد ، كأنكم ما اختلفتم فى أحديته .. » أ. هـ. فى الفتوحات ج ٤ ص ١٦٠ وما بعدها .

ولما فسر قوله تعالى فى سورة المزمل : « واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا . رب المشرق والمغرب ... » الآيتان ٨ ، ٩ قال ما نصه : « واذكر اسم ربك الذى هو أنت ، أى اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينسك الله ، واجتهد لتحصيل كمالها ، بعد معرفة حقيقتها .. « رب المشرق والمغرب » أى الذى ظهر عليك نوره فطلع من أفق وجودك بايجادك . والمغرب : الذى اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب بك » أ. هـ من تفسير ابن عربى ج ٢ ص ٣٥٢ .

ومن التفسير الذى تأثر فيه ابن عربى بنظريات الفلاسفة ، ولكنه لا يبلغ فى انحرافه مبلغ ما سبق ، تفسيره لقوله تعالى فى سورة مريم ، فى شأن ادريس عليه السلام : « ورفعناه مكانا عليا » الآية ٥٧ وذلك حيث يقول : « وأعلى الأمكنة المكان الذى تدور عليه رحى عالم الأفلاك ، وهو فلك الشمس ، وفيه مقام روحانية ادريس ، وتحته سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك ، وهو الخامس عشر .. » ثم ذكر الأفلاك التى تحت فلك الشمس والتى فوقه ، ثم قال : « وأما علو المكانة فهو لنا أعنى المحمديين كما قال تعالى : « وأنتم الأعلون والله معكم » أ. هـ. من الفصوص ج ١ ص ٢٦ .

ومن ذلك أيضا تفسيره لقوله تعالى فى سورة الرحمن : « مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان » الآيتان : ١٩ ، ٢٠ حيث يقول : « مرج البحرين » بحر الهيولى الجسمانية الذى هو الملح الأجاج ، وبحر الروح الذى هو العذب الفرات (يلتقيان) فى الوجود الانسانى

(بينهما برزخ) هو النفس الحيوانية التى ليست فى صفاء الروح المجردة ولطافتها ، ولا فى كثرة الأجساد الهيولانية وكثافتها (لا يبغيان) لا يتجاوز أحدهما حده فيغلب على الآخر بخاصيته ، فلا الروح يجرد البدن ويخرج به ويجعله فى جنسه ، ولا البدن يجسد الروح ويجعله ماديا. سبحان خالق الخلق القادر على ما يشاء » أ. هـ. من تفسير ابن عربى جـ ٢ ص ٢٨٠ .

وليس من شك فى أن التفسير الذى أقامه ابن عربى على نظرية وحدة الوجود لا يقبل بحال من الأحوال ، لانه هدم الدين من اساسه

كما أن التفسير الذى اقامه على نظريات الفلاسفة فى الطبيعة وما وراء الطبيعة لا يقبل على أنه تفسير موافق لمراد الله تعالى ومقصوده الذى جاء القرآن من أجله .

هذه كلمة الحق أقولها فى الاتجاه النظرى للتفسير الصوفى .

أما الاتجاه الاشارى أو الفيضى ، فللقوم فيه جولات وشطحات ، واذا ما بحثنا عن مستند لهذا الاتجاه فى التفسير ، وجدنا مستندهم الأول والأهم ما ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن القرآن له ظهر وبطن . وعلماء الرسوم — فى زعم القوم — يفهمون الظاهر فقط ، أما الباطن فلا يدركه الا من صفت نفسه ، وتعلق بالله قلبه ، حتى أصبح يدرك بعين اليقين ما لا يدركه أهل الرسوم بعلم اليقين. ولانريد أن نناقش القوم فى صحة ما ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن القرآن له ظهر وبطن ، ولكن نناقشهم فى معنى الظهر والبطن ، فهل الظهر ما يظهر من معنى النص القرآنى بادى الرأى ، والبطن ألغاز وأحاجى ومعميات لا يفهمها الا هم ؟ ... لا : فالقرآن فوق هذا ، لأن الله يقول فى شأنه : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » سورة القمر ، ويقول: « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » سورة المائدة . ويقول : « ولقد أنزلنا اليك آيات بينات » سورة البقرة ٩٩ .

والذى أدين الله عليه أن ظاهر القرآن — وهو المنزل بلسان عربى مبين — هو المفهوم العربى المجرد ، وباطنه هو مراد الله تعالى ، وغرضه الذى يقصد اليه من وراء الألفاظ والتراكيب ، وعلى ذلك نقول :

ان كل ما كان من المعانى العربية التى لا ينبنى فهم القرآن الا عليها داخل تحت الظاهر ، واذا لا يشترط فى فهم ظاهر القرآن الكريم زيادة على الجريان على اللسان العربى ، وكل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربى ليس من تفسير القرآن فى شىء .. لا مما يستفاد منه ، ولا مما يستفاد به ، ومن ادعى غير ذلك فهو مبطل فى دعواه

أما المعنى الباطن ، فلا يكفى فيه الجريان على اللسان العربى وحده بل لا بد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى فى قلب الانسان يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير ، ومعنى هذا : أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآنى .. ولهذا اشترط العلماء لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين :

أولهما : أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب بحيث يجرى على المقاصد العربية .

وثانيهما : أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا فى محل آخر يشهد لصحته من غير معارض .

أما الشرط الأول ، فظاهر من قاعدة كون القرآن عربيا ، فانه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب ، لم يوصف بكونه عربيا باطلاق ، ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن وليس فى ألفاظه ولا فى معانيه ما يدل عليه وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب

اليه أصلا ، اذ ليست نسبته اليه على أنه مدلوله أولى من نسبة ضده اليه ، ولا مرجح يدل على أحدهما . فاثبات أحدهما تحكم وتقول على القرآن ظاهر . وعند ذلك يدخل قائله تحت اثممن قال فيكتاب الله بغيرعلم

وأما الشرط الثانى ، فلأنه ان لم يكن له شاهد فى محل آخر ، أو كان وله معارض ، صار من جملة الدعاوى التى تدعى على القرآن . والدعوى المجردة عن الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء الموافقات للشاطبى جـ ٣ ص ٣٩٤ .

اذا عرفنا هذا كله ، ثم ذهبنا نستعرض على ضوئه أقوال القوم فى معانى القرآن الباطنة ، وجدنا كثيرا منها من قبيل الباطن الصحيح . ووجدنا كثيرا منها أيضا من قبيل الباطن الفاسد المرفوض .

فمن الأفهام الباطنية المنقولة عنهم فى التفسيرويمكن أن تكون منقبيل الباطن الصحيح المقبول : ما قاله سهل التسترى فى تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة « فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » ٢٢ . قال — رحمه الله — « فلا تجعلوا لله أندادا » أى أضدادا ، فأكبر الأضداد النفس الامارة بالسوء ، المتطلعة الى حظوظها ومناها بغير هدى من الله » أ . هـ. من تفسير القرآن العظيم للتسترى ص ١٤ .

فهذا القول من سهل يشير الى أن النفس الأمارة بالسوء داخلة تحت عموم الأنداد ، حتى لو فصل لكان المعنى : فلا تجعلوا لله أندادا ، لا صنما ، ولا شيطانا ، ولا النفس ، ولا كذا ، ولا كذا . . وهذا مشكل من حيث الظاهر ، لأن سياق الآية وما يحف بها من قرائن ، يدل على أن الأنداد مراد بها كل ما يعبد من دون الله ، سواء أكان صنما أم غير صنم ، أما الأنفس فلم تكن معبودة لهم ، ولم يعرف أنهم اتخذوها أربابا من دون الله ، ومع هذا فيمكن أن يكون لهذا التفسير وجه صحيح ، وبيان ذلك :

ان الناظر فى القرآن الكريم قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار ، فيجريه فيما لم تنزل فيه الآية ، لأنه يجامعه فى القصد أو يقاربه ، وسهل التسترى — رحمه الله — حين قال فى الآية ما قال لم يرد أنه تفسير للآية ، بل أتى بما هو ند فى الاعتبار الشرعى ، وذلك لأن حقيقة الند : أنه المضاد لنده ، الجارى على مناقضته ، والنفس الامارة هذا شأنها ، لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها ، لاهية أو صادرة عن مراعاة حقوق خالقها . وهذا هو الذى يعنى به الند بالنسبة لنده ، لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه ، وعلى هذا فلا غبار على قول سهل فى الآية ، بل وهناك ما يشهد له من الجهتين : جهة حمل الأنداد على الأنفس الامارة اعتبارا وجهة كون الخطاب — وان كان موجها للمشركين — فيه لأهل الاسلام نظر واعتبار . .

أما ما يشهد له من الجهة الأولى فقوله تعالى فى الآية (٣١) من سورة التوبة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وظاهر أنهم لم يعبدوهم من دون الله ، ولكنهم ائتمروا بأوامرهم ، وانتهوا عما نهوهم عنه كيف كان ، فما حرموا عليهم حرموه . وما أباحوا لهم حللوه ، وفاتهم أن المحلل والمحرم هو الله ، فقال الله سبحانه : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » وهذا بعينه هو شأن المتبع لهوى نفسه .

وأما ما يشهد له من الجهة الثانية : فهو أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لبعض من توسع فى الدنيا من أهل الايمان : أين تذهب بكم هذه الآية ؟ « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا » وكان هو يعتبر نفسه بها ، مع أن الآية نزلت فى حق الكفار

قوله تعالى : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا .. » الآية (٢٠) من سورة الأحقاف . فعمر رضى الله عنه له فى الآية نظر واعتبار ، فأخذ من معناها معنى أجرى الآية فيه وان لم تنزل فيه ، حذرا منه وخوفا أن يكون التوسع فى المباحات سببا فى الحرمان من نعيم الآخرة ومتاعها ، فاذا صح لعمر — رضى الله عنه — أن ينزل الآية على المتوسعين فى المباحات من المؤمنين ولم تنزل فيهم ، صح لسهل أيضا أن ينزل الآية على النفس الامارة وان لم تنزل فيها كذلك مثل هذا التفسير الذى قاله سهل التسترى — وهو كثير فى تفاسير الصوفية — لا نعدم له وجها نحمله عليه حتى يكون تفسيرا صحيحا مقبولا .. ولكن هناك أقوال لبعض الصوفية فى التفسير الاشارى يقف أمامها العقل حائرا وعاجزا عن تلمس محمل لها تحمل عليه حتى تبدو صحيحة وتصبح مقبولة .

فمن ذلك — وهو كثير — ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسيره (ألم) فاتحة البقرة . قال : « ألم : قيل : ان الألف ألف الوحدانية . واللام : لام اللطف . والميم : ميم الملك . معناه : من وجدنى على الحقيقة باسقاط العلائق والأغراض تلطفت له .. فأخرجته من رق العبودية الى الملأ الأعلى ، وهو الاتصال بمالك الملك ، دون الاشتغال بشىء من الملك .. وقيل : ألم : معنى الألف : أى أفرد سرك . واللام : لين جوارحك لعبادتى . والميم : أقم معى بمحو رسومك وصفاتك أزينك بصفات الأنس بى والمشاهدة اياى والقرب منى .. » أ. هـ. من حقائق التفسير للسلمى ص ٩ .

ولا شك أن مثل هذا التفسير الذى ذكره أبو عبد الرحمن السلمى ، تفسير مشكل ، وأعظم منه أشكالا ما زعمه بعض القوم من أن هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور ترمز الى أسرار غيبية مكنية ، بل ويدعون — أحيانا — أن هذه الحروف هى أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة ، وينسبون ذلك الى أنه مراد الله تعالى فى خطابه العرب الأمية التى لا تعرف شيئا من ذلك ، وهذه كلها دعاوى يدعونها على القرآن ، ولا أحسب أنهم استندوا فيها الى دليل مقنع ، وكل ما أقوله فيها : أنها دعاوى محالة على الكشف والاطلاع على ما وراء حجب الغيب ، ودعوى الكشف والاطلاع لا تصلح أن تكون دليلا شرعيا بحال من الأحوال .

وأعجب العجب أن رجالا دخلوا فى التصوف وهم من غير أهله ، وتظاهروا بالورع والطاعة ، وتحلوا بالزهد الكاذب والورع المصطنع ، وكان لهؤلاء — على فرط جهلهم — محاولات فى التفسير لا يقبلها عقل ولا يقرها شرع ، ولا يمكن بأية حال أن يتحملها النص القرآنى الكريم .

فمن ذلك الهراء : ما نقله السيوطى فى الاتقان جـ ٢ ص ١٨٤ عن بعض جهلة المتصوفة أنه فسر قوله تعالى فى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » فقال : معناه : « من ذل » من الذل « ذى » اشارة الى النفس ، « يشف » من الشفاء « ع » من الوعى .

ومن ذلك أيضا ما نقل عن بعضهم أنه فسر قوله تعالى فى الآية (٦٩) من سورة العنكبوت « وان الله لمع المحسنين » فجعل (لمع) فعلا ماضيا بمعنى أضاء ، و (المحسنين) مفعوله مبادىء التفسير للخضرى ٩ .

ولا شك أن هذا التفسير وأمثاله لحاد فى آيات الله ، وقائلوه محرفون للكلم عن مواضعه ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

الوجه الروحي

لدولة الكويت

تضمنت الصيغة المقترحة لمشروع الجواب على الخطاب الأميرى الذى ألقاه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى الجلسة الأولى لافتتاح الدور العادى الأول للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة الموقر — النص التالى الذى يعبر أصدق تعبير عن الاتجاه الاسلامى للسادة ممثلى الشعب فى دولة الكويت المسلمة الفتية ، وقد رأت المجلة أن تنشره تسجيلا له ، وابرازا لجوانب النشاط المختلفة والمسئوليات الكبيرة التى تضطلع بها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

الأئمة والخطباء :

يوصى هذا المجلس مؤكدا أن يتم اختيار الأئمة والخطباء والوعاظ من المؤهلين من ذوى الدراية والمعرفة بشؤون دينهم الحنيف ومبادئه ومثله المثلى ، وممن عرفوا بالتقوى والنزاهة والامانة والصدق والكفاءة لتأدية رسالتهم السامية فى تهذيب النفوس ، وحث جماهير المسلمين على القيام بواجباتهم والجهاد فى سبيل وطنهم وأمتهم العربية ، ومناهضة الاستعمار والاستغلال والبغى ، وتبصيرهم بما ينصب لهم الأعداء من شراك ، ويعدون



لهم من مؤامرات ومناورات للفرقة وتشتيت الشمل وتثبيط الهمم ، وتثقيفهم بما يجنبهم مزالق الفتن والضلال ، لأن المادية والانحراف عن المثل الروحية والأخلاق قد طغت ، حتى لتكاد تودى بأسس المجتمع وهى الدين والأخلاق الوطنية ، وانه ان كان من واجب الوزارة أن تراقب الخطب ، فليكن ذلك فى حدود ما ذكر من خطوط عريضة ، وترك الحرية لهم دون ما الزام الا فى هذه الحدود ، وفضلا عن ذلك يجب أن يكون مراقبو المساجد الذين يقومون بالرقابة والاشراف على

حسن سير العمل بالمساجد وصيانتها ونظافتها من المشهود لهم بالتقوى والمعروفين بالمواظبة على غشيان المساجد فى كل الأوقات ، وبهذه المناسبة يطالب المجلس بتشجيع أبنائنا الكويتيين واعطائهم رواتب مجزية ليقبلوا على وظائف الأئمة والخطباء ، والوعاظ والرقباء والمؤذنين .

المساجد :

هذا ويلاحظ المجلس أن بعض المساجد فى بعض المناطق مداخلها

ومبانيها بل وما حولها بحاجة الى مزيد من العناية بصيانتها ونظافتها التى توفر لبيوت الله جلالها وتبعث فى نفوس من يؤمونها الاحترام والخشوع ورهبة المكان ، كما يلاحظ أن بعض المساجد تضيق بقصادها للصلاة والعبادة لصغر مساحتها ، ولذلك يحسن عمل التوسيعات اللازمة لها فى حدود الامكانات المتيسرة ، كما يحسن عند تصميم المساجد ملاحظة اتساعها وغض النظر عن الزخرف والفخامة لتفى بأغراضها الدينية النبيلة ، وكذلك يحسن عند اختيار مواقع المساجد أن تكون على أرض مناسبة وقريبة من تجمعات السكان بالمنطقة ، وأن تلحق بها بيوت للأئمة والمؤذنين ، ويطالب المجلس أن تخصص الميزانيات الأموال اللازمة لبناء مساجد فى المناطق والقرى الخالية منها أو التى بحاجة الى المزيد منها ، وأن يلاحظ عند الشروع فى انشاء منطقة جديدة أن يشرع فى الوقت نفسه فى اقامة المساجد اللازمة لها على أن تلحق بكل مسجد مكتبة عامة تزود بالمراجع الفقهية والكتب الدينية المبسطة لتشجيع الجمهور على الاقبال على مطالعتها والاستفادة منها .

وان المجلس اذ يرقب باهتمام بالغ ما تقوم به الحكومة من متابعة التعاون مع المراكز والهيئات المعنية بنشر الدعوة الاسلامية فى بلاد أفريقية وآسيوية ، يطالب المجلس الحكومة أن تواصل التعاون مع الدول الاسلامية على توحيد الجهود لنشر الدعوة الاسلامية فى البلاد الافريقية والآسيوية وغيرها التى حال المستعمر حينا من الدهر دون دخول الاسلام اليها أو انتشاره فيها وتزويدها قدر المستطاع بالمصاحف والكتب المبسطة والنشرات باللغة العربية الى جانب اللغات المحلية السائدة فى تلك البلاد .

هذا ويطالب المجلس بالعمل على وضع تفسير موحد للقرآن الكريم يتضافر على اعداده جمع من جهابذة علماء المسلمين ويوصى بوضع موسوعة للفقه الاسلامى تجمع أشتات



مسجد ميونخ بألمانيا الغربية ، وقد ساهمت الوزارة فى انشائه . .

مذاهبه احياء لهذا التراث القيم الذى يستظهر معالم الثقافة الاسلامية قديمها وحديثها ، ولكى تكون ذخرا باقيا لهذا الفقه الأصيل الذى يخشى لا قدر الله ضياعه بتناقص العلماء المتخصصين فى التشريع والفقه الاسلامى ، وفضلا عن هذا يوصى المجلس بأن تضم مجلة الوعى الاسلامى صفحات تنوه وتشيد بذكر أهل الخير من السلف الصالح الكويتيين الأبرار لقاء ما بذلوا من أموالهم فى أعمال خيرية جليلة ، ليكون ذلك قدوة حسنة لأبناء هذا الجيل وحفزا لهممهم على تأثر خطاهم ونهجهم هذا النهج الكريم .

هذا ويؤكد المجلس على العناية بالوقف واستثمار أمواله تحقيقا لمقاصد الواقفين .

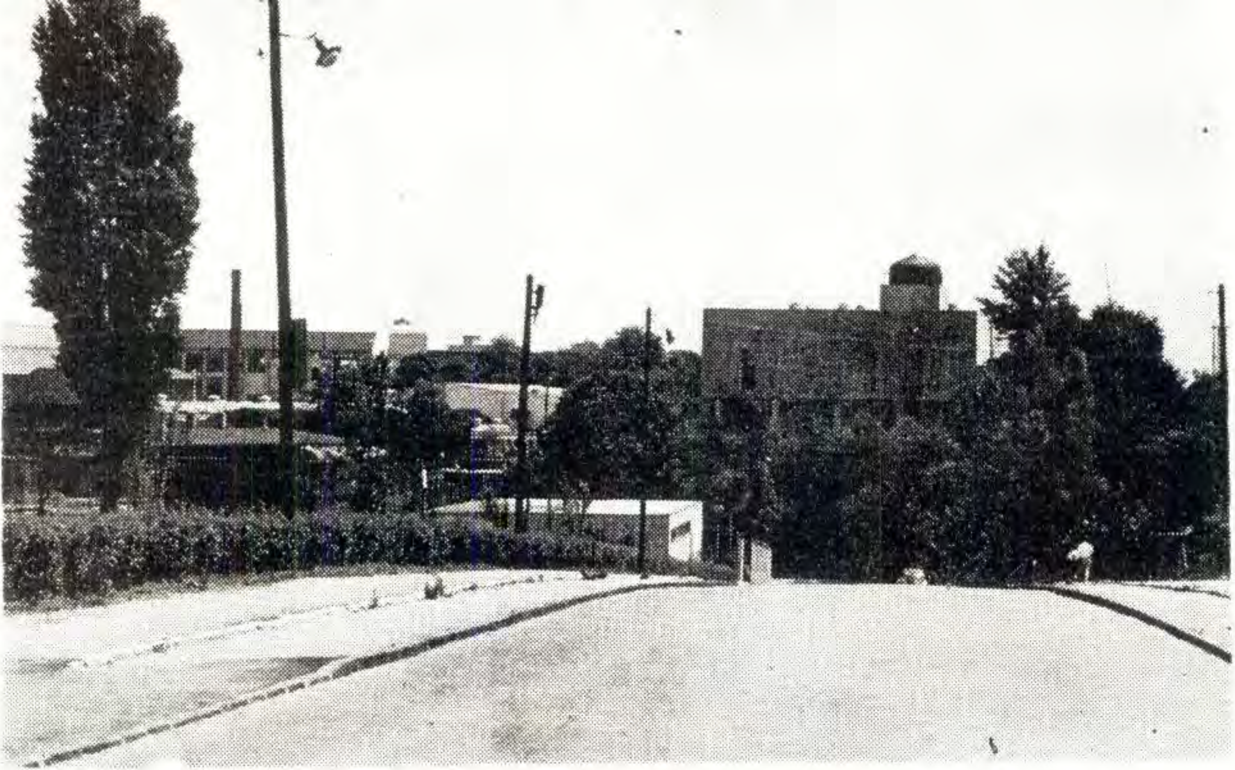
وقد أدلى الأستاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم وكيل الوزارة بتصريح الى جريدة السياسة الكويتية تحدث فيه عن أبرز نشاطات الوزارة فى نشر الدعوة الاسلامية ، ومكافحة النشاط الصهيونى فى آسيا وأفريقيا جاء فيه:

أخذت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية على عاتقها مهمة القيام بنشر الدعوة الاسلامية ، ومكافحة النشاط الصهيونى فى دول أفريقيا وآسيا وغيرها من شعوب العالم ، وذلك استجابة لأمرين :

الأول : ايماننا العميق بعظمة الاسلام ، وواجب الدعوة له امتثالا لأمر الله تعالى ، وتلبية لحاجة الانسانية المتعطشة الى دعوة تتوازن فيها المادة مع الروح ، وتقيم ميزان القسط والحق بين الناس .

الثانى : استجابة لقرارات مجلس الأمة الموقر ، وتوجيهات صاحب السمو أمير البلاد المعظم على ضرورة العمل على نشر الدعوة الاسلامية فى القارة الافريقية خاصة وفى آسيا وغيرها من البلاد فى العالم عامة ، وذلك لأن نشر الاسلام فى أفريقيا وغيرها هو السلاح الفعال لمكافحة النشاط الصهيونى المتزايد ، والذى يهدف الى استمالة الشعوب الافريقية الى صفها وكسبها ضد القضية العربية الكبرى .

وتبذل المؤسسات الصهيونية والتبشيرية الأموال الطائلة والجهود



مسجد بلال فى مدينة آخن بألمانيا الغربيـــة الذى ساهمت الوزارة فى نفقات انشــائه

الكبيرة لمنافسة النشاط الاســلامى ومكافحته ، وكسب الدعاية لمصلحتهم وتشويه الاسلام ، والاساءة لقضاياه الكبرى .

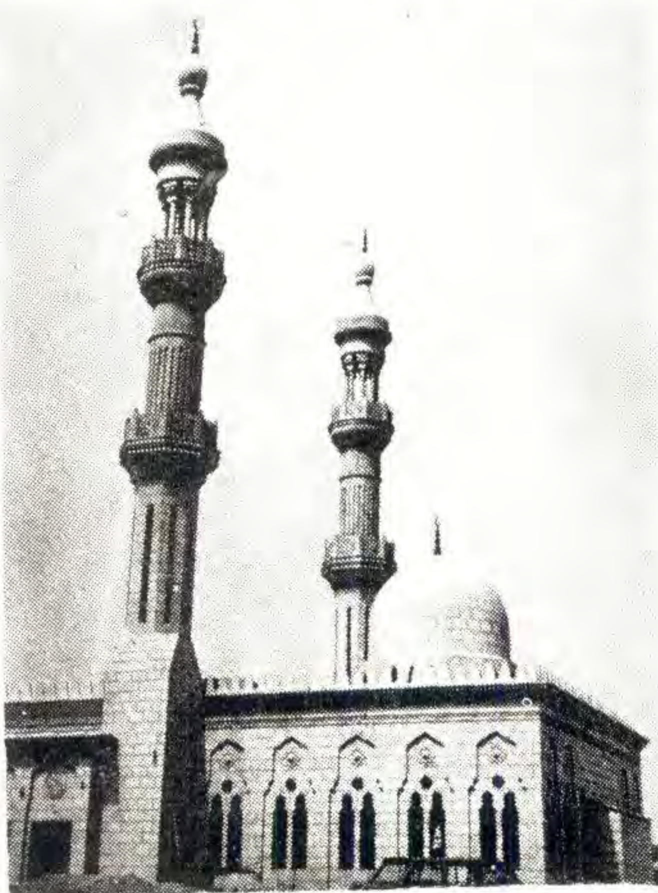
وان الكويت بايمانها العميـق ، وتمسكها بالاسلام ، لترى القيـام بهذا الواجب الكبير خدمة توجههــا المصلحة العليا للأمة العربية،وخدمة لمعانى الخير والحق فى دنيا البشرية وان الوزارة تنشط فى هذا المجال بفضل تشجيع أمير البلاد المفدى ، وتنقسم المساعدات التى تقدمهــا وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية الى الجمعيات الاسلامية فى العالم الى قسمين :

١ ــ المساعدات الثقافية .

٢ ــ المساعدات المادية عن طريق مجلس الوزراء مباشرة .

أما المساعدات الثقافية فهى تقوم على ما توزعــه الوزارة من الكتب الاسلامية المتنوعة الجيــدة المناسبة لنشر الدعوة الاسلامية ، وبيــان محاسن الاسلام وتجلية مفاهيمه ، ورد الأكاذيب والأباطيل والمفتريــات التى يروجها أعداء الاســـلام من المستشرقين والمبشرين واليهــود ،

وتوزع الوزارة سنويا مئـــات المطبوعات الاعلامية فى العالم التى تهدف الى نشر الدعوة الاسلامية .



مسجد عبد اللطيف العثمان بضاحية عبد الله السالم بالكويت وبناؤه يوشك على التمام ..

حول مؤتمر علماء المسلمين السادس

عقل العالم الاسلامي

كان المؤتمر السادس لعلماء المسلمين فى القاهرة فى الشهر الماضى يمثل عقل العالم الاسلامى المتفتح الذى يبحث واقع المسلمين ومشاكلهم وهو خطوة ناجحة مباركة فى طريق التخطيط لانقاذ المسلمين وقد مثل الكويت فى المؤتمر وفد اشترك فيه فضيلة الاستاذ عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس الوكيل المساعد لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية وكان لنا معه هذا اللقاء عن المؤتمر ..

ما هو الهدف من عقد مؤتمرات لعلماء المسلمين بالازهر ؟

ــ أحب فى فاتحة هذا اللقاء وقبل الاجابة عن أسئلتك أن أذكر أن هناك عدة قضايا متفقا عليها ومسلما بها من جميع المسلمين .

القضية الاولى : أن كل مسلم الآن فردا كان أو جماعة يؤمن بأنه يعيش غريبا عن الاسلام فى تقاليده وأعرافه وفى أخلاقه وسلوكه وفى أسرته ومجتمعه وفى نظمه وقوانينه .

والثانية : أن كل مسلم الآن يؤمن بأن هذه الغربة أو البعد عن الاسلام هى السبب الرئيسى فى كل ما أصاب المسلمين وألم بهم من ضعف وتفكك .

والقضية الثالثة : وهى النتيجة المنطقية لما سبق أن المسلمين اليوم فى حاجة ماسة الى هذا الدين ، الى العودة اليه ، الى تنفيذه وتطبيقه لينقذهم من ظلمات الفلسفات المادية المتغيرة التى صنعها الناس وليحل محل الافكار المستوردة التى طغت على حياة المجتمع الاسلامى كله عقائديا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا .

ومن أجل هذا فالمسلمون الآن يبحثون عن المنقذ ، عن المصلح ، عن الاسلام .. فهو وحده القادر على حل كل مشاكلهم واسترداد شخصيتهم والامر كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » .. نستطيع بعد هذا أن نقول أن الغرض من المؤتمرات التى يعقدها علماء المسلمين هو البحث عن كيفية الرجوع بالمسلمين الى دينهم والى استخراج واستنباط البديل من كتاب الله وسنة رسوله لكل نظمهم وقوانينهم ..

ما هو الشىء الذى ميز هذا المؤتمر بالذات عن المؤتمرات السابقة ؟

— الظاهرة الكبرى التى لفتت نظرى فى هذا المؤتمر هى اهتمام المسلمين به ، بل واهتمام العالم كله ويتمثل ذلك فى وكالات الانباء العالمية التى تناقلت أنباءه ومقرراته وتوصياته ، هذا من ناحية والناحية الثانية هى اشتراك دول اسلامية فيه لم يسبق لها أن اشتركت فى المؤتمرات السابقة لعوامل الفرقة والقطيعة التى كانت بينها والحمد لله زالت هذه العوامل ومثلت وفود هذه الدول فى هذا المؤتمر ويكفى أن تعلم أن عقل العالم الاسلامى المتمثل فى صفوة علمائه كان حاضرا فى هذا المؤتمر يفكر فى حاضر المسلمين وفى سبيل حياة أفضل لهم وفى الاجابات عن أسئلة عديدة تشغل بالهم .

ماذا كان موقف المؤتمر تجاه الازمة بين الاردن والفدائيين والازمة فى باكستان ؟

— ما وقع بين قوات المقاومة الفلسطينية والسلطات الاردنية ، وما حدث من اشتباكات بين المسلمين فى باكستان الغربية والشرقية هو الوجه المسلح لغربة المسلمين وبعدهم عن الاسلام ، وسبق أن حدث مثل هذا فى الماضى القريب ووضعت له الحلول ، وعقدت الاتفاقات وشكلت لجان ولكن كل هذه الجهود لم تؤد الى التصالح ولا الى الوحدة لأنها جهود وحلول سطحية فى رأيى ، لأنها مسكنات وقتية لم تعالج الداء من أساسه ولم تقتلع جذوره والحل الوحيد فى رأيى هو سيادة الحكم الاسلامى والنزول على قضاء الله ورسوله ((فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)) ، ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)) ..

وقد شغلت هذه الاحداث علماء المسلمين فى المؤتمر واستأثرت بالكثير من جهدهم ووقتهم ، وتبلورت هذه الجهود فى صورة استنكار الفرقة بين المسلمين والدعوة الى وضع السلاح فورا واتخـــاذ قرارات وتوصيات فى هذا الصدد وارسال برقيات الى أولى الامر تناشـــــدهم الكف عن اراقـــة الدم المســـلم الغالى ، ولكن هـــذه الجهود هزت البرق والاسلاك ولم تهز القلوب لانه لا يهز القلوب الا الايمان الـــكامل الذى يتركز فى الحكم والتشريع الاسلامى ولا نستطيع أن نقول أن هذه الجهود ضاعت وتبخرت مع الهواء لانها تركت احساسا عميقا بضرورة العودة الى حكم الله ، والاحساس العميق هو أول خطوة فى طريق الاصلاح .

هناك مشكلات حياتية فى العالم الاسلامى فماذا كان موقف العلماء المسلمين منها ؟

ــ المشكلة الحياتية الاولى فى نظر كثير من الناس الآن هى التغلغل اليهودى أو مجرد الوجود اليهودى فى أرض المسلمين ، وهذه المشكلة وان كانت أخطر المشكلات وأولاها بالاهتمام الا أنها ليست فى اعتقادى المشـــكلة الاولى بل هى كما قلت كيفية العودة الى الاســـــلام وأقصد بالعودة المطلوبة ربط جميع القوانين والنظم بالشريعة الاسلامية ربطا محكما وتحكيم الاسلام فى التقاليد الاجتماعية وازالة ما يخالف الدين منها وايجاد البديل الذى يتفق مع هداية الله ، وهيمنة التربية الاسلامية على جميع مراحل التعليم . حين تتحقق العودة بهذه الصورة تحل جميع المشاكل التى تواجه المســـــلمين وتوجد الوحدة والقوة التى تقضى على التغلغل اليهودى والتغلغل الصليبى ، وعلماء المسلمين يفكرون بجـــد فى هـــذا المحيط ويتحركون فى هذه الدائرة والأمر يحتاج الى وقت طويل وجهـــد كبير وذلك ما نسأل الله العون عليه والتوفيق فيه (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) .

هناك أيضا ــ كما نرى جميعا تيـــارات الحـــادية وعلمانية هدامة تتنازع الشباب المسلم فماذا صنع المؤتمر لحماية الشــــباب من هذه التيارات ؟

ــ يوجد تخطيط كامل بعيد المدى تسانده وتموله منظمات كبرى لزحزحة المسلمين عن دينهم ومن ثم يسهل القضـــــاء عليهم وقد تم هذا التخطيط فى غفلة من المسلمين . يوجد الغزو الفكرى الاجنبى لاقنـــاع المسلمين بأن دينهم لا يصلح للحياة بل لاقناعهم بأن دينهم هو سبب تخلفهم ، هناك غزو الحادى لاقتلاع العقيدة من قلوب المؤمنين ، هناك غزو علمانى لقطع الصلة بيننا وبين السماء ولهدم القيم الروحية وسيطرة المادية وقد واجه المؤتمر هذه التيارات بتوصيات هى بداية العمل ونصها :

١ — يدعو المؤتمر الى انشاء دار للفكر الاسلامى تقـوم بخـدمة العالم الاسلامى فى مجال التأليف والترجمة والنشر .

٢ — يوصى المؤتمر أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة مسموعة ومرئية فى الدول والمجتمعات الاسلامية بمراعاة آداب الاسلام فيما تنشره وأن تضاعف رقابتها على موادها حرصا على مبادىء الاسلام وتقاليده . ومصلحة المجتمع الاسلامى .

٣ — يوصى المؤتمر المسلمين فى جميع مجتمعاتهم رجالا ونساء أن يستمسكوا بآداب الاسلام وتقاليده فى سلوكهم وأزيائهم وسائر تصرفاتهم .

٤ — يوصى المؤتمر وزارات التربية والتعليم والثقافة فى جميع البلاد الاسلامية أن تعنى عناية خاصة بالتراث الاسلامى والتعليم الدينى فى كافة المراحل .

٥ — يطالب المؤتمر جميع الحكومات والهيئات بالمحافظة على العرف الاسلامى فى حفلاتها وعدم تقديم المشروبات الروحية .

٦ — يوصى المؤتمر أن يكون فى كل معهد من معاهد التعليم فى البلاد الاسلامية مسجد أو مصلى لاقامة الصلاة ..

ما هو الانطباع الذى خرجتم به من المؤتمر ؟

— هذا السؤال تقليدى ولكنه على الرغم من هذا فانه يستحق الاجابة عنه ، ولا أكتمك أننى أحسست بفيض من السرور يغمرنى أثناء اجتماعات المؤتمر ، وما ظنك باجتماع يضم كما قلت عقل العالم الاسلامى المتفتح المتمثل فى هذه الصفوة المختارة من علماء المسلمين فى المشرق والمغرب ، انه لقاء خير ينشد الخير للمسلمين ، وقد كان الجميع يؤمنون بأن شيئا واحدا ينقص المسلمين وهو الاسلام ، ولهذا كانت أحاديث الوفود كلها تفيض بالغيرة والحماسة وتتركز على هذا الموضوع ، وفى حمية هذه الغيرة والحماسة وفى استمرارها ترتفع المشاعل على الطريق . طريق الله . طريق القرآن . طريق الاسلام .

ولا يفوتنى فى خاتمة هذا اللقاء أن أؤكد أنه من بشائر التوفيق وأمارات الخير أن ينعقد هذا المؤتمر فى رحاب الازهر الشريف ، وبدعوة من مجمع البحوث الاسلامية وفى ضيافة حكومة الجمهورية العربية التى نكرر لها الشكر على ما لقينا من حفاوة وتكريم لعلماء المسلمين .

أهل الحديث

للدكتور : تقي الدين الهلالي

وسمت هذه السلسة التى نسأل الله اتمامها على أحسن وجه بأهل الحديث وجعلت الحلقة الاولى فى ذكر نبذة وجيزة فى فضل أهل الحديث على أن تليها تراجم أهل الحديث وذكر أخبارهم التى ينشرح لها صدر كل مؤمن وكل طالب علم منصف ، فمن هو أول أهل الحديث وأحقهم بالتقدم ؟

الجواب : هو أول المسلمين من هذه الأمة وسيد ولد آدم أجمعين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فتح له الله فتحا مبينا ، ونصره نصرا عزيزا ، وأرسله مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وجعل النصر والعزة مقرونين برايته ورايات من اتبعه الى الابد ، وجعل الذلة ، والصغار ، حليفين لمن خالف أمره ونبذ ما جاء به وراء ظهره . وان كان كالرمل فى العدد قال تعالى فى سورة المؤمن (غافر) رقم ٥١ ، ٥٢ (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) والظالمون المتعذرون يوم القيامة هم الذين عارضوا دعوته وسلكوا سبيلا غير سبيلها وتولوا فريقا غير فريقها قال تعالى فى أول سورة النمل . (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين . هدى وبشرى للمؤمنين . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون . ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون . أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون) ولما كان نسبه الشريف ، وسيرته الكريمة ، وغزواته المظفرة مشهورة ومعلومة عند القراء ومراجعتها سهلة فى كل وقت أردت أن أذكر بدلها براهين صدق دعوته ، وكمال رسالته ، واتمام نعمة الله عليه وعلى من اتبعه الى يوم القيامة ،فان كثيرا من الاغمار الجاهلين بهذه الدعوة ظنوا أن ما وعد الله لها من النصر والعلو خاص بزمان دون زمان ، ومكان دون مكان ، وقوم دون آخرين . وأول ما ابتدى به حديث ابن عباس الذى أخرجه البخارى فى صحيحه باسناد كالشمس ليس دونها غمام وهو مما شهد به أبو سفيان بن حرب مما شاهده قبل اسلامه من الآيات .

ومليحة شهدت لها ضراتها   والفضل ما شهدت به الاعداء

فان هذا الحديث مبنى على أدق قواعد الجدل وموزون بالقسطاس المستقيم ، يجله الباحثون ، ويجهله السفهاء الجاهلون قال البخارى رحمه الله : (حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال : أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بايلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى فقال : أبو سفيان فقلت : أنا أقربهم نسبا فقال : ادنوه منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثمقال لترجمانه قل لهم انى سائل هذا عن هذا الرجلفان كذبنىفكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ، قلت هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال : هذا القول منكم أحد قط قبله قلت : لا ، قال : فهل كان من آبائه من ملك قلت : لا ، قال: فاشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم ، قال : ايزيدون أم ينقصون قلت : بل يزيدون قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قلت: لا ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ، قال : ولمتمكنى كلمة ادخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال : فهل قاتلتموه قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه قال : ماذا يأمركم قلت يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله ،وسألتك هلكان من آبائه منملك فذكرت أن لا ،قلت فلو كانمن آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك اشراف الناس أتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركمبالصلاة، والصدق ، والعفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ،وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظنه أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه ، ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم — من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فأنى أدعوك بدعاية الاسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون . قال أبو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابى حين أخرجنا : لقد أمر أمر ابن ابى كبشة،

أنه يخافه ملك بنى الاصفر فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام) .

فى هذا الحديث مباحث :

الأول هو حديث صحيح أخرجه البخارى فى عشرة مواضع من صحيحه قاله الكرمانى ، وقاله الحافظ فى الفتح ، فرواية صالح وهو ابن كيسان أخرجها المؤلف فى كتاب الجهاد بتمامها من طريق ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وفيها من الفوائد الزوائد ما أشرت اليه فى أثناء الكلام على هذا الحديث من قبل ، ولكنه انتهى حديثه عند قول ابى سفيان حتى ادخل الله على الاسلام ، زادهنا وأنا كاره ، ولم يذكر قصة ابن الناطور ، وكذا أخرجه مسلم بدونها من حديث ابراهيم المذكور ورواية يونس أيضا عن الزهرى بهذا الاسناد أخرجها المؤلف فى الجهاد مختصرة من طريق الليث وفى الاستئذان مختصرة أيضا من طريق ابن المبارك ، كلاهما عن يونس عن الزهرى بسنده بعينه ولم يسقه بتمامه ، وقد ساقه بتمامه الطبرانى من طريق عبد الله بن صالح عن الليث وذكر فيه قصة ابن الناطور ، ورواية معمر عن الزهرى كذلك ساقها المؤلف بتمامها فى التفسير أ.هـ. وقد تبين لك أيها القارىء الكريم أن اسناد هذا الحديث فى غاية الصحة اتفق على روايته البخارى ومسلم ، ولما كنت فى برلين سنة ١٩٤١ م كنت أطالع كتابا لأحد السويديين المتعصبين ألفه باللغة الجرمانية وذكر فيه هذا الحديث فكذب به واستبعده ، وقال كلاما قبيحا لا أستطيع حكايته بتمامه ، وسبب تكذيبه الحقيقى هو شدة بغضه للاسلام ونظره اليه بعين السخط التى تبدى المساوى .

أما السبب الذى أظهره فهو أن هرقل فى الوقت الذى وصله كتاب النبى صلى الله عليه وسلم كان على أشد ما يكون من القوة ، وكان يستعد لغزو كسرى عظيم الفرس ، فكيف يخاف هذا الرجل البدوى .. وهذا كلام من أعمى الله بصيرته ، وطبع التعصب على قلبه ، فليس فى الحديث أن هرقل خاف أن يغزوه النبى صلى الله عليه وسلم بجيش عرمرم ويخرجه من بلاد الشام فى ذلك الوقت بعينه ، ولكنه علم بما عنده من العلم بالكتب السماوية من ظهور خاتم النبيين، ولوفور عقله بعد ما سمع صفات النبى صلى الله عليه وسلم علم أنه حق أرسله الله ليظهره على الدين كله ، وينسخ به الاديان المحرفة السابقة ، ونتيجة ذلك الحتمية خروج الروم من بلاد العرب وكذلك وقع ، ولما وصلت فى القراءة الى ذلك الكلام القبيح غضبت والقيت الكتاب على الارض ،وكانت عندى كاتبة جرمانية فنظرت الى نظرة استنكار وكأنها تقول هب أن المؤلف تعسف وعدل عن الحق فما ذنب الكتاب ؟ فأخذت الكتاب وفتحته وقلت لها اقرئى فلما فرغت من قراءة ذلك الكلام عذرتنى فيما فعلت ، إما مداراة وهو الظاهر أو اقتناعا بما فعلته انه صواب .

البحث الثانى فى سرد البراهين العقلية التى استدل بها هرقل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم . البرهان الأول :

المدة التى ماد فيها النبى صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب هى صلح الحديبية وما بعده الى أن نقضت قريش العهد فغزاهم النبى صلى الله عليه وسلم وتم فتح مكة، واختيار هرقل لأقربهم نسبا لا يخلو من حكمة . فان القريب سواء أكان صديقا أم عدوا يعرف من أخبار قريبه ما لا يعرفه البعيد . وكذلك أمره أن يجعل أصحابه من ورائه وان يكذبوه ان كذب، فان هرقل كان يعلم أن العرب حتى فى

جاهليتها وخصوصا اشرافها يستقبحون الكذب ولا يرضون به أن يؤثر عنهم،وقد صرح أبو سفيان لشدة عداوته للنبى صلى الله عليه وسلم أنه لم يمنعه من الكذب الا الخوف من أن يحدث أصحابه أهل مكة اذا رجعوا اليهم أنه كذب ، وهـذا البرهان هو سؤال هرقل عن نسب هذا الرجل الذى يدعى أنه نبى أهو شريف أم وضيع ، فأخبره أبو سفيان أن نسبه شريف ، وانما سأل هرقل هذا السؤال علما منه بأن الله أرحم بعباده من أن يبعث رسولا ذا نسب وضيع فى قوم . ويكلفهم أتباعه وطاعته لأن النفوس تنفر من ذلك كل النفور ، ولذلك نرى الملوك دائما من ذوى الانساب الشريفة بخلاف الفقر فانه لا يضر النسيب الحسيبكما قال الشاعر :

ولا ترى فى غير الصرم منقصة — وما سواه فان الله يكفينى

قال الله تعالى فى قصة طالوت من سورة البقرة رقم ٢٤٧ (وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم) أ. هـ. ولم نر رسولا أرسله الله من أهل بيت وضيع ، محتقر فى قومه وبهذا احتج المهاجرون على الانصار حين قالوا ، منا أمير ومنكم أمير فقال المهاجرون : أن العرب لا تذعن الا لهذا الحى، من قريش ولذلك كانت الامامة فى قريش بنص الحديث الصحيح ، ولم يخفهذا على هرقل فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها .

البرهان الثانى : قال هرقل فى سؤاله لأبى سفيان بن حرب فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ فذكرت أن لا ، قال هرقل فى الأجوبة وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله أ . هـ .

قال كاتب هذا المقال كل من نظر بامعان فى تاريخ المقالات ، والدعوات ، والطرائق ، والمذاهب يجد أكثرها قد اتبع فيه اللاحق السابق حذوك القذة بالقذة حتى فى الأمم التى ينتشر فيها العلم فكيف بأمة أمية ! فلذلك سأل هرقل أبا سفيان هل دعا أحد من العرب عموما ، ومن أهل مكة خصوصا الى دعوة مماثلة لدعوة هـذا الرجل فلم يسمع أبا سفيان الا أن أجاب بالنفى فضم هرقل هذه الحجة الى سابقتها وأخذت نفسه تميل الى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم استنادا الى هـذه الحجج المنطقية التى هى الغاية فى الدقة والاستقصاء .

البرهان الثالث : قال هرقل لأبى سفيان فهل كان من آبائه من ملك ؟ قال أبو سفيان ، لا قاله هرقل : وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . أ . هـ .

ولا يخفى أن من أعظم الحوافز والدوافع للدعوات أن يقصد الرجل بها استرداد ملك أبيه او امارته أو رئاسته ، أو مشيخته ، والأمثلة فى التاريخ كثيرة ، وفى الزمان الحاضر أيضا ، وهذا من طبيعة البشر التى لا يكادون ينفكون عنها فى كل زمان ومكان ، حتى أهل الثروة اذا ورثوها عن آبائهم يرون أنفسهم أهلا لها ، واذا رأوا رجلا غنيا حديث الثروة احتقروه وذموه واستكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ، حتى أن الاقرع ، والابرص ، الواردين فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى حين جاء الملك ليختبر شكرهما وذكرهما بما كانا عليه من القرع ، والبرص مع الفقر ، قال كل واحد منهما كاذبا انما ورثت هذا

المال كابرا عن كابر فعاقبهما الله وردهما الى ما كانا عليه من العاهة ، والفقر وهذا يدل على دقة نظر ، وعلم بأحوال البشر .

البرهان الرابع : قوله فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قال أبو سفيان بل ضعفاؤهم ، قال هرقل وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل .

قال محمد تقي الدين كاتب هذا المقال كل من درس الدعوات والمبادىء يرى أن الطبقة الفقيرة تكون مهضومة الحق ، مظلومة ، مستعبدة ، موطوءة بالاقدام، فهم يتربصون الدوائر بظالميهم ومستعبديهم ليتخلصوا من نير ظلمهم ، ويفكوا من أسرهم ، فمتى رأوا دعوة الى تأسيس حكم جديد بادروا الى الاستجابة راجين أن يكون خلاصهم على يد صاحب تلك الدعوة ، وبرهان هذا في كتاب الله عز وجل قال تعالى في سورة هود رقم ٢٧ : (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) .

وقال تعالى في سورة الانعام رقم ٥٢ (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين .)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية قال الامام أحمد بسنده الى ابن مسعود قال : (مر الملأ من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب ، وبلال وعمار ، وخباب ، وغيرهم من ضعفاء المسلمين وفيه فقالوا : يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك ، أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ونحن نصير تبعا لهؤلاء أطردهم ، فلعلك ان طردتهم نتبعك فنزلت الآية.) وهذا المعنى مذكور في مواضع من كتاب الله سبحانه . أ. هـ. ودعاة الشيوعية في هذا الزمان ينادونهم بلغاتهم العجمية بما معناه : أيها المعدمون في جميع البلدان اتحدوا يعنون بذلك أن المعدمين أكثر عدادا من الموسرين ، والموسرون يستغلون جهودهم ويعيشون على حسابهم عيشة ترف ، وبذخ ، مع أن هؤلاء المعدمين لو اتحدت كلمتهم وامتنعوا من العمل لساءت حال الموسرين وصار الأمر بيد المعدمين يتصرفون في الاموال التى هى ثمرة جهودهم ولكن شتان ما بين دعوة الرسل ، ودعوة الشيوعيين،فان الرسل عليهم الصلاة والسلام يعدلون بين الناس ويأخذون للضعيف حقه من القوى ، ولكنهم يتركون أمر الغنى والفقر بيد الله ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . فدعوتهم تسعد الأغنياء والفقراء ولا تحاول تغيير سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . ا. هـ.

البرهان الخامس : قال هرقل لأبى سفيان أيزيدون أم ينقصون ؟ قال أبو سفيان : بل يزيدون ، قال هرقل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم . أ. هـ. أقول كل دعوة كتب لها النجاح . فان اتباعها يزيدون ولا ينقصون ، ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، وذلك ان المستجيبين للدعوة تتحسن أحوالهم ، وأخلاقهم فيراهم نظراؤهم من الاشقياء فيرغبون أن يصيروا مثلهم وبذلك تنتشر الدعوة وتضطرد الزيادة أ . هـ .

البرهان السادس : قال هرقل لأبى سفيان فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه قال أبو سفيان : لا قال هرقل وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب أقول

كل من دخل فى دين ، أو عقيدة ، على علم ، وبصيرة ، واطلاع تام ، يغتبط بـه ويزداد له حبا على مر الايمان هذا اذا كان ذلك حقا ففى كل يوم ينكشف للداخل فيه من فضائله ما يزداد به غبطة وابتهاجا بخلاف العقائد الباطلة المظلمة اذا زخرفها المزخرفون فان الداخل فيها تنكشف له كل يوم ظلمة جديدة ويبدو له عيب كان خافيا عليه فيسوء ظنه ويرتد عن ذلك الدين ، أو العقيدة ، أو المذهب ، فالاسلام كمال قال الشاعر :

يزيـدك وجهـه حسـنا   اذا ما زدتـه نظـرا

البرهان السابع : قال هرقل لأبى سفيان فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، قال أبو سفيان لا ، قال هرقل : وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله أ. هـ.

أقول وهذه الحجة من أقوى الحجج العقلية التى لا يرتاب فيها عاقل ، لأن الكذب رذيلة يتنزه عنها كل انسان له شرف ومروءة وقد رأينا أن أبا سفيان بن **حرب على كفره وطغيانه ورغبته فى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذله فى ذلك كل مرتخص وغال لم يرض لنفسه أن يكذب على عدوه أمام هرقل ومن سما بنفسه وضن بشرفه ، ومروءته ، فامتنع من الكذب على الناس يستحيل أن يسمح لنفسه بالكذب على الله ولما رأى عبد الله بن سلام الحبر الاسرائيلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما هو الا أن رايته فعلمت أن وجهه ليس بوجه كذاب . ا هـ**

البرهان الثامن : قال هرقل لأبى سفيان فهل يغدر ؟ قال أبو سفيان لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ، قال ولم تمكنى كلمة ادخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال هرقل وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر أ. هـ.

استدل هرقل فى جملة ما استدل به على صدق النبى صلى الله عليه وسلم بتنزهه عن الغدر ، فالملوك ، والرؤساء ، قد يغدرون اذا وجدوا فرصة فى اهلاك عدوهم يخافون أن لا يجدوا مثلها .

أما الرسل عليهم الصلاة والسلام فانهم منزهون عن الغدر لأن دعوتهم الى مكارم الاخلاق تتنافى مع الغدر ولا تجتمع معه البتة ولأن الله ضمن لهم النصر وجعل لهم العاقبة فلا حاجة بهم الى الغدر لأنهم واثقون بوعد الله كما قال تعالى : (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقول أبى سفيان فلم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة يدلنا على شدة بغضه للنبى وحرصه ان ينتقصه ما استطاع الى ذلك سبيلا فان اقراره بهذه الفضائل حجة عليه وعلى كل مخالف . وقوله منه ونحن فى مدة أى فى معاهدة على الهدنة لا ندرى ايفى بما عاهدنا عليه فى المستقبل كما فعل فى الماضى أم يغدر .

البرهان التاسع : قال هرقل لأبى سفيان فهل قاتلتموه ، قال أبو سفيان نعم، قال فكيف كان قتالكم اياه ، قال : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ا هـ.

أقول وهذا شأن رسل الله مع أعدائهم اذا اقتتلوا معهم لأن حكمة الله اقتضت أن يدعو الرسول الى الايمان بالله واقامة دين الله فاذا آمنت به جماعة من الناس قاتل بهم من كفر به ليثبت الأجر للمجاهدين ويعذب الله الكافرين بأيدى المؤمنين كما قال تعالى فى سورة التوبة رقم ١٤ ، ١٥ (قاتلوهم يعذبهم الله

بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) ولو أن الله أرسل على الكافرين صواعق فأحرقهم لكان ذلك اجبارا لمن آمن على الايمان والله لا يجبر الناس على الايمان لأن المجبر لا يستحق ثوابا وانما يستحق الثواب من اختار طاعة الله واتباع رسله بعد أن تبين صدقهم ، وعرف الحق فاتبعه والباطل فاجتنبه .

البرهان العاشر : قال هرقل لأبى سفيان ماذا يأمركم ، قال يقول أعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلة ، قال هرقل وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين . أ. هـ. عرف هرقل بعلمه وعقله زيادة على ما تقدم من البراهين أن الذى يأمر بهذه الامور وهو متصف بتلك الصفات هو صادق فيما ادعاه من النبوة والرسالة .

والأمور المذكورة هنا ستة أمور :

أولها عبادة الله وحده لا شريك له فلا يصلح دين ولا دنيا الا بجعل العبادة خالصة لله وحده لا يعبد معه أحد ، لا ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، ولا صالح ، ولا طالح ، وكتاب النبى صلى الله عليه وسلم لهرقل يوضح هذه الامور كل التوضيح فانه قال فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى) . فوصف نفسه بالعبودية لله التى هى أعلا منزلة عند رسل الله والرسالة التى كلفهم بها ، وجعل فى قبولها سعادة البشر ، ووصف هرقل بعظيم الروم أى كبيرهم وسيدهم ، ثم قال على من اتبع الهدى وهذا انصاف وحزم ، والسلام هو السلامة وهى لا تكون الا لمن اتبع الهدى وهرقل يزعم أنه يتبع الهدى ولا يكون متبعا للهدى حتى يؤمن بجميع رسل الله ومنهم خاتم النبيين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان آمن به وبمن قبله فله السلامة والا فلا سلامة له ، وقوله أسلم تسلم من جوامع الكلم فى غاية البلاغة وهو مبين للذى قبله ومؤكد له فلا يسلم من عذاب الله الا من أسلم لله وآمن بما جاءت به رسله كلهم ، ويؤتك الله أجرك مرتين أجر الايمان بعيسى ، وأجر الايمان بمحمد فان توليت أى أعرضت عن قبول دعوة الاسلام فان عليك أثمك واثم الاريسيين أى الفلاحين اتباعك ثم بين النبى صلى الله عليه وسلم أصل دعوته وأساسها وهو توحيد الله تعالى : يا أهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى تعالوا الى كلمة أى أقبلوا الى كلمة مستوية بيننا وبينكم ليس فيها تحيز لجانبنا ولا لجانبكم وهى كلمة لا اله الا الله ومعناها أن نعبد الله مخلصين له الدين ، ولا نشرك به شيئا كيفما كان ذلك الشىء ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا آلهة ، من دون الله كما فعلتم أنتم معشر النصارى فانكم أتخذتم عيسى وأمه إلهين من دون الله ، ثم اتخذتم غيرهما من رهبانكم آلهة من دون الله فان تولوا أى أعرضوا فقولوا أيها المسلمون لهم أشهدوا بأنا مسلمون موحدون لا نعبد الا الله ونؤمن بكل ما جاء به رسل الله من آدم الى محمد لا نفرق بين أحد منهم ، وهذا هو الدين القيم ، والصراط المستقيم .

الأمر الثانى ترك ما كان يعبده آباؤهم وهو يقتضى ترك الشرك جملة

وتفصيلا ، فان من عبد الله وعبد معه غيره ولو شيئا قليلا لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا قال تعالى يخاطب سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فى ســورة الزمر رقم ٦٥ (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) واذا تأملنا هذا الخطاب وشددته علمنا أنه موجه الينا لأن النبى صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب كلها والادلة المحذرة من الشرك كثيرة فى كتاب الله وسنة رسوله .

الامر الثالث الصلاة وهى بعد التوحيد أعظم الفرائض وانفعها كتب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الى عماله يقول ان أهم أمركم عندى الصلاة فمن حافظ عليها كان لما سواها احفظ ومن ضيعها كان لما سواها أضيع . ا. هـ.

ومن المعلوم أن العامل مكلف بحفظ الأمن واقامة العدل بين الناس وأخــذ الزكاة والخراج واقامة الحدود ، والجهاد فى سبيل الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتنفيذ كل ما أمر الله به ورسوله من الشريعة الغراء وقد علمنا مــن كلام عمر أن صلاح الدين والدنيا يتوقفان على المحافظة على الصلاة ومتى اختلت المحافظة على الصلاة اختل كل شىء . والآيات والاحاديث التى تحث على المحافظة على الصلاة وتبين فضلها كثيرة فى كتاب الله وسنة رسوله ، وأما الصدق فهــو خلق شريف ما شاع فى أمة الا سادت وعزت وانتصرت على عدوها فى الداخل والخارج وضده الكذب والفجور ما شاع فى أمة الا هبطت الى الدرك الاســفل وذلت وتشتت أمرها وهذا مشاهد بالعيان فى كل زمان ومكان وأدلته فى الكتاب ، والسنة أكثر من أن تحصى .

الأمر الرابع العفاف : وهو حفظ البطن ، والفرج ، واللسان ، وسائر الجوارح ، من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبه تنال سعادة المجتمع وتقع بين الناس الألفة والمحبة والتعاون وتلك هى أسباب السعادة :

تلك السعادة أن تلم بساحتها فحط رحلك قد عوفيت من تعس

الأمر الخامس : الصلة وهى البر ، والاحسان الى الاقارب قال الله تعالى يخاطب سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فى سورة الاسراء ٢٦ (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) وقال تعالى فى سورة النساء رقم ٣٦ (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى — الآية) .

واخرج البخارى فى كتاب الأدب ومسلم فى كتاب البر والصلة بالاســناد المتصل الى أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اللهخلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك ، قالت بلى قال فذلك لك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا ان شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وفى رواية للبخارى قال الله تعالى : (من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته) . أ هـ

وموعدنا المقال التالى بحول الله .



مع الطبيب



حياة طبيعية لمرضى السكر

للدكتور : محمد أبو شوك

تأسست منظمة الصحة العالمية عام ١٩٤٨ وجرت العادة أن تختار المنظمة كل عام شعارا يمثل احدى المشكلات الصحية ، ومعالجتها واحتفال هذا العام الذى أقيم فى الشهر الماضى كان تحت شعار «**حياة طبيعية لمرضى السكر**» وقد احتفلت دولة الكويت مع سائر دول العالم بهذا اليوم وألقيت المحاضرات وعقدت الندوات التى تناولت شرح هذا المرض ووسائل علاجه والوقاية منه ، وقد ألقى الدكتور محمد أبو شوك رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الأميرى المحاضرة التالية فى احتفال الجمعية الطبية الذى أقيم بهذه المناسبة . وقد رأينا نشرها على صفحات المجلة اسهاما فى ايقاظ الوعى الصحى والدعوة الى القوة البدنية التى ينشدها الاسلام بجانب القوة الروحية ، فالمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفيما يلى نص المحاضرة :

انها لمناسبة طيبة تلك التى هيأت لنا هـذا اللقاء ـ لنتعرف سويا على مرض أخذت تزداد وطأته عاما بعد عام ، لا فى الكويت فحسب بل فى بقية أنحاء العالم حتى بلغ عدد المصابين به ما يقرب من الثلاثين مليونا مما حدا بمنظمة الصحة العالمية أن تولى هذا المرض اهتماما بالغا وجعلت شعارها هذا العام « حياة طبيعية لمرضى السكر » ..

أيها السادة ،

لقد افتتحت وزارة الصحة مشكورة عيادتى السكر بالدعية والفيحاء فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، ايمانا منها بأنه لا بد من أن يعتنى بمريض السكر العناية التى يستحقها ، وأخذت كل من العيادتين على عاتقها ما أوكل بهما من مهام ــ وذلك بالكشف على مرضى السكر ومتابعتهم ــ ونشر الوعى الصحى بينهم مؤمنة بأن مريض السكر الواعى يجب أن يحيا ويسعد كباقى بنى الانسان ــ ولا يكون مرضه حجر عثرة أمام أمانيه وأحلامه . ولقد أخذ عدد المراجعين يتزايد يوما بعد يوم ــ حتى بلغ فى عيادة الدعية الى يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٧١ ــ (٣٨٠٤) مريضا منهم (١٧٥٦) كويتيا وكويتية وفى عيادة الفيحاء . . (٢٩٦٨) منهم (١٩٩١) كويتيا وكويتية ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على ازدياد الوعى الصحى بين الجماهير ، وزيادة الاصابات بهذا المرض ــ تلك الزيادة التى تزكيها عوامل عدة ، منها التزاوج بين أفراد العائلات المصابة بالمرض والسمنة المفرطة والاضطرابات النفسية ، والخمول وعدم الحركة .

وأمام هذه الزيادة المضطردة يلوح فى الأفق السؤال ، هل من سبيل للتحكم فى هذه الزيادة وهنا يظهر دور مريض السكر بل ودور كل مواطن . نريد من كل منهم أن يكون واعيا ومثقفا ، واعيا الى عدم التزاوج بين أفراد الأسرة المصابة بالمرض وبذلك نقلل من نسبة الاصابة .

وما أجملها وأبقاها من عظة رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » بهذا فقط ، يمكننا التحكم فى أكثر من نصف الزيادة المضطردة للمرض فى الكويت .

ثم نريد من مريض السكر ، ومن كل مواطن ان يكون مثقفا أمينا لأفراد أسرته « فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فيحملهم على أن يعرضوا أنفسهم على أطبائهم لعمل التحاليل اللازمة وذلك لاظهار المرض مبكرا فيمكن التحكم فيه والبعد عن مضاعفاته ، ويا حبذا لو أجريت تلك الفحوصات دوريا أو عندما يشعر الفرد بأى عرض طارىء يؤثر على حالته الصحية ، والتحليل لكل فرد بعد الاربعين اذا كان من عائلة مصابة بالمرض .

نريد من مريض السكر أن يكون أمينا على نفسه ، فيحافظ عليها بالاستمرار على العلاج ويحافظ على مراجعة طبيبه فى موعده يستشيره فيما يعن له من أعراض ، ويزيد من صلته به ــ لتزداد الثقة بينهما ، ولا يسمح لمدعى الطب أن يقوضوا هذه الثقة بقولهم « اسأل مجرب ولا تسأل طبيب » بل يجعل رائده قول الله تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

أيهـــا السادة :

نريد أن يثق الطفل وأهله فى الطبيب حتى يسير فى طريق هـــذا المرض الطويل ، هذا الطريق الشاق الذى سيجتازه يافعا ، ثم شابا ثم رجلا رب أسرة ، ثم كهلا — وفى هذه الرحلة الطويلة الشاقة المحفوفـــة بالمخاطر انه فى حاجة ماسة الى من يشجعه ويعينه ومن يكون أولى من طبيبه هاديا ومشجعا ، وأن ينشأ هذا الطفل نشأة طبيعيـــة اللهـــم الا الاحتراس من الاكثار من أكل الحلوى والنشويات والاهتمام بالعـــلاج والتعود عليه . .

ونحتاج لهذه الثقة الغالية من المرأة التى طالما تواجههـــا عواصف هذا المرض وهى شابة ثم وهى زوجة ، وهى حامل ، وهى مرضع ، وهى فى سن اليأس وفى الكهولة . عاصفة تلو العاصفة تحتاج الى ربان ماهر يوصلها بر الأمان ، ومن يكون ذلك الا طبيبها الذى يسهر على راحتها ، وما دامت قد وضعت ثقتها فيه وتسمع لنصحـــه ، فالله حافظهـــا وحـــافظ وليدهـــا .

أيهـــا السادة :

وما دامت السمنة هى طريق السكر — فلماذا لا نحرر أنفسنا منها انها العبء الثقيل الذى يسبب تلك المضاعفات العديدة ، وعلى رأسها مرض السكر ، فليتبع كل منا وبالأحرى مريض السكر التعليمات الخاصة حتى يحافظ ما أمكن على وزنه الطبيعى — ويمتثل لقوله تعالى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وقول رسولنا الكريم « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

وقول أحد الحكماء « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء » « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع فاذا أكلنا لا نشبع » .

وعندما نتحدث عن السمنة — نرى أن من مقوماتها غير الاسراف فى الأكل الركود وقلة الحركة ، وعدم ممارسة الرياضة البدنية — فما أحوجنا فى عصر ركنا فيه الى الراحة والخمول أن نفسح بعض الوقت لهذه الرياضة ولا نستهين بها ، حتى ولو الى قليل من المشى — لنصلح من أجسادنا ونقلل من اصابتنا بهذا المرض .

وانها لتجربة رائدة تلك التى أظهرت الاحصائيات على القبائل فى جنوب أفريقيا وفى الهند ، فلقد وجد أن نسبة السكر بها تكون قليلة عندما تكون فى ترحال مستمر — وتزداد هذه النسبة عندما تستوطن هذه القبائل المدن وتخلد الى السكينة والكسل والخمول .

أيهـــا السادة :

ما أهون ما يكون عـــلاج السكر اذا ما اكتشف مبكرا ، واذا ما حرص المريض على علاجه ، وأبدى كل تعاون مع طبيبه — للتغلب على الصعوبات التى تواجهه — وما أصعبها من عواقب وخيمة ، اذا ما أهملنا العـــلاج وجعلنا للمضاعفات أسهل السبل الى جسم المريض ، هذه المضاعفـــات من التهابات فى الجلد — والتهابات فى الصدر — والسل الرئوى ، والتأثير على الأعصاب ، والكلى — وشرايين الجسم بما فى ذلك شرايين المخ والقلب وضعف أو فقدان البصر . وربما تركت فى مريض السكر عدم القدرة على العمل وأثرت على حياته ، فتفقد الاسرة عائلها ويخسر المجتمع عضوا عاملا فيه .

من هذا كان العلاج والملاحظة والمتابعة عنصرين هامين لمريض السكر ، ولا يخدعن أحد نفسه أو يخدعه غيره ، بأنه شفى من مرضه ويوقف العلاج من تلقاء نفسه ، بل يجب أن يكون ذلك عند رأى طبيبه — ولا يجرى أحد وراء سراب دواء أو وصفة يصفها له أحد معارفه ، فيتردى فى هوة عميقة توصله لا محالة الى احدى مضاعفات المرض ، وليطمئن كل مريض أننـــا لا نألوا جهدا فى احضار أحدث الادوية التى تستعمل فى المرض عندمـــا نتأكد من فعاليتها — وعدم الاضرار بالمريض ، فأمل كل طبيب دائما هـــو أن يرى مريضه قد تحسن أو شفى من مرضه .

أيهـــا السادة :

ثلاث وسائل نضيق الخناق بواسطتها على مرض السكر ، التحكم فى عامل الوراثة — وعدم التزواج بين المصابين — البعد كل البعد عن السمنة ، الحث على الحركة والرياضة والنشاط ، وبذلك نقلل من نسبة المرض .

وثلاث دعائم يقوم عليها العلاج ، الحمية ، والعـــلاج المستمـــر بالأنسيولين وغيره من العلاجات الموصوفة — وعلاج المضاعفات بكـــل عناية عند ظهورها ، وفى أسرع وقت ممكن .

ولمرض السكر منا البحث العلمى المتواصل ، وبذل الجهود المثمرة ، للوصول الى أعماق المرض والتغلب عليه .

بذلك نكون قد استفدنا حقا من هذا اليوم الأغر — يوم الصحة العالمية — وبهذا نحقق شعارها هذا العام .

« حياة طبيعية لمرضى السكر »

أقلام مسمومة

يجب أن تحطمها الأقلام المسلمة

المستشرق آرثر جفري يقدم لطبعة

كتاب المصاحف

لابن أبي داود

للشيخ محمد صادق عرجون

لم يحظ كتاب الهى أو بشرى عرف فى حياة المجتمع البشرى وعاصر أحداث تطور الانسانية الفكرية والاجتماعية بمثل ما حظى به القرآن الكريم من العناية فى تلقيه وحفظه وضبطه ونقله وروايته جيلا عن جيل وعصرا بعد عصر . فهو الكتاب الفذ الذى حفظ فى صدور قرائه من جماهير المسلمين فى شرق الارض وغربها وشماليها وجنوبيها ، يحفظه الوف الألوف ماهرين به فى حذق التلاوة لا يفوتهم منه حرف بله كلمة أو آية .

وهو الكتاب الفذ الذى كتب كله لم يفقد منه حرف فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الكتاب الفذ الذى أجمع المسلمون بجميع فرقهم وأعصرهم وبلدانهم على شرط التواتر القاطع فى نقله سورة سورة ، وآية آية ، وكلمة كلمة ، وهو الكتاب الفذ الذى انفرد فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم بالكتابة بامره صلى الله عليه وسلم حتى ينفرد بالتعالم ويشتهر بالعرفان لدى الخاصة والعامة فلا يشتبه بغيره لأول وهلة . فقد جاء فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن ، فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه)** ولذلك تأخر جدا كتب الحديث وتدوينه .

والقرآن الحكيم بعد ذلك هو الكتاب الفذ الذى دون تاريخه مرحلة

مرحلة ، فقد عرف متواترا طريق نزوله ، ومكان نزول آياتـــه وسوره ، وزمان نزولها ، وحال نزولها ، وأسباب نزولها .

روى البخارى فى صحيحه أن يهوديا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)** — فقال له عمر : انا لنعلم اليوم والمكان الذى نزلت فيه نزلت يـــوم الحج الأكبر .

والذى ينظر فى كتب علوم القرآن وفنونه يرى من ذلـــك العجب العاجب مما يثير فى نفسه الدهشة البالغة من شدة ما حظى به هـــذا الكتاب الكريم من العناية التى لم تبلغها عناية بكتاب سبقـــه من الكتب الالهية ولا بكتاب لحقه من الكتب البشرية ، وحسبنا القاء نظرة على كتاب واحد من كتب علوم القرآن وفنونه لنقرأ فهرسته وعنوانات أبوابه وفصوله لنرى أعجازا تاريخيا فى بحوث تاريخ القرآن وعلومه ، وخذ اليك مثـــلا كتاب « الاتقان » لجلال الدين السيوطى رحمه الله ، وهو كتاب متداول مطبوع فى طبعات مختلفة وقد اخترناه لشهرته وسهولة العثور عليه لمن أراد — ثم انظر فهرسته الذى وضعه المؤلف لتقرأ فيه المكى والمدنى ، والحضرى والسفرى والنهارى والليلى ، والصيفى والشتائى ، والفراشى والنومى ، والارضى والسماوى ، وأول ما نزل وآخر ما نزل ، وما نـــزل مفرقا ، وما نزل جمعا ، وعدد سوره وآياته وكلماته وحروفه ، وحفاظـــه ورواته ، وجمعه وترتيبه ، والعالى والنازل ، والمتـــواتر والمشهـــور ، والآحـــاد والشـــاذ والمـــدرج ، ولغـــاته وغريبـــه وأحكـــام تـــلاوته — ممـــا هـــو مـــدون مستقصى فى هـــذا الكتـــاب مما بلغ به السيوطى ثمانين نوعا عقد لكل نوع منها فصلا أورد فيه من الأسانيد والروايات ما يفوق الحصر لو فصل تفصيلا ، والسيوطى يذكر أنه رجع الى كتب سبقته فى فنون القرآن ، يعددها ويذكر أسماءها وأسماء مؤلفيها .

ومن هنا نبدأ مناقشة مقدمة الدكتور آرثر جفرى لكتاب المصاحف لابن أبى داود — يقول صاحب هذه المقدمة : نتقدم بهذا الكتاب للقراء على أمل أن يكون أساسا لبحث جديد فى تاريخ تطور قراءات القرآن .

ونحن نتساءل أى بحث جديد يمكن أن يكون كتاب المصاحف الـــذى يتقدم به آرثر جفرى الى قرائه أساسا له فى تاريخ تطور قراءات القرآن وراء ما كتب علماء المسلمين من بحوث فى قراءات القرآن وحروفه التى نزل بها ووجوه قراءاته .. الخ ..

وكتاب المصاحف الذى يقدمه آرثر جفرى لم يكن مجهولا لدى علماء المسلمين منذ كتبه صاحبه الى يومنا هذا ، وقد اعتبره علماء القرآن لونا من التأليف الذى يؤلف فى تاريخ القرآن ، ونبهوا على سقطات الروايات التى جاءت فيه ورأوا أنها لا تتفق مع صحيح النقل لتاريخ القـــرآن ، ويعتمدون من رواياته على ما صح سنده صحة تعتمد على رواية الثقاة غير ابن أبى داود ولذلك تراهم يقولون : روى ابن أبى داود بسند على شرط الشيخين مثلا ، وهذا قد يدل على التوقف فى قبول سند ابن أبى داود اذا انفرد به أو عضده من لم يكن هنالك فى الثقة وصحة السند .

لكن آرثر جفرى يجيب عن تساؤلنا (بأن علماء المشرق فى هذه الأيام نشروا كثيرا مما يتعلق بتفسير القرآن واعجازه وأحكامه ، ولكنهم الى الآن لم يبينوا لنا ما يستفاد منه التطور فى قراءاته) . .

ثم قال : (ولا ندرى على التحقيق لماذا كفوا عن هذا البحث فى عصر له نزعة خاصة فى التنقيب عن تطور الكتب المقدسة القديمة — وعن ما حصل لها من التغيير والتحوير ونجاح بعض الكتاب فيها) .

وهنا ينكشف الغطاء عن خبيئة الاستشراق وبحوث المستشرقين الذين يمالهم آرثر جفرى حول القرآن الكريم وينكشف أن الهدف من وراء هذه البحوث أخضاع القرآن لمزاعم المستشرقين واخضاع القرآن لنزعة العصر من التنقيب عن تطور الكتب المقدسة (القديمة) وما حصل لها من التغيير والتحرير ، وبذلك يصبح القرآن الكريم مجموعة أناجيل أو عهود قديمة لا سند يصلها بالسماء ، ومن ثم تذهب قداسته وتنحل عرى الرابطة الاسلامية التى تجمع المسلمين فى أقطار الارض ، ويذهب الاسلام ويسود الالحاد .

ونحن نقول — على عجل لآرثر جفرى لماذا عنى علماء المشرق بتفسير القرآن واعجازه وأحكامه ولم يعنوا بما يستفاد منه التطور فى قراءاته .

ذلك أن تفسير القرآن الكريم لا يزال حاجة من حاجات الانسانية فى كل عصر ، لأن القرآن كتاب الحياة ، والحياة متجددة فتفسيره يجب أن يتجدد بما تتجدد به الحياة الفاضلة،والحياة انما تجدد بالعلم والمعرفة،وقد رفع القرآن الكريم شأن العلم والعقل،وجعلهما وسيلة تطور الحياة وتجددها فمن هنا — بايجاز — يعنى علماء الاسلام فى كل عصر بتفسير القرآن .

أما عنايتهم ببيان اعجازه ، فلأن الاعجاز خصيصة القرآن التى لا يشارك فيها ، وهو الدليل القائم بكل ما فيه من سمو وروعة وبلوغ الذروة فى سياسة البشرية الخالدة وفوقه فى التعبير عن آيات الكون وتسخيره للانسان — واغرائه على استكشاف أسراره — على صدق النبوة الخاتمة وبرهان الاسلام النير ، فكلما جاء العلم بشىء جديد فى نظام الحياة وتقدمها وكلما جاء العقل الانسانى بكشف جديد من أسرار الكون وكلما تقدم المجتمع البشرى فى تطوره الى الصعود لحياة أفضل ، وكلما أثبتت التجارب لونا جديدا فى سياسة الأمم والشعوب يحقق بينها العدل والرحمة — كلما تحقق شىء من ذلك وجب على علماء الاسلام أن ينهضوا ببيان ما جاء به القرآن الحكيم من أصول فى نظام الحياة يدفع بها الى التقدم ، وأن ينهضوا ببيان آياته فى حقائق الوجود ، وأسرار الطبيعة وتسخير مظاهر الكون ، تأييدا لما قام به العقل الانسانى فى كشف حقائق الوجود ، وأن ينهضوا ببيان الاصول الاجتماعية والسياسية التى جاء بها القرآن الحكيم ، لتكون دعائم فى تقدم المجتمع البشرى ، ودعائم فى سياسة الأمم والشعوب فى كل عصر بما يناسبه من الحياة الفاضلة ، تحقيقا لبيان اعجاز القرآن من وجوهه المادية والمعنوية أسلوبا وفكرا ونظاما فى كل عصر من العصور ليكون برهان النبوة الخاتمة قائما ساطعا فى كل زمان ومكان بما تفهمه الانسانية كلها فى مراحل تطوراتها .

وأما عنايتهم ببيان أحكامه ، فلأن هذه الأحكام هى القانون العام الذى يجب أن يحكم أفعال الناس وتوزن بميزانه ، ويقضى فيها بما تقتضيه ، لأنها أحكام العليم الخبير أنزلها لاصلاح حال البشرية وتحقيق العدالة بين أممها وأفرادها .

والقرآن يشتمل على العقيدة وبراهينها ، وهذا أمر تجب العناية فيه بجانب الأسلوب فى البرهنة ولا سبيل الى النظر فى أصل العقيدة ، والعقل الانسانى النير تقبل ويتقبل عقيدة القرآن فى بساطتها الفطرية ، لكن العلم المتطور قد يحوج الى النظر فى أسلوب البرهنة على هذه العقيدة بما أقامه القرآن من أصول النظر فى الكون وبما أشار اليه عن طريق الاستدلال بها على وجود الخالق وعظمته وحكمته .

كما يشتمل القرآن على العبادات التى تعبد الله بها خلقه ، والقرآن جاء فيها بأصول اعتمد عليها فقهاء الاسلام فى جميع ما خلفوه من هذا التراث العظيم الذى لم يعرف مثله لأمة من الأمم .

ويبقى وراء ذلك اصول نظام الحياة الفاضلة وسياسة الأمم — والكشف عن أسرار الطبيعة واستخدامها فى منافع الانسان — وهذا قد جاء فيه القرآن باصول وضعها بين يدى العقل الانسانى لينهض بعبئها على مرور الزمن وتطور الحياة .

ومن هنا كانت عناية علماء الاسلام بأحكام القرآن كالعناية بتفسيره وبيان اعجازه .

أما عدم عنايتهم بما يستفاد من قراءاته ، فلأن هذه العناية قد قتلها العلماء المتقدمون بحثا وجاءوا فيها بما لا مزيد عليه — لكن هذه العناية لم تكن عند علماء الاسلام من جهة ما يطلبه علماء الاستشراق الذى تحدث بلسانهم آرثر جفرى نزولا على نزعة العصر الخاصة بالتنقيب عن تطور الكتب المقدسة وعن ما حصل فيها من التغيير والتحوير .

ذلك لأن القرآن الكريم منذ نزوله آية آية وسورة سورة كان له تاريخ مشهود فى تلقيه ونقله وحفظه فلم يعرف أن وقتا من الأوقات أو لحظة من اللحظات فقد فيها المسلمون آية من القرآن بله سورة — بله القرآن كله — وكانت خصيصة القرآن فى تلقيه ونقله التواتر القطعى — فهو بهذا محفوظ حفظا تاما كاملا من التغير والتحوير ، تلقته الأمة من فم نبيها صلى الله عليه وسلم لم يذهب عليها منه حرف واحد ، وهذا أمر متعالم متعارف يعرفه الصديق والعدو ، وانكاره والمماراة فيه من باب قوله تعالى : **(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)** — وقوله تعالى **(فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)** ..

والقرآن نفسه يحمل بين دفتيه برهان حفظه عن التغيير والتحوير ، فالله تعالى يقول : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** . والذين تمرسوا بأسلوب العربية وأنسوا بالقرآن يقدرون أسلوب هذه الآية فى تأكيدها المعنى المراد ، فحفظ القرآن حفظ الهى ، وهذا الحفظ قد تعددت وسائله التى كان من أهمها تيسير الأمة الى العناية به عناية تفوق كل عناية .

وليس شأن القرآن فى هذا الشأن شأن غيره من الكتب المقدسة ، لأن تلك الكتب فقدت منذ نزولها السند المتصل باصحابها ففقدت الثقة بنصوصها وجاءت عليها الاحداث وأضاعتها جملة ولم يبق منها بيد اصحابها شيء يعتمد عليه ، ولم تكن محفوظة فى الصدور كالقرآن الحكيم ، فالتوراة لم يعرف لها اثر منذ حادثة بختنصر فى تخريب بيت المقدس وتنكيله باليهود ومضى على فقدها فى بعض رواياتهم نحو خمسة قرون كما يقول دكتور « اسكندر كيدس » (١) وفى بعضها ثلاثة قرون ، ثم جاء أحد أحبارهم بما زعم أنه توراة موسى فصدقوه فى بلاهة بليدة ، ولو أنهم تدبروا ما فى توراتهم التى بين أيديهم من اختلاف وتناقض وقصص خبيثة تنسب الى الأنبياء عليهم السلام أحط الجرائم لما صدقوا ان هذا هو توراة موسى الذى أنزله الله عليه هدى ونورا — يقول الشيخ رحمة الله فى كتابه (اظهار الحق) : ان تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون ، والنسخة التى وجدت بعد ثمانى عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها وقد ضاعت قبل حادثة بختنصر فى حادثة انعدام التوراة وسائر كتب العهد العتيق من صفحة العالم رأسا ، ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم — ضاعت نسخها وأكثر نقولها فى حادثة انتيوكس .

وأما كتب العهد الجديد وهى المعروفة عندهم بالاناجيل — فهى كذلك لا سند لها يتصل بالمسيح عليه السلام وقد فقدت كما فقدت التوراة . يقول الشيخ رشيد فى تفسير المنار : وما ظهرت هذه الأناجيل الاربعة المعتمدة عندهم الآن الا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح .... وهى متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ بل وقع الخلاف بينهم فى مؤلفيها واللغات التى الفوا بها . وقد نقل صاحب المنار عن دائرة المعارف الفرنسية ما ذكرته من الاختلاف فى أسماء من كتب الأناجيل الاربعة وفى أى زمان كتبت ، وبأى لغة كتبت ، وكيف فقدت نسخها الاصلية — ثم نقل عن صاحب كتاب (مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين) — وهو من أساطين علمائهم قوله : ان أنجيل متى كتب قبل أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا ، ومرقس ويوحنا كتبا انجيلهما قبل خراب أورشليم — ولكن لا يمكن الجزم فى أية سنة كتب كل منهم بعد صعود المخلص لأنه ليس عندنا نص الهى على ذلك . وقال صاحب ذخيرة الألباب — وهو من المعتبرين عندهم : أن القديس متى كَتب أنجيله فى سنة ٤١ للمسيح باللغة المتعارفة يومئذ فى فلسطين ... ثم ما عتم هذا الانجيل أن ترجم الى اليونانية ، ثم تغلب استعمال الترجمة على الأصل الذى لعبت به ايدى النساخ ومسخته بحيث أضحى ذلك الأصل هاملا — أى مهملا — وذلك منذ القرن الحادى عشر .

وبالتأمل فيما سقناه يظهر جليا الفرق الكبير جدا بين القرآن الكريم الذى نقلته الأمة نقلا متواترا قطعيا منذ اللحظة التى ابتدأ فيها نزوله على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبين غيره من الكتب المقدسة التى فقدت التواتر وضاعت أعيانها وفقدت من أيدى أصحابها فكانت عرضة للتغيير والتحوير والمسخ بأيدى النساخ العابثين .

ومن هنا يعلم مبلغ سرور علماء الغرب لعثورهم على بعض القطع

---

(١) نقل ذلك الشيخ رحمة الله فى كتابه اظهار الحق .

القديمة من البردى التى حفظت لهم آيات وأسفارا من التوراة والأنجيل . وحق لهم أن يفرحوا لأنهم عثروا على شىء ــ ان صح ــ كان ضائعــا مفقودا ، بيد أننا نتساءل هل هذا الذى عثروا عليه موافق لهذه التوراة والأناجيل التى بين أيديهم ، أو مغاير لها مختلف عنها ؟ ــ وما هو الفيصل فى الحكم على صحة ــ ما عثروا عليه بعد الاعتراف بضياع الاصل وفقدان سنده ؟ ــ وبعد أن اتخذت هذه التوراة والأناجيل صبغتها الرسمية عندهم ؟ ــ ومن حق علماء النصارى واليهــود أن يجدوا فى طلب تحقيق تاريــخ الأناجيل والتوراة ، لأنه لم يكن لهذه الكتب تاريخ موصول .

وأى أثر لهذا الجد ولهذه النتائج الباهرة التى فاز بها علماء النصارى واليهود ؟ ــ هل أمكن القضاء على ما فيها من التعارض والتناقض ؟ ــ وهل أمكن تطهيرها من رجس اتهام الأنبياء عليهم السلام بأحط الموبقات . أليس يقرأ هؤلاء العلماء فى هذه التوراة ما تحكيه عن الأنبياء والرسل ؟

يقول الدكتور جفرى : وأما القرآن فلم نجد شيئا من هذه الأبحاث فيه سوى كتاب واحد بسيط وهو كتاب تاريخ القــرآن لأبى عبد اللــه الزنجاتى . .

ونحن نحمد الله تعالى على أنه حفظ كتابه ــ القرآن الكريم ــ فلم يعرضه للضياع ، ولم يعرضه للتغيير والتحوير ، وبقى محفوظا فى صدور ألوف الألوف من المسلمين مكتوبا فى مصاحفهم مطبوعا بعد مراجعة دقيقة لكــل كلمة وكل حرف وكل ضبط لكل حرف ، فلم يكن فى حاجة الى شىء مــن الأبحاث . وكتاب الزنجاتى قد اطلعنا عليه وقرأناه حين طبعه بمصر منذ نحو أكثر من ثلاثين سنة ، فما وجدنا فيه شيئا يبلغ به أن يسمى كتابا ، وما وجدنا فيه شيئا من البحث يحتاج اليه القرآن فى تاريخه أو تفسيره .

يقول جفرى : أدى هذا الفحص فى الغرب الى التخاصم بين أهل النقل وأصحاب هذه الأبحاث وأن أهل النقل اتهموا أصحــاب الأبحــاث الجديدة بعدم الايمان وارادة الزندقة والالحاد والتشكيك ، وأن آراء المفكرين أصحاب الأبحاث الجديدة تغلبت على أهل النقل حتى أن أكثر علماء اليهود والنصارى الآن يتبعون فى أبحاثهم وتدريسهم طريقة البحث التحليلى . . . الذى يعتمد على جمع الآراء والظنون والأوهام والتصورات ليستنتجوا منها ما كان مطابقا للمكان والزمان وظروف الأحوال معتبرين المتن دون الاسناد ــ يجتهدون فى اقامة نص التوراة والانجيل كما أقيم نص قصائد هوميروس أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف . .

هذا هو هدف هؤلاء المستشرقين من أمثال آرثر جفرى الذى يريدون أن يصلوا اليه فى شأن القرآن الكريم ، لأنه أعياهم فى سنده المتصــل اتصالا متواترا لا يقبل الطعن والتشكيك أن يجدوا فيه مغمزا ، فــلا سبيل اذن الى الوصول الى خلخلة صحة سند القرآن المتصل الا بتوهين الاعتماد على الاسانيد ، ولو كانت متواترة كسند القرآن الحكيم ، وعند هؤلاء العلماء الباحثين أنه يجب الاعتماد على الآراء والظنون والأوهام والتصــورات واعتبار المتن دون الاسناد ــ كما اعتمد عليهــا فى قصائــد هوميروس ورسائل أرسطو . اليس هذا كلاما مضحكا ؟ ــ أو ليس نسبة هــذا الكلام الى البحث والتحليل والى المفكرين أكثر اضحاكا ؟ ــ ولكن أليس الهدف هو خلخلة مكانة النصوص القرآنية المتواترة كما تخلخلت مكانة نصوص التوراة

والانجيل ؟ — ما قيمة هذا الاسناد المتواتر القاطع الذى يتصل به القرآن جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر حتى يتلقى من فم النبى صلى الله عليه وسلم غضا حين يفصم عنه الوحى اذا كان يحول بين الباحثين المفكرين من علماء الغرب وبين وضع القرآن الكريم على مشرحة التغيير والتحوير كما وضعوا كتبهم المقدسة عندهم ؟

هذا الهدف هو الذى رمى اليه نولدكه الالمانى وتلاميذه منذ قرن ، ولكنهم خسروا الجولة فلم ينالوا من القرآن منالا ، ثم جاء آرثر جفرى ورأى هذه الخيبة تعلق بتاريخ نولدكه ففكر وقدر ورأى ان يسلك الى الهدف نفسه طريقا آخر غير طريق التأليف فى تاريخ القرآن ، لانه رأى أن تاريخ القرآن قد فرغت من كتابته بصدق وتحر موثق الحياة والاجيال بما لا يمكن معه خلخلة حرف منه ، لانه لا سبيل عند أى مسلم فى أرض الله الى قبول نظرية اعتبار المتن دون السند فى تأريخ القرآن ، وضبط نصوصه ، لان السند القطعى المتواتر المتصل هو الذى حفظ متن القرآن ، فارتبط به ارتباط كل آية فيه بمعناها وأسلوبها .

ثم أخذ آرثر جفرى يدخل الى غرضه الذى قدم من أجله الى قرائه كتاب (المصاحف) لابن أبى داود بهذه المقدمة المشبوهة ، فذكر فى مقدمته الرواية التى أجمع عليها المسلمون ، ورويت متواترة المعنى بأصح طرق الروايات الحديثة ، فى طريقة كتابة وحى القرآن ، وترتيبه وجمعه كله فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعرضه مرتب الآيات على ملك الوحى جبريل عليه السلام مرة فى سنة من عمر الرسالة ، ثم عرضه مرتبا كله مرتين فى سنة انتقال النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وراح « جفرى » يشكك فيها ، ويرى قراءه أن أهل البحث والتحليل من المستشرقين الذين يعتمدون على الظنون والاوهام والتصورات لا يقبلون هذا الرأى ، لانه يخالف أحاديث تفيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قبض ولم يجمع القرآن فى شىء .

وهذه دعوى عريضة بغير امتداد ، ثكلت دليلها ، واجتثت من جدية البحث فلم يكن لها فيه قرار ، فليست هناك أحاديث لها وزنها فى صحة الرواية بما يجعلها توضع فى ميزان مع أحاديث جمع القرآن وترتيب آياته بتوقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضه ما نزل عليه مرة فى كل سنة على ملك الوحى جبريل عليه السلام ، ثم عرضه ومدارسته له فى رمضان مرتين سنة انتقاله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى .

ودعوى أن القرآن لم يجمع فى « شىء » فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم دعوى جريئة مشبوهة ، لا تقوم على دعائم من البحث العلمى الذى يزعمه لانفسهم أولئك المستشرقون — جفرى فمن فوقه، أو من دونه — لان الثابت فى أحاديث متواترة المعنى أن القرآن كان مكتوبا كله على أساس العرضة الاخيرة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام مرتب الآيات ، غير أن هذا المكتوب لم يكن مجموعا فى مصحف واحد يضمه، ضمه أبو بكر الصديق باشارة عمر وكتابة زيد رضى الله عنهم .

ولهذا كانت اشارة الفاروق على الصديق رضى الله عنهما بجمع ما هو مكتوب محفوظ فى الصدور فى مصحف واحد حينما كثر القتل فى القراء فى

معركة مسيلمة الكذاب ، لانهما خشيا أن يذهب كثير من القرآن بذهاب حفظته فى معارك الجهاد ، وكانوا أحرص الناس على الاستشهاد فى سبيل الله ، فأراد الفاروق والصديق — بعد اقتناع — جمعه فى مصحف موحد على حالته التى تركه عليها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر عرضة مرتب الآيات ، وهذا الجمع وسيلة من وسائل حفظه لو تعرض حفظته للشهادة فى سبيل الله .

ويقول «جفرى» ان علماء الغرب، لا يوافقون على أن ترتيب نص القرآن كما هو اليوم فى أيدينا من عمل النبى صلى الله عليه وسلم ونقول لجفرى واخوانه وتلاميذه فى الشرق والغرب : ومتى كانت موافقة علماء الغرب على أمر من أمور الاسلام شرطا فى صحة وجود هذا الامر فى واقع الحياة ؟ ثم نقول : وهل مجرد عدم موافقة علماء الغرب على ذلك يطمع المستشرقين وتلاميذهم فى تشكيك المسلمين فى أمر من أمور القرآن الكريم ، وخاصة اذا كان ذلك الامر مجمعا على ثبوته ثبوتا قاطعا بالتواتر المعنوى الذى لم ينكره مسلم فى أرض الله ، ذلك هو أن ترتيب آيات القرآن الحكيم فى جميع سوره توقيفى أخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم كما تلقاه من جبريل عليه السلام .

وهل من البحث العلمى الجاد القاء الدعاوى هكذا مجردة عارية من كل شبهة دليل أو سند فى أمر من أخطر أمور العلم والتاريخ ؟

ثم استطرد « جفرى » الى الكلام عن مصاحف الصحابة ، فذكر أن غير واحد من الصحابة جمع القرآن فى مصحف ، وذكر أن المصحف الذى كتبه زيد بن ثابت لابى بكر مصحف خاص من هذه المصاحف ، لا مصحف رسمى ، وانتهى الى غرضه المقصود الذى استهدفه واستهدفه معه سائر من كتب من المستشرقين عن القرآن وتاريخه وعلومه فقال : وكانت هذه المصاحف — يختلف بعضها عن بعض — وكرر هذه الجملة نفسها حينما تحدث عن اتفاق أهل كل قطر على مصحف قارئهم فقال : وكانت هذه المصاحف يخالف بعضها بعضا . فهل القاء الكلام هكذا على عواهنه بحث علمى ؟

ونحن لا ننكر أن بعض الصحابة كتب لنفسه صحفا ، على ما كان يسمع ويتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتفظ كل من كتب لنفسه بصحفه ، والنبى صلى الله عليه وسلم يخبرنا فى الحديث الذى بلغ مبلغا يوشك ان يكون متواترا ان القرآن نزل على سبعة أحرف ، وقد اختلف العلماء قديما فى معنى الأحرف التى فى هذا الحديث اختلافا عريضا ، وقد بينا فى فصل خاص بجمع القرآن من كتابنا (عثمان بن عفان) — أن أقرب الأقوال فى معنى الأحرف أن المراد بها الاوجه من المعانى المتقاربة بالفاظ مختلفة تيسيرا على الامة فى أول الامر حتى اذا عادت السنتهم الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدروا على الفاظه حسم الأمر على لسان قريش أفصح العرب .

وفى ذلك يقول أبو عمر بن عبد البر : ان تلك الاحرف السبعة انما كانت فى وقت خاص للضرورة التى دعت الى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد .

ومن هنا وقع اختلاف صحف الصحابة فى القراءة بهذه الاحرف ، ولما أشتد التنازع بينهم فى غزوة أذربيجان رفع ذلك حذيفة الى عثمان رضى الله عنهما خشية اتساع الخلاف اتساعا يمس جوهر القرآن ، كما اختلف اليهود والنصارى فى كتبهم فتعارضت وتناقضت ، ونهض عثمان مشمرا حتى حسم الأمر بجمع الأمة كلها على مصحف موحد وحرق ما عداه ، وأيد الله صنيع عثمان الذى صنعه تحت سمع وبصر جمهور الصحابة وفيهم على كرم الله وجهه وغيره باستجابة الأمة له ورجوع من خالف عن خلافه وأتم الله على المسلمين نعمته وحفظ لهم كتابهم تحقيقا لوعده فى قوله **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** .

فان كان آرثر جفرى صاحب المقدمة يريد باختلاف مصاحف الصحابة بعضها لبعض هذا النحو الذى بسطناه فذلك قد يكون كان ، وانتهى بحسم عثمان الامر على ما وفقه الله تعالى ولا حرج ولا ضرر .

لكن آرثر جفرى لا يرضيه — طبعا — ما يرضى المسلمين ، فهو يشك ويرتاب فى أن عثمان رضى الله عنه أخذ النص الرسمى الذى جمعه الصديق من أم المؤمنين حفصة وأمر المهرة من الكتاب وعلى رأسهم زيد بن ثابت الكاتب الأول لمصحف الصديق أن يكتبوه بلغة قريش لأن العرب كانوا يقرءون بلغات مختلفة نشأ منها الخلاف الذى أفزع حذيفة وانهض عثمان الى صنيعه العظيم .

ويعلل آرثر جفرى هذا الشك بأن ما أدى اليه بحثه فى أحاديث جمع القرآن هو أن اختلاف مصاحف الأمصار كان سببا فى ان عثمان أمر زيد بن ثابت بتأليف ما فى أيدى أهل المدينة من القرآن ليكون المصحف الرسمى لجميع أمصار الاسلام .

ونحن نسأل فى أى شىء كان اختلاف مصاحف الأمصار اذا لم يكن فى الأحرف واللغات التى نزل بها القرآن تيسيرا على الناس ؟ — لا أظن أن أحدا يجرؤ أن يقول ان الاختلاف كان فى مثل الحرام والحلال والأمر والنهى والوعد والوعيد أو نحو ذلك مما يكون من صميم معانى القرآن وجوهر نصوصه — واذا كان ذلك كذلك فيكون هذا الاختلاف فى القراءات على الأحرف المسموعة رواية تواترا هو الذى حفز عثمان رضى الله عنه على جمع المصحف الرسمى واعتمد فى ذلك على صحف الصديق والفاروق بطلبها من حفصة ، وعلى أن يكتب المصحف الرسمى من كتب هذه الصحف للصديق رضى الله عنه فأى شىء فى هذا يوجب الشك والارتياب ؟؟ .

ثم عرض آرثر جفرى لمسألة خلو مصحف عثمان من النقط والشكل وراح يتصيد كلمات من هنا وهناك يزعم أنها قرئت على قراءات متعددة على حسب ما يحتمله النقط والشكل .

وفرع على ذلك قوله : فكان حينئذ لكل قارىء اختيار فى الحروف والشكل ،

وتناسى آرثر جفرى أن العبرة فى قراءة القرآن بالتلقى المتواتر عند جميع المسلمين وليس الامر بالتشهى والاختيار ، وهذا التلقى المتواتر

المشروط فى جميع كلمات القرآن كان وسيظل شجا يغص به كل من رام غميزة القرآن الحكيم فى نصوصه ، مستشرقا أو مستغربا .

ونتخطى بعد ذلك حديث صاحب المقدمة عن القراء واختيار بعضهم ترجيح قراءة حفص الخ ــ لنقف وقفة قصيرة عند خاتمة مطافه : اذ يقول :

(هذا فى رأى المستشرقين تاريخ تطور قراءات القرآن ... وقد حققوا أن نتيجة بحثهم هذه اقرب فهما للأحاديث المختلفة والروايات المتناقضة . وأكثر موافقة لأحوال القرون الأولى وحوادثها وبنى على ذلك أنه رأى ستة أطوار فى تاريخ تطور قراءات القرآن ثم ذكر هذه الأطوار وقال بعد ذلك : ولا يخفى على القارىء أن نتيجة هذه الأبحاث لا يتفق وما عليه المسلمون من تاريخ القرآن ولا يهمنا فى بحثنا هذا كونه حقا أو باطلا ، وانما المهم هو بيان ما وصلنا اليه بعد التحرى والتنقيب) .

ووقفتنا الأخيرة مع آرثر جفرى أن نقول له : أما أن ما انتهى اليه من البحث فى مقدمته هو رأى المستشرقين ، فهم وما رأوا ، وما كان رأيهم ليغير من واقع الوجود القرآنى عند المسلمين شيئا . وأما أن المستشرقين حققوا أن نتيجة بحثهم هذه أقرب فهما للأحاديث المختلفة والروايات المتناقضة وأكثر موافقة لأحوال القرون الاولى وحوادثها .

فنقول : اننا لم نعثر على أحاديث اختلفت أو تناقضت الا أن تكون مختلفة فى ميزان الصحة والسند وعندئذ نرمى بأحاديث الكذابين والضعفاء والبله فى مهب الريح ، فلا يقام لها فى مجال البحث العلمى وزن ، ويبقى ما ثبتت صحته واستقام سنده لا يتعارض ولا يتناقض .

وحينئذ يبقى تحقيق المستشرقين فى أيديهم أشبه بلعب الاطفال لا يجاوزها الى عقول العقلاء وأفكار المفكرين كما كان عبث أسلاف لهم من قبل وقفوا فى طريق القرآن محاولين تعويق سيره فاقتحمهم وسار فى طريقه شرقا وغربا يحمل الهداية والعدل والرحمة الى الناس كافة ، وقد ذهب أولئك المعوقون مع الفناء وبقى القرآن الحكيم يسير سيره حتى أحق الله الحق وأبطل الباطل ، وأظهره الله على الدين كله ، وأقام به منار الهداية والرحمة ووطد بحجته دعائم الايمان .

وأما أن نتيجة بحث المستشرقين موافقة لأحوال القرون الأولى وحوادثها ، فهو كلام لا يحمل معنى الا عند من ينظر الى القرآن أنه كتاب منزل للقرون الأولى وحوادثها ، وهذا النظر انما يتقلده من لا يؤمن بخلود القرآن وأنه الكتاب السماوى الخاتم للشرائع الالهية ، فهو للقرون الاولى وحوادثها والقرون الوسطى وأحداثها ، والقرون الأخيرة وأحوالها ، يحمل لكل قرن حاجته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

على أن هذا الكلام قد تقدم له شاهد ونظير فى هذه المقدمة على أنه سبيل من سبل البحث والتنقيب ، يقصد به الى اهدار السند المتصل ، والاعتماد على الأوهام والتخيلات الملائمة للمكان والزمان . وأما اعتراف صاحب المقدمة بأن نتيجة هذه الابحاث المستشرقية لا تتفق وما عليه

المسلمون ، فهو اعتراف بواقع لا يقدم ولا يؤخر ، بيد أن المؤسف أشد الأسف أن يكبو عالم يزعم أنه يبحث بحثا حرا علميا تحليليا فيصرح بأنه لا يهمه فى بحثه أن يكون حقا أو باطلا .

وهذا كلام يغنى مجرد عرضه عن التعليق عليه .

ثم عرض آرثر جفرى لكتاب المصاحف الذى قدم له بهذه المقدمة ، وقال عنه : ان نظرة قصيرة فى كتاب المصاحف لابن أبى داود تمكننا من الوصول الى أول مراتب هذا البحث .

وسنتحدث عن كتاب المصاحف فى بحث خاص غير أننا نصل منه بحديثنا عن المقدمة بعرض آرثر جفرى لترجمة ابن أبى داود ، ونقف منها عند قوله : ومع هذا زعم بعض العلماء أنه غير ثقة (نعم ولا كرامة) — وقيل أن أباه أبا داود كذبه (ومن أعرف بالولد من أبيه) — وقال الدارقطنى هو ثقة الا أنه كثير الخطأ فى الكلام على الحديث (وماذا بقى لثقته ؟) — وقال فى المغنى : عبد الله بن سليمان السجستانى ثقة كذبه أبوه فى غير حديث ، ثم يقول آرثر جفرى : وهذه تهمة لا يرضى عنها المستشرقون ... لأنهم اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صادقة .

نحن بين أمرين : اما ان نقبل كلام أبيه فيه — وهو أعرف به — واما أن نقبل كلام المستشرقين الذين اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة ، وهى قاعدة أهدار السند والنظر للمتن فى « اطار الظنون والاوهام والتخيلات ليأخذوا منها ما يطابق الزمان والمكان والأحوال » .

ولا يشك مسلم أن ابن أبى داود صاحب كتاب المصاحف لم يكن من الذين نجوا من التجريح ، وأبوه أبو داود صاحب السنن أحد كتب الاسلام الستة التى عليها المعول فى طليعة رجال الجرح والتعديل — وقد قال فيه ما قال وهو ولده ، ولم يعرف أنه نشأ بينهما شىء يباعده عن محبته ، ولكنه الدين والعلم والامانة فوق البنوة — فلا اعتبار لما يقول المستشرقون .

هذا ما سنح لنا أن نكتبه على عجل عن مقدمة كتاب المصاحف لابن ابى داود التى كتبها الدكتور آرثر جفرى .

وهذا بحث ننشره تنبيها للمسلمين أن تصل اليهم الآراء المنحرفة دون بيان انحرافها ولا ننشره خشية على أصل من أصول الاسلام أو القرآن الحكيم ، أو مصادمة لحرية الرأى لأن الاسلام فى حقائقه التشريعية أجل من أن يخشى عليه من نشر فكرة من الفكر مهما كان انحرافها ولأن القرآن فى حقائقه الالهية أكبر من أن تعوقه عن سيره الى القلوب والأفكار هذه الانحرافات وقد سبق له أن تخطى أمثالها وما هو أعظم منها .

وأما مصادمة حرية الرأى فيمنعنا منها الاسلام والقرآن لان حرية الرأى دعامة من دعائم هدايتهما .

والله ولى التوفيق ..

الحضارة الغربية

ماذا نعنى بالحضـــارة ؟

سؤال يتردد فى الأذهان ، وينطلق بـــه كل لسان ، وقد تخبط فى معناها كثيرون ، وفسرها تفسيرات شتى .

وتبعا لذلك وقف الناس منها موقفا عجيبا متناقضا ، فمنهم من جعل الحضارة هى المدنية ومنهم من جعلها الأفكار وحدها ، ومنهم من جعلها العلم وما ينتج عنه من مخترعات ، ومنهم من جعلها كلمة شاملة للمدنية والأفكار والعلم والقيم والأخلاق والصناعة . .

فغوستاف لوبون جعل الحضارة بالمعنى الواسع الأخير ، ولذلك اشتمل كتابه (حضارة العرب) على كل ما كان للعـــرب من مفاهيم عن الحياة ، وما كان لهم من نظرات فيها قبـــل الاسلام وبعد الاسلام ، كمـــا اشتمل على توضيح لأبعاد الرسالة الاسلامية ومفاهيمها ومدى ما أثرته فى العرب وكيف دفعتهم للفتح ونشر رسالتهم ، ومـــدى تقدمهم فى شتى مجالات الحياة وعلومها فى الاجتماع والسياسة والعادات والأعـــراف واللغة والجغرافية والفلك والطب والكيمياء والمخترعات والفنون ، ومدى تأثيرهم فى أوربا والشرق بما حملوا من هذه الحضارة اليهم .

غير أن أ. أرنولد ، المستشرق الانجليزى يرى تخصيص الحضارة بمعنى أضيق فهو يقصرها على وجهة نظر الانسان فى الحيـــاة ، وهذا تعريف أكثر تحديدا لمدلول لفظ الحضارة ، وأكثر اعانـــة عـــلى تعـــرف أبعـــادها . . .

وأثرها في حياتنا

للدكتور عبد العزيز الخياط

ولذلك أرى أن نحـــدد معنى الحضارة بأنها طريقـــة الانسان فى الحياة ، أو مجموعة أفكاره عنها ، وأعنى بالحيـــاة الأعمال اليومية التى يمارسها المرء فى معيشته ، ففكرته عنها ، ونظرته اليها يكيف سلوكه فيها ، ويحدد طريقة تصرفه فى أعماله ، وهذه هى الحضارة .

وأما المدنية والعلم والثقافة فأمور أخرى غير الحضارة ، فالعلم هو المعرفة التى تؤخذ بالملاحظة والتجربة والاستنباط والاستقراء ، كالتوصل الى أن أهم عناصر الذرة ثلاثـــة . الألـــكترون والنيوترون والبروتون أى السيار والحركة والنوية ، فهذه معرفة أخـــذت بالتجربـــة والملاحظـــة والاستنباط والاستقراء ، والثقافة هى المعرفـــة عامة ، وتشـــمل جميع المعارف النظرية وقد تكـــون خاصة اذا لونتها أمة من الأمم بوجهة نظرها فى الحياة ، فتصبح حينئذ ثقافة اســـلامية أو غربية أو شيوعية أو غير ذلك .

والمدنية هى الأشكال المادية التى تنشأ عن الحضارة أو عن العلم ، فبناء المعابد على كيفية معينة ينشأ عن حضارة ، فالمسلم يبنى للمسجد منارة ويجعل اتجاهه الى الكعبة ، والنصرانى يبنى للكنيسة برجـــا للأجراس ويجعل لها هيكلا ، والبوذى يجعل فى معبده صنما وساحة للرقص وهكذا ، واختراع الطائرة صناعة نشأت عن علم ، وعمل قطـــع الموبيليا صناعة نشأت عن علم ، وصناعات الألبان أساسها العلم ، فهذه كلها مدنية ناشئة عن حضارة أو عن علم .

وعلى هذا نجد أن هناك اختلافا بين الحضـــارة الغربية والحضارة

العربية الاسلامية فى أساس كل منها ونظرتها للحياة ، وتكييفها سلوك الانسان .

فالحضارة الغربية تقوم على أساس انكار الايمان بالله أصلا كما هو فى الشيوعية أو على أساس فصل الدين عن الحياة كما هو فى النظام الرأسمالى ، ولذلك نجدهم يفصلون بين أعمالهم اليومية ومسلكهم فيها وبين معتقداتهم . فالدين عندهم صلة بين الانسان وربه تظهر عندما يتقرب الى الله بالصلاة فى معبده ، وعاطفة تظهر عندما تثار ، ولكنها لا تكيف حياتهم ولا توجه سلوكهم . . . ومن هنا كانت الحياة فى الغرب ملونة بالمادية والنفعية ، وكانت حضارتهم قائمة على أساس من هذه المادية ، وتكييف حياتهم تبعا لذلك بالمنفعة والاقتصاد ، لا يقيمون علاقات بين الأفراد والدول الا على أساسها ولا يفكرون فى أمر من الأمور الا من خلالها وما أجمل ما يصور هذه الناحية قول الكاتب سامول بتلر فى كتابه (GHide to modern wickeness) (نحن مشغوفون بحب المال ، وعقيدتنا ان الثورة هى المقياس الصحيح لعظمة الفرد) . والحكومة كانت سببا لظهور مبدأين لهما الأهمية التاريخية الكبرى .

أحدهما : مبدأ عدم التدخل الاقتصادى الذى كان سائدا على القرن التاسع عشر ويدعى أصحاب هذا المبدأ أن الانسان يبنى عمله على أعظم نفع يجلبه ، وان ليس الباعث على الأعمال الالتذاذ بالعواطف القلبية بل الالتذاذ بالثروة .

والمبدأ الثانى الذى يسود القرن العشرين هو مبدأ التنظيم الاقتصادى المنسوب الى ماركس ، ويقوم هذا المبدأ على أن نظام الانسان الاقتصادى انما يتأسس على حوائج الانسان المالية ، وهذا النظام هو الذى يخلق الأدب والأخلاق والدين والمنطق ونظام الحكومة ، ولم يكن هذان المبدآن لينالا القبول الذى نالاه لولا شغف الناس فى بلادنا بالمال والاهتمام الزائد به . . . ان نظرية الحياة التى تسود هذا العصر وتتحكم فيه هى النظرية الاقتصادية فى كل شىء . (View of life stomach and poket) وكم هو جميل أن نورد كلمة الصحفى الأمريكى (John Gunther) وقد زار أوربا وكتب كتابه داخل أوربا (Inside Europe) حين صور حياة الانجليز بقوله : (ان الانجليز انما يعبدون بنك انجلترا ستة أيام فى الاسبوع ويتوجهون فى اليوم السابع الى الكنيسة) وتلك هى حضارة الغرب قاطبة وهى التى توجه عندهم العلم والمدنية والصناعة والأخلاق والقيم والآداب والمعاملات ، وتحدد لهم سلوكهم فى كافة شئون الحياة ، ولذلك كان من مظاهر حياتهم الاندفاع فى اللذات وتطلب المزيد منها ، والاستعمار وهو استغلال الشعوب على تلون أشكاله ، واختلاف أساليبه وكان من أهم مظاهر حياتهم — طبقا لهذه الحضارة — أن جعلوا العالم على فوهة بركان مقلقل الأعصاب ، متوتر النفسية ، مرتكزا على كبسولة القنبلة الذرية ، وواضعا يده على مفتاح الصواريخ . . .

وهذه الحضارة ... هى التى دخلت بلادنا باسم من التقنية (تكنولوجيا) تحمل معها مفاهيمها عن الحياة ، وعلمها وصناعتها ، وقيمها ، وعاداتها ، وأفكارها ...

ووقفنا نحن نتطلع اليها مذهولين مدهوشين أولا ،
ووقفنا بعد ذلك موقفين متناقضين (الأول) موقف المندفع المقلد الذى يأخذ بالآراء الغربية الفجة والغثة والسمينة والصحيحة ، والزائفة ، ويرى أن سبب تخلفه علميا واقتصاديا وسياسيا وفكريا هو تمسكه بحضارته أى بطريقته فى الحياة والتى تقوم على أساس من العقيدة الصحيحة من الايمان بالله ورسله واليوم الآخر ، والتى تكيف حياته ، وتحدد مسلكه ، وتعيد له وجهة نظرته فى أعماله ، وتبين له الحلال والحرام .

(والثانى) موقف الجامد المتزمت الذى يرى فى كل ما جاء من الغرب اثما وفجورا ، والذى لم يفرق بين الحضارة والعلم والمدنية والثقافة ، والذى رأى أن العلم والصناعة لا تؤخذ كما لا تؤخذ الحضارة ، فحارب الاتباع ، وحرم العلم ...

وبين هذين الموقفين المتناقضين كاد العرب والمسلمون ينسحقون أمام التقنية الغربية تغزو بلادهم وديارهم وتكيف سلوكهم وحياتهم، وتوجه علمهم وثقافتهم ، وتسيطر على مناهج التربية والتعليم عندهم ، وتتخذ من وسائل العلم الحديثة مدخلا طيبا للسيطرة علينا فى كل منحى من مناحى الحياة ، وربطنا بعجلة سياستهم ، فاذا بنا بعد فترة وجيزة من عمر الزمن فى مجتمع متناقض غريب ، لا تسيطر عليه حضارة الغرب والاسلام ، ولا تسيطر عليه أفكارها ، وفى نفس الوقت لا تسيطر عليه حضارة الغرب كليا ، انما نجد عندنا ايمانا بديننا وتمسكا بكثير من مظاهره وببعض تعاليمه فى الزواج والطلاق والمعاملات والميراث ، ونبذا لحضارتنا الأصلية فى كثير من القوانين والعادات والتقاليد وأصبحنا نرى فى مجتمعنا أفكار الغرب وآراءه ، يتحمس لها منا متحمسون ، فكلما ظهر فى الغرب مفكر أيا كان لونه واتجاهه ، وكلما دعا غربى أو شرقى الى أمر من الأمور ، وجد له أتباع عندنا يتشدقون بما يقول ، ويروجون لما يدعو له . حتى فى الأزياء والملابس وطريقة قص الشعر ولوك الكلمات ...... حتى فى الخنفسة والسادومية والوجودية .... وحياة الكهوف ...

ذلك لأننا لم نستطع التمييز بين قيم وقيم ، ولم نستطع التفريق بين حضارة وحضارة ولم ندرك أن لنا مميزاتنا وخصائصنا فى حضارتنا ومفاهيمنا وأفكارنا ، وان علينا أن نتمسك بها ، وأن نكيف بها سلوكنا ، وأن نأخذ ونحن مسلمون بوجهة نظرنا الأصلية عن الحياة ... أن نأخذ بعلم الغرب وصناعته وأن نبرع فيهما كما برع ، وأن نبدع فيهما كما أبدع ، وأن نوفق بين هذا التقدم السريع فى العلم والمخترعات والأسلحة والصناعة وبين القواعد الأصلية والخطوط العريضة لنظرتنا الاسلامية عن

الحياة ، فنحل المشاكل الحديثة التى خلقتها التقنية الحديثة على ضوء مما نؤمن مسايرين لهـذا النمو العلمى والتقدم الصناعى السريعين .

حدثنى صديق جاء من الصين أنه لم يشاهد فيها فلما سينمائيا أو مسرحية تتناقض مع أفكار الصينيين الجديدة عن الحياة ، على الرغم مـن حداثة سيطرة المبدأ الشيوعى على حياتهم ، وسعة الرقعة الصينية وكثرة سكانها ... بينما نندفع نحن فى تصـديق الضلالات الـتى يبثها أناس متعمدون من الغرب عنا ونترك أقوال منصفيهم فى حضارتنا وتقاليدنا ... فمثلا يقول مورو بيرجر فى كتابه (العـالم العربى اليوم) فى فصل عقده بعنوان (الشخصية والقيم) (وقد أدى توقير القرآن واللغة العربية التى نزل بها على المسلمين الى تمسك بالبناء لم يستطع المجتمع أن يتخلص منه الا حديثا ، ففى نهاية القرن التاسـع عشر بدأ صغار الشعراء العرب والكتاب والفنانون والدارسون يجربون ويتخذون لهم أشكالا وأفكارا جديدة تفتحوا عليها فى أوروبا ..)

ويقول شاخت (لقد كان تناقض القوانين بين المثال الدينى والمتطلبات المتغيرة للحياة اليومية ثاويا فى القانون المحمدى منـذ بدايته الأولى) وسريعا ما نجد الأصداء الفارغـة التى يرددها أناس منا لهـذا ويعملون على تنفيذه دون تفكير .

أما أن يقول غوستاف لوبون (ألا نرى فى التاريخ أمة ذات أثر بارز كالعرب) ويذهب الى تعداد مظاهر هذا الأثر البارز فى كتابه حضـارة العرب فيجانب فريق منا هذه الحقيقة ويـذهبون الى المغالطات التى لا قيمة لهـا .

ان حضارة الغرب قد أثرت تأثيرا سيئا فى أفكارنا وعاداتنا وتقاليدنا ولم نستطع أن نتمسك بحضارتنا ، وبهرنا العلم والصناعة ، فمن الواجب اليوم أن نميز ما يردنا من الغرب فنأخذ منه ما يرفعنا علما وصناعة ، ونبعد منها ما يؤدى بنا الى التردى فى الخلق والفكر ، ونظل متمسكين بتراثنا وحضارتنا الأصلية ، ونعود الى العمل بقوانين الاسلام وتشريعاته ، ونعمل على أن نوجد الأحكام والحلول الشرعية لكل المسائل المستجدة والمشكلات التى تواجهنا .

ركن
الموسوعة
الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى

نتناول فى هذا العدد بحث وجه رابع من وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى ، وهو كونها مرجعا للفهم والتفسير والتطبيق فى بعض القوانين المعاصرة المستمدة من الشريعة الاسلامية ، سواء كانت هذه الأخيرة مصدرا تاريخيا أم رسميا لها ، أم قانونا عاما يرجع اليه فى حالة الفراغ التشريعى ، أى عند عدم وجود نص قانونى فى موضوع ما .



أولا) ــ الشريعة الاسلامية مصدر تاريخى لكثير من نصوص القوانين الوضعية :

اذا أخذنا القانون المدنى المصرى مثلا ، وجدنا أنه قد استقى أحكاما كثيرة من الفقة الاسلامى بصورة كاملة أو جزئية أو معدلة . ومن أبرزها أحكام بيع المريض مرض الموت ، والأهلية ، والشفعة ، ومجلس العقد ، وايجار الوقف ، والحكر ووقوع الأبراء من الدين بارادة الدائن وحده . .

هذه الأحكام والمبادىء وغيرها استقاها المشرع المدنى المصرى كلا أو جزءا من الفقه الاسلامى ، وأصبح بذلك رجل القانون بحاجة ــ عند تفسير هذه النصوص ــ للرجوع الى الفقه الاسلامى باعتبار انه مصدر تاريخى لها (يراجع مقدمة « الوسيط فى شرح القانون المدنى » للدكتور عبد الرزاق السنهورى ج ١) .

وما ذكرناه عن القانون المدنى المصرى ليس الا على سبيل التمثيل فقط ، وامثاله كثير فى فروع القانون الأخرى ، وفى غير القانون المصرى من قوانين

البلاد الاسلامية الأخرى . واستقصاء ذلك يخرج بنا عن نطاق هذه الدراسة العاجلة .

ثانيا) ــ الشريعة الاسلامية مصدر رسمى فى كثير من تشريعات البلاد الاسلامية :

ونضرب لذلك على سبيل المثال المادة الأولى من القانون المدنى المصرى التى نصت على أنه : « اذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه حكم القاضى بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية ، فاذا لم توجد فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة . » .

وتقديم الشريعة الاسلامية على مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة يجعل لها أهمية عملية تطبيقية ، اذ أن كلا من الفقيه والقاضى أصبح مطالبا ان يستكمل من الفقه الاسلامى احكام القانون المدنى ، فيما لم يرد فيه نص ولم يجر فيه عرف ، وذلك قبل أن يرجع الى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة .

ــ وكذلك القانون المدنى السورى ، نصت مادته الأولى على ان الشريعة هى المرجع الدائم فى كل ما لا نص فى القانون عليه ، وبذلك تكون الشريعة مقدمة على العرف فى النظام القانونى السورى لا تالية له كما فى النظام المصرى .

ــ كما نصت المادة / ٣٠٥ / من قانون الأحوال الشخصية السورى على أن « كل ما لم يرد عليه نص يرجع فيه الى الأرجح من آراء المذهب الحنفى » .

ــ والقانون المدنى فى الكويت وفى الاردن هو مجلة الاحكام العدلية المأخوذة بكاملها من أحكام الفقه الحنفى .

ــ كما أن مذهب مالك هو المطبق فى مسائل الأحوال الشخصية فى الكويت .

ــ هذا ، والمتتبع للاوضاع التشريعية فى البلاد العربية والاسلامية ، يجد فيها أن الشريعة الاسلامية ــ رغم تنظيم القوانين الوضعية لكثير من المسائل ــ ما زالت مصدرا رسميا فى بعض المجالات ، أو فى حالة عدم وجود نص ينظم المسألة فى القوانين الوضعية ، فضلا عن أن بعض أحكام الشريعة الاسلامية يعتبرها القانون الوضعى من مسائل النظام العام والآداب العامة التى يقوم بحمايتها القانون الوضعى نفسه .



ثالثا) ــ الشريعة الاسلامية مصدر التشريع فى دساتير بعض البلاد الاسلامية :

ــ ويلاحظ أننا لم نتعرض للكثير من النصوص الدستورية فى البلاد

الاسلامية والتى تجعل الشريعة الاسلامية « مصدرا رئيسيا » للتشريع (كما فى دستور الكويت) أو « المصدر الرئيسى » للتشريع (كما فى دستور الجمهورية العربية السورية سنة ١٩٥١) أو كما نص الدستور الجديد للجمهورية العربية اليمنية على ان « الشريعة الاسلامية مصدر القوانين جميعا » ، لأن هذه النصوص تظل فى نطاق الشعارات الهادية للسلطة التشريعية ، ولا تكتسب أثرا قانونيا حتى تقوم المحكمة الدستورية التى تزن القوانين بميزان الدستور — شاملا هذا النص — وحينئذ تتعرض القوانين المخالفة للشريعة للالغاء من قبل المحاكم الدستورية . وهنا أيضا تمس حاجة هذه المحكمة لمعرفة أحكام الشريعة بوضوح حتى تؤدى مهمتها فى تقويم القوانين على ضوئها .

رابعا) — الحاجة الى الموسوعة الفقهية فى جميع الحالات السابقة :

وسواء أكنا بصدد تفسير نص قانونى استقيت أحكامه من الشريعة الاسلامية وأصبحت بذلك مصدرا تاريخيا له أم كنا بصدد استخلاص حكم الشريعة الاسلامية وفقهها باعتبار أنها مصدر رسمى أو أنها هى المصدر الرسمى للتقنين ، ففى جميع الحالات ينبغى الرجوع الى الفقه الاسلامى فى كتبه المعتمدة ، وهنا ترد الصعوبات التى سبق أن أشرنا اليها فى حلقة سابقة ، والتى تجعل أمر البحث فى هذه المراجع شاقا بالنسبة للقانونيين ، وبالنسبة للشرعيين أنفسهم .

ومن هنا كانت الحاجة الى الموسوعة الفقهية ، حاجة عملية تدعو اليها ضرورات العمل القانونى على مختلف مستوياته التشريعية والتنفيذية والقضائية .



بهذا نكون قد انتهينا من عرض وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى ، بعد أن عرضنا قبل ذلك لوجوه الحاجة اليها على الصعيد العالمى .

وقبل أن ننتقل الى مرحلة أخرى من البحث نتناول فيها الخطوط الرئيسية للموسوعة الفقهية المطلوبة ، يثور تساؤل ينبغى الاجابة عليه ، وهو : ألا تسد المدونات والكتب الفقهية القائمة ، قديمها وحديثها ، من مذهبية وعامة هذه الحاجات حتى نفكر فى ايجاد موسوعة أخرى ؟

هذا ما سنتناوله بالبحث فى العدد القادم باذن الله .



مؤتمر علماء

للأستاذ صلاح عزام

• مالم ينشر من أعمال المؤتمر
• مواقف ومطالب مشرفة لممثلي الكويت .
• كلمات صريحة من يوغسلافيا إلى علماء مسلمي العالم
• هذه أهم الكلمات ... والاقتراحات ... والتوصيات



علماء المسلمين خارج مسجد الجامع الازهر بعد آداء صلاة الجمعة .. ويظهر فى الصورة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر ومعال الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت والاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة المساعد وسماحة مفتى الاردن وبعض السادة أيضا والوفود .

عقد مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة مؤتمره السنوى السادس.. وحضر الافتتاح والجلسات أكثر من ٤٠٠ من كبار العلماء فى الجمهورية العربية المتحدة والعالم الاسلامى ..

وقد عشت جلسات المؤتمر .. وأتاحت لى الظروف أن أستمع الى أحاديث الأعضاء كلها ، وأن أشترك مع بعضهم فى كثير من الآراء والمقترحات من خلال مناقشات غنية بالفكر الاسلامى البناء .

وأنا اليوم أنقل الى قراء الوعى ما لم تنشره الصحف فى القاهرة أو فى غيرها من بلدان العالم ..

نقد ذاتى :

وقد بدأت جلسات المؤتمر .. كالعادة بكلمة من شيخ الأزهر ، وتلاه الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر ..

وكان أبرز ما فى الكلمتين الوضوح .. والصراحة والنقد الذاتى للمؤتمرات عموما والتحدث الى العلماء فى صدق عما يريده منهم المسلمون خارج قاعة المؤتمر ..

ومما قاله الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور محمد الفحام : ان خدمة الاسلام والمسلمين أيها



فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الدكتور محمد الفحام عن يمينه الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وعن يساره الدكتور **محمد بيصار أمين المجمع وسماحة الشيخ عبد الله غوشة**

مصطفى الطير وعبد الفتاح القاضى والدكتور عبد الغنى الراجحى والأستاذ لبيب السعيد بأبحاثهم عن التفسير والقراءات فى القرآن الكريم .

والجهاد

ثالثا — ان المؤتمر قد غلب عليه طابع الحديث عن المعركة والنضال والجهاد ، والوقوف الى جانب مشاكل المسلمين فى كل مكان ، فمنذ الساعة الأولى لجلسات المؤتمر بدأ حديث عما دار فى الباكستان أثاره الامام الأكبر الدكتور الفحام ، كما عبرت أحداث الاردن والعمل الفدائى المؤتمر . وتحدث عنها طويلا الشيخ غوشة ومعالى راشد الفرحان واللواء محمود شيت خطاب ..

ثم فوق ذلك فقد نوقشت أبحاث عن الجهاد والفداء وفلسطين واسرائيل بلغ عددها اثنى عشر بحثا اشترك فى تقديمها اثنان من رجال الحرب ، وهما اللواء الركن محمود شيت خطاب ، والفريق عبد الرحمن أمين ..

الكلمات وموقف الكويت ..

ورابع .. هذه الظواهر المميزة هى الكلمات التى تحدث بها المشتركون فى المؤتمر ، وقد أخذت طابعين رئيسيين أولهما : مسئولية المسلمين عموما فى الحرب الصليبية الحالية ونشر الاسلام والدعوة له وثانيهما : فلسطين والجهاد ، وموقف مسلمى العالم من هذه الحرب ..

وهنا لا بد أن نذكر موقف الكويت فى هذين المجالين اذ كان لها دور كبير على مدى أيام ثلاث من أيام الفترة الأولى ، والتى استغرقت ستة أيام ..

فقد تحدث الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف ، وفى كلمة طويلة قال فيها **(أن خدمة الاسلام هى الهدف وان ميدان العمل هو المجتمع الاسلامى**

السادة لا تأتى عن طريق رفع الشعارات ، بل فى تنفيذ تعاليم الدين الحنيف التى تقضى على الجمود الفكرى والظلم الاجتماعى ، وتدفع الى التطور والتقدم ، والعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتحريرها من الجمود ، وتنقيتها من الشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ..

وقال شيخ الأزهر (ان ملايين المسلمين فى أرجاء الدنيا تنظر اليكم فى لهفة مترقبة لما يروى ظمأها ويشفى غلتها بما تخرجون به على الوجود من بحوث تبصرهم بالحلول الحكيمة العادلة الرحيمة لما يعترض الحياة من مشاكل ومن قرارات وتوصيات بما يهم العالم من أحداث تفاقم أمرها ، وباتت تنذر بحرب لا تعرف غير الخراب والدماء ..) .

ومما قاله الدكتور عبد العزيز كامل **(فى هذه الظروف المصيرية نلتقى وليس أحد أشد احساسا بالمسئولية من أحد ، ذلك لأننا كما تعلمنا من رسولنا عليه الصلاة والسلام كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ..**

وأقف فى هذا الحديث عند كلمة واحدة تداعى ، وأحس أن هذه الكلمة قد تجسمت أمامى سؤالا يحتاج الى اجابة .. ما مظاهر هذا التداعى .. ؟ مزيد من القرارات مزيد من البحوث مزيد من النداءات .. ؟ لقد عبرنا عن هذا كله فى لقاءات سابقة ..) .

و .. هل نستطيع فى هذا العام أن نعيد النظر فى أسلوب عملنا ، وان يكون لقاؤنا فرصة لنقوم ما قمنا به من جهد وما علينا أن نقوم به محددا واضحا ..

أعتقد أننا فى أشد الحاجة الى ذلك ، وأن فى قائمة الايجابيات أشياء كثيرة ، وان فى قائمة السلبيات ما يحتاج الى مراجعة ..

وقال الدكتور عبد العزيز **(الكلمة — مع كرامتها علينا جميعا لها نصيب كبير حتى كادت أن تصبح هى العمل ان يكون عملنا أن نقول ..** والآية الكريمة واضحة فىأنهما أمران: **((أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا))** ونحن ندعو ربنا فى صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم ، والصراط طريق ونحن محتاجون الى أن يزداد السائرون فى طريق العمل عددا وقدرة بحيث يكون انتاجهم من أجل قضية المصير ملموسا محسوسا منظما هذه الترجمة من الكلمة الى العمل هى التحدى الكبير الذى يقابلنا فى هذه الظروف المصيرية ..

ظواهر جديدة

وبعد ذلك بدأت جلسات المؤتمر عملها بكلمات وابحاث وهناك عدة ظواهر تميز بها المؤتمر السادس لمجمع البحوث وهى —

أولا — ان عددا من غير خريجى الأزهر قد اشتركوا فى أبحاثه ، ومن هؤلاء الدكتور عثمان خليل عثمان ببحث عن حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية ، والدكتور مصطفى كمال وصفى ببحث عن الوظيفة الاجتماعية للحقوق فى الاسلام ، والدكتور مصطفى الرافعى ببحث عن حقوق الانسان فى اسرائيل ، والمهندس عبد السلام أحمد نظيف ببحث عن تطوير العمارة الاسلامية ..

ثانيا — اشتراك عناصر جديدة لها وزنها فى مجال البحث العلمى الاسلامى الى جانب فقهاء المسلمين الكبار المعروفين ، ومن هؤلاء المشايخ

وأن العلماء مسئولون عن عدم تطبيق أحكام شريعتنا التى فيها الغنى عن كل مستورد حرام ..) .

وقال الأستاذ راشد الفرحان أيضا (ان هناك عددا من الملاحظات وأهمها —

حرب فلسطين قضية اسلامية وعلى المسلمين ان يهبوا للدفاع عنها والا تقف الحكومة المعنية وحدها فى الميدان فى حرب موجة ضد المسلمين ..

وان اخوانكم الفلسطينيين يقاتلون فى سبيل الله فيجب مؤازرتهم حتى التحرير والنصر .

ولا تعارض بين الوحدة العربية والاخوة الاسلامية التى نادى بها الاسلام فالاسلام يبارك قيام الوحدة ويحذر من قيام الفرقة وجميل ان نكثر من البحث والتأليف واحياء التراث ونقوم بعقد المؤتمرات ومع هذا يجب أن يكون أول بند هو النظر الى اعداد التخطيط والمنهج والاسلوب الذى يتبع فى هذا العمل ومع السلطات والشعوب ..

وموضوع آخر ..

فقد وقف الاستاذ عبد الرحمن الفارس الوكيل المساعد لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويتية تحدث عن القرآن الكريم وبين للمشتركين فى المؤتمر أساليب الحرب المختلفة التى تلجأ اليها العناصر الكارهة للاسلام ..

وعدد الأمثلة وآخرها ترجمة القرآن الكريم للغة الأمهرية فى الحبشة ، وماحدثفيه من تحريفوطالب الاستاذ الفارس بدراسة تحريف القرآن فى كل مكان من العالم وانه علاجا لهذا الموقف فهو يقترح انشاء مطبعة خاصة لطبع المصحف الشريف على مستوى العالم كله ..

والموقف الثالث فى مشاركة الكويت فى المؤتمر .. البرقية التى اعلنها أمين عام مجمع البحوث والتى جاءت من الكويت .. من جمعية الاصلاح الاجتماعى وتناشد فيها المؤتمر الحفاظ على القرآن الكريم من التحريف وتطلب أيضا ان يعلن المؤتمر الجهاد المقدس لتحرير فلسطين ..

وقد تقرر تشكيل لجنة خاصة بالمؤتمر مهمتها دراسة ما جاء بكلمة الاستاذ الفارس وبرقية جمعية الاصلاح الاجتماعى الكويتية ..

عودة للكلمات ..

وعودة للكلمات التى قيلت وهى احدى ظواهر المؤتمر الجديدة البارزة فقد تحدث فى الجلسات الاولى ٢٢ عالما ومفكرا اسلاميا من الدول المختلفة ، وبعيدا عن الابحاث ..

واهم هذه الكلمات ما قاله الاستاذ حسين جوزو ممثل مسلمى يوغسلافيا ، ولاسباب ثلاثة اولا لان قائلها يمثل الفكر الاوروبى ، وثانيا لانه من دولة تأخذ بالنظام الشيوعى ، وثالثا لانها اكثر الكلمات التى قيلت تعليقا وحسن استقبال وقد جاء فيها (.. ان العالم الاسلامى أيها الاخوان يواجه اليوم مشاكل وقضايا عديدة ومختلفة مثل قضية العدوان الاسرائيلى وازالة آثار هذا العدوان وقضية مسلمى قبرص وكشمير وارتريا وتشاد وزنزبار وغيرها ..

ولكن هناك قضية هى فى الواقع أم هذه القضايا كلها ، ويتوقف على حلها حل كل قضية اخرى وتلك القضية هى قضية التخلف العام للمسلمين وابتعادهم عن الاسلام ..

و .. قال أيضا (اننا عندما نبحث



معالى الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت والاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة المساعد أثناء جلسات المؤتمر .

وندرس أحوال المسلمين وما هم عليه نجد نوعين من الاسلام أو بتعبير ادق نوعين من ادعاء الاسلام كلاهما بعيد الصلة أو ضعيفها بكتاب الله وسنة رسوله ..

هناك اسلام مشوه محرف مأخوذ من أعمال المسلمين وسياستهم المعتلة ابان ذهاب دولتهم وانهيار حضارتهم وشيوع الخرافة والهوى فى افئدتهم ..

وهناك اسلام مفتعل يجرى على بعض المعاصرين المفتونين بحضارة الغرب الرأسمالى أو الشرق الشيوعى وهو اسلام كما يقول بعض المفكرين من علماء الاسلام لا يعدو استجلاب عنوان لجملة حقائق مدنية وأفكار بشرية خطؤها أكثر من صوابها ..

وقال الاستاذ حسين (ان الفكر الاسلامى قد تجمد وتحجر فى اقوال علماء السلف وفى أفكارهم وآرائهم وفيما استنبطوا من القرآن والسنة من أحكام ..

ولم يقم علماء الخلف بواجبهم فى متابعة دراسة الفكر الاسلامى واستخراج الاحكام والحلول للمشاكل التى تتجدد وتحدث فى كل عصر وتسير الحياة بمقتضى المبادىء الاسلامية وانما وقفوا عندما قاله الأولون من علماء السلف ..

وطالب الاستاذ جوزو بتحقيق مطالب الجيل الجديد من المسلمين ..

وهى .. (أولا الخروج من اطارنا الضيق لكياننا والعودة من جديد الى الحياة واسترجاع ما كان للاسلام والمسلمين من المجد والحضارة والتقدم وفى مقدمة ما يجب اتخاذه

فى هذا السبيل فتح باب الاجتهاد والعمل على احياء الفكر الاسلامى ودراسته دراسة علمية وافية لتطبيقه فى حياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأن الفكر الاسلامى يشمل حياة المسلمين كلها .

ثانيا — ربط الماضى بالحاضر وبناء المستقبل على ذلك والعمل على التوفيق بين القيم الروحية والتقدم المادى .

ثالثا — العمل على تحقيق التعاون والتضامن والتكاتف بين المسلمين على أساس انما المؤمنون اخوة .

و .. كلمات أخرى تكشف عن قضايا اسلامية خطيرة ..

قال السيد محمد على ديما بورو عن الفلبين .. اننى أدعو الى الوحدة الاسلامية بين جميع الشعوب التى تدين بالاسلام وذلك لانقاذ الانهيار الذى يتعرض له المسلمون فى كل مكان من العالم . وكذلك يجب ان يكون هناك تنسيق بين بلادنا الاسلامية جميعها .. ومن الآن فورا ..

وقال السيد محمد رشيد مندوب اندونيسيا (اننا يجب ان نهتم بنشر الثقافة الاسلامية وتعليم لغة القرآن لكل المسلمين وتعزيز البعثات الاسلامية التعليمية والعمل على زيادتها وتدعيمها ..

ثم اننى أحب ان احذركم جميعا من نشاط التبشير المسيحى فى كل مكان وأنا أرى ان افتقارنا الى اساتذة لنشر الشريعة الاسلامية يساعد التبشير المسيحى فى عمله ..

اقتراحات :

وكلمات كثيرة وبها ننهى أهم الظواهر الجديدة فى مؤتمر مجمع البحوث السادس وبعدها تأتى الاقتراحات ومنها ما عرضه كل من ..

اللواء محمود شيت خطاب اذ طالب بالآتى — يجب ان يتحمل الآباء والامهات واجباتهم كاملة فى تربية الطفل لأن كثيرا منهم أهمل هذه الناحية اعتمادا على المدرسة .

فيجب تلقين الأطفال مبادىء الدين الحنيف وأسس الخلق القويم قبل الالتحاق بروضة الاطفال والمدرسة واعادة النظر فى تربية النشء الاسلامى ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف و .. يجب أقامة المساجد فى كل مدرسة ومعهد وكلية وحث التلاميذ والطلاب على آداء فريضة الصلاة وقد دأب التلاميذ والطلاب على القيام بسفرات محلية وخارجية فلماذا لا نقوم بسفرات لاداء فريضة الحج والعمرة ولو مرة واحدة فى كل قطر عربى واسلامى فى كل عام و .. على الدول العربية والاسلامية تحريم تقديم الخمور فى حفلاتها الرسمية وان تمنع استيراد المجلات والافلام الخليعة . و .. على الدول ان تختار العلماء العاملين للنهوض بواجب التوعية الدينية فى الاذاعة والصحافة واجهزة الاعلام والمساجد والنوادى وقاعات المحاضرات وقصور الثقافة .

و .. يجب حث العسكريين كافة على أقامة الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ومن الضرورى تحريم الخمور والميسر فى الجيش تحريما صارما ومعاقبة المخالفين أشد العقوبات ..

واقتراح الدكتور ابرهيم اللبان (اصدار صحف دينية اسبوعية تكون صلة بين الشعوب الاسلامية فى الدائرة الدينية والشئون الاسلامية المشتركة ..



مفتى الجمهورية العربية المتحدة الشيخ محمد خاطر والدكتور بدوى عبد اللطيف مدير جامعة الازهر .. والشيخ على عبد الرحمن .. ولفيف من الحاضرين .

و .. ترجمة الكتب التى تتضمن الروح الاسلامية عن اللغات الكردية والفارسية والفرنسية واقترح الفريق عبد الرحمن أمين تدريس المناهج الدينية القتالية فى المدارس والجامعات .

واقترح الاستاذ عبد الله عبد الشكور حسن كامل مدير المركز الاسلامى بالبرازيل (انشاء لجنة أو ادارة خاصة بدراسة شئون الجاليات بالمهاجر ..

و .. وان تعقد المؤتمرات الاسلامية فى أماكن غير القاهرة ومكة وغيرهما وانما فى بلاد بعيدة مثل سان باولو ولويتوس ايرس حيث يعتبر انعقاد مؤتمر اسلامى هناك بمثابة دفعة قوية تمد النشاط الاسلامى فى هذه المناطق النائية .

و .. وضع مشروع للرعاية الدينية للمسلمين فى أمريكا الجنوبية ..

وأهم القرارات .

ومع كثرة المقترحات التى تقرر ان تكون موضع دراسة مجمع البحوث الاسلامية على مر الايام القادمة فقد صدرت قرارات المؤتمر وأهمها ..

مطالبة كل الدول الاسلامية بقطع علاقاتها السياسية والاقتصادية باسرائيل ..

العمل على حماية المسجد الأقصى وسائر المقدسات .

استنكار استمرار اسرائيل فى تغيير معالم القدس .

مطالبة الدول المحبة للسلام بالوقوف الى جانب الحق العربى .

ويدعو المؤتمر الدول الاسلامية الى ارسال المتطوعين من الطيارين والفنيين الى جبهة القتال كما يدعو الشعوب الاسلامية للمساهمة بأنفسهم وأموالهم لمعاونة اخوانهم فى خطوط المواجهة الامامية ..

الدعوة الى انشاء مصرف اسلامى يخلو من المحظورات الشرعية .

الدعوة الى انشاء دار للفكر والنشر الاسلامى .

مطالبة اجهزة الاعلام بمراعاة آداب الاسلام فيما تنشره .

يوصى المؤتمر المسلمين بالاستمساك بآداب الاسلام وتقاليده فى سلوكهم وأزيائهم .

ويطالب المؤتمر الحكومات والهيئات الاسلامية بالحفاظ على العرف الاسلامى فى حفلاتها وعدم تقديم المشروبات المحرمة ..

انشاء صندوق للجهاد وللانفاق على المجاهدين وأسر الشهداء ..

و .....

وأنتهى المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية ..

وبقى تنفيذ القرارات ..

معلومات عن المؤتمر :

الفترة الأولى بدأت من يوم الجمعة ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ ٢٦ مارس ١٩٧١ م الى يوم الخميس ٥ صفر ١٣٩١ هـ أول ابريل ١٩٧١ م .

الفترة الثانية بدأت من يوم السبت ١٤ صفر ١٣٩١ هـ ١٠ ابريل ١٩٧١ م الى يوم الثلاثاء ٢ ربيع أول ١٣٩١ هـ — ٢٧ ابريل ١٩٧١ م .

اشتركت فى المؤتمر ٣٤ دولة مثلها ٥٩ من العلماء بينهم ٦ من الوزراء الحاليين والسابقين .

أعلن فى الجلسة الثانية ضم عضوين جديدين الى مجمع البحوث الاسلامية وهما اللواء الركن محمود شيت خطاب عن العراق — والأستاذ مالك بن نبى عن الجزائر قدمت خلال المؤتمر ٤٤ بحثا و ٢٢ كلمة .. والأبحاث هى ٥ أبحاث عن رعاية الاسلام للقيم والمعانى الانسانية) لكل من الامام موسى الصدر — الدكتور محمد عبد الله ماضى الشيخ عبد الله غوشة الاستاذ عبد الله كنون الاستاذ عبد الحميد حسن .

٤ . بحثا عن الشهيد فى الاسلام لكل من .. الشيخ حسن خالد الشيخ قاسم غالب الشيخ عبد الستار السيد والفريق عبد الرحمن أمين وبحثان عن العنصرية كأساس فى قيام دولة اسرائيل .

لكل من الدكتور اسحاق موسى الحسينى والدكتور حسن ظاظا .

ويحتاج عن محنة حقوق الانسان فى اسرائيل للاستاذ وفيق القصار والدكتور مصطفى الرافعى وبحثان عن النظرة العالمية فى الاسلام للدكتور على حسن عبد القادر والدكتور محمد عبد الرحمن البيصار وبحثان عن حقوق الانسان فى الاسلام للدكتور عثمان خليل عثمان والاستاذ محمد خلف الله أحمد .

وبحثان عن قراءات القرآن الكريم للاستاذ لبيب السعيد والشيخ عبد الفتاح القاضى .

الاصلاح الاجتماعى لفضيلة الامام الاكبر الشيخ محمد الفحام .

الوحدة الاسلامية للشيخ محمد أبو زهرة .

الحرب النفسية فى الاسلام للدكتور عبد العزيز كامل .



مندوبو مسلمى العالم فى المؤتمر .. وقد ظهر فى الصورة الحاج أبو بكر حمزة مدير مسجد باريس .. وأعضاء وفود السعودية وبعض الدول الافريقية .

نحو اقتصاد اسلامى للاستاذ ابراهيم الطحاوى .

نظرة الاسلام الى الفرد والجماعة فى علاقة بعضهما بعضا للدكتور محمد البهى .

الحرب النفسية للواء الركن محمود شيت خطاب .

الوظيفة الاجتماعية للحقوق فى الاسلام للدكتور مصطفى كمال وصفى

التكامل الاقتصادى فى الاسلام للدكتور عبد الواحد وافى .

مشكلة العرض والنشر فى المجال الدينى للدكتور ابراهيم اللبان .

الدولة الاسلامية دولة انسانية للاستاذ أسعد مدنى .

مسئولية الفرد تجاه الجماعة للشيخ عبد الستار السيد .

حقوق الانسان فى الاسلام للاستاذ غلام محمد .

العقيدة والقيادة فى الاسلام للواء الركن محمود شيت خطاب .

رسم المصحف للدكتور محمد محمد أبو شهبة .

الدين الاسلامى .. دين الانسانية للاستاذ عبد الله عبد الرحمن بسام .

تطور العمارة الاسلامية للمهندس عبد السلام أحمد نظيف .

الوحى .. للاستاذ البهى الخولى .

المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم للدكتور عبد الغنى الراجحى .

الاسلام والعروبة فى امريكا اللاتينية للاستاذ عبد الله عبد الشكور حسن كامل .

وبحثان عن التفسير لكل من الشيخ مصطفى الطير والدكتور سيد جعفر شهيدى .

قصــــــة

اشراقة

(مكة ، القرن السادس الميلادى .. واجهة دار منعــزلة)
(مضاءة من الداخل بشموع خابية شاحبة . تســــمع)
(أصــوات ضحكات بعيدة ، وأصداء أغنيات متقطعــة)
(ماجنـــــة ، وايقاعات ضرب على الدفوف والصناجات)
(صادرة كلها من وراء النــوافذ شبه المغلقــة ، فـــوق)
(الى اليمين شـــــعاع من ضوء مشعل عال ، ولكنه ناء)
(يبدو كبريق نجم بعيد .. وفيمـــا خـــلا ذلك فالليل)
(حالك .. يندفع خارجا من جوف الدار شاب يرتــدى)
(ثيابا فاخـــرة وقشيبة ، مما يرتديه أثرياء التجـــار)
(الغــرباء ، الذين يلمون بمكة فى مواسم التجــارة اسمه)
((هيثــم) يتقـدم الــى امــام خطــوات ، لكنــه)
(لا يــلبث أن يتـــــوقف بغتـــــة . . .)

النور

للأستاذ : محمد الخضري عبد الحميد

هيثـــم : (ملتفتا حوله فى حيرة) ، ما أسوأ كل هاته الظلمات . ها قد خرجت ، ولكن الى أين ؟ .. لا يكاد المرء يقوى على أن يخطو فى بهمة هذا الليل خطوة واحدة الى أمام ..
(يتنهد قلقا ضجرا) و . ولم يعد صديقى (عبد العزى) بعد !!
(تقبل من ورائه ، خارجة من عين الدار ، امــرأة)
(مسرعة تتشح بغــلالات سود ، لا يتفــق وقــار)
(ســوادها والثوب الفاقع الفاضــح الذى يلف)
(جســمها باحكام ، ويبدو بهرجه المثــير من)
(تحت الوشــاح زاهيا .. هى (عفــراء) ..)

عفــراء : سيدى ، هلا أقلت عثرتى ، وصفحت عنى ، بحــق (مناة) ؟!

هيثـــم : انى أصفح عنك عن طيب خاطر ، وبكل صدق ، وأقسم على ذلك بالصنم الاكبر (هبل) .. ان محنتى الخاصة ينوء بها كاهلى ، فأعفو ، اضطرارا ، أو ذهولا .. !

عفـــــراء : فهلا حادثتنى ، وأذنت لى أن أحـــادثك لعلى بالحديث وحسب معك ، أستطيع أن أسرى عنك أم تراك فى عجلة من أمرك ؟
لا تكدر خاطرى .. من سوء حظى يا سيدى ، أننى لست من تلك القلة من النساء ، التى تبذل الكثير احتفاء واحتفالا برواد هذه الدار .

هيثـــــم : اصغ الى يا امرأة ! .. هذى دار مرح وســـــهر ومجون ، كما تنبىء بذلك الاعلام التى تزينها للناظرين، وغيرها ولا ريب كثير من الدور فى شعاب مكة التى يسربلها حزن وظلام يتكاثفان يوما بعد يوم .. لكن همى اليوم قاصم ، باتر .. فالى أن يئوب صـــديقى وزميلى التاجر (عبد العزى) .. قولى يا جـــارية ما تشائين !!

عفـــــراء : سيدى .. لا تغرنك منى بهارج مظهرى أو خلاعـــة أثوابى . انى وأكثر البائسات من أترابى ، خلف ذلك الجدار الصفيق ، نحيا حياة الهالكات الطامحات يحلمن بالخلاص من الظلم الجائر ، وذل الأسر ، وهوان المنقلب وتعس المآل ، ألا فاعلم يا سيدى الفتى المهذب الطيب، اننى من الحرائر الشريفات . وان الكثيرات المستعبدات هنا معى ، كن من ربات الدور ، ذوات الخـــدور الفضليات ! لكنه المجتمع الكافر الضال ، الذى انحدر بالقيم والمثل ، الى الدرك الاسفل من الضلال والضياع، اعلم يا سيدى الفتى العف النبيل : اننى زوج برة وفية لتاجر فاضل كريم مثلك .. !

هيثـــــم : (يتأملها بانتباه لاول مرة) أهو الحق ما تقولين يا .. يا سيدتى ؟!

عفـــــراء : (باكية) كل الحق . ولئن كنت كاذبة فليخرس الصنم الضخم (هبل) لسانى ، ان كان مستطيعا أن يفعل .. !

هيثـــــم : (دهشا) : ماذا ؟! ألا تؤمنين بـــ (هبل) كـ .. كمعظم الناس ؟!

عفـــــراء : ما عدنا نؤمن الا باشراقة النور .. النور الخالد .

هيثـــــم : أى نـــور ؟!

عفـــــراء : الذى ننتظر ، بالتفاؤل الكبير والأمل العريض ، اشراقة .. النور الغامر ، الشامل ، الذى نؤمن أنه حتمـــا سيشرق ..

هيثـــــم : حديثك فى الحق عجيب أيتها الـــ .. اقصد ، أيتهـــا السيدة ! ..
وأمرك معى الليلة أكثر عجبا .. انى أصدقك لســـت ادرى لماذا ولا كيف !!
يربت باشفاق كتفيها ، وهو يستر بطـــرف الوشاح ما تكشف من صدرها) .. بى الليلة ما يسوقنى سوقا الى أن اعطف على كل بنى البشر ، انى أنا الضـــحية

أشفق على الجلادين الفجار تجار مكة الاثرياء ..
أرثى لهم ، أولئك الذين ورثوا أبى ، استنادا الى نصوص مطواعة ، من قانون نفعى ، غاشم ، صنعوه بأيديهم ، أقصد : من صنع (أنيابهم) و (مخالبهم) ! مات أبى هنا ، ولانه غريب أخذوا — بموجب قانونهم — ماله وبضاعته ، وهم مطمئنون ، راضون ، وقالوا : انه القانون !! فماذا عندك أنت من قول فى .. فى ماذا ؟ .. آه .. قلت انك الآن تؤمنين فقط بـ .. باشراقة النور . هه ؟ ..

عفــــراء : (تتلفت حولها وخلفها فى وجل) قسماتك الوسيمة ، يا سيدى الشاب ، وأمائر الدعة والبراءة على محياك أوحت الى انك من صفوة ابناء جيل على موعــــد مع مشرق النور . قانونهم ذاك الذى صنعه مهــــرة الجلادين القساة .. ان كان قد أضر بك قليلا ، فانه بدد هنائى ، وقوض صرح بيتى ..

هيثــــم : (باستياء) وما شأنك انت ، ناشدتك كل الارباب كثيرة العدد ، من هبل ومناة ، الى العزى واللات ، بــذاك القانون الغاشم الذى عنيته أنا ؟! ان السراة من رجالات الاسواق .. لم يتركوا لى مما سلبوه أبى ، صديقهم ، شروى نقير ، فأية عدالة هذه ؟!
أيتها الـ .. السيدة ، سنرحل أنا وصديقى العشــية على ابلنا ، فخذى من حبة قلبى سرا دفينا .. أنا ما عدت — مثلك — أثق فى جدوى وفاعلية (هبــــل) ، ولا الاهمية الكبيرة لبقية الارباب الحجرية التى يزعمونها ، من هذه الليلة الفاصلة لن اتخذ ربا من تلك الاصنام الوفيرة الصماء ، الى أن تأتينى هداية أرحب وأسمى ، تملأ باليقين السابغ فراغات روحى ، وأطلال وجدانى .

عفــــراء : (هاتفة) سيشرق النور ، سيغمرنا ضياؤه العلوى ، اذكر دائما قولى هذا يا سيدى التعس الحائر ، ياصفوة جيل سعيد سعادة الابد .

هيثــــم : انـــا ؟!

عفــــراء : أجل ، انك فى تعجلك بالانصراف عنى ، لم تصغ الى بقية حديثى هناك ، لقد نذرت على رغم المظهــــر التقليدى ، أن أذود عن شرفى بأى ثمن ، ولو كان الثمن روحى ، كان زوجى تاجرا موفقا له فى أسواق مكة سمعة طيبة ، كان اسمه الرباح .

هيثــــم : الرباح !! انه من خيرة التجار الشرفاء ، فأين هــــو الآن ؟

عفــــراء : مات قهرا وذلا ، عوفيت من كل سوء ! .. كــانت تجارته قد خسرت فى رحلة الصيف الاخيرة .. ولم يشفع له لدى غلاظ الاكباد من صحابه التجار ، شىء

من ماض ناصع ، وخلق قويم .. فلما اقتضوه دينهم ، واليدان خاويتان .. حكموا فيه عجائب قوانينهم ، أخذونى منه قسرا رهينة مهينة ، اكتسب الدراهم من بين أنياب حثالة القوم رواد اللهـــو ، حتى ينقضى الدين ..
ذلك هو ما أصابنى من عدالتهم .. لكنى أعرف كيف أصون الشرف ..
ان زوجى لم يحتمل النازلة طويلا .. رجالنا اعتادوا وأد البنات ، حتى لا يضطرهم يوم عصيب لان يواجهوا (ببناتهم — مصيرا كهذا ! (تشير بألم الى وراء تجـاه الدار) .

هيثـــم : كم بقى من دين زوجك عليك ، يا سيدتى المسكينة ؟

عفـــراء : ثمانية عشر مثقال فضة ، أعود بعدها للديار طليقـة حرة كما خلقت أول مرة ! .

هيثـــم : ان أصدقتنى القول ، فبحق ال .. ال .. لا ، لا ! . . لن أحلف ثانية بتلك الاشباح المنحوتة من الصخر ! .. ما مس قلبى طائف ايمان بها من قبل ، أو من بعد .. سنرى يقينا ، مسلكا مضيئا أفضل وأكثر اقناعا .. قولى يا أختاه ..
حدثينى عن اشراقة النور المنتظرة هذه ، و .. ولسوف أقترض من صديقى الذى ذهب يحضر أمواله ، ما يفك عنك قيود الاسر ، ويخلصك من ذل الهوان والضياع .. سيجىء بعد قليل ، فلنكمل حديثنا الى أن يجىء .

عفـــراء : (متهللة الوجه) ، سيدى ! .. ان النور المرتقب وشيك أن تنبلج طلائعه ، كن على ثقة من هـذا . سأحدثك أيها الانسان الكريم بكل ما لدى .
(تتلفت ثانية خلفها فى ذعـــر) .
أخشى أن ينقض على من داخل كهف الموبقات مـن يعيدنى عنوة اليه ! ..

هيثـــم : لا تخشى أحدا . أنا الى جانبك ، انك الان أخت لى ، فى عذابى وحيرتى ، وتطلعى الى المنقـــذ المرتجى .

عفـــراء : فليباركك الـ .. الـ .. لا ، لا ! أنا أيضا ما عدت قادرة البتة على أن اقسم بواحـــد من تلـــك النواطير الخاوية التى لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، سيدى .. هل أتاك حديث فتى قريش .. عبد الله بن عبد المطلب ؟

هيثـــم : عبد الله ، القريشى ، أصغر أبناء عبد المطلب ؟ أعرف الخبر .

عفـــراء : أى خبر ؟

هيثـــم : مسألة الافتداء ، الم يكن أبوه نذر ان لو اكتمل بنوه عشرة ، ولو انهم أصبحـــوا سائميه ، ليذبحن أحـــدهم قربانا ، بين يدى هبل ، كبير آلهـــة الكعبة ؟! ولمـــا

ضرب القداح ، كانت في كل مرة تخرج على (عبد الله) أصغر عشرة الابناء ؟ .. وبنصيحة من عرافة يثربية .. ضربوا القداح على الابل افتداء لعبد الله فـ (تساهل !) هبل وتنازل عن عناده في النهاية، وقبل آخر الامر مائة بعير ، وهكذا نجا الفتى ؟

عفـــراء : هو ذاك ، ولكنى سأصلك من هذا المنتهى ، الى أروع مبتدى .. ان (عبد الله) الذى نجا من النحـــر ، هو ـ كما لعلك علمت ـ الذبيح الثانى ، بعد الذبيح الاول (اسماعيل بن ابراهيم) .. وابن الذبيحين هو نبى هذه الامة .. بهذا تنبأت كتب ، وبشر كهان .

هيثـــم : (بحماس) سيدتى العظيمة .. بأى حـــدث جلل تنبئين ؟

عفـــراء : انه لكما قلت ، فهلا سألتنى مزيدا ؟

هيثـــم : رجوت اليك أن تكملى ، لقد أرجف المرجفـــون أن (هبل) كان لطيفا حينما قبل مائة من رؤوس الابل ، افتداء لنحر عبد الله ..
لكنا هناك فى قبيلتنا سخرنا طويلا ، وتندرنا كثـيرا بذكاء (هبل) المزعوم !

عفـــراء : أصغ الى ، بعدما خرج عبد المطلب من ساحة هبـــل ، بنجاة ولده الحبيب .. تصدت للفتى حسناء باهـــرة الجمال ، تسأله باقبال غريب قارب حد التهـــالك ، أن يتزوج منها على عجل ، وله مثل عدد الابل التى نحرت عند قدمى هبل ! .. لكنه لعراقة المنبت وكريم الاصل .. ما كان ليبرم أمرا دون اذن من أبيه ، أما أبوه فقد مال به الى دار وهب بن عبد مناف ســـيد بنى زهرة .. وخطب ابنته (آمنة) لابنه (عبد الله) .

هيثـــم : حتى هذا يا أختاه غير جديد .. بل انا علمنا أن آمنة بنت وهب .. حامل ، قاربت أن تضع حملها ، وأن هناك ارهاصات موحية بأشياء وأشياء يتردد فى البيداء صداها . (يتذكر) .
حقا .. أذكر أننا .. سمعنا عن .. عن . (ثم بتفكير أكثر استغراقا) .
سيدتى ! . هل .. هل تظنين .. ؟

عفـــراء : (باسمة فى سعادة) سأتم حديثى ، بعد ان دخـــل عبد الله بآمنة بنت وهب .. مضى يجوس فى طرقات مكة ودروبها .. فقابلته تلك الحسناء الجميلة ، التى عرضت نفسها عليه فى البدء .. لكنها ـ لدهشته ـ أعرضت عنه ، ونأت .. فلما عجب عبد الله لامرها ، وسألها ما بالها لم تعد تحفل به أو تأبه له ، وهى التى تهالكت يوما عليه .. أجابته الحسناء بإباء : (فارقك النور الذي كان معك بالامس .. فليس بى لك اليوم حاجة) .

هيثـــــم : (هاتفا) : النور ؟؟

عفـــــراء : نعم . النور فارق عبد الله الاب الى آمنة الام .. وسيشرق عما قريب فى اهاب الابن سيشرق ، ليفير طريق الضائعين . سيهدى الحائرين ، ويرشـــد التائهين ..
سيأخذ بأيدينا الى الطـريق السوى ، حينمـا يشرق النور سينشر فى الآفاق قوانين عليا ، عادلة ، رحيمة .

هيثـــــم : (طروبا) أيتها المعذبة ، شهيدة الجور ، التى تنتظر بكل هذه الثقة مشرق الهدى .. هل تقبلين الزواج منى الآن ؟ ..
الآن بعد أن طهر صفاء روحك أو شاب الحقد من نفسى ؟

عفـــــراء : (دامعة العينين عرفانا) سيدى ..!
(يقبل التاجر عبد العزى ، قادما يهرول)

عبد العــزى : انت هنا يا هيثم ؟ اذن فلم تقض وقتا طروبا !

هيثـــــم : (بلهفة) بل أكثر من طروب ! .. يا عبد العزى . . أقرضنى ثمانية عشر مثقالا من فضة ، حتى العودة الى المضارب .. وخذ هذه السيدة الفضلى الى مناخ الابل ، ولنرحل مسرعين ، لننج من جوار هذه الدار .. ولننتظر مشرق الانوار مع قومنا هناك ..

عبد العــزى : مهلا أصغيا الى ، أرهفا آذانكما معى ، الا تسـمعان أهازيج وأغنيات ؟ خذ المال يا هيثم .. (يناول صديقه صرر المال) .

هيثـــــم : لك الشكر .. (يتناول الصرر منه ، مجيبا) ماذا قلت ؟ أهازيج وأغنيات ؟ طبعا انها دور اللهو والمجـون ، يرعاها رجال (هبل) وصنائع (مناة) من الجشعين والبغـــاة .

عبد العــزى : لا . الاصوات تأتى من هناك ، من قلب مكة .. أصغيا .
(يشرق نور يغمر المكان ، فتظلم الاضـــواء الخافتة)
(التى كانت تتسرب من الدار الخلفية ، تعلو ترانيم)
(بعيـــدة حافلة بالبهجـــة ، موحية بالتفاؤل ..)
(يمر رجل مهـــرولا .. يهتف بهم وهـــو يمضى ..)
(فى طـــريقه مسرعا تملؤه الفرحـــة الطاغية ..)

الرجـــــل : ولد الهدى محمد بن عبد الله ، بشراك يا مـــكة .. بشراكم يا عرب .. بشرى لكل بنى الانسان ..
(يطرق الثلاثة فى ســــعادة ، وتتشابك)
(أيديهم ، ثم ترتفع عيونهم الى الســـماء)
(وقد تهللت أســـاريرهم بشــــرا)
(وغبطة .. بينما النور يزداد ســطوعا)
(وترنمات الفرح الجموعى تعلو كالهدير ..)

مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

نظام الأسرة وحل مشكلاتها في الاسلام

كتاب يجمع بين دفتيه أحكام الأسرة كما وردت في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وما دعت اليه الضرورة من بيان رأى المذاهب الفقهية دون تفصيل ، كما أن الكتاب يحتوى على لمحة عن الواقع العملي لنظام الأسرة في التشريعات العربية ، مع بيان التطور التاريخي لتدوين قوانين الأحوال الشخصية في الدول العربية ، وما عليه العمل قانونا وقضاء وفقها .

وهو من تأليف الدكتور عبد الرحمن الصابوني ، ومن طبع دار الفكر بيروت ويقع في ٢٤٠ صفحة .

الجريمة اليهودية النكراء
احــراق المسجــد الأقصى المبارك

بعد اتمام المؤامرة اليهودية باحراق المسجد الأقصى المبارك أصدرت الهيئة العربية العليا لفلسطين هذا الكتاب (جريمة اليهود النكراء — إحراق المسجد الأقصى المبارك) .

مشتملا على بيان الوقائع الخاصة لهذه الجريمة التي لم يسبق لهــا مثيل ، ورد الفعل الناجم عنها في العالم الاسلامي ، مع خلاصة عن المسجد الأقصى المبارك ، والاجراءات التي اتخذها مؤتمر العالم الاسلامي ، والهيئة العربية العليا لفلسطين في هذا الشأن ، تبصرة وذكرى للمسلمين .

والكتاب يقع في ٧٠ صفحة ، ومزود بالعديد من الصور والرسوم

الجهـــاد
كتاب من تأليف الدكتــور أحمــد محمد الحــوفي

وهو دراسة مستفيضة حول موضوع الجهاد ، معناه ، وحكمــه ، والحض عليه ، ووسائله ، وأهدافه ، وجزاؤه ، وعقوبة المنافقين ، وتقريع الجبناء ، وعدد النصر من شجاعة وتسلح ، واستعانة بالله ، وتوضيح كثير من القضايا المتصلة بالجهاد والمجاهدين ، ولمحات من صور الجهاد في أحقاب شتى من القديم والحديث .

ويحتوى الكتاب على ٢٨٠ صفحة ، وهو السابع والخمسون ضمن سلسلة الكتب التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة وطبع بمطابع الأهرام التجارية ..

القلائد من فرائد الفوائـد

للدكتور مصطفى السباعى ، الجزء الأول من كتاب يجمع من فرائد الحكمة ، وفوائـد العلم ، وطرائف الأدب ، ما تفرق فى بطون أمهـات المراجع التى لا تتيسر لكل مثقف وباحث ، ويقرب الينا دقائق اللغة العربية ، ويتحفنا بغـرائب التاريخ الموثوق لصحيح من تاريخ أمتنا وعظمائنا بما يملأ نفوسنا روعة واكبارا وعظمة واعتبارا . .

والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة ،ومن مطبوعاتمكتبة الشباب المسلم وتوزيع مكتبة المثنى ببغداد . .

اليهود من كتابهم المقدس اعداء الحياة الانسانية

بحث وجيز يعطى صورة صادقة وكاملة عن اليهود من كتابهم المقدس ويبين أنهم أعداء لكل معنى انسانى كريم فى هذه الحياة،ويطلعنا علىمكامن الشر الأصيل فى نفوس عدونا ، كما يفند من كتابهم مضافا الى حجة الواقع التاريخى الصحيح تفنيدا قاطعا ادعاءهم بملكية فلسطين ملكا أبديا .

والكتاب من تأليف الاستاذ كمال أحمد عون ، ويحتوى على ١٣٦ صفحة ، ومن مطبوعات دار الشعب بالقاهرة .

رباعيات من فلسطين

مجموعة قصائـد للأستاذ يوسف العظم ، صور فيها عبر عشرين عاما كثيرا مما وقع من عدوان الدخلاء ، وعبث العابثين ، وخلجات النفس المعذبة فى خط النار الصامت الرهيب ، والمجموعة فى كتاب من طبـع الشركة المتحدة للتوزيع/بيروت . .

بـدع التفاسير فى الماضى والحاضر

جـاءنا من الأستاذ محمد الذهبى استاذ التفسير والحديث بجامعـة الكويت ما يلى :

نشرت مجلة (الوعى الاسلامى) فى العدد (٧١) عرضا لكتاب (بدع التفاسير فى الماضى والحاضر) للدكتور رمزى نعناعة ، وقد اطلعت على الكتاب فوجدته نسخة طبق الأصل من مشروع بحث لى عنوانه : (الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم : دوافعها ودفعها) وكنت قـد أعرته للدكتور رمزى وهو يعد رسالته للدكتوراه التى كنت مشرفا عليه فى تحضيرها ، فاستباح لنفسه أن ينسخه وينشره منسوبا اليه ، ولم ينتبه الى أن هذا المشروع قد نقلت أنا معظمه حرفيا من كتـابى (التفسير والمفسرون) المطبوع سنة ١٩٦٢ تمهيدا للبناء عليه وتكميله ثم نشره ، ومن يطلع على كتاب (بدع التفاسير) ويقارن مقالاته بنظيرها فى كتابى (التفسير والمفسرون) يجد أن المنقول حرفيا نحو (٦٠) صفحة، والباقى — وقدره عشرون صفحة — زيادة زدتها على ما نقلتـه من (التفسير والمفسرون) تمهيدا للاكمال والنشر ، وأرجو أن يتسع صدر المجلة لنشر التفاصيل فى العدد القادم ، كما اتسع صدرها لنشر المقالة التى نسبها الدكتور رمزى لنفسه فى عجلة النسخ : وهى الاتجاهـات المنحرفة فى تفسير الصوفية .

الفتاوى

الربح الفاحش

السؤال :

اشتريت من أحد التجار سلعة من السلع بالثمن الذى طلبه ، ثم وجدت هذه السلعة عند غيره بسعر اقل بكثير مما أخذه ، ولما راجعته قال ان هـذه تجارة وأتاجر ، فهل هذا الربح الفاحش يعتبر حلالا .

على بايزيـد ـ عـدن

الاجابة :

التجارة مباحة شرعا ، والربح الناتج عنها حلال ، ولكن فى حدود المألوف والمتعارف الذى يحقق التعاون وينفى الغبن والظلم والاستغلال ، وللعلماء فى تقدير نسبة الربح المباح آراء ، فبعضهم يرى انه فى حدود الثلث ، بينما يرى آخرون انه لا يتجاوز السدس ، والذى نراه أنه يخضع للعرف السائد الذى لا غبن فيه ولا ظلم .

واستغلال جهل المشترى بقيمة السلعة ، وبيعها له باغلى من سعرهـا المعتاد حرام شرعا والربح الناتج عن هذا الاستغلال حرام ، والفقهاء يسمون هذا المشترى (المسترسل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما مسلم استرسل الى مسلم ، فغبنه فهو كذا » اى فهو آثم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غبن المسترسل ربا » ومعنى الحديث ان الربح الفاحش يكون أشبه بالربا ..

فى الوقف

السؤال :

أوقف أحد الأغنياء فى بلدنا قطعة أرض على مسجد ولما مات الرجل أخذ ورثته هذه الارض وضموها الى التركة واقتسموها ، فما حكم الشريعة ؟

عدنان البازجى ـ بيروت

الاجابة :

اذا كان هذا الرجل قد وقف قطعة الارض المملوكة له على هذا المسجد ، فان هذه القطعة تصبح وقفا خيريا على المسجد والوقف على جهات الخير لا يملك ، ولا يباع ، بل يظل موقوفا على هذه الجهة ، ومن ثم فلا يجوز لأحد أن يغتصبها ، فان فعل فقد ارتكب كبيرة من الكبائر ، ولا تترك لمغتصبها ، بل على ولى الأمر أن يرفع يده عنها .

حفظ المصحف

السؤال :

عندنا مصحف قديم ، تمزقت أوراقه وأصبح غير صالح للقراءة فيه ، وقد اشتريت مصحفا آخر جديدا فماذا أفعل بالمصحف الأول هل يجوز لي شرعا أن أحرقه ؟

جاسم عبد اللطيف ـ كويت

الاجابة :

يجب صيانة المصحف وحفظه لأنه يضم كلام الله العزيز ، ومن آداب الاسلام نحو هذا الكتاب الكريم الا يضع احد شيئا فوقه تكريما له واحتراما ، وعدم الدخول به الى اماكن قضاء الحاجة حفظا له وتقديرا لشأنه واذا تعذر على الانسان صيانة المصحف لتمزق اوراقه ، فانه يجوز لصاحبه أن يحرقه .

صلاة الجمعة

السؤال :

اننى أعمل مع بعض الزملاء المسلمين من باكستان وطبيعة العمل تحتم وجودنا كل أيام الاسبوع فى البحر وبذلك لا يتسنى لنا أداء صلاة الجمعة فى المسجد جماعة ، وقد سمعنا أنه يجوز لنا تأدية صلاة الجمعة بمتابعة شعائر الصلاة أثناء اذاعتها ، فهل تصح الجمعة اذا صليناها بهذه الطريقة ؟

محمد حافظ ـ شركة الخليج العربى للأعمال البحرية .

الاجابة :

الجمعة غير واجبة في حقكم حيث يشترط لوجوبها الاقامة وأن تكون في مدينة أو قرية كما لا تجوز بمتابعتها خلف المذياع . والله أعلم .

خطبة الجمعة

السؤال :

هل كلام المصلى فى المسجد اثناء خطبة الجمعة يبطل الصلاة ؟

عبد الرحيم زيدان ـ سوهاج

الاجابة :

يجب على المصلى الانصات والاستماع الى الخطبة ، ويحرم الكلام أثناءها ، ولو كان أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اذا قلت لصاحبك : انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت)) وقد نص الفقهاء على أن من تكلم اثناء الخطبة يحرم ثواب الصلاة ، وان سقط بها الفرض ، وعلى هذا حمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((من دنا من الامام وانصت واستمع ولم يلغ كان له كفلان من الاجر ، ومن نأى عنه فاستمع وانصت ، ولم يلغ كان له كفل من الاجر ، ومن دنا من الامام فلغا ولم ينصت ولم يستمع كان عليه كفلان من الوزر ، ومن نأى عنه فلغا ولم ينصت ولم يستمع كان عليه كفل من الوزر ، ومن قال : صه فقد تكلم ، ومن تكلم فلا جمعة له)) ..



الضياع .. بالذنوب الصغيرة

نشرت صحيفة الأخبار القاهرية تحت هذا العنوان تقول :

هكذا يفكر المؤمنون وعيونهم وقلوبهم ممتلئة عجبا ، الذرة الصغيرة فى تدبير الله تساوى المجرة الكبيرة ، إنها لا تساويها فى الوزن وانما تساويها فى القيمة العلمية ، أنها تساويها بميزان المشاركة فى حركة الحياة دفعا وجذبا ، توافقا وجدلا ، بدءا واعادة ، دقة فى التكوين وطاعة للقوانين ، فالمجرة تنحل فتتكون هذه الذرة المتناهية فى الصغر ، والذرة تتضاعف فتتكون هذه المجرة المتناهية فى الكبر ، اليس ذلك عجيبا ، بل الاعجب هو ما يكتشفه المؤمنون بجلاء — قبل الماديين والعلميين — من أن هذا القانون للمساواة العلمية بين الصغير والكبير يترك بصماته أيضا على أعمالهم وأفكارهم كبشر ، على قرباتهم واحسانهم ، كما هو على اساءاتهم وذنوبهم .

انهم يدركون بحماس ويقين أن العمل العظيم تبنيه أعمال بارة صغيرة ، كما ان الذنوب الصغيرة — ربما غير المرئية — تصنع ذنبا أعظم ، قد يكسون فى حجم المجرة .. انها تصنع عائقا ناتئا فى مجرى الحياة ، تصنع الضياع لكل العاثرين والغافلين ، فما هو الضياع ؟

الضياع فى لغة الصناعة والمجتمعات المتقدمة هو (**الفقد**) **أو (العادم)** وترجمة ذلك بتلخيص المجلدات الكثيرة انه **(الاهدار غير المحس للجهد والوقت والموارد فى مراكز الانتاج والادارة والتوجيه ، ينشأ عنه باتساع نطاق الصمت جريمة اجهاض (جماعية) لحيوية الأمة ، وآمالها فى المستقبل) ..**

من صور الضياع البسيطة أن يتحدث عامل الى زميله أثناء العمل ووقته المحسوب وراء الآلات فيحكى عن زوجته أو يشكو من التليفزيون ، أو ينتقد الرؤساء ، ثم تقع الأخطاء الصغيرة ، وتتراكم فى الانتاج ، وأن تقع مثل هذه الأخطاء والذنوب التى تقود الى الضياع فى عمليات الشحن ، أو عمليات التخزين أو حفظ الوثائق ، أو قراءة شكاوى الجماهير ، أو تصحيح أوراق الامتحان ، أو دراسة أجزاء من مشروعات الدولة الهامة من خلال — دردشة — الأصحاب فى المكتب أو — هيصة — الأولاد فى البيت ، ففى كل ذلك من الضياع والفقد ما يمكن حسابه بمئات الملايين من الجنيهات ، الا أن أثره المعنوى المدمر على مصائر الأمم وعلى ضياع برامجها التقدمية أسوأ من ذلك .

والأمم المتقدمة تعالج الضياع وتحسبه وتطارده وتسد خرومه بنظام صارم يتحرك فى ضوء علم متكامل ... ونحن هنا على أرض الايمان بالله أحوج ما نكون الى أن نستعيد هذا الايمان الملتزم فنستعيد به السبق العلمى ، ونملك به وبالعلم قدره الالتزام ، وحب النظام ، فيقل الفقد ، ويتضاءل الضياع .

لكن الايمان نفسه يصيبه الضياع عندنا ، ونحن نحاول أن نرتفع به من أغوار التخلف ، وأن ننجو به من غارات فكر وكتب ودعاية الاستعماريين والمحتلين ،

وان نضىء به الطريق أمام الشباب ، وخاصة هذه الشرائم الصغيرة المريكنية في المدن التى أصابها الدوار الأمريكي ، فتبادل البنات والشبان ملامحهم وملابسهم وسماتهم ، واهتزت فى الدوار شخصيتهم القومية ، وأصبحوا ينظرون الى الدين كقاعدة بغير تمثال ، أو عبادة من غير معبود ، وتبدلت الحياة الجادة فى أعينهم فارتدت بحرا من جليد الضياع تزيغ فى آفاقه وبريقه الأبصار .

نعم ان الايمان يصيبه الضياع والفقد أيضا ، فالذنوب الصغيرة كثيرة ، والوساوس تتزاحم فتثقب القلوب ، ومن الثقوب التى لا تراها يتسرب الايمان ، ويضيع الطريق الصحيح الى الله ، فيضيع الانسان نفسه ، وتضيع رسالته .

ولكن اذا كانت الذنوب الصغيرة تفتح بالتآكل طرق الضياع الغائرة ، فان ذرات الأعمال البارة تبنى الرجال ، وتبنى النساء ، وتبنى الامم ، وكل هـذا حق فى قانون الله الذى لا يضيع — عمل عامل — والذى يدعونا الى المقاومة بالايمان لأنه ما كان — ليضيع ايمانكم — وذلك حتى لا نكون خلفا بعد الاحرار والأبرار — أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات — بل نكون من — الذين يستمعون القـول فيتبعون أحسنه — وهذه هى مسئولية الكلمة وامانتها لمن يكتبون ويتكلمون فى بلادنا .

الهند وباكستان

نشرت صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية كلمة فى موقف الهند من الحرب الأهلية فى باكستان جاء فيها :

كان لتصريح الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى لوكالة الانباء السعودية بخصوص قضية تدخل الهند السافر فى شئون باكستان الداخلية ، والذى أصبح يشكل خطرا على السلام فى ذلك الجزء من العالم .. واستنكار رابطة العـالم الاسلامى لهذا التدخل السافر ، وبالكيفية والأسلوب الذى يتم به حاليا ضد شعب باكستان ، ووحدة اراضيه ، كان لهذا التصريح صداه العميق فى نفوس المؤمنين برسالة وحدة العقيدة وأخوة المسلمين فى العالم .. خاصة وأن الهند بتدخلها السافر هـذا انما تهدف عرقلة حل المشكلة الداخلية التى تفاقمت فى باكستان الشقيقة نتيجة لوجود هذا التشجيع من قبل الهند .

ان رابطة العالم الاسلامى وهى هيئة اسلامية خاصة تعنى بشئون المسلمين فى أنحاء العالم ، وتعمل من أجل وحدتهم وتعاونهم يؤلمها أن تراق دماء هـؤلاء المسلمين فى أى مكان أو بقعة من عالمنا الفسيح هذا .. ويهمها أن تجد جميع المشاكل والازمات حلولا تقف عندها .. ويسيئها جدا أن تحاول جهات أجنبية استغلال بعض الظروف التى تحيط ببعض القضايا الاسلامية . كما يحدث اليوم فى باكستان الشرقية حيث تقوم دولة الهند بمساعدة فعالة لابقاء حالـة التمـرد وزيادة نيران الفتنة التى أوشكت أن تخمـد .

اننا كمحبين للسلام لم نكن نتصور أن تقدم دولة تعتبر جارة لأكبر دولـة اسلامية شقيقة بهذه التصرفات التى تنم عن تصميم لابقاء الأزمة الداخلية فـى باكستان تستنزف جهود المسلمين وتقلق راحتهم وأمنهم .

بريد الوعي الإسلامي

أسباب النصر

لماذا لا يستعين المسلمون فى هذا العصر على أعدائهم بتلاوة كتاب الله ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما كان العلماء السابقون يفعلون ذلك فى أيام الحروب ..

عثمان بو سعيد ــ عدن

يقول الشيخ محمد رشيد رضا فى الاجابة على هذا السؤال :

« انه لا يعقل أن يكون قد ورد فى الكتاب أو السنة أمر أو ترغيب بقراءة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لطلب النصر أو رفع المصائب ، ولا أن يكون ذلك معروفا فى الصدر الاول ، فان الأحاديث لم تكن مدونة فى زمن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، وانما دونت فى زمن التابعين ، وأول من أمر بجمعها ونشرها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ولم يكن التابعون ولا تابعو التابعين يقرأونها لتكون قراءتها سببا للنصر ، وانما فعل ذلك المتأخرون ، ولا أدرى فى أى زمن أحدثوا ذلك ، وما أظن أن أحدا من أهل العلم يقول ان هذا سنة أو مأمور به شرعا ، ولعل أقوى ما يمكن أن يقولوه فى سببه : اننا نجتمع للدعاء ، ونقرأ قبل الدعاء طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لما يرجى من تأثيرها فى حضور القلب ، والخشوع للرب الذى يرجى أن يكون سببا لاستجابة الدعاء ، وعلى هذا يتجه السؤال الثانى وهو : (لماذا لا يقرأ كلام الله سبحانه) :

وما أظن أن أحدا من أهل العلم يقول ان قراءة الحديث أو القرآن فى المساجد بنية نصر المحاربين سبب لنصر المحاربين فى ميدان القتال ، وقد بين الله تعالى أسباب النصر فى كتابه وأمر بها ، وأهمها اعداد ما يستطاع من القوة فى كل زمن ، والثبات وذكر المحاربين لله تعالى فى قلوبهم عند لقاء العدو ، كذكر وعده باحدى الحسنيين وثوابه للشهداء ، وبألسنتهم كالتكبير ، فانه يعلى الهمة ويقوى الأمل والرجاء .

دشن

تردد الصحف هذه الكلمة عند الاحتفالات التى تقام بمناسبة الفراغ من انشاء المشروعات الكبرى كبناء سد من السدود ، أو ناقلة من ناقلات النفط الكبرى مثلا ، ويحضر هذه الاحتفالات كبير من الكبراء ، ويقال انه (دشن) السد أو الباخرة فما معنى هذه الكلمة وهل هى عربية أو أجنبية ؟

سعيد القماش ــ الكويت

جاء فى لسان العرب فى مادة (دشن) داشن معرب من الدشن وهو كلام عراقى ، وليس من كلام أهل البادية ، وكأنهم يعنون به الثوب الجديد الذى لم يلبس ، أو الدار الجديدة التى لم تسكن .

وجاء فى المنجد (دشن) الثوب لبسه لأول مرة ، والمعبد صلى فيه وباركه

قبل أن يصلى فيه أحد ــ الداشن ــ من الثياب الجديدة الذى لم يلبس بعد ، ومن الدور الجديدة لم تسكن بعد ، واللفظة معربة عن دشن الفارسية .

فالكلمة ليست عربية ولكنها معربة ، واستعمالها فى هذا المعنى سائغ ولا مانع منه . .

الدهريــة

ماذا يقصد بكلمة الدهريين ، والى أى دين ينتسبون ؟

ابراهيم العامودى ــ حلب

الدهرية فرقة كافرة جحدت الخالق ، وأنكرت البعث ، وأساس عقيدتهم أن الدهر قديم والعالم لم يزل موجودا بنفسه ، وبلا صانع ، والقرآن الكريم أشار الى ضلال هذه العقيدة ، وكفر معتنقيها ، قال الله سبحانه : « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » . .

وللعلامة سعد الدين التفتازانى كلام طيب فى هذا الموضوع فى كتابه شرح المقاصد . قال : « ان الكافر اسم لمن لا ايمان لــه ، فان أظهر الايمان خص باسم المنافق ، وان طرأ عليه الكفر بعد الاسلام خص باسم المرتد لرجوعه عن الاسلام ، فان قال بالهين أو أكثر خص باسم المشرك ، وان كان متدينا ببعض الأديان السماوية والكتب المنسوخة خص باسم الكتابى ، وان كان يقول بقدم الدهر واسناد الحوادث اليه خص باسم الدهرى ، وان كان لا يثبت وجود الله البارىء سبحانه خص باسم المعطل ، وان كان مع اعترافه بالنبى صلى الله عليه وسلم ، واظهار عقائد الاسلام يبطن عقائد هى كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق .

مسخ بنى اسرائيل

جاء فى القرآن الكريم آيات تفيد بظاهرها أن الله عز وجل مسخ بعض بنى اسرائيل فى العصور السابقة فاصبحوا قردة وخنازير مثل قوله سبحانه : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » وقوله جل شأنه « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » والذى أستفسر عنه هو أن هذا المسخ هل كان حقيقيا كما يفيد ظاهر الآيات أو أنه كــان غير مادى ؟ . .

أبــو أيــاد ــ الاردن

القرآن الكريم يتحدث فى هذه الآيات عن جماعة من اليهود كانوا فى زمن داود عليه السلام ــ تمردوا على الله ، وخالفوا أمره ، وطغى عليهم حب المال فاستباحوا ماحرم الله عليهم من الاشتغال بالصيد فى يوم السبت ابتلاء واختبارا لهم

ويذهب كثير من المفسرين الى أن هذا المسخ كان حقيقيا ماديا ، وانهم تحولوا فعلا من صورهم الآدمية الى صور وأشكال القردة والخنازير .

ويرى بعض المفسرين أن هذا المسخ كان معنويا ، وأنهم لم يخرجوا عن صورهم الآدمية ، وانما المقصود انهم بتمردهم على الله ، وولوغهم بالشهوات وخضوعهم لنزواتهم وغرائزهم البهيمية مسخت قلوبهم مع بقائهم فى الصورة الظاهرة على آدميتهم وقد جاء فى تفسير الدر المنثور للسيوطى : « مسخت قلوبهم ، ولم يمسخوا قردة ، وانما هو مثل ضربه الله لهم ، وقال مجاهد « ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم ، فمثلوا بالقردة ، كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمــار يحمــل أسفارا » . .

بأقلام القراء

تحت هذا العنوان يقول الأستاذ عبد الرحمن أحمد شادي :

منذ سنوات طويلة وأنا أتأمل وجوه البشر وأعجب لقدرة الله المطلقة وغناه الفياض الذى لا يحد ولا يحصر .. فهذه المساحة الضيقة التى جعلها الخالق وجها للانسان على اشكال تنوعت واختلفت بقدر الملايين التى تعيش على ظهر الأرض ، ولو أراد متأمل أن يتصفحها وجها وجها لضاق به العمر عن ذلك .. والملايين الأخرى التى كانت تحيا على الأرض ثم تركتها عندما جاء الأجل .. وعلى الرغم من أن هذه المساحة الضيقة فى ملايين الملايين من الناس فيها الأعضاء المعروفة الجبهة والعينان والأنف والخدان والفم .. فكل وجه منها يطالعك بسمة جديدة لا تتفق تماما مع آخر .. لا بد من وجود فرق بينهما على أى حال . بل إن الانسان الواحد يتغير وجهه بمرور الزمن ، فوجهه وهو طفل يختلف عن وجهه وهو صبى .. ووجه الشاب لنفس الشخص يقترب من وجه الرجل الناضج المكتمل .. ثم يأتى طور الكهولة فيبدو الشيخ فى سحنة غير سحنته وهو شاب ، واذا عرضت صوره فى هذه العهود والأزمان على من أردت أن تختبر ذكاءه ودقة ملاحظته فربما لم يستطع التأكد من أن هذه الصور فى مختلف العهود لرجل واحد أو امرأة واحدة ..

وهناك تغير آخر يأتى عند شدة الانفعال السرور أو الحزن الرضى أو الغضب . الألم أو الضجر بحيث يختلف كل وجه ولو قليلا عن صورته وشكله فى الحالة السابقة ..

وإن الفنان أو العبقرى أو النابغة من بنى الانسان مع أن قدرته وحيلته وذكاءه وقوته موهوبة له من الخالق عز وجل .. لو طالبت هذا الفنان أن يشغل مساحة ضيقة مثل مساحة الوجه برسم أو زخرفة فإن المساحة الضيقة أو الواسعة لن تكون الا لعدد محدود من الأشكال — عشرة .. مائة .. ألف . أكثر أو أقل ولكن فى النهاية لا بد أن يقف عند حد يعجز بعده عن امدادنا بأشكال جديدة .

من الممكن أن يسكن الناس فى نماذج محدودة من البيوت والقصور والمنازل أو يتعلمون فى نماذج محدودة من المدارس والمعاهد والجامعات . أو يجلسون على مقاعد وكراسى لا تختلف فيما بينها الا اختلافا يسيرا أو ينامون على أسرة متشابهة أو يركبون سيارات متماثلة الخ ..

ولكن النزعة الفردية ظاهرة فى كل انسان — له وجه معروف لا يشبه غيره وصوت يختلف عن سواه وبصمات أصابع كل اصبع فيها مغاير لبقية الأصابع ولسائر الناس ، وهذا من النعم الخفية التى يسرت علينا الحياة على ظهر الارض .. هل كان من الممكن أن يعيش الناس بسهولة ويسر لو خلق الرجال على شكل واحد أو نماذج محدودة فى النهاية وخلق النساء كذلك .. كيف يعرف الأب من الابن وخصوصا اذا اكتمل جسمه ، وكيف تعرف الأم من الأخت والمدرس من الطالب والبرىء من المتهم .. والأمير من المأمور والرئيس من المرءوس ، والعامل من صاحب العمل والنشيط من الكسول ولله الفضل والمنة ..

صيحة وعتاب

وتحت هذا العنوان يقول الأخ محمود على حماية :

إن الأزهر منذ كتب له الوجود وهو حارس أمين للغة والدين من مؤامرات المستعمرين والملحدين ، وقد شاء الله أن يتحمل رجاله مؤنة الدعوة الى الله ، ونشر دينه ، والذياد عن حياضه .. تخرج على يديه كثير من عظماء الرجال الذين كانوا قادة للثورات ، وروادا للنهضات ، وغرة فى جبين الدهر . بما قدموا لدينهم من خير ، وما أسدوا له من فضل ، وأمثال هؤلاء كثيرون لا نحصيهم عددا .

اذا كانت تلك رسالة الأزهر ، وهؤلاء رجاله ، فما أشد التبعة علينا فى اختيار الذين سيقومون بها ، ويدعون اليها .. فهيهات أن يطيق أعباء رسالته اناس مهازيل ، أو عجزة خوارون !! اقول ذلك لانى الوم أولئك الذين يفرون بأبنائهم من الأزهر ، ويفضلون عليه غيره من المدارس القومية ، ولا يلجأون اليه الا اذا لم يجدوا الى غيره من المدارس سبيلا !!!

ان ذلك ادى الى فتح الباب على مصراعيه لغيرهم ممن لا تقوى سواعدهم على حمل رايته ، أو نشر رسالته !! وأنى للعقول الكليلة ، والأفئدة العليلة ، أن تعى وحى الله ؟ !!

على اننى لا أجد سببا معقولا لهذا الاحجام وذاك الفرار .. وبشىء من التؤدة والتفكير نجد حال الأزهر — الآن — يغرى بالاقبال عليه .. فمستقبله مشرق ، وسنواته ليست طويلة ، وامتيازاته متعددة كثيرة .. فهو يقبل ابناءه فى جامعته بمجموع متواضع ان لم يكن هناك شرط للمجموع طالما كان الطالب من الناجحين .. واصبح المجال متسعا أمام أبنائه يدخلون من الكليات ما يرغبون ، ويشغلون من المناصب ما يحبون ، فالطالب كما يشاء .. طبيبا أو مهندسا ، داعية أو مدرسا .. الخ ..

على أن ميدان الأزهر ، ميدان طهر ، وايمان واشراق ، والذين يدخلونه يجب أن يكون لهم من صلتهم بالله ، وحبهم للقيم ، وعشقهم للفضيلة ما يجعلهم يضحون فى ذات الله ، فيؤثرون الباقى على الفانى .. والقيم والمبادىء إذا وزنت بميزان المادة انطفأ اشراقها ، وذهب بريقها !!! وعندى أن المتعة التى يجدها الدارس لكتاب الله وشريعته لا تعد لها أى متعة إخرى من متع الحياة !! .. وانصافا للحقيقة . اننى واحد من أبناء الأزهر أقول دون تعصب — ان التحاقنا بالأزهر نعتبره فضلا من الله ونعمة تعجز السنتنا عن شكره عليه ..

ولو لم أكن أزهريا ، لتمنيت أن اكون أزهريا .. !!!

إن رسالة الأزهر رسالة انسانية لا يقوى على حملها أولو قوة ، وأولو عقل حصيف ، ودين الله أحوج ما يكون الى دعاة عباقرة ، ذوى عقول نيرة ، وقلوب خيرة ، يدعون الى الله على بصيرة ، ويبلغون رسالات الله بأمانة وكفاية ، ويعرضون هدايات السماء بصورة ترضى الله وتشرق دينه فى عصر أصبح العالم فيه شديد الحاجة الى رحمة الدين .. وصراط الله المستقيم ..

أما بعد :

فأنا نرجو من أساتذتنا الكرام المسئولين فى الأزهر أن يعملوا ما وسعهم الجهد لاغراء أصحاب الطاقات الكبيرة أن يلجوا بابه ، ويضيفوا له من الامتيازات المادية والأدبية ما يجعل الجماهير تنهمر عليه انهمارا .. وبذلك يتسنى لهم أن يتخيروا من هو أصلح لرسالته وأقرب فطرة الى دعوته ..

أخبار العالم الإسلامي

● الكـويت : احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وقد ألقى معالى الوزير الاستاذ راشد الفرحان كلمة بهذه المناسبة كما ألقى بعض العلماء كلمات حول الدروس المستفادة من حياة الرسول العظيم ..

● نـدد مجلس الأمة الكويتى بالتمييز العنصرى وأكد تضامن الكـويت مع كل الشعوب التى تعانى من التفرقة العنصرية ..

● قام معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بجـولة تفقدية على المساجد وبعض المشروعات الاسلامية فى البلاد وقد تلقى معاليه دعـوة لزيارة باكستان ..

● تلقى معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية (كتاب الاسلام والتفرقة العنصرية) للدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر ..

● صرح سيادة وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بان الوزارة اخذت على عاتقها نشر الدعوة الاسلامية بكافة الوسائل ومكافحة الصهيونية فى آسـيا وافريقيـا ..

● القـاهرة : اعلن مشروع اتحاد مصر وسوريا وليبيا فى دولة اتحاد الجمهوريات العربية وسيجرى الاستفتاء عليها فى شهر شعبان القادم ..

● أكد الرئيس السادات فى خطابه اول مايو أن المعركة فاتحة عهـد جديد لبناء الدولة العربية الجديدة على أساس العلم والايمان وبين اثر قيـام دولة اتحاد الجمهوريات العربية ..

● اختتم مجمع البحوث الاسلامية دورته الثانية فى الشهر الماضى وقد اتخذ عدة قرارات هامة فى موضوعات اسلامية متشعبة وكان المجمع قـد أولى الجهاد عناية فى دورته الأولى ..

● السـعودية : بعث جلالة الملك فيصل برسالة خطية الى القاضى عبد الرحمن الايريانى رئيس المجلس الجمهورى فى الجمهورية العربية اليمنية وقد حمل الرسالة فضيلة الشيخ محمد الصوان عضو رابطة العالم الاسلامى ..

● وجهت رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمـة نداء الى الهند لتوقف تدخلها فى شئون الباكستان الداخلية وتستنكر هذا التدخل بشدة ..

● احتجت السفارة السعودية في لندن على كتاب صدر فيها الفه احد اليهود الصهاينة وقد تضمن تعريضا بالنبى الأعظم عليه الصلاة والسلام وكان جلالة الملك فيصل قد اهتم شخصيا بهذا الموضوع ..

● الاردن : تعمل اسرائيل — كما صرح وزير ماليتها — على مضاعفة عدد المهاجرين حتى يصل تعداد اسرائيل خمسة ملايين نسمة خلال العشر سنوات القادمة ..

● باشرت جمعية الهلال الأحمر الفلسطينى عقد دورات تدريبية لتاهيل جرحى الفدائيين مهنيا تمهيدا لتعيينهم فى وحدات مهنيـة انتاجية تكفل لهم ولعائلاتهم العيش ..

● بعثت اسرائيل بشكوى الى الأمين العام للامم المتحدة تتهم اسبانيا بانحيازها الى العرب لمدة ٢٠ عاما وذلك كرد من اسرائيل على مذكرة اسبانية الى الامم المتحدة نددت باسرائيل لاحتلالها القدس ..

● العـراق : اقيم اسبوع فلسطين من ٣ — ١٩٧١/٥/٩ لعـرض القضية الفلسطينية وتفنيد حق اليهود فى اسرائيل ..

● امارات الخليج : قام الشيخ زايد بن سلطان — حاكم ابو ظبى — بزيارة الى القاهرة فى الشهر الماضى حيث أجرى مباحثات مع رؤساء مصر وسوريا وليبيا والسودان استهدفت المحافظة على عروبة الخليج والعمل على تكوين اتحاد الامارات وانضمام ابو ظبى للجامعة العربية ..

● اليمـن : انعقد فى الشهر الماضى اول اجتماع لمجلس الشـورى الجديد وقد جدد للقاضى الايريانى فترة رئاسته للمجلس الجمهورى اليمنى ..

● السـودان : اعلن الرئيس جعفر نميرى ان السودان منضم لا محالة لاتحاد الجمهوريات العربية تدعيما للصف العربى فى مقاومة الصـهيونية الباغيـة ..

● المغـرب : تمت فى الرباط مباحثات بين وزيرى الخارجية التونسى والمغرب استهدفت وحدة المغرب العربى الكبير وبعض القضايا وعلى راسها قضية فلسطين ..

● تركيـا : يواصل عـدد من اساتذة الجامعات والمتخصصين فى الدراسات الاسلامية بحوثهم الاقتصادية على ضوء الاسلام فى دراسة علمية تحليلية لاقتصاد اسلامى ..

● بلجيكـا : اصدر مجلس الشيوخ اعترافا بالجاليـة الاسـلامية فى بلجيكا ، ويقضي هذا الاعتراف بمنح المسلمين فى بلجيكا المساعدات والنفقات لاقامة الشعائر الاسلامية ، ويوجد فى بلجيكا اكثر من مائة الف مسلم ..

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : **مكتبة مكة** ـــ السيد عوض با عامر ـــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـــ السيد محمد زين العابدين .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ـــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ـــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ـــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ ص.ب ١٧١٩ .

قطـــر : مكتبة الثقافة ـــ السيد سالم الانصارى ـــ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

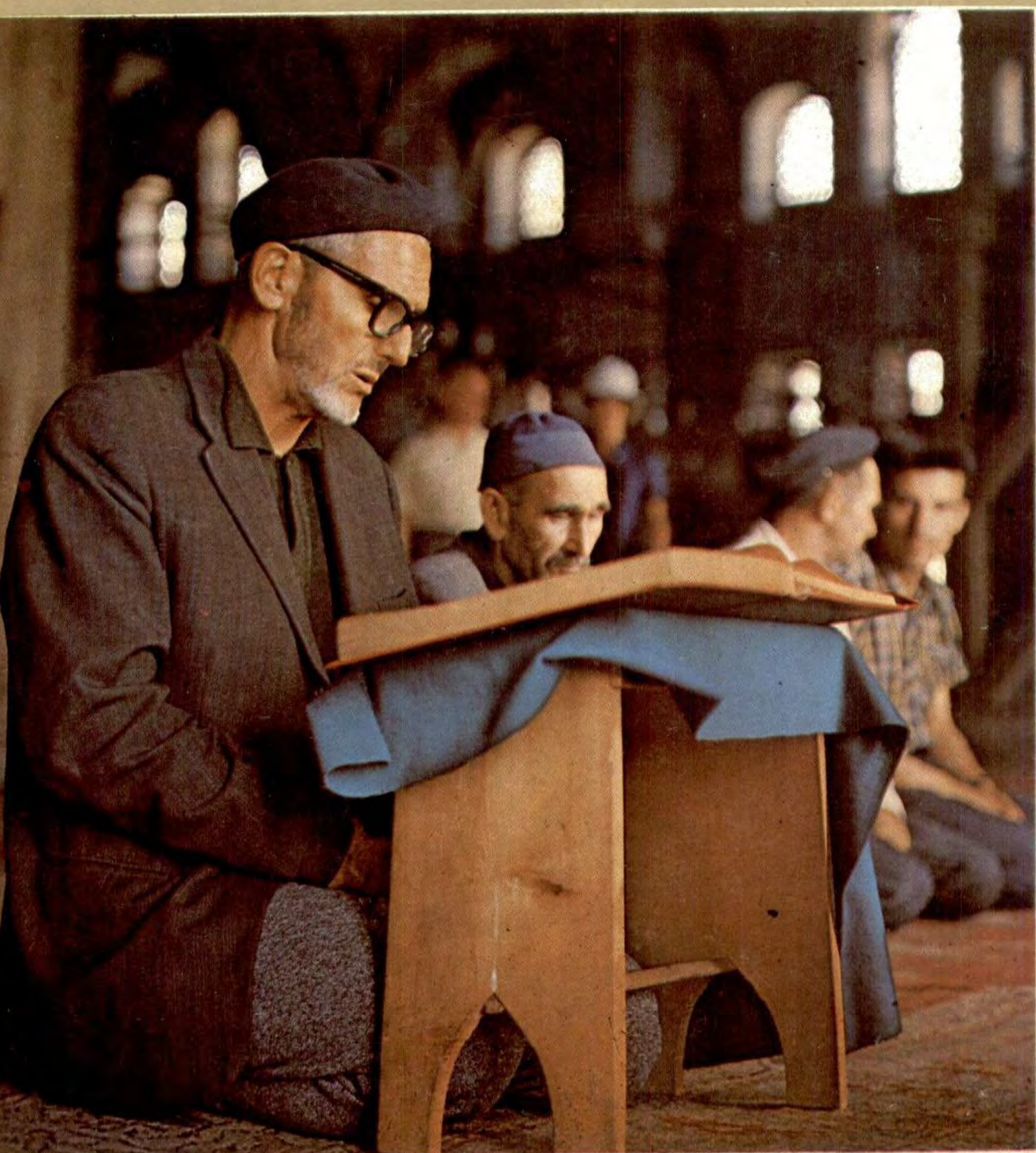
اقرأ في هذا العدد

خاص

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ـ العدد ٧٧ ـ جمادى الاولى ١٣٩١ هـ ـ ٢٤ يونيو «حزيران» ١٩٧١





حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فى الاحتفال الذى أقيم فى الشهر الماضى بتخريج الدورة الثانية من الطلبة الضباط فى الكلية العسكرية ويرى سموه وهو يسلم الشهادة لاحد الخريجين .



حضرة صاحب السمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى الاحتفال الذى أقيم فى الشهر الماضى بتخريج الدفعة الاولى من ضباط الحرس الوطنى ، ويرى سموه وهو يسلم الرتب للخريجين .



قــارىء يرتل القرآن الكــريم فى أحد مساجد تركيا وبجانبه مجموعة من الشــباب ينصتون فى تأمــل وخشوع .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنــة السابعــة

العدد السابع والسبعون

جمادى الأولى سنة ١٣٩١ هـ

٢٤ يونيو « حزيران » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمــن

الــكويت	٥٠	فلســا
السعودية	١	ريــال
العراق	٧٥	فلســا
الاردن	٥٠	فلســا
ليبيــا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمــا
الجــزائر		دينــــار وربع
المغــرب		درهم وربــــع
الخليج العربى	١	روبيــة
اليمن وعدن	٧٥	فلســا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشــا
مصر والسودان	٤٠	مليمــا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الــكويت ١ دينــار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشــتركون رأســا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعــوة والارشــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

جيل الحرب

شهد العالم فى النصف الأول من هذا القرن حربين عالميتين ضاريتين . انقسم فيهما العالم الى نصفين ، كل نصف يقاتل الآخر ، ويحاول تدميره والاجهاز عليه وتحولت فيهما كل القوى الى قوى مخربة ولا يستطيع كاتب مهما بلغ أن يصف ما أصاب الناس فيهما من هول وفزع وكرب وضيق .

اكتوى بنارهما الصغير والكبير ، والشاب والشيخ والفتاة والمسنّة ، ومن لم يصب بشظاياهما أصيب بلهيبهما اللافح وسمومهما الخانقة ... حتى الأجنّة فى الأرحام لم تنج من ويلات الخوف والقلق الذى أصاب الأمهات فى هذا الحين .

وليس فى هذا شىء من المبالغة والتهويل ، فلغة الأرقام ودلالات الاحصاءات كفيلة بأن تعطى للقارىء بعض الحقيقة لا كل الحقيقة للمآسى الانسانية التى نزلت بها ولم تشهد لها مثيلا فى تاريخها الطويل حتى فى عصور الهمجية والغاب .

نشبت الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٤ ، ولم تسكت نيران مدافعها الا فى الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ واشتركت فيها ثلاث وثلاثون دولة ، وحشد لها من الجنود المحاربين ٧٤ مليون شاب . أما عدد القتلى فبلغ عشرة ملايين آدمى ، والمشوهون الذين فقئت أعينهم ، وقطعت أيديهم وأرجلهم أو تيبست فقارهم ، أو اهتزت أعصابهم ، وشردت عقولهم ، وأصبحوا غير قادرين على العمل ، فيقرب من ضعف عدد القتلى ، والخسارة الحضارية والمادية التى لحقت بالانسانية فى هذه الحرب أكبر من أن تقوم بمال أو تحدها أرقام .

وهذه الأرقام ـ على ضخامتها وفداحتها لم تستطع أن تجنّب العالم شر التردى فى حرب عالمية ثانية ، بل على العكس من ذلك . زادت فى ضراوة الانسان ووحشيته وولوعه بسفك الدماء وإزهاق الأرواح وحملته على التنافس والتسابق فى اختراع المهلكات والمبيدات .

لم تمضِ على الحرب العالمية الأولى فترة يفيق الناس فيها من هَولها ويعالجون ويلاتهم حتى اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، فكانت أشد ضراوة وأعظم ضحايا وأكبر كارثة على الانسانية لم تشهد لها مثيلا لا فى حرب ١٤ ولا فى الحروب التى نكِبَتْ بها البشريـــة من قديم الزمان ..

اندلعت النار سنة ١٩٣٩ ولم تخمد إلا فى سنة ١٩٤٥ واشتركت فيها اثنتان وسبعون دولة وحشد لها من الجنود المقاتلين مائة مليون وعشرة ، وذهب طعمة نيرانها عشرات الملايين وعدد ذوى العاهات والمشوّهين يعطى أبشع صورة لأسوأ مأساة تعرضت لها الانسانية .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ان الحرب هزّت النظم الاجتماعية ، وبلبلت الآراء والأفكار فى العقائد والأخلاق ، فالحرب لا يقف عدوانها عند إزهاق الأرواح وإراقة الدماء وتدمير الحضارات ، بل يتجاوز هذا كله الى العادات والتقاليد ... الحرب يعايشها ، وينتج عنهـــا تحولَ كبير فى العلاقات الانسانية والروابط الاجتماعية واستهتار بالغ بالقيَم والمُثُل وتغيُّر معاكس فى المفاهيم . فمن اقتحام للحرمات واستباحة الأعراض .. الى الخيانات وفساد الذمم وانتشار الجرائم وإدمان المخدرات واختصار الطريق للغنى الفاحش بالمراباة والاحتكار والجشع وانتهاب اللذّات المحرّمة ... الى تسرب الإلحاد والإباحية ، مما يجعل مصيبة الناس فى عقولهم وأفكارهم أكبر من مصيبتهم فى الأنفُس والأموال .

والدراسات الإجتماعية والإنسانية التى تعنى بتتبُّع آثار الحروب على الفكر والخُلُق والسلوك الإنسانى تكشَّفَت عن أخطار وأضرار تفوق فى جسامتها الخسائر المادية التى يضبطها الإحصاء والأرقام ، فالغزاة يتركون فى الأرض التى وطئوها والديار التى جاسوا خلالها آثاراً حيوانية لا تَمُتّ الى الشرف ولا الكرامة ولا الفضيلة بسبب من الأسباب ، ولا يسلم من أخطارها إلا من عَصَمَ الله ، وقليل ما هم .

ثم تأتى بعد الحرب العالمية الثانية الحروب الإقليمية التى قلّما تنجو منها حاليا قارّة من قارّات الدنيا والتى تنذر بحرب عالمية ثالثة لا يعــلم عقباها إلا الله .

فى هـــذا الجو المحموم المُخَضَّب بالدماء والمملوء بالخوف والذعر المشحون بالقلق والإضطراب ، ووسط الأحقاد والأضغان والمظالم التى قطعت الرحِم الإنسانية وعصفت بكل القِيَم والموازين وتنكَّرت لجميـــع الأديان والشرائع السماوية عاشت وولدت الأجيال المعاصرة الجيل القديم والجيل الوسيط والجيل الحديث .. جيل الآباء والأبناء والأحفاد .

ومع قليل من التجاوز عما اصطلح عليه أو اختلف فيه الباحثون فى

تحديد سن الشباب ومقاييسه ، فإننا نرى أن الشباب هم الذين بلغوا سن الأبوة وإن لم يكونوا آباءً بالفعل ، وجيل الشباب هذا ، لم يُخلق مبتوت الصلة بالجيل السابق عليه ولا معزولا عن المجتمع الصغير الــذى وُلِدَ وترعرع فيه ولا عن المجتمع الإنسانى الكبير ، وما عاناه من حروب طاحنة ، وفى اعتقادى أن أصدقَ وصف يميِّز هذا الجيل عمن سبقه من أجيال ، هو « جيل الحرب » .



تفتحت مشاعر الشباب المسلم فى هذا العصر على حياة مادية رهيبة ... حياة تقوم على التظالم والتطاحن والتحلل .. حياة تلاحقه وتطارده فيها بواعث الفتنة والرذيلة .. (فأفلام الشباك) الأفلام التجارية تتنافس فى إثارة الغرائز الدنيا وإشباع النزوات الرخيصة ومجلات الغــلاف تنبعث منها رائحـــة العفن الخلقى التى تجتذب الحيوانات الضالة ... وروايات الجريمة تجعل من الحَمَل الوديع وحشا ضاريا والأغانى المبتذلة والألحان التى تعتمد على التأوه والتثنى تئد الرجولة وتمجــد الميوعة ، والكتب الجنسية التى تسمى ثقافة جنسية تملأ واجهات المكتبات ، حتى الإعــلانات التجارية تقوم وتروج على المناظر المبتذلة ، ورسائل الإلحاد والكفر تحطم القيم العقــائدية ، وتحضّ على التمرد على الفضــائل وتدفع الى كسر كل القيود التى تحول دون الانطلاق الحيوانى المسعور ، وحياة الهيبيين قد لا تكون آخر ما وصل اليه الانحراف .

ولو قمنا باحصائية بسيطة لرواد المسارح ورواد المساجد وحَفَظَة الأغانى وحَفَظَة كتاب الله والعارفين بتاريخ الممثلين والممثلات والمغنيين والمغنيات والملمين بتاريخ الأعلام المسلمين والمسلمات الشهيرات ، لو قمنا بهذه الإحصائية كعلامة على القرب من الاسلام والبُعد عنه لهالتنا النتيجة .

ولو انتقلنا بالإحصائية الى المجلات الاسلامية والمجلات الشيطانية والمطبوعات الإلحادية وكتب الثقافة الدينية وعدد القراء هنا وعدد القراء هناك لكانت النتيجــة معبِّرة أبلغ تعبير عن قصـــور المصلحين مخيِّبة لآمالهم .



تَفَتَّحَت مشاعر الشباب المسلم فى هــذا العصر فوجد نفسه فى متاهات من الآراء المضللة والأفكار الهدّامة ، ووجد الممرات الى مزالق الفتنة والإنحراف مفتوحة معبَّدة ، فماذا صنعنا لإنقاذه من هذه المتاهات ؟ وبماذا واجهنا هذا الطوفان المدمِّر الذى يكتسح أمل الامـــة ورجاءها ؟

التوجيه الإسلامى القائم الآن ، هو امتداد للتوجيه الإسلامى الموجود

منذ عشرات السنين لم يطرأ عليه تغيير ولا تطوير يستطيع به أن يقـاوم هذا الزحف ويحصّن الشباب من الأوبئة العقائدية والخلقية الوافدة .
المسجد هو هو تقـام فيه الصـلوات وتُلْقى فيه العِظات ، ثم تنفض الجماعات .
الكتب الإسلامية وهى على قِلّتها راكدة السوق .

الصحف الاسلامية اليومية لم توجد بعد .

المجلات الإسلامية الاسبوعية والشهرية كم عددها ؟ وكم يطبع منها ؟ وكم يباع ؟

البرامج الدينية فى الإذاعة والتلفزيون ما نوعيتها ؟ وما عدد الدقائق التى خُصِّصَت لها ؟
المحاضرات الثقافية الإسلامية ، ما مـدى الإقبال عليها ؟
مناهج التربية الإسلامية فى المدارس والمعاهد يدرسها الطالب ليحصل على الحد الأدنى من درجات النجاح فى الاختبار .
البيت ليس له طابع إسلامى يُمَيِّزه عن سائر البيوت .
إن أساس المشكلات التى تواجه الشباب هو عدم الفهم الحقيقى والوعى الكامل لدينه وعدم رؤيته للقدوة الصالحة التى تشده وتجذبه ، والنصائح وحدها لا تكفى ولا تشفى وإذا كانت الأمراض لا تعالج بالتعويذات والتمائم والجيش الغازى لا يُحارَب بالدعوات والتضرعات فكذلك الإنحراف والتحلل لا يعالج إلا بإزالة المتناقضات من المجتمع الإسلامى كَطِبٍّ وقائى ودراسة وتحليل الأسباب والعِلَل ووضع الدواء واستعمال هـذا الدواء كَطِبٍّ علاجى .

إن الإنسان مهما انحرف فهو إنسان ولا يمكن بحال أن يسلبه الإنحراف خصائص إنسانيته الخَيِّرة وفطرته الرشيدة الى الأبد .

إن الضَّال يميل دائما من حيث يشعر أو لا يشعر الى الهداية .
إن القَلِق يبحث دائما عن الطمأنينة .
إن الشَّاك يقوده ألَم الشَّكّ وعذابه الى اليقين .

والهداية فى الإسلام والطمأنينة فى القرآن واليقين فى الإيمـان ، وذلك هو ما نتوقعه لشبابنا وللإنسانية كلها عندما تتوفر لها المحـاضن الروحية الصافية فى البيت والمجتمع (يا أيها الذين آمنوا قـوا أنفسكم وأهليكم ناراً) والله مُتِمّ نوره ولو كَرِه الكافِرون .

ضهوان الحنبلى
مدير ادارة الدعوة والارشـاد



للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعــة الكــويت

شباب من الأنصار

« كان شباب من الأنصار ، سبعين رجلا ، يقال لهم : القراء ، قــال : كانــوا يكونون فى المسجد فاذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلون ، يحسب أهلوهم أنهم فى المسجد ، ويحسب أهل المسجد أنهم فى أهليهم ، حتى اذا كانوا فى وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب فجاءوا به فأسندوه الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم جميعا فأصيبوا يوم بئر معونة ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم على قتلتهم خمسة عشر يوما فى صلاة الغداة » ..

(مسند الامام أحمد)

١ ــ الشباب : الفتاء والحداثة ، وهذا شبوب لهذا ، أي يزيد فى حسنه وروائه ، وفى الحديث عن مطرف أن النبى صلى الله عليه وسلم أئتزر ببردة سوداء فجعل سوادها يشب بياضه ، وبياضه يشب سوادها أي يحسنه ، ويوقده ، والرجل مشبوب اذا كان أبيض الوجه أسود الشعر، وأصله من شب النار اذا أوقدها فتلألأ ضياء ونورا (١) .. ورد فى فقــه اللغة : ما دام الرجل بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ، والأمرد الشاب الذى طر شاربه ولما تبدو لحيته ، والمحمحم الشاب اذا أسود شعر وجهه وأخذ بعضه ببعض ، والمشارى ، اذا بلغ الأربعين (٢) ..

ومن طريف ما يروى فى هذا الصدد تلك الأسطورة التى يتوارثهــا الاحباش ويتداولونها فيما بينهم ، تحكى تلك الأسطورة : أنه فى يوم ما ، ألتقى ضبع وابن آوى فى غابة موحشة ، ملتفة الأشجار ، ضيقة المسارب، متعرجة المسالك ، قبض الضبع على ابن آوى بيد باطشة ، وقال له : اما أن تحضر لى ماء ، واما أن تهىء لى مكانا أستريح فيه ! فأجاب ابن آوى وهو يرتعد فرقا : لو كنت رجلا لما جرأت على معاملتى بهذا الشكل

السيء ، فسأله الضبع : ماذا تعنى ؟ من هو الرجل ؟ فرد مجيبا : اذا أردت معرفته فتعال معى أدلك عليه ! وبينما هما سائران مرا على شيخ قد أحنت السنون ظهره ، والجأته الى عصا عجراء ، فسأل الضبع ، أهذا هـو الرجل ؟ فقال ابن آوى : لا ، هذا كان رجلا ، وانطلقا فى سيرهما حتى اذا لقيا صبيا سأل الضبع : لعل هذا هو الرجل الـذى تعنى ! وأجاب ابن آوى : لا . هذا سيصير رجلا ، وتابعا سيرهما باحثين عن رجل ، فواجها شابا قويا مفتول العضل ، ثابت الخطى ، قد أمسك باحدى يديه غدارة يفوح منها البارود ، وبالأخرى صيدا يتنزى دما ، شده الضبع وتوقف كأنما قد أمسكت بقدميه قيود من حديد ، ثم صاح : لئن صدق حدسى فهـذا هو الرجل الذى تعنى ! وما راعه الا قذيفة تنطلق من غدارة الشـاب لتخترق أذنه ! وقال ابن آوى : نعم هذا هو الرجل حقا !! فان كنت شجاعا فاقبض عليه ! طأطأ الضبع رأسه ، وغطت سحابة من الدم القانى عنقه فلم يحر جوابا وأطلق ساقيه للريح .. فالشاب اذا ، هو الفتى المكتمـل الرجولة ، والشابة هى الفتاة التامة الأنوثة ، فى عقل متزن ، وفكر رائد ، وسلوك قويم ، وخلق آسر ، وقوة قوية ، وادراك دقيق لمداخل الأمـور ومخارجها ، ومعرفة تستشف الوقائع من مصادرها ومواردها مع غوص على دقائق الوجود، ودخائله ، واستكناه خصائص كل مايحيط به فى المجتمع الخاص بالدولة التى يدرج على أرضها ، وفى المجتمع العالمى الـذى يلف المعمورة ، فقد وسع العلم دائرة التعارف وقرب المسافـات ، مع ادراك ثاقب يصل الى اللباب النافع الطيب الثمر ، ليستفيد منه ، والمر السيء الجنى ليطرح ويترك .

٢ ــ والشباب هم الأمل المرجو فى حياة الشعوب للنهوض بهـا ، والسير قدما مع ركب الحضارات الزاحف ، وهم البسمة المشرقة ترتسم على ثغر الدولة الموفقة لاحسان تنشئة شبابها ، وتوجيههم التوجيه الصالح القويم ، اذ هم عدة جهادها فى الشدة والبأس ، وحصنها المنيع ضـد التيارات التى تحاول جرف فضائلها ، وتسعى جاهدة للقضاء على مقوماتها، وسيفها البتار القاطع لكل نقيصة ومثلمة ، وهم أساتها اذا أثخنتها الجراح ، وعدت عليها الايام . فالشيخ الذى طعن فى السن ، قد طوح به الزمان عن الحياة المعاصرة ، وامتزج فكره بالحوادث التى لازمت مراحل نموه ، وجال فى منعطفاتها وصال ، فخالطت جواؤها شغاف قلبه ، وتفاعل حبها أو بغضها مع دمه فلم تعد بدائه الأحداث بمستطيعة لى عنانه ، أو كبـح جماحه عن مسلكه وكلما دعى الى جديد عاقته نفسـه ، واجتوته جبلتـه ولسان حاله يقول : لن نتحول عما وجدنا عليه آباءنا ، ولن نترك ما ورثنا ولو كان ميراثه الموت الزؤام فى صورة حياة باهتة حقيرة ، فمنطلق أولئك الموتى الأحياء : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون » . وقد يلتمس لهم العذر بادىء ذى بدء ، اذ كيف يتجافون عما صبحهم ومساهم

دهرا طويلا ، وما وقعت عليه أبصارهم وطرق أسماعهم ، وتردد هواؤه فى صدورهم فى الصبح المسفر والليل البهيم .

والشيخ لا يتـــرك اخـــلاقه　　　حتى يوارى فى ثرى رمسه

ومع هذا : فلا نبخس الناس أشياءهم فمن الشيوخ من شذ ونبا ، قد صقلته التجارب ، وعركته الحياة ، فظل فتى الروح وان وهن عظمـــه واشتعل رأسه شيبا ، ومن أولئك القادة والمصلحـــون الذين يتجهون الى الشباب يوجهونهم الى الطريق المستقيم ، ويتخطون به عثرات فى فلوات مروا هم بها ، ويزودونهم بخلاصة تجاربهم ، وزبد حكمتهم ، ويبتعدون به عن مواطن الزلل ، لتستقيم حياتهم ، ويصبحون أكفـــاء قادرين على تحمل تبعاتهم كاملة ، ولا يحاولون التنصل من واجباتهم نحو بارئهم وأوطانهم .

وان من أدبته فى الصبا　　　كالعود يسقى الماء فى غرسه

حتى تراه مورقا أخضرا　　　بعد الذى أبصرت من يبسه

٣ ــ والشباب تجرى به الحياة ، كما يجرى نبع الماء فى مسالكه من الارض ليكون نهرا أو غديرا أو سيلا عارما ، يصادف فى سيره الحسك والسعدان فى المنبسطة ، ويتعارك مع الصخور والجنادل فى الوعر ، يميل يمينا وشمالا ، ويرتفع وينحدر ، ولكن لا يتوقف ، بل يتجمع ويتكاثر ، وكأنه باحث عن فريسة يخرنبق لينباع ، ويتحفز ليقفز الى الجهة المقابلة أو قائد يجمع خميسه ويحشد قواه ليلقى بثقله فى المعركة حتى يجتـــاز العقبات ، ويتابع جريانه الى غايته ، يضعف تارة ويقوى أخـــرى حتى اذا وصل الى مستقره هدأ ، أو تلاشى فى الخضم الفسيح « القاموس المحيط » .

والشباب كذلك ــ ولا يبعد الناشئة عن هذا المدار ــ يشدو خير ما فى كونه الملتف به ، وسلمه الذى يرتقيه يتعدد فى درجاته ، وتتباين تلك الدرجات فى كنهها وأهدافها ، وأطوار حياته تطبع فى نفسه المتناقضات حينا والمتوافقات حينا ، فهو راضع لبان أسرته وقتا مقررا ، ثم يعدو هذا الكن الى مكان أرحب ، هناك فى مدرسته ، فى مصنعه ، فى تجارة فى مزرعة ، حيث يلتقى بعشراء لم يسبق له بهم عهد ، مزيجـــا من عنـــاصر متباينة ، وبيئات مختلفة ، لم تجمعهم من قبل وشيجة رحم أو منشأ ، فاذا صعد فى الزمان وتعاوره الليل والنهار دبت فيه حياة جديدة ، وتفاعل فى كيانه ما لا خبرة له به ، وهو لا يزال غض الاهاب ، فى كن الصبا وخدر الغرارة ، ويرتطم بعوائق مضادة ، لا يمكن اجابة سؤلهـــا حذرا من واقع المجتمع وتقاليده ، فينشأ الكبت ، وهو غير محمود العاقبة ، وفى هـــذه المرحلة التى ربما تكون حاسمة ، جالت عقول المعنيين بالشباب كل مجال ، متلمسة وسيلة النجاة ، فى محاولات قد تكون عقيمة ، وقد تكـــون مجدية ، الا أنها فى مجموعها آنية (بتشديد الياء المثناة) تكون مسكنات وقتية لا يلبث أثرها أن يزول ، ومن خلال تلك المحاولات نلمح من ثقوب أبوابهـــا

ما يشير الى غريزة خاصة يحاول ارجاع كل شيء اليها ، وما وضع لها من دواء مضاد خوفا من نتائجها ، فقال : أعلوها بالرياضة واشغلوها لتسكتوا عواءها بالفنون ، وسواء نجحوا أو أخفقوا فى علاجهم هذا ، ففى المشاهد وقائع يدركها من تتبعها دارسا أو باحثا أو مستطلعا ، ولنترك هـذا الطور وعلاجه أسلاميا الى مجال مقولة أخرى ربما تحين قريبا ، ففى الاسلام ما يحسم الداء مقتلعا جذوره بالبلسم الشافى ، وبرد الشراب الناقع لكل غلة ، واللهم أهد قومى فانهم لا يعلمون .

٤ — تعالوا نتصفح أضابير المصلحين وكتاباتهم ، ونعش قليـلا فى رحاب الأنبياء والمرسلين نغشى مجالهم ، وننخرط فى سلك حوارييهم ، فماذا نرى ، نجد الذين تجاوبوا معهم وحملوا دعوتهم ، هم الشباب ، والشباب وحده واستمع الى محكم القرآن الكريم حين يقول : « انهم فتية آمنـوا بربهم وزدناهم هدى .. » قال واحد من المفسرين : « انهم شباب آمنـوا بربهم ، وقد جرت العادة أن الفتيان أقبل للحق ، وأهدى للسبل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا فى الأديان الباطلـة ، ومن ثم كان أكثر الـذين استجابوا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم شبانا ، وبقى الشيوخ على دينهم ولم يسلم منهم الا القليل » (٣) ... ومن القرآن أيضا : « .. واذ قال موسى لفتاه .. » .. « سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » وابراهيم هنا هو الرسول نفسه : .. وخاتمة الرسالات حملها الشباب ولم يدخل فيها أكثر الشيوخ الا مكرهين ، واقرأ تاريخ الأقدمين تجد آخرهم عمر بن الخطاب الذين لم تتجاوز سنه يوم أسلم العقد الثالث ، والذين سبقوه كانوا فى مثل سنه أو أقل أو أكثر قليلا ، وهكذا نلفى الذين شادوا دين اللـه وارسوا أصول الخير هم الشباب فقد اجتمع يومها للاسلام قوتـان نال بهما من الظفر والنجاح ما لم تنله دعوة من قبل : أصالة الأسس وقوتهـا وايمان الشباب وعمق ادراكه لها ، تضافرت القوتان وسارتا كتفـا الـى كتف ، حتى عم الاسـلام شـبه الجزيرة فى حياة سيدى رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم ...

بعـد هـذا : نعود الى ما ورد فى مسند الامام أحمد رضى اللـه عنه الذى يرسم صورة صادقة لا شائبة تعتريها تشوه من جمال مبناها ولا تنقص من أهداف معناها ، تلك هى صورة الشباب الواعى الذكى العبقرى الذى لا يفرى فريه أحد ، الا من نبت مثله فى رعاية النبوة وتحت سـمع صاحب الرسالة وبصره ، انظر الى تحركاتهم وسكناتهم فـى مغـداهم ومراحهم : يترددون بين ثلاثة أماكن : مسجد فيه قوة الروح وضرب فـى مناكب المدينة بحثا عما يقيم الاود ويمسـك الذمام ثم نهاية أمرهم فـداء للعقيدة التى هى وطن المسلم ولا وطن له غيرها ، هؤلاء هم الذين اتخذوا عنوانا مميزا (القراء) شباب عدتهم سبعون ، يتدارسون القرآن غـذاء أرواحهم ومنهج حياتهم وهدى سلوكهم ، لا يريدون دعاية ولا شهرة ولا يحبون أن يطلع على أحوالهم أحد ، ولا يشعر بهم مستخف بالليل أو سارب

بالنهار ، أهمهم أمر دينهم وليس وراء ما أهمهم ما يعنيهم يحاولون من خلاله أرضاء بارئهم ، لا يقول يذهب أدراج الرياح ، وانما بعمل يثبت ويبقى أثره ما بقى لزكاء شروق ولصنوها أفول ، أين قواؤهم ؟ لا أين ، ينقلون بين علم يثمر ، ويضربون المثل للسعى والكسب ، ليسوا عالة ، وما منهم أحد كل على أحد ، أيد تنبض بالحركة النافعة فى حدود مقومات زمانهم ، وقلوب يرعاها ايمانها بعقيدتها ، ثم فناء فى سبيل ما عند الله مما أعده لأمثالهم : « جنات عرضها السموات والأرض » لم يتمتموا بكلمات مبهمات رئاء الناس ، ولم يتظاهروا بالاتباع ثم تخونهم الوقائع ، ولم يتبجحوا بالتوافه المظهرية ويبعدوا عن اللباب ، كعهدنا بالناس فى زمان مات فيه القلب واستيقظت الشهوات المسعورة ، ولا أقصد شهوة الفواحش فقط ، فكل رغبات النفوس التى تثيرها الأنانية القاتلة شهوات مذمومة عند الله وعند من اصطفاهم من رسل وأنبياء وعقلاء ، بمثل هؤلاء الشباب المثل يقتدى للنجاح وللفداء المأمول وللغد المرتقب ، فسلوكهم هو سلوك الشاب الذى آمن ووقر الايمان فى قلبه وتجاوب مع الدعوة والقى اليها السمع وهو شهيد ، وليس بدعا فى الفطر السليمة أن يحزن عليهم سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يردد ذكراهم كل صباح ، ولا أن يطلب الويل والثبور لمن عدا عليهم ، وان كان مقرهم رضوان الله ورحمته فهم مثل كريمة طيبة ، وتلك الأمثال يضربها الله للناس لعلهم يعقلون ..

٦ — ولا يغرب عن بال واع فاقه لسير الدعوة فى مبتدا أمرها ان أتباع الاسلام الأولين — كما أسلفنا — كانوا شبابا أشداء على عدوهم رحماء بينهم ، رجال حرب وجلاد ، مات جلهم تحت ظلال السيوف فى حومة الوغى فى ميدان الجهاد المقدس ، ونسوق طرفا من أسمائهم الكريمة لو تتبعت أصحابها فى مواطنهم لرأيت العجب العجاب الذى يعطى البرهان القاطع على مدى ما تستطيع بلوغه قوة الشباب لو أحسن توجيهها ، هؤلاء العمالقة منهم على سبيل المثال : على ، وابن العوام ، وابن مظعون، وطلحة ، وسعد ، وأبو بكر ، وعمر ، وابن الأرقم ، وصهيب ، وبلال .. الى غيرهم من درر تفاخر بها الدنيا دنيا الايمان والعزة ، ولا يقال هنا : لم انهار البناء وتصدع حتى وصل الى ما هو موسوم به الآن فالجواب طى الواقع يحكيه صادق الحال ، وكل شىء يحتاج الى صيانة ورعاية وعندما يتولى الأمر هازل مستضعف فقل على دنيا ذلك الأمر العفاء .

واذا ذكرنا أسماء رجال برزت أبان اشراق نور الدعوة الاسلامية فلا يصح بحال ان ننسى أسماء نساء شابات أدين واجبهن فى الصبر والجهاد وقمن بما سجله لهن التاريخ معجبا فى سبيل الدعوة ولهن الحظ الموفور من البلاء الحسن فى كثير من معارك المسلمين ومنهن السابقات

أمثال : أم أيمن ، وأسماء بنت أبى بكر ، وفاطمة بنت الخطاب ، وعائشة .. وغيرهن ممن وقفن جنبا الى جنب مع الشباب يقمن بما يستطعن من خدمة الجرحى فى الميدان وسقيا المجاهدين ، بـــل وحمل السلاح كما حدث فى احدى المعارك التى أحيط فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧ ـــ وفى نهاية المطاف نفتح عيوننا على عصرنا الذى فيـــه نعيش فنبصر ثورات سياسية وعلمية وثقافية تضطرم فى كل مكان فتلـــك تدك العروش وأختها تحطم تقاليد ، وثالثة تغير مفاهيم وعلوما ونظريات الـــى آخر ما يخبئه الغد من مفاجآت ، تلك الثورات فى كافة صورها ، من قام بها ؟ من قدم نفسه فدى لها ؟ ، من كان وقودها وضرامها ؟ : أنهم الشباب ولا أحد غير الشباب .

وأؤكد هنا ـــ كالشأن دائما ـــ أن حركات الشباب لا تبعث علـــى الخوف ولا القلق فمن الطبيعى جدا ، ومن البدائه التى لا تقبل الجـــدل ، أن يثور الشباب وأن يتمرد أحيانا ، فهو لا يثور ولا يتمرد الا لأنه يلمس أعوجاجا فى أوضاع قائمة ، والأفضل دائما هو أن تعالج العيوب ويقـــوم المعوج ، ويقضى على داعى الفساد والهدم ، والبلد الذى يرزق قادة عقلاء يلتقون بالشباب ، ويتحسسون مطالبهم ويناقشونهم ويأخذون ويعطـــون معهم ، ولا يوصدون دونهم بابا ، مثل هذا البلد يستقر أمره ويهنأ عيشـــه وتسير أحواله على هدى الشيـــوخ العقـــلاء ذوى الخبرة الطويـــلة فى الحيـــاة ففيهـــم المدره والعبقـــرى ، وتعتمـــد على ســـواعد الشباب وعقولهم المتفتحـــة ، ولهذا أرى أن يتلاقى الشباب وخاصة شباب الجامعات والمصانع بالمسئولين فى ندوات مفتوحـــة وقلوب سليمة يفرغ فيها الشباب كل ما عنده من تساؤلات ، ويبدى كل ما عنده من رأى ، وهنا تظهر عبقرية القادة من الشيوخ فى التوجيه الصالح ، والأخذ بيد المفلح من الشباب وانارة الطريق أمام المدلج الحائر ، ولو فعلنا لاتقينا شر ثورات مهلكة يحدوها غالبا طيش وأنانية وعناد يأتى على كل شىء من أمجـــاد السابقين ..

وختاما : لا أرى توجيها أفضل ، ولا أرشادا أسمى وأجل من توجيه وارشاد الاسلام فمقوماته ترتفع الى القمم ولا تنحدر أبدا الى السفح ، ومن درس وقارن اقتنع بتعاليم الاسلام وهدايته وأنه المنقذ الوحيد مـــن الحيرة والاضطراب اللذين يسودان عالمنا « وانك لتدعـــوهم الى صراط مستقيم » ..

---

(١) ـــ لسان العرب ج ٤ ص ٤٨٢ طبعة صادر بيروت سنة ١٩٥٥ م ..
(٢) ـــ فقه اللغة للثعالبى ص ١٤٢ طبع المطبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م
(٣) ـــ المراغى ج ١٥ ص ١٢٥ مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٤٦ م ..

الشباب المسلم

بين متناقضات الوضع الاجتماعي

ينشأ الشاب المسلم فى بيئة لها أوضاع معينة ، وتحكمها عادات وتقاليد ، ومقاييس أخلاقية خاصة . وأهمها : ترابط الأسرة وسلطة الأب فى توجيهها ، والالتزام الأدبى الذى يلتزم به الاخوة والأخوات حيال بعضهم بعضا ، وحيال والديهم كذلك .

لم تتفكك الأسرة بعد ، فى المجتمعات الاسلامية . ولم يزل الشعور بالمسئولية عن حياة أفرادها فى معيشتهم شعورا جماعيا ، وان كان يبرز الولد الذكر فى حمل أعبائها — بعد الوالد — كوارث لقوامته وسلطته فى الأسرة . والمسئولية المتبادلة فى الأسرة وسلطة الوالدين فيها ، هما مصدرا التعاون ، وقبول النصح والتوجيه فى تحديد مواقف أفرادها ، وفى التزام ما يقومون به من تصرفات . ومن هنا كانت المشورة المتبادلة بين الوالدين والاولاد فى شئون الزواج ، ومباشرة السعى من أجل المعيشة ، وفى الاقامة فى السكن ، وفى كل ما هو أمر رئيسى من شأنه أن يؤثر على وضع حياة الأسرة ككل .

ودين المجتمعات الاسلامية — وهو الاسلام — والتقاليد السليمة القائمة عليه توصى بترابط الاسرة كوحدة أساسية فى بناء المجتمع ، وبرعاية أفرادها بعضهم لبعض : فى المعاملة ، والشورى ، والمعيشة . اذ يقول الله تعالى : **(واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى ..**) .. ويقول : (**وآت ذا القربى حقه**) .. ويجعل العناية بأمر الاسرة فى قوة الترابط بين أفرادها فى مستوى عبادة الله وحده ، وطرح الوثنية المادية .

للدكتور محمد البهي

والتقدم الفني في مصادر الحضارة

والترابط والتضامن فى الاسرة ليس تخلفا فى الانسانية . لان قوة المجتمع تنبثق أولا من قوة العصبية فى الاسرة ، ولان حسن التوجيه عامة فى الامة كذلك هو نتيجة لحسن التوجيه فى الاسرة ذاتها . ولا يمكن أن يكون هناك ترابط قوى فى الاسرة ، ولا حسن توجيه فيها الا اذا كان هناك تبادل فى المشورة والرعاية فيها ، والا اذا كانت هناك مسئولية أسرية تنهض بقوة الترابط وحسن التوجيه .

وحسن التوجيه فى الاسرة المسلمة يقوم على أساس من الاسلام فى مبادئه الاخلاقية والسلوكية . وأهم هذه المبادىء : الايمان بالقيم الروحية . وهى القيم الانسانية العليا .. هى قيم : التعاون ، والتضامن ، والتكافل بين القوى والضعيف ، والثرى ومن ليس بذى ثراء ، والعالم والجاهل ، وسليم البنية وصاحب العجز أو العاهة ، والكبير والصغير ، وصاحب الجاه ومن لا جاه له .. هى القيم الانسانية التى تعلو فوق الانانية ، وتمثل مصلحة الامة بأكملها .. هى القيم التى تبعد عن ارتكاب الفحشاء ، والمنكر ، والبغى .. هى التى تدعو الى صفاء النفوس واضعاف الحقد فيها ، دعوة تؤسس على سلوك ايجابى ، وموقف ايجابى : من المتفوق لسبب من أسباب القوة .. ازاء من هو أضعف فيها .

والاسرة المسلمة المعاصرة لم تزل على ذكر بالايمان ببعض القيم الاسلامية . أى لم تزل تحتفظ ببقايا للروحية الاسلامية فى اتجاهها والتوجيه وان كان صراع الفكر الدخيل قد نال من هذه الروحية ، وينال

منها كل يوم باسم التقدمية مرة ، والحضارة والمدنية مرة اخرى .

ولكن لقوة هذا الصراع الفكرى الدخيل : فى دفعه وتكتل العوامل الاجنبية والمحلية على اقحامه فى المجتمعات الاسلامية من جانب ، ولضعف العرض والتوضيح للقيم الروحية الاسلامية من جانب العارضين والموضحين ، والوقوف بنماذجها عند الماضى وحده من جانب آخر .. لهذا ، وذاك : تخلخلت هذه القيم فى صلاحيتها لحياة الانسان المعاصر .

ولا ترجع قوة الفكر الدخيل فى صراعه ضد مبادىء الروحية الاسلامية ، الى قيمته فى موضوعيته . وانما الى الاغراء فى عرضه ، والى استخدام الوسائل الحضارية الفنية فى شيوعه واذاعته ، كالنقل عن طريق الارسال فى الراديو والتليفزيون ، وعن طريق النشر فى الصحف والدوريات . ثم الى استجابة أصحاب القوى المحلية المختلفة من : فكرية ، واعلامية ، وفنية .. الى الاسهام فى ترويجه بصورة أو بأخرى بأجر مغر ، بجانب العمل على اظهار الروحية الاسلامية ، واظهار الداعين لها أو المنتسبين اليها ، فى مظهر الضعيف الذى لا يقوى على الحياة ، فضلا عن المواجهة لهذا الدخيل .

وأصبحت لذلك الاسرة المسلمة المعاصرة تتأرجح بين متناقضين :

١ — بين فكر أصيل موروث ، يهتز بمزاحمة غيره له ، وهو فكر الروحية الاسلامية وقيمتها .

٢ — وفكر دخيل يطرق أبواب نفوس الشباب فى عنف ، وفى استعلاء القوى ، ومغالطة المسيطر ، وهو الفكر المادى الذى يدعو الى اشباع الذات ، وتفكيك روابط الاسرة ، وسيطرة الانانية ووسائلها فى السلوك من : الوصولية ، والمنفعية ، والانتهازية ، والنفاق ، وانكار القيم الروحية ، والتحلل مما هو دينى وأخلاقى ، بدعاوى شتى ،بجانب العمل على احلال : اللامبالاة محل المسئولية ، والفوضى محل النظام، والتنكر للسلطة فى الاسرة بدل القوامة والتوجيه فيها .

وبين رواسب الروحية الاسلامية وبقاياها فى الاسرة المسلمة المعاصرة ، وطغيان الفكر المادى الدخيل عليها فى الاغراء والتلبيس .. ينشأ الشباب المسلم فى مجتمعاتنا الحاضرة . والشباب المسلم فى مرحلة المراهقة هو تطوره متأرجح بين الطفولة السابقة ومرحلة الرشد اللاحقة . ويتسم مظهر تفكيره وسلوكه بالتردد والانجذاب : الى أدنى فى طفولته مرة ، والى أعلى نحو رشده مرة أخرى . فاذا اضيف الى هذا المظهر فى تطوره — وهو مظهر التأرجح والتردد — عامل التناقض بين تقاليد الاسرة الباقية والجديد الطارىء عليها مما له قوة الاغراء والتلبيس .. فان الشباب الذى يحيط به هذا التناقض يكون اكثر ترددا وتأرجحا ، عن شباب آخر يعيش فى جو أكثر ملاءمة، بعضه لبعض ولو كان جو المادية فى توجيهها وتأثيرها .

واذا كان للتقاليد فى ترسبها فى الاسرة المسلمة المعاصرة أثر فى الشد والجذب ، فان للفكر والتوجيه المادى الانحلالى الطارىء أثر أكثر عنفا وصلابة فى شده وجاذبيته . لانه يتصل برغبات البدن وشهوات النفس وغرائزه . وهى بحكم الجانب الحيوانى فى الانسان تمارس نشاطها مبكرة ، عن ادراك العقل ومصدر الروحية فيه . ومن أجل ذلك

نيط بالتربية تحقيق التوازن بين القوى الغرزية والاخرى النفسية والعقلية فى الانسان . والتربية — ومن أهم عواملها : البيئة وجو التنشئة — لا تحقق غايتها من هذا التوازن الا اذا ساد الانسجام بين عواملها من : الوراثة ، والبيئة ، والمدرسة . فاذا اختل هذا الانسجام على نحو ما هو هنا الآن بسبب التناقض بين ما يسمى بالقديم والجديد ، أو بين رواسب الروحية واتجاه المادية الانحلالية الوافدة .. فان فاعلية التربية تكون ضعيفة أو عديمة الاثر . ويبقى الشباب فى تأرجحه وفى تناقضه. الى أن يتغلب عليه أحد الاتجاهين . وغالبا يتغلب اتجاه المادية الانحلالية. لانه الاقوى — لا بموضوعه — ولكن بدفعه ووسائل الترغيب فيه .

هل سيحول المجتمع الاسلامى المعاصر — أى مجتمع — دون طغيان التوجيه المادى بين أفراده ؟ . على معنى هل سيحول دون تلك الموجة الانحلالية ، والدافعة الى : عدم المسئولية ، واللامبالاة ، والانانية المصاحبة لهذا التوجيه المادى ؟ .

هل سيعيد المجتمع الاسلامى — أى مجتمع اسلامى — النظر فى عرض الروحية الاسلامية ، بحيث تكون أكثر فاعلية وتأثيرا على نفوس الشباب المسلم المعاصر ؟ . على معنى : هل ستجلى مبـــادىء الاسلام فى عرضها لتكون أكثر واقعية فى حلها للمشاكل التى تواجهه ؟ .

أن المجتمعات الاسلامية لم تزل موزعة على نظامى الحكم على أساس من الفكر الغربى وحده . وبذلك لم تتخل بعد عن التبعية للاجنبى ، رغم وثائق الاستقلال وممارسة بعض مظاهره : من الانتقال من شيوع الى آخر : فى نظام حكمه وايديولوجيته . وليس من بين هذه المجتمعات حتى الآن ما راجع الاسلام فى صلاحيته لسياسة المجتمع ، وضـــبط سلوك الافراد فيه ، مراجعة جدية بناءة . حتى ذلك المجتمع فى آسيا الذى أعلن منذ ربع قرن تقريبا بعد جهاد مرير طال أمده : قيامه على أساس : من الفكر الاسلامى وحده .

والمجتمعات الاسلامية المعاصرة هى فى سياستها أقرب الى ترك مقاليد الامور فيها الى **(الصدفة)** و **(ما تأتى به الرياح)** منه الى أن تكون مستندة فيها الى ارادة ومنهج دقيق ، رغم كثرة الحديث فى بعضها عن : **(العزم)** و **(الخطة)** .. وما الى غير ذلك مما يلفت النظر ، دون أن يكون له مدلول فى تغيير مجرى الحياة ، وفى استهداف اســـتقلال يعتمد على مقومات التاريخ والشخصية فى أى منها .

ومعنى : ترك مقاليد الامور فى المجتمع الى الصدفة اكثر منه الى الارادة .. هو أن طغيان الموجة المادية الانحلالية الوافدة سيستمر فى الزيادة ، وأن أجهزة الاعلام المختلفة فيه ستكون اكثر **(قدرية)** من اية أجهزة أخرى فى الدولة كالتعليم مثلا . وبهذا يزداد الضغط على انحسار الروحية الاسلامية ، فلا تستطيع ان تكون عاملا موجها بعد حين آخر من الزمن . ويبقى الشباب المسلم المعاصر فى حيرته . وحيرته هذه لا حدود لها . وليس بغريب عليه بعد ذلك : أن يكون **(فوضـــويا)** وعديم المبالاة والمسئولية ، أو يكون **(ثائرا)** ومخربا وهادما ، دون أن تكون لديه استطاعة وطاقة على البناء والتعمير من أجل مجتمـــع ســـليم .

وينادى كثير من الكتاب والمفكرين فى اصلاح الشباب المســلم

المعاصر .. بالرجوع الى الاسلام . وهذا سليم كمبدأ .

ولكن كيف الرجوع الى الاسلام والقيادة السياسية فى المجتمع تخشى ، أو لا تريد أن ترجع الى الاسلام فى نظام الحكم ؟ .

وكيف الرجوع الى الاسلام والحاملون لريادته يفهمون الاسلام من كتب تكاد صلاحيتها تكون قاصرة عن أن تعالج مشاكل المجتمعات المعاصرة ، وأحداثها ، ومواجهة فلسفاتها ؟ .

وكيف الرجوع الى الاسلام وليس هناك قوة معنوية عامة تحمل على طرق أبواب الاسلام ، وتلزم القيادة السياسية فى المجتمع بالاخذ بمبادئه فى التوجيه والسلوك ، كما تلزمها بخلق جيل يفهم الاسلام من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة ، قبل التعرف عليه من كتب وضعت لعهود انتهت مشاكلها واوضاعها ؟ .

ان القابلية للتبعية السياسية فى شعوب المجتمعات الاسلامية ما زالت ظاهرة واضحة فيها ، رغم وثائق الاستقلال السياسى لها . وان القابلية للتبعية الفكرية فيها تكاد تكون أمرا محببا ، وليس أصلا فقط من أصول مجرى الحياة فيها . وهذه القابلية للتبعية الفكرية ليست فقط لذلك الجيل الذى تخرج **(علمانيا) فى** مدارس الحكومات النظامية فى هذه المجتمعات . وانما فريق كبير من المثقفين ثقافة اسلامية تقليدية ومن الذين كانوا يحفظون القرآن يوما ما .. ينافس جيل العلمانية فى التودد الى الفكر الدخيل ، ويحرص على الانتساب اليه ، قبل الانتساب الى تلك الثقافة الاسلامية التى درسها أولا .

والقابلية للتبعية السياسية والفكرية فى أى مجتمع من شأنها أن تحول دون تحول المجتمع فى يسر الى **(الأصالة)** التى يريد أن يلتزمها فى : منهج التفكير ، والعمل السياسى معا .

ولكن ليس معنى ذلك : اليأس من اصلاح الشباب المسلم المعاصر على أساس من توجيه الاسلام ومبادئه . وانما هناك دون تحقيق ذلك صعوبات عديدة ، ان لم تتيسر دعوة مؤمنة رائدة ، يتهيأ لها من وسائل النشر والاعلام ، بالاضافة الى عرض قوى للاسلام : فى حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة .. ما يجعلها تأخذ طريقها فى قوة الى نفوس الشباب فى هذا الجيل الحاضر . ولا بديل عن الاسلام فى الحفاظ على استقلال هذه المجتمعات . وأى بديل الآن يظن أنه كاف فى سياسة الحكم والتوجيه فيها ، هو على سبيل القطع والتأكيد بداية لتبعية .. تنتهى حتما الى ذوبان لشخصيات هذه المجتمعات ، والى ضياع مقوماتها وهى : الخصوبة فى النسل ، ويسر الاعتقاد وهو الالتفاف حول : لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، بدون وساطة وسيط ، أو سيادة حكم أو عصابة ، وتكامل اقتصادى قل أن يكون فى غير أرض المسلمين.

ان المجتمعات الاسلامية المعاصرة مهددة بخطر الضياع : فى استقلالها ، وفى ايمانها ، وفى اقتصادها . وان الشباب المسلم هو فى حيرة الآن ، ومهدد بالانتقال من هذه الحيرة الى تبعية فكرية وسياسية ، لا خلاص له منها . والمسئولون عن هذه المجتمعات يعيشون فى تصورات هى أقرب الى الاحلام التى مبعثها : اللاشعور فى الانسان .

اللهم اليك الأمر وحدك .

من أحاديث الشباب

في السنة النبوية

كان شباب من الأنصار سبعين رجلا يقال لهم القراء قال : كانوا يكونون فى المسجد فاذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلــون يحسب أهلوهم أنهم فى المسجد ويحسب أهل المسجد أنهم فى أهليهم حتى اذا كانوا فى وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب فجاءوا به فأسندوه الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم جميعا فأصيبوا يوم بئر معونة فدعا النبى صلى الله عليه وسلم على قتلتهم خمسة عشر يوما فى صلاة الغداة ..

ــ مسند أحمد ــ

عن على قال : تقدم ــ يعنى عقبة بن ربيعة ــ وتبعه ابنه وأخوه ، فنادى ، من يبارز ؟ فانتدب لى شباب من الأنصار ، فقال : مــن أنتم ، فأخبروه ، فقال : لا حاجة لنا فيكم ، انما أردنا بنى عمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قم يا حمزة ، قم يا على ، قم يا عبيدة بن الحارث » فأقبل حمزة الى عتبة ، وأقبلت الى شيبة ، وأختلف بين عبيدة والوليد ضربتان ، فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، ثم ملنا على الوليد ، فقتلنــاه واحتملنا عبيدة .

مسند ابن ماجة

عن عبد الله بن عمرو قال : جمعت القرآن فقرأته كله فى ليلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تمل ، فاقرأه فى شهر ، فقلت : دعنى استمتع من قوتى وشبابى » . قال : « فاقرأه فى عشرة » قلت : دعنى استمتع من قوتى وشبابى ، قال : فاقرأه فى سبع « قلت : دعنى أستمتع من قوتى وشبابى فأبى » .
مسند ابن ماجة

سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل : وشاب نشأ فى عبادة ربه : ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله . ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

البخارى

ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب ، وهو فى الموت . فقال : (كيف تجدك ؟) قال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يجتمعان فى قلب عبد ، فى مثل هذا الموطن ، الا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف)) .

مسند ابن ماجة

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيما عمل ..

الترمذى

لا يزال قلب الكبير شابا فى اثنتين : فى حب الدنيا ، وطول الأمل . قال ليث عن يونس وابن وهب .

البخارى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه .

الترمذى

ان الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة .

عن أبى سعيد الخدرى قال جاءت امرأة صفوان بن المعطل الى النبى صلى الله عليه وسلم ونحن عنده فقالت يا رسول الله ان زوجى صفوان ابن المعطل يضربنى اذا صليت ويفطرنى اذا صمت ولا يصلى صلاة الفجر حتى تطلع الشمس قال وصفوان عنده قال فسأله عما قالت فقال يا رسول الله ، اما قولها يضربنى اذا صليت فانها تقرأ سورتين فقد نهيتها عنها قال فقال لو كانت سورة واحدة لكفت الناس واما قولها يفطرنى فانها تصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لا تصومن امرأة الا باذن زوجها قال واما قولها بانى لا أصلى حتى تطلع الشمس فانا أهل بيت قد عرف لنا ذاك لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس قال فاذا استيقظت فصل .

مسند أحمد

عن أبى امامة قال : ان فتى شابا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ائذنى بالزنا فأقبل عليه القوم فزجروه وقالوا مه مه .. فقال أدن فدنا منه قريبا قال فجلس قال أتحبه لأمك قال لا والله جعلنى فداءك قال ولا النـــاس يحبونه لأمهاتهم قال أفتحبـــه لابنتك قال لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال أتحبه لأختك قال لا والله جعلنى الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لاخواتهم قال أفتحبه لعمتك قال لا والله جعلنى الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال أفتحبه لخالتك قال لا والله جعلنى الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يديه عليه وقال اللهم أغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شىء .. مسند أحمد

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

فى حديث على بن أبى طالب فى سياق حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال استفتته جارية شابة من خثعم فقالت : ان أبى شيخ كبير قد أدركته فريضة الله فى الحج . أفيجزى . أن أحج عنه ؟ قـــال : ((حجى عن أبيك)) .

قال ولوى عنق الفضل . فقال العباس : يا رسول الله (لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال ((رأيت شابا وشابة ، فلم آمن الشيطان عليهما)) .

مسند أحمد

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن على رضى الله عنه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال : يا على هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين . مسند أحمد

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه .. مسلم

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((أهل الجنة شباب جرد ، مرد كحل ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم)) .

سنن الدارمى

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن عبد الله بن مسعود ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء .

متفق عليه .

مشكلات تخلق في

الحاجة إلى منهاج واضح لا يقع

قد يصف الطبيب للعليل داءه ثم يسمى له دواء لا يظفر به لقلة ذات يده ، أو لأن الدولة لا تستورده غير أن ذلك لا ينبغى أن يكون مانعا من تشخيص الداء وتسمية الدواء .

ومشاكل الشباب اليوم كثيرة متشعبة ، ولعل الانسانية منذ برأها الخالق تعالى وعز ، لم تشهد من مشاكل الشباب ، ومتاعبه ، والمتاعب به ، ما تشهده اليوم فى كل أنحاء الدنيا وسائر جوانب الارض ، لا نستثنى من ذلك بلدا ولا قطرا ولا عالما ، فالمادية الغربية والدائرون فى مدارها والمادية الشرقية والدائرون فى مدارها أيضا ، كلاهما حائر أبلغ الحيرة حيال الشباب ومشاكل الشباب ، وشقاء الشباب ، والشقاء بالشباب ، ومعنى ذلك أن المشكلة عامة ، وأن الشقاء بها شامل فهل يعنى ذلك أن علاجها لا بد أن يكون من العموم والشمول على مثل عموم المشكلة وشمولها فيدعى لها مؤتمر عالمى يحضره ممثلون من جميع أنحاء العالم على اختلاف المذاهب والملل والنحل لكى يبحث ويشخص الداء ، ويصف الدواء ؟

ذلك هو ما يقتضيه المنطق ويتلاءم مع هذه المقدمات ، ولكن المنطق فى دنيانا هذه لم يعد هو الحاكم الفارد بالقدرة على أخضاع الناس ،

للشيخ أحمد حسن الباقوري

الشباب المشكلات

بالشباب في حرج ، وقدوة تلتزم هذا المنهاج التزاما كا

فالناس اليوم ــ كما كانوا وكما سيكونون ــ هم أسارى مطامع وليسوا أسارى مبادىء ..

واذن فلا بد أن يحل كل شعب مشاكله وحده ، أو أن تحل كل شعوب تجمعها عقيدة واحدة وتاريخ واحد مشاكلها على ضوء من مبادئها وعقائدها وتاريخها ..

فالشباب فى عالم الشيوعية الشرقية لا يمكن حل مشاكله الا على أصول من الفلسفة التى قامت عليها المذاهب الشيوعية ، وكذلك الشباب فى العالم الرأسمالى الغربى ، لا يمكن حل مشاكله الا على أصول من الفلسفة التى قامت عليها المذاهب الرأسمالية الغربية ، والشباب البوذى فى الشرق الأقصى له أيضا مشاكله ، وليس من المستطاع حل مشاكله الا على أصول من فلسفاته القديمة التى قامت عليها مذاهبه ودياناته .. وليس فى وسع هذه المقالة أن تستبدل بهذا الاجمال فى هذا المقام تفصيلا أو شرحا يقصر أو يطول ، فحسبنا من ذلك هذه اللمحات الدالة ، والاشارات الرائدة ..

واذا كان لا بد فى هذا المقام من تفصيل ، فان ذلك لا يمكن الا أن

يكون موصولا بشباب أمتنا العربية الاسلامية على ما فى ذلك من دقة المسلك وشدة الغرر وكثرة العقبات ، فان من الصعوبة بمكان مكين أن تجد السبيل ذلولا الى تربية الشباب تربية راضية مرضية تشده الى مجادة العروبة وأدب الاسلام ، ذلك أن الكتاب الذى نقرؤه ، والقلم الذى نشهده ، والأندية التى نغشاها هى نفسها مشاكل تخلق فى الشباب المشاكل ، وليس فى الوسع أن نحرم على شبابنا موارد الثقافة العقلية والعاطفية وأن نحرمه من متع الحياة لنرده الى وراء قرونا طويلة لكى يعيش كما كان يعيش أسلافه ، لأن هناك فروقا لا سبيل الى جحودها بين حياتنا أمس وحياتنا اليوم ، والذين يرون غير هذا الذى نرى ، يذهبون — فيما نظن — مذاهب تسلمهم بلا ريب الى متائه بلا حدود ومجاهل بلا أعلام ..

ان الضغوط المادية التى يعيش فيها شبابنا اليوم ضغوط لا يسلم من شرها الا أولو العزائم الصارمة وكل الذى نطمع فيه ويطمع فيه المنصفون هو أن نرد شباب أمتنا الاسلامية الى أن يعرف حقيقة أمته بما تنطوى عليه من أمجاد لا يجحدها عدو ، ولا يجهلها ولى ، وهذه المعرفة وحدها قادرة قدرة كاملة على أن ترد عنه عوادى الفناء فى شرق أو غرب ، لأن الذى له أصل يعتزى اليه ويعتز به لا يسهل عليه أن ينسى أصله العريق ليعيش مسودا لسيد أو تابعا لمتبوع ، وانما يحرص أشد الحرص وأبلغه على أن يصون تراثه وأن يعتز بنفسه فردا يمثل أمته بأخلاقها العظيمة ومفاخرها الجليلة .

ان تربية الشباب فى كل عصر ، وفى كل أفق تحتاج الى منهاج وقدوة ومن شرط المنهاج أن يكون واضحا لا يقع بالناس فى الحرج الذى تأباه النفوس وتنفر منه الطباع ، والله لا يكلف نفسا الا وسعها والله لم يجعل على المسلمين من حرج فاذا كان لهذا المنهاج أن يوضع على أصول سليمة ، وأن يلتزمه فى تربية شبابنا المثقفون من الأساتذة والمدرسين والقصاص والكتاب والمشرفين على الاعلام عامة ، فان ذلك أحد الأصلين اللذين لا بد منهما فى تربية الشباب « أعنى القدرة والمنهاج » وفى هذا الصدد لا بد لى أن أشير الى أننا أمة توزعنا الثقافات المختلفة فمنا من تعلم فى فرنسا أو فى انجلترا أو فى أمريكا أو فى المانيا أو فى ايطاليا أو فى روسيا وكل هؤلاء يعتزون بالثقافة التى تلقوها وانفعلوا بها وتأثروا بها وأقاموا جوانب من حياتهم عليها . وربما بلغت بهم المطامع امادا بعيدة فى الاعتزاز بالشعوب صاحبة هذه الثقافات ، وكان من نتيجة هذا الغزو الفكرى الخطير **أننا أصبحنا أمما فى أمة وشعوبا فى شعب** ، ولهذا ينبغى أن نسعى الى أصل نجتمع عليه وندير ثقافاتنا من حوله فى غير تعصب مقيت ولاتزمت مميت ، وعن هذا تنشأ بيننا فى مختلف شعوب أمتنا الاسلامية وحدة فكر لا تنتقصها الأهواء ولا تتربص بها الشهوات ، وعن

هذه الطريق فقط يقوم الأصل الأول ممثلا فى منهاج واضح المعالم كريم الغاية .

ويبقى بعد ذلك القدوة التى تلتزم هذا المنهاج التزاما كاملا وتؤمن به ايمانا عميقا فلا تخرج عليه ولا تتنكر له بل لا تسمح بالتنكر لــه أو الخروج عليه ، فان القدوة فى تاريخ الشعوب والأمم هى الأصل الذى لا غنى عنه ، ولا يغنى المنهاج عن القدوة وربما أغنت القدوة عن المنهاج فان القرآن هو منهاج الأمة الاسلامية ودستور حياتها ، والقائم عــلى توجيهها وأرشادها ، ثم هو فى يد عبد الملك بن مروان هو نفسه فى يد عمر بن عبد العزيز ومع ذلك فالمجتمع الاسلامى فى سلطان عبد الملك غير المجتمع الاسلامى فى سلطان عمر بن عبد العزيز . فهنا عدل أمن فى ظله الخائفون وهناك هوى خاف فى ظله الآمنون . .

وليس لذلك سبب مع وحدة المنهاج فى العهدين سوى القدوة بين الخليفتين ، وهكذا يستبين أثر القدوة لمن يرتادها فى جميع مجتمعات الاسلام ويستبين معها أن القدوة بلا منهاج أنفع للمجتمع وأقدر على تحصيل الخير من المنهاج بغير قدوة . وصدق الله العظيم حيث يقول « لقد كان لــكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . »

وحيث يأمر من طريق التأنيب عباده المؤمنين بأن يقولوا للناس بعد أن يقولوا لأنفسهم ، ويأمروا الناس بعد أن يأمروا أنفسهم فذلك حيث يقول جل ثناؤه « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلوا » ، فالحاصل أن ها هنا ثلاث مراتب ، أعلاها أن تجتمع القدوة والمنهاج ، وأنزل منها درجة أن توجد القدوة بلا منهــاج ، وأحط المراتب أن يوجد منهاج بلا قدوة فتلك هى الطامة الكبرى ، والبلاء العظيم ، والمسلمون فى تاريخهم الطويل لم يقع بهم شر يهز مجتمعهم ، ويزلزل كيانهم الا من منافقة بعضهم بعضا ، وقولهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، ودعوتهم الناس الى ما لا يدعون اليه أنفسهم ، فبهذا انحلت عرى موداتهم وضاعت الثقة بينهم ، وأصبح الكلام وحده هو الغاية المنشودة لعامتهم وخاصتهم فقامت به الحجة عليهم أكثر مما قامت لهم وتضرروا بما به أكثر مما انتفعوا ولهذا كان لا بد من القدوة تتمثل للشعوب فى حكامها وللطلبة فى المدرسين وللمصلين فى أئمة المنابر ولقراء الصحف والمجلات فى كتابها والمشرفين عليها والقائمين بشئونها ، فتلك وحدها هى السبيل الى الاصلاح فى كــل مجالات الحياة سواء فى ذلك ما يتعلق بالشباب والشيوخ وما يتعلق بالحاكم والمحكوم ، وما يتعلق بالعامة والخاصة فذلك يفعل الناس فى كل المجتمعات على اختلاف المذاهب والديانات ، وكذلك يأمر الله وينظر المؤمنون .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

التربية المثالية

تجارب عملية في تربية الأطفال وتوجيه الشباب

سألنى صحفى قبل أيام : « هل تعانى مشاكل من تصرفات أولادك ؟ » فأجبته : « مشاكل ! ولماذا أعانى المشاكل منهم ؟ » .

واستغرب الصحفى من جوابى ، وسرد على ما يعانيه الأبوان من تصرفات أولادهم ، وقص على أمثلة من تمرد النشء الجديد على أبويهم . ثم ذكر أن السيطرة على المراهقين والمراهقات بخاصة والشباب والشابات بعامة صعبة جدا ، وأن الوالدين فقدا السيطرة على ذريتهما من الجيل الجديد ! .

ولم أكن بحاجة الى سرد الأمثلة وقص القصص وضرب الأمثال ، لأننى أعرف ما يعرف وأسمع ما يسمع وأرى ما يرى . ولكننى اختلفت معه فى شيء واحد ، فقد صب اللوم كله على الأولاد ، وزعم أن الأبوين لا يستطيعان أن يفعلا شيئا لاستعادة سيطرتهما على أولادهما . أما أنا فصببت اللوم كله على الأبوين ، وذكرت له كيف يستطيع الأبوان فرض سيطرتهما على أولادهما بسهولة ويسر ولمصلحة الأولاد بالدرجة الأولى ومصلحة الأسرة بالدرجة الثانية .

ولم أصب اللوم كله على الأبوين عبثا ، فقد درست حالات كثيرة عن علاقة الاولاد بالأبوين ، فوجدت أن الوالدين يجنيان غرس أيديهما ، فلو أحسنا لأحسن أولادهما ، ولكنهما أساءا التربية أو قصرا فيها أو أهملاها اعتمادا على غيرهما من الناس أو المدارس ، فكانت النتيجة وبالا عليهما وعلى أولادهما على حد سواء .

وسأتحدث فى هذا المقال عن تجاربى العملية فى تربية الأطفال وتوجيه

اللواء محمود شيت خطاب

الشباب ، مستمدا هذه التجارب من تربيتى الأولى حين كنت طفلا ثم ترعرعت فأصبحت شابا ، ومن أسلوب تربية أولادى ضمن نطاق أسرتى ، ومن توجيه الشباب فى الجيش حين كنت أعمل فيه .

تلك ثلاثة مصادر لتجاربى العملية فى التربية : الأولى متعلما من الذين سهروا الليالى الطوال على تربيتى فى البيت والمدرسة والكلية ، والتى كان من ثمراتها أن أصبح كما يعرف الناس متمسكا بدينى ، مدافعا عن عقيدتى ، محبا للعلم ، مقدرا للعلماء ، مطيعا لوالدى الى أبعد الحدود .

والثانية معلما فى مجالين : مجال عائلتى الصغيرة التى هى أسرتى . ومجال عائلتى الكبيرة ، التى هى الجيش وكان من ثمراتها تربية أطفالى ليطيعوا نتيجة للاقتناع لا للقسر وللثقة لا للخوف .

والثالثة معلما أيضا فى الجيش ، لأن من جملة واجبات الضباط القاء المحاضرات الثقافية والتهذيبية والعسكرية ، وتربية الجنود وضباط الصف تربية سليمة ليكونوا عناصر مفيدة فى الجيش وفى الحياة المدنية على حد سواء .

وكم أتمنى أن يقرأ هذا المقال كل عربى من المحيط الى الخليج ، وكل مسلم من المحيط الى المحيط ، ويتدبر معانيه ، ليعمل به مستفيدا من تجاربى العملية وخبرتى الطويلة ، اذا اقتنع بها اقتناعا كاملا ، فاذا لم يقتنع فيسرنى أن يبدى رأيه لأستفيد ويستفيد غيرى من تجاربه . المهم أن نجد الطريق السوى فنسلكه جميعا ، لننقذ أطفالنا وشبابنا من الضياع ، اذ لست متفائلا ولا أظن غيرى من الذين يحرصون على حاضر الشعب العربى والأمة الاسلامية ومستقبلها متفائلا ، وهو يرى أبناءنا وبناتنا يبتعدون بسرعة مذهلة عن تعاليم الدين الحنيف والمثل العليا ، وينحدرون

بسرعة خاطفة الى مهاوى الانحلال والتفسخ ، حتى أصبح التماسك العائلى مهددا بالزوال ، وأصبح الرباط بين أفراد العائلة رباطا مصلحيا والمفروض أن يكون رباط مودة ورحمة ورحم .

ومن الصدف أن أشاهد ندوة فى الاذاعة المرئية ، طالب فيها قسم من النساء بحقوقهن ، وزعمن أنهن مظلومات بالنسبة للرجال ، وأنهن يـــردن المساواة الكاملة بالرجل . وكنت قبل أن أشاهد هذه الندوة أعتقـــد أن المساواة التى تطالب بها النساء تقتصر على حقوق التعلم وتسنم المناصـــب الحكومية وممارسة الأعمال الحرة والمهن التى يمارسها الرجال ، ولكننى بعد مشاهدة هذه الندوة فهمت معنى المساواة ، فقد قالت احدى المشاركات فى الندوة : « لماذا يسمح لأخى بالخروج من الدار فى أى وقت ولأية جهة دون رقيب أو حساب ولا يسمح لى ؟ » ثم قالت : « لماذا لا يحاسب أخى حين يمكث حتى الهزيع الأخير من الليل خارج الدار وأحاسب أنا ؟ ما هو الفرق بينى وبين أخى حتى أحاسب ولا يحاسب ؟! »

حينذاك فقط فهمت معنى المساواة على حقيقتهـــا ، وفهمت معنـــى شعار : حرية المرأة ، التى دأبن ودأب قسم من أشباه الرجال على ترديده بمناسبة وبدون مناسبة .

وهكذا تكون المساواة ، وهذه تكون الحرية ، والا فلا !

ان محاسبة الأبوين للأولاد على تصرفاتهم الخاطئة ضرورى للغاية . والأبوان اللذان لا يحاسبان الذكور على تصرفاتهم الشاذة ، يفسحان المجال للأناث بالمطالبة بمثل هذه المساواة وهذه الحرية .

وليس من مصلحة الذكور والأناث السهر خارج الدار الى وقـــت متأخر من الليل فى أماكن مشبوهة أو مع رفاق السوء ، فلا بد من وضـــع الأمور فى نصابها ، والا فالأبوان مقصران فى صميم واجباتهما الأبوية .

— ٢ —

واذا كانت التربية السليمة التى تؤدى الى **« بناء الرجال والنساء »** ضرورية لكل مجتمع فى كل زمان ومكان ، فان هذه التربية السليمة أصبحت قضية حياة أو موت بالنسبة للعرب والمسلمين فى هذا الوقت بالذات ، لأن اشاعة الانحلال الخلقى والفساد والترف والابتعاد عن تعاليم الدين الحنيف لا يخدم أحدا كما يخدم اسرائيل وأعداء العرب والمسلمين ، اذ أن الملـــوث جنسيا أو الملوث جيبيا لا يمكن أن يقاتل كما يقاتل الرجال .

فكيف نربى الأطفال ، وكيف نوجه الشباب ؟

وأبادر الى ابراز أهمية « المثال الشخصى » فى التربية والتوجيه . فاذا كان المربى أو الموجه مستقيما : يطبق ما يأمر به غيره على نفسه أولا ، ويلتزم بما يقوله التزاما صارما ، ويفعل ما يقوله فانه ينجح فى تربيتـــه وتوجيهه نجاحا باهرا ، ويطبع أطفاله فى البيت وتلامذته فى المدرســـة وطلابه فى الجامعة بطابعه المتميز ويكون قدوة حسنة لهم يقتدون به ويقتفون آثاره ويسيرون على هديه ، ويكون مثلا أعلى لهـــم فى حياتهم الخاصـــة والعامة .

مثل هذا المربى أو الموجه ، **يبنى الرجال والنساء** ، ويفيد دينه وأمته ووطنه ، وترتفع على أكتافه صروح الحاضر والمستقبل على هدى وبصيرة .

أما اذا كان المربى أو الموجه منحرفا ، لا يطبق ما يأمر به غيره على نفسه أولا ، ولا يلتزم بما يقوله التزاما كاملا ، ويقول ما لا يفعل ، فانه يخفق فى تربيته وتوجيهه ! اخفاقا تاما ، ويطبع أطفاله فى البيت وتلامذته فى المدرسة وطلابه فى الجامعة بطابعه المنحرف ، ويكون قدوة سيئة لهم يقتدون به فى النفاق ، ويقتفون آثاره فى التلون ، ويسيرون على نهجه فى التذبذب ، ويكون مثلا أدنى لهم فى حياتهم الخاصة والعامة .

مثل هذا المربى أو الموجه ، يحطم الرجال والنساء ، ويضر بدينه وأمته ووطنه ، وتنهار على يديه أعمدة الحاضر والمستقبل ، وتحل به وبأمثاله الكارثة على المصلحة العليا للبلاد .

ان واحدا من المربين أو الموجهين ، يعمل بما يقول : أكثر نفعا وأعظم تأثيرا فى الأطفال والشباب من آلاف المربين أو الموجهين الذين يقولون ما لا يفعلون ، ولو كانوا من أبلغ الناس خطابا وبيانا ، اذ أن الكلام الذى لا يصبح عملا فى نفس صاحبه يبقى كلاما ولا يصبح عملا فى نفوس الآخرين .

وشتان بين الأقوال والأعمال .

— ٣ —

وأبادر أيضا الى ابراز أهمية تطبيق تعاليم الدين الحنيف فى التربية والتوجيه ، وأن يكون المربى أو الموجه متمسكا بهذه التعاليم ، ليكون قدوة حسنة لأطفاله وتلاميذه وطلابه وجنوده وموظفيه وفلاحيه وعماله ، كل حسب واجبه ونطاق عمله : رب أسرة ، أو معلما أو مدرسا أو أستاذا أو ضابطا أو رئيسا فى دائرة حكومية أو مزرعة أو مصنع .. الخ ..

ان الدين الاسلامى بالاضافة الى تعاليمه فى العبادات ، منهج للحياة وطريق للعمل الصالح وسبيل الى الخير ، يتضمن تعاليم مفصلة تتصل بالعلاقات الفردية والجماعية ، والمعاملات بين الناس ، وهى تعاليم أخلاقية سامية يأمر بالعفة والحياء والأمانة والصدق والاستقامة ، والكرم والسخاء والصبر ، والشجاعة والاقدام والتقوى ، والقناعة والاجتهاد فى العمل والاتقان فيه ، والطهارة والنظافة والعدل ، والاحسان والمروؤة والعفو ، والرحمة والشفقة وايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدين المعاملة » ، وصدق عليه أفضل الصلاة والسلام : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

هذا الدين العظيم ، يأمر بالأدب والرقة ، والتودد فى معاملة الناس ، والتوسط فى ازالة الخلافات بين الأفراد والجماعات ، والطاعة لأولى الأمر ما أطاعوا الله ، واحترام الوالدين ، وينهى عن سوء الظن والغيبة والتجسس والنفاق ، والتولى يوم الزحف والفحشاء والمنكر ، والبغى ، وشرب الخمر ولعب الميسر ، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .. الخ ..

ولو مضيت فى تعداد ما أمر به الاسلام من مكارم الأخلاق وما ينهى عنه من الرذائل ، لطال بى السرد ولخرجت عن صلب الموضوع .

فاذا كان الأبوان يطبقان هذه التعاليم الأخلاقية الرائعة ، فانهما بدون شك يهيآن المناخ المناسب لتربية أطفالهما تربية سليمة صالحة موفقة .

وما يقال عن الأبوين ، يقال عن المعلم والمدرس والأستاذ والضابط والمسئولين فى الدوائر الحكومية والمصانع والمزارع والنوادى والمساجد والمصالح الخاصة والعامة .

أما اذا كان الأبوان بواد ، وتعاليم الدين الحنيف بواد آخر ، وكان المسئولون عن توجيه الشباب والناس عامة كذلك ، فانهم لا يؤدون واجباتهم كما ينبغى فى التربية والتوجيه ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه ، وواقعنا المرير خير دليل على ما أقول .

وصدق امام المربين وسيد الموجهين رسول الرحمة ونبى الأمة عليه أفضل الصلاة والسلام : « من خاف على عقبه وعقب عقبه ، فليتق الله » .

— ٤ —

ان الآباء والأمهات الذين يريدون أن يفرضوا سيطرتهم على أولادهم بعد أن شبوا عن الطوق ، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء تربيتهم تربية صالحة منذ أيام الطفولة ، يخفقون فى فرض سيطرتهم كل الاخفاق ، كما نلمس ونسمع ونشاهد اليوم ، حيث أصبحت السيطرة التامة بيد الأولاد على الأبوين لا بيد الأبوين على الأولاد ، مما أدى الى تصدع بناء الأسرة وحلول الكوارث الاخلاقية ، وأرخاء العنان للأولاد طوعا أو كرها .

ان ولد اليوم هو رجل المستقبل ، فيجب أن يكون الهدف من تربيته هو بناء المثل العليا فى نفسه لتكون طبيعة فيه ، حتى يتسنى له عندما يحين الوقت المناسب أن يؤثر فى الآخرين الى ما فيه الخير .

وهناك أمر يجب ألا نخطىء فيه ، وهو أن غرس أسس المثل العليا فى الطفل ، يجب أن يتم فى البيت ، وأن التربية الأساسية يجب أن تبدأ هناك . هذه التربية هى التى تؤثر فى الطفل وتوجهه طيلة حياته ، إما الى الخير واما الى الشر . وعلى أسس التربية السليمة التى تقام فى البيت ، سيبنى المعلم تربية الولد عندما يلتحق بالمدرسة ، فان لم تكن تلك الأسس قد غرست فى البيت من الأبوين فى الطفل ، فلا يستطيع المعلم أو أى شخص آخر أن يفعل شيئا فى تنمية التربية السليمة .

وما نسمعه اليوم عن « انحراف الأحداث » و « آثام الأحداث » ، سببه الرئيسى بدون شك هو اهمال الأبوين فى تربية الطفل .

وتجربتى العملية تحملنى على الاعتقاد بأن أسس التربية السليمة يجب أن تغرس فى الطفل من أول شعوره بالحياة وابتداء فهمه لما يجرى حوله من أعمال يتساءل عنها تارة ويقلدها تارة أخرى . وبصورة عامة ، تبدأ تربية الطفل عندما يصبح فى الثالثة من عمره ، فيرى والده يصلى مثلا فيسأله : ماذا تصنع ؟! فيقول الوالد : هذه صلاة لله . فيسأل الطفل : ومن هو الله ؟ فيقول الوالد : الذى خلقنا والذى يرزقنا ، والذى يوفقنا فى الحياة . .

وبأسلوب بسيط يجرى افهام الطفل عما يتساءل عنه ، وحينذاك سيصلى الطفل بدون متطلبات الصلاة وبأى شكل ، ولكنه بالتدريج يتعلم

ما ينبغى أن يفعل فى الصلاة ، فيكون من واجب الوالد تشجيعه ماديـــا ومعنويا ، فلا يبلغ السابعة من عمره الا ويكون قد أتقن اقامة الصلاة ، تلك الصلاة التى بدأ فى اقامتها تطبعا وتقليدا ، وبمرور الوقت أصبحت فيه طبعا وعقيدة .

وما يقال عن الصلاة ، يقال عن غيرها من أعمال البر والخير .

ان الطفل يجب أن يربى تربية تجعله يميز بين الخطأ والصــواب ، ويتحلى بالصدق والاستقامة وحب الخير .

ولعل تعليمه الصلاة ، والصلاة عمود الدين ، بداية مباركة تعلمـــه بالتدريج كل خصال الفضيلة ، وكل فضائل الخصال .

ومن المناسب فى أيام الجمع والأعياد ، مرافقة الطفل الى المساجد للصلاة ، حتى يتعود ارتياد المساجد ، وحتى يتشرب بــروح المسجــد .
وسيجد الطفل فى ارتياد المساجد نوعا من التسلية فى بداية الأمر ، حتى اذا كبر أصبح ارتيادها محببا الى نفسه ، يجد فيها راحة وسلوى واطمئنانا وأمنا .

وللمسجد فوائد للطفل والشاب ولغيرهما أيضا ، من هذه الفوائد أن يتعرف الطفل أو الشاب بأصدقاء طيبين أخيار ، يفيدون ولا يضرون ، ويبنون ولا يهدمون .

— ٥ —

ويسير الطفل الى جانب والده فى الطريق ، فيجدان فقيرا أو محتاجا يسأل الناس ويطلب المساعدة ، فيعطى الوالد شيئا من المال لولده ، ويأمره أن يقدم الما للفقير أو المحتاج . ويسأل الطفل أباه : لماذا ؟ فيقول : لا بد أن نساعد الفقراء والمحتاجين ، حتى لا يبقى أولادهم بدون طعام ولا ثياب . ثم يذكر الأب لطفله فوائد الصدقة ، وأن الله يبارك فى أموال المتصدقين ويدفع عنهم الضر والعوز .

واذا طرق فقير أو محتاج باب الدار ، فان الأبوين يقدمان للطفل نقودا ليقدمها بدوره الى الفقير أو المحتاج ، ويعود الى أبويه فرحا مستبشرا .
وبمرور الزمن ، يتعود الطفل مساعدة من يحتاج الى المساعدة من مالــه الشخصى ويجد راحة نفسية لذلك .

وعلى المائدة يبدأ تناول الطعام باسم الله ، ويكرر ذلك على مسمع من الطفل ، حتى يتعلم الطفل ما يسمعه ، ويردد ما يردده أبــوه وأمه .

فاذا طرق الباب ضيف أو فقير ، بادر الأب الــى الترحيب بالضيــف ودعوته الى تناول الطعام ، وتقديم كمية من الطعام الى الفقير .

من ذكريات الطفولة ، التى لا أنساها ، أن جدتى لوالدى آثرت أن تبقى جائعة لتقدم طعامها الى ضيف قدم على غير ميعاد .

ومن ذكرياتى عنها أنها قدمت طعامها الذى كانت تتناوله الى فقير طرق الباب ، وهى تقول فرحة مستبشرة : « سهمى فى الجنة » .

وجاءها مرة فقير ، فلم تجد ما تقدمه لــه ، فخلعت ثوبها وكسته ، به وحين عادت الى غرفتها لترتدى ثوبا آخر ، كانت مسرورة بعملها سرورا لا يوصــف .

وكانت تردد كلما أكملت تنـاول الطعام : « اللهم أطعمنى ، فاطعم كل فقير » .

تلك ذكريات قليلة مما كانت تفعله ، أثرت فى نفسى فى حينه ولا تزال تؤثر فى نفسى حتى اليوم .

ولكننى لم أكن أدرى يومها ، أنها كانت تفعل ما تفعل ، بالاضافة الى ما كانت ترجوه من أجر وثواب من الله ، انها كانت تلقننى دروسا عمليـة فى التربية ، مكتفية بالتطبيق العملى حينا ، ومفسرة موضحة بالكلام البسيط بعض ما كان يخفى على من معان حينذاك .

والواقع أن هذه الجدة الأمية ، أثرت فى تربيتى بورعها وتقواها ، ما لم يؤثره فى كبار العلماء من القدماء فى مؤلفاتهم ومن المحدثين فى تماسهم الشخصى بى تلميذا وطالبا وزميلا .

ومرة ثانية . فان المثال الشخصى له أعظم الأثر فى التربية ، لأنـه عمل يصبح فى النفوس عملا ، وليس كلاما لا يلبث أن يتلاشى .

— ٦ —

واذا كان الأبوان هما المثال الشخصى لأولادهما : يقلدهما الطفل حتى يعقل ، فاذا عقل أصبحا أسوة حسنة له ، يقتفى آثارهما ، ويسـلك سلوكهما ، ويرى ما يفعلانه حسنا فى نظره ورأيه ، فان المعلم والمدرس فى المدرسة ، والأستاذ والمؤلف فى الجامعة ، وضابط الصف والضابط فى الجيش ، والرئيس المباشر فى العمل ، والشيخ فى الطرق الصوفية ، هم المثال الشخصى الذى يؤثرون فى التلميذ والطالب والجندى والعامـل والفلاح والصوفى .. الخ ..

والأمة التى تريد أن تربى شبابها تربية مثالية ، عليها أن تعد المعلـم والضابط أعدادا مثاليا ، فهما رأس كل خير ، كما أنهما رأس كل بلاء أيضا .

انهما رأس كل خير ، اذا أحسنا فى اداء واجبهما ، وهما رأس كل بلاء اذا أساءا .

وقد كان وراء كل عظيم أب عظيم أو أم عظيمة أو أبوان عظيمان ربياه تربية صالحة ، أو كان وراء هذا العظيم معلم عظيم أو أستاذ عظيم ضابطا كان أو مدنيا .

وكل واحد منا ، اذا راجع نفسه ، يجد وراء كل خصلة من خصالـه الحميدة قدوة حسنة من أب أو أم أو معلم أو أستاذ ، أو قريب أو صديق .

وكل واحد منا ، اذا راجع نفسه أيضا ، يجد وراء كل رذيلة من رذائله قدوة سيئة من أم أو أب أو معلم أو أستاذ ، أو قريب أو صديق .

واذا كان لدى ما أنصح به شباب اليوم فهو مطالبتهم بالاستقامـة وعمل الخير ، والاستفادة من أوقاتهم فى العلم والتعلم ، والحرص علـى المصلحة العامة وايثارها على المصلحة الخاصة .

ان التربية المستمدة من تعاليم الدين الحنيف ، هى التى تيسر كل هذه الخصال .

المسلم الحق الصادق لا يكذب ، نزيه لا يتلوث ، قوى لا يضعف ، أمين لا يخون ، طاهر الذيل لا يزنى ، مخلص لا يراوغ كريم لا يبخل .

لا يخاف الموت ، ولا يخشى الفقر ، ولا يهاب قوة فى الأرض ، يقول الحق ولو على نفسه ، يسالم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الأراجيف والاشاعات ، لا يستكين للاستعمار الفكرى ، ويقاوم الغزو الحضارى ، ولا يقنط أبدا ولا ييأس من رحمة الله .

هذا المسلم الحق يقظ أشد اليقظة ، حذر أعظم الحذر ، يتأهب لعدوه ويعد العدة للقائه ولا يستهين به فى السلم أو الحرب .

ان التربية الاسلامية تعد المسلم ليكون عنصرا مفيدا فى الأمة الاسلامية من الناحيتين العسكرية والمدنية ، لذلك حمل المسلمون عندما كانوا مسلمين حقا للعالم حضارة عظيمة وكانوا فى الحرب لا يغلبون من قلة أبدا .

— ٧ —

لا بد من اعادة النظر فى : بناء الرجال والنساء ليكونوا دعامة وسندا المستقبل ، ولتكون الأمة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس .

والسبيل الى ذلك هو :

(أ) يجب أن يتحمل الآباء والأمهات واجباتهم كاملة فى تربية الطفل ، لأن كثيرا منهم قد أهمل هذه الناحية اعتمادا على المدرسة ، فيجب تلقين الأطفال مبادىء الدين الحنيف وأسس الخلق القويم فى البيت قبل الالتحاق بروضة الأطفال والمدرسة .

ان الطفل الذى لا يتلقى التربية الصالحة من والديه فى بيته قبل ذهابه الى الروضة والمدرسة ، أو يتلقى تربية فاسدة فى البيت ، فان الروضة والمدرسة تعجز عن تقويم اعوجاجه التربوى ، ومن المؤسف أن كثيرا من المدارس لا تعلم التدين ، وأن بعضها يعلم ما يتناقض مع الدين . . ولا أزيد .

ان البيت هو المدرسة الأولى للأطفال ، وفيه يوجهون مبكرا الى الخير أو الشر . والأطفال أمانة لدى الوالدين ، والسيطرة على الأطفال واجب من واجبات الوالدين ، والسبيل اليها التربية المثالية المبكرة ، حيث يقتطف الأبوان ثمرات هذه التربية حين يشب طفلهما ويصبح شابا ، وحينذاك لا يعصى لهما أمرا .

ان الوالد الذى لا يربى أولاده تربية سليمة فى البيت ، ولا يسيطر عليهم سيطرة الثقة المتبادلة لا سيطرة التحكم والتعسف ، خائن وجبان .

والذى يدع عرضه نهبا لأعين الفساق خائن وجبان وديوث .

(ب) اعادة النظر فى تربية النشء العربى الاسلامى ، ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف .

ان تفشى التردى الخلقى بين أبنائنا ، يخدم اسرائيل وأعداء العرب والمسلمين ، فلماذا نخرب بيوتنا بأيدينا ؟؟ !! ان إعداد المعلم والأستاذ والضابط إعدادا سليما هو مفتاح الاصلاح التربوى ، فلا بد من إعطاء هذه الناحية أعظم درجات الاهتمام .

يجب أن ندخل التعليم الدينى فى مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا ، وأن نعد مناهج هذا التعليم بتوجيه علماء الدين الحنيف .

ومن المؤلم أن التعليم الدينى حورب فى البلاد العربية والاسلامية محاربة لا هوادة فيها ، حتى تلاشى هذا التعليم فى المدارس والمعاهد والكليات أو كاد .

ومن المذهل حقا أن رجال التربية والتعليم العرب والمسلمين هم الذين ذبحوا التعليم الدينى فى بلادهم بغير سكين ، وبذلك نفذوا أهداف الاستعمار والصهيونية فى سلب العقيدة من المتعلمين !

فهل يمكن أن نصدق أن ذلك جرى عفوا ؟ أم أن الأيدى الخفية كانت وراء الأكمة ، فسخرت التافهين والامعات والعملاء وأشباه الرجال لوضع مخططاتها التخريبية فى موضع التنفيذ .

(ج) يجب بناء المساجد فى كل مدرسة ومعهد وكلية ، واعداد المعلمين القادرين على تدريس الدين واقامة شعائره والقاء المحاضرات الدينية ، وحث التلاميذ والطلاب على أداء الفرائض وعلى رأسها الصلاة .
وقد دأب التلاميذ والطلاب على القيام بسفرات محلية وخارجية ، فلماذا لا يسافرون لأداء فريضة الحج والعمرة ولو مرة واحدة سنويا فى كل قطر عربى واسلامى ؟!

أليس من الغريب أن نسفر التلاميذ والطلاب الى الشرق والغرب ، ولا نسفرهم ولو مرة واحدة الى الديار المقدسة ؟!

لقد سافرت لأداء فريضة الحج يوم كنت فى السنة الثالثة من المدرسة المتوسطة مع وفد مؤلف من التلاميذ والمعلمين ، فأثر ذلك فى نفسى تأثيرا لا تمحوه الأيام ، ووجهنى الى الدين الذى هو مصدر الخير والنور والبركة ، فلماذا لا تكرر هذه التجربة على أكبر عدد من التلاميذ والطلاب والمعلمين والمدرسين والأساتذة ؟

(د) مراقبة تصرفات التلاميذ والطلاب والمدرسين والأساتذة ، ووضع حد حاسم للانحراف ، والمنحرفين بحزم وأمانة وقوة ، لمصلحة أولئك المنحرفين أولا وقبل كل شىء .

ان « الحرية » التى بدون قيود هى « فوضى » ، والحرية الحقة هى فى التصرف ضمن اطار الفضيلة والخلق الكريم .

أننا لسنا بحاجة الى « حرية » التفسخ والانحلال والضياع .
ان عقلاء الأجانب ومفكريهم متذمرون من ضياع شبابهم ، فلماذا نستورد الانحلال من وراء الحدود باسم المدنية والحضارة والحرية .. الخ .. من شعارات .

(هـ) على الدول العربية والاسلامية أن تشجع الفضيلة وتقضى على الرذيلة ، وان نولى مقاليد الأمور الملتزمين بالفضيلة والدين حتى يكونوا أسوة حسنة لغيرهم .

وعلى هذه الدول تحريم تقديم الخمور فى حفلاتها الرسمية وتحريم استيرادها وانتاجها وبيعها فى بلادها ، وأن تمنع استيراد الأفلام الخليعة

وانتاجها محليا ، وتمنع عرض التمثيليات اللاأخلاقية فى الاذاعة المرئيـــة والمسموعة ، وتمنع مجلات الجنس وقصص المخدع والأدب التافه الخليع .

لقد نقلنا المراقص الخليعة بالاذاعة المرئية الى كل دار ، فالله .. الله الله .. فى أخلاق أطفالنا وشبابنا .

تلك لمحات مختصرة مما أراه ضروريا لاعادة بناء الرجال والنســاء ، لعل فيها فائدة لأخوتى وأخواتى من الآباء والأمهات ولأولادى وبناتى مـن الأطفال والشباب .

— ٨ —

وألمح من بعيد قسما من القراء يقولون : هذه تربية قديمة ، ونحـن بحاجة الى تربية جديدة .

وأفترض حسن النية فى هؤلاء المعترضين ، لأن تربيتهم فى البيـت والمدرسة والجامعة لم تكن كما يرام .

وأفترض حسن النية فى هؤلاء المعترضين ، لأن تربيتهم فى البيت والمدرسة والجامعة لم تكن كما يرام .

هذه التربية المنحرفة فى عقر دارهــا ، والمستــوردة حسب مخطط مشبوه ، هى التى أدت الى انحراف الأحداث والشباب ، فأصبحوا يفكرون بأنفسهم ولا يفكرون بغيرهم ، ويرون الحياة ، « مادة » بحتة تتركز فـى البطن والجيب والفرج ، خالية من الروح بما فيها من سمو وخير وبركة ..

هؤلاء الذين أصبحوا نتيجة لتربيتهم المنحرفة المشبوهة ، يعانون من عقدة مركب النقص تجاه التربية الغربية وعقدة مركب العظمة تجاه التربية الاسلامية ...

لهؤلاء وحدهم لا لغيرهم من الذين أنعم الله عليهم بالايمان ، سيتركز حديثى فى مقال آت ، عن آراء المشير مونتكومرى فى التربية التى سطرها فى كتابه الأخير : « السبيل الى القيادة » ، وهو آخر مؤلفاته بعد أن بلغ الثمانين أو أكثر .. لعل فى آرائه ما يقنعهم بوجهــة نظرى ووجهــة نظر السلف الصالح من علمائنا الأبرار .

وأشهد أننى قارنت بين آراء مونتكومـــرى التربوية وآراء الامــام الغزالى التربوية فى كتابه : « أحياء علوم الدين » فوجدت آراء الغــزالى عليه رضوان الله أكثر دقة وأشمل تفصيلا وأدق بحثا وأوضــح منهجا ، وأقوم أسلوبا وأقرب الى الواقع من آراء مونتكومرى !!

ولكن ما حيلتنا مع الذين استهوتهم شياطين الغرب ، وبهرتهم مدنيته وحضارته ، واستحوذ عليهم الاستعمار الفكرى البغيض ؟؟!!

اعتـــــــذار

لم يتسع هذا العدد لاستيعاب المقالات التى تفضل بارسالها السادة الكتاب اسهاما منهم فى هذا العدد الخاص بالشباب ولهذا نأسف لتأخير بعضها الى العدد القادم .

الشباب

تربيته ومشكلاته

للأستاذ
عبد الكريم الخطيب

— ١ —

لا نحسب مجتمعا انسانيا فى أمة من الامم ، وفى أى زمن من الازمان، لم يشهد هذه الظاهرة التى تثير حوارا دائما متصلا بين جيل الآباء وجيل الأبناء ، بين جيل قام على الحياة فى مجتمعه يسوسها ، ويدبر أمرها ، وجيل يتهيأ لميراث القوامة على هذا المجتمع والامساك بدفة سفينته يدفع بها فى عباب المستقبل ..

وأول ما ينبغى الالتفات اليه فى هذا المقام ، هو النظر الى هـــذا الحوار على أنه أمر طبيعى لا بد منه عند التقاء الأجيال ، وهو علامـــة صحة وحياة فى المجتمع ، أكثر منه أعراض مرض ، وافراز آفة ، كما يحلو لبعض الناس أن يسميه ..

واذن فلا يقع هذا الحوار الذى تشهده الحياة بين جيل الشيوخ وجيل الشباب موقع انكار ، أو استغراب بل المنكر والمستغرب حقـــا هو ألا يقوم هذا الحوار ، وألا يتصل بين الأجيال المتعاقبة على الحياة .. وأنه اذا كان لنا أن نسمى هذا الحوار مرضا ، فهو مرض انسانى ، ملازم للطبيعـــة البشرية ، لا تتخلص منه أبدا .. أشـــبه بتلك التغيرات

● الحوار بين جيل الشيوخ وجيل الشباب ليس موضع انكار واستغراب .
● أنه من الخير للجيلين أن يلتقيا على تفـــاهم وتصالح .
● الخطر الذى يتربص الشباب من جانب المذاهب المنحرفة .
● العقيدة الدينية هى الصخرة التى تتحطم عليهـــا كل دعوة ضالة .
● الوجودى يعيش عاريا جسدا وروحا عقلا وقلبا .

الجسدية والنفسية التى تظهر على كل فتى أو فتاة عند المراهقة ، حيث يلتقى الصبا مع الشباب فى الكيان الجسدى ، كما يلتقى الشباب مـــع الشيوخ فى كيان الجسد الاجتماعى ..

فهذا الحوار الذى يقوم بين الاجيال عند ملتقى كل جيلين ، هـــو تعبير طبيعى عن حقيقة كامنة فى كيان المجتمع ، ينبغى أن نتقبله ، وأن نوسع صدورنا له ، سواء جرى هذا الحوار سهلا سمحا ، أم وقـــع ثائرا عاصفا .. فان الطبيعة لم تستقم معنا على وجه واحد ، فيما نتقلب فيه من شئونها ، فهى خصب وجدب ، ونسيم وســـــموم ، وزمهرير وحرور ، ونور وظلام .. وهكذا .. وانه لا يصلح أمرنا مع الطبيعة ، اذا نحن أعلنا الحرب عليها ، وحاولنا أن نغير مجراها ، ونخرج بها عن سنن الكون التى أودعها الخالق جل وعلا فى أرضـــها وسمائها ، فى ذراتها ومجراتها .. فذلك أمر ان حاولناه وتصدينا له ، لم نحصـــــل منه على طائل ، وضاع فيه جهدنا هباء ، لان سنن الطبيعة لا تقـــاوم ممن هم محكومون بسننها ، وهم نحن البشر الذين هم بعض هـــذه الطبيعة . .والاسلوب الحكيم الذى تلقى به الكائنات نواميس الطبيعة، هو مصالحتها ، ومصانعتها ، وتحويل دفة السفينة الى اتجاه تيارها ، وافراد قلوعها على مهب رياحها ، والا تحطمت السفينة عند اول صخرة يلقى بها التيار اليها ..

هكذا نجد كائنات الحياة جميعها ، من أدنى درجاتها الى أعلاها، تكيف وجودها مع الطبيعة ، وتلبس لكل حال من أحوالها الثوب الملائم

لتلك الحال ، وبهذا تتناغم مع لحن الطبيعة ، وتنسجم مع أنغام الوجود، ولم نجد كائنا من الكائنات حاول أن يخرج على سنن الطبيعة ، ويتحدى أحكامها ، ثم سلم من العطب ، أو نجا من الهلاك .. وهكذا انقرضت كثير من الكائنات ، من أنواع النبات والحيوان ، لانها لم يكن لهـــا من ذاتيتها هذا الاستعداد الذى تتلاءم فيه مع ظروف الطبيعة ، وأحوال البيئـــــة . .

— ٢ —

فاذا سلمنا بهذا الحوار ، أو هذا الصراع الذى يقوم بين أجيال الناس — ولا بد أن نسلم به طوعا أو كرها لانه طبيعة وجود وســـنة حياة — اذا سلمنا بهذا الحوار ، خف على أنفسنا ما نشهده من خروج الشباب على أسلوب الحياة التى يحياها المجتمع ، ذلك الاسلوب الذى تحكمه أفكار وتصورات ، وتضبط ناموسه عادات وتقاليد وأوضاع ، هى من صنع جيل أو أجيال لم يشارك الجيل الجديد الناشىء فى صنعها، ولم يعطها من وجوده ما أعطت الاجيال السابقة من أفكارها ، وخواطرها .

وانه لمن قبيل التحكم الظالم أن يحرم الشباب حقه من المشاركة فى صنع الحياة التى يحياها ، وأن يعد نفسه للدور الذى سيقوم به على ميراث عريض ، هو تركة الاجيال السابقة كلها .. وانه لمن التصـــور الخاطىء أن يفهم الجيل المتقدم أن الحياة له وحده ، وأن له أن يفرض على المجتمع آراءه وأفكاره وأسلوب حياته ، غير عامل حسابا للجيـــل الناشىء الذى يشاركه هذه الحياة ، بل والذى يتهيأ لأن يستقبل الى حد ما بتوجيه مسيرتها فى مرحلة من مراحل رحلة الحياة !

فالحياة قسمة مشتركة بين الجيل القائم والجيل الناشىء .. وانه لمن خير الجيلين معا أن يلتقيا على تفاهم وتصالح .. وذلك لا يكون الا اذا عرف كل من الجيلين موضعه من الآخر ، والا اذا اعترف كل من الجيلين بحق صاحبه ، وأفسح له المكان الذى يحقق به وجوده ، ويحفظ عليه ذاتيته .. انهما للمجتمع أشبه بالجناحين للطائر ، وباليـــــدين للانســـــان ..

— ٣ —

على أن الحياة لا تجرى فى كل حين على هذا الاسلوب من التفاهم والتصالح بين الجيلين المتقابلين — الجيل السابق ، والجيل اللاحق — بل كثيرا ما يخرج الامر بينهما الى أن يكون نزاعا وخلافا ، يبلغ فى بعض الاحيان الى اعلان الحرب بينهما ، يرمى كل من الطرفين صاحبه بألوان شتى من التهم .. فالجيل السابق فى نظر الجيل الناشىء ، هو بقايا حياة ، ومخلفات معركة الحياة ، قد امتصت الحياة حياته ، وصدع الزمن مغارسه ، فلم يعد صالحا لان يخرج زهرا ، أو ينضج ثمرا .. والجيل الناشىء فى حساب الجيل السابق ، هو أشبه بنبتة البقـــلة الحمقاء ، تنبت فى مجرى السيل ، فتمتلىء عروقها ماء تستغنى به عن أن تضرب بجذورها فى الارض حتى تستنبط الماء من بطن الثرى ، فاذا انقطع المطر ، وجف مجرى السيل ماتت وشيكا !!

وليس بمنكور أن يخرج الشباب عن جادة الطريق التى يسير عليها الآباء ، وليس بمنكور كذلك أن ينكر الآباء على أبنائهم هذا المسلك الذى سلكوه .. فهذا الذى يأتيه الابناء هو حق لهم ، وهذا الذى يكون من

الآباء للأبناء هو حق لهم ، وواجب عليهم فى وقت معـــا .. فللأبناء أن يجربوا الحياة بأسلوبهم الخاص الذى يوائم طبيعة الشباب ، ويستجيب لنداء هذا الدور من حياته ، وللآباء أن يقفوا على الشاطىء يرقبـــون أبناءهم ، وهم يسبحون فى بحر الحياة ، ويضربون بأيديهم على أمواجها، ليتعلموا العوم .. فاذا بعد بعض الابناء عن الشاطىء ، أو جرفه التيار الى منطقة الغرق ، كان على الآباء أن يفعلوا فعل رجـــل الانقاذ فى مواجهة من يشرف على الغرق ، همه كله فى انقاذه ، وانتشاله مـــن يد الموت الممتدة اليه ..

— ٤ —

ان الشباب هو غرس الجيل الذى سبقه الى الحياة ، والذى تعهده رضيعا ، وصبيا ، وغلاما ، وفتى ، وشابا .. والذى علق عليه آماله، وانتظر منه ما ينتظر الزارع من زرعه ، من ثمر طيب ، ومحصول وفير . وان هذا الذى يوجه الى الشباب من لوم ، وما يقع على آذانهم من نقد ، وما يلقاهم به الآباء ، والمربون والمصلحون من تجهم أحيانا ، ومن انكار وسخط أحيانا أخرى ، هذا كله وكثير غيره هو من قبيل الحرص على الشباب ، والحراسة لعقولهم القاصرة أن يغتالها الغرور ، ولقلوبهم الغضة أن تصبح مرعى لآفات الغواية والضلال ، التى تباكرهم قبـــل أن تشتد أعوادهم ، وتعمق جذورهم ، وتتفتح زهـــرات ملكاتهم ، وتستحصد ثمرات عقولهم ..

فالشباب يمثل أخطر مرحلة فى حياة الانسان ، حيث يتعرض — لأول مرة — لممارسة الحياة ، والاستقلال بالسباحة فى بحرها المتلاطم، أشبه بالطائر يخرج من عشه لاول مرة يحاول أن يحلق فى الجو بجناحيه الواهنتين .. انه لا يقدم على تلك التجربة الا وبين يديه ومن خلفه أبواه. فان حدثته نفسه بأن يخرج فى غفلة منهما انقض عليه طائر فاختطفه، أو خانه جناحاه ، فهوى الى الارض صريعا .. !

— ٥ —

ولقد تولت الشرائع السماوية والوضعية رسم الدستور الذى يربى عليه الشباب ، وتزويده بالزاد الذى يقطع به رحلة الحياة مسلحا بكل سلاح ، تعينه عليه ظروفه وأحواله ، وتسعفه به طبيعة مجتمعه ، حتى يستطيع أن يمضى فى طريقه ، وأن يدفع بالسلاح الذى فى يده ما يلقاه على طريق الحياة من أكثر من عدو يهاجمه فى كل موقع منمواقع الحياة منه .. فى عقله وفى روحه ، وفى وجدانه ..

والخطر الذى يتربص بالشباب على طريق الحياة ، انمـــا يكون أكثر مهابة من جهة أصحاب الفلسفات المريضة ، والمذاهب المنحرفة ، والآراء الضالة ، ممن يخيل للشباب منهم أنهم طلائع الفكر فى العصـــر ، وقمة الحياة العقلية فى مجال العلم ، والفن ..

فهؤلاء المنحرفون انما تروج آراؤهم ، وتشيع مذاهبهم فى عالم الشباب الذى يستهويه هذا الغى ، ويستغويه هذا الضلال ، حيث يجد الشباب عند اول طرقه لأبواب الحياة ، طريقا مفتوحا ، الى دنيا المنحرفين ، تقوم على جانبيه ومن بين يديه ومن خلفه نافخات الابواق من مهـــاب الفتنة ، ومسارح الغواية والضلال ، فيتهافت الشباب على شباك هذه

الموائد المنصوبة لصيده ، ويترامى عليها كما يترامى الفراش على النار ، يحسبها ألوانا من الزهر ، فى خميلة من خمائل الربيع !

وهناك جهة أخرى تغرى الشباب بهذه الضلالات ، وتدفعه دفعا الى تلك الشباك المنصوبة له ليس مصدرها هؤلاء الضالون المنحرفون من رجال الفكر والأدب ، والفن ، وانما مصدرها الشباب نفسه ، أو بمعنى أدق بعض الشباب ، ممن يقعون فريسة سهلة لتلك الدعوات الضالة ، التى ينزلقون اليها ، ويغرقون فى لججها .. فهؤلاء الشبان الذين أغواهم هذا الغى ، يمثلون طليعة الهزيمة لجيش منهزم فى معركة الحياة ، وهم بهذا يفتحون طريقا للجبناء ، وضعاف الايمان ، وسرعان ما يكثر المتدافعون على طريق الهزيمة ، ثم لا يلبث الجيش كله أن يركب هذا الطريق ، مجللا بالخزى والعار .. فانه ليس أكثر اغراء للشباب بركوب الضلالات ، والتزيى بكل بدعة ضالة ، من الشباب نفسه ، ومن التعرض من بعض أفراد منهم لحمل جرثومة هذا المرض الخبيث ، حيث لا تلبث العدوى أن تنتقل الى جماعة الشباب كلها ، كما تنتقـــل النـــار الى أعواد الهشيم ..

— ٦ —

والعقيدة الدينية ، وما يدور فى فلكها من عبادات ، ومعاملات ، ووصايا ، وأخلاقيات ، ومثل ، وانسانيات ، هى الركيزة القوية التى يقوم عليها بناء الكيان الانسانى كله ، مادة ومعنى ، جسدا وروحا .. وهى (المصل) أو (اللقا ح) الذى اذا باكر حياة الشاب ، ومازج عقله ، وسكن الى قلبه كان له منه حصانة تؤمنه من أن يكون ضحية من ضحايا تلك الدعوات التى تغرر بالشباب ، وتلقى بهم فى عالم التيه والضياع .

لهذا كان الدين ، وكانت العقيدة فى وجه عداوة حقود عند أصحاب البدع والضلالات ، لان العقيدة الدينية هى التى تتحطم على صخرتها العتيدة الصلدة كل دعوة ضالة ، ويستخزى أمام جلالها وبهائها كل مذهب غوى آثم ..

ومن هنا كانت دعوات الكفر ، والالحاد ، هى السلاح الذى يرمى به الغواة والمضللون فى وجه أصحاب الاديان والمعتقدات التى تؤمن بالله ، وبرسل الله ، وباليوم الآخر ، وبالحساب والجزاء ، والجنـــة والنار .. وفى تقديرهم أنهم اذا استطاعوا أن يكسروا هذا الســــد المنيع ، لم يكن للمحتمين خلف هذا السد من عاصم يعصمهم من الغرق ، فى أمواج الاهواء ، والفتن ، والضلالات ، التى لا ممسك لهـــا ، بعد انهيار حائط الايمان ..

والشباب — لا شك — هو أول ضحايا هذه الكارثة التى تنجم عن سقوط قلعة الدين ، وأول مغنم يقع ليد هذا الغزو البربرى الذى يحارب بسلاح المادية الملحدة خصما أعزل مجردا من سلاح العقيدة ، الذى ليس ثمة من سلاح غيره يفل كل ما تلقى به المادية فى ميدان القتال من عدة وعتـــــاد !

— ٧ —

فالله ، والبعث ، والجنة ، والنار .. كلها عند الماديين أضغاث أحلام ، وتصورات وهم خداع ، ورؤى جياع ومحرومين ، مثلها الضعف الانسانى ، وجسدها الواقع الأليم المرير للحياة ، وما يجد فيها الناس من

آلام وشقاء ، وما يرميهم به القدر الأعمى بيده العسراء التى لا ترحم .. فكان الفرار من هذا الواقع الكريه والهرب من وجه هذه الحياة الكالحة الكئيبة دعوة مستجابة عند الناس ، انتهزها رجال أذكياء خبثاء فرصة مواتية ، فأقاموا للناس هذا العالم الغيبى ، من وراء العالم الذى يعيشون فيه ، ونصبوا لهم موائد فاخرة زاخرة ، أجلبوا اليها كل ما يبلغه الخيال من ألوان النعيم ، الذى تراقص صوره وأشباحه فى مخيلة المكدودين والمحرومين ، الذين أغراهم هذا السراب الخادع ، فتدافعوا اليه ، وتواردوا على موارده !

هكذا يتحدث الماديون عن الدين ، وعن الحياة الآخرة ، وما وعد المؤمنون فيها من جنات تجرى من تحتها الانهار .. فــمــا الديانات ، والمعتقدات الدينية التى تشد الناس الى الحياة الآخرة ، وتصل وجودهم الدنيوى الفانى بوجود آخر ، خالد لا يفنى .. ما هى الا أوهام وأضغاث أحلام ، فتحت للناس أبوابا واسعة يهرب منه الجبنــاء ، وضــعاف الأحــلام من مواجهة الواقع ، كما يهرب شارب الخمر باغراق نفسه واغراق همومه معها فى كأس الخمر .. فاذا صحا من خماره طلعت عليه همومه فى صورة أشد نكرا ، وأمر طعما ، فلا يجد مهربا منها الا أن يقيم على كأس لا تفرغ أبدا ، والا على سكر لا صحو معه ..

وهكذا وجدت المادية فى دعوة كدعوة المزدكية ، والخرمية قديما ، وكدعوة (الوجودية) ــ وجدت ــ دينا اسمته دين الحياة، أو دين الواقع، أو دين الوجود .. الى ما شاءت من أسماء أطلقتها على هــذا المولود المشئوم ، لتجعل منه نبيا يبشر بهذا المذهب البهيمى ، الذى يحل الانسان من كل التزام انسانى ، او اجتماعى ، او خلقى ، ويرسله هكذا هملا يرعى مع الدواب ، ويساكن الهوام والحشرات ، لا يرفع بصرا الى السماء أبــــدا ..

وكما أن لكل دين فلسفة ، ولكل فلسفة منطقا ، كذلك كان للوجودية فلسفتها ومنطقها ، كى ينخدع الشباب بهذه الفلسفة وذلك المنطق ، وكى يحسب نفسه فى عداد الفلاسفة والحكماء !

وأول ما تنادى به الوجودية ، وتقيم عليه فلسفتها المريضة هــو (القوة) .. فمن كان يجد فى نفسه الشجاعة ، ويرى فى وجده القوة ــ كان جديرا بأن يدخل عالم الوجودية ، ويجد له مكانا رحيبا فيه ، ومن افتقد القوة والشجاعة فلن يجد سبيلا الى هذه الجنة الارضية التى يحلم بها المؤمنون فى ملكوت الله .. !

واذن فليكن الانسان شجاعا ، وليخلع أردية الزيف والضلال من ديانات ومعتقدات ، وتقاليد ، ليخلع كل هذه الاغطية التى نسجها لـــه الامل الكاذب ، المتولد عن الالم ، والحرمان ، والشقاء ، والخوف الذى ترمى به الحياة أبناء الحياة .. ليخلع الوجودى كل هــذه الاغطية ، وليخرج الى الحياة عاريا كما ولدته أمه ، وليولد ميلادا جديدا .. عاريا جسدا ، وروحا ، عقلا وقلبا ..

ليكن الوجودى ابن الطبيعة .. لا ابن المجتمع ، ولا ابن العقيدة ، ولا ابن أبويه !!

ليتعر جسده ، فلا يتدثر بشىء فى برد أو حر ..
وليتعر روحه .. فلا يتجمل بخلق أو فضيلة ..

وليتعر عقله .. فلا يمسك برأى ، ولا يحتفظ بفكرة ..

وليتعر قلبه .. فلا ينبض بحب أو بغض ، ولا يخفق بشفقة أو رهبة ..

انه اذ يفعل ذلك يكون الانسان الذى عرف ذاته ، وحقق وجوده، وعاش حياته ، وملك أمره ، وأصبح سيد نفسه ، وأطلق انسانيته من القيود التى كبلها بها الدين والمجتمع ظاهرا وباطنا ..

يقول الفيلسوف الوجودى المعاصر (كارليل) مخاطبا الانسان بلسان الدين الوجودى :

(لماذا تبكى وتنوح مثل الجبان ؟ لماذا تترنح خائفا مضطربا أيها الانسان المحتقر ؟

(أليس لك من قلب ؟ ألا تقدر أن تتحمل ما يأتى به الدهر ، متجاهلا كل صروفه ، فتطأ النار بقدمك وان كانت تلتهمك ؟ .

ان أى توقف أو تتردد ازاء أى عمل تشتهيه النفس ، أو يهفو اليه القلب ، هو فى مذهب الوجودية كفر بالوجود الانسانى ، وانكار لذات الانسان .. وان أية نظرة الى السماء ، لاستشارتها فى حل أمر أو حرمته هو شرك بعبادة المرء لذاته ..

يقول الفيلسوف الوجودى (نيتشه) : لا نريد ملكوت السموات. فنحن بشر .. نريد ملكوتا أرضيا .. طوبى للنقية قلوبهم .. لأنهم لا يعاينون الله !!) .

ثم يجىء من بعده (سارتر) ليدفع بالوجودية الى قاع الهاوية التى كانت تدحرج على دركاتها ، فيشرح لاتباعه الوجودية شرحا واضحا صريحا ، ويقول : (الوجودية) هى توديع ما يسميه الجبناء وجدانا ، وضميرا ، والاستجابة الى داعى الحيوانية ، وتلبية الوجودى كل ما تمليه عليه شهواته .. ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية ، وما تواطأ الناس عليه من الجهة الاخلاقية ، وتحطيم القيود التى ابتدعتها الاديان والفلاسفة ، وتبنتها المدنية .. ومن ثم فعلى الوجودى أن يطلق الماضى ، وأن يسلخ نفسه منه ، متجها الى الامام ، الى المستقبل قفزا .. الى المصير المحتوم .. الى الموت .. الى العدم الابدى !

— ٨ —

ان الوجودية — وهى قمة الدعوات المادية فى هذا العصر — قد سلبت الحياة كل معنى ، وجردتها من كل حكمة ، وحرمتها الفزع الى العناية الالهية ، والرحمة الربانية عند الشدائد والمحن ، وقطعت الانسان عن كل أمل فيما بعد الموت ..

ولا أدرى كيف تكون الحياة اذا غربت من آفاقها العقيدة الدينية والروابط الاجتماعية ، والتقاليد الانسانية التى تواضعت الاجيال على احترامها ، والتقيد بها ؟ ألا يكون ذلك ردة الى عالم الحيوان ، بل والى أحط أنواع الحيوان ؟

وليست جناية الوجودية وما اليها من الدعوات الملحدة — ليست جنايتها على الانسانية ، فى أنها عزلت الشباب عن المجتمع الذى يعيش

فيه ، وجعلت منه عدوا يحارب مجتمعه ، ويهدم كل بناء قائم فيه — وانما جنايتها فوق هذه الجناية أنها حرمت الانسانية ما كان لها أن تكسبه من اضافات جديدة ، تضيفها الى رصيدها من المواليد البكر فى مختلف العلوم والفنون والآداب التى يجنيها الشباب من مغارس الحياة ، ويطولها بيده القوية ، ويعتصرها بأمله المتفتح .. فالشباب هو طليعة الحياة فى كل عصر ، وهو المهيأ لاستقبال الجديد من دعوات الحق والخير ، اذا هو سلم من تلك الآفات التى تتسلل اليه من الدعوات الضالة المنحرفة ، التى كل همها هو أن تقطع كل صلة بين الشباب وبين الدين ، وأن تحول بينه وبين أن يروى أشواق نفسه من موارد العالم العلوى ، على حين تحول مجرى هذه الاشواق الى الجانب الحيوانى فى الانسان ، الذى هو فى الشباب طبيعة غالبة ، لا يكبح جماحها الا الدين ، ولا يلوى زمامها الا صوت الحق يهتف بالشباب أن يتسامى بانسانيته ، وأن يعلو فوق طبيعة الحيوان ..

(يا معشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحفظ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم . فان الصوم له وجاء) ..

هذه دعوة رسول الله الى الشباب ، وتلك تربيته لهم ، وذلك هو الدواء الذى يقدمه للشباب ، ليستشفى به من أخطر داء يتهدده .. انه التعفف ، والتصون بالزواج ، لمن كان قادرا على حمل تبعات الزوجية .. فمن قصرت يده عن ذلك فليكسر حدة هذه الفورة التى تغلى بها مراجل الشباب بالصوم ، قربة لله ، وجهادا فى سبيل الله ، يجاهد به المرء هواه ، ويقهر به شيطانه الذى يوسوس له ..

انه ليس الا الدين حصنا يتحصن به الشباب من جهالات الشباب وصبواته ، وليس الا العبادات والطاعات لله ، يتربى عليها الشباب ، وينشأ عليها من مطالع الصبا ، حتى تتوثق الصلة بينه وبين الله ، وحتى يقوم فى نفسه وازع يزعه ، بما يطلع به عليه من جلال الله ، وعظمة الله ، وما يدعوه اليه من احسان الله ورضوانه ..

والصلاة هى أول خطوة يخطو بها الصبى فى طريقه الى الله ، فيضع بها قدمه على صراط الله المستقيم ، وذلك قبل أن تتحرك شهواته، وتنطلق أهواؤه ، فاذا دخل مرحلة الشباب دخلها ومعه هذا الرصيد العظيم من تقوى الله ، ومراقبته ، فلا يقع فريسة سهلة فى مراتع الاثم ، فان زل زلة ، أو سقط سقطة ، وجد من دينه قوة تعينه على أن يقف على قدميه ، ويواصل مسيرته على طريق مستقيم الى الله ، يستغفر لذنبه ، ويتطهر بالتوبة من مأثمه .. (ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ..)

ان مسئولية الآباء ، والمعلمين ، والقائمين على أمر الشباب فى أى موقع من مواقع الحياة مسئولية تقوم على أعظم أمانة حملها الانسان ، هى أمانة اعداد الشباب للحياة اعدادا صالحا ، يحفظ عليه سلامة فطرته التى فطره الله عليها .. وان التفريط فى هذه الامانة — باهمالها أو تضييعها — هو خيانة لله ، وجناية على حاضر الانسانية ومستقبلها ..

تناقض المجتمع وازدواجه ،

وصدق المجتمع مع نفسه

رغم أن الحديث عن الشباب ومشاكله ، يتعلق بأهم القضايا الاجتماعية ، وأشدها صلة بما قد نعانيه من المآسى والمصائب المختلفة ، فانى أتصور أن الحديث فى هذا الموضوع لا يأتى بطائل !.. « وأرجو أن أكون مخطئا فى هذا التصور » .

ذلك لأن الذين تؤرقهم مشاكل الشباب ، ويتذاكرون فى أسبابها وعلاجاتها ، لا يملكون من أمر هذا العلاج شيئا . والذين يملكون العلاج ويقدرون على الاصلاح لا يؤرقهم شىء من هذا الأمر ولا يحسبون لنتائجه أى حساب .

وطالما عقدت لهذه المشكلة ندوات ، ونشرت فيها كتب وأبحاث ، وظهرت فيها نظريات وآراء ، دون أن نجد لشىء من ذلك كله أى ثمرة أو فائدة فى ساحة التنفيذ .

بل ظل النشء يعانى من مشاكله ، وظل المجتمع يعانى من معاناته ، وظل الذين بيدهم حقيقة الحل والتنفيذ منصرفين بأفكارهم واهتمامهم عن هذا الأمر كله .

وأعود مرة أخرى فأسأل الله تعالى أن أكون مخطئا فيما قد توهمت ، وأسأله تعالى أن تكون « الوعى الاسلامى » مستمسكة — فى معالجتها لهذا الأمر الخطير — بحبل من الأمل متين ، لا مسوقة الى ذلك بمجرد أداء الأمانة وتقديم المعذرة .

وأيا ما كان الأمر ، فلنعالج هذه المشكلة بدافع من الامتثال لقوله تعالى : « قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يرجعون » .

همابسّر مشكلة الشباب

هو العِلاج الوحيد

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

المشكلة وآثارها المختلفة :

لهذه المشكلة جوانب متعددة ، وربما لاحظ الباحث جانبا واحدا منها ، فعالجها من ذلك الجانب وحده .

فقد يرى البعض أنها مشكلة نفسية ، سرت الينا من عدوى الغرب ووبائه . وقد يرى البعض أنها مشكلة فكرية ، أثارتها غواش من آثار النهضة العلمية الحديثة والاكتشافات الهائلة المثيرة . وقد يرى آخرون أنها تعود الى قضايا جنسية وعاطفية ، عقدها الكبت والحرمان ، فظهرت بمظاهر متلونة مختلفة ! ..

ولا يجوز لنا أن نعتبر شيئا من هذه الآراء تصورا خاطئا ، أو نظرا بعيدا عن الواقع ،وانما هي في الحقيقة شرح سطحي لآثار مشكلة واحدة .

فالمشكلة بحد ذاتها ليست كامنة في الفكر أو النفس أو الجنس ، ولكنها أمر كلي خطير ، ينعكس بآثار معينة على كل من هذه الجوانب الثلاثة .

الازدواج والتناقض :

والأمر الكلي الخطير الذي تعاني منه الناشئة في مجتمعاتنا ، انما هو الازدواج !.. الازدواج في القدوة ، والازدواج في التعليم ، والازدواج في التربية ، والازدواج في الأفكار والقيم . وبالجملة فهو ازدواج في جميع الحقول التي تساهم في تكوين شخصية الشاب ونسيجه الفكري .

ففى المدرسة ـ وهى أهم العوامل التربوية ـ يتلقى التلميذ أمشاجا من القيم والآراء المتناقضة المتنافرة ، يتسابق اليه بها مربون ومعلمـــون متناقضون فى الفكر والمنهج والسلوك . فهو يتلقى من مدرس الفلسفـة والاخلاق نقيض ما قد تلقاه من مدرس الدين ، ثم يتلقى من مدرس العلوم خلاف ما كان قد تعلمه من كليهما !!..

وتغدو عملية التربية والتعليم والتثقيف ، فى حياة التلميذ ، عبارة عن صراع من البناء والهدم ، والمحاولات المتدافعة ، وتتجمع حصيلتها فى كل من ذهنه ونفسه ، غبارا وغشاوات داكنة ، تحجز العقل عن التفكر وتبعـــد الصفاء عن النفس ! ..

مجتمع متناقض :

وفى الشارع والمكتبة والنادى وأمام التلفزيون ، تطوف بــه مظاهر أخرى من هذا التناقض العجيب ! ..

فهو يسمع عن الأخلاق والفضيلة وضرورة التقيــد بهمــا وخطورة الخروج عن قانونهما . ويسمع أيضا عن الحرية والحياة العصرية وضرورة التجمل بها ، وخطورة الكبت والقوقعة فى حمأة التقاليد !!..

وهو يسمع عن الدين وحقائقه وقيمه وضرورة قيام المجتمع عـــلى دعائمه والاستعانة بمنهاجه وعلاجه لحل كل مشكلة . ويسمع أيضا عـــن الرجعية وأوضارها والنهضة العلمية وكيف أنها نسخت العقائد الدينية ، وعن ضرورة تحرير الفكر من أسر الايمان بالغيبيات والاستعانة بالفــكر المادى لحل كل مشكلة وتحرير كل أرض .

انه يلمس هذا التناقض الخطير فى الشارع الذى يسير فيه ، ويقرأه فى الكتب والمجلات التى يطلع عليها ، ويسمعه فى المحاضرات والندوات التى يحضرها ، ثم هو يعانيه بين زملائه وأصدقائه الذين ينعكس عليهم ذلك كله ، جدالا ومشادة وهياجا .

وفى البيت ، تتجمع آثار ذلك كله حوله ، فى مظاهر أشد خطورة ، وضررا . اذ قلما تخلو أسرة من أنصار متناقضين ، يجنح كل منهم الـــى واحدة من هذه الأفكار والاتجاهات المتناقضة . فيتحول وئام البيت وسعادته الى شقاق وشقاء ، وتسوء علاقة الوالد مع أولاده ، وتتأزم صلة الزوجــة بزوجها ، ويتعالى الشجار بين الجميع عند كل صباح ومساء .

مظاهر النفاق ..

ويتجسد هذا التناقض فى جوانــب أخرى من المجتمــع ، فى مظهر هادىء من النفاق الأملس ، فيفوق فى أضراره وبلائه على الناشئة ، تلك المظاهر المتناقضة الأخرى ، اذ تكون هى وحدها فى الغالب ، محط الخديعة وكبش الفداء .

يسمع الشاب ، فى نفس صافية ، وقلب صدوق ، حديث التضحية والوطنية والفداء ، ضمن قالب رائع من الألفاظ والشعارات ، فيصـــدق ويتحمس ويتفاعل ، ثم يكتشف على حين غرة أن الشأن أهون من ذلــك بكثير ، وأن الأمر لم يكن أكثر من بضاعة كلام .

ويصغى السمع الى كثير من الوعاظ والخطباء والموجهين ، فيتأثر لما

يسمع ، وتطمح به نفسه الى القيم العالية والأخلاق الفاضلة . وفيما هو يسير بصدق وحماس الى هذه الغاية ، يفاجأ باكتشاف أغراض ومصالح أخرى منوراء تلك التوجيهات والعظات البليغة ، ويكتشف من حال أربابها ما يناقضها كل التناقض !..(١)

فقد الثقة أول النتائج :

هذا هو المجتمع الذى ينشأ الشاب فى ظله !..

وهذه هى الأجواء التربوية التى ينهل الشاب تربيته ويستوحى نهج سلوكه منها ! ..

فأى مصير تنتظره من الشاب أفضل من هذا المصير ؟!..

ومن هو الشاب ؟ .. انه كتلة غضة يانعة من الفكر والنفس والعواطف .. وكل من هذه العناصر الثلاثة بأشد الحاجة الى الغذاء الصالح الذى يتوقف عليه نموه وتكامله .

وقد كان الغذاء ــ لسوء الحظ ــ هذا الذى وصفته لك ، فماذا عسى أن تكون النتيجة ؟..

ان رأس النتائج كلها ، هو انعدام ثقة الشاب بالمجتمع . فلا الشاب يصلح أن يتتلمذ عليه ، ولا المجتمع يصلح أن يكون مربيا له . وانما يغدو أستاذا لنفسه منفردا بارشاد ذاته !! ..

وأما النتائج الأخرى ، فلا ريب أنها ينبغى أن تتمثل فى الانحراف الفكرى ، والتعقد النفسى ، والانطلاق الغريزى .

الانحراف الفكرى والنفسى والغريزى :

فهى تتمثل فى الانحراف الفكرى : لأن المقدمات المنطقية المتناقضة ، تنتج شيئا واحدا هو : انكار طبيعة المنطق بحد ذاته . وليس لك أن تنتظر منه غير هذا ، ما دام سائرا فى المرحلة التى يتوكأ فيها عقله ــ بشكل طبيعى ــ على أفكار الآخرين وتعليماتهم . وقد توكأ عليها فأورثه اضطرابهم عرجا دائما فى الفكر .

وأى قيمة تبقى للعقل عنده ، وانما مقياس هذه القيمة واقع مجتمعه الذى يعيش فيه ، وقد رأى العقل ممزقا فيه بين تناقضات عجيبة داخل جدران مدرسته ، وضمن وسائل اعلامه ، وفى شتى شوارعه وأسواقه . ثم رأى هذه المزق العقلية المتناقضة كيف تعيش فى ظل ظليل من رعاية أرباب هذا المجتمع وساسته والبصيرين بشأنه .

ان من الطبيعى أن تجد أكثر هؤلاء الشبان لا يؤمنون بشىء ، لأن اللاشىء هو النتيجة المنطقية للصراع المستمر بين شيئين ! ..

وهى تتمثل فى التعقد النفسى : لأن النفس الانسانية انما تسير فى فجاج الحياة بدافع من مجموع عواطفها الدافعة والرادعة والممجدة . وهذه العواطف انما يتألف نسيجها فى النفس عن طريق المجتمع وما فيه من دوافع الأمل والرجاء والحب ، وروادع الخوف والعقاب والاشفاق ،

---

(١) ليس هذا حكما على الجميع ، وانما هو حكم على كثرة من هؤلاء الناس ، يكفى عددهم لصبغ المجتمع بهذه الصبغة المؤسفة .

وأسباب النعم والرفاهية والخيرات ، ويقدر ما يتألف مزاج معتدل من مجموع هذه الأنواع الثلاثة من العواطف فى النفس ، يتوفر فيها الصفاء والشعور بالسعادة والاستقرار .

فكيف للنفس أن تسترضع من المجتمع الذى هذا شأنه عواطفها الانسانية فى تناسق واعتدال ؟ !!

ان المجتمع الذى تتشابك متصارعة فيه المذاهب والآراء ، ثم يتخذ من الناشئة حقلا لتجاربه وحلبة لمصارعاته — سواء تمثل ذلك فى المدرسة أو البيت ، أو الشارع أو المكتبة — هذا المجتمع لا يستطيع أن يغذى نفس الشاب بأى معنى مما يسمى بالحب أو الأمل أو الرجاء ، ومن ثم فهو لا يستطيع أيضا أن يقرنه بأى مزيج معتدل من الخوف والاشفاق وروح العقاب .

والنتيجة هى أن تنمو بين جوانح هذا الشاب نفس متمردة على كل شىء ، لا تدين بولاء ، ولا تنقاد لحب ، ولا ترتدع بخشية ، نفس مضطربة لا تؤمن الا بذاتها ، ولا تغذى سوى أنانيتها ، لأنها لم تجد من سلطان العقل ما يفرض عليها أى سلوك غيره ، ولم تجد من عطاء المجتمع ما يربطها بأى تعلق آخر .

وتتمثل فى الانطلاق الغريزى ، لأن العقل لما تثلم حده ، وعجز عن النظر والضبط ، وتقاصر سلطانه عن السيطرة على النفس والقدرة على توجيهها — ظهرت من وراء ذلك الغريزة الطبيعية لتنطلق على سجيتها . والانسان كلما ازداد تحررا من قيوده الفكرية ازداد ارتباطا بدوافعه الغريزية . وما الانسان لولا ضوابط العقل والتفكير الا حيوان هائج ثائر الأهواء والشهوات . وقلما نجد فى مثل شراسته أى حيوان آخر .ذلك لأن الغريزة فى الحيوانات المختلفة تسد مسد العقل عندما تتوقف حياتها على انبعاثات عقلية مدبرة ، أما الانسان فالغريزة فيه هى الدوافع واللواعج الشهوانية فقط . اذ كان فى وجود العقل ما يغنى عن ضوابط الغريزة وتدبيرها . فاذا فاتت حكمة العقل وزال رشده هاجت الغريزة هياجا لا تجد مثله عند أى حيوان ! ..

التيارات الاجتماعية الصغيرة :

فتلك هى سر مشكلة الشباب فى مجتمعنا ، وهذه هى آثارها .

وكلما كانت هذه المشكلة أبرز وأقوى ، كانت آثارها فى نفوس الشبان وتفكيرهم أشد وأخطر ، واذا تأملت حال الأمم المختلفة اليوم وما يعانيه نشؤها من المشاكل والعقد ، رأيت مصداق هذا الذى أقوله لك . ولا مجال فى هذا المقام لسرد الوقائع التفصيلية دليلا على ذلك .

وقد تجد فى مجتمعاتنا — رغم ما فيها من التناقض الذى وصفناه — شبانا يستمتعون باستقامة فكرية وسعادة نفسية وسلوك منضبط قويم ، فتظن أنه دليل على خطأ ما قد عرضناه .

والحقيقة أن هؤلاء الشبان أتيح لهم أن ينضووا فى تيارات اجتماعية صغيرة ، ضمن مجتمعهم الصاخب العام ، فكان لهم من مجتمعهم الصغير ذاك ما حجزهم عن الزعازع والعواصف التى تطوف من حولهم ، فتقلصت آثارها عنهم بالقدر الذى يملكون به قوة المدافعة والثبات . ومثل هذه التيارات الاجتماعية الصغيرة يعتبر قوارب نجاة قد ينجو من يتعلق بها

ويصل الى شاطىء الأمان . ويعود اليها والى قادتها الفضل الأكبر فى انقاذ ما يمكن انقاذه وسط عواصف هذا المجتمع الخطير .

المرض فى المجتمع وليس فى الشبان :

ولنبحث بعد هذا عن العلاج .

ولكن فلنتساءل قبل ذلك عن المريض الذى يتطلب العلاج ، أهو النشء أم المجتمع ؟

لا ريب أن المريض انما هو المجتمع وما ظاهرة المشكلة التى تتمثل فى حياة الشباب الا أثرا من آثار مرضه هو .

ومن الظلم العجيب ما قد يفكر فيه بعض الباحثين من علاج يوصف للشبان أو منهج تربوى يؤخذون به ، حتى يصلح أمرهم وتحل مشاكلهم !!. وطبيعى أنهم يفكرون فى غير طائل ، وأن علاجاتهم لا تقع أى موقع للشفاء ، لأن الشبان ليسوا هم المرضى ، وانما المريض هو المجتمع الذى يعيشـــون فيـــه .

وهذا هو العلاج :

وما هو العلاج الذى يصلح المجتمع ؟

ان الذى يصلحه انما هو شىء واحد ، هو أن يكون صادقا مع نفسه ، متسقا مع شتى أجزائه وجوانبه .

يصلحه — وقد أقر بالاسلام وسبيله — أن يحرك أجهزته باتســـاق وتعاون نحو هذا السبيل . فالمدارس بمختلف مقرراتها ومدرسيها ونظمها يجب أن تضفر جهودها فى هذا السبيل . والحركة الثقافية التى تتمثل فى نشر الكتب والصحف ونشاطات وسائل الاعلام يجب أن لا تند أو تنحرف عن هذا السبيل . والقيم والمبادىء التى يدين لها المجتمع يجب أن لا تكون شيئا آخر غير قيم الاسلام ومبادئه . ونظرة التطور والتقدم والرقى يجب أن تكون محصورة ضمن سلم الاسلام ومنهجه .

أجل .. فما ينبغى أن يترك المجتمع شبابه المثقف حائرا بين الآيات القرآنية التى يتلوها القارىء فى المذياع مرددا قوله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن . . » والحديث الاجتماعى الذى يلقيه مذيع من بعده يفند فيه مضمون هذه الآية ويدعـــو النساء الى التحلل من الستر والصيانة والحجاب !..

وما ينبغى أن يلوح للشبان بعقوبة من يعاكس الفتيات وبحطة مـــن ينحرف الى معاطاة الرذيلة ، ثم ينقلب هؤلاء الملوحون فيشجعوا مغريات الرذيلة ويصفقوا لمظاهر العرى ونداء الجنس ودوافع الأهواء ! ..

وما ينبغى أن تترك المدارس حقلا للتنافس فى النزعـــات الفكريـــة المتصارعة ، الى جانب درس الدين الذى يتلقاه التلاميذ من مدرس مسئول وبشكل نظامى ورسمى !..

وما ينبغى أن ينشر فى صحيفة يومية ســـائرة ، حديث دينـــى يذكر الناس بالخالق وحسابه ، وينشر الى جانبه حديث آخر يهزأ بالدين ودلائله وقيـــوده ..

وما ينبغى أن يجهد نفسه كاتب مثلى بالبحث فى حلول مشاكل الشباب على حين يعكف آخرون على اضرام المزيد من نيران هذه المشاكل .

لا مكان لمثل هذه الحرية بين عوامل التربية :

ولعلك تقول : انها حرية الفكر والقول ! . .

فلتعلم أنه لا مسوغ لرتع هذه الحريـة ضمن العوامل التربويـة المقصودة فى المجتمع . وما قال أحد من علماء التربية يوما أن لحرية الفكر والقول مجالا ضمن سلطان هذه العوامل . والا فكيف تكون المدرسة أو المذياع أو الرائى أو الصحف والمجلات وسائل تربوية لعقلية النشء ونفسه اذا كان لوساوس الأفكار على اختلافها أن ترتع وتتصارع فيها كما تشاء ؟ . وأى غاية تربوية تبقى أمام هذه العوامل عند ذلك ؟

ما هو البديل عن الاسلام ؟

أما ان اختار قادة المجتمع سبيلا له غير سبيل الاسلام ؟ فعليهـم أن يستعجلوا فى عرض البديل .

ما هو البديل الذى يحرس كيان المجتمع ، ويعالج مشاكله ، ويحقق مصالحه ؟

ان أى بديل عن الاسلام يوقع المجتمع عامة وشبانه خاصة فى أخطر من المشكلة التى نبحث الآن عن مخرج منها .

ان الجنون الذى سيطر على رؤوس الشبان فى أمريكا وأنحاء أوروبا ، فراح يدفع أمواجا منهم الى الانتحار ويدفع بأمواج أخرى الى العزلـة وممارسة البهيمية ، انما هو جنون الفراغ والابتعاد عن الدين . اذ كـان الدين فى حياتهم لا يعدو شعارا يقبع فى المعابد والكنائس ، أما المجتمـع والسلوك فبعيدان كل البعد عن الدين وأحكامه وأخلاقه !..

وربما يحلم البعض ببديل يتمثل فى الحضارة الغربية ! .. وربمـا ظنوا أن هذا البديل يكسبهم أصالة جديدة ، ويحل الكثير من مشكلاتهم .

وعلى هؤلاء الناس أن يدركوا بأن المسلمين يستطيعون بسهولة أن يخرجوا على مبادىء الاسلام ، وأن يحيدوا عن صراطه الذى ارتقى بهم الى أوج التاريخ ، ولكنهم لا يستطيعون فى يوم ما أن يكتسبوا أى أصالة أو حياة عزيزة من وراء هذا الانحراف والخروج .

ان الذى سيتم ، بالتأكيد ، بعد محاولة استجرار الحضارة الغربية الينا ، هو أننا سنقع فى جو من الفراغ النفسى وسننتهى الى حالـة تشعرنا بأن أى تاريخ لا يتعرف علينا ، وسنجد أن الأمم كلها تنظر الينا بهذا الاعتبار ، أى كشحاذين تتقاذفنا جدران الحضارات التى نتطفل عليهـا ، وستتراكم على نفوسنا مركبات النقص ، وسيحول كل ذلك بيننـا وبيـن الوصول الى ثمار ذلك المجتمع التى نتخيلها وتتحلب منا الاشداق شهوة اليها

شهوة البديل أم البحث عن البديل :

ان على الذين يشتهون بديلا عن الاسلام ، ان يتذكروا أن سبيـل الاشتهاء يسير ، يسلكه العقلاء وغيرهم ، لأن دوافعه الغريـزة ، وليس الانسان أغنى بها من البهائم . ولو كان لشهوة الغريزة أن تصلح فاسـدا لظهر الصلاح فى عالم البهائم .

أما الذين يبحثون عن البديل ، فليسائلوا عنه عقولهم وتجاربهـم ، ووقائع الدنيا التى من حولهم ، وشقاء الغرب بحضارته ، ورثاء العالـم لشبابه . ثم ليقولوا منصفين صادقين ، هل يجدون عن الاسلام من بديل ؟



الدين والشباب

للدكتور وهبة الزحيلي

من أوزار المدينة الحاضرة ومفاسدها الشاخصة عزوف الشباب والشابات عن الدين ، وتخطى القيم الخلقية ، والاستخفاف بالأصول والعبادات الدينية ، واهمال الفرائض والأركان الاسلامية ، وذلك يشكل ظاهرة خطيرة فى هذا الزمان ، ولا سيما اذا جهلت أسباب تلك الظاهرة ودواعيها الداخلية والخارجية ، أو لم يعد للمحاكمات العقلية الصحيحة دور فعال فى معرفة الداء ووصف العلاج الحاسم .

فسبب هذه الظاهرة الخارجي : ما تقوم به أوساط الاستعمار والصهيونية العالمية من تركيز دعائى لافساد الجيل المسلم متمثلا بالأفلام السينمائية ، ودور الأزياء العالمية ، والصور العارية ، والكتب المروجة للتحلل الخلقى تحت ستار الحرية « الكاذبة » وخدمة الأدب « الساقط » عن طريق فن القصة ، وعلمانية التعليم بحجة كونه طريق الحضارة والمدنية والنور .

ويقوم الكتاب المأجورون من العرب ، والمسلمين ظاهرا — مع الأسف — بتبنى أفكار وآراء الهدامين لصرح مجدنا بواسطة الحملات الصحفية المسعورة ، وقصص الجيب الخليعة ، والشعر المنثور الراقص ونحو ذلك من أساليب الدس الرخيص والمجون المقنع .

وأما السبب الداخلى لظاهرة عزوف الشبان عن الدين فهو ما نعانيه فى داخل البلاد العربية والاسلامية من آفات التخلف والجهل والمشاكل الاقتصادية ، والبطالة ، والاحتلال الصهيونى والاضطرابات السياسية والاجتماعية ، وموجات الالحاد والمبادىء الجديدة المستوردة من قومية واشتراكية حادة ، ورأسمالية طاغية ونحوها .

كما أن وطأة الحياة المادية والاستئسار لها والاغراق فى متطلباتها ، وفصل الدين عن الدولة ، وعزل سلطان القرآن عن الشئون العامة : ساهم كل ذلك بتقوية الانحراف الدينى والخلقى وتغذية سيل الالحاد الجارف .

وبما أن عنصر الشباب سريع التأثر والانفعال ، فقد تاه النشء فى الخضم الشاسع للحياة ، وأنجرف فى التيار الشديد اللفح ، ولان أمام المفاتن والمباهج وصنوف الاغراء التى أغرقت العالم الاسلامى والعربى ، فعصفت بالشباب وحرفته عن رسالته الصحيحة .

واستغل الغزو التبشيرى — الاستعمارى — الميول الطبيعية المشتركة بين الفتى والفتاة ، فزين لهما أنواع اللذة والمتعة الجنسية ، وسهل لهما اللقاء غير المشروع بينهما، وحرضهما على الثورة «الوحشية» فى وجه الأبوين أو دعاة الدين والفضيلة ، وسلحهما ضد هؤلاء بعبارات هوجاء كالرجعية والجمود والتزمت ، بل والخرق والسفه ، وبالتالى اللامبالاة ، وازدراء كل ما يصدر عن الآباء والعلماء من آراء وأفكار ونصائح !!

ولم يدر هذا الشاب الغر أن مثل هذا اللقاء هو السم بعينه ، أو هو المهلكة فى حد ذاتها ، فكثيرا ما يقع المرء فريسة الوهن العصبى بسبب حب ضائع ، ووصل مفقود ، بل قد يحدث الانتحار ، أو قد تحصل الخيبة والفشل والخسران أثناء دراسة رائعة أو نجاح مرتقب أو تأمين مستقبل زاهر .

ولكنها قوة الغريزة العارمة فى فحولة الشباب المعرقة تلغى أحيانا عامل التفكير السليم والعقلية النافذة ، فتطغى الاهواء والنزوات على المصالح الحقة ، ويسرع الفتى وراء الفتاة التى توقع كثيرا من الصيادين فى شراكها وحبائلها ، ويكون الفتى دائما هو الضحية !!

وهكذا ستظل المرأة عموما منذ عهد أبينا آدم هى عنوان الخطيئة ، بل هى فى الغالب التى تجرف الرجل الى مهاوى النار ومزالق الشيطان بما أوتيت من أسلحة حادة متنوعة تستخدمها حسب الظروف والمناسبات ، تارة بأزيائها العديدة الأشكال ، أو بفتنتها واغراءاتها ، وتارة بكيدها ونعومتها ، ومرة بصوتها الرخيم وخيلائها المصطنع .. الخ .

ان الأفاعى وان لانت ملامسها عند التقلب فى أنيابها العطب

وحينئذ يبدو لكل شاب عاقل أنه لا حاجة الى الالحاح عليه بألا يغتر

كثيرا بالمرأة ، لا سيما فى وقت الشباب ، فى مرحلة الاضطراب العصبى والجسمى ، وفى فترة اعداد النفس للحياة ، فلكل سكرة صحوة ، ولكل غفلة يقظة ، ولكل عاصفة سكون ، وبعد كل نشوة ندم وقلق .

وهنا تتجلى حاجة الشاب الفطن الى العقل والتفكير ، فبالعقل يحدث التغلب على العاطفة ، ولكن العقل وحده لا يكفى اذا لم يكن هناك حارس أمين عليه وعلى النفس والمال والعرض ، وهذا الحارس هو الدين ، اذ بدونه سرعان ما تكون العاطفة المشبوبة كالنار اللاهبة التى تحرق أولا صاحبها ، ثم يمتد شررها الى الآخرين ، فتقع الكارثة ، ويتشتت الفكر والعقل ، لأن النفس أمارة بالسوء ، وأهواؤها جارفة ، وميولها كثيرة ، ورغائبها عنيفة ، والاستجابة لها موقع فى الهلكة غالبا :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم

اذن أنت أيها الشاب « الصريع الغوانى » فى النهاية لا يراد بك الا السوء من معطيات الحضارة الزائف البراق ، فحذار أن تكون مضيعة أو تصير فى متاهة ، أو تقع فى ميوعة وانحلال ، فدورك الكبير فى هذه الحياة، ومسئوليتك العظمى يتطلبان منك اعداد شخصيتك اعدادا حازما كاملا ، وفرض أرادتك الحديدية العقلانية ، وبدون ذلك تصبح ألعوبة بيد القوى الدولية الكبرى كالريشة فى مهب الريح ، تعيش كما يراد لك فى فوضى الاحداث العامة ، وفى وسط العواصف الاجتماعية الهوجاء .

واذا كان الشباب عدة المستقبل ، وأمل الغد ، وبناة الوطن والبلاد ، فان العناية الكاملة بهم وتهيئتهم الصحيحة هى الواجب الأول للدولة أو المجتمع عن طريق الاعلام والتوجيه المخلص البناء ، وفى أدوار التعليم المختلفة ولا سيما فى المرحلة الجامعية ، حيث ينبغى تثقيف الطلاب والطالبات من النواحى الروحية والخلقية والدينية ، وتوسيع معرفتهم بتلك النواحى بجانب العلوم الاختصاصية الأخرى ، حتى ننهض بمستواهم الفكرى على أساس الاسلام وحده ، ولتظهر ثمرات التربية الاسلامية فى نطاق أعمالهم وسلوكهم ووظائفهم العملية ، مما يعود على المجتمع والدولة بالخير الزائد والعطاء النابض والانتاج الخصب والنفع التام .

ومما يجدر ذكره أن على عواتق الشباب المؤمن قامت دعوة الاسلام وعمت الفتوح أرجاء الدنيا ، كما يدل لذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد نصرنى الشباب وخذلنى الشيوخ » وكان الشاب الذى تربى فى المدرسة الاسلامية الصحيحة رمز التضحية والجهاد ، والفداء والايثار ، والبذل والعطاء ، وكان الشاب اذا فكر قدر ، واذا قدر عزم ، واذا عزم أقدم ، واذا أقدم لم يبال أوقع على الموت فى سبيل عقيدته ومبدئه أم وقع الموت عليه . ويصدق على شباب الاسلام الاوائل وصف شباب أهل الكهف : « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » فكانوا بايمانهم نماذج فذة للبطولات الخارقة ، سواء فى معارك الأعداء ، أم فى مجال البناء الداخلى لدولة الاسلام من مختلف النواحى العمرانية والثقافية والفنية والاقتصادية .

والسؤال الأخير مناط البحث : لماذا نلح على الشباب بالذات بضرورة التزام نظام الدين أو التدين ؟

والاجابة تتحدد بادراك خصائص الدين :

١ — التدين منزع فطرى أصيل فى النفس الانسانية ، ولا يمكن لانسان سوى التخلى عنه فى كل زمان ، وهو ان انحرف عنه فترة ، وبخاصة فى عهد الشباب ، فلا بد من أن يعود الى حظيرة الدين طوعا أو كرها قبل أو بعد سن الكهولة ، كما حدث للمعرى ولكثير من عمالقة الفكر والعقل والفلاسفة وعلماء الطبيعة .

٢ — التدين أمر ضرورى لتكميل القوة المفكرة المبدعة فى الانسان ، فبه يعرف العقل حدوده ، ويحقق تطلعاته فى الأفق الأعلى . كما أن التدين عنصر هام لتكميل قوة الوجدان وأحاسيس النفس البشرية ، فالعواطف السامية والأخلاق الكريمة الثابتة لا تجد مقرا دائما لها وغير ملوث بشوائب المنفعة المادية الا فى نطاق الدين .

وكذلك التدين ضرورى لتقوية الارادة وشحنها بأعظم الطاقات المولدة للحركة والحرية والنشاط والتغلب على مشاكل الحياة .

ولا أدل على أثر الدين المفيد فى النفس من حالة المحن والمصائب ، واليأس والقنوط التى يتعرض لها كل امرىء فى حياته ، بدليل ما صوره القرآن لطبع الانسان ، فقال سبحانه : « لا يسئم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط . ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن : هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ . واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض » .

ففى وقت المحنة يضرع الانسان — ولو بدون ارادة منه — الى الله ، فيجد فى الايمان خير عزاء ، وبه ينبعث العقل والفكر ، ويلتزم جانب الحلم والاناة ، ويتيقظ الضمير والاحساس ، ويتقوى الشعور بالواقع .

وفى حالات التردد والقلق والحيرة يكون الايمان خير دافع وباعث على اجتياز مرحلة اليأس بعزيمة صادقة وارادة فعالة ، وبذلك يكون الدين هو الضمان الخالد لتوفير الاستقرار النفسى والاطمئنان الداخلى عند الضيق والشدائد وفى الأزمات المستحكمة،حيث لا يجد الانسان — وبخاصة الشبان لكثرة تعرضهم للهزات والاضطرابات — ملاذا فى غير الدين والايمان ، ففى سلاح الدين وحرارة الايمان تخلص من الكوارث الخاصة وتجنب لكل عوامل اليأس والقنوط ، لأن اليأس والايمان لا يجتمعان فى قلب واحد .

٣ — الدين محقق فعلا لمصالح الشباب وغيرهم بشكل ثابت دائم ، لأنه أما جالب لمصلحة أو دارىء ودافع لمفسدة وشر أو مضرة ، قال علماء أصول الفقه الاسلامى : « ان من الأمور الثابتة فى الشـ ـعة الاسلامية

بالاستقرار والتتبع أن الأحكام الشرعية كلها شرعت لتحقيق مصالح العباد ، اما لجلب المنفعة لهم ، أو لدفع المفسدة والضرر عنهم ، قال تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

٤ ــ ليس الدين غلا ولا قيدا ولا حجرا على حرية الانسان ، وانما هو رحمة وعامل منظم ، وباعث معدل أو مهدىء ، وصمام أمان ، فاذا استبد الهوى الجارف للشاب وغيره الى مواطن الهلاك ، كان الدين أو خشية الله خير منبه للمخاطر ، ومحذر من العواقب ، ومهىء للسعادة والراحة النفسية .

ومن هنا تتضح سلامة مبدئنا فى دعوة الشباب الى التزام جانب الخوف من الله والاعتصام بالعقيدة الصلبة .

واذا كنا لا ندعو بهذا الى ايقاع الشبان فيما يسمى بالكبت لماله من آثار ضارة ومضاعفات خطيرة ، فانه يمكن أيضا التوصل الى شىء من الاعتدال ، وتحقيق التوافق بين متطلبات الدين ورغائب النفس البشرية ، وذلك عن طريق شغل وقت الفراغ بالعادات الحسنة ، والأعمال اليدوية الصغيرة ، أو بالرياضة البدنية والسباحة ، أو بالمطالعة للكتب الأدبية والاجتماعية النافعة البعيدة عن المثيرات والاغراءات .

ولا بد مع هذا من تجنب مصاحبة رفاق السوء ، والنأى عن مواطن اللهو الماجن والسهر الفاتن ، والعرى الفاضح ، كما هو حادث ــ مع أشد الأسف ــ فى بعض البلدان العربية فى حمامات البحر الصيفية (البلاجات) والمسابح المختلطة .

كما أن البعد عن دور السينما وعن مشاهدة الافلام الخليعة ، وبرامج التلفاز المثيرة بالرقص ونحوه يعد أفضل الطرق للنجاة من آثام قافلة حياة الشباب المترعة بالحيوية والنشاط والقوة .

هذه النواحى هى من الصوم المعنوى ، وهناك الصوم الشرعى المعروف بالامتناع عن الطعام والشراب والشهوات لعلاج الحدة الطارئة والنزوة الثائرة : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ــ مؤن الزواج ونفقاته ــ فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

وفوق كل ذلك لا بد من قراءة القرآن والتزود بقصص الصالحين من علماء الاسلام ، وسيرة القادة السلف الصالح ، وادراك المبادىء الاسلامية ومعرفة حكمة التشريع ، والاعتقاد الجازم بأن الدين لتحقيق خير البشرية جمعاء وأن الاسلام دين عقل ومنطق وحكمة وواقعية .

وليكن شعار الشاب الذى يذكره فى كل آونة : هو خشية الله تعالى ، وغض البصر ما أمكن ، فبذلك استطاع كثير من الشبان التغلب على الأهواء الجانحة ، فعاشوا بحمد الله عفيفى المئزر : « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » « قل الله أعبد مخلصا له دينى » أى بالتقوى والاخلاص .

وبهذه المغالبة للشهوة استحق الشاب التائب أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ، كما فى الحديث المعروف : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : أمام عادل ، وشاب نشأ فى

عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

٥ ــ الدين كما هو نزعة فطرية انسانية هو أيضا ضرورة اجتماعية ، فبه تحترم الأنظمة والقوانين ، ويتحقق استقرار المجتمع وتتقوى عرى التماسك والتعاون بين الأفراد ، وتشيع منه أسباب الطمأنينة والراحة والهدوء ، ويرتقى السلوك قولا وعملا لصدورهما عن عقيدة وضمير ، ومراقبة لله فى السر والعلن، وبالتزام الدين تسود العدالة ، وتقاوم الفوضى والفساد ، بل انه لا سبيل لتقوية الروابط الاجتماعية بين الناس على أساس المحبة والتراحم الا بالدين .

٦ ــ الدين ميزان الحياة ، والوازع الدينى يحقق استقرار الفرد والجماعة ، ويوفر السعادة الحقة لهما ، وان محاولة أضعافه أو التخلى عنه نذير سوء بالانهيار العام ، وانحلال الروابط وأضمحلال المجتمعات ، ففى الطهر والعفاف مثلا سلامة وقوة ، وصحة واطمئنان ، وفى الرذيلة خراب وخسران وأمراض جسام .

٧ ــ ليس الاسلام بالذات نظاما منعزلا عن الحياة ، وانما هو جزء أصيل من الحياة ، ومتصل بها اتصالا وثيقا لا يفصمه عنها أى قوة أرضية ، وكل ما فى الامر أنه ينبغى فهمه فهما صحيحا ، وتوجيهه وجهة صائبة ، وادراك معانيه وكفايته لرأب الصدع ، وسد العجز وازالة المتناقضات ، وتسوية الشروخ التى نعانيها ونلحظها فى مجتمعنا الحاضر بسبب الاعراض عن الديــن .

٨ ــ من الخطأ الكبير والخداع المبطن أن يتمكن العقل وحده ، أو العلم ونشر الثقافة من اقامة مجتمع نظيف سليم البنية يسوده الأمن والسلام والرخاء ، أى أنه لا يصلح العقل والعلم أن يكونا عوضين أو بديلين عن الدين بأية حال ، لأن العقل قد يضل ، وكثيرا ما ضل وغوى ، والعلم سلاح ذو حدين : قد يستعمل للتدمير والخراب ، كما قد يستخدم للبناء والاصلاح، ولا بد له من رقيب شديد يوجهه نحو الخير ، وينذره بالشر ، وينأى به عن الفساد ، وذلك الرقيب فقط هو الدين والخوف من عقاب الله ، وما عداه هو الضلال بعينه .

لهذا كان من حكمة الله وعدله ، ارسال الرسل ، وانزال الكتب السماوية ليتبين الرشد من الغى ، والحق من الباطل : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وخلاصة القول أن الشباب نعمة كبرى وأمانة عظمى عند صاحبه ، وجسر قصير لحياة أطول ، فاذا حوفظ عليه ، وذاق الشاب حلاوة التدين ، كان من صفوة الأبرار المختارين ومن المخلصين للأوطان والديار والأهل والبلاد ، ومن العقلاء بحق .

لهذا نبه الاسلام الى ضرورة اغتنام فرصة الشباب الذهبية : « اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

أسماء الشباب الذين أسلموا في العهد السري للإسلام

١ ـ علي بن أبي طالب : أول الشباب اسلاما ، أسلم وهو ابن ثمان من السنين . استشهد سنة ٤٠ هـ وسنه ٦٣ سنة .

٢ ـ الزبير بن العوام : أسلم وهو ابن ثمان من السنين . استشهد في واقعة الجمل سنة ٣٦ وله ٦٧ سنة .

٣ ـ طلحة بن عبيد الله : أسلم وهو ابن احدى عشرة سنة . استشهد في واقعة الجمل سنة ٣٦ وله ٦٤ سنة .

٤ ـ الأرقم بن أبي الأرقم : أسلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، ومات سنة ٥٥ من الهجرة .

٥ ـ عبد الله بن مسعود : أسلم وقد قارب البلوغ ، ومات سنةاثنين وثلاثين من الهجرة .

٦ ـ سعيد بن زيد : أسلم وهو دون العشرين ، ومات سنة اثنتين وخمسين من الهجرة .

٧ ـ سعد بن أبي وقاص : أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، ومات سنة أربع وخمسين من الهجرة .

٨ ـ مسعود بن ربيعة : أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، ومات سنة ثلاثين من الهجرة .

٩ ـ جعفر بن أبي طالب : أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة ، استشهد بمؤته ؟

١٠ ـ صهيب الرومي : أسلم وهو دون العشرين ، ومات سنة ثمان وثلاثين من الهجرة .

١١ ـ زيد بن حارثة : أسلم في حدود العشرين ، ومات وهو ابن خمس وخمسين سنة . في غزوة مؤته .

١٢ ـ عثمان بن عفان	:	أسلم فى حدود العشرين ، استشهد سنة ٣٥ هـ وسنه ٨٢ سنة .
١٣ ـ طليب بن عمير	:	أسلم فى حدود العشرين ، استشهد فى وقعة أجنادين .
١٤ ـ خباب بن الأرت	:	أسلم فى حدود العشرين ، ومات وعمره ثلاث وستون سنة . (مات سنة سبع وثلاثين) .
١٥ ـ عامر بن فهيرة	:	أسلم ابن ثلاث وعشرين سنة .
١٦ ـ مصعب بن عمير	:	أسلم وهو ابن أربع وعشرين سنة . استشهد فى احد .
١٧ ـ المقداد بن الأسود	:	أسلم وهو ابن أربع وعشرين سنة ، ومات سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة .
١٨ ـ عبد الله بن جحش	:	أسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ومات وهو ابن نيف وأربعين سنة .
١٩ ـ عمر بن الخطاب	:	أسلم وهو ابن ست وعشرين سنة ، واستشهد سنة
٢٠ ـ أبو عبيدة بن الجراح	:	أسلم وهو ابن سبع وعشرين سنة ، ومات وكانت سنه عند موته ثمان وخمسين سنة .
٢١ ـ عتبة بن غزوان	:	أسلم وهو ابن سبع وعشرين سنة ، ومات وسنه سبع وخمسون سنة .
٢٢ ـ أبو حذيفة بن عتبة	:	أسلم فى حدود الثلاثين ، استشهد فى وقعة اليمامة ، وسنه ست وخمسون سنة.
٢٣ ـ بلال بن رباح	:	أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات سنة عشرين من الهجرة .
٢٤ ـ خالد بن سعيد	:	أسلم فى حدود الثلاثين ، واستشهد يوم مرج الصفر .
٢٥ ـ عمرو بن سعيد	:	أسلم فى حدود الثلاثين ، واستشهد يوم مرج الصفر .

٢٦ ــ عياش بن أبى ربيعة : أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات شهيد سنة خمس عشرة من الهجرة .

٢٧ ــ عامر بن ربيعة : أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة .

٢٨ ــ نعيم بن عبد الله : أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات بمؤتة .

٢٩ ــ عثمان بن مظعون : أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات فى السنة الثانية من الهجرة .

٣٠ ــ عبد الله بن مظعون : أسلم بن سبع عشرة سنة ، ومات سنة ثلاثين من الهجرة .

٣١ ــ قدامة بن مظعون : أسلم بن تسع عشرة سنة ، ومات سنة ست وثلاثين من الهجرة .

٣٢ ــ السائب بن مظعون : أسلم فى حدود العشر من السنين ، واستشهد فى وقعة اليمامة .

٣٣ ــ أبو سلمة بن عبد الأسد : أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات فى السنة الرابعة من الهجرة .

٣٤ ــ عبد الرحمن بن عوف : أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات فى سنة احدى وثلاثين من الهجرة .

٣٥ ــ عمار بن ياسر : أسلم بين الثلاثين والاربعين ، واستشهد فى وقعة صفين سنة ٣٧ من الهجرة .

٣٦ ــ أبو بكر الصديق : أسلم وهو ابن (٣٧) سنة ، ومات سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

٣٧ ــ حمزة بن عبد المطلب : أسلم وهو ابن (٤٢) سنة ، واستشهد فى غزوة أحد .

٣٨ ــ عبيدة بن الحارث : أسلم وهو ابن خمسين سنة ، ومات بعد عودته من بدر .

٣٩ ــ عامر بن أبى وقاص : مات بالشام فى خلافة عمر ، واسلم بعد عشرة رجال .

٤٠ ــ السائب بن عثمان بن مظعون : أستشهد باليمامة وسنه بضع وثلاثون سنة .

مائدة القارئ

قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين .

صدق الله العظيم

عبد الله بن عباس

جاءه رجل من الأنصار فشكى اليه أمره ، وأنه ولد له ولد وأن أمه ماتت وهى تلده ، فأمر وكيله بأن يعطيه حاضنة ، وأن يدفع له مائتى دينار للنفقة على تربية الطفل ، وقال للأنصارى :

عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة :
قال الأنصارى : لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ، ولكنه سبقك ، فصرت له تاليا ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ، وطل كرمك أكثر من وابله .

تربيـــة

أسر معاوية الى ابن أخيه عمرو بن عنبسة بن أبى سفيان حديثا .
قال عمرو : فأتيت أبى وقلت له :
ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا ، أفأحدثك به ؟

قال : لا ، لأنه من كتم حديثه كان الخيار له ، ومن أظهره كان الخيار عليه ، فلا تجعل نفسك مملوكا بعد أن كنت مالكا .
فقلت : أو يكون هذا بين الرجل وأبيه ؟
قال : لا ولكن أكره أن تعود لسانك اذاعة السر .

صناديق النذور

رأى حافظ ابراهيم تزاحم الناس على صناديق النذور فى الأضرحة فأنشد :

أحياؤنـــا لا يرزقـــون بــــدرهم   وبــألف ألــف تــرزق الأمــــوات
مــن لى بحــظ النائمين بحفـــــرة   قــامت عــلى احجــارها الصلوات
يسعى الأنــام لهــا ويجــرى حولها   بحــر النذور وتقـــرأ الآيـــات
ويقال هــذا القطب بــاب المصطفى   ووسيلــة تقضى بهـــا الحــاجات

اريحية العربي

روى التاريخ الاوروبى : ان شارلمان أسر أحد أمراء العرب ، وأدخل عليه وهو بين فرسانه وحاشيته ، والموائد موضوعة . والكل يأكلون فصاح فيه اما ان ترتد عن دينك ، واما أن تقتل ، فقال الأمير العربى : بل أوثر القتل ، فقال شارلمان : ولماذا قال ستعرف بعد برهة : من هؤلاء الاشخاص الضخام الذين يلبسون الفراء ، ويجلسون على مائدتك ؟ فقال شارلمان انهم مطارنة وقساوسة ، فسأله الأمير العربى : ومن هـؤلاء النحاف الذين يلبسون السواد ؟ فأجاب انهم رهبان يصلون من أجلنا ، فسأل مرة ثالثة ، ومن هؤلاء الذين يجلسون على الارض ويأكلون من فتات المائدة ، فقال : انهم الفقراء ، فصاح الأمير العربى : أهكذا تعامل الفقراء : ان هذا مخالف للشرف والمروءة ، ولا يرضى ربك الذى تعبده ، والآن : لا . لن أتنصر أبدا وهذه سمة دينك ، وانى أفضل الموت .

محضر تحقيق

القاضى : ما اسمك ؟
السائق : قائد السيارة
القاضى : وصنعتـك ؟
السائق : سائق .
القاضى : كم عمـرك ؟
السائق : مائة قتيـل .
القاضى : أنت متهم بالدهس .
السائق : كله بالقضاء والقدر .
القاضى : قل السرعة والغفلة .
السائق : لا : القضاء والقدر .
القاضى : يوجد شهود عليك .
السائق : كذابـون .
القاضى : رجال الاسعاف يشهدون .
السائق : كذابون لأننا نشغلهم باستمرار .

ديك يبيض

من أغرب قضايا محاكمة الحيوان فى القرون الوسطى محاكمة الديك الذى باض ، فقد رفعت دعوى على ديك فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٤٧٤ لأنه باض ، وذلك فى عرف الأوروبيين جريمة شنيعة اذ كان من المعروف عندهم أن السحرة يبحثون عن بيضة الديك ليستخدموها فـى أغراضهم الشيطانية ، وقدم الديك للمحاكمة ودافع محاميه بأن الديك لا يعتبر مسئولا، ولكن المحكمة أصدرت حكمها باعدام الديك حتى يكون عبرة لغيره .

نصيحة

قالــوا : أن فترة الشباب أخصب مراحل العمر ، وأجدرهــا بحسن الافادة وعظم الاجادة !!

فهى القوة الظاهرة بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة .

وقد قرر القرآن الكريم ذلــك فى قوله تعالى : « **الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** » .

ومن ثم كان على المرء أن يقــدم حسابا عاما عن حياته كلها ، وحسابا خاصا عن طور الشباب وحده ، فهو طور له خطره وأثره « لا تزول قدما عبد حتى يسأل : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ » ..

والحق أن أمجــاد المتفوقين ، وأشواط الصاعدين ، انما تستمــد حركتها وبركتها من جهــودهم أيام الشباب ، واستغلالهم عرامه وأقدامه فى السبق والانطلاق على أن الشباب وان اكتنفته من طرفيه المتباعــدين الطفولة والشيخوخة ، الا أنه يصعب وضع حدود زمنية لعهده السعيد !! فهناك رجال تظل وقدة الشباب حارة فى دمهم وأن أنافوا على الستين ، لا تنطفىء لهم بشاشة ، ولا يكبو لهم أمل ، ولا تفتر لهم همة .. !!

وهناك شباب يحبون حبوا عــلى أوائل الطريق لا ترى فى عيونهم بريقا، ولا فى خطاهم عزما ، شاخت أفئدتهم فى مقتبل العمر ، وعاشوا فى ربيع الحياة لا زهر ولا ثمر !!

ومن الأخطاء تصور الشباب قدرة جسد ، وفتاء غريزة ! ان الشبــاب توثب روح ، واستنارة فكر ، وطفرة أمل ، وصلابة عزيمة ..

للشيخ : محمد الغزالي

بين الشباب والشيوخ

نعم ان فترة الشباب فى حياة الانسان هى أحفل أطوار العمر بالمشاعر الحارة ، والعواطف الفائرة لكنها ليست عهد العافية المكتملة فى البدن الناضج فقط ، بل انها ـ كذلك عهد النزعات النفسية الجياشة ، يمدها الخيال الخصب ، والرجاء البعيد ..

والأمم تستغل فى شبانها هذه القوى المذخورة ، وتجندها فى ميادين الحرب والسلم ، لتذلل بها الصعب ، وتقرب البعيد .

ونجاح النهضات الكبيرة يرجع الى مقدار ما بذل فيها من جهود الشباب وهممهم ، والى مقدار ما ارتبط بها من آمالهم وأعمالهم .

وقد راقبنا الثورات التى اشتعلت فى أرجاء الشرق ضد الغزاة المغيرين على بلاد الاسلام ، فوجدنا جماهير الشباب هم الذين صلوا حرها ، وحملوا عبئها ، وأندفعوا بحماستهم الملتهبة ، وأقدامهم الرائع ، يخطون مصارع الأعداء ، ويرسمون لأمتهم صور التضحية والفداء .. !

ولا يزال الشباب من طلاب وعمال وقود المحركات الحرة ، وطليعة الثائرين على الفساد والاستبداد ، وقبلة المربين والمرشدين ، والزعماء الذين ينشدون مستقبلا أزكى لهذه الحياة .

ونحن اذ نقرر هذه الحقائق ننوه بما تنطوى عليه من دلائل الايثار والتفانى ونرجو أن يكون حظ أمتنا من هذه الثروة الحية كفاء ما رميت به من أحداث جسام ، وما فقدت من أمجاد عظام ..

فلا ينتهى هذا العصر حتى نكون قد غسلنا بلادنا من أدران الاحتلال

الأجنبى الذى أخزانا فى ديننا ودنيانا ..!!

بيد أن هناك رجالا تأخرت بهم السن وذهبت عنهم سورة الشباب ، وتكاثرت الصلات التى تربطهم بالدنيا ، ومع ذلك فان جذوة اليقين المتقد فى قلوبهم تمسك بالشباب المولى عن جلودهم وعظامهم ، وتبقيه ، بل تضاعفه ، فى قلوب تنبض بالحق وتدفعه فى العروق مع الدم ، فاذا أنت ترى منها بأس الحديد ، وجرأة الأسود ، وترى رجالا تستهويهم المغامرة ، ويطيرون الى التضحية فى سبيل الله أخف من الشباب الغض ..

قد يقبل الشباب على المخاطرة وسبل البذل أمامه ميسرة ، فهو أن سجن لم يجزع على أسرة يعولها ! وان قتل لم تبكه امرأة أيم ! ولا ولد يتيم ! وخفة حمله من هذه الناحية تجعله سريع الاستجابة لنداء الواجب ، أو تزيح العوائق من أمامه اذا ثارت فى دمه نوازع النجدة ..

أما البطولة الفارعة فهى أن يكون المرء رب أسرة كبيرة يضرب فى مناكب الأرض لرعايتها ، ويسير فى الحياة وهو موقر بأثقالها . غير أنه ــ وهو الزوج المحب والأب الرحيم ، والراعى المسئول ــ مؤمن قبل ذلك كله بالله ورسوله ، مخلص للدين الذى اعتنقه، مقدر للحقوق التى ارتبطت به .

فاذا أحس للاسلام طلبا سارع اليه ولباه بروحه ، وماله ، ولم تشغله أعباء الحياة التى يكدح فيها عن مطالب المثل العالية التى آمن بها .. !!

والانسان عندما يقرأ استشهاد عبد الله بن حرام ، يرى فى قصته جلالا تنحنى له الجباه . أعزازا للأبوة الرقيقة التى جادت بنفسها ، واستودعت الله أسرة من غلام واحد وست بنات !

روى أبو داود والنسائى عن جابر ابن عبد الله قال : « **خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى المشركين يقاتلهم ، وقال لى أبى : يا جابر عليك أن تكون فى نظارى أهل المدينة حتى تعلم إلآم يصير أمرنا ؟ فانى والله لولاأنى أترك بنات لى بعدى لأحببت أن تقتل بين يدى .. !!**

قال : فبينا أنا فى الناظرين ! جاءت عمتى بأبى وخالى ، عادلتهما على ناضح ! فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا ، اذ لحق رجل ينادى : ألا ان النبى صلى الله عليه وسلم يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوهم فى مصارعهم ، فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا .. » ..

وروى البخارى عن جابر أيضا : « لما حضر أحد ــ يعنى القتال عند الجبل وفوقه ــ دعانى أبى من الليل فقال لى : ما أرانى الا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وانى لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول الله !! وان على دينا ، فاقضه واستوص بأخواتك خيرا ، فأصبحنا .. وكان أول قتيل » .

هذا الصاحب الجليل خرج مع رسول الله ليصد هجوم المشركين على المدينة تاركا وراءه هذه الأسرة الكبيرة وقوامها كما رأيت بنات يحتجن الى الكافل الحانى ، ولم يكن أبوهن ذا بسطة فى المال ينفق منه عن سعة ، ويترك لعقبه من بعده ما يغنى ويصون ، بل كان الرجل مهموما بشئون الرزق ، ينصب فيه ويستدين . وغلام فرد الى جوار ست بنات يكون غالبا قرة عين الوالد وموضع حبه

العميق ، لكن عبد الله يقسم أنه يود لو قدم ابنه ليستشهد فى سبيل الله وأنه انما يعجل بنفسه حتى يبقى الابن للبنات يخدمهن ، فان ابنه لو قتل قبله ، فلن تطول بالأب الحياة .

انه لا بد مقتول فى أقرب معركة .

ان أصحاب المبادىء سراع الى تلبية مبادئهم ! عندما يقرع باب الكريم ينهض ويقول :

فقمت ولم أجثم مكانى ولم تقم
مع النفس علات البخيل الفواضح

وعندما يطلب الشجاع الى ساحة الوغى يذهل عن الحياة وأواصره بها ، وينطلق وهو يقول : « وعجلت اليك رب لترضى » !!

وقد خرج أبو جابر الى أحد ليلقى مصيره مع أبر شهداء الاسلام . وروى الشيخان عن جابر قال : أصيب أبى يوم أحد فجعلت أكشف عن وجهه وأبكى !! وجعلوا ينهوننى ، والنبى صلى الله عليه وسلم لا ينهانى ، وجعلت فاطمة بنت عمرو رضى الله عنه تبكيه !!

فقال صلى الله عليه وسلم : تبكينه أولا تبكينه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه !

وروى الترمذى عن جابر قال : لقينى رسول الله مرة وأنا مهتم ، فقال : مالى أراك منكسرا ؟ فقلت : استشهد أبى يوم أحد . وترك عيالا ودينا ، فقال : ألا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟ قلت بلى ! قال : ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب ، وأنه أحيا أباك فكلمه كفاحا ، فقال : يا عبدى ، تمن على أعطك ! قال : يا رب تحيينى فأقتل ثانية ! فقال سبحانه وتعالى : انه قد سبق منى أنهم لا يرجعون : فنزلت : « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا** » .

والمرأ يحار ، أيعجب من كرامة الشهيد على الله ؟ أم حلاوة الفناء فى الله التى ذاقها أولئك الشهداء ؟

ان أبا جابر لم يستشعر وحشة لفراق أولاده ، ولم تستشرف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده ، بل تطلع للعودة الى الدنيا كيما يذهل مرة أخرى عن أحب شىء فيها ، ويتمشى بخطى ثابتة الى ساحة القتال !!

ولقد كفل الله أولاد الشهيد ، وقضى عنه دينه فى حديث يطول .

ولندع حديث الصدر الأول ، ونستأنف حديث الأشياخ المجاهدين فى عصرنا هذا ، اننا واجدون رجالا من طراز رائع ، صنعهم الاسلام القوى فأحكم صناعتهم ، وقذف بهم على جند الباطل فجددوا سير السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

من أولئك النفر الغر : عمر المختار . البطل الذى بلغ التسعين من عمره وهو يجوب الصحراء مطاردا « الطليان » الذين أغاروا على طرابلس ، وعملوا على تنصيرها بالحديد والنار ، وفيه يقول «شوقى» :

بطل البداوة لم يكن يغزو على
(تنك) ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل حمى صهواتها
وأدار من أعرافها الهيجاء

وقد وقع الشيخ المهيب فى أسر الاعداء ، فألفوا محكمة قضت بقتله شنقا !! والمستعمرون قوم لا ينتظر منهم شرف المعاملة لا مع صديق ولا مع خصم ، وقد ندد شوقى بهذا الحكم الشائن فقال :

خفيت على القاضى، وفات نصيبها
من رفق جند قادة نبلاء
تسعون لو ركبت مناكب شاهق
لترجلت هضباته أعياء

ويقول :

شيخ تمالك سنه ، لم ينفجر
كالطفل من خوف العقاب بكاء ؟
الأسد تزأر فى الحديد ولن ترى
فى السجن ضرغاما بكى استخذاء

ثم يخاطب الشعب طالبا منه تجنيد الشباب واعفاء الشيوخ فيقول :

فأرح شيوخك من تكاليف الوغى
واحمل على شبانك الأعباء

على أن منطق اليقين لا يكترث بفوارق السن ، فان العقيدة المتفجرة فى القلوب الكبيرة ترد الكهول الوانين فتيانا نشيطين ، أما اذا تخلخل الايمان فان الشاب الجلد يمسى حلس منفعة تافهة مهينة !! .

والدعوات العظيمة لا تضار بشىء مثل ما تضار بهذا الصنف من المتلونين المتطلعين ، الصنف الذى يحاذر أن يمسه سوء ، ويسارع الى احراز الغنائم ، ويشارك بجسمه أصحاب الرسالات ، أما قلبه فهو بعيد بعيد . الصنف الذى صور القرآن موقفه النابى المريب فى هذه الآيات .

« وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما » .

والمرء لا يصلح أن يكون رجل دعوة وصاحب رسالة اذا بنى حياته فى حساب الارباح والخسائر على هذا النحو المنكر .

ربما كان الرجل خالى البال لا يتبع أهلا ولا مالا ، فهو يهز كتفيه لما تفد به الليالى من أحداث ، أفاذا بلى بأثقال الفضائل ألقى بها فى عرض الطريق ، وأضحى لا يهدأ أو لا يهيج الا لمنافعه الخاصة ؟

كذلك فعل المنافقون قديما ! فعندما ندبوا للجهاد قعدوا واعتذروا « **سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا . بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا** » ..

انهم توهموا الخروج مغامرة مخوفة العاقبة ، أو مقامرة بعيدة الربح ، فنكصوا وأفئدتهم صفر من معانى اليقين والتضحية التى تجعل الشهيد يقبل على الموت ، ويود لو يرد الى الحياة ليموت مرة أخرى .

ولو كان الخروج لنفع يسير لكان لهم مع القافلة سواد كثيف .. !

« **سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل** » .

وقد حذر الله المؤمنين أن تسيطر على أفكارهم هذه المآرب ، أو تتدخل فى نياتهم هذه المنافع .

« **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** » .

فلتكن لنا من حياة المجاهدين عظة ، ومن مماتهم عبرة ، ومن مسلكهم مع أهليهم وأموالهم أسوة حسنة ..

ترتيبُ سنّ الشَبابْ

قال الامام أبو منصور عبد الملك الثعالبى فى كتابه فقه اللغة :

الجنين ما دام الحمل فى رحم أمه فهو جنين .

الوليد فاذا ولد فهو وليد .

الصديغ وما دام لم يستتم سبعة فهو صديغ . لانه لا يشتد صدغه الى تمام السبعة

الرضاع ما دام يرضع فهو رضاع .

الفطيم ثم اذا قطع عنه اللبن فهو فطيم .

الدارج ثم اذا دب ونما فهو دارج .

الخماسى فاذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسى .

مثغور فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور .

الناشىء فاذا كاد يجاوز العشر السنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشىء .

المراهق فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع أو مرافق

الحزور فاذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزور .
واسمه فى جميع هذه الاحوال التى ذكرناها غلام

الفتى فاذا صار ذا فتاء فهوفتى وشارخ .

المجتمع فاذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع .

الشاب : ثم ما دام بين الثلاثين والاربعين فهو شاب .

الكهل ثم هو كهل الى أن يستوفى الستين .

الطفلة أما المرأة فهى طفلة ما دامت صغيرة .

الوليدة ثم وليدة اذا تحركت.

الكاعب ثم كاعب اذا كعب ثديها .

الناهد ثم ناهد اذا زاد .

المعصر ثم معصر اذا أدركت .

العانس ثم عانس اذا ارتفعتعن حد الاعصار .

الخود ثم خود اذا توسطت الشباب .

النصف ثم نصف اذا كانت بين الشباب والتعجيز .

الشهلة ثم شهلة كهلة اذا وجدت مس الكبر وفيها بقيةو جلد

الشهيرة ثم شهيرة اذا عجزت وفيها تماسك .

الحيزبون ثم حيزبون اذا صارت عالية السن ناقصةالقو

شباب الشرق والعـ

في شعر أحمد شوقي

محمد مؤذن

حينما رغبت الى مجلة (الوعى الاسلامى) أن أشارك بقلمى فى عددها الممتاز عن (الشباب : تربيته ومشاكله) ، قفزت الى الخاطر تلك العبارة الكريمة التى قالها النبى محمد عليه السلام حينما أنزل عليه قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) فجمع بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب ، وكان عددهم خمسة وأربعين رجلا ، وصنع لهم طعاما ، فلما أكلوا قال لهم : يا بنى عبد المطلب ! انى والله ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، جئتكم بكلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين فى الميزان : شهادة أن لا اله الا الله ، وانى رسول الله .

فمحمد هنا وهو فى سن الأربعين : سن الرسالة والنبوة ، يقر بأنه شاب ، وبأن شابا آخر من قريش لم يجئهم بمثل ما جاءهم به محمد أو بأفضل منه .

ـــرب والإســلام

للأستاذ : محمد عبد الغني حسن

ويشاء الله أن يجمع الى شباب محمد شباب رجال دعوته ، حتى تلتقى القوة بين الداعى والدعاة على أشد ما يكون الالتقاء حين يجتمع الشباب الى الشباب . وكانت سن كل واحد من هؤلاء دون الأربعين بكثير أو بقليل ، كعلى بن أبى طالب ، وجعفر بن أبى طالب ، وصهيب الرومى ، وزيد بن حارثة ، وعثمان بن عفان الذى أسلم فى حدود العشرين سنة ، والمقداد بن الأسود ، وعمر بن الخطاب الذى أسلم وهو ابن ســـت وعشرين سنة ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف الذى أسلم فى حدود الثلاثين سنة ، وأبى بكر الصديق الذى أسلم وهو ابن ست أو سبع وثلاثين سنة . ولم يتجاوز الأربعين من هؤلاء السابقين الا حمزة بن عبد المطلب ، فقد كانت سنه اثنتين وأربعين سنة ، وعبيدة ابن الحارث فقد أسلم وهو ابن خمسين سنة ، أى أنه تجاوز سن اكتمال الشباب بعشر سنين .

وقفزت الى الخاطر مسائل أخرى ، كاحتفاء طائفة من الشعراء بالشباب والمشيب ، والمقارنة بين سواد أولهما وبياض ثانيهما ، والبكاء على الشباب ، والجزع للمشيب وذمه ، ومحاولة اخفاء وجهه الأبيض بالخضاب الأسود ! كما فعل أبو تمام ، والبحترى ، والشريف الرضى ، وأخوه المرتضى وابن الرومى ، وهم ممن أطالوا فى هذا الباب اطالة دعت الشريف المرتضى الى جمع أشعارهم فى كتاب أسماه (الشهاب ، فى الشيب والشباب) .

ويتضح بأدنى نظر أن لفظة (الشباب) لها مدلولان : اما أن تكون للحالة التى تضاد المشيب والشيخوخة بمعنى الفتاء والحداثة ، واما أن تكون جمعا بمعنى الشبان ، جمع شاب . وقد جاءت معاجم اللغة بالمعنيين معا . ففى (القاموس المحيط) : (الشباب : والشبيبة : الفتاء ، والشباب والشبيبة والشبان : جمع شاب) وعلى المعنى الأول قول البحترى :

يعيب الغانيات على شيبى ... ومن لى أن أمتع بالمعيب ؟!
ووجدى بالشباب وان تقضى ... حميدا دون وجدى بالمشيب

وعلى المعنى الثانى ــ بمعنى الشبان ــ قول الشاعر أحمد شوقى :

شباب قنع لا خير فيهم ... وبورك فى الشباب الطامحينا

والحق أن أكثر شعراء العرب منذ الجاهلية الى اليوم قد أداروا (الشباب) فى شعرهم على حالة الفتاء المضادة للمشيب . وجعلوا ما أداروه فى هذا المجال بكاء على عهد الشباب المزهر المدبر ، وخوفا من عهد المشيب الذى يفضى بدوره الى نهاية الحياة . فانقضاء الشباب لا يخيف ولا يزعج قدر انقضاء المشيب الذى به خاتمة العمر . ولم نجد ــ حتى العصر الحديث ــ شاعرا يتكلم عن الشباب بمعنى الشبان ، أو يتحدث الى الشبان ، أو يدلى اليهم بنصيحة ، أو يعلق عليهم أملا . وكأن كل شاعر من القدامى كان مشغولا بشئون نفسه ، وهموم شعره الأبيض ، وأحلام شعره الأسود ، ونفور الحسان من بياضه ، حتى لقد جعل بعضهم بياض المشيب ضحكة الأزهار فى الرياض : ولعله بذلك كان يوهم نفسه ، ويغالط حسه .. بل جعله زينة ووقارا ، فقال :

لا يرعك المشيب يا أبنة عبد اللـ ... ـه ، فالشيب زينة ووقار
انما تحسن الرياض اذا ما ... ضحكت فى خلالها الأزهار !

والحق ــ أيضا ــ أن اهتمام بعض الشعراء المعاصرين بالشباب اليوم ، وبالتعويل عليه ، والتأميل فيه ، لمستقبل البلاد ، وخير الأمة ، ونفع الجماعة ، انما هو أثر من آثار الاهتمام بالمجتمع والدراسات الاجتماعية . كما اهتموا اليوم بالمرأة ، والطفل واليتيم ، والفقير ــ مثلا ــ على حين كانوا بعيدين كل البعد من دائرة اهتمام الشعراء .

وما وجدت شاعرا عربيا معاصرا أولى الشباب اهتمامه ورعايته، وعانى التخاطب معهم ، وكابد النصيحة لهم ، وألف فى أشعاره الحديث اليهم ، كما فعل أحمد شوقى ــ رحمه الله ــ فان ديوانه يحفل بالشباب، ومدحهم ، والأمل فيهم ، والنصح لهم ، حتى فى المناسبات التى قد يكون الخطاب فيها الى الشباب بعيد الاحتمال . ولكن حب (شوقى) للشباب وتعليق الآمال عليه يجعله يخلق من المناسبة سبيلا الى الحديث عن الشباب والتحدث اليهم .

وقد تكون المناسبة التى يختارها الشاعر أحمد شوقى للحديث الى الشباب مناسبة رثاء . وهنا يخرج الشاعر من جو البكاء والدموع

ومن جو الحزن على الراحل وتعداد مآثره الى جو الاشادة بالآباء والأجداد شبابا وكهولا ، ولا يفوته هنا أن يقدم الشباب على الكهول ، وهو ترتيب اذا روعى فيه السن والزمن من ناحية ، فقد روعى فيه الاعتبار والتقدير من ناحية أخرى ، كما فى مرثيته للشهيد البطل عمر المختار حيث يقول :

تلك الصحارى غمد كل مهند　　أبلى فأحسن فى العدو بلاء
وقبور موتى من شباب أمية　　وكهولهم لم يبرحوا أحياء

وحين استشهد جماعة من الشباب طلبة العلم المصريين مغتربين فى أوربا فى حادثة قطار مشئومة بايطاليا سنة ١٩٢٠ ، وجدها شوقى فرصة مواتية للمقارنة بين المشيب والشباب . فالمشيب ليس مركبا للعلا ولا هو من خيولها . والمشيب لا يشجع على شجاعة ولا يقدم على جود ، ولكنهما مظنة الشباب ونتاجه ، فيقول :

وكل شباب أو مشيب رهينة
بمعترض من حادث الدهر مغتال
وما الشيب من خيل العلا ، فاركب الصبا
الى المجد تركب متن أقدر جوال
يسن الشباب البأس والجود للفتى
اذا الشيب سن البخل بالنفس والمال

ولا يقف شوقى فى مرثيته لشهداء القطار عند حد الموازنة بين اقدام الشباب وجوده ، وخوف المشيب وبخله ، ولكنه ينتهز فرصة استشهاد أحد عشر طالبا فى سبيل العلم فيقول موجها نصحه الى شباب النيل :

ويا نشأ النيل الكريم عزاءكم　　ولا تذكروا الأقدار الا باجمال
عليكم لواء العلم فالفوز تحته　　وليس اذا الأعلام خانت بخذال
اذا مال صف فاخلفوه بآخر　　وصول مساع ، لا ملول ، ولا آلى
ولا يصلح الفتيان لا علم عندهم　　ولا يجمعون الأمر أنصاف جهال

وفى رثاء شوقى للزعيم مصطفى كامل الذى اختطفه الموت فى سن الشباب يتخلص الشاعر من موقف البكاء الى موقف احياء الشعور الوطنى بين شبان البلاد ، فيقول مخاطبا الفقيد :

أخلع على مصر شبابك عاليا　　وألبس شباب الحور والولدان
فلعل مصرا من شبابك ترتدى　　مجدا تتيه به على البلدان
علمت شبان المدائن والقرى　　كيف الحياة تكون فى الشبان

وينتزع الشاعر أحمد شوقى من كبار الأحداث والذكريات مناسبة للتحدث الى (الشباب) ونصحهم وتذكيرهم بسير العظماء من أسلافهم. ففى الموشح الأندلسى الذى نظمه شوقى لذكرى عبد الرحمن الداخل المعروف بصقر قريش يخاطب شوقى شباب الشرق — ولا يخص شباب النيل — قائلا :

يا شباب الشرق عنوان الشباب　　ثمرات الحسب الزاكى النمير
حسبكم فى الكرم المحض اللباب　　سيرة تبقى بقاء ابنى سمير (١)

---

(١) كناية عن الليل والنهار

فى كتاب الفخـــر (للداخل) باب　　لم يلجه من بنى الملك أمــــير

وكثيرا ما كان شوقى يعتقد فى براءة الشباب وسماحته وطهارته الى حد أن الله لا يرد دعاءهم . ففى قصيدته التى افتتح بها عهد عودته من المنفى بالأندلس يقول :

وحيـــا الله فتيانا ســـماحا　　كســوا عطفى من فخـــر ثيابا
ملائـــكة اذا حفـــوك يومـــا　　أحبــك كل من تلقى ، وهـــابا

ثم يخاطبهم قائلا :

شباب النيـــل ان لكم لصـــوتا　　ملبى حـــين يرفع مســـتجابا
فهــزوا العرش بالدعوات حتى　　يخفف عن كنـــانته العـــذابا

وفى قصيدته التى نظمها بمناسبة مشروع (ملنر) البريطانى يخاطب الشبان ويشير الى جهودهم قائلا :

يا نشأ الحى ، شـــباب الحمى　　سلالة المشـــرق من نجبـــه
بنى الألى أصـــبح احســـانهم　　دارت رحى الفن على قطبـــه
موسى وعيسى نشـــآ بينهـــم　　فى سعة الفكر وفى رحبـــه
ما نسيت مصـــــر لكم برهـــا　　فى حازب الأمـــر وفى صعبه ..

وما فتىء شوقى فى كثير من قصائده مادحا للشباب مشيدا بمآثرهم وجهودهم فى خدمة بلادهم ، فحين أطلقت مصر سراح المسجونين من الشباب ١٩٢٤ على يد سعد زغلول قال شوقى من قصيدة القيت فى حفل تكريمهم :

قالوا : أتنظم للشباب تحيـــة　　تبقى على جيـــد الزمان قصيدا ؟
قلت : الشباب أتم عقـــد مآثـــر　　من أن أزيدهم الثنـــاء عقـــودا
قبلت جهودهم البـــلاد ، وقبلت　　تاجا على هاماتهم معقـــودا ..

وطالما حض شوقى الشباب على ركوب العظائم والاقدام على جلائل الأعمال . فهو ينصح الشباب أن يركبوا المخاطر كما ركبها الرحالة أحمد حسنين فيقول :

قل للشباب بمصر : عصركم بطل　　بكل غـــاية اقـــدام له ولـــع
أس الممالك فيـــه همـــة وحجى　　لا الترهات لها أس ولا الخـــدع
ان الشباب غد ، فليهدهم لغـــد　　وللمسالك فيـــه الناصـــح الورع
لا يمنعنكمو بـــــر الأبـــوة أن　　يكون صنعكمو غـــير الذى صنعوا

ولا يدع شوقى مناسبة تمر دون أن ينتهزها بالنصح للشباب ونصح ولاة الأمور بتربيتهم وبنائهم على أسس متينة من الخلق والدين ، وتنشئتهم نشأة صالحة . ففى قصيدته المشهورة التى نظمها لتكريم المعلم والعلم يخاطب المعلمين قائلا :

ربوا على الانصاف فتيان الحمى　　تجدوهم كهف الحقـــوق كهـــولا
فهـــو الذى يبنى الطباع قويمـــة　　وهو الذى يبنى النفوس عـــدولا

وفى قصيدته الجريئة العظيمة التى يلوم فيها رياض باشا على مدحه وتملقه للورد كرومر معتمد بريطانيا فى مصر سنة ١٩٠٤ ، يعاتبه

على أنه ترك نصيحة الشبان والطلاب وتحذيرهم من الاستكانة للمستعمر فيقـــول :

فهـــلا قلت للشـــبان قـــولا … يليق بحـــافل الماضى الهمـــام ؟
يبث تجـــارب الأيـــام فيهـــم … ويدعو الرابضين الى القيـــام
خطبت على الشـــبيبة غـــير دار … بأنـــك من مشـــيبك فى منام !!

والمتتبع لشعر شوقى كله يرى أنه لم يمل فى أكثر المواقف من مخاطبة الشباب ، والتوجه اليهم بالنصح تارة ، والفخر بهم تـــارة أخرى ، وكأنما كان يتخذ هذا التفاخر بالشباب سبيلا الى حمله على أن يزيد من طاقاته ، ويوسع من أمد اهتماماته . ففى مشروع القرش الذى نهض به بعض من كرام الشبان سنة ١٩٣٢ قال شوقى من قصيدة يخاطب بها الشباب :

فتيـــة الوادى عـــرفنا صـــوتكم … مرحبا بالطـــائر الشـــادى الفرد
هو صوت الحق لم يبـــغ ، ولم … يحمل الحقد ، ولم يخف الحســـد
وخـــلا من شـــهوة ما خـــالطت … صالحا من عمـــل الا فســـد

وطالما وجد الشاعر شوقى فى الشباب الأمل المرتجى ، وكثيرا ما كان يجعل أمل البلاد معلقا عليهم ومنوطا بهم . ففى الحفل الذى أقيـــم بفندق شبرد تكريما للأساتذة الشبان عبد الملك حمزة ، واسماعيل كامل، وعوض البحراوى ينظم شوقى قصيدة يفتتحها بقوله :

وطن يرف هـــوى الى شـــبانه … كالروض رقتـــه على ريحـــانه
هم نظم حليته ، وجوهر عقـــده … والعقـــد قيمتـــه يتيم جمـــانه
يرجو الربيع بهم ، ويأمـــل دولة … من حســـنه ومن اعتدال زمـــانه
من غاب منهم لم يغب عن سمعه … وضميره ، وفؤاده ، ولســـانه ..

وكثيرا ما كان يدعو الله أن يطيل فى عمره ، ويمد فى أجـــله ، حتى يرى من روائع الشباب أكثر وأكثر ، فعندما حيا الطيارين الفرنسيين : (فدرين) و (بونيه) بمناسبة قدومهما طائرين الى مصر لأول مرة سنة ١٩١٤ خاطب شباب مصر بقوله :

يا شباب الغد : وأبنـــاء الفـــدا … لكم ، أكرم وأعـــزز بالفـــداء
هل يمد الله لى العيش عســـى … أن أراكم فى الفريق السعداء ؟
وأرى تاجكمـــو فـــوق السهى … وأرى عرشكمو فوق (ذكـــاء) ؟

ولم يدع هذه السانحة تمر دون أن يوجه النصح الى الشباب قائـــلا :

انمـــا مصر اليـــكم ، وبـــكم … وحقـــوق البر أولى بالقضـــاء
عصركم حـــر ، ومســـتقبلكم … فى يمـــين الله خـــير الأمنـــاء
لا تقولوا : حطنـــا الدهر ، فما … هـــو الا من خيـــال الشـــعراء
هـــل علمتم أمـــة فى جهلهـــا … ظهرت فى المجـــد حسناء الرداء ؟
باطـــن الأمـــة من ظاهرهـــا … انما السائل من لـــون الاناء ..
فخـــذوا العـــلم على أعلامـــه … واطلبوا الحـــكمة عنـــد الحكماء

وأقـــرعوا تاريخــكم واحتفظـوا بفصـــيح جاءكم من فصــحاء
أنـــــزل الله على ألســـنهم وحيـــه فى أعصر الوحى الوضاء
واحكموا الدنيـــا بسلطان فمـــا خلقت نضرتهـــا للضـــعفاء .
واطلبوا المجـــد على الأرض فان هى ضاقت فاطلبوه فى السماء .

وهل نجد تربية للشباب أسمى من هذه التربية التى وضع الشاعر شوقى منهجها فى هذه الأبيات السابقة ؟ فهو يحض الشباب على العلم فان الأمة الجاهلة لا تظهر فى المجد حسناء الرداء ، ويحض على قراءة التاريخ الخاص بالأمة حتى يعتز الشباب بانتسابهم الى امة عريقة ، ويحض على تعلم اللسان الفصيح والبعد من العامية والعجمة ، — وكأنه كان — رحمه الله — يتنبأ بأحوالنا اليوم — ويحض على صون القرآن الذى نزل بلسان عربى مبين ، ويحض على الاستمساك بالقوة ، وطلب المجد فى أى مكان .

ولا يخص شوقى بالنصيحة شباب مصر ، أو شباب النيل ، أو شباب الشرق ،ولكنه يعمم النصح ويمد أطنابهالى جارة عربية مثل الشام. ففى قصيدته (دمشق) يوجه الخطاب الى فتية الشام قائلا :

شيدوا لها الملك وابنوا ركن دولتها فالملك غرس ، وتجديد ، وتبيان
لو يرجع الدهر مفقودا له خطـــر لآب بالواحـــد المبكى ثكـــلان
الملك ان تعملوا ما استطعتموا عملا وان تبين على الأعمـــال اتقـــان
الملك أن تخرج الأمـــوال ناشطة لمطلب فيـــه اصـــلاح وعمـــران
الملك تحت لســـان حـــوله أدب وتحت عقل على جنبيـــه عـــرفان
الملك أن تتلاقوا فى هـــوى وطن تفرقت فيـــه أجنـــاس وأديان

وليس شوقى فى نصائحه لشباب الشام متطفلا على مائـــدة غيره ، أو مقتحما غير أهله وطنه ، فقد كان (رحمه الله — ينظـــر الى العالم العربى وأقطاره — من زمن بعيد — نظرة واسعة كان من آثارها هذا الشعور الموحد الذى نشعر به اليوم ، والذى كان لشعراء العروبة المحدثين والمعاصرين فضل كبير فى دعمه وتمكينه .

وهذا الشعور بجمع الشمل ولم الصفوف كان شوقى يدعو الشباب اليه فى مصر ، وفى الأقطار العربية التى منيت على يـــد الاســـــتعمار بصدع كبير . ففى المؤتمر الوطنى الذى دعا اليه سعد زغلول ، وأقيم بدار محمد محمود (باشا) سمعنا شوقى سنة ١٩٢٦ يخاطب الشبـــاب قـــائلا :

قل للبنين مقال صدق ، واقتصد ذرع الشباب يضـيق بالنصــاح
أنتم بنو اليوم العصيب نشأتمــو فى قصف أنـــواء وعصف رياح
ورأيتمــو الوطن المؤلف صـــخرة فى الحادثات وســيلها المجتــاح
وشهدتمو صدعالصفوف ،وماجنى من أمر مفتات ، ونهى وقـــاح :
صوت الشعوب من الزئير مجمعا فاذا تفـــرق كـــان بعض نبـــاح

ولقد كان الشاعر أحمد شوقى والدا حكيما فى تربية الشباب ومعالجة بعض مشاكله ــ فحين رأى موجة من الطلاب الشباب تنتحر ــ منذ نصف قرن ــ لأسباب واهية لا تجيز التخلص من نعمة الحياة ومن حق الحياة ، رأى أن واجبه يقتضيه أن يوجه النصيحة الى الشباب ليدلهم على حماقة هذه البدعة الطارئة ومخالفتها للشرائع والعقل والفطر السليمة ، فقال من قصيدة رائعة :

نشأ الخير : رويدا ، قتلكم ... فى الصبا النفس ضلال وخسر
لو عصيتم كاذب اليأس ، فما ... فى صباها ينحر النفس الضجر
تضمر اليأس من الدنيا ، وما ... عندها من حادث الدنيا خبر ..
فيم تجنون على آبائكم ... بين إشفاق عليكم وحذر ؟
وتعقون بلادا لم تزل ... ألم الثكل شديدا فى الكبر ؟
فمصاب الملك فى شبانه ... كمصاب الأرض فى الزرع النضر
ليس يدرى أحد منكم بما ... كان يعطى لو تأنى وانتظر !!!

وفى قصيدة أخرى للناشئة رسم الشاعر شوقى دستورا كاملا لسلوك صحيح قويم فى الحياة . فنصح الشباب بعبادة الله بعقل ، والايمان به كايمان العجائز ، وبالعلم ، والقراءة ــ وخاصة قراءة التاريخ ــ والنشاط ، والصدق ، والأمانة ، والشجاعة ، واحترام الأديان، والصبر على المكاره ، وعمل الخير ، والكرم ، ومعاملة الناس بالاحسان ، وطلب الحق ، وذكر الموت وصيام رمضان ، والصوم عن غيبة الناس ، والصلاة مقرونة بالخوف من الله ، والحج الى بيت الله ، والى بيوت الفقراء لوصلهم بالعطاء والزكاة مع التوسع فيها . وهى أرجوزة طويلة جمع فيها كثيرا من قواعد السلوك ، وأصول التربية للناشئة والشباب . ومن العجيب أنه نهى فيها الشباب عن الميسر والخمر ، ولكنه نصحهم بالعشق مع التعفف ، فان من لم يعشق لم يدر معنى اللذة !! واسمعه هنا يقول :

واترك الخمر لمشغوف بها ... لا يرى مندوحة عن شربها
وعن الميسر ما استطعت ابتعد ... فهو سل المال ، بل سل الكبد
وتعشق ، وتعفف واتق ... مادرى اللذة من لم يعشق !

وهو هنا فى مدار نصيحته السابقة للشباب الذى يتغرب فى طلب العلم ، ولعله هنا يدور فى مدار الشاعر القديم الذى يقول :

اذا أنت لم تعشق ولم تك ذا هوى ... فكن حجرا من جامد الصخر جلمدا

ومن الغريب أيضا أن شوقى استعمل لفظ (العشق) فى رسالته هذه للشباب ، مع انه لم يقع فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية الا فى حديث سويد بن سعيد (من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد) كما ذكر ابن قيم الجوزية فى كتابه (روضة المحبين) ..

وأيا ما كان الأمر فقد كانت اهتمامات الشاعر أحمد شوقى بالشباب وتربيته ومعالجة مشكلاته كثيرة وواضحة .

واجبنا

نحو الشباب

كلما هممت بالحديث أو الكتابة عن الشباب خطر ببالى ما جاء منسوبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو : « أوصيكم بالشباب خيرا ، فانهم أرق أفئدة ، ان الله تعالى بعثنى بشيرا ونذيرا ، فحالفنى الشباب ، وخالفنى الشيوخ » ثم تلا قوله تعالى : « فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » .

نعم ان الشباب أرق أفئدة وأصلح قلوبا ، اذا وجدوا منذ بداية الطريق من يحسن قيادتهم وسياستهم ، فان فى الشبيبة معنى العزم والتوقد والاقدام ، وكلمة (الشباب) نفسها فيها معنى الحرارة والنور ، لأنها مأخوذة من قولهم : شب الرجل النار ، اذا أوقدها فتلألأت ضياء ونورا ، وفيها معنى الطموح والارتفاع والتوفز ، اذ يقال شب الجواد ، اذا رفع يديه معا الى أعلى .

ولا جدال فى أن شبابنا بحاجة الى تربية وتوجيه ، بل نحن أحوج ما نكون الى تربية الشباب ، لأن الشباب هم رجال الغد ، وهم الذين ستوكل اليهم مقاليد الأمور عما قريب ، وبمقدار توفيقنا فى اعدادهم وتخريجهم يكون الجيل القادم رشيدا موفق الأعمال مسدد الخطوات .

وبعض المصلحين الاجتماعيين يرى أنه لا وسيلة للنهوض بالمجتمع الا بتربية جيل من الشباب تربية قويمة سليمة ، تكون فيصلا بين جيل فسدت

للدكتور أحمد الشرباصي

تربيته فنزلت رتبته ، وأجيال قادمة تكون أنقى وأرقى ، وهذه الأجيال لا تتوالد الا من أصل كريم طيب ، هو ذلك الجيل من الشباب الذى نستنفد الجهد صادقين مخلصين فى تعليمه وتقويمه .

ونحن نتطلع فنرى الناس شتى المذاهب فى اعداد أبنائهم وفلذات أكبادهم ، فمنهم من يسرف مع أبنه فى الشدة والضغط والكبت ، فيتولد من ذلك التمرد والانفجار ، وتزهق خصائص شريفة كان من الممكن استغلالها والافادة منها . وهناك من يسرف فى التدليل واطلاق سراح الحرية ، فيأتى التحلل والفساد ، وتنماع خصال الخير والقوة فى طوفان من الشر والاثم .

ومنهم من يخبط خبط عشواء فى تربية أبنائه ، فيتبع معهم أساليب « عرفية بدائية » لا نصيب لها من العلم أو الفهم أو التقعيد ، بل هى مواريث فجة من مختلف الأجيال المنحرفة أو الفاسدة .

فكيف السبيل الى تربية الشباب ؟ . من الواجب أن نتذكر أولا أن الشباب عنده مجموعة من الطاقات والغرائز ، اذا لم نحسن امتلاك قيادها والبراعة فى توجيهها ، صارت نارا ودمارا ، فسن المراهقة عند الشاب تحتاج الى رعاية ووقاية وارشاد ، وفترة الشك التى تعرض للشاب لا يجوز بحال من الأحوال أن نتجاهلها أو نعالجها بالقسوة والتهديد والوعيد

بل علينا أن نتذرع بالحكمة فى اصلاح ما يحتاج الى اصلاح حتى لا يفلت من أيدينا الزمام .

واذا كان الحديث الشريف يقول : « لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع للمساكين » فان الحديث الشريف أيضا يطالب بالاحسان ــ أى الاتقان ــ فى هذا التأديب ــ فيقول : « الزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم » ويقول : « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » .

ولا ريب فى أن رأس الأدب الحسن هو أن ينشأ الشاب على أساس من الايمان بالله والتدين السليم ، والتمسك بمكارم الأخلاق ، وحينما قال القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » جاء الحسن وفسر هذا بقوله : « مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير » .. وقال ابن عباس : « اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى ، فذلك وقاية لكم ولهم من النار » .

ولقد سأل كثير بن زياد الحسن عن قوله تعالى : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما » فقال : يا أبا سعيد ، ما هذه القرة فى الأعين ، أفى الدنيا أم فى الآخرة ؟ فقال : لا والله ، بل فى الدنيا . قال : وما هى ؟ قال : هى والله أن يرى العبد من زوجته ، من أخيه ، من حميمه ، طاعة الله ، لا والله ما شىء أحب الى المرء المسلم من أن يرى والد ولدا أو حميما أو أخا مطيعا لله عز وجل .

ولكن غرس الايمان والتدين والاستقامة الأخلاقية فى نفس الناشىء لا يتحقق بكثرة الكلام وحده ، ولا بشدة التحذير والانذار ، وانما يتحقق اذا كانت هناك أمام الناشىء قدوة عملية سلوكية مؤمنة ، تقرن القول بالعمل ، والناشىء يقلد الكبار الموجودين أمامه ببراعة واتقان ، فاذا كان الكبار أمثلة طيبة للتدين والاستقامة أثروا تأثير الخير والاصلاح فى الناشئين من حولهم ولو أن الوالد تذكر على الدوام أن ولده أمانة بين يديه ، وهو مسئول عن هذه الأمانة فى الدنيا والآخرة ، لما ارتضى لنفسه أن يقتصر فى تأديبه لولده على مجرد النصائح والوصايا يسوقها اليه فى ترفع وتعال ، وهذا المعنى يذكرنا بقول سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير راع على الناس ، وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده ، وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

ويقول عبد الله بن عمر : « أدب ابنك ، فانك مسئول عنه : ماذا أدبته وماذا علمته ، وانه مسئول عن بره لك ، وطواعيته لك » . وكأن ابن عمر أراد أن يشير الى أمر له منزلته فى تصور العلاقة بين الآباء والأبناء ، اذ يجب أن تقوم هذه العلاقة على تبادل الاحسان بين الطرفين ، فالوالد يبدأ باحسان تربيته لابنه وتنشئته على الدين والخلق القويم والسلوك الرشيد وحسن الجمع بين القول والعمل ، فاذا صار الفتى رجلا ، ورأى أن أباه

قد رباه وقومه ، ورعاه وأكرمه ، حفظ الجميل وصان الصنيع وقابل الاحسان بالاحسان .

وهذا شاب يرى أن أباه قد أهمله وأساء اليه ، ومع ذلك يطالب الوالد ولده بأن يؤدى اليه حق الآباء المكتوب على الأبناء ، فقال الشاب لأبيه : يا أبت ، ان عظيم حقك على لا يذهب صغير حقى عليك ، والذى تمت به الى أمت به اليك ، ولست أزعم أنا سواء ، ولكنى أقول : لا يحق لك الاعتداء ! . .

ولذلك رأينا ابن القيم فى كتابه : « تحفة الودود » يقول فى هذه العبارة : « فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى ، فقد أساء اليه غاية الاساءة ، وأكثر الأولاد انما جاء فسادهم من قبل الآباء واهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغارا ، فلم ينتفعوا هم بأنفسهم ، ولم ينفعوا آباءهم كبارا . » .

والاشارة فى كلام ابن القيم الى تضييع الشباب صغارا يلفت أبصارنا وبصائرنا الى خطيئة كبرى يقع فيها الآباء بالنسبة الى تربية الأبناء ، فكثير من هؤلاء الآباء يهملون تنشئة أبنائهم على الدين والاستقامة وهم فى أول الطريق ، فاذا شب هؤلاء الأبناء ، وخيل اليهم أنهم قد صاروا رجالا ، وأن لهم الحق فى الحرية والانطلاق ، ومضوا فى مسالك الحياة بلا تحفظ أو احتياط ، أخذ الآباء يحاولون تعليم أبنائهم مبادىء الحق والفضيلة ، فيصعب عليهم قيادة الأبناء ، فيسخط الآباء على أولادهم ، ويصفونهم بالتمرد والاعتساف ، ولو أنصف الآباء للاموا أنفسهم قبل لومهم أبناءهم ، فهم الذين أهملوا هؤلاء الأبناء حينما كانوا كالعجينة اللينة الطيعة القابلة للتشكيل ، والتعديل ، ولو تدرج الآباء مع الأبناء فى غرس التدين والاستقامة ، درجة بعد درجة ، ومرحلة وراء مرحلة ، لاعتدل أمر هؤلاء وهؤلاء ، وقديما قال شاعرنا :

وينشأ ناشىء الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه !

وما أقوى التحذير الذى نلمحه فى تلك العبارة التى قالها — وقد كبر — لأبيه الذى أهمل تربيته فى صغره ، وهى : « يا أبت ، أنك عققتنى (أى أهملتنى) صغيرا ، فعققتك كبيرا ، وأضعتنى طفلا ، فأضعتك شيخا » .

. . .

والرائع المعجب أن التراث الاسلامى قد عنى بتربية الأبناء والشباب عناية كبيرة ملحوظة ، ولو راجعنا ما كتبه أمثال الغزالى وابن خلدون وابن المقفع وابن سينا وابن جماعة وابن سحنون والماوردى وابن مسكوية ، لوجدنا أنهم تعرضوا للجلائل والدقائق فى تربية الأبناء ، ونوهوا بأن العناية بهذه التربية تجلت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكتب الأخلاق والوصايا وغيرها من مصادر التراث الاسلامى .

وها نحن أولاء نرى السنة النبوية الشريفة تلفتنا الى العناية بالأبناء ، منذ بداية الطريق ، فيقول الحديث : « من ولد له ولد فليحسن اسمه

وأدبه » . واذا كانت عناية الاسلام بتربية الأبناء تبدأ من حسن اختيار الاسم ، فان ما خلفه المسلمون السابقون من تراث تربوى يرينا كيف اتسعت آفاقهم ، وتكاثرت وصاياهم فى هذا الباب ، حتى شملت كل ناحية تتعلق بتقويم الناشئة واعدادهم للحياة العاقلة الفاضلة الواسعة ، فهذا عمر بن الخطاب يكتب الى سكان الأمصار يقول لهم : « اما بعد ، فعلموا أولادكم السباحة الرمى والفروسية ، ورووهم ما صار من المثل وحسن من الشعر ، وكان ابن التوأم يقول : من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء أن يعلموهم الكتابة والحساب والسباحة .

ولقد قال الحجاج لمؤدب أولاده : « علم أولادى السباحة قبل الكتابة ، فانهم يجدون من يكتب ، ولا يجدون من يسبح عنهم . وتحدث أبو عقيل بن درست فقال : رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر ، فقلت : فى أى شىء كنت اليوم ؟

فقال : فى تعلم ما ليس ينسى ، وليس لشىء من الحيوان عنه غنى . قلت : وما ذاك ؟ قال : السباحة .

والاسلام يرى من الواجب على كبار الأمة نحو شبابها أن يوصوهم دائما بحياة القوة والفتوة والفروسية ، وبالتخفف من الترف والتنعم ، وبتعود الخشونة لأن النعم لا تدوم ، وهذا عمر بن الخطاب يوصى شباب الأمة المؤمنة وصية جليلة تعد نموذجا باهرا لأدب الفروسية والفتوة ، فيقول لهم : « اتزروا وارتدوا ، وانتعلوا ، وألقوا الخفاف ، وألقوا السراويل ، وعليكم بثياب أبيكم اسماعيل ، واياكم والتنعم وزى العجم ، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب ، وتمعددوا واخشوشنوا ، واخلولقوا ، واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا ، وارتموا الأغراض » .

انه يقول لهم : « اتزروا وارتدوا » أى اكتفوا بلبس الازرار والرداء ، وهما ثوبان خفيفان ليس فيهما ثقل ولا ترف ولا اسراف . ويقول لهم : « وانتعلوا » والنعل حذاء خشن فيه شىء من الصلابة والتماسك ، مع قلة ثمنه وقلة ما يستره من القدمين ، ويقول لهم : « وألقوا الخفاف والسراويل » لأنها لينة طرية قد يتعود الانسان معها نعومة الأظفار وضعف الاحتمال .

ويقول لهم : « وعليكم بثياب أبيكم اسماعيل » . اسماعيل هو جد العرب ، وكان فارسا قويا متماسكا ، وكانت ثيابه ثياب فروسية ، لأنه يكتفى بالازار والرداء ، ولا يلبس ثياب المترفين أو العاطلين من النشاط والعمل .

ويقول لهم : « واياكم والتنعم وزى العجم » فهو يحذرهم من التوسع فى التمتع باللذات والشهوات ، ويحذرهم ان يقلدوا العجم فى ثيابهم الناعمة الرخوة التى يألفها أهل التبطل والفراغ من التبعات .

يقول لهم : « وعليكم بالشمس فانها حمام العرب » فهو ينصحهم بالتعرض للشمس ، حتى تصح أبدانهم ، وتقوى عضلاتهم ، ويتعودوا

احتمال أشعتها وحرارتها ، وتذيب هذه الشمس من أجسامهم ما فيها من فضلات ورواسب .

ويقول لهم (وتمعددوا) أى كونوا كأبيكم معد بن عدنان الذى كان ذا فروسية وقوة ، وكان خفيف الثياب ، حسن الأخلاق والأفعال . . . ويقول لهم : « واخشوشنوا » أى تعودوا الخشونة فى الملبس والمأكل والمركب ونحو ذلك ، حتى لا تضعفوا ولا تتعودوا الرفاهية والكسل ، ولذلك قال عمر فى كلمة أخرى : « اخشوشنوا فان النعم لا تدوم » .

ويقول ابن القيم فى كتابه « الفروسية » تعليقا على هذه العبارة : « وقوله : واخشوشنوا ، أى تعاطوا ما يوجب الخشونة ويصلب الجسم ، ويصبره على الحر والبرد والتعب والمشاق ، فان الرجل قد يحتاج الى نفسه فيجد عنده خشونة وقوة وصبرا مما لا يجده صاحب التنعم والترفه ، بل يكون العطب اليه أسرع » .

ويقول لهم عمر : « واخلولقوا » أى جهزوا أنفسكم وكونوا على استعداد للقيام بما يجب عليكم من تبعات وواجبات ، لأن الكلمة مأخوذة من قولهم : اخلولق السحاب ، أى اجتمع وتهيأ للمطر وصار خليقا له ، فمعنى (اخلولقوا) — كما يعبر ابن القيم نفسه : تهيئوا واستعدوا لما يراد منكم ، وكونوا خلقاء به جديرين بفعله ، لا كمن ضيع أسباب فروسيته وقوته عند الحاجة !

ويقول لهم : « واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا » أى لا أى لا تتعودوا ركوب الخيل بوضع أقدامكم فى الركاب ، بل اقطعوا هذا الركاب من سرج الجواد ، اذا أراد أحدكم أن يعتلى ظهر الجواد ، فليقفز عليه دون الاستعانة بالركاب ، وهذا يستدعى خفة فى الجسم ، ونشاطا فى الحركة ، ومرونة فى القفز . .

ويقول لهم أخيرا : « وارتموا الأغراض » أى اجعلوا همكم عند الرمى هو أن تصيبوا الأهداف ، واصابة الهدف عند الرمى لا بد له من تمرين وتدريب ودقة رياضية خاصة .

وهكذا طلب عمر الى الشباب فى وصيته هذه أن يكونوا أمثلة للقوة والفتوة والفروسية ، ولذلك أورد ابن القيم هذه الوصية الغالية وتحدث عنها فى كتابه « الفروسية » وهو كتاب لو كان الأمر بيدى لفرضت دراسته وتفهمه على كل شاب نعده فى مجال الجندية أو الفتوة أو الرياضة أو الأخلاق .

كأنما كان الفاروق فى وصيته السابقة يريد أن يحقق ما طالب به السلف الصالح حينما قالوا : « طيروا دماء الشباب فى وجوههم » وكأنهم بهذا القول كانوا يطالبون الكبار بأن يجعلوا الشباب دائما فى حركة ونشاط حتى يظل دم الشباب حارا جاريا مترقرقا على صفحات وجوههم .

ومن الطبيعى أن يكون هناك خلاف ما بين الشيوخ والشباب ، أو بين الآباء والأبناء ، أو بين أهل جيل على أهبة الرحيل ، وأهل جيل على أهبة

التألق والسطوع ، واذا لم يفهم الكبار هذه الحقيقة . فانهم لن يحسنوا قيادة الشباب ، بل سيوسعون دائرة الخلاف بين الفريقين يوما بعد يوم .

من واجب الشيوخ نحو الشباب أن يتذكر الشيوخ أن الأجيال يختلف بعضها عن بعض بسبب اختلاف الاحداث والاوضاع والبيئات ، وبسبب التطور الذى يحدث فى أساليب الحياة وشئون الاحياء ولعل عمر رضى الله عنه كان يقصد شيئا قريبا من هذا المعنى حين قال . « الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم » وهذه الكلمة ينسبها الجاحظ فى كتابة « البيان والتبين » الى عروة بن الزبير بن العوام ، وفى موضع آخر من كتابه هذا يقول عنها انها احدى ثلاث كلمات « مرسلة » ، وقد رويت لأقوام شتى ، وقد يجوز أن يكونوا حكوها ولم يسندوها (١) .

وكذلك ينسب الى عمر أنه قال : « ان أبناءكم قد خلقوا لجيل غير جيلكم ، وزمان غير زمانكم » . ومن هنا كان واجبا على الوالد أن يقدر شعور ولده وتفكيره ، ويلاحظ الفرق بين زمنه وزمنه ، وبين تفكيره وتفكيره على الأب أن يتعرف ميول ابنه ، وان يتبين استعداده واتجاهه ، وان يضعه حيث يريد ، أو حيث يستفيد ويفيد ، فلا يكرهه على لون من الدراسة لا يطيقه أو لا يستطيعه ، ولا يرغمه على اتجاه لا يحبه ، أو حرفة لا يرغب فيها ، ولنذكر الحديث القائل : « كل ميسر لما خلق له » .

ومن باب تقدير الشباب وحسن الافادة منهم أن نشركهم فى الأمور ونبادلهم الآراء ، وقديما قالت العرب : عليكم بمشاورة الشباب ، فانهم ينتجون رأيا لم ينله القدم ، ولا استولت عليه رطوبة الهرم ، وقال هرم ابن قطبة : « عليكم بالحدث السن ، الحديد الذهن » . كما قال الشاعر :

رأيت العقل لم يكن انتهابا ولم يقسم على عدد السنينا
ولو أن السنين تقاسمته حوى الآباء أنصبة البنينا

ولقد روى البخارى أن عمر بن الخطاب كان يدخل عبد الله بن عباس — وهو شاب — مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لعمر : لم تدخل هذا معنا ؟ . فيقول عمر : انه من حيث علمتم . ودعا عمر ابن عباس ذات يوم مع هؤلاء الاشياخ ليريهم من عمله وحدة ذهنه ، وسألهم عمر عن بعض آيات القرآن الكريم ، فقالوا فيها قولا لم يقتنع به عمر ، ثم سأل عمر ابن عباس فقال فيها رأيه ، فذكى عمر هذا الرأى قائلا : « ما أعلم منها الا ما تقول » .

ويروى أيضا — كما جاء فى تفسير الطبرى — أن عمر قرأ قوله تعالى : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » . .

ثم سأل عمر عنها من كانوا معه ، فقالوا الله أعلم . فقال عمر : قولوا نعلم أولا نعلم .

وكان ابن عباس واقفا خلفه فى تواضع ، وهو شاب حدث ، فقال لعمر : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين فقربه عمر اليه وقال له . قل يا ابن أخى ولا تحتقر نفسك . فقال ابن عباس : « هذا مثل ضربه اللـــه فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير والسعادة ، حتى اذا كان أحوج ما يكون الى أن يختم بخير ، حين فنى عمره ، واقترب أجله ، ختم ذلك بعمل من أعمال أهل الشقاء ، فأفسده كله فحرقه أحوج ما يكون اليه » . فأعجب عمر بابن عباس .

ومن واجبات الآباء نحو الابناء أن يشعروا هؤلاء الأبناء منذ بدايـــة الطريق بروح الصداقة والمودة ، وعاطفة اللين والمرحمة ، ولقد روى ابن قتيبة فى « عيون الاخبار » أنـــه جاء فى الحديث : « من كان له صبـى فليستصب له » (٢) . وكان عروة بن الزبير يقول لأولاده « يا بنى ، العبوا فان المروءة لا تكون الا بعد اللعب » . وجاء فى « الجامع الصغيـر » أن الخطيب روى فى التاريخ عن سهل بن سعد وعن ابن عمر . « التراب ربيع الصبيان » .

وجاء فى حديث أبى رافع : « كنت ألاعب الحسن والحسين بالمداحى » وهى أحجار كانوا يحفرون لها حفيرة ، ويدحون — أى يرمون — فيها بتلك الأحجار ، فان وقع الحجر فى الحفرة فقد غلب صاحبها ، وهى تشبه لعبة « البليارد » المعروفة الآن . ولقد سئل ابن المسيب عن الدحو بالحجـارة فقال : لا بأس به (٣) .

وورد فى الأثر : « لاعب ابنك سبعا ، ثم أدبه سبعا ، ثم صاحبـه سبعا ، ثم دع حبله على غاربه »

وقديما قال الأحنف : « أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة فان غضبوا فأرضهم ، وان سألوا فأعطهم ، ولا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ، ويتمنوا موتك » !

ولكن هذا يجب أن يكون بميزان معتدل ، فالصبى فى صغره لا يطيق القسوة أو الخشونة ، كما أنه يتعقد نفسيا لو أنه أحس من أبيه أو مربيه روح التخويف والتعذيب ، وفى هذا الصبى طاقات وامكانيات وقـــوى مذخورة ، يمكن اثارتها وتجليتها بروح المـــودة والتشجيع ، وأسلـوب [illegible] من تحير ، والحكمة فى معالجة نـــوازع الشر ، ولا ينبغـى أن يفرض الكبير على نفسه التزام التهديد والارغام للصغير ، أو فرض التوقير والاحترام حتى فى مواقف لا تستلزم هذا التوقير أو ذلك الخوف ، ولعلنـا نتذكر موقف عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين مر على مجموعة مـن الصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، فانصرف الصبيان هيبة من عمر ، ووقف عبد الله ، فقال له عمر : فى تودد : مالك لم تفر مع أصحابك ؟ فأجابه : يا أمير المؤمنين ، لم أذنب فأخافك ، ولم يكن بالطريق ضيق فأوسع لك ، فلم يضق عمر بما قاله عبد الله ! . .

ولقد تتوافر عند الصبر طهارة وبراءة وسذاجة ، ثم نسىء به الظـن دون موجب ، فنلقى على هذه البراءة سحبا من الشكوك والريب ، ونلقى

هذه الطهارة بما لا يناسبها من العنف والشدة ، فنزهق تلك الروح الطيبة ، ونوجد مكانها التواء وانحرافا ، فنكون نحن الجناة ، ويكون الناشىء هو الضحية ، بين أيدينا دون أن نشعر .

. . .

ومن الواجب على الآباء نحو الأولاد أن يعدلوا بين هؤلاء ، ولا يفرقوا بين ابن وابن ، ولا بين بنت وبنت ، ولا بين ابن وبنت ، وقد جاء فى الحديث : « أعدلوا بين أبنائكم ، أعدلوا بين أبنائكم ، أعدلوا بين أبنائكم » وهذا أمر مؤكد بالتكرار ثلاث مرات لايضاح الايجاب وابرازه .

والمشاهد فى كثير من نواحي المجتمع الاسلامى أن كثيرا من الآباء لا يعدلون بين أولادهم ، بل يفرقون بينهم فى المعاملة ، مستجيبين فى ذلك لرغبات بعض الزوجات أو خاضعين لبعض التقاليد المنحرفة الموروثة التي تؤدى في كثير من الأحيان الى حرمان بعض الذرية ممن الحقوق المشروعة التى قررها الدين .

وتروى السنة أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يشهد على أنه خص بعض أولاده بشىء من ماله ارضاء لرغبة زوجته ، فسأله الرسول عما اذا قد أعطى كل ولد من أولاده مثل هذا ، فأجاب الرجل بالنفى ، فرفض النبى صلى الله عليه وسلم أن يشهد ، وقال : انى لا أشهد ، الا على حق . وفى رواية أنه قال : لا تشهدنى على جور ، ان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم ، وفى رواية : اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . وفى رواية : أشهد على هذا غيرى (٤) .

ولعل أخطر أنواع التفرقة هنا هو التفرقة بين الذكور والاناث من الأولاد ، فترى الجهلة من الآباء يحرمون بناتهم حقهن فى الميراث ، ويفرقون فى المعاملة بين الأبناء والبنات ، مع أن أنسا رضى الله عنه يروى أن رجلا كان جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء ابن صغير له فقبله الرجل وأجلسه فى حجره ، ثم جاءت ابنة صغيرة له ، فأجلسها الى جانبه ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : ما عدلت بينهما :

وقديما أجاد الشاعر حين قال :

لقد زاد الحياة الى حبا ... بناتى ، انهن من الضعاف
مخافة أن يرين البؤس بعدى ... وأن يشربن رنقا بعد صاف
وأن يعرين ان كسى الجوارى ... فتنبو العين عن كرم عجاف(٥)!

ان الأولاد أفلاذ الأكباد من الآباء . وان الأولاد أمانة بين أيدى الآباء ، والآباء مسئولون عنهم أمام الله وأمام الناس ؛ وخير الآباء من صان الأمانة وأدى اليها حقوقها منذ بداية الطريق .

---

(١) انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٢ و ٢٠٢ و ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) عيون الاخبار ج ٣ ص ٩٥ .

(٣) النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ١٠٦ وانظر تفسير المنار ج ١ ص ٢٤٨ .

(٤) اتحاف الورود لابن القيم ص ٧٦ .

(٥) كرم . بمعنى كريمات ، لأن الكلمة مصدر يلتزم فيه الافراد والتذكير .



مكتبة المجلة

اعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم

الكاتب الكبير الأستاذ محمد عزة دروزة يعرفه القراء من مؤلفاته الضخمة وبحوثه المستفيضة ، وما اظن أن أحدا من قراء (الوعى الاسلامى) الا ويشهد له بطول الباع وعمق الفكرة ، ودراساته القيمة فى القرآن الكريم والسيرة النبوية ، وله مؤلفات عديدة ومنها هذا الكتاب : « تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم واحوال وأخلاق ومواقف اليهود فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وبيئته من القرآن الكريم ، وهو كتاب يشهد لمؤلفه بتضلعه فى التاريخ ، وصبره على البحث وسعة أفقه وغزارة علمه فى فهم الكتاب والسنة ، والكتاب من منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر فى بيروت ويقع فى (٥٥٢) صفحة .

الطبرى

قد يكون من المقال المكرر المعاد أننا فى نهضتنا وفى وثبتنا الاسلامية بحاجة الى انبعاث ماضينا المشرق الزاهر - وبحاجة الى احياء تراثنا الفكرى الزاخر ، والتأسى بما كان لنا فى ميادين الفكر والحضارة والبطولة عن آثار سباقة وأعلام خفاقة وأعمال مجيدة ومشهورة ، هذه الفكرة الأولى من المقدمة التى افتتح بها الدكتور أحمد الحوفى كتابه (الطبرى) وهو الامام العلامة أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد من أعلام القرن الثالث الهجرى ، ويقع الكتاب فى (٢٥٥) صفحة ، وهو من مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة .

الاسلام والتفرقة العنصرية

بقلم الدكتور عبد العزيز كامل الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ووزير الاوقاف وشئون الأزهر بالجمهورية العربية المتحدة ، والكتاب بحث أصدرته هيئة اليونسكو ضمن سلسلة (المسألة العنصرية والفكر الحديث) بمناسبة العام الدولى لمقاومة التفرقة العنصرية ، وطبع باللغتين الانجليزية والفرنسية ، ويصدر باللغة العربية للمرة الأولى . . ويتناول البحث التعرض للأصول التى أكدت كرامة الانسان ، والاخاء الانسانى الشامل فى الاسلام الذى يرتفع فوق عصبية الجنس واللون والطبقة . . والكتاب من مطبوعات مركز اليونسكو ١ شارع طلعت حرب بالقاهرة .

اهتمام الإسـ

الشباب هم أمل الحاضر ، وعدة المستقبل .. أى رجال المستقبل: قادته ، حكامه ، وزراؤه ، قضاته ، معلمو أجياله التالية . اذن فمهمة اعداده وتربيته ليست سهلة ولا هينة ، وواجب اصلاحه وتقويمه ليس أمرا ثانويا .. بل هو فريضة على الآباء والأولياء ، واجبة الأداء .

لذلك وجب أن يبدأ فى تكوين الشباب منذ النشأة الاولى ، منذ الطفولة الباكرة ، على أن يستمر هذا التكوين الراشد فى كل أطوار العمر . ونحن كمسلمين ينبغى أن نخلص فى تكوين شبابنا على أساس اسلامى ، فلا ندعه ينشأ على عادات غير اسلامية ، ولا نطيل اقامته فى جو غير اسلامى ، واذا اضطررنا الى ذلك من أجل الدراسة ، فلنتم له البيوت الاسلامية هناك ، التى يجد فيها بيئة أهله : معيشة وسلوكا وأداء لفرائض الدين ، واستمساكا بآدابه ، وسيرا على هداه .

ودور الأبوين في تكوين الشباب ، منذ النشأة الاولى ، مهم وفعال، وقد أكد أهميته وفعاليته التوجيه النبوي : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه) .

أما اهتمام الاسلام — قرآنا وسنة — بالشباب تربية وتعليما ، واصلاحا وتقويما ، فهذه بعض مبادئه ونماذجه :

الاسلام بالشباب

للأستاذ أحمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى بمكة المكرمة

اهتمام القرآن بالشباب :

يلفت القرآن الكريم أنظار الآباء الى مهمتهم الابوية المقدسة ، فى وصايا لقمان لابنه ومواعظه له ، كما حكاها القرآن نفســه عن هذا الأب الحكيم (١) فى هذه الآيات الكريمات التى بدأت بالثناء على لقمان بأنه أوتى الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا :

● ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميد .

● واذ قال لقمان لابنه ــ وهو يعظه ــ يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) .

● (يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل ، فتكن فى صخرة أو فى السمارات أو فى الارض يأت بها الله . ان الله لطيف خبير .

● يا بنىّ أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الامور .

● ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الارض مرحا . ان الله لا يحب كل مختال فخور .

● واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك . ان انكر الاصوات لصوت الحمير) (٢) .

ان هذه الوصايا التربوية ، التي حكاها القرآن على لسان لقمان .. كنموذج لاهتمام الآباء بالأبناء ، أو عناية الشيوخ بالشباب — واضحة المعاني ، سامية الاهداف ، لا تحتاج الى تفسير كثير ، والى تفصيل طويل ، فهي **أولا** : النهي عن الاشراك بالله عز وجل ، فهو الحقيق بالتوحيد والعبادة ، لانه الخالق الرازق ، والمحي المميت ، وهو الفعال لما يريد . **وثانيا** : التنبيه الى ان الله تبارك وتعالى يعلم السر واخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وان الأحداث والاشياء الصغيرة .. مهما دقت وخفيت فان الله يعلمها ويأتى بها يوم القيامة ، ويحاسب عليها ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .. ان الله لطيف خبير ، فعلى الشباب الذين لهم — على آبائهم وأولياء أمورهم من الشيوخ — حق التعليم والتوجيه : ان يدركوا هذا المعنى الدقيق لقدرة الله عز وجل ، وبحكمه الواسع ، وخبرته المحيطة .

وهي **ثالثا** : الامر باقامة الصلاة ، التي هي عمود الاسلام ، وهي — كذلك فرق ما بين الكفر والايمان .. ثم التوجيه الى واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اللذين هما اساس صلاح المجتمعات وقيامها على الحق والخير والبر .. ثم الوصية بالصبر على مكاره الدعوة الى الله ، ومتاعب الجهاد في سبيله ، ففي الصبر — كما جاء في الحديث — خير كثير ، و (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) .

وهي **رابعا** : الزجر عن الكبرياء في معاملة الناس ، وعن الخيلاء مشيا في الارض .. فان الله يبغض كل مختال فخور .

وهي **خامسا** : الامر بالاعتدال في الخطى ، وخفض الصوت عند الكلام ، لان رفع الصوت ليس من ادب الانسان ، بل هو شأن الحيوان .

وهل بعد هذه الاخلاق الكرائم ، والآداب الحسان .. من تربية ينشدها الآباء لابنائهم ، او يطلبها الشيوخ لشبابهم ؟!

* * *

ونمضي في تأمل آى القرآن الكريم ، فنجده يثني على جماعة من الشباب بانهم (فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (٣) لماذا ؟ لانهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة ، ولجأوا الى الله في كهف يعبدونه ويدعونه : (ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا) (٤) .

ونجد القرآن — في موضع آخر ، بل في سورة كاملة — يضرب نبيه يوسف عليه السلام مثلا للشباب الصالح العفيف ، الذى يستعصم عن الفسوق وهو يتعرض لفتنة جمال امرأة العزيز ، ويتصدى لرغبتها فيه ، ودعوتها اياه ، واستعدادها له .. (وراودته التي هو في بيتها ، عن نفسه وغلقت الابواب وقالت : هيت لك قال : معاذ الله انه ربي احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون) (٥) .

كما نقرأ فى أواخر سورة النور تأديبا قرآنيا رائعا لاعضاء الاسرة المسلمة يشمل الشباب ، فى موضوع الاستئذان من الصغار بدخولهم على الكبار فى أوقات الراحة والخلوة : (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ، فليستأذنوا ، كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته . والله عليم حكيم) (٦) وذلك لئلا يطلع الشباب على عـــلاقات آبائهم الخاصة ، فينشغلوا بها ، قبل أوانها . . وفى ذلك فساد كبير . وفى اهتمام السنة بتربية الشباب ــ كما سيأتى ــ توجيه آخر من هذا الوادى .

وأخيرا نجد القرآن يصور لهفة الآباء ، وحرصهم على صــلاح ذريتهم فى الدنيا ، تمهيدا للحاقهم بهم فى سعادة الآخرة : (والذين يقولون ربنــا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنــا للمتقين اماما) (٧) (والذين آمنوا ، واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم ، ومــا ألتناهم من عملهم من شىء . كل امرىء بما كسب رهين) (٨) .

اهتمام الرسول بالشباب :

ونتأمل ــ الآن ــ اهتمامات نبى الاسلام ، عليه الصلاة والسلام، بالشباب : تعليما وتربية وتوجيها وانتفاعا بنشاط الشبيبة وحماسها . واخلاصها . فقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم الاحاديث التالية :

● أوصيكم بالشبان خيرا ، فانهــم أرق افئدة . لقــد بعثنى اللــه بالحنيفية السمحة ، فحالفنى الشباب ، وخالفنى الشيوخ .)

● يا شباب قريش من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لــم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء .)

● ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن .)

● لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع .)

● يا غلام انى اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . واذا سألت فأسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله .)

● مروا أولادكم بالصــــلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، والبسوهم السراويل ، وفرقوا بينهم فى المضاجع) .

● اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبــل موتك) .

وغير ذلك من توجيهات تربوية نبوية يختص الاسلام بها الشباب ــ لا نحصيها فى هذه المقالة ، لئلا نطيل على القارىء .

وبتأمل هذه الاهتمامات النبوية بالشباب نتبين أن الاســـلام حريص على أن يلفت أنظار اتباعه وافكارهم الى حقيقة تكوين الشاب كغرسة ناشئة طرية ، قابلة للتشــكيل والتلوين على الصورة المــرادة .
كما يلفت أنظارنا وأفكارنا الى خطورة هذه المرحلة من عمــر الانسان ، للمسارعة والاستباق الى رعاية تشكيلهــا وتلوينهــا على

الصورة الطيبة الفاضلة التى يريدها الاسلام ، والتى يحث عليها القرآن والسنة النبوية .

ولأن الشبان — كما جاء فى التوجيه النبوى الاول — أرق أفئدة ، لم تتراكم بعد على قلوبهم غشاوات العادات والاخلاق التى تتركز عادة فى طبائع الشيوخ — كانوا ، أى الشبان ، اسرع الى الاستجابة لدعوة الاسلام ، ونصرة رسوله الكريم .

وللسبب نفسه يحث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما سبق من توجيهاته وتنبيهاته ، على أن يحسن الآباء تأديب أولادهم وهم صغار قبل أن يشبوا عن الطوق ، وتتحجر عقولهم وقلوبهم على طبائع منكرة ، فيصعب تهذيبها أو تطبيبها فى الكبر .

ويعد النبى صلى الله عليه وسلم تأديب الوالد لابنه الشاب أفضل عطية يهبها اياه ، بل هى خير من الصدقة يمنحها غيره .

وفى سبيل المحافظة على الشباب من الاندفاع مع فورة الحداثة وثورة العاطفة — يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم الشبان بالزواج ، لان فيه سكنا ومودة ورحمة بين الجنسين من الشباب . وفى حالة تعذره أو تعسره .. عليهم بالصوم ليخفف عنهم الحاح العاطفة ، ويلطف فيهم فورة الشبيبة .

وفى هذه السبيل ايضا يأمر الرسول عليه الصلاة والسلام الآباء والأولياء ان يلبسوا أولادهم السراويل ، وان يفرقوا بينهم فى المضاجع ، ابتعادا بهم عن النزوة والشهوة ، ولينشأوا أطهارا ابرارا . وقد أشرنا من قبل — فى موضوع اهتمام القرآن بالشباب — الى بعض آداب الاسرة التى شرعها الاسلام لصيانة الشباب من الانحراف الجنسى .

ثم يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم — فى بعض تلك الاهتمامات — ان يغتنم الشباب شبابه الذى هو قوة وفتوة وحماس واخلاص ، قبل ان يهرم . فلا يستطيع طلبا للعلم النافع ولا انجازا للعمل الصالح . ولا أداء لواجبات دينه وامته ووطنه : دعوة وجهادا وذيادا .

كما يوصيه أن يحفظ الله .. أى يتقيه ويطيعه ائتمارا وازدجارا . فجزاء ذلك أن يحفظه الله .. أى يكون معه فى كل ما يسلك من طريق نحو معيشته وعمله وعبادته . بالتوفيق والتيسير والعون . والوقاية من كل سوء .

.. وان يكون اتجاهه بالسؤال والاستعانة الى الله وحده ، فهو المالك المتصرف فى الكون كله ، وفى الناس كافة .. خلقا ورزقا . ونفعا وضرا . واحياء وأماتة . ورفعا وخفضا ..

* * *

ومن وصايا علماء السلف — رضى الله عنهم — ما كان يقوله ابن شهاب الزهرى لتلاميذه : « لا تحقروا انفسكم لحداثة اسنانكم ، فان عمر بن الخطاب كان اذا نزل به الامر المفصل دعا الفتيان ، واستشارهم يبتغى حدة عقولهم » .

وكان الامام ابن الجوزى يرى : ان الشباب امانة عند آبائهم ، وان قلوبهم كجوهرة ساذجة قابلة لكل نقش ، فان عودهم آباؤهم الخير نشأوا عليه ، وان عودوهم الشر نشأوا عليه .. فينبغى أن يصونوهم ويؤدبوهم ويهذبوهم ، ويعلموهم محاسن الاخلاق ، ويحفظوهم من قرناء السوء ، ولا يعودوهم التنعم والرفاهية ، فتضيع أعمارهم فى طلبها اذا كبروا . ان الولد جزء من والده . وهو نعمة وفخار ، أو نقمة وعار ، فاختر لجزئك ما تشاء .)

شبابنا : انحرافاته ومشكلاته

بعد ذلك العرض الموجز لاهتمامات القرآن والسنة وعلماء السلف .. بالشباب : تعليما وتربية وتوجيها ـ نتحدث بايجاز أيضا عن انحرافات شبابنا ومشكلاته ، وما ينبغى لنا ، بل ما يجب علينا من المسارعة الى انقاذه واصلاحه وتقويمه .

مما لا ريب فيه ان هذه الانحرافات والمشكلات التى يعانى منها الشباب الاسلامى ـ فى عصرنا الحاضر ـ هى نتيجة لاسباب وعوامل متعددة ومختلفة .. بعضها ذاتى ، وبعضها محلى ، وبعضها خارجي .

● أما السبب الخارجي لانحرافات الشباب المسلم ومشكلاته ، فهو العدوى السريعة الفتاكة التى انتقلت من شباب الغرب العلماني وشباب الشرق الالحادى ، الى شباب العالم الاسلامى عن طريقين : الأول الاستعمار السياسى سابقا وما خلفه من استعمار فكرى وثقافى وتشريعى . الثانى : الاتصال الحضارى والثقافى الدائم بين العالم الاسلامى والعالمين الغربى والشرقى .. فكثير من ابنائنا يتلقون العلم فى معاهدهم وجامعاتهم ، وكثير من خبرائهم ومدرسيهم نستقدمهم للعمل فى معاهدنا وجامعاتنا ومؤسساتنا .

● واما السبب المحلى لانحرافات شبابنا ومشكلاته .. فهو هذا التناقض الاجتماعى العجيب الذى يشيع فى جوانب شتى من حياتنا : فى البيت ، والمدرسة ، والسوق والشارع ، والنادى .. ان الشباب ـ فى مجتمعنا ـ يتعلم فى مدرسته أمورا دينية ، ويستمع من العلماء والوعاظ الى دروس أخلاقية .. ثم ينطلق الى البيت او السوق أو النادى ، فلا يرى أثرا او صورة أو مثالا لما تعلمه فى المدرسة ، أو استمع اليه فى المسجد .

ثم يتكرر هذا التناقض عندما يرى الشاب فى التلفاز ، أو يسمع فى الراديو : قصة اسلامية رائعة تبدو فيها الاسرة مسلمة العقيدة والسلوك ، أو حديثا دينيا يحث على مكارم الاخلاق ، ويروى او ينقل بعض الآداب القرآنية والنبوية .. ثم بعد ذلك مباشرة يرى او يسمع ، من نفس الراديو أو ذات التلفاز : قصصا تمثيلية ، أو اغنيات ، او أحاديث .. تغرى بمشاهدها وكلماتها وحركاتها بالفسق والفجور وعظائم الامور !!

هذا الى جانب ما يرى ـ في المكتبات التجارية ـ من كتب وصحف

ومجلات تتناقض موضوعاتها وصورها وقصصها ، وتورث قلوب الشباب حيرة وضلالا ، لا يميز معهما الطيب من الخبيث .

ان هذا (التناقض) الشائع فى المجتمعات الاسلامية — هو السبب المحلى لانحرافات شبابنا ومشكلاته ، وهو — فى نظرنا — أهم الاسباب الثلاثة واخطرها ، واجدرها بان نبدأ بأصلاحه وتقويمه .

● أما السبب الذاتى .. فهو طبيعة الشباب : الحدة والجدة وحب الانطلاق ، والحرص على الحرية ، والفراغ من المهمات والشواغل. وهو — فى نظرنا — أيسر الاسباب الثلاثة ، واصلاحه والخلاص منه، يتأتى تلقائيا بالخلاص من (التناقض) الذى يعم سلوك المجتمعات الاسلامية كلها : فى مناهج تعليمها ، وفى برامج اعلامها اذاعة وتلفازا وصحافة وكتابا ، وفى احكام تشريعها الشخصى والجنائى ، وفى المؤسسات الاجتماعية والثقافية والرياضية .

* * *

اذا استطعنا — حكاما وعلماء ومفكرين ومعلمين — ان نتخلص من هذا (التناقض) الرهيب الرعيب فى سلوك مجتمعاتنا الاسلامية .. عاش شبابنا بخير وطمأنينة ، وذهبت حيرته وثورته ، وانتهى تقليده لانحلالات شباب الغرب وانحرافاته ، واقترب من دينه اعتقادا وسلوكا وعبادة ، وأحس بالامن النفسى والخارجى .. فيما تحققه له من توافق بين المبادىء الدينية والاخلاقية وسلوك المؤسسات الثقافية والاعلامية والاجتماعية والادارية والتجارية فى مجتمعه الاسلامى .

وباختصار : ان ما يقراه شبابنا أو يسمعه فى جامعته أو مدرسته أو مسجده أو كتابه أو صحيفته : عن عدالة التشريع الاسلامى ، واصالة حضارة الاسلام ، وقصص ابطاله ورجاله وخلفائه ، التى ملأت سمع الزمان وبصره مجدا وحمدا — ان هذا المقروء او المسموع يجب ان يجده الشباب حقيقة واقعة فى البيت والمدرسة والجامعة والنادى والسوق والادارة والوزارة .

وسيكون من طبيعة المطابقة بين السلوك والمبدأ : ان يعطى الآباء والحكام والعلماء والمربون والمدرسون والمفكرون والكتاب والوعاظ والرؤساء والوزراء .. القدوة الطيبة ، والاسوة الحسنة ، من أنفسهم للشباب . وبذلك يقضون على انحرافاته ومشكلاته ، وينتفعون بجهوده وطاقاته ، لخير دينه وأمته ووطنه .

---

(١) أختلف فى نبوة لقمان .

(٢) الآيات ١٢ — ١٣ — ١٦ — ١٧ — ١٨ — ١٩ — من سورة لقمان .

(٣) الآية ١٣ من سورة الكهف .

(٤) الآية ١٠ من سورة الكهف .

(٥) الآية ٢٣ من سورة يوسف .

(٦) الآية ٥٩ من سورة النور .

(٧) الآية ٤٧ من سورة الفرقان .

(٨) الآية ٢١ من سورة الطور .

توجيهات للشباب

من أساتذة الجامعة وكبار المربين

ننشر فيما يلى التوجيهات القيمة للشباب التى افضى بها الى مندوبنا اساتذة الجامعة وكبار المربين فى دولة الكويت .

الى الأبناء والأحفاد

يوجه فضيلة الشيخ بدر المتولى عبد الباسط أستاذ الشريعة بجامعة الكويت هذا النداء فيقول :

أنتم الرجاء والأمل ، وأنتم الغد والمستقبل ، والرجاء والأمل أن بقيا رجاء وأملا كانا خيالا ، والغد والمستقبل ان لم تعدوا له عدته ، ولم تأخذوا له أهبته كان – والعياذ بالله – وبالا ، فاجعلوا من الأمل حقيقة ، وأعدوا أنفسكم لغد مشرق وتسلحوا بالقوة ، القوة فى كل شىء ، القوة فى العقيدة والقوة فى الأخلاق والقوة بالعلم ، والقوة فى البدن ، فان قوة العقيدة تذلل لكم كل صعب ، وتيسر لكم كل عسير ، وتعطيكم طاقة من الاحتمال تصنع العجائب ، وخذوا عقيدتكم من هذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا تستجلبوا عقائد من الشرق أو الغرب فانه لم يأت عن هؤلاء أو أولئك – من العقائد – الا كل ما يبلبل الأفكار ، ويحطم النفوس ، وقارنوا بين الشاب المؤمن حينما تنزل به شدة ، وبين أخيه المتشكك المتردد لتعلموا أى الفريقين أحسن حالا وأثبت – عند الشدائد – جنانا .

وأما قوة الأخلاق فهى عماد الأمم وعزة الشعوب .

انما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ودينكم — والحمد لله — جاء بجماع الفضائل ومحاسن الأخلاق ، فليس — هناك — خلق كريم الا دعا اليه ولا خصلة ذميمة الا نهى عنها وحاربها .

وأما قوة العلم فهى — فى عصرنا هذا — ميدان التسابق بين الأمم ، فخذوا من العلم أنصعه ، ولا يكن حظكم من العلم التحصيل فحسب بل التطبيق لمصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وان الخطر كل الخطر تلك الأمية الضاربة أطنابها فى الوطن العربى والاسلامى ، وانه لمن المؤسف — حقا — أن تلك الشعوب التى بدأت تسلك سبيل العلم لا تعنى بالثقافة الدينية قدر عنايتها بأى علم أو فن ، وان حظ علوم الدين — فى كثير من مدارسنا ومعاهدنا — أقل من حظ كثير من العلوم والفنون الترفيهية ولا بد أن يتمشى تيار الثقافة الاسلامية — فى الوطن الاسلامى كله — مع تيار العلوم الكونية لتكون علوم الدنيا عدة للقوة ، وعلوم الشريعة سياجا من الانحراف .

ولا تأخذوا دينكم عن مضلل أو مخرف ، ولكن خذوه من الخبير الثقة غير المتهم فى علمه وخلقه .

وأما قوة البدن فالسبيل اليها الابتعاد عن أسباب الامراض بما فى ذلك تعاطى ما يضر الأجسام ، ويورث العلل ، ولتستمتعوا فى أوقات فراغكم — بالرياضة البدنية النافعة التى تكسبكم نشاطا وقوة . والرياضة وسيلة لا غاية ، فليكن حظها من العناية حظ الوسائل لا الغايات ، وهى للأبدان كالملح ، فلا تجعلوا الملح طعاما والطعام ملحا .

هذه كلمة أب جرب الحياة وجربته الحياة يقدمها لأبنائه ليوفر عليهم مؤونة التجربة ، وليأخذوا من الحياة حيث انتهينا لتكون الحياة — دائما — فى تقدم وتطور ، ولكنه تقدم وتطور الى الخير لا الى التخبط والتقليد الأعمى .

والله أسأل أن يكون غدكم خيرا من أمسكم وما يستقبلكم خيرا مما فاتكم .

الوقاية هي العلاج

قال فضيلة الشيخ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الكويت :

حين أتحدث الى الشباب ، فانى أتجه مباشرة الى أبنائى الذين يسترشدون فى حياتهم وسلوكهم بالآداب الاسلامية السليمة . أما أولئك الذين اتخذوا الههم هواهم ، وشهواتهم معبودهم ، فانى لا أتجه اليهم — قصدا — بهذا الحديث ، لأنهم لا يقرأون هذه المجلة ، وانما يقرأون مجلات أخرى اتخذت من الجنس والعرى والانحلال تجارة ، من الغلاف الى الغلاف .

هذه المجلات التى اذا أمكن معرفة الدوافع لأصحابها على اصدارها بهذه الصورة ، وهى جمع الأموال على حساب الأمة وفضائلها ، واشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا ، استجابة لمقررات الصهيونية ومن وراءها فلا يمكن الدفاع عمن يسمحون بدخولها الى بلادهم وانتشارها وترويجها وهى

لا تحمل الا كل شر وفساد ، واثارة للغرائز ، ودعوات الى الانطلاق فى الشهوات ، مما لا ينفع معه آلاف الوعاظ والمرشدين ، مهما أحسنوا القول وأحسنوا العمل ، لأنها الغرائز الحيوانية التى لا يجدى معها الا اتخاذ وسائل الحماية ، والوقاية خير من العلاج بل ان الوقاية وحدها هى العلاج فى هذا المجال .

وارى أن الحياة تسير فى جو متناقض ، يمكن لوسائل الغواية والفتنة بصورة أساسية ، مع السماح أحيانا بنوع من انواع الوسائل لمكافحتها ومقاومتها . ولو خيرت بين أمرين لا ثالث لهما : بين منع وسائل الفتنة التى اتخذت طرقها فى جوانب الحياة المتعددة مع تقليل عدد الوعاظ والمرشدين ، وبين ابقاء هذه الوسائل بهذه الصورة العارية الطاغية والتمكين لأساليب الهداية والارشاد أيضا ، لاخترت — دون تردد ولا تريث — الحل الأول ، لأنه أجدى نفعا وأقرب الى تحقيق الخير والفضيلة .

وبعد . فقد أطلت عليكم فيما قد ترونه مقدمة لحديثى اليكم ، وليس الأمر كذلك ، فلم تصر هذه مقدمة ، ولكنه صلب الحديث الذى أوجهه اليكم والى جميع من يعنيه أمر الشباب رغبة فى اتخاذ الطريق السوى الى وضع الأمور فى مكانها الصحيح . ثم أقول لكم : ان مرحلة الشباب هى ربيع الحياة وفرصة العمر الأولى والأخيرة لجمع رصيد الخير والبر فى الدين والدنيا ، فى العلم والمعرفة ، فانتهزوها استجابة لدينكم ، وتدعيما لمستقبلكم ، وبناء لأمتكم ، وخذوا من يومكم لغدكم ، وتحملوا بعض الأعباء اليوم لتستريحوا غدا ، واقرأوا قول الفقيه الاسلامى العظيم ابن القيم : « ان المصالح والخيرات ، واللذات والكمالات ، لا تنال الا بحظ من المشقة ، ولا يعبر اليها الا على جسر من التعب ، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن من آثر الراحة فاتته الراحة ، وانه بحسب احتمال المشاق تكون الفرحة واللذة ، فلا فرحة لمن لا هم له ، ولا لذة لمن لا صبر له ، ولا نعيم لمن لا شقاء له ، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة ، وكلما كانت النفوس أشرف ، والهمة أعلى ، كان تعب البدن أوفر ، وحظه من الراحة أقل » .

ثم أقول لكم : ليست السعادة بجمع المال وكثرته ، فقد يكون المال شؤما على صاحبه ، اذا اتخذ وسيلة للفساد والافساد ، وليست السعادة فى اللذائذ والشهوات المنحرفة ، فما أكثر المنتحرين والضائعين فى عالم الممثلين والممثلات ممن غرقوا فى الشهوات الى أذقانهم ، وما أعلى نسبة الانتحار فى بعض البلاد الاوروبية التى تحولت الى غابة حيوانية لاحياء فيها ولا أدب ، غابة اتخذت من وسائل العلم والحضارة سلاحا للشر وتمكينا للرذيلة .

واذا كانت هذه الحياة تليق بالبهائم وليس لها الا جسدها ، فانها لا تليق بالانسان وهو روح وجسد ، وأى اشباع لحاجات أحد عنصريه على حساب الآخر ، يفقد الانسان توازنه ، ويؤدى الى ضياعه اليوم أو غدا .

وليس هناك من حرام خبيث ضار بالنفس أو بالغير ، الا وبجانبه أنواع من الحلال الطيب النافع ، تحقق للانسان السوى كل ما يبتغيه من سعادة وهناءة ورفاهية « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

ويبدا الحديث الدكتور : عثمان خليل — الخبير الدستورى بمجلس الأمة الكويتي فيقول :

حملتنى على الكتابة فى هذا الموضوع أمور ثلاثة واقعية لا نصيب فيها لنسج الخيال :

أولها : تلك **الأنة** الواردة فى بعض السجلات الفرعونية القديمة حاملة شكوى الكهال والشيوخ من شطحات الشباب ، وضحالة معارف الأبناء ، وخطر ذلك كله على مستقبل الأجيال .. وقد تداعت ذكريات تلك (الأنة) — وهي لا شك تتداعى فى ذهن كل انسان — اذا ما وقع البصر على مظاهر الشذوذ المتزايدة فى مظهر بعض شباب هذا الزمن ، وتعثرهم المتواصل بين وجودية .. وخنافس .. وهيبيز .. وغير ذلك من مسميات وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ..

وتأمل هذه الحقيقة - وهي استمرار تلك الشكوى وأسبابها حتى يومنا هذا ، بل وحتمية بقائها على مر الزمن « ما دام هنالك شباب وكهال » يبعث فى النفس شعورا مزدوجا ، بالراحة من ناحية ، وبالأمل من ناحية أخرى .

اما الراحة : فمردها صحة الشكوى وأسبابها ، والا لما قدر لها أن تبقى حقيقة خالدة عبر الدهور .. ومردها كذلك انها انما تصدر عن حرص الآباء على تقويم حاضر الأبناء ومستقبل المجموع .. وهذا الحرص أجدى على الأمم — أيا كانت نسبة نجاحه — من اهمال الجيل الصاعد أو فقد الرجاء فيه .

ومرد الأمل : اننا — برغم تواتر تلك الشكوى منذ أقدم العصور وتوافر أسبابها باستمرار ، فاننا نرى قافلة الشباب تسير عبر الزمن فى تقدم مطرد .. وتوفيق متزايد .. وما علماء كل عصر .. الا شباب أمسه الذين كانوا موضع نقد الآباء .. وتجريح الجدود .. ذلك أنه برغم ما يؤخذ بحق على البعض ، فان كتلة الشباب فى مجموعه تسير بحمد الله دوما من حسن الى أحسن .. ونحو مستقبل أفضل .. فليطمئن الشيوخ والآباء .. ولا يضيقن بالنقد صدر الشباب والأبناء ..

الأمر الثانى الذى حفزنى للكتابة فى هذا الموضوع أكثر من شكوى أو مكتوب وردتنى من أبناء لى « بنوة قرابة أو علم » يشكون الحياة برغم ما أفاءه الله عليهم من أسباب العيش الرغد فيها ، وتتلاقى شكوى الجميع عند عنصر مشترك هو « القلق » وعدم الاحساس بطعم للحياة ولا بأمل يشد النفس الى الغد ويخرجها من آسن الحاضر الرتيب .. وهذا الشعور بالقلق وفقدان الآمال الجدية فى المستقبل . هما فى تقديرى أهم أسباب انحراف شباب الغرب على النحو السابق ذكره .. والذى أخذ يتسرب — مع الأسف الشديد — الى بعض شبابنا المصابين بضعف فى الشخصية أو المحاطين بدوافع القلق المذكورة دون القدرة على مقاومتها .

ولكن ما هو العلاج ؟ .. لئن كانت وسائل العلاج عديدة ويجب أن تتناول المجتمع والشباب كليهما على سواء ، الا ان من أهم أوجه علاج

هذا الشباب (القلق) الاعتصام بالدين ، فبه تحل الاضـــواء والآمـال ومشاعر الرضا محل الظلمة واليأس والتبرم بكل شىء ومن ثم « القلق » القاتل . ولقد ردد المختصون أثر هذا الاتجاه فى الصحة وبخاصة صحة النفس والقلب . . كما يبدد الدين ـــ بأقدار متفاوتة حسب تفاوت الأفراد ـــ ظلمات الحياة ووقع المحن وأسباب القلق . . وهنا كانت الواقعة الثالثة من الوقائع التى جعلتنى أكتب فى هذا الموضوع فقد جاءت وكالات الأنباء أخيرا بأنباء جماعات من الشباب « القلق » اتخذت الصلوات والاناشـيد الدينية أسلوبا لها فى الحياة . . مع ما يصاحبها من تأملات . . وسبحات . . وليس ذلك فى الحقيقة الا محاولة لتبديد القلق بنوع ما من الرياضـة الدينية ، واستغلال لما فى (الدين) من عـــلاج للنفس . .

فهل آن الأوان لكى يتجه شبابنا الى (الدين) ؟

انه ان فعل ذلك حقا . . لوجد أصل الدواء . . لكل ما نشكوه مـــن أمراض الفرد والمجموع . .

والله ولى التوفيق .

كيف نربى شبابنا ونرعاه ؟

اما الدكتور احمد عبد المنعم البهى استاذ الشريعــة بجامعــة الكويت فيتحدث من خلال التجارب العملية فيقول :

الشباب عماد المستقبل وعدته ما فى ذلك شك أو ريب ، ومن ثم فان العناية به من أقدس الواجبات والمسؤوليات على الأسرة والمجتمع والدولة .

ومشكلة العصر الآن . . كيف نجنب شبابنا التيارات المختلفة والمتباينة التى تحطم القيم والمعنويات وتنشر الفساد والالحاد ؟ ولم يعد درعا للشباب أن ينشأ فى أسرة صالحة لأن محيط الأسرة ليس وحده كافيا الآن فى الرعاية الكاملة ، اذ سرعان ما يتأثر الشـــاب بمخالطيـــه ويأخذ عنهم من أخلاقهم وعاداتهم ما لم يتعلمه فى محيط الأسرة ولم يعد فى هذا العصر مكان لقــول الشـــاعر :

وينشأ ناشىء الفتيـــان منـــا على مـــا كان عـــوده أبوه

فالأمر أضحى فى حاجة الى كل رعاية للشباب فى البيت ، فى البيئـــة وفى المدرسة ، وفى المجتمع ، وما عادت رعـــاية الأسرة وحدهـــا هى كل متطلبات العناية بالشباب .

وقد حاول بعض المصلحين الاهتمام بالشباب وحمايتـــه عن طريق نشر الوعى الرياضى أو شغل أوقات الفراغ بالرحلات والمطالعة الا أن هذا لم يأت بالثمرة المرجوة فى هذا المضمار ، لأن التيارات الوافدة من الانحلال وبريق الحضارة الزائف أعتى من أن يصدها مثل هذا الأسلوب .

ورأيى أن تربية الشباب وحمايتـــه والحفاظ على مقـــدراته تأتى أولا وبالذات عن طريق القيم الروحية والفهم الواعى للاسلام .

وهذا بالطبع يستدعى أن تكون هناك برامج بعيدة المدى تتعهد الشباب بالتوجيه الاسلامى فى جميع مراحل حياته وتتطور مع نموه لا تسير كلها على نسق واحد فى جميع الأحوال والمراحل ، فلا تكون كلها نصا يحفظ ، ولا آثارا تتلى ولا تكون فى شكل دروس دينية دائمة ، بل يحسن أن تكون أحيانا أمثلة

تطبيقية ، ومقارنات بين بعض المذاهب المعاصرة والفكر الاسلامى وشرح الميزات التى ينفرد بها الاسلام عما عداه .

ويجب أن نذهب الى الشباب حيثما وجد فى النادى أو فى الديوانية . ولا ننتظر حتى يأتى الينا ، ان الشباب فى بداية تكوينه كالعجينة فى اليد يمكن تشكيلها كما نريد ولذا فمن الواجب ان نسرع اليه قبل أن ينصرف الى اللهو والعبث .

جاءنى مرة شاب وقال : أريد أن أومن ولكن كيف أومن بمن لا أراه ؟ أين الله ..؟

وأجبته اذا عرفت نفسك فقد عرفت الله .

قال : انى أعرفها .

وأجبت أنك لم تعرفها بعد . انك روح ومادة وأجهزة دقيقة وفيك مراكز للسيطرة والاحساس وفيك قلب ينبض وعقل يفكر ودم يجرى وماء يروى وكل هذا وغيره مما أودعه الله فيك يتسق مع بعضه ويؤدى رحلتك فى الحياة .

اذا عرفت هذا حق المعرفة وأدركت هذا التناسق الدقيق والعجيب معا فى نفسك أدركت عظمة الخالق وسره فيك وعرفته حق المعرفة وآمنت به حق الايمان .

ولم يقتنع الشاب بما قلته وقبل ان ينصرف قلت له فكر فيما أجبتك به عسى أن ينفعك ولم ازد على هذا شيئا . وجاءنى بعد أسبوع أو اكثر وقال لقد وجهتنى الى عدة قضايا جعلتنى لا أنام الليل ولا أمل التفكير فيها وأخيرا أسلمت واهتديت ، وتعهدته بعد ذلك بتثبيت يقينه وايمانه ، وهو الآن داعية بين أقرانه واخوانه للحق والايمان .

ان قضية الايمان لكل ذى فطرة سليمة قضية سهلة ميسرة لا تعقيد فيها ولا صعوبة فى التدليل عليها ، غير ان الذى أدعو اليه أن نكون فى سباق مع الزمن الى قلوب أبنائنا وافكارهم لنكون درعا لهم من الافكار الوافدة حتى لا ينخدعوا بأى بريق زائف ، يعزف عنه الشاب كما يعزف عن الماء الراكد التالف وتعافه نفسه كما تعاف الطعام الفاسد .

لقد أرادت فرنسا أن تنشىء صغارها بعد حرب الألزاس واللورين على كراهية المانيا فلم تكتف بتلقين الصغار كراهية ألمانيا لأنها حاربتهم ولكن عمدت الى مصانع الحلوى لتضع فى (الشيكولاته) مأكول الأطفال جانبا مرا اذا انتهى اليه الطفل صاح بأمه : هذه القطعة من الشيكولاته مرة يا أماه . فتجيبه على الفور ارمها انها المانيا . وذلك قبل أن يدرى الطفل ما هى المانيا وما قصتها وما سر بغض فرنسا لها ، ولكنها نشأت جيلا من الشباب على بغض المانيا حتى ثأر لأمه الكبرى فرنسا من عدوتها ألمانيا .

نريد أن نسرع الى شبابنا ببرامج مخططة بعيدة المدى تتناول كل جانب من جوانب حياته ويقينى انه لا اصلاح للشباب ولا أمل فى اصلاحه فى أى وقت الآن أو غدا الا عن طريق القيم الروحية وهذا أيضا ينادى به كثيرون من مصلحى الغرب بعد أن شاهدوا المحنة التى يعيشها شبابهم وما يقال غير هذا فانه مكابرة ومغالطة والتاريخ خير شاهد على ما نقول .

بقى أن أقول انه حين تتيسر لنا تربية الشباب على هذا النحو الذى ذكرت فانى لا أخشى عليه بعد ذلك زيف الحضارة ولا تياراتها المختلفة لأنه على نفسه رقيب وحسيب والله الموفق والهادى .

الشباب ومفهوم الحرية

ويقول الدكتور ابو الوفـا الغنيمى التفتازانى استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة الكويت :

بدأنا نحس – خصوصا فى السنوات الأخيرة – بقلق شديد على مستقبل شبابنا لتأثر كثير منهم بما يفد الينا من فلسفات مادية أو عبثية انحلالية . وقد أدى هذا الى اختلال القيم وعدم أخذ هذا الشباب أمور الحياة والعمل مأخذ الجد ، والى الانسياق وراء الملذات الحسية ، وفقدان الشخصية المتمثل فى التقليد الأعمى للمجتمعات الاجنبية ، حتى فى ارتداء الأزياء الشاذة ! وأصبح شعار بعض الشباب الآن الرفض لمجرد الرفض ، أى رفض كل تقاليد المجتمع وعاداته بلا هدف واضح .

ويسىء بعض الشباب فهم الحرية ، فليست الحرية انطلاقا بلا حدود ، وأخذا بلا عطاء ، وانما هى واجبات تؤدى للمجتمع ، والتزام بحمل أعبائه ، وحل مشكلاته ، وارتفاع بالنفس فوق الشهوات والأهواء بارادة حرة . وبهذا يصبح الانسان حرا بالمعنى الحقيقى للحرية متمكنا من الوقوف على قدميه فى معترك الحياة مكافحا كفاح الشجاع الواثق بنفسه وبالله . وفى رأينا أن ذلك الشاب الذى يوهم نفسه أنه حر باطلاق ، وأن حريته مصدر كل قيمة ، سرعان ما يتخلى عن مسئولياته وواجباته تجاه الآخرين ، ويندفع بسرعة الى هوة الشهوات فيخضع لها خضوعا أعمى ، وبهذا يلقى بنفسه فى هوة الجبر ، ولا يستطيع الخروج منها .

وفى الحقيقة لا علاج لشبابنا الا بالرجوع الى عقيدة الاسلام الصحيحة ، فالعقيدة هى الأساس اذا صحت صح للشباب سلوكهم ، واذا فسدت فسد ، وعلى دعاة الاسلام ورجال التربية أن يوجهوا عنايتهم الأساسية الى تعميق مفهوم العقيدة فى عقول شبابنا من ناحية ، والى تبيان موقف الاسلام من كل ما هو وافد الينا من آراء ومذاهب الحادية وانحلالية ، من ناحية أخرى . وبالجملة عليهم أن يبينوا للناس مزايا الايمان ومضار الفسق ، على أسس عقلية واضحة ، وما أعمق المعنى فى قوله تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون » .



قصَّة علميَّة
من الأدب الديني

حوار عن الأرض في كوكب بعيد

في كوكب بعيد جدا .. هو احد هذه الكواكب المتناثرة في الفضاء البعيد .. تلك الكواكب التي تعد بالملايين .. والتي منها ما يرى بالعين المجردة .. ومنها ما يرى بالآلات الراصدة ... ومنها ما لم نستطع ان نراه بعد ...

ان كوكبنا التي تدور فيه أحداث القصة ... ربما يبعد عنا سبعين مليونا من الأميال .. او أكثر من ذلك او اقل .. وتفترض القصة أن به سكانا .. وأنهم قد بلغوا في الحضارة شأنا كبيرا .. وان لهم دستورا لا يحيدون عنه ... هو أنهم يهتمون بالمعاني قبل اهتمامهم بالاشكال ... وانهم يحرصون كل الحرص على القيم والموازين التي توزن بها الصفات والأفعال ... وانهم بذلك العمق في الفهم .. والذكاء في الادراك ، استطاعوا ان يملأوا رحاب كوكبهم ذاك عدلا وأمنا ونورا ... وأنه قل ان يعرف الشر الى احد منهم سبيلا ... الا من اخطاء عابرة ... او هفوات نادرة .. سرعان ما يتعاونون على اصلاحها ... وقد اصبح ديدنهم التعاون ... وان يأخذ بعضهم بيد بعض .. وان يصلحوا ذات البين بينهم اولا باول ...

للأستاذ محمد لبيب البوهي



لذلك تتخيل القصة وتفترض أنهم بذلك استطاعوا أن يبلغوا فى الحضارة السليمة الصادقة شأنا بعيدا ... ولقد تعودوا أن يدرسوا بما أوتوا من العلم ما يحدث فى الكواكب الأخرى القريبة منهم والبعيدة ... وأنهم يمدون يد العون والمعروف الى سكان الكواكب الأخرى ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ..

وفى الأعوام القليلة الماضية كانوا يتساءلون عن حدث غريب أتتهم أنباؤه من كوكب بعيد جدا ... وصغير جدا . ومن أجل ذلك اجتمع مجلس العلماء عندهم لدراسة ما جاءت به الأنباء ..

وكان من عادة هذا المجلس أن يجعل جلساته علانية — وأن يدعو من يشاء من سكان كوكبهم الى شهود هذه الاجتماعات — ذلك أن العلم عندهم مشاع كالماء والهواء ... ويجب أن تتاح كل الفرص فيه للجميع على السواء ..

وطلب أحد الحاضرين أن يوجه الى رئيس المجلس سؤالا . فلما تلقى الاذن بذلك قال : —

اننى لست عضوا فى مجمع العلماء ... ولست ادعى أننى على درجة

كبيرة من العلم ... فهل من حقى أن أوجه اليكم سؤالا قد يبدو لكم غريبا .. ؟

قال رئيس مجمع العلماء : فى ذلك الكوكب البعيد : —

— من حقك أن تسأل ما دام هذا السؤال عن شىء ينفعك جوابه ..

قال المتحدث : شكرا أيها السيد الرئيس ... انكم تتحدثون عن أنباء خطيرة جاءتكم بعلمكم من كوكب اسمه الأرض ، فما هى هذه الارض ؟ وأين مكانها .. ؟

قال رئيس مجمع العلماء : —

هى ذرة صغيرة فى ملك الله الذى لا يحد ... وحين تنظر اليها فى السماء بالعين المجردة لن تراها .. وانها لتبدو فى بعض آلات الرصد فى حجم قبضة اليد — وتبدو أكبر من ذلك فى بعض آلات أخرى ..

قال المتحدث : ما دامت هذه الأرض هى ذرة صغيرة فى ملك الله ... فلماذا يبدو هذا الاهتمام الكبير بهذه الذرة الصغيرة ؟ ..

قال رئيس مجمع العلماء : ذلك سؤال يجرنا الى ان نذكر مبادئنا .. اننا لا نعيش من أجل أنفسنا فحسب — اننا نعيش من أجل الآخرين أيضا .

وما دمنا قد حققنا السعادة على كوكبنا هذا .. بفضل الحب الذى أصبح دستور الجميع — فانه يجب علينا أن ننشر مبادىء الاخوة والعدل ... والتسامح فى الكواكب التى نسيت تلك المبادىء أو تناستها والا فلن نستحق نعمة الحياة .

قال المتحدث الذى لم يكن على درجة كبيرة من العلم :

ولكنكم أيها السيد الرئيس ذكرتم أنها ذرة صغيرة فى ملك الله العريض .. فلماذا لا نوجه مساعداتنا الى كواكب أخرى أكبر وأعظم ليكون النفع أكثر ... ؟

قال رئيس مجمع العلماء : ان أهل هذه الأرض التى لا تعد شيئا مذكورا فى ملك الله العظيم ..

— قد حققوا لأنفسهم قطرات من العلم المادى ... وكان هذا القدر الضئيل جافا خاليا من المثل — ولكنه ملأ نفس بعض حكامهم غرورا فأخذوا يستعملون هذا القدر الضئيل من « التكنولوجيا » فى تدمير أنفسهم .. ان ما وصلوا اليه من هذا العلم لا يزيد عما يتعلمه أطفالنا ... ولكننا نعلمه لأطفالنا مختلطا بالقيم ، أما هم فهم بعلمهم هذا يخربون بيوتهم بأيديهم .

قال المتحدث :

ان العلم نور — وما سمعنا ابدا انه يكون وسيلة الى التدمير !!

قال رئيس مجمع العلماء :

يحدث هذا حين يكون علما بغير أخلاق ... وحين يكون العلم بغير أخلاق فانه يتجرد من عواطف النبل والاخاء والمعاونة .. انه يفرق الناس بدلا من أن يجمعهم — ويجعل كل فرد منهم محصورا داخل نفسه فحسب — لقد أصبح أكثر أهل هذه الأرض سطحيين — وللشهوات والأهواء الجامحة القدح المعلى عندهم... وهم فى ذلك يتنافسون .



وما أن أتم رئيس مجمع العلماء فى ذلك الكوكب البعيد حديثه ذاك — حتى نهض متحدث آخر يقول : ما دمت يا سيدى تتحدث عن الأخلاق ... فانه لا بد لى أن أذكر فى هذا

المجال هفوة لجأ اليها احد اخواننا الذين ارسلتموهم في بعثة الى الارض لاكتشاف حقيقة ما يجرى فيها ..

ذلك أن صاحبي هذا .. (واشار الى رجل يجلس الى جواره) قد استصحب معه طفلا له ... فلما هبطنا الى جو الأرض ترك طفله يعبث في شيء لا يخصه ، فدمر بعض ما اعده اهل الأرض لأنفسهم .... وهذا أمر أطالب بتحقيقه الآن .

وصاح بعض الحاضرين :

ذلك أمر بعيد عن المهمة التي اجتمعنا من اجلها — فلا مبرر لاضاعة الوقت في امر ثانوى ... يختص بعبث طفل من سكان كوكبنا في رحلة مع ابيه الى الأرض .

فقال رئيس مجمع العلماء وقد ظهر الغضب في وجهه :

اننا لا نسمح بأى مساس بالقيم الخلقية — ولو بدا عبث هذا الطفل يسيرا — فان مثله كمثل الشرارة الصغيرة — اذا تركت أحرقت شيئا كبيرا ... فأين هو والد ذلك الطفل — ؟

فهب رجل واقفا واعلن عن نفسه وقال : هاأنذا .. انني أنا والده ..

قال رئيس مجمع العلماء : اذن قم بتوضيح الأمر :

فقال الرجل : في رحلتى البعيدة الى كوكب الأرض — كى نجمع أنباء هذا الخراب الذى انتشر بين أهلها .. طلبت اذنا من رئاستى أن أصحب معى طفلى :

قال رئيس مجمع العلماء : —

اذكر أننا أذنا للبعض بذلك لزيادة وعى الصغار ... في رحلات الفضاء ولكن ما أمر ذلك العبث .

قال الرجل :

مررنا بجزء من ارض بلادهم في أقصى الغرب .. كان القوم يقيمون حفلا كبيرا — ورحنا نشهد من بعد مائة ميل في الجو مظاهر هذا الحفل — فوجدنا لعبا صغيرة يسمونها طائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت وكانوا يضعون فيها أسلحة من أسلحتهم التافهة التى يتفاخرون بها — وسمعهم طفلى بمسماعه العلمى يقولون — انهم سيرسلون هذه الأسلحة واللعب الصغيرة الطائرة — لتدمير بلاد أخرى اسمها « فيتنام » فما كان من الطفل الا أن اشتد غضبه فتناول في سرعة جهازه المشع الذى يلهو به في تفتيت الصخور ، ثم سلط اشعته على تلك اللعب الطائرة فدمرها في لحظات ... وتلك هي المسألة ...

قال رئيس مجمع العلماء :

هل ترون توجيه شيء من اللوم الى ذلك الطفل ؟

فقالوا جميعا ..

لا لوم على من يدفع شرا عن الأبرياء .. وان كان عليه أن يحصل على اذن أبيه مسبقا .

قال رئيس مجمع العلماء :

والآن فلنعد الى ما كنا فيه ... لقد ذكرت لكم أن الأرض معرضة للدمار بأيدى أبنائها .. وأنهم يكرسون لذلك علمهم « التكنولوجى » اليسير التافه المجرد من الأخلاق ، فماذا ترون لانقاذ هؤلاء الناس من شر انفسهم ؟

فعاد المتحدث الأول يسأل :

أليس عندهم لون من الوان الثقافة؟ ألا يشيع بينهم شيء من الأدب .. ؟

قال رئيس مجمع العلماء :

لقد انقلبت عندهم المقاييس حتى ان ادباءهم وكتابهم اصبحوا يتنافسون

فيما يسمى عندهم بأدب اللامعقول — وأدب العبث .. أو غير ذلك من الأسماء ، انهم يسارعون الى كل ما ليس معقولا .

قال المتحدث :
ما دام الأمر قد وصل الى هـذا الحضيض فلنرسل واحدا منا — ومعه جهاز واحد من أجهزة الأشعة السابقة ... فيدور بجهازه دورة واحدة حول الأرض — فيدعها قاعا صفصفا وننقذ أهلها من أنفسهم — ونوطدهم باطن ثراهم .

قال رئيس مجمع العلماء .
واأسفاه .. واحسرتاه لو اخذنا بهذا الاقتراح — سيصبح مثلنا كمثل من يطفىء النار بالنار — ان هذا ليس من العلاج فى شىء ..

قال المتحدث :
الا يجب القضاء على الفساد اذا ظهر ... ؟

قال رئيس مجمع العلماء :
ان الله قادر على ذلك ... ولـكن علينا نحن أن نحاول الاصلاح .. وأن نمهل هؤلاء الاخوة .. فقد يكونون فى غفلة من أمرهم ، علينا قبل كل شىء أن ندعوهم الى اليقظة .. والى ادراك حقيقة ما هم صانعون بأنفسهم قبل أن يفوت الأوان .. ان فيهم بقية من الناس فى مكان ما من الشرق — فى قلوبهم بذور خير — ولكن هذه البذور قد جفت لطول ما أهملت .. انهـا تستطيع أن تنمو وتزهر ..

قال المتحدث : وكيف يتم ذلك ؟
قال رئيس مجمع العلماء : —
بالاهتمام باللباب قبل القشور .. وبالمعانى قبل الماديات ... وبتلقيح العلم بالأخلاق ..
قال المتحـدث :
أو لم يأت الى الأرض من قبل من يرشدهم الى هذا .. ؟

قال رئيس مجمع العلماء :
لقد جاءهم كتاب منير — هو دستور الأرض والسموات — ذلـك الكتاب الذى أخذنا به فصلح أمرنـا — ولن يصلح أمر هؤلاء الا بالعودة اليه .
لقد جاءهم من قبل خير مخلوقات الله فى أرضه وسمائه وعلمهم اياه .
قال المتحدث :
ما دمت لا ترضى أن ترسل عليهم عاصفا يدمرهم .. أترى أن نرسل اليهم شحنات معنوية — على صورة هواتف فى الأحلام ... تطوف بالخيار منهم . أن يهبوا من نومهم ؟
قال رئيس مجمع العلماء :
ذلك ما نرجو أن نبحثه فى اجتماع قـادم ..



الفتاوى

الرضاع بالشرب

السؤال :

أرضعت والدتي بنت عمي وهي طفلة ، ولكن هذا الرضاع لم يكن عن طريق مص الثدي كما هو المعتاد ، بل كانت والدتي تحلب لبنها في كوب لوجود مرض جلدي عندها وكانت تشرب اللبن من الكوب ، فهل هذا يعتبر رضاعا محرما ، فلا يحل لي التزوج بها ؟

آدم سعيد — أم درمان

الاجابة :

الرضاع بالشرب من الكوب كالرضاع بالمص من الثدي ، فاذا كانت هذه الطفلة قد شربت خمس مرات متفرقات ، كل مرة منها مشبعة وكان الشرب في سن الارضاع حرم عليك زواجها لأنها أصبحت أختك من الرضاع .

معاشرة الزوجة المطلقة

السؤال :

رجل طلق زوجته رسميا ، ولكنها لم تعلم بالطلاق وظل يعاشرها معاشرة الأزواج فما حكم الشريعة في ذلك ؟

عبد السميع . ع . دبي

الاجابة :

الطلاق الذي أوقعه هذا الزوج ان كان بائنا ، أو رجعيا وعاشرها الزوج بعد انقضاء عدتها منه ، فهذه المعاشرة حرام ويجب التفريق بينهما . اما اذا كان الطلاق رجعيا وعاشرها قبل انقضاء عدتها منه ، فهذه المعاشرة تعتبر رجعة ولا حرمة عليه في معاشرتها ..

الزوجة المرتدة

السؤال :

حصل نزاع بيني وبين زوجتي ، فوعظتها وذكرتها بالله وتلوت عليها بعض آيات الكتاب الكريم وشيئا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبت وكفرت ، ثم رجعت الى نفسها وتابت واستغفرت ، فهل يحل لي معاشرتها بعد ذلك ؟

ياسين س . طرابلس

الاجابة :

لا شك أن هذه المرأة ارتدت عن الاسلام بما تلفظت به من أقوال فى حق الله عز وجل وحق القرآن الكريم وغضبها لا يعفيها من المسئولية ما دامت فى وعيها ، وبهذه الردة ينفسخ عقد زواجها ، ولا يحل لزوجها معاشرتها بعد عودتها الى الاسلام بالتوبة والاستغفار الا بعقد ومهر جديدين .

التعويض فى حوادث القتل

السؤال :

توفى أخى فى حادث سيارة ، وحكمت المحكمة بالتعويض ، فهل هذا التعويض حلال شرعا وكيف يتصرف فيه ؟

على الصراف ــ الكويت

الاجابة :

هذا التعويض حلال شرعا وهو بمنزلة الدية ، ويقسم قسمة الميراث بين الورثة ..

التليفزيون

السؤال :

هل يجوز شرعا شراء التليفزيون واقتناؤه واستعماله ؟

حصة ع ــ الكويت

الاجابة :

التليفزيون جهاز يذاع به القرآن الكريم والأحاديث العلمية والأنباء كما يذاع به بجانب هذا الأغانى والأفلام والتمثيليات ، ففيه ما هو خير ، وفيه ما هو شر ، ويمكن الانتفاع بخيره ، والابتعاد عن شره ، ومثله مثل السيف ينتفع به فى الجهاد والدفاع عن النفس عند الحاجة كما يستعمل فى العدوان على الناس ، والسيف اتفق الفقهاء على جواز بيعه وشرائه . ونرى أن حكم التليفزيون والراديو حكم السيف ، فيجوز شراؤه وبيعه واقتناؤه والانتفاع به عند بث ما ينفع واغلاقه عند بث ما يحرم ، ويمكن معرفة مواعيد بث كل نوع من البرنامج اليومى له .

فى الميراث

السؤال :

توفيت امرأة وتركت أولاد أخوال أشقاء ، وأولاد ابن عمة أبيها ، فما نصيب كل وارث ؟

طارق الهندى ــ البصرة

الاجابة :

جميع التركة لأولاد أخوالها الأشقاء للذكر ضعف نصيب الأنثى ، ولا شىء لأولاد ابن عمة أبيها لأنهم من الطائفة الرابعة من الصنف الرابع من ذوى الأرحام ، أما أولاد الأخوال فهم من الطائفة الثانية من الصنف الرابع ، من ذوى الأرحام والطائفة الثانية مقدمة على الطائفة الرابعة .

المطالعة النافعة

انى احب القراءة ، واقضي وقتا طويلا من فراغى فى المطالعة ولكنى احس بانى لا استفيد كثيرا من هذه المطالعات ، فما هى الوسيلة لكى استفيد من قراءاتى .

عز الدين ــ القامشلى ــ سوريا

هواية القراءة نافعة ، ولها قيمة كبيرة ، واكثر المعلومات يحصل عليها الانسان عن طريق القراءة والاطلاع ، وكثير من العلماء النابغين كونوا أنفسهم عن طريق المداومة على القراءة ، وحسن اختيارهم ما يقرأون .

ولكى تستفيد من مطالعاتك تخير أولا ما تطالعه بحيث يكون ملائما لقدراتك وميولك ، وحدد المقدار الذى تريد ان تطالعه في كل جلسة ، وخير لك أن تطالع كل يوم مقدارا صغيرا بانتظام وننصحك بان تقرأ الموضوع الذى تطالعه قراءة سريعة ، ثم تحدد النقاط الرئيسية التى اشتمل عليها . ثم أعد قراءته مرة ثانية دقيقة واقرأ والقلم فى يدك ، ولخص أثناء القراءة كل فكرة ترددها ، فهذا يساعدك على التركيز ، ويجعلك تخرج بمعلومات مركزة وثابتة من كل موضوع قرأته .

الصهيونية

كيف نشأت الحركة الصهيونية ، وتطورت حتى بلغت هذا المستوى وخدعت العالم وضللته ، واستولت على ارض المسلمين ، وما زالت لها أطماع توسعية .

لطفى السبعاوى ــ قطر

الصهيونية حركة سياسية تذرعت بأسباب دينية ، وعوامل قومية وعاطفية لتحقيق أهدافها العدوانية التى لا تستند الى اية اسس قانونية او اخلاقية ، وكلمة صهيونية مشتقة من كلمة صهيون احد جبال القدس ، وقد مرت هذه الحركة بخمس مراحل :

المرحلة الاولى : من منتصف القرن التاسع عشر الى قيام الحرب العالمية الأولى ، وفيها أخذ اليهود ينظمون صفوفهم على يد بعض زعمائهم امثال روتشيلد

وتيودور هيرتزل ،وتم عقد اول اجتماع للمؤتمر الصهيونى فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ للعمل على ايقاظ اليهود وتشجيع الهجرة الى فلسطين .

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الأولى الى اعلان وعد بلفور ، وتعد هذه المرحلة من اخطر المراحل التى مرت بها الحركة ، فقد كانت الصهيونية فى هذه المرحلة موضع عطف من الدول الكبرى ومن ساسة بريطانيا بصفة خاصة ومنهم بلفور صاحب التصريح البريطانى المشئوم ٢ نوفمبر ١٩١٧ .

المرحلة الثالثة : من الانتداب البريطانى على فلسطين الى قيام الحرب العالمية الثانية وفى هذه المرحلة ساعد الانتداب على تهويد فلسطين بفتح باب الهجرة واضطهاد العناصر الوطنية ، وانتزاع الاراضى الفلسطينية عن طريق المصادرة وانتزاع الملكية .

المرحلة الرابعة : اعلان انجلترا انهاء انتدابها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ واعلان اليهود من تل أبيب قيام اسرائيل .

المرحلة الخامسة : محاولة الصهيونية تحقيق اهدافها التى نادى بها زعماؤها وهى التهام الدول العربية .

ونسأل الله للمسلمين وللعرب أن يجمع كلمتهم ويقوى شوكتهم وينصرهم على اعداء الانسانية .

تعقيب على تعقيب

كنا نشرنا فى العدد / ٧٣ / تعقيبا للأستاذ مصطفى احمد الزرقا على مقال الأستاذ ناصر الدين الألبانى المنشور فى العدد / ٧١ / حول الاحاديث الضعيفة بين فيه الأستاذ الزرقا انه نبه فى كتابه المدخل الفقهى العام على ضعف الحديث المروى بلفظ (الشفعة كحل العقال) الذى انتقد عليه الأستاذ الالبانى ذكره فى كتاب المدخل الفقهى .

وقد جاءنا من الأستاذ الألبانى تعقيب على تعقيب الأستاذ الزرقا يبين فيه ان الطبعة التى نبه فيها الأستاذ الزرقا على ضعف هذا الحديث هى طبعة متاخرة لم يكن الأستاذ الألبانى مطلعا عليها مع بعض مناقشات لا نجد من مصلحة القراء أن نشغلهم فيها بالجدل اللفظى فاكتفينا بهذه الاشارة الى الناحية المقصودة من ـ التعقيب ولا سيما بعد أن وجدنا الأستاذين متفقين على عدم جواز العمل بالأحاديث الضعيفة الثبوت ولو فى فضائل الأعمال ، لأن تقرير كونها فضائل فى نظر الشرع هو حكم شرعى يحتاج الى دليل صحيح الثبوت كما صرح به الأستاذ الزرقا نفسه فى تعقيبه المذكور .

وجهود الأستاذ الألبانى فى خدمة السنة النبوية جهود مشكورة نسأل الله له تمام التوفيق وحسن المثوبة .

بأقلام القراء

قامــوس الفلسفــة

كتب الاستاذ فاروق يوسف غنيم تحت هذا العنوان يقــول :

قرأت فى كتاب « قاموس الفلسفة » "A Dictionary of Philosophy".. الصادر فى الاتحــاد السوفيتى عام ١٩٦٧ تعريفا خاطئا ومضللا للدين الاسلامى يقول الكاتب فى تعريف الاسلام (ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣) ..

« الاسلام أو المحمديــة هو أحد الأديان العالميــة . والديانتان الهامتان الأخريان هما المسيحية والبوذية . وينتشر الاسلام أساسا فى الشرق الأوسط وشمال أفريقية وجنوب شرقى آسيا . وقد نشأ الاسلام فى القرن السابع فــى الجزيرة العربية فى فترة انتقال الشعوب العربية من نظام بدائى قبلى الى مجتمع طبقى واتحادها فى دولة اقطاعية ــ دينية فى ظل الخلافة العربية . وقــد كان الاسلام انعكاسا أيديولوجيا لهذه التطورات ، وأصبح الدين الــذى يدافع عن مصالح الطبقات الحاكمة . ويتضمن القرآن ، الكتاب المقدس لــدى المسلمين ، شرحا للعقيدة الاسلامية ، ويتألف القرآن من عناصر موجودة فى الديانات البدائية وكذلك اليهودية والمسيحية والزرادشتية . وهو يقوم على الاعتقاد فى قــوة الله ومحور الاسلام هو القدرية . وطبقا للقرآن ، فان الله قد حدد مسبقا مصير كل فرد وبينما ينادى القرآن بعجز الانسان فى مواجهة الله ، نجده يحث المؤمنين على الصبر والخضوع لله ورسله فى الارض ويعــده مقابل ذلــك بالنعيم فى الآخرة . وتعتبر معاداة الكفار واحتقار مكانة المرأة وترخيص تعــدد الزوجات من الصفات المميزة للمحمدية ، كما أن الاسلام يبرر عدم المساواة الاجتماعيــة ويصرف الناس عن الكفاح الثورى ويجعلهم يركنون الى انتظار عديم الجــدوى للفوز بالسعادة فى الآخرة ..

التعليق :

ــ من الواضح أن هذا التعريف يتضمن مغالطات جسيمة فى حق الاسلام كدين له دور تاريخى وحضارى فى حياة الانسانية .

ــ إن التعريف يقوم على أساس الفلسفة الماركسية ، ويعطى تصويرا خاطئا للآثار التى تركها الاسلام على الحياة الاجتماعية والسياسية فــى المجتمــع العربى .

ــ إن محاولة تحديد أصول الاسلام بارجاعها الى معتقدات بدائية أو الى الديانتين المسيحية واليهودية أو الزرادشتية تنطوى على تشويه واضح لحقيقة الاسلام ..

ــ ان تفسير العلاقة بين الانسان وربه فى الاسلام كما جاء على لسان الكاتب تفسير خاطىء ، فضلا عن أن تحديد الصفات المميزة للاسلام بأنهــا « معاداة الكفار واحتقار مكانة المرأة وترخيص تعدد الزوجات » هو تبسيط ينم عن سذاجة مفرطة وتصور واضح فى فهم حقيقة الدين الاسلامى .

ــ من الغريب أن الكاتب يزعم ان الاسلام يبرر الظلم الاجتماعى ، على حين أن الاسلام هو فى حقيقته دين المساواة التامة بين الناس جميعا أمـــام الله سبحانه وتعالى . .

ــ ان الاسلام ، على عكس ما ذهب اليه الكاتب ، دين ثورى له اثر عميق وواسع فى الحياة الانسانية ، وليس دينا يصرف الناس عن الكفـــاح ويدعوهم الى الاستسلام والخنوع . .

حريـــة الفكر فى الاسلام

ومن كلمة تحت هذا العنوان يقول الأستاذ وليد عبد الحليم :

الاسلام هو الدين الذى يساير الفطرة والوجدان ويحكم الحجة والبرهان ، ويطالب العقلاء بالبحث والنظر وتحكيم العقول ، ومراجعة الضمائر ، والاهتداء بنور العلم والمعرفة ، فأقام صرح الدعوة التحررية على الدعائم الآتية :

الدعامـــة الأولى : تحرير الانسان من الحجر العقلى والكبت الفكرى ، لكى يكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره . وتكتمل له شخصيته وانسانيته ، فان كمال العقل ، هو الدعامة الاولى لصحة العقائد . وكمال الأخلاق ، وصـــلاح الأعمال كما يشير الى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « **ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى ، ويرده عن ردى ، وما تم ايمان عبد ولا استقـــام دينه حتى يكمل عقله** » ولقد عنى القرآن ببناء هذه الدعامة عناية كبرى : فاستنهض العقول والأفهام . وايقظ الحواس ، ونبه المشاعر ، وطالب العقلاء بالنظر فى ملكوت السموات والأرض . والتعرف على أسرار العوالم الكونية ، ونواميسها ، قال سبحانه : « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء** »

الدعامة الثانيـــة : تحرير الانسان من رق التقليد الأعمى . وتربيته على حـــرية الفكر . واستقلال الارادة ، واحتقـــار التقليد والتبعية العميـــاء . . . وقد قـــرر القرآن هذه الحقيقة فى آيـــات كثيرة كقوله تعالى : « **وكـــذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نـــذير الا قال مترفوهـــا انا وجدنا آباءنا عـــلى امة وانا على آثارهم مقتدون . قال : أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا : انا بما أرسلتم به كافرون** » . .

الدعامـــة الثالثة : تحرير الانسان من عبادة الأهواء والخضوع لسلطانها ، فان الهـــوى مذهب للعقل ، ومضـــيعة للحق ، ولهـــذا عنى القرآن بتحـــرير الانسان مـــن عبودية الاهـــواء عناية كبرى . فندد بالعاكفين عـــلى تأليـــه الأهواء وعبادتها كما قال تعالى : « **افرايت من اتخذ الهه هواه واضله اللـــه على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه مـــن بعد الله افلا تذكرون** » .

الدعامـــة الرابعة : تحرير الانسان من مرض الجهل وظلمته . فان الجهل يطفىء نور القلب . ويقتل مواهب الفكر ، ويميت فى الأمم عناصر الحياة والقوة ، ويفقدها قوة الارادة وصدق العزيمة ، وقد عنى الاسلام بهذه الدعامة عناية كبرى ، فرفع شأن العلم . وحث على طلبه . وعظم شأن العلماء . وأعلـــى منزلتهم . وجعلهم رواد الحق ودلائل الهدى كما فى قوله تعالى : « **قـــل هـــل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب** » .



قالت صحف العالم

المجتمع الاسلامى ... والانسانية العذراء !

● نشرت مجلة الشبان المسلمين القاهرية حديثا اجراه مندوبها مع الفيلسوف الاسلامى الاستاذ مالك بن نبى جاء فيه :

ان المشكلة التى استقطبت تفكيرى واهتمامى منذ اكثر من ربع قرن وحتى الآن هى مشكلة الحضارة وكيفية ايجاد الحلول الواقعية لها وازالة التناقض بين النجاح المادى والتخلف المعنوى ــ أعنى تخلف القيم او اهمالها .. لقـد شعرت منذ فترة طويلة وعلى وجه التحديد منذ وصولى الى أوروبا لتلقى العلم عام ١٩٣٠ ان المجتمعات المعاصرة تواجه مشكـلات بالغة التعقيد ومتعددة الأنواع . واذا كان من المفروض على رجل السياسة أن يتناول هذه المشكلات فى تنوعها وتعددها ويجهد فى ايجاد الحلول الملائمة لها،واذا كان من حق رجل الفكر ايضا أن يطرق هذا الطريق فى بلاد متقدمـة فاولى برجل السياسة والفكر فى البلاد المتاخرة ان يوجه اهتماما متزايدا لدراسة هذه المشكلات فى مجتمعه وأن يجتهد فى ايجاد الحلول الملائمة لها ..

ومن الأخطاء والأخطار التى واجهت بعض الدول الاسلامية أنها تناولت مشكلاتها ووضعت لها حلولها وفقا للأنماط والنماذج التى واجهت بهـا الدول المتقدمة مشكلاتها ، واذا كان هذا الأمر له خطورته من الناحية السياسية ، أعنى من الناحية التطبيقية ، فان خطورته أشد من الناحية النظرية ، لا سيمـا وأن الناحية النظرية هى التى توحى بالحلول التى تطبق وتكون النتيجة ان تبقى حياتنا السياسية اسيرة مجهودات فكرية غير ملائمة لواقعنا ، لأنها اخلت بمبـدأ اساسى من مبادىء فلسفة التاريخ .

يمكننا ان نقرب هـذه الحقيقة الى ذهن القارىء اذا ما طبقناها عـلى مستوى الأفراد .. من المسلم به أن ما يمكن ان يصنعه أو يتحمله الرجل المكتمل من مجهودات لا يمكن أن يصنعه أو يتحمله طفل صغير أو شيخ هرم ، ايضـا المجتمعات لها اعمارها ، فهذا المجتمع فى عنفوان شبابه ، يستطيع ان يتحمل وينتج ما تنتجه المجتمعات المزدهرة .. وهذا مجتمع ناشىء لا تستطيع قواه ان تواجه نفس الأعباء التى يتحملها المجتمع الاول ، وهذا مجتمع ثالث هرم لا يستطيع لنفس الأسباب أن يقوم بالمهمات الكبرى ما دام يستولى عليه هرمه .

واذا ارجعنا هذه الاستعارات الى مصطلح علم الاجتماع نقول بغير تردد إن المجتمع الاسلامى اليوم يتكون من عناصر بشرية ما زالت تشكـل ما تسميـه « بالانسانية العـذراء » . أعنى الانسانية التى لم تدخل بعد فى دورة حضارة ولهذا السبب تحتفظ بكل رصيدها التاريخي الأمر الذى يملؤها بالتفاؤل نحوهـا ،

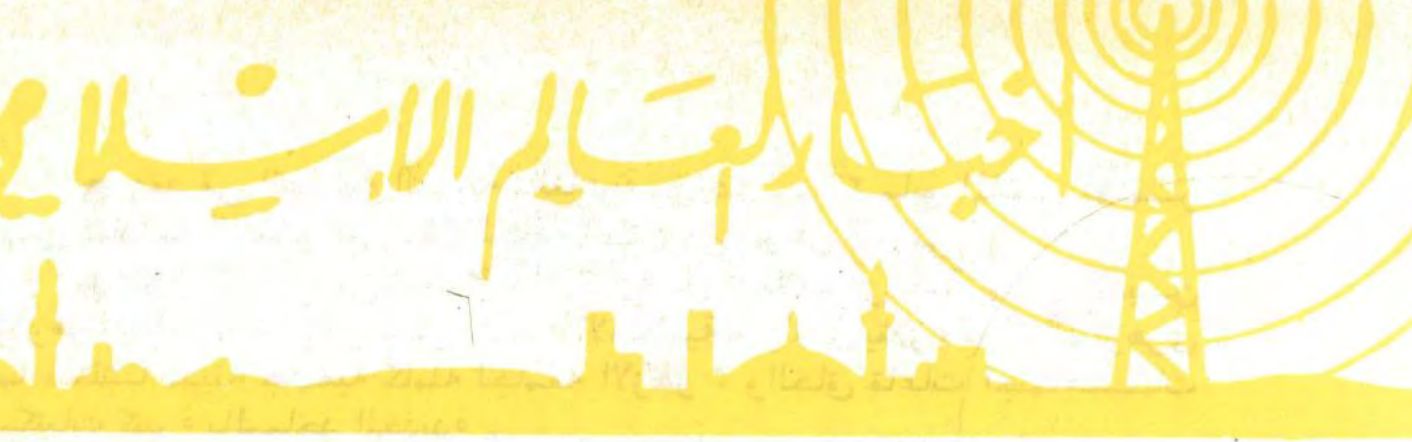
كما يتكون المجتمع الاسلامي ايضا من عناصر بشرية قامت بدور حضاري كبير وانارت الانسانية طيلة قرون ازدهارها وأتى على هذه المجتمعات ما يأتى على كل المجتمعات وكل الحضارات فاستولى عليها الهرم وربما تجد نفسها في هــذه الحالة عاجزة عن القيام بالمهمات التي يضطلع بها غيرها من الشعوب المتحضرة لأنها هرمت .

والمشكل الرئيسي اذن بل ام المشكلات التي يواجهها العالم الاسلامي هي مشكلة الحضارة من طرفين ، كيف تدخل الشعوب العذراء في دورة حضاريــة جديدة ، وكيف تعود الشعوب الاسلامية التي خرجت من حلبة التــاريخ لدورة حضارية جديدة ؟

اذا سلمنا بهذه الحقائق يبقى علينا ان نفكر في مصير العالم الاسلامي ، وكيف يمكن لنا الدخول في دورة حضارية جديدة ، هذه القضية باختصار هي التي وجهت لها كل مجهوداتي المتواضعة منذ ثلاثين سنة . ولسنا في حاجة الى حديث طويل لكي نؤكد ان الفكر الاسلامي قد وضع حلولا لمشكــلات العــالم الاسلامي وما يعانيه انسان العصر الحديث من قضايا ومواقف . ان القرآن الكريم قد وضع حلولا لهذه القضايا والمواقف ويجب ان نعمل على ضوء هــذه الحقيقة ، فمن ناحية المشكلات الاجتماعية التي تواجه الانسان تكفل القــرآن بوضع تشريع المعاملات الاجتماعية كالزواج والمعاشرة والطلاق . الخ . كما وضع تشريعا للمسائل الدنيوية كالبيع والشراء والتجارة من ناحية اخرى ، فان القرآن الكريم يضع في أعماق عقيدتنا الاستعدادات التي تؤهلنا لتطبيق المعاملات المتعددة ويحفزنا على الابداع والابتكار .

ان حصيلة دراستي في هذه الناحية تتحدد في مجموعة من النقاط ابرزها ان الحضارة لا تصنع بمنتوجات حضارية مستوردة ، بل هي التي تصنع وحدها المنتوجات الحضارية وهذا يؤدي بنا الى تساؤل تقليدي عن شروط الحضارة في جوهرها العام ، والجواب بدون استطراد طويل ، ان شروط الحضارة تتكــون من ثلاثة عناصر : الانسان .. التراب .. والوقت .. واذا دققنا النظر في هذه العناصر نستطيع ان نستخلص المعنى والمطلوب ..

واذا كانت هذه فقط شروط الحضارة فلماذا لا توجد حضارة في مجتمع توافرت فيه هــذه الشروط وهي غالبا ما تتوافر في مجتمعات العالم الثالث الذي يضم أكبر كتلة بشرية وأخصب مساحات من التراب ولديه من الوقت ما لغيره من الدول صاحبة الحضارة ، ومع ذلك فلا توجد حضارة كالموجودة فــي الــدول الأولى . وفي رأيي أن السبب في ذلك أن هذه العوامل تتطلب الى جانبهــا عاملا آخر لا غنى عنه .. هو العامل النفساني .. هذا العامل الذي يصطلح البعض على تسميته بكلمة « العقيدة » والبعض الآخر يسميه (أيديولوجية) فنحن اذن أمام قضية واضحة وضوحا كاملا .. إن الشروط اللازمة لتكوين الحضارة موجودة .. والذي ينقصنا هو العمل بموجب العقيدة الاسلامية . الاسلام وحده هو الذي يمكن أن يعيد المسلمين الى عالم الحضارة الخلاقة والمبدعة ، أو يدخلهم فــي حلبتها ، ولكن شريطة أن يعتبروا أن هذه العقيدة رسالة هامة وضرورية ولا غنى عنها .. ولكن العقيدة لا يمكن أن تحرك الطاقات الا بقدر تسخيرها ــ أي العقيدة لحاجات أبعد وأسمى وأجل من الحاجات اليومية .



اعداد عبد المعطى بيوم

الكويت : قام سعادة وزير الخارجية بزيارة القاهرة وقد تباحث مـ
المسئولين فيها حول قضايا الشرق الأوسط ، كما بحث مسألة اتحاد الامار
العربية فى الخليج .

● بعثت الكويت بطائرتى نقل مواد غذائية ومعونة الى ضحايا الزلـز
الذى حدث فى تركيا فى الشهر الماضى .

● سيصدر قريبا الكتاب الخامس من سلسلة احياء التراث الاسلامى ا
تصدرها ادارة الشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ، وهـ
الجزء الثانى من كتاب المطالب العالية المؤلف من ٤ أجزاء .

● افتتح فى الشهر الماضى ٤ مساجد جديدة ، كما بوشر فى بناء ثماني
مساجد أخرى موزعة على بعض المناطق فى الكويت ، ومن جهة ثانية فان ع
من المساجد سوف يعاد بناؤها .

● ستصدر الموسوعة الفقهية التابعة لوزارة الأوقاف والشئون الاسلا
طبعة تمهيدية لموضوع ثالث بعنوان عقد الحوالة .

● مثل الكويت فى اجتماعات لجنة نشر الثقافة الاسلامية التى عقـ
بالمغرب فى الشهر الماضى السيد الأستاذ مدير شئون المساجد بوز
الاوقاف والشئون الاسلامية .

القاهرة : أعلن الرئيس أنور السادات أنه لا يقبل المناقشة حول عبور القو
المصرية الى الضفة الشرقية للقناة ، ولا يقبل المساومة فى حق الشـ
الفلسطينى .

● أصدر مؤتمر علماء المسلمين فى ختام دورته الثانية التى انتهت ف
الشهر الماضى عدة قرارات وتوصيات للعمل على تحقيق الوحدة الفكرية والد
والاقتصادية بين الدول الاسلامية .

● قرر علماء الأزهر تنظيم كتائب جديدة منهم للعمل مع القوات المسلحة
الجبهة ، وأعلنوا ثقتهم فى القوات المسلحة ، ووقوفهم خلفها فى الجبهة الداخ
صفا واحدا .

● اقامت جمعية الشبان المسلمين حفلا كبيرا لتكريم مائتى عضو من أع
نادى المسلم الصغير بمناسبة نجاح الأعضاء فى حفظ جزء (عـم) من الق
الكريم .

● عقد فى الجامعة العربية بالقاهرة من ١٥ — ٢٤ مايو الماضى مؤتمر عربى لمناقشة الجهود التى تبذل لثقافة الطفل فى الوطن العربى .

● تقرر التوسع فى قبول أعداد كثيرة من الطلاب فى كلية أصول الدين بالأزهر لتغطية النقص فى جهاز الدعوة الاسلامية ، والذى يقدر بألف عالم ازهرى كما ستنشأ مدينة جامعية كاملة لجامعة الأزهر ، والحاق قاعات اجتماعات ومكتبات كبيرة بالمساجد الجديدة .

السعودية : قام جلالة الملك فيصل بزيارة الصين الوطنية (فرموزا) واليابان وأمريكا ، وقد شرح للمسئولين الأمريكيين الموقف العربى من قضية فلسطين .

● صرح الأمير فهد بن عبد العزيز أن المملكة تقوم على تنمية الروابط الأخوية بين شقيقاتها العربية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لها ، وقال ان المملكة واليمن يمثلان خط الدفاع الأول ضد المبادىء الهدامة .

● بحث الأمير عبد الرحمن أمين المنظمة الاسلامية مع اللجنة الدستورية للمؤتمر الاسلامى دستور المنظمة ، وذلك فى جدة فى الشهر الماضى .

● أهدت وزارة المعارف الى وزارة التربية والتعليم فى العربية اليمنية مطبعة حديثة لتدعيم الروابط بين البلدين .

● أعلن وزير الدولة للشئون الخارجية أن المملكة تقف الى جانب شقيقتها الباكستان ، وتأمل أن يكف الجميع عن التدخل فى شئونها الداخلية .

الأردن : بعث المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى عمان فى الشهر الماضى وحضره عدد من كبار الشخصيات الاسلامية ببرقية الى الهند ناشدها فيه الكف عن الأعمال الاستفزازية ضد وحدة الباكستان .

● أصدر رئيس لجنة تمويل وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة نداء لتقديم المزيد من المساعدة للفلسطينيين .

الأرض المحتلة : أعلن رئيس الصندوق القومى اليهودى فى تل أبيب أن الحركة الصهيونية العالمية قدمت لاسرائيل منذ انشائها ٤ آلاف مليون دولار .

● صرحت جولدا مئير فى أول يونية بأنها (لا تتصور) التخلى عن القدس ، وعودتها الى قدس عربية وقدس اسرائيلية ، كما لا تتصور الجلاء عن مرتفعات الجولان السورية .

سوريا : صدر قرار جمهورى بانشاء جامعة فى اللاذقية ، وبهذا يبلغ عدد الجامعات فى سوريا ٣ جامعات هى جامعة دمشق ، حلب ، اللاذقية .

لبنان : سينشأ مكتب لوكالة الأنباء الاسلامية فى بيروت يكون تابعا للأمانة العامة الاسلامية التى قررها مؤتمر وزراء الدول الخارجية فى كراتشى فى العام الماضى .

البحرين : أنشىء مصنع كبير للألمنيوم فى البحرين ، وقد تكلف مبلغ ٦٠ مليون دينار .

الجزائر : تم الاتفاق على تقديم الجزائر ٥ ملايين دينار جزائري كمساعدة لموريتانيا لبناء ميناء فى نوكشواط .

المغرب : أعلن وزير الخارجية فى مؤتمر صحفى عقده فى الشهر الماضى بأن تونس والمغرب ستلازمان اليقظة الكاملة بخصوص مشكل الشرق الأوسط الذى يهم المغرب العربى مباشرة .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلم الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جــدة : **مكتبة مكة** ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩

قطـــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ــ العدد ٧٨ ــ جمادى الآخرة سنة ١٣٩١ هـ ــ ٢٣ يوليو « تموز » ١٩٧١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

بعون الله وتوفيقه تعلن وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية عن افتتاح دار القرآن الكريم في العام الدراسي الجديد ١٣٩١ - ١٣٩٢ هـ يحفظ الطالب فيها القرآن الكريم كله ويجيد ترتيله وأحكامه .

يشترط للالتحاق بها الإلمام بالقراءة والكتابة دون التقيد بسنّ معيّنة ويستثنى من ذلك مكفوفو البصر .

وستكون الدراسة صباحية بمقر معهد الإمامة والخطابة الواقع بشارع فلسطين . فعلى الراغبين في الانتساب إليها أن يتقدموا بطلباتهم إلى إدارة الدعوة والإرشاد بالوزارة أثناء الدوام الرسمي اعتباراً من أول يوليه ١٩٧١ م . وستبدأ الدراسة بمشيئة الله تعالى يوم السبت ١٢ من شعبان ١٣٩١ هـ الموافق ٢/١٠/١٩٧١ م

والله وليّ التوفيق

وكيل الوزارة
عبد الرحمن عبد الله المجحم



لوحة تمثل حلقة من حلقات دروس الوعظ فى أحد مساجد الكويت .

للرسام : محمد المؤذن

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنــة السابعــة

العدد الثامن والسبعون

جمادى الآخرة سنة ١٣٩١ هـ

٢٣ يوليو « تموز » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمــن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

أصحاب الأخدود

لم تشهد الانسانية فى تاريخها القديم والحديث مآسى أبشع ، ولا أعنف ، ولا أوغل فى الجريمة والوحشية من المآسى التى يدفع اليها ، ويحركها ، ويقودها الاضطهاد الدينى .

والاضطهاد الدينى ليس وليد التدين الصحيح ، ولا الغيرة على عقيدة خالصة مبرأة من الهوى والغرض ، وانما هو وليد التعصب الحاقد الاعمى والغيرة على عقيدة كافرة حمقاء تتستر وراءها أطماع أناس كفروا بالله ، وكذبوا على أتباعهم وأوردوهم موارد الهلكة ، وخاضوا بهم بحارا من الدم الطاهر البرىء .

والقرآن الكريم يقص علينا من أنباء هذا الاضطهاد الدينى الذى وقع فى العصور السابقة على الاسلام قصصا يشيب من هولها الولدان ، ويعرض صورا حية لأبشع ما تعرض له المؤمنون السابقون من تنكيل وتعذيب لغير ما سبب الا أنهم قالوا ربنا الله .

ومن أبرز هذه القصص الدامية قصة أصحاب الأخدود التى ورد ذكرها فى سورة البروج يقول الله تبارك وتعالى :

(قتل أصحاب الاخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والارض والله على كل شىء شهيد . ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق .

وموضوع القصة كما يقول المفسرون هو أن جماعة من المؤمنين السابقين على الاسلام ابتلوا بأعداء لهم طغاة قساة شريرين أرادوهم على ترك عقيدتهم والارتداد عن دينهم فأبوا وتمنعوا فشق الطغاة لهم شقا فى الارض وأوقدوا فيه النار وجاءوا بالمؤمنين وفيهم النساء والاطفال والشيوخ فكبوهم فى النار على مرأى ومسمع الجموع التى حشدوها تشهد مصرع المؤمنين ولكى يتلهى الطغاة ويثبتوا سلطانهم بمشهد الحريق حريق الآدميين المؤمنين (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

هذا وجه المأساة الدامى ووراء هذا الوجه تكمن حقيقة عليا حقيقة تملأ القلب بالروعة التى يصفها أحد المفسرين بأنها روعة الايمان المستعلى على الفتنة والعقيدة المنتصرة على الحياة والانطلاق المتجرد من أثقال الجسم وجاذبية المادة ، فقد كان فى استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم فى مقابل الهزيمة لايمانهم ولكن كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير معنى زهادة الحياة بلا عقيدة وبشاعتها بلا حرية وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الارواح بعد سيطرتهم على الاجسام انه معنى كريم جدا هذا الذى ربحوه وهم بعد فى الارض ربحوه وهم يجدون مس النار تحرق اجسادهم وينتصر هذا المعنى الكبير معنى الثبات على الايمان والاستمساك بالعقيدة وبعد ذلك لهم عند ربهم حساب ولاعدائهم الطاغين حساب (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهمجنات تجرى منتحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) .

هذه صورة من صور الاضطهاد الدينى الذى أصاب المؤمنين قبل الاسلام كما يصورها القرآن وهى على بشاعتها ليست خاتمة الاحداث ولا أفظعها بل لقد حدث للمؤمنين فى عصر النبوة الخاتمة ما هو أبشع وأفظع .

أجساد المؤمنين مضرجة بدمائهم ممزقة الاشلاء والاوصال ملقاة فى الصحراء بعيدة عن الاعين لا يستدل عليها الا من الطيور الجوارح تحوم حولها وتنقض عليها وترتفع وفى مخالبها يد مؤمنة وساق موحدة وعين طالما بكت من خشية الله .

هؤلاء المؤمنون هم شهداء بئر معونة .

تروى كتب السيرة أنه قدم على رسول الله شيخ من شيوخ بنى عامر ويدعى أبا براء ويلقب بملاعب الاسنة فعرض عليه رسول الله عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام . وقال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى أخشى عليهم أهل نجد) قال أبو براء — أنا جار لهم فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار

المسلمين فساروا حتى نزلوا عند (بئر معونة) وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله الى شيخ قبيلة بنى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب وعدا عليه فقتله واستصرخ من حوله الرجال وجمعهم وخرج بهم حتى أحاطوا ببقية الاربعين فقتلوهم ولم يعرف خبرهم الا عمر بن أمية الضمرى فقد أبصر الطير تحوم حول المعسكر فأقبل ينظر ما شأن هذه الطير فاذا القوم فى دمائهم والطير تنهش اجسادهم فلما بلغ الأمر رسول الله حزن أشد الحزن ومكث نحو شهر يدعو على قتلة أصحابه فى بئر معونة وفى الرجيع كلما صلى .

وفى الحرب الصليبية خرجت أوروبا عن بكرة أبيها فى تعبئة لم تشهد القرون الاولى كثافتها واتجهت فى زحفها نحو الشرق الاوسط تستهدف محو الاسلام والقضاء على كتابه وهدم مساجده واستئصال المسلمين وكانت لهم فى بيت المقدس جرائم وحشية فتكوا فيها بالمسلمين فتكا ذريعا وأبادوا عشرات الألوف منهم دون رحمة ولا هوادة .

وفى عصرنا الحاضر ماذا فعلت الصهيونية بالعرب المسلمين فى فلسطين أرض الشهداء فى دير البلح وفى دير ياسين فى كل شبر من الأرض هناك وماذا تفعل الآن بالمسلمين العزل فى السجون ومعسكرات التعذيب ولم حالت بين لجنة حقوق الانسان وبين رؤية هؤلاء المضطهدين المعذبين .

وآخر ما تناقلته وكالات الانباء وما رددته الاذاعات والصحف الاضطهاد الدينى الذى يتعرض له المسلمون فى الفلبين .

قالت صحيفة (مانيلا تايمز) ان رجالا مسلحين ذبحوا سبعين شخصا مسلما فى مقاطعة جنوبية فى كوتاباتو وقالت الصحيفة ان الحادث وقع فى قرية بوالى وأن الضحايا كلهم مسلمون وكانوا ينتظرون فى المسجد عقد مؤتمر للسلام مع المسيحيين حينما داهمت جماعة مسلحة المسجد وبدأت تطلق النار على الرجال والنساء والأطفال الموجودين فى المسجد حتى الموت .

هذا وقد جرح عدد كبير من الموجودين هناك والمعروف ان مئات الضحايا قد لقوا مصرعهم فى الشهور الاخيرة فى مقاطعة كوتاباتو التى تبعد ٨٨٥ كم جنوب عاصمة الفلبين بسبب الهجمات المسيحية المتعصبة والقبائل المتوحشة والتى أعلنت حربا شعواء على المسلمين هناك .

ان هذا الاضطهاد الدينى الذى وقع على المسلمين فى الفلبين ليس وليد اليوم انما هو نتيجة مخطط منظم معاد للاسلام من قديم وقد كشفت صحيفة الاهرام القاهرية هذا المخطط فى تحقيق نشرته أخيرا جاء فيه :
ان الاسلام دخل جزر الفلبين على أيدى تجار الجزيرة العربية وحضرموت والملايو فى القرن الثالث عشر وان أغلبية مسلمة كانت تسكن جزر الفلبين ولما غزا

الاسبان هذه البلاد فى القرن السادس عشر خاض المسلمون حربا ضارية ضدهم دفاعا عن الارض والعقيدة ، وسقطت الجزر المسلمة واحدة واحدة فى أيدى الغزاة وأرغم أهلها على ترك دينهم ومن بقى منهم مسلما غيروا أسماءهم العربية وفى النهاية تركز المسلمون فى جزر الجنوب لكن المسلمين أصبحوا أقلية بعد القرون الاربعة التى عاشتها بلادهم تحت الحكم الاسبانى .

وفى أوائل القرن العشرين أصبحت الفلبين تحت الاحتلال الاميركى ثـــم استقلت سنة ١٩٤٦ وبعد الاستقلال أخذت المناطق المسلمة تتعرض لغزو جديد ولكن من نوع آخر بدأت عملية تهجير سافرة ومنظمة وكان هدف هذه العملية هو النفاذ الى ذلك المجتمع الذى ظل مغلقا على المسلمين قرونـــا عديدة واقيمـت معسكرات عمل تستقبل العائلات الكاثوليكية المهجرة وكان المهجرون يسعون الى انتزاع الارض من أصحابها المسلمين وهكذا عاما بعــد عام فقد المسلمون فـى الجنوب آلاف الهكتارات من الاراضى الزراعية وطردوا منها وعاشوا فى أكواخ على شاطىء المحيط ومع عمليات التهجير والتوطين مضت بعثات التبشير الغنية النشيطة فأقامت المستشفيات والمدارس والجمعيات الدينية وشدت المسلمين الفقراء اليها .

وهكذا أجبر المسلمون على التخلى عن أراضيهم وحملوا على ترك دينهـم وكان طبيعيا بعد ذلك أن تتناقص أعدادهم ويهتز كيانهم .

لم يعد المسلمون قلة فى الفلبين بل أصبحوا أقلية فى مدن الجنوب ذاتها التى ظلت طوال القرون الماضية بطابعها الاسلامى .

كان كل سكان جزيرة مناوناو من المسلمين وأصبحت نسبتهم الآن لا تتجاوز ٥٠ ٪ وفى مدينة زامبوا نجا كانت نسبة المسلمين ١٠٠ ٪ وظلت تتدهور حتــى وصلت الى ٣٠ ٪ لم يبق غير كوتاباتو التى ما زالت تحتفظ بأغلبية مسلمة وقــد كانت مسرحا للمذبحة التى جرت أخيرا ويبدو أن أعداء الاسلام لجأوا الى ذبــح المسلمين للتخلص منهم .

وما حدث فى فلسطين والفلبين يحدث مثله الآن فى كثير من مناطق افريقيا وآسيا وأوروبا وتوجد أخاديد كثيرة للمسلمين يقوم عليها أعداء الله ورسلــه وكتبــه .

أوليس لهؤلاء المضطهدين من أجل اسلامهم من مجير ذلك ما نرجو أن يكون موضع نظر مؤتمر القمة القادم للملوك والرؤساء والامراء المسلمين .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان السبلي

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ بجامعة الكويت

زهرة الدنيا

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض . قيل : وما بركات الأرض ؟ قال : زهرة الدنيا ، فقال رجل : هل يأتى الخير بالشر ؟ فصمت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أنه ينزل عليه ، ثم جعل يمسح عن جبينه (١) فقال : أين السائل ؟ قال . أنا ، قال أبو سعيد (٢) لقد حمدناه حين طلع لذلك (٣) قال . لا يأتى الخير الا بالخير ، ان هـذا المال خضرة حلوة ، وان كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا أو يلم ، الا أكلة الخضرة ، أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس اجتـرت وثلطت وبالت ، ثم عادت فأكلت ، وان هذا المال حلوة ، من أخذه بحقـه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ، وان أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع .

رواه البخارى وغيره ...

١ — يحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الحرص على التمكين لقومه فى الأرض ، ليكونوا مناراتها المضيئة ، ومشاعلها عـلى طـريق الخير والسلام ، ولهذا كان حدبا على أتباعه ، مهتما بأمرهم الحاضر ، والمستقبل ، لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن الفلك لا يتوقف ، وأن الأحوال لا بد أن تتغير ، وبادراكه الناشىء عن نور النبوة يتطلع الى غيب المستقبل فيرى من خلاله دنيا مقبلة على هؤلاء العرب الذين ارتضوا الاسلام دينا ووقفوا جهودهم على الذود

عن حياضه ، ويعملون دائبين على نشره ، وتوسيع رقعته ، فهم قد ذاقوا لذة الايمان بالله وبرسوله ، التى أنتجت منهم بطولات فى مختلف ميادين الوجود الانسانى ، ولهذا لا يرتضون لأنفسهم الاستئثار بالفضل ، ولا يضنون به على غيرهم ، ومن أجل ذلك فهم سيطرقون أبواب الدنيا يطلبون مفاتيح الأرض ليبسطوا عليها سلطان الهداية والنور ، وسيتبع ذلك الثراء المادى الذى سيبدل الأحوال ويشيع أجواء لا عهد لهم بها ، ويتطلب حكمة وحسن تأت للأمور ، وهم فى وضعهم على عهد سيدى رسول الله اخوة لم يفرقهم مال ، ولم يميز بعضهم عن بعض جاه ، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وكل ما يصل اليهم من الفتوح ينالونه كما يشاء الله ورسوله فلا اعتراض ، ولا تنافس فأكبر همهم الدار الآخرة ومفتاحها طاعة الله ورسوله ، ودرجاتها تدرك برضا الله ورسوله ، وسيدى رسول الله كان مدركا أن التنافس فى الدنيا مهلكة ، وأن مدار التنافس المسىء سيبدأ من انفتاح خيرات الأرض على مجتمع المسلمين ، ففى الحديث الشريف يقول سيدى رسول الله ((.. وانى والله ما أخاف عليكم ان تشركوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها (أى الدنيا))) ..

ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر .

« فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم » .

وفى رواية ((فتهلككم كما أهلكتهم)) وذلك أن المال مرغوب فيه وترتاح اليه النفس وتمعن فى طلبه وتتفانى فى الحصول عليه وتسلك كل الطرق للوصول اليه ، وأحيانا تمنع منه فتقع العداوة ، والعداوة مقتضية للقتال أحيانا ، والقتال يفضى الى الهلاك لا محالة .

٢ — ولما كانت تعاليم الاسلام مهداة الى البشرية جمعاء لا تتقيد بعصر أو بمصر ، كان سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى الى أصحابه من الحكمة ما يعنى به أحوال المستقبل وما سيصير فيه ، ولم يزهد أبدا فى جمع المال من حله ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، والمعطى أفضل من الآخذ ، والمال حلوة خضرة وهو زهرة الدنيا وبه زينتها ، وهو سلاح ذو حدين ان أحسن استعماله نما بره وربا خيره وعمر الديار . وأشاع فيها العلم والمعرفة ، وأعلى مكانة الأمة ، فيهابها أعداؤها ، ويوقرها أندادها فبالمال والعلم يبنى الملك السعيد ، وما سعدت أمة أبدا بجهل واقلال ،

أما اذا أسىء استعمال المال وعدل به عن موضعه الحق فحينئذ يصبح وبالا على صاحبه ، وينعكس وباله على الأمة فيودى بها ، والعجيب فى أمر كثير من الأمم التى مضت مع الزمان وصارت تاريخا من التاريخ أضعفها الترف وأودى بها الثراء حين أفقدها توازنها ولم ترزق رجالا يحسنون توجيه المال ويدركون قوته وخطورته ، فنمت فيها الميوعة ، والخور ، وعشش فى دورها الهوان والتفاهة فاستنام الناس الى ما فى أيديهم ، ولما زاد عن حده بحثوا له عن مصرف ايقظته تخمة البطن وقلة الاجهاد ، وقوته الراحة ، وعززته الشهوات ؛ فترنحت الرءوس ، ولانت الجذوع ، وماتت الاطراف ، وصارت الدولة أثرا بعد عين .

والحديث الشريف يشير الى الطريقة التى يجب أن يسلكها المال لينتفع به

وللعلماء السابقين فى تبيين أسراره أقوال منها أنهم قالوا : فى هـذا الحديث وجوه من التشبيهات بديع .

(أولها) تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره ، **وثانيها** تشبيه المنهمك فى الاكتساب والأسباب بالبهائم المنهمكة فى الأعشاب **وثالثها** تشبيه الاستكثار منه والادخار بالشره فى الأكل والامتلاء منه ، **ورابعها** تشبيه الخارج من المال مع عظمته فى النفوس حتى أدى الى المبالغة فى البخل به بما تطرحه البهيمة من السلح **وخامسها** تشبيه المتقاعد عن جمعه وضمه بالشاة اذا استراحت وحطت جانبيها مستقبلة عين الشمس **وسادسها** تشبيه موت الجامع المانع بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها ، **وسابعها** تشبيه المال بالصاحب الذى لا يؤمن أن ينقلب عدوا فان المال من شأنه أن يحرز ويشد وثاقه حياله وذلك يقتضى منعه من مستحقه فيكون سببا لعقاب مقتنيه **وثامنها** تشبيه آخذه بغير حق بالذى يأكل ولا يشبع .

وفى المال يقول الامام الغزالى ((اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه ، وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره)) .

٣ ــ وعرج على شرح هذا الحديث الشريف العلامة ابن منظور صاحب ((لسان العرب)) وبسط القول فيه بسطا يقرب فهمه للدارس المتفحص فأحببت أن أنقل قوله دون زيادة عليه لتعم الفائدة كل مطلع عليه من طلاب العلم ورواد السنة الشريفة ــ دون عناء الرجوع الى بطون الموسوعات وما يستلزمه ذلك من مشقة ودأب (٤) ..

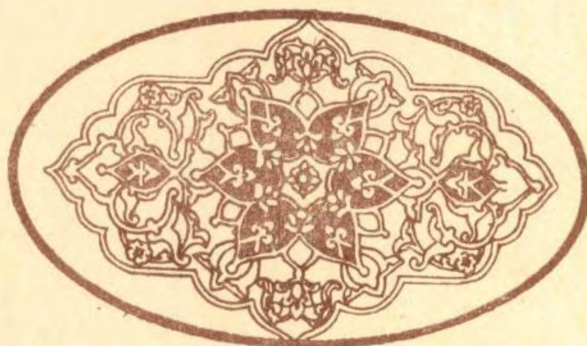
قال ابن منظور : ...

وفيه مثلان : ضرب أحدهما للمفرط فى جمع الدنيا مع منع ما جمع من حقه ، والمثل الآخر ضربه للمقتصد فى جمع المال وبذله فى حقه ، فأما قوله صلى الله عليه وسلم : « وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا » (كما ورد فى روايته) فهو مثل الحريص والمفرط فى الجمع والمنع وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب التى تحلولبها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، وكذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها يهلك فى الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب ، وأما مثل المقتصد المحمود فقوله صلى الله عليه وسلم .. الا آكلة الخضرة ، فانها أكلت حتى اذا امتلأت خواصرها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت ، وذلك أن الخضر ليس من أحرار البقول التى تستكثر منها الماشية فتهلكه أكلا ، ولكنه من الجنبة التى ترعاها بعد هيج العشب ويبسه ، وأكثر ما رأيت العرب يجعلون الخضر ما كان أخضر من الحلى الذى لم يصفر والماشية ترتع منه شيئا فشيئا ولا تستكثر منه فلا تحبط بطونها عنه ، فالخضر من كلأ الصيف فى القيظ وليس من أحرار بقول الربيع ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلة الخضرة مثلا لمنيقتصد فى أخذ الدنيا وجمعها ولا يسرف فى الحرص عليها ، وأنه ينجو من وبالها كما نجت آكلة الخضر ، ألا تراه قال : فانها اذا أصابت من الخضر استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ؟ واذا ثلطت فقد ذهب حبطها ، والحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج منها ما فيها (٥) ..

والخـــلاصة :

ان المال عصب الحياة وثقافها ، ووسيلة كل خير فيها ، بل هو خير مقوماتها كما سماه القرآن الكريم فى قوله تعالى « ان ترك خيرا . . » الآية اذ به يتوصل الى كل مبتغى ، وينال كل مطلب اذا ملكته رجال تقدره قدره وتعرف كيف تقلبه وتدرك مصادره وموارده ولهذا دأبت القيادات الواعية على تلمس مواطنه وكثيرا ما ثار قتال من أجله ، به بسطت دول سلطانها وأرست قواعد حضارتها وتقدمت غيرها ، ونالت كل مبتغاها ، والاسلام متمثلا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهمل قط شأنه ولا حط من قيمته ، والقرآن الكريم جعله فى مواضع من آياته نعمة ومنة من الله على عباده ((ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)) وحث على حفظ حق الورثة فى مال مورثهم مبعدا له عن السرف ولو فى انفاقه فى حلال ((لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالـــة يتكففون الناس)) . .

وفى المقابل ذم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر فيما أخرجه أبو مسلم الليثى فى سننه ، والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أنس رضى الله عنـــه حيث قال عليه الصلاة والسلام ((كاد الفقر أن يكون كفرا)) وقد عقد المتقدمون فصولا طويلة فى بيان فضله وجليل آثاره وخطير سلطانه ، ولهذا فسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى وضعه فى مواضعه ، وادراك جهات استغلاله لخيرى الدنيا والآخرة حتى يكون نافعا فى العاجلة والآجلة ، وأوضحت السنة الشريفة فى أحاديث كثيرة كيف يجمع وكيف ينفق ، وفى السنة أسرار خير الدنيا والآخرة وما لو ترسمه المسلمون فى حياتهم العملية والواقعية لكانوا فى القمة ، ولبلغوا ما يتشوفون اليه مما وصلت منتهاه أمم أخرى ولعل قوارع الايام توقظهم وتفتح قلوبهم على مضامين القرآن والسنة وتسديده ، والذين جاهـــدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ولنا ــ ان طال المقام ــ الى هذا الحديث عودة والله المستعان وحده .



---

(١) أبو سعيد : هو راوى الحديث .

(٢) يمسح عن جبينه : أى العرق كما ورد فى رواية أخرى .

(٣) حمدوا السائل : لانهم لاموه أولا حين رأوا سكوت النبى صلى الله عليه وسلم فظنوا أنه قد أغضبه ثم حمدوه أخيرا حين رأوا أن مسألته كانت سببا فى الشرح الذى استفادوا منه ما يرمى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) فى الحديث ما يحتاج الى مواقف وتأملات خصوصا لمن أراد استكناه أسرار السنـــة الشريفة وساعرج على كل ذلك بالتفصيل فى مقال تال بعون الله تعالى وتوفيقه .

(٥) لسان العرب د ١ ص ٥٥٣

الفكر التشريعى واختلافه باختلاف الشرائع

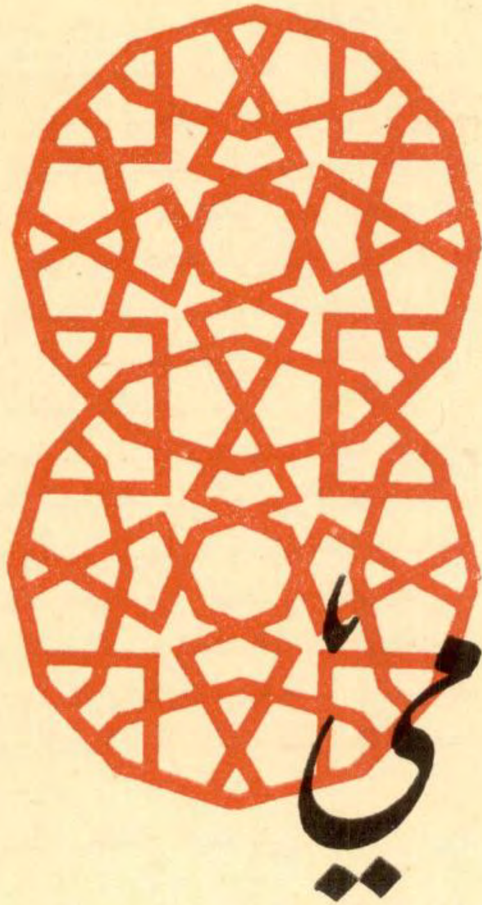
الفكر التشريعي

يختلف الفكر التشريعى ، ويتعدد باختلاف الشرائع وتعـددها بحسب ما وضعت لتحقيقه من أغراض وأهداف مختلفة ، اذ كان ذلـك سببا فى اختـلاف أسسها وتعارضها والتباعد بين قواعدها وطرائق تطبيقها ، وتبع ذلك اختـلاف أحكامها وتعارضها فى كثير من مسائلها وفروعها ، ومن أجل ذلك لكل شريعـة اتجاه خاص فى تأسيسها ووضع قواعدها ، وتأصيل أصولهـا وسن أحكامهـا وتفريع مسائلها .

ولقد ظهر فى المجتمع فى هذا العصر نظامان هما :

١ ـ النظام الفردى .
٢ ـ والنظام الاشتراكى .

وكان أساس النظام الفردى مصلحة الفرد ، أو المنفعة الخاصة ومن ثـم اتجهت تشريعاته الى التمكين للمصلحة الفردية ، وتقديسها وجعلها الأصل الأول الذى يراعى فى شرائعه وأحكامه التى اتخذها طريقا الى حماية الحرية الفردية ، وعدم المساس بالملكية الخاصة ، محتفظا بتنظيمها للسلطة التشريعية بالتصرف فيها للسلطة القضائية ، وكان أساس قيام المجتمع فيه ونظامه المحافظـة على الحرية الفردية ، وغير ذلك من الأصول ذات النزعة الفردية التى رفعها أصحاب هذا المذهب الى مرتبة المقدسات والأسس التى لا تمس ، ولذا كان للفرد فى هذا النظام أن يفعل ما يشاء فى حدود القانون ، بحيث لا يضر بغيره ضررا يمنعه من



الإسلامي ١

للشيخ : علي الخفيف

للشيخ : علي الخفيف

حقه ، وبذلك كان حرا فى ارادته حرا فى عقيدته حرا فى تملكه ، وكان الفكر التشريعى لهذا النظام متمثلا فى حرية الفرد ، واطلاق تصرفه ، والاتجاه الى تحقيق مصالحه الخاصة ، ومنفعته الذاتية أولا فى حدود ما يوضع من نظام ، وعلى هذا الأساس سنت شرائعه ووجه نشاطه .

أما النظام الاشتراكى أو الجماعى فان أساسه قام على النظر الى المجتمع ورعاية مصالحه رعاية تجعلها محل النظر والاعتبار ، والوصول به الى أعلى ما يتمنى أن يصل اليه من الرقى ، واليسر ، والرخاء ، بحيث لا يكون فيه محل لأسباب الانحطاط والضعف من الفقر والمرض والجهل ، ونحوها ، وبحيث تتلاشى أمام مصالحه مصالح الأفراد وارداتهم ، ويكون نشاطهم كله موجها الى مصالحه دون نظر الى مصالحهم ، فلا أعتبار لها أمامه الا بقدر ما يجعلهم أقوياء قادرين على القيام بما تتطلبه منهم مصالح المجتمع من جهد وسعى ، وبذلك تتضاءل المصالح الفردية فى هذا النظام ، وتضمحل أمام مصالح المجتمع وأهدافه التى أرادها له أصحاب هذا النظام وواضعوه .

ومن أجل هذا لم يكن الحق فى النظام الاشتراكى مصلحة لصاحبها يحميها

القانون كما يراه أصحاب النظام الفردى ، وانما يعد فيه مكنة أو صلاحية يقوم بها الفرد فى مجال العمل والمساهمة فى تحقيق مصالح المجتمع التى يستهدفها . ولم يكن للفصل بين السلطات الثلاث : الشرعية والقضائية والتنفيذية فيه محل ولا داعية ، اذ المفروض فيه تضافر جميع الأفراد على اختلاف أعمالهم وما نيط بهم فى الوصول الى ما يتطلبه المجتمع من مصالح ، وعلى هذا تسن شرائعه وترتب أناظيمه ، وكان الفكر التشريعى فيه يتمثل فى النظر الى كل الأمور والأفعال باعتبارها وسائل لتحقيق متطلبات هذا النظام ، وتوجيه النشاط فيه سواء كان فرديا أو جماعيا هذه الوجهة حتى لا يكون الفرد فيه الا جزءا من كل ، يتحرك بحركته وينغمر فى غماره ويسير فى تياره وذلك ما يولد تضامنا اجتماعيا عاما بين جميع أفراده حاكمين أم محكومين للوصول الى غاية اجتماعية منشودة من الجميع خلافا للنظام الفردى ، اذ لا يتغيا أفراده جميعا غاية واحدة مشتركة . وانما يتغيا كل فرد فيه مصلحته الخاصة ، وبذلك تتعارض المنافع الخاصة والمصالح الذاتية على صورة توجد الصراع بين الطبقات وتؤدى الى وجود الأحزاب وتعارضها ، ومن هنا يختلف الفكر التشريعى فى النظام الفردى عن الفكر التشريعى فى النظام الجماعى ، وهكذا يختلف الفكر التشريعى ويتعدد باختلاف الشرائع وتعددها ، واختلافها فى الغاية والهدف .

واذا كان لكل شريعة فكر تشريعى خاص يلائمها ، ويتفق مع أهدافها ، فان للشريعة الاسلامية كذلك فكرا تشريعيا خاصا يلائمها ويوجهها الى تحقيق أهدافها السامية .

وذلك يتضح فيما يلى :

فى بيان الفكر التشريعى الاسلامى :

يتمثل الفكر التشريعى الاسلامى فيما أرساه الاسلام من قواعد ، وما أقامه من أسس وما أصله من أصول ، وما اتجه اليه من اتجاهات فى سبيل ايجاد مجتمع سليم ، ذى نظام متكامل مترابط فى قواعده وعناصره ونظمه ، محكم فى بنائه ، قوى فى لبناته وشدة تماسكها ، مرتبط أشد الارتباط وأحكمه بأصول الدين الحنيف ومثله العليا وفضائله السامية ، مؤمن بالجزاء على أعماله ليسعد أفراده وتطيب حياتهم وتزكو نفوسهم وتطهر قلوبهم ، وعلى هذا الأساس أقام شريعته التى نزل بها كتابه الحكيم ، وبينها للناس رسوله الأمين ، فكانت واضحة الأهداف ، بينة المعالم ، متسقة فى أحكامها وأغراضها ، تجمع بينها روح عامة ، وفكرة شاملة ، كانت بمثابة النظام الذى به ترابطت ، والاطار الذى فيه تضامنت واجتمعت ، وكان انطواؤها تحت هذا النظام دليل شرعيتها وصحتها ، وخروجها عنه أمارة بطلانها ، فالحكم حكم الله ما انطوى تحته وظل فى دائرته ، وباطل ما تعدى حدوده وتجاوز اطاره .

وانك لترى هذه الروح واضحة فيما شرع الله فى كتابه من الأحكام ، وفيما جاء به رسوله من شرع وبيان ، وفيما وضع وسن لتطبيق ذلك من طرق ميسرة ، جانبت المشقة ، وجانبت الحرج والعنت على ما لذلك من صور وأوضاع نتيجة لتعدد الأحداث وتنوعها ، واختلافها فى أسبابها وظروفها ، كما تراها كذلك بينة فيما لهذه الشريعة من اجتهادات ، وما تضمنته من أنظار ، وما روعى فيها من موازنات ومقايسات ومفارقات ، مما ساعد على تحديد الأغراض وظهور العلل والأسباب .

ولقد كان كل هذا فى عهد الرسول صلوات الله عليه ملحوظا فى قوله وفى فعله وفى اقراره وفى اجتهاده ثم اتخذه أصحابه ومن جاء بعدهم فيما بعد وفاته أساسا أقاموا عليه اجتهادهم وبنوا عليه أحكامهم بقدر ما أخذوا عن رسولهم • وما أمكنتهم قدراتهم ، وأسعفتهم أنظارهم على اختلافهم فى فهمهم وتقديرهم ، فازداد بذلك الفكر التشريعى الاسلامى وضوحا وتكشفت معالمه ، وتبينت طرقه ومناحيه ، وذلك بما كان لهم من دقة فى المتابعة ، واحكام فى الاتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى اجتهاده ، ومقايساته واستنباط الأحكام واستلهام ما قصد اليه الشارع الحكيم من جلب مصلحة ، أو درء مفسدة مما يتمثل فى القصد الى حفظ ضروريات الحياة وحاجاتها وكمالياتها ، وما يستتبعه ذلك من كل ما يزول به الضيق ويرتفع به الحرج ويكمل به العمران ، وتزكو به النفوس ، وتطهر القلوب ، وهذا هو ما يهدف اليه الفكر الاسلامى التشريعى بما يصوره ويمثله من أصول وقواعد وأنظار أسست عليها أحكام الشريعة الاسلامية التطبيقية العملية ، سواء فى النفوس ، أو الأموال ، أو الأعمال ، أو العقود ، أو المعاملات ، وكذلك بما قرره من مبادىء وطرق فى تطبيقها روعيت فيه ظروف التطبيق وملابساته وأحوال الناس حتى تكون مرنة سهلة ، ولقد وضعت تلك القواعد وفق مقتضياتها ، مستهدفة غاياتها ، وكان الفكر الاسلامى التشريعى لذلك متمثلا فى أمرين :

أحدهما : أحكام الشريعة الاسلامية واتجاهاتها الموضوعية .

وثانيهما : أحكامها المتعلقة بطريقة التنفيذ والتطبيق ، وكان النظر فى الامرين من وسائل تعرفه وتحديده ، والوقوف عليه ، وذلك بعد استقراء أحكامها ، والكشف عن عللها وأسباب اختلافها ، وجميعها أنظار عديدة تنوعت بحسب تنوع ما تعلقت به ، وليس من اليسير حصرها وضبطها ، ولئن أمكن ذلك باللجوء الى الضوابط والاكتفاء بالاجمال عن التفصيل ، فان التعرض لها أيضا على هذا الوضع يتطلب من البيان ما لا يتسع له الوقت ولا ينفسح له مجال البحث ، وقد يكون فى الاشارة الى بيان مصادرها التى منها استنبطت ومنها انبثقت الطريقة المثلى • والوسيلة الممكنة الميسرة الى التعرف عليها بالصورة المرضية فى بحث كهذا تعرفا كافيا للاحاطة بمعناها وبمالها من أغراض وأهداف ، وما يجب أن يلاحظ فيها من قيود ، وأن يراعى فيها من استثناء تستوجبه الضرورات ، أو تتطلبه الحاجيات تبعا لتعدد البيئات واختلافها وتطورها ، واختلاف الأعراف وتغيرها ، ويلى ذلك بيان ببعض تلك الانظار فيما تقوم به الحياة ويؤسس عليه العمران والنظام ، وترتد اليه كثير من الاتجاهات النظرية والتطبيقية الأخرى مما ينبنى عليها ويتفرع منها حتى يكون فى ذكرها بعض الغناء عن ذكر سائرها .

مصادر التعريف بالفكر الاسلامى التشريعى :

تعرف الفكر التشريعى الاسلامى والكشف عن أهدافه واتجاهه وأصوله يكون بالنظر فى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وفيما انتهى اليه النظر فيهما على اختلاف أربابه فى تنازعهم وقدراتهم ، وأحاطتهم بما دلت عليه النصوص من القرآن والسنة .

وأما ما أجمع عليه من الأحكام أو ما استمد منها من العرف فانه لا يعدو أن تكون أحكاما قد أجمع عليها ، لدليل دل عليها من كتاب أو سنة أو نظر كان محل اتفاق من المجتهدين ثم أغفل الدليل وتنوسى ، وعندئذ ينتظمها البيان المتعلق بما

دلت عليه النصوص من الاحكام ، أو المتعلق بما كا ناساسه النظر من الأحكام — وأما أن تكون أحكاما استند فيها الى العرف وعندئذ ينتظمها ما ستشير اليه مما يتعلق بما دلت عليه المصلحة من أحكام ، لأن العرف لم يجربها بصفة عامة الا لاستحسان الناس لما رأوه فيها من مصلحة ، فان استقراء ما جاءت به تلك المصادر من الأحكام والقواعد والمبادىء والحكم والأسباب والعلل والموازنة بينها ، وما بينها من مفارقات ومشابهات ، وما ترتب على ذلك من اختلاف فى الأحكام يكشف عن الاتجاه التشريعى الاسلامى فى الاحكام الشرعية على العموم ، ويستبين به النظر التشريعى الذى جعل أساسا لشرع تلك الاحكام ، وأسباب تخصيص العام من أدلتها ، وتقييد المطلق منها وارادة الاطلاق فيما يجىء على صورة المقيد والعموم فيما جاء على صورة الخاص ، وارادة الاستثناء حيث لا يكون فى النص استثناء لفظى ، وهكذا مما هو مبين فى مواضعه من كتب الفقه وأصوله ، ولا شك أن فى ملاحظة ذلك جميعه الوسيلة الكفيلة ببيان الفكر التشريعى الاسلامى بيانا كاملا تتضح به أهداف الأحكام وأغراضها على اختلافها .

فأما النصوص على العموم فان اتخاذها سبيلا الى الوقوف على هذا الفكر يتطلب النظر فيما جاءت به من أحكام بطريق النص عليها أو بطريق الاشارة والدلالة عليها بأى طريق من طرق الدلالة المعتبرة التى تحدث عنها علماء أصول الفقه ، وهى دلالة الاشارة ، ودلالة النص التى يسميها بعض العلماء بمفهوم المخالفة ، أو دلالة الاقتضاء ، وفيما عللت به تلك الأحكام من علل أشارت اليها هذه النصوص ، ولو جاء ذلك على وجه الايماء والتنبيه فان الناظر فى كتاب الله تعالى لا يجد صنيعه فى بيانها سردا مجردا عن بيان حكمها وعللها ، بل يرى أن قد عنى كثيرا ببيان العلل والحكم فى كثير منها عناية أشعرت بأن كل حكم جاء به انما كان لمصلحة أريد تحقيقها وذلك بما يرى فى تعلله من احاطة وشمول على ما يلاحظ فيه من تغيير وتنويع ، وتفصيل واجمال ، فتارة يذكر الحكم مرتبا على وصف يفهمه السامع أن هذا الحكم يدور معه أينما وجد . وأخرى يذكر الحكم ومعه سببه مقرونا بحرف العلة ، وآونة يذكر الحكم ومعه أثره المترتب عليه . وهكذا مما يخرجنا بيانه وتفصيله عما نحن بصدده .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » . وقوله : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » . وقوله تعالى : — بعد ذكر ما حدث من قتل أحد ابنى آدم أخاه — « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل .. الآية » وقوله بعد بيانه لقسمة الفىء : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء » . وقوله فى بيان علة تحريم الخمر والميسر : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء .. » الآية .

وعلى الجملة فان الناظر فى كتاب الله تعالى المستقرىء لأحكامه وما جاء به من قواعد كلية يرى أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع أحكامه الا لتكون وسيلة الى جلب الخير للناس ودفع الضر عنهم ، وأنه سبحانه قد بين ما فى المنهى عنه من المفاسد حثا للناس على اجتنابها ، وما فى المأمور به من المصالح ترغيبا لهم فى الاقبال عليها وفى اتيانها ، وأن لدلالة كتاب الله على ذلك من القوة والظهور ما لدلالة آياته الصريحة المحكمة بسبب ما اجمعت عليه واتفقت فيه من دلالة ، كشفت عن أن قصد الشارع من شرعه حفظ الضروريات الخمس : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال ، وهى جماع مصالح الناس فى حياتهم الأولى والآخرة ، وكذلك كان مسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيانه

للقرآن ، وفيما بلغه من الأحكام فان المتتبع لأحاديث الأحكام يجد أن الرســول صلوات الله عليه كثيرا ما يذكر الحكم مبينا حكمة شرعه وموضحا ما يترتب عليه من مصالح دنيوية وأخروية ، وأنه عند النظر والتدبر يرى أنه لم يأمر بشىء ، ولم ينه عن شىء الا لداعية دعت الى ذلك الأمر أو النهى ، ويلاحظ أن تنوع الحاجة واختلاف البيئات والناس كثيرا ما دعت الى اختلاف الحكم فى الحوادث المتماثلة تبعا لاختلاف الأثر بسبب اختلافهم ، ولذا فقد يظن أن فعلا ما ينبغى الاتيان به ، لأنه خير فى بادىء الأمر ، وينهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرى من أن خيره يعارضه شرفيه أعظم منه ، وأن المصلحة فيه تصاحبها مفســدة تفوقها فهذا عبد الله بن عمرو بالغ فى عبادته ، فصام نهاره وقام ليله ظنا منه أن فى ذلك رضا مولاه ، فيشكوه أهله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يرضى ذلك رسول الله ، ويقول : انك اذا فعلت ذلك هجعت عينك ، ونقهت نفسك ، وان لنفسك عليك حقا ، ولأهلك حقا ، فصم وأفطر وقم ونم . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وقد شكاه الى الرسول بعض أصحابه لطـــول صلاته : أفتان أنت يا معاذ ؟ من صلى بالنـــاس فليخفف ، فان فيهم المريـض والضعيف وذا الحاجة . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص حين عاده وقد استشاره فى التصدق بثلثى ماله : الثلث ، والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

وينص الكتاب العزيز على جواز الوصية فيقول بعد بيانه لسهام الورثة فى سورة النساء : « من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار » ويكرر ذلك المعنى فيها فيأتى حكم الكتاب فى الوصية مطلقا ، ويقيده رسول الله بقوله : ان الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث . وبقوله : لا وصية بأكثر من الثلث الا أن تجيز الورثة . ثم يكون لبعض المجتهدين اجتهاد فى هذا التقييد .

وينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها ، أو بين المرأة وخالتها فيقول : أنكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم . وينهى كذلك عن أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو أن يبيع على بيع أخيه ويأذن النبى صلى اللـــه عليه وسلم لقوم نضبت أزوادهم وأملقوا ، فى نحر ابلهم ، ويبلغ ذلك عمر فيقول لهم : ما بقاؤكم بعد ابلكم ، ويدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا له : ما بقاء هؤلاء القوم بعد ابلهم فيقول صلى الله عليه وسلم : ناد فى الناس فليأتون بفضل أزوادهم ويبسط لذلك نطعا جعلوا أزوادهم عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا وبرك عليه ثم دعاهم بأدعيتهم ، فاحتسى الناس منه حتى فرغوا .

وخلاصة القول أن السنة مليئة بالأحكام المعللة ، وأن منها ما دل على أن بعض أحكامها تدور مع المصلحة التى لأجلها شرعت ، وذلك ما يبين أيضا لمـــن تتبع ما كان يجيب به رسول الله صلى الله عليه وسلم سائله ، وأنه كان يخالف فى اجابته لاختلاف ظروف السائل ، فقد سأله شيخ مسن عن قبلة الصائم فلـــم ير أن بها بأسا ، وسأله شاب عنها فنهاه عن ذلك حتى لا تكون ذريعة الى ما بعدها وكان صلى الله عليه وسلم يسأل فى حين فينتظر الوحى ، وفى حين آخر يجيب من غير انتظار ، وقد ينزل القرآن ببيان خطئه فى اجتهاده هذا ومعاتبته مع ذكر السبب كما فى معاتبته فى قبول الفداء من أسرى بدر ، وفى اذنه بالتخلف لبعض المتخلفين فى غزوة تبوك ، وهكذا يتضح لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فوض اليه الحكم فى كثير من الأمور وخاصة ما يتعلق بالمعاملات الماليـــة ،

والأمور الادارية وذلك حسبما يراه من المصلحة ، وكان رأيه فيها سنة مشروعة واجبة الاتباع .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نعرض لما جاءت به نصوص القرآن والسنة من قواعد ومبادىء كانت ببيان الفكر التشريعى الاسلامى أعلق وألصق ، ومن ذلك ما جاء فى الكتاب العزيز من مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » وقوله تعالى : « فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » . وقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقوله تعالى : « وأن ليس للانسان الا ما سعى » ، وقوله : « ولا تكسب كل نفس الا عليها » وقوله : « لينفق ذو سعة من سعته » . وقوله : « لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها » وقوله : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وقوله : « انما تجزون ما كنتم تعملون » وقوله : « وليوفوا نذورهم » وهذا الى ما شرعه فى كتابه من تخفيف فيما كلف الناس به اذا ما لحقتهم مشقة واضطرار ، كما فى قوله تعالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » وقوله : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وقوله : « الا ما اضطررتم اليه » وقوله : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

ومن ذلك ما جاءت به السنة من قوله صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولا ضرار . وقوله : انما الاعمال بالنيات ، وقوله : انما البيع عن تراض ، وقوله : المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا ، وقوله : لا ضمان على مؤتمن ، وقوله : العجماء جرحها جبار ، وقوله : لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس منه ، وقوله : أنت ومالك لابيك ، ونهيه عن بيع الغرر ، وغير ذلك كثير ، وكل ذلك يبين كما ذكرنا هدف الاسلام من شريعته ، وأن الاتجاه التشريعى فى جميع أحكامها تصوره وتمثله أنظار أسست عليها شريعته قصدا الى تحقيق هذا الهدف .

وأما النظر فقد كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجع بعض الأحكام فقد اجتهد عليه السلام ، وصدرت عنه فتاوى فى بعض الأقضية والوقائع تقوم على الرأى والنظر ولأن أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته جزء من التشريع ، كان اجتهاده عليه السلام واجب الاتباع ، فاذا قرر حكما أو رأى رأيا وأقره الله عليه كان سنة شرعية من سننه يجب الحفاظ عليها والعمل بها .

ومن الأحكام التى أجتهد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقره الله عليها ورده الى الصواب فيها قبوله الفداء من أسرى بدر ، واذنه بالتخلف لمن اعتذر عن غزوة تبوك ، وفى اعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم ، حين جاءه فى أمر من أمور الدين ، وهو مشغول مع الرؤساء من قريش يدعوهم الى الاسلام ، فان الرسول فى مثل هذه الأحكام كان يستجيب لمصلحة قدرها ورآها ، ولكن الله سبحانه وتعالى بين له أنه قد ترك فى مراعاة تلك المصلحة مصلحة أخرى هى أعظم منها وكانت أولى بالمراعاة ، فعاتبه من أجل ذلك وغفر له .

على أن اجتهاد الرسول صلوات الله عليه لم يقتصر على أمور الدين ، فقد تجاوزه الى الأمور الدنيوية كالرأى الذى كان منه فى تأبير النخل ، اذ نهى عنه لأنه لم ير فيه نفعا ، فلما فسد الثمر أعرض عن ذلك قائلا : أنتم أعلم بشئون دنياكم وكما فى غزوة بدر حين نزل بجيشه منزلا رآه حسنا ، ولم ير ذلك الحباب بن المنذر

فأشار عليه بمنزل آخر بين له فائدة النزول عليه ، فانتقل الرسول عن المنزل الذى نزله الى ما أشار به الحباب لما رآه من المصلحة فى ذلك .

وهناك وقائع غير هذه اجتهد فيها الرسول ، وكلها تدل على أنه عليه السلام لم يكن ليفعل الا ما يرى فيه المصلحة .

وكما اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقضى فى بعض ما عرض عليه ، اجتهد أصحابه فى حضرته بأمره ، كما فى اجتهاد سعد بن معاذ حين حكمه الرسول فى بنى قريظة ، وفى غيبته باذنه كما يدل على ذلك حديث معاذ بن جبل حين أرسله الرسول قاضيا فى اليمن ، وسأله بم يقضى به ، فقال : أقضى بكتاب الله ، فان لم أجد فبسنة رسول الله ، فان لم أجد أجتهد رأيى ولا الو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى وفق رسل رسول الله الى ما يرضى الله ورسوله .

وقد يكون اجتهاد أصحابه بغير اذن منه كما فى حادثة غزوة الخندق ، اذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فقد اجتهد بعضهم فرأى أن المراد بذلك الاسراع لا تأخير صلاة العصر ، ورأى آخرون حظر صلاة العصر الا هناك فلم يصلها الا بعد العشاء الأخير ، ولم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحد منهم ما رأى ، ولم يكن النظر فى ذلك العهد سواء أكان من الرسول صلوات الله عليه وسلم أم من أصحابه الا بحثا عن حكم الله فيما هو معروض ، وذلك بالبحث عن المصلحة أين تكون ، لما استقر فى نفوسهم ، وعرفوه من فهم كتاب الله ، وما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام فى أحداث حدثت جاءت محققة للمصلحة فيها .

وعلى هذا كان اجتهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم حيث لا يجدون فى المسألة كتابا ولا سنة اذ كانوا يلجئون الى النظر مسترشدين بما حفظوا من كتاب الله ، وبما وعوه من أحكام أثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عرض عليه من أقضية ، وما سئل عنه من مسائل ناهجين منهجه ، مستنين سنته ، مستعينين بما مرنوا عليه من استنباط أقرهم عليه ودرية اكتسبوها من مراجعة بعضهم بعضا فيما حدث لهم من الاحداث أو نزل بهم من الوقائع، ولم يكن ذلك متوافرا فى كل فرد منهم ، بل اختص به قلة اصطفاهم الله بما أعطاهم من نفاذ نظر ، وسلامة تقدير ، ووزن وحسن ادراك ، ودقة ملاحظة ، مما هيأ لهم ما صاروا اليه من الأهلية والقدوة والأسوة والمتابعة فيما يكشفون عنه من أحكام فى المسائل التى عرضت لهم ، والوقائع التى استجدت فيهم ، ولم يكن لهم سبيل الى تعرفها الا البحث عن المصلحة التى راعاها الشارع فى أحكامه أين تكون : لأنها دليل حكم الله فيها ، وكان بحثهم يقوم تارة على الحاق الشبيه بشبيهه ، وتارة على تطبيق قاعدة عامة استنبطوها من أحكام الشريعة العديدة التى قامت عليها ، واستندت اليها ، وتارة يقوم على مراعاة العرف ومتابعته حيث لا نص يعارضه ، لأن جريان العرف عندئذ دليل ارادته وقصده لما فيه من مصلحة قامت لسد حاجة ، وتارة يقوم على المصلحة المعتبرة من الشارع دون مقايسة أو تطبيق لقاعدة أو مراعاة لعرف ، بانين نظرهم على اطمئنان النفس بوجودها حيث انتهى نظرهم ، وليس أدل على ذلك من قول عمر لأبى بكر رضى الله عنهما حين أبى ابتداء أن يستجيب الى ما أشار به عليه ودعاه اليه من جمع

القرآن ، استنادا منه الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعلــه ، وأنه كيف يفعل أمرا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال له : « هو والله خير » ،ولاشك أن عمر رضى الله عنه كان يعنى بالخير ما فيه صلاح الاسلام والأمة فهو قد احتج بالمصلحة ، ورأى أبو بكر أنها حجة سليمة ، فأقر عمر على وجهة نظره ، واقتنع بها ، واستجاب الى ما دعاه اليه . وطلب من زيد بن ثابت رضى الله عنه أن يقوم بذلك فأبى عليه ذلك أولا حتى اذا قال له أبو بكر تلك العبارة التى قالها عمر اقتنع زيد واستجاب .

ومن ذلك ما كان عليه الناس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وســلم وحقبة بعد وفاته حيث كانت الأمانة عامة فى الناس شاملة من استئمان الصناع وعدم تضمينهم عند ادعائهم هلاك ما أعطى لهم من أموال لتكون محلا لصنعتهم . ولكن حيث كثرت دعاوى الهلاك ، ووقع كثير من الناس فى الحرج بسبب ذلك رأى كثير من الصحابة تضمين الصناع حفظا لمصالح الناس ، وفى هذا أثر عن على رضى الله عنه أنه قال : « لا يصلح الناس الا ذلك » فتركوا ما كان عليه زمــن الرسول ، وزمن أبى بكر ، وألزموا الصناع بضمان ما تحت أيديهم .

ومن ذلك أيضا ما فعله عثمان رضى الله عنه من زيادة أذان ثــان يــوم الجمعة حين كثر الناس على عهده ، ورأى أن الأذان الأول غير كاف لاعلامهم .

ومنه أيضا عدم اقامة عمر رضى الله عنــه حد السرقــة فى غلمة لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها وأكلوها ، وذلك حين ظهر له أن حاطبا قد أجاع هؤلاء الغلمة ، وغرم سيدهم جزاء ذلك ضعف قيمة الناقة التى سرقوها .

وكذلك عدم اقامة حد السرقة والشرب فى الغزو والسفر ، وفى السرقة من بيت المال ، وفى سرقة الخادم متاع سيده ، وذلك فى عهد عمر ، ففى كنز العمال ما أخرجه عبد الرازق وابن أبى شيبة عن القاسم أن رجلا سرق من بيت المال فلما كتب فى ذلك الى عمر ، كتب لا يقطع فان له حقا فيه ، وروى عن مالك فى الموطأ أن عبد الله بن عمرو المخزومى جاء بغلام الى عمر ، فقال له : اقطع يد غلامى فانه سرق ، فقال له عمر : ماذا سرق ؟ قال: سرق مرآة لامرأتى ، ثمنهــا ستــون درهما ، فقال عمر : أرسله فليس عليه قطع ، خادمكم سرق متاعكم ، والأمثلة من هذا النوع عديدة ، وهى تدل على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وقد كانوا شديدى الحرص على متابعة رسول الله والاقتداء به ــ قد سلكوا سبيله فى تعليل الأحكام ، وبيان المصلحة التى لأجلها شرعتوإناطة الأحكام بها وانزالها بمرعاة ذلك على ما يجد من الاحداث طلبا للمصلحة فيها ، وتعرف الحكم فيمـــا سيجد من الحوادث مما لم يؤثر فيه حكم عن رسول الله ، ولم يكن له شبيه سبق الحكم فيه ، وذلك بالبحث عن المصلحة وتعرفها أين تكون ، فاذا عرفوها حكموا بما يحققها ، بل كانوا فيما تدعو اليه الحاجة يعمدون الى الحكم المنصوص فيديرونه بدوران علته ، وذلك بما كان لهم من علم ومعرفة ، ليوسعوا دائرته ، بــل وليجعلوها مناطا له يدور معها وجودا وعدما ، معتقدين أنهم بذلك عند حكم الله لم يخالفوا عنه .

والحوادث من هذا النوع كثيرة ، والكلام فيها يطول ، وحصرها متعــذر ، ولكن النتيجة التى ننتهى اليها من ذكرها والنظر فيها هى أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع حكما الا لمصلحة الناس وهى نتيجة قطعية دل عليها الاستقراء ، وأيدتها النصوص ، ولذا كانت أساس التشريع وهدفه ، وكانت دليلا على الحكم اذا أعوز النص ، بل كانت عند وجوده السبيل الى فهمه وتفسيره وتعيين المراد منه بمــا

تقتضيه من تخصيصه عند عمومه ، أو تعميمه عند خصوصه ، أو تقييده عند اطلاقه ، أو اطلاقه عند تقييده ، وذلك لما هو ثابت على وضع لا يقبل الشك كما أشرنا اليه فيما سبق من أن الشارع قد راعى المصلحة فى أحكامه جميعا ، وأنه لم يهملها فى أى حكم من أحكامه حتى كانت دليلا عند عدم النص .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد آثر العقل فى كتابه وجعله المرجع فى النظر والاستدلال على أصول الدين وعقائده ، وجعل له السلطان الأعلى فى ادراك معانى الخير والحق ، ودعا الى تحكيمه فى أكثر من ٣٠٠ آية من كتابه ، وعاب الذين لا يحكمون عقولهم ، وازرى بهم ازراء شديدا ، لم يكن من الجائز اهمال العقل فى مجال الأحكام الفرعية ، اذا ما دل على تخصيص أو تقييد ، أو عموم أو اطلاق ، تحقيقا للمصلحة التى جعلها الشارع مناط أحكامه وأصل شرعه ، ووجب أن يكون دليل العقل بيانا للنص والارشاد الى تعرف ما يراد منه .

وقد أشرنا فيما سبق الى بعض ما ورد فى ذلك من أمثلة ، وقد كان هذا الذى شرحناه وبيناه مسلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفهمهم للشريعة ، وفى قضائهم فيما عرض عليهم من نزاع وفتاوى فيما رفع اليهم من استفتاء . .

وعلى هديهم سار التابعون وتابعوهم والائمة المجتهدون من الفقهاء ممن جاء بعدهم ، وعلى أساس ذلك وضعوا للفقه الاسلامى قواعده الكلية ، وضوابطه التى انتظمت أحكامه ، واعتبرت أصلا يطبق على ما يحدث من أحداث يشملها فأعطيت ما تدل عليه من حكم ، لأنه الحكم المحقق للمصلحة فيها ، وكان من هذه القواعد ما يرجع الى تطبيق الأحكام بقصد التيسير فى تطبيقها ، وتخفيف ما تتضمنه من مشقة وشدة فى بعض حالات تدعو الحاجة فيها الى التيسير والتخفيف تحقيقا للمصلحة مثل : يتحمل الضرر الادنى دفعا للضرر الأشد ، تنزل الحاجة منزلة الضرورة اذا دعت المصلحة الى ذلك فيجوز لأجلها ما يجوز للضرورة ، وان الاضطرار لا يبطل حق غير المضطر ، وان ما يمتنع عادة ينزل منزلة الممتنع حقيقة فلا يطلب ، ووجوب الصيرورة الى البدل عند امتناع أصله ، وأنه يغتفر فى البقاء ما لا يغتفر فى الابتداء ، وأنه اذا زال المانع عاد الممنوع ، وأن الكلام يحمل على حقيقته متى أمكنت ، وأن السؤال معاد فى الجواب عليه ، وأن المشقة تجلب التيسير ، وغير ذلك من القواعد ، كما كان منها قواعد تتعلق بموضوع الحكم لا بتنفيذه مثل الأمور بمقاصدها ومعانيها لا بألفاظها ومبانيها ، واليقين لا يزول بالشك ، والضرورات تبيح المحظورات ، والضرورة تقدر بقدرها ، وما حرم أخذه حرم اعطاؤه ، وما حرم فعله حرم طلبه ، والعادة محكمة والمعروف كالمشروط ، واذا بطل الشيء بطل ما فى ضمنه ، والتصرف بالولاية منوط بالمصلحة ، والولاية الخاصة مقدمة على الولاية العامة ، والجواز الشرعى ينافى التضمين ، والغنم بالغرم ، وغير ذلك ، وكلا النوعين مستنبط من استقراء الأحكام وملاحظة أهدافها فكان تأصيلها استمرارا وامتدادا وتأصيلا لأهداف الفكر التشريعى الاسلامى وأغراضه ، وهو النفع الانسانى العام الذى هو عماد الدين والدنيا ، ولذا كان من الضرورى أن يكون قصد الانسان وارادته واختياره فى مجال النشاط والعمل متفقا مع قصد الشارع ، اذ أنه حين يقوم بذلك يجب أن يلاحظ أنه انما يقوم به بحكم خلافته فى الأرض عن خالقها فى اقامة المصالح بحسب طاقته ، وبقدر وسعه تحقيقا لمقاصد شريعته ، فوجب ألا يحيد عن حدوده وشريعته ، ولا يقصد خلاف ما قصد من اقامة الحق والعدل .

للحديث صلة

حوار حول

زكاة الأموال المستحدثة

معلوم — من الدين بالضرورة — أن الزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة ، ومن المسلم به أن الله عز وجل انما فرض الزكاة على الأغنياء وأصحاب الأموال المختلفة من زرع وضرع ، وصناعة وتجارة ، لحكمة بالغة واضحة ، وهى تحقيق التضامن الاجتماعى ، والتعاون الأخوى بين المسلمين فى المجتمع الواحد : « ان هذه أمتكم أمة واحدة »(١) فتؤخذ الزكاة من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فلا يكون بينهم سائل ولا محروم .

والزكاة — على هذا الاعتبار ركن متين من أركان المجتمع الاسلامى ، وأساس أصيل من أسسه الاقتصادية ، بدونه لا يستقيم حال هذا المجتمع الانسانى ، ولا يستقر عيشه ، ولا تهدأ خواطر أفراده ، ولا يمثلون أمة

للأستاذ : أحمد محمد جمال

واحدة — كما وصفهم القرآن — كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا — كما نعتهم الحديث النبوى .

وليس مثل الحرمان فى جانب ، والترف فى جانب آخر : عامل هدام لبنيان المجتمع الانسانى ، مفرق لشمله ، مورث للحسد والبغضاء وحرب الطبقات بين أعضائه وأبنائه .

هذه مقدمة موجزة عن حكمة تشريع الاسلام للزكاة ، وعن الأثر السيىء لتعطيلها والاحتيال للاعفاء منها .

وحوارنا — هنا — يدور بصفة خاصة حول زكاة الاموال المستحدثة ، ويدور بصفة أخص حول « العقار » من بين هذه الأموال .

ان أصحاب هذه الأموال المستحدثة النامية الرابحة لم يعدموا فقيها أو عالما أو مفتيا جريئا يقول لهم . ان الشركات والمؤسسات الفردية ، التجارية والصناعية والزراعية لا تجب الزكاة فيها الا بمقدار ٥ر٢٪ من صافى الأرباح ، وهى فعلا لا تؤدى زكاة أعمالها التجارية الا بهذا المقدار .

كما لا يعدم المشتغلون بانشاء العقار وشرائه ، وبيعه وتأجيره — من يفتيهم بأن الزكاة لا تجب عليهم فى أرباحهم الطائلة من أثمان عقاراتهم وأجورها .. قياسا على اعفاء الفقهاء القدامى دور السكن وآلة الحداد والنجار ، ودابة الركوب من الزكاة !! أو يفتيهم بأن الزكاة انما تجب عليهم بعد أن يحول الحول على الأجور والأثمان بعد قبضها !

وهذا — فى رأيى — تجاهل ، ولا أقول : جهل ، لأصول تقدير الزكاة وعلة تشريعها ، والكيفية الصحيحة لأخراجها . فالشركات التجارية ذات الأسهم المحدودة ، أو العامة تمثل مقادير أسهمها أو سنداتها « عروض تجارة » وعروض التجارة — كما هو معلوم — تجب الزكاة فيها بمقدار ٥ر٢٪ من قيمة كامل الأسهم — أى مجموع رأس المال — مع الارباح .

وليس فى صافى الأرباح وحده كما أفتى المفتون وقال العلماء العصريون !

ولا شك عندى أن هذا التجاهل لعلة وجوب الزكاة ،وحكمة تشريعها وأصول تقديرها وكيفية اخراجها . — سواء أكان هذا التجاهل من المفتى أم

من المفتى لهم — الى جانب كونه مخالفة صريحة لتعاليم الدين ، وهدما لأحد أركانه .. فهو كذلك :

حرمان لمستحقى الزكاة المقررة شرعا لهم ، وهو بالتالى : اخلال بميزان المجتمع الاقتصادى الذى هو — أى الميزان — يحقق التضامن الاجتماعى بين المسلمين .

وكذلك ملاك العقارات الضخمة الفخمة التى تدر أجورا ، بل كنوزا سنوية من الأجور ، الذين لا يؤدون زكاة عن حصيلة عقاراتهم ظانين أنها لا تجب فيها الزكاة مطلقا ، أو أنها تجب فيها بعد حولان الحول ، ولكنهم يتهربون من تمام الحول بمسارعتهم عند قبضها الى شراء عقار جديد ، أو انشاء لعمارات تجارية جديدة — هؤلاء مثل أولئك مانعون للزكاة الواجبة مطففون فيها ، أو محتالون لامساكها بشتى الحيل .

ان من الواضح الجلى .. الذى لا يخفى على المسلم العامى فضلا عن العالم بأمور دينه ، الخبير بشؤون الاقتصاد والعمل التجارى وصوره العديدة ، ومجالاته المختلفة — ان اقامة الدور والقصور بقصد الكسب ، وتنمية الثروة ، وتحريك رأس المال .. هى تجارة صريحة أصيلة لا شبهة فيها ولا غبار عليها .

شمول الزكاة لكافة الأموال النامية

ومما لا ريب فيه — وهو واقع مشهور وملموس — : ان أموالا نامية جديدة قد استحدثها الناس فى عصرنا الحاضر : و (النماء) أو (التنمية) فى قيام هذه الأموال المستحدثة ، وحركتها بالتجارة بيعا أو كراء : هى علة وجوب الزكاة فيها ، اذ أن الاساس التشريعى فى ايجاب الزكاة فى الاموال عامة . هو عمل أصحابها فى تنميتها بالاتجار فيها ، على مختلف أنواع الاستثمار ، وشتى مجالات الاستغلال .

فاذا توفرت (العلة) صح (الايجاب) ولو لم تعرف هذه الانواع الجديدة من التجارات الحديثة أو الاموال النامية المستحدثة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو زمن الصحابة ، أو حتى عهود الأئمة الاربعة الذين تدور معظم العبادات والمعاملات — فى العالم الاسلامى — على مذاهبهم المعروفة .

فالرسول عليه الصلاة والسلام انما نص على زكاة الأموال الموجودة فعلا فى زمنه : كالابل والبقر والغنم من الحيوانات ، وكالقمح والشعير والتمر والزبيب من الزروع والثمار ، وكالدراهم الفضية من النقود . ومع ذلك لم يتقيد فقهاء التشريع الاسلامى بالنص النبوى فيما تجب فيه الزكاة ، وانما قاسوا على تلك الاموال التى نص عليها الحديث النبوى أموالا أخرى .. رعاية لعلة الايجاب ، وتحقيقا لحكمة الزكاة .

فأما (العلة) فهى كما أسلفنا : « النماء » فى هذه الأموال المستحدثة وأما الحكمة فهى أخذ زكاتها من الأغنياء وردها على الفقراء — كما هو توجيه التشريع الاسلامى للزكاة فى حديث معاذ رضى الله عنه حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليمن .

ولو تقيدنا بالنص النبوى — مع أن الفقهاء الأقدمين لم يتقيدوا به كما سيرد فيما بعد — فى منع الزكاة عن هذه الاموال المستحدثة النامية ،

المتعددة والمتنوعة ، والتى هى أكثر جولانا ودورانا فى العمل التجارى ، وأعظم أرباحا من الأموال القديمة المعروفة ــ لو فعلنا ذلك لعطلنا حكمة الزكاة ، وهى العطف على الفقراء ، واللطف بالمساكين والمحتاجين ، ولحرمناهم من حقوقهم فى أموال الأغنياء ولجعلنا هذه الأموال الكثيرة الوفيرة المتزايدة يوما بعد يوم : « دولة بين الاغنياء » وهو ما حذرنا منه القرآن (٢) .

أما أن الفقهاء الأقدمين لم يتقيدوا بالنص النبوى ، فيتضح ذلك من ايجابهم للزكاة فى الأموال التالية التى لم يرد ذكرها فى النص النبوى :

(١) **الذهب** .. قياسا على الفضة الواردة فى النص النبوى ، لأنهما نقد الناس الذى يكتنزونه ، ويجيزونه أثمانا على ما يتبايعون به قبل الاسلام وبعده ــ كما أشار الى ذلك الامام الشافعى فى رسالته ــ وقد ذكر القاضى الفقيه أبو بكر بن العربى ــ فى شرح الترمذى ــ : انما جاء النص النبوى على زكاة الفضة لأن تجارة عهده انما كانت فيها ، فوقع التنصيص على المعظم ليدل على الباقى ــ وهذا « الباقى » الذى يذكره ابن العربى ينسحب عليه حكم زكاة الفضة سواء أكان ذهبا أم عملة ورقية ، وهى التى يجرى بها التعامل فى عصرنا الحاضر .

(٢) عروض التجارة .. لم يرد بها نص صحيح صريح بوجوب الزكاة فيها ، ومع هذا نقل الاجماع عليها ، ولم يخالف الا الظاهرية الذين يطالبون بالنص فى كل صغير وكبير ، وقد شنع عليهم ابن العربى فى ذلك .

قلت : ان النص القرآنى موجود : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » فعروض التجارة مما يدخل فيه .

(٣) **الخيل** .. أوجب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الزكاة فيها عندما تبين له أن فيها ما يقوم بمال عظيم ، وتبعه فى ذلك الامام أبو حنيفة ما دامت سائمة واتخذت للنماء والاتجار .

(٤) **العسل** .. أوجب الامام أحمد فيه الزكاة لما ورد فيه من الأثر ، وقياسا على الزرع والثمر .

(٥) **المعادن** .. كذلك أوجب الامام احمد فيها الزكاة قياسا على الذهب والفضة ، ولعموم الآية القرآنية . « ومما أخرجنا لكم من الأرض » فالمعادن تخرج من الارض كالزروع والثمار ، ومثلها البترول وكل مشتقاته وقد أصبحت جميعها تجارات ناجحة رابحة .

(٦) **ما يستخرج من البحر** .. من لؤلؤ ومرجان وعنبر وغيرها .

أوجب الزهرى والحسن وأبو يوسف فيها الزكاة (الخمس) قياسا على الركاز والمعادن .

هذا وقد أجاز بعض الفقهاء العصريين (٣) اخراج النقود زكاة للفطر دون الزام بالتمر أو الحنطة أو الشعير ــ كما هو النص النبوى ــ لما لوحظ من أنهم يأخذون هذه الأصناف ثم يبيعونها بأبخس الأثمان على تجارها ، نظرا لشدة حاجتهم الى النقود ليشتروا بها كساء لهم ولأولادهم فى عيد الفطر .

وكما أوجب معظم الفقهاء القدامى الزكاة فى أموال مستحدثة كثيرة لم يذكرها النص النبوى ، فانا نجد ــ كما يقول العلامة الاستاذ المودودى فى كتابه عن « الربا » ــ ان الخلفاء الراشدين وأمراء المؤمنين بعدهم قد فرضوا الجزية على المجوس وعبدة الأصنام ، مع أن القرآن الكريم انما نص على

أخذ الجزية من أهل الكتاب ، ولكنهم داروا مع العلة والحكمة فى تشريعها وأخذوا بالقياس .

وقد أورد الاستاذ محمود أبو السعود ــ فى كتابه « خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى » رأى الامام الشافعى فى شمول الزكاة لغير الأصناف السبعة وهى : « النقدان ، والبر ، والشعير ، والتمر والابل ، والغنم ، والبقر ، والمعدن ، والركاز » وقال الاستاذ أبو السعود : ان الامام الشافعى أدخل أربعين سلعة مدخل المزكيات السبع ، لأنه رأى انتشارها وشيوع استعمالها وحاجة الناس اليها .

قلت : ان الله عز وجل قد أوجب « الزكاة » وترك بابها مفتوحا ، فعلينا أن نتقصى حكمتها ، وأن نتفهم علتها ، وأن نقيم لأنفسنا نظاما يتفق مع أحكامها وأهدافها ، ويساير مقتضيات مصالحنا المرسلة ، فليس من المعقول أن نفرض الزكاة على التمر والشعير ، ونعفى « القطن » مثلا ــ وقد أصبح ثروة تجارية مربحة ، أو نعفى « العقار » كما هو رأى بعض الفقهاء القدامى والمحدثين ــ من الزكاة مع أنه معد للتجارة والاستغلال بيعا وكراء ، وقد اتجه اليه معظم أصحاب ــ رؤوس الاموال لاستثمار أموالهم فى بنائه واقتنائه ، وبيعه وشرائه ، وفى تعميره وتأجيره ، وأصبح يدر على ملاكه مئات الألوف أو عشرات الملايين من الريالات كل حول .

واذن فلا لزوم للتقيد بالنص النبوى فى الأصناف التى أوجب فيها الزكاة ، ولا فى الأصناف التى عينها لزكاة الفطر ، وانما اللازم عقلا والثابت نقلا : أن ندير العلة مع معلولها ، وأن نحقق الحكمة التشريعية

والثابت نقلا : أن ندير العلة مع معلولها، وأن نحقق الحكمة التشريعية للزكاة وهى الموضحة فى حديث معاذ :« تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » .

والآن نصل الى صلب القضية ، وصميم الموضوع ، وهو قول القائلين بمنع الزكاة عن « العمارات » الاستغلالية و « المصانع » التجارية ذات الآلات الضخمة المنتجة انتاجا عظيما مربحا ، وعن مؤسسات الطيران والبواخر والسيارات وأمثالها ــ قياسا على اعفاء قدامى الفقهاء دور السكن ، وآلة الحداد والنجار وشفرة الحلاق ، ودابة الركوب من الزكاة !!

ان هذا القياس الأعوج الأعرج من مانعى الزكاة ــ هؤلاء ــ فى هذه الاموال المستحدثة النامية : انما هو خطأ واضح ، واحتيال فاضح والا فأين الدار الخاصة بسكن صاحبها من العمارات الضخمة ذات الطبقات العديدة التى يربح مالكوها من أجورها كل حول مئات الألوف بل عشرات الملايين من الريالات ؟

وأين من دابة الرجل ، التى تحمله أو تحمل متاعه ، وهو يقوم بعلفها ورعايتها ــ من مؤسسات الطيران والبواخر والسيارات المعدة للتجارة والربح من طريق التأجير ، والتى تدر فعلا أرباحا طائلةحوليا على أصحابها سواء أكانوا أفرادا أم شركات أم مؤسسات حكومية ؟

وأين كير الحداد ، ومنشار النجار ، وشفرة الحلاق وأضرابهم من المحترفين بأيديهم وأبدانهم ــ من الآلات الصناعية الكبيرة التى تدار بالكهرباء وتنتج ملايين الأطنان من السلع التجارية طعاما كانت أو كساء أو مواد وحاجات معيشية أو عمرانية أو اقتصادية أخرى ؟

ومع ذلك فان الفقهاء القدامى قد عللوا اعفاء تلك الآلات البسيطة التى يستخدمها المحترفون الافراد ــ بأنها مشغولة بالحاجة الأصلية ، وليست نامية . . أى أن علة الزكاة فيها مفقودة .

آراء الفقهاء القــدامى
فى زكاة ما أعد للكراء

فى (بدائع الفوائد) للامام ابن القيم رأى للفقيه الحنبلى ابن عقيل : بأن فى العقار المعد للكراء زكاة ، وفى كل سلعة تعد للايجار زكاة قياسا على رأى الامام أحمد بن حنبل فى ايجابه زكاة الحلى المعد للكراء — يقول ابن عقيل : « ثبت من أصلنا ان الحلى لا تجب فيه الزكاة ، فاذا اعد لكــراء وجبت فاذا ثبت أن الاعداد للكراء أنشأ الزكاة من شىء لا تجب فيه الزكاة ، كان الاعداد للكراء فى جميع العروض التى لا تجب فيها الزكاة ينشـــىء ايجاب الزكاة . يوضح ذلك : أن الذهب والفضة عينان تجب الزكـــاة بجنسهما وعينهما ، ثم ان الصياغة والاعداد للباس والزينة والانتفاع غلب على اسقاط الزكاة فى عينه ، ثم جاء الاعداد للكراء ، فغلب على الاستعمال وأنشأ ايجاب الزكاة ، فصار أقوى مما قوى على اسقاط الزكاة ، فأولى أن يوجب الزكاة فى العقار والأوانى والحيوان — التى لا زكاة فيها » .

وهكذا يوجب ابن عقيل — بالقياس طردا وعكسا ، الزكاة فى العقار والآلات والحيوان ، اذا أعدت للتجارة والربح ، وبهذا تنهار حجة القائسين لهذه الأموال النامية على آلة الحداد والنجار والحــلاق ، وعلى المنــزل الخاص بسكن الرجل ودابته الخاصة بركوبه ، التى أعطاها الفقهاء القدامى من الزكاة ، لكونها ليست نامية أخذا بالحديث . « لا زكاة على الرجل فى فرسه وعبده » لأنهما مشغولان بخدمته ، وانتفاعه الشخصى ، لا يتاجر بهما فى بيع ولا تأجير .

ومذهب الامام أحمد فى اسقاط الزكـــاة عن الــذهب والفضـــة اذا صيغتا حليا للاستعمال الخاص ، ثم ايجابها اذا أعد الحلى للايجـــار — صحيح وسليم وحكيم لاستناده على الأصل الأصيل فى وجوب الزكاة وهــو أن الزكاة لا تجب فى مال غير نام أو مشغول بحاجة صاحبه ، انما الزكاة فى الأموال النامية التى تدر على صاحبها ربحا وكسبا .

وكذلك ترى (الهادوية) من الشيعة الزيدية . ايجاب الزكاة فـــى المستغل من كل شىء ، ولأجل الاستغلال ، استنادا الى الآية القرآنيـــة : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » كما جاء فى البحر الزخار .

آراء فى كيفية تزكية العقار

وهناك آراء مختلفات فى كيفية تزكية العقار لبعض الفقهاء القدامى والمحدثين نوجزها فيما يأتى :

(١) روى عن الامام أحمد رحمه الله أنه قال : « من أجر داره فقبض كراءها وبلغ نصابـــا وجبت عليه الزكـــاة اذا استفاده مـــن غيـــر انتظار حـــول » (٤) .

(٢) يرى العلامة الاستاذ محمد أبو زهرة — من الفقهاء العصريين — : أن يزكى العقار فور قبض أجوره دون انتظار حول ، وهو فى هذا يذهب مذهب الامام احمد بن حنبل ، ويحدد نسبة الزكاة بـــ ٥ ٪ أى نصف العشر وهذا نص كلامه (٥) : من المقرر أن غلات العقارات المعدة للاستغلال تجب فيها الزكاة كما تجب فى الارض الزراعية ، وعلى ذلك نقول ان كل ما يحصل

من غلات العمارات المعدة للسكنى أو نحوها تجب فيها الزكاة،واذا انقطعت الغلات أمدا انقطعت الزكاة فى ذلك الأمد . وتتبع الزكاة الأدوار التى تحصل بها غلات تلك العقارات وما يشبهها ، فاذا كانت الغلات تؤخذ كل شهر وجبت الزكاة كل شهر ، وان كانت تحصل كل عام وجبت كل عام .

ويؤخذ نصف عشره ــ وكذلك أدوات الصناعة تجب فيها الزكاة . وتكون من قبيل الاموال الثابتة ، فتجب الزكاة فى ثمراتها ، وقد قدرناها بنصف العشر أسوة بما قرره النبى صلى الله عليه وسلم فى الزرع .

(٣) أما العقار المعد للبيع والشراء ، فيرى بعض العلماء أن يعامل معاملة عروض التجارة ، أى تجب الزكاة فى رأس المال والربح معا بنسبة ٥ر٢ ٪ (ربع العشر) وذلك أن مالكه يعده للبيع يبنى الدور والعمارات الكبيرة ، ويعرضها للتجارة بيعا لاكراء ، وكلما باع دارا بنى أو اشترى غيرها بقصد التكسب وأعدها للبيع ، وهكذا دواليك .

قلت توضيحا لما سبق ــ : ان فتوى العلامة أبى زهرة ــ فى نظرى ــ هى الصواب بالنسبة للعمارات المعدة للاجارة ، فانها تعامل معاملة الارض المزروعة ، فى دوراتها الزراعية ، أى كلما أنتجت تعطى زكاتها يوم حصادها ، فكذلك العقار المعد للايجار كلما أخذت أجرته شهريا أو سنويا أعطيت زكاته بالمقدار المذكور من فورها دون انتظار لحولان الحول ــ ذلك بأن الملاك لا يحتفظون بالنقود لديهم ، بل انهم يسارعون الى بناء عمارات أخرى أو شرائها بقصد التكسب من تأجيرها .

وهكذا كلما قبضوا أجورا أنفقوها فى بناء أو شراء جديدين ، ويجدون فى ذلك مندوحة للهرب من الزكاة ، وبالتالى يفتقد الفقراء والمساكين والمحتاجون حقوقهم المشروعة فى أموال الأغنياء .

وبعد فانا نعود فنؤكد ما ذكرناه ــ فى صدر هذا البحث ــ من أن « الزكاة » ، ركن متين من أركان المجتمع الاسلامى ، وأساس أصيل من أسسه الاقتصادية ، وقد أثنى على تشريعها فى الاسلام حتى الذين لا يؤمنون به ، ممن درسوا ديانته وحضارته ، وبحثوا فى تأريخه وتشريعه أمثال « توماس كارليل » الذى قال ــ فى كتابه « الأبطال » الذى دافع فيه عن نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام رسالة وخلقا وجهادا ــ : « فى الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال ، وهى التسوية بين الناس ، فالناس فى الاسلام سواء ــ والاسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها فرضا حتما على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، ثم يقدرها بالنسبة لثروة الرجل فتكون جزءا من أربعين من الثروة ، تعطى للفقراء والمساكين والمنكوبين ــ جميل والله كل هذا ، وما هو الا صوت الانسانية صوت الرحمة والاخاء والمساواة .

---

(١) ٩٢ من سورة الانبياء .

(٢) ٧/ من سورة الحشر .

(٣) من هؤلاء الفقيه السورى مصطفى الزرقا ، والفقيه المصرى محمد أبو زهرة .

(٤) نقلناه عن بحث فى زكاة الاموال المستفادة للأستاذ يوسف القرضاوى نشرته مجلة حضارة الاسلام الدمشقية .

(٥) عن حضارة الاسلام أيضا .

فلينظر الإنسان مم خلق

محمد فؤاد

(٤)

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور : محمد سلام مدكور

مراحل التخلق :

بينا فى المقالات السابقة الصلة الوثيقة بين الانسان والأرض ، وتنوع الآيات التى أشارت الى خلق الانسان ، وقدرة الله على خلق الانسان على غير نظام التطوير المألوف ، كما تكلمنا عن حقيقة النطفة ورحلتها الى القرار المكين ومدة هذه الرحلة ، والتوفيق بين ما جاء بالحديث وما أثبته الطب الحديث ، وأشرنا الى بعض الأحكام المتعلقة بالنطفة ونتكلم هنا عن التخلق بادئين بمرحلة **العلوق** .

. . .

يقول الله سبحانه : « ثم خلقنا النطفة علقة » ، واذا نظرنا فى النظم القرآنى الكريم نجده عبر فى ايجاد العلقة بما لم يعبر به فى ايجاد النطفة اذ يقول جل شأنه بالنسبة للنطفة « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » بينما عبر هنا بالنسبة للعلقة بالخلق. وما ذلك الا لأن فى هذه المرحلة يظهر أول تطور واقعى فى الانسان فالنطفة فى رحلة العلوق بجدار الرحم تدخل فى مرحلة مغايرة تماما للمرحلة التى كانت عليها ولذلك استحقت أن توصف بوصف الخلق .

من أجل ذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى امتن علينا بهذا الطور دون سابقه فى أول آيات القرآن نزولا اذ يقول جل شأنه « اقرأ باسم ربك

الذى خلق . خلق الانسان من علق ..» وما دام العلوق هو أول مراحل التخلق المعتبرة على ما أشعرت به الآية الكريمة ، فان هناك مرحلة أخرى يكون فيها تخليق وتصوير . به تظهر الأعضاء والأجهزة ، وهى مرحلة المضغة . اذ يقول الله سبحانه : « فخلقنا العلقة مضغة » ويقول فى آية أخرى فى سورة الحج « ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة .. » وسنبدأ بالكلام عن مرحلة العلوق لأنها الأسبق فنبين معنى (العلقة) الواردة فى النص القرآنى الكريم . وما تتركب منه ، وبدء ذلك الطور ومدته ، وقد يجدر بنا أن نشير الى ما يتعلق بها من الأحكام الفقهية .

١ ــ معنى العلقة وتركيبها :

جاء فى كتب اللغة . علقت المرأة وكل أنثى بالولد حبلت ، وعلق الشوك بالثوب تشبث به ، واستمسك ، فمعنى العلقة يؤدى الى الارتباط بالشىء والتشبث به .

وأكثر المفسرين يفسر العلقة بالنطفة الجامدة من الدم (١) استنادا الى ما ورد فى بعض تفسيراتها اللغوية . لكن الذى يترجح عندى فى تفسير هذا الطور على ضوء دراستى للموضوع دراسة تقارنية . أنه تلك النطفة منذ يبتدىء تعلقها بجدار الرحم وتشبثها به . وانما رجحنا ذلك لأنه بدء ذلك الطور من الناحية العملية وهو الذى يتفق مع التحليل العلمى ويتمشى مع تفسيرات اللغة التى عرضنا . فهى اذن مجموعة الخلايا التى اتخذت لنفسها شكل التوتة والتى يطلق عليها العلم الحديث (الجرثومة التوتية) والتى قلنا انها ناتجة من البويضة الملقحة عندما تصل الى جدار الرحم وتلتصق به . فهى بعد أن كانت حرة الحركة فى فراغ الرحم فانها تعلقت بجدار الرحم وتشبثت به لتغوص فيه وتتغذى عن طريقه . وهى فى هذه المرحلة وحتى قرب نهاية الايام الاخيرة منها لا تحوى خلايا دموية على الاطلاق ، وان كانت فى الأيام الأخيرة لها تبدأ ظهور الجزر الدموية بها ، كما يؤكد العلماء المتخصصون فى علم الأجنة .

فالعلقة تتركب من خلايا نشأت بطريق الانقسام عن البويضة الملقحة التى تمثل الخلية الانسانية الأولى . وهى تتركب من نواه « وسيتوبلازم » بصفة أساسية بخلاف الدم ، وما قاله المفسرون ليس هو الشريعة الاسلامية بذاتها ، وانما هومجرد فهم واستنباط لهؤلاء العلماء يتفق مع الفهم العلمى المعاصر لهم ، واذا كان الفهم الذى ذهبوا اليه لا يصور الواقع فانه لا يقلل من دقة النص القرآنى الكريم لأن ما قالوه مجرد تفسير ممن يجوز عليهم الخطأ فى الفهم والتصور . على أن هذا الخطأ لا يقلل من شأن هؤلاء الأئمة المفسرين بوصفهم علماء شريعة لأن هذا الخطأ ــ ان صح هذا التعبير ــ لا يتعلق بحكم شرعى من أى نوع ، كما أنه أمر خفى لم تعرف حقيقته الا فى عصر التحليل والتجارب العلمية ، بل وعذرهم فيما ذهبوا اليه واضح لأن عدتهم فى ذلك الفهم ما ورد فى كتب اللغة مما يفيد ذلك .

٢ ــ بدء ذلك الطور ومدته :

هذه المرحلة تقضى فيها تلك العلقة مدة يقدرها الطب بنحو أسبوعين ، ولا تعارض أيضا بين هذا القول وبين حديث الصحيحين « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون

فى ذلك مضغة مثل ذلك .. » على ما ذكرنا فى المقال السابق اذ لا معنى لقيد « فى ذلك » الا ما تفيده دلالة اللفظ وهى أن طور العلقة يكون فى أثناء المدة الأولى ، وتكون كلمة ثم للترتيب الذكرى لا للترتيب الخارجى . فمرحلة العلقة متداخلة فى نفس المدة الأولى ــ مدة النطفة ، ومدة المضغة متداخلة فى نفس مدة العلقة . وبذا يمكن التوفيق بين ما جاء فى الحديث على هذه الرواية وما ذهب اليه الطب الحديث من أن مرحلة العلقة تبدأ من اليوم الثامن من وقت التلقيح ، وما ذهبنا اليه من تفسير العلقة بأنها ما يعلق بجدار الرحم فتكون مرحلة المضغة من مراحل العلوق أيضا لأنها تكون عالقة بجدار الرحم أيضا .

٣ ــ ما يتعلق بالعلقة من أحكام شرعية :

بين الفقهاء الحكم الشرعى بالنسبة للعلقة اذا ما حدث سقط فخرجت من الرحم ، كما تناولوا حكمها من ناحية الطهارة والنجاسة ، وسنتكلم أولا عن الاسقاط وحكمه الأخروى والدنيوى ، ثم نتبع ذلك بالكلام عن حكم طهارة ذلك السقط أو نجاسته :

أ ــ حكم الاسقاط :

تعبر بعض كتب الفقه بالاجهاض بدل الاسقاط ، وجاء فى المصباح أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الخلق . وللفقهاء كلام كثير فى موضوع الاجهاض وتفصيل بين ما اذا كان بعد الشهر الرابع أو قبله مما نرجىء الكلام عنه تفصيلا الى ما بعد الانتهاء من التحدث عن مراحل التخلق ، وعند الكلام عن الاحكام التى تتعلق بالجنين وترتبط به ، ولكننا هنا نشير الى خلاصة ما قاله الفقهاء فى اسقاط العلقة بعد استقرارها وتشبثها بالرحم فنقول : انه نقل عن فقهاء الحنفية القول بأنه يباح للمرأة اسقاط الولد قبل أربعة أشهر ولو بلا اذن الزوج ، ونقل ابن عابدين الفقيه الحنفى عن بعض فقهاء الحنفية عدم الحل الا لعذر كانقطاع لبن المرأة بعد ظهور الحمل وكشعورها بالهزال والضعف عن تحمل أعباء الحمل ، وكون الوضع بالنسبة لها يتم من غير طريقه الطبيعى وقد تكرر لها ذلك . وما نقله ابن عابدين هو عندى أشبه بالفقه وأدق فى النظر وهو ما نتجه اليه ، ولعل من قال منهم بالاباحة ، انما يقصد حالة العذر ، وهذا هو ما علق به ابن وهبان على ذلك القول (٢) :

وقد كان المالكية أكثر تشددا فى الجملة من الحنفية فى هذا اذ منعوا الاجهاض من بعد العلوق ولو قبل الأربعين يوما على ما هو المعتمد فى المذهب (٣) ، اذ جاء فى شرح الدردير : « لا يجوز اخراج المنى المتكون فى الرحم ، ولو قبل الأربعين يوما » ويقول القرطبى : « ان النطفة لا يتعلق بها حكم اذا ألقتها المرأة قبل أن تستقر فى الرحم » وهذا واضح فى أن العلقة لا يحل اسقاطها .

والمتجه عند الشافعية (٤) أنه بعد الاستقرار فى الرحم والأخذ فى مبادىء التخلق الحرمة ، وان كان يتجه بعضهم الى جواز الاسقاط فى فترتى النطفة والعلقة ، ويصرح الزيدية (٥) بأنه يجوز القاء النطفة والعلقة وكلام الحنابلة والشيعة الجعفرية فى هذا عام ويشعر بالحرمة .

وتكاد المذاهب الفقهية أن تكون متفقة فى الجملة على وجوب (الغرة)

بمثابة تعويض على الاسقاط ، ولا يبرز الاختـــلاف بينهم الا فى القدر الواجب فالمـالكية يرون أنـــه يجب بالقـــاء الجنين وان كـــان علقة عشر ما يجب فى أمه بينما يفصل الزيدية والشيعة الجعفرية على ما سنبينه تفصيلا فى موضعه بعد .

ويعنينا هنـــا قبل أن نترك هذه الجزئية ان نشـــير الى أن القانون الجنائى المصرى يحرم الاجهاض فى جميع مراحله ويعاقب عليه حتى لو كان ذلك باذنها ورضائها ، كما ينبغى أن نشير الى أن هذا الحكم لا يسرى على العزل واتخاذ الوسائل المانعة للحمل مؤقتا يقول الامـــام الغزالى مـــا حاصـــله : ان العـــزل ليس كالاستجهاض والوأد .. ويقول ابن حجر « وفرق بين ذلك وبين العزل بأن المنى حال نزوله لم يتهيأ للحيـــاة بوجه بخلافـــه بعد اســـتقراره فى الـــرحـــم وأخـــذه فى مبـــادىء التخلق .. » وواضح أن الاستقرار فى الرحم لا يكون من وقت العلوق .

ب ـ طهارة العلقة ونجاستها :

ينقـــل ابن قدامـــة الحنبلى (٦) روايتين :

الاولى : أنها طاهرة كالمنى لأنهـــا بدء خلق آدمى .

الثانية : أنها نجسة .

قال : وهو الصحيح لأنها دم ولم يرد من الشرع فيها طهارة ، وقياسها على المنى ممتنع لكونها دما خارجا من الفرج « وينقل ابن عابدين الحنفى : أن العلقة نجسة كالمنى » . واذا كان ابن قدامة الحنبلى يقيسها على المنى فى الطهارة فذلك لأن مذهبهم الحكم بطهارة المنى لأمر الرسول السيدة عائشة بفركه ، واذا كان الحنفية قد قاسوها على المنى فحكموا بنجاستها فذلك بنـــاء على مذهبهم من القول بنجاسة المنى لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بغسله اذا كان رطبا وان كـــان رخص فى فركه ان كان يابسا رفعا للحرج ، وتخفيفا على الناس .

وبعد فقد التمس من القـــارىء العذر أنى خرجت عن موضوع النظر والتأمل فى خلقه ليطمئن الى صدق عقيدته من أن الله حق وأن محمدا صلوات الله عليه رسول اصطفاه الله وصنعه لتبليغ رسالة ربه ، ثم ينتهى الى أن الله على رجعه لقادر فيحسن صـــنعه فى الدنيا ويعمل لآخرته كـــأنه يموت غدا . التمس عذرا من القـــارىء اذ تغلب على صناعتى فاســـتطرد لبيان الأحكـــام الشرعية واسترسل فى بيانها بعض الشىء ، وقد تتحقق بهذا فائدة أخرى للقارىء فيتعرف الأحكام التى تتعلق بالجنين وهى مبعثرة فى كتب الفقه مع تعددها ، واختلاف المذاهب فيها بعثرة قد لا تســـمح لغير المتوفرين على دراســـة الفقه بـــالاهتداء الى معرفتها .

المضغة وتكوين الجسم :

المضغة مقدار ما يمضغ والمراد هنا القطعة بمقدار ما يمضغ .. وهذه المرحلة هى مرحلة التجميع التى يشير اليها قوله عليه السلام .. « يجمع أحدكم فى بطن أمه .. » الحـــديث فانظر كيف نحا فيـــه منحى التجميع الذى يكون مع وجود مـــادة النطفة مما يشعر بتداخل الأطوار ـــ وهنا تبدأ مرحلة التصوير والتخليق وهو معنى قول الله سبحانه على ما فهمه كثير من أئمة السلف « ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة » وان كان بعض المفسرين يفهم أن المراد بالتخليق هنا نزول المولود من الرحم كاملا لا نقص

فيه ، وأن عدم التخلق نزوله ناقصا بعض الأجزاء .

ويذهب البعض الى أن غير المخلق هو السقط الذى لم يتكامل انسانا ولفظة المخلق يراد منها من تكامل وولد حيا .

فهذه المرحلة اذا هى التى يقع فيها التخليق بتقسيم أجزاء تلك المضغة وقد يمتد ذلك التخلق حتى الأطوار التى ما بعد هذا الطور فالجنين ـ كما يقرر الطب والتشريح فى نهاية الشهر الأول وهو مضغة تظهر فيه أربعة براعم تمثل الأطراف ، وفى الشهر الثانى تتميز اليدان والأصابع وتظهر الأذن الخارجية وتنفصل فتحة الفم عن الأنف ، وفى الشهر الثالث يظهر جفنا العين ملتحمين وتظهر أعضاء التناسل الخارجية وان كان لا يمكن تميزها ، وفى الشهر الرابع يبدأ ظهور الشعر والأظافر وتتضح الأعضاء التناسلية ، وفى الشهر الخامس ينفصل جفنا العينين وتظهر الطبقة الدهنية على سطح الجلد ، وفى الشهر السادس تظهر أهداب الجفنين وشعر الحاجبين مع تقبض الجلد وتلونه بالحمرة ، وفى الشهر السابع يبدأ ظهور طبقة دهنية تحت الجلد ، وفى الشهر الثامن ينبسط الجلد فيذهب تجعده ويصير لونه ورديا لامعا وتصل الأظافر الى أصابع اليدين ، وفى الشهر التاسع يتم تخليق بقية الأجزاء بحكم الله ودقة صنعه وهو الذى أتقن كل شىء فأحسن صوره .

ففى الشهور الأولى من الحمل تكون الرأس عبارة عن كتلة صغيرة منبعجة تحمل على جانبيها بروزين جاحظين هما العينان وفى أسفلهما يمتد شق مستطيل هو الفم وفى مقدمتهما ثقبان هما المنخران ، ثم فى الشهور الأخيرة تتشكل هذه الكتلة وتتجدد معالمها وتنسق أبعادها .

هذا ما قاله الطب عن مراحل التخلق فى المضغة وهو ما أجمله القرآن الكريم فى قوله سبحانه فى سورة المؤمنين .. « فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما .. » .

ولعل أهم ما يحدث للمضغة من تخليق هو تكوين وعاء القلب من مجموعة الخلايا الدموية الصغيرة . وهذا بدء تكوين القلب الذى يأخذ بعد ذلك فى التطور الى أن يصبح قلبا حقيقيا . كما أنه من أهم ما يحدث فى المضغة من تخلق هو نشوء الأعضاء التناسلية . وتنشأ هذه الأعضاء من نقطة فى ظهر الجنين حتى اذا اكتمل نموه انحدرت الأعضاء التناسلية الى موضعها الخارجى من الجسم ، هذا ما يقوله المتخصصون فى علم الأجنة ويتضح من هذا أن ذرية الانسان من الظهر مصداقا لقول الله تعالى فى سورة الأعراف : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » كما يتضح أيضا أن الأغشية الثلاثة التى تحيط بالجنين دقيقة لا يمكن أن تظهر الا بالتشريح ولعلها هى التى حدثنا عنها القرآن وسماها ظلمات ثلاث فى قوله جل شأنه فى سورة الزمر « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك .. »

وأما قول الله سبحانه « فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » ففيه اشارة لطيفة الى أن اللحم ساتر لتلك العظام وأنه مع ما يؤديه من وظائف مجمل لها ومحسن لصورة الانسان عليها . أنظر الى هيكل عظمى مجرد من اللحم لترى ما فيه من بشاعة وازعاج ولا سيما اذا فوجئت به أو نظر اليه من لا عهد له بشأنه . ولقد قال علماء التشريح : ان طور خلق

العظام وكسوتها لحما مشترك فى التكوين والتخلق .

فالله سبحانه جعل تكوين العظام واللحم مرتبطين ببعضهما مع بعض وهذا لا ينافى التعبير القرآنى الوارد فى قول الله تعالى : « فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » لأن الفاء كما أنها موضوعة فى لغة العرب لافادة التعقيب فهى موضوعة أيضا لبيان التفصيل وان لم يكن هناك ترتيب ولا تعقيب فى الدلالة ونظير هذا ما قاله بعض المفسرين فى قوله تعالى : « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » ، فان القتل غير متأخر عن التوبة وانما هو شيء ملابس لها ومختلط بها . ومن ذلك قوله تعالى : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم » فليس هناك ترتيب ولا تعقيب بين الانتقام والاغراق وانما وقع الاغراق تفسيرا للانتقام .

هذا وقد تعرض علماء التشريح لبيان تفصيل دقيق طويل للمرحلة التى يتكون فيها كل من العظم واللحم ، كما تناولوا سائر أعضاء جسم الانسان وأجهزته بالبيان والتفصيل من تطور نمو الجنين والأجهزة التى يحتوى عليها جسمه من الجهاز القلبى الوعائى ، والجهاز التنفسى ، وجهاز الاغتذاء الذى يشمل الفم والمرىء والمعدة والأمعاء الدقيقة ، والجهاز البولى ، وجهاز الافراز الداخلى ، والجهاز العصبى وما يؤديه الكبد من وظائف ، والهيكل العضلى ، وتوارث الصفات وتكون التوأم الى غير ذلك مما يتعلق بأطوار تكوين الجنين ومما لا يتسع له المقام هنا وان كنا قد بينا ذلك فى كتابنا « الجنين والاحكام المتعلقة به فى الفقه الاسلامى » ولكنا نسوق هنا شيئا مما قاله ابن القيم أثناء تصويره لبدائع صنع الله فى خلقه مما يدل على وحدانيته وصفات كماله . يقول : « وقد ندب الله سبحانه الى التفكر فى آياته والنظر فى آياتكثيرة أوردها . . ثم قال : فانظر الى النطفة بعين البصيرة وهى قطرة من ماء مهين وجعلها فى مكان مكين لا يناله هواء يفسده ولا برد يجمده ولا عارض يصل اليه . وأنظر كيف قسم ذلك الشيء الواحد الذى هو المضغة الى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار ثم ربط بعضها ببعض أقوى رباط ، وكيف كساها لحما ركبه عليها وجعله وعاء وغشاء وحافظا لها ، وأنظر كيف صور أجزاء الجسم فأحسن صورها » . .

وأطال ابن القيم فى هذا التصوير بما يدل على أن علماء الاسلام اتجهوا الى أن من صميم دينهم أن يأخذوا من كل تفكير وصل اليه مستوى العلم الى زمنهم ما يزيد المؤمن ايمانا ويعينه على تصور الكتاب الكريم وتفهم آيات الله فى الآفاق والأنفس مصداقا لقوله سبحانه « وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون » فالآية الأولى توجه الى النظر فى الآيات الكونية ، والآية الثانية توجه الى النظر فى الآيات النفسية ، وكل من الآيتين تنتهى بالناظر المتأمل الى الايمان الكامل .

القرآن ليس بكتاب طب ولا فلك ، وانما جاء بالموعظة الحسنة والأحكام العامة التى تمكن الناس من حياة رغدة ، وكذلك السنة ما كان من شأنها أن تكون طبا وفلكا تتصدى لبيان التفاصيل والجزئيات فى الفلك والطب ونحو ذلك وانما جاءت مبينة ومفسرة لمقصود القرآن الأول ، ولا شك أن مقصوده الأول هداية الناس وموعظتهم ووضع أسس الأحكام التى تنظم لهم حياتهم فى المجتمع الانسانى . وحينما يتعرض الكتاب أو السنة الى الآيات الكونية أو الآيات

النفسية انما يلمسها بالقدر الذى يفتح به الأذهان الى عظمة الخالق وقدرته والايمان به والخضوع والانقياد الى دعوته وحكمه .

وحسبهما من السمو والنبل ورفعة المستوى فى هذه النواحى تسجيل الصدق فى كل ما أورده منها لمناسبة دعت الى ذلك .

وأما حقائق تلك العلوم مما يسعى اليها العلماء ببحوثهم وينتهون اليها بتجاربهم وملاحظاتهم جيلا بعد جيل . فانها ليست هدفا للكتاب والسنة وانما هى مما علمه الله للانسان بالاعداد والتوجيه وصدق الله « علم الانسان ما لم يعلم . » .. وحقا « وفوق كل ذى علم عليم » وها هو التقدم العلمى السريع وتطوره يزيدنا ايمانا بقول الله : « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

هذا والذى يبين من الاستعمالات القرآنية أن الانسان ليس جسما فقط وانما هو روح وجسد واذ كنا تكلمنا عن تطور الجسد فان الروح كما يقول الله سبحانه « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » والظاهر أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدار البدن الانسانى ومبدأ حياته لأن ذلك من أول الأمور التى لا يمكن لأحد انكارها ويشرئب كل الى معرفتها وتتوافر دواعى العقلاء اليها وتكل الاذهان عنها .

ويقول الامام الرازى ان الروح حادثة حصلت بفعل الله وتكوينه وايجاده والأرواح فى مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها ذلك فهى لا تزال تكون فى التغير والتبديل وكلاهما من أمارات الحدوث .

ويبدو أن فى الانسان روحين روح حيوانية يكون بها الحس والحركة ، وهذا هو القدر المشترك بين الانسان وبين الحيوان وهو معنى ينفصل عن الانسان بموته كما ينفصل روح الحيوان عنه بالموت ، وروح انسانية يتميز الانسان بها عن غيره .

يقول العز بن عبد السلام الفقيه الشافعى : ان الأجساد مساكن الارواح ولا شرف بالمساكن وانما العبرة بالساكن ثم يقول واعلم ان فى كل جسد روحين روح اليقظة ، وهى الروح التى أجرى الله العادة أنها اذا كانت فى الجسد كان الانسان مستيقظا واذا خرجت نام .. وروح الحياة وهى التى أجرى الله العادة أنها اذا كانت فى الجسد كان حيا ، فاذا فارقته مات الجسد فاذا رجعت اليه كان حيا .. وهاتان الروحان لا يعرف مقرهما الا من أطلعه الله على ذلك ..

ويقول الامام الغزالى عن الروح الحيوانية « انه جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى وانه ينتشر بواسطة العروق وأن جريانه فى البدن يضاهى فيضان النور من السراج فى زوايا البيت » ، ويبدو أن هذا لا يختلف فى الجملة مع الطب الحديث فهم يقرون أن التأكد من موت الانسان بوقف حركة القلب كما يقولون ان القلب هو الذى يمد الجسم بالدم

الذى به تكون الحركة وقيام جميع الاعضاء بوظائفها المطلوبة ولا شك أن هذا القدر لا يفيد الوقوف على حقيقة الروح وكنهها ومعرفة سر الحياة وانما هو تصوير لمنبع حركتها فى الجسم وطريق انتشارها .

ولقد نقل بعض الكاتبين ان الباحثين فى المسائل النفسية فى أمريكا وأوروبا توصلوا بمباحثهم الى أن فى الجسم الانسانى روحا من طبيعة علوية وان هذه الروح المستقلة عنه تتصل به وقت تكوينه وتغادره عند موته ، وان الروح وان كانت أمرا إلهيا لا يدرك كنهه أحد فان لها جسدا أثيريا على صورة جسم صاحبها وهى غاية فى اللطافة ..

ولعل قول الله سبحانه «ثم انشأناه خلقا آخر » تشير كما يقول كثير من المفسرين الى خلق الروح ولا مانع عندى أن تكون الآية تشير الىكل من الروحين الانسانى والحيوانى فان الجنين له طور فيه يتحرك ويحس كما يتحرك الحيوان ويحس وهذا هو أثر الروح الحيوانى .

وأما الروح الانسانى فانه يبدأ فيه بالقوة لا بالفعل وبما خلق الله فيه من التهيؤ لكسب المعلومات ونمو الادراكات ، وبعد فهذا الجنين الذى يصل فى طوله بعد ولادته ونموه الى قرابة المترين وفى وزنه الى قرابة المائة كيلو والذى له عينان ولسان وشفتان وجوارح متعددة واجهزة مختلفة وعقل مفكر مدبر والذى يطغى ويتجبر ويمشى فى الارض مرحا يظن أنه يخرق الارض او يبلغ الجبال طولا ... خلق من ماء مهين وصدق الله « لقد خلقنا الانسان فى كبد » أى فى مكابد ومشقة وجهد وكد وكفاح وكدح . وصدق سبحانه اذ يقول « يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » .

« خلق الانسان من علق » فالعلقة التى هى مبدأ التكوين الجنينى لا تستقر فى الرحم حتى تبدأ فى الكدح والكد لتوفر لنفسها بأذن الله وتوجيهه الظروف الملائمة للحياة والغذاء وما تزال كذلك فى أطوارها المتلاحقة حتى تنتهى الى الخروج من مكان ضيق الى الحياة الدنيا فتتنفس الهواء وتجد فى كل حركة بعد ذلك كبدا . ومع هذا فان الانسان يحسب ان لن يقدر عليه أحد ، ونسى كيف خلق من علق ، وكيف تميزت هذه العلقة الى خلايا بالأعصاب والعظام والعضلات وغيرها .

وبعد ذلك هل يشك أحد فى الله وفى أن محمدا رسول الله . أيشك أحد فى البعث والحساب وان الله سبحانه قادر على أن يعيده الى حياة أخرى بقدرته سبحانه التى اوجدت الانسان فى الحياة الاولى . وصدق الله « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه . » ..

وأن بسط القول فى ذلك لا نهاية له وحسبنا أن نشير الى قول الله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير .

وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور » ويقول جل شأنه « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ففيم يختلف الناس من أمر هذا الخالق كيف يتنكر عاقل للقائه . ليغالطوا عن الحقائق أنفسهم فيعيشوا فى الدنيا كما تعيش الأنعام ويرخوا لأنفسهم حبل الأمل فى حياتهم !! « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون » ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم » .

والواجب على كل من له عقل أو قدر من العقل أن ينتهى الى أن الله حق ، ورسالة محمد صلوات الله عليه حق ، والبعث حق ، وان الواجب علينا أن نعد أنفسنا للقاء الآخرة ونحن مزودون بالعمل الصالح وملتزمون حدود الله . « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » .

وأن خير ما نختتم به حلقات هذا الموضوع « فلينظر الانسان مم خلق » .. هو دعاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى كان يردده دائما « اللهم أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت . فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت » .



---

(١) راجع فى هذا « الجامع لاحكام القرآن للقرطبى » جـ ١٢ ص ٦ طبع دار الكتب المصرية ، والتفسير الكبير للرازى طبع المطبعة المصرية جـ ٢٣ ص ٨٤ ، وروح المعانى للامام الالوسى جـ ١٨ ص ١٣ .

(٢) راجع حاشية ابن عابدين جـ٣ص ٤١١ .

(٣) الشرح الكبير جـ ٢ ص ٨ .

(٤) نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٤١٦ .

(٥) البحر الزخار جـ ٣ ص ٨١ .

(٦) المغنى جـ ٢ ص ٤٤ .

مونتكومري

— ١ —

المشير مونتكومرى قائد بريطانى ، من أبرز قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) . وقد لمع اسمه لأول مرة بعد انتصاره على جيوش المحور فى معركة (العلمين) سنة ١٩٤٢ ، فأصبح معروفا فى العالم كلــه .

بدأ حياته العسكرية العلمية برتبة ملازم فى الحرب العالمية الأولى « ١٩١٤ — ١٩١٨ » ، وتدرج فى الرتب العسكريــة ، وتولى المناصــب القيادية ومناصب الاركان ، وأصبح معلما فى كلية الاركان البريطانية فى « كامبرلى » وهو منصب تعليمى تربوى مرموق .

وفى أواخر الحرب العالمية الثانية أصبح قائد مجموعة جيوش مؤلفة من مختلف الأسلحة ، وكان تعدادها يناهز المليونين من الجنود وضبــاط الصف والضباط والمراتب الأخرى .

وبعد الحرب العالمية الثانية تسنم منصب رئيس هيئة أركان الحرب فى بريطانيا ، ثم تسنم منصب نائب القائد الاعلى لحلف الاطلسى .

وأخيرا أصبح عضوا فى مجلس اللوردات البريطانى ، اذ منح لقب : « لورد العلمين » ، فتفرغ لواجبه فى هذا المجلس ، وعكف على التأليف ، وأصبحت هوايته توجيه الشباب ورعايتهم .

وقد أمضى فى الخدمة العسكرية نحو خمسين سنة ، ربى خلالهــا ما لا يعد ولا يحصى من العسكريين معلما ومدربا ومثقفا ومحاضرا وقائدا .

وقد سجل فى آخر مؤلفاته : « السبيل الى القيادة » عصارة تجاربه فى تربية الأطفال وتوجيه الشباب . وهو يرعى فى الوقت الحاضر جماعة من الشباب ، ويجد لذة ومتعة فى توجيههم ، ويرى فى ذلك خدمة لوطنــه وتطبيقا لمبادئه التربوية .

وسأذكر ما أورده فى كتابه عن التربية ، لعل فيها فائدة للذيــن لا يرضخون الا لآراء الغربيين ، والذين لا تطربهم مغنية الحى ، وتشفى عيونهم

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

وآراؤه التربويّة ..

رجال الغرب ، وتدميها ورود بلدهم ، ويستسلمون للأجنبي ولا يسالمون العربي أو المسلم ، بهرتهم حضارة الغرب لأنهم يجهلون حضارة أمتهم واستحوذ عليهم الاستعمار الفكري البغيض .

الى هؤلاء أسوق آراء مونتكومري التربوية ، تلك الآراء التي لو سمعوها من عربي مسلم لكالوا له التهم جزافا ولرموه بالتخلف والرجعية !!

ترى ! ماذا سيقول هؤلاء عن آراء مونتكومري التربوية ؟

— ٢ —

عقد مونتكومري في كتابه : « السبيل الى القيادة » بابا كاملا هو الباب الحادي عشر بعنوان : « قيادة الشبيبة » استغرق نحو ثلاثين صفحة من كتابه ولا أرى مسوغا لعرض آرائه التربية كافة ، لأنني لا أريد أن أطيل فأثقل على القارىء ، ولكنني سأعرض مختصر آرائه لاعطاء فكرة كاملة عنها ، وهذا يقتضيني أن أكثف تلك الآراء بعيدا عن الايجاز المخل والاطناب الممل .

ويذكر مونتكومري أن أولاد أمته لا نقص فيهم من حيث المادة أو النوع ، ولكن الخطأ في أسلوب تربيتهم ، مما ادى الى أن يصبحوا دون المستوى المطلوب ، وهذا خطأ المربين لا خطأ الشباب .

ثم قال : « انني غير راض عن شباب اليوم (١) » .

ويمتدح بنات جيله فيقول : « ان البنات لم يكن يسمح لهن بالخروج من البيت وحدهن والذهاب مع الأولاد الى المراقص وغيرها » (٢) ، وبذلك ينتقد مر النقد ما يراه من ترك الأبوين بناتهم يسرحن ويمرحن كما يشأن دون رقيب أو حسيب .

ويقول عن تربية الأطفال وتنشئتهم ليكونوا عناصر مفيدة للمجتمع : « **ان ولد اليوم** ، وهو رجل المستقبل ، يجب أن يكون الغرض من تربيته بناء سجيته ، ليتسنى له عندما يحين الوقت المناسب ، ان يؤثر في الآخرين الى ما فيه الخير . وهناك أمر يجب الا نخطىء فيه ، وهو أن أسس

(السجية) يجب أن توضع فى البيت ، بل أن التربية الأساسية يجب أن تبدأ هناك ، فهذه التربية هى التى تؤثر فى الولد ، وتوجهه طيلة حياته ، أما الى الخير أو الى الشر . وعلى أسس الخير القويمة التى تبنى فى البيت ، سيبنى المعلم سجية الولد عندما يأتى الى المدرسة ، فان لم تكن تلك السجيه قد أقيمت فى البيت ، فلا يستطيع المعلم أو أى شخص آخر أن يفعل شيئا فى هذا الصدد اننا نسمع اليوم الكثير عن : (آثام الاحداث) التى لا شك أن السبب الرئيسى لأغلبها هو اهمال الآباء .

« ان تجربتى الشخصية تحملنى على الاعتقاد بأن الأسس لبناء السجية يجب أن تغرس فى الولد عندما يصبح فى السادسة من عمره ، وأهم ما فيها التمييز بين الخطأ والصواب والتحلى بالصدق والمروءة » (٣) ويرثى مونتكومرى لحال البشرية التى أصبحت تلهث وراء (المادة) وتبتعد عن (الروح) فيقول : ألسنا نعيش جميعا فى ضباب من خداع النفس ، فى عالم تستحوذ عليه (المادية) وتنبذ فيه القيم الروحية ؟!

فلنفكر مثلا فى نماذج الاعلانات الكثيرة التى تواجهنا أنى ذهبنا ، والتى تؤثر فى كثير من الناس ، فهى توحى الينا أن حل كل مشكلة يمكن أن تشترى بالمال . انها تقول مثلا : أتنشد السعادة فى بيتك ؟! اذن فاشتر هذه المكنسة الكهربائية أو ذلك النوع من طعام الفطور ، أو هذا الصابون ، أو اشرب تلك الجعة ! ولا شك أن الناس جميعا لا ينخدعون بهذه الاعلانات الكثيرة ، ولكن الولد المراهق يتعرض للخطر وهو يعيش فى هذا الضباب من خداع النفس . (ماذا ينفع الانسان ، لو حصل على الدنيا كلها ، واضاع روحه (٤) .. (٥)) .

هكذا يستشهد مونتكومرى بآيات من الانجيل لتأييد آرائه فكم من قادتنا يستشهد بآيات من الذكر الحكيم ؟

ويضيف مونتكومرى : « اذا أردنا أن يجتاز العالم بسلام وتعقل حالة الهياج والاضطراب التى تسوده اليوم ، فينبغى أن نحيا الحياة الحقة ونقتدى بالمسيح عليه السلام ، بدلا من الخبط فى دياجير الظلام » (٦) .

انه ينصح بالاقتداء بالمسيح ، وهذا طبيعى لأنه مسيحى ، فكم من رجالنا ينصح علنا وبكل قوة العرب والمسلمين بالاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ؟!

ويقول : « وهكذا نرى مدى الصعوبة التى يجابهها أولاد اليوم ، وجسامة (الواجب) الذى يجابهه الآباء والمعلمون فى تفسير كل ذلك لهم وتوجيههم نحو الصراط المستقيم . وقد زادت المهمة صعوبة زيادة كبيرة من جراء أحوال الحياة العصرية ـ الحياة التى يواجه فيها الاولاد مغريات ومشاكل أعظم من تلك التى واجهها أى واحد منا عندما كنا شبابا . فالاشياء المثيرة ، وأفلام العصابات ، والبيوت المخربة بسبب التهاون فى الواجبات الزوجية ونشر القضايا الجنسية فى بعض الصحف ، كل هذه تفرض على الولد المراهق ضغطا شديدا ، وليس من السهل أن ننمى السجية فى ظروف كهذه (٧) » .

ونحن ؟! لماذا نستورد أفلام العصابات ؟ لماذا نسمح للصحف والمجلات بنشر القضايا الجنسية ؟ لماذا نعرض الافلام الخليعة والتمثيليات

الداعرة فى الاذاعة المرئية ؟ الأجل أن نخرب بيوتنا بأيدينا ؟ الأجل أن نشيع الفاحشة فى أولادنا ؟! الأجل أن تتصاعد نسبة الرسوب فى مدارسنا وكلياتنا ؟ .. لماذا ؟!

— ٣ —

ويمضى مونتكومرى بالحث على تلقين الأطفال التعاليم الدينية فيقول. « لقد سبق أن ذكرت كلمة (الضبط) ان لهذه الكلمة صدى غير مستحب عند فريق من الناس ، وربما كان السبب هو لأنها غير مفهومة فهما صحيحا ان الأساس الحقيقى للضبط ، هو ضبط النفس ، وهو السيطرة على النفس وكبح جماحها ، وأن يعيش المرء حياة ، منظمة ومقيدة بقيود اختيارية يفرضها على نفسه ، وقد نعد هذه القيود بمثابة (واجبات) ينبغى أن نشعر بضرورة القيام بها .

« ان مفهوم (الواجب) هذا يؤكد أهمية التعاليم الدينية التى تتعلق بالسيرة الشخصية للانسان ، ويجب أن يوحى بهذه التعاليم الى كل طفل حالما يبدأ بالذهاب الى الروضة « يريد روضة الأطفال التى تسبق المدرسة الابتدائية وينبغى أن يتم ذلك حتما قبل بلوغه السنة السادسة من عمره » . (٨)

ويتساءل مونتكومرى : « فما هو غرضنا ؟ » ، ويجيب : « ان الغرض هو أن نبث فى صفوف الشبيبة الاستقامة والشجاعة الأدبية ، والحمية ، بغية اقامة حصن يتحدى المؤثرات المخربة التى تسعى الى تحطيم أخلاق أولادنا . وينبغى تربية هؤلاء ليكونوا « نقاطا قوية » فى الأمة ، تدافع عن الأمانة وسط مغريات تحرض على الخيانة ، وتدافع عن العمل الجماعى والاخلاص ، وعن الجهد الصادق وشعور الواجب الرفيع ، بل عن كل شىء فيه خير البلاد (٩) .

ثم يقول : « أين يجب أن يبدأ التعليم ؟ فى البيت طبعا ، فذلك هو المكان الذى يجب أن يبدأ فيه تكوين « السجية » . ويجب أن يتعلم الطفل فى البيت أمورا معينة تعد خطأ وأخرى تعد صوابا ، ويجب أن يتعلم أسس الأمانة والاخلاص والصدق والثبات على ما يعتقده صوابا وحقا ثباتا راسخا برغم ما يواجهه من اغراء . ويجب أن تبدأ أسس هذه التربية فى وقت مبكر ، وأن ترسخ فى ذهن الطفل عندما يبلغ السادسة من عمره ، حتى اذا ما بدأ بالذهاب الى المدرسة لا يكون فريسة لتأثيرات شريرة قد يواجهها » . (١٠)

ثم ينعى مونتكومرى على العالم تخليه عن : « المثل العليا » ، ويتوجه الى قومه البريطانيين برأيه صريحا واضحا . « لكى نخدم بريطانيا ونفخر بأننا بريطانيون ، ليس من الضرورى أن نملك قنابل ذرية بقدر ما تملكه الولايات المتحدة الامريكية أو علماء بقدر ما تملكه روسيا ، فليست البلاد التى تنقصها القنابل الذرية أو القوات الكبرى هى التى يجب أن تدعى : دولا من الدرجة الثانية ، بل ينبغى أن يطلق ذلك على البلاد التى تعوزها المثل العليا ، وهذه المثل تبقى وغيرها يفنى » . ثم قال « ان أول ما نحتاج اليه ، هو معالجة الجهل المتفشى بيننا عن الحقائق الأولية للدين » (١١) .

— ٤ —

— ووصف مونتكومرى آراءه التربوية التى تؤدى، الى اعداد قادة

المستقبل ورجال الأمة فقال : « وقد لا تكون آرائى مقبولة على العموم . لكنها بسيطة على الأقل ، وقد بنيت على « مثل عليا » وحقائق أزلية . لن تتغير مهما كان العصر الذى نعيش فيه » (١٢) .

ثم يكرر ما قاله سابقا باسلوب جديد ، أكثر وضوحا وتفصيلا فيقول : « انى من المؤمنين ايمانا راسخا بوجوب توجيه الشباب نحو « العلا » ، ويجب أن نوضح لهم ما يجب أن يفعلوه لبلوغ ذلك ، وان نبين لهم السبب . ان ذلك لأمر مهم ، لأن المستقبل هو للشباب ، فهم الذين يجب أن يستلموا المشعل منا . ان مهمتنا أن نوحى الى الشباب أن يستهدفوا غرضـــا « أخلاقيا » عاما مبنيا على ايمان واع قوى بالدين . فاذا استطعنا بعدها أن نوحد شبابنا وراء قادة يهتمون بهذا الدين كما يهتم الشيوعيون بعقيدتهم . فما من شىء نخشاه : لا الأعداء ولا المشكلات الاقتصادية ، اذ يمكن التغلب عليهما معا . ان أهم ما فى التربية — وفى الحياة كذلك — هو أن يكــون لدى الطفل أو للشاب احساس بالغرض قوى الى درجة تمكنه من مواجهة الصعاب والتغلب عليها . ان غرضا كهذا لا يمكن أن يبنى الا على « عقيدة » ولا يمكن تنمية هذه « العقيدة » الا فى زمن الصبا . لكنه يجب أن تكون هذه « العقيدة » حسنة ، فالعقيدة السيئة هى السبب فى معظم ما نعانيه اليوم من اضطرابات » . (١٣)

ويعتبر مونتكومرى تضليل الطفل أو الشاب اخلاقيا من أعظم الجرائم فيقول : « سئلت ذات مرة عن رأيى فى أسوأ جريمة يمكن أن يرتكبها أى انسان ؟ فأجبت بدون تردد : تضليل طفل أو شاب أخلاقيا !

وأضفت الى ذلك قولى : ما من عقوبـــة تعد قاسية بحق انســـان كهذا » (١٤) . ومن الواضح أن رأى مونتكومرى هذا سليم الى أبعد الحدود لأن الذى يضلل طفلا أو شابا أخلاقيا ، سيقضى على مصدر الخير فيه . وسيجعل منه بؤرة للفساد والشر ، اذ سيكون عاملا من عوامل اشاعـــة الفساد بين الناس ، يهدم ولا يبنى ، ويفسد ولا يصلح ، ويخرب ولا يعمر .

ان الوالدين اللذين لا يربيان طفلهما تربية سليمة ، يضللان طفلهما ويحرمانه من ومضات النور والخير .

والمعلم الذى لا يعلم تلميذه تعليما ناجعا ، يضلل تلميذه ويفسد طبعه ويوجهه نحو الجهل والضياع . فكم من أب وأم ضللا طفليهما عـــن عمد باهمالهما تربيته أو عن غير عمد لجهلهما التربية السديدة .

وكم من معلم ضلل تلميذه ، لكسله أو جهله أو عدم تقديره المسئولية الملقاة على عاتقه ، فأصبح ذلك التلميذ مشردا ، أو لصا أو قاتلا أو تافها .

— ٥ —

— ويعود مونتكومرى الى تلخيص آرائه التربوية فيقول : « ما هى النصيحة التى أقدمها للشباب ؟ كيف يستطيعون احراز مجد الفتوة ؟ اننى أقدم اليهم الوصايا الأربع التالية :

أولا : ليكن لديك شىء من رزانة الفكر ! ان ذلك لا يعنى أن الطفل او الشباب لا يجب أن يكون سعيدا نبيها ، بل بالعكس . ولكن أنبه الناس هو من كان ذا بصيرة ، وقلب بسيط ، وضمير طاهر ، ومن يحاول قلبيـــا وبكل تواضع التمسك الشديد بتعاليم الدين .

ان الملذات التى لا نهاية لها ، والفرص الضائعة ، والامتيازات التى يساء الاستفادة منها ــ كل هذه الأمور لا تعوض عن ضياع الفضيلة ، وفقدان الرجولة ، وعدم احترام النفس .

ثانيا : أوصى بالطاعة ، تلك الفضيلة التى يبنى عليها السلطان ، وهى تعنى قبول قانون « الواجب » قانونا للحياة ان الله سبحانه وتعالى يفوض شيئا من سلطته الى اخواننا البشر منذ السنين الأولى من حياتنا يفوضه أولا الى أبوينا ، ومن ثم الى الذين يولون علينا ، فاحترام السلطة اذن واجب مقدس كما هو أمر إلهى ، وما من عصر انتهكت فيه حرمة هذا الأمر الا وساد فيه الفساد . ان آمال الأمم تتعلق باخلاص ابنائها وتواضعهم وفى طاعة شبيبتها واحترامهم لمن هو أكبر منهم سنا .

ثالثا : أوصى بالجد والمثابرة ، فالوقت المتيسر للعمل والدراسة قصير ، وسن الصبا سرعان ما يمر من غير أن نشعر به الى دور الشباب فدور الرجولة .

رابعا : لقد تعلمت فى حياتى الخاصة ، أن صفات ثلاثا ضرورية للنجاح . العمل الشاق ، والاستقامة المطلقة ، والشجاعة الأدبية ، ــ وهى تعنى عدم خوف الانسان من قول ما يعتقده صوابا ، والثبات على هذا الاعتقاد (١٥) .

ولا يكتفى مونتكومرى بهذا الباب من كتابه للحديث عن : آرائه التربوية ، بل يعود ثانية فى الباب الخامس عشر الى عرض آرائه فى التربية فيقول : « بالاضافة الى تزويد المدارس بنظام تربوى جيد ، وبمعلمين ماهرين ، يجب أن يتيسر فيها نظام سليم للتدريس الدينى بالتعاون مع رجال الدين » . (١٦) .

ثم يقول عن أثر المثال الشخصى الذى هو التطبيق العملى للنظريات التربوية : « والواقع أن التربية الفكرية والخلقية التى نزود بها أولادنا ، هى ليست بذاتها أهم الأمور ، بل المهم هو ما سيفعلونه بهذه التربية ، والفائدة التى سيجنونها منها فى السنين القادمة . ومن الواجب تخصيص قسم من هذه التربية لغرس الصفات التى هى جزء لا يتجزأ من القيادة الجيدة ، ويجب أن يقوم بذلك خيرة المعلمين الذين يمكن أن نحصل عليهم وأن يقوموا به بالمثال الشخصى الحسن الذى يضربونه بأنفسهم لتلاميذهم وطلابهم » (١٧) .

وفى ختام كتابه قال مونتكومرى . « عندما أنظر الى عالمكم اليوم ، ينتابنى القلق أحيانا على الجيل الجديد ، عندهم مغريات لم نحصل عليها أنا وأنت (١٨) . ويبدو أنهم ينضجون مبكرا ، ولكن ذلك يجرى فى عالم غير مأمون ، وهم يميلون الى أن يجعلوا للأمور « المادية » قيمة كبيرة ويهملوا « القيم الروحية » .. على الشباب أن يتسلح جيدا بالشعور « الروحى » اذا أراد الا ينحرف أو أراد الا يجرفه التيار ..

ان « الحرية » الحقيقية هى أن يكون لديك الخيار فى أن تفعل ما « يجب » أن تفعله لا ما (تريد) أن تفعله ... ان هذه هى الحقيقة بعينها التى تواجه أى ولد ، وهى التوفيق بين ما (يريد) أن يفعله وبين ما يوحى اليه ضميره أن يفعله » (١٩) .

تلك هى موجز آراء مونتكومرى فى التربية المثالية ، اعرضها للذين يتلقون الوحى من الأجنبى ، ويؤمنون بما يقوله دون مناقشة .

أما الذين يعرفون ما ورد عن : التربية المثالية ، فى تراثنا العربى الاسلامى العظيم ، والذين درسوا هذا التراث بامعان من منابعه الاصلية فيعلمون أن أراء مونتكومرى تعتبر تافهة عند موازنتها بآراء السلف الصالح من علمائنا الأبرار .

وبكل صراحة وأمانة ، اذكر اننى نقلت آراء مونتكومرى فى التربية مضطرا وبعد تردد طويل . ولكن ما حيلتى مع الذين تستهويهم آراء الأجانب ولا يستهويهم آراء الأقارب ؟؟

على كل ، فان العلم لا وطن له ، وباستطاعة من يشاء أن ينقل ما يشاء من علوم الآخرين وآرائهم ، على أن تكون تلك الآراء مفيدة وبناءة .

ولكن رأيى الذى أومن به ، هو أن العربى المسلم ، اذا وجد فى تراثه ما يتفوق على تراث الأجانب أو يشابهه ، فلا ينبغى أن يغمط حق آبائه واخوته ليستورد من الأبعدين ، أو يتباهى بأقوال الأجانب ويتنكر لأقوال قومه وبنى عقيدته .

اننا بحاجة الى علوم الغرب ، ولكننا لسنا بحاجة الى مبادئه ، ومرة أخرى . . . . لو أبدى عربى مسلم مثل آراء مونتكومرى فى التربية ، فماذا يقول عنه أبناء جلدته المحدثون ؟!

ان الاسلام اقوم المبادىء التى تبنى الرجال والنساء ، وهو دين الخلق الكريم والفضيلة والعزة والمجد والسؤدد .

فمتى يعرف قيمة هذا الدين ابناؤه من العرب والمسلمين ؟؟ متى ؟؟

---

(١) السبيل الى القيادة (١٩١ و ١٩٢) .

(٢) السبيل الى القيادة (١٩٣) .

(٣) السبيل الى القيادة (١٩٤) .

(٤) آية من آيات الانجيل .. ترى ! كم من قادتنا يستشهدون بآيات الذكر الحكيم ؟!

(٥) السبيل الى القيادة (١٩٥) .

(٦) السبيل الى القيادة (١٩٦) .

(٧) السبيل الى القيادة (١٩٦) .

(٨) السبيل الى القيادة (١٩٧) .

(٩) السبيل الى القيادة (١٩٨) .

(١٠) السبيل الى القيادة (١٩٨ و ١٩٩) .

(١١) السبيل الى القيادة (٢٠٥) .

(١٢) السبيل الى القيادة (٢١١) .

(١٣) السبيل الى القيادة (٢١٣) .

(١٤) السبيل الى القيادة (٢١٥) .

(١٥) السبيل الى القيادة (٢١٧) .

(١٦) السبيل الى القيادة (٢٩١) .

(١٧) السبيل الى القيادة (٢٩٢) .

(١٨) يقصد الناس من جيله .

(١٩) السبيل الى القيادة (٣٠٧ — ٣٠٨) .

الشباب في اطار التربية الاسلامية

للدكتور عبد العال سالم مكــرم

الشباب فى عصرنا الحاضر تتنازعهم تيارات شتى ، وتسيطر على نفوسهم قيم عديدة ، وهم بين هذه التيارات ، وهذه القيم فى صراع عنيف مع أنفسهم ، ومع مجتمعاتهم حتى أظلمت الحياة امامهم كأنهم فى بحر لجى يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض .

واستغلت المذاهب الالحادية ، والنزعات المادية هذا الصراع النفسى الذى استبد بالشباب فظهرت (الوجودية) لتدعو الشباب الى تحقيق الــذات بشتى الوســائل ، ومختلف السبل ، ومن بعدهـــا ظهرت الطبقة (الهيبية) وتميزت بارسال اللحى ، وإطالة الشعور واتخــذت الحفاء مذهبا ، والعبث سلوكا ، والاستهتار بالتقاليد مبدأ وعقيدة ومن ثم كثر الفســـاد ، وعــانت المجتمعات الغربية والاوربية من سلوك شبابها الشىء الكثير مما عقد الحياة ، وضاعت صرخات الشيوخ والآباء أمام عناد أبنائهم وبناتهم .

ماذا يعنى هذا ؟ اننا فى عالم متشابك ، قرب بعيده ، ودنا قاصيه ، ولم تعد حواجز المجتمعات أو حدود الاوطان حائلا بين تسرب هـــذا الفساد الى أمتنـــا الاسلامية والعربية ، ومن ثم اذا لم نتدارك شبابنا ، ونرعاهم كما نرعى النبتة الصالحة والشجرة الفارعة ، والثمرة الغالية لحل بشبابنا ما حل بشبابهم ، وحينئذ نعض بنان الندم بعد فوات الوقت ، وضياع الامل .

نريد من شبابنا أن يغرسوا فى نفوسهم وقلوبهم الايمان بالله . ذلك لأن النفس البشرية تموج بشتى الغرائز ، والشهوات العارية ، والرغبات الصارخة ، فالايمان بالله سلاح عنيف ضد هذه الغرائز ، وهذه الشهوات ، واذا ما انتصر الشاب المسلم فى ميدان نفسه أصبح قوى الجانب ، عزيز النفس ، صلب الارادة والمجتمع الذى يضم أمثال هذا الشاب مجتمع قوى يسير نحو العـــزة ، نحو الكرامة ، نحو البطولة والمجد .

نريد من شبابنا أن يملكوا من سلاح العلم والمعرفة رصيدا ضخما ، يصرع الجهل ويقضى على أمراضه فى عصر التحديات ، ولا أريد من الجهل مجرد جهل القراءة والكتابة ، وانما أريد به التخلف عن ركب التكنولوجيا والعلم الحديث .

ونريد من شبابنا أن يحموا ثروة العلم والمعرفة بالخلق ، انه الحـــارس الامين الذى يحفظ للامـــة كيانها من عدوان المعتــدين ، وكبرياء المســـتبدين ، وسلطان المستعمرين .

ونريد من شبابنا أن يتعلموا معنى التضحية والفداء . فان أسلافهم من شباب الاسلام حينما تربوا فى مدرسة محمد عليه الاسلام كان أول درس تعلموه هو التضحية بكل ما يملكون من أجل القيم والمبادىء ، ومن أجل أن يسود الحق ، من أجل أن ينتصر الايمان ،من أجل احقاق الحق ، وابطال الباطل ، مهما كان الثمن ومهما كان الفــداء .

وبسبب هذا الدرس العظيم استطاع شباب الاسلام أن يسيطروا عـــلى ثلاثة أرباع الكرة الارضية من المحيط الى الخليج .

مائدة القارئ

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ يشكو جاره فقال له ــ اذهب واصبر ، فأتاه مرتين وثلاثا ، فقال له : اذهب ، فضع متاعك على ظهر الطريق ،فوضعه ، فجعل الناس يمرون عليه ويسألونه ، فيخبرهم خبر جاره ، فجعلوا يلعنونه ، فجاء الى النبى ، فقال ــ يا رسول الله ــ لقد لقيت من النــاس ، قال وما لقيت منهم ؟ قال يلعنوننى ، قال قد لعنك الله قبل الناس ، فقال انى لا أعود فجاء الذى شكاه ، وقال له (ارفع متاعك فقد كفيت) .

رواه أبو داود

الله

سأل رجل جعفر الصادق عن الله فسأله جعفر ــ ألم تركب البحــر ؟ قال ــ بلى ، قال جعفر : فهل هاجت بكم الريح عاصفة ؟.. قال نعم .. فقال جعفر ــ فهل خطرببالك أو انقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك ان شاء .. قال نعم ..... قال جعفر فذلك هو الله .

مؤهلات الولايــة

احتاج عمر بن الخطاب يوما الى وال كفء يوليه عملا هاما من أعمال الدولة فقال لجلسائه دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى ، فقالوا فلان . قال لا حاجة لنا فيه ، قالوا فمن تريد ؟ قال أريد رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم ، قالوا ما نعرف هذه الصفة الا فى الربيع ابن زياد الحــارثى . قال : صدقتم فولاه .

النساء المؤمنات

قالت أم المؤمنين عائشة ــ ان لنساء قريش لفضلا وانى والله ما رأيت أحدا أفضل من نساء الأنصار ، أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل .. لما نزلت فى سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهم ما أنزل الله اليهم منهــا . يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابة ، فما منهن امــرأة الا قامت الى مرطهــا المرحل فاعتجرت به تصديقــا وايمانا بما أنزل الله من كتاب فأصبحن وراء رسول الله كأن على رؤوسهن الطير .

أم التوائـــم

نقل فى كتاب « العذب الفائض » عن الامام الشافعى أنه قال — رأيت فى بعض البوادى شيخا ذا هيبة فجئت لاستفيد منه فاذا بخمسة كهول قد جاءوا فقبلوا رأسه ودخلوا الخباء ، ثم خمسة شبان فعملوا كذلك ، ثم خمسة أصغر منهم ، ثمخمسة أحداث ، فسألته عنهم ، فقال كلهم أولادى وكل خمسة منهم فى بطن وأمهم واحدة فيجيئون كل يـــوم ويسلمون علـــى ويزورونها ولى منها خمسة أخر فى المهد .

مزرعة على ظهر جمل

روى أن جميلة بنت ناصر الدولة احدى بنات ملوك بنى بويه لما حجت كانت أول من استنت محامل البقول مزروعة على أظهر الجمال مع عدة أصناف من الرياحين .

الرأس الثقيلة

أتى رجل الى أبى محمد النوبهارى فقال له — وضعت رأسى فى حجر امرأتى فقالت : ما أثقـــل رأسك ؟ فقلت : أنت طالق ان كانت رأسى أثقل من رأسك .

فقال له أبو محمد : تطلق عليك امرأتك قيل لــــه ولم ؟ قال — لان القصابين أجمعوا عــــلى أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجة .

ما هو ؟

قال العباس بن الاحنف —

قلبـــى الى ما ضرنى داعـــــى
يكثـــــر أسقامى وأوجاعـــى
كيف احتراس من عـــدوى اذا
كان عـــــدوى بـــين أضلاعى
ان دام بى هجـــرك مع كل ذا
يوشك أن ينعـــــانى الناعـــى

الجواب — الطعام .

البـــدوى المفتون

روى أن بدويا يدعى أبا وهب كان يملأ خياله تصور البطـــولة وكانت تمتلىء أحلامه بهذه الصورة وكان مثل البطولة الأعلى فى رأيه وفى حياته وفى أحلامه (تأبط شرا) وذات يـــوم لقى أبو وهب هذا (تأبط شرا) فطلب اليه أن يتبادلا اسميهما وأن يكون أبو وهب (تأبط شرا) وأن يكون (تأبط شرا) أبا وهب .. ويرضى (تأبط شرا) هذه المساومة لقاء ما أخذه من مال وأثواب وانصرف كل منهما الـــى وجهته .

مضى البدوى يقطع الصحراء فى خيلاء وعجب وكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها حين خلع عليـــه (تأبط شرا) أما تأبط شرا فقـــد خلا الى نفسه يضحك ويردد أبياتا يقول فيها :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلهـــا
تأبط شرا واكتنيت أبـــا وهـــب
هبيه تسمى اسمى وسميت باسمه
فأين له صبرى على معظم الخطب
وأين له بأس كبأسى وشـــــدتى
وأين لـــه فى كل فادحـــة قلبى ؟

إسقاط التدبير إلغاء للعقول

قضية إسقاط التدبير قضية صوفية قديمة شغلت أذهان المتصوفين ، وأخذت من جهودهم وأوقاتهم قسطا وفيرا ، واستغرقت من كتبهم فراغا كبيرا ، وترددادها على الدوام سمة من سمات شيوخ المتصوفين ومريديهم ، أو إن شئت فقل إنها شعار من شعاراتهم ، وهى قضية فكرية ودينية معا تستحق أن تدرس ويكرر فيها القول ، لأنها تتعلق بحياة المسلمين ونشاطهم ومكانهم فى محيط الحياة الزاخرة ، وإسهامهم فى حضارة العالم وازدهاره ، ومن حق أجيال المسلمين أن يكونوا منها على بصيرة ، وأن يستبينوا وجه الصواب .

وقبل أن ندخل فى مناقشتها وبيان آثارها وأخطارها على النحو الذى يفهمه منها كثير من القدامى والمحدثين ، نرى أن نكشف عن بعض الكلمات التى ترتبط بهذا الموضوع ، وهى **العقل ووظيفته ، ورسالة الانسان على الأرض ، والتدبير ، وإسقاط التدبير .**

للشيخ أبو الوفا المراغي

أما العقل : فلم يصل العلم ولا العلماء بعد الى معرفة حقيقته معرفة تسمح بتحديده تحديدا منطقيا جامعا مانعا كما يقولون ، لذا لجأ العلماء الى رسمه بآثاره وخواصه رسوما مختلفة ، غلب على كل رسم منها اصطلاح كل طائفة منهم ، **فعرفه اللغويون** : بأنه ما يكون به التفكير والاستدلال ، وما يتميز به الحسن من القبيح والخير من الشر ، والحق من الباطل ، **وعرفه الفلاسفة** : بأنه القوة المدركة للأشياء على ما هى عليه من حقائق المعنى ، **وعرفه المفسرون** : بأنه الذى يكرم الله بـه بنى آدم ليهتدوا به الى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الأرض ، والتمكن من الصناعات واتساق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع ، واتفقوا على أن العقل هو الذى يتيمز بـه بنو آدم من الحيوان ويتم بناء الانسان ويكمل وجوده ، وخير ما جاء فى تعريف العقل قولـه صلى الله عليه وسلم « العقل نور بالقلب يفـرق بـه بـين الحق والباطل » .

ووظيفـة العقل كما قال الماوردى : هى أن تعرف به حقائق الأمور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات ، وهو الذى جعله الله تعالى للـدين أصلا وللدنيا عمادا فأوجب الدين بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامـه وألف بين خلقه ، مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ، ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين ، قسما وجب بالعقل فوكده الشرع ، وقسما جاز فى العقل فأوجبه الشرع فكان العقل لهما عمادا .

أما رسالة الانسان فى الأرض : فهى رسالة عقائدية وعملية ، **فرسالته العقائدية** الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته وتنزيهه عن الشريك وعما لا يليق ،

وان له صفات الكمال كلهـــا ومظهر ذلك الاعتقاد أداء ما أمر الله به والانتهاء عما زجر عنه ، ويفصل ذلك ما جاءت به الرسالات والرســل كمــا قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

أما رسالة الحياة العملية : فهى الجد والكفاح فى سبيل العيش وحفظ الحياة ودوام النوع بما زود بـــه من العقل والمواهب كما قال تعالى : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » ، وكما قال جل شأنه « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .

والتدبير كما عرفه اللغويون : هو التفكير فى عواقب الأمور وتصريفها واختيار ما يترجح فيه جانب الخير والمصلحة ، وتهيئة الأسباب الكفيلة ببلوغ الأغراض والمقاصد ، وانجاح الحاجات وازالة الحوائل والموانـــع التى تحول دون هذه الغايات .

وأما إسقاط التدبير : فهو ترك التفكير فى عواقب الأعمـــال وايثار الصالح منها ، وصرف الهمم عن اتخاذ الأسباب للوصول اليها وترك الانسان نفسه للأقدار التى لا يعرفها تتصرف فى مستقبله وهو مستسلم لها راض عنهـــا .

وبعد . فقد اختلفت عبارات المتصوفين عن التدبير وإسقاطه بين التعميم والشمول وبين التقسيم والتفصيل ، ومن عباراتهم الشاملة لاسقاط التدبير فى كل شىء قولهم إن التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها فان المؤمن قد علم أنه اذا ترك التدبير مع الله كان له بحسن التدبير منه . ومن عباراتهم أن اهتمامك بأمر نفسك وتدبيرك لها منك جهل بالله بل الأمر كما قال : « وما قدروا الله حق قدره » وأن التدبير والاختيار وباله عظيم وخطره جسيم وذلك أنا نظرنا فوجدنا أن آدم عليه السلام إنما حمله على أكل الشجرة تدبيره لنفسه ، ومن عباراتهم روح العبودية وسرها إنما هو ترك الاختيار وعدم منازعة الأقدار ، ومن عباراتهم الخروج عن الارادة هو أفضل العبادة ، وأن التدبير والاختيار أشد الذنوب والأوزار ومـــن عباراتهم التى تناولت إسقاط التدبير بالتفصيل والتقسيم قولهم : إن التدبير على قسمين : تدبير محمود وتدبير مذموم ، فالتدبير المذموم : هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله قياما بحقه ، والتدبير المحمود : هو ما كان تدبيرا بما يقربك من الله ، ليس إسقاط التدبير الممدوح ترك الدخول فى أسباب الدنيا والفكرة فى مصالحها لتستعين بذلك على طاعـــة الله تعالى من أجلها وان يأخذها كيف كان من حلها .

هذه عبارات المتصوفين عن قضية إسقاط التدبير . فما المـــراد من هذه العبارات ؟ وما وجه الصواب فيها ؟

لا شك أن المتصوفين المستنيرين الواقفين عـــلى اسرار الشريعة وحكمها ، وعلى اسرار خلق الانسان وتحميله امانة خلافة الله فى الأرض وتكليفه استعمارها لا يقرون هـــذا الاطلاق فى العبارات ولا يشترطون لكمال الايمان إسقاط التدبير فى الأعمـــال والأقوال ، لأن إسقاط التدبير

إهدار لنعمة العقل الذى كرم الله به بنى آدم وميزهم به عن الحيوان ، إذ أهم وظائف العقل هذا التدبير والتفكير فيما ينفع فى الحياة ويكون سببا الى النجاة ، وهو أيضا إبطال للأعمال واستسقاط لرسالة الانسان ، وتقويض للعمران ، فرسالة الانسان ازدهار العمران وتحقيق الاطمئنان ودفع البغى والعدوان وعمل دائب وتجربة مستمرة ، والعمل والتجربة والاعداد والقوة أساسها النظر والفكر والتدبير والترجيح ، وكل حركة من حركات الانسان وكل عمل من أعماله الاختيارية لا بد أن يكون مصحوبا بفكر وتدبير وإلا كان عشوائيا ان صادف الصواب مرة صادفه الخطأ مرات ومرات وقد أمر الله بالعمل لأنه سبيل العيش الكريم قال تعالى : « فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب . » وقال عز من قائل : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وكان مما أمر به الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من وسائل الرزق ، وكل منها لا بد فيه من التدبير العميق والتفكير المحكم حتى يتحقق الغرض المقصود منه ويقع على الوجه الصحيح ، ومحال أن يطالبنا الله بما لا بد فيه من التدبير ثم يستحب لنا أو يطالبنا باسقاطه وإغفاله ، هذا وان فى ترك التدبير وعدم الاشتغال بالأسباب انصرافا كاملا عن الدنيا . وليس هذا مقصود الشرائع وهو مناف لما ورد فى الأخذ بنصيب منها كما قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وكما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » .

لقد كان أهم ما يبنى عليه أنصار قضية إسقاط التدبير أن فى التدبير منازعة لله فى أحكامه ومضادة له فى نقضه وإبرامه وتدبيره واختياره ، وذلك شىء لا يجوز للمؤمن بل إنه يخل بالايمان وينقضه ، وذلك فى رأينا توجيه غير سديد لأنه ليس فى تدبير العبد منازعة فى تدبير الرب ولا اغتصاب لشىء من إرادته وسلطانه فهو الذى وهبنا حق التدبير والاختيار بما وهبنا من نعمة العقل فما وهبنا العقل الا لننتفع بثمرات التفكير والتدبير فكيف نسقط ما نحن مؤاخذون بـه ومسئولون عنه .

ولما رأى بعض المتصوفة خطأ ذلك الاطلاق حاولوا أن يصححوه ويخصصوه ، وانقسموا فى تصحيحهم فريقين : فريقا رأى أن يقسم الأمور الى قسمين قسم يحمد التدبير فيه وهوالتدبير فيما يقربك إلى الله ، وقسم يذم التدبير فيه وهو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله قياما بحقه ، وفريقا يرى ذم التدبير ووجوب إسقاطه فيما لله حكم فيه من الأمور لأن التدبير فى ذلك منازعة لله فيما دبره واختاره ، والى ذلك يشير قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ويبيح التدبير فيما وراء ذلك ، وفى ذلك يقول بعض الصوفية إن إسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الأسباب حتى يعود الانسان ضيعة، فيكون كلا على الناس فيجهل حكمة الله

فى إثبات الأسباب وارتباط الوسائط ، وكيف ينكر الدخول فى الأسباب بعد أن جاء قوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

ولــقد قامت رسالات الأنبياء ونجحت ، وقامت دعوات المصلحين ونجحت لحسن التدبير ومن درس سير الأنبياء يرى العجب فى حسن التدبير بالالهام مرة وبالاجتهاد مرات يرى كيف دبر ابراهيم عليه السلام لهداية قومه وتزييف معتقداتهم فى الأصنام كما حكى الله عنه إذ قال جل شأنه : « وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا مَن فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هــذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » ويرى كيف دبر محمد صلى الله عليه وسلم لانجاح دعوته وتبليغ رسالته كيف دبر للهجرة ، وكيف دبر اللقــاء الأول والثانى بأهل المــدينة بالعقبة ، وكيف دبر بالمــؤاخاة بين الأوس والخزرج ، وكيف دبر شئون المســلمين عامــة فى حياته حتى تم الأمر واستقرت دولة المسلمين ، ثم كيف دبر أبو بكر وعمر بعده شئون المسلمين حتى خلفوا الامبراطوريات وفاقوها حكمة وعدلا وسلاما وأمنا ، فهل كان هؤلاء على غير الصواب فى أمر التدبير .

إن دعوى إســقاط التدبير فى كل الأمــور دعوى منافية للطبيعة والشريعــة وكل ما استند إليه أربابها من أدلة فهو موضع النظر ، فالملاحظ فيها بوجه عام أنها تدور كلها حول إسقاط التدبير فيما قرره الله واختاره مما لا يصح الاعتراض عليه والتدبير فى اختيار غيره ، من ذلك استدلالهم بقوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهــم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، وقوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » وقولــه تعالى : « أم للانسان ما تمنى » وبقوله صــلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الايمــان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا » وقوله : « اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير » .

ولا شك أن موضوع الرضا بما حكم الله به وهو ما دارت حولــه الأدلة فرض على كل مؤمن ولا يجوز التدبير فيه إلا أنه ليس فى تلك الأدلة ما يوجب على المؤمن ترك التدبير فيما عــداه مما تقوم عليه فطرة الانسان وطبيعته وتقوم عليها حياته ومعاشه .

إن دعوى إسقاط التدبير فى كل الأمور والترويج لها دعوى خطيرة الأثر على أجيال المسلمين ربما يتأثر بها بعضهم فتبعثهم على التوانى فيما انتدبوا له من كفاح ونضال فى وقت أصبحت موازين الأمم والأفراد بالعمل الجاد المبنى على التخطيط والتدبير ويكفينا فى اعتبار التدبير نداء الاسلام لنا بالعمل فى عشرات من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .



الإسلام



والجيل الصاعد!

للأستاذ : معوض عوض ابراهيم

رعاية الأبناء ، والحرص على تنشئتهم ، منذ نعومة أظفارهم ، تنشئة فاضلة كاملة يكونون بها قرة أعين آبائهم فى هذه الحياة ، وعملا صالحا يرجون أجره عند الله يوم نلقاه ، حقوق أوجبها الاسلام علينا ، وان سواء الفطرة لتدعو اليها وتحث عليها ، فأبناؤنا امتداد لوجودنا ، ووصل لما ينقطع حين تقضى الينا آجالنا .. حيث نحيا بهم فى أعمارهم مرة أخرى .

ولا يعين على حسن تربية الأبناء شىء أفضل من سلوك الآباء والأهل والمربين ، وما يسمعون من قرناء وأصدقاء ، وما يترسب فى أذهانهم من الكلمة المسموعة والكلمة المقروءة والكلمة المرئية المشاهدة فى جرائد ومجلات ، وفى كتب ونشرات ، وسينمات واذاعات وتليفزيونات .. تلك التى يسمونها اليوم وسائل الاعلام ، ونرجو أن تكون وسائل خير واصلاح ، وأن لا يخلو منها مكان لهذه الأخرى التى يلونها الشيطان ، ويؤلف عباراتها ، ويحدد مراميها وغاياتها ، فتعصف بالفضائل التى أرسينا قواعدها بين أعطاف ناشئة عزيزة ، ستصير اليها مواريث الدين والدنيا غدا أو بعد غد ، فتصونها أو تهينها — لا قدر الله — !!

.. ان رعاية الأبناء والحرص على تنشئتهم تلك التنشئة الفاضلة الكاملة ، أعود بالخير عليهم من المال الذى يورثه لهم الآباء فيبددونه

بحماقتهم فى يوم أو بعض يوم ، ثم يمضون مبعث سخط ونقمة على أصول أهملت الفروع فشبت عوجاء ، وزادت على الايام انحرافا واسفافا « ومن شب على شيء شاب عليه » .

واذا كان الصادق المعصوم ، صلوات الله عليه يقول (الولد سر أبيه) فان الشاعر العربى يقول :

وينشأ ناشيء الفتيان فينا   على ما كان عــوده أبــوه

ولقد أوجب الله هذا الحق للأبناء ومن يلينا فقال : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجــارة عليها ملائكة غــلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) .

وقال سبحانه : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم . . » (٢) .

والنبى صلوات الله وسلامه عليه يقو ل: « ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

ويقول : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .

ويقول : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

واذا كانت الصلاة هنا مثلا لسائر التكاليف الاسلامية ، فان التفريق بينهم فى المضاجع عنوان لسهر ويقظة دائمين حتى لا يقارب الأولاد ما يشــين . .

وتقليد الصغير للكبير ، والضعيف للقوى فى الأفراد والجماعــات والأمم من المسلمات البدهية التى قررها علم الاجتماع منذ ابن خلدون العالم المسلم ، واستعلنت بها حكمة الحكماء وشعر الشعراء فقالوا . . .

وهل ينبت الخطى الا وشيجه   وتغرس الا فى منابتها النخل !

ولقد فصلت السنة أدب الرســول فى ختان الأطفال وتسميتهم ، والعقيقة والصدقة عنهم فى اليوم السابع من ولادتهم ، وأنه صلوات الله عليه كان يعجبه الاسم الحسن ، وكان يتفاءل به ، ويسارع الى تغيير ما يدعو منه الى نفرة واشمئزاز ، أو الى اعتساف واسراف فى معانى البر والفضل والكمال . .

روى الامام مسلم بسنده عن عمرو بن عطاء قال : سميت ابنتى برة ، فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم ، وسميت برة فقال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : « لا تزكوا أنفسكم ان الله أعلم بأهل البر منكم » . فقالوا : بم نسميها ؟ قال : (سموها زينب) .

وقدم على النبى رجل من المسلمين فسأله : ما اسمك ؟ قال : غاوى أبن ظالم .

هكذا سماه أبواه فى الجاهلية ، وكانت فلسفتهم فى تسمية مواليهم أنهم يختارونها جميلة حسنة متاعا لأنفسهم ، بينما يســمون أبناءهم على نقيض ذلك ارهابا لعدوهم . .

فقال الرسول للرجل : بل أنت راشد بن عبد الله !

والفرق بين جهل هؤلاء وبين رحمة الرسول وتكريمه للانسان ، هو الفرق بين جاهلية جهلاء ، وبين نور الاسلام ، الذى يتراءى فيه الناس كرماء راشدين ، لا تزرى بهم الأسماء ، ولا تغبر وجوههم التصرفات ..

وروى الامام مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجل :

ما اسمك ؟

قال : جمرة !

قال : ابن من ؟

قال : ابن شهاب !

قال : ممـــن ؟

قال : من الحرقة !

قال : أين مسكنك ؟

قال : بحرة النار !

قال : بأيهـــا ؟

قال : بذات لظى !

قال عمر ناظرا بنور الله وفراسة المؤمن : أدرك أهلك فقد احترقوا . فكان كما قال عمر رضى الله عنه !!

.. وفى تاريخ أبى حفص رضوان الله عليه أنه أراد أن يستعمل رجلا ، فسأله :

ما اسمك ؟ قال : سارق بن ظالم .

قال : تسرق أنت ويظلم أبوك ؟ اذهب فلاتلى لنا عملا !

ومن أجل هذاالاغراق والشطط فى التسمية ندب الرسول المسلمين أن يحسنوا أسماء أبنائهم وكناهم . وقال لرجل اسمه زيد الخيل ، سأل الرسول فأحسن السؤال ، بل أنت زيد الخير ...

وأوجب الرسول لزوم الأبناء ، واحسان أدبهم ، واتاحة فرص تعليمهم ذكورا واناثا مع رعاية مايتصل من ذلك بوظيفة الفتى والفتاة فى المجتمع الاسلامى ، وتزويد الجيل الصاعد بما يصون له احتشامه وعفته وفطرته النقية ، وكتاب الله معين لاينضب ،وينبوع ثر لألوان المعارف والعلوم، وهو سياج واق من الغوص فى دراسات ، وتعمق مسائل طالما أثمرت للذين يواجهونها قبل أن يعصمهم الدين ــ الكفر والالحاد ، والغرور بما يمـــلأ أذهان الذين يحسبون أنهم على شىء واهمين !

وتوجيه ناشئتنا الى القرآن ــ والخير كله فى القرآن ــ والحرص على ملء قلوبهم به ، وتدريبهم على حسن النظر فيه ، والاستهداء ــ على كل حال ــ بأوامره ونواهيه ، يغرس فيهم الشعور بكرامتهم ، والحفاظ على انسانيتهم ، ومواصلة السير على صراط الله الذى التزمه سلف هذه الأمة ، عقيدة نقية ، وعبادات تنتظم الانسان مادة وروحا ، ومكـــارم أخلاق هى ثمرة نفيسة عزيزة للعقيدة والعبادة ، ونظام حياة اعتبرها الاسلام وكتابه أوفى اعتبار ، وانفرد بذلـــك كتاب الله دون ســـائر الكتب الســـماوية والوضعية ، والقرآن الكريم الى ذلك كله فيصل التاريخ الصادق والقصص

الهـــادف فى أسلوب كان وسيبقى كلام الناس منه بمنزلتهم هم ممن أنزل القرآن هدى للناس وشفاء لما فى الصدور وتبيان كل شيء !!

قال تعالى « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » (٣) .

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وان الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما . . » (٤) .

وتعلم الناشئة لكتاب الله يدعوهم لتعلم السنة المطهرة التى تفصل مجمله ، وتوضح مشكله وتبين للنـــاس مانزل اليهم . قال تعالى « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (٥) .

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم . . » (٦) .

والرسول صـــلوات الله عليه يقـــول : (ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه . .) .

ثم تمضى الشبيبة بذلك فى خضم الحياة آخذة من علومها وخبراتها بقدر ما يعملون فى ذلك من عقولهم وبصائرهم التى حاكم الله اليها خلفاءه فى أرضه ، ونظر اليهم من خلال ما يحكمون بها تصرفاتهم وأعمالهم . .

واذا كنا نضع الجيل الصاعد أمام القرآن والسنة وجها لوجه ، فلا بد من تقرير حقيقة لا ريب فيها ، تلك هى أن القرآن الكريم أمرنا ونهانا وحذرنا ووصانا ولفت أنظارنا الى أغوار النفس ، والى ملكوت السموات والأرض وما فيهن ليتعـــلم الراشدون من كل شيء أحسن ما فيـــه ، ويستخلصوا لأنفسهم وللناس ، فى عصور وأمصار تتتابع ، ما بث الله فى أرضه وسمائه ومخلوقاته جميعا من أسرار وحكم وكنوز فتحت مغـــاليق الحياة لأوائلنا وجعلتهم أوعى ما يكونون لمعارف لم تعقهم عن السبق فى كل مجال صالح ، وكانوا وسيبقون المصادر الأولى لكل ما تسعد به البشرية من المبتكرات وكشوف العلم التى يدعيها أقوام فى شرق الدنيا وغربها !! . .

وكانوا مضرب الأمثال فى شكر النعم حـــين تقبل ، والصبر على الخطوب حين تنوب ، والنهوض بتكاليف العمـــل والرضى بنتائجه بعد افراغ الوسع فى طلب الحلال بشريف الوسائل والأعمال ، وفى قول الحق والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم . .

عن الحسن قال : كتب زياد الى الحكم بن عمرو الغفارى ـــ وهو على خراسان .

ان أمير المؤمنين كتب الى أن يصطفى له الصفراء والبيضاء ـــ الذهب والفضة ـــ فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة .

فكتب اليه الحكم : « بلغنى أن أمير المؤمنين كتب أن يصطفى لـــه الصفراء والبيضاء ، وانى قد وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، وانه والله ، لو أن السموات والأرض كانتا على عبد ثم اتقى الله ، الا جعل الله له مخرجا والسلام » .

ثم قال للناس : اغدوا على مالكم ، فغدوا فقسمه بينهم !

ان كتاب الله جاء الآباء والأبناء قبل أن يجيئهم كتاب أحد ، فما ينبغى أن نقدم بين يدى الله ورسوله ، أو تكون لنا الخيرة بين ذلك وبين ثقافات وواردات معارف لا تتفق مع كتاب الله ، ولا يغنى ما وراء ذلك عن الحق والخير شيئا . . .

.. ان الدين الذى يدعو كتابه وسنة نبيه ، الى تنشئة أبنائنا على الرياضة البدنية التى تروى السنة منها أمثلة لكل رياضة بدنية نظيفة عرفتها وتعرفها الحياة الى يوم الدين ، بعد أن نجعل قلوبهم أوعية لكتاب الله وهدايات رسوله ، هو الدين الذى صنع الجيل المثالى الذى عزز رسول الله ونصره ، واتبع النور الذى أنزل معه ، من مثل أسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، وابنى عفراء فى بدر ، وبطل الرماية العربية ابن الأكوع ، وعمير بن أبى وقاص ، وحبيب وعبد الله ولدى زيد بن عاصم ..

قال ابن حجر : شهد زيد بن عاصم بن كعب أحدا ، ومعه زوجته أم عمارة ، وولداه حبيب وعبد الله !!

.. أسرة بكاملها تعمل صفا واحدا ، فى بناء صرح هذا الدين الخالد ، وفى أشرف الميادين !

وفى ظروف الدعة والسلم يأبى الراشدون أن يأخذ الترف والرفاهية أبناءهم من مختلف جهاتهم ، فالترف موبق مهلك للأفراد ، والجماعات والأمم ، وهو فى كتاب الله قرين الكفر والتكذيب باليوم الآخر ، كما هو اثم من أخطر الآثام ، ومدرجة الظلم والاجرام قال تعالى : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » (٧) .

« وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا .. » (٨) .

« وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » (٩) .

« وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » (١٠) .

« وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم .. » (١١) .

ولقد بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنه اشترى خاتما بألف درهم ، فكتب اليه :

« بلغنى أنك اشتريت خاتما بألف درهم ، فبعه بألف درهم ، وأطعم به ألف جائع ، واشتر خاتما بدرهمين واكتب عليه : « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » .

وما نذكر هؤلاء الأبناء والآباء والولاة إزجاء للفراغ . ولا رغبة فى التسلى ، ولكننا نرجو أن تكون هذه النماذج الخيرة تحت أعين الذين يخططون للشباب أخيرا بعد أن يجربوا فيما سموه (منظمات الشباب) برامج ومناهج ، وخلطو الذكور والاناث فى رحلات ومخيمات ــ كما فعل ناس فى الشرق والغرب ــ فماذا جنينا من هذا كله غير الضياع والاحساس الصارخ بضرورة عمل للشباب جديد رشيد ...

ورعايتنا للشباب امتداد لحرص أوائلنا الذين ارتادوا لهم مناهج الثقافة المضيئة، والتربية الصالحة ، واستلهموا فى ذلك وصايا الاسلام

وتعاليمه ، غرووا فى أنفس الأبناء شجرة التدين ، وكان الايمان دائما هو الديدبان الحارس ، والصديق الناصح ، والنور الذى يكشف المسالك ، ويثلج صدور الجادين فى دعم جوانب الحياة .

وأمام طوفان الأفكار والمبادىء والمشاهد الوافدة من خارج حدودنا ، والتى يزيف بعضها فينا من يطوون جوانحهم على « مسمار جحا » .. على رواسب ثقافة الاستعمار ، ويحنون الى ما كان لهم فى عهوده ، التى ذهبت ولن تعود ان شاء الله ، من مكانة واعتبار ، نقف نحن ويقف الشباب ، فيعصمنا من مزالق ما نواجه ونرى ونسمع ، طول تمرس بالحياة ، وفضل علم بالسموم التى تخالط مايبدو من سمن ودسم .

ورجال الغـــد رصيد ضخم لأمتنا ، يجب أن نخطط ليومه وغده ، ونحرص أن تلتقى جهود العاملين فى ســبيله على أساس من التخطيط الهادف ، والا ضل ســعى العاملين وخابت فى الشباب الآمال ..

متى يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ..

ولكم يسوءنى وأنا أسمع اذاعاتنا العربية أن بعض المسئولين عن برامج وأركان من الرجال والنساء يوجهون الى الذكور والاناث أسئلة كلها دس ومكر وخبث وتحريض عــلى الاندفاع فى تيــارات التحلل من قيود الأخلاق وفضائل النفس ، ويعيبون على الفتاة المتحفظة تحفظها ، وعــلى الشاب الملتزم لآداب دينه هذا الذى يسمونه التزمت والجمود والرجعية وعدم الانفتاح على الحياة ظالمين .. ولا رقيب على أصحاب هذه البرامج ولا محاسب على ما يفعلون !

. . . .

أما بعد .. فان تبعة الفوضى الخلقية التى يخر فيها الى الأذقــان جم من الشباب غفير ، لا يسأل عنها رجال الدين وحدهم ، ولكن تسأل عنها أجهزة الاعلام التى تغلب بكل ما أوتيت من امكانيات على ما يؤديه الدعاة الصادقون من خــالص التوجيه وصادق النصح ، وولاة الأمــور مسئولون أن ينصفوا البناة من الهادمين قبل أن تنفذ الى قلوب شباب اليوم ــ **رجال الغد** ــ معانى السوء ممن لم يخرجهم الاسلام فى المحاريب وحلق العالم ، وميادين الجهاد ومجالات العمل الجاد .

« وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

---

(١) التحــريم : ٦ .
(٢) الطــور : ٢١ .
(٣) الاسراء : ٨٢ .
(٤) الاسراء : ٩ و ١٠ .
(٥) النساء : ١٠٥ .
(٦) النساء : ١١٣ .
(٧) هود : ١١٦ .
(٨) المؤمنون : ٣٣ .
(٩) سـبأ : ٣٤ و ٣٥ .
(١٠) الزخــرف : ٢٣ .
(١١) الواقعة : ٤١ وما بعدها .

هل قال ابن خلدون بنظرية التطور

علماء المسلمين سبقوا علماء الغرب فى بحوثهم العلمية الحديثة لكنهم لم يتطرقوا فى الاستنتاج !

عبد الرحمن بن خلدون هو عالم عربى مسلم ولد فى المغرب سنة ٧٣٢ هـ سمى بابن خلدون نسبة الى جده التاسع خالد بن عثمان ، بدأ ابن خلدون أولى مراحل نشأته الثقافية بقراءة أهم كتب الحديث والسير والفقه والأدب والتاريخ . واكتسب الى جانب ثقافته الادبية والعلمية تجارب ثمينة كان لها فضل كبير فى تكوين شخصيته الفكرية ، اذ كان عصره من العصور المضطربة ذات التغير السريع فى الاوضاع فزامل كثيرا من الحكام ، وتنقل بين دول متعددة مما أكسبه ذلك عقلية واقعية تفهمت أوضاع المجتمعات المختلفة . وكانت شخصيته العلمية جامعة ، حتى قيل إنه يعرف جميع علوم عصره بدون استثناء وتجلت موهبته فى علم الاجتماع حتى قيل إنه مؤسسه . وأوضح سنن التاريخ حتى قال عنه توينبى ((إن ابن خلدون فى المقدمة التى كتبها لتاريخه العام قد أدرك وتصور وانشأ فلسفة للتاريخ هى بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أى عقل فى أى زمان ومكان .)) (١) ولقبه آخرون بأنه أبو الاقتصاد لما فى مقدمته من أبحاث اقتصادية عميقة كان الاقتصاديون الجدد يتصورون أنها من بنات أفكارهم .

للأستاذ — قيس القرطاس —

ابن خلـدون وتقسيمـه البديع للعوالم : ـ

ونظـرا لأن ابـن خلـدون قد حاز على قصب السبق فى هـذه المجالات المتعـددة فليس غريبا أن يشير البعض الى ان مقـدمته قـد تطرقت الى نظرية حديثة أحدثت أكبر ضجة لم تستطع اثارتها أية نظرية أخرى . فماذا قال ابن خلـدون فى مقدمته ، حتى جعل الباحثون يؤكدون هـذا المعنى فى أبحاثهم . قال ابن خلدون « اننا نشاهد العالمبمافيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام ، وربط الاسباب بالمسببات، واتصال الأكوان واستحالـة بعض الموجودات الى بعض ، وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثمانى وأولا عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعدا من الأرض الى الماء ، ثم الى الهواء ، ثم الى النار متصلا بعضها ببعض ، ويستحيل بعض الأوقات الصاعد منها ألطف مما قبله الى ينتهى الـى عالم الأملاك وهو ألطف مـن الكل . وكل واحد منها مستعد لان يستحيل الى ما يليه صاعدا وهابطا .

ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعـة من التدريج وآخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد فيه الا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال فى هذه المكونات ، ان آخر كل أفق منها مستعد بالاستعداد الفطرى لأن يصير أول أفق الـذى بعده .

واتسع عـالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى فى تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القردة الذى اجتمع فى الكيس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر وكان ذلك أول أفق من الانسان بعده . » (٢) وقد وردت عبـارات مشابهـة لعبارة ابن خلدون ذكرها الفارابى فى المدينة الفاضلة والقزوينى فى عجائب المخلوقات وابن مسكويه فى الفوز الأصغر واخوان الصـفا فى رسائلهم .

رأى الاستاذ درابر : ـ ولو دقق أى باحث فى هذه الأقوال وأمثالها ، لظن أنها صادرة من أحد علماء القرن العشرين ، لما فيها من دقة فى التعبير وانسجام مع المعلومات العصريـة الحديثة . ولقد أذهلت هذه الأقـوال بعض العلماء الغربيين ، فأعلن درابر الاستاذ بجامعة نيويورك بعد حديثه عن المنهج التجـريبى عند علماء المسلمين فقال « لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنهمن نتائج العلم فى هذا العصر ، ومن ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا كان يدرس فى مدارسهم ، وقد ذهبوا فيه الى أبعد مما وصلنا اليـه وذلك بتطبيقه على الجوامد والمعادن . »

رأى مستشرق فرنسى :ـ واذا كان الاستاذ درابر قـد أشار اشارة عامة الى علماء المسـلمين بـدون تخصيص ، فان البروفسور فنساى مونتاى مدير معهـد افريقيا وأستاذ اللغـة العربية والحضارة الاسلامية فى جامعة باريس قد أعلن أن نظـرية أصول الاحياء التى تعرف باسم نظرية داروين كانت قد وضعت لأول مـرة من قبل ابن خلدون . وقال ان ابن خلدون كان قد تحقق مـن علاقات الانسان قبل داروين بوقت طويل فانه كان رائد علم الاجتمـاع والتاريخ ، وتناول فى بحثه جميعنواحى الحضارة وموقع الانسان فى الكون (٣) .

آراء الكتاب المعاصرين :ـ ولما كان اعتراف الخصم يشكل شهادة لا

تمارى فى غالب الأحوال لذلك اعتبر الكتاب المعاصرون هذه الشهادة اعترافا بأصالة وعراقة الحضارة الاسلامية ورقى العلم فيها وذلك حق من ناحية العموم ، الا أن الجزئيات الواردة فى شهادته ليست صحيحة تماما . وقد اهتم الكتاب المعاصرون بجمع الأقوال الصادرة من علماء المسلمين والمشابهة لأقوال أنصار التطور ، وأشهر هؤلاء الكتاب الاستاذ العقاد فانه قد خصص لها فصلا خاصا فى أحد كتبه (٤) . أما الدكتور على عبد الواحد وافى فقد ذكر أقوال ابن خلدون وعلق عليها بما يؤكد أن ابن خلدون سبق داروين فى نظريته هذه (٥) . وقد وقف الاستاذ ساطع الحصرى عند هذه النقطة بالذات وبين أن الطبعات الشرقية قد وقعت فى خطأ فحرفت كلمة عالم القردة الى عالم القدرة (٦) ، وأن التحريف المذكور قد مسخ معنى الجملة وبعد بها عن معنى التطور وقد أكد الاستاذ عمر فروخ أن أول من نبه الى هذا الخطأ كان الاستاذ ساطع الحصرى (٧) ..

آراء أخرى :ـ ان الذى لا شك فيه أن ابن خلدون قد اثبت فى عبارته المدهشة هذه أساس علم التصنيف الحديث . ومن المعلوم أن أنصار التطور يعتبرون التصنيف دليلا على صحة نظرية التطور فليس من الغريب أن يعتبروا ابن خلدون من أنصارهم . ولعل تقسيم ابن خلدون للعوالم ادق من التقسيمات الحديثة التى تقسم الكائنات الى مملكتين ، المملكة النباتية والمملكة الحيوانية التى تضم الانسان والحيوان . أما ابن خلدون فيعزل عالم الحيوان من عالم الانسان وكأنه يقول انهما عالمان مختلفان . وعلى هذا الاساس لا نعتقد أن ابن‌خلدون قد أراد من عبارته هذه أن الأرض تتحول الى ماء والماء يتحول الى هواء والهواء يتحول الى نار ، أو أن المعدن يتحول الى نبات والنبات يتحول الى حيوان والحيوان الى انسان . وأود أن ألفت النظر الى أن أنصار التطور يركزون على هذا المعنى الأخير ألا وهو تحويل الحيوان الى انسان . وهذا المعنى مستبعد صدوره عن ابن خلدون لأنه يتناقض تناقضا واضحا مع عبارة صريحة أوردها فى تاريخه الذى يشكل مع المقدمة كتابا واحدا فى حقيقة الأمر . فقد قال عند حديثه عن مبدأ البشرية « ان النسابين كلهم اتفقوا على أن الأب الأول للخليقة آدم عليه السلام كما وقع فى التنزيل ، الا ما يذكره ضعفاء الاخباريين من أن الجن والطم كانتا فيما زعموا قبل آدم وهو ضعيف متروك . وليس لدينا من أخبار آدم وذريته الا ما وقع فى المصحف الكريم وهو معروف بين الائمة . » (٨) ومن الجدير بالذكر أن الاستاذ شكيب أرسلان قد أورد ردودا حاسمة على نظرية داروين ، فى تعليقاته على التاريخ المذكور فقال « وممن اشتهر فى الرد على مذهب دارون الانجليزى ولامارك الفرنسى فى النشوء والارتقاء ، الأستاذ فيالتون المدرس فى جامعة مونبلييه والاستاذ موريس توماس البلجيكى وغيرهما ممن يقولون إن مذهب لامارك وداروين مناقضان للعلم .. وكان الكيمياوى الفرنساوى برتلو وهو من أشهر علماء الطبيعة ينعت مذهب داروين بقوله قصة داروين الخيالية وقصيدة لامارك الفكرية . »(٩) وليس من المعقول أن يكلف الاستاذ شكيب أرسلان نفسه بالرد على نظرية يؤمن بها ابن خلدون فى تعليقاته على التاريخ المذكور بدون أن يشير الى ذلك وهو خير من أوقف نفسه لدراسة وفهم آثار ابن خلدون .

المعنى الحقيقى لهذه الاقوال : ــ

فما معنى أقوال ابن خلدون اذن ؟ وما هى النظرة العلمية لعلماء المسلمين

فى هذا الموضوع ؟ ان الأديب غالبا ما يتكلم بلغة العصر الذى يعيش فيه وكثيرا ما يقع الباحث المعاصر فى خطأ عند محاولته فهم أقوال العلماء الذين عاشوا فى غير عصره بعقلية الزمن الذى يعيش فيه الباحث الحديث . فلا أدرى كيف تم تفسير أقوال ابن خلدون بما يتفق وعقلية العصر الحديث المسمى بعصر التطور وكيف يستقيم ذلك وابن خلدون قد بين بوضوح أن أبا البشرية هو آدم . وهذه العقيدة تختلف اختلافا اساسيا مع رأى التطوريين الذين يقولون إن الانسان متسلسل من حيوان . نعم انه كان يرى أن المخلوقات على هيئة من التدرج كدرجات السلم . وان أصناف الحيوانات المختلفة تشغل قسما من درجات هذا السلم ، الراقية منها تجلس على أعلى درجات هذا القسم ، أما الحيوانات البسيطة فتجلس على أسفلها . وبالمثل النبات يحتل آخر درجات هذا السلم . أما الانسان فهو يجلس على القمة العليا لهذا السلم ، وبينه وبين أرقى الحيوان تفاوت بعيد وهائل . وان كان الحيوان أقرب اليه من النبات والحيوان الراقى أقرب اليه من الحيوان البسيط ، ولكن بين هذا المعنى الذى أراده ابن خلدون والمعنى الذى يريده أنصار التطور مفاوز شاسعة . ومن أجل ذلك نرجح

الرأى السديد الذى يقول إن « مذهب النشوء والارتقاء كما قرره داروين وولاس شىء آخر غير ما قرره المسلمون فى بحثهم العلمى المؤمن البرىء من لوثة الهروب من الكنيسة وإله الكنيسة فى العالم الغربى . وقد لاحظ علماء المسلمين التدرج بين مراتب الخلائق وبدأوا من صفات المادة الجامدة ، ورأوا أنها تنتهى عند أول مراتب الحياة النباتية ثم تترقى هذه الحياة ولكنهم ردوا كل ذلك الى تقدير وفاعلية الله . أما داروين فقد حرص على نفى تدخل أى عنصر غيبى فى النشوء والارتقاء كذلك لم تتطرق الى بحوث المسلمين لوثة تحقير الانسان وتجريده من كل عنصر روحى ورده الى أصل حيوانى فالنظرية الاسلامية صحيحة فى أن الانسان خلق مستقلا . وان كان يجلس على قمة مراتب الكائنات الحية من حيث تكوينه العضوى واستعداده العقلى والروحى . ولكنه كان هكذا لأن الله سبحانه أنشأه ابتداء كما أنشأ سائر الخلائق فى مراتبها التى وجدت عليها . فهناك فارق كبير فى أصل النظرة مع سبق المسلمين فى البحث العلمى . » ولهذا نميل الى هذا الرأى لأنه أقرب الى روح العصر الذى عاش فيه ابن خلدون ولا يتناقض مع أقواله الصريحة فى مبدأ الخليقة .

---

١ — دراسات فى مقدمة ابن خلدون« ٢٦٠ — ٣٠١ » سنة ١٩٦١ ساطع الحصرى.

—٢ — مقدمة ابن خلدون . « ص ٩٦ » —القاهرة طبعة مصطفى محمد — عبد الرحمن ابن خلدون .

٣ — مجلة المكتبة العدد (٦٥) أ ب ١٩٦٨« ص ٦٠ » (مكتبة المثنى فى العراق .

٤ — الانسان فى القرآن الكريم « كتاب الهلال رقم ١٢٦ » (ص ١٠٣ — ١١٤) عباس محمود العقاد .

٥ — عبد الرحمن بن خلدون « سلسلة أعلام العرب رقم (٤)) « صحيفة ٣٢٠ » — الدكتور على عبد الواحد وافى .

٦ — دراسات فى مقدمة ابن خلدون« ٢٦٠ — ٣٠١ سنة ١٩٦١ ساطع الحصرى .

٧ — تاريخ العلوم عند العرب « دارالعلم للملايين » « صحيفة ٢٦٤ » عمر فروخ .

٨ — تاريخ ابن خلدون « محمد المهدى الجباى » « الجزء أ / صحيفة ٤ — ٥ » عبد الرحمن بن خلدون .

٩ — تعليقات الامير شكيب على التاريخ« صحيفة ٣٨ — ٣٩ » المجلد الاول الامير شكيب أرسلان .

حكمة الاسلام في تحريم لحم الخنزير

محمود وذن

للدكتور احمد شوقي الفنجري

كثيرا جدا ما يتعرض أى انسان مسلم وخصوصا اذا كان يزور بلدا أجنبيا فى أوروبا أو أمريكا أو حتى آسيا الى سؤال هام حول الحكمة فى أن الاسلام قد حرم لحم الخنزير .

وفى أغلب الأحيان يبادر المسلم الى الرد دفاعا عن دينه بقوله : ان الخنزير حيوان نجس وكريه المنظر وقذر ، ولهذا حرم على المسلمين أكله ، ولكن العقلية الأوروبية لا يقنعها الحديث العاطفى ، ولا الكلام النظرى ، بل تقتنع بالحقائق العلمية وبالمنطق المدروس ..

وقد تعرفت فى احد رحلاتى بعالم فرنسى متخصص فى دراسة الأديان ، ودعانى الصديق الفرنسى الى الطعام فى أحد المطاعم ، فما ان جلسنا معا حتى بادرنى بالاعتذار فى أدب فرنسى قائلا : هل يضايقك لو أننى طلبت لحم خنزير فى طعامى ؟

قلت : عندنا مثل عربى يقول : « كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس » . فاستطرد الصديق الفرنسى قائلا : أرجو أن تعذرنى اذا قلت لك

يا دكتور ان رأيى الشخصى فى لحم الخنزير أنـــه من ألذ اللحـــوم وأحلاها طعما .. وقد درست الأديان جميعا ولى كتب ومؤلفات عنها .. فالبوذية مثلا تحرم لحم البقر كنوع من العبادة ، ولكن الأمر الذى يحيرنى حقا ولم أجد له جوابا مقنعا من أى مسلم مثقف ، هو أن الاسلام برغم أنه دين منطقى ومعقول فهو يحرم لحم الخنزير ، فهل هناك فى عملك كطبيب ما يثبت أن لحم الخنزير ضار بالصحة مثلا .. ؟

قلت : نعم أنا مستعد أن اقنعك طبيا .. ولكن أرجو أن لا تفسد هذه المناقشة شهيتك للأكل . فقال : لا تخف على شهيتى أبدا فأنا منذ ولدت آكل لحم الخنزير ولن يتغير رأيى فيه الا بالحقائق العلمية وحدها . ويكون ذلك حقا معجزة .

قلت : ان هناك على الأقل ثلاثة أسباب طبية وعلمية تجعـــل لحم الخنزير محرما على الانسانية كلها لا على المسلمين وحدهم .

أولا : « انك تعرف من دراستك العملية أن هناك نوعا من الطفيليات اسمه الدودة الوحيدة أو الشريطية أو الــ Taenia تصيب الانسان عن طريق أكله لحوم الحيوانات .

فقال : نعم ومن المعلوم أنها تصيب الانسان عن طريق لحم البقر أو الغنم وليس لحم الخنزير وحده .

قلت : مهلا ولا تتعجل ، هل تعرف الفارق بين دودة الخنزير ودودة الحيوانات الأخرى كالبقر والأغنام ؟ هناك فارق كبير .. فدودة الخنزير اســـمها العلمـــى Taenia Solium وذلـــك لتمييزهـــا عن دودة الحيوانات الأخرى المسماة Taenia Saginata وليس المهم فى الفرق ، هو المنظر والحجم والأوصاف العلمية ، ولكن الفرق بينهما فى مقدار الضرر بالانسان ، والخطر على حياته ، فدودة الغنم تصل الى الأمعاء وتعيش فيها وتحدث أعراضا طفيفة ، ويمكن التخلص منها ببعض الأدوية . أما دودة الخنزير فانها لا تكتفى بالحياة فى الأمعاء ، ولكنها غالبا ما تتجه الى الأعضاء الحيوية فى الجسم كالمخ والعين والقلب والرئة والكبد ، وتكون هنـــاك حوصلة فى حجم حبة الفول أو أكبر .

فاذا كانت فى المخ أحدثت الجنون ، أو الشلل واضطراب الشخصية . واذا وصلت الى العين أصابتها بالعمى ، واذا وصلت جدار القلب أحدثت هبوطا فى القلب أو ذبحة قلبية ، وفى بعض البلاد الموبوءة بهذه الدودة . مثل أمريكا اللاتينية ، اذا ظهر على أى شخص أعراض الجنون أو التشنج أو العمى أو الموت المفاجىء يعرفون فى الحال أنه قد أصيب بدودة الخنزير وفى غير المناطق الموبوءة قد يكون تشخيص الحالة مستحيلا ، وغالبا يموت الشخص دون أن يعرف سبب وفاته ، كما أن العلاج قد يكون مســـتحيلا وذلك لأن الحوصلة لها جدار سميك لا تستطيع الأدوية بالفم التأثير عليه .. وهذا فى علمى أحد الأسرار التى جعلت الاسلام يحرم لحم الخنزير .

فأطرق الصديق الفرنسى فى تأمل وتفكير وقال : ــ
هذا وحده سبب كاف وحجة مقنعة .

قلت : وهناك سبب آخر لا يقل عن هذا أهمية .. ولكى اقنعك به أسألك أولا لم لا يأكل الانسان لحم القطط والكلاب والذئاب والثعالب ، وربما كان لحمها لذيذا مثل لحم الغنم .. وما هو شعورك لو قلت لك مثلا وأنت تهم بأكل لحم انه ليس لحم أرنب ولكنه لحم قط أو كلب مثلا ؟

فقال : أصاب بالغثيان والقىء .

قلت : لماذا .. ؟ هل تعرف السبب العلمى وراء ذلك بصرف النظر عن الأسباب العاطفية والانسانية التى اتفقنا فى أول حديثنا على تجاهلها ..

قال : لا أعلم .

قلت : المعروف علميا أن الحيوانات تنقسم الى قسمين : —

قسم يسمى آكلات الأعشاب Hanbivona مثل الغزال والجمل والأرنب والغنم .

وقسم يسمى آكلات اللحوم Cannivona مثل الأسد والذئب والثعلب والكلب والقط .

ومنذ خلق الله البشر حتى اليوم ، أى حتى فى العصور المختلفة التى كان الانسان فيها أقرب الى الحيوان ، لم يحاول الانسان أن يأكل لحوم الحيوانات آكلات اللحوم الا فيما ندر ، وفى الظروف الشاذة ، أو فى بعض القبائل المتخلفة جدا ..

وفى علمى أنه لم تحدث أبحاث علمية لاكتشاف السر فى هذه الحقيقة الانسانية ومعرفة أسبابها ، ولكن هناك ملحوظات لا يمكن اغفالها .

١ — ان الحيوانات آكلة اللحوم تكون أكثر ذكاء ووعيا ، وربما كانت تفهم معنى الذبح والأكل ، كما يفهمه البشر ، فأنت لا تستطيع أن تأكل كلبك ، لأنه يحس ويدرك ويتألم مثلك وله مشاعر كمشاعرك .

٢ — الملاحظ على القبائل المختلفة التى تأكل آكلات اللحوم أنها تصاب بنوع من الشراسة والميل الى العنف ، والقتل بدون سبب الا الرغبة فى سفك الدماء ، بل ان أكثرها فعلا يأكل لحم البشر .

٣ — وهناك رأى آخر يحسن بى أن لا أغفله وان كنت غير متأكد من صحته ، وهو أن أكل هذا النوع من اللحوم يسبب فى الانسان نوعا من الميل الى الفوضى الجنسية ، بمعنى أن علاقاته الجنسية يغلب عليها الفوضى والبدائية وعدم المبالاة لموضوعات العرض والشرف ، وانعدام الغيرة على النساء .

فاذا جئنا الآن الى موضوع حديثنا وهو الخنزير لوجدنا انه يعتبر علميا مرحلة بين آكلات اللحوم ، وآكلات الأعشاب ، وحتى تركيب جسمه وكبده وأسنانه تجعله ينتمى الى آكلات اللحوم أكثر من آكلات العشب . وأسوأ ما فيه أنه لا يأكل اللحم الطازج العادى ، ولكنه يأكل اللحم المتعفن ، أى الرمم وبقايا الحيوانات الأخرى مثل ابن آوى .

حقيقة انكم فى أوروبا تضعونه فى حظائر نظيفة لا يصل الى مستوى المعيشة فيها بعض البشر ، ولكن الخنزير برغم هذه النظافة قد يأكل براز الحيوانات الأخرى التى معه ، أو برازه . .أو أى فـــأر ميت يجـــده فى طريقه .

والآن يا صديقى العزيز ، اذا حاولنا تطبيق هذه الحقائق على الرجل الشرقى الذى لا يأكل لحم الخنزير ، وعلى الرجل الغربى وبدون أى شعور بالحساسية من هذه المقارنة لوجدنا أن هذه الفروق تنطبق على الاثنين تماما ، فالغربى أكثر ميلا الى العنف والحرب من الشرقى الذى اشـــتهر بالوداعة وحب السلام . والشرقى أكثر غيرة على النساء ، ومحافظة على التقاليد من الغربى ، فهل ياترى قنعت بالسبب الثانى ؟

فتبسم صديقى وقال ـــ نعم فما هى حجتك الثالثة ؟

قلت : من المعروف لدى الأطباء الباطنيين عامة أن لحوم الحيوانات تنقسم من ناحية سهولة الهضم والامتصاص ، ومن ناحية التأثير الصحى على الكبد الى نوع ثقيل ، وآخر خفيف وذلك بالنسبة الى كمية الدهنيات التى تحتويها . .

والطبيب اذا جاءه مريض بعسر الهضم ، أو مرض الكبد ، فانه ينصحه بعدم أكل الدهنيات واللحوم المدهنة محافظة على صحته ، ومن المعروف أن لحم الخنزير أكثر اللحوم دهنا ، ثم يأتى بعده لحم الغنم ثم لحم البقر الذى يعتبر أقلهم فى نسبة الدهن .

وهذا سبب ثالث من الناحية الطبية والعلمية فقط لتحريم الاسلام لحم الخنزير ، وربما كانت هناك أسباب أخرى دينية ، أو فلسفية ، وهذه يسأل فيها أهل الاختصاص .

ولعلك اقتنعت . قال : صديقى الفرنسى وهو يزيح صـــحن لحم الخنزير من أمامه :

لقد أفلحت حقا فى اقناعى وتلك معجزة .

قلت : المعجزة لله وحده الذى نهانا عن لحم الخنزير قبل أن يكتشف العلم الحديث ضرره بأربعة عشر قرنا من الزمان . .



مكتبة المجلة

الوسيط
فى احكام التركات والمواريث

الأستاذ زكريا البرى فقيه معاصر ، عمل فى الفتوى والتدريس ، وشغل عدة مناصب ، فهو أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ورئيس قسم الشريعة بجامعة الكويت ، وقد صدر له هذا الكتاب الذى ضمنه خلاصة وافية فى أحكام التركات والمواريث كما جاءت فى الفقه الاسلامى بمذاهبه المتعددة ، وكما هو المعمول بــه بمقتضى النصوص القانونية .

وقد ربط فى هذا الكتاب بين الأحكام وأدلتها الشرعية ومواردها القانونية بعد أن وقف على المواطن التى يكثر السؤال عنها والخطأ والاشتباه فيها ، والتى تحتاج الى مزيد من البيان والتوضيح وتحرر المــراد . ويقع الكتاب فــى ٣٢٠ صفحة ، والناشر دار النهضة العربية بالقاهرة .

.. مدى حرية الزوجين فى الطلاق ..

كتاب يقع فى جزءين كبيرين ــ ١١٠٠ صفحة ــ من تأليف الــدكتور عبد الرحمن الصابونى عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق .. وهو أول رسالــة منحتها جامعة القاهرة لخريجى معهد الشريعة الاسلامية للدراسات العليا .. نال بها المؤلف درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى . والكتاب كمــا قال عنه الدكتور مصطفى السباعى : أول كتاب أفاض فى موضوع الطلاق بحيث يعتبر مرجعا فى هذا الموضوع ، واعتمد المؤلف مبدأ : الأصل فى الطلاق والخطر . وبذلك اختار من كل مذهب ما يؤدى الى تضييق نطاق الطــلاق ، وعالج بعض الآراء الخاطئة حول الزواج ... وادعاءها أنه سبب فى انتشار تشرد الأطفال ، وكانت مناقشته هادئة ومعتمدة على العقل والاحصاءات الرسمية ...

ويحاول المؤلف بكتابه هذا أن يوحد بين قوانين الأحوال الشخصية فى البلاد العربية ، وفى أكثر من موضع عقد المؤلف مقارنة بين أحكام الشريعة الاسلامية فى الطلاق وبين ما ورد فى القوانين الأجنبية .. وأبان عن موضوعية الاسلام .. ومعالجته للواقع .. وبناء أحكامه عليه . والكتاب من طبع دار الهاشم ــ بيروت .. والناشر دار الفكــر .

خطران في وجه الشباب

خطران فى وجه الشباب لا بد من مواجهتهما مواجهة حاسمة ووضع الكلمة الأخيرة فيهما : هما :

اولا) تلك الحملة الضارة التى تقودها فى الخفاء قوى الاستعمار العالمى واجهزته المنبثة فى كثير من مجالات الصحافة العالمية والاخـــراج المسرحى والسينمائى والتعليم وتقوم بها مؤسسات التبشير والاستشراق والغزو الثقافى ، تلك هى القول بان « الجيل الجديد لا يقبل التوجيه من الجيل القديم وانه جيل بلا اساتذة ، وانه مطلق الحرية فى اختيار طريقه دون وصاية من أحد » .

وتحمل هذه الدعوى بعض مظاهر الحق لتقصير الآباء والأساتذة وفسادهما من حيث القدوة والمثل الأعلى ولكنها تضمر ذلك التوجيه الخفى الموجه الى كراهية الآباء والاساتذة والجيل القائم اليوم فى مجال الثقافة والتربية والتعليم وكراهية التراث القديم كله ، والانفصال عن المجتمعات فى تطورها ، وعن الامـــة فى خطوها ، وعن القيم الاساسية التى عرفها العرب والمسلمون والتى هى سنادهم

القوى فى وجه حملات الغزو الخارجى التى لم تتوقف خـــلال تاريخهم كله .
ان من حق الشباب أن يكون له ذاتيته الخاصة وان يتاح له عن طريق كل المتعاملين معـــه فى الأسرة والمدرسة والبيئة افساح الطريق لتكوين طابعـــه المستقل الذى هو طابع الامة فى مستقبلها .
ولكن السؤال هو : مم تتكون هـــذه الذاتية التى ستحمل لواء قيادة هذه الامة فى المرحلة القادمة . أليست تتكون من هـــذا الواقع الذى نعيشه ، ثم تصبح امتدادا له ، اذن فلا سبيل لها لان تنفصل عنه ، وانما هى تبدأ منه أساسا ثم تنمو فتجدده لتضيف فى الجيل القادم لبنة فى البناء ، اذن فليس هناك حركـــة فى فراغ ، وليس فى وسع الشباب أن ينفصل عن أمته ومجتمعه وعن الجيـــل المعاصر لـــه . .
وليس من مصلحته مطلقا ان يكون بغير اساتذة ، الا اذا كان قـــد استطاع ان يشكل نفسه على نحو أكثر اتصالا بقيم هـــذه الامة ومما يجده فى جيله وذلك استمدادا من المثل العليا المتقدمة فى تاريخه ومن بطولات الاعـــلام السابقين فى مجال الفكر والقيادة .
أما اذا كانت هـــذه الصيحة تحاول ان تخرجه عن القيم والمقـــدرات الاجتماعية والدينية والاخلاقية لتدفعه الى الانطلاق نحو مظاهر الحضارة ، فان صاحب هـــذا القول هو عدو مبين ، والدعاة الى هذه الحرية لا يريدون الخير بهذا الشباب لانهم يدفعونه الى تحطيم ذاته ، وتدمير نفسه ، بالاندفاع كراهية

منعه من خبرة الأجيال وإنكار المسؤولية والجزاء

للأستاذ أنور الجندي

عضو المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة

أو هربا من محاولة وهمية يطلق عليها اسم وصاية الآباء أو الجيل القائم ، أو توجيهه .
ومن الحق ان الامر ليس فيه وصاية أو توجيه على النحو الذى يحول دون حرية الحركة للشباب ، بل هى مرافقة النبت الصغير حتى ينمو ، وحمايته من العطب ، وتسديد خطاه فى وقت تقصر فيه العيون عن النظر البعيد كما تقصر العقول عن الاستيعاب الواسع .

ومن حق الشباب ان ينتفع بكل ما فى طريقه من خبرة وتجربة سابقة حتى لا يقع فى نفس الاخطاء التى وقع فيها من جاءوا قبلـــه وحتى يبنى نفسه عـــلى نحو أكثر قوة وحيوية ، ولذلك فان الشباب الصاعد الطامح هو الذى يجب ان يسعى للبحث عن تجارب السابقين ، سواء فى مجال الحياة الاجتماعية أو فى أمور التاريخ والحضارة لانه لن يستطيع ان ينظر فى الواقع القائم الا اذا كان قد الم بالمراحل السابقة : والتجارب الماضية باخطائها وانتصاراتها ولن يستطيع ان يبنى لبنة واحدة الا اذا عرف الى أى حد وصل البناء ، وتجـــارب الامم هى زاد الأجيال المؤهلة لتولى زمام الامور فى بلادها ، فاذا انفصلت اجيال الشباب الجديد عن هذه التجارب فقد فاتها الكثير وقصر أمامها الطريق وضاق .

ثانيا) تلك الاخطار الوثنية الفلسفية التى تروجها بعض المذاهب الفلسفية والتى تحاول القول بان الحياة الدنيا التى نعيشها هى الحياة وانه ليس وراءها حياة اخرى ، ومن هنا فان على الانسان ان يأخذ حظه من كـــل متعة ولذة ، دون ان يعمل حسابا لاى شىء آخر . .

وليس فى هذه الفكرة من حق يقال به ، ولكنها دعوة لا يقرها العقل قبل ان ترفضها الاديان وتنكرها القيم الانسانية التى عرفها العـــرب والمسلمـــون منذ قرون . .

واذا كانت هذه الدعوى تروج فى الغرب وفى بيئات قامت فى أساسها على الوثنية فانها لا تجد قبولا فى عالم المسلمين والعرب . واذا روج لها فان المزاج العربى الاسلامى لن يقبلها وان الذاتية العربية المسلمة ترفضهـــا مهما بدا بريقا لامعا فى العيون : عيون الشباب التى لا ترى الا من خـــلال العاطفة الحادة أو الحس الذى لم يستقر بعد . .

وان مثل هذا القول على اطلاقه فيه امتهان لانسانية الانسان ، فهو انكار للمسئولية الفردية أساسا التى هى منطلق الشخصية الانسانية ، فضلا عما فيه من الغاء للحدود والقوانين التى تحول دون طغيان فرد على حرية الآخرين .

وليس من المعقول اطلاقا ان تكون الحياة فوق هذه الارض هى كل شىء ، وان يكون الموت هو نهاية هذه الحياة ، ولا بد أن يكون للوجود الانسانى فوق الارض حكمة ، وان يكون للانسان نفسه رسالة وان تكون قدرته على الحركـــة فى حرية سواء فى اتجاهه نحو الخير أو الشر لها مسئوليتها وتبعتها ، ولها من بعد ذلك حسابها وجزاؤها . .

ومن ثم فان ارتباط حياة الانسان على هـــذه الارض بحياته الأخرى ، هو ارتباط بين الجزء والكل وبين الفعل ورد الفعل وبين العمل والجزاء ، وليس الموت الا فاصلا رقيقا بينهما .

ولا قيمة للحياة اذا لم تكن لها رسالة يقف منها الانسان موقف التجربـــة والتحدى ، بين اخطار الشر ودوافع الخير ، ولا بد لهذه الرسالة من حساب وجزاء ، واجر كبير للقادرين على الصمود فى التجربة ، ولا بد من عقاب كبير

للذين عجزوا عن اداء الرسالة أو ضعفوا عن احتمال التبعة ، ولذلك فالعمل فى هذه الحياة محسوب ، له وزنه وتقديره ، ولن يكون انطلاقا لارقابة عليه .

ومن الحق أن يقال ان كلا الدعوتين والخطرين هما مما تروجه القوى الاستعمارية والصهيونية كأسلوب بعيد المدى فى محاولة تدمير الجيل القادم الذى سيتولى مصائر الامور فى هذا الوطن بعد عشرين أو ثلاثين عاما ، وأن محاولة تدميره من الان انما تجعل أمر سيطرة هذه القوى الاستعمارية على الامم سهلا يسيرا فانها تضمن من الآن انها لن تجد مقاومة ، وسوف تجد جيلا هشا ضعيفا مدمرا فى قيمه ومعتقداته ، ومن ثم تسهل السيطرة عليه واحتواؤه .

هذا هو الهدف الخفى وراء اذاعة دعوى تحرر الشباب من توجيه الآباء ، واغراء الشباب بالثورة على أهله وآبائه ، والخروج عن واقع مجتمعه ، والاندفاع الى أقصى الغايات فى التماس اللذات والرغبات .

ولقد كانت القيم الاسلامية من أكبر العوامل أثرا فى بناء الشباب وحمايته مع منحه كل الحرية فى تشكيل نفسه على نحو مخالف لاجيال الآباء ، فقد قدمت هذه القيم خطة ذات شقين متلازمين :

(الشق الاول) : بناء الشباب على اساس الخلق والايمان بالله والصلابة والصمود بالرياضة والرمى ، وتعميق الثقافة بالقرآن والسنة وحكمة التاريخ وعظمة اللغة العربية ، وتقدير النوابغ والابطال الذى يزخر بهم تاريخ المسلمين والعرب ، والتشكل على نحو واضح فى الثقة بالنفس ، والتاريخ ، والاعتزاز بالاسلام والعروبة وامجادها .

(الشق الثانى) الاعتراف بالنفس الانسانية ومطامحها وأهوائها ونوازعها والاعتراف بما للحس والذات من أثر واضح عميق فى الكيان الانسانى والوعى العميق بخطر الاندفاع فى تحقيق هذه اللذات عن غير طريق الزواج المشروع ، مع التوسط فى اللذات حماية للكيان الانسانى من التدهور والانهيار .

ومن هنا فقد كانت العلاقة بين الاجيال الجديدة والاجيال القديمة هى علاقة تقدير من ناحية الأبناء وعلاقة حب ووفاء من ناحية الآباء ، ايمانا بذلك الامتداد الذى لا ينقطع بين الأجيال أخذا وعطاء ، غير ان النفوذ الاستعمارى ومن ورائه قوى الغزو « الثقافة والتغريب » كان حريصا على ان يدمر هذه البراعم الجديدة ويحطمها ويحول بينها وبين فهم حقائق الامور ، ومن ثم كانت الثقافة الوافدة عاملا هاما فى اذاعة أدب الجنس ، من قصص وأفلام ومسرحيات وصور عارية ، وقد رافق ذلك دعوات فلسفية صيغت خصيصا لتحطيم مقومات الامم والشعوب ، وهى الفلسفات التى تحمل لواء الاباحية النفسية وتحرير « الوجود » النفسى من القيود واطلاق الذات الانسانية من كل القيم ، ودفعها الى مجال الاغراء والمتعة دون ضوابط لا بد منها ، أو قوائم أساسية لتنظيم الحياة الاجتماعية وحماية الكائن الحى وحماية المجتمع نفسه مع ارهابها بخطر الكبت واثره فى العقل وهى أخطار ثبت علميا كذبها وتضليلها وهدفها الماكر الخطير .

ولا بد ان تجد مثل هذه الدعوات تقبلا واعجابا من الشباب المراهق الذى لا يعرف مدى الاخطار التى تكمن وراءها والذى لم يجد من الحماية الذهنية والروحية ما يكشف له الخطر أو يبين له وجه الحقيقة بعد ان بعد هذا الشباب عن دينه وخلت معظم المناهج من تربيته تربية روحية تكون له حصنا ضد اخطار الدعوات البراقة والاغراء الذاتى .

وهنا تبدو أهمية « تجربة الآخرين » (١) وحاجة الشباب اليها لحماية وجوده الذاتى ، واستشراف المستقبل ومعرفة الحاضر ، ان علينا أن نعرف ان محاولة الوقيعة بين الجيل الحاضر والاجيال الجديدة هى احدى مؤامرات الصهيونية والاستعمار لعزل هذا الشباب الجديد عن التراث والماضى والقيم الاساسية ، ثم تدميره بالتيارات الجديدة الخطيرة من الفلسفات ومن اشاعة انواع جديدة من الملابس والزينة من شأنها ان تزيل الفوارق بين الرجل والمرأة وتعطى الرجل صورة المرأة بانشاء السوالف وتغزير الشعر وتعطى المرأة صورة الرجل بالملابس والسراويل الطويلة . وتلك من اخطر المحاولات لازالة الفوارق الاساسية بين الرجل والمرأة ، ونقل قيم المرأة الى الرجل ونقل قيم الرجل الى المرأة وبذلك تختلط الطبائع ويفقد الجنس أقوى مقوماته استقلاليته وذاتيته . هذا مع ملاحظة ان السوالف تقليد يهودى ..

ومن أخطر الوسائل التى يحمل لواءها الاستعمار والصهيونية : اعلاء اخبار الجنس والجريمة فى الصحافة والسينما .

ومن خلال عدد من الصحف والمجلات التى تصوغها دوائر الاستعمار وتذاع فى مختلف أنحاء العالم العربى نجد (اسطورة طرزان) التى تمثل الرجل الاوربى القوى الذى يعيش فى مجاهل وغابات أفريقيا وهو بطل آلاف القصص والأفلام التى تخدم الاستعمار . وبجواره يعيش الرجل الافريقى والعربى والمسلم ذليلا ضعيفا مسحوقا .

ونجد « جيمس بوند » البطل الزائف الذى يتمثل فى صورة المقامر الأفاق ، ورجل المقالب الذى لا يتحلى بفضيلة ما ، والذى تقوم بطولته على أساس ان الغاية تبرر الواسطة ، والتى تجعل من الثراء والقوة مصدرا لها . مع امتهان كل القيم والفضائل .

وترد هذه المثل فى مجلات توجه الى الأطفال والشباب وهو عمل خطير مخطط يراد به تدمير الاجيال التالية والمعروف أن كل ما يصل الى أذهان الصغار لا يتلاشى منها وانما يبقى فيها طويلا ويكون تأثيره من بعد عميق الأثر .

وجملة القول فى مجال الشباب هو تأكيد معنى واحد هو مفتاح كل المعانى وفيه تفسير لكل الأخطار ، ذلك هو ان من وراء ثقافة الشباب تحديا كبيرا ، يوجهها ويصوغها دون أهلها الذين اهملوها هو التحدى الاستعمارى الصهيونى الذى يحاول ان يصنع الشباب على نحو يجعله اداة خالصة لاهوائه واغراضه .

فعلى العرب والمسلمين ان يواجهوا هذا الخطر فى حسم وأمانة حتى يحفظوا هذه الاجيال الجديدة ويحموها من الاخطار التى سوف تكون اشد خطرا على مصير العرب والمسلمين من الاخطار التى يواجهونها الآن .

---

(١) لا بد أن تكون « تجربة الآخرين » قائمة على اساس اهل الوطن والفكر من الصادقين المخلصين ، لا من أولياء النفوذ الاستعمارى والتابعين لدعاة التغريب أو خريجى الارساليات التبشيرية (الكاتب) ..

مؤتمر المراكز الاسلامية

اعداد : عبد المعطي بسيومي

ثمرة من ثمار الأمانة الاسلامية العامة التى تولى ببحثها وعنايتها ما يتعلق بامور الاسلام والمسلمين عقد مؤتمر المراكز الاسلامية فى مدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية فى الفترة بين ٧ ـ ١٠ ربيع الثانى ١٣٩١ (١ ـ ٣ يونية ١٩٧١) .

وقد مثل الكويت الاستاذ احمد المدينى مدير ادارة شئون المساجد بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ... وكان لقاء مع سيادته تناولنا فيه شئون المؤتمر ..

ـ ما هي الفكرة من عقد هذا المؤتمر ..؟

نبتت فكرة عقد هذا المؤتمر خلال انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى انعقد فى كراتشى حين اتضحت حاجة الدعوة الاسلامية فى اماكن معينة فى العالم الى مراكز اسلامية تعمل على ابراز حقائق الاسلام وتجلوها باعتبار الاسلام رسالة عالمية تتضمن كل ما يقيم حياة الانسان بكل ما يلزمها ويوجهها نحو الخير والتقدم .

ولذلك فان مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية قرر عقد مؤتمر خاص للخبراء المسلمين لبحث موضوع انشاء هذه المراكز والتخطيط لها وكان هذا هو مؤتمرنا فى الرباط .

ـ كم دولة اسلاميةاشتركت فى هذا المؤتمر ..؟

اشترك فيه ممثلو ٢٠ دولة اسلامية هى :

ـ المغرب ـ ليبيا ـ النيجر ـ ماليزيا ـ السنيغال ـ موريتانيا ـ افغانستان ـ الباكستان ـ الجزائر ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ أندونيسيا ـ السعودية ـ ايران ـ الصومال ـ الاردن ـ تونس ـ الكويت ـ تركيا ـ لبنان الجمهورية العربية اليمنية .

ـ ما هى الخطوات التى اتخذها لبحث انشاء المراكز الاسلامية ..؟

الحقيقة كانت هناك عدة اقتراحات وعدة مشروعات

* اقتراح من الأمين العام
* اقتراح من الحكومة المغربية
* اقتراح من الباكستان

* فالأمين العام الأمير تنكو عبد الرحمن كان يرى فى توجيهه للمؤتمر تكوين لجنة دائمة تتولى مهام تنسيق نشاطات المراكز الثقافية وتعمل ثقافيا وحضاريا على خلق تطابق اسلامى مبنى على العقيدة الاسلامية ومناهجها للحياة البشرية .

ـ وتعمل هذه اللجنة على تنسيق نشاطات المراكز الاسلامية واقامة ندوات فى البلدان المختلفة لشرح المواضيع العديدة من الجانب الروحى والعلمى وأثر ذلك على حياتنا الاسلامية .

وبعد الموافقة على عقدهذهاللجنة تقوم باعداد مسودة دستورها لتقدم الى الأمين العام لتقديمها بالتالى الى مؤتمر وزراء الخارجية الذى سيعقد بمدينة كابل بأفغانستان .

ثم تقدم وفد المغرب باقتراح جعل المسائل الاسلامية بعيدا عن النزاعات السياسية فى العالم الاسلامى ثم عرض لدور المراكز الذى ينبغى أن تضطلع بـه .

ثم تقدم وفد الباكستان باقتراح انشاء هيئة للثقافة الاسلامية فى مقر الأمانة العامة باشراف نائب الأمين العام للشئون الثقافية وهذه الهيئة يعهد اليها بالنواحى العلمية وتنشيط المراكز الاسلامية الموجودة وانشاء مراكز جديدة ويقوم الأمين العام بتزويد القسم الثقافى من أموال التبرعات العامة والخاصة ومن الاشتراك .

والحقيقة أننى كنت احمل عدة اقتراحات الا اننى رأيت توافقا بينها وبين أفكار المغرب واقتراح الباكستان ورأيت توفيرا للوقت ، واعتمادا على اننى حضرت فى لجنة التوفيق بين الأفكار أننى يمكن أن اضيف ما أراه فى اللجنة .

وقد كون المؤتمر هذه اللجنة من عشرة اعضاء ـ على أن يسبقها اجتماع بين الوفدين المغربى والباكستانى لتوحيد المقترحات ـ للتنسيق بين افكار المغرب والباكستان لتقديمها فى اقتراح واحد يقدم الى مؤتمر (المراكز الاسلامية المنعقد)

وفعلا رسمت اللجنة مشروعا واحدا وقدمته للمؤتمر للموافقة عليه وقرىء بندا بندا ووفق عليه بالاجماع مع بعض التعديلات والصيغ كتوصيات لمؤتمر كابل لوزراء الخارجية على النحو التالى :

(١) قسم البحث والتوجيه ويتكلف بـ

(أ) جمع أمهات الكتب الاسلامية ونشرها

(ب) دراسة ما يكتب عن الاسلام وتقييمه
(جـ) ترجمة الكتب الاسلامية الى اللغات الحية
(د) دراسة الوثائق المتعلقة بالمراكز الاسلامية
(هـ) اعداد برامج ومناهج وكتب المراكـــز
(و) تكوين الدعـــــاة ـــــ
(ز) تنظيم محاضرات وندوات للقائمين على هذه المراكز
(حـ) اصدار مجلة تعنى بالتوجيه وبنشاطات المراكز .

(٢) ناحية الشئون العامة وتتولى النواحى الادارية للجنة .

(٣) الناحية المالية حيث تعتمد اللجنة فيها على الميزانية التى ترصدها الأمانة الاسلامية العامة .

ــ ما هو الشيء الذى كنت تتمنى أن يتم فى المؤتمر ؟

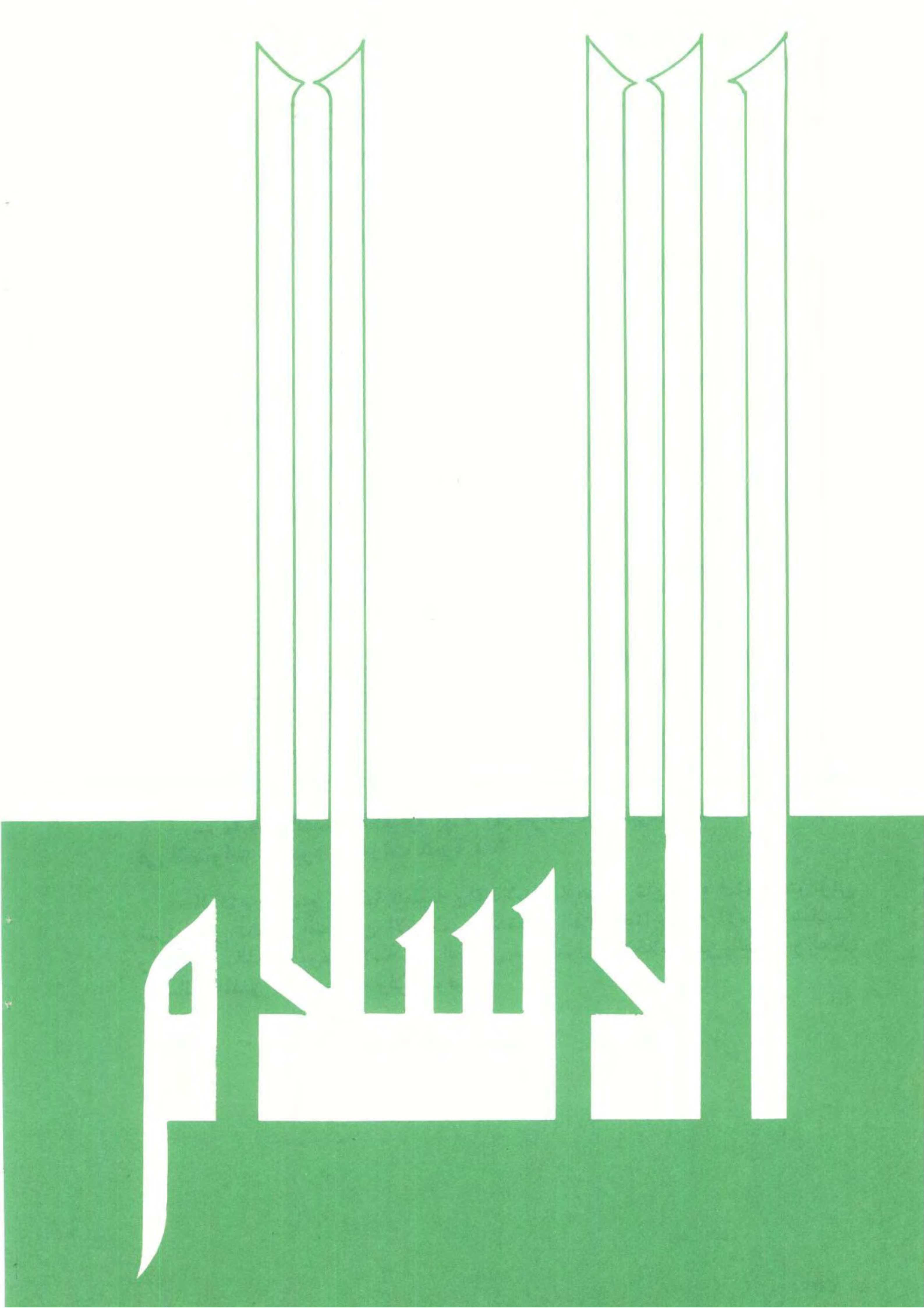
ــ هناك طبعا تمنيات كثيرة فى كل عمل اسلامى وهناك ــ مثلا ــ كنت أتمنى أن تتم اقامة معرض للكتب والافلام عن الحضارة الاسلامية من كل الـــدول الاسلامية كما كان اقتراح الأمانة العامة على الدول المشتركة فى المؤتمر . لكن الذى حدث أن الكويت والصومال فقط هما اللتان أقامتا هذا المعرض وحدهما فى خلال المؤتمر .

ــ هل يكفى مشروع هذه اللجنة التى اتفق عليها المؤتمر للنهوض بالمراكز الثقافية الاسلامية فى نظركم ..؟

هى تكفى مع مراعاة التوصيات الأخرى التى اتخذها المؤتمر وسوف يعرضها على مؤتمر وزراء الخارجية الذى سيعقد فى كابل .

ــ ما هى القيمة الحقيقية لهذه المؤتمرات فى نظركم وخاصة اننا شهدنا فى السنوات الأخيرة مؤتمرات كثيرة ..؟

الواقع انه مع النوايا الطيبة والاخلاص للأهداف فان هذه المؤتمرات تؤتى ثمرتها فى تحقيق التضامن الاسلامى الحقيقى الذى تحتاج اليه الأمة الاسلامية وانا نسأل الله أن يوفق الأمة الى الصدق فى القول والاخلاص فى النوايا والعمل الصالح المثمر البناء والله ولى لتوفيق .



للدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

حركة الاسلام فى العصر الحديث حتى اليوم ، من الضرورى أن يتنبه لها كل مسلم غيور على دينه وأمته ، ليعرف خطاه وخطى بنى قومه ، والى أية غاية أداه اليها مسيرة التاريخ الاسلامى حتى اليوم ، والى أى هدف يسير ، أو يجب أن يسير اليوم ، ليصل الى نقطة ارتكاز جديدة ، والى منطلق قومى اسلامى جديد .

ولا نستطيع فهم مسيرة التاريخ الحديث للاسلام الا اذا صورنا فى ايجاز حركة الاسلام قبل العصر الحديث لتكون مقدمة لحديثنا اليوم .

— ٢ —

غير الاسلام ، بعد انبعاثه بقليل وفى حوالى ست سنوات لا غير فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، مجرى التاريخ العالمى ، بل غير وجه العالم تغييرا لم يحدث مثله من قبل ولا من بعد ، وحطم انبعاث الاسلام على هذه الصورة المذهلة كل الأقيسة التاريخية ، اذ لم يسبقه فى هذا سابق ، ولم يلحقه لاحق ، كما يؤكد المؤرخ الانجليزى المشهور « توينبى » وورثت الأمة العربية المسلمة الامبراطورية الساسانية ، كما ورثت ملك الامبراطورية الرومانية الشرقية

فى العصر الحديث

فى الشام ومصر والمغرب وجـــزر البحر الابيض المتوسط .

وامتدت بعـد ذلك الفتوحـات الاسلامية شرقا وغربا الى أماكـن كثيرة حتى أصبحت امبراطوريـة الاسلام تمتـد من الصين حتـى شواطىء المحيط الاطلسى ، وتشمل كثيرا من سهول آسيا الصغـرى وجزر البحر الابيـض المتوسـط واسبانيا واماكن كثيرة متعددة فى جنوب أوروبا .

وكان من الطبيعى أن تقف أوروبا المسيحية بقواتها العسكرية ممثلـة فى الامبراطورية البيزنطية فى وجه الاسلام ، لتعوق هى وأحلافها فـى أوروبا امتداده اليها والى غيرها من معاقل العالم المسيحى .

وظلت الامبراطورية البيزنطيـة تقاوم الاسلام ، على امتداد الايام ، بكل ما تستطيع من جهد عسـكرى وسياسى معا .. نحو ثمانية قرون من الزمان .

وظهرت القوميات الاسلامية فى العالم الاسلامى فى القرن الثالـث والرابع والخامس الهجرى ، لتضعف من قوته ووحدته وتعاونه فى صـد هجـوم البيزنطيين على معاقـل الاسلام .

وفى نهاية القرن الخامس الهجرى انتقلت أوروبا الصليبية الى الهجوم على الاسلام فى وطنه وبـلاده ، وأشعلت نيران الحروب الصليبيـة الحاقدة المتعطشة الى الدماء والتى استمرت نحو قرن ونصف من الزمان وشجعت أوروبا كـذلك فرسـان أسبانيا على مقاومة المسلمين فيهـا والعمل على طردهم منها نهائيا .

وخلال موجات الحروب الصليبية التى أنهكت العالم الاسلامى انهاكا شديدا ، والتى لم تضعف من عزيمته فى مقاومة الغـزو الصليبـى ، والعدوان المدمر الزاحف من أوروبا زحف الخطر المغولى على العالـم الاسلامى ودمره تدميرا شديـدا واستولى على بغداد عاصمة الخلافة العباسية وزحف الى الشام وهـدد مصر تهديدا كبيرا .

ويظن أن المغول كانوا فى زحفهم هذا يقفون وحدهم ، ولكن هذا خطأ كبير ، فلقد كانت المسيحية أو على الاصح الصليبيـة ، هى المحرض الاول للتتار على هذا الزحف ، وهى التى رسمت لهم الخطط ، وامدتهم بالتقارير الوافية عن حالة الخلافـة العباسية فى بغداد ، وحالة العالم الاسلامى عامة ، وحسبنا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن هيثون ملك ارمينية المسـيحى كان العامـل الرئيسى فى اقناع ما نجو خان (٦٤٦ — ٦٦٥ هـ : ١٢٤٨ — ١٢٥٧ م) بارسال تلك الحملة التى دمـرت بغداد بقيادة هولاكو (٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م) (١) ، وأن هولاكو التترى زوج ابنه من ابنـة الامبراطـور البيزنطى (٢) .

ولما قامت الامبراطورية المغوليـة الكبرى ، داعب المسيحية الغربية ، أمل مهاجمة الاسلام فى مؤخرته ، وذلك بتحويل حكام هذه الدولـة الجديدة الكبرى الى القالب الغربى من الديانة المسيحية ، وفى سبيـل ادراك هذه الغاية قطع رسل البابا من المبشرين الرحلة الطويلة الـى (قرة قوروم) عاصمة الامبراطورية المغولية آنذاك ، وتلاهم ماركو بولو بعد ذلك بقليل وهو فى طريقه الى بلاط قوبلاى خان امبراطور الصين ،

لكن خاب امل المسيحية الغربية فى ذلك كله (٣) ، ومع أن الغزو المغولى قد دمر العالم الاسلامى ومراكز حضارته تدميرا كاملا ، الا أن هزيمة المغول امام الجيش المصرى فى عين جالوت ، التى اشبهت هزيمة الصليبيين امام صلاح الدين الايوبى فى حطين ، كانت عاملا كبيرا فى عودة الطمأنينة الى العالم الاسلامى من جديد ،واصبحت مصر بعد معركة عين جالوت (الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٩ هـ — ١٢٦٠ م قلعة العالم الاسلامى العسكرية وحصنه السياسى والاقتصادى ، ومنارته الثقافية والدينية (٤) ، وكانت قدرة العالم الاسلامى على أن يسحق فى القرن السابع الهجرى — الثالث عشر الميلادى قوة العدوان الصليبى ، وشوكة الغزو التترى ، ثم قدرته خلال القرن التاسع الهجرى — الخامس عشر الميلادى على أن يجتاح اخيرا الامبراطورية الرومانية الشرقية ويزيلها من الوجود ، عاملا كبيرا فى طأطأة أوروبا راسها للتيار الاسلامى العظيم ، حتى اصبحت تعتقد فى قرارة نفسها« استعصاء المسلمين على الهزيمة » (٥) .

وارادت أوروبا القيام بضغط عسكرى ضخم على المسلمين فى الاندلس لرد الثقة فى النفوس ، فاحتلت غرناطة وازالت آخر معقل اسلامى فى الاندلس ، بأيدى فرسان اسبانيا وحلفائهم وذلك عام ٨٩٧ هـ — ١٤٩٢ م .

— ٣ —

ولم تستطع أوروبا مقاومة القوة الاسلامية ممثلة فى مصر آنذاك ، فأخذ البرتغاليون طريقهم الى الهند عبر راس الرجاء الصالح ، واخذوا السيادة البحرية — من ايدى العرب — على المحيط الهندى فى القرن السادس عشر الميلادى — واخذت روسيا تجتاح مناطق الشمال الآسيوية وتطوق العالم الاسلامى الممتد الى اطراف الصين ، وذلك خلال القرن السابع عشر ، ثم كان ارتداد العثمانيين عن فينا خلال عام ١٦٨٢ م نقطة تحول كبير فى المعارك بين أوروبا والعالم الاسلامى فى جبهة وسط أوروبا على امتداد جبهة الدانوب ، كما هزم العثمانيون أمام روسيا هزيمة كبيرة ساحقة أيضا عام ١٧٧٤ م ، ثم كانت هزيمة المماليك أمام الجيش الفرنسى فى الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م ، وانزلت اداة الحرب الأوروبية الحديثة عدة هزائم بالعالم الاسلامى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادى .

وكما استولى الهولنديون خلال القرن السابع عشر على جاوة وبقية جزر الهند الشرقية ، استولى البريطانيون على البنغال خلال أعوام ١٧٥٧ — ١٧٦٤ م ، واستولت فى القرن التاسع عشر فرنسا على الجزائر ثم تونس ثم المغرب ، واستولت انجلترا على مصر ، وبدأ ضغط الاستعمار الاوروبى للشرق العربى الاسلامى يتفاقم ويزداد خطره على مقومات المسلمين الروحية والحضارية والسياسية .

— ٤ —

وفى ظلال الاستعمار الاوربى للعالم الاسلامى قامت المدارس التبشيرية فى كل مكان من أنحاء الوطن الاسلامى ، وحدثت حركة

طغيان شديد للحضارة الغربية التي اشتدت موجتها العاصفة الزاحفة على بلاد الاسلام ، والتى اخذت تطبع حياة المسلمين بطابع غربى محض فى كل جانب من جوانب حياتهم : السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

وزاد مد الاستعمار الغربى بعد ذلك فاحتلت ايطاليا ليبيا ، وصحب ذلك زيادة نفوذ التبشير المسيحى ، وكلب الغزو الحضارى الاوربى للعالم الاسلامى ، وقضت أوروبا على الخلافة العثمانية التي كانت تمثل الفكرة الاسلامية قوميا وسياسيا وعقائديا تمثيلا كبيراً .

ثم ظهر الخطر الصهيونى ، وتفاقم خطره بقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ فى فلسطين ، وعلى رقعة من أهم بلاد الاسلام وأكثرها عروبة ، وقامت اسرائيل خلال عشرين عاما بثلاث حروب على العالم العربى ، هى حرب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .

كل ذلك يعد تنفيذا لمخططات أوروبا المسيحية فى مقاومتها للاسلام ، وفى معركتها مع المسلمين .

وتعتبر أوروبا أن الخطر الاكبر عليها هو الاسلام نفسه ، وأن كل عمل ضد الاسلام فى بلاده هو خط أمان جديد لأوروبا فى الحاضر والمستقبل ...

والقضاء عليه .. ويشارك أوروبا فى هذا الشعور أمريكا وغيرها من بلدان العالم المسيحى .

وللقضاء على الاسلام فى عرف أوروبا أساليب كثيرة ، تبدأ من المدرسة ومنهجها التربوى ، والثقافة وحركتها فى ثلب الاسلام والمسلمين والعرب والعروبة ، وتشويه تاريخهم وأعلامهم وثقافاتهم وحضاراتهم ، وتسير فى امتداد التبشير من داخل العالم الاسلامى وخارجه ، على ايدى المبشرين الظاهرين ، والمبشرين المختفين من المستشرقين ، وممن ينتمون كلهم او جلهم الى الاديرة المسيحية ، وممن تخرجوا من صوامع الرهبنة ، فى الغرب وامتلأت نفوسهم بالبغضاء للاسلام وتراثه وثقافاته ولغته وعقائده .

وقد ساعدت البيئات الصليبية المسيحية على قيام دعوات اسلامية متطرفة فى العالم الاسلامى من مثل البهائية والقاديانية وغيرهما .

كما ساعدت أمريكا بنفوذها ومالها الشيوعية على التغلغل فى العالم العربى بعد الحرب العالمية الثانية مما ذكره بوضوح ايدن فى مذكراته . كل ذلك فى محاولة قوية لتحطيم العقيدة الاسلامية ، وتحطيم الكيان الاسلامى القوى فى نفوس المسلمين .

وعداوة اوروبا للاسلام .
ومقاومتها له ، ووضعها الخطط لحصاره ، وتبديد قوته ، لا تنتهى عند حد ، وكل حدث كبير أو صغير فى بلاد الاسلام انما هو اثر تخطيط غربى موضوع لمقاومة الاسلام

وقد اسهمت اوروبا فى الدعوة الى العلمانية ونشر فكرتها بين ابناء المسلمين ، وبخاصة المثقفين منهم فى معاهد الغرب وجامعاته ، لعزل الاسلام ، عن المجتمع وجعله دين رهبنة فحسب ، كما حدث للدين

المسيحي نفسه ، وهذا منطق يأبـاه الاسلام وطبيعته اباء شديدا ، لأنـه دين يجمع بين العقيدة والحيـاة ، وبين الفكر والعمل ، وبين الآخـرة والدنيا ، وبين المادة والروح ، ويربط بين الفكرة والواقع برباط وثيق .

— ٧ —

ولا ادرى لمـاذا تقوم معاهـد الدراسات الاسلامية فى الغرب وفى كندا وأمريكا، وهى ملحقة بالجامعات الغربية والكندية والامريكية ، على فكرة واحدة ، هى أن تكـون مراكز استماع على العالـم الاسـلامى وحركاته ، وعـلى تشويه حقائـق الاسلام وتاريخه ، ومن أجل الوصول الى هذه الغاية تنتدب هذه المعاهد من انحاء العالم الاسلامى لفيفا من الأساتذة المتتلمذين على الثقافـة الغربية ، والمتشبعين بها ، والذين لا يرون الاسلام الا بمنظارها وحده ، حيث يجلسون مع أساتذة صهيونيين متخصصين فى محاربة الاسـلام وشعوبه ، وفى تشويه كل فكـرة اسلامية ، وفى دراسة كل حركـة نابتة أو قائمـة فى الشـعوب الاسلامية ، وكل حركة يمكـن أن تؤدى الى خطر جديد على الغـرب وأمنه وسلامه فى المستقبل (٦) .

— ٨ —

ان ايمان المسلمين المعاصرين ، أو كثير منهم ، بالحضارة الغربيـة ، ايمانا مطلقا ، واعتناقنا للافكـار الهدامة الشيوعيـة والصليبيـة والتبشيرية اعتناقا كاملا ، وطبـع ثقافاتنا وكل حركات التعليم فى بلادنا بطابع غربى محض ، وانتشار الافكار السخيفة الوافدة الينا من الغرب ، والتى تروجها الصليبية الغربية فى صفوفنا ، من امثـال أن الـدين الاسلامى دين رجعى ، وأن تشريعاته وحدوده ونظمه قديمة بالية لا تتفق وروح العصر الحاضر .

كل ذلك ، وغيره ، انما هـو من مظاهر العمل الخفى ، الذى جهـد الغرب الصليبى وأذنابه فى العمل من اجله قرونا وأجيالا ، فى بلاد الاسلام وبين شباب المسلمين .

ومن العجيب أن نتلقى من الغرب كل الأحكام التى يصدرها علينا — بدافع من العصبية والحقد والعداوة الموروثة — بالقبول والتسليم ، وأن نحاول فى تفريط ظاهر ، الانسلاخ من مقوماتنا الأصيلة ، لنحقق أمـل الغرب وأمانيه بأيدينا نحن ، ولنؤكد له ولاءنا الروحى والفكرى والثقافى ولنظهر امام الناس بمظهر المتطفلين على موائده ، والمتتلمـذين علـى افكاره ، ما جل منها وما هان ، وما صلح وما فسد .

— ٩ —

وما رأيت رجلا مصمما على قتل انسان ، ثم يصبح هذا الانسان عونا له فى تنفيذ جريمته باختياره ، الا نحن المسلمين ..

اذلك لغباء وعته وغفلة ؟
أو لجنون وفقدان تمييز ؟

أو لجهل بحقائق الصراع العالمى والتاريخى بين الاسلام والغرب ؟
لا أدرى ..

ولكن الذى أقرره ، ويقرره كل دارس لتاريخ الاسلام : القديـم ، والحديث ، والمعاصر ، هو أن عداوة اوروبا واحلافها للاسلام لا تقف عند حد ، وأن تخطيطهم للقضاء عليـه وتحطيم شعوبه لا ينتهى عند غاية ،

وان جميع الأحداث السياسية والاجتماعية فى العالم الاسلامى خلال القرن العشرين وما سبقه من قرون ، انما هى اثر لمخططات الغرب فى حرب الاسلام والقضاء عليه .

— ١٠ —

ومن البدهى أن الخطر الاسرائيلى الصهيونى ، وتهديده المستمر للعالم العربى الاسلامى ، انما هو اثر لمخطط صليبى قصد به الاسلام ذاته ، ولا يعوزنا فى ذلك الدليل . .

فبلفور هو صاحب الوعد المشئوم . .

وأمريكا وروسيا وانجلترا وفرنسا هى أوائل الدول التى اعترفت باسرائيل . .

والغاية من كل ذلك هى تحطيم العالم العربى ، واشعال الحروب والفتن الدائمة فى ربوعه ، ومنعه من اية حركة اسلامية أو حربية فى الحاضر والمستقبل ، وابقائه دائما عاجزا عن اى تهديد لأوروبا .

— ١١ —

وليس أمامنا مجال لليأس .

بل يجب علينا الوعى والتدبر والرفض الكامل لكل مخططات الصليبيين والالحاديين التى يريدونها ويريدون أن ننفذها نحن بأيدينا .

يجب علينا أن نتمسك باصرار بالاسلام .

أن نستمد منه القوة والمنعة والرجاء فى انقاذ جديد شامل من هذه المحنة وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) الدعوة الى الاسلام ٢٥٢ — أرنولدوتوماس — ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين .

(٢) المرجع نفسه ٢٦٠ .

(٣) حضارة الاسلام فى دراسة توينبى للتاريخ ٤٧ فؤاد شبل .

(٤) المرجع نفسه ٨٩ .

(٥) المرجع نفسه ٦٢ .

(٦) من مثل ذلك قيام ولفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة مونتريال بدراسة مجلة الازهر والفكرة الاسلامية التى تنطوى عليها فى كتابه « الاسلام فى التاريخ الحديث » .

شهداء بئر معونة

الكفر الحقود

بمناسبة ما تناقلته وكالات الانباء أخيرا عن المذبحة التى وقعت بالمسلمين فى « مانيلا » على يد أثيمة وعصابة مجرمة ساقت العديد من المسلمين رجالا وأطفالا ونساء الى الجوامع، وأوسعتهم ذبحا وتقتيلا ـ نقدم للقراء صورة بشعة أخرى من صور الكفر الغادر جرت أحداثها فى عهـد النبوة . فيها عزاء لأولياء الحق .

قدم على رسول الله شيخ من شيوخ بنى عامـر يدعى (أبا براء) ويلقب بملاعب الأسنة فعرض رسول الله عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام وقال ـ يا محمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى أخشى عليهم أهل نجد) قال أبو براء ـ انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك . . .

فبعث رسول الله المنذر بن عمرو فى أربعين من أصحابه من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا عند (بئر معونة) فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله الى عامر ابن الطفيل ـ وهو شيخ بنى عامر ـ فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، واستصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يخفروا جوار أبى براء فاستصرخ عليهم قبائل من سليم ، فخرجوا حتى غشوا القـوم فأحاطوا بهم فى رحالهم . فلما رأوهم ، أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلـوا عن آخرهم ـ يرحمهم الله ـ إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق .

وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الأنصار فلما أبصرا الطير تحوم حول المعسكر ، اقبلا ينظران ما شأن هـذه الطير فاذا القوم فـى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم لا تزال واقفة . . فاما الانصارى فقد أبى إلا أن يقاتل القوم حتى قتل ، وأما عمر بن أمية فأخذ أسيرا . فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقوه فخرج مقبلا على المدينة حتى اذا كان بقرقرة الكدر نزل منزلا ليستريح ونزل معه رجلان من بنى عامر وكان معهما عقد من رسول الله وجوار لم يعلم به عمرو ـ فلما عرف أنهما من بنى عامر أمهلهما حتى ناما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قدم على رسول الله فأخبره الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم (لقد قتلت قتيلين لادينهما) .

وحزن رسول الله على أصحابه أشد الحزن وقال (هذا عمل أبى براء) ومكث ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحو شهر يدعو على قتلة أصحابه فى بئر معونة وفى الرجيع كلما صلى ، حتى أنزل الله عليه قوله سبحانه (ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) فسكنت نفسه وانقشع عنه حزنه .

دعوة

إلى أدب إسلامي

قبل الخوض فى هذا الغمار .. لابد من تفرس وجه الأدب فى شكلـــه العام لنعرف ما هو ؟ ان وقوفنا على حقيقة ماهية الأدب هو وحده الـــذى يمكن أن يتيح لنا أن نعرف الى أى مدى يمكن أن يوجد أدب اســـلامى .. أو لا يوجد على الاطلاق !!

ولسنا بالطبع فى حاجة الى الضياع فى مجاهل التعريفات الغريبـــة والشاجنة التى يكب عليها جيل من أدبائنا ومفكرينا بلا يأس .. لسنا فـــى حاجة الى الضياع فى مجاهل هذه التعريفات .. لأنه لا يحبط من قضيتنـــا ولا يؤلق من مصـــابيحها أن يـــكون الأدب مشتقا مـــن « الدأب » بمعنى العادة .. وأن يكون هذا الاشتقاق من الجمع وليس من المفــرد .. وأن يكون هذا الجمع هو « أدآب » وأن يكون فى نهاية الأمر قد حـــدث فيـــه قلب فقيل « آداب » كما يقال فى بئر .. أبآر .. ثم آبار « وفى رئـــم ..

!!

للأستاذ محمد أحمد العزب

أرآم .. ثم آرام » .. الى آخر ما يقال فى هذا الصدد . مرورا بكون هذا الأدب قد اشتق مرة من « الأدب » بمعنى الدعوة الى الولائم .. أو اشتق مرة أخرى من « أدب » بمعنى علم وهذب .. أو استجلب فى نهاية الأمر من لغة غير اللغة العربية على الاطلاق !!! (١)

قلت .. لا يعنينا كثيرا أن يكون الأدب مشتقا من المفرد أو مشتقا من الجمع ولا أن يكون مشتقا من مادة دون مادة أخرى .. ولا أن يكون مصطلحا نابعا من الحس اللغوى للعربية أو وافدا اليها من الحس اللغوى للهجة من اللهجات أو لغة من اللغات .. لأن مجال هذه الدراسة الأكاديمية البحتة انما هو البحث العلمى المتخصص فى تاريخ الأدب بما هو رصد لمساره فى الزمن .. من أين .. والى أين ؟؟ وليس هو الأدب نفسه بما هو معطى فكرى ووجدانى نابع من حاجة الانسان الوجودية الى التعبير

الجمالى عن واقع يختلط فيه الجمال بالقبح .. والخير بالشر .. والوجود بهوات من العدم الطاغى بلا قرار !!

يكفى اذن .. أن نقول : ان الأدب هو حركة النفس فى الوجود من خلال حلولها الجمالى فى كلمات !!

فاذا اتفقنا على أن نبدأ من هذا المنطلق ، فلست أعرف حاجزا يمكن أن يقف فى وجه ميلاد حقيقى لأدب اسلامى يضع شروطه على صعيد الأدب العالمى العائش فى الزمن وما وراء كل الأزمان .. اننا نقرأ الأدب « الاشتراكى » والأدب « الرأسمالى » والأدب « الوجودى » والأدب « اللا معقول » .. وكل واحد من هذه الأنماط انما يصدر عن رؤيا مذهبية .. ويهدف الى غائية عقائدية .. حتى فى أدب اللا معقول . يوجد دائما « معقول » خلف هذا اللامعقول يحرك الكاتب فى اتجاهه .. ويعطيه مبرر الرفض .. أو مبرر العبث .. أو مبرر اللاجدوى التى يكشفها ايقاعا جماليا فى السطور !!! فلماذا لانقرأ الأدب « الاسلامى » الذى يصدر عن عقائدية اسلامية بحتة .. بكل مافى هذه العقائدية الاسلامية من انفتاح قابل وموصل .. متأثر ومؤثر .. آخذ من غيره مايلائم مناخه الفكرى والروحى .. ومعط غيره من روافد مناخه الروحى والفكرى بلا حدود !! قد يقال هنا .. ان الأدب « العربى » فى اطاره العام يعنى بالدرجة الأولى أنه أدب « اسلامى » لأنه صادر من منطقة تدين قطاعاتها العامة بالاسلام .. وناطق باللغة العربية التى هى لغة القرآن محور تحرك الاسلام .. ولكن هذا المنطق الساذج يجب أن لا يخدعنا عن حقيقة ما نريد أن نقول .. ان أدبا ينطق بالعربية .. ويصدر عن أديب مسلم .. لا يعنى بالضرورة أنه أدب « اسلامى » .. الا اذا كان هذا الأدب صادرا كما قلت عن « عقائدية » اسلامية ناضجة .. ومعبرا عن رؤيا فنان مسلم موهوب .. يستشعر فى كل حروفه أنه فاتح مطالب بالفتح .. أو مجاهد محكوم بمنطق المقاومة .. أو ملتزم لا يستطيع أن يتحرك الا فى مناطق التزامه الطوعى .. ان ماأعنيه بالأدب الاسلامى أن يكون على الارض أدب بملامح تصرخ باسلاميته حتى ولو لم تتشدق السطور بلكنة دعائية من هنا أو هناك .. فماذا اذن نقصد بكلمة « الأدب الاسلامى » ؟ وما ملامح هذا الأدب .. ان كانت له ملامح فارقة تحدد أبعاده وأحجامه ؟؟

ان ما أعنيه بالأدب الاسلامى كما قلت ليس شيئا غير أن يكون أدبا عقائديا .. يصدر عن رؤيا عقائدية .. ويرسم فى رحلاته مع الصوت واللون وحبر القلم فلسفة انسانه المسلم .. بوضعيته فى الكون .. وبوضعيته من الكون .. وبوضعيته مع الكون فى أكوان أخرى بلا حدود !! هذا ماأعنيه بمصطلح « الأدب الاسلامى » .

أما ملامح هذا الأدب الفارقة .. فلست أجدنى فى حاجة الى مزيد من المعاناة حتى أقف معها وجها لوجه ..

ان العقائدية أول هذه الملامح .. والعقائدية هنا ليست موقفا

متصلبا من قضايا كونية ترفض ماعداها بلا حوار .. وانما هى بالدرجة الأولى عقائدية « فاعلة » تفتح كل جبهات الحوار بلا وجل .. وأيضا بلا سأم .. ان عقائديتها تنبعث من رغبة أكيدة فى الفهم .. ورغبة لازبة فى الجدل .. ورغبة ظمأى دائما الى الاشعاع من .. وفى . .وعلى كل المستويات !! ولست أقصد من الأدب العقائدى أن يصوغ العقائد شعرا .. أو مسرحا .. أو رواية .. ولكنى أقصد أن تكون الرواية .. والمسرح .. والشعر .. انعكاسا لايمان الفنان بعقائدية اسلامية .. أما القضايا .. والظواهر .. والقوانين .. فقد يكون فى البحث الأكاديمى متسع لها جميعا .. يجلى غوامضها .. ويكشف عن أسرارها للجموع !!

والتراثية ملمح من هذه الملامح .. ولقد أعنى بالتراثية انحناء الأدب الاسلامى المعاصر على تراثه المتفجر بالعطاء .. واستلهام هذا التراث فيما يشبه الترهب .. ولكنى أعنى بالتراثية الى جانب ذلك .. أن نخوض بها عباب الواقع المعاصر .. وأن نعرض أجسادها لشمس العصر .. وهوائه .. وتياراته .. وأن نعيد تحليلها وتركيبها من جديد .. وأن نضيف الى فهم السابقين لها فهمنا الآخر المعاصر .. وأن نرفض الخوف الكسيح على جلالها أن يخدش .. وعلى نومها أن يفزع بأحلام عصرنا المرور !! ان التراثية التى أعنى .. هى نوع من البحث البدئى عن الذات .. ثم المغامرة بهذه الذات فى شتى مجالات الصراع والابداع .. ان ذلك وحده هو القادر بغير حد على اعطاء التراث وجهه الحضارى .. وعلى اعطاء وجهه الحضارى ملامح التفرد .. والتمايز .. والتشخص الواعى بدوره على مسرح الوجود !!

والقرآنية ملمح من هذه الملامح .. وأرجو أن أكون مفهوما حين أقول ان القرآنية ملمح من ملامح هذا الأدب الاسلامى المنشود .. ان القرآن ليس مذهبا أدبيا أدعو الى احتوائه .. ولكن الأدب الاسلامى اتجاه يجب أن يستفيد من قرآنية القرآن .. ان الشعر العربى المعاصر — والشعر الحر منه على وجه التحديد — قد استفاد من الانجيل والتوراة أكثر مما استفاد من القرآن .. ولقد حاول الاستفادة من التاريخ الاسلامى .. الا أن اقترابه من القرآن ما يزال مشوبا بحذر لا مبرر له .. ولا منطق من ورائه .. وربما كان ذلك بعض جناية الفكر الاسلامى الجامد المتعنت (٢) .. الذى يرى فى استلهام الشاعر المعاصر لقرآنه لونا من ألوان التجديف والتحريف .. اننى — بداهة — لا أدعو الى صوغ القرآن شعرا .. ولكنى أدعو بلا تهيب الى أن يكون القرآن بأسلوبه الفذ .. وسياقه المعجز . .وقصصه الهادف .. وايقاعه العملاق .. مجالا لتحرك الشاعر بالشعر .. يعيش به فى أعمار قصائده التى تولد من غور الذات وأغوار الوجود !!

والانسانية ملمح من هذه الملامح .. وقد يشتجر الخلاف حول هذا الملمح بالذات .. بما هو قاسم مشترك بين كل الآداب المحلية والعالمية على السواء .. ولكن هذا الخلاف لا يعفينا من تقرير هذه الحقيقة .. أولا :

لأن احتواء الأدب الاسلامى على ملمح من ملامح غيره من الآداب لا يطعن فى تفرد هذا الأدب بحال من الأحوال .. وثانيا : لأن انسانية أدب من الآداب لا يمكن أن تكون انسانية أدب آخر .. بمعنى أن مفهوم « الانسانية » فى الأدب الاشتراكى .. غير مفهومها فى الأدب الرأسمالى .. غير مفهومها فى الأدب اللامعقول .. ان الانسان محور كل هذه الصراعات .. يعيش فى الأدب الاشتراكى وضعية مخالفة تماما لوضعيته فى الأدب الرأسمالى .. ويجب أن يعيش وضعية أخرى فى الأدب الاسلامى .. اننا نطل على الانسان من خلال تقييم معين .. عقائدى قد يكون .. وفكرى ربما .. الا أن اطلالنا عليه مغاير تماما .. ويجب أن يكون مغايرا تماما لاطلال غيرنا عليه .. ولسنا مطالبين باحتذاء نمط من هذه الأنماط .. ولكن هذه الأنماط جميعها يجب أن تكون دائرة فى حتمية احتذائها لنا .. متى استطعنا نحن أن نحتل المشارف التى تؤهلنا لاحتواء هذا الدور القيادى الخطير !!

والنضالية ملمح من هذه الملامح .. وأعنى بالنضالية أن يخرج الأدب الاسلامى الى مجالات التحقق الوجودى مرتديا خوذاته .. قابضا على كل البنادق .. مقاتلا حتى غسق الكون الأخير من أجل أن تولد على الارض العدالة .. ويتحرر فى الارض الانسان !! ان النضالية هنا لا تعنى قتالا من أجل لقمة الخبز .. أو من أجل تحرير أشبار من الارض .. ثم لا شىء .. ولكنها تعنى قتالا من أجل ثقافة واعية .. وقتالا من أجل ابتسامة نظيفة .. وقتالا من أجل انتماء شريف .. وقتالا من أجل تواصل كونى بين شرق هذا العالم وغربه .. تواصلا يفضى فى النهاية الى مزيد من الحب .. ومزيد من الفعاليات !! ان نضالية الأدب الاسلامى تعنى الخروج من مقاعد المتفرجين الى ساحة الصراع .. تعنى أن نرفض كل ما هو مخنث فى الأدب .. كل ما هو خرافى فى الفكر .. كل ما هو ميتافيزيقى بلا بصيرة فى الشعر .. كل ما هو عدوانى يستهدف فى النهاية ضرب مكاسب الانسان !

كل هذه الملامح التى أسلفت .. من عقائدية .. الى تراثية .. الى قرآنية .. الى انسانية .. الى نضالية .. يمكن أن تشكل فى النهاية كل ملامح الأدب الاسلامى المأمول .. ويمكن أن تكون بعض ملامح هذا الأدب متى شارف مراحل التحقق والنضوج .. فان بداهة يقينية أومن بها على الاطلاق .. وهى أن كل أدب يشكل فى النهاية ملامحه .. ولا يمكن أن يجىء أدب ليطابق مواصفات موضوعة له من قبل لحظات ميلاده .. ان حركة الأدب فى مدها الزاحف .. وجزرها المقرور .. فى اندفاعها الرائع الى الفعل .. وانفتاحها الرائع لرد هذا الفعل .. فى تحورها وتطورها .. وارتدادها الدائم الى محورها ومن محورها جميعا .. كل أولئك يشكل فى النهاية كما قلت ملامح هذه الحركة .. أو ملامح هذا الأدب كما يجب أن يقال !!

ولكن .. اذا كان الأدب هو حركة النفس فى الوجود من خلال حلولها الجمالى فى كلمات .. كما قلنا .. فماذا يكون موقف الأدب الاسلامى من هذه الجماليات وهو كغيره من الآداب محكوم بهذه الجماليات ومطالب

بها على كل المستويات ؟ كيف يمكن لهذا الأدب .. العقائدى .. أن يتواءم مع الخيال .. والاسطورة .. والخرافة .. وكل مضامين الشعر التى بها غالب الشعر كل عناصر الفناء فى الزمن .. وانتصر بها على كل حرائق التاريخ ؟؟

هنا .. لا بد من العودة الى تأكيد أولى .. ان .. المباشرة .. لا يمكن أن تكون ملمحا من ملامح هذا الأدب الاسلامى .. ولم نرها واحدة فى كل ما رصدنا له من ملامح بالذات .. وتأسيسا على هذا التأكيد الأولى .. فقد يصح لنا أن نقول ان الأدب الاسلامى الذى هو أدب عقائدى بالدرجة الأولى .. مطالب بارتياد كل آفاق الابداع الفنى .. وبالصيرورة الى كل اطار من هذه الأطر الفنية .. ان شيئا واحدا هو ما نطالبه به .. أن يعيش أبعاد قضيته .. أن تكون لحم اطاره ومحتواه .. وهو بعد .. حر بلا مبالاة فى كيفية أدائه للدور .. فى كيفية استيلائه على مناطق الصحو فى الجماهير !! ان هذا المنزع الفنى معترف به من القرآن الكريم .. فى قصصه .. وأمثاله .. معترف به من مناط وحى هذا القرآن .. محمد .. فى بعض من أحاديثه .. وأمثاله .. معترف به من أولئك الرائعين فى كل عصر .. الذين لم يحجروا الاسلام فى نمط دعائى .. وانما انساحوا به على كل زورق .. وفى كل جناح طائر بلا حدود !!

اذن .. فجمالية الأدب الاسلامى بما هى حتمية قدرية .. تبيح له بلا تحرج أن يوغل .. فى الخيال .. وأن يرتفق الاسطورة .. ما دام ذلك قائما على أساسين .. أولهما : رفض المباشرة فى التعبير عن حقائق صلبة .. وترك هذا المجال للفكر الاسلامى .. والفلسفة الاسلامية لقدرتهما وحدهما على الخوض فى هذا المجال .. وثانيهما : استذكار الهدف دائما على طرائق الوسيلة .. واستهداف الغاية دائما من وراء الواسطة !

وهذا وجه القضية بلا قناعات ..

قد تشتبه المعالم هنا .. فيخيل الى البعض أننا ندعو الى أدب اسلامى يخلط الحقائق بالخرافة .. والواقع بالأسطورة .. والمعنى باللامعنى اذا جاز ... وما الى هذا المستوى النازل يجب أن نهبط فى تصورنا لحقائق كل ما يقال .. ان واقع الاسلام .. وحقائق الاسلام .. ومعنى المعنى فى الاسلام .. لم تعد قضايا قابلة للأخذ والرد بما هى كذلك على الاطلاق .. ولكن الأدب الاسلامى المأمول فى أطره المختلفة .. شعرا .. وقصة .. ورواية .. ومسرحا .. يجب أن يتحرك من منطلق ايمانه بهذه القضايا أولا ... ثم من منطلق « أحساسه بها » وليس « صوغها » ثانيا . ثم من منطلق استفادته بكل أشكال التعبير الملائمة لعصره فى نهاية الأمر ... وهكذا — فيما يخيل الى — فعل توفيق الحكيم فى مسرحيته « أهل الكهف » .. وطه حسين فى ترجمته الروائية « على هامش السيرة » .. وغيرهما ممن تصدوا للكتابة فى هذا المجال .. ممهدين بحق لخلق

البقية ص ٩٧



منهج القرآن في التربية

للأستاذ : محمد شديد

تعريف وتلخيص

الأستاذ : ابراهيم بن عبد الرحمن البليهي

لقد أثرت المكتبة الاسلامية الحديثة ثراء كبيرا ، وبات من واجب الباحثين والدارسين .. أن يعنوا بالتعريف بمحتوياتها .. والتحليل لجوانبها .. والتأريخ لمراحل نموها .. والقاء الضوء على حياة بناتها .. وتقويم مضامينها .. فلقد تعددت جوانب هذه المكتبة ، وكثر المشاركون فى تشييدها .. واختلفوا فى أشياء كما اتفقوا فى أشياء .. ومع فخامة هذه المكتبة وعمقها .. وسعة أبعادها .. فأنها لم تصدر عنها حتى الآن دراسة شاملة ..

.. أجل ان المكتبة التى تحوى مؤلفات محمد فريد وجدى ، وأحمد أمين ، واسلاميات العقاد .. ومؤلفات الدكتور محمد عبد الله العربى ، وغيرهم — وهم كثيرون بحمد الله — من رجال الفكر الاسلامى الحديث .. ان المكتبة التى تشتمل على مؤلفات هؤلاء وأضرابهم .. هى مكتبة ضخمة كبيرة واسعة عميقة ... خليقة بالدراسة الجادة والتقويم العادل ،

وتحتاج الى تضافر الجهود .. لابرازها على الوجه الصحيح .. والكتاب الذى نقدمه اليوم هو واحد من محتويات هذه المكتبة الحية المشرقة .. وهو يقع فى نحو (٣٧٠) صفحة .. يقدمه مؤلفه الاستاذ محمد شديد بقوله : « فى هذا العهد (الفاسد) جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام ، فكانت بعثته نهاية لعهد الطفولة البشرية وبداية لعهد الرشد والاكتمال .. وتأبت مكة على الاسلام ، وقاومت هديه بكل سلاح ، وربى الرسول قلة مؤمنة هاجر بهم الى يثرب .. حيث كون مجتمعا وأقام دولة .. ثم دانت الجزيرة كلها بدين الحق فكان نجاحه فى العهدين معجزة ، وكان انتشار الاسلام من بعده أعجوبة الأعاجيب .. كيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون من عرب الجزيرة أمة : تحمل رسالة وتنشىء حضارة وتصنع تاريخا كأنه ضرب من الأساطير ؟!

وكيف خلقت رسالة الاسلام : من الفرقة وحدة ، ومن الضعف قوة ، ومن الامية علما ، ومن البداوة حضارة ، ومن الحفاة العراة .. خير أمة أخرجت للناس .. ؟

ذلك سر القرآن ، وعمل منهجه التربوى فى تقويم النفوس والأمم .. وأثر تطبيقه فى الجماعة والدولة » ..

ويؤكد المؤلف أنه لا بد لادراك حقيقة الاسلام من معرفة الميزان السليم الذى توزن به الدعوات ..

كما يقرر أن تربية القرآن لا تعنى مفهومها المألوف .. فهى لا تقتصر على المسجد أو المعهد ولا تختص بالعبادة دون السلوك .. أو تهتم بالفرد وتترك الجماعة .. أو تعنى بالعقيدة وتهمل العمل .. انما تشمل كل جوانب النفس وتعمل فى كل ميادين الحياة .. وعلى أساس هذا الشمول : يقوم منهج القرآن فى التربية ، وهذا الكتاب محاولة لبيان فكرته وأسلوب عمله وتطبيقه ..

ويؤكد ان عناصر رسالة الاسلام عقيدة وعبادة وتشريع : فالعقيدة أصل وفطرة ، والعبادة صلة وتربية ، والتشريع : أمن ونظام .. وجوهر هذه الرسالة : خلق واحسان ، ووسيلتها : قدوة وتربية ، وأول ميادينها: النفس والضمير .. ومن ثم كان هدفها اقامة مجتمع انسانى نظيف .

ويثبت من وقائع التاريخ الاسلامى .. ومن سجل السيرة النبوية .. أن الرسول عليه السلام قد عنى بتربية المؤمنين أكثر من أى شىء آخر .. وأن‌تربيته نجحت نجاحا ليس له فى تاريخ البشرية مثيل ، وانه وصل بمجتمع المدينة فى واقع الحياة الى غاية من الرفعة والسمو لم يبلغها الفلاسفة والمفكرون والمصلحون فى الأمانى والخيال .. ويستدل المؤلف بنجاحه : على ما تستطيعه التربية — وفق منهج القرآن — من تغيير للأنفس وسمو بالمجتمع ورفعة بالبشرية الى أسمى الآفاق .

ولكنه — وهو يقرر أن الرسول عليه السلام قد ارتفع بالمجتمع الاسلامى الى أوج فوق مألوف البشر — يؤكد فى الوقت نفسه .. أن مداومة التحليق قريبا من هذا المستوى فى حاجة الى مداومة التذكير والتربية وتنشئة الأجيال وفق منهج القرآن الكريم ، كما هو فى حاجة الى الأسوة الحسنة ، وحزم الحاكم ويقظته ..

ذلك أن منهج القرآن منهج عملى واقعى : يقيم المجتمع على العقيدة والخلق ، ويحرسه بالتشريع والنظام .. ويحول (وهـذه هى النقطـة الأساسية فى هذا المقام) .. بينه وبين الانحراف والفساد باقامة جماعة واعية تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ويذكر المؤلف صورا من واقع التاريخ الاسلامى .. تسمو بالحرية وبالكرامة الانسانية الى آفاق لا يحلم بها الناس ثم يقول : « أسلوب جديد فى الحكم : جديد فى عدله وحريته وضماناته .. وجديد فى قضائه عـلى قداسة الحكام .. وجديد فى مساواته بين الناس ، وجديد فى حق محاسبة الخليفة والعمال ، وحرص الخلفاء على تنفيذه .. وعلى تربية الأمـة عليه .. ورياضتها على ممارسته » ..

كل ذلك فى الفصل الأول الذى عقده بعنوان : « جولة مع الرعيل الأول » والذى استغرق (٧٩) صفحة من الكتاب ..

يليه الفصل الثانى عن : « منهج الفطرة » .. يؤكد فيه أن عمـل القرآن الأول فى سبيل تربية النفس : هو ردها الى فطرتهـا السليمة وتخليصها مما علق بها من أوضار الوراثة والبيئة وخـرافات العـرف والتقليد .. وأن أساس هذه الفطرة : هو التوحيد .. حيث جبلت النفس على معرفة ربها .. لكنها قد تحجبها الغفلة وقد تضللها البيئة .. وقد ينحرف بها التقليد .. بيد أن جذور هذه المعرفة عميقة فى النفس لا سبيل الى انكارها أو التخلص منها .. ودليل هذه الفطرة ان الانسان بطبعه يحس بالحاجة الى القوة المعينة .. والاشراقة الهادية والسكينة المطمئنة ... وهو شعور عميق فى نفوس البشر .. وما كل مظاهر العبادة والتقديس لغير الله : الا تنفيس عن هذه الطاقة واستجابة لهذه الفطـرة ولكنهـا انحرفت عن طريقها السوى ..

ويقيم المؤلف الحجة .. على صحة هذه الحقيقة .. وينصب البرهان على وجود الخالق العليم .. ويؤكد أن القرآن قد دعا الى النظر فى آيات الله فى السموات والأرض ، وجعل من الكون محرابا للفكـر ، وكتابـا للمعرفة ودليلا على وحدة التدبير والنظام .. وانه حين يتفتح القلب على بعض حقائق الوجود يحس أنه أمام تناسق مطلق وجمـال معجز وتدبير محير ..

يلى هذا الفصل الذى يقع فى نحو (٢٠) صفحـة .. فصل عن (منهج المعرفة) .. بين فيه أن منهج القرآن فى التربية .. يقوم عـلى الايمان بحقيقة الوحدة فى الكون : وحدة الاله المعبود ، ووحـدة النظم والنواميس التى تشمل كل ما فى الكون ، ووحدة القوة التى تصدر عنها وتخضع لها تلك النظم والنواميس .. ووحدة الأمم التى آمنت بهذا الدين ووحدة المنشأ والمصير ..

وأكد — من ثم — ان هذه الوحدة الشاملة هى أساس العقيـدة فى القرآن ، وأنها هى التى تحدد معنى الوحدانية تحديدا كاملا .. وتحدد الصلة بين الانسان وربه والكون وما فيه .. وبالتالى فان الايمان بهـذه الوحدة — على هذا الأساس — : هو السبيل الى انطلاق قوى النفس الكامنة والسمو بدوافعها والارتفاع بها عن شهواتها ، وتغلبهـا على عوامل ضعفها ..

أن هذا الكون العجيب بل المتحف المثير للدهشة .. والباعث على الحيرة .. خليق بالنظر ، وجدير بامعان الفكر .. لمعرفة موجده .. ولكن الف العادة والتكرار — كما يؤكد المؤلف — جعل الناس لا يرون ألا الأسباب الظاهرة ، ولا ينفذون بتفكيرهم وبصائرهم الى ما وراء هذه الأسباب .. ويأسف لهذه الغفلة التى تكشف عن بلادة الحس والكفر بمواهب الحياة ونعمها ..

ويقرر من ثم ان القرآن يريد أن يجعل المؤمن يقظا مرهف الحس ، موصولا بربه ، كأنما يرى يد الله وهى تسقط الغيث وتنبت الزرع وتبعث الحياة فى موات الأرض .. يريد أن يجعل قلبه ينبض مع كل ظاهرة من ظواهر الكون ، ويتجاوب حسه مع تسبيح الوجود بحمد الله وقدرته .

ويثبت المؤلف .. من آى الذكر الحكيم . .ومن منطق التاريخ الاسلامى .. أن نصر الله للمؤمنين حقيقة من حقائق الوجود ، وسنة باقية من سنن الله .. ولكن الله قد يؤخر النصر لحكمة يريدها فتظهر لبادى الرأى .. هزيمة .. وأنه قد يهزم الحق فى معركة ، ويظهر الباطل فى مرحلة .. ولكن ذلك كله — فى منطق القرآن — صور للنصر تخفى حكمتها عن البشر .. ويعزو المؤلف سبب ضلال عقول الناس .. وشقاوتهم .. الى أنهم لم يفهموا لوجودهم فى الحياة حكمة .. ولم يجدوا لها حولهم فى الكون تفسيرا .. ولم يعرفوا لهم منشأ ولا مصيرا .. فهم أبدا فى تشاؤم وشقاء .. لا يقر لهم قرار .. ولا تهدأ لهم نفوس ..

ولو اهتدوا بهدى الاسلام .. لتلاشت هذه الحيرة .. ولاضمحل هذا الضياع .. ولذهب هذا التشاؤم ، ولتحول الاضطراب الى سكينة .. ولانقلب الخوف الى أمن .. فهذا الكائن البشرى لم يوجد فى الحياة صدفة .. ولا ظهر نتيجة تطور الحياة والأحياء انما خلقه ربه ونفخ فيه من روحه .. وحدد له ناموس وجوده على الأرض ، وجعل له فيها غاية محددة مرسومة تربطه بناموس الوجود والأحياء .. وهو مع هذا لم يتركه على الأرض هملا لدوافعه وعقله وفطرته وحدها .. بل تعهده بالهداية ، ووالاه بالتوجيه .. ويضرب المؤلف .. أمثلة .. من روائع أحداث التاريخ الانسانى .. والتى تحققت فى تاريخ الاسلام دون سواه .. على ما وصلت اليه التربية على الايمان — بمنهج المعرفة — بمجتمع المدينة حيث بلغت أفقا رفيعا .. حتى أصبح الاستشهاد أمنية يسعى اليها الجميع .. وحتى صار الموت فى حس المؤمنين لقاء لله ، ونقلة الى حياة هانئة كريمة ..

ومنها ينتقل الى الفصل الرابع عن (منهج العلم) .. وهو — فى نظر المؤلف — : امتداد لمنهج المعرفة .. يقوم على أساس ما أبانه من حقيقة الوحدة فى الكون ..

فالقرآن وهو يصقل الوجدان .. ويهذب الروح .. ويطهر الفطرة .. ويوجه الانسان الى هذا الكون العجيب .. لا يكتفى بهذا فحسب .. بل جاء لينهى عن الطفولة البشرية ويدفع الانسان الى آفاق العلم والمعرفة .. وينتقل بها الى عهد الرشد .. فكان اهتمامه بالعلم اهتماما بالغا .. بل لقد بدأ الوحى بالأمر بالقراءة والاشادة بالعلم ..

والعلم الذى يشيد به القرآن ويدعو اليه هو العـلم بمفهومه الشامل الذى ينتظم كل ما يتصل بالحياة ولا يقتصر على علم الشريعة .. أو العلم الدينى .. كما يتبادر الى بعض الأذهان .. أو ما ذاع فى عهـود التخلف عن القرآن ..

ويذكر المؤلف طرفا من جهود علماء الاسلام .. فى بناء الحضـارة الانسانية ، وأثرهم فى الحضارة الغربية .. ويستشهد بأقوال رجال هذه الحضارة أنفسهم .. ثم يذكر سبب انحراف العلم الحديث .. ويؤكد .. أنه قد استطـاع أن يحقق للبشر تقدما فى الكشوف ، وانتاجا فى المصانع ، ومتاعا فى الحياة .. ولكنه — مع ذلك — عجز كل العجز عن توفيـر السكينة للنفوس أو اشاعة الطمأنينة والرحمة والتعاطف فى المجتمع ..

أما الفصل الخامس فهو عن (منهج الفكر) .. لقد تابع الاسلام .. مآرب النفس الانسانية .. ونفض عن هـذه النفس كل ما علق بهـا من أوضار .. وما حاق بها من انتكاس .. وما أصابها من تغير .. فردها الى فطرتها .. وقومها بالمعرفة .. وشحذ عقلها بالعلم .. وسما بها فى الفكر .. وحرر عقلها من الانحراف والخرافة .. وخلص فكرها من قيود التقليد والعادة .. وهذبها من الهوى والأنانية .. فالاسلام — اذن — هـو الدين الذى يدعو الى الفكر ، والفكر يدعو اليه .. ومن هنا كـان منهج القرآن الفكرى مبدأ تحول الفكر الانسانى من التفكير المجـرد الهائم الى التفكير الواقعى المرتبط بالحياة والأحياء ..

يعقبه الفصل السادس عن (منهج الخلق) .. فالقرآن يهدف الى اقامة عالم رفيع الخلق ، عف المشاعر ، نظيف التعامل والسلوك .. وهو منهج خلقى كامل يشمل كل ما يتصل بالحياة والأحياء .. وهو يقوم عـلى الايمان والحق والثبات .. فالعقيدة هى الأساس الأول لهذا المنهج الخلقى .. كما أن الحق أصيل فى طبيعة الكون .. عميق فى تكوين الوجود .. أما الباطل فطارىء لا أصالة فيه ولا استقرار له ..

وما دام أن القرآن منهج عالمى خالد .. فلا بد أن يتوفر له عنصر الثبات حتى لا يكون خاضعا للتغيير والتبديل مع الهوى والشهوات .

وفى هذا الفصل .. يبين مكانة الانسان فى الاسلام .. ويحدد علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة المجتمع بالفرد .. بحيث يتحقق التوازن فلا افراط ولا تفريط فى منهج القرآن .. ويبين مكانة الأسرة .. مؤكدا ان المجتمع القرآنى يقوم على أساس الأخوة العامة بين المؤمنين ..

أما الحدود فى الاسلام فقد شرعت — كما يقرر المؤلف — لصيانـة المجتمع من الشذوذ والانحراف .. ولم تشرع اكراها على الفضيلة وحسن الخلق ..

ويؤكد .. أنه لا بد فى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر .. أن تتوفر فيه صفات الداعية .. مع فقـه الفكرة .. وفهم المنهج القرآنى ..

أما الخلق فى المجال الدولى .. فهو — كما يبين المؤلف — أهم ما

عنى به القرآن ، ومبادؤه فى هذا المجال ثورة عنيفة على كل مظاهر الفساد .. وأساس التعامل فى المجال الدولى .. هو الوفاء بالعهد والمحافظة على المواثيق ..

أما الفصل السابع فهو عن (منهج العبادة) .. وهو منهج تربوى يقوم على أساس تحديد مكان الانسان من هذا الكون والحياة .. وأما هدفه فهو : أن يضع الانسان فى مكانه الصحيح من الكون .. وهو منهج يلبى فى الانسان فطرته .. وينير له طريقه ، فمدلول العبادة فى القرآن شامل لا يقتصر على الفرائض .. ذلك أن الحياة كل لا يتجزأ ، جميع ما فيها لله .. لا انفصال بين طريق الدنيا وطريق الآخرة .. ولا فرق بين الفرائض والسلوك .. فالحركات تتحول بمجرد النية الى عبادة ينتظر منها الثواب .. والقرآن يربى فى الانسان قوته .. ويزيل عنه الضعف والتخاذل .. وهو يستشرف بالنفس الانسانية الى السمو .. والاتصال بالخالق العليم .. فالدعاء مخ العبادة .. ويبين آثار كل عبادة على انفراد : أثر الدعاء التربوى .. وأثر الصلاة ، وأثر الصوم .. وأثر الزكاة ..

والقرآن لا يغفل أى جانب من جوانب التربية الكاملة الشاملة ... وهو لهذا يربى الانسان على اليقظة الدائمة .. والارادة الواعية .. واذا كان هذا شأنه مع الفرد .. فانه يهدف الى تكوين جماعة متميزة : تحمل مبادئه ، وتعمل على تبليغها والجهاد فى سبيل تأمينها والدعوة اليها ..

أما الفصل الثامن فهو عن (منهج الدعوة والداعية) وهو فصل مهم ، ويجب أن يستفيد منه الدعاة الى الله .. فالمؤلف .. يستعرض تاريخ الدعوة الاسلامية منذ أول البعثة المحمدية حتى سيادة مبادىء الاسلام .. وهو فى ذلك يستخلص منها الرشاد ويستلهم منها العبرة .. ويستوحى منها العظة .. : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .. « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » .. « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

وفى الفصل التاسع .. يتحدث عن (ميزان القيم) مؤكدا أن القرآن منهج حياة متكامل تنبثق أخلاقه وعباداته وشرائعه من عقيدته .. فهى الأصل وما عداها فروع ، ومن ثم جعلها (أى العقيدة) ميزانا لأقدار الناس وقيم الحياة .. فالمسلم أخو المسلم .. ولا أخوة وثيقة تجمع بين المسلم وغيره من ذوى المذاهب والمبادىء والأفكار والأديان المخالفة للاسلام : « ونادى نوح ربه فقال : رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال : يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح .. » ..

اجل انه ليس من أهلك !! فى صراحة ووضوح رغم أنه ولده من صلبه .. وما أهله الا الذين آمنوا معه واحتوتهم سفينة الايمان والنجاة .. انها الحقيقة الضخمة الخالدة ، يرسى قواعدها القرآن ويقرها فى الحياة

ويربى على أساسها الأمة المؤمنة .. فلا أبوة ولا قرابة ولا زوجية الا على أساس الايمان ..

والعلم — فى نظر القرآن — قيمة ضخمة وهبة عظيمة وسر كبير من أسرار تكوين الانسان : فقد خلقه الله سبحانه وكونه بحيث يتجاوب بعقله وتفكيره مع كل مظاهر الحياة على الارض .. ومع كل آيات الله فى الكون .. وبهذا أصبح الانسان أهلا لرسالة الاستخلاف فى الارض .. وبهذا يصبح العلم عبادة أو فريضة ، وتصبح دور العلم والمعاهد والمعامل .. كالمساجد والمحاريب ..

ومفاهيم القرآن تختلف عما عداها من مفاهيم .. وهى ان التقت معها فهو التقاء عرضى ليس دليل الوفاق .. انها قيم جديدة ومفاهيم حية .. تنبع من فلسفة شاملة للحياة .. ونظرة واسعة عميقة للكون ... وتحديد صحيح وحكيم لمكان الانسان فى الوجود .. وقيمة ما تواضع عليه الناس من قيم .. لقد ألغى القرآن كل ما تعارف عليه الناس فى الجاهلية من قيم ، ووضع ما قامت عليه المجتمعات الجاهلية من صلات .. وأقام قيمة جديدة .. هى قيمة الايمان .. وجعل من العقيدة قاعدة كبيرة للمجتمع المؤمن .. تنبع أخلاقه وصلاته ونظمه من عقيدته ، وأعتبر كل ما يقوم على غير أساسها من علم أو عمل خروجا على منهجه .. والحادا فى عقيدته وضلالا يؤدى الى الدمار والفناء .. واعتبر الايمان بهذه العقيدة حياة ونورا وبعثا لموات الأمم والأفراد ..

أما الفصل العاشر والأخير فهو عن (التربية فى ظل الأحداث) فالقرآن ما نزل منجما الا لأنه لا يؤثر فى النفوس شيء كما تؤثر فيها التربية فى ظل التجارب والاحداث حيث تكون القلوب متفتحة للتوجيه .. والنفوس مهيأة للانطباع .. بيد أنه لا يملك التربية بهذا النهج الا رب الناس .. فهو الذى يكشف النوايا والسرائر ويعرض النفوس سافرة بلا أستار ، وينفذ الى مواضع التأثر والاستجابة منها .. ثم يصوغها وفق منهجه كما يشاء « انه يطرق الحديد ما دام ساخنا » .. وبهذاكان أسلوب تنزيله أساسا لنجاح التربية وأصلا لعمق أثرها فى النفوس .. فقد جعل من كل هزيمة عبرة ... ومع كل نصر درسا ولكل موقف تحليلا .. كما كان بناؤه مظهرا رائعا للخلود .. جعله صالحا للسير مع كل نفس ، موجها لكل جيل ، بانيا لكل أمة لتماثل النفوس وتشابه الأحداث ..

فلا غرو ان كان نزوله منجما حسب الظروف والأحداث .. انه كتاب بناء وتربية لا كتاب ثقافة أو متاع .. جاء بمنهاج كامل للحياة والتربية : لصياغة نفوس ، وبناء أمة ، واقامة مجتمع ..

وبعد :

فهذه أهم مباحث هذا الكتاب النفيس ..وهو عرض موجز .. وتلخيص مختصر وتعريف لا يعدو دور الدلالة على الطريق .. وهذا هو هدفى .. فان أفلحت فى اغراء القارىء بدراسته بنفسه .. فذاك ما أرجوه ..

أدب اسلامى عابر لحدودنا ومخاطب لكافة أنماط البشر فى كافة زوايا الأرض .. بلا تفرقة من لون .. أو جنس .. أو جغرافية مكانية .. أو حتى زمانية .. على تعاقب الأحقاب !!

الأدب الاسلامى الذى ندعو اليه .. أدب عقائدى بلا تعصب ... تراثى بلا جمود .. قرآنى بلا تحفظ .. انسانى بلا كراهية .. نضالى بلا مبالاة ...

الأدب الاسلامى الذى ندعو اليه .. ليس هذه البحوث الفقهية .. أو الأصولية .. أو التاريخية .. التى تسيل على أقلام الكاتبين .. وأن كان لهذه جميعا دورها الخطير فى تشكيل ملامح العصر ... وانما هو الأدب بمعناه الجمالى .. قصة .. أو مسرحا .. أو رواية .. أو شعرا .. وأرجو ألا يصدمنا مصطلح « الأدب بمعناه الجمالى » .. لأن .. «الجمالية» فلسفة غائرة العمق .. وليست مجرد تلوين لسطوح الأشكال .. ليست الجمالية موقفا من مواقف الترف حيال ما يجرى فى الكون .. ليست انكماشا مخدرا فى لذاذات فردية بائسة .. ليست التلهى بأنماط من القول منخوبة بلا قرار ...

.. وهذا هو معنى النظرة الجمالية .. ليس معناها أنى غير مطالب بالسخط على الظلم .. ولا معناها أن الاشياء تعرض على ذاتى المحايدة غير المنحازة الى جانب ، كلا .. فالمطلوب أن يكون حكمى منحازا الى هذا الجانب أو ذاك ، لكنه يجب أن يكون منحازا بحرية .. ان هذه المخاطبة لا تتجه الى ما فى الانسان من لحم ودم .. بل الى ذلك الجانب الانسانى فيه حقا .. الى حريته ... الحكم الجمالى اذن هو الاعتراف بأنى انما أواجه شكلا معينا من أشكال الحرية ، هى حرية الخالق ، وهو ثانيا وفى نفس الوقت الاعتراف بالوعى بحريتى ازاء الشىء الذى يواجهنى ، وهو أخيرا أصرار على أن يستمتع الناس الآخرون الذين لهم ظروف كظروفى بالحرية نفسها (٣) ..

الأدب الاسلامى الذى ندعو اليه .. هو كل أولئك جميعا .. وهو شىء وراء كل أولئك جميعا .. لأن الأدب الحقيقى ـ كما قلت ـ قادر باستمرار على أن يخلق قوانينه .. ويشكل ملامحه .. ويقف اطاره ومحتواه على مستوى المعاطاة التى لا تنتهى الى حد .. غير حد الابداع دائما .. والريادة دائما .. ونبالة الذود عن كل ما هو رائع فى التاريخ .. دائما .. دائما !!

---

(١) راجع « فى الادب الجاهلى » ـ للدكتور طه حسين .

(٢) لعلى لست فى حاجة الى أننى أعنى (بالفكر الاسلامى الجامد المتعنت) بعض الشروح التى لا تبيح للانسان المعاصر أن يضيف الى تراثنا فهما جديدا . أو استلهاما جديدا .

(٣) جان بول سارتر ـ من كتاب الرؤيا الابداعية ـ جمع بلوك . وسالنجر . ترجمة : أسعد حليم .

يوم عصيب



قصة من تاريخنا العظيم ..

للأستاذ أحمد الغناني

— ١ —

على وجهها المشرق القسمات تبدو نضرة النعيم كأحسن ما تبدو على محيا سيدة تقدمت بها السنوات ، ولكن فى سلسلة من المسرات ، وأيام من العز والسعادة .

وكل شىء من حولها يكاد ينطق بالهناءة والغنى الموفور ... ولو أنها سألت نفسها ماذا تريد من الدنيا ، مما لم يتحقق لسيدة مثلها لأعياها أن تتمنى على الدنيا الا مستحيلا لا يتحقق لها ولا لسواها ، وهو أن تعيش مع النعمة التى تتقلب فى أعطافها فلا تموت أبدا ...

وهى لا تذكر فى ماضيها شيئا تشكو منه الا أن يكون ذلك وفاة من توفاه الله من أهلها ولا سيما عبد الملك ، وعبد العزيز ابنا مروان أخواها ، ولكنهما أن يكونا قد عنوا لأمر الله فان حسبها أن أبناء عبد الملك ، خلفاء كانوا أم أولياء عهد وأمراء ، وأبناء أبنائهم أيضا يعرفون حقها عليهم ، فلا يتأخرون فى زيارة ، ولا يقصرون فى واجب ، بل هم يصلون حد المبالغة فى اعزازها والرجوع فى كثير من الأمور الى رأيها ، حتى أصبحت هى العنصر المرجح فى خلاف يقع ، أو حيرة تلتاث فيها الأمور ...

لقد كانت سيدة راجحة العقل ، تعرف كيف تحترم نفسها وتزن مواقفها ، وتجنح الى الانصاف والروية ، ومع أن الجميع كانوا مجمعين على توقيرها ، ان كانت آخر الاحياء من ابناء مروان جدهم ، وبانى مجدهم الا أنها كانت غير مسرفة فى الانفاق من ذلك الرصيد الكبير ، فهى لا تدخل فى أمر لا يعنيها ، ولا تتطوع أو تتطفل فى موضوع لا تسأل رأيها فيه .. مقيمة فى دارها الفخمة على ضفة بردى ، يسعى لها بما تشاء خدمها وغير خدمها .

ولقد دارت بها الأيام حتى ملأت ذاكرتها بذكريات أحداثها .. من عهد النصر الذى حققه أبوها فى « مرج راهط » فثبت أركان حكمه فى دمشق ،

الى عهد عبد الملك أخيها ، وما شهدته أيامه من تثبيت لملك أمية فى دمشق وانطواء صفحتى عبد الله ومصعب ابنى الزبير ، وعودة الحجاز والعراق ومصر وأفريقيا لحوزة الخلافة ، ثم استئناف الفتوح فى غير مكان واحد من أطراف الدولة العظيمة ، ثم امتداد تلك الفتوح العظمى فى أيام الوليد .

— ٢ —

وانها لمحصورة المنى فى مجد أبناء أبيها وأحفاده ، لا تتمنى أن يوافيها الأجل وهى ترى بينهم خصومة قد تطمع أحدا فى ملكهم ، أو بادرة ضعف قد تودى بباذخ شرفهم ..

وكانت تحس بدورها الكبير ، ونفوذها الأدبى الحاسم فى كثير من الأمور ، كما تستشعر حاجة بنى أبيها لها ، فلا تسمح لنفسها أن تغفل عن شاردة أو واردة من أمرهم الا وعندها علمها .

ومنذ وفاة أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ابن أخيها وهى تحس بغير سبب واحد لقلق يشيع فى نفسها .... قلق غامض مبهم خفيف ، يغشى جوانحها كما تغشى سحابة الدمعة المتراجعة أطراف العين الحزينة .

لقد كانت كسائر بنى مروان تعرف لعبد الملك حقه عليهم جميعا وهى بعد وجدت كما وجد سواها فى الوليد ابنه تأكيدا لذلك الحق ، فلولا عبد الملك والوليد لمادت بالأمويين الارض أو ساخت تحت أقدامهم ..

ولقد مات الوليد ثم طوى الردى بعد على حين غرة أخاه سليمان ولكن بيت عبد الملك لم يخل من الرجال فثمة يزيد وهشام ..

لم يكن أمرا مريحا أن تنتقل الخلافة الى بيت عبد العزيز بن مروان .. ولكن كذلك جاءت مشيئة سليمان وهو على فراش الموت المباغت وكذلك دبر رجاء بن حيوة فأحكم التدبير ، وأسقط فى أيدى أبناء عبد الملك حين سارع مسلمة أخوهم الى تأييد ابن حيوة ، ومسلمة بطل شجاع ولكنه ابن لأم ولد فليس غريبا عنه ، وهو الذى يقعد به نسب أخواله عن مجد الخلافة ، أن يؤثر عمر بن عبد العزيز على اخوته أبناء أبيه عبد الملك ...

— ٣ —

ولكن مهلا .. لم اليأس من عمر ؟

لقد يكون من الخير للأمويين أن يستخلف هذا الرجل بالذات من أبناء أخيها عبد العزيز .. فلهذا الرجل شعبية واضحة ، ان كان جده لأمه هو عمر بن الخطاب الذى أوسع الناس عدلا وكرامة ، وأبوه أكثر الأمويين اسماحا وكرما وتوددا للناس .

ثم هو رجل كريم ، وصاحب علم وفضل ، وهو بعد ابن عبد العزيز أخيها الذى طالما أوسعها برا ، وأطلق لسانها بالشكر ، وهذا الرجل أيضا زوج أحب بنات أخيها اليها ، وأقرب الأمويات الى قلبها سميتها فاطمة بنت عبد الملك التى طالما رأت فيها امتدادا لوجودها هى نفسها .

ثم ان الناس ضاقت مذاهبهم بهذا الحصار الطويل الذى فرضه

سليمان على القسطنطينية من غير أهبة كافية له ، فلا هو بمثمر ولا هو بمتوقف .

وعمر محبوب ولا سيما فى مدينة الرسول ، وما تزال يثرب موطن الهجرة والرسالة والنصر ، وخيرة التابعين وعلماء المسلمين .. لعلها تسمح فى خلافة عمر وترضى .. الم يكن عمر فيها قائما بالقسط ؟ منافحا فى وجه الحجاج وغير الحجاج حتى انه بسبيل الدفاع عن أهلها لقى ما لقى من عنت الوليد ؟

ومع كل هذه الأمور ، فان خلاف الأمويين مع عمر خطير جد خطير ! تذكرت فاطمة ما سمعته من شكاوى أبناء اخوتها من عمر فأحست بغضب يستبد بقلبها ، ويهيج فيها رغبة فى العنف والصيال . ماذا يريد عمر من مصادرة أموال المروانيين ؟

ما هذا الذى يبغيه من العنف العنيف بأبناء سليمان والوليد ؟ وأى تفسير للتقشف الذى أخذ به نفسه وعياله حتى كاد يجيع أبناءه وبناته ؟

أليس كل هؤلاء وأولئك أبناء اخوتها وبناتهم وهى أولى الناس بالغيرة على ما أصابهم ... وأحست بغليان الغضب فى رأسها وقلبها وكيانها كله ونهضت نافرة حانقة تنادى فتيانها أن يهيئن لخروجها ، واضطربت الفتيات لما حسبنه من أمر عظيم يغضب السيدة الأميرة الوقور التى اعتاد الأمراء أن يسعوا اليها وتهامسن فى حذر ، وتراكضن لحاجتها فى تهيب وحذر ، وخرجت فاطمة تتهادى فى مسيرتها ، لكنها فى هذه المرة لم تأخذ فتيانها من خلفها ..

— ٤ —

ترى ما حال فاطمة ابنة أخيها وحال أبنائها وبناتها ؟

قد مضى عليها وقت لم ترهم ولم ترها ، ولكن أخبارا نميت اليها ما تكاد تصدقها .. .. أحقا تكون فاطمة ابنة أخيها قد عنت لرغبة زوجها فأعادت الى بيت المال سائر مالها وحليها ؟

أحقا ما قيل منذ شهرين وأكثر بأن الهزال والاصفرار قد ألحا عليها وأخرجت مرآة ساذجة نظرت فيها الى نفسها .

انها أكبر من زوجة عبد الملك أم فاطمة ، زوجة عمر بن عبد العزيز ، ومع ذلك فان الحياة تتفجر ثرّة غزيرة فى كل كيانها ...

وعلى الطريق لقيها أحد أبناء الوليد دون بيت عمر ، فسارع اليها متهيبا وسلم وابتدر يدها فقبلها ... ثم مال الى رأسها هامسا « ابن عمه ؟ »

« الى ابن أخى عمر هذا أمير المؤمنين .

« كذا ؟ عهدى بك

« عهدك بى أزار ولا أزور ، مرعية القربى والرحم لكن ابن أخى هذا مشغول ليله ونهاره فى أمور الناس ، فما يصفو لـه عيش ، ولا يقر له قرار ... كأنه لم يستخلف قبله أمير للمؤمنين .

« بلى ، قد استخلف من هو مثله ومعلمه .

« معك حق ، فهو أشبه الناس بجده ابن الخطاب .

« ولكن أيام جده تولت يا عمه وأرى هذا الرجل قد ألقى بشره على رءوسنا ، والأمر استفحل . . . الساعة وضع يده على ضيعتى بطريق حمص فأعادها الى بيت المال كذا ؟

« أجل يا عمه والمصيبة أنه يفعل بنفسه أشد من ذلك تدرين أنه أعاد جبل الورس الذى تركه له أبوه الى بيت المال ؟ من ذا يقوم بأولاده ان مال بهم زمان ؟ لكنه حر فيما يشاء لنفسه . . أما نحن ؟ ما شأنه بنا نحن ؟ يمين الله لنرينه يوما أشد وقعا على رأسه من النبال .

« حسبك يا بنى . . لا يسمعك أحد . . لا تطمعوا الناس فيكم لستم بغير أعداء . .

« والى متى يا عمه ؟ قد طفح الكيل يا عمه ؟ يريد هذا الرجل أن يردنا الى منزلة العامة والسوقة ؟

« لا بأس يا بنى لا بأس . . الجرح فى الكف ، والرجل ابن عم ، والنصيحة ان تكررت تثمر ، دع ذلك عنك لى فانى آخذة اياه بالحزم والوعيد . .

جلست فاطمة بنت عبد الملك الى عمتها فاطمة بنت مروان كانت تحاول أن تشيح بوجهها ولو قليلا عنها فطعامها فى ذلك اليوم من العدس والبصل ، وافتقار بيتها الى الروائح والطيب أحرجها أمام السيدة الوقور الفواحة العطور .

وابنة مروان تدير بصرها فى أرجاء بيت عمر بن عبد العزيز وتنظر فى امرأته وبناته وأبنائه فتكاد تصعق ؟

« أهذا بيت أمير للمؤمنين ؟ أهذه حياة تنبغى لمن يمتد ملكه من وراء النهر عند تخوم الصين ، الى ملتطم الأمواج على بحر الظلمات ؟ أكذا تعيشون على أتفه زاد ، وتتدثرون بأفقر ملابس ؟

أكذا داركم عارية فلا تلحق بدار أدنى تاجر أو أفقر صانع ؟ أكذا تصنعون بأنفسكم أيها الناس ؟

ألم يكن عمر قبل الامارة والولاية مثلا يحتذى به فى رقة الحاشية وغضارة العيش ، ومطارف الخز ، وعيش البلهنية والعز ؟ ما الذى أصابكم أيها الناس ؟ ماذا جرى لعقولكم ، لماذا أنت مطرقة يا فاطمة ؟

ورفعت فاطمة بنت عبد الملك رأسها فاذا الدموع ملء عينيها . .

« ان عمر على حق يا عمه !

« ماذا ؟ أنت الأخرى تقولين بقوله لأمر ما اذا أعدت حليك الى بيت المال ؟ ورضيت هذا العيش الأجدب عيش الهوان ؟

« عمر على حق يا عمه . . . كيف وما تزول قدما عبد يوم القيامة الا بعد أن يسأل عن أمور تشيب لهولها الاطفال .

اننا لم نخلق لنحمل على رقاب الناس يا عمه إن اليوم الذى يجمع له الناس ليوم مخيف يا عمه » . . غفر الله لأبى ولجدى كيف من السحت أو الظلم نميا لحمى وعظمى . .

« وأنت أيضا يا فاطمة ؟ أنت تقولين بما يقول به ، لا بدع ما دام ابنك عبد الملك بن عمر هو الآخر يقول بقول أبيه هاها ! . . . ها هو أقبل !

يا للذهول أية هلهلة ملابس وأى نحول ؟ من يصدق أن هذا هو عمر بن عبد العزيز ؟

— ٦ —

الحديث طال بين أمير المؤمنين عمر وبين عمته فاطمة بنت مـــروان. تريد هى أن تفجر غضبها ، ولكن ذكاءها وخبرتها يمسكان بغضبها ، فالمهم أن تنال من زيارتها اربها ، وما اعتادت عند الخلفاء من قبل عمر الا أن تعود محققة هدفها ..

وعمر بهدوئه وحيائه وبالغ تودده وتواضعه يرد غضبها الى مكامنه فى جوانحها .

وصمتت السيدة الكبيرة وأطرقت ولكن ادكارها أبناء أخوتها وبناتهم وما أهمهم من أمر عمر وأهاج خواطرهم والشر الذى صمموا عليه فى حق عمر كل ذلك أثار ثائرتها فانفجرت صارخة !

((ومن قال لك انهم سوف يرضون لك بكل ما تفعله بهم فيذعنوا لك ويستسلموا لمشيئتك ؟؟

((انهم رعية كسائر الرعية ، وأنا استخلفت برضاء الناس ورضائكم ، وما أفعل الا بما أمر الله ورسوله وسار عليه أبو بكر وعمر .

((ولكنك لن تجيئهم بناس كمن عايشوا أبا بكر وعمر ..

((اذا زاغ الناس فنحن أولى بأن نستقيم أمامهم ، ونبدأ بأنفسنا من دونهم .

((لا فائدة انك لن تسمع من أحد ! أنك ترزأ أبناء عمومتك فى مالهم وشرف الرياسة التى نالوها بجدهم ودمائهم .

((الخلق كلهم عيال الله يا عمه .

((استمع الىَّ يا عمر طاوعنى يا عمر ، انك إن لم تفعل فان أبناء عمومتك سيهيجون عليك يوما عصيبا ..

((ان يوما أخافه يا عمه دون يوم القيامة فلا نجانى الله منه ! ..

((لا فائدة ! انك لن ترضينى ولو مكثت عندك ألف سنة ...

((الله ورسوله أحق منك بالرضا يا عمه ...



الفتاوى

متى يقام للصـــلاة

السؤال :

يلاحظ ان المصلين لا يقومون فى وقت واحد عند أقامة الصلاة ، فبعضهم يقوم عندما يبدأ المؤذن الاقامة ، وبعضهم يقوم فى اثناء الاقامة ، فأيهما افضل ؟

سليم العدنى — عدن

الاجابــة :

قال الامام مالك فى الموطأ : لم أسمع فى قيام الناس حين تقام الصلاة حدا محددا انى أرى ذلك على قدر طاقة الناس فان منهم الثقيل والخفيف ، وما دام لم يرد نص يحدد زمن القيام للصلاة ، ولا نص يحدد كلمة مخصوصة من كلمات الاقامة يقوم المصلى عند سماعها فان ذلك متروك لتقديره وحـــالة المصـــلين ، والمطلوب ان يكون المصلون جميعا صفوفا متراصة منتظمة كاملة عند تكبير الامام تكبيرة الاحرام .

وروى ابن المنذر عن أنس : انه كان يقوم اذا قال المؤذن قد قامت الصلاة .

الوقت بين الاذان والاقامـــة

السؤال :

اذا أذن المؤذن للصلاة فمتى يقيمها . هل هناك زمن محدد شرعا يفصل بين الاذان والاقامة بمعنى انه لا يقيم الصلاة ، الا بعد خمس دقائق أو عشر مثلا .

على بن زيـــد — دبى

الاجابــة :

لم يرد نص يحدد الزمن الذى يفصل بين الاذان والاقامة وانما المطلوب شرعا هو الفصل بين الأذان والاقامة بوقت يسع الاستعداد وحضـــورها لأن الأذان انما شرع لاعلام الناس بدخول الصـــلاة فيستعدون لها ومتى اجتمـــع المصلون أقيمت الصلاة ، وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والـــترمذى عن جابر بن سمرة قال — كا نمؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذن ثم يمهل فلا يقيم حتى اذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج اقام الصـــلاة حين يراه .

صــلاة المستحاضــة

السؤال :

العادة الشهرية عندى كانت ستة أيام ثم أصابنى نزيف واستمر نزول الدم دون انقطاع وأحيانا يكون غزيرا وأحيانا يكــون على هيأة نقــط وعجزت عن علاجه فكيف اصلى ؟

الاجابــة :

ما دامت مدة العادة الشهرية لك كانت معروفة قبل حدوث النزيف فتعتبر هذه المدة حيضا وهى عندك ستة أيام شهريا فلا تصلى ولا تصومين فيها ، وبعد مضى هذه المدة يجب عليك أن تغتسلى وتصلى وتصومين ، وفى هذه الحالــة يجب عليك الوضوء لكل صلاة بعد دخول وقتها وان تغسلى مكان النزيف قبــل الوضوء وتضعى قطنة مثلا لدفع النجاسة أو تقليلها .

الدعاء أثناء القــراءة

السؤال :

سمعت بعض المصلين أثناء قراءته القرآن فى الصلاة يقطع القراءة ويدعو بأدعية مناسبة فيقول عند ذكر الجنة اللهم انى اسألك الجنــة وعند ذكر النار اللهم أجرنى من النار فهل ذلك جائز شرعا ؟

هيثم عدنان ــ الدوحة

الاجابــة :

يسن لكل من قرأ فى الصلاة أو غيرها اذا مر بآية رحمة ان يسأل اللــه تعالى من فضله ، واذا مر بآية عذاب ان يستعيذ به من النار ، واذا مر بآية تنزيه لله سبحانه نزه فقال ســبحانه وتعالى أو نحو ذلــك ، ويستحب لكل من قرأ (أليس الله بأحكم الحاكمين) ان يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين ، واذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) قال بلى أشـــهد واذا قرأ (فبأى حديث بعده يؤمنون) قال آمنت بالله واذا قرأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قــال لا نكذب بشىء من آيات ربنا واذا قال (سبح اسم ربك الأعلى) قال سبحان ربى الأعلى ويستحب هذا للامام والمأموم والمنفرد لانــه دعاء فهو مطلــوب منهم كالتأمين وكذلك الحكم فى القراءة فى غير الصـــلاة .

ملاحظـــات
حول مقال ((دين زاحف مهما كانت العوائق))

بعث الينا الاستاذ أبو القيم الكبسى من محافظة الانبار بالعــراق الملاحظات التالية : ــ

اقرأ للأستاذ الكبير محمد الغزالى كتبه فى (الدعوة) ومقالاته فأحس بفيض من الحياة يغمرنى فأود أن أتحرك وأن أعمل ممزقا كل خيوط العزلة ، والتى يكــاد أن يفرى المؤمن بها بضغط ... التقهقر الانسانى نحو ((السافل)) .

وآخر ما قرأته لفضيلته فى مجلة الوعى الاسلامى مقاله ((دين زاحف مهما كانت العوائق)) والمقال هذا عالج فيه الأستاذ ــ ككل كتاباته ــ موضوع الساعة ((الاسلام)) فى آخر زمان ، كما يسيغ لدعاة القعود ، ومثبطى همم الشباب الداعى الى الله تعالى أن يسموه ، آخذين من تسميته هذه أن لا جدوى من ((الدعوة)) فهى اليوم فى محل من يحاول أن يرجع الايام الأولى ، وما هــو بفاعل ، ولهذا أسباب ليس هنا محل بحثها ، وحقا أجاد أستاذنا بالغيب الأستاذ الغزالى فأتاها من القواعد ، فجزاه الله تعالى على غيرته الخير ، ومد فى عمره لنصرة الحق الغريب .. غير أن ثمة ملاحظات عنت لى وأنا اقرأ مقالــه آنف الذكر ، فوددت تسجيلها ومبادلة فضيلته الرأى فيها على صفحات مجلتنــا الزاهرة فليأذن لى فضيلته مشكورا .

١ ــ قال فضيلته ((كلما قرأت أبواب الفتن فى كتب السنة شعرت بانزعاج وتشاؤم ، وأحسست أن الذين أشرفوا على جمع هذه الأحاديث قد اساءوا ــ من حيث لا يدرون ومن حيث لا يقصدون ــ الى حاضر الاسلام ومستقبله ــ وأظن أن الأمر لا يدعو لكل هذا ليكون بالتالى قد أساء من جمع هذه الأحاديث بقصد أو بغير قصد !! فالأمر أهون من ذلك بكثير ذلك لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، قالها وهو يعلم اذ يقولها أنها أمانة الرسالة والتبليغ ((وما ينطق عن الهوى)) ولا يجهل أنها ستتصل الأجيال جيلا بعد جيل . ((انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون)) وسنته الصحيحة من (الذكر المحفوظ فقائلهــا وناقلوهــا براء من قصد الاساءة .. بقى ما يحتمل ((النص)) المنقول من وجهة نظر تفسيرية هى ملك لصاحبها لا لغيره ، فهى ان كان يؤخذ منها كما يقول فضيلــة الشيخ ((تصوير الدين وكأنه يقاتل فى معركة انسحاب)) فهى مردودة لا يتحمل ما يترتب على ردها ((النص)) باعتبارها أبعد ما تكون عنه ... ولقد أجاد فضيلــة الشيخ فى ردها .

أعود فاقول ان مجرد وجود أبواب الفتن لا يقتضى الاساءة اطلاقا ، والا نهى كذلك فى آيات الصفات وأحاديثها الصحاح .

٢ ــ تساءل الاستاذ الغزالى عما يفعله المسلم المسكين ! وهو يقرأ حديث أنس بن مالك الذى رواه البخارى عن الزبير بن عدى قال : شكونا الى أنس ما نلقى من ((الحجاج)) فقال ((اصبروا ، فانه لا يأتى عليكم زمان الا الـــذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم ، ونفى الشيخ أن يراد بهذا ((أن أمر المسلمين فى ادبار وأن بناء الامة كلها الى انهيار ، ولا خلاف مع فضيلته فى هذا ، أما أن يستشهد الاستاذ فى نفى هذا الظـــاهر بأحداث وقعت فى عصر بنى أمية جاء فيها الأتقى (الملتزم) بعد (غير الملتزم) فهو استشهاد يلزم أن يكون مدار حديث أنس هذا الظاهر فقط لا غيره ، واستميح الشيخ لطفا أن أقول ان حديث أنس لا يحمل هذا ((المضمون)) ليعتمد فى نفيه على هذا ، ذلك لأن الاستشهاد بالنص على كيفية ما ، لا تعنى النص ذاته أن الذى يفسر حديث أنس قول الشعبى قال عبد الله : ليس من عام الا والذى بعده شر منه لا أقول أمير خير من أمير ولا عام أخصب من عام ، ولكنه ذهاب خياركم وعلمائكم ، ويحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فينهدم الاسلام وينثلم ، يعزز هذا التفسير الكثير من أقوال السلف ، ومشاهدة واقع الخلف خير دليل على صحة هذا ، فانكماش الاسلام أمام جحافل البدع والآراء والأهوال فى رحاب عالم اسلامى ، ملىء بمذاهب ونحل داخل (الاسلام) نفسه ، وكأنهم ليسوا ممن يقرأون قول الله تعالى ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) ((ان الذين فرقـــوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء)) الى غير ذلك من مفارقات موزعة بين المشاهد والقبور فى كل العالم الاسلامى ، حاشا الحجاز ، فانتشار الاسلام اذن ودخوله كل بيت لا يرد بمحال غربة الدين الخالص البعيد عن ((الشرك)) بأنواعه والأمر أعنى أمر غربة هذا الدين الخالص ، تزداد ما دام الشر ينتشر بجناحى ((الحرية)) والحق مكبلا بقيود القوانين الجائرة ، روى أبو الدرداء قال لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه الا الصلاة قال الأوزاعى : فكيف لو كان اليوم (وأقول) فكيف لو جاء اليوم ! ولن تشفع بحال من الأحوال فى ازالة (الغربة) غربة الدين كما أراده اللـــه ورسوله تلك الاحصائية الحافلـــة برقم ثمانمائة مليون فكثرة الغثاء لا تسمن ولا تغنى من جوع ... وذهاب الأخيار الأول ، فالأول حق لا مرية فيه ، ومدار قيام الساعة يأذن به رقاص الايام المسافر الى الأمام قدما اليها على أن هـــذا لا يغرى بالقاء عصا الترحال فى عماية وضع اليد على الذقن ، فالجهاد ماض الى يـــوم القيامة ، وعصبة لا تزال على الحق الى أن يأتى أمر الله تعالى .

هذا ما أردت أن أبادل به فضيلة الشيخ الرأى فان يكن صوابا فمن الله تعالى وان يكن غير ذلك فمن نفسى والشيطان ، واستغفر الله أن أقول شططا،ولا يفوتنى أن أشكر للشيخ غيرته وانتصاره للعمل والدعوة الى الله لا سيما ونحن نعيش مجتمعات نفخ فيها الشيطان الرجيم ، وأعطيت فيها حرية العمـــــل اللامسئول لألف سامرى أو يزيدون فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ولفضيلته شقيق الروح السلام والاحترام .

جاءنا من الأستاذ محمد عزة دروزة التعقيب الآتى : —

تعليقا على جواب الوعى الاسلامى على (سائل) المنشـــور فى العدد ٧٤ شهر صفر ١٣٩١ هـ نقول أن القرآن قد خاطب يهود الحجاز بصفة بنى اسرائيل فى كثير من الآيات بحيث يكون أى بحث وتخمين فى صور جنسيتهم لا محل له ، وبحيث يكون أى شك وتخمين بأنهم غير اسرائيليين أو عرب متهودون متهافت لا معنى له .

ومع أنهم كانوا أتوا الى الحجاز من أمد غير قصير واندمجوا فى المجتمع العربى ، وتعلموا العربية فقد ظلوا يعيشون حياتهم الخاصة من جهة ، ويحتفظون بلغتهم العبرانية من جهة أخرى على ما تفيده آثار عديدة منها حـــديث رواه الترمذى عن زيد بن ثابت جاء فيه (أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود ، قال انى والله ما آمن يهود على كتاب ، قال فما مر بى نصف شهر حتى تعلمته له ، قال فلما تعلمته كان اذا كتب الى يهود كتبت لهم ، واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم ، وقد جاء فى الجزء الثالث من طبقات ابن سعد (أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث بجماعة من المسلمين لاغتيال زعيم يهودى فى خيبر اسمه أبو رافع لتحريضه قبائل غطفان ومن حولها من المشركين على حرب رسول الله ، وقد جعل على رأسهم عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية فيسر لهم ذلك دخول خيبر والوصول الى الزعيم وقتله ... وقد روى البخـــارى ومسلم عن ابن عمر قال : —

(أتى بيهودى ويهودية قد زنيا الى النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق الى يهود فقال ما تجدون فى التوراة على من زنى قالوا نسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما ، قال فأتوا بالتوراة ان كنتم صادقين فأتوا بها فقرأوها حتى اذا جاءت آية الرجم سترها الذى يقرأ بيده وقرأ ما قبلهـــا وما بعدها فقال عبد الله بن سلام وهو مع النبى مره فليرفع يده فرفعها فاذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله فرجما ، وهذا يفيد أن التوراة كانت بالعبرانية فلم يلحظ مكر القارىء اليهودى الا عبد الله بن سلام الذى كان قد أسلم .

المحـــرر

مع تقديرنا للكاتب الاسلامى الكبير الاستاذ دروزة واقتناعنا بغزارة علمه وسعة اطلاعه نقـــول :

* اننا انتهينا فى بحثنا عن جنس يهود الحجاز — الذى علق عليه — بأنهم اسرائيليون فقلنا ((ومن هنا نتوصل الى القناعة بأن القبائل اليهودية الثلاث التى سكنت المدينة— بنى النضير ، وبنى قريظة ، وبنى قينقاع — هى قبائل من جنس اسرائيلى)) وهذا هو ما ارتآه الكاتب الكبير فى تعقيبه ..



قالت صحف العالم

مأساة المسلمين فى الفلبين

نشرت صحيفة الاهرام القاهرية تحت هذا العنوان تقـــول :

المسلمون فى جنوب الفلبين يعيشون كمواطنين من الدرجة الثانية . نصيبهم من التعليم أقل مـــن القليل . فصل دراسى واحد لكل عشرة آلاف مواطن ، بينما فى بقية الجزر فصل دراسى لكل ٣٠٠ فرص العمل أمامهم ضيقة ومحدودة . الذين يسمح لهم بالتوظيف لا يتجاوزر عددهم ٥٠٠ شخص قراهم فقيرة وتعسة لا مشروعات ولا مرافق ولا خدمات .

مسلمو الفلبين ليسوا ضحايا التعصب فقط ، ولكنهم ضحايا زعمائهم أيضا .. هذه حقيقة عشتها فى الفلبين فى جزيرة مندانا والتى شهدت المذابح والتى تعد أحد المراكز الرئيسية لتجمع المسلمين الذين يرصدون كل حركة تحدث فى العالم العربى بينما لا يراهم أحد من على البعد بل لا يكاد احدنا يعرف أين موقعهم على خريطة العالم .

أقليـــة فى بـــــلادهم :

هم أقلية لا يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين ونصف مليون مسلم موزعون على جزيرتى مندانا وسولو فى الجنوب وثمة أقليات أخرى فى الفلبين (٢٥ مليون نسمة) هم البوذيون والهندوس والوثنيون الذين يعيشون فى أقصى الشرق ويأكلون الكلاب ويعبدونها بينما أغلبية السكان من الكاثوليك .

هذه الصورة كانت مختلفة تماما منذ قرون قليلة مضت .

كانت هناك أغلبية مسلمة ساحقة وكانت جزر الفلبين مجموعة من السلطنات وعندما غزاالأسبان الفلبين فى القرن السادس عشر كان يحكم مانيلا — العاصمة الآن — السلطان راجا سليمان (دخـــل الاسلام جزر الفلبين على أيدى تجار الجزيرة العربية وحضرموت والملايو فى القرن الثالث عشر عندما كانوا يقومون برحلاتهم الشهيرة الى الصين) .

وطوال اربعة قرون خاض مسلمو الفلبين حربا ضارية ضد الأسبان دفاعا عن الارض وعن العقيدة وخلال هذه الفترة (من القرن السادس عشر الى التاسع عشر) سقطت الجزر المسلمة واحدة تلو الأخرى فى أيدى الأسبان وارغم أهلها على ترك دينهم حتى الذين بقوا على اسلامهم غيروا اسماءهم العربية الى أسبانية خشية البطش والارهاب وأصبح (مامندال) هو البديل عن أسم (محمد) وعباس هو (أباسو) وجعفر هو (كازانو) وهذه الاسماء الجديدة ما زالت منتشرة بين المسلمين الآن .

فى النهاية تركز المسلمون فى جزر الجنوب التى لم يستطع الأسبان اقتحامها بسبب تطرفها وبعدها عن العاصمة (ألف كيلو متر تقريبا بين جزيرة مندانا ومانيلا) وبسبب ظروفها الطبيعية التى ميزتها بالأحراش الكثيفة والجبال العالية . وقد استفاد المسلمون من هذه الظروف فى صد محاولات الغزو ، ونجحوا فى الاحتفاظ بكيانهم فى تلك المناطق .

لكن مسلمى الفلبين أصبحوا أقلية بعد القرون الأربعة التى عاشتها بلادهم تحت الحكم الأسبانى . وفى أوائل القرن العشرين أصبحت الفلبين تحت الاحتلال الامريكى الذى نجح فى السيطرة على المناطق الجنوبية المسلمة ثم منحت الفلبين استقلالها فى عام ١٩٤٦ .

ومنذ عام ١٩٤٨ بدأت المناطق المسلمة تتعرض لاقتحام من نوع جديد ..

والمسلمون هناك لا ينسون أن الارض العربية فى فلسطين قد اغتصبت فى ذلك العام ويعدون أوجه شبه كثيرة بين ما يتعرضون له وبين ما جرى فى فلسطين .

بدأت عملية تهجير سافرة ومنظمة من شمال الفلبين الى جنوبه فى عام ٤٨ وكان هدف العملية هو النفاذ الى ذلك المجتمع الذى ظل طوال قرون عديدة مغلقا على المسلمين وبالفعل أقيمت معسكرات عمل تستقبل العائلات الكاثوليكة المهجرة من الشمال .

ولم تجد هذه العائلات صعوبة فى الاستقرار وسط مجموعة المسلمين فالارض شاسعة وغنية والمسلمون فقراء وسذج وحسنو النية دائما هم أيضا جهلاء لا يعرفون أساليب التحايل فضلا عن نصوص القانون واحكامه .

وبسبب هذا الجهل فقد المسلمون أرضهم بما عليها من ثروة . كان القادمون من الشمال يسجلون الارض باسمائهم بعد قليل من استقرارهم فيها بينما لم يكن هناك من بين المسلمين من يكترث أو يفطن الى ضرورة احتفاظه بسند يثبت ملكيته للارض .

وبعد التسجيل كان المهجرون من الشمال يسعون الى انتزاع الارض من أصحابها المسلمين وعندما يصل الأمر الى القضاء يحكم لصالح من لديه الدليل لاثبات الملكية .. المهاجر طبعا .

وهكذا عاما بعد عام فقد المسلمون فى الجنوب الأف الهكتارات من الاراضى الزراعية بل وطردوهم منها وظلت جموعهم تنحسر وتتقهقر حتى رأينا بعضهم يعيش فى اكواخ على شاطىء المحيط — مياه البحر وراء ظهورهم مباشرة — فى مدينة زامبوانجا فى غرب جزيرة منداناو .

ويقدر البعض أن متوسط عدد الأسر التى تهجر كل عام الآن من الشمال الى الجنوب يصل الى ٥٠٠ أسرة .

التزغيب بالتبشير :

مع عمليات التهجير والتوطين هذه كانت هناك محاولات اقتحام أخرى لمجتمع المسلمين فى الجنوب استخدم فيها أسلوب الترغيب والترهيب .

مضت بعثات التبشير الغنية والنشطة فى طريق الترغيب أقامت المستشفيات والمدارس والجمعيات الدينيه وكل صور الخدمات المكنة وشدت المسلمين الفقراء الى هذه المواقع حيث وجدوا فيها التعليم والرعاية الطبية والغذاء والكساء بل والمال احيانا .

ولا ينكر أحد أن هذه البعثات قد حققت قدرا من النجاح دفع الكثيرين الى ترك دينهم بعدما لم يبق من تعاليمه لديهم غير القليل المشوه بسبب عزلة المسلمين فى هذه المناطق طوال سبعة قرون وبسبب اختلاط تعاليم الاسلام بآثار من الهندوكية والبوذية اللتين كانتا فى جزر الفلبين قبل الاسلام .

وبنصوص القانون كان الترهيب ...

فمن طريق هذه النصوص لم يعد هناك وجود تقريبا للعديد من الشعائر الاسلامية . فالزواج الشرعى مثلا غير معترف به ولا بد أن يكون هناك عقد مدنى حتى يصبح الزواج قانونيا وتترتب عليه أثاره الطبيعية فى النسب والأرث .

وهكذا أجبر المسلمون على التخلى عن أراضيهم ودفعوا الى ترك دينهم وكان طبيعيا بعد ذلك أن تتناقص أعدادهم ويهتز كيانهم الذى دافعوا عنه طويلا أمام الغزو الأسبانى .

لم يعد المسلمون أقلية فى الفلبين كدولة فقط بل أيضا أصبحوا أقلية فى مدن الجنوب ذاتها التى ظلت طوال القرون الماضية محتفظة بطابعها المسلم .

كان كل سكان جزيرة منداناو من المسلمين فأصبحت نسبتهم الآن لا تتجاوز ٥٠٪ من السكان .

وفى مدينة زامبوانجا كانت نسبة المسلمين ١٠٠٪ وظلت هذه النسبة تتدهور حتى وصلت الى ٣٠٪ فقط لم يبق غير كوتاباتو أحدى مناطق مقاطعة منداناو التى ما زالت تحتفظ بأغلبية مسلمة وكانت كوتاباتو هذه مسرح المذبحة التى جرت فى الاسبوع الماضى وقتل فيها ٧٠ رجلا وطفلا من المسلمين .

بأقلام القراء

الايمان المادى

تحت هذا العنوان يقول الاستاذ محمدسيد أحمد المسير :

الايمان — فى نطلق الحق الآلهى . تحقيق للفضيلة والكرامة فى مجتمع البشر ، وتخليص لأفراده من رق العبودية الوضيعة ، وازكاء لمثل رفيعة تحفظ لهم قرائحهم الانسانية ووجودهم الروحى مما يؤهلهم للسير فى هذه الحياة على هدى وبصيرة بطيب العمل وقويم السلوك عمارة للأرض وزادا للسماء ..

ويبدو ان المسلمين فى وقتنا الحاضر قلبوا معايير الايمان وتعلقوا بأشكاله ونأوا عن جوهره واصالته وأضع أمام القارى صورة تبدو للنظرة الأولى بسيطة سهلة ولكن لها دلالتها ومغزاها .. فذات مرة جلست بجوارى فى « التاكسى » فتاة ، وحين تحرك بدأت تتلو آيات من الذكر الحكيم .. وكلما حدث شىء فى الطريق استعاذت بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب .. والى هنا تبدو الصورة عادية فاذا علمت ان هذه الفتاة ترتدى احدى (صيحات) الموضه .. بدأ العجب .

لماذا ؟ لانها لو كانت تتلو الآيات تعبدا وتدعو الله تضرعا لاستحيت ان تناجيه وهى متلبسة بالمحرم لكنه الايمان المادى — ان صح التعبير — ايمان للشفاء من مرض أو للفوز بالنجاح أو للوصول الى منصب أو للتحرز من خطر .. ومن هنا ظهرت فى دنيا المسلمين التمائم واحتفظ كل منهم معه بآية الكرسى أو سورة ((يس)) وهم أبعد الناس عن الله وانآهم عن القرآن وأجهلهم بأحكامه لقد سرت المادية الى كل شىء حتى الايمان لا يلتجأ اليه الا لكسب مادى .. !!

ومن المضحك أو المؤسف على حد سواء أن الأمر لم يقف عند حد طلب الكسب الطيب بل أصبح من المألوف على ألسنة الراقصات وذوى الفن الماجن أن نسمع منهم هذه الكلمات : الحمد الله أنا أديت رقصتى بنجاح والحمد الله كان اعجاب الجمهور بدورى فى الفيلم شديدا ، وان شاء الله أتمنى أن أقوم بدورى فى المسرحية على خير وجه ، وربنا يوفقنا دائما لأن نقدم للجمهور كل جديد فى الرقص والفن والغناء ..

ياللجهل .. !! أيستعان بالله فى معصية الله ؟ !!

علينا أن نطهر ايماننا من دنس المادة ورجسها ونخلص لله تديننا . وفى الحديث الصحيح (من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) . ولنتذكر قول

المصطفى عليه الصلاة والسلام « ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام وقد غذى بالحرام فأنى يستجاب له ؟)) .

هذا وعلينا أن لا نتشاءم فلهـذه القصة دلالة قوية على جانب كبير من الأهمية فهى من أقرب وأعمق آيات افحام ذوى الالحاد فالفطرة الانسانية فى حال نقائها وبعدها عن غوائـل السوء تلجأ الى الذى فطرها كما قال جل شأنه ((قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون)) .

فعجيب أمر هذا الانسان ... !!

اذا أظلم عليه السبيل أو هاله ليل أو جاءته ريح عاصف أو هاجه موج ثائر ــ رجـع الى صـوت الفطرة وتضرع الى الله وحده بذله وانكسار رجاء كشف الكروب وازالة الشدائد فتتداركه يد الرحمة الشاملة وتعمـه بآلائها وتسبغ عليه من النعم ظاهرها وباطنها .. لكنه هو الانسان الظلوم الجهول .. !!

ما ان يستشعر بسطة جسم أو فضل نعمة حتى يقول ((لقد أوتيته على علم عندى)) ..

ويعلم اللـه أنى التقيت كثيرا مـع هؤلاء وفى احدى المـرات ناقشنى أحدهم طويلا وبدا لى انه من أئمة الكفر ، ليس عن بينة طبعا فالالحاد لا يقوم على حجة وانما ينشأ عن هوى طائش وشهوة جامحة وخبث دفين .. وقد يكون عن ارتجال وانسياق ومع هذا فأشهد الله انى سمعته وهـو نائم يقول بعالى صوته .. يارب .. يارب مما جعلنى أوقظه وأنقذه من الصراع النفسى الدائر داخل خبايـا ضميره والذى يتظاهر باخفائه ..

وليطمئن القارى فقد رأيت صاحبى هذا بعد ذلك وهو قائم يصـلى فى بيت من بيوت اللـه .. ان الـدين صوت العقل وهتاف الضمير ونداء المثل « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) .

صدق الله العظيم

اقـرء فى العـدد القـادم:

الاسراء في مجال الدعوة . في ذكرى الاسراء والمعراج

. الاسراء والمعراج . آية الاسراء والمعراج . القرآن والعلم .

من وحي الاسراء والمعراج . يوم من أيام الاسراء .

لماذا عدوان الصهيونية . قضية الشيوع الأدبي .

صور من بطولات أهل فلسطين .

أخبار العالم الإسلامي

أعداد : غ.ب

الــــكويت : قام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بزيارة رسمية لسـوريا تلبية لدعوة مـن السيد رئيس الجمهورية ، ثم توجه حفظه الله الى لبنان لقضاء فترة من الراحة والاستجمام .

● استقبل معالى وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة وفد اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وقد أكد معاليه للوفد مساندته للاتحاد ودعمه لنشاطاته .

● تلقى معالى الاستاذ راشـد الفرحان وزير الاوقـاف والشئون الاسلامية دعـوة لزيـارة المسلمين فى الاتحاد السوفياتى من الشيخ ضياء الدين باباخان زعيم المسلمين فى الاتحاد السوفياتى ، وقد لبى معاليه الدعوة وسيرافقه الأستاذ عبد الله العيسى المستشار ، والأستاذ أنور الرفاعى مدير الشئون المالية بالوزارة .ه كما تلقى معاليه مذكرة من السيد روحى الخطيب أمين مدينة القدس توضح الخطر المتمثل فى ظهور المنظمة الصهيونية « أمناء جبل البيت » على البيت الحرام فى القدس .

● أعلنت الوزارة عن افتتاح دار القرآن الكريم تقبل المتقدمين من الآن لحفظ القرآن الكريم .

● أعلنت نتائج الامتحان النهائى لمعهد الامامة والخطابة وبلغ عدد الناجحين ٣٢ طالبا .

● رفعت الوزارة مذكرة الى مجلس الوزراء بشأن تكييف جميـع مساجد الكويت .

● تولى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عناية خاصـة بشراء الكتب الاسلامية باللغات الأندونيسية والأوروبية والفيليبينية واليابانية والصينية وغيرها كوسيلة من وسائل الوزارة للعنايـة بالدعوة الاسلامية فى جنوب شرق آسيا .

● شددت وزارة الاعلام الرقابة على جميع المطبوعات الاجنبية ، ومصادرة الكتب المنافية للأخلاق .

● تم افتتاح ٩ مساجد جديدة فى ٩ مناطق مختلفة خلال الشهر الماضى من بينها مسجد مدينـة الحجاج .

القـــاهرة : انتهت الدراسات الاعدادية الخاصة بانشاء بنك اسلامى عالمى ، وسيعرض المشروع على مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية القادم . صرح بذلك الرئيس العــام لجمعيات الشبان المسلمين .

● وجّه شيخ الجامع الأزهر نداء الى لجنة (وضع الدستور الدائم) ناشدها العمل على اقتباس الدستور من كتاب الله وشريعـة الاسلام.

● أقيمت صلاة الغائب فى مساجد مصر ترحمًا على أرواح المسلمين الضحايا فى مذابح الفيليبين وقد بعث شيخ الأزهر نداء الى الرئيس الفيليبينى دعاه الى وقف المذابح وحقن الـدم الاسلامى .

● قام الرئيس داوود ياورا رئيس جمهورية جامبيا بزيارة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وقد تعرض الحديث بينهما لمساعدات الأزهر الثقافية لمسلمى جامبيا .

● قام وفد رسمى يمثل فيه الأزهر بزيارة الجزائر وليبيا حيث عقد اتفاقيات مع البلدين لتزويدهما بالخبرات فى مجال التعليم والثقافة .

السعوديـة : وجّه جلالة الملك فيصل بيانا الى الشعب العربى فى مصر حمد الله فيه على موقف هذا الشعب من العروبة واستمساكه بالاسلام ودعا الى التأييد العملى من العرب والمسلمين لمصر .

● أكد البيان المشترك الذى صدر عقب زيارة الملك فيصل لمصر تمسك البلدين مصر والسعودية بحقوق شعب فلسطين والعمل مشتركين على درء الخطر الصهيونى .

● تلقى جلالة الملك فيصل تقارير من الهيئات الاسلامية عن أحوال المسلمين وأوضاعهم فــى جنوب شرق آسيا أثناء زيارته للصين واليابان .

الأردن : تقوم اسرائيل بتنفيذ مخطط جديد لها بتعويض أهالى مدينة القدس العربية عن ممتلكاتهم التى صادرتها السلطات الاسرائيلية .

● رفضت اسرائيل التعاون مع لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة ومنعتها من اجــراء أبحاثها حول أوضاع العرب فى الأرض المحتلة .

● تجرى مباحثات جــادة مع العواصم العربية لمنع تهويد القدس والقيام بتحرك عالمــى واسع النطاق لهذا الغرض .

العــــراق : أرسل فخامة رئيس الجمهورية رسالة الى حضرة صاحب السمو أمير الكويت المعظم ، كما بعث سيادته رسائل مماثلة الى ثلاث عشرة دولة عربية تتضمن وجهــة نظر العراق فى الوضع العربى الراهن .

ســوريا : استقبل حضرة صاحب السمو أمير الكويت المعظم بحفاوة بالغة من الحكومة والشعب وقد تفقد سموه معالم النهضة فى البلاد اثناء زيارته الميمونة .

لبنــــان : عقدت فى الشهر الماضى اجتماعات الدورة الخامسة للتخطيط التربوى لأبناء فلســـطين وقد تناولت خطة الخدمات التعليمية فى الأراضى المحتلة وفى المؤسسات العربية كما تناولت بحث المعونة لمن لا مورد له من لــدن جامعة الدول العربية .

ليبيــــا : تقوم بعثة اسلامية من ليبيا بجولة فى بعض دول افريقيا وهى تحمل رسائــل من الرئيس القذافى الى رؤساء تلك الــدول تتعلق بالشئون الاسلامية .

المغـــــرب : اجتمع جلالة الملك الحسن بالأمير تنكو عبد الرحمن أمين عام الأمانة الاسلامية وقال الملك انه مقتنع بأن مؤتمر المراكز الاسلامية الذى عقد فى الــرباط سيعمل على توطيد الروابط الاسلامية .

● أقيمت فى الشهر الماضى مسابقة كبرى فى حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وقد وزعت الجوائز على الفائزين .

أرتيريــــا : تمكن رجال حركة التحرير الأرتيرية من اسقاط طائرة أمريكية كانت تقصف قرى المسلمين الأرتيريين وقتلوا قائد الطائــرة .

باكستان : تتوالى عودة اللاجئين الى باكستان الشرقية بعد هــدوء الأوضاع وانتهاء الفتنة الداخلية .

الفيليبين : راح أكثر من ١٢٠ مسلما ضحية مذابح طائفية قام بها بعض المسيحيين فى الفيليبين بعد أن اقتيد كثير من هؤلاء الضحايا الى المساجد والمدارس وتم قتلهم ، والوعى الاسلامى تأسف لهــذا التعصب الهمجى وتناشد العالم الاسلامى والضمير العالمى الضغط على حكومة الفيليبين لايقاف هذه المذابح .

أفغانستان : سيعقد مــؤتمر وزراء خارجية الــدول الاسلامية دورة جــديدة له فى مدينة كابل (العاصمة) وسيبحث المؤتمر انشاء المراكز الاسلامية وتوحيد وكالات الانباء الاسلامية .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : **مكتبة مكة** ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

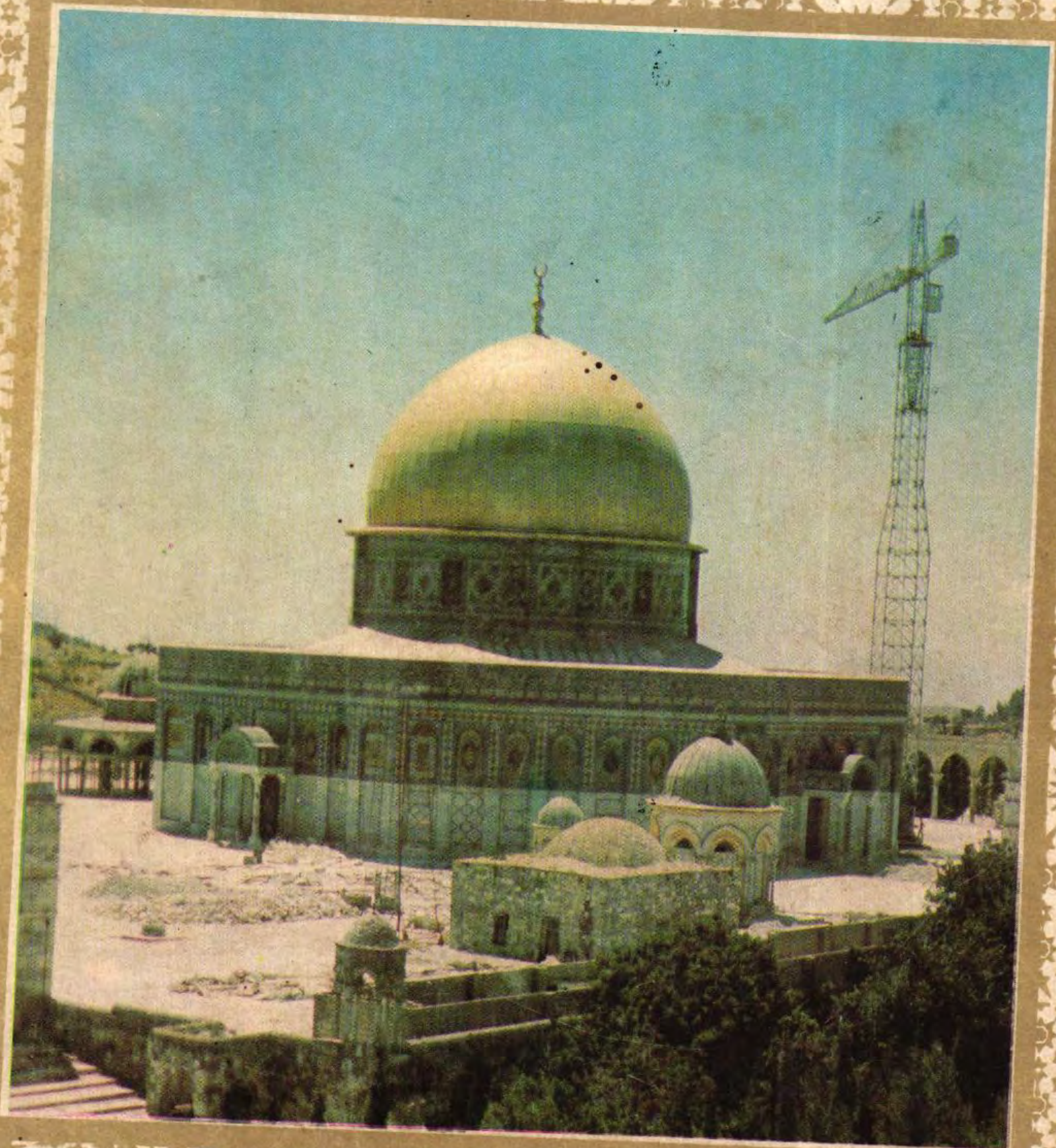
ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

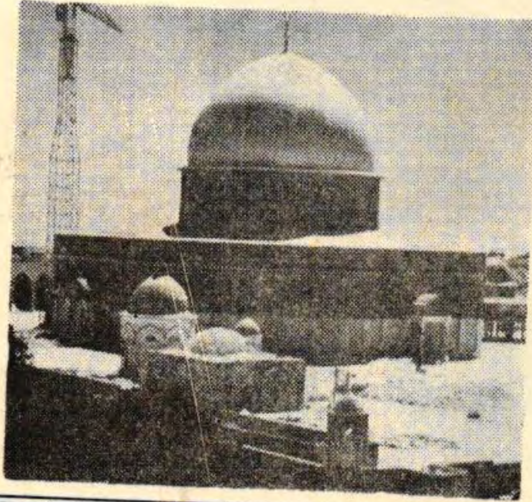
إسلاميَّة ثقافيَّة شهريَّة

السنة السابعة ـ العدد ٧٩ ـ رجب سنة ١٣٩١ هـ ـ ٢٢ اغسطس (آب) ١٩٧١ م





مسجد الصخرة



مدينة المقدســات

مجموعــة ضخمــة من الآثــار الاسلامية فى مدينة القدس وتبدو فى الصورة قبة الصخرة المشرفة تتحدى الظالمين ، وتنبه الغافلين .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنــة السابعــة

العدد التاســع والســبعون

غرة رجب سنة ١٣٩١ هـ

٢٢ أغسطس « آب » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمــن

الـكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريـال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجــزائر		دينــار وربع
المغــرب		درهم وربــع
الخليج العربى	١	روبيــة
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينــار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشــتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعــوة والارشــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

التسامح الديني

التسامح الدينى هو الوجه المقابل للاضطهاد الدينى الذى تحدثنا عنه فى العدد السابق .. هو الأثر الاجتماعى فى حياة الأمم والشعوب نتيجة الاعتراف بحق الحرية الدينية لكل انسان ، وهذا الحق هو أقدس الحقوق الانسانية التى يجب حمايتها وتوفير الضمانات لها حتى يتعايش الناس على ظهر الأرض فى أمن وسلام وتعاون واخاء .

والحرية الدينية لا تعنى أكثر من ترك أمر الانسان لنفسه لارادته وفكره لعقله وتفكيره فى اختيار الدين الذى يرتضيه ، والعقيدة التى يقتنع بها دون أية شائبة من ضغط أو تهديد أو اكراه ، كما تعنى اطلاق الحرية له فى القيام بالعبادات والالتزام بالشريعة التى يمليها عليه معتقده ودينه .

وحرية العقيدة أمر تقتضيه الفطرة الرشيدة ، والمنطق السليم ، لأنها لن تكون الا وليد ادراك واقتناع ورضا وتسليم ، وهذا أمر لا يمكن الوصول اليه بقوة الحديد والنار ، ولا يمكن أن يتم بوسائل القمع والتعذيب .

وكم حاول الجبارون تجاهل هذا المنطق والتنكر لهذا الحق المقدس باكراه الناس على التخلى عن عقيدتهم تحت سيف الضغط والارهاب ، فخابوا وأخفقوا الا فى أمر واحد هو نشر الذعر والرعب وارواء الارض بدماء المؤمنين الأبرياء .

أبى فرعون أن يتسامح مع سحرته حين آمنوا واخفق فى حملهم على الايمان به وترك الايمان برب موسى على الرغم من مواجهته لهم بأقسى ألوان التنكيل : « فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى » وثبتوا على ما اطمأنت اليه قلوبهم ، واقتنعت به

عقولهم و « قالوا لن نؤثرك ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا . انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى » .

وكما لم تجد وسائل التهديد والقهر فى تحويل المؤمنين عن عقيدتهم ، لم تؤثر كذلك وسائل الاغراء والفتنة ، فقد أخفقت زينة الحياة ومتاعها فى زلزلة عقيدة الفتية الذين آمنوا بربهم ، ففروا من جو الكفر والظلم الذى كان يتهدد عقيدتهم ، وآووا الى الكهف « وقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذن شططا » .

ان التسامح الدينى الذى يكفل للبشرية الهدوء والاستقرار ، ويقيها ويلات العسف والجبروت لا يمكن أن يسود ويتحقق الا على أساس الاعتراف الكامل والتطبيق العملى لحق حرية العقيدة لكل انسان .

وموقف الاسلام من هذا الحق الطبيعى موقف صريح ، فالله — جل شأنه — يقرر فى كتابه الكريم أن مشيئته لم تتعلق بقهر الناس وجمعهم على الايمان به ، وأنه سبحانه لا يرضى لأحد أن يكره أحدا على الدخول فى دينه ، اذ الاكراه لا ينفع فى غرس العقيدة فى القلوب « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم لم يبعثهم الله جبارين ولا مسيطرين ، وانما بعثهم مبلغين مبشرين ومنذرين « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » « نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف و عيد » والجهاد فى الاسلام لم يؤذن فيه لاخراج الناس من دينهم واكراههم على الدخول فى الاسلام ، وانما شرع لدرء العدوان وقمع المعتدين « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوى عزيز » « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ولما لحرية العقيدة التى يقوم على أساسها التسامح الدينى — من أثر فى استقرار حياة الناس وتحقيق التعاون بينهم نجد الله جل شأنه يؤكد هذا الحق فى أكثر من آية فينص صراحة على عدم الاكراه فى الدين فى آية ويدعو صراحة فى آية أخرى الى التسامح الذى يبلغ حد المودة والبر بالمخالفين فى الدين فى آية أخرى .. يقول سبحانه فى الآية الأولى « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من

الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » ويقول سبحانه فى الآية الثانية : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

وقد جاء فى سبب نزول آية (لا اكراه فى الدين) ان رجلا من الأنصار يدعى أبا الحصين كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو مسلما ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ، الا استكرهما ، فانهما قد أبيا الا النصرانية فأنزل الله هذه الآية .

ويعرض أحد المفسرين لقضية العقيدة كما جاء بها القرآن ، فيقرر أنها قضية اقتناع بعد البيان والادراك ، وليست قضية اكراه وغصب واجبار وان الاسلام جاء يخاطب الادراك البشرى بكل قواه وطاقاته . يخاطب العقل المفكر والبداهة الناطقة ، ويخاطب الوجدان المنفعل ، كما يخاطب الفطرة المستكنة . يخاطب الكيان البشرى كله ، والادراك البشرى بكل جوانبه فى غير قهر حتى بالمعجزات المادية التى قد تلجىء شاهدها الجاء الى الاذعان ، ولكن وعيه لا يتدبرها ، وادراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعى والادراك .

ان الانسانية لم تشهد دينا من الأديان دعا المؤمنين به الى التسامح مع من خالفهم فى العقيدة كما دعا الاسلام ، فهو يقرر أن الأديان السماوية كلها من وحى الله « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .
كما يقرر أن الرسل جميعا صادقون ويجب الايمان بهم جميعا « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

واختلاف الناس فى عقائدهم ودياناتهم لا ينبغى أن يكون سببا من أسباب تعاديهم وتقاتلهم فالفصل بينهم فيما يختلفون فيه لله وحده هو الذى يحكم بينهم يوم القيامة « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب . كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .

ومن مظاهر التسامح الدينى فى الاسلام وكفالته لحركة العقيدة انه أباح للمسلمين طعام أهل الكتاب كما أباح لهم التزوج من نسائهم « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » .

وليس أدل على سماحة الاسلام واتساع صدره للمخالفين له من أنه قرر احترام أماكن العبادات للديانات السماوية ، وأوجب الدفاع عنها وحمايتها كحماية مساجد المسلمين « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

وقد حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على توكيد هذا الحق كتابة فى الأمان الذى أعطاه لأهل ايلياء ، عندما دخلها لعقد الصلح مع أهلها فقد جاء فيه : « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان .. أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم .. انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم » .. وعندما دخل كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة غادر الكنيسة وأدى الصلاة خارجها ولما سئل عن ذلك قال : « أنى أخشى أن يقول المسلمون هنا صلى عمر ثم يتخذوها مسجدا » . ولما شكت اليه امرأة مسيحية من سكان مصر ان عمرو بن العاص قد أدخل دارها فى المسجد كرها عنها سأله عن ذلك ، فأخبره ان المسلمين كثروا وأصبح المسجد يضيق بهم ، وفى جواره دار هذه المرأة ، وقد عرض عليها ثمنها وبالغ فى الثمن ، فلم ترض ، مما اضطره الى هدم دارها وادخالها فى المسجد ، وايداع قيمتها فى بيت المال تأخذه متى شاءت — مع هذا فان عمر لم يرض عن تصرف عمرو وأمره أن يهدم البناء الجديد من المسجد ويعيد الى المرأة المسيحية دارها كما كانت .

فى ظل هذا التسامح الاسلامى ازدهرت حضارات ، ونمت مدنيات ، وفتحت أمصار ، وانتشر عدل وسادت طمأنينة ..

فأين من هذه الروح الاسلامية السمحة والمعاملة الانسانية الكريمة روح الحقد الدينى الكريه ، وحرب الابادة والافناء التى تعرض ويتعرض لها المسلمون فى القرن العشرين ؟

أين بلاد وأحفاد الامام البخارى والترمذى والنسائى ، وجار الله الزمخشرى وأبو البركات النسفى وعبد القاهر الجرجانى وسعد الدين التفتازانى ويوسف السكاكى وأبو نصر الفارابى وابن سينا وأبو ريحان البيرونى وأبو منصور الماتريدى وأبو بكر الخوارزمى وشمس الدين السرخسى والجوهرى صاحب الصحاح . وغيرهم وغيرهم من مئات العلماء الذين أفادوا الانسانية فى كل علم وفن .. لقد اجتاحت بلادهم وذريتهم من بعدهم ، واجتاحت معالم ومقدسات دينهم غارات الالحاد العاتية ، فلم تبق منهم ، ولم تذر ..

وهذا المسجد الأقصى المبارك تقوم آثار تدميره واحراقه شاهدا حيا على عدوان الصهيونية على المقدسات الاسلامية .. وتمر ذكرى هذا الحريق على المسلمين فى هذه الأيام وهم يرقبونه فى أسى ، ويتطلعون الى اليوم الذى يستردونه فيه .. ولكن متى .. قريبا « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

ضوابه النبلى



قيم المجتمع الفاضل

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ بجامعة الكويت

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« انما الناس كالابل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة »
رواه البخارى ومسلم والامام احمد .

١ — مضى القول فى هذا الحديث الشريف من كلم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ شهور (١) وظهر مقال يعالج بعض جوانب ما يشير اليه من معان قد تعلو على ادراك عابر غير متعمق يرضى بما يطفو على السطح ، ولا يحاول معاناة الغوص على درر القاع ، ورضيت حينذاك بما أفاض الله من معرفة على عبد ضعيف يتلمس الحقيقة ، ويسعى جاهدا للتعرف عليها ، فالظواهر خداعة براقة وخاصة اذا أحيطت بأبواق دعاية عززتها وسائل اعلام تهز اعطاف الناس ، والسنة تبدى بالافواه غير ما استكن فى القلوب ، ولا أدرى ما الذى جعل هذا الحديث الشريف يطرق قلبى وسمعى من جديد ، فأعود الى ما قيل فيه لاجده سرد أحاديث أخرى تبين عن العناصر التى يريد الاسلام استقرارها فى المجتمع متمشية مع ما اختاره له أخ حبيب فاضل من عنوان وتلك طريقة لعمر الحق تبرز ما فى السنة الشريفة من أضواء تقشع ظلام النفس الانسانية ، وتجرى أنهارها لتجرف الماء الراكد الآسن ، وتنفى عن الوجود الانسانى ما يشينه وتثبت قواعد الهداية الالهية التى من أجلها بعث المرسلون ، ولكن خلت تلك السطور عن المثل التى تعيش على البسيطة شارحة موضحة لمقاصد الكلم الطيب ومراميه ، ويشاء

الله أن نعيش أحداث أيام هى تكرار لأخوات لها تمضى فى سواد ليل حالك لم يطلع له بدر ، ولم يضىء فيه نجم ، والتقيت بصاحبى الذى حدث عنه شارح الحديث نفسه فيما مضى من مقال ، ومعه جعبة عامرة بأشخاص لهم فعالية فى عالم اليوم وخاصة فى مسلمى العصر ، وعلى الأخص العرب العائشين اللحظات الحاضرة، وهم تارة قادة فى سياسة وأخرى فى رياسة وثالثة فى معبد ورابعة فى دور علم تشع الحضارة ، وتحفظ التراث ، وتأخذ من كل شىء أحسنه كما يقولون ، لتقدمه عذبا سائغا جميلا سقيا لأعواد هشة يرجى لها أن تشتد سواعدها لتتصدر كل ميادين المستقبل من الزمان ، وما أكثر شعبها وراح صاحبى يسرد وأنا أسمع مصغيا مسجلا ما يشير اليه من شخوص رمز لها بحروف من أعلام تدل عليها ، وان كان لا يعرف مرمى هذا الرمز الابجدى الا مملى الحديث سارد القول .

٢ ــ قال صاحبى عرف الزمان من يحمل الحرف السادس (٢) من ترتيب الابجدية الذى لو أضيف اليه شقيق أو شقيقان لدل المتكامل منها على ما يسر الناظر ويعجب القريب ويغرى البعيد ، ولكن الذى ميزته تلك الاحرف أدخلته فى أول معارف القواعد الاجرومية لا يساوى نقيرا ولا قطميرا اذا قسته بمقاييس الانسانية ذات الشخصية الاسلامية الحقة أو العربية الاصيلة أو العالمية المرموقة فى ضروب الخير ودروبه فهو دون فى التفكير وفى السلوك أنانى مقيت وشهوانى بغيض ومتغطرس فاجر ومعتد باغ يضرب على غير هدى برز فى غفلة من عقلاء قومه واستعلى عليهم على حين غرة منهم ، فتقدم وتأخروا ، ساد واستعبدوا ، جذب فريقا ببريق النضار وقواهم بما حملوا من حديد ونار ، وحين حاول المثاليون رفع رؤوسهم لقولة حق ودلالة على مسلك صدق ناشتهم الحراب وقهقه صاحبهم فى فجور وتداروا هم فى استخزاء ومن ثبت مادت من تحته الارض فاغرة فاها ليستقر فيها الى الابد ، قلت لصاحبى أفى غاب يعيش هذا أم فى فلاة فأجاب أولست تعيش وتفكر ، تلك قمم فى العرف هكذا صيرها الحظ ان كان الختل والخداع خطابه أو هو صورة تتكرر هذه الايام بعد أن ظن الناس أن التقدم الحضارى قد قضى عليها لا الى العودة ولكن هاهى ذى كل لحظة تعود لتظهر على المسرح فى أثواب جديدة ، دع ذا واتبعنى الى تلك المنارة السامقة على قلعة عظيمة تبدو من كثب مشععة مزدانة بما حوت من نبت طيب وخامات كريمة تصهر فى بوتقتها لتخرج مكتملة القوام جيدة الثمر شهية الجنى ، وتأمل معى القيمين والرعاة ، وصاحبهم صحوة نهار وسواد ليل ، ثم حدثنى عن انطباعاتك التى ترسخ فى ذاكرتك بعد مفارقة مجلسهم حيث تلقى لهم قولا حميدا وأناة يغبطون عليها ، وقد سودوا صحائف وحبروها كاشفة عن خبيئات الكون وآراؤهم لها وزنها فى معيار التهذيب والترقى ، ولكن ما هذه الشرارات الحارقة الصادرة من بعيد التى قد أبادت الاوراق ، وحطمت الاقلام ، وأودت بكل جهد نافع مفيد ، وما مصدر تلك القنابل الفتاكة بالموجه نفسه الذى جهل نفسه ، فأفرغ محتواها فى عقول رواده ، وأصبح فؤاده فارغا لم ينعم بوجوده كما أريد له أن يكون وانما جرفه التيار وصار أثرا بعد عين فلا سعادة أدرك ، ولا خيرا أبقى .

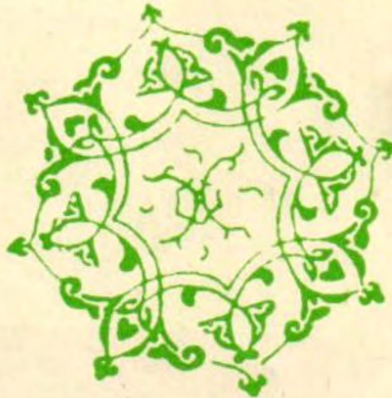
٣ ــ عاج صاحبى فى حديثه على قائم يحكى قصص الرسالات وحكم الديانات ، ويضرب الأمثال للتضحيات ويحاول توضيح مدارج الخير ومسالك البر ليصل بالجمع المصغى الى ملكوت السموات حيث لا نفار ولا شقاق فى مستقر لا شجار بين أهله ولا خلاف ، ويتقدم منه خبير بخبىء نفسه يطلب لعلة دواء وينشد المثال فى العمل لا فى القول فيلفى صاحبه غفلا من كل فضيلة منطويا على نفس شرسة لا تقيم وزنا لما يصدر عنها من حديث ، وانما صناعة للعيش كصناعة حداد يصوغ الرمح والسيف ويعمل الدروع والمجن ، والكل عنده سواء فوسيلة القتل كوسيلة الدفاع معدنهما واحد ، وصانعهما واحد ، والجنى رمق أمسك ذماؤه لحظات ثم تلاشى كما تلاشى من قبله تاركا وراءه الآثار العكسية لما بدا من قوله وما سمع الجمع من آهات ولو تأملت اللقاء الأول لالفيت له وقفة أسد ومنظر راهب متعبد ونظرات رائد فطن ، وما هو بواحد من هؤلاء ولا يقاربه ، والقصة حكاية ماض ودوران فى حلقة مفرغة ما يدرى الجمع مبدأها ولا يعلم منتهاها ألفاظ تطن فى الآذان، وصرخات تدوى وصيحات ليس لها صدى ما له من منذر الجيش الا الرواية والحكاية ، وأما اللباب والعمل والقدوة فما أبعد كل هذا عن موقفه ، وما أقصاه عن مرتقاه ، وما ذاك الا أنه استغل هدأة الليل لا فيما استغله صاحب المزمل والمدثر وانما فى احتيال على فان وبحث وراء سراب وأين الروح المحركة لهذه الرمم العفنة لقد اختفت وخلفت وراءها الخواء .

٤ ــ مضى صاحبى ومضيت معه فقمنا على جمع آخر قد احتشد يرسم ويخطط ينقد ويؤيد يديره أشيب عرك الحياة وما عركها اصطاد بالختل والنفاق ذلك المقعد العالى المطل على الجمع وجلس فى محاذاته وبعيدا عن موقعه شىء تجسد من لحم ودم دعوه سائسا ومرشدا ، ويعلم عالم السر واخفى أنه صائد ماهر للاصفر الرنان له جبهة تقف الى جوار صاحب نظرية التطور الحيوانى شاهدة على صدقها أو ملقية كثيرا من الشك على حجج معارضيها ليس من نبت الوادى وانما هو والج من بعيد مهدت له الاساطير ، بعيد فى سلوكه عن دراسته ومنهجه الذى أبرزه أول ما برز ، فحلا فى موضوعه اتخذ من الهوى هواية ومن الاسطورة رواية وغشى مجلسه جليس الاسد فعاث فى عقول الجمع افسادا الا قليلا ممن حمى الله وعصم والكل عالم بالحقائق ولكنهم شياطين خرس فى تعبير دينى مشهور ، واسهم الكل فى بناء معكوس وتركوا ظلالا قاتمة لمستقبل غير واضح المعالم ورضوا من الغنيمة بالاياب ممسكين بحفنات من الاصفر الرنان والوالهون جوعى يتضاغون يركل أحدهم الآخر ليفسح له مجالا يقربه من تنسم الاخبار وبعد طول انتظار ينفض الجمع دون الوصول الى غاية ، وتحمل صاحبى قدماه الى نوع آخر من الجماعات واذا حماس وثورة وتطلع الى غد أسعد ويتشاءم صاحبى حين يرى قردا قابعا فى الزاوية اليسرى من المكان تفتر شفتاه بين الحين والآخر عن ابتسامة صفراء تحكى صدى نفس مريضة بالقيادة وما هى واصلة اليها يحاول السيطرة على القوم ولكنهم يهيجون عليه هياج ديكة فأجاهم ثعلب ، وهنا توقف صاحبى عن الاملاء وصاح أفى يقظة أنا ، أم فى منام وحقائق ما أرى أم خيالات ، وهل نحن فى (سرك) أم فى سوق ما هذا التضارب والتناقض قلت يا سيدى هون عليك

تلك شنشنة القوم قبل الرسالات قد أخفاها ضوءها ، ثم عادت حين خبا الضوء فى صورة أنكى وأشد ويضرب صاحبى بثقل يديه على كاهلى كأنما صحا من منام ويتنفس الصعـــداء وتعتريه نوبة سعال كأنه مصدور وما هو بمصدور ، وتغرورق عينـــاه والدمع مفرج أحيانا ، ولـكن ليس دائما ، ويتأمل الجانب الآخـر فى الوادى البعيد فيرى شبابا وشيبا . شارخين وكهولا قد اجمعوا أمرهم على افتراسنا والاستيلاء على مـا منحتنا السماء من رزق ورسمـــوا لذلك طرقا بعيـــدة عن التهريـج والتزييف والتضليل فتجمعوا وافترقنا وتآخوا وتقاتلنا اشتغلوا باللبـــاب المفيد ، وعولنا على التافه المهلك فهل اذا درست قارئى العزيز وتأملت تجد راحلة بين المائة التى أشار اليها سيدنا محمد رسول الله وما أظنــه يعنى العدد وانما يقصد ندرة النافع الذى يطرح السفاسف التى تبعد عن ساحة الدين الحق الذى عاش لــه سيدنا رسول الله واخوان له مـن قبل فأرسى عليه الصلاة والسـلام القواعد الشامخة ثم خلف من بعـده وصحابته خلف أهمتهم العاجلة فـى صورتها المقيتة يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفســـهم ، فصاروا الى ما هم عليه اليوم ، وقبل القاء القلم وجره بعيدا عن القرطاس أسجل تفسيرا لهذا الحديث الشريف أورده بعض علماء السلـف رضـى الله عنهم قال :

(كان النبى صلى الله عليه وسلم يحذر أصحابه بما حذرهم الله تعالى من ذميم عواقب الانغماس فى الدنيا وينهاهم عن الولوغ فيها ويزهدهم فيما زهدهم الله فيه منها فرغب أكثر من جاء بعده فيها وتشاحوا عليهـا وتنافسوا فى اقتنائها حتى كان الزهد فى النادر القليل منهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (انما الناس كابـل مائة لا تجد فيها راحلـــة ولم يـرد تساويهم فى الشر ولكنــه أراد أن الكامل فى الخير والزهد مع رغبتــه فى الآخرة قليل كما الراحلة النجيبة نادرة فى الابل الكثيرة) .

وأقول لو فهمنا الحياة الدنيا على حقيقتها التى أوضحها ديننا لتغيـر الموقف ولأعطينا كل شىء حقه ولصرنا القادة والسادة فى كل ميدان ولكـن الفاقه قليل نادر والله وحده هـو الهادى الى سواء السبيل .



---

(١) العدد (٧٥)

(٢) لا يقصد شخص بعينه وانما يراد أسماء الاضداد كالسوداء التى يدعوها والداهـا (قمر) .

الاسراء

في مجال الدعوة

إلى

القرآن

للدكتور محمد البهي

* ((الاسراء)) بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، فيما يذكره قول الله تعالى : ((سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام (فى مكة) الى المسجد الأقصى (فى أرض كنعان أو الشام) الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير)) .. هو نقله الى مكان الأحداث الكبرى فى تاريخ الرسالة الالهية . وهى أحداث الرسل المتابعة الى بنى اسرائيل فى أرض الله التى بارك فيها ، وهى أرض كنعان أو الشام . وذلك ليكون عليه الصلاة والسلام على بينة من تحقيق وعد الله فى جزائه للمؤمن والكافر بالرسالة التى يوحى بها الى رسله .

فقد بدئت سورة الاسراء — أو سورة بنى اسرائيل ، كما تسمى أيضا — بأمر الاسراء . والاسراء على أى نحو هو : الالتقاء مع مشاهد الاحداث الدينية التى تجسم الواقع التاريخى لسير الرسالة الالهية فى هذه الأرض المباركة . وهى أحداث امتدت فى الزمن الى عدة مئات من القرون ، وفى مواجهة عدد كثير من الأنبياء والرسل ، وتقلبت بين التتبع والاضطهاد مرة والسيادة والسيطرة مرة أخرى : لشعب — هو شعب بنى اسرائيل — تقلب بين المادية والروحية ، والكفر والايمان ، والاصرار على الخطيئة واقتراف الجريمة أحيانا عديدة والبعد عنها والاستكانة والرجوع الى الله حينا آخر .

وقيل فى شأن الاسراء : انه وقع قبل الهجرة من مكة الى يثرب بسنة . ويروى عن أنس والحسن : أنه كان قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام .

كما قيل : انه وقع فى اليقظة فأسرى ، كما عرج بروحه . ويروى ذلك عن معاوية وعن عائشة . وقيل : انه كان فى المنام : رؤيا رآها . ويروى ذلك عن الحسن (١) .

فاذا نقل الرسول عليه الصلاة والسلام الى مكان الأحداث الدينية التاريخية التى وقعت فى بنى اسرائيل على أرض كنعان ، وعرض عليه عظماء الرسل فى تاريخ الرسالة .. عرض عليه موسى ، وعيسى ، وابراهيم ، وتتابع عليه الوحى فى القرآن بأهم الأحداث التى وقعت على هذه الأرض .. فانه عليه الصلاة والسلام لا يعيش هذه الأحداث حية فقط ، وانما مع ذلك تطمئن نفسه اطمئنانا كاملا الى نصر الله اياه فى رسالته ضد المعارضين من الماديين . سواء : أكانوا من المعارضين المشركين بمكة وهم أقل شأنا ، أم أكانوا من اليهود وقد تمرسوا على

المعارضة للايمان بالروحية الانسانية التى تدعو اليها رسالة الله ، كما استمرأوا المادية وأشربوا حبها فى نفوسهم وفى دمائهم ، وتوارثوها فى أجيالهم العديدة . ولذا كان مصيرهم فى الحياة مقترنا بالمذلة والهوان .. الى يوم البعث : « فلما عتوا عنه ، قلنا لهم : كونوا قردة خاسئين (أى أذلاء محتقرين) . واذ تأذن ربك (أى اذ علم ربك) ليبعثن عليهم الى يوم القيامة : من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم . وقطعناهم فى الأرض أمما : منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون . فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب : يأخذون عرض هذا الأدنى (أى يتمسكون بالماديات الدنيوية) ويقولون سيغفر لنا (أى ومع ذلك يدعون أن الله سيغفر لهم اتباعهم واستغراقهم فى ماديات الحياة) وان يأتهم عرض مثله يأخذوه (أى ولا يتورعون عن الانغماس مرات أخرى فى ماديات الحياة ان واتتهم . فاتجاههم فى الحياة اتجاه مادى ، مهما ادعوا : أنهم ذاكرون الله وراجعون اليه فى فترة ما . ولذلك فعقاب الله لهم بالمذلة والهوان مستمر طالما لم يعودوا الى الروحية الانسانية) : عسى ربكم أن يرحمكم ، وان عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) » (٢) .

ويروى فى اسراء الله لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام الى أرض كنعان ، عنه صلى الله عليه وسلم ، عن أبى هريرة قوله : « لقد رأيتنى فى الحجر (فى حجر اسماعيل بالكعبة) وقريش تسألنى عن سراى فسألتنى عن أشياء لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط ، فرفعه الله الى أنظر اليه (أى فرفع بيت المقدس أمام نظرى) ما يسألونى عن شىء الا أنبأتهم به . وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء :

فاذا موسى قائم يصلى ، فاذا رجل ضرب (أى نحيف) جعد (أى شعره مجعد) كأنه من رجال : شنوءة .

واذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلى ، أقرب الناس اليه شبها : عروة بن مسعود النقضى .

واذا ابراهيم عليه السلام قائم يصلى ، أشبه الناس به صاحبكم (يعنى نفسه عليه السلام) .. فحانت الصلاة فأممتهم . فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد ! : هذا مالك ، صاحب النار ، فسلم عليه : فالتفت اليه فبدأنى بالسلام » (٣) .. وهذا المشهد للرسل الثلاثة العظام، مع امامة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لهم فى الصلاة : ينوه بمكانته أولا بين الرسل جميعا ، كما يبرز ثانيا : أن رسالة القرآن باكتمال دين الله بها .. تنتهى أدوار الرسالة الالهية الى البشرية .

* فاذا نزل الوحى فى القرآن ــ بعد اسراء الرسول عليه الصلاة والسلام بالروح أو فى الرؤيا الى أرض كنعان ــ بأحداث رسالة موسى والانبياء والرسل بعده الى بنى اسرائيل ، وبالأخص رسالة عيسى اليهم ، كما تقصه سورة الاسراء هنا .. فان ما نزل الآن يكون له من قوة الأثر فى النفوس للمشاهد المرئية على هذه الارض ، التى تعكس بدورها حياة اليهود المتقلبة ، وما جزاهم الله به من حسنات ، وما أوقعه بهم من عقوبات ، انتهت بتشريدهم فى الأرض واذلالهم على يد أقوياء يسومونهم سوء العذاب الى يوم القيامة .

وتجسيد تاريخ الأرض المباركة حينئذ كفيل بايقاظ البشرية والسادرين فى طغيان المادية ، وباعادة المجتمع الانسانى الى صراط الله ، وهو الصراط المستقيم .. صراط الهداية البشرية ، ان شخصته الأبصار فى موضوعية وفى غير تحزب :

* فقد ذكر الوحى فى القرآن : كتاب الهداية البشرية لبنى اسرائيل ، وهو كتاب موسى ، أو التوراة ، أو صحف موسى . وركز فيه على أنه لا ينبغى لهم اطلاقا أن يكون لهم سند فى الحياة سوى الله جل جلاله . فلا ما فى هذه الحياة من أموال ومتع مادية ، ولا ما فيها من أولاد ، ولا ما لها من مظاهر الجاه والقوة يصح أن يتخذ وكيلا ونائبا بحيث ينصرف ايمانهم الى ما سواه ، ويقصر اعتمادهم على غيره مما فى هذه الحياة الدنيا : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل : ألا تتخذوا من دونى وكيلا » (٤) .. ولكنهم ترددوا بين الايمان والكفر ، وبين الانصراف عن الله سبحانه ، والرجوع اليه . وقد سجل تاريخهم مع الرسالة الالهية حقبتين رئيسيتين تمثلان العصيان والانصراف عن الايمان بالله ، تحت التأثر بالمادية واتجاهها فى الحياة ، حتى لم ينالوا فيهما من الرسالة فحسب ، وانما نالوا أيضا من الرسل الذين كرروا الدعوة فيهم اليها .

« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب (أى أوحينا الى بنى اسرائيل فى التوراة) لتفسدن فى الأرض مرتين ، ولتعلن علوا كبيرا (أى وليشتد طغيانكم بما يكون لديكم آنئذ من قوة مادية وعددية) » (٥) .

الحقبة الأولى : هى تلك الحقبة التى أنذرهم فيها : النبى زكريا .. بعقاب الله على فسادهم وعبثهم وبعدهم عن الايمان بالروحية الانسانية التى يحمل عليها الايمان بالله . ولم يأبهوا لانذاره ، واستمروا فى غيهم وضلالهم وتحديهم ، وقتلوا نبيهم هذا . فسلط الله عليهم البابليين على عهد بختنصر سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ودخلوا عليهم بلادهم وبيوتهم ، واقتحموا معبدهم الذى بناه سليمان وهو بيت المقدس ، وأتم بناءه سنة ١٠٠٤ ق.م وساقوا رجالهم ونساءهم فى الأسر . وأصبحوا بهذا الغزو مغلوبين على أمرهم ، أذلاء فى أسرهم وبعدهم عن ديارهم : « فاذا جاء وعد أولاهما (أى حل وعد المرة الاولى فى عقابهم من قبل الله) بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد (وهم البابليون قادمون من العراق وقد كانوا أصحاب بطش فى قوتهم المادية فسلطهم الله عليهم) فجاسوا خلال الديار (أى دخلوا الديار واقتحموها كما اقتحموا معبد سليمان وهدموه) وكان وعدا مفعولا (أى وبذلك تحقق وعد الله لبنى اسرائيل بعقابهم على كفرهم وماديتهم) » (٦) .

وبعد هذا الأسر والاذلال ، عقوبة لهم من الله ، أعطاهم فرصة ثانية ومكنهم من العودة من الأسر عند البابليين .. الى أوطانهم فى كنعان سنة ٥٢٠ ق.م. أى بعد أكثر من ستين عاما على الأسر والبعد عن الديار . ويذكر القرآن الكريم قصة هذا التمكن من استرداد سيادة أنفسهم فى سورة البقرة ، فيما تذكره هذه الآيات : « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم (هو صمويل) : أبعث لنا ملكا نقاتل فى

سبيل الله قال : هل عسيتم أن كتب عليكم القتال : أن لا تقاتلوا ؟ قالوا : وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ؟ فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ... الى أن يقول : فلما فصل طالوت بالجنود (أى خرج بهم متجها نحو بابل ، وطالوت هو الملك الذى عينه صمويل) قال : ان الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس منى (أى ليس من جنودى ومن رفاقى فى القتال) ومن لم يطعمه فانه منى ، الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده (لأنهم رأوا أعداءهم كثيرين بعددهم ، وأقوياء بعدتهم تحت امرة جالوت) قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا افرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم باذن الله وقتل داود (وقد ظهر بشجاعته بين جنود طالوت) جالوت ، وآتاه الله (أى آتى داود) : الملك ، والحكمة ، وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس : بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » (٧) .

وتجمل آية الاسراء : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال ، وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا (أى عددا) » (٨) .. أمر استرداد بنى اسرائيل هذه السيادة لأنفسهم ، وتحررهم من البابليين ، وعودتهم الى القوة المادية من أموال ، وبنين ، من جديد ، بعد الاذلال فى الأسر والبعد عن الديار والأبناء . فابتداوا الحياة وأعادوا بناء المعبد ، ونفذوا عدة اصلاحات ، وبنوا اليهودية من جديد . وذلك على أمل : أن يرجعوا الى الله ويلتزموا بالسلوك الانسانى السوى . وعندئذ يحسنون فقط الى أنفسهم وحدهم : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها . »

والحقبة الثانية : وهى حقبة الخطيئة الأخرى .. خطيئة رفض رسالة عيسى والقصد الى قتله . فجازاهم الله على هذه الخطيئة باحتلال الرومان تحت زعامة تيتوس ابن الامبراطور فيسيان سنة ٧٠ بعد الميلاد ، لديارهم . فحطم مصادر ثروتهم وقوتهم التى حصلوها بعد عودتهم من أسر البابليين ، ودخل معبد سليمان وهدمه هدما كاملا ، بعد أن أعيد بناؤه آخر مرة قبل ذلك فى عهد هيرود سنة ١٧ ق . م . من خلفاء الاسكندر : « فاذا جاء وعد الآخرة (أى فاذا حل موعد العقوبة الثانية) ليسوءوا وجوهكم (أى سلطنا عليكم أعداءكم ليشوهوا وجوهكم . ويقصد بتشويه الوجوه هنا : تحطيم كل مصادر القوة) وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة (أى وليدخلوا المعبد الذى أقيم فى المسجد الأقصى على طرف منه بعد فتح عمر بن الخطاب لأرض كنعان المباركة) وليتبروا ما علوا تتبيرا (أى وليزيلوا كل ما أرتفع من أبنية ازالة كاملة) » (٩) .. وبتحطيم مصادر الثروة ، وبهدم المعبد هدما كاملا ، تلاشى ما كان يملكه بنو اسرائيل فى أرض كنعان من قوى مادية ومعنوية ، وأصبحوا شتيتا كأقلية بين الشعوب الأخرى . ولكن ما زال هناك أمل لهم فى رحمة الله ، ان هم اتبعوا رسالة محمد عليه الصلاة والسلام : « عسى ربكم أن يرحمكم (أى لعل الله يهديكم

الصراط السوى عن طريق ايمانكم بالقرآن وبذلك يرحمكم الله) وان عدتم عدنا (أى وان عدتم الى الخطيئة فكفرتم برسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، كما كفرتم برسالة زكريا ، وبرسالة عيسى من قبل .. عدنا الى عقوبتكم وتسليط أعدائكم عليكم) » (١٠) .. فرسالة القرآن هى رسالة الهداية للطريق الأقوم ، فى الوقت الذى يبشر فيه المؤمنين به والذين يعملون الصالحات : بالأجر الكبير فى الآخرة ، بينما ينذر الذين يكفرون به وبالآخرة وهم الماديون : بالعذاب الأليم : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات : أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة : أعتدنا لهم عذابا أليما » (١١) .



ان الاسراء هو سبيل آخر من سبل الدعوة الى القرآن الكريم .. وسبيل آخر كذلك الى اطمئنان الرسول عليه الصلاة والسلام وتحمله فى شأن دعوته الى الحق .. وسبيل آخر أيضا الى التنويه بأمره فى مستوى النبوة والرسالة فى تاريخ الدعوة الى دين الله .

وان العبرة التى تستخلص من الوقائع والأحداث التاريخية التى تمت على أرض كنعان التى بارك الله فيها فى بنى اسرائيل .. هى عبرة حية ، وتعطى المبدأ الصادق الذى لا يتخلف وهو : أن الايمان بالله وحده ، هو وحده : مصدر النجاة ، ومصدر النصر والغلبة فى هذه الحياة : « قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله : كل من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » .

والمسلمون — على عهد عمر رضى الله عنه — عندما دفعوا قوى الرومان الطاغية من أرض كنعان المباركة الى خارجها : لم يدفعوها الا بايمانهم بالله وحده ، فاذا أراد المسلمون اليوم استعادتها من أصحاب المادية اليهود .. فلا يستعيدونها : لأنهم من أبناء هذه الارض المباركة يوما ما ، ولا لأنهم أصحاب عتاد ثقيل أو خفيف فى القتال ، ولا لأنهم دربوا على حرب العصابات ، ولا لأنهم ماركسيون أو علمانيون ، ولكن فقط : لأنهم مؤمنون بالله .

والايمان بالله ليس سحرا . ولكنه : اخلاص فى سبيل المثل العليا ، وانكار للذات ، وصبر وتحمل ، وتضحية بكل متعة فى الحياة — حتى بالحياة نفسها .

ليس من مصلحتنا اليوم فى الصراع مع اسرائيل : أن نعدد لها التهمة تلو التهمة ، ونظل محجبين عن عوامل الضعف فينا . يجب أن نكشف عن عيوبنا أولا ، لنبعدها عن أنفسنا فى هذا الصراع .. يجب أن نستوثق بأننا مع الله ، قبل أن نستوثق من مناصرة هذه الكتلة المادية أو تلك الكتلة الأخرى المادية أيضا لحقنا بالقوة المادية أو المعنوية .. يجب أن نسلك طريق الايمان بالله ونتصرف فيه على ما ينبغى أن نفعله ، وما ينبغى أن لا نفعله ، قبل أن نعلن التبعية لهذا الفريق أو ذاك وهم جميعا من أعداء الله .

ان الصهيونية شر وبلاء وقد ساعدها الشيطان الأحمر والأبيض على السواء . فهل ناشدنا نحن عون الله وتأييده ؟ ..



---

(١) هذه أقوال وردت فى تفسير الكشاف ﺣ ٢ ص ٥٤٢ — المطبعة الشرقية : الطبعة الاولى القاهرة .

(٢) الاعراف : ١٦٦ — ١٦٩ .

(٣) فى رواية مسلم فى كتاب الايمان — التاج ﺣ ٣ . ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .

(٤) الاسراء : ٢

(٥) الاسراء : ٤

(٦) الاسراء : ٥

(٧) البقرة : ٢٤٦ — ٢٥١ .

(٨) الاسراء : ٦

(٩) الاسراء : ٤

(١٠) الاسراء : ٨

(١١) الاسراء : ٩ ، ١٠ .

بلادنا فلسطين في القرآن الكريم

١ ـ قال الله تعالى **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) .**

عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله (باركنا حوله) فلسطين والاردن .

٢ ـ « ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين » .

لما وجد سيدنا ابراهيم عليه السلام ان نصائحه لم تنفع مع قومه فى بلاد ما بين النهرين ، وانهم ارادوا قتله ، نجاه الله هو وابن أخيه الى فلسطين ، الى الاردن التى بارك فيها للعالمين .

٣ ـ « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون » .

٤ ـ « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » .

ويقع (وادى النمل) هذا فى فلسطين بجوار عسقلان .

٥ ـ « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » .

قال ابن عباس هى بيت المقدس ، وهو قول قتادة وكعب ، وعن الحسن وابى هريرة انها فلسطين .

٦ ـ « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

في ذكرى الإسراء

في أوائل شهر رجب الفرد منذ سنوات تلقيت آنذاك بصفتى مديرا لجامعة الازهر الشريف دعوة الى شهود الاحتفال بليلة الاسراء مع وفود العالم الاسلامى فى المسجد الأقصى المبارك .

وكانت الدعوة موجهة من قبل حكومة المملكة الهاشمية ، باسم الاستاذ الجليل الشيخ عبد الله غوشة قاضى قضاة الأردن يومئذ .

وقد أجابت هذه الدعوة وفود اسلامية كثيرة من سورية والعراق والسودان وليبيا وامارات الخليج ، وأقطار أخرى وراء ذلك .

ولم يكن الذين دعوا ، والذين استجابوا للدعوة ، يتحرون شيئا سوى التعارف بين المسلمين ، والتعاون على التعريف بما كان يتهدد الاماكن المقدسة ، من خطر رابض تحركه الاحقاد وتدفعه المطامع الى اذلال أمتنا الاسلامية ، التى نسعد بالاعتزاء اليها والاعتزاز بها ، ولا نضن عليها ببذل ما يبلغه الوسع لاعلاء رايتها ، ومعاونتها بكل سبيل على الظفر بما تصبو اليه من حرية شاملة وعدالة كاملة وأخوة جامعة وسلام عزيز .

ولست أستطيع التغاضى عن الصورة القائمة على الود ، والتى تتمثل لعينى الآن ، وقد تلاقت وفود المسلمين من مختلف الاقطار تتصافح وتتعانق فى ظلال وارفة من الأخوة الاسلامية ، تضفيها عليهم جلالة المشهد الكريم فى المسجد المبارك ، حوالى منبر الشهيد نور الدين زنكى أستاذ القائد المجاهد يوسف صلاح الدين .

ومن أوائل الذين تعرفت اليهم فى هذه البقعة الطاهرة ، العلامة الاستاذ الشبيبى رحمه الله ، والسيد الوزير المفضال المشارى الروضان أبقاه الله .

تلك مقدمة لم أجد منتدحا عنها ولا بدا منها ، وأنا أحاول الكتابة عن الاسراء ، فى ذكرى لم نكن آنئذ نتوقع لها هذا المصير الذى تصير اليه اليوم ، ومنبر نور الدين محترق والمسجد الاقصى مهين ، والاماكن المقدسة كلها فى سلطان عدو لا تنام له عداوة ، ولا تكف عنه أحقاد على المسلمين والمسيحيين أجمعين .

والحديث عن الاسراء يقتضينا حقه فى أمرين ، أحدهما يتصل بقصة

للشيخ أحمد حسن الباقوري

الاسراء فيما يرى أهل العلم من الاسلاف والاخلاف ، وثانيهما يتعلق بهذه القصة فيما تشير اليه من معانى اللغة ووقائع التاريخ .

فأما قصة الاسراء فخلاصتها — فى رواية أنس بن مالك — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جىء اليه بدابة بيضاء — فوق الحمار ودون البغل — تضع حافرها عند منتهى نظرها ، فركبها — صلوات الله عليه — حتى أتى بيت المقدس ، فنزل عنها وربطها ، ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج ، فجاءه جبريل عليه السلام فعرج به الى السماء .

والمسلمون يختلفون حول الاسراء ، هل كان بروح النبى وجسده جميعا ، او كان مناما ، أو كان كشفا ، فمن الناس من يذهب الى أن الاسراء كان بروحه وجسده جميعا ، وحجتهم فى ذلك قول الله « أسرى بعبده » فان كلمة « عبد » تشير الى شخصه عليه السلام بجسده وروحه جميعا ، وهذا المذهب هو مذهب سواد المسلمين وكثرتهم الكاثرة .

ومن الناس من ذهب الى أن الاسراء كان بالروح ، وأن شخصه لم يفارق مضجعه ، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق ، ورؤيا الانبياء حق لا تشوبه شكوك ولا تخالطه أوهام ، وهذا المذهب هو مذهب أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وكاتب الوحى معاوية رحمه الله .

وحجة هذا المذهب قول الله تعالى فى سورة الاسراء « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ، فسماها رؤيا ، والرؤيا مصدر رأى المنامية ، وأما مصدر رأى البصرية فهو رؤية .

ومن الناس من ذهب الى أن الاسراء كان عن طريق الكشف ، بمعنى أن الله تعالى رفع عنه عليه السلام فى حال اليقظة الحجب المادية ، فتمثل تمثلا لا يشوبه شك المسجد الأقصى والطريق اليه ، والسالكين فى هذا الطريق من الناس والحيوان . وهذا المذهب هو مذهب المتأخرين من المسلمين . وقد احتجوا لمذهبهم بصورة من الكشف صحت عنه صلى الله عليه وسلم فى حال اليقظة ، فذلك ما يرويه الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أعرفها حق المعرفة ، فكربت كربا ما كربت مثله قط ، فرفع الله لى بيت المقدس حتى كأنى أنظر اليه ، فما سألونى عن شىء الا انبأتهم به » .

تلك مذاهب ثلاثة فى تصور الاسراء ، لكل مذهب منها اسناد تعضده من الكتاب أو من السنة ، ولسنا بسبيل ترجيح مذهب على مذهب ، وانما الذى نراه حقا علينا وعلى كل مسلم غيور ألا يكون الخلاف حول هذا المعنى داعية صراع ، ووسيلة بغضاء بين المسلمين ، فأيا ما كان الامر فان مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج الى كل جهد يبذل فى سبيل حمايته وانقاذه ، وتخليصه من يد الاطماع والاحقاد . وكل خلاف فى صفوف المسلمين اليوم يسلمهم الى عداوة وبغضاء وكراهية هو بلا ريب توهين لقوتهم ، وتشتيت لجماعتهم ، وتفتيت لوحدتهم . ولن يرضى مسلم عن نفسه ولا عن قومه اذا رآهم ينصرفون عن الوسائل التى تجمع الكلمة الى الطرق التى تزيدهم فرقة .

والذين يمهدون لهذا الخلاف أو لأى خلاف بين المسلمين طريقا ، يجنون أشد الجنايات على الاسلام ، ولا يدركون قيمة حرية الرأى فى الاسلام ، فان دينا فى الارض لم يكفل حرية الرأى القائمة على الحجة والبرهان كما كفل ذلك الاسلام بل ان الاسلام لم يقف عند الكفالة لحرية الرأى ، بل حرض عليها وأمر بها ودعا اليها . حتى ان علماء الاصول ليقررون فيما يقررون من قواعد أن الذى يعتنق مذهبا يقتنع به يجب عليه أن يقول « مذهبى صواب يقبل الخطأ » ، « ومذهب غيرى خطأ يقبل الصواب » وانما كان ذلك كذلك لشدة كراهية الاسلام للتقليد الذى يكون فيه المسلم تابعا لا يرى ولا يسمع ولا يعقل الا فى حدود ما يريد له متبوعه أن يرى وأن يسمع وأن يعقل .

وكما أمر الاسلام اتباعه أن يستخدموا عقولهم استخداما يصل بهم الى الحقيقة ، نعى على الذين لا يفعلون ذلك غفلتهم ، ووصفهم بأخس الاوصاف فذلك حيث يقول تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

ومن أجل هذا كان المسلمون فى عصورهم الزاهية يحترم بعضهم رأى بعض مهما اختلفت آراؤهم ، لأنهم كانوا يعطون مخالفيهم من الاعتزاز بآرائهم والانحياز اليها ما يعطون أنفسهم من ذلك ، التزاما منهم لشرعة العدل والانصاف . ولم يعرف تاريخ المسلمين الخلاف المتقاتل والتعصب الأعمى الا فى عهود الضعف والجهالة ، والتهالك على استرضاء العامة بكل سبيل .

هذا ما يتصل بقصة الاسراء .

وأما ما يتعلق من ذلك باللغة فان ها هنا سؤالا حاصله :

ان المسجد اسم مكان من السجود ، فهل كان السجود معروفا للمؤمنين قبل الاسلام ؟ أو أن السجود خاصة للمسلمين فى صلاتهم ؟

ويترتب على هذا السؤال التماس سبب لتسمية بيت المقدس المسجد الاقصى .

وفى هذا يقول الزجاج رحمه الله : كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ، ومن ذلك يقول اللغويون : سجد الرجل اذا انحنى وتطامن الى الأرض ، كما يقولون أسجد ، وكذلك يقولون : « سجد البعير اذا طأطأ وانحنى ليركب ، وفى هذا يروى أبو عبيد : « وقلن له اسجد لليلى فاسجدا » يعنى أن بعير

ليلى طأطأ رأسه لتركبه . ومن أجمل ذلك قول حميد بن ثور يصف نساء أردن ركوب جمالهن :

فلما لوين على معصم — وكف خضيب وأسوارها
فضول أزمتها أسجدت — سجود النصارى لأحبارها

فالشاعر يقول : لما اعتزم هؤلاء النسوة الرحيل لوين أزمة جمالهن على معاصمهن فأسجدت لهن وانحنت وطأطأت رؤوسها ليسهل ركوبها .

فالاصل فى السجود هو التطامن والخضوع ، والعلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاسلامى واضحة لأن الساجد متطامن خاضع . فتسمية بيت المقدس بالمسجد الاقصى لا يعنى أنه يتعبد الناس فيه ربهم بسجود كسجود المسلمين ، وانما كانوا يذهبون اليه ويعبدون الله فيه بالتطامن والخضوع ، ومن أجل ذلك سمى مسجدا .

على أن القرآن الكريم أعطى معابد أهل الديانات السماوية أسماء يمتاز بها بعضها على بعض كما يقول تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » . فالصوامع بيوت رهبان النصارى وعباده الصابئين قبل الاسلام ، والبيع كنائس النصارى ، والصلوات كنائس اليهود وهى بالعبرانية صلوتا على ما يقول ذلك أهل اللغة .

وأما ما يتصل بوقائع التاريخ حول هذا الموضوع ، فان أمير المؤمنين عمر حين وفد على بيت المقدس كان يلقى بمزيد الاحتفاء والاكرام الاساقفة والقسيسين والشمامسة والرهبان وعلى رأسهم جميعا البطريرك . ثم كتب لهم وثيقة الأمان التى لم ينقض فيها المسلمون عهدا ولم يخلفوا وعدا الى يوم الناس هذا . ومن أعجب العجب فى هذا أن يطلب المسيحيون من عمر ألا يساكنهم فى مدينة القدس أحد من اليهود ، وأن يجيبهم عمر على ذلك . ثم هؤلاء المسيحيون اليوم يقفون مع اليهود ضد المسلمين وضد النصارى أيضا الذين يسكنون فلسطين .

ومن العجب أيضا أن يكون أول عمل يقوم به عمر بعد أن تم له فتح بيت المقدس زيارة كنيسة القيامة مع امتناعه عن أداء صلاته الاسلامية فيها وقد دعى الى ذلك من البطريرك نفسه ، ايثارا لدوام السلام وأبعاد النزاع فى المستقبل عن أرض السلام هذه .

ومن العجب أيضا أن يزور عمر مكان الهيكل وهو فى حالة خراب وقد تجمعت فيه الاقذار فأصبح مزبلة تتقزز منها النفوس وتنبو عنها الابصار ، ولكن عمر اطاعة لتعاليم دينه راح يحفن التراب عن الهيكل وينضحه بكفيه ، وأصحاب النبى يقتدون به فى ذلك ، فينظفون المكان حتى برزت الصخرة التى بنى عليها المسجد الذى يعرف الآن بمسجد الصخرة .

بمثل هذا النظر وفى مثل هذه المواطن تلتمس العبر ، وينطلق المسلم الصادق عاملا عملا نافعا ، وليس عن الجدال والخلاف حول الاسراء والبراق وطريقة سيره وربطه بالصخرة ، يصدر ما ينفع المسلمين فى دنيا أو دين .

نسأل الله تعالى أن يجمع القلوب على التقوى ، وأن يلهم أمتنا رشدها ، حتى تعمل على ربط حاضرها بماضيها ، ومن ذلك نتجه الى مستقبل يشبه ذلكم الماضى المجيد ، والله من وراء المؤمنين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

خواطر في ذكرى

في كل عام تتجدد ذكرى الاسراء والمعراج ، وتتجدد بتجددها الآمال في مستقبل أكثر أمنا وعزة ، من حاضر لا يخلو من أسباب القلق والاضطراب .

ان الامة — والمجتمع منها — تكون مجموعة من الأفراد تقل وتكثر ، فتتمثل فيهم وحدة المكان والزمان واللغة والدين والتاريخ والهدف ، ويتم بينهم بالضرورة التعاقد على التعايش فى ظل تعاون مخلص ، وفى رعاية حكم يختارونه ويحتكمون اليه ، ويسندون اليه أمر السهر على المثل والفضائل والأمانى التى آمنوا بها ، والمصالح التى اتفقوا عليها فيما بينهم ، ووضعوا فى ضوئها دستورهم ، ونظام حياتهم ودولتهم .

وهذا ما كان يشاهد واضحا فى أمة الاسلام من الخليج الى المحيط ، فقد تحققت فيها وحدة الزمان والمكان واللغة والدين والتاريخ والهدف ، وأرتضى أبناؤها بالضرورة التعاقد على أن يتعايشوا فى ظل رخاء دائم ، وتعاون مخلص وفى رعاية حكم قبلوه طوال قرون حتى نشأ بينهم النزاع . واهتبل المستعمر الفرصة وبسط نفوذه عليهم وقطعهم دويلات ، ولكنهم مع ذلك بقوا يمثلون فيما بينهم وحدة الزمان والمكان واللغة والدين ، ووحدة التاريخ والهدف ، رغم اختلاف الحاكم والمحكوم .

وما يزال شعار الوحدة يرتفع عاليا فى مجتمعاتهم كلما سنحت الفرصة وهلت المناسبة ، ان هذه الأمة ما تزال تتطلع الى تحقيق أمانيها فى ضوء كتابها ودستورها ، وتعلم أن ذلك كله لا يليق أن يبقى أفكارا وأمانى راسبة فى عقول ونفوس أبنائها ، بل تتصدى لمحاولة ارساء قواعدها فى حياتها الاجتماعية بصورة عملية فتجسدها فى سلوك أفرادها وتصرفاتهم وتعاملهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض ، فقد قال التابعى الجليل جندب بن عبد الله رضى الله عنه :

الإسراء والمعراج

للشيخ حسن خالد

((عليكم بالقرآن ، فانه نور بالليل ، وهدى بالنهار فاعملوا به على ما كان من فقر وفاقة فان عرض بلاء فقدموا أموالكم دون أنفسكم فان تجاوز البلاء ، فقدموا أنفسكم دون دينكم فان المسلوب من سلب دينه فانه لا فاقة بعد الجنة ولا غناء بعد النار)) .

وتجسيد هذه المعانى والمفاهيم السامية فى حياة الافراد والجماعات فى الامة الواحدة يفتقر الى سهر مستمد من سلطة نافذة القول والفعل فان الماثور أن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

ولا سبيل الى ارساء وجود السلطة ، وتعميق فاعليتها فى الردع أو التشجيع والدفع الا بفعل فئة تستمد قوتها ومهابتها من رضى المجتمع المؤيد لها ، والذى يضعف ، ويشتد بنسبة ما تكون عليه أريحية أبنائه سخاء وعطاء ، وكلما كان البذل من هؤلاء سخيا جوادا تيسر لتلك الفئة الحاكمة مجال التوفيق ، وتمكنت من التغلب على صعوبات الحياة ومشاكل المجتمع ، وفازت بالنصر على المناوئين والمتمردين فى داخل مجتمعاتها والطامعين بها من خارجها ولئن كانت السلطة الحاكمة بحاجة ماسة الى عطاء رعاياها المادى وتشجيعهم المعنوى ، فهى الى مساعدتهم الشخصية أحوج . .

ولهذا كان لزاما على كل أمة تنشد لكيانها البقاء والاستمرار والأمن والوقار أن يكون جميع أفرادها دوما مستنفرين وعلى أهبة النضال والدفاع ولو اقتضى ذلك منهم بذل الروح ذبا عن كيان الامة وتعزيزا لوجودها ومبادئها وتحصينا لهيبتها .

وكلما كثر فى أفراد الامة الموت دفاعا عن حياضها ، وحرصا على كرامة عقائدها ومبادئها ووجودها اشتد عودها ، وقوى جهازها الرادع ، وهابها القاصى والدانى من الناس وشاع فى ربوعها الأمن والاستقرار

وهنيء أبناؤها ورعاياها وانتشرت فيهم معالم البحبوحة والسعادة والرخاء .

والامة التى لا يتعدد ضحاياها ، ولا يكثر فيها المستشهدون دفاعا عن العقيدة والشريعة والآداب والمثل التى أمرهم الله بالدفاع عنها والتى تنظم الحياة وتحفظ الهيبة والكرامة والحق والحرية والعدالة أمة غير جديرة بالعزة ، بل حرية بان يتخطفها الناس من كل حدب ، ويطمع بها القوى والضعيف والصالح والفاسد .

فالشهداء من الامة اذن بمثابة القاعدة من البناء على جثثهم ينتهض بناء الأمة ويسحق حتى يطاول السحاب شموخا وعزة واباء .

والشهداء من الأمة بمثابة الروح من البدن يضوى كيان الامة بدونهم ويذبل ، ثم يصوح ويزول تماما كما يكون من البدن ساعة تبارحه الروح الى لقاء ربها .

بل أن كل قطرة من دماء الشهداء تهرق على أرض الوطن تشربها التربة ، ولا تضيع فاذا كان الماء الذى يمس الارض يهزها ويربيها ، ويخرج منها من خلال النبات وأغصان الشجر حبا جنيا ، وثمرا شهيا ، وأكلا طيبا هنيا فان دم الشهيد لا يكاد يسيل من عروقه ، ويسقى أديم الارض ، ثم يسوخ فى ذرات التراب حتى يبرز من جديد من خلال أحاسيس البشر وأفكارهم ، وطاقاتهم الوجدانية غضبا عاصفا يموج فى الأثير ، ثم ينصب على رؤوس الظلمة الغاشمين عزة وشمما وقوة تربو بها نفوس الابناء والآباء والأخوة والأقرباء ، وأبناء الوطن الواحد .

بل ان دم الشهيد هو وقود حياة الأمة وهو الطاقة الخفية التى تشق للامة طريق المجد والخلود ، وتظللها بسحائب الرحمة والخير والطمأنينة والرخاء .

ومهما يكن عطاء الله لهؤلاء الشهداء بعد ذلك ومهما يكن احتفاؤه بهم وتمجيده لذكرهم واكرامه اياهم ، فهم له أهل ، لانهم عملوا فى مرضاته تعالى ، وشروا أنفسهم فى سبيله .

كذلك كثر الشهداء فى عصرى الاسلام الاول والثانى فعلا نجم الامة وانتشر ظلها حتى عم العالم القديم تقريبا .

وكذلك فان العالم الاسلامى اليوم فى معاركه السافرة الضارية مع الاستعمار والصهيونية أحوج ما يكون لتعزيز نضاله وشحذ نشاط بنيه والهاب أحاسيسهم للثأر من الظالمين والمعتدين ، والدفاع عن أراضيهم وأعراضهم ، ومقدساتهم وكرامة الآباء والأجداد ، وأولا وقبل كل شى للذب عن المعتقد الثمين ، عن الاسلام العظيم الذى ارتضاه الله للناس دينا .

اقول أنه أحوج ما يكون فى ذلك الى رسالة الدم الزكى القانى ، وازهاق الارواح الطاهرة النبيلة ، شهيدة ، فى سبيل الله والحق والعدل هذه المعانى الكريمة التى كفر بها كثير من الامم وداسها الانسان الحديث بنعاله .

ان فلسطين ومقدساتها لن تعود للعرب والمسلمين بالكلام يطرح هنا وهناك ، ولا بتفضل الناس الأباعد ومناصرتهم المشروطة أو غير المشروطة بل إن عودتها مرهونة بفضل جهاد أبنائها وجهاد أخوتهم المسلمين ونضالهم .

ان معركة فلسطين اليوم هى المحك لقدرة العرب والمسلمين فى هذا العصر على حماية أنفسهم ومقدساتهم وعلى جدارتهم فى العيش فى عزة وكرامة وبمواكبة تدرج الامم فى مدارج الرقى والعز والشرف .



جامع يافا الكبير وأبوابه مغلقة بعد الاحتلال الصهيونى لمدينة يافا .

آية الإسراء والمعراج

للأستاذ عبد الله كنون

ان الاسراء والمعراج من معجزات سيدنا محمد العظمى وخصائصه الكبرى . وهما ثابتتان ثبوتا قطعيا لا مجال للشك فيه ، بنص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة . وهذا مما اتفقت عليه الأمة ولم يخالج صدور المؤمنين ريب فى حقيقته .

وقد كانا معا فى عام واحد ، وشهر واحد ، وليلة واحدة ، هى على المختار ليلة السابع والعشرين من رجب عام اثنى عشر من البعثة النبوية وهو صلى الله عليه وسلم ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر .

واختلف السلف والعلماء هل كان ذلك بروحه وجسده على ثلاث مقالات ، فمعظمهم على أنه بالجسد وفى اليقظة . وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبى هريرة ومالك بن صعصعة وأبى حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وكثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين .

وذهبت طائفة الى أنه بالروح فقط ، وأنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء وحى وحق ، مستدلين بقوله تعالى **(وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس)** ولكن استدلالهم بهذه الآية على ما ذهبوا اليه لا يصح ، لأن الآية لم يثبت نزولها فى الاسراء بل قيل ان المراد بها رؤيا النبى (صلى الله عليه وسلم) المبشرة بفتح مكة .

ولما كانت الرؤيا فى الآية غير نص فى الاسراء ، أصبحت الآية غير صالحة أن تكون لهم دليلا ، فلا تقوم لهم بها حجة على ما ذهبوا اليه ، ولوكان الاسراء رؤيا منام ، ما دهش المشركون وملكهم العجب لما سمعوا النبى (صلى الله عليه وسلم) يخبر بذلك ، وما سارعوا الى تكذيبه ، وما ارتد ضعفاء الايمان عند سماع ذلك ورجعوا بعد ايمانهم كفارا .

على أن الرؤيا المنامية لا تستبعد من أى انسان كائنا من كان . فاذا حدث الناس شخص بأنه رآى فى منامه أنه انتقل الى البلاد الشاسعة والاقطار البعيدة ، أو صعد الى السماء ودخل الجنة ، ورأى من العجائب مالا يخطر ببال ، لا يجد من بين سامعيه انكارا ولا جحودا ولا تسفيها له ، ولا تكذيبا ، اذ كل ذلك ممكن ومقبول عقلا من غير استبعاد ولا استحالة ، فانكار المنكرين لقول النبى (صلى الله عليه وسلم) لما أخبرهم بما عاين دليل صريح وبرهان واضح على ان الاسراء كان بجسمه وروحه الطاهرين .

وقالت جماعة أخرى كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس ، والى السماء بالروح ، واحتجوا بقوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) فجعل المسجد الأقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجيب منه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبى (صلى الله عليه وسلم) به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه . وقال هؤلاء : ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الأقصى لذكره ، فيكون أبلغ فى المدح . وكأن هذا جمع بين القولين ، ولكن الاعتماد على القول الأول كما علمنا ، والآية لم تشر أصلا الى زائد على الاسراء الى المسجد الأقصى لا بجسد ولا بغيره ، فكيف يكون ذكر الاسراء الى السماء دليلا على وقوعه بالروح فقط ، وهو انما استفيد من آية أخرى فى سورة النجم ، ومن الأحاديث لا غير .

وفوق هذا فان الرؤيا تكون بمعنى الرؤية فى اليقظة ، ولا تختص بالنوم كما فى قول الشاعر يصف صائدا :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلابله

وقد أصبحت الآن أكثر ما تستعمل فى عبارات الأدباء والنقاد بالألف لا بالتاء ، وهم يريدون بها الرؤيا البصرية .

ان الاختلاف فى هذا الأمر بين علماء المسلمين ، هو فى نظرنا دليل على تحكيمهم العقل ، حتى فى أخص أمور الدين ، والا فاننا اليوم لا نكاد نشك فى أن الاسراء والمعراج معا كانا بذاته الشريفة ، وفى حالة اليقظة ، وقد رأينا من قدرة الانسان وتدرعه بما أوتى من علم قليل ، أنه استطاع أن يخرق الأجواء ، ويصل الى القمر ، أفتعجز قدرة الله غير المحدودة وعلمه المحيط ، أن يعرج بنبيه الى السماء ، ويسرى به الى بيت المقدس فى بعض ليلة ؟ ..

لقد حكى لنا القرآن من قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ، وقول عفريت من الجن له : أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقامك ، وقول الذى عنده علم : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، .. حكى لنا القرآن ما فيه مقنع وبلاغ لأن تكون قضية الاسراء والمعراج ، قبل صعود الانسان الى القمر بعشرات القرون ، قضية لا غرابة فيها بالنسبة الى قدرة العزيز الحكيم ، ولكن النزعة العقلية عند علماء المسلمين ، التى كان القرآن نفسه أعظم مذك لها فى نفوسهم ، جعلتهم يطرقون جميع الاحتمالات فيها مع ايمانهم الراسخ بالمعجزة وصدق المبلغ عن الله عز وجل . حتى الذين قالوا انها رؤيا منام محض ، قد حكموا بأن رؤيا الانبياء وحى وحق ، وذلك هو الخيط الرفيع الذى يفرق بين رؤياه (صلى الله عليه وسلم) ورؤيا غيره من الناس .

واذا كنا قد ألمعنا الى الصعود للقمر ، على سبيل المثال والتقريب . فلا بد أن ننبه على الفرق العظيم بين المعراج وهذا الصعود ، فالأمر هنا لم يخرج عن المدار الفضائى لمجموعتنا الشمسية التى نعيش على ظهر كوكب من كواكبها ، أما المعراج فكان الى السماء الحقيقية ، السماء التى ورد ذكرها فى كتب الأنبياء جميعا لا السماء اللغوية التى هى ما علا الانسان ، بل السماء التى هى مقر الملائكة والأرواح ، وعالم الملكوت المحفوظ من كل أنس وجان ، الا من أكرمه الله بدخوله . فأين الثرا من الثريا ؟ ..

ولهذا قال تعالى منبها ذوى العقول لما فى هذه الآية العجيبة من الدلالة على عظيم قدرته وبليغ حكمته : (سبحان الذى أسرى بعبده) وسبحان علم للتسبيح ، والحكمة فى التعبير به هنا كما قال ابن الجوزى : ان العرب تسبح عند الأمر العجيب ، فكأنه تعالى يعجب خلقه مما أسدى الى نبيه بالاسراء به من الأيادى والنعم ، وأسرى مأخوذ من السرى ، وهو سير الليل خاصة ، وبعبده المراد به النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فهو المتحقق بكمال العبودية لله عز وجل ، وبذلك يكون وصف تشريف كما قال القائل :

لا تدعنى الا بيا عبدها فانه أشرف أسمائى

و (ليلا) ظرف وهو للتوكيد ، اذ الاسراء لا يكون الا بالليل ، وفائدته رفع توهم المجاز ، لأنه قد يطلق على سير النهار ، مع الاشارة بتنوينه الى ان ذلك وقع فى بعض الليل لا فى جميعه . وانما كان الاسراء ليلا لأنه وقت الخلوة والاختصاص والتقريب على ما قيل . (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (الى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس . ووصف بالأقصى لبعده عن المسجد الحرام ، وذلك محط العجب ومناط الاعجاز (الذى باركنا حوله) صفة أخرى للمسجد الأقصى ، وبركته بما خصه الله به من كونه مقر الأنبياء ومتعبدهم ومهبط الوحى والملائكة . وانما قال حوله لتكون بركته أعم وأشمل ، فانه اذا بارك فيما حوله من البقاع لأجله ، فهو مبارك بطريق الأولى .

والمسجد الأقصى بمدينة القدس من أرض فلسطين ، هو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها ، وهو أولى القبلتين ، ومسرى النبى

(صلى الله عليه وسلم) ومكان عروجه ، والصلاة فيه بألف صلاة ، كما فى الحديث الذى أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة ، وفيه : ائتوه وصلوا فيه ، فان صلاة فيه بألف صلاة ، وفى رواية لأحمد عن بعض نسائه (صلى الله عليه وسلم) انها قالت يا رسول الله : فان لم تستطع احدانا أن تأتيه . قال : فلتبعث اليه زيتا يسرج فيه ، فان من بعث اليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه .

ومهما يكن من درجة هذه الرواية وصحة اعتبارها فان المسلمين اليوم قد أضاعوا القدس بتهاونهم وتخاذلهم ، وقد مرت على سقوطه فى أيدى الصهاينة سنوات أربع ، وهى فى نظر الغير من أهل الاسلام بمثابة أربعين سنة ، وبضياع القدس بطلت زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه على سبعمائة مليون مسلم ، فأقل ما يجب على المسلمين لاسترداده — أن يبذلوا المال للفدائيين والفئة المؤمنة القائمة بالجهاد لرفع السيطرة الصهيونية عنه .. فلو بعث كل من كان يزور القدس من المسلمين وخصوصا الحجاج ، بما كان يصرفه فى سبيل زيارته من مال ، الى من ذكرنا لحصل له ثواب الزيارة والصلاة على حسب ما جاء فى هذا الحديث ، ولأسهم فى انقاذه بحسب وسعه .. وما أصدق ما قال المشركون لسلمان : لقد علمكم نبيكم كل شىء ، . فياحسرتا على المسلمين كيف فرطوا فى دينهم وتعاليمه التى بها نجاتهم ، وتمسكوا بالأوهام والأضاليل .. ثم قال تعالى : (لنريه من آياتنا) أى لنظهره على عجائب قدرتنا ، وبدائع حكمتنا ، أو يكون المعنى لنرفعه الى السماء حتى يرى ما يرى من آياتنا الباهرة ، فتكون فى الآية اشارة الى عروجه (صلى الله عليه وسلم) وخصوصا اذا جعل معاد الضمير فى قوله (انه هو السميع البصير) عليه (صلى الله عليه وسلم) كما قيل به والمعنى أنه هو السميع لكلامنا البصير لآياتنا .

ومن هنا ينصرف بنا القول الى المعراج ، وقد ألمت به سورة النجم فى الآيات الكريمة القائلة : **(والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) الى قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .**

ونأتى بالحديث المفسر لها ، ولقضية الاسراء معا ، ففيه غنى . وهو ما أخرجه مسلم من طريق ثابت البنانى عن أنس (صلى الله عليه وسلم) وقال فيه القاضى عياض : جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء ، ولم يات أحد بأصوب من هذا . قال أنس : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض ، طويل فوق الحمار ، ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته فى الحلقة التى يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت . فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل أخترت الفطرة ، ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل ، فقيل له : من أنت . قال جبريل ، قيل من معك . قال محمد . قيل : وقد بعث اليه . قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بآدم (صلى الله عليه وسلم) فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ،

فقيل : من أنت . قال : جبريل ، قيل : ومن معك . قال : محمد قيل : وقد بعث اليه . قال : قد بعث اليه . ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكرياء (صلى الله عليه وسلم) فرحبا بى ودعوا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ، ففتح لنا فاذا أنا بيوسف (صلى الله عليه وسلم) واذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فاذا أنا بادريس ، فرحب بى ودعا لى بخير . قال تعالى (ورفعناه مكانا عليا) ، ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله ، فاذا أنا بهارون ، فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فاذا أنا بموسى ، فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله ، فاذا أنا بابراهيم ، مسندا ظهره الى البيت المعمور ، واذا يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه . ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى ، واذا ورقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها كالقلال .. قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشى ، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . فاوحى الله الى ما أوحى ، ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلت الى موسى ، فقال : ما فرض ربك على أمتك . قلت : خمسين صلاة . قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، فان أمتك لا يطيقون ذلك ، فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم . قال فرجعت الى ربى ، فقلت يارب خفف عن أمتى ، فحط عنى خمسا ، فرجعت الى موسى ، فقلت : حط عنى خمسا ، قال : ان أمتك لا يطيقون ذلك ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف . قال فلم أزل أرجع بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال : يا محمد انها خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة . ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فان عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فان عملها كتبت سيئة واحدة ، قال : فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته . فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول الله (صلى الله عليه رجعت الى ربى حتى استحييت منه .

فهذا الحديث قد جمع قصتى الاسراء والمعراج معا ، واستوفاهما أحسن استيفاء ، واستوعبهما بيانا ، وان كان قد خلا من بعض الزيادات التى ثبتت فى غيره مما هو أقصر منه ، ولا تخلو من فائدة .

ومنها شق صدره الشريف قبل الاسراء ، وقد ثبت فى الصحيح ، فلا عبرة بمن أنكره ، قائلا ان ذلك كان فى صباه (صلى الله عليه وسلم) فذاك كان لاخراج حظ الشيطان منه ، وهذا للتهيىء لدخول الملأ الأعلى ، ومنها صلاته بالانبياء فى بيت المقدس ، قبل أو بعد العروج على اختلاف الروايات فى ذلك ، مثلوا له وصلى بهم ركعتين .. ولعلهم الانبياء الذين لم يلقهم فى السماء . وان كان لفظ الحديث يدل على العموم ، وقد تكرر ذكر هذه الكرامة فى شعر المديح كقول العلامة اليوسى :

وتقدمت للصلاة فصلوا   كلهم مقتد وأنت الامام

ومنها أنه لما أتاه الملك بالخمر واللبن ، فاختار اللبن وقال له : اخترت الفطرة ، زاد : ولو شربت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم الا القليل . وكفى بهذا ذما للخمر وردعا لشاربيها .

ومنها أنه لما لقى ابراهيم فى السماء السابعة ، قال له : مرحبا بالابن الصالح ، وقال له : مر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة ، فان تربتها طيبة ، قال : وما غراس الجنة . قال : لا حول ولا قوة الا بالله .

ومنها فى وصف سدرة المنتهى : أنها فى السماء السابعة ، اليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض ، واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها .

ومنها أنه قال : ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام أى صوت حركتها جارية بما تكتب من القضاء والقدر .

وقوله فيه : وقد بعث اليه . أى للعروج الى السماء . وأما بعثته أى رسالته الى أهل الأرض فانها لا تخفى على أهل السماء .

والحكمة فى تردده للتخفيف من عدد الصلاة بين موسى والحق سبحانه وتعالى ، تقدير ذلك الفضل العظيم والعطاء الجسيم الذى أتحفه به عز وجل ، وهو كون الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بواحدة فقط ، بصورة عملية محسوسة ، ليكون ذلك أدعى لتقديره ، والاعتراف بواسع كرمه تعالى ، وجزيل ثوابه لعباده المؤمنين .

ثم انه صلى الله عليه وسلم رجع من ليلته ، فلما أصبح غدا الى نادى قريش ، فحدثهم بأمره ، فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا . وارتد أناس ممن كان آمن به من ضعاف النفوس ، وسعى بعضهم الى أبى بكر فقال له : أرأيت الى صاحبك ، يزعم أنه أسرى به الى بيت المقدس ورجع فى ليلته . فقال : ان كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : وكيف . قال انى لأصدقه على أبعد من ذلك ، على خبر السماء فى غدوة وروحة .. فسمى من ذلك اليوم الصديق .

وقوله تعالى فى سورة الاسراء : (لنريه من آياتنا) وفى سورة النجم : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) هو مما يصدق بما تقدم من معجزة الاسراء نفسها ، ومعجزة المعراج ، وما رآه فيهما من الآيات والعجائب ، وناهيك بمقام القرب والدنو ، وما غشى سدرة المنتهى مما عبر عنه بقوله : فلما غشيها من أمر الله ما غشى ، تغيرت فما أحد يستطيع أن ينعتها من حسنها .. وما كان بعد ذلك من الوحى كفاحا ، دون ما زيغ من البصر ولا طغيان ، كما قال تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) .

والى ذلك فقد وردت فى بعض روايات الحديث أشياء ومشاهد أخرى ، مما رآه فى ليلته تلك ، ومجرد وصفها يدل عى صدقها ، اذ أنها من عالم الغيب الذى سكتت عنه جميع الكتب والصحف . وخرست ألسنة الحكماء والفلاسفة .

ومن ذلك أنه أتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال يا جبريل ، ما هذا . قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقـوا من شىء فهو يخلفه .

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كمـا كانت ، قال يا جبريل : من هؤلاء . قال : الذين تثـاقلت رؤوسـهم عن الصلاة .

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كمـا كما تسرح الابل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ، ورضف جهنم ، قال ماهؤلاء يا جبريل . قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقة أموالهم .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج طيب ، ولحم ، آخر نيىء خبيث ، فجعلوا يأكلون من النيىء الخبيث ، ويدعون النضيج الطيب . قال ماهؤلاء . قال : الزناة .

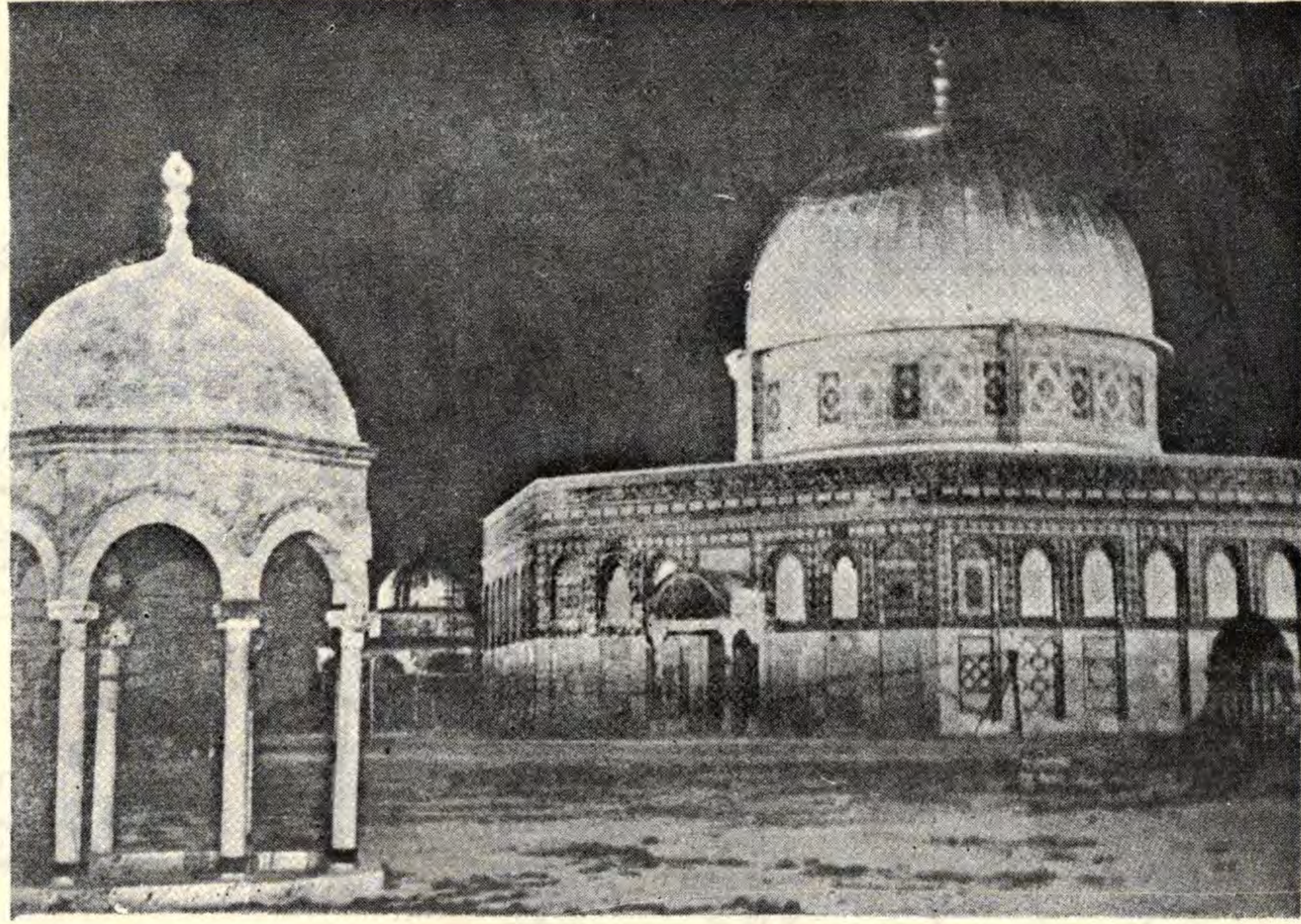
ثم أتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب الا شـقتـه ولا شىء الا خرقته ، قال : ما هذا يا جبريل . قال : هذا مثل أقوام يقعدون عـلى الطريق فيقطعونه ، ثم تلا : (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) .

الى آخر ما فى هذا الحديث ، وهو مما رواه البيهقى عن أبى هريرة .

ونقدم ما فيه من وعد وجزاء حسن ، هدية الى أخواننا المجاهدين من أهل فلسطين ، وما فيه من وعيد ومثال سىء الى عملاء العدو وحلفاء الصهاينة ، الذين يعملون على تصفية الثورة الفلسطينية بالقول أو الفعل ، فان الصد فى الآية الكريمة حسى ومعنوى .

وبعض هذه الأحاديث ، وان لم يرتق الى درجة الصحة ، فانه عامل فى الترغيب والترهيب ، كما تقرر عند العلماء . . وقد كانت أحاديث المعراج نبعا ثرا ، استقى منه حتى الأدب الأجنبى ، ومن أعظم الأمثلة على ذلك ما تضمنته قصة الكوميديا الآلهية لشاعر ايطـاليا دانتى الليجيرى مـن أوصاف ومناظر تكاد تنطق بأنها مقتبسة من المصادر الاسلامية ، والأحاديث النبوية ، بالخصوص ، الواردة فى هذه المعجزة . فما أعظم الاسـلام ، وأوسع رسالته التى لم يبق أحد لم ينل من خيرها ، حتى من يكفرون بها .

ونسأله تعالى أن ينفحنا بروح من عنده ، تعمر من هممنا ما خرب ، وتجدد من مآثرنا ما دثر ، وتحيى من قلوبنا ما مات ، وتبعث من عزائمنا ما خمد ، حتى ننتبه لعمل ما فيه صلاحنا وفلاحنا ، معاشا ومعادا ، دينا ودنيا ، والله ولى التوفيق .



قبة الصخرة

المسجد الأقصى

في السنة النبوية

أخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضى الله عنه **« ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أخواله من الأنصار ، وانه صلى قبل بيت المقدس »** .

الحديث رواه البخارى ج١ ص ٢٩ .

وروى الطبرى فى تاريخه عن قتادة قال **« كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة . وبعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام »** .
ج٢ ص ٢٦ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم **(لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد . مسجدى هذا ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى)** .

رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى ج١ ص ٢٤٩ .
(التاج ج١ ص ١٤٩) ورواه البخارى .

وعن ابى ذر رضى الله عنه قال **(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع فى الأرض قال (المسجد الحرام) قلت ثم أى ؟ قال (المسجد الأقصى)** .

الحديث رواه البخارى ومسلم والنسائى (التاج ج١ ص ٢٤٨) .

وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(اتيت بالبراق فركبته ، حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة**

التى يربط بها الانبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم عرج بنا الى السماء) .

الحديث رواه مسلم فى صحيحه .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن اشياء لم اثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط ، فرفعه الله لى (أى بيت المقدس) انظر اليه ما يسألوننى عن شىء ألا انبأتهم به . وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء (يعنى فى بيت المقدس) فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنؤه ، واذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى ، واذا ابراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه به صاحبكم يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال قائل — يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام) .**

رواه مسلم (التاج ج٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦) .

وعن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت يا رسول الله ، افتنا فى بيت المقدس . فقال **(ائتوه فصلوا فيه فان لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله) .**

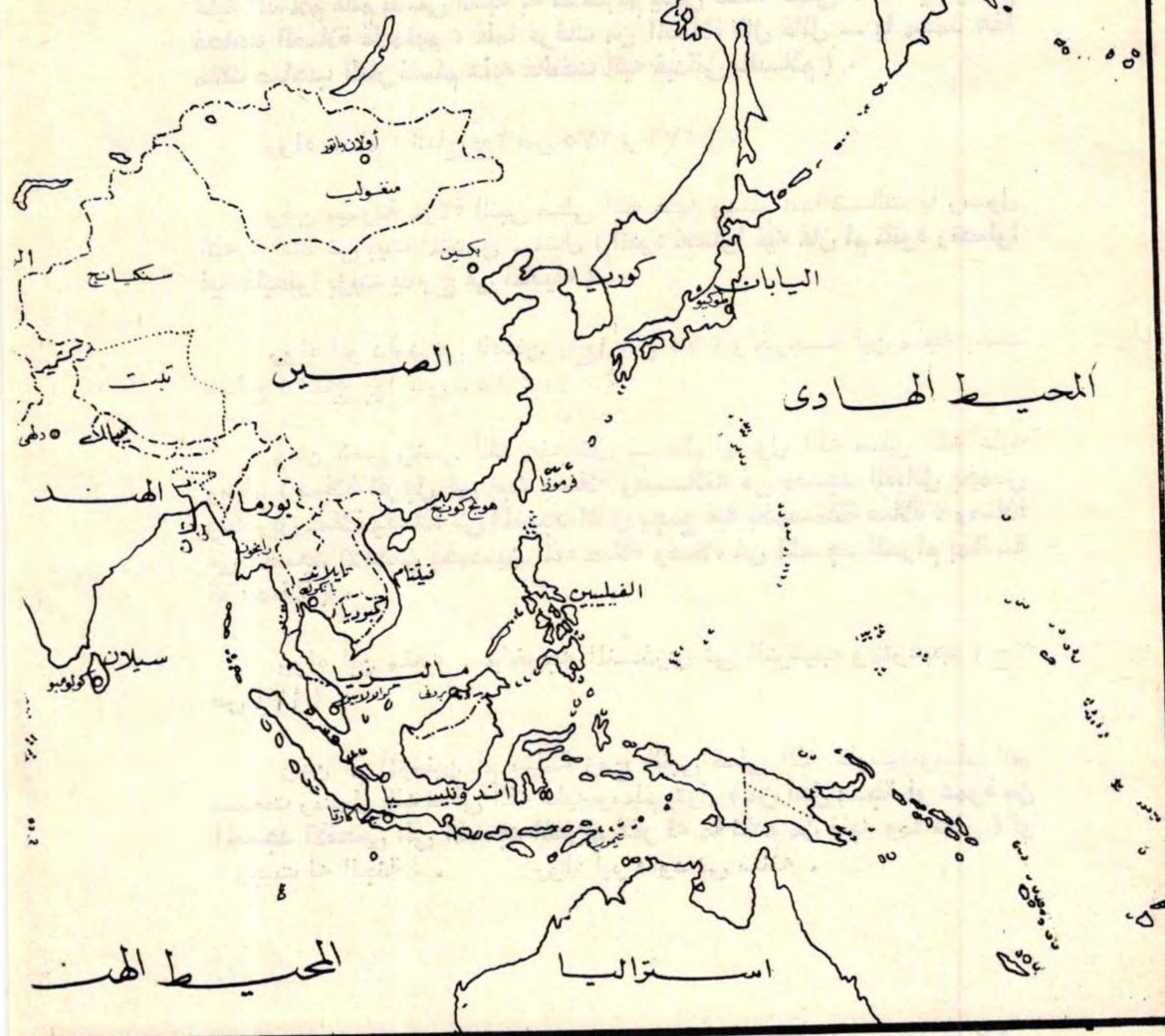
رواه أبو داود فى السنن (ج١ ص ٧٥) وأخرجه ابن ماجه بسند صالح (التاج ج١ ص ٢٥٠) .

وعن أنس رضى الله عنه قال — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(صلاة الرجل فى بيته بصلاة وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاة فى المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاة فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة) .**

رواه ابن ماجه . وأخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب (ج٢ ص ١٣٦) .

وعن ام المؤمنين ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **(من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) أو** (وجبت له الجنة) . رواه ابو داود فى سننه .

خريطة العالم الإسلامي





فنلندا
السويد
النرويج
أوسلو
ستوكهولم
الدانمرك
كوبنهاجن
ايرلندا
دبلن
انجلترا
لندن
موسكو
بولند
باريس
فرنسا
المانيا
بون
رومانيا
النمسا
يوغوسلافيا
بلغاريا
اسبانيا
البرتغال
لشبونة
انقرة
تركيا
اليونان
الجزائر
مراكش
المغرب
الصين
الولايات الاسلامية
فى الاتحاد السوفييتى
سوريا
لبنان
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
بنغازى
غزه
القاهرة
بغداد
العراق
طهران
ايران
كابول
افغانستان
باكستان
كراتشى
الكويت
الخليج
الجمهورية
العربية
المتحدة
الجـزائـر
لـيـبـيـا
الصحراء الاسبانية
موريتانيا
مالى
النيجر
تشاد
الخرطوم
السودان
الجزيرة العربية
البحر العربى
السنغال
جامبيا
غينيا البرتغالية
غينيا
فولتا العليا
نيجيريا
غانا
ساحل العاج
سيراليون
ليبيريا
توجو
الكمرون
جمهورية افريقيا الوسطى
غينيا الاسبانية
جابون
الصومال
اثيوبيا
كينيا
اوغندا
الكونجو
نيروبى
رواندا
بوروندى
تنزانيا
زنجبار
سيشيل
جزر مالديف
انجولا
زمبيا
موزامبيق
مالاوى
روديسيا الجنوبية
بتشوانالند
ملجاشى
تاناناريف
جزيرة رينيون
المحيط الأطلسى
الجنوبى



بين الذكرى

محمد يوذنه

حين كنا فى فلسطين الحبيبة نقيم الاحتفالات بهذه الذكرى العزيزة ، كان القصد تحريك عوامل الالفة واللقاء بين الأخوة والأصدقاء ، فى وطن الاسراء والمعراج ، للتعريف بأخطار تحالف الصهيونية والاستعمار الغربى ، فى صليبية حديثة ، الهدف منها تحطيم الاسلام فى عقر داره ، والقضاء على مبادئه وعقائده ومقدساته .

وما كان يجول فى خاطرنا حينئذ أن ندرك اليوم الـــذى فيه تســـقط فلسطين وأراض عربية أخرى ، فى قبضة الصهيونية ، ومع هذا يتخاذل المسلمون والعرب ، عن مجابهة الخطر ومقابلة التحدى ، والقدس الشريف قد ضاعت ، والمسجد الاقصى المبارك تعرض للزوال ، وهو قبلتهم الاولى وموطن اسراء الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه ، ومركز معراجه الشريف ، والمكان الذى أم فيه الانبياء والمرسلين ، يوم تمثلوا لهم فيـــه ، كأنهم بايعوه بالامامة .

ولكن الكارثة قد حلت ، والواقعة قد وقعت ، والمصيبة قد شملت ، وكان المأمول حينئذ أن تضطرب العواصم والدساكر ، وتزحف البـــوادى

والحافز

للشيخ عبدالحميد السائح

والحواضر ، وتهتز العروش والمنابر ، وتتجـــه الى القدس وسائر فلسطين لأنقاذها ، ولكن ما حدث دون ذلك بكثير ، ولا يجدى فتيلا ، فى عالم لا يقنع بغير القوة سبيلا ، ولا يخضع لغير الســـلاح الفتاك طريقا لاستخـــلاص الحق المغتصب والكرامة المسلوبة والشرف المثلوم ، وقال زعماؤنا أكثر من مرة « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ، وهو منطق العصر ، ومنطـــق التاريخ ، وهو الذى هدفت اليه آيات القرآن الكريم :

١ « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله وأعلموا أن الله مع المتقين » (١) ولا ريب ان الوجود الصهيونى فى فلسطين عدوان أيما عدوان .

٢ « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم . ولا تعتدوا ان اللـــه لا يحب المعتدين » (٢) .

٣ « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (٣) .

وهذا ما ينبغى أن يكون مسلكنا وخطتنا ، لو كنا حقيقة مؤمنين بهذا القرآن الكريم ، ومقدرين لهدف الاسراء والمعراج وهو الاحتفاظ بهذه الديار المقدسة مركزا لحضارة الاسلام ، وصلاحيته للتطبيق فى كل زمان لسماحة الاسلام ، وعدالة الاسلام ، وصلاحيته للتطبيق فى كل زمان ومكان .

وبلاد الاسلام والعروبة قادرة بما تملك من مصادر الثروة الهائلة ، والقوة الكافية ، لو أطرحت أنانيتها ، وتخلت عن اهوائها وتجمعت صفوفها واتحدت كلمتها .

أيها المسلمون والعرب :

ان الامر قد زاد خطرا ، واستفحل تحديا ، وأمعن استهزاء ، بمشاعركم ومبادئكم ، يوم أقدم الصهاينة على احراق المسجد الاقصى المبارك ، يبلونكم ، ويختبرون مدى ايمانكم ، فلم يجدوا منكم الا تظاهرات فارغة ، ومؤتمرات سقيمة وعقيمة ، وأقوالا لا تصدقها أعمالكم ، ولا تترجمها مخططاتكم ، ولذلك فانهم خطوا خطوة أخرى فى تحدياتهم لكم ، فأقدموا على الحفريات حول الاقصى المبارك تمهيدا لتصديع قواعده ، وانهيار بنيانه ، وأعدوا خطة جهنمية للاستيلاء عليه واقامة الهيكل مكانه ، ضاربين بكل حفلاتكم وأقوالكم عرض الحائط ، ومستخفين بكل مشاعركم وعقائدكم .

أيها المسلمون والعرب فى المشارق والمغارب :

ان الغزوة الصهيونية على فلسطين واستيلاءها على القدس الشريف وحتى اقامة الهيكل على انقاض الاقصى المبارك ، ليس كل ذلك هو خاتمة المطاف ، وانما هو مرحلة ، تتلوها مراحل ، وخطر يعقبه أخطار ، على الاسلام فى عقر داره ، وعلى العرب فى مركز تجمعاتهم ، وعلى العالم أجمع .

ولا ينبغى أن نكون أغبياء فى تقديرنا ، ولا ان نكون سذجا فى تصورنا لأخطار الصهيونية وتحالفها مع الاستعمار الغربى .

فليس من قبيل الصدفة أن يدعو كامبل باترمان رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩٠٧ دول الاستعمار حينئذ ليبحثوا عن أخطر جهة يمكن أن تؤثر على الاستعمار الغربى وتقويض دعائمه ، فكانت النتيجة الاجماع ، على أنه يكمن فى البحر الابيض المتوسط ، الذى يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية ، شعب واحد ، يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، بما فى أ[illegible] كنوز وثروات ، يفتح لأهلها مجال التقدم والرقى فى طريق [illegible] الثقافة ، نظرا لأن سكانها يتكلمون لغة واحدة ،وأكثريتها يدينون بدين واحد . [illegible] العلاج لذلك هو أن تعمل دول الاستعمار على تجزئة هذه المنطقة . والابقاء [illegible] وضرورة اقامة حاجز بشرى ، قوى وغريب فى نقطة التقاء آسيا وافريقيا ، يفصل أحداهما عن الأخرى ، ويمكن الاستعمار أن يستخدمه اداة لتحقيق أغراضه .

ولا من قبيل الصدفة أن يصدر وعد بلفور بعدئذ بعشر سنين سنة ١٩١٧ م ثم يعقب ذلك تحالف الاستعمار الاميركى والبريطانى على تمكين الصهيونية فى فلسطين بشتى الاساليب ، الى أن انتهى الامر بقيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ وعدوانها سنة ١٩٦٧ ودعم الاستعمار الاميركى لها بصورة سافرة ، متحدية لكل المشاعر والقيم والمواثيق الدولية .

يجب علينا أن نستعرض تصريحات زعماء الصهيونية فى فترات معينة لنقدر الخطر على حقيقته ، ونعلم أن أهدافهم لا تتغير ولكن التصريحات تتطور حسب الظروف والاحوال الملائمة .

وقد جاء فى يقظة العالم اليهودى ، كتاب المؤرخ اليهودى ليفى أبو عسل نص خطاب وجهه أحد حكمائهم الى بنى قومه سنة ١٧٩٨ م وفيه أقوال مثيرة جديرة بالتدبر ومقارنتها بما حدث ويحدث فى عالمنا العربى . ومما ورد فيه : آن الاوان لنهضتنا واحتلال المركز اللائق بنا بين أمم العالم ، وهيا بنا لتجديد هيكل أورشليم الخ .

وان البلاد التى ننوى قبولها هى اقليم الوجه البحرى فى مصر ، مع حفظ منطقة واسعة المدى ، يمتد خطها من مدينة عكا الى البحر الميت ، ومن جنوب هذا البحر الى البحر الاحمر الخ .

وفى الخطة الاستراتيجية الاسرائيلية لجيش الدفاع الاسرائيلى لعام ١٩٥٦ — ١٩٥٧ م أن توأمين من الاهداف يجب أن لا يغيبا عن بالنا فى جميع تخطيطاتنا :

١ — اكتساب منطقة لا غنى لنا عنها فى وقت الحرب .

٢ — اكتساب منطقة تفى بجميع احتياجاتنا .

وانه لا يمكن للاقطار العربية أن تجابه اسرائيل بمقاومة عظمى الا اذا كانت متحدة ، وان عملا سياسيا تحضيريا فى البلاد العربية يدار بمعونة الغرب سيكون ذا أثر بالغ فى نجاح عملياتنا العسكرية ، وسيكون هدفه اثارة الخلافات الداخلية ، وتعزيز القوات المعادية لمصر فى الاقطار العربية الأخرى .

وقد جاء فى خطة جيش الدفاع الاسرائيلى ، التى كان ينوى تطبيقها فى عدوان سنة ١٩٥٦ م ان متطلبات دفاعنا تجعل من الضرورى الاستيلاء على المناطق التالية :

المنطقة الجنوبية : منطقة غزة وستضمن هذه المنطقة سلامة مراكزنا الحيوية ، وستمكننا من اغتصاب القطاع الجنوبى لشبه جزيرة سيناء وتأمين منفذ ايلات ، شبه جزيرة سيناء ، سيجعل احتلالها الهجوم المصرى مستحيلا .

المنطقة الشرقية : غرب الاردن (المثلث) تلال الخليل ، وشرقى الاردن بما فى ذلك المناطق الصحراوية .

وان الاستيلاء على هذه المناطق سيمكن اسرائيل من اقامة حدودها مع العراق والعربية السعودية .

المنطقة الشمالية : تضم الجولان وحرمون والليطانى ،

وان الاستيلاء على شور سيمكننـــا من اغتصاب زيت العربيـــة السعودية .

وان الاستيلاء على غربى الاردن سيمكننا مـــن اغتصاب الاماكـــن المقدسة الخ .

وان اغتصاب المنطقة التى تحـــدها قناة الســـويس ونهر الليطانى والخليج العربى ذو أهمية بالغة لنا الخ . وقـــد تحقق قسم من هذا فـــى عدوانها سنة ١٩٦٧ ولا تزال تماطل وتسعى بشتى الوسائل الى تحقيق سائر أهدافها .

هذا وان موقف الصهيونية الغادرة فى تحديها للامم المتحدة والمواثيق الدولية ، واستخفافها بكل القيم ، واقدامها على العبث بأقدس المقدسات الاسلامية فى فلسطين ، وانتهاك حرماتها وحرمات المقدسات المسيحية ، وضع العالم الاسلامى أمام تحد صارخ ينادى ملوكهم ورؤساءهم وشعوبهم وحكوماتهم ، أينما كانوا وحيثما وجدوا ان تنبهوا للخطر المستشرى علـــى مقدساتكم وعقائدكم ومبادئكم ، كما وضع العرب أمام محنة قاسية تتعلق بوجودهم وكيانهم وبترولهم وثرواتهم وحضارتهم ومصادر أمجادهم ، « واذا ذلت العرب ذل الاسلام » (٤) .

ووضع العالم المسيحى أمام امتحان دقيق يتبين فيه مدى حرصـــه على مقدساته ومعتقداته ، ووضع العالم كله أمام اختبار أقسى يتبين فيه مدى حرصه على السلام ، وعلى صدق مبادئه التى وضعها فى المواثيـــق الدولية وينادى بها ، لتجنيب العالم أخطار الحروب المدمرة والعودة الـــى شريعة الغاب .

ويجب أن يعلم كل من يجب أن يعلم فى هذا العالم ، ان الشــــعب الفلسطينى مصمم على الوصول الـــى حقه ، وازالة كابوس الظلم الذى وقع عليه ، يسنده فى ذلك كل شعوب العالم العربى والعالم الاســـلامى والشعوب المحبة للحرية والسلام .

وانى أرجو أن تكون ذكرى الاسراء والمعراج هذه السنة حافزا لعمل جدى حاسم يجند جميع الطاقات والقدرات فى سبيل معركة المصير ، التى لا محيد عن خوضها انقاذا لمقدساتنا وشرفنا ووجودنا ، وان هذا أفضل ما نقوم به فى هذه الذكرى العطرة ، وان هذا ما يرضى عنا الله ورســـوله والاجيال القادمة ، وان التاريخ سجل لا يرحم كل متخلف أو متخاذل أو معوق أو ضالع مع الاستعمار مهما كان نوعه أو لونه ، والله ولى الهداية والتوفيق .

---

(١) الآية ١٩٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية ١٩٠ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٦٠ من سورة الانفال .

(٤) حديث شريف رواه أبو يعلى فى مسنده .

المسلمون في العالم

أفريقيا

الاقطار	عدد المسلمين	النسبة الى السكان	الاقطار	عدد المسلمين	النسبة الى السكان
ج٠ع٠م	٢٧٠٤٨٤٧٥	٪٩٠	ليبيريا	٦٢٥٠٠٠	٪٢٠
السودان	٦٤٧٤٤٥٣	٪٤٩	برونــدى	٥٠٢٠٠٠	٪٢٠
ليبيــا	١٥٢٠٣٩٩	٪٩٧	جمهورية افريقيا		
الجــزائر	١٠٣٥٠٠٠٠	٪٩١	الوسطى	٧٥٠٠٠٠	٪٦٠
المغرب	١٢٧٧٨٠٠٠	٪٩٥		٩٠٠٠٠	٪٥٠
تونس	٤١٨٥٠٠٠	٪٩٣	تشاد	١٤٣٠٠٠٠	٪٥٢
الصومال الفرنسى	٦٠٠٠٠	٪٧٣	جابون	١٧٩٢٠٠	٪٤٠
جمهورية الصومال	٢٤٥٠٠٠٠	٪٩٨		٥٠٠٠	٪ ١
أثيوبيــا	٦٧٨٠٠٠٠	٪٣٠	جزيرة رينون	٦٩٢٠٠	٪٢٠
تانزانيا	٦٠٢٣٧٥٠	٪٦١	موزمبيق	١٦٦٢٥٠٠	٪٢٥
موريتانيا	٨٨٢٠٠٠	٪٩٨	توجــو	٨٣٦٠٠٠	٪٥٥
جمبيــا	٢٩٤٠٠٠	٪٨٤		٧٦٩٥٠	٪ ٥
مالـــى	٢٠٠٠٠٠٠	٪٧٠	الكنغـــو	١١٥٥٠٠	٪ ٠ر٨
السنغال	٢٦٠٠٠٠٠	٪٧٩	الكنغــو برازافيل	٤٥٤٠	٪ ٠ر٥
جمهورية الفولتا	١١٠٠٠٠٠	٪٢٥	أنجـــولا	١١٢٧٥٠٠	٪٢٥
غينيا	٢٠٠٠٠٠٠	٪٦٥	أوغندا	١٤٠٠٠٠٠	٪٢٠
غينيا الاسبانية	١٢٤٠٠٠	٪٤٠	كينيا	٢١٥٧٥٠٠	٪٢٥
غينيا البرتغالية	٣٣٠٠٠٠	٪٥٥	مــــلاوى	٥٩٠٠٠٠	٪٢٠
ساحل العاج	١٨٥٦٢٥٠	٪٥٥	زمبيـــا	٥٢٥٠٠٠	٪١٥
داهومـــى	١٤٠٠٠٠	٪ ٧	روديسيا	٦٣٢٠٠٠	٪١٥
	١٢٣٠٠٠٠	٪٦٠	باسوتولند	٧٠٨٠٠	٪١٠
غانـــا	٢٢١٧٠٠٠	٪٣٠	بوسطوانا	١٦٦٥٠	٪ ٥
الكمرون	٢٦٩٨٨٥٠	٪٥٥	جمهورية جنوب افريقيا	١٧٠٠٠٠	٪ ١
سيراليون	١١٠٠٠٠٠	٪٥٠	جمهورية ملجاسى	١١٤٦٠٠٠	٪٢٠
نيجيريـــــا	١٦٠٠٠٠٠٠	٪٢٩		٢٨٣٠٠٠	٪ ٥
	٤١٢٥٠٠٠٠	٪٧٥	جزر مورشيوس	١٠١٧٨٠	٪١٤
النيجـــــر	٢٦٥٠٠٠٠	٪٨٥	جنوب غرب أفريقيا	١٠٠٠٠	٪ ٢
سبتة اوكوتا	٧٠٠٠٠	٪٩٣	الصحراء الاسبانية	٤٥٠٠٠	٪٩٣
مليـــلا	٨٥٠٠٠	٪٩٤	أفنـــى	٥٥٠٠٠	٪٨٣

مجموع عدد المسلمين فى أفريقيا ١٥٥ر٣٧٨ر٣٤٧

آسيا

الاقطار	عدد المسلمين	النسبة الى السكان
جمهورية الجنوب اليمنى الشعبية	١١٩٠٠٠٠	٪ ٩٥ر٢
افغانستان	١٤٨٤٥٠٠٠	٪ ٩٩
البحرين	١٧٣٥٩٤	٪ ٩٥
أندونيسيا	٨٧٣٧٧٠٠٠	٪ ٩٠
ايران	٢١٥٦٠٠٠٠	٪ ٩٨
الاردن	١٥٢٠٠٠٠	٪ ٩٠
الكويت (١)	٧٣٣٠٠٠	٪ ٩٤
لبنان	——	——
ماليزيا	٥٤٥٠٠٠٠	٪ ٥١
مسقط وعمان	٧٥٠٠٠٠	٪ ١٠٠
باكستان	٨٤٩٧١٠٤٠	٪ ٨٨
قطر	٥٩٩٤٠	٪ ٩٩
المملكة العربية السعودية	٥٩٤٠٠٠٠	٪ ٩٩
الجمهورية العربية السورية	٤٧٧٠٢٠٠	٪ ٨٧
الامارات المتصالحة	١١٠٠٠٠	٪ ١٠٠
اليمن	٥٠٠٠٠٠٠	٪ ١٠٠
غزة	٣٩٥٠٠٠	٪ ٩٩
العراق	٧٤٣٥٠٠٠	٪ ٩٠
تركيا	٢٨٢٦٠٠٠٠	٪ ٩٠
برونى	٥٠٠٠٠	٪ ٥٥
جزر مالديف	٩٧٠٠٠	٪ ٩٧
الفلبين	٢٩٦٩٠٠٠	٪ ١٠
فيتنام الشمالية والجنوبية	٩٢٧٨٧٠	٪ ٣
كمبوديا	٥٠٠٠٠	٪ ٨ر
تايلاند	٣٠٠٠٠٠٠	٪ ١٠
بورما	١٠٠٠٠٠٠	٪ ٤

الاقطار	عدد المسلمين	النسبة الى السكان
سيلان	٧٣٠٩٤٠	٪ ٧
هونج كونج	١٠٠٠٠	٪ ٣ر
فرموزا (طيوان)	٤٠٠٠٠	٪ ٣٥ر٠
غينيا الجديدة		
الاسترالية	١٤١١٠٠٠	٪٩٩
بابوا	٤٩٥٠٠٠	٪٩٢
نيبال	١٣٠٠٠٠	٪ ٢ر٥
اليابان	٤٧٤٦٥	٪ ٠ر٠٥
الصين الشعبية	٧٥٥٠٤٠٠٠	٪١١
	١٠٠٠٠٠٠٠	٪ ١ر٤
	٦٠٠٠٠٠٠٠	
الهند	٤٧٠٠٠٠٠٠	٪١٠ر٢
جزر فيجى	١٠٠٠٠٠	٪٢٠

الاتحاد السوفياتي
الجمهوريات

الجمهوريات	عدد المسلمين	النسبة الى السكان
طاجيكستان	٢٢٢١٦٦٠	٪٩٨
قرغيزيا	٢١٨٨٦٨٠	٪٩٢
تركمان	١٥٦٨٧٠٠	٪٩٠
اوزبكستان	٨٣٥٥٦٠٠	٪٨٨
أذربيجان	٣٣٠٠٩٦٠	٪٧٨
كازاكستان	٧٦٦١٥٦٠	٪٦٨
جورجيا	٨٢٤٩٨٠	٪١٩
أرمينيا	٢٤٠٨٤٠	٪١٢
أوكرانيا	٥٢٨٦٤٨٠	٪١٢
روسيا	٧٤٠٦٤٦٠	٪ ٦
بايلروسيا البيضاء	٥٠٤٧٨٠	٪ ٦
مولدافيا	٩٥١٦٠	٪ ٣

مجموع السكان المسلمين فى الاتحاد السوفياتي
(٣٩٦٥٥٨٦٠)

مجموع عدد المسلمين فى آسيا ٥٩٦ر٦٣٩ر٤٤٣

(١) احصاء سنة ١٩٧٠.

أوروبـــــا

الاقطـــار	عدد المسلمين	النسبة الى السكان
ألبانيـــا	١٢١٦٠٠٠	٪٧٣
يوغوسلافيا	٢١٠٠٠٠٠	٪١١
قبرص	١٢٠٠٠٠	٪٢٠
مالطـــة	٣٤٠٠٠	٪١١

مجموع المسلمين فى أوروبا بمـــا فى ذلك جاليات أخرى متفرقة غير المذكورة أعـــلاه ٠٠٠ر٤٣٣ر١٦

أمريكا وأستراليا

أمريكا الشمالية	٤٠٠٠٠٠
أمريكا الجنوبية	٣٤٠٠٠٠
جزر الهند الغربية	١٣٦٠٠٠
استراليا	١٠٠٠٠

مجموع المسلمين فى أمريكا واستراليا ٠٠٠ر٨٨٦

مجموع المســـلمين الاجمالى فى العالم كله ٩٤٣ر٣٣٦ر٦١٦ .

ملاحظـــة :

حيث يوجد رقمان أمام البلد الواحد ، اقتضى ذكرهما تضارب المصادر ، أخذنا عند الجمع بالرقم الاكبر .

● نقلا عن خريطة العالم الاسلامى التى أصدرتها مجلة العربى سنة ١٩٦٨ .



د. زكى غيث

« ١ »

فى يوم الجمعة ٢٧ من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ (٢ من شهر أكتوبر ـ تشرين أول سنة ١١٨٧ م) استعاد المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين ، « بيت المقدس » من الصليبيين ، وتسلموا المدينة ، « وليلته كانت ليلة المعراج ، ويَسَّرَ الله عوده الى المسلمين فى زمن الاسراء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ... » (١)

(١) النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين .. المعروف بابن شداد ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

« ٢ »

ما أشبه الليلة بالبارحة ، فإننا اليوم فى حاجة الى بطل كصلاح الدين ليقضى على الشرذمة الباغية اسرائيل ربيبة الاستعمار ، وينتزع « بيت المقدس » من أيديهم ، ويطهره من أرجاسهم وأدرانهم ، وما هذا فيما نعتقد بعزيز إذا خلصت النيات ، وصدقت العزائم ، وتضافرت الجهود . فهل يتحقق الأمل وتحدث المعجزة ؟.

« ٣ »

إن قصة استعادة « بيت المقدس » سنة ٥٨٣ هـ بعد أن ظل يرزح تحت نير الصليبيين احدى وتسعين سنة (٤٩٢—٥٨٣ هـ) تستحق الذكر اليوم ، ففى ذكرها عبرة ، وشحذ للهمم ، واستثارة لنخوة أهل النجـدة والبطولة من أبناء العروبة ، مسلمين ومسيحيين ، فما قصة استعادة صلاح الدين « لبيت المقدس » من الصليبيين ؟ .

« ٤ »

كان انتصار صلاح الدين فى « موقعة حطين » الضربة القاضية على الصليبيين ، فبعد أن استقر الأمر للسلطان صلاح الدين ، واستولى على معظم مـدن السواحل ، وامتلك الأماكن المحيطة « بالقدس » ، شمَّر عن ساق الجد والاجتهاد فى قصد القدس المبارك (٢) ، فسار اليه بعد أن اجتمع اليه الجند الذين كانوا متفرقين فى الساحل ، منتهزا الفرصة فى فتح باب الخير الذى حث على انتهازه بقوله عليه الصلاة والسلام : مَن فتح لـه باب الخير فلينتهزه ، فإنه لا يعلم متى يغلق دونه » (٣) .

« ٥ »

كان « بالقدس » وقتئذ من الصليبيين ستون ألف مقـاتل ، ما عدا النساء والأطفال والسكان الأصليين (٤) وكانوا بدون ملك — لأنه أسِر فى موقعة حطين — فأقاموا « باليان بن بيرزان » صاحب الرملة — وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك — (٥) رئيسا عليهم ، فكان بمثابة الملك . « وكلهم يرى الموت أيسر عليه من أن يملك المسلمون البيت المقدس ، ويرى بذل نفسه ومالـه وأولاده بعض ما يجب عليه فى حفظه » . (٦)

---

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٨ ، والكامل فى التاريخ ، لابن الأثير ج ١١ ص ٢٤٩ ، ومختصر تاريخ العرب ، والتمدن الاسلامى لسيد أمير على ، تعريب رياض رأفت ص ٣٠٦ .

(٥) ابن الاثير ١١ : ٢٤٧ .

(٦) المرجع السابق ١١ : ٢٤٨ .

بهذه الروح التى شعارها التضحية بالنفس والمال والولد استعد الصليبيون داخل المدينة للقاء السلطان صلاح الدين وجنده (٧) الذى كان قد نزل بقواته على القدس يوم الأحد منتصف شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ ، وكان نزوله بالجانب الغربى ، « وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيّالة والرّجّالة ، فدار حول المدينة خمسة أيام يلتمس مكانا ضعيفا ينزل عنده للقتال ، وكانت المدينة فى غاية الحصانة والامتناع » (٨) ، ثم رأى أن الجهة الشمالية أصلح الجهات للقتال ، « فانتقل اليها فى عشرين من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات ، وفى الصباح رمى المدينة وقابلته حاميتها بالمثل فرمته بالمنجنيقات ، وتقاتل الفريقان أشد قتال ، وكان كل واحد من الفريقين يرى ذلك دينا وحقا واجبا » . (٩)

« ٦ »

حمل المسلمون على أعدائهم فأزاحوهم عن أماكنهم حتى أدخلوهم المدينة ، واجتازوا الخندق الى السور ، وأخذوا ينقبونه فى حماية الرماة والمنجنيقات حتى تمكنوا من نقبه ، « وضيق المسلمون على البلد الخناق بالزحف والقتال وكثرة الدماء » (١٠) وأدرك الصليبيون أن أمرهم الى بوار ، وظهرت لهم أمارات نصرة الحق على الباطل ، وظهور المسلمين عليهم ، فوهنت قواهم ، وخمد حماسهم ، ومالوا الى الصلح وطلب الأمان ، فأرسلوا وفدا قابل السلطان صلاح الدين يطلب الصلح والأمان وتسليم بيت المقدس ، فأبى السلطان إلا القصاص ، وقال للوفد : « لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حينما ملكتموه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من القتل والسبى ، وجزاء السيئة بمثلها » . (١١)

« ٧ »

عاد الوفد وقد يئس من استجابة السلطان فطلب رئيسهم « باليان بن بيرزان » الأمان لنفسه ومقابلة السلطان فأجيب الى ذلك ، وحضر وخاطب السلطان فى أمر الصلح ، « واستعطفه فلم يعطف عليه ، واسترحمه فلم يرحمه » (١٢) لأن مذبحة المسجد الأقصى التى ذهب فيها

---

(٧) لم تعطنا المصادر التى بين أيدينا عدد القوات الاسلامية المقاتلة بأكثر من عبارة « جند كثيف » فى الوقت الذى حددت فيه أعداد القوات المقاتلة من الصليبيين ، وهذا من غير شك تقصير كبير .

(٨) ابن شداد ص ١٢٨ وابن الاثير ١١ — ٢٤٨ .

(٩) المرجع السابق ١١ ، ٢٤٨ .

(١٠) ابن شداد ص ١٢٨ .

(١١) ابن الاثير ١١ : ٢٤٨ .

(١٢) المرجع السابق ١١ — ٢٤٨ .

نحو السبعين الفا من المسلمين لا تزال ذكراها الأليمة عالقة بالنفوس ».(١٣)

فلما يئس الرَّجل من استجابة السلطان لضراعته هــدد بتخريب المدينة ، وتقويض أركانها وتدمير كل ما فيها من مقدسات ، والقضاء على كل الأحياء من انسان وحيوان ، فقال له « أيها السلطان ، اعلم أننا فى هذه المدينة فى خلق كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى ، وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان ، ظناً منهم انك تجيبهم إليه كما أجبت غيرهم ، وهم يكرهون الموت ويرغبون فى الحياة ، فإذا راينـــا الموت لا بد منـــه فوالله لنقتلن ابناءنا ونساءنا ، ونحرق أموالنا وأمتعتنا ، ولا نترككم تغنمون منها دينارا واحدا ولا درهما ، ولا تأسِرون رَجلا ولا امرأة ، وإذا فرغنا مـــن ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى (١٤) ، وغيرهما من المواضع ، ثم نقتل مَن عندنا من أسارى المسلمين ، وهم خمسة آلاف أسير ، ولا نترك لنا دابَّة ولا حيوانا إلا قتلناه ، ثم خرجنا إليكم كلنا قاتلناكم قتال من يريد أن يحمى دمه ونفسه ، وحينئذ لا يقتل رَجل منا حتى يقتـــل أمثاله ، ونموت أعزاء ، أو نظفر كراما ». (١٥)

«٨»

كان على السلطان أن ينظر بعين الاعتبار الى هذه الكارثة التى تنتظر القدس إذا أصرَّ على موقفه ، فحكَّم عقله ، وغلبت عليه النوازع الانسانية السامية ، بجانب حرصه على بقاء الأماكن المقدسة التى يكن لها ــ شأنه شأن المسلمين جميعا ــ كل تقدير وإجلال ، ويحترمهـــا المسلمون كافـــة كاحترام النصارى لها ، وكان السلطان يعتقد أن مخلفاتها الدينية يجب أن

---

(١٣) امتلك الصيبيون « بيت المقدس » عنوة فى الثالث والعشرين من شهر شعبان سنة ٤٩٢ بعد حصار نيف على الاربعين يوما ووضعوا السيف فى المسلمين أسبوعا ، والتجأ الناس الى المسجد الأقصى ، فقتلوا فيه ما يزيد على سبعين ألفا ، ووصلت الدماء فى رواق المسجد الى الركب .

(١٤) المسجد الأقصى ، هو بيت المقدس ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى تشد لها الرحال « المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، ومسجد البيت المقدس » وبه الصخرة وقبتها ، والمسجد الأقصى على قرنة البلد الشرقى نحو القبلة ، أما نفس المدينة فهى على فضاء فى وسط الجبال ، وتسمى : القدس الشريف . وأيلياء وأورشليم ، وقد فتحها أبو عبيدة بن الجراح زمن الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٦ هـ ، وطلب أهلها منه أن يتولى الخليفة عمر عقد الصلح معهم بنفسه ، فحضر الخليفة وأنفذ صلحهم وكتب لهم بـــه كتابا ، وكان ذلك سنة ١٧ هـ وصارت منذ ذلك الوقت بيد المسلمين ، ثم استولى عليها الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ ، واستردها صلاح الدين منهم سنة ٥٨٣ هـ ، ثم كانت حرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ م واستولى عليها الاسرائيليون ، والعرب اليوم يبذلون جهودهم فى المحافل الدولية يساندهم المسلمون وانصار الحرية ، فى أرجاء المعمورة ، ويحاولون توحيـــد جبهتهم لانتزاعها من يد مغتصبيها الصهاينـــة أعداء الانسانية ، فعسى أن يكون النصر قريبا باذن الله .

(١٥) ابن الاثير ١١ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

تصان ولا تعبث بها أيدى العابثين ، لهـذا عـدل عن رغبته فى الثـأر والانتقام ، وأجاب القوم الى الصلح بعد مشاورة أصحابه ، « واستقر الأمر بين الفريقين على أن يفدى الرَّجل نفسه بعشرة دنانير غنيا أو فقيرا ، والمرأة بخمسة دنانير ، والطفل من الـذكور والأناث بدينارين ، وأمهلهم أربعين يوما للوفاء ، وبعدها يصبح العاجزون أرقَّاء » (١٦) وتعهَّد السلطان من جانبه بسلامة كل من يفدى نفسه حتى يصل الى مأمنه ، فى صور أو طرابلس . (١٧)

((٩))

تسلَّم المسلمون القدس فى يوم الجمعة ٢٧ من شهر رجب سنة ٥٨٣هـ « وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن المجيد ــ فانظر الى هذا الاتفاق العجيب ــ كيف يسَّر الله عوده الى أيدى المسلمين فى مثل زمن الاسراء بنبيهم ــ صلى الله عليه وسلم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى » (١٨) وقد كان فتحا عظيما فرح به المسلمون وبادروا برفـع الأعلام على الأسوار والشرفات بين مظاهر الفرح والسرور والابتهاج ، « وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير » (١٩) شكراً لله وتقديراً لجهود السلطان .

((١٠))

ومما يثير الاعجاب أن السلطان صلاح الدين احترم شعور المغلوبين ، فلم يدخل المدينة بجيشه الجرّار إلا بعد أن غادرها جميع الصليبيين ، فدخلها يحف به الأمراء ، وأشراف دولته الذين قدموا لتهنئته على هـذا النصر المبين ، (٢٠) إذ كان فتح القدس فتحاً عظيماً « شهده من أهل العِلم خلق ، ومن أرباب الحذق والزهد عالم ، وذلك أن الناس لمَّا بلغهم ما يسَّره الله تعالى على يده من فتح الساحل ، وقصد القدس ، قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلَّف أحد منهم ، وصلِّيت فيه الجمعة يوم فتحه ... ونصر الله الاسلام نصر عزيز مقتدر)) (٢١) .

((١١))

وهكذا استطاع السلطان صلاح الدين بصدق ايمانه ، وقوة يقينه ، وما يكنه قلبه الكبير للبيت المقدس وغيره من الآثار المقدسة اسلامية وغير

---

(١٦) ابن الاثير ١١ ، ٢٤٩ وابن شداد ص ١٢٩ ويذكر أنه قرر على الطفل من الجنسين دينار واحد .

(١٧) ابن شداد ص ١٣٠ وسيد أمير على ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(١٨) ابن شداد ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .

(١٩) المرجع السابق ص ١٢٩ .

(٢٠) سيد أمير على ص ٣٠٨ .

(٢١) ابن شداد ص ١٢٩ .

اسلامية من احترام وتقديس ، أن يفوز بشرف استعادة « بيت المقدس » من أيدى الصليبيين بعد احدى وتسعين سنة من امتلاكهم له سنة ٤٩٢ هـ ، وتلك مكرمة « لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه غير صلاح الدين ــ رحمه الله ــ وعاد الاسلام بالقدس غضاً طرياً .. » (٢٢) وسقطت عاصمة مملكة الصليبيين اللاتينية ، وتقوّضت دعائم ملكهم بالشرق ، وتمكن صلاح الدين من الاستيلاء على معظم المدن الفرنجية فى الشام وفلسطين ، « وكأنما روح الجهاد التى يظهر أن الصليبيين فقدوها قد سرَت فى بطل الاسلام العظيم فدفعته يواصل انتصاراته فى الشمال حتى اللاذقية ، وفى الجنوب حتى الكرك والشوبك ، ويستولى على كل المدن التى كانت تحزّ فى جنب المسلمين قبل خاتمة سنة ١١٨٩ م » (٢٣) .

« ١٢ »

وقد حاولت جيوش الفرنج بكل ما أوتيت من قوة أن تنتزع « بيت المقدس » من يد السلطان صلاح الدين ، غير أنهـــا لم تستطع الى ذلك سبيلا ، وكانت سيوفهم تتكسر الواحد إثر الآخر على صخرة « وحـــدة العرب » التى أرسى قاعدتها صلاح الدين (٢٤) فما أحوَجنا اليوم الى وحدة الصف ، وخوض معركة تحرير القدس جبهـــة واحدة ، فلعلنا « بقومية المعركة » نستطيع إنقاذ « بيت المقدس » من يد عصابة صهيون ، حتى تعود له قدسيته ، وتصان حرمته من العبث والمجون ، ويحفظ من التخريب والتدمير بالاحراق تارة ، والهـــدم تارة أخرى .

« ١٣ »

وبعد : فذلك يوم من أيام الاسلام تم فيه النصر على يد بطل الاسلام العظيم السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ذكرناه ليكون نداءً من القلب لأبناء العروبة قاطبة ليهبوا فى عزم وقوة وإيمان لانقاذ « بيت المقدس » من يد شرذمة الصهاينة شذّاذ البشرية ، فذلك واجب دينى وإنسانى ، وبالتالى ليكون مساهمة إيجابية من مجلة « الوعى الاسلامى » فى دعوة العرب ، وسائر المسلمين ، وأنصار الحرية فى سائر أقطار الأرض للقيام بهـــذا الواجب المقدس فى الـــذكرى القادمـــة ان شاء الله تعالى ، وذلـــك الواجب المقدس بمناسبة الذكرى المجيدة « لليلة الاسراء والمعراج » عسى أن تكون بشيرا بعودة « بيت المقدس » فى الذكرى القادمة إن شاء الله تعالى ، وذلك هو الجهاد الذى يثيب عليه المولى بالمنزلة العظيمة عنده ، وبالفوز والرحمة والرضوان والجنَّة . « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنَّات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً إن الله عنـــده أجر عظيم » (٢٥) .

---

(٢٢) ابن الاثير ١١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٢٣) تاريخ العرب لفيليب حتى تعريب المرحوم محمد مبروك نافع ــ المجلد ٣ ص ٨٣٩ ، الطبعة الثانية ١٩٤٩ .

(٢٤) صلاح الدين الأيوبى للدكتور جمال الدين الرمادى ص ٧٩ « كتاب الشعب ٢٥ ».

(٢٥) سورة التوبة آيات ٢٠ ــ ٢٢ .

من وحي الاسراء والمعراج في الظروف الأليمة الحاضرة

ليس فى تاريخ البشرية حادث يستحق الاكبار والاعجاب ، والتقديس والتقدير كحادثة الاسراء والمعراج رمز الحفاوة والتكريم لرسول الاسلام محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله .

وقعت هذه الرحلة الالهية فى شهر رجب الأصم الحرام بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة الى المدينة بعام واحد فى ليلة واحدة ، هى ليلة السابع والعشرين من رجب بالجسد والروح الشريفين معا دون انفصال ، وفى حال اليقظة بالاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فى بيت المقدس ، ثم بالعروج من فوق الصخرة المشرفة الى السموات السبع العلى سماء بعد سماء ، وطبقا عن طبق ، الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، حيث سمع صرير الاقلام ، وكلمة الله فى مكان وكيفيته تقاصر العقل البشرى عن تحديدهما للبعد عن الوقوع فى التجسيم والتشبيه للخالق ، وتنزيها له عن مشابهته للحوادث المخلوقة ، واعتقادا بنفى الجهة المحددة لله تعالى .

وستظل هذه الحادثة الفذة حتى فى عصرنا الحاضر ــ عصر ارتياد الفضاء واطلاق الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية ــ مبعث ايمان بالغيب ، ومثلا أعلى للتحدى الالهى للانسان أمام قدرة الله الخارقة الخلاقة التى تذعن لها الموجودات بأسرع مما نحس ونتصور ، سبحانه وتعالى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون .

فالأقمار الصناعية ــ كما هو معروف ــ تعتمد على صنع الانسان من الماديات التى تفتح عنها عقله وسخرها فى أعمال جبارة معقدة ، أما واقعة المعراج فتعتمد على قوة خفية علوية قد تكون بالاستعانة بالملائكة ، أو بغيرهم مما أخبر عنهم الله تعالى بقوله ((**ويخلق ما لا تعلمون**)) ومنها دابة البراق ناقلة رسول الاسراء .

ثم أن المعراج بما اشتمل عليه من توفير ظروف الحياة الطبيعية

للدكتور وهبة الزحيلي

للرسول محمد عليه السلام يعتبر أوقع مما حدث لسيدنا عيسى عليه السلام من رفعه الى السماء ، وما سيحدث من نزوله فى آخر الزمان وذلك لما فى المعراج من سرعة الانجاز ووجازة المدة ، وفى حال الحياة والوعى التام الذى استؤنف من بعده فورا نشاط الداعية الأكبر ، مع ما فى رفع السيد المسيح من اختلاف بين المفسرين : أكان عندئذ حيا ، أم بعد الوفاة .

وسواء آمن علماء المادة والطبيعة والناس فى كل زمان بالاسراء والمعراج أم لم يؤمنوا ، فان مصادرنا الموثوقة تجعلنا نؤمن بالاسراء يقينا وبالمعراج فى أغلب الظن الراجح الوقوع بصحبة جبريل الامين الجليل الرائد ، وانى بالتفصيل لا أتعرض فى مقالى هذا لاثبات الحادث واقامة البراهين النقلية والعقلية على وقوعه ، اكتفاء بما سيتعرض له غيرى من أفاضل الكتاب فى هذا العدد الخاص من المجلة الغراء ..

والتزم القول بأن هذا الحادث هو معجزة النبوة ومؤيداتها الغيبية الالهية التى تفوق تصور العقل البشرى المحدود والمنطق الطبيعى البحت والقانون المادى المحسوس ، وذلك بما يوفره الاله القدير لبعض أصفيائه من عجائب المعجزات وخوارق العادات : ((**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام**)) .

ففى الاسراء نزل قوله تعالى : ((**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**)) .

وفى المعراج قوله سبحانه : ((**والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . أن هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فأستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى**)) .

والتفاسير غنية ببيان المراد من هذه الآيات .

وفى السنة النبوية أحاديث مستفيضة كثيرة فى هذا الموضوع كادت تبلغ درجة التواتر وتضافرت كتب السيرة والتاريخ الثقات على تفصيل وبيان هذا الحادث الجليل .

والذى يهمنا الآن ما تثيره ذكرى الاسراء والمعراج من معان عميقة ذات دلالة وعبر وعظات بينات :

١ ــ لقد كانت مقابلة النبى محمد للأنبياء ــ وهم أحياء عند ربهم يرزقون على نحو لا نعلم طبيعة تلك الحياة ــ وامامته بهم جميعا عليهم السلام فى المسجد الأقصى ، كانت تتويجا لرسالات الأنبياء والرسل بالاكمال واتمام البناء والسمو وتحقيق الغبطة وافراغ السعادة على قلوبهم .

كما أنها كانت اظهارا لفضل الاسلام ، وأنه مجمع المحاسن الدينية الالهية كلها ، وملتقى القيم الثابتة المستقرة والفضائل جميعها ، حتى انه بوىء بعدئذ أن يكون هو وحده الدين المقبول عند الله تعالى الى يوم القيامة **« ان الدين عند الله الاسلام »** .

وأثبت الواقعة أيضا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قائد الرسل الكرام حقا ، وخاتم الأنبياء ، وخيرة الأصفياء **« قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى »** .

أفلا يجدر بنا اذن أن نجعل هذه الذكرى عيدا للمسلمين ؟ ! قال البوصيرى بمناسبة الاسراء :

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك فى علاك، وقد حا ... ل سنا منك دونهم وسناء

٢ ــ كانت حادثة الاسراء والمعراج اعدادا قويا للقائد الخالد الذى يقود الأمة بطاقة جبارة من الصبر والتصميم والكفاح ، كما كانت ترفيها روحانيا عميقا ، وتكريما للنبى ، وتثبيتا وطمأنة له بأن الله ناصره ومؤيده وعاصمه من الناس .

بل فيها تعويض عن الآلام والشدائد التى عاناها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايذاء قومه فى مكة ، واضطهاد ونبذ قبيلة ثقيف أثناء هجرته الى الطائف ، حتى انه وقف شاكيا متضرعا الى الله من جور الأعداء ، غير عابىء بالصعاب اذا كان الله وحده راضيا عنه .

وفى ذلك ما فيه من معان رائعة تجلت آثارها فى الاسراء والمعراج حيث أشرقت الروح وسمت النفس ، وترفعت عن مختلف الأهواء ، وأوضار المادة ومآسى الدنيا الفانية .

٣ ــ ان الهدف من جعل المسجد الأقصى مقرا للاسراء والمعراج هو تقديس هذا المكان وما جاوره ، لأن الله تعالى بارك حوله حسيا بما يكتنفه من الماء والخضرة والأشجار الباسقة والزرع اليانع والضرع الغزير ، ومعنويا بنزول الأنبياء فيه وزيارتهم له مرارا ، فهو ملتقى الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحى السماوى .

وكان فى الاسلام أيضا أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، ومن هنا تتجلى وحدة الأهداف الكبرى لديانات السماء ، والحرص على التقائها عند مبدأ التوحيد الخالص لله عز وجل ، وتثبيت معانى الوحدة والاخاء بين جميع الأنبياء : **« لا نفرق بين أحد من رسله »** ثم الاخاء والاتحاد

الذى يربط المسلمين بجميع أجزاء الوطن الاسلامى ، دون تفرقة بين مكة والمدينة والقدس مسرى النبى العظيم ومعراجه .

كما أن ذلك ايذان بوسطية الاسلام بين الديانات ، حيث لا غلو فى النزعة المادية أو المعنوية ، وانما هناك توسط بين مادية اليهود الطاغية ، وروحانية النصارى ، وأن أمة الاسلام وسط ، عدول شهود على الأمم السابقة ، ونبى الاسلام أوتى قوة موسى ، وزهد عيسى ، وجدل ابراهيم ، وصبر أيوب ، وما امتاز به كل نبى من الخصائص البارزة .

٤ ــ تمخض الاسراء والمعراج عن بلورة الصف الاسلامى واظهار المؤمنين حقا ، ومعرفة موقف ضعاف الايمان والمنافقين وأعداء العقيدة ، وذلكم هو المقصود بالفتنة فى قوله تعالى : **((وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس))** قال ابن عباس رضى الله عنهما « هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى بيت المقدس » .

فبتحديث الرسول عليه السلام الناس عما رأى فى القدس وغيرها ازداد عتو الكافرين وانكار الجاحدين الذين تسيطر عليهم العقلية المادية الجافة ، فقالوا : « هذا والله الأمر البين ، والله ان العير لتطرد ــ تتابع سيرها ــ شهرا من مكة الى الشام مدبرة ، وشهرا مقبلة ، أيذهب محمد ذلك فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة ؟ » وأرتد كثير ممن أسلم .

وكان لموقف أبى بكر رضى الله عنه بتصديقه الرسول على الفور أثر كبير فى نفوس الأصحاب والأعداء ، حتى انه استحق من ذلك الوقت لقب « الصديق » .

ولا يخفى أن معرفة الخلص من الأعوان أساس كبير فى نجاح الدعوات الاصلاحية التى تتطلب جهادا وتضحية وصبرا وثباتا على المدى الطويل .

قال ابن القيم فى زاد المعاد : « فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى ، فاشتد تكذيبهم له ، وأذاهم واستضرارهم عليه ، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس فجلاه الله له حتى عاينه فطفق يخبرهم عن آياته ، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئا ، وأخبرهم عن عيرهم فى مسراه ورجوعه وأخبرهم عن وقت قدومها ، وأخبرهم عن البعير الذى يقدمها ، وكان الأمر كما قال ، فلم يزدهم ذلك الا نفورا ، وأبى الظالمون الا كفورا » .

٥ ــ لقد كان هذا الحادث اظهارا مضمونا لنتائج الطاعة والمعصية فى ضوء نظام الاسلام ، فقد مثلت للرسول صلى الله عليه وسلم فى طريقه صور مادية رهيبة ، وأوضاع مجسدة للفضائل الانسانية ، والانحرافات الأخلاقية والاجتماعية . فمن ذلك صورة أعداء المجتمع الانسانى وهم مانعو الزكاة ، وصورة مصاصى دماء الشعوب وهم أكلة الربا كاليهود فى العالم ، وحالة الطامعين العتاة وهم أكلة أموال اليتامى ظلما ، وأعوان السوء

ووسطاء الفاحشة وسماسرة الأعراض وهن اللاتى يدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

ومن الصور أيضا صورة أعداء النظام وقاطعى الصلة الوثقى مع الله تعالى وهم المتثاقلون عن أداء الصلوات المفروضة وتاركو الصيام .

ومن أهم هاتيك الصور حالة المجاهدين حيث رأى الرسول فى مسراه قوما يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال عليه السلام « يا جبريل من هؤلاء ، فقال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف » .

فكان هذا التمثيل المادى العنيف للمعانى من أجل اصلاح المجتمع ، وصيانة الأخلاق الانسانية ، ومحاربة الأوضاع الفاسدة فيه ، ولفت النظر الى طريق البناء الداخلى للفرد والمحافظة على كيان الجماعة .

٦ ــ الاسراء والمعراج ــ وهذا بيت القصيد اليوم ــ حافز أساسى دائم للمسلمين والعرب يستصرخ الهمم الفاترة والعزائم الراكدة لتسترجع الفردوس المفقود ، وتحمى الأراضى المقدسة ، وتطرد الدخيل ، وتدحر الغاصب الطامع ، وتجاهد العدو ، وتصد المعتدين اليهود وأعوانهم المستعمرين .

لذا يبدو أنه قد تحول عيد الاسراء والمعراج الى مأتم كبير لا من أربع سنوات فحسب عام ١٩٦٧ ، وانما لأكثر من عشرين سنة فى عام ١٩٤٨ حيث احتل الصهاينة فلسطين ، وكنا مع الأسف ننتظر المزيد ، والآن هل حرمة الأقصى باقية أو هل شرف الصخرة قائم ؟ ! بل هل هناك عزة لعربى ؟ !

حقا ان الصهاينة اليهود ليسوا جديرين بحماية المقدسات فى بيت المقدس لعدائهم الدفين ، وحقدهم البغيض على الناس جميعا ، ولعنصريتهم الواضحة فى الماضى والحاضر ، فهم أعداء الحضارة والانسانية ، وموقدو الحروب ، ومفسدو الأمم ، ومحركو الفتن والدسائس والقلاقل والاضطرابات .

فهم مثلا الآن يجثمون على جوانب الأقصى ، ويربضون على هاماته ، ويعبثون بمقدساته ، ويضيقون الخناق على الرواد والعباد والناسكين والركع السجود ، ويصادرون الحريات ، ويكبتون صوت الحق والضمير ، ويهدمون برج العدل ، وينشرون الحقد الأسود كالأفاعى الرقط . فأين هذه الخصائص من مبادىء صاحب الاسراء والمعراج فى التسامح والمحبة والسلام والرحمة العامة بالناس ، والتى التزمها المسلمون قانونا ، ووفروها فعلا لأتباع الديانات الأخرى طيلة أربعة عشر قرنا ؟ !

٧ ــ الرسالة الاسلامية ، ووقوع الاسراء لرسولها ، وضمها جناحى القبلتين فى مهدها تثبت أنها رسالة حق وعدل ومدنية وسلام وانسانية . أما الصهيونية القابعة فى فلسطين فهى على نقيض كل ذاك ، بل تستهدف استعمار الوطن العربى ، والقضاء على رسالتنا الانسانية بما تثيره من

فتن ودسائس ، وتنشره من مفاسد وشرور ، وبما ترتكبه من حروب واعتداءات متكررة ، بالاضافة الى تنكرها للقيم الروحية الأصيلة ، والتراث الحضارى الانسانى والحقوق المشروعة لعرب فلسطين .

وأن محاولة يهود الآن تهويد الخليل والقدس بكاملها شكلا وموضوعا واحراقهم المسجد الأقصى ، وقيامهم بالحفريات فى أرض الحرم الشريف والمقدسات الاسلامية لهى أكبر برهان على عنصرية اليهود وعدائهم للأمم الأخرى وأتباع الديانات السماوية . فقد جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون ــ الرابع عشر منها قولهم : « حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أى دين غير ديننا .. يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ، واذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا اثمار ملحدين ... وسيفضح فلاسفتنا كل مساوى الديانات الأممية « غير اليهودية » ، ولكن لن يحكم أحد أبدا على ديانتنا من وجهة نظرها الحقة » وفى البروتوكول السابع عشر يقولون : « وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين « غير اليهود » فى أعين الناس ، وبذلك نجحنا فى الاضرار برسالتهم التى كان يمكن أن تكون عقبة كئودا فى طريقنا » .

فاليهود اذن يسعون بكل ما فى وسعهم لهدم الأديان وتحقير علماء الدين والعبث بالثقافات ، ونشر الالحاد ، ونسف الايمان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب دوركايم والشيوعية والوجودية ومذهب التطور والسريالية .

وفى مقابل ذلك ينبغى العلم بأن الصهيونية حركة سياسية تتستر بشعار الدين لتستخدم اليهود فى العالم لمطامعها الاقتصادية وتهدف اسرائيل من التدريس الدينى فى الجيش اليهودى الى تطبيق شعار « التوراة والسيف نزلا معا من السماء » .

كذلك مهمة الصهيونية افساد الأخلاق ، والاستخفاف بالقيم الاخلاقية وهدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الانسان فى جميع الأزمان ، يقول حكماء صهيون فى البروتوكول الثانى : « والأثر غير الاخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى « غير اليهودى » سيكون واضحا لنا على التأكيد » وفى البروتوكول الخامس : « لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية بنشر العصبيات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا » وفى البروتوكول الأول : « ان السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شىء » وفى البروتوكول التاسع : « ولقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن الملقنون لها » .

ويعتمد اليهود من أجل تحقيق أغراضهم الخبيثة السالفة الذكر وغيرها على الرأسمال الضخم والبنوك الكبرى ، والاحتكارات الصناعية والتجارية ، ففى البروتوكول الخامس : « يجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة ليكون لرأس المال مجال حر » .

وفى البروتوكول السادس « سنبدأ سريعا بتنظيم احتكارات عظيمة ـ هى صهاريج للثروة الضخمة ـ لتستغرق خلالها دائما الثروات الواسعة للأمميين « غير اليهود ... » وفى البروتوكول الثامن : « اننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين ... » .

والهدف الكبير للصهيونية هو قيادة العالم بالقوة والمال والخداع ، ففى البروتوكول الخامس : « نحن أقوياء جدا ، فعلى العالم أن يعتمد علينا وينيب الينا ، وأن الحكومات لا تستطيع أبدا أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سرا » .

ولا ننسى واقع قيام اسرائيل بالاعتماد على الدكتاتورية والارهاب والبطش والوحشية والتنكيل بما قامت به من مذابح كثيرة فى فلسطين وبما تقترفه الآن من جرائم وحشية فى حق السكان العرب لاجبارهم على النزوح ، جاء فى البروتوكول الأول : يجب أن يكون شعارنا : « كل وسائل العنف والخديعة » وفى البروتوكول التاسع « اننا مصدر ارهاب بعيد المدى » .

واعتمادهم على القوة أمر واضح من حروبهم الثلاث الأخيرة : عام ١٩٤٨ م ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ جاء فى البروتوكول الأول « ان حقنا يكمن فى القوة ، وكلمة الحق فكرة مجردة قائمة على غير أساس » وفى البروتوكول السابع « ان ضخامة الجيش وزيادة القوة البوليسية ضروريتان لاتمام الخطط السابقة الذكر » .

ومذهب اسرائيل العسكرى الآن هو : أن اسرائيل لن تحارب الا مرة واحدة ، وأن الهزيمة فى اسرائيل تعنى الزوال ، ويعتقد الاسرائيليون أن العمل العسكرى هو الحل الأمثل أمام يهود العالم للتخلص من الأزمة الاقتصادية ، وإلباس هذا العمل ثوب القداسة ، لأنه فى عرفهم يحقق الأهداف القومية والروحية لليهود .

ولقد تركت الصهيونية والعقلية الاسرائيلية فى المجتمع الاسرائيلى نزعة دائمة وعميقة من الحقد الجماعى فى جميع مرافق حياة المجتمع . وغالب احصاءاتهم تؤيد الافناء الكامل للعرب المقيمين فى اسرائيل فى حالة صراع مسلح مع الدول العربية . وكل شىء فى اسرائيل مسخر لغرض الحرب ، وموجه لخلق أمة محاربة .

وقسوة حروب اسرائيل وعنفها له رصيد كبير فى كتابهم العهد القديم ، ففى الاصحاح الثالث عشر من تثنية الاشتراع : « فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ، تجمع كل أمتعتها الى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب الهك ، فتكون تلا الى الأبد لا تبنى بعد : ١٥ ، ١٦ » .

فأين هذا من وصايا قادة الاسلام أتباع رسول الاسراء والمعراج ، جاء فى وصية أبى بكر لقائده يزيد : « وانى موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ، ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن

شاة ولا بعير الا لماكلة ، ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ، ولا تغلل ولا تجبن » .

وخلاصة القول : أن الثالوث الخبيث « الاستعمار والصهيونية واسرائيل » يمثل خطرا كبيرا على العرب فى كل المجالات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والوطنية ، وتمثل الصهيونية بالذات خطرا على الانسانية كلها فى العقيدة والأخلاق والدين .

واليهود فى كل وقت هدامون مخربون عنصريون مغالون يرون أنهم وحدهم أحق الناس بسيادة العالم أجمع والاستيلاء والسيطرة عليه بالقوة والمال ، وهم الآن فى اسرائيل يمارسون أحط صور وأشكال العنصرية البغيضة ضد السكان العرب .

فاذا كانت هذه مبادئهم ، وتلك هى مبادىء صاحب الاسراء والمعراج ، فمن هو الأحق بفلسطين ان كان للحق صوت يسمع وأهل يذودون عنه ؟!

واذا كان الواقع الأليم فى فلسطين يقطع الأكباد والانفاس ، فاننا نأمل من قادتنا أن يعملوا ويخططوا ويعدوا أنفسهم وجيشهم لمعركة فاصلة يتهيأ اليهود لها دائما وأبدا ، لا أن يغفلوا أو يتغافلوا ، ولا أن ينخدعوا أو يخدعوا ، فقد أيقن كل الناس أن لا سبيل لاسترداد حقوقنا المغتصبة وأرضنا المقدسة الا بحرب شاملة مدمرة نكون نحن — لا اليهود — فرسانها وقادتها وسادة موقفها ، فشرف الاسلام أرفع من أن يعدو عليه حفدة القردة والخنازير ، وادخال الاسلام وجنده أو وحدة العرب سبيل نصر محقق باذن الله .

قال المعلقون العسكريون على هزيمة ١٩٦٧ « ان هزيمة اسرائيل ممكنة ، فقد ارتكبت خلال عمليات حرب ١٩٦٧ مجموعة من الأخطاء الاستراتيجية والعمليات التكتيكية كان يمكن أن تجعل من نصرها هزيمة ، لو كان فى الطرف العربى المقابل تفكير استراتيجى عسكرى موحد ، وقيادة عملياته واحدة ، وتصميم على النصر . اننى أكاد أقول : ان اسرائيل — فى حرب ١٩٦٧ لم تأخذ النصر كله استراتيجيا وعسكريا وحدها ، وانما نحن الذين أعطيناها بعض أسباب ذلك النصر — وأن الدراسة اعتبرت احتلال الاراضى العربية وتغيير معالمها بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ والنتائج التى انتهى اليها هذا العدوان أمورا عارضة ليست ذات قيم ومعايير ثابتة » .



مائدة القارئ

اجر المجاهدين

من حديث الاسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى مسراه قوما يزرعون فى يوم ، ويحصدون فى يوم ، وكلما حصدوا عاد كما كان ، فقال عليه السلام : يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف .

ابو طلحة الأنصارى

قرأ أبو طلحة الأنصارى سورة براءة حتى بلغ هذه الآية : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » فقال : خفافا وثقالا . شبانا وكهولا . جهزونى للجهاد ، فقال بنوه : يرحمك الله ، قد غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبى بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ، قال : لا جهزونى . فجهزوه للحرب ، فغزا فى البحر ، فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة أيام ، فدفنوه فيها رضى الله عنه .

ام المساكين

أرسل عمر بن الخطاب الى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها — وكانوا يلقبونها بأم المساكين — نصيبها من العطاء ، فلما دخل عليها حامل المال ، قالت : غفر الله لعمر . غيرى من أخواتى أقدر على قسم هذا منى . فقالوا : هذا كله لك . قالت سبحان الله ، واستترت بثوب ، ثم قالت : صبوه ، واطرحوا عليه ثوبا ، ثم قالت لجاريتها أدخلى يدك ، فاقبضى منه قبضة ، فاذهبى بها الى بنى فلان وبنى فلان من أهلها ورحمها ، فقسمته حتى لم يبق منه شىء .

حصنها بالعدل

طلب أحد الولاة من الخليفة عمر بن عبد العزيز مالا يبنى به سورا حول عاصمة ولايته ، فرد عليه عمر : وماذا تنفع الأسوار ؟ حصنها بالعدل وطهرها من الظلم .

العمل لا الأمانى

روى أن مجلسا ضم جماعة من المسلمين والنصـــارى واليهود ، فزعمت كل جماعة منهم أنهم أولى الناس بدخول الجنة .

اليهود قالوا : نحن أتباع موسى الذى اصطفاه اللــه برسالاته وبكلامه .

والنصارى قالوا : نحن أتباع عيسى روح الله وكلمته .

والمسلمون قالوا : نحن أتباع محمد خاتم النبيين وخير أمة أخرجت للناس ، فنزل القرآن الكريـــم يخاطب المسلمين بحكمـــه الفصل : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا .

رجل ايجابى

كان لثرى مصانع ومتاجر أصابتها النار ، فأتت عليها ، وقدرت الخسائر بالألوف ، وكان هذا الثرى فى السنين الأخيرة من عمره ، وليس له قوة الشباب ولا أمل الشباب ، وكانت ثروته الضائعـــة ثروة العمر ، وجاءه رجل يواسيه ويسأله عن أسباب الكارثة ، فأجابه : لست أفكر فى شىء من ذلك ، وانما يملك على كل فكرى : ماذا أنا صانع غدا .

القـــــدس

فى شعر أحمد شوقى أمير الشعراء

بلد على أرض الهـــدى وسمائه
المجـــــد حائطه ورأس بنائـــه
بلد بنـــوه الأكـــــرمون قبورهم
وقصورهم وقف على نزلائـــــه

ما قل ودل :

- لا تكن ممن يلعن إبليس فى العلانية ، ويواليه فى السر .
- ليست الحياة أن تتنفس ، ولكن أن تعمل .
- اذا أصبت لم يذكرك أحد ، واذا أخطأت ذكرك جميع الناس .
- من فعل ما شاء لقى ما ساء .
- العجز عجزان : التقصير فى طلب الشىء وقد أمكن ، والجـــد فى طلبه وقد فات .

التميز العنصري في اسرائيل

من عوامل ضعف اسرائيل التمييز العنصرى الذى تعانيه داخل بلادها .

هناك تمييز فى اسرائيل بين اليهود الشرقيين وبين اليهود الغربيين ، وهناك تمييز بين اليهود الشرقين أنفسهم ، فمنزلة يهود العراق مثلا أرفع من منزلة يهود اليمن .

وهناك تمييز بين الغنى من اليهود الشرقيين وبين الفقير منهم ، وهناك تمييز بين اليهود الغربيين أيضا ، فيهود أمريكا اللاتينية ليسوا كيهود أوروبا أو الولايات المتحدة الامريكية .

وعلى العموم ، فالوزراء وكبار موظفى الدولة وقادة الرأى وقادة الفكر ومناصب المعامل الكبرى والمصارف كلها لليهود الغربيين .
أما اليهود الشرقيون فلهم المناصب الصغيرة والمراكز الحقيرة ، عمالا وفراشين وكتبة صغارا . ولليهود الغربيين مناطق السكن الممتازة فى المدن الكبيرة والمستعمرات المنظمة ، أما اليهود الشرقيون فلهم الصحراء القاحلة فى النقب والاراضى الصخرية الجرداء .

ولليهود الغربيين المعامل الضخمة والمصارف الكبيرة والمزارع النضرة والبيارات الواسعة ، أما اليهود الشرقيون فلهم التعب والشقاء والعرق والدموع .

واليهودى الغربى يعاونه اليهود الغربيون فى تسلم المناصب المرموقة، وفى امتلاك المزارع والمصانع والبنايات .

واليهودى الشرقى . لا يصادف غير العراقيل والمشكلات من أرباب السلطة الغربيين . والخلاصة أن اليهودى الشرقى يلاقى اضطهادا ملموسا من اليهودى الغربى .

هذا التمييز بين اليهود الغربيين ، وبين اليهود الشرقيين ، وهذا الاضطهاد المكشوف الذى يلاقيه اليهود الشرقيون من اليهود الغربيين ، قد أدى الى تذمر اليهود الشرقيين والى أصابتهم برد فعل نفسى بعد تجربتهم القاسية التى عاشوها فى اسرائيل — حلمهم المنشود — ومحاولتهم بشتى الطرق الهرب من جنتهم على الارض ، أرض الميعاد الى أى أرض فى الدنيا .

لقد جندت أجهزة اعلام يهود كل امكاناتها وطاقاتها ، لاغراء يهود العالم على الهجرة الى اسرائيل وقد آمن يهود الشرق بدعايات اليهود المضللة ، واستجابوا لوعودها البراقة ، فتركوا بلادهم وهاجروا الى اسرائيل .

وحين استقر بهم المقام ، اكتشفوا أنهم كانوا ضحية لوعود كاذبة وادعاءات مختلقة ، ولكن اكتشافهم هذا جاء متأخرا بعد أن أطبق عليهم المسيطرون على اسرائيل أبواب سجنهم الكبير .

لقد ندم هؤلاء على هجرتهم ، ولات ساعة مندم ، والذين استطاعوا الهرب من سجن اسرائيل الكبير ، ذكروا العجائب عن ظلم يهود لاخوانهم يهود .

حاول بعض اليهود الشرقيين الهرب من اسرائيل منذ كانت الجيوش العربية فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، وقد اخترق بعضهم الحدود العربية — الاسرائيلية ، ولكن ظروف الحرب حينذاك كانت تلقى ظلالا كثيفة من الشك على أسباب هروبهم ، وكان العقل يتطلب فرض أسوأ الاحتمالات فى مثل تلك الحالات .

وحدثنى أحد الضباط الذين كان من واجبهم ملاقاة بعض ضباط اسرائيل على خطوط الهدنة بحضور ممثلى هيئة الأمم المتحدة لحل بعض المشكلات فقال : (كان مع الضابط الاسرائيلى جندى ، وحين رآنى سألنى :

ألا تعرفنى يا سيدى) فقلت له : لا أتذكرك ، فمن أنت ؟ فقال : أنا ابن الصائغ فلان فى سوق السراى من بغداد ، وأهلك يصوغون عند والدى ، وقد حضرت أنت كثيرا الى دكان والدى برفقة أخواتك وأمك . وتذكرته فعلا ، فسألته : كيف حالك ؟ فقال . موت يا ليتنى أعود الى بغداد بأى ثمن .

ان تذمر اليهود الشرقيين فى اسرائيل لم يعد سرا ، وقد وصلت أخباره الى المؤسسات الدولية مثل مؤسسة حقوق الانسان التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، فقد استلمت هذه المؤسسة كثيرا من شكاوى المواطنين الاسرائيليين يطالبون فيها بنجدتهم على النطاق الدولى للتخلص من جحيم اسرائيل .

ولم يقتصر التذمر على اليهود الشرقيين ، بل شمل اليهود الغربيين ايضا ، وخاصة الفقراء منهم .

ان مد التمييز العنصرى والتفرقة العنصرية طاغ فى اسرائيل ، واسرائيل تغلى كالمرجل على الرغم من أجهزة اعلامها التى لا تسكت ليلا ولا نهارا .

ان الغنم فى اسرائيل لليهود الغربيين ...

والغرم فى اسرائيل على اليهود الشرقيين .

وليس فى اسرائيل مكان لمبدأ : الغنم بالغرم ، أو الغرم بالغنم . ان المبدأ السائد هناك ، هو مبدأ : المال ، فمن كان له مال وله سند من عصبية عاش بسلام .. والا فله العرق والدموع والصحراء .



● عن « طريق النصر » للواء الركن محمود شيت خطاب

أكذوبة الحدود الآمنة

تتعمد دولة العدوان الصهيونى ايهام الرأى العام العالمى بأنها ترفض الانسحاب من الاراضى العربية التى احتلتها اثر حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ بسبب تصميم العرب على ازالتها من الوجود ضمن مخطط صهيونى للاستئثار بمكاسب جديدة تضمن لها المزيد من التوسع بعد أن تكون قد ضمنت كسب عطف المسئولين فى الدول الكبرى ، وأثارت شفقة الشعوب التى تتفاعل مع محنة اليهود خلال الحرب العالمية الثانية بعد تعرضهم للمذابح النازية ، والتى يحاول الاعلام الصهيونى الاعتماد عليها فى كل خطوة تستلزم الكسب الاقتصادى أو السياسى أو العسكرى .

مناورات الصهيونية فى اثارة المغالطات والمتناقضات حول الحدود الآمنة أصبحت سياسة واضحة للزعماء الصهاينة التى تعمل على تحويل قضية الاحتلال الى أمر واقع لا تستطيع الدول الكبرى بعد ذلك تغييره ، كما حدث بعد حرب ١٩٤٨ وما تبع ذلك من غزوات صهيونية حققت للدولة العدوانية الهدف الذى تسعى اليه من توسع .. واحتلال ..

ان سياسة الزعماء الصهاينة هى عدم الكشف بوضوح عن أطماعهم التوسعية بغية تجنب الاستنكار العالمى ، وسخط الشعوب التى تتطلع الى السلام .. لذلك فهم يلجأون الى مناورات جديدة فيتقدمون كل فترة باقتراحات بغية اقناع العالم بأن دولتهم تتطلع الى سلام عادل يسود المنطقة . وبذلك تضمن عدم لجوء مجلس الأمن أو الدول الاعضاء الى سياسة الضغط فى اكراه القوات الصهيونية على الانسحاب .. وفى الوقت ذاته يقوم المسئولون باصدار التصريحات حول شروط الانسحاب .. وضرورة ما يسمونه باجراء تعديلات طفيفة على الحدود لضمان أمن وسلامة دولتهم الدخيلة دون الاشارة الى حقوق شعب فلسطين .

والتعديلات الطفيفة والحدود الآمنة التى تطلبها الدولة الصهيونية هى ضم القدس والمرتفعات السورية وشرم الشيخ وبعض أجزاء الضفة الغربية ، مع الاحتفاظ بقسم كبير من صحراء سيناء .

هذا فقط ما تطالب به الصهيونية لضمان أمن قاعدتهم فهذه الاجزاء التى تمثل كل الأراضى المحتلة تريدها الصهيونية لتكون منطلقا جديدا لعدوان جديد تضمن بعده ضم مزيد من الاراضى ...

وما تدعيه رئيسة الوزراء والمسئولون فى الحكومة الاسرائيلية حول الاحتفاظ بالاراضى اللازمة لضمان سلامة القاعدة هو مجرد تمويه ، والتصريحات التى يطلقها زعماء الحركة الصهيونية وأعضاء الحكومة الاسرائيلية تبين بوضوح الخطوط العريضة لسياسة الصهيونية التوسعية والاستيلاء على ما تستطيع من أراض عربية ..

لماذا عدوان الصهيونية على

أرض الإسراء

إذا كانت الذكريات « صدى السنين الحاكى » كما يقول شاعرنا شوقى رحمه الله ، فقد وجب أن تكون ترجمتنا التاريخية باعتبارنا أمة ذات دين وحضارة ، هى ترجمة هذه الذكريات بالذات .

إن طريقنا التاريخية ولا سيما تلك التى تبدأ بعهد الرسالة الاسلامية والتى تمضى فوقها مواكب العرب والمسلمين فى روعة بالعشرات بل بالمئات من مواطن الذكريات ، وهى كلها متصلة أوثق الاتصال بالوقائع والأحداث التى تسجل لنا مواقف حية ، وأطماحا كريمة ، وتضحيات جليلة فى سبيل بنية اجتماعية قويمة .

البيت الحرام فى وادى مكة موطن من مواطن هذه الذكريات . . . وهو الموطن الذى ارتفعت بجدرانه قواعد العقيدة الاسلامية لا منذ أيام محمد بن عبد الله عليه السلام ، بل منذ أبى الأنبياء ابراهيم الخليل يوم قال وولده اسماعيل بعد رفعهما القواعد من البيت « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » .

وتمضى القرون الطويلة بعد ذلك ويتعاقب الأنبياء من بنى إسرائيل وغير بنى إسرائيل حتى يأتى اليوم الذى تتخذ فيه الدعوة الى الله طابعها العالمى فاذا ببيت مكة وبوادى مكة يحتفظان بعد الدهر الطويل بخصائص الذكريات التى هى « صدى السنين الحاكى » تحكى للأجيال الطالعة القصة الكاملة للهداية التى تغلغلت بها أنوار المعرفة الى القلوب .

★ ★ ★

والمعراج

للأستاذ رمضان لاوند

ويأتى مسجد المدينة المنورة شاهدا آخر من الشواهد المزروعة فى الطريق فيكون بمثابة الحافز الى المزيد من الايمان ، والآية على رجولة المواقف وقدرة المؤمنين على تحقيق المنجزات الكبيرة .

ثم يكون ثالث الحرمين فى بيت المقدس تمنحه امتيازاته وتعين لـه معناه فى ترجمتنا التاريخية تلك الزيارة الفريدة التى قام بها النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم من أيام دعوته السماوية ، ثم صنفت فى عداد الذكريات الحاكية لأيـام العرب والاسلام فى قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريـه من آياتنا إنـه هو السميع البصير » .

★ ★ ★

وهنا نقف فلا نجاوز هذه الذكرى الى ذكريات أخرى غيرهـا فى روعة ، فى عشرات من المواطن أسهمت فى رعايتها وسقايتها ملايين من القلوب العامـرة بالايمان والحافلـة بمواقف التضحية والرجولة والفداء . إذا كنا قد اخترنا الوقوف عند ثالث الحرمين فلأن هذا الحرم هو اليوم قضية العرب الكبرى ومعضلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

ثالث الحرمين لم يعد ملكا للعرب ، ولم يبق موطىء قدم للمسلمين فى أقطار الأرض دون سواهم . لقد انتزعته صليبية من نوع فريد . وأشاعت من حوله الرعب موجة استعمارية اختلطت فيها الوقائع ، واضطربت بها السبل ، وموّهَت بها حدود ما بين الحق والباطل .

وأصرّ المستعمرون على جعل هـذه الغارة العـدوانية مزيجا من الأسطورة الوقحـة والمكيافيلية الفاسدة ، وسياسة القوة الرابضة وراء مسيرة الاسلام تتوسل كل الوسائل الممكنة لخنقها ، والقضاء على ينابيع الحياة والفتوّة فيهـا .

الصليبية فى هذه المرة لم تموّه عدوانها بدعوى الحفاظ على قبـر المسيح ، وهى التى تعلم أن هـذه الدعوى قد بليت جدتها وافتضحت أغراضها ولكنها أتتنا على صورة الصهيونية بكل ما يرافقها من المزاعم الأسطورية فى حق لها وهى باستعادة أرض الميعاد .

وحشدت لهذه المزاعم كل الأكاذيب ، ووضعت فى خدمتها كل الأجهزة الاعلامية ، وأنفقت على هذه وتلك مئات الملايين بل ألوفها من الدنانير .

وفوجىء العرب ومن ورائهم العالم الاسلامى كله بسلسلة محكمة من المؤامرات والمناورات اشتركت فيها المنظمات والمؤسسات الدولية على نحو لم يعرف التاريخ البشرى له شبيها فى الاعداد والمتابعة والتنسيق .

ومما يلفت النظر أن المعسكرات العالمية المتناحرة قد اختلفت عام ١٩٤٨ على كل شىء ، وتنابذت فى كل موقف ، وتطارحت فنونا من الاتهامات ، باستثناء الحملة الصهيونية الفاجعة التى زودت بالسلاح والمال ، وساندها النفوذ السياسى ، ووقفت فى جبهتها كل المعسكرات الأجنبية ، وتم الضغط فى سبيلها ، ولتحقيق النجاح لها على دول كانت جديرة باتخاذ موقف الحياد على الأقل ، ناهيك عن الضغوط التى مارستها الـدوائر الدولية المتحالفة مع الصهيونية على مراكز القوة التى تملكها فى داخل الأرض العربية ، وعبر العالم الاسلامى كله .

لقد ترددت مئات الأساطير حول ما يجرى فوق التراب الفلسطينى ، وانطلقت مئات الأكاذيب ، وانعقدت ألوف الاجتماعات فى غرف سوداء بين أقصى الأرض وأقصاها لتخدير الضمائر ، وتضليل العقول ، وإفساد الذمم ، وتقديم العروض المغرية . ثم انكشفت كل هذه الجهود غير الشرعية ، والمناورات المريبة ، والمؤامرات السوداء عن دولة لم تكد تعلن عن نفسها فى ١٥ أيار من عام ١٩٤٨ م حتى تسابق الأقوياء فى العالم الى الاعتراف بها ، والاعلان عن حمايتها ، والمبادرة الى تزويدها فى سخاء منقطع النظير بالمال والسلاح والرجـال ، وبصورة خاصة بأحـدث الكفاءات العلمية والتكنولوجية .



والواقع أن الخطط الصهيونية الاستعمارية العالمية كانت وما تزال أعظم حجما من أغراضها العسكرية والسياسية والاقتصادية المباشرة ، إن القوى المعبّأة لانجاح هذه الخطط منذ بداية تنفيذها عام ١٩٤٨م وحتى اليوم أى على امتداد ثلاثة وعشرين عاما لا تهـدف فى الحقيقة الى إجلاء

شعب فلسطين ومن حولها من الأرض وحسب ، بل تطمح الى القضاء على تراث تاريخى ضخم ، هو فى حقيقته أسلوب حياة ، وعقيدة ذات أبعاد عالمية ، وقدرة تشكل تهديدا للتوازن الدولى ، ومراكز استراتيجية تستوعب حضارة غير الحضارة التى تفد إلينا على صور ثقافية ، وأسلوب حياة وخطة عمل وتفكير .

إن تعبئة العدو الصهيونى ومن ورائه دوائر العدوان الاستعمارى الدولى ، هى تعبئة على مستوى تلك التى عرفها العالم الاسلامى ، وواجهها منذ بداية القرن الثانى عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلاديين مع الفارق الكبير فى الأهبة والاستعداد ، والخبرات وأسلحة التكنولوجيا الضخمة .

كل هذه التعبئة تقف وراء اسرائيل ، وتمكّن لها فى أرض فلسطين ، وتتيح لها فرصة السيطرة على ثالث الحرمين بحيث يكون وجودها المستمر فى بيت المقدس عنوانا على هزيمة معنوية تتحطم بها روح المقاومة عند العرب والمسلمين بعامة ، وهى واحدة من الأغراض البعيدة التى يقصد بها استنزاف ينابيع الرجولة والفتوّة فى ثقافة المسلمين وعقيدتهم .

نحن هنا لا نحاول أن نثبت للعالم ولأنفسنا بأن الصهيونية والقوى المحالفة لها هى عنوان على جريمة بيتت بليل ، حتى الذين اقترعوا ويقترعون لصلحة الاستعمار والصهيونية يعرفون حقيقة هذه الظاهرة وأبعادها والدور الذى تقوم به ، والأغراض التى تسعى الى تحقيقها ، ولكننا نسلّط الضوء على هذه الجريمة الدولية لنربط بينها وبين معنى من المعانى الخاصة بنا نحن المسلمين . نحن نسلّط عليها الضوء لنحكى حكاية التناقض العجيب بين ما يرمى إليه العدوان الصهيونى الأسوَد ، والصورة الانسانية المتمثلة فى الاسراء والمعراج .

ومن الطبيعى أن نتعرف الى الخلفية التربوية والخصائص الثقافية الأساسية للعقلية اليهودية الصهيونية ، قبل أن نعقد المقابلة بين موطن الاسراء والمعراج من ناحية ، وبين الحضور اليهودى الصهيونى من ناحية أخرى .

فالتعاون مع اليهودية الصهيونية لم يأت عفو الخاطر ولا هو حصيلة جهد يهودى صهيونى وحسب ، لقد تم هذا التعاون وتوفرت لليهودية والصهيونية المساندة التامة رغم تعاقب الحكومات ، وتباين الأغراض عند الدول والمعسكرات العالمية ، لأن هناك مصلحة مشتركة عليا دفعت كل الأطراف بكل مذاهبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى اتخاذ موقف التأييد والمساندة دون تحفظ من الأطماع الصهيونية ، واقتنعت كل هذه الأطراف بضرورة تعبئة كل الامكانات المادية والمعنوية واتخاذ كل الأسلحة للحيلولة دون نجاح الرد العربى ، ونمو الاستجابة الاسلامية للتحديات الصهيونية .

وتقررت الافادة من المزاعم الاسطورية التى تحفل بها الكتابات اليهودية ذات الطابع الكهنوتى ، لاعطاء المؤامرة العالمية فى وجهها الصهيونى ، الشرعية والصفة القانونية .



ولكن ما هى هذه المزاعم الأسطورية ؟ وكيف وجد فيها المتحالفون مع الصهيونية المادة الخصبة التى تزوّدهم بحملاتهم الدعاوية شعاراتهم التى تتيح لهم فرصة دمج الوجود الصهيونى فى الأسرة الدولية ؟..

أول ما يلفت النظر أن أسفار التوراة حافلـــة بالكتابات التى تَعد اليهودة بالعودة الى ارض الميعـــاد فلسطين ، والتى تميّز اليهود عن كلَ شعوب العالم بحيث تمنحه الصفات والخصائص التى لا يستقل بها غير الشعب المختار من قبِل السماء ، فهى إذن كتابات خاضعة لعقدة الشعور بالعظمة ، حافلة بروح الاحتقار والكراهية للاميين الذين هم غير اليهود ، والمزروعة بالحكايات والقصص التى تغذى عُزلـَة اليهودى واستعلاءه .

جاء فى سفر الخروج من التوراة ٢٣ ، ٢٧ ، ٣١ ما يلى :

قال الرب لموسى ــ هكذا تقول بنى اسرائيل « سأرسل هيبتى أمامك وأزعج جميـــع الشعوب الذين تأتى عليهم لأطردهم من أمامك فى سنة واحدة ، لئلا تصير الأرض فتكثر عليك وحوش البرية .

قليلا قليلا اطردهم من أمامك الى أن تثمر وتملك الأرض .

واجعل تخومك من بحر سوفٍ الى بحر فلسطين ، ومن البرية الى النهر فإنى أدفع الى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامكم » .

أما فى سفر التثنية ٧ : ١ــ٧ فقد ورد النص التالى :

« اسمع يا اسرائيل متى أتى بك الرب الهك الى الارض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك . سبع شعوب أكثر وأعظم منك . لا تقطع لهم عهـــدا . ولا تشفق عليهم . ولا تصاهرهم . بنتك لا تعطى لابنه . بنته لا تأخذ لابنك » .

وفى سفر التثنية أيضا هذا النص المعبّر ٦ ، ١٠ ، ١١ قال :

« اسمع يا اسرائيل . أتى الرب إلهك الى الارض التى حلف لآبائك ابراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيك . الى مدن عظيمة جيدة لم تبنها ، وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها . وكروم وزيتون لم تغرسها » .

وهناك نصوص كثيرة غير هذه التى سجلناها هنا منثورة فى سفرى الخروج والتكوين من أسفار التوراة مليئة بالمزاعم والأساطير والحكايات التى تغذى فكرة تحيّز الاله ، إله اسرائيل ، لجماعة اليهود ، كما تغذى روح الحقد والكبرياء والاستعلاء عند أصحاب هذا الدين .

ومن الطبيعى جدا أن تتخذ هذه المزاعم الاسطورية والكتابات النابعة من عقدة الشعور بالعجز فى فترات طويلة من تاريخ الشعب اليهودى صفة الحافز الذى يتحول الى ركام من أحلام اليقظة يجترها أصحابها كعملية تعويض مرضٍ عن العزلة الطويلة التى فصلتهم عن **شعوب العالم** .

وبفعل تعاقب القرون واستمرار العزلة نشأ الهوَس ، ونمت روح التعصب بغض النظر عن تصديق كل اليهود أو بعضهم بصحة النصوص الواردة فى التوراة والتلمود ، وبعيدا عن ايمان الكل أو البعض بالوجود الالهى .

لقد كانت هـــذه النصوص قبل ظهور **الصـــــهيونية حركة سياسية** اقتصادية وبعد ظهورها مـــادة اعلامية وينبوعا ثقافيا لكل الدعاة الصهاينة حتى الملحدين منهم . ولعل « هرتزل » مؤسس الصهيونية الأول قد كشف عن دور هـــذه النصوص فى تعبئة القوى الاستعمارية لتحقيق أحـــلام

اليهود الصهاينة حين كان يقول دائما لمن يحب أن يسمعه « سنكون نحن الصهيونيين جزءا من السور الأوروبى المرفوع فى وجه آسيا . سنكون نحن فى الصفوف الأولى من الجبهة حماة المدنية وخفراءها ضد البربرية »

ولا بدع أن تجد الصهيونية الأنصار الكثر فى الدوائر الاستعمارية العليا وأن تتلاقى مصالح الطرفين . والواقع أن هـذه الدوائر قد اكتشفت فى الصهيونية المنجم الذهبى الذى يغذى حملاتها العدوانية لكبح جماح العرب واطفاء نور الاسلام لا سيما وان الصهيونية هى فى جوهرها جزء من الحضارة التى تمثلها هذه الدوائر بالذات ، ويوم تم اكتشاف الدور الذى يمكن أن تقوم به اليهودية الصهيونية لحماية النفوذ الاستعمارى على طريقة حصان طروادة لم تتردد الدوائر ذات العلاقة فى إخراج هذه الحركة من ميدان النظر الى ميدان الفعل .

بقى أن نقرر بأن اليهودية الصهيونية بالرغم من مزاعمها الرسمية التى تنادى بحق كل يهودى فى الانتماء الى دولتها فى الأرض المحتلة هى امتداد للشخصية المتمثلة فى الدوائر الاستعمارية العليا ، وما تكتبه الصحف العالمية وتنقله وكالات الأنباء عن سياسة التميز العنصرى التى تمارسها سلطات تل أبيب بين المهاجرين اليهود الغربيين « اشكناز » وبين المهاجرين اليهود الشرقيين « سفرديم » هو توكيد لطابع هذه الدولة وفضح لأغراضها البعيدة وتحقيق لفلسفتها التى تنادى بامتياز شعوب الحضارة الغربية من خلال العقلية المتغذية بالكتابات التوراتية والشروح التلمودية .

إن العالم الاسلامى إذ يواجه العدوان الصهيونى إنما يواجه فى الحقيقة حربا صليبية من نوع جديد ولكنها تبقى فى جوهرها حربا عدوانية ، مادتها وسياستها وأغراضها وأسلحتها واردة من دول العالم الاستعمارى العامل على احتوائه وإطفاء نوره والقضاء على ثقافته وتراثه منذ قرون عديدة .

هذا الهوَس الصهيونى وما تحتويه بطانته من المزاعم والادعاءات ، وما يتصف به سلوكه وطريقة تعامله مع الشعوب المسلمة ، هو الذى يقابل الوجود الاسلامى باعتباره تجربة حضارية أصيلة ورؤية ثقافية نابعة من الاسلام وعقيدة موحدة .

وليس عبثا ولا من قبيل المصادفة أن يصر الصهاينة على الاحتفاظ ببيت المقدس وما حوله مركزا لعاصمة دولتهم . إن وراء هذا التصميم استراتيجية ثقافية أخلاقية بالاضافة الى الاستراتيجيات العسكرية والاقتصادية التى تدفعهم الى الاحتفاظ بالجولان ، وشرم الشيخ ، وببعض المناطق الأخرى التى تتيح لهم فرصة السيطرة العملية على العالم العربى من أقصاه الى أقصاه .

إن مدينة القدس موطن لذكريات إسلامية ، والذكريات ــ كما قلنا فى بداية هذه المقالة هى شواهد وصوى فى الطريق التاريخية للشعوب . ولما كان الاسراء والمعراج صورة روحية تشد المسلمين اليها بخاصة وتحقق لهم إحساسهم بوحدة الشخصية ، وتقوم بعملية توكيد لدورهم الثقافى

فى التاريخ فان وضع المكان الذى أسرى إليه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بشهادة القرآن الكريم تحت السيطرة اليهودية الصهيونية هو بمثابة المعوَل الذى تحدث بـــه دولة اسرائيل شرخا حقيقيا عميق الأبعاد فى الشخصية الاسلامية .

فى الاسراء آية على اتصال المسلم بالغيب الذى يؤمن به .

وفى الاسراء توطيد لتكامل الرؤية الثقافية والروحية عند المسلم ، وفى الاسراء أخيرا إعلان عن أن الحفاظ على أرض ثالث الحرمين هو توكيد لحماية الدعوة الى الله .

إن الحضور الاسلامى فى أرض الاسراء يعنى من الناحية العملية بالاضافة الى حضوره فى المدينة المنورَّة ومكَّة المكرَّمة أن المسلم قد ضمن لنفسه الحد الأدنى من الظروف والقـــدرات التى تمنحه حـــرية الحركة والاعلان عن عقيدته وتوفر له الاحساس بسيادته الثقافية .

فكما أن المرء يشعر بسيادته الصميمة حين يكون له بيت خاص به ، وبأن أسرته تتصرف فيه تصرف المالك لأمره ويحس معه بتكامل شخصيته الاجتماعية ويتمتع بلذَّة الحرية فيه ، فكذلك الشأن فى مواطن الذكريات الثقافية والدينية الحميمة بالنسبة لوجود المؤمن الحضارى .

فأنا موجود وجودا حقيقيا تتوفر فيه كل الشروط المطلوبة حين أستمتع بسيادتى الثقافية وبأصالتى فى التفكير ، وبالقدرة على تحقيق المفاعلـــة التامة بينى وبين مواطن الذكريات ، ومعالم العقيدة التى بها اؤمن وفى سبيلها أحيا وأموت ، وليس عبثا أن الله سبحانه وتعالى قد جعل بيته المحـــرم فى واد غير ذى زرع ، وربط قواعـــده بوجـــود أبى الأنبيـــاء ابراهيم الخليل عليه الســلام وأتاح لهــذا النبى الكريم أن يتولَّى هو شخصيا بالتعاون مع ولده إسماعيل رفع القواعد من البيت الحرام وجعل استمرار الحنيفية السمحاء مرتبطا باستمرار الحُرمة التى يتمتع بها هـــذا البيت الكريم .

ان العلاقة النفسية بين المسلمين ومكة وهى علاقة وجود وبالتالى عملية توكيد للشخصية الاسلامية على امتداد التاريخ .

ولم تكن الدعوة الدينية التى جاء بها خاتم الأنبياء بدعـــا فى تاريخ النبوات التى ظهرت بعد نبوة ابراهيم الخليل ، بل إحياء لجـــوهر هـــذه النبوات وتوكيد لها وتصحيح للقيم والأفكار وتحرير لها من الشوائب التى دخلت عليها كما أن إبقاء البيت الحرام الذى دنَّسته وثنيات الجاهلية بعد تطهيره منها ركيزة تستقطب قلوب المســـلمين يعنى تحقيق تلك العلاقة النفسية بين المسلمين وبين بيت الله فى مكَّة المكرَّمة .

ولنا فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة شواهد ثابتة على المعنى الدينى العميق الذى يرمز اليـــه موطن الاستمرار الاسلامى فى مكَّة وعلى أن سلامة هـــذا البيت تعنى توكيد الســـيادة والسلامة لتراث العقيدة الاسلامية .

هذه الظاهرة نفسها نجدها فى موطن الاسراء والمعراج ، وقد أعطت العناية الالهية هــذا الموطن دورا خاصا حين جعلت من إسراء النبى محمد صلى الله عليه وسلم إليه مناسبة يتعرَّف منه فيها على جملة من آيــات الله فى كونه العظيم ، ويكتشف عن طريقها نِعَم الله وآلاءه .

وبيت المقدس يبقى فى ضوء هذه الرؤية الــدينية موطنا للحــدود الخارجية لأبعاد الشخصية الدينية ولمحتواهــا الثقافى ، وخصائصهــا الأخلاقية ، وخسارة هذا الموطن تعنى أن العدو قد بدأ يحطِّم الحصون الخارجية والهامَّة لحرمة الوجود الاسلامى .

ولذلك فإن اليهودية الصهيونية وحلفاءها فى العالم حريصون على الاحتفاظ بهــذا الموقع الذى انتزعوه وهم أشد حرصا على تشويه معالمه فيكسرون قلوب العرب والمسلمين بحيث تتاح لهم من بعد فرصة التحرك فى العالم الاسلامى كله فيتلفون مــن ثرواته ما لا يســتطيعون اجتيازه وإخراجه من أرضه .

وإذا كان العدوان اليهودى الصهيونى على أرض الاسراء والمعراج هو المدخل الى تنفيذ خطة طويلة الأجل تجمد بها طاقات المسلمين وتسهل عن طريقها عمليات التضليل والتشــويه والتزييف لفكر المسلم وعقيدته وعلمه .

وما لم ندرك نحن المسلمين العلاقة الوثيقــة بين خطة العدوان على مواطن حرماتنا وأرض ذكرياتنا من ناحية ، وبين احتمــالات التقــدم الاقتصادى والاجتماعى فى مستقبلنا المنظور وغير المنظور ، فستبقى معركتنا التحررية التى نخوضها ضربا فى الفراغ وجهودا ضائعة .

لقد فقدنا حريتنا منذ بدأنا نفقد قدرتنا على الدفاع عن حصوننا الدينية والثقافية ، ثم فقدنا قدرتنا على التعامل مع الطبيعة وتنمية ثرواتنا القومية منذ فقدنا أخلاق الكفاح فى ميدان وجودنا الثقافى .

إننا إذ ننتهز هذه الفرصة ، فرصة احتفال العالم الاسلامى بذكرى الاسراء والمعراج لنحقق العلاقة بين سيادتنا الدينية وحرياتنا فى بنــاء اقتصادنا وقوانا الوطنية الأخرى ، إنما نفعل ذلك من أجل تصحيح نهج المعركة التى نخوضها اليوم ، معركة العودة الى الأرض السَّليب والحُرمات المُنْتَهَكَة .

حبل المسد

زعموا أن عمدة البلد قد مات .

وكان رجلا غنيا رئيسا . له أولاد يحبونه ويحترمونه ، فقال أحدهم : لا يجوز أن ندع والدنا فى قبره « ليلة الوحدة » وحيدا ، بل علينا أن نؤنس وحشته ، وأنا على استعداد أن أبيت معه الليلة .

قالت الأم : « يا ولدى لا تجمع على الفجيعـــة فيك الى جوار أبيك ، وان شئتم فاستأجروا للمرحوم من يبيت معه » .

قال الراوى :

فاستأجروا رجلا فقيرا ممن يلقحون النخل ، ودفعوا له عشرة جنيهات لكى يقضى مع الميت العزيز ليلة واحدة ، وأودع العمدة فى قبره الفخم المجصص ووضعوا عليه الـــورود والزهور ، ثم أنزلوا الرجل الآخر فى القبر معه ، وتركوا له كوة ليدخل له منها الهواء .

وانتظـــروا فى الصباح كى يخبرهم ويطمئنهم على ميتهم ، وهم لا يشكون أنه سيصف لهم روضة من رياض الجنـــة . وما أن بزغ الفجر حتى رأوا « العم مجاهد » يخرج من القبر هاربا لا يلوى على شىء ، فأحاطوا بـــه وسألوه عن حال الفقيد الغالى ، وأن عسى أن يكون قد حوسب حسابا يسيرا .

وما كان أشد دهشتهم حين رمى لهم « العم مجاهد » بالجنيهات العشر وهو يقول : مصيره مجهول وحسابه طويل ، لا حاجة لى فى نقودكم .

فاستبد بهم الغم والفزع وقالوا : ماذا رأيت ؟

قصة رمزية

للأستاذ عبد البديع صقر

قال : ما ان ذهب المشيعون حتى جاءنا ملكان . قال أحدهما : ((نبدأ بالحى أم بالميت ؟)) قال الثانى : ((نبدأ بالحى الذى سيخرج فى الصباح)) ، فجعلا يسألانى عن حبل المسد الذى أربطه على وسطى . فقلت لهما : اننى فتلته من ليفة من ليف النخل الذى أتعهده وأصلحه . قالا : من أى نخلة كانت الليفة ؟ ونخلة من هى ؟ وهل سمح صاحبها بأخذ الليف منها ؟ وجعلت أتذكر ولا أستطيع الجواب ــ وهما يكرران السؤال ويهددان بالعذاب ــ ثم سألانى عن القميص ، وسألانى عن الطاقية ، وسألانى بأشد من ذلك عن النعل القديم المركون فى جانب القبر ، وأخيرا وجدا معى الجنيهات العشر ، وقالا من أين اكتسبتها ؟ وهل تراها أجرا مكافئا للعمل ؟ وهل كان من عادتك أن تكسب هذا المبلغ فى ليلة واحدة ؟

قال : وما زالا بى والقبر يضيق على رويدا رويدا حتى كادت نفسى أن تنخلع من هول ما رأيت .. وما أن لمحت نور الفجر حتى خرجت هاربا كأنما ولدت من جديد ــ وعاهدت ربى ألا آكل إلا طيبا ، ولا أعمل إلا طيبا .

أما أبوكم فقد كان رئيسا للجمعية التعاونية ، ومخزن الأسمدة والبذور ، وكان عضوا فى المجلس البلدى وبنك التسليف وغيره .. على كل حال ...

لا أدرى متى يستطيعون الانتهاء من حسابات والدكم المسكين ، وكلما تصورت معاملة الملكين لى ... ونظراتهما الجادة .. أتشك كثيرا فى مستقبل ((المرحوم)) .

قضيـة الشيوع الأدبي

وهى قضية هامة من قضايا الأدب المعاصر ، ثار فيها الحديث أخيرا وتشعب ، فرأينا أن نتناولها بالـدرس والتحليل ، مع التزام الحيدة وتحرى الموضوعية . ونقدم بين يديها بهذا التمهيد فنقول :

فى سنة ١٨٨٤ م كان جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده يوجهان العالم الاسلامى وبلاد الشرق من قلب باريس وكأن الذين حاكموا الشيخ محمد عبده على سهمه فى الثورة العرابية ، لم يحكموا عليه بالنفى وانما كلفوه بالسفر الى الخارج فى مهمة عظمى ، هى مواصلة الثورة العرابية من وراء البحار . لقد نفى جمال الدين من مصر فى أغسطس سنة ١٨٧٩ وسط أحداث ضخام ، ونفى محمد عبده منها فى ديسمبر سنة ١٨٨٢ أثر ملمـات كبار ، وشاء الله أن يلتقيا بمدينة باريس أواخر سنة ١٨٨٣ لكى يستأنفا جهادا مشتركا كان قد انقطع منذ قرابة خمس سنوات .

إن مصر حينئذ جريحـة ، والعالم الاسلامى مدمى . فما مدى عمق هذه الجراح فى نفس الامامين . وما خطة العمل وكلاهما ذو إرادة من حديد ؟ . لا بد من عمل له ظاهر وباطن كما كانت خطة الأفغانى فى مصر . كانت له فى باريس جماعة سرية تتغلغل فى أنحاء العـالم الاسلامى هى « جماعة العروة الوثقى » وصحافة ناطقة تعمل جهارا أو فى وضح النهار هى « مجلة العروة الوثقى » .

قامت إدارة المجلة فى غرفة صغيرة على سطح منزل قريب من ميدان المادلين بباريس . كل شىء فيها يتميز بالبساطة . المفكر جمال الدين ، والمحرر محمد عبده يتناقشان ويتحاوران وتهوى إليهما أفئدة من المثقفين الاسلاميين ، حيث ينطلق لسان الأفغانى ، ويجرى قلم محمد عبده ، وتصدر الجريدة فى يوم معين من الأسبوع ، واختارا أن يكون يوم الخميس لتتكون السجعة مع كلمة باريس فتنطبـع فى ذهن القارىء عبارة موسـيقية هى « باريس فى يوم الخميس » ويصدر منها ثمانية عشر عددا فقط هى كل ما سمحت به الاقدار . وحينئذ قامت العروة الوثقى بعمل فريد توحدت بـه فى الميدان ، وهو مقاومة الاستعمار البريطانى لمصر فى أول عهده . إذ لم

بين ..
جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده

للدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى

تكن حينذاك صحافة عربية على الاطلاق تواجه الانجليز فى هذه الفترة ، لا فى مصر ولا فى الخارج . ولقد ذاق منها الانجليز الأمَرَّين حتى أسكتوا صوتها فسكتت المعارضة الى أن قامت جريدة المؤيد بعد عدة سنين فى القاهرة . وكان للمجلة وجمعيتها غرض بعيد ، وغرض قريب . كان غرضها البعيد هو إعادة الحكم الاسلامى ، وهداية الدين الى ما كانا عليه من الطهارة والعدل والكمال فى العصر الاسلامى الأول ، وذلك بتأسيس حكومة اسلامية على قاعدة الخلافة الرشيدة فى الدين ، وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام فى أمور الدنيا ، ويتبع هذا انقاذ المسلمين والشرقيين من ذل الاستعمار .

أما الغرض القريب فهو إنقاذ مصر والسودان من قبضة الاحتلال البريطانى .

صدر العدد الأول من مجلة العروة الوثقى بباريس فى يوم الخميس ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ ١٣ مارس ١٨٨٤ وأبرز ما فيه هذه المقالات : فاتحة الجريدة ومنهجها ، سياسة انكلترة فى الشرق ، مصر كما جاءت بـه هذه التعليقات ، اعجوبة غريبة ، غوردون باشا .

وتتوالى الأعداد حتى يصدر العدد الثامن عشر فى يوم الخميس ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٠١ هـ ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨٤م وبه هذه المقالات : الجبن ، زلزال الانجليز فى السودان ، عماء بعض الناس فى مصر أو تعاميهم عن مقاصد الانجليز فيها . وقد كان هذا العدد آخر خفقة فى السراج ، فقد تألب عليها الانكليز ومعاونوهم الخانعون لهم من الحكام المسلمين والشرقيين ، حتى أسكتوا صوتها وأغلقوا بابها ، وافترق قطباها فراقا لا لقاء بعده .

هذه الاعداد الثمانية عشرة التى صدرت من العروة الوثـقى جاءت حافلة بالمقالات الضافية والعمود ونصف العمـود والأخبار والتعليقـات السياسية . ولو ذهبنا نحصى ما فيها من المواد الصحفية لوجدنا مقالاتها الطوال تبلغ ستة وعشرين مقالا تتدفق فى حرارة كأنها قبس من الرحمن . أما سائر المواد الأخرى فقد زادت على السبعين ، وفيها فن صحفى ممتاز ، وهى تخدم فى صدق أهدافها الأربعة : الرابطـة الشرقية ، والجامعـة الاسلامية ، والمسألة المصرية ، والمسألة السودانية .

وقبل أن ندخل فى مناقشة القضية ننقل ما قاله السيد رشيد رضا فى الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الامام ص ٢٨٩ حيث يقول : « أنبأنى الأمير شكيب أرسلان أنه سمع الأستاذ يقول : إن الأفكار كلها فى العروة الوثقى للسيد ، ليس لى منها فكرة واحدة . والعبارة كلها لى ، ليس للسيد منها كلمة واحدة » .

ونحن نقول : هذه العبارة قابلة للمناقشة ، فهى حكم غالبى فقـط وليست حكما مطلقا ، وذلك بناء على دراستنا الجـادة لحياة الرجلين ، واعتقادنا أن كثيرا من الأفـكار شركـة بين الـرجلين وإن كانت الغالبية للأفغانى . وأما التعبير أو التحرير فهو صناعة الشيخ محمد عبده ، وإن كان الأمر لا يخلو من نفحـة روحية ينفثها الأفغانى . فى عبارة الشيخ فتأتى حارة قوية منطلقة العبارة . وإذا كان جمال الدين قوة دافعة للشيخ محمد عبده ، فان هـذا الشيخ كان سماء سطع بها كوكب الأفغانى ، ولولاه ما كانت للأفغانى هذه العروة الوثقى .

ونناقش قضية الشيوع الأدبى بين قطبى العروة الوثقى فنقول : هناك جماعة تعصبوا لجمال الدين الأفغانى فنسبوا له مقـالات العروة الوثقى وعدوها من خاصة آثاره ، وأصدروا فى ذلك أحكاما يجورون فيها على الشيخ محمد عبده ، مثل الأستاذ محمد عماره فى كتابه « الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى » .

وجماعة تعصبوا للشيخ محمد عبده ونسبوا له مقالات العروة الوثقى وعدوها من خاصة آثاره ، مثل السيد سعيد رضا فى كتابه « تاريخ الأستاذ الامام » مع أن القضية لا حاجة بها الى التعصب أو التحيز ، فالأمر شركة بين الرجلين ، ولكن صاحب الفضل فى إبرازها الى الوجود هو الشيخ محمد عبده ، تماما كما أظهر أفلاطون فلسفة أستاذه سقراط .

عقد الأستاذ محمد عمـاره فى كتابه هـذا فصلا بعنوان « هـذه الأعمال » تناول فيه بالدراسة آثار الأفغانى ، وتعرض لقضية الشيوع بينه وبين الأستاذ الامام فى هذه الآثار . وهى دراسة قيمة ممتعة ولكنا نأخذ عليه أنه غمط الأستاذ الامام حقه وانحاز الى جانب الأفغانى ، دون داع الى ذلك يقول الأستاذ عماره فى ص ١١٧ هذه الأعمال :

« على الرغم من أن جميع المقالات والدراسات والفصول التى خلفها فيلسوفنا الثائر جمال الدين قد طبعت جميعها ... فان القيام بجمع هذه الآثار وتبويبها والتعليق عليها إنما هو عمل أكثر مشقة من التعامل مـع المخطوطات . ذلك أن هذه الآثار التى جمعناها والتى خلفها جمال الدين إنما كانت ولا تزال حتى وقتنا هذا تحمل الكثير من صفات منشئها ومحررها

ومبدعها فى كثير من الأحيان . فهى تمتاز بعديد من الصفات وتحكم حياتها مجموعة من الظروف والملابسات أهمها :

١ ــ ذلك الشيوع الذى أصاب هذه الآثار فيمـــا بين جمال الدين الأفغانى وتلميذه وصديقه الأستاذ الامام محمد عبده ... وهو شيوع دعا اليه اشتراك الاستاذ الامام كمحرر أول فى المجلة التى رسم سياستهـــا وحدد منهجها وأشرف على اصدارها وتحريرها فى باريس وهى مجلة العروة الوثقى .

والمقالات والأبحاث والفصول والدراسات التى نشرت فى هـــذه المجلة ، والتى اشتمل عليها بعد ذلك كتاب تاريخ « الأستاذ الامام » للشيخ محمد رشيد رضا والتى جمعت مقالاتها وفصولها وأخبارها بعد ذلك فى مجلد خاص يحمل اسمها ، لم تكن لتمهر باسم الكاتب فلم يعرف لمن هـــذا البحث ولمن هذه المقالة . أهى للأفغانى ، أم للأستاذ الامام » .

فهذه أسئلة لا داعى لها مـــن الاستاذ عماره ، لأن الامـــر واضح بالنصوص الثابتة التى تقطع بأن الأفكار للأفغـــانى والتحرير للشيخ محمد عبده على أبسط الأقوال . ولكن يبدو أن الاعجاب الجـــارف بالأفغانى حجب ضوء الحقيقة عن هـــذا الكاتب .

ثم يقول : « ومن ثم كان ذلك مصدر الخلط الذى شاع فى عمليات النشر التى حدثت لبعض هذه الآثار ، وكنموذج لذلك ، هذا الخلط الـــذى أحدثه بعض الناشرين للبحث المعنوَن « التعصب » فبعد أن نشر هـــذا البحث فى العروة الوثقى ، ثم فى المجلد الذى احتوى على المواد التى نشرت بها نجد « دار نشر الثقافة الاسلامية » تنشر هذا البحث فى كتيب مستقل وتنسبه للأستاذ الامام ... بينما الحقيقة تؤكد أن هذا البحث إنما هو من إنشاء الأفغانى وبقلمه ، بدليل وروده فى كتاب « خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى » الذى جمعه مريده وتابعه محمد باشا المخزومى وبدليل ذكر الأفغانى صراحة لهـــذه الحقيقة فى هذا الكتاب كما نقل ذلك عنه المخزومى . وبالدليل الذى تجسده الدراسة البيانية لأسلوب الأفغانى والقسمات التى تميزه عن أسلوب الأستاذ الامام ومحاكمة هذا البحث الى هذه القسمات .

ونموذج آخر لهـــذا الخلط نجده عندما نتصفح ذلك الكتاب الذى أعده الاستاذ طاهر الطناحى والذى نشره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية كأثر من آثار الاستاذ الامام تحت عنوان « الاسلام دين العلم والمدنية » حيث تجد بين فصوله ذلك البحث المعنون بعنوان « الاسلام والنصرانية » وهو البحث الذى دبجه يراع الأفغانى وصاغه عقله ثم نشر بالعروة الوثقى .. اﻫ

ونحن نقول : هذه دعوى مبالغ فيها ، فان الدارس لمواد العروة الوثقى لا يجد حدا فاصلا بين هذين المقالين مثلا وبين غيرهما من المقالات والفصول حتى نقطع بنسبتهما الكاملة الى الأفغانى وبراءة محمد عبده منهما أو براءتهما منه ، ففيهما كل ما فى غيرهما من الطابع العام للمقالات وهو روح الأفغانى وقلم محمد عبده . ثم إنا لا نجد فرقا كبيرا بين أسلوب الشيخ محمد عبده فى مقالات الوقائع وبين أسلوبه فى مقالات العـــروة الوثقى إلا فى الارتقاء بالفكرة وعمومها تبعا لموضوعات الكتابة ، فهو فى الوقائع مصرى يكتب للمصريين ، وفى العروة الوثقى مسلم وشرقى يكتب

للمسلمين وللشرقيين ، ولكن الترسل هنا هو ترسل الشيخ محمد عبده ، والانطلاق هو انطلاقه . فلا داعى اذن لهـذا العزل بين مقالات ومقالات ، وبخاصة أن أدلة العزل غير كافية ولا ناهضة بالحجة فى هذه السبيل . ثم هناك دليل قريب على أن أسلوب الأفغانى من غير محمد عبده إنما هو أسلوب مغاير لهـذه المقالات تماما . ذلك الدليل هو كتاب الأفغانى الذى وجهه الى الشيخ محمد عبده من بور سعيد وهو يعبرها الى لندن فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م وكان الشيخ محمد عبده فى غيابة السجن رهين المحاكمة مع العرابيين ، وجمال الدين لا يعلم شيئا عن هذا المصير المؤلم . فأسلوب هذا الكتاب أسلوب أفغانى حقا لا عربى صريح . ويكفى أن نذكر منه قول الأفغانى « ... والمحمدة شهادة تبعث ملكوت وحدانية الهيئة على بثها متشخصات الطبيعة فى مشهد العالم ... »

وبعد أن أورد الأستاذ محمد عماره أن أسباب الخلط ذلك الشيوع أولا ، وطريقة الأفغانى بأنه يملى وغيره يكتب له ثانيا ، واصابته بالنفى المتتابع ثالثا ، تراه يقول : « وهناك سبب رابع أدى الى هـذا الخلط وهو ذلك الخطـأ الفكرى الذى سلك أفكار الأستاذ الامام فى سـلك أفكار الأفغانى من الناحية الموضوعية ... فاعتبر البعض خطأ أن أفكار الرجلين انما تمثل مدرسة واحدة . ومن ثم شجع ذلك الموقف بعض الناشرين على نسبة بعض آثار الأفغانى للأستاذ الامام ... بينما نجد أن بين فكر الرجلين العديد من نقاط التمايز بل والاختلاف ، والتى نسوق كنموذج لها بعض الأمثلة فى هـذا الباب ، وهى أمثلة للتمايز فى المضمون وأيضا فى الشكل والأسلوب والصياغات ، فالأفغانى ثورى ومحمد عبده مصلح ...

وبينما نجد فكر الأفغانى ذا صبغة فلسفية ... فانا نجد افكار الأستاذ الامام تتحرك فى الاطار الوعظى ... والأفغانى صاحب أفق أوسع بكثير من أفق الاستاذ الامام ... ومحمد عبده عالم من علماء الدين الاسلامى بينما الأفغانى مثقف .. هذا الى خاصية التمايز بين آثار الرجلين فى الاسلوب والشكل والصياغات ... فالافغانى صاحب جملة ذات طول فى التركيب بينمـا كان الاستاذ الامام صاحب جملـة قصيرة التركيب محـدودة الألفـاظ ... » ا هـ

ونحن نقول : ما دام الأفغانى ثوريا مفكرا ، والشيخ محمـد عبده مصلحا محررا ، فكلاهما مكمل للآخر متمم لمعالم صورته ، وقد استقر بينهما من التوافق العاطفى والواقع العملى ما جعلهما مدرسة واحدة تميز بهـا الربع الاخير من القرن التاسع على مدى الصعيدين الاسلامى والشرقى معا ، وقاما بعمل فى الجمعية ومجلتها ما كان يمكن أن يتم بأحدهما دون الآخر بالذات .

والكلمة الفاصلة فى تميز أسلوب كل من الرجلين هى الاحتكام الى جملة رسائل لكل منهما بعيدا عن صاحبه نسوقها وهى تحمل خصائص كل منهما وتدل على تحديد نسبتها الى صاحبها الذى صدرت عنه . ونبدأ بنماذج للأفغانى فنقول : ذكرنا عبارة من كتاب جمال الـدين وهو يعبر بور سعيد الى لندن وقد وجهه الى الشيخ محمد عبده ، ويكفى هنا أن نشير الى شىء ورد فى هذا الكتاب ، وذلك أن جمال الدين ذيله بحاشيتين يطلب فى الثانية منهما أن يقوم الشيخ محمد عبده بنشر كتاب معين لجمال الدين

فى الجرائد المصرية بعبارة فصيحة فما معنى هذا الطلب من جمال الـــدين وتكليفه الشيخ محمد عبده بحكاية العبارة الفصيحة ؟ معنى هـــذا أن كلام الأفغانى باعترافه هو لا يصلح للنشر الا بعبارة الشيخ محمد عبده الفصيحة ؟ والفصاحة فى الكلام خلوصه من تنافر الكلمات ، ومن ضعف التأليف ، ومن التعقيد اللفظى والمعنوى ، مع فصاحة مفرداته . ويقول السيد رشيد رضا فى الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ص ٢٨٢ : « كان السيد ــ جمال الدين ــ كثيرا ما يحلى الاعلام بالألف واللام كأكثر الأعاجم » وذلك مثل : السعد الزغلول وبرط السعيد والأوربا ونحوها .

وهاك نموذجا آخر : فى سنة ١٨٩٠ منحت حكومة فارس حق احتكار التمباك لشركة انجليزية ، وكان جمال الدين فى البصرة يتابع انصاره فى فارس ، ففزع لذلـــك وكتب رسالة الى ميـــرزا حسن الشيرازى رئيس المجتهدين ، يطلب منه إصدار فتوى بحرمة التمباك ، لكى يمتنع العامـــة عن تدخينه ويفشل المشروع الانجليزى . وهى رسالة طويلة كما اوردها السيد رشيد رضا ويكفى أن نذكر منها حديث الأفغانى عن علماء فارس حيث يقول : « وهؤلاء لتماثلهم فى مدارج العلوم ، وتشاكلهم فى الرئاسة وتساويهم فى الرتب غالبا عند العامة ، لا ينجذب بعضهم الى بعض ، ولا يصير احد منهم لصقا للآخر ، ولا يقع بينهم تأثير الجـــذب وتأثر الانجذاب حتى تتحقق هيئة وجدانية وقوة جامعة يمكن بها دفع الشر وصيانة الحوزة . كل يدور على محوره ، وكل يردع الزور وهو فى مركزه » . . .

فجمال الدين فى هـــذه الفقرة يدعو علماء فارس الى الاتحاد والوقوف صفا واحدا لقيادة العامة فى الجهاد . ولكن عبارته فلسفية مشـــحونة بمصطلحات علمية مثل الجذب والانجذاب ، والتأثير والتأثر ، والمحور والمركز . وان كنا نلمح فيها حقا قوة فى اختيار الألفاظ مثل الدفع والردع والحوزة ، وقد وردت فى هذه الرسالة فقـــرات أخرى اشـــد من ذلك . والنماذج كثيرة نكتفى منها بنموذج ثالث :

كتب الأفغانى مقالا عنوانه « تنازع البقاء » بداه بأفكار علمية فلسفية وانتهى فيه الى الحديث عن استعمار الانجليز للهند ، وتسلط اسبانيا على مراكش . وقد نشر المقال فى كتاب « خاطرات جمال الدين الأفغانى » ومن عباراته : « ولا تظهر وتتعين القوة إلا بإضعافها الغير وتسخيرها لها . وما كان قوة فى طبقة بعض الأحيان يكون ضعفا مع الأقوى فيها . وهى والحالة هذه نسبية . » فقوله : وتسخيرها لها ، كان الصواب أن يقول : وتسخيرها له ، أى تسخير القوة للغير . هذا الى خلو العبارة من إشراق الأسلوب العربى . فأين هذا من ترسل الأستاذ الامام فى الوقائع بعيدا عن الافغانى ، حتى الكتابة الفلسفية نرى فيها وضوح الفكر عند محمد عبده كما فى مقالاته التى رد بها على ها نوتو وكانت أساسا لكتابه الاسلام والنصرانية على حين نفتقد هذا الوضوح عند الأفغانى كما فى مقاله تنـــازع البقاء .

إن جمال التصوير وهدوء صفحة التعبير قد اختص بهما الشيخ محمد عبده وكانا فيضا من عذوبة نفسه ، ويكفى انه كتب أحد عشر مقالا فى الأدب السياحى تصور مذهبه فى الفلسفة الأدبية الرائقة ، ونذكر منها هذا النموذج الذى كتبه فى نهاية رحلته الى صقلية حيث يقول : « البحر هادىء والهواء عليل ، وقد قرب الغروب ، واليوم آخر أيام السفر ، وأنا محبوس

فى هذا المكان الضيق لتحرير هذه الأحرف اجابة لطلب بعض الناس ، وبودى لو استنشق الهواء ، لكن بقيت على قصة أقصها ولو تركتها بعد اليوم لم يعد إليها القلم فى يوم » . .

ونحن فى دراستنا الجادة لمقالات العروة الوثقى وموادها استطعنا ان نخرج بالحقائق التالية التى تعتبر خصائص مميزة لقلم الشيخ محمد عبده فى العروة الوثقى وهى :

١ ــ التصوير الفنى وهو تجسيم المعنويات واعطاؤها المنظر الملموس حتى لكأنها تدرك بالحواس الظاهرة .

٢ ــ الاعتماد على التشبيه بصوره البلاغية المختلفة ، وبخاصة ما اذا كان يسوقه تأييدا للفكرة .

٣ ــ الطريقة الجدلية التى تفترض الشىء وترد عليه بالجواب الشافى ، وهى طريقــة أزهرية ناجعــة .

٤ ــ العبارات الموحية وما تقتضيه من الفاظ مناسبة .

٥ ــ كثير من المقالات عنوانه آية كريمة ، وقد يكون البعض حديثا نبويا ، وجميع المقالات تختم بالدعاء المقتبس من آى الذكر الحكيم . .

وقد يهدينا هذا الصنيع الى فكرة جديدة فى الصحافة الدينية التى لم يعرفها العالم الاسلامى الا بظهور العروة الوثقى ، هذه الفكرة هى مــزج الكتابة السياسية بالكتابة الدينية .

والواقع ان صحيفة العروة الوثقى نوع فريد من الصحافة يعتبر ظهوره مبكرا فى ذلك العصر .

٦ ــ يستتبع ذلك ما نراه فيها من سعة الأفق وشمول الثقافة ، وهذا من سمات جمال الدين ، وقد وجد فى قلم الشيخ محمد عبده معرضا لما اتسم بــه .

٧ ــ ظهرت فى أسلوب الصحيفة لازمة خاصة من لوازم الشيخ محمد عبده وهى استعمال صيغــة الكثرة ((فَعَلَة)) كقوله : سكنة وملكة ونقلة وحملة . جمع ساكن ومالك وناقل وحامل .

واخيرا يقول السيد رشيد رضا : « وقد رأينا لكل من هذين الحكيمين مقالات كتباها بعد ذلك فلم نرَ لها من الروعة والدهشة والسلطان على الأرواح ما لمقالات العروة الوثقى . بل قال لى الاستاذ الامام نفسه إننى لا استطيع ان اكتب الآن مثلها ، وعلل ذلك بتأثير الزمان والمكان والحــال والانفعال والآمال .

ولو اتسعت لنا صفحات هذه المجلة المباركة لرجونا ان نقدم لقرائها الكثير من الدراسات الجادة حول جمعية العروة الوثقى ومجلتها واثرها فى خلق الصحافة الدينية ، وصراعها الفكرى والسياسى ، ومعركة الحياة لها مع الشاغبين عليها من قوى الشرق والغرب ، وما تفرد به قطباها من عمل عظيم .



الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى ..

اليهود في العالم

يقــدر الكتاب اليهودى السنوى عدد اليهود فى العالم عام ١٩٦٨ بما يقرب من ١٣ر٢٥٦ر٠٠٠ يهــودى ، منهم ٣ر٧٠٨ر٠٠٠ يهودى فــى اوروبـــه ، واكثر مــن ٦ر٧٦٩ر٠٠٠ يهـــودى فى الامــريكيتين و ٢ر٤٧٩ر٠٠٠ فى آسية (منهم ٢ر٣٦٥ر٠٠٠ فى فلسطين المحتلة واكثر من ٢٢٨ر٠٠٠ فى افريقية .

واذا ما نظرنا الى توزيع اليهود فى العالم نجد انهم يتركزون بشكل كثيف فى ثلاثة مراكز رئيسية فى العالم تاتى الولايات المتحدة الامريكية فى المقدمة ويوجد بها ٥ر٧٢٠ر٠٠٠ يهودى او ما يقرب من ٤٢٪ من يهــود العالم ، ثم يليها الاتحاد السوفياتى ويضم ٢ر٤٨٦ر٠٠٠ يهودى او ما يقرب من ١٩٪ من يهود العالم ثم يلى ذلك فلسطين المحتلة وتضم ٢ر٢٩٩ر٠٠٠ يهودى او ما يقرب من ١٧٪ من يهود العالم اما باقى يهــود العالم وهم قرابة ثلاثة ملايين يهودى فموزعون على حوالى مائة بلد فى العالم .

الــــدولة	عدد اليهــود	الــــدولة	عدد اليهــود
الولايات المتحدة	٥ر٧٢٠ر٠٠٠	مراكش	٥٥ر٠٠٠
اسرائيـــل	٢ر٣٦٥ر٠٠٠	اروجواى	٤٨ر٠٠٠
الاتحاد السوفياتى	٢ر٢٦٨ر٠٠٠	بلجيكية	٤٠ر٠٠٠
فرنسة	٥٣٠ر٠٠٠	تركية	٣٩ر٠٠٠
الارجنتين	٤٧٥ر٠٠٠	تشيلى	٣٦ر٠٠٠
بريطانيا العظمى وشمال ايرلنده	٤٥٠ر٠٠٠	ايطالية	٣٥ر٠٠٠
كنــده	٢٨٠ر٠٠٠	المكسيك	٣٠ر٠٠٠
البرازيل	١٤٠ر٠٠٠	المانيا الغربية بما فيها برلين الغربية	٢٦ر١٠٠
جنوب افريقية	١١٦ر٠٠٠	هولنــدة	٢٢ر٠٠٠
رومانية	١٠٠ر٠٠٠	بولندة	٢٠ر٠٠٠
المجــر	٨٠ر٠٠٠	تونس	٢٠ر٠٠٠
ايران	٧٥ر٠٠٠	سويسرا	١٩ر٠٠٠
استرالية	٦٧ر٠٠٠	اثيوبية	١٥ر٥٠٠

الدولة	عدد اليهود	الدولة	عدد اليهود
الهند	١٤ر٤٥٠	النرويج	٩٠٠
تشكسلوفاكية	١٤ر٠٠٠	جامايكه	٨٥٠
السويد	١٣ر٠٠٠	افغانستان	٨٠٠
النمسة	١١ر٥٠٠	البرتغال	٨٠٠
كولمبية	١٠ر٠٠٠	اليابان	٨٠٠
فنزويلة	٩ر٠٠٠	زامبية	٧٠٠
لبنان	٧ر٠٠٠	كينية	٧٠٠
يوغسلافية	٦ر٥٠٠	جبل طارق	٦٥٠
بلغارية	٦ر٠٠٠	الفلبين	٥٠٠
العراق	٦ر٠٠٠	سنغافورة	٤٥٠
الدانمارك	٦ر٠٠٠	السلفادور	٣٠٠
اسبانية	٥ر٠٠٠	الكونجو	٣٠٠
روديسية	٥ر٠٠٠	بورتوريكو	٢٥٠
اليونان	٥ر٠٠٠	الباكستان	٢٥٠
نيوزلندة	٤ر٥٠٠	الدومنيكان	٢٥٠
ايرلندة	٤ر٠٠٠	البانية	٢٠٠
بوليفية	٤ر٠٠٠	بورمة	٢٠٠
بيرو	٤ر٠٠٠	الجزر العذراء	٢٠٠
سورية	٤ر٠٠٠	نيكاراجوه	٢٠٠
كوبة	٢ر٤٠٠	هونج كونج	٢٠٠
بنمة	٢ر٠٠٠	البحرين	١٥٠
الجزائر	٢ر٠٠٠	هندوراس	١٥٠
ج.ع.م	٢ر٠٠٠	اندونيسية	١٠٠
ليبية	٢ر٠٠٠	هايتى	١٠٠
فنلندة	١ر٧٠٠	بربادوس	٨٠
المانيا الشرقية بما فيها برلين الشرقية	١ر٤٠٠	تايلند	٦٠
كورستاريكه	١ر٥٠٠	ترينيداد	٦٠
براجواى	١ر٢٠٠	مالطة	٣٠
لكسمبرج	١ر٢٠٠	الصين	٢٥
جواتيماله	١ر٢٠٠	قبرص	٢٥
اليمن	١ر٠٠٠		

المصدر :

The Jewish Year Book, London,, 1968, PP. 187 - 188.

قائمة بأهم الوقائع التي حدثت في فلسطين

حسب الترتيب الزمني

اولا :

قبل التاريخ المدون .

العام	الوقائع
فى نحو ٢٠٠ر٠٠٠ ق.م	سكن البشر فلسطين . وكانوا صيادين
فى نحو ١٥٠ر٠٠٠ ق.م	معرفة الفلسطينيين للنار .
فى نحو ١٢ر٠٠٠ — ٦٠٠٠ ق.م	دجن الفلسطينيون الكلب وغيره من الحيوانات واخذوا يعتمدون فى معيشتهم على الصيد والرعى . وفى الفترة الاخيرة زرعوا القمح وغيره وابتداوا ينشئون المدن .
فى نحو ٦٠٠٠ ق.م	نزل بعض سكان الجزيرة العربية فلسطين واستقروا فيها .
فى نحو ٥٠٠٠ ق.م	اخترع الفلسطينيون صناعة الخزف .
فى نحو ٤٠٠٠ ق.م	استعمل الفلسطينيون النحاس .

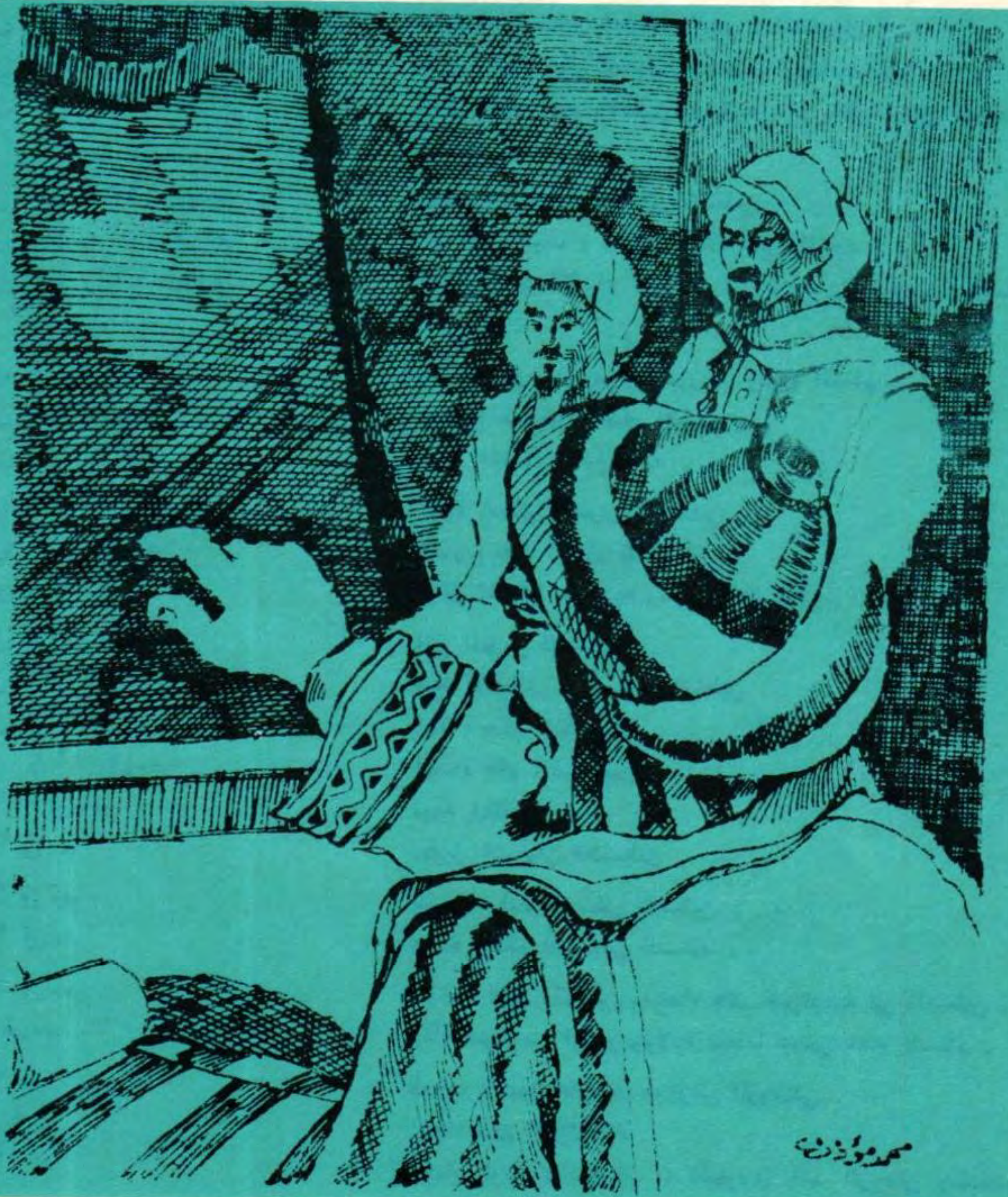
ثانيا :

بعد التاريخ المدون حتى الفتح العربى الاسلامى :

فى نحو ٢٥٠٠ ق.م	استقرار القبائل الامورية ـ الكنعانية العربية فى فلسطين .
فى نحو ١٨٠٥ ق.م	هجرة النبى ابراهيم من العراق الى فلسطين .
فى نحو ١٦٧٥ — ١٥٨٠ ق.م	حكم الهكسوس لمصر .
فى نحو ١٦٥٦ ق.م	نزوح احفاد ابراهيم من فلسطين الى مصر .
فى نحو ١٥٧٠ ق.م	سقوط (شاروحين) المدينة الفلسطينية بيد القوات المصرية .
فى نحو ١٥٠٠ ق.م	استقرار القبائل الارامية فى شمال الشام وجنوبه الشرقى .
فى نحو ١٤٧٩ ق.م	سقوط (مجدو) بيد المصريين وتثبيت الحكم المصرى فى فلسطين .

فى نحو ١٣٧٥ ــ ١٣٥٨ ق.م	تعرضت فلسطين لغارات البدو (الخابيرى) .
فى نحو ١١٨٦ ق.م	غارة اليهود على فلسطين وسقوط أريحا بأيديهم .
فى نحو ١١٨٤ ق.م	نزول الفلسطينيين الآتون من كريد ، وأدخلوا معهم اليها صناعة الحديد .
فى نحو ١١٥٠ ق.م	تقلص النفوذ المصرى عن فلسطين .
فى نحو ١٠٢٠ ق.م	انتخاب طالوت (شاول) ملكا على اليهود .
فى نحو ٩٢٣ ق.م	انتهاء حكم الملك سليمان بن داود وانقسام المملكة اليهودية .
فى ٨٥٣ ق.م	معركة (قرقر) بين الاشوريين ودول الشام .
فى ٧٣٢ ق.م	خضوع فلسطين للحكم الاشورى .
فى ٧٢٢ ق.م	زوال المملكة الاسرائيلية .
فى ٦٠٨ ق.م	عودة الحكم المصرى لفلسطين .
فى ٦٠٥ ق.م	خضوع بلاد الشام للكلدانيين .
فى ٥٨٦ ق.م	زوال المملكة اليهودية وخراب القدس .
فى ٥٣٨ ق.م	فتح الفرس لفلسطين .
فى ٣٣٢ ق.م	فتح الاسكندر المقدونى لفلسطين .
فى ٣٠١ ق.م	ابتداء حكم البطالسة .
فى ١٩٨ ق.م	ابتداء حكم السلوقيين .
١٦٧ ق.م	ثورة المكابيين .
٦٣ ق.م	دخول الرومان لفلسطين .
٤٠ ق.م	استيلاء الفرس على فلسطين .
٣٨ ق.م	عودة الحكم الرومانى للبلاد .
٣٧ ق.م	القضاء على المكابيين وابتداء حكم الهرادسة فى فلسطين .
٤ ق.م	وفاة هيردوس الكبير وولادة سيدنا عيسى عليه السلام .
٧٠ م	خراب القدس على يد طيطوس الرومانى .
١٠٠ م	انتهاء حكم الهرادسة .
١٣٥ م	اخماد ثورة (بركوكب) اليهودى ضد الرومان وتشتت اليهود فى أقطار العالم .
فى ١٩٥ م	انقسام الامبراطورية الرومانية ودخول فلسطين تحت حكم الامبراطورية الرومانية الشرقية .
فى نحو ٢٦٧ م	احتلال زنوبيا ملكة تدمر لفلسطين .
فى نحو ٢٧٢ م	انتهاء مملكة تدمر وعودة الحكم الرومانى للبلاد .
٦١٤ م	احتلال الفرس لفلسطين .
٦٢٧ م	عودة الحكم الرومانى للبلاد .
٦٣٦ م	استيلاء العرب المسلمين على فلسطين .

* كتاب بلادنا فلسطين للاستاذ مصطفى الدباغ .



وانطفأت.. الفتنة

فتنة بابك الخرمي

للاستاذ
احمد محمد السفاريني

المنظــــر : قصر المعتصم فى سامراء ، على بوابته الضخمــة ثلاثة من المماليك ، غلاظ شداد ، يعترضون سبيل كل غاد ورائح . الى القصر . فيقف يظهر جندىقادما عند البوابة .
الجنــدى : سلام الله عليكم . أين الطريق الى ديوان الخليفة ؟
احد الحجاب : وعليك السلام ، من الرجل ؟ وماذا تريد من أمير المؤمنين ؟
الجنــدى : رسول اليه من قائده الأفشين ، واريد مقابلة الخليفة المعتصم الساعة .
الحــاجب : وهل تحمل إليه كتابا ؟
الجنــدى : اجل ، فهذا كتاب مختوم الى أمير المؤمنين من القائد الأفشين .
الحــاجب : انتظر قليـلا .
الجنــدى : قل له انى أحمل اليه بشرى عظيمة فأخبارى تهم الخليفــة وتبهجه .
« يغيب الحاجب داخل القصر ، ويدخل مجلس الخليفة » .
الحــاجب : مولاى ، بالبــاب جندى يقول انه رســول القــائد الأفشين لأمير المؤمنين .
الخليفــة : عجل بــه الينا ، عساه ينقل الينا اخبارا سارة ... لقــد طال بنا أمر هذا الرومى الخبيث بابك الخرمى .
الحــاجب : امر مولاى أمير المؤمنين فى الحــال .
« يخرج الحاجب ويتجه الى البوابة حيث ينتظر الجنــدى بكتابه » .
احد الجالسين : ان الله ناصر عباده المؤمنين ولا بد يا أمير المؤمنين .
آخــــر : أخبار الأفشين منذ شهر تنبىء بالفوز القريب ان شاء الله .
ثــالث : انى أحدث نفسى بأن الأفشين قد قتل بابك وها هو يرســل بالبشارة الى أمير المؤمنين .
الخليفــــة : أنا لا أريد بابك قتيــلا ، ولكنى اتمنى أن يحضره الىّ اسيرا ، لأجعله آية وعبرة لكل العالمين .
الأول : لقد غدر بابك بأمير المؤمنين ، وقاتل جنده ، وبغى فى تصرفه المشين .
الخليفــة : هذا كله أهون على من فعلته النكراء تلك ، يا للكافــر المتمرد يريد أن يعيد الوثنية الى الأرض بعد أن محاها دين الحق ؟!!
الحــــاجب : « يعلن عن مقدم الجندى » رسول القائد الأفشين .
الجنــدى : « يدخل ديوان الخليفة » السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .
الخليفــة : وعليك سلام الله ، من اين يا اخا العرب ؟
الجنــدى : من أرض المعركة يا خليفة رسول الله ، بعد أن أيدنا اللــه بالنصر المبين .
الخليفــة : وماذا تحمل الينا من انباء ؟
الجنــدى : رسالة من قائد الجيش الأفشين .
« يقدم الجندى الرسالة الى الخليفة فيتناولها ويسلمها الى الوزير »

الخليفــة : وكيف كان لقاؤكم لبابك الخرمى أيها الجندى ؟
الجنــدى : كما يلاقى جنود الحق اتباع الباطل .. وتحت راية الاسلام ، ولواء أمير المؤمنين ينتصف الحق واهله .
الخليفــة : بورك فيك من جندى مؤمن يثق بربه وبأميره وبنفسه ، وهذه دعائم النصر .
الجنــدى : لقد آمنا بربنا وبنصره لنا « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .
الجميــع : صدق الله العظيم .
الخليفــة : ما أعظم الاسلام عقيدة للمؤمن ، وشريعة للحق ، وطريقا للعزة والغلبة .
الجنــدى : سوف يبقى نور الاسلام قبسا مضيئا الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .
الخليفــة : صدقت يا بنى . ونعمت العزمات الصادقة .
الوزيــر : ابشر امير المؤمنين بالنصر والتأييد من الله القوى العزيز .
الخليفــة : ماذا قرأت فى كتاب الأفشين اسمعنا .
الوزيــر : كل الخير يا مولاى ..
« يقرأ الكتاب » بسم الله الرحمن الرحيم .
من قائد جيش المسلمين الى خليفة رسول الله مولاى المعتصم ابن هارون الرشيد .
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد ،
« وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » لقد خذل الله عدوك ، واوقع جنده فى أيدينا ، فهو اسير لدينا ، سنتقدم به الى دار الخلافة ، بانتظار توجيهاتكم .
ادام الله عز أمير المؤمنين .
الخليفــة : يا للبشرى الكريمة ، اليوم من أيام الله الكريمة على كل المسلمين .
الأول : وماذا ينوى الخليفة ان يفعل بالخائن الكافر الأفشين ؟
الثــانى : نريدها يا أمير المؤمنين عقوبة تذكر ، فتنزل الرعب فى قلوب المنافقين .
الثــالث : بل قل نريدها قصاصا يحمى الدولة من عبث العابثين ، وتعيد الى الاسلام نضارته ، ويعتز بها كل مؤمن .
الخليفــة : وهل امامنا غير ما حكم الله به على البغاة الخارجين على السلطان ، ان فيه الحياة والحكمة .
الأول : ارى ان تشعل نار كبيرة يجتمع الناس من حولها ، ثم يلقى فيها هو ومن معه من المجرمين .
الخليفــة : بئس الراى ، الم تعلم ان الله وحده هو الذى يعذب بالنار ؟!
الثــانى : اذن نلقى به فى نهر عظيم بعد أن نوثقه بحبل نربط به يديه ورجليه .
الخليفــة : كلا يا قوم ، فحكم الله اولى بالاتباع مما تقولون ، ويتهيأ لكم « بسم الله الرحمن الرحيم » :
« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض » صدق الله العظيم .

الثـــالث : اصبت والله يا أمير المؤمنين ، وما كان لنا أن نتعدى حكم الله وقد نصرنا ونصر دينه ، وانتقم بنا من أعدائنا واعدائه .
الوزيـــر : تلك هى شريعة الله ، فلتنزل بهذا الفاجر العقوبة التى يستحق .
الخليفـة : أجل يا قوم ، فهذا أمر ينبغى أن تحفظه الأجيال القادمة ، لتعلم أن الله الذى انزل على رسوله كتابه ، حافظ له ومؤيده .
الوزيـــر : لو كتبت الى الآفاق مبشرا بهذا الفتح العظيم يا أمير المؤمنين ؟
الخليفـــة : اجل ، اجل ، اين الكاتب . ؟
الكـــاتب : ها أنذا يا أمير المؤمنين .
الخليفـة : هات دواتك وقرطاسك ، واكتب :
الكـــاتب : انا مستعد يا مولاى :
الخليفـة : اكتب : ايها المسلمون ، بشراكم اليوم بنصر الله « نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » لقد خذل الله عدوه ، وهو اسيرنا فأقيموا صلاة الشكر فى كل مكان .
الوزيـــر : انوجه بهذا الكتاب الى الأمصار يا أمير المؤمنين ؟
الخليفـــة : نعم ، أرسلوا به الى كل مكان ليكون السكينة تدخل الى قلب كل مؤمن .
الوزيـــر : والجندى هذا ، الذى جاء بالبشرى ؟ !
الخليفـة : دعه ينتظر الى الغداة ، لنوجه معه كتابا الى الافشين ، بشأن بابك الكافر .
الوزيـــر : أيها الحاجب ، خذ هذا الجندى ، وانزله مكرما فى ضيافة الخليفة الى صباح الغد .
الخليفـة : واخلع عليه حلتين وسلمه الفى درهم .

الفصل الثانى

« فى معسكر الأفشين وقد ضربت له خيمة كبيرة ، فجلس فيها ومن حوله قواده ينتظر وصول بابك الخرمى » .

الأفشيـن : قم أبا سعيد ، فانظر أين وصل الفرسان مع بابك ؟ فقد ابطأوا علينا .
أبو سعيد : لقد سبقتهم اليك ايها القائد ، فهم على إثرى قادمون .
الأفشيـن : أين ابن سنباط ؟
ابن سنباط : هو ذا أنا يا سيدى القائد .
الأفشيـن : مر الناس فليصطفوا صفين وليتركوا بينهم طريقا يمر منها بابك الينا .
ابن سنباط : أيها الجند اصطفوا على جانبى الطريق ، ليمر من أمامكم بابك « يأخذ الجند بتنظيم الناس » .
الأفشيـن : وماذا فعلتم بمن أسر من الناس فى قصر بابك يا ابن سنباط ؟
ابن سنباط : لقد جعلناهم فى معسكر كبير يحرسه الجند .
الأفشيـن : أهم كثير الى هذا الحد ؟
ابن سنباط : هم اكثر مما تتصور أيها القائد ، فانهم يعدون بالمئات بين امرأة وصبى .
الأفشيـن : اجروا لهم الأرزاق ، حتى نرى رأينا فيهم .

ابن سنباط : ارى ان ترسل الى الآفاق ليحضر من له عند بابك بنت او اخت فيأخذها ، فأولياؤهم احق بهم .
الأفشين : نعم الرأى ، اكتب اذن كتابا الى الدهاقين والأمراء بهذا .
ابو سعيد : ها قد وصل بابك الى ابواب المعسكر .
الأفشين : اوقفه قليلا ، وعلى بعد نصف ميل ، واذن فى الناس أن بابك المرتد سيمر من بينهم .
ابو سعيد : هو ذلك ايها القائد « ثم يصيح فى الناس » بابك الخرمى الخارج على ملة الاسلام سيمر بكم ، فاستقبلوه بما يستحق .
الأفشين : يا ابا سعيد لا تجعلوا معه احدا . دعوه يسير وحده .
ابو سعيد : وماذا نلبسه ؟
الأفشين : ما كان يلبس عادة درعه وعمامته وخفيه ، ولا تزيدوا عليه شيئا .
ابو سعيد : امرك مطاع ايها القائد الكبير .
احد الجند : عدو الله بابك الخرمى .
الناس : « يتصايحون » لعنه الله ، اخزاه الله ، الظالم ، الكافر .
احد الناس : اهذا الذى شغل الخلافة كل هذه المدة ؟
آخر : انه لا يستحق كل هذه الضجة ، وليس على حال تهيؤه لذلك .
الاول : بل قل كيف استطاع أن يجمع من حوله كل هؤلاء الناس ؟
الآخر : انه لعجب عجاب ، فكثيرون من الناس لا يملكون عقولا بها يفكرون .
ابو سعيد : لا تعجل بخطاك يا بابك ، واترك الناس يملأون من وجهك عيونهم ، ليروا عاقبة المفسدين .
الجندى : ايها القائد الأفشين هذا عدو الله بابك الخرمى .
الأفشين : دعه يتقدم حتى أنظر اليه ، هذا الذى اجهد الجيش ، واثار الفتنة ، وليكن حاسر الراس .
الجندى : تقدم من القائد ، واكشف عن راسك .
بابك : وماذا يريد منى قائدك ايها الجندى ؟
الأفشين : اريد أن اعرف كيف اغويت القوم هؤلاء كلهم ؟!
بابك : ان الذين رأيت لا يهمهم الا ان يأكلوا ويشربوا ، ويشبعوا شهواتهم ليس غير .
الأفشين : ولكن كيف كنت تدفع بهم الى الموت ويستجيبون لك ؟
بابك : تلك مهمة لا يتقنها الا اصحابها ، فلا استطيع ان اجيبك عنها .
الأفشين : يا ابا سعيد هات دابة اركبوا بابك عليها مهانا ، لينظر اليه الناس فتذهب مهابته من نفوسهم ويعلموا ان الغلبة للحق .
ابو سعيد : امرك ايها القائد الكبير .
« يؤتى بدابة يركب عليها ويطاف بها على الناس وهم ينظرون اليه ويستهزئون به »
الأفشين : خذوه الآن يا ابا سعيد الى غرفة مغلقة تكون له سجنا .
ابو سعيد : والى متى ايها القائد الأفشين ؟
الأفشين : حتى يحضر الينا اخوه عبد الله ، ثم نسير بهما الى الخليفة .
ابو سعيد : ولم لا تقتلهما هنا ؟

الأفشين : تلك اوامر الخليفة المعتصم ، فانه يريد أن ينتقم منه ، وان ينفذ فيه حكم الله امام المسلمين فى سامراء .
ابو سعيد : لا بأس ، سنجعله فى مكان محاط بالجند فى وسط المعسكر .
الأفشين : ايها الجند ، انزلوا بابك عن الدابة ، وسوقوه الى سجنه .
الحاجب : ايها القائد الأفشين ، بالباب ابن اصطفانوس.
الأفشين : وهل معه احد ؟
الحاجب : معه اخو بابك الخرمى ، عبد الله .
الأفشين : دعه يدخل فى الحال .
ابن اصطفانوس : السلام عليكم ورحمة الله ايها القائد الأفشين .
الأفشين : وعليك السلام ، اهلا بك . هل جئت بعبد الله الخرمى ؟
ابن اصطفانوس : اجل ايها القائد ، وقد كنت انظر اذنك بالقدوم .
الأفشين : شكرا لك ، وسنفرض لك جراية كبيرة على عملك هذا .
ابن اصطفانوس : يكفينى أن اكون عند حسن ظن الخليفة بى ، فنحن جنده واتباعه .
الأفشين : ماذا حدا بكما يا ابن الخرمى على ما فعلتما ، واثرتما من فتنة ؟
عبد الله : الحسد والجشع ، وحب الرياسة ايها القائد .
الأفشين : اف لكما ولما تطلبان .
« وينادى » يا أبا سعيد .
ابو سعيد : لبيك ايها القائد الكبير .
الأفشين : خذه الى السجن الذى يأوى اليه اخوه بابك .
ابو سعيد : تعال معى أيها الفاجر الفاسق ، وانتظر مصيرك الاسود فى الدنيا والآخرة .
الأفشين : يا أبا سعيد . هل هيأت الجيش للمسيرة الى الخليفة ؟
ابو سعيد : نعم ايها القائد ، فالأمور كلها على ما يرام .
الأفشين : وهل الحراسة على الكافرين كافية ؟
ابو سعيد : نعم ، فقد وكلنا بهما فرقة من الجيش ، وقادة اكفاء .
الأفشين : قم بنا الى سجنهما قبل أن نبدأ السير .
ابو سعيد : هيا بنا .
« يذهب الأفشين وابو سعيد الى سجن بابك الخرمى واخيه »
ابو سعيد : ايها الجندى : افتح الباب .
الجندى : من انتما ، ولماذا افتح ، هل لديكما أمر بهذا ؟ ماذا تريدان ؟
ابو سعيد : هذا قائد الجيش الأفشين ، وانا ابو سعيد احد قادته .
الجندى : اما الآن فأهلا بكما ، تفضلا وانظرا ما يفعل بابك واخوه .
الأفشين : يا بابك ، ماذا تفعل ؟
بابك : وما الذى جاء بك الى هنا الساعة يا قائد الجيش ؟
الأفشين : جئت اسألك ان كانت بك رغبة لشىء من هذه الديار قبل أن ننقلك الى سامراء لتواجه مصيرك المحتوم .
بابك : لا حاجة لى بشىء الا ان القى نظرة على مدينتى البز .
الأفشين : سنوجه معك جماعة يطوفون بك فيها ، سنلبى لك هذه الرغبة.

الفصل الثالث

الأفشين : يا أبا سعيد ، اعلن النفير العام الى سامراء ، واحرص على بابك واخيه ، شدد عليهما الحراسة .

ابو سـعيد : النفير النفير ايها الناس ولا عذر لمتخلف بعد طلوع الشمس .
« يتهيأ الناس للمسير ، يتوسطهم ركب الأفشين وكبار القادة »
ابن سنباط : هلا أمرت ايها القائد فنقيل هنا بعد هذا العناء الطويل من السفر والجهد .
الأفشين : بلى يا ابن سنباط ، فما احوجنا اليها الآن .
« ينادى على أبى سعيد » يا أبا سعيد مر الجند فليتخذوا لنا مراحا ويقيموا معسكرا .
ابو سـعيد : وهل نسى القائد استعجال الخليفة ، ورسله الكثيرين يستحثنا على القدوم اليه ؟
الأفشين : ما نسيت ذلك يا أبا سعيد ، وبودى لو استطعت أن أطير اليه ، ولكن الجند مرهقون .
ابو سعيد : اذن نجعل بيننا وبين الخليفة بريدا متصلا نبعث اليه كل يوم بكتاب نخبره فيه عن مواقعنا ، ونتلقى رده .
الأفشين : نعم الراى يا أبا سعيد ، وليكن ذلك منذ الساعة .
« فى قصر أمير المؤمنين المعتصم والجمع فى الديوان محتشد ، يدخل الحاجب » .
الحاجب : رسول الأفشين بالباب يا مولاى .
الخليفة : دعه يدخل .
« يدخل الرسول » .
الرسول : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .
الخليفة : وعليكم السلام ، ماذا تحمل من اخبار جديدة ، اين تركت ركب الأفشين وأسيريه ؟ !!
الرسول : لقد وصلوا ضواحى سامراء ، وهم الآن بالقرب من قناطر حذيفة .
الخليفة : اين الحاجب ؟ ادع الى الأمير هارون ولدى .
هارون : ها أنذا يا أمير المؤمنين .
الخليفة : انت هنا يا هارون ؟ تهيأ سريعا وخذ معك كوكبة من الفرسان والق الأفشين على قناطر حذيفة ولا تفارقه .
هارون : امرك يا أمير المؤمنين . سنرحل اليهم الساعة .
الخليفة(لوزيره) : لقد وصل ركب الأفشين ، فأين ترانا سنجلس لبابك ولأخيه ؟
الوزير : فى دار العامة يا أمير المؤمنين .
الخليفة : اترى هذا الراى يا محمد ؟
الوزير : اجل يا أمير المؤمنين ، يدعى الناس للتفرج عليه ولسماع الحكم عليه ، ويشفون غليلهم من النقمة عليه .
الخليفة : هيئوا لنا دار العامة ، واذنوا فى الناس ان يجتمعوا
« فى مجلس العامة ، وقد وضع للخليفة كرسى مرتفع يشرف منه على الناس » .
الخليفة : ايها الوزير ، اشر على . اريد ان يرى الناس كلهم هذا اللعين فما العمل ؟ .
الوزير : ارى يا أمير المؤمنين أن يصطف الناس صفين يمر من بينهم بابك واخوه .
الخليفة : ولكن الناس لا يمكنهم الاشراف عليه كلهم . ولا بد من اشهاره.
احد الحضور : ليس هناك اضخم جثة ، ولا اطول قامة من الفيل ، يحمل عليه فلا يخفى على أحد .

الوزيـــر : أجل يا أمير المؤمنين ، ويخترق الفيل به الصفين حتى يصل الى مجلسك ، فيترجل .
الخليفـة : نعم الرأى ، أحضروا الفيل ، واركبوه عليه .
« واصطف الناس بينما أخذ الفيل يخترق الصفوف الى مجلس الخليفة » .
الوزيـــر : « محمد بن عبد الملك الزيات » ما ابهج هذا المنظر يا أمير المؤمنين .
الخليفـة : الم تقل فيه شعرا يا محمد ؟
الوزيـــر : بلى يا أمير المؤمنين استمع :
قد خضب الفيل كعاداته يحمل شيطان خراسان
والفيل لا تخضب أعضاؤه الا لذى شأن من الشان
الخليفـة : أحسنت يا محمد ، انه شيطان وأى شيطان ، سأريك كيف أنزل به العقاب العادل .
الوزيـــر : انه يستحق كل عقوبة . ها هو قد اقبل .
« يتقدم بابك بين جنود يمسكون به حتى يقف أمام الخليفة » .
الخليفـة : هيه يا بابك ، الم يخزك الله ويظهر كيدك ، ويديل منك .
« بابك لا يحير جوابا »
الخليفـة : اين ابن أبى دؤاد القاضى ؟
القــاضى : بين يدى أمير المؤمنين .
الخليفـة : احكم عليه حكم الله الذى أنزل بكتابه .
القــاضى : انه باغ ، خرج على الخليفة أمام المسلمين وقد أخاف الناس وسلبهم فحكمه أن تقطع يداه ورجلاه من خلاف . ويصلب بعد ذلك .
الخليفـة : ايتونا بجزار ينفذ حكم القاضى .
الوزيـــر : لو رأى أمير المؤمنين أن يتولى سياف بابك (نود) هذه المهمة لكان أنكى له
الخليفـة : هو ذاك ، يحضر (نود) سياف بابك .
« يتنادى الناس نود . . . نود حتى يحضر » .
الوزيـــر : أمير المؤمنين يأمرك أن تقطع يدى بابك الكافر المرتد ورجليه من خلاف .
نـــود : أمر أمير المؤمنين مطاع . . إنه لشرف لى عظيم أن اكفر عن بعض ذنوبى فى صحبة هذا الأفاك الشرير .
يقطع نود ، اليد اليمنى ثم الرجل اليسرى ، ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى ، ويلقى بها .
بابـــك : يا ويلتاه ، الرحمة ، الشفقة .
الخليفـة : ان الشياطين لا يرحمون ، وان الفجار لا يستحقون العطف والشفقة .
الوزيـــر : اين يرى أمير المؤمنين صلبه بعد ذلك ؟
الخليفـة : خذوه الى العقبة واصلبوه هنـــاك ، فذلك جزاء عدل لأفظع جريمة فى التاريخ .
الوزيـــر : وأخوه عبد الله ؟
الخليفـة : وجهوا به الى بغداد وافعلوا به ما فعل بأخيه بابك .
ـ ستار ـ

بيت المقدس في الشعر الحديث

ان المعركة حين حميت بين العرب واسرائيل وحين أسفرت اسرائيل عن مطامعها التوسعية لم يشغل الشعراء الحديث عن مدينة بيت المقدس بقدر حديثهم عن ضرورة التشبث بالبقاء داخل الاراضى الفلسطينية الكبيرة فالمشكلة لم تعد مشكلة مدينة ، وانما اصبحت مشكلة وطن مضاع ودم مطلول ووجود مهدر ، ومن هنا كانت دعوتهم الحارة والعميقة الى ضرورة البقاء فى الارض حتى ولو كانت محتلة ، الى ضرورة التشبث بالتراب حتى ولو كان يتلون دائما بالدم وبالغيظ وبالكمد وما اعمق هنا صوت نازك الملائكة وهى تقول : —

يا رمح اسرائيل مهما ارتوى
من جنحه من روحه من مناه
يبقى ثرانا عربى الشذى
والضوى .. يبقى عربى المياه

وفى ضوء هذا سمعنا ((فتحى قاسم)) يقول فى قصيدة بعنوان : هنا جذرى .

سابقى رغم اذلالى
وجرحى والأسى المقوت
هنا فى حضن اجدادى
وارضى والسنا الموروث
سابقى رغم اذلالى ولن ارحل
هنا جذرى وتاريخى وقصة حبى الأول
هنا وطنى
ولن ارحل

ويقول محمود درويش

آه يا جرحى المكابر
وطنى ليس حقيبة
وانا لست مسافر
اننى العاشق والارض الحبيبة

وسميح القاسم يعيب على صديق له انه يعيش بلا جذور بعيدا عن الارض فيقول : —

رسالتك التى اجتازت الى الليل والاسلاك
رسالتك التى حطت على بابى جناح ملاك
اتعلم ؟ حين فضتها يداى تنفضت اشواك

على وجهى وفى قلبى
أخى الغالى
اليك هناك فى بيروت
اليك هناك حيث تموت كزنبقة بــلا جــذر
كنهر ضيع المنبع
كأغنية بلا مطلــع
كعاصفة بلا عمر
اليك هناك حيث تمــوت كالشمس الخريفية
بأكفان حريرية .

وتؤكــد فدوى طوقان ظاهــرة التشبث بالارض الفلسطينية بصفــة عامة فى قصيدة لها بعنوان (أغنيات صغيرة الى الفدائيين) فتقول .

كفانى أموت عليها وادفن فيها
وتحت ثراها اذوب وافنى
وابعث عشبا على أرضها
وابعث زهرة
تعيث بها كف طفل نمته بلادى
كفانى أظل بحضن بلادى
ترابا ، وعشبا ، وزهرة ..

ويحدد القضية أكثر الشاعر توفيق زياد فى قصيدة بعنوان (من وراء القضبان) حيث يقول :

هنا على صدوركم باقون كالجدار
نجوع . نعرى . نتحدى
ننشد الاشعار
ونملأالسجون كبرياء
ونصنع الاطفال جيلا ثائرا وراء جيل
اذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكل التراب أن جعنا ولا نرحل

يا جذرنا الحر تشبث
واضربى فى القاع يا أصول ..

من كل هذا نرى أن الشعراء ـ وبخاصة الشعراء داخــــل الارض المحتلة قد رأوا المصيبة تعم ، ورأوا أن الخطر لا يتربص بمدينــة (بيت المقدس) فقط وانما يتربص بالتراب العربى .. بالتراث العربى بالوجود العربى ومن هنا نراهـــم يدورون باجفانهم المليئة بالدموع والاشفــاق على العديد من المدن العربية وعــلى العديد من المناطق العربية .

ومن الملاحظ أنه بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ وبعد أن أفاق الشعراء مــن الصدمة رأيناهم يقفون وقفة خاصة عند سقوط هذه المدينة ورأينا هذه الوقفــة منسوجة نسجــا محكما من المشاعر الدينية .

والشاعر هارون هاشم رشيــد يرسم لها صورة ملونة بالاسلام فى قصيدة كبيرة بعنوان القدس ، يقول فى افتتاحيتها :

القدس ... القدس
ومآذن تهتف بالناس
الله أكبر .. الله أكبر
وحى على الصلاة..وحى على الفلاح
الله أكبر .. الله أكبر
القدس وفى الناس المسرة
القدس وحى على الصلاة

ومن الشعراء الذين نظروا الــى

القدس فى ضوء اسلامى خالص على أحمد باكثير فى ملحمته الطويلة (اما نكون أبدا أولا نكون ابدا) فالى جانب ان الروح العام لهذه الملحمة هى ايقاظ الهمم والدعوة الى الارتفاع عن الحزن نراه يقول :

المسجد الثالث قد ذل وهان
أسلمه الى اليهود الامريكان
عداوة منهم لدين المسلمين
ولكتاب المسلمين
ولا نبعاث المسلمين
وحلقة جديدة من ذلك الزحف الصليبى اللعين

ومن العالم الدينى ، واجوائــه الشعرية بل وقاموسه نجد محمـــود حسن اسماعيل يقول :

سمعت بهــا غضب الانبيــاء
مزامير ويــل عتى صـــداه
وابصرت الواحهم فى الفضاء
محاريب تصرخ فيهـــا الصلاة
وتسبيحهم من ضفاف السمــاء
يصب عــلى الارض سخط الاله
ويرمى عليهــا دخــان الشقاء
أعاصير حقد تــؤز الحيـــاة

ونجــد على هاشم رشيد يقول : —

وطار بى الشوق لارض السلام
ومهبط الوحى ومهـــد الكماه
نزلت بالقدس وسرب الحمـــام
يبث للازهار نجــوى هـــواه
جبالهـــا الشم بوجه الخطوب
قــد خضبتها سائلات الدمــاء
ما هب فيها شمال أو جنـــوب
الا وكان الهــدى ذاك الحــداء

ونجد هذا الاتجاه الاسلامى النقى عند الشعراء على الجندى ومحمـــود غنيم وعامر بحيرى وعبد الله شمس الدين ، وقاسم مظهر وروحية القلينى وشريفة فتحى وعلية الجعار .

.. وبرغم ما قيل فى هذه المدينة الحزينة ، فان كل شعر قيل كان دون المأساة ، وكان دون نكبة العـــرب والمسلمين بهذه المدينة المقدســـة أو بمدينة الصلاة كما يحلو للبعض أن يسميها .

فاذا عرفنا أن كل يهودى كان لا يمل من القولة المأثورة عندهم والتى تقول :

((اذا نسيتك يا أورشليم فلتخذلنى يمينى ، وليشل لسانى فى فمى اذا لم اذكرك)) فلا أقل من أن يقول كل مسلم فى كل يوم (.. يا بيت المقدس اذا نسيتك فلتخذلنى يمينى وليشل لسانى فى فمى اذا لم اذكرك) .

فنحن معنا الحق . والله ولــى الحق .

*** ((حول بيت المقدس)) كتاب أصدرته لجنةالتعريف بالاسلام احدى اللجان التابعة للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة .**

الفتاوى

الصور العاريـة

السؤال : ما حكم الصور العارية فى الشريعة الاسلامية ؟

الاجابة :

الصور الفاتنة العارية منها وغير العارية التى تظهر على غلاف المجلات فى الصحف والاعلانات واللوحات وفى الافلام المثيرة ، وفى الشوارع والحدائق وأجساد النساء المنكشفة التى ترى فى الشوارع والمراقص ودور اللهـو والاستعراضات والمسابقات . كل هذا قال الدين فيه قوله بصراحة ، وجهـر المصلحون برأيهم فيه ، وحذروا الناس من مغبة هذه المآسى وأثرها السىء فى الأخلاق ، وضررها على الفرد والأسرة والمجتمع .

لقد بين الدين ما يجب التزامه على كل من الرجل والمرأة فيما يرجع الى المعانى التى من شأنها اثارة الغرائز الدنيا بين الرجال والنساء غير الحلائل ، وأوجب كمال الاحتياط فى هذا الامر صيانة للشرف حتى لا يتردى الناس فى مهاوى الفجور ، وحتى تحفظ الأعراض والأنساب .

أمر الاسلام بستر العورات والغض من الأبصار ، وحذر من الخلوة المريبة والقـول اللين والنصوص فى ذلـك صريحة وواضحة قال تعـالى « قـل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)) وقال ((وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن عـلى جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن)) . .

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التحدث عن محاسن المرأة الى رجل أجنبى عنها حتى لا يفتن بها فقال (لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر اليها) ، واذا كان مجرد الحديث عن صفات المرأة منهيا عنه ، فما بالـك بالصور العارية التى هى أقوى من القول وأشد تأثيرا .

ان نشر الصور العارية حرام والنظر اليها حرام والاتجار فيها حرام .

وقد اتفق المصلحون على أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وان ما زاد ضرره على نفعه يجب منعه رعاية للصالح العام .

حديث المجالس

السؤال مجالسنا لا غنى لنا عنها ، وهى تضم الصالح والطالح ويدور فيها الحديث الغث والسمين والعف والفاحش ، فما حكم الجلـــوس فى هـــذه المجالس ؟

الاجابة :

الاسلام لم يحظر على الناس أن يتسامروا ، ولم ينكر عليهم أن يتبسطوا ، بل اعتبر المحادثة من أسباب المودة ووسائل التعارف ، والاسلام مع دعوته الى التودد يحرص على تنقية مجالسنا من الشوائب ، فيصرفنا عن المهاترات فى الحديث ويكفنا عن التعرض للغو الكلام وفاحشه ويشبه الجليس الصالح بحامل المسك ويشبه الجليس السوء بحداد ينفخ الكير ، والانحراف فى السمرائم ونقيصة فاذا كان الحديث يتعرض لحرمات الناس أو للنكات الفاحشة أو للخوض فى الباطل فلا يجوز حضوره ولا المشاركة فيه ، يقول الله تعالى لرسوله الكـــريم ((واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره)) .

احتساب الدين من الزكاة

السؤال : لى دين عند رجل فقير يستحق الزكاة ، فهل يجوز لى أن أتنازل عن هذا الدين كله أو جزء منه واعتبره من زكاة مالى .

الاجابة :

الراجح فى مذهب المالكية أنه اذا كان الدين على فقير يمكنه أن يؤديه لدائنه الذى عليه الزكاة فلدائنه أن يحتسبه من زكاته ، وكذلك اذا كان به رهن فى يد من عليه الزكاة ، ففى كلتا الحالتين يجوز لمن عليه الزكاة أن يحتسب دينه مـــن الزكاة ويجزئه .

أما فى غير هاتين الحالتين فلا يجوز حسبان الدين من الزكاة .

قراءة القرآن للميت

السؤال : هل ينتفع الميت بقراءة القرآن عليه بمعنى أن ثوابها يصل اليه ، فيرفع من درجاته عند الله أو يخفف من عذابه .

الاجابة :

قال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا وردت الى والدى رحمه الله رسائل كثيرة فى هذا المعنى وكان مالكى المذهب ، وقد أجاب عليها بما يأتى —

أما قراءة القرآن للميت سواء أكانت على القبر أم بعيدا منه فقد أختلف العلماء فى وصول الثواب اليه ، والجمهور على الوصول وهو الحق خصوصا اذا وهب القارىء بعد القراءة ثواب ما قرأه للميت ، وللقارىء أيضا ثواب لا ينقص من أجر الميت شيئا .

بريد الوعي الإسلامي

بعث الينا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى هذه الرسالة التى وردت اليه والاجابة عليها :

أرسل الى قارىء أغفل اسمه ، خطابا يقول فيه : الله عادل ورحيم، ففيم ترك فى المجتمع أشخاصا كثيرين ، يعانون ، بدون ذنب ولا جريرة ، من عاهات ومصائب يتقطع لها قلب الانسان ؟ .. وأين العدل بين من كان هذا حاله وأولئك الذين يتقلبون فى ألوان النعيم ؟

هل السائل مؤمن بالله

وأغلب الظن أن السائل غير مؤمن بالله عز وجل ، أو هو فى شك من وجوده .

فليس سؤاله هذا الا نتيجة لجحوده أو عدم يقينه . كالجاهل ، ينكر اختصاص مؤلف أو باحث فيمضى يسفه أفكاره ، ثم يجعل من هذا التسفيه برهانا على جهله وعدم خبرته واختصاصه ... وهو لو تنبه الى أمر نفسه ، لعلم أنه دائر وسط حلقة من وهم تصوراته . فلولا ما توهمه أولا من جهل الباحث ، لما تصور أبحاثه سفاهة وجهلا ، ولولا هذا التصور لما كان له منه أى برهان على صدق وهمه الاول .

ان هذا السائل ، لم يتوفر — فيما أحسب — على يقين صادق بوجود الله تعالى . اذ لو آمن به لأيقن أنه أحكم الحاكمين ، ولو أيقن ذلك لآمن برسالات الانبياء وما تضمنته من تعريف بحقيقة هذه الحياة الدنيا ومبدئها ومنتهاها وعلاقتها بما وراءها . ولو آمن بذلك لأدرك سر وجود الانسان فى الكون ، وتنبه الى الأمانة التى حمله الله اياها فى هذه المرحلة من الحياة .. واذا لما وجد فى شىء من مظاهرها ما يثير فى نفسه اشكالا أو يرده الى أى شك أو جحود . فهو يرى كل ما فيها متسقا مع طبيعة هذه الامانة أتم ما يكون الاتساق ، وهو يرى ذلك كله أدق تمهيد لطبيعة الحياة الخالدة الأخرى .

كل هذه المدركات اليقينية ، انما تنبع من يقين عظيم آخر سابق عليه هو الايمان بالله عز وجل . ولن ينتهى من دونه لغز هذا الكون ، ولا يتخلص الفكر بغيره من **دوامة نظر عابث لا طائل له .**

فان كان هذا السائل كما قدرت ، فليطو مشكلته الوهمية هذه ، فلو أجتمع من حوله أهل الارض كلهم ليجيبوه عليه لما وقع كلامهم من عقله أى موقع للقبول . وليلتفت الى مشكلته الحقيقية الاولى ، مشكلة ذهوله عن الايمان بالخالق جل جلاله وليجدد سؤاله وبحثه ضمن هذه الحقيقة دون أن يروغ عنها الى الاوهام التى لم يتفرع الا عن جهله بها .

ما معنى المحنة ؟

أما ان كان السائل مؤمنا بالله واليوم الآخر ، ولكنه يراها مشكلة التصقت بوهمه من كثرة ما يرددها محترفو الالحاد وتجاره ، فان الخطب فى ذلك سهل ، وليطمئن الى أنه شباك أخرق لا يبلغ

أن يمسك لأربابه على أى صيد من ايمان امرىء صادق فى ايمانه

ونحن نبدأ فنقول : من أين لك أن المحنة لا تتمثل الا فى هذا الذى بترت يده أو عميت عينه أو استحكمت به عاهة ؟.. ومن قال لك أن المحنة هى تلك التى يصطبغ بها ظاهر الانسان وتتجسد واضحة فى ناحية من انحاء جسمه ؟.

انما المحنة ما تسلل الى طوايا النفس ، فأصاب بمرارته أو بحرقته القلب .

والمحنة اذا ، ليست هذا الذى تراه عيناك من ظواهر بعض الناس . وانما هى ما تراه عيناك ولا يدركه شعورك مما قد يطوف بنفوسهم ويستحكم بأفئدتهم ومشاعرهم ، وان لها اليهم سبيلا أعم وأشمل مما قد تظن .. وما من انسان الا وهو منحرف اليها ومسوق الى غايتها وذائق من عذابها .

وهذه ألوان منها :

ان الذى تضل به سيارته عن طريق غايته ، ويقع فى تيه لا يدرى الى أى مصير سيسلمه ، انما يعانى من محنة خانقة ، ولو كان محفوفا ، وسط ضلالته تلك بخضرة الرياض وفوح الرياحين .

والذى أوقعته ظروف التجارة ومغباتها ، فى خسارة مالية غير متوقعة ، — وهو ممن يرقص لرأى القرش وتأخذه النشوة لحركة توالده وتزايده — انما تنقطع نفسه حسرات تحت رحى محنة قاسية يعجز عن وصفها البيان ، وان كنت تراه فى عيش رغيد وسط دار جميلة آمنة .

والذى تعلق قلبه من الدنيا بحسناء ، وراح يتصور أن الوان النعيم كلها ستفيض فى كيانه ان هو سكن اليها ، وفيما هو ينسج فى خياله الآمال ، ويحدث الدهر عن أمانيه ، ويأمل عنده الخير فى انجازها ، اذ ضرب الدهر بينه وبينها بسور غليظ تهدم تحته كل آماله — هذا الانسان يلتف به من سعار المحنة ما يشبه اكفانا من اللهب ، لا تطفئها عنه افراح الدنيا كلها ولا فنون اللذة بأسرها وقد تبصره فلا تقع عينك منه الا على ما تغبطه فيه أو تحسده عليه ..

والذى ساقه سوء الطالع الى حياة من اللهو والاباحية المطلقة ، فهو يسهر الليل كله فى معاقرة اللذة واعتصارها ، حتى اذا أقبل النهار طارده بنوم ثقيل متواصل ، ولا يزال هذا دأبه ولون حياته — انما تحسبه سعيدا وهو يميس فى حلة (السهرة) تحت أضواء من الليل ساطعة أو خافتة ، ولو علمت دخيلة أمره ، ووصلت الى طوية نفسه ، لرأيت وراء صدره مرجلا من الهم تصاعد منه الزفرات المذيبة الخانقة ، ولرأيت النوم فى حساب حياته ليس الا (كابوسا) من سحائب الغم والنكد يتفشى الباطن والظاهر من شعوره وعقله ، على حين لا يكون فى حساب سائر الناس وشعورهم الا واحة من الراحة والنعيم يتفيؤون ظلالها كلما فاض بهم الجهد والنصب .

والذى استغلقت عليه نوافذ الايمان بالله تعالى ، فتتابعت على فكره الاسئلة المتنوعة المختلفة عن الكون والانسان وسر وجوده وعاقبة أمره ، دون أن يجد عليها جوابا شافيا ، وثارت فى نفسه عوامل الرعب والالم للذى يراه حوله من مظاهر الهرج والمرج والتطاحن والعدوان والبغى ، حتى راح يتخيل مظاهر الترف والنعيم خلال ذلك أشبه ما تكون ببروق مرعبة خاطفة تومض فى ليلة عاصفة ظلماء ، فهى تنذر بالشر أكثر مما تؤنس أو تنير السبيل ، دون أن يهتدى من وراء ذلك كله الى سر ولا تأويل — هذا الانسان قد تراه فتحسبه سعيدا وهو انما يعيش فى رعب مطبق على نفسه . ولو أبصرت ، لوجدت المحنة تتسلل منها الى جذور تفكيره وعقله ، لتقذف به أخيرا اما الى ساحة جنون أو الى سبيل انتحار ..

الشعور هو المقياس :

ورغم أن أصحاب العاهات والمصائب الظاهرة ، ينبغى أن يقاس أمرهم — فيما يبدو — على حال هؤلاء الاصناف الذين حدثتك عنهم ، فانه قياس خاطىء لا مستند له .

كثير ممن سلبهم الله تعالى نعمة البصر ، يتمتعون بنفس راضية سعيدة ، لا تعرف الهم . وكثير ممن ترى عليهم أشد مظاهر البؤس والفقر ، تظل أفئدتهم نابضة بمرح رائع عجيب قد لا تتصوره الا فى ذكريات طفولتك . وكثير ممن ترى الاوجاع والامراض مستحكمة فى جسومهم ، يعيشون وسط مزيج من الشعور بآلامهم والرضى القلبى العميق عن واقع حياتهم وما أقامهم الله تعالى فيه .

ولست أقصد بذلك الى أن هذه المحن مصائب وهمية لا سلطان لها على النفس . وانما أريد أن ألفت نظر القارىء الى أن العبرة بما تشعر به النفس ، وبما قد تتلون به حالة القلب ، والى ان المصائب التى قد يكون لها سلطان على المشاعر ليست محصورة فى هذا الذى تراه متلبسا بمظهر بعض الناس فترق لحالهم أو تتألم لمنظرهم . بل هى مختلفة متنوعة . وقل ان ترى رجلا من الناس الا وهو مصاب بنوع منها .

وليس الشقاء الذى ينزل بأحد الناس ، نابعا من وقع المصيبة ذاتها ، مهما اختلفت وتنوعت . ولكنه آت من عدم اتساع النفس لها واستعلائها عليها .

وانما تتسع النفس لها باحدى وسيلتين لا ثالث لهما :

أما الوسيلة الاولى فهى يقينه بوجود الله عز وجل ، وما يستلزمه ذلك من يقينه باليوم الآخر وقيمة هذه الحياة الدنيا وبأنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وبما قد تلقاه من خطاب الله تعالى للصفوة المختارة من مخلوقاته وما تضمنه من بيان سنة الله تعالى فى عباده ومن طبيعة هذه الحياة الدنيا ، ومن ان الانسان ليس الا عبدا مملوكا لله .

فهو قد قرأ قوله تعالى : ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون .

وقرأ قوله : وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا .

وقرأ قوله : ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين .

قرأ هذا كله فاستيقنته نفسه وآمن بحكمة الله عز وجل وخضع لها ، سواء اهتدى الى معرفة تفصيلها أم غابت عنه واستغلقت عليه .

أما الوسيلة الثانية فهى فى أن يملك الانسان طاقة خارقة يبعد بها عن نفسه حديث الفكر وتشويش العقل ومنغصات الخيال .

اذ ان أكثر ما يصاب به الانسان من أكدار القلب وهموم النفس ، انما يأتيه بسبب من طول التذكر أو ملاحقة التخيل أو تساؤلات العقل . فلو أتيح له أن يلجأ الى النسيان أو الامل أو الذهول لانزلقت عن قلبه المصائب فما شعر بها وما أهمه سوء وقعها .

ولكن الفاطر الحكيم لم يشأ أن يعطى الانسان ، العزيز الكريم ، هذه الطاقة ..

بل أثقله بأعباء جسيمة من المشاعر والفكر والعقل . وحمله الى ذلك أثقالا عظيمة من صور الماضى وآثاره ، وأخيلة وتقديرات مختلفة عما يحمله فى طيه المستقبل .

من أجل هذا ، كان الذين يملكون هذه الطاقة هم المجانين وحدهم .

سر هذا كلــه

وقد تسأل : ففيم أرهق الانسان تحت هذه الاثقال كلها ؟ وهل كان مستحيلا على قدرة الله تعالى أن يحمله اياها دون أن يشعره بشىء من نتائجها المؤلمة ؟ وفيم كانت المعرفة مقرونة بنكد الحياة ومصائبها ؟

والجواب : أن ارادة الله تعالى شاءت أن يكون الانسان أعظم مظهر لا لوهيته سبحانه وتعالى وأبين لسان ناطق بسر الوجود كله . والشكل الذى شاءت حكمة الله أن يظهر فيه ذلك كله هو عمارة الكون عن طريق ممارسة العبودية الصادقة لله تعالى .

وممارسة العبودية لله عز وجل ، هى أن يكون الانسان عبدا مملوكا لله تعالى بالسلوك والاختيار كما قضى عليه بذلك بالخلق والاضطرار .

ولا تظهر العبودية لله تعالى الا بقبول التكاليف . أى بقبول السير فى طريق من الحياة فيهـا كلفة ومشقة .

ولا يتم ذلك كله الا بتكامل أسباب الاهلية من عقل ورشد وسلامة تفكير .

ينبوع التكاليف والمشقات

وانما قوام تكاليف الحياة ومشقاتها على أمرين اثنن :

صعوبات يراد من الانسان الصبر لها ، وخيرات يراد منه الشكر عليها والكف عن الاستغراق فيها .

وليس الشكر ما قد تظنه من تحريك اللسان بالثناء ، وانما هو تسخير الانسان جميع ما أنعم الله به عليه لما قد خلق من أجله . وكل ما سخره من مظاهر النعيم فى غير ذلك ينقلب وبالا وشـقاء عليه فيما بعد ..

ولذلك كان الابتلاء بوجوب الشكر لا يقل صعوبة عن الابتلاء بوجوب الصبر .

واذا كانت وظيفة الانسان فى هذه الحياة الدنيا ــ وهى ممارسة العبودية الراضية لله تعالى ــ قائمة على كل من محورى الشكر والصبر ، فقد كان لا بد اذا أن تكون مادة الحياة نفسها مؤلفـة من أسباب كل منهما . بل ان وجود كل منهما لا يتم الا الى جانب وجود الآخر . ولا يستقيم فى الذهن معنى أحدهما الا عند تصور الثانى منهما .

وكلاهما أبرز حقيقة للابتلاء الخطير الذى شاءت حكمة الله أن يساق الانسان فى سبيله .

أجل .. ان الابتلاء بالخير لا يسمى ابتلاء عند من لم يفهم معنى هذا الوجود على حقيقتـه ، ولم يتعرف على هوية نفسه وقصة رحلته الخطيرة فى هذا الكون . فهو يمارس هذه النعم التى مـن حوله كدابة تفتحت عيناها على معلف أمامها فانحطت برأسها فيه دون أن تدرك شيئا آخر مما قـد يراد بها .

الا أن العقل وحركة الفكر يأبيان ، مع ذلك ، على هذا الانسان أن يستغرق فى ملاذه دون منغص . بل الخير نفسه ينقلب ، مع الممارسة ، الى مادة ضجر ومصدر لغز وسجن خانق . اذ كان الفرق بينه وبين البهائم هذه الاثقال التى تلازمه من العقل والفكر وحركة الذهن والخيال .

الأمل جوهر الصبر

والذى يرى أن الدنيا هى الفرصة الوحيدة للحياة ، فلا حياة أخرى من ورائها ــ لا يفهم للصبر على بلائها أى معنى ، ولا يرى للشكر على نعمها أى دافع . فهو لا يتحمل ، من أجل ذلك ، صبرا ولا يحصر نفسه فى طريق أى شكر .

وهذا الصنف ، هو الذى تراه دائما يجأر بالشكوى من المصائب ويظل ينشد العدالة الالهيـة ويبحث عن مصيرها .

ولهم الحق كله فى أن لا يفهموا ما يفهم المؤمن من معنى الصبر وضرورته أو الشكر ودوافعه .

فان الصبر فى حقيقته ليس أكثر من تعلق الأمل بخير متوقع .. فاذا لم يكن ثمة أمل فلا صبر ، بل لا معنى عندئذ للصبر ، وليس معنى تحمل الضر عندئذ الا الخضوع القسرى لعذاب لا ثمرة له ولا مناص منه . وجدير بمن كان هذه حاله أن يختنق أو ينتحر .

ان الذى كتب عليه السير ضمن مغارة ضيقة مظلمة ، وطال عليه السير فيها ، دون أن يتوقع لها نهاية تنفذ به الى متنفس سعيد يستنشق فيه الهواء والضياء ، لا يعتبر سيره أو بقاؤه فيها مـن

الصبر فى شىء وانما هو سير وئيد أو سريع الى الانفجار أو الاختناق .

أما ذاك الذى يسير الى جانبه وسط تلك الظلمة ذاتها ، وهو موقن أنها الطريق الطبيعى الوحيد الى جنة غناء وارفة الظلال ، فانه لا يحس من كل ما حوله الا بالأمل الذى يراوده ، ولا يرى من الظلام المطبق عليه الا صورة الضياء الذى ينتظره .

وهذا هو الصبر الذى أمر الله عز وجل به فى كثير من آيات كتابه .

ليس صبرا لا معنى له على عذاب دائم خانق . وانما هو صبر فى طريق لا بد منها ، الى الغاية التى لا شك فى وجودها ولا مرية فى انتهاء الانسان اليها . وبمقدار ما أمر الخالق عباده بالصبر فقد أكد لهم حقيقة الأمل وجزم لهم أنها حقيقة واقعة لا ريب فيها .

وعلى الذى يظل يشكو من ظلام السرداب الذى يسير فيه ، ان يشكو من جحود ، بالنهاية التى تنتظره وراء الظلام .

والحب أو الخوف سائق الشكر

والانحباس فى طريق الشكر أيضا لا معنى له عند من لم يؤمن بعد بوجود من ينبغى عليه شكره أو هو مؤمن به ولكنه لا يستشعر بالخوف من عذابه أن هو استغرق فى النعم التى سيقت اليه ولم يستعملها ضمن حدود معينة وبحساب .

فلئن ركب مثل هذا الانسان رأسه سعيا وراء المتعة أينما كانت واستغرق فى لجة من الاباحية والنعيم . فان حاله لا تعتبر مقياسا حقيقيا للسعادة ، وانما سعادته وهم قائم فى خياله وخيال من قد ضل ضلاله وذهل عن العاقبة مثل ذهوله .

ان كل عاقل يعلم أن الذى يتقلب فى نعيم محظور ومتوعد عليه من قبل من لا كذب أو خلف فى كلامه ، لا تغبط حاله ولا يعتبر سعيدا الا فى وهم نفسه بسبب الجهل بمصيره .

أما من آمن بالله وصدق بوعيده وعذابه ، فانه يساق بمزيج من دافع ايمانه بالله وحبه له أو خوفه منه الى ضبط نفسه ضمن حدود الشكر ، ثم هو يجد نفسه مسوقا أيضا الى الصبر على هذا الانضباط أملا بما استيقنته نفسه من المثوبة والاجر على ذلك .

هذه الحياة فصل من قصة حياة كاملة

وملاك كل هذا الذى أقوله لك أن تعلم ان هذه الحياة التى تعيشها ليست الا فصلا قصيرا من قصة الحياة الكاملة التى جعل الله عز وجل من هذا الحيوان الناطق العجيب بطلا لها .

ولذلك فان أحداث هذا الفصل لا تقوم تقويما صحيحا الا من خلال فهم القصة بأكملها وأى حكم عليها من خلال الانحصار فى فهم هذا الجزء اليسير وحده ، جهل بالحقيقة وضرب من الوهم والانخداع .

وان شئت فقل : ان هذه الحياة التى تعيشها اليوم ليست الا رقعة صغيرة فى لوحة كبرى لمنظر شامل عظيم . وهيهات أن تدرك قيمة هذه الرقعة أو تفهم مضمونها الا من خلال رؤية مستوعبة دقيقة الى اللوحة بأكملها .

وانما شأن من ينتقد حكمة الخالق جل جلاله عندما يبصر من حوله مظاهر البؤس والآلام كالذى يبصر الفصل الاول من رواية على المسرح ، ثم يسرع فيحكم عليها ، من خلال ذلك الفصل وحده بالفساد أو الاضطراب أو فقد معنى العدالة فى مفهومها ووحيها ... أو كالذى يدنو فيحملق فى رقعة صغيرة من لوحة رائعة عظيمة أبدعتها ريشة فنان فيحكم عليها من خلال ما يبصره فيها من الخطوط المتموجة والالوان المضطربة المتداخلة ...

يا أخى السائل :

تأكد أنه سوف يتكامل مرور الناس على معبر هذه الدنيا التى تعيش فيها ، ولسوف يقـــوم الناس لرب العالمين ، وستتكامل حينئذ عناصر القصة . فما من منكوب صابر مسلم كنت تتألم اشفاقا عليه فى الدنيا الا وتتمنى أن لو كنت مكانه فى الآخرة . وما من سعيد منعم مسرف على نفسه فــى الدنيا الا وتشفق على ما هو فيه من ضنك وبؤس فى الآخرة .

ولسوف تسمع صوت الحقيقة يفيض به الزمان والمكان كله : (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ، ان الله سريع الحساب) .

وخير من كل هذا الذى سردته عليك من الكلام أن أضع بين يديك كلمات رائعة جامعة نطق بهـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبدع فيها صورة مختصرة صغيرة عن قصر هذه الحياة بأكملها ، واخرج منها أمام عينيك نموذجا صغيرا لخط هذه الرحلة الانسانية من أولها الى آخرها . فاسمع باذن حرة واعية :

« الا يا رب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة ، الا يا رب نفس جائعة عارية فى الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة ، الا يا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، الا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم . الا يا رب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ما له عند الله مـــن خلاق . ألا وان عمل الجنة حزن بربوة . الا وان عمل النار سهل بسهوة الا يا رب شهوة ساعـــة أورثت حزنا طويلا » .



وأخيرا . فان كان شىء من هذا الكلام لم يقنعك بعد ، فاعلم أنك فى شك من وجود اللـــه تعالى . وخير لك اذن أن تعيد النظر بدقة وحذر فى فكرتك عن الله عز وجل من أن تضيع الوقــت وترهق نفسك فيما لا طائل فيه .



قالت صحف العالم

فتـــوى الأزهر :

فى تحضير الأرواح

نشرت صحيفة السياسة الكويتية ما يأتى :

بمناسبة ما نشر أخيرا عن استخدام الأرواح للعلم بالغيب والعلاج ننشر فيما يلى فتوى صادرة من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف تبين رأى الشرع فى هذا الموضوع ونصها كما يلى —

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

وبعد ، فقد أطلعت لجنة الفتوى بالأزهر على خطابكم بشأن ابداء رأى الشرع فى مسائل الأبحاث الروحية واستخدامها الأرواح فـــى عـــلاج بعض المواطنين ، ونفيدكم بأن هذا الاستفتاء يتعلق بأمرين :

الأول :

الاتصال بأرواح الموتى واستحضارها من العالم الآخر ، واستخدامها فى أغراض مختلفة مثل العلم بالغيب والاستعانة بها فى علاج الأمراض .. الخ ..

الثانى :

الاتصال بالجن واستخدامهم كذلك فى اغراض كالتى ذكروها عن أرواح الموتى .

وموجز الجواب عن الأول — أن استحضار أرواح الموتى من عالم الآخرة على نحوما جاء فى الاستفتاء موضوع لا نعرف له أصلاً فى شريعة الاسلام ، ولا يسوغ التخمين فى القول بهذا لأن علم الغيب كله مما يختص الله به ولا يظهر الله غيبه الا لمن شاء من ملائكته أو من أنبيائه بواسطة الوحى اليهم بأى طريق من طرق الوحى التى جعلها الله وسائل العلم بينه وبين رسله من البشر **« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . الا من أرتضى من رسول » .**

وأما أرواح الموتى فليست وسيطة بين الله والناس ، وانما تعيش فى اخراها على حالة يعلمها الله ، ولا سلطان لنا عليها ، ولا يمكن التصرف فيهـــا بالاستحضار أو غيره ، ولا سبيل الى العلم عن طريقها بشىء من الغيب عن أحوال الآخرة ، ولا أحوال الدنيا ، وكل ما لها من الصلة بعالم الدنيا أنها تتصل بأرواحنا فى المنام .

وأن الله يكشف لها العلم بمن يتصدق عليها أو يدعو لها أو يزور الموتى فى القبور ، وذلك هو ما تفيده نصوص الشريعـ [illegible] أن نتجاوز هـــذا

الى القول بأن لنا قدرة على احضارها أو بأن للأرواح سلطانا خاصا يتعلق بحياتنا فى دنيانا .

والظاهر أن فكرة تحضير الأرواح محاولة ابتدعها أناس لا صلة لهم بالاسلام من رجال الغرب ، وأخذ بها البسطاء وأصحاب الأهواء ليشككوا الناس فى شأن الوحى ، ويفهموهم أن الوحى الى الأنبياء ليس الوسيلة الوحيدة فى العلم بالغيب ، بل الأرواح وسيلة أخرى تأتى بمثله فى شخص الوسيط فيخبر بالغيب ولا غيب عندها كما سلف .

وهكذا مما يعتبر هدما للعقيدة وفتحا لباب التنصل من الايمان الصحيح برسالة الرسل .

والخلاصة أن فكرة تحضير الأرواح للموتى بدعة وضلالة .

وأن بعض الناس يتخذها حرفة للكسب واغواء البسطاء ، وحسنى النية من الناس ، وما يذكره بعض الناس من حضور الأرواح فعلا ومناجاتهم لها فى شخص الوسيط بالتنويم المغناطيسى فان ذلك كله من المحاولات التى يمهد لها المحترفون أو هى من قبيل استخدام الجن على نحو ما سنذكره فى الجواب عن الأمر الثانى .

وموجز الجواب عن الأمر الثانى — أن الجن عالم موجود فى الدنيا من بدء الخليقة ، وكما وجد بعده عالم الانس وغيره من العوالم الارضية ، وعلى هذا تضافرت نصوص فى القرآن والسنة وأيدها الواقع من مشاهدات الناس طوال حياتهم .

وفى الجن أشقياء وطيبون ومسلمون وغير مسلمين ، وفيهم النوع المتمرد المفسد فى الدنيا وهو المذكور فى كتاب الله باسم الشياطين .. ومن الثابت علميا وواقعيا أن بعض الناس يستطيعون استخدام الجن بواسطة محاولات يعرفونها من الكتب أو عن طريق المزاولة بأسباب أخرى .

والثابت أن للجن تأثيرات مختلفة على بعض الأشخاص الذين يمسهم من حدوث أمراض أو صرع ونفور من الزوجين ونحو ذلك من الأغراض السحرية التى تستخدم فيها الجن ، وهذا عمل السيئين الأشرار من الناس ، كما أن من المحاولات استحضار الجن الطيبين فيستهينون بهم فى التغلب على عمل الخبثاء بأزالة الآثار السيئة ، وعودة الممسوس الى حالته الطبيعية .

ومن المحاولات كذلك استخدام الجن فى تقليد الأحياء ، والتحدث باسم الغائب ، ونقل الأخبار التى يسترقونها بالسمع من المتحدثين فى أماكن أخرى أو باختراع أحاديث وهمية ، ويقلدون فيها صوت انسان معين فيظن بعض البسطاء أن هذا من قبيل استحضار أرواح الموتى ، واستماع أخبار الغيب .. والجن قادرون على هذا الشكل بحكم خلقتهم ، ولكن ذلك فى شئون الأحياء لا فى علم الغيب من عند الله ، كما يزعم الزاعمون اعتبار تلك المحاولات طريقا للعلاج ، واذا كان بعض المحاولات ينجح ويفيد كما يشاهد بين الناس ، فان هذا كله من قبيل المصادفات التى تصدق أو لا تصدق .

ومن ذلك يعلم أن المحاولات التى يستخدمونها فى استحضار الجن لا تعتبر علما نثق به ولا نسميها علاجا كما هو العلاج الطبى المستمد من العلم الصحيح .

وان فتح الباب فى هذا رسميا يطلق للدجالين أن يستغلوا سذاجة الناس فى ابتزاز النقود والتوسع فى الاحتيال فلا يسوغ الركون الى أعمال هؤلاء المطالبين بالاعتراف بهم ، [illegible] ون أن يستعينوا بالقضاء على اكتساب هذا الاعتراف عن [illegible] .

بأقلام القراء

في دروب الايمان

تحت هذا العنوان يقول الاستاذ محمد العربى الخطابى
اهتمام التنزيل بالانسان :

قرأت القرآن الكريم فى طفولتى وحفظت منه ما تيسر ، غير أنى قلما كنت أفهم منه ما أقرأ أو أعى من آياته ما أسمع . يسرده الساردون فى المساجد وفى المآتم ويتسول به المتسولون فى الطرقات ، لا يرتلون آياته ، ولا يجودون كلماته ، ولا يتدبرون معانيه الا فيما قل وندر .

وقد صرفتنى الحياة فيما بعد ، كما تصرف الكثرة من شبابنا ، عن العناية بقراءة كتاب الله قراءة تمعن وتدبر ، كما صرفتنى عن سماعه الا فى مناسبات معلومة معدودة ، حتى اغتربت عن وطنى ، وكان المصحف على رأس الكتب التى اصطحبتها معى فأخذت أقرأ ما تيسر من القرآن كلما مسنى كرب ، أو هتف بى هاتف الايمان وضجت نفسى من فرط انحرافها عن طريق الله وانشغالها الملح بشؤون الحياة فى محيط ممتلىء بأسباب الغواية .

ولأول مرة بدأت أقرأ الكتاب المنزل قراءة متدبر يبحث عن نفسه فيما يقرأ من سوره وآياته يريد أن يكشف أسرار بيانها وأن يستهدى حكمها وتشريعها . وهكذا اكتشفت القرآن حينما خلوت اليه وغصت فى أعماقه فتذوقته واستطبت عباراته ، واستسغت تراكيبه ، وأحببت بيانه .

وقد رأيت أن القرآن الكريم قد جعل محور اهتمامه الاول الانسان فى صلته بخالقه وتصرفه مع نفسه ومع غيره . جعل خليفة فى الارض وتحمل الامانة التى عرضت عليه . مدت له أسباب الهداية والضلال ، والخير والشر . ولقد اهتم القرآن بحياة الانسان على هذه الارض كما اهتم بحياته الاخرى ، فجعل من حقه الا يجوع فيها ولا يعرى . سخر الله له البر والبحر ، وقسم له رزقه ، وأمره بالعدل والاحسان ، والاعتدال والقصد ، وهو لذلك شرع له الشرائع ، وبصره بحقيقة نفسه : خيرها وشرها ، وأتاح له تطهيرها وتزكيتها بالعبادات ، وحثه على استعمال عقله واستكشاف ما حوله ، وأشعره بحدود قوته وحقائق ضعفه ، ثم منحه الحرية والقدرة على الاختيار فى محيط القدرة الألهية المتحكمة فى الكون المنظمة لنواميسه ، وقد جعل رسالة الانسان على الارض أن يعنى بأمر نفسه ، روحا وبدنا وعقلا ، وأن يرعى شؤون أسرته ،

وأن ينتظم فى جماعة متماسكة يتعاون أفرادها على البر والتقوى ويسعون الى نيل كفايتهم من مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك من متع مادية مباحة ، ويجتهدون لنيل السعادة والطمأنينة والأمن والتزود لدار الخلود .

وقد رأيت أن القرآن ليس بكتاب طقوس غامضة وأقوال معماة ، بل هو كتاب مجادلة ومحاورة واقناع ، برهانه بين يديه ، يكلم الانسان بلهجة مباشرة وعبارة مقتضبة نافذة ، يخاطب عقلك أحيانا ، وجوارحك ومشاعرك فى أحيان أخرى ، يضرب لك الأمثال ، يبشرك وينذرك ، يرغبك ويرهبك ، يريك الخير بينا والشر واضحا ، يقيم الحجة لك أو عليك ، وهو فى كل ذلك رفيق بك مشفق عليك معنى بشؤونك . وهو بعد ذلك لا يذكر الايمان الا مقرونا بالعمل الصالح .

هذا بعض ما اكتشفته فى القرآن الكريم اقتضبت الكلام عنه اقتضابا ، وأرسلته بريئا من كل اسراف .

وجدير بالمرء أن يكتشف فى كل يوم جديدا فى كتاب الله اذا هو واظب على تلاوته بعين فاحصة ووجدان متفتح وفكر متدبر وقلب خاشع .

عودى الى ثوب العفاف

ومن قصيدة للأستاذ عبد الحى عبد اللطيف محمد تحت هذا العنوان نقتطف الابيات التالية : ـ

عودى الى ثوب العفاف   ، وقيت شر الحادثات
عودى أيا حواء عو   دى فالفضائل ساحرات
عودى الى سحر الأنو   ثة ، فى ثياب مسبلات
حواء ما احلى جما   لك ، مكتسى بالضافيات
عودى فزينتك الفضيـ   ـلة لا فنون المغريات
هيا الى ثوب الهدى   ان رمت عيش الراقيات
ليس الترقى فى حياة العر   ى عيش السائمات
صنع الشباب ، ومقبل الأجيال   ، عرس النابهات
تبنيه للأمجاد ، أو ..   تلقى به للسافيات
تبنى العروبة مجدها   من باذلين ، وباذلات
هذا عدو الدار يسـ   ـتخفى وراء العابثات
نشر السموم تقوض الا   ركان من ماض وآت
واذا تباعد ديننا   فالدار أولى الذاهبات

أخبار العالم الإسلامي

الكـويت : صرح معالى وزير الدولة بأن الكويت تراقب الوضع فى الأردن وبخاصة المساعى التى تقوم بها تونس والسعودية ومصر لايجـاد حل يضمن حرية العمل الفدائى ويؤكد التزام الأطـراف المعنية باتفاقيـة القاهرة وبرتوكول عمان .

● يتضمن برنامج الزيارة التى يقوم بها حاليا معالى الأستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية للهيئات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى تفقد بعض المراكز الاسلامية فى أوروبا والوقوف على نشاطها الاسلامى .

● على أثر اعلان وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية عن عزمها على فتح دار القرآن الكريم فى العام الدراسى القادم والوزارة تتلقى مئات الطلبات الراغبين فى الالتحاق بها من داخل البلاد وخارجها.

● كما أعلنت الوزارة عن استعدادها لافساح المجال أمام كل مواطن يجد فى نفسه الكفـاءة للخطابة فى المساجد .

● تبدى الوزارة اهتماما خاصا بمحاربة الحركات الهدامة فى العالم وقد قامت بتوزيع كميـات كبيرة من المطبوعات التى تفضح هذه الحركات .

● أهـدت الكويت (٣٢٠) صندوقا من الكتب والمراجع الاسلامية والكتب المدرسية لاندونيسـيا . وقد ساهمت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ووزارة التربية فى هذه الهدية .

القـاهر : أعلن الرئيس أنور السادات أن سنة ٧١ ستكون سنة حاسمة وستشهد الشهور القادمة بداية التحرك العملى لانهاء الازمة مع اسرائيل حربا أو سلما .

● صرح الدكتور فوزى رئيس الوزراء لرجال الصحافة بأن عليهم بأن يقوموا بدور المحتسب فى الاسلام وأن الاسلام أصدق دستور فى الوجود .

● صرح فضيلة شيخ الأزهر أن على العلمـاء اليوم الدور الاكبر نحـو واجب الدعوة الاسلامية ، وان الاسلام لن يستعيد قوته الا بتوحيد جهود الأمة الاسلامية وتضامنها .

● قام فضيلة شيخ الأزهر بزيارة الى ايران لبحث أوجه التعـاون الاسلامى بين البلدين ، ومن المنتظر أن يقوم شيخ الأزهر بزيار مماثلة الى أندونيسيا .

● ستقيم مصر هذا العام مؤسسة تبلغ تكاليفها مليون جنيه للفكر والتراث الاسلامى وتصـدر كتابا اسلاميا كل شهر .

● قيل ان النية تتجه الى الغاء نظام القرعة فى الحج وتيسير السبيـل لكل راغب هذا العـام ، وينتظر أن يبلغ عدد الحجاج المصريين هذا العام ـ كما صرحت بعض المصادر ـ أربعين ألف حاج .

السعودية : أجرى ممثلا جلالة الملك فيصل والرئيس السادات مشاورات واسعة مع جلالة الملك حول الجهود المبذولة لحسم النزاع بين الفدائيين والسلطات الاردنية .

● تعهد مندوب رابطـة العالم الاسلامى لمؤتمر مسلمى أمريكا بتقديم المساعدة للمسلمين فى جهودهم التى يبذلونها من أجل الدعوة الاسلامية .

الاردن : قامت اسرائيل بترحيل (٢٣٠٠) أسرة فلسطينية من معسكر جباليا فى جو من الارهاب ضمن عمليات التصفية واخلاء الشعب الفلسطينى من بلاده وتفريغ الاراضى المحتلة للمهاجرين اليهود .

العـــراق : ذكرت وكالة الانباء العراقية بأن العراق سيقدم (٣٠٫٠٠٠) دينار عراقى للمساهمة فى اعادة اسكان اللاجئين العائدين الى باكستان الشرقيـــة .

لبنـــان : أعيدت العلاقات بين لبنان وايران بعد فترة دامت ثمانية عشر شهرا على أثـــر رفض لبنـــان تسليم الجنرال بختيارى لايران .

● أنهت اللجنـــة الدولية للتحقيق فى جرائم اسرائيـــل فى الارض المحتلة عملها ، وقد غادرت اللجنة بيروت فى الشهر الماضى .

ليبيـــا : عقد مؤتمر قمة من ٥ دول عربية وقد أهاب بالعرب أن يمدوا يد المساعـــدة للفـــدائيين الفلسطينيين ويمنعوا كل تصفية لها وذلك استجابة لدعـــوة الرئيس القذافى التى وجهها الى الملوك والرؤساء العـــرب .

تونـــس : أعلن أن تونس قررت التبادل الديبلوماسى بينها وبين سلطنة عمان فى الخليج العربى .

الجـــزائر : عقد ملتقى ثقافى بين المغرب وتونس والجـــزائر وقد دعا وزير الثقافة الجـــزائرى الى الاهتمـــام بابراز خصائص الحضارة العربية الاسلامية .

● صدر قرار بتعميم تعريب القضاء وتعريب كل مراحل التعليم فى البلاد ابتداء من العـــام الدراسى القادم .

المغـــرب : أكد العـــاهل المغربى دعمه غير المشروط للشعب الفلسطينى فى جهوده لاسترجاع حقوقه فى فلسطين كاملة .

الســـودان : عاد الامن والاســـتقرار الى السودان عقب الاضـــطرابات التى حدثت أخيرا بسبب الانقـــلاب الفاشل .

اليمـــن : عقد فى صنعاء اتفاق ثنائى بين اليمن والمملكة العربية السعودية .

امارات الخليج : أعلن اتحاد امارات الخليج العربى بعد مشاورات دامت أكثر من عامين .

باكســـتان : دعا السكرتير العام للامم المتحـــدة الدول الاعضاء فى المنظمة الدولية الى القيـــام بدور مباشر فيما يتعلق بالنزاع الهندى الباكستانى .

الفـــليبين : حذر مسئولان مسلمان فى مانيلا من أن حربا مقدسة قد تنشب فى اقليم كوتا باتو على اثر المجازر الوحشية التى ترتكبها العصابات المسلحة ضد المسلمين هناك .

● أخبـــار متفرقـــة ●

لوس انجلوس : أنهى المؤتمر الخامس لاتحاد جمعيات الطلبة المسلمين فى كندا وأمريكا أعماله فى الشهر الماضى وكان موضوع المؤتمر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى والمـــدنى واستخلاص الأسس الانسانية من خطبـــة الوداع ومناقشة المجتمع المعاصر فى ضوء الاسلام ..

باريس : أقيم فى الشهر الماضى معرض للفن الاسلامى فى متحف باريس عرضت فيه بعض الأجهزة العلمية للرصد وغيره كما عرضت بعض الهدايا المتبادلة بين هرون الرشيد وشارلمان .

سويسرا : وافقت وزارة الخارجية السويسرية على السماح بفتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى جنيف .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : **مكتبة مكة** ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطـــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ــ العدد ٨٠ ــ شعبان سنة ١٣٩١ هـ ــ ٢١ سبتمبر (أيلول) ــ ١٩٧١م





قام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بزيارة للمسجد الاموى بدمشق ، وقد رافقه فى هذه الزيارة رئيس بعثة الشرف ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية فى الجمهورية العربية السورية عبد الحليم خدام • ويبدو فى الصورة الشيخ عبد الله الجابر المستشار الخاص لسمو الامير المعظم وبعض المرافقين.



مسجد الامام الشافعي بالقاهرة . انشاه الملك الكامل المظفر سنة ٦٠٨ هـ وجدد سنة ١٣٠٩ هـ ، وتبدو في الصورة قبته الضخمة ومنارته الشاهقة ، وهي مبنية على الطراز المملوكي .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الثمانون

شعبان سنة ١٣٩١ هـ

٢١ سبتمبر « أيلول » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



إزالة آثار العدوان

العدوان الذى نعرض له فى هذا الحديث ، وننبه الى آثاره ونطالب بحشد القوى المتخصصة لازالته — عدوان اسرائيلى قديم ، لا يقل خطرا عن العدوان الاسرائيلى المعاصر الذى تستنفر له الآن جميع القوى العربية والاسلامية .

واذا كان اختيار الوقت المناسب للقيام بعمل من الأعمال شرطا اساسيا فى انجاحه فاننا نرى أن هذا الوقت الذى يبلغ فيه شعور المسلم ، — كل مسلم — بمرارة الحقد اليهودى عليه منتهاه هو انسب الأوقات واكثرها ملاءمة لاستثارة الجهود الاسلامية لازالة آثار العدوان الذى نلفت النظر اليه فى هذه السطور .

كان اليهود أعلم أهل الكتاب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أولى الناس بأن يؤمنوا به لأنه جاء مصدقا لما معهم من التوراة ، وموافقا لكل ما يعرفونه من صفاته التى وردت فيها ، وفى الوقت نفسه كانت توحى اليهم اثرتهم وانانيتهم أنهم ابناء الله وأحباؤه وشعبه المختار فى الأرض ، وأن الأنبياء والرسل لا يكونون الا منهم ، فلما أرسل الله محمدا عربيا لا يهوديا غلبت عليهم طبيعة الحقد عليه والعداوة لدينه ، وملأ نفوسهم الحسد والغيرة ، فجعلوا يشككون الناس فى نبوته ، وطوعوا توراتهم لأهوائهم وشهواتهم ، فحرفوا كل ما جاء فيها عنه ، وغيروا كل ما يشير منها اليه أو يدل عليه ، واتخذوا كل وسيلة دنيئة وكل حيلة خبيثة حتى لا يظهر دين غير دينهم .

وكان من اخزاء الله لهم أنه سبحانه فضح أسرارهم ، واظهر زيفهم على يد بعض احبارهم الذين شرح الله صدرهم للاسلام ، فدخلوا فيه مخلصين .

وعداوة اليهود للاسلام ، وكراهيتهم للمسلمين ، ومحاولاتهم لصد الناس عن دين الله ، ومؤامراتهم للتشكيك فيه وزعزعة الثقة والايمان فى قلوب المؤمنين ظاهرة واضحة منذ فجر الاسلام ، وكان جديرا بالمسلمين على ممر العصور أن يضعوها نصب أعينهم ، وأن يكون تعاملهم مع بنى اسرائيل ، وتلقيهم لما ينقل عنهم بمنتهى الحذر والحيطة ، وخاصة بعد أن

تنزلت الآيات الكثيرة فى القرآن الكريم تنبه الى أساليبهم الخفية فى الكيد للاسلام والمسلمين « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون » « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق » « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » والمراد بأهل الكتاب فى الآيات اليهود ، والمراد بالطائفة جماعة منهم تحدثوا فيما بينهم ، وقالوا : أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار ، واكفروا آخره فانه أجدر أن يرجعوا عن دينهم . الى هذا المدى بلغت حملة التشكيك التى خطط لها اليهود لصد الناس عن الاسلام .

ان اليهود أجرأ الناس على وحى الله ، وأقدرهم على تحريف كتبه بما يتفق مع طبيعتهم النكدة ، ولم يكن هذا مستورا عن المؤمنين حتى يعذروا فى تصديقهم ، والأخذ عنهم ، ونقل مفترياتهم .. لقد بلغ من أمرهم فى الجراة على الوحى انهم حاولوا أن يفتنوا الرسول نفسه ، وان يؤثروا عليه، ويجروه الى التحايل على تعاليم الله ، فقد روى أن زعماء اليهود قالوا لبعضهم : اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فانما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له : يا محمد انك قد عرفت انا أحبار يهود ، وأشرافهم وسادتهم ، وانا ان اتبعناك اتبعتك اليهود ، ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، فنحاكمهم اليك ، فتقضى لنا عليهم ، فأنزل الله عز وجل : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون » .

هذه الصورة الحقيقية الواضحة لليهود . لعداوتهم للاسلام ، وتآمرهم عليه ، ومهارتهم فى الدس والتحريف — لم تمنع بعض المسلمين السابقين من النقل عنهم والأخذ منهم عند تفسير كتاب الله ، فامتلأت كتب التفسير التى ألفوها بالغث والسمين والحق والباطل ، والصحيح والمزيف . امتلأت بالاسرائيليات ، عن هذا الطريق استطاع اليهود أن يحققوا نواياهم السيئة فى تشويه الفكر الاسلامى وتضليل العامة .

وهذه نقول ونماذج من الخرافات والقصص الاسرائيلى الذى شغف به نفر من المفسرين ، فضمنوها تفاسيرهم ، وهى آثار فكرية مضللة وفدت على الثقافة الاسلامية ، وخدع بها عامة المسلمين ، واستغلها خصوم الاسلام من المستشرقين .

١ — قال مقاتل بن سليمان عند تفسير قوله تعالى : « وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » وجدت فى كتاب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها : أما مكة فتخربها الحبشة ، وتهلك المدينة بالجوع ، والبصرة بالغرق ، والكوفة بالترك ، والجبال بالصواعق والرواجف، وأما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكر بلدا بلدا .

وروى عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب

أرمينية ، وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ، ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ، ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة ، فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يد رجل من بنى هاشم ، وخراب الأندلس من قبل الزنج ، وخراب افريقية من قبل الأندلس ، وخراب مصر من انقطاع النيل ، وخراب العراق من الجوع ، وخراب الكوفة من قبل عدو يحصرهم ويمنعهم من الشراب من الفرات ، وخراب البصرة من قبل الغرق ، وخراب الأبلة عدو يحصرهم برا وبحرا ، وخراب الرى من الديلم ، وخراب خراسان من قبل التبت ، وخراب التبت من قبل الصين ، وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع .

٢ ــ والامام النسفى مع فضله وعلمه وتحقيقه لم يسلم تفسيره من هذه الاسرائيليات ، فهو فى تفسير قوله تعالى : « وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير » يقول : روى أنه صاحت فاختة فأخبر انها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاووس فقال : يقول كما تدين تدان ، وصاح هدهد فقال : يقول استغفروا الله يا مذنبون ، وصاح خطاف فقال : يقول قدموا خيرا تجدوه ، وصاحت رخمة ، فقال : تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وارضه ، وصاح قمرى فأخبر انه يقول سبحان ربى الأعلى .. واخذ يعدد الحيوانات والطيور ويترجم اصواتها .

٣ ــ وقد تجاوزت الاسرائيليات هذه الترهات والسخافات الى التطاول على مقامات النبوات وانك لتجد هذا التطاول الفاضح مسطورا فى كثير من الكتب عند تفسير قوله تعالى : « وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط » وعند قوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » .

ومع أن كثيرا من ائمة الفكر الاسلامى فى العصور السابقة تنبهوا الى هذه الاسرائيليات فان احدا من المسلمين لم ينهض لتطهير الكتب منها وازالة آثار هذا العدوان الاسرائيلى عليها .

يتحدث العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن كيفية تسرب هذه الاسرائيليات الى المسلمين ، واسباب ــ استكثارهم منها فيقول عند الكلام على التفسير بالمنقول : وقد جمع المتقدمون فى ذلك واوعوا الا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمردود،والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم ، وانما غلبت عليهم البداوة والأمية ، واذا تشوقوا الى معرفة شىء مما تتشوق اليه النفوس البشرية فى اسباب المكونات وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود فانما يسألون عنه اهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم اهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا أبقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام

الشرعية التى يحتاطون لها مثل اخبار بدء الخليقة ، وما يرجع الى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك .. فامتلأت كتب التفسير من المنقولات عنهم ، وفى أمثال هذه الاغراض اخبار موقوفة عليهم ، وليست مما يرجع الى الاحكام فيتحرى فيها الصحة التى يجب العمل بها ، وتساهل المفسرون فى مثل ذلك ، وملأوا الكتب بهذه المنقولات ، واصلها كما قلنا من اهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك . الا أنهم بعد صيتهم وعظمت اقدارهم لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ » .

ان تصحيح كتب التفسير وتنقيتها مما اصابها من الاسرائيليات المخرفة واجب تجب المسارعة الى النهوض به ولا ادرى كيف تورط الأولون فى هذا النقل ، ولا كيف سكت الآخرون عنه الى هذا اليوم مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى المسلمين أن يأخذوا شيئا عن اهل الكتاب لا يتفق مع اصول دين الله واحكامه وآدابه فقد روى احمد عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب اتى النبى بكتاب أصابه من بعض اهل الكتاب ، فقرأه على النبى ، فغضب وقال : أمهوكون فيها يا بن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده : لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى ، وفى رواية : لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ، فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، وبباطل فتصدقوا به .

وروى البخارى عن ابن عباس أنه قال : كيف تسألون اهل الكتاب عن شىء ، وكتابكم الذى انزل على رسول الله احدث الكتب تقرءونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله ، وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل اليكم .

والعدوان الذى ننبه اليه فى هذا الحديث هو عدوان اليهود على الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية .. هو المفتريات التى دسها اليهود على بعض المفسرين لكتاب الله . هو الاسرائيليات التى حفلت بها هذه الكتب كلون كلب أهل الكهف ، والبعض الذى ضرب به القتيل من البقرة ووصف سفينة نوح واسم الغلام الذى قتله الخضر ، ونوع الشجرة التى اكل منها آدم وزوجه ، والحيوان الذى تقمصه الشيطان فدخل الجنة ووسوس لهما وأسماء الطيور التى احياها الله لابراهيم .. الخ .

وازالة آثار هذا العدوان تكون بتوفر جماعة من اهل العلم على هذه الكتب وتصفيتها مما علق بها .

ان واجب المسلمين الى تصحيح هذا التراث لا يقل اهمية عن احياء التراث ، وازالة آثار هذا العدوان لا تكلف المسلمين دما ولا سلاحا وانما تكلفهم جهدا وصبرا .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان البيلي

حدود التشريع في الإسلام

ومكانة الاجتهاد فيه..

لعالم إسلامي كبير

ما هى حدود التشريع فى الاسلام وما هى مكانة الاجتهاد فيه ؟ اذا أردنا معرفة ذلك ، فلا بد أن نكون ، قبل كل شىء ، على ذكر بين من أمرين :

اولهما : أن الحاكمية فى الاسلام مختصة بالله وحده ، لا يشاركه ولا ينازعه فيها غيره ، ذلك بأن التوحيد ، كما فسره القرآن يستلزم ان يكون الله وحده هو المعبود بالمعنى الدينى المعروف ، ليس ذلك فحسب ، بل يستلزم ان يكون الله وحده هو الحاكم المطاع ، والآمر والناهى ، والشارع بالمعنى السياسى والقانونى أيضا ، وهذه الحاكميه القانونية قد ابدأ القرآن وأعاد فى بيانها بمثل القوة والجزم الذى يبين به عقيدة الالوهية الدينية ، واكد كل التأكيد أن كلا من هاتين المنزلتين من المقتضيات اللازمة لالوهية الله تعالى لا يجوز فصلها عن الأخرى بحال من الاحوال وقرر بما لا مجال فيه للارتيابو الشك أن انكارها انكار لالوهية الله ، ثم ان القرآن لم يترك اى منزع لشبهة أن يراد بالقانون الالهى قانون الطبيعة والفطرة ، وجعل من واجب الانسان ، اذ يدعوه الى التوحيد ، أن يعترف فى حياته الخلقية والاجتماعية بذلك القانون الذى أنزله الله على انبيائه ورسله ، بل ان الايمان بهذا القانون ، وبتجرد الانسان عن استقلال نفسه وحرية ذاته ازاءه هو الذى يسميه القرآن بالاسلام ويأبى — بأوضح ما يكون من البيان — ان يكون للانسان حق فى

أن يقضي برايه شأنا من شؤون حياته اذا كان قد قضاه الله ورسوله **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)** .

وثانيهما : وهو لا يقل فى اهميته فى الاسلام عن توحيد الاله ــ هــو أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسل الله وخاتم انبيائه ، وهذا ما تخرج بــه عقيدة توحيد الاله من حيز الفكرة المجردة فتبرز بشكل نظام عملى ويقــوم على اساسها بناء نظام الاسلام الشامل للحياة الانسانية ، ذلك بأنه قد اجتمعت بموجب عقيدة الاسلام تعاليم جميع الانبياء السابقين مع زيادة تعاليم مهمة أخرى فى تعليم محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو وحده المصدر الموثوق به لهدى الله وتشريعه ، ولن يأتى من الله بعده هدى أو تشريع يحتاج الانسان أن يرجع اليه ، وتعليم محمد صلى الله عليه وسلم هو القانون الاعلى الذى يمثل للناس مرضاة الحاكم الأعلى ، وقد وصل الينا على صورتين :

القرآن : وهو كلام الله لفظا ومعنى ويشتمل على احكامه واوامره ونواهيه.
والسنة : أو الاسوة الحسنة لمحمد صلى الله عليه وسلم « وهى التــى تبين غاية القرآن وتشرح مقصد نزوله » .

ما كان محمد صلى الله عليه مبلغا لكتاب الله فحسب ، بل كان من وظيفته مع ذلك أن يكون اماما للناس وقائدا وحاكما ومعلما ومرشدا ، يشرح لهم القانون الالهى بقوله وعمله ، ويخبرهم بغايته الحقيقية ويربيهم على مطالبه ومقتضياته ، ويعمل على تشكيلهم فى صورة جماعة منظمة ، ويرى العالم كله ، فى قالب دولة راشدة مرشدة ، كيف يقوم على مبادىء الاسلام نظام حضارة متكاملة راقية ، وان هذه المهمة التى اضطلع بها الرسول صلى الله عليــه وسلم طوال حياتــه النبوية (٢٣ سنة متوالية) هى السنة التى باشتراكها واجتماعهــا مع القــرآن يكتمل القانون الاعلى من الحاكم الاعلى لرعيته فى الارض ، وان هذا القانــون الاعلى هو المعروف (بالشريعة) فى المصطلح الاسلامى .

حدود التشريع :

وقد يظن الانسان لأول سماعه بهذه الحقائق الاساسية أن الدولة الاسلامية لا مجال فيها أصلا لتشريع الانسان ، اذ أن الله هو الشارع الوحيد فيهــا ، ولا وظيفة فيها للمسلمين سوى أن يتبعوا ما جاءهم به الرسول من قانونه ، بيد أن الحقيقة ، ان الاسلام لا ينافى تشريع الانسان وانما يحيطه بسياج من القانــون الالهى ويحده بعلوه ، أما ما هى دائرة تشريعه تحت القانون الالهى الاعلى وفــى ضمن حدوده ، فهذا ما أريد بيانه فى هذه الكلمة متوخيا الايجاز والاختصار .

تفسير الاحكام :

منها ما قد جاء فيه القرآن والسنة بحكم قاطع واضح ، أو وضعا له قاعدة خاصة فليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعى أن يغير فى مثل هذه المعاملات والشؤون أحكام الشريعة وقواعدها ، وليس معنى ذلك أنه لا مجال مع هــــذه

الاحكام لتشريع الانسان ، بل ان دائرة تشريع الانسان فيها أن يعرف أولا بكل دقة ما هي احكام الشريعة فى واقع الامر ويحدد ثانيا مفهوم تلك الاحكام ، ويتبين لأى الحالات والوقائع هى ، وتقرر أخيرا صور تطبيقها على القضايا الطارئة الحاضرة وتفاصيلها الفرعية ان كان فيها المجال ، والذى يجب أن يشخص مع كل ذلـــك ، هو : أين والى أى حد يجوز للانسان التشريع للاحداث والوقائع الاستثنائية على أن لا يصطدم مع أحكام الشريعة وقواعدها .

القيـــــاس :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم ، ولكن لها أحكام فى امثاله واشباهــه فالتشريع فى مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن تعرف علل الاحكام بدقـــة تامة وتنفذ فى كل شأن توجد فيه تلك العلل ويستثنى منها كل شأن لا توجد فيه تلك العلل .

الاستنبـــاط :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم صريح ، ولكن جاءت فيه وفى أمثالــــه بقواعد جامعة أو أظهرت مرضاة الشارع عنه ، فيجب العمل على تنميته وترقيته وما هو مبغض عنده يجب العمل على محوه واستئصاله ، فالتشريع فى مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن يعرف ما جاء فيها مـــن قواعد الشريعـــة ومرضاة الشارع ، ويوضع فى القضايا العملية الحاضرة من القوانين ما يقوم على هذه القواعد ويحقق مرضاة الشارع .

دائرة التشريع بحرية الراى :

ومنها ما سكتت الشريعة فى بابه سكوتا تاما ، فلا جاءت فيه بحكم صريح ، ولا بهداية فى امثاله واشباهه حتى يقاس عليها ، فلا معنى لسكوت الشريعة فى مثل هذه الشؤون الا أن الحاكم الاعلى بنفسه قد أجاز الانسان ان يقضيها برايه ، فالتشريع جائز فيها للانسان بكل حرية على أن يكون موافقا لروح الاسلام وقواعده العامة ، والا تختلف طبيعته عن طبيعة الاسلام الشاملة حتى يلتئم احسن التئام مع نظام الاسلام للحياة .

الاجتهـــــاد :

وكل هذا العمل التشريعى الذى يحرك نظام الاسلام للقانون ويرقيه حتـــى يلبى حاجات البشر ويجارى تطورات الزمان ، لا يمكن أن يتم الا بتحقيـــق علمى وخاص وبذل للقوة الذهنية على صفة غير عادية ، وهو المعروف بالاجتهاد فـــى المصطلح الاسلامى .

والاجتهاد معنـــاه لغـــة : بذل الجهد واستنفاده ، والمراد به اصطلاحـــا بذل الجهد واستنفاده فى استجلاء حكم الاسلام أو مقصوده فى القضية تحت

البحث . وقد يخطىء بعض الناس ويفسرون الاجتهاد بمعنى التمتع بحرية الراى دون ما قيد او شرط ، على ان كل من له ادنى المام بطبيعة القانون الاسلامى ومزاياه لا يكاد يذهب به سوء الفهم الى ان فيه مجالا لهذا النوع من الاجتهاد لأن القانون الحقيقى فى الاسلام هو القرآن والسنة ، ولا يجوز التشريع فيه للمسلمين الا بشريطة أن يكون مأخوذا من هذا القانون الحقيقى أو فى ضمن الحدود التى يبيح لهم أن يتمتعوا فيها بحرية رأيهم ، فكل اجتهاد لا يستند الى احكام الشارع الحقيقية ولا يتقيد بحدودها ليس من الاجتهاد الاسلامى فى شىء ولا مكانة له فى نظام الاسلام القانونى .

الاوصاف اللازمة للمجتهدين :

ولأن الاجتهاد ليس المقصود به احداث الثلم فى القانون الالهى ليستبدل به القانون الانسانى ، وانما المقصود به فهم القانون الالهى فهما دقيقا وجعل نظام الاسلام القانونى ملبيا لحاجات البشر مجاريا لتطور الزمان تحت هدايته وارشاده فلا يصح اى اجتهاد الا بأن يكون المتولون لمهمته على جانب عظيم من الصفات الآتية :

١) الايمان بالشريعة الالهية ، والايقان بكونها الحق ، والعزيمة الخالصة لاتباعها ، وخلو الذهن والفكر من الرغبة فى التحلل من حدودها وقيودها وعدم اخذ الغايات والمبادىء من مصدر غير مصدرها .

٢) الالمام الجيد باللغة العربية وقواعدها وأساليب ادبها ، لأن اللغة العربية هى التى بها نزل القرآن ولا يتسنى معرفة السنة الا بها .

٣) التضلع بعلم القرآن والسنة حتى لا يعرف به الانسان احكام الشريعة الفرعية ومواضعها فحسب ، بل يفهم ايضا قواعدها الكلية وغاياتها معرفة جيدة : يجب أن يعرف المجتهد ما هى خطة الشريعة لاصلاح الحياة الانسانية بأجمعها ، ويعرف الى جانب ذلك ما هى مكانة كل شعبة من شعب الحياة فى هذه الخطة الجامعة الشاملة ، وما هى الخطوط التى تريد الشريعة أن تؤسس عليها مختلف شعب الحياة وما هى المصالح التى ترمى اليها فى تأسيسها أو بكلمة موجزة : ان الاجتهاد شىء يتطلب من الانسان علما بالقرآن والسنة يوصله الى مغزى الشريعة وجوهرها .

٤) الوقوف على تراثنا القانونى الذى ورثناه عن فقهاء السلف ، والحاجة اليه ليست للتدرب على الاجتهاد فحسب ، بل هى كذلك لاستمرار الارتقاء القانونى لأنه ليس — ولا يسوغ ان يكون — المقصود بالاجتهاد ان يهدم كل جيل جديد ما بناه سالفه أو يحكم عليه بالبلى ويشرع فى بنائه من جديد .

٥) التخلق بالاخلاق الفاضلة حسب مقياس الاسلام للاخلاق ، لأنه لا يمكن بدونه أن يطمئن عامة الناس الى اجتهاد المجتهدين ولا أن تنشأ فى قلوبهم عاطفة الاحترام للقانون اذا كان قد قام بوضعه الافراد غير الصالحين ..

ليس المطلوب ببيان هذه الأوصاف أن على كل مجتهد أن يثبت بدلائل على

كونه متصفا بها ، بل المطلوب ببيانهـا انه لا يمكن بالاجتهـاد انعاش القانـون الاسلامى وترقيته على الخطوط الصحيحة ، الا بأن يكون نظامنا لتعليم القانـون صالحا لاعداد رجال من ذوى العلم متصفين بهذه الاوصاف والاخلاق المذكورة ، وكل تشريع بدون ذلك لا يمكن أن يتفق مع نظام الاسلام القانونى ولا أن يستسيغه مجتمع المسلمين .

الطريق الصحيح للاجتهاد :

وكما أن قبول الأمة شيئا من الاجتهاد والتشريع يتوقـف على أن يـكون المجتهدون صالحين للاجتهاد ، فكذلك هو يتوقف على أن يكون اجتهادهم بطريق صحيح يطمأن اليه ، فالشريطة الاولى للاجتهاد الصحيح ــ سواء أكان تفسـيرا لحكم أو قياسا عليه أو استنباطا منه ــ أن يكون مبنيـا على دلائل من القـرآن والسنة ، وأما اذا كان التشريع فى دائرة المباحات فعلى المجتهد ان يأتى بالدلائل على انه لا القرآن ولا السنة قررا حكما أو قاعدة فى القضية ، ولا جاء فى أحدهما أساس للقياس فيها ، ويجب أن يكون الاستدلال بنصوص القرآن والسنة قائمـا على قاعدة من القواعد المسلم بها بين اهل العلم ، فاذا اراد المجتهد ان يسـتدل بالقرآن ، فعليه أن لا يفسر كل آية الا بما تسمح به اللغة العربية وقواعدهـا وأساليبها المعروفة ، ويتفق مع سياق عبارة القرآن ، ولا يصطدم مع بيانـات القرآن عن الموضوع نفسه فى مواضع اخرى ، وتؤيده شروح السنة القوليـة والفعلية أولا تعارضه على الاقل ، واذا اراد أن يستدل بالسنة الفعلية ــ مـع رعاية اللغة وقواعدها وسياق العبارة ــ ان لا يستدل فى مسألة ما الا بروايات صالحة لقيام الحجة بها حسب أصول علم الرواية ، ولا يغفل ما فى تلك المسألة الخاصة من الروايات القوية الاخرى ولا يستنتج من روايـة ما يخالف الكتـاب والسنة الثابتة بالطرق القوية الاخرى ، وكل اجتهاد لا تراعى فيه هذه الامور ولا يقوم الا على أساس اهواء النفوس ورغباتها وأمانيها ، فانه لو جعل جزءا مـن القانون بالقوة السياسية ، لن يقبله ضمير المسلمين الاجتماعى ، ولن يكون جزءا من نظام الاسلام القانونى ، انه يبقى جزء من القانون ما دامت القوة السياسية التى تنفذه آخذة بزمام نظام الحكومة ثم لا يكون محله مع زوالها الا الى سـلة الاوراق المهملـة .

كيف ينال الاجتهاد درجة القانون :

ونظام الاسلام للقانون فيه عدة صور لنيل اجتهاد فـرد أو طائفة درجـة القانون فمنها أن ينعقد عليه اجماع اهل العلم من الأمة ، ومنها أن يتلقاه الجمهور بالقبول كما قد تلقوا الفقه الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى فى غير واحد من البلاد الاسلامية ، ومنها أن تتبناه حكومة من حكومات المسلمين وتجعله قانونـا لنفسها ، ومنها أن يكون فى الدولة مجلس للتشريع حسب الدستور فيسن القانون باجتهاده ، أما اجتهاد مختلف اهل العلم عـلاوة على هذه الصور ، فهو بمثابـة الفتوى لا اكثر ، وأما اقضية القضاة فى المحاكم فهى ــ على نفاذها فى ما يرفـع اليهم من الدعاوى وكونها بمثابة النظائر والاشباه ــ لا تكون قانونا بالمعنـى

الصحيح ، حتى ان اقضية الخلفاء الراشدين لم تنل درجة القانون فى الاسلام ممن صدرت عنهم بصفتهم قضاة فى المحكمة .

انى سأحاول فى ختام هذا البحث ان اجيب ــ باقصى ما يمكن من الايجاز ــ على ما يمكن أن يثار حوله من اعتراضات : فالاعتراض الاول هو على المكانة التى بينتها للسنة مع القرآن فى التشريع الاسلامى ، فأريد ــ جوابا على هــذا الاعتراض ــ ان اقدم اليكم امورا ، حتى تتضح لكم القضية وذلك بالترتيب الآتى :

أولا ــ ان من الحقائق التاريخية الثابتة ، التى لا تقبل الانكار والجحود ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان قد اكتفى ــ بعد أن أكرمه الله تعــالى برسالته ــ بتبليــغ الناس القرآن بتلاوته عليهم ، بل كان مع ذلك ، قد قام بحركة شاملة ، ظهر كنتيجة لها ، مجتمع اسلامى خالص ونظام جديد للمدنية والحضارة وقامت دولة واسعة فى بلاد العرب ، فالسؤال الذى ينشأ فى هذا الصدد ، ان جميع هذه الاعمال التى قام بها الرسول ، عليه الصلاة والتسليم علاوة على تبليغ القرآن بتلاوته على الناس ، بأى صفة وعلى اى اعتبار كان قد قام بها ؟ هل كان قيامه بها من حيث كان رسولا من الله ، ممثلا لمرضاته ، مثل تمثيل القرآن اياها ، أم انما كانت رسالته تنتهى بمجرد تلاوته ما ينزل عليه من القرآن حتي لم يــكن بعدها الا رجلا عاديا من عامة المسلمين ، حيث لا حجة بقوله ولا عبرة بفعله فى حد ذاته ، من الوجهة القانونية ؟ فاذا سلمنا بالصورة الاولى ، فلا بد لنا أن نسلم بالسنة حجة قانونية مع القرآن ، واما فى الصورة الثانية ، فلا مبرر البتة ، لجعلها من القانون .

ثانيا ــ أما القرآن ، فيبين لنا بيانا واضحا شافيا لا لبس فيه ولا ابهام ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان مبلغا لما ينزل عليه من القرآن فحسب ، بل كان ــ مع ذلك ــ اماما للناس وحاكما ومعلما يجب على المسلمين أن يتبعوه ويطيعوه على المنشط والمكره ويعتبروا حياته أسوة لأنفسهم .

واما العقل ، فيأبى كل الاباء أن يعترف بقول من يقول ان الرسول انما هو رسول لحد تبليغه للناس كلام ربهم ، وما هو بعد ذلك الا رجل مثل سائر الرجال ، أما المسلمون منذ بدء الاسلام الى يومنا هذا ، فما زالوا ولا يزالون مجمعين على الاعتقاد بأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم اسوة واجبة الاتباع ، وان كل امر من أوامره ونهى من نواهيه يجب الوقوف عنده ، ان هذه هى العقيدة التى ما زال ولا يزال عليها المسلمون ، ولا يسع مسلما ان يجحد بأن هذه هى مكانــــة الرسول التى آمن بها المسلمون فى كل مكان وفى كل زمــان ، وانهم لأجل هــذا ما زالوا يسلمون بسنته مصدرا اساسيا لقانونهم مــع القرآن ، وليت شــعرى كيف يجوز لرجل فــى هذا الزمان ، ان يتحدى هذه المكانة للسنة ما دام لا يعلن اعلانا واضحا سافرا أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما كان نبيا الى حد تبليغه القرآن ، حيث كانت نبوته تنتهى بمجرد فراغه من تلاوته على الناس ثم ان هــذا الرجل ــ اذا كان يدعى ذلك ــ عليه ان يبين أن كان يعطى الرسول هذه المكانة من عند نفسه او أن القرآن هو الذى قد اعطى الرسول هذه المكانــة ؟ اما فــى

الصورة الاولى فلا علاقة له بالاسلام أبدا وأما فى الصورة الأخرى ، فعليه ان يستدل بنص من نصوص القرآن .

ثالثا — والسؤال الذى ينشأ بعد تسليمنا بالسنة مصدرا أساسيا للقانون فى حد ذاتها وهو : ما هى الوسيلة لمعرفة السنة ؟ فأقول جوابا على هذا ان ليس لأول مرة قد واجهنا السؤال بأن السنة ، التى تركتها فى الدنيا تلك الرسالة التى كانت قد ظهرت فى بلاد العرب قبل الف وخمسمائة سنة ، ماذا كانت هى ؟ فهناك حقيقتان تاريخيتان لا تقبلان الانكار أو المكابرة أولاهما : أن المجتمع الذى تأسس على تعليم القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بدء الاسلام ، لا يزال حيا قائما الى هذا اليوم وما فارقته حياته ليوم واحد ، وما زالت جميع مؤسساته طيلة هذه المدة قائمة بأعمالها بصفة غير منقطعة وان التشابه الذى يوجد اليوم بين المسلمين فى جميع اقطار الارض على تباعدها فى عقائدهم وأساليب فكرهم واخلاقهم وقيمهم وعباداتهم ومعاملاتهم ونظريتهم فى الحياة وطريقتهم لها ان هذا التشابه أو التماثل بين المسلمين الذى يغلب فيه عنصر التوافق والتطابق على عنصر التخالف والتفارق ، لهو دليل واضح ، وبرهان قاطع على أن المجتمع انما اقيم على سنة واحدة بعينها ، وان هذه السنة ما زالت جارية فى مجراها بصفة واحدة بدون انقطاع ولا توقف ان هذه السنة ليست بشىء مفقود حتى نحتاج للبحث عن آثارها الى التخبط خبط عشواء فى الظلمات .

والحقيقة التاريخية الثانية ، التى لا تقل عن الاولى فى جلائها وسطوعها ، هى أن المسلمين ما زالوا فى كل زمان بعد الرسول صلى الله عليه وسلم يبذلون سعيهم ليعرفوا ما هى السنة الثابتة ، وما هو الشىءالاجنبىالذىيحاول التسرب الى نظامهم للحياة بطريق صناعى وبما أنهم كانوا يرون فى السنة مصدرا لقانونهم وما كانت تحكم محاكمهم الا بها ولا كانت تجرى شؤون حياتهم — من شؤون بيوتهم الى شؤون حكوماتهم — الا على أساسها ، فما كان لهم بوجه من الوجوه ، أن يكونوا من الغافلين غير المكترثين لشىء فى تحقيقها ، فما زال كل جيل منا — منذ خلافة الاسلام الاولى الى هذا اليوم — يرث عن سالفه وسائل هذا التحقيق ونتائجه ولا يزال محتفظا به عندنا اليوم كل عمل تم على يد جيل من اجيالنا الماضية بدون انقطاع ولا ضياع .

فهاتان الحقيقتان التاريخيتان اذا تأمل فيهما الانسان ودرس ما اتخذ من الوسائل لنقل السنة دراسة علمية وافية ، لا تكاد تساوره الشبهة بأن قضية تحقيق السنة ووسائل معرفتها معضلة ، لا يمكن أن يوجد لها حل .

رابعا — لا شك ان قد ظهرت فى الماضى ، ويجوز أن تظهر فى المستقبل كذلك اختلافات كثيرة فى المسلمين حول تحقيق السنة وتعيينها ، ولكن اليس من الحقيقة فى الوقت نفسه أن قد ظهر ويجوز أن تظهر فى المستقبل كذلك ، مثل هذه الاختلافات فى المسلمين حول تعيين المعنى لكثير من احكام القرآن وآياته ، فاذا كان لا يجوز أن يكون وجود مثل هذه الاختلافات دليلا على ترك القرآن ، فكيف يجوز أن يكون دليلا على ترك السنة ؟ من القواعد التى ما زال يعترف بها من قبل

ولا بد من الاعتراف بها اليوم ايضا ، ان كل من يدعى شيئا انه من احكام القرآن او احكام السنة ، عليه ان يأتي بدليل على دعواه ، فان كانت دعواه قوية ، فلا بد ان ترغم اهل العلم من الامة او عددا كبيرا منهم على الاقل ، على الاعتراف بصحتها ، واما ان كانت دعواه بدون وزن باعتبار الدليل ، فلا تنال رواجا في الامة ابدا ، وهذه هي القاعدة التي على اساسها قد اجتمع عشرات الملايين من المسلمين في مختلف اقطار الارض على مذهب من المذاهب الفقهية واقامت جماعات كبيرة منهم نظامها الاجتماعي على طريق من الطرق لتفسير احكام القرآن ومجموعة من مجامع السنة الثابتة .

هذا هو جوابي على الاعتراض الاول ، أما الاعتراض الثاني على مقالي ، فهو ان فيه التناقض أي ان قولي « ان ليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعي أن يغير في احكام الكتاب والسنة القاطعة » وقولي « انه يجب ان يشخص بصدد تفسير الاحكام انه اين والى اى حد يجوز للانسان التشريع للحالات والوقائع الاستثنائية على ان لا يصطدم مع احكام الشريعة وقواعدها » ، فهذان القولان بينهما التناقض في نظر المعترض ، غير انى ما استطعت ان أجد بينهما هذا التناقض ، لأن الدنيا لا يوجد فيها قانون ، الا وفيه الاستثناء من القاعدة العامة في حالة الاعتذار والاضطرار ، وان القرآن نفسه فيه غير نظير واحد لمثل هذه الرخص والاستثناءات ، وان الفقهاء قد حددوا القواعد التي لا بد من رعايتها في تعيين الرخصة ومواقعها ، كقاعدة : الضرورات تبيح المحظورات ، وقاعدة ان المشقة تجلب التيسير . والاعتراض الثالث على جميع اولئك الذين قد بينوا في مقالاتهم شرائط للاجتهاد والمجتهدين وبما انى واحد من هؤلاء ، ارى من الواجب على نفسي ان اقوم بالرد على هذا الاعتراض .

فالذي يحسن بي — في هذا الصدد — ان اطالب المعترض بأن يتفضل ويعيد النظر مرة أخرى في ما بينت في مقالي من الشرائط ، ويبين اى هذه الشرائط يريد اسقاطه ؟ اشرط ان يكون المجتهد مؤمنا بالشريعة الاسلامية وموقنا بكونها الحق ؟ أم شرط ان يكون ملما باللغة العربية وقواعدها واساليب ادبها ؟ أم شرط أن يكون متضلعا من علم القرآن والسنة ، أم شرط يكون واقفا على تراث الامة القانوني الذي ورثناه عن فقهاء السلف ؟ أم شرط أن يكون مطلعا على احوال الحياة العملية ؟ أم شرط ان يكون متخلقا بالاخلاق الفاضلة حسب مقياس الاسلام للاخلاق ؟ — هذه هي الشرائط التي بينتها في مقالي ، فليتكرم المعترض ويبين بالتحديد اى شرط من هذه الشرائط يجب حذفه ؟ أما القول بأنه لا يمكن أن يوجد في الدنيا كلها الا عشرة أو احد عشر رجلا يعتبر اهلا لمثل هذه الشرائط ، فاني لا أرى هذا القول الا مبالغة شنيعة في سوء الظن بمسلمي الدنيا .

ولعلنا لم ننل الانحطاط حتى في نظر اعدائنا الى درجة أن لا يروا من بين مسلمي الدنيا كلها الا عشرة او احد عشر رجلا متصفين بهذه الصفات اللازمة للاجتهاد ، وأقول إنكم اذا كنتم متشوقين الى فتح باب الاجتهاد لكل زيد وعمرو ، فافتحوه على الراس والعين ، ولكن بينوا لي على الاقل أن الاجتهاد الذي سيتولاه الجهال بالاسلام ، غير المتقيدين بالاخلاق ، غير المخلصين في ارادتهم المشبوهين في نياتهم ، ماذا ستعملون لجعل اجتهادهم شرابا عذبا فراتا ، يستسيغه جمهور المسلمين .

من
هدي
السنة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ بجامعة الكويت

المسارعون في الخيرات

عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » (١) هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : (لا ، يا ابنة الصـديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون الا يقبل منهم . » اولئك الـذين يسارعون فى الخيرات .

رواه ابن ماجة والترمذى

١ نظرة فى الآية الكريمة وخاصة فى الفعل (يؤتون) بالاضافة الى سؤال أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وجواب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعطى أن فى هـذا الفعل قراءتين ، فقد قرأت أم المؤمنين : (يأتون) وتابعها فى ذلك ابن عباس وقتادة والأعمش والنخعى ، والمعنى على هذه القراءة (يفعلون) فهو من الاتيان يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا ، وعليه صح أن يرد السؤال : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ، وفى رواية زيادة : ويزنون ، أى يفعلون هذه الافعال المنهى عنها شرعا ، والقراءة الثانية للجمهور : يؤتون أى يعطون ، وفى جواب سيدنا رسول الله عليه افضل الصلاة وأزكى السلام ما يشير الى هـذا فقد قال : لا يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون .. الخ .. ومع هـذا يخافون الا يقبل منهم ما قدموا ، ولهـذا قيل : المؤمن يجمع احسانا وشفقـة ، والمنافق يجمع اساءة وامنا ، وقال أبو عبد الله الرازى (ترتيب هذه الصفات (٢) فى نهـاية الحسن ، لأن الأولى دلت عـلى حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز والثانية على تحصيل الايمان بالله ، والثالثة على ترك الرياء فى الطاعة ، والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتى بالطاعات مع خوف من التقصير وهو نهـاية مقامات الصديقين) .

بعد هـذا نجد الجواب الشريف راسما الصورة الصادقة للمؤمن الكامل الايمان ، فالمؤمن الحق هو المعتقد اعتقادا جازما بوجود الله وصدق رسله غير مرتاب ولا شاك ، فهـو يرى أن اداء ما فرضه الله عليه واجب لا يمكن مخالفته ، وأن الجهاد بالنفس والمال للموت والفناء أو النصر وكريم البقاء من أسمى غايات

الايمان ، يقول الله تبارك وتعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون) ومن ظن أن الايمان هو اظهار القول دون التصديق بالقلب ودون أن يبرز اثر ذلك الايمان فى تصرفات المؤمن على حد قوله فهو اما منافق يدافع عن المنافقين مؤيدا لهم واما جاهل لا يدرى ما يقول ، قد اخرجه عناده عن دائرة الحق . والايمان يقرب العبد من ربه ويحمله على الخوف الشديد من لقائه ، وقد حث القرآن الكريم على الخوف من الله فقال سبحانه : (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) أى لا تخافوا اولياء الشيطان ولا تحفلوا بهم ، بل خافونى فى مخالفة امرى لأنكم اوليائى وانا ناصركم . وقال سبحانه : (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وروى الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من خاف ادلج ، ومن ادلج بلغ المنزل ، الا ان سلعة الله غالية ، الا ان سلعة الله الجنة) . والمؤمن متوكل على الله معتمد عليه واثق به موقن أنه ناصره وهو حسبه ، وورد فى القرآن الكريم ما يشير الى أن التوكل شرط فى الايمان فى قوله تعالى : (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وفى قوله جل وعلا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) كما اشار القرآن الى حديث لرسل الله مع اقوامهم يؤيد هذا (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وحكى القرآن عن سيدنا هود عليه وعلى سيدنا محمد افضل الصلاة وازكى السلام قوله (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) وما أكثر الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر التوكل على الله ، وروى ابن ماجة عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان بقلب ابن آدم أودية ولكل واد شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأى واد هلك ومن توكل على الله كفاه الله الشعب) . وفى مسند الامام احمد وسنن ابن ماجة والدارمى عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (انى لأعلم آية فى كتاب الله عز وجل لو أخذ الناس بها لكفتهم (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل لكل شىء قدرا) من دلائل الثقة بالله ، وقوة الايمان به أن يرهب المؤمن عقاب الله ويخشع لجلاله ويسارع فى عمل الطاعات مع الامل فى ثواب الله تعالى ، وقد مدح الله سبحانه عباده الذين اخلصوا العمل وخشعت قلوبهم لسلطانه ، قال تعالى : « انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » وقال عز اسمه « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون » .

٢ ــ ويلاحظ فى الآيات والأحاديث أنها تدعو دائما للعمل الجاد مع الرجاء والخشية من الله ، فثواب الله وجناته لا تنال بالكلام دون التطبيق العملى الواقعى ، فلو وقف انسان تحت شجرة مثمرة الف عام وهو ماد يديه الى الثمر يطلب جناها دون أن يعمل ما يساقط عليه ثمارها فلن يحصل على طائل منها مهما دعا ومهما جأر بصوته ومهما نادى ، ولهذا كان من دلائل القرب من الله ادمان العمل بأوامره واجتناب نواهيه فمن اشفق من عذاب ربه عمل ما يبعده عنه ، ومن خاف أن يحشر الى الله وليس له من دونه ولى ولا شفيع فعليه بالعمل والامتثال وانظر الى قوله تعالى (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون . ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك

عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) وقوله سبحانه (انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب) وقوله (الله نزل احسن الحـديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دائب العمل والاستغفار وقد ورد أنه نوقش فى هذا وقيل له لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأجاب عليه الصـلاة والسلام : افلا اكون عبدا شكورا ، وورد انه كان يستغفر فى اليوم مائة مرة والعدد هنا لا مفهوم له فربما كان يزيد الى مئات ، ومجمل القول أن الذى يقول ولا يعمل هو مخادع كذاب لا يخشى الله ولا اليوم الآخر .

٣ ــ فالذين يتحدث عنهم الرسول الكريم يعملون ويخافون ان لا يقبل منهم عمل ووصفهم بأنهم يسارعون فى الخيرات وهنا نثوب الى واقـع المسلمين ونتساءل هل طبقوا ما يعلمون من دينهم على ما يعملون فى واقع حياتهم والجواب الذى يمليه ما هم عليه : كلا والف كلا حتى حملوا اسماء الاضداد فهذا مسـلم ظاهرا وهو ابعد ما يكون عن الاسلام حقيقة ، وذاك سميع لله وهو يهجر ابسط قواعد دين الله ، وكأنى بالمسلمين يتحدون ربهم والعياذ بالله من شر الوسواس الخناس،وذلك حين يقاتل بعضهم بعضا،ويقطع بعضهم أواصر القربى فقل لى من اعان التتر على المسلمين،ومن مزق دولتهم فى القرون الاولى من تاريخ الاسلام،ومن أعطى الأندلس بعد اسلامها الذى دام ثمانية قرون لقمة سائغة لأعداء الله ، ومن حالف الكفر واستنصر بـه ، وولى ظهره لبنى عمومته واوليائه المسلمين ، السنا نجنى الآن ثمار اهمال طويل لدين الله ، وما واقع المسلمين اليوم الا حكاية كل يوم مر بهم عبر السنين المتلاحقة التى ولت ، وهم جثاة على أعتاب الشيطان الذى اذلهم حين عاذوا بـه ويوم لاذوا بسلطانه فزادهم رهقا ، وكيف يطلب احترام الغير من لا يقدر نفسه ولا يزنها بميزان اسلامه وكرامته ، بميزان قرآنه وسنة نبيه .

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها   هوانا بها كانت على الناس اهونا

عاش المسلمون دهرا يستذل قويهم ضعيفهم فخرست الألسن عن الحق ، ولاذ مؤمنهم بجحر ضب خرب ، واصم اذنيه واعمى عينيه ، يرى ما يستحق الانكار ولا يستطيع ان يفتح فاه بكلمة صدق فضاعت فيهم حرية الرأى وانطلقت السنة السوء تغتال كل كريمة وتقبح كل حسن وتجمل ما ساء وما يهلك ، واحتال العقلاء للوصول الى طريق النجاة ولكن هيهات ، واخيرا تواكلوا ولم يتوكلوا ، وتركوا اللب واهتموا بالقشور، جرت الأمثال تنذر احيانا فى اسلوب ساخر تلميحا ففى التصريح الموت والدمار وقال قائلهم : (عـلام تناطحون والجزار بالباب) ونادى مناديهم (كلنا فى الهم شرق) وما قصر الداعون وان عملوا فى جو رهيب .

ونعود فنتذكر أن اليأس مهلك ، وان الأمل محيى موات القلوب ونسارع الى كتاب الله والى جهاد السابقين فنجد الدواء والقدوة ولقد كان لنا فى رســول الله الاسوة الحسنة ، وعسى أن يطلع الغد بما هو خير لأوطان الاسلام ونور يضيء لقادة القوم طريق الحياة الكريمة ويريهم الغى غيا فيبتعدوا عنه ، وسبيل الرشد صلاحا فيسلكوه ، ومهما طال الليل فلا بد من فجر ، ومتى اشتد الظلام طلب الضياء فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا . ولكن لا بد من اقتران القول بالعمل والاستعانة برب كل شيء فالله يقول بعد هـذا « فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب » .

---

(١) الاية ٦٠ (ن سورة « المؤمنون » .

(٢) الواردة فى الايات المنضمة الى الاية الكريمة التى معها وقد سبقها ولحقها آيات اخر هى من قول الله تعالى « ان الذين هم من ربهم مشفقون ، الى قوله سبحانه اولئك يسارعون فـى الخيرات » .

الإيمان

محمد مؤذن

عقيدة وعمل

للدكتور محمد سلام مدكور

ان هذا الوجود كله بما فيه من حيوان ونبات وجماد ، وبما فيه من صنع عظيم وانتظام بديع وتنسيق رفيع ، لأكبر آية على وجود مبدع لا شريك له .

ان هذا الوجود بنظامه الدقيق ، وما فيه من سنن لا تتخلف ، وتماسك لا يقبل التفكك ، آية على ذلك الاله العظيم . فهذا الوجود لا بد له من موجد عظيم ، وهذا الخلق العجيب لا بد له من خالق قدير . فمحال أن يكون ذلك الكون نشأ وحده دون قوة تنشئه وتدبر شأنه ، كما أن محالا أن تكون صنعة لا صانع لها وان لم تر الصانع حين صنع . فكل أثر لا بد له من مؤثر ، وكل موجود لا بد له من موجد ، ولهذا سئل الأعرابى فقيل له : كيف عرفت ربك ؟ فقال : الأثر يدل على المسير ، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، الا تدل على اللطيف الخبير .

وان كل عقل سليم اذا فكر اهتدى لا محالة الى معرفة خالقه فآمن به واتجه الى عبادته تقديرا لربوبيته وشكرا له على نعمته « ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم » .

والايمان هو النور الذى يضىء للقلب طريقه فى الحياة على نوعين : ــ ايمان بقيمة الفضيلة والسلوك الحسن ، وايمان بذات عالية رقيبة على السرائر ، يستمد القانون سلطانه الأدبى من أمرها

ونهيها . ولا ريب أن هذا الأخير أقوى سلطانا على النفس الانسانية ، وأسرع نفاذا فى قلوب العامة والخاصة لايمانهم بوجود رقيب على سلطان الضمير . ومن أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة ، وكان التدين ضرورة اجتماعية ، كما هو فطرة انسانية وفيه صلاح الفرد وصلاح الجماعة كلها .

والايمان هو التصديق ، وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمان ، ولذا كان الايمان أشرف أجزاء الاسلام الذى هو التسليم والانقياد بالقلب أو اللسان أو الجوارح ، يقول الله فى بيان ذلك « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .. » أى استسلمنا فى الظاهر ، وهذا يفيد أن الايمان دعامته التصديق بالقلب ، وأن الاسلام اظهار ذلك بالجوارح ، ولذا فان الله سبحانه يقول « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » ولم يقل بالاسلام . وقد جاء فى الحديث الشريف أن الرسول عليه السلام سئل أى العمل أفضل ؟ فقال الاسلام ، فسئل أى الاسلام أفضل ؟ فقال الايمان .

وقيل إن الايمان تصديق بالقلب وشهادة باللسان وعمل بالأركان ، ولا شك أن من جمع بين اطمئنان القلب بالايمان واظهاره ذلك باللسان واقامة الشعائر والعمل الصالح كان فى أعلى الدرجات .

وقد اشتهر عن السلف قولهم : ان الايمان عقد وقول وعمل . وان كنا نقول : ان الايمان يتحقق بتصديق القلب واطمئنانه ، الا أننا نرى أن اظهار ذلك بالقول والعمل الصالح مكمل له ومتمم ، فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من الانسان ، وبوجوده يتحقق وجود الانسان وبانعدامه ينعدم الانسان ، وبقية الطاعات ، ومنها اظهار الايمان بالقول والفعل تكون كأطراف الانسان فانه بزوال بعض هذه الاجزاء لا تنعدم حياة الانسان ، وانما هى مكملة ومتممة له ، كما أن الأعمال التى هى عنوان على التصديق النفسى من مكملات الايمان ، وان قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » ومعناه أن ايمانه فى هذه الحالة لا يكون كاملا ، وليس معناه انه افتقد ايمانه ، بدليل أن الزانى يعامل فى الاسلام معاملة المؤمنين ، ويدفن اذا مات فى مقابر المسلمين .

ولهذا يقول السلف ان الايمان يزيد وينقص بالعمل الصالح ، والعمل السىء ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . فالعمل يؤثر فى نماء الايمان وزيادته ، كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ، ولذلك قال الله تعالى : « فزادتهم ايمانا » وقال « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » ولهذا قال على كرم الله وجهه : ان الايمان ليبدوا لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم .. ويبدو أنه رضى الله عنه يقصد قول الله تعالى « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

وكل هذا يدل بوضوح على ارتباط كمال الايمان وتمامه بالاعمال ، وأن الطاعة تزيده وتقويه ، وأن المعصية تنقصه وتضعفه فالله سبحانه جل شأنه يقرن الايمان بالعمل فى الكثير الغالب ، ويجعل الايمان أصل الصلاحية « الفلاح والعمل مترتبا

عليه ، ومقاما على أساسه ، ليشعر أن العمل من غير أساس يكون ضعيفا واهيا مآله الزوال العاجل ، وان الايمان دون عمل لا يظهر له نفع ولا يعود على الناس منه خير . فهو كمن يصنع الأساس دون أن يقيم عليه أى بناء ، انظر فى هذا التشبيه قول الله تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به » . . وكذلك فان ما روى عن الرسول عليه السلام وهو الذى لا ينطق عن الهوى فيه ما يشعر بوضوح بارتباط كمال الايمان وتمامه بالعمل الصالح الذى ينفع الفرد والمجتمع . وأنه لتشبيه بليغ أن يقول صلوات الله عليه « الايمان عريان ولباسه التقوى ، فهو صلوات الله عليه يبين أن الايمان هو الأصل والأساس ، ويشبهه بالانسان ، ويشبه العمل الصالح باللباس الساتر للعورة والواقى من الحر والبرد ، كما ربط صلوات الله وسلامه عليه الايمان بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن . اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان ، واذا عاهد غدر » . .

وفى هذا الحديث ما يدل بوضوح أيضا على أن مجرد زعم الايمان والاذعان دون تحققه وتعلق القلب به لا يجدى ، وأن ما يقوم به الشخص مع ذلك من عمل يكون من غير أساس . ويؤيد هذا المعنى بوضوح قول الله سبحانه وتعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا . » فهو يدل على أن العمل بدون ايمان لا أثر له فى ميزان الأفعال عند الله ، ولا قيمة له عنده ، ولا ثواب له عليه ، ولهذا يقول العلماء : من فقد الايمان وعمل مهما عمل من الصالحات ، فان الله سبحانه جل شأنه بعدله واحسانه يكافئه عليه حسنات فى الدنيا ، وقد تكون تلك الحسنات بدفع بعض المكروهات حتى يجىء يوم القيامة ولا يجد مما عمل شيئا من الثواب .

وكذلك قول الله تبارك وتعالى فى أعمال غير المؤمنين اذ يشبهها برماد أزالته الريح فى يوم عاصف تشتد فيه الرياح فيقول جل جلاله : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد » .

ومن هذا يتبين بوضوح صدق القول بأن الله لا ينظر الى صورنا ، وانما ينظر الى قلوبنا وأعمالنا فالأساس هو العمل المقام على نية صادقة وايمان كامل . كما يبين مدى اهتمام الاسلام بالعمل فى الحياة ، حتى بين الله سبحانه لنا أنه خلق الموت والحياة ، لتكون الحياة مجال عمل ، ويتبين من أحسن عملا يقول الله جل شأنه « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا . . » فنعم أجر العاملين .

فليس الايمان اذا أن أنطق بالشهادتين ، وأن أومن بالبعث والحساب ، وبأن الفضائل مطلوب فعلها وأن الرذائل مطلوب اجتنابها ، وأن معاملات الناس بعضهم مع بعض افراد وجماعات يجب أن تقوم على الحب والاخلاص والصدق والوفاء ، وأن الفرد يجب أن يتقرب الى الله بالعبادة وفعل الخير والاحسان الى الناس بفعل ما يعود على مجتمعهم بالنفع ، ليس الايمان أن يعتقد الشخص فى نفسه بكل ذلك

دون أن يكون له أثر فى فعله وقوله . وانما لا يكتمل الايمان الا اذا كان لذلك مظهر واضح فى الأقوال والأفعال ، فيتصف بالصدق والوفاء والأمانة والاخلاص ، ويعرف عنه الكد والكفاح والعمل فى مجال الحياة بما ينفعه ويجعله شخصا نافعا لجماعته وقومه .

فالكذب والغدر والخيانة وقول الزور وفعل الموبقات مما يضعف الايمان وينقصه ، والخلود الى الخمول والكسل والقصور عن العمل والكد والكفاح والضرب فى الأرض للاستفادة بما بثه الله فيها من خيرات ، وعدم السعى للتزود بالعلم والمعرفة بقدر الطاقة والمستطاع مما يضعف الايمان وينقصه .

فالعمل المطلوب من المؤمن ليس هو فقط فعله العبادات المعروفة ، وانما كل عمل نافع فى الحياة لأن كل ذلك عبادة وقد وردت فى القرآن والسنة أمثلة كثيرة تؤكد هذا المعنى وتصف الأنبياء بأنهم كانوا ذوى حرف وصناعات ، فضلا عن انشغالهم بالدعوة الى الله . فقد كانت مهنة داود عليه السلام أن يصنع الدروع والسيوف ، أشبه بمهنة الحدادة فى عصرنا ، فقد الان الله له الحديد ، وأقدره على تحويله يقول الله تعالى « يا جبال أوبى معه والطير والنا له الحديد أن اعمل سابغات .. » .

ويقول الرسول صلوات الله عليه « ما اكل أحد طعاما خير من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وكانت مهنة نوح النجارة وصناعة السفن يقول الله تعالى « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون. ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه » وكانت مهنة موسى عليه السلام رعى الغنم فقد أشار القرآن الكريم الى أنه اشتغل أجيرا عشر سنين فى أرض قومه ، وهكذا بالنسبة لخاتم الرسل فانه اشتغل برعى الغنم وبالتجارة ، وكانت حياته كلها كفاح وعمل فى سياسة الدولة والفصل بين الناس ، فضلا عن توجيههم وارشادهم « وفضلا عن العبادات الخاصة » ولذا فانه صلوات الله عليه يقول فيما رواه عنه ابن عمر رضى الله عنهما « أن الله يحب المؤمن المحترف » ويقول فيما روته السيدة عائشة رضى الله عنها « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » والله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

فالايمان يا أخى القارىء عقيدة وعمل، تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ، والعمل هناك يقتصر على الصلاة والصوم وغيرهما مما عرف باسم العبادات وانما هو شامل لكل أعمال الخير التى تنفع المجتمع ، وتعود على البشرية بالخير وفقنا الله الى الايمان الكامل .

والى لقاء قادم لنتكلم عن العقائد التى طلب الله سبحانه منا الايمان بها .

الايمان



سر القوة الاسلامية

للاستاذ محمد عطية الأبراشي

ان الايمان بالله هو الذى حبب الى المسلمين الاستشهاد فى سبيل الاسلام وجعلهم يعتقدون أن الاستشهاد نصر من الله دونه كل نصر . ولا نبالغ اذا قلنا ان الاسلام لم ينتشر الا بالايمان . فالايمان هو سر القوة الاسلامية ، وسر انتصار المسلمين الأول فى نشر الدين الاسلامى فى الامبراطورية الاسلامية العظيمة فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين .

وفى أثناء فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص ارسل المقوقس الى عمرو رجالا من أصحابه ليروا كيف يعيش المسلمون .

فلما أتت عمرا رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين ، حتى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : « أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ، ويستحلون ذلك فى دينهم ؟ » .

وقد أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين ، ثم رد عليهم عمرو بقوله : « انه ليس بينى وبينكم الا احدى ثلاث خصال : اما ان دخلتم فى الاسلام ، فكنتم اخواننا فى الاسلام ، وكان لكم ما لنا . وان أبيتم أعطيتم الجزية عن يد (قدرة) وأنتم صاغرون وأما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين . »

فلما جاءت رسل المقوقس اليه سألهم : كيف رأيتموهم ؟

فأجابوا : رأينا قوما الموت أحب الىأحدهم من الحياة ، والتواضع أحب اليهم من الرفعة ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة . وانما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد . يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون فى صلاتهم .

فقال المقوقس : والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد .

ويؤخذ من اجابة رسل المقوقس أن المسلمين كانوا مثلا للشجاعة والبسالة يحبون الموت أكثر من الحياة . كانوا متواضعين ، زاهدين ، غير مترفين . يعيشون عيشة تقشف وزهد ، لا يفكرون فى المظاهر . يؤمنون بالاخوة والمساواة ، فأميرهم يرى كأى فرد منهم . لا يعرف فيهم الرفيع من الوضيع ، ولا السيد من العبد . يؤمنون بربهم ، ويعبدونه وحده ، خاشعين فى عبادتهم .

ومما قاله عبادة بن الصامت للمقوقس : « انما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله ، واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا ممن حارب الله لرغبة الدنيا ، ولا طلبا للاستكثار منها ، الا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا ، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك الا درهما ، لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ، ليلته ونهاره ، وشملة (١) يلتحفها . وان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه . وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى طاعة الله ، واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، وانما النعيم فى الآخرة . بذلك أمرنا الله ، وأمرنا به نبينا ، وعهد الينا ألا تكون همة أحدنا فى الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضا ربه ، وجهاد عدوه .

وبينما عبادة بن الصامت يصلى فى ناحية ، وفرسه عنده — رآه قوم من الروم ، فخرجوا اليه ، وتحرشوا به ، فلما دنوا منه سلم من الصلاة ، ووثب على فرسه ، ثم حمل عليهم . فلما رأوه ولوا هاربين ، وتبعهم فجعلوا يلقون حللهم ومتاعهم ، ليشغلوه بذلك عن طلبهم ، فصار لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن . ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة ، فرجع ، ولم يتعرض لشىء مما رموه من متاعهم ، حتى رجع الى المكان الذى كان فيه ، فاستقبل الصلاة ، وخرج الروم الى متاعهم وجمعوه .

وهكذا يكون الايمان باللـــه ، والزهد فى الـــدنيا ومتاعها ، والشجاعة والاقدام .

الله معك وكفى بالله وليا ونصيرا :

وقد كتب أبو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب ، وأرسل الكتاب مع عبد الله بن قرط الثمالى :

« أما بعد : أخبر أمير المؤمنين — أكرمه الله — أن الروم نفرت (٢) الى المسلمين برا وبحرا ، ولم يخلفوا وراءهم رجلا يطيق حمل السلاح الا جاشوا (٣) به ، وجاءونا وهم نحو أربعمائة ألف رجل ... فالعجل العجل يا أمير المؤمنين ؟ بالرجال بعد الرجال والا فاحتسب أنفس المؤمنين أن هم أقاموا ، ودينهم منهم ان هم تفرقوا ، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به ، الا أن يمدهم الله بملائكته ، أو يأتيهم بغياث من قبله . والسلام عليك . »

فكتب عمر الى أبى عبيـــدة :

« أما بعد ، فقد قدم على أخو ثمالـــة بكتابك ، يخبرنى فيه بنفير الروم (اسراعهم) الى المسلمين برا وبحرا .... وان ربنا المحمود عندنا ، والصانع لنا ، والعظيم ذا المن والنعمة الدائمة علينا ... بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأعزه بالنصرة ، ونصره بالرعب على عدوه ، وقال — وهو لا يخلف الميعاد : « هو الذى أرسل رسوله بالهـــدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون . » فلا يهولنك كثرة ما جاءك منهم ، فان الله منهم برىء . ومن برىء الله منه كان قمنا (٤) لا تنفعه كثرة وان يكله الله الى نفسه ويخذله . ولا توحشك قلة المسلمين فى المشركين (٥) فان الله معك . وليس قليلا من كان الله معه . فأقم بمكانك الذى أنت به حتى تلقى عدوك وتناجزهم (٦) وتستظهر (٧) بالله عليهم . وكفى به ظهيرا ووليا ونصيرا . وقد فهمت مقالتـــك : « احتسب أنفس المسلمين ان هم أقاموا ، ودينهم ان هم تفرقوا . فقد جاءهم ما لا قبل لهم به . الا أن يمدهم الله بملائكته ، ويأتيهم بغياث (٨) من قبله » .

وأيم الله لولا استثناؤك بهذا لقد كنت أسأت . ولعمرى ان أقام لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا لما عند الله خير للابرار . « فمنهم من قضى نحبه (٩) ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » « فطوبى)) (١٠) للشهداء . وان لمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين لأسوة بالمصرَّعين حـــول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطنه . فما عجز الذين قاتلـــوا فى سبيل الله ، ولا هابوا الموت فى جنب الله ، ولا وهن الذين بقوا من بعده ، ولا استكانوا لمصيبتهم ، ولكنهم تأسوا بهم ، وجاهدوا فى الله من خالفهم منهم ، وفارق دينهم ، ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون (١١) كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمـــرنا ، وثبت اقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » . فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح ، وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة .

واقرأ كتابى هذا على الناس ، ومرهم فليقاتلــوا فى سبيل الله ، وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

فاما قولك : انهم قد جاءهم ما لا قبل لهم به ، فالا يكن لكم بهم قبل (طاقة) فان لله بهم قبلا ، ولم يزل ربنا عليهم مقتدرا . ولو كنا والله انما نقاتل الناس بحولنا وقوتنا وكثرتنا لهيهات ما قد أبادونا (١٢) وأهلكونا. ولكن نتوكــل على الله ربنا ، ونبرأ اليه من الحول والقوة ، ونسأله النصر والرحمة وانكم منصورون ان شاء الله على كل حال . فأخلصوا لله نيتكم ، وارفعــوا اليه رغبتكم ، واصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . » ثم أرسل اليه عمر جيشا مــددا لــه .

الاسلام انتصر بالايمان والاخلاص :

وان نظرة واحدة الى كتاب عمر بن الخطاب ترينا أن الاسلام قد انتصر بالايمان والاخلاص ، وتوفيق الله ، والعقيدة والصبر ، والثقة بالله ، والاتكال على الله والتفاؤل ، والثقة بالنفس . وقد اتخذ عمر الايحــاء فى رده على أبى عبيدة بقوله : « انكم منصورون ان شاء الله على كل حال . » مهما يكن عــدد المسلمين قليلا ، ومهما يكن عدد المشركين كثيرا . « كم من فئة قليلة غلبت فئـــة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . » وقد انتصر المسلمون مع قلتهم ، على الروم والمشركين من العرب والفرس مع كثرتهم . وكان مــن أهم أسباب النصر الايمــان بالنصر ، والعقيدة ، والاستعانة بالله ، ويبدو ذلك من رد عمر بن الخطاب ، على أبى عبيدة بن الجراح بما يأتى :

« واعلموا انه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله ينزل النصر عليهم ، ولربما خــذل الله الجموع الكثيرة ، فوهنت ، وفلت (١٣) وفشلت ولم تغن عنهم فئتهم شيئا . ولربما نصر الله العصابة القليل عددها ، على الكثير عددها من أعداء الله ، فأنزل اللــه عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء اللــه وأعداء المسلمين بأسه (١٤) ورجزه » .

ولكى نثبت أن الاسلام انتصر بالايمان والعقيدة نقتبس هنا جزءا من كتاب باهان الى قيصر الروم يصف فيه جنود المسلمين :

« أما بعد ، فانك قد بعثتنى فيما لا يحصيه من العدد الا الله ، فقدمت على قوم فأرسلت اليهم ، وهيبتهم فلم يهابوا ، وأطمعتهم فلم يطمعوا ، وخوفتهم فلم يخافوا ، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا . وجعلت لهم الجعل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا . وقد ذعر منهم جندك ذعرا شديدا . . . »

ونشبت بين الفريقين وقعة اليرموك ، وكانت النصرة فيها للمسلمين والهزيمة على المشركين ، لان المسلمين كانوا مثالا للشجاعة والايمان ، ولم يبالوا بالاعــداء مع كثرتهم . ولما انتهى خبر الهزيمة الى ملــك الــروم رحل الى القسطنطينية راجعــا وخرج من أرض الشام . ولما اشرف على أرض الروم استقبل الشام بوجهه فقال : « السلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرى انه يرجع اليك أبدا . »

الايمـــان الكامـــل :

وقد وصف الله المؤمنين ايمانا كامـــلا فى سورة (المؤمنون) بقوله :
« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون (١٥) والذين هم عن اللغو (١٦) معرضون . والذين هم للزكاة فاعلـــون . (١٧) والذين هم لفروجهم حافظون . (١٨) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم (١٩) فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . (٢٠) والذين لأماناتهم وعهدهم راعون . (٢١) والذين هم على صلواتهم يحافظون . »

وفى سورة الحجرات فى قوله عز وجل : « قالت الاعراب (٢٢) آمنا (٢٣) قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا (٢٤) ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم . وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم (٢٥) من أعمالكم شيئا ، ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون (٢٦) الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا (٢٧) ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون . » فى ايمانهم بالله .

وفى سورة الانفال فى قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكـــر الله وجلت (٢٨) قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون (٢٩) . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٠) . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم . »

« اللـــه أكـــــبر » :

الله أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم ، وأقوى من كل قوى فى هـــذه الحياة .

اذا سمعت المؤذن يؤذن للصلاة قائلا : « الله أكبر » كان لهاتـــين الكلمتين روعة مؤثرة فى نفسك . واذا سمعت المسلمين يرددون فـــى صلاتهم : « الله أكبر » كان لهذه الجملة أثر شديد فى نفوس من يسمعونها ولا عجب ، فهى تمثل الايمان الكامل بالله وعظمته وحده لا شريك له ، تمثل الايمان الذى ينبعث من قلب المؤمن بالواحد الاحد ، العلى الصمد . وان المؤمن بالله هـــذا الايمان القوى لا يتأثر ولن يتأثر بأى قوة أخرى فى هذا العالم . واذا آمن المسلمون جميعا بالله وعظمته الالهية ، فلن تستطيع أمة اخرى من الامم أن تقف فى سبيلهم ، أو تمسهم بأى سوء .

وبالايمان بالله كان المسلمون أقوياء ، معتزين باسلامهم ، محافظين على دينهم مدافعين عنه بألسنتهم وأقلامهم وأرواحهم .

ما يتطلبه الايمان بالله :

ويتطلب الايمان بالله ان تكون عبادة الله خالصة لوجهه تعالى ، فيصلى المسلم ليبتهل الى الله ، ويتصدق على الفقراء والمحتاجين ارضاء لله ، ويصوم رمضـــان شكرا لله ، ويحج ليذكر الله ، لا يبتغى من هـــذه العبادة جزاء ولا ثوابا ، ولكنه يتقرب بها الى ربـــه ، ويلتمس منه قبولها بروحه وقلبـــه .

يتطلب الايمان بالله الطهارة والصفاء والاخلاص والعمل عن عقيدة ، وترك المظاهـــر الكاذبة ، حتى يكون العمل خالصا لله .

يتطلب الايمان من الاغنياء القادرين من المسلمين أن يطهروا أموالهم

بالقيام بالاعمال الخيرية ، كانشاء مدرسة لتعليم أبناء الفقراء ، أو مسجد لاقامة شعائر الله أو وحدة علاجية لعلاج المرضى ، أو دار كتب صغيرة ليقضي فيها الطلبة بعض أوقات فراغهم في القراءة والبحث والاطلاع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له . »

وبالايمان بالله انتصر المسلمون الاول ، وسادوا العالم ، ونشروا الحضارة الاسلامية ، والعظمة الاسلامية ، فى البلاد التى اعتنقت الاسلام . وكان لهذه الحضارة أثر كبير فى تقدم العالم ونهضته . ولم يتأخر المسلمون فى العصور الاخيرة الا لانهم خالفوا المثل العليا فى الاسلام ، فوهنوا وضعفوا وتحكم الاستعمار فيهم ، واستغل بلادهم ، ونهب خيراتها لمصلحته . واتخذ كل الوسائل الاستعمارية لنشر الجهل والفقر والمرض والتفرق فيها ، كى يستمروا ضعفاء ، وتستمر سيطرته عليهم .

ولا نبالغ اذا قلنا أن البلاد الاسلامية كانت بلاد العلم والعلماء ، والأدب والأدباء ، وموئل الحضارة التى لم تعرفها أوروبة الا عن طريق العرب فى الأندلس .

كيف يستعيد المسلمون مجدهم الماضى ؟

ولكى يستعيد المسلمون مجدهم الماضى وعظمتهم السالفة ، يجب أن يتمسكوا بروح الاسلام ، ومبادئه المثالية ، وأخلاقه العالية ، ويعودوا الى ايمانهم القوى بالله ويكونوا يدا واحدة ، ووحدة قوية متماسكة متعاونة ، ضد المستعمرين والمعتدين ، ويتركوا المظاهر الكاذبة ، ويدافعوا عن بلادهم متحدين بقلوبهم وأعمالهم ، ويبتعدوا عن الخلاف والنزاع والشقاق ، والرياء والنفاق ، والجرى وراء الحكم والجاه والسلطان ، عندئذ سينتصرون على الاعداء الباغين . ولن يستطيع الاستعمار أن يقف فى سبيلهم ، مهما تكن عدده وأسلحته . وسيكون النصر حليفهم ، كما كان حليفا لاجدادهم من المؤمنين السابقين الأولين .

---

(١) الشملة : كساء يتلفف به .
(٢) نفرت : أسرعت .
(٣) حاشو : أتوا به .
(٤) قمنا : خليقا وجديرا .
(٥) فى جنب المشركين .
(٦) وتبارزهم .
(٧) تستعين .
(٨) انفاذ ومعونة ونصر .
(٩) اجله .
(١٠) الطوبى : الخير والحسنى .
(١١) علماء اتقياء صابرون كثيرون .
(١٢) ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيهات ، أى لوقعت أبادتهم لنا منذ زمن بعيد .
(١٣) كسرت وهزمت .
(١٤) عذابه .
(١٥) متواضعون .
(١٦) من الكلام وغيره .
(١٧) مؤدون .
(١٨) عن الحرام .
(١٩) أى السرارى .
(٢٠) المتجاوزون الى ما لا يحل لهم
(٢١) حافظون .
(٢٢) نفر من بنى أسد .
(٢٣) صدقنا بقلوبنا .
(٢٤) انقدنا ظاهرا .
(٢٥) لا ينقصكم .
(٢٦) الصادقون فى ايمانهم .
(٢٧) لم يشكوا فى الايمان .
(٢٨) خافت .
(٢٩) به يثقون ، لا بغيره .
(٣٠) فى طاعة الله .

الإسلام والربا

للأستاذ محمد عبد الرحيم السمان

كثرت فى الآونة الأخيرة الأحاديث والأقوال حول الربا وهل هناك ربا محرم وربا غير محرم ، وهل الحرام هو الأضعاف المضاعفة والحلال غيره ؟! وهل فوائد البنوك تعتبر ربا لا يجوز أخذه أم هى الربح الحلال نتمتع فيه ؟! وظهرت آراء كثيرة بهذا الخصوص حتى قال أحدهم عن فوائد البنوك برأى أخذه من الواقع فقال : « هل يقال للمسلم اذا أردت ايداع أموالك فى البنك فلا تأخذ عنها أية فائدة بل دع البنك ينفرد بالفائدة دونك ، أهذا هو الحلال أم السفه !! » .

ومنهم من قال ان البنوك أصبحت عماد الاقتصاد والتجارة فلا غنى عنها فان قلنا بتحريم البنوك فمعنى ذلك اغلاقها واضطراب حبل التجارة بل ضرب الاقتصاد أشد الضربات .

وغير هذا كثير ، ولم تظهر مثل هذه الآراء الا بعد أن غزانا الكافر وركز فى بلادنا استعماره العسكرى والسياسى والاقتصادى ، وأخيرا وليس آخرا بل هو الأهم الاستعمار الثقافى الذى تغلغل فى نفوس الكثيرين ودعم هذا الاستعمار بالاوضاع التى أقامها حتى أصبحنا نرى ما وضعه فى بلادنا ضرورة قائمة منه نستمد تشريعنا وعليه نبنى حياتنا وكأننا لا بد أن نأخذ التشريع من الواقع ونرتضى به ولو كان سيئا ، لا أن نغير الواقع السيىء فنرفعه الى أعلى المستويات بتطبيق ما أنزل الله !! وعلى كل حال لا بد للاجابة على هذه التساؤلات من استعراض الآيات والأحاديث الشريفة المتعلقة بالربا :

ان أول ما نزل بخصوص الربا هى الآية (٣٩ من سورة الروم وهى مكية) فقال تعالى : وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » ، فكان هذا تنفيرا من الربا وتحبيبا فى الزكاة والصدقات وتهيئة للأنفس المؤمنة بأن الربا لا وزن له عند الله سبحانه وتعالى، ولم تنزل آيات التحريم القطعى الا بعد أن قامت الدولة الاسلامية

فى المدينة المنورة برئاسة سيد الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقر المجتمع الاسلامى فى المدينة فنزلت الآيات فى تحريم الربا منها آية (١٣٠ من سورة آل عمران) ويقول الله تعالى فيها : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التى أعدت للكافرين . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .

وآيات أخرى فى سورة البقرة من (٢٧٥ — ٢٨٠) يقول الله تعالى فيها : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقول الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

ونظر بعضهم الى آية ربا الأضعاف المضاعفة فأخذوا منها أن الربا نوعان ربا بسيط أجازوه وربا مضاعف هو المحرم فقط وغيره المباح واستندوا الى نقطتين:

الأولى : أن سورة آل عمران التى فيها آية الربا الأضعاف المضاعفة نزلت بعد سورة البقرة التى فيها : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . فكانت آيات البقرة عن الربا منسوخة بآية آل عمران .

الثانية : وهى مرتبطة بالأولى ، وهى انه ما دام النهى منصبا على الربا الاضعاف المضاعفة فمفهوم المخالفة يدل على أنه اذا لم يكن الربا أضعافا مضاعفة فلا نهى فيه اى اذا كان قليلا وعلى هذا الأساس أباحوا فوائد البنوك .

وبالنظر الدقيق الى الموضوع يتبين أنه لا يوجد هناك ربا محرم وآخر غير محرم ، فكل الربا حرام قليله وكثيره ، وأن فوائد البنوك هى الربا بعينه وان سموها فوائد . وذلك واضح من التحقيق فى مناطق الحكم الشرعى .

وهذا يتبين بالنظر الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وواقع الربا وتعريفه الشرعى ، أما بالنسبة للآيات والنسخ فان النسخ غير وارد فآية الربا المضاعف وان وصفت نوعا من أنواع الربا الذى كان متبعا فى ذلك الحين ونهت عنه فهى — أى آية الربا المضاعف — ليست كما يقول بعضهم هى آخر ما نزل بخصوص الربا فالعبرة ليست بترتيب السور بل بنزول الآيات وان آخر آية نزلت فى القرآن الكريم بأكمله لا فى الربا فحسب هى قوله تعالى فى سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا . . » فقد أخرج البخارى عن ابن عباس قال : « آخر آية نزلت الربا » وروى البيهقى عن عمر مثله ، وعند أحمد وابن ماجة عن عمر : من آخر ما نزل آية الربا ، وعن أبى سعيد الخدرى قال خطبنا عمر فقال : « ان آخر القرآن نزولا آية الربا » .

وبعد التدقيق فى آيات سورة البقرة يتبين قطعية تحريم الربا لقطعية الدلالة

وقطعية الثبوت ولنعش لحظات مع هذه الآيات الكريمة والتى كان تحريم الربا فيها مفصلا أيما تفصيل .

ان القرآن الكريم يعرض لنا صورة لا يحب ذو عقل أن يتصور بها ، فهى صورة بشعة ، صورة آكل الربا الذى يقوم كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، وبعد هذه الصورة البشعة ينتقل الى التحريم بعد أن هيئت النفوس لتتقبل ما بعد الصورة البشعة وهو التحريم فقال تعالى بعد ذلك الوصف : « وأحل الله البيع وحرم الربا » والتحريم هنا ورد بصراحة لا لبس فيها ولا تأويل ، فالتحريم كان بلفظ التحريم بذاته وليس بأمر الاجتناب كقوله عن الخمر وغيره ، فاجتنبوه ، أو النهى كتحريم الزنا بقوله : « ولا تقربوا الزنا » ، ثم يأتى القرآن ليعفو عما سلف أى عما سبق نزول هذه الآيات الكريمة : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله » ويتوعد من يعود الى الربا مرة أخرى : « ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وأى عذاب أشد من عذاب التخليد فى النار !! . ثم ينتقل القرآن الى معالجة النفس البشرية وحبها للمال فيطمئنها بأن الربا مهما كثر زائل ولا خير ولا ثواب فيه « يمحق الله الربا » وأما الصدقات والاقراض بالحسنى ففيهما الخير ومن اقرض مرتين فكأنما تصدق بمرة واحدة فقال تعالى « ويربى الصدقات » وقال عليه السلام (ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين الا كان كصدقة مرة » .

اما الآية النهائية القطعية وآخر ما نزل فى الربا وفيها الأمر الجازم بترك ما بقى من الربا ، ويأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتقوى فيقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » ، ومن صفات المؤمنين اتباع أوامر الله ومن شذ وعصى وأخذته العزة بالاثم فأبى فليأذن بحرب من الله ورسوله تلك الحرب التى لن تتساوى فيها القوى بشىء بل من يقوى على تصور نفسه يقف فى حرب أمام الله ورسوله ؟!! ولا بد أن تأخذ هذه الآيات مأخذها من نفوس المؤمنين الذين سيكفون عن التعامل بالربا بل لا بد عند التوبة من اعادة ما زاد عن رأس المال لأصحابه : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ، لا يظلمون الناس بأخذهم الزيادة عن رأس المال قلت أم كثرت ولا يظلمون بانقاص رؤوس أموالهم مهما كان الانقاص قليلا أو كثيرا ثم يخلص القرآن الى الخلق الاسلامى المتسامح « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » وقال عليه السلام : « من فرج عن مسلم كربا فرج الله عنه كربا من كرب يوم القيامة » .

ويجيب القرآن الى النفس المسامحة لمن ارهقتهم الديون وقد لا يستطيعون السداد الا على حساب لقمة العيش فيعدهم بالخير وجعل الخير عاما غير مخصص فتتشوق النفس للتطلع الى المجهول وهو الخير الذى لا بد ان يكون ممن بيده الخير خيرا كثيرا فقال تعالى : « وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

اما بالنسبة للحديث فقد قال عليه السلام : « الذهب بالذهب تبره وعينه وزنا بوزن والفضة بالفضة تبره وعينه وزنا بوزن والملح بالملح والتمر بالتمر والبر بالبر والشعير بالشعير كيلا بكيل فمن زاد أو ازداد فقد أربى » .

وقال : « الذهب بالذهب مثلا بمثل والفضة بالفضة مثلا بمثل والتمر بالتمر مثلا بمثل والبر بالبر مثلا بمثل والملح بالملح مثلا بمثل والشعير بالشعير مثلا بمثل

فمن زاد أو ازداد فقد أربى ، بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد ، وبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يدا بيد وبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يدا بيد » .

وقدعرف الفقهاء الربا من هذه الأدلة الشرعية بأنه :

« أخذ مال بمال من جنس واحد متفاضلين » .

وواضح من الأحاديث الشريفة أن الذهب بالذهب وزنا بوزن ومثلا بمثل وكذلك الفضة .... (الحديث) فمن زاد أو ازداد فقد أربى وواضح ؟ من الآية الكريمة : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم » وواضح من تعريف الربا أنه التفاضل .

ومن هذا كله نخلص الى نتيجة أن الربا محرم قطعا بلا أدنى شك قليله وكثيره وأن فائدة البنوك هى نوع من أنواع الربا ، وانه مما لا شك فيه أن البنوك لم تكن موجودة فى العصور الاسلامية فلم يكن هناك رأى واضح فيها (وهى غير موجودة) ولكن النصوص الشرعية واضحة فى أن أية زيادة هى محرمة ، واننا نعلم انه لا مساغ للاجتهاد فى مورد النص أى أنه ان كان هناك نص صريح فيها والا فالاجتهاد واجب والاجتهاد معروف انه استفراغ الوسع لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية مما ورد فى الكتاب والسنة ، وأن أولئك المجتهدين العظام لم يحيدوا قيد شعرة عن الكتاب والسنة فى جميع ما أتوا به ولم يأتوا برأى الا ودعموه بدليل شرعى من الكتاب والسنة ، ولا يكفى فى الاجتهاد الاتيان بالرأى المجرد دون الرجوع الى الأدلة التى هى شرط أن يكون الاجتهاد منها فبدون الدليل لا يحق لنا أن نخرج بنتيجة .

أما من حيث القواعد الشرعية وواقع الربا فان القاعدة الشرعية التى تقول « الغرم بالغنم » يتعارض معها ربا البنوك اذ يتعرض المال المودع فى البنوك لجانب واحد وهو الربح دون الخسارة وهذا هو الفرق بين الربا والربح ، ولا يقال ان الأموال هذه الأيام ليست ذهبا ولا فضة وانما أوراقا نائبة ، والحقيقة انها مقومة بالذهب وقادرة على شرائه بقيمتها الشرائية فلا فرق بين الورق النائب والذهب فأية زيادة هنا أو هناك هى الربا .

أما القول : هل نترك البنك ينفرد وحده بالفائدة !! وهل نستغنى عن البنوك وأصبحت عماد الاقتصاد ؟! فالجواب على هاتين النقطتين يكون فيما يلى :

أولا : لنبحث هل يجوز ايداع الأموال أى ادخارها فى البنوك أو فى غيرها أصلا أم لا يجوز ؟! ومتى يجوز ان جاز ؟؟! « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم .. » الآية ، وفى الآية وعيدان وعيد لمن لا ينفقون فى الجهاد ووعيد لمن يكنزون . والكنز المقصود فى الآية الكريمة هو جمع المال لغير ما حاجة ، فقد أباح الشرع الادخار وهو جمع المال بعضه فوق بعض لحاجة كالزواج أو بناء بيت أو لأداء فريضة الحج .. أما جمع المال لمجرد الكنز فهذا ما حرمه الشرع الشريف وهو الذى يوقف دولاب الحياة الاقتصادية ولا يقال ان البنك يشغل هذه المبالغ المتجمعة لديه فى مشاريع ضخمة لا يمكن للأفراد القيام بها ، فالشركات الشرعية كثيرة وجائزة اذا لم تكن من ضروريات الجماعة ، أما اذا كانت من ضروريات الجماعة فأصلا لا يجوز للأفراد أو جماعة معينة تملكها

وانما تكون ملكيتها للجماعة وقد بينها الرسول عليه السلام من حيث وصفها لا من حيث عددها فقال : « الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار » ومع أن هذه الأشياء أسماء جامدة لا يجوز تعديها لغيرها كما يتبادر للذهن ، فقد أباح الرسول عليه السلام فى الطائف وخيبر للأفراد أن يتملكوا الماء عندما لم يكن من مرافق الجماعة ومن هذا يتبين العلة الشرعية وهى كونه من مرافق الجماعة ، وبهذا فكل شىء يعتبر من مرافق الجماعة يعتبر ملكا عاما والجماعة لا تحصر فى الدولة جميعها وانما فى قرية أو مجموعة بيوت .

أما بالنسبة للبنوك وانها قد أصبحت عماد الحياة الاقتصادية أو على الأصح أصبحت جزءا لا ينفصل من الحياة الاقتصادية التى أوجدها بيننا الكافر بتطبيق نظامه الاقتصادى علينا والذى لا نزال نسير بموجبه ، وان الاسلام حين يدعو لتحريم الربا وبالتالى اغلاق البنوك التى تعامل به ، لا يتخذ هذا الاجراء وينتهى الأمر والا لكان كمن يهدم بيتا ليلقى بأهله فى العراء دون أن يبنى لهم بيتا غيره والاسلام ما هدم بيتا الا ليبنى بدله بيتا متميزا ، فان البنوك القائمة على الربا والتى هى جزء من النظام الرأسمالى الذى يطبق علينا ان الغاءها يحتم تطبيق النظام الاقتصادى فى الاسلام ، والذى يحتم وجود بيت مال المسلمين الذى يسد الحاجات ، فالمحتاج الى الاستقراض أما أن يحتاجه لأجل العيش أو يحتاجه لأجل الزراعة والعمل ، فأما الحاجة الأولى فقد سدها الاسلام بضمان العيش لكل فرد من أفراد الرعية « من ترك كلا فعلينا ومن ترك مالا فلورثته » وأما الحاجة الثانية فقد سدها الاسلام بقرض المحتاج دون ربا وبيت المال يقوم باقراض المال بلا فائدة بعد التحقق من امكانية الانتفاع بالمال ، وقد أعطى عمر بن الخطاب من بيت المال للفلاحين فى العراق أموالا لاستغلال أراضيهم ، والحكم الشرعى أن يعطى الفلاحون من بيت المال ما يتمكنون به من استغلال أراضيهم الى أن تخرج الغلال فان أمحلت طبق الباب الأول وهو كفالة الاسلام بضمان العيش لكل فرد من أفراد الرعية ، أما معاملات البنك التجارية الغير قائمة على الربا فان الاسلام لا يمنعها وتظل قائمة اذ لا يمنع الا التعامل بالربا فقط فتبقى التحويلات والصرف ما سارت حسب الصرف فى الاسلام ، وبهذا يظهر أن تطبيق جزء من الاسلام وترك جزء آخر فوق حرمته لا يفى بالغرض فلا نحرم الربا فحسب بل لا بد من انقلاب جذرى فى جميع شؤون الحياة والعودة الى الحياة الاسلامية بجميع دقائقها .

• • •

أما من حيث واقع الربا فانه لا يكون الا فى بيع أو قرض أو سلم .

وهو لا يقع فى البيع والسلم الا فى ستة أشياء فقط : « التمر والقمح والشعير والملح والذهب والفضة » .

أما القرض فيقع فى كل شىء فلا يحل اقراض شىء ليرد أكثر أو أقل ولا من نوع آخر أصلا .

والفرق بين البيع والسلم والقرض : ان البيع والسلم يكونان من نـــوع بنوع آخر وفى نوع بنوعه أما القرض فلا يكون الا فى نوع بنوعه .

أما كون الربا فى الستة انواع فقط فى البيع والسلم فذلك لقوله عليـــه السلام : « الذهب بالذهب مثلا بمثل والفضة بالفضة مثلا بمثل ، والتمر بالتمر مثلا بمثل ، والبر بالبر مثلا بمثل والملح بالملح مثلا بمثل ، والشعير بالشعير مثلا بمثل ، فمن زاد او ازداد فقد اربى ، بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد وبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يدا بيد وبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يدا بيد » ولم يرد أى دليل على التحريم فى غير هذه الأنواع الستة ويدخل فيها كل ما هو من جنسها وينطبق عليه وصفها ، وأما ما عداها فلا يحل .

أما تعليل التحريم فبما أنه لم يرد فلا يعلل أما قياس العلة فغير وارد لأنه يشترط فى قياس العلة أن يكون الشىء الذى اعتبر علة (وصفا مفهما) حتـــى يصح القياس عليه فان لم يكن كذلك بأن كان اسما جامدا أو وصفا غير مفهم فلا يصلح أن يكون علة ولا يقاس عليه غيره كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة ..) فلفظ الميتة ليس وصفا مفهما للتحريم فلا يقاس عليه فينحصر التحريم بالميتـــة ولا يقال حرم الربا فى القمح لأنه مطعوم اذ هو ليس وصفا مفهما فلا يعتبر علـــــة للتحريم ولا يقاس عليه ، أما قوله عليه السلام « لا تباع الصبرة من الطعام بالصبرة من الطعام ولا الصبرة من الطعام بالكيل من الطعام المسمى) فان ذلك لا يدل على أن علة التحريم الطعام وانما يدل على أن الربا يحصل فى الطعـــام وجاء حديث الرسول ليخصص أنواع الطعام التى يحصـــل فيها الربا (الذهب بالذهـــب .. الحديث) والدليل على أن هناك أطعمة كثيرة لا يحصل فيها الربا مع أنها من الطعام كالخضروات مثل الجزر والفلفل .. الخ . وعلى هذا فالربا لا يقع فى البيـــع والسلم الا فى هذه الأشياء وكذلك لا يقال حرم الربا فى الذهب والفضة لأنهمـــا موزونان فتجعل علة تحريم الربا الموزون ولا فى القمح والشعير لأنهما مكيـــلان فالوزن والكيل جاء فى الحديث وصفا لا علة قال عليه السلام « الذهب بالذهب تبره وعينه وزنا بوزن ، والفضة بالفضة تبره وعينه وزنا بوزن والملح بالملح والتمر بالتمر والبر بالبر والشعير بالشعير كيلا بكيل فمن زاد أو ازداد فقد أربى » .

أما القرض فيه ربا فى الأشياء الستة وما عداها وفيه وجه واحد فقط وهو اشتراط أكثر مما اقرض أو أقل مما اقرض او ادنى اى (اردأ جنسا) .

فماذا بقى بعد هذا لاباحة ربا البنوك او غيرها ، واى دليل لها يبيحها ، وقد جاءت الآيات والأحاديث شاملة لا مجال فيها ؟ بل لقد وضع الفقهاء بالاضافة الى رد المال الزائد عن رأس المال لأصحابه وضعوا عقوبة التعزير لآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه بالجلد والحبس حتى سنتين فالربا حرام وفوائد البنوك ربا لانها زيادة مشروطة فى المال ومن اكلها فليأذن بحرب من اللـــه ورسوله وقانا اللـــه والمسلمين من الوقوف فى ذلك الموقف وأعاننا والمســلمين على فهم اسلامنـــا واستئناف تطبيقه فى الحياة .

الفكر التشريعي الإسلامي

المصلحة ٢

للشيخ علي الخفيف

بينا فيما سبق أن الفقه الاسلامى ، أو الفكر التشريعى الاسلامى يستهدف مصلحة الأمة ، أو مصلحة المجتمع ، وذلك بمراعاته كل ما يحفظ عليه وحدته وتماسكه ويحقق له أهدافه ويصون علاقات أفراده من الوهن والتفكك ، ويوفر لهم الاستقرار والسلام ويهيىء لهم بالأمن فرص العمل والرخاء فما كان فيه المصلحة له فهو محل طلبه ، وما كان فيه المضرة له فهو محل نهيه ، وأن هذا أمر أجمع عليه فقهاء المسلمين ، وأثبته استقراء الاحكام فلم يلاحظ فيها حكم ضار بالأمة أو يزيد ضرره على نفعه ، وما من حكم جاء به الا كان نفعه أكبر من ضرره .

وكل هذا لم يكن محل خلاف ولا مجال نزاع ، واذا كان خلاف فهو خلاف فى النظر أو التطبيق ومن أجل ذلك اتخذت المصلحة دليلا من أدلة الحكم وأمارة عليه ، واقتضى ذلك بيان المراد منها وكان بيانها وتحديدها بيانا وتحديدا للفكر الاسلامى واتجاهه .

وقد جاء فى التعريف بها ، أنها ما يتحقق به مقصود الشارع من المحافظة على الضروريات والحاجيات والتحسينات التى أشرنا اليها فيما سبق ، وممن ذهب الى ذلك الغزالى فى المستصفى .

وكذلك عرفت بأنها ما يتحقق به مقصود الشارع ، وهو دفع المفاسد عن الخلق ، ولا يكاد يختلف هذا التعريف عن سابقه . اذ أن دفع المفاسد يتحقق بالمحافظة على الضروريات السابقة .

على أن محاولة تعريفها على هذا الوضع ليس بالأمر ذى البال ، اذ أنها من الوضوح بحيث تستغنى عن التعريف ، فالمصلحة مفعلة من الصلاح وهى تكون كذلك اذا تجردت عن المفسدة ، أو كان نفعها أكبر من فسادها ، وليس المراد بها كما أشرنا أن تكون فردية بل المراد منها أن تكون مصلحة كلية ظنية ظنا راجحا على الأقل ، غير معارضة بما يذهب بنفعها وليست اتباعا لهوى أو انقيادا لشهوة ، دون مراعاة لدلالة الادلة ووزنها آمرة كانت أم ناهية ، فان الشارع لا يأذن الا بما هو مصلحة ، ولا ينهى الا عما هو مفسدة ، وفى طاقة العقل البشرى أن يدرك أوجه المصلحة فى شئون الدنيا فيحصلها بأمر الشارع ، وان لم يرد بها نص صريح خاص بها ، لأن الأوامر العامة ، واستقراء الاحكام تدل على أن أحكام الشريعة فى كلياتها وجزئياتها تتجه الى جلب المصالح ودفع المفاسد ، ولذا عمل بها الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون ، وجعلوها أصلا من أصول استنباط الأحكام دون انكار عليهم كما حدث من أبى بكر وعمر فى الاستخلاف ، وفيما ذهب اليه عمر من قتل الجماعة بالواحد وتدوينه الدواوين ، واشارته على أبى بكر بجمع القرآن ، ومقاسمته ولاته فى أموالهم التى اكتسبوها بجاه السلطة ، وفيما قرره أيضا من توظيف الخراج على من تركت الأرض المفتوحة فى أيديهم من الذميين ، وكما فعل عثمان فى حمل الناس على قراءة واحدة ، وكما فعل على فى تضمين الصناع وفيما ذهب اليه الفقهاء من فرض الضرائب على المسلمين القادرين عند الحاجة وضعف بيت المال ، ومن جواز اتلاف ما يقاتل عليه الاعداء من الحيوان ، وقتل من يتترس به الكفار من المسلمين ، ونفى أهل الفساد الى بلد يؤمن فيه شرهم ، وتفضيل أحد الاولاد بالعطية لمصلحة معينة كأن يكون مريضا أو محتاجا صاحب عيال ، واكراه المحتكرين على بيع أموالهم بالقيمة ، واجبار ذوى الصناعات عند الحاجة على العمل بأجر المثل ، الى غير ذلك من الأحكام الاجتهادية التى ملئت بها كتب الفقه فى المذاهب المختلفة وليس يعارض ذلك ما تضمنته كتب الأصول من انكار لبعض العلماء ، فانهم انما أنكروا متابعة الهوى وتحكيم الشهوة ، كما يدل على ذلك صنيعهم فى بعض ما أثر من أحكامهم فى كثير من المسائل المليئة بها كتب المذاهب على اختلافها ، اذ بنوا الحكم فيها على مراعاة المصلحة حين اعياهم أن يعثروا فيها على نص .

وانه لمن الأمور المقطوع بها أن الشريعة راعت مصالح العباد ولم تشرع من الأحكام الا ما يوصل اليها ، وأن ذلك أمر استوجبه تعذر استيعاب النصوص لجميع الحوادث والوقائع لعدم تناهيها فكان لا بد من الالتجاء الى أصل صالح للتطبيق فى كل عصر وبيئة ، وهو الأمر بمراعاة مصالح الخلق وذلك ما أشارت اليه نصوص الشريعة ، ودل عليه مسلكها فى تشريع الاحكام ، ونظرها الى دعائم المعيشة وأسس الحياة ، وعناصر العمران حين بنت عليه أحكامها ، وأسست عليه قواعدها .

ويتبين مما تقدم أن المصلحة التى استهدفها الشارع من شرعه هى المصلحة الجماعية كما نص على ذلك الغزالى .

أما المصلحة الفردية فليس لها اعتبار الا حيث لا تتعارض مع مصلحة الجماعة ، أو تكون وسيلة الى مصلحة الجماعة ، وذلك ما يقتضيه الأمر بالعدل والاحسان فى قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان ... الآية » ، وما يوحى اليه قوله تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو **اصلاح بين الناس »** .

فليس من الاحسان اهمال مصلحة المجتمع فى سبيل المحافظة على مصلحة الفرد ، وليس يترتب على ترك مصلحة المجتمع واغفالها الا فساده وانحلاله ، والله لا يحب المفسدين ، ثم لا يعد هذا الا أمرا تعده العقول السليمة منكرا لا خير فيه والله يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، ولا يعد الاقدام على مثل هذا الا من قبيل الشح ، وذلك لما فيه من الأثرة المذمومة وقد ذمه الله سبحانه وتعالى فى قوله : « وأحضرت الأنفس الشح » ويؤيد ذلك ما فعله كل من عمر وعثمان رضى الله عنهما دون انكار من الصحابة عليهما حين ضاق المسجد الحرام فى عهدهما ، فقد أرادا شراء بعض ما يحيط به من الدور لادخاله فى المسجد توسعة له فأبى عليهما بعض أصحابها لحاجتهم اليها ، فأخذاه جبرا عنهم بقيمته ، ولم يأبها باعتراضهم وتمسكهم بحقهم ومصلحتهم ، تقديما للمصلحة العامة وايثارا لها على غيرها .

وهكذا كانت المصلحة العامة هدفا للتشريع الاسلامى ، وهذا ما يصور لنا الفكر الاسلامى التشريعى ، فكرا موحد الهدف متعدد النوع والموضوع ، مختلف الأثر .

وجملة القول أن الفكر الاسلامى التشريعى يصوره لنا ويمثله نظر الشارع الى ما تقوم به الحياة ويؤسس عليه العمران وتنتظم به مصالح الخلق وترفه به معيشتهم ومن ذلك نظره الى ما يأتى :

أولا : نظره الى ارادة الانسان واختياره ، وما له من حقوق .

يقيد الاسلام ارادة الانسان واختياره وحقوقه بما لا يجعل لهواه ولا لشهواته سلطانا على ارادته ، وتحكما فى اختياره ، وبما لا يجعل لحقوقه طغيانا على حقوق غيره ، ذلك أن للانسان غرائز تتحكم فى ارادته ، وعقلا ينازع ارادته ويعارض هواه ويحاول صده ، وتقييد ارادته حين تتحكم فيه الغرائز ويغلب عليه الهوى لكيلا يتعدى ما تتطلبه الحياة الراضية الحكيمة ، فلا يتجاوز حدود الحق والخير ، غير أن العقل لا يكتب له الظفر فى هذا العراك الا قليلا ، لما للغرائز من قوة تظاهرها فيها الشهوات ، فيضعف العقل أمامها . ولما ينتاب العقل فى كثير من الاحوال من تردد عند حكمه تبعا لاختلاف البيئات والظروف مما يشبه عليه الامور فيعجز عن التمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشر ، ولذا كان لا بد له من هاد يهديه السبيل ويمنحه القوة على كبت الغرائز والانتصار عليها وهو وحى السماء ، وما جاء به من هداية وارشاد وبيان لمعنى الحرية المنشودة النابعة من الحكمة الكفيلة باسعاد المجتمع ، المتلاقية مع الحق والعدل والخير ، المانعة من الأثرة والطغيان .

لقد جاءنا الاسلام بشريعة أقامها على الهدى الذى يكفل الحرية لجميع الناس ، ويطلق ارادتهم واختيارهم بلا طغيان لارادة أحد على ارادة أحد آخر ، وبحيث لا يصادم ذلك منهم الحق والعدل ، وبحيث تكون ارادة كل منهم موجهة الى ما فيه الخير والنفع له ولأسرته ولمجتمعه وتلك هى الرحمة

و أثر الرحمة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ودل عليها قوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » أى رحمة للناس جميعا بما فرضته من مساواة وما أقامته من عدل وما اشاعته من خير ، وما امرت به من صلاح ، وما نهت عنه من ظلم وافساد وما حضت عليه من تعاون ووحدة وكل هذه أمور تحقق معنى الرحمة التى جاءت بها تلك الرسالة ، ولا يتـم التراحم فيما بين الناس الا بها ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : لا تنزع الرحمه الا من شقى . ويقول : ارحموا مـن فى الارض يرحمكم من فى السماء .

ولقد قال له قائل : انا لنرحم أزواجنا ، وذرياتنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا أريد ، انما أريد الرحمه بالكافه . والرحمة بالكافه ليست الا بدفع الفساد عنهم ، ولذا كانت المصلحة العامة الشاملة هى غاية الشريعة وكان كل أمر فيه مصلحة عامة أو كانت منفعته أكبر من ضرره مطلوبا لها ، وكل أمر فيه مفسدة أو كانت مفسدته اكبر من منفعته منهيا عنه ، ولذا قال ابن قيم الجوزية : « اذا تأملت شرائع الله التى وضعها لعباده وجدتهـا لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة او الراجحة ، واذا تزاحمت قدم أهمها وأجلها وان فات أدناها ، كما لا تخرج عن تعطيل المفاسد الخالصـة ، أو الراجحة بحسب الامكان ، وان تزاحمت عطل أعظمها فسادا بتحمل أدناها ، وعلى هذا وضع الشارع الحكيم شرائع دينه ، وهذا ما لا يستريب فيه من له ذوق الشريعة وارتضاع من ثديها وورود من صفو حوضها » (١) .

ومن هذا يبين أن الشارع الاسلامى انما شرع شريعته فجعلها رحمة للناس ، وأن هدفه منها مصالحهم ، وقد اتفقت كلمة جميع العلماء على أنها انما شرعت لهذه الغاية السامية ، سواء منها ما صرحت به النصوص ، وما عرف بواسطة العقل ، وان ما قد تغيب من هذه الأحكام عند النظر حكمته ، فذلك انما يكون عندما يحجبها عن العقل نوازع الاهواء ، ودوافع الشهوات وقد دل على ذلك أنها كلها من عند الله ــ ان الحكم الا لله ــ وانه هو الحكيم العادل العليم ، وأنه لا يأمر الا بالعدل والاحسان وليس من الاحسان ولا من العدل أمر الناس بالفساد والضرر ، واذا ما لوحظ أن فى حكم من الأحكام مضرة ، فذلك لأنه قل أن يوجد الخير المحض ، كما يقـل أن يوجـد الشر المحض ، ولذلك كانت الموازنة بين منافع الحكم ومضاره هى أساس طلبه ، أو منعه ، ولاختلاف الناس واختلاف البيئات والظروف تأثير فيها من ناحية ترجيح المنافع والمضار ، وذلك لاختلاف المصالح بحسب اختلاف الناس ، وعلى هذا الأساس شرعت الحقوق مقيدة بعدم الضرر ، وكان للانسـان ارادته واختياره على هذا الوضع ، فلم يكن طليقا طيعا لهواه ، متابعـا لشهواته فى أى حق من حقوقه ، ولا فى أى تصرف يتصرفه ، ولا فيما أبيح له من المباحات ، والانتفاع بها ، بل كان كل ذلك مقيدا بهذا النظر وقائمـا على هذا الأصل ، فاذا ما تجاوز الانسان به دائرة هذا الاصل ، وخرج به عن اطاره وتعدى حدوده انقلب استعمالها طغيانا وظلما وتعديا عـلى غيره، ووجب بحكم الشريعة أن يحال بينه وبين ما قصد اليه من ذلك ، والزم بتعويض ما ترتب على تعديه هذا من ضرر .

وجملة القول أن النظر الاسلامى يقضى بتقييد كل الحقوق وطرائق الانتفاع بها بعدم معارضتها للحق والعدل ، وبعدم تأديتها الى الضرر ، ولو كان ضررا لاحقا بصاحبها ، ولذا نهى الشارع عن الاسراف فى الأكل والشرب

فقال : « فكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ونهى عن التبذير فقال : «« ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » ونهى عن القتر « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » وهكذا .

ذلك هو نظر الاسلام وفكره التشريعى فى مجال بيان الحقوق واستعمالها ، وفيما للأشخاص من حرية وارادة واختيار عند مزاولة نشاطهم المالى والاجتماعى ، بل والسياسى ، نظر يقوم على التقييد بما يحقق المصلحة ولا ينافيها ولا يصادمها ، لا الاطلاق الذى ينحرف بالناس الى ما فيه فساد أمرهم والطغيان على غيرهم ، وانحلال مجتمعهم ، وهو نظر استوجبته أغراض التشريع وأهدافه .

ثانيا : نظره الى المال والملك :

يقرر الاسلام أن جميع ما فى الكون ملك لله تعالى « له ما فى السموات وما فى الارض » (٢) ، « ولله ملك السموات والأرض وما بينهما » (٣) « قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله » (٤) ، وهذه الملكية تقوم على الخلق والتسلط والتسخير وهى ملكية لا تنتهى بنهاية ولا يغير من وضعها أى تصرف ولا أية حيازة .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى جميع ما على سطح الأرض للانسان ، لتكون له منافعه وثمراته ، فكانت مباحة لجميع الناس لكل انسان منها حاجته ، (خلق لكم ما فى الأرض جميعا) ، وكان للانسان أن ينتفع بذلك فى النطاق الذى يحقق العدالة والمساواة فى الاباحة ، ويحدده نواميس العمران ومتطلبات الاجتماع وكأن الخروج من هذه الدائرة محظور ، ولم يكن لأحد فى الناس اختصاص بشىء الا بما تسبق اليه يده ، ويستولى عليه ابتداء بداعى حاجته اليه واتجاه رغبته نحوه لادخاره خوفا من نفاذه أو عدم وجوده عند الطلب .

ولما كانت رغبات الناس غير محدودة نشأ عن ذلك التزاحم ، وظهرت غرائز الانسان فى حب الاستيلاء والاقتناء والاستبداد وكان ذلك أساس ما يسمى أخيرا بالملك أو التملك ، وقويت هذه الغريزة فيه بسبب ما جبل عليه من حب التغلب والتسلط ، وأصبح لها من القوة على ارادة الانسان ما تتلاشى معه مقاومته ، وما يحمله على ما هو محظور عليه ، من طغيان على غيره ، باستيلائه على ما سبقت اليه يده أو حصوله على ما يستطيع مما هو فوق حاجته ، أو على استئثاره بالمال استئثارا يترتب عليه حرمان غيره وهو مثله صاحب حق فيه ، بحكم الاباحة العامة .

لهذا اتجه الاسلام الى الحد منها ، والتحذير من عاقبتها ، والترغيب عنها بما هو خير للانسان من مطاوعتها ، وذلك فى قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

فوصفها بأنها متاع الحياة الدنيا ، وهو ذلك المتاع الزائل الفانى ، ودعا الى الاستعاضة عنها بما هو أفضل وخير بقوله : « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله» ، وان ذلك جزاء من اتقى فانصرفت نفسه

عن ذلك المتاع الذى يطغى ويوقع صاحبه فيما لا يصلح عليه أمر الناس .

والاسلام كما أسند ملك جميع ما على الأرض من أموال ومتاع لله تعالى ، جعل منافعه للناس جميعا ، فأشركهم فيها ، وجعل الخلافة عليها للانسان ، ليقوم بتدبير أمورها على وفق ما شرع من أحكام ، وما أراد لها من صلاح ، وأمر بالانفاق على الفقراء وأصحاب الحاجات ، وجعلهم أصحاب حقوق فيها .

فقال : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، وقال : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، وقال : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم » ، وقال : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات ومافى الارض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ، وقال : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وبناء على ذلك كان انتفاع الناس بالمال كما اشرنا انتفاعا مشتركا مباحا لهم ، لكل منهم حق فيه ، وكان كل فرد على هذا الاساس اذا ما عمل عاملا فى مال الجماعة بالنظر الى اشتراكهم فيه ، وفى مال الله بالنظر الى أنه ملك له تعالى ، وكان عليه وقد كلفه الله بالقيام عليه والعمل فيه لأجلهم أن يعمل فى نطاق ارادته ومواهبه وقدراته « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، وكان سلطانه فى عمله وولايته عليه ممتدا ومتسعا بامتداد مواهبه واتساع قدراته ، وكانت ثمرة عمله بحكم ذلك ثمرة لعمل قام به فى مال الله الذى جعل منافعه للجماعة فكان واجبا عليه فيه أن يكون عندما حد له من حدود ، والا يتعدى بأعماله حدود خلافته موجها عمله الى الخير صارفا ثمراته فى وجوه صرفها ، وأن ينميه بالطرق المشروعة التى لا ضرر فيها لأحد .

وبناء على ذلك يبين أن ملكية الأموال انما تتمثل فى حق الانتفاع بها ، على الوجه الذى قيده به الشارع وحق الولاية عليها بالتصرف والتنمية والاختيار فى وسائل الانماء والتحصيل وذلك بالتزام المشروع منها ، وهو ما يجنبه الاضرار بنفسه وبغيره ، ويحفظ عليه كرامته ، كما وجب عليه بحكم خلافته فى هذا المال عن الشارع أن يكون مسلكه فى التصرف فيه وفى انفاقه سواء على نفسه أو على غيره وفقا لما أمر به الشارع وندب اليه ، وتلك نتيجة طبيعية لثبوت الملك لله تعالى وخلافة الانسان عنه فيه .

وجملة القول أن المال فى نظر الاسلام ضرورى للحياة البشرية ودعامة فى وجود المجتمع ، وبه قيامه وبه حياة الانسان وبقاؤه ، وان سعى الانسان الى تحصيله واقتنائه انما هو بحكم فطرته وغريزته ، لأن فيه رزقه وسد حاجته ، ونظام أمره ، وقد جعلت منافعه وثمراته له فأبيح الانتفاع به لجميع أفراده ، وان الملك فيه لله سبحانه وتعالى بحكم أنه خالقه ، وخالق كل شىء ، فكان كل شىء له ، وقد جعل الخلافة عليه للانسان فكان المال فى يده وديعة وأمانة يجب أن يحافظ عليه من العبث والتبديد والضياع ، وليس له فيه الا أن يقوم عليه خلافة من مالكه الذى جعل له فيه حق الانتفاع مقيدا بما شرع من أحكام أريد بها حفظه وبقاؤه وتنميته وتوجيهه للغرض السامى الذى لأجله خلق ، وهو صلاح المجتمع وسعادته ، وفى الحدود التى دلت عليها أوامره ونواهيه ، المحققة لعدالة توزيعه ، وحسن انفاقه ، وسداد التصرف فيه ، والوفاء بما للناس فيه من حقوق ، والحيلولة دون

الافتنان به ، واتخاذه أداة تسخير وطغيان واستعباد ومصدر اغراء ، وتكبر وخيلاء وعبث بالحقوق ، ووسيلة انحراف فى السلوك ، وافساد فى الأرض واهدار للكرامة ــ يقول الله تعالى : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » ، ويقول « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » ، ويقول : « يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »

ولهذا كانت عناية الشريعة الاسلامية بالمال عناية بالغة فبينت وسائل تحصيله وجمعه وانمائه ، فبنتها على العمل والتجارة والتعاقد والكسب والصدق والرضا ، وجنبتها الخداع والغرر والتدليس والغش والاكراه والضرر ، وألا يباشر الانسان منها الا ما يوصله الى خير نفسه ابتغاء خير المجتمع ، ولهذا نهت عن أكل أموال الناس بالباطل « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم » وعن أخذ أموال اليتامى والضعفاء ممن يكونون تحت الولاية أو الوصاية : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » ، وقال : « ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا » ، « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » وقال « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن » .

وحرم الربا لقيامه على استغلال الضعيف وحاجته وحرم تطفيف الكيل والميزان ، كما عني ببيان مصرفه وطرق انفاقه .

وعلى الجملة فقد كان أساس التشريع فى المال مبنيا على اعتبار أنه لله تعالى ، وأن ليس للانسان فيه الا حق الانتفاع والقيام عليه بطريق الخلافة وعلى ذلك شرعت الاحكام الآتية :

١) ليس للانسان الارادة المطلقة فى التصرف فى المال وتنميته ، بل يجب عليه أن يراعى فى تصرفه الا يؤدى الى الاضرار بنفسه أو بغيره أو بالجماعة .

٢) أنه يجب على الانسان أن يلتزم فى قيامه على المال جميع الحدود التى رسمتها الشريعة الاسلامية فى طرق تحصيله وتنميته وحفظه وصرفه ، بحيث يراعى فى ذلك **أولا : عدم** استغلال الضعف البشرى بأية صورة ما ، وعدم اتخاذ المال وسيلة لاهدار الكرامة أو للتحكم ، **ثانيا :** عدم اكتناز المال والحيلولة بينه وبين تداوله للصالح العام ، **ثالثا :** عدم انفاقه فى أى محظور أو فى كل ما من شأنه أن يحط بالفضيلة أو بالخلق ، **رابعا :** عدم الاسراف فى انفاقه ، وعدم التقتير فيه ، وقد قال تعالى : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . **خامسا :** مراعاة مصلحة المجتمع وحقوق أصحاب الحاجة فيه ، وذلك بالتزام حدود الله فيه وفيما دعا اليه من الانفاق فى سبيله .

ذلك هو نظر الاسلام الى المال والى الملكية ، وعلى أسس ذلك جاءت أحكامه وشرائعه الخاصة بشئون المال .

---

(١) مفتاح دار السعادة .
(٢) ٥٢ / النحل .
(٣) ١٧ / المائدة .
(٤) ١٢ / الأنعام .

مملكة العجائب

للمَرحوم الشاعر : محمّد الأسير



ضاق على الضرغام يوما غابه   وانقطعت من رزقه أسبابه

فقال للفهد أشر بما ترى   فقال ان الخير فى ترك الشرى

فمشيا فى الأرض حتى وجدا   غابا حوى من الوحوش عددا

وبصرا بالقرد وهو يحكم ..   يومىء باللحظ ولا يكلم ..

منتفخ كالليث وهو قرد   منفرد بالحكم مستبد ..

له بطانة بها الحمار ..   مدخر للرأى مستشار ..!!

والبغل فيها الشاعر المقدم   وقنفذ الحجر الكمى المعلم ..

والبوم للبشرى بكل خير ..   والببغاوات لحفظ السر

والضفدع الصداح والمغنى   والذئب قائم بأمر الأمن ..

والجرز القائم بالاصلاح ..   والهر طاهى اللحم فى الأفراج ..

والدب للزمر وقرع الطبل   والفيل للالعاب فوق الحبل !

رأى الهزبر ما رأى فزأرا   وقال للفهد : أحق ما نرى ؟!

فقال يا مولاى حق صدق   جميع ما يفعل هذا الخلق ..

ليس الذى ترى من الغرائب   فنحن فى مملكة العجائب .

ظاهرة المديح

في المجتمعات المتخلفة

للدكتور : وهبه الزحيلي

كثيرا ما يراع الانسان ، او يمتعض مما يسمعه في الاذاعات عن رئيس او قائد او موظف كبير من عبارات الاطراء والثناء ، والاعجاب والمدح المغالى فيه او المبالغ به مبالغة شديدة منفرة تضخم الأحداث الصغيرة ، او تهول الوقائع التافهة او تمجد البطولات الداخلية البسيطة ، او تصف الامور نعاتيا بغير الحقيقة والواقع .

وفي المناسبات التاريخية او الوطنية تقام الاحتفالات العلنية ، فنسمع ما هو أمر وادهى ، اذ يقوم الخطباء بتسبيح المديح لرئيس ما ، كما كان الشعراء في الماضي يمدحون الخليفة او الامير بغية العطاء والمنح والهبات ، الا ان الشاعر في الماضي كان في شعره يسجل الاحداث العظام والفتوحات الشهيرة ، لأن الشعر كان ديوان العرب نهو بمثابة الصحف السيارة اليوم ، اما خطيب اليوم دينيا كان او سياسيا فتراه يغالي برصف كلمات رنانة ، واوصاف طنانة ، وتمجيد خارق التصور والخيال ، بغية الداهنة والمصانعة

والرياء ، فتشيع من ثنايا خطبته رائحة عفنة : هى رائحة التملق والنفاق وحب الظهور .

ومما يؤسف له أن طبيعة العرب تتأثر ببلاغة الكلمة وفصاحة البيان تاركين استبطان الحقيقة ، وسبر أغوار القضية بعقل واع ، وأفق واسع ، ونظر عميق بعيد المدى .

هذا فى الحقل العام ، وكذلك الشأن فى النطاق الخاص ، اذ قد يضم الحضور مجلس من المجالس ، فلا تكاد تسمع فيه الا الاطناب فى مديح شخص حاضر مواجهة ، حتى يتيه غرورا واستعلاء وترفعا ، فيصبح كالطاووس المتبختر ، وتمتلىء نفسه عجبا وصلفا وكبرا ، ثم ينطلق من المجلس وقد داخله الشيطان بوساوس عجيبة ، فيزين لنفسه الفساد ، ويروق له الانحراف وظلم العباد .

وهناك فى مجلس آخر عام أو خاص ترى أناسا لا هم لهم الا الحديث عن أنفسهم وتاريخهم وبيان أفضالهم ومكارمهم ، أو علمهم وأدبهم ، وتجديدهم أو فتحهم فتحا فكريا أو ثقافيا . . . الخ متجاهلين أنهم فيما يدعون مخادعون أو منخدعون فى غالب الأحيان .

فهل فى صنيع كل هؤلاء بمدح الحكام أو الاشخاص أو النفس وجه مقبول ؟ . وهل هؤلاء المادحون مصيبون أم خاطئون ؟ وهل هناك فى الاسلام ميزان دقيق لمعرفة ما يقبل من المديح وما يرفض ؟

وهل يمكننا أن نقارن ما نحن عليه الآن بسيرة قادة الاسلام الأوائل وأبطاله الغر الميامين ، أو بما عليه الناس فى المجتمعات المتقدمة فى الغرب أو فى الشرق ؟

الحق يقال : اننا فى كيل المديح جزافا لأى شخص كان خاطئون عابثون مشوهون لحقائق التاريخ المقبل ، ولسنا فى الاسراف على هذا النحو من الاطراء الا نمثل مظهراً من مظاهر التخلف الذى نعانى منه نحن العرب ، وما أحوجنا الى تقدير ووعى المسئولية العظمى عن أمانة الكلمة التى نطلقها بدون حساب !! فهل لعمرى يستحق أحد من الناس اليوم تقديرا وثناء ، وكرامتنا مفقودة ، وعزنا مسلوب فى دنيا العرب والاسلام ؟

أنمدح هذا أو ذاك ، لأنه فتح بيت المقدس ، وطهر المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة من رجس الصهاينة الأوغاد ، أو حطم الغزاة وطرد المحتلين من بقاع شاسعة فسيحة الجنبات ، وجنات وارفة الظلال ، وممرات خطيرة الاهمية تتدفق بالخيرات ؟!!

وما أزهدنا بحق عن ألقاب وأوصاف وهمية اسمية ، كما كان شأن الخلفاء العباسيين فى دور بدء الانحطاط وما يليه حيث استبد الترك بالخلافة حتى صيروها اسمية فى يد الخليفة وفعلية فى أيديهم ، ورضى الخلفاء بألقاب ضخمة لكنها فارغة فى الواقع مثل « ظل الله » والقاهر والمقتدر ونحو ذلك :

ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

حتى ان الخليفة صار كأنه سجين القصر مما جعل شاعرا يقول فى بعض الخلفاء العباسيين :

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

فمقتضى المدح الحق أن يكون فى انجاز أعمال كبرى ، وآثار بارزة ، وأفعال تعتبر حدثا تاريخيا هاما ، وتضحيات عظيمة ، وفتوحات مبينة يكون لها وقع الصواعق على النفوس ، وعندئذ نترك تقييم الاعمال والمنتجات والانجازات للتاريخ وحده الذى هو شاهد عدل وصدق على البلاد والاشخاص والأمم .

أما تعظيم الأمور الصغيرة أو جعل القيام بالواجب هو الفضيلة والنصر ، فذلك من أهم عوامل التردى والتخلف والهزيمة اذ لم يعد يخفى على أحد تلك المظاهر الخادعة والأقوال المزخرفة والدعايات التى بشم الناس منها ، أو اتخموا بها ، حتى صاروا يتندرون من منجزات بسيطة ، ويسخرون من هول المديح « الفارغ » والثناء « الأجوف » الذى لا رصيد له فى الواقع ، فما أغنانا الآن عن الدعايات الجوفاء أو ما يسمى بحرب الكلام أو حرب الاعصاب لأن الناس سئموا الكلام وملوا من الدعاية ولم يعد يجدى الا العمل البارز ، واذا قارنا ما نحن عليه بما عند الأمم الراقية المتقدمة علميا وصناعيا وتقنيا لم نجد مثل ذلك المديح الكبير لأعظم رئيس فى العالم ، أو أكبر دولة بين الدول ، أو أجل عالم بين العلماء فى حقل الذرة وغيرها ، بل على العكس من ذلك نجد ضنا شديدا بمنح الألقاب أو اسباغ الصفات ، وهذا هو المستوى المنطقى الصحيح ، لأن أثر السياسى الكبير أو المصلح العظيم أو القائد الفذ ، أو المخترع أو العالم الشهير انما يكمن فى انجازه أو عمله الذى يخلده له التاريخ على ممر العصور .

وكذلك كانت سيرة عظماء الاسلام ، فانهم كانوا أشد الناس زهدا فى الثناء والتعظيم والاطراء ، واذا تحقق حدث هام أو فتح جليل بواسطة أحدهم ، اعتبره فخرا وعزا لأمة الاسلام ، وارغاما لأعداء الله ، ونصرا للقيام بالواجب الأقدس الملقى على عاتق كل انسان ، وتوفيقا من الله العزيز باجراء الخير والفلاح على يديه ، فعمل المؤمن كله لله وفى سبيل الله باخلاص .

وكان المسلم الذى يمدحه غيره بمدحة عابرة أو كلمة مشجعة يطلب من الله مزيد الالهام بالخير وفعل الحسنات ومضاعفة الجهد بتقديم الصالح من الأعمال لنفسه وأمته ، متأسيا بما علمه رسول الهدى صلوات الله عليه ، قائلا على الفور : « اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون » وبذلك لا يغتر بنفسه ، ولا يجعل

للشيطان سبيلا عليه ، ولا يقف على درب الكفاح ومسيرة النجاة والصلاح .

ورحم الله الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذى أوصد الباب أمام المداحين من الشعراء ، فلم يجز أعشى بنى تغلب « النعمان بن يحيى » حين جاءه مادحا ، وقال له : « ما أرى للشعراء فى بيت المال حقا » . وكذلك عدالة كل مسلم وتقواه وايمانه بأن الضار والنافع والممسك والرازق هو الله تعالى تأبى عليه كلها التزلف للناس قادة وأفرادا ، حكاما ومحكومين بالمدح والاطراء : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فان الأمور تجرى بالمقادير » وفى ذلك تحقيق للعدالة ، وحث على الاستزادة من الخيرات وفعل المعروف ، وبعد عن الاغترار بالنفس الأمارة بالسوء ، وطلب لمعالى الأمور ، واستشراف لتحقيق غرر الفعال ، والوصول لرفعة الأمجاد ، والتحلى بأكرم الشيم والخصال .

والمسلم بحق لا ينتظر تقديرا أو يستمنح رضا الا من الله وحده ، فهو الذى يخلد له فى صحائف أعماله ما قام به من خير مقصود لذاته ، لا للرياء ولا من أجل السمعة واذاعة الصيت والشهرة الضائعة وحينئذ يزهد الانسان بمديح الناس وثنائهم ، لأن الناس فى الحقيقة لا فائدة ترتجى منهم، بل ولا ثبات لديهم ، فهم كالدهر متقلبون زائلون يذمون اليوم ما كانوا يمدحونه بالأمس ، بل قد يمدحون الرجل ويذمونه فى برهة واحدة .

لذلك كان الواجب على الانسان أن يكون الهادى له ميزان دينه ، ورائده ارضاء ضميره الحر المستقل الذى يدعوه فى كل آونة — ان استجاب اليه — لفعل الخير ، والالقاء به فى البحر فان لم يعرفه الناس يعرفه الله كما يقول الحكماء فى الأمثال .

وأخيرا بقى أن نعرف ما هو موقف الاسلام فى نصوصه من حكم المديح مواجهة أمام الشخص ، أو حكم مدح الانسان نفسه .

الاسلام دين الفطرة والملة الحنيفية السمحة ، وميزان الاعتدال والقصد والتوسط بين الافراط والتفريط ، فالانسان بطبعه ميال الى المدح ، يهتز نشوة وطربا للثناء ، ويتجاوب الاسلام مع هذه النزعة فيبيح المدح بحق للتشجيع ، وضرب الأمثال ، والحث على الاقتداء اذا كان الممدوح قوى الايمان متزن العقل بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ، فان خيفت الفتنة كره كراهة شديدة وكان الى الحرام أقرب، وان كان المدح بغير حق كما فى حالة أدعياء الأفعال الحسنة ، كان مذموما وحراما موجبا للعذاب فى الدار الآخرة .

كما يباح للانسان مدح نفسه عند الحاجة الى ذلك بقصد التعريف للتوصل الى مقصد شريف مشروع كعقد زواج أو تولى منصب سياسى أو دينى اذا كان أهلا لذاك .

وهكذا فالاسلام يقرر أولا استحقاق العقاب لمن يدعى اتصافه بأوصاف جميلة وهو منها براء ، وفى القرآن الكريم تحذير شديد للمسلمين بأن يفعلوا مثل هذا الفعل الذى كان يقوم به أهل الكتاب :

« لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » فهؤلاء أهل الكتاب حكموا بغير الحق وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وفرحوا بذلك فرح اعجاب وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصيام وغير ذلك من الاوصاف الحسنة ، وودوا أن يمدحهم الناس بما هم عراة عنه من الفضائل .

روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شىء مما فى التوراة ، فكتموه اياه ، وأخبروه بغيره ، وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا اليه ، وفرحوا بما فعلوا ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، وسلاه بما أنزل من وعيدهم » أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ، ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب .

هذا سبب نزول هذه الآية ، وقد علق الألوسى على كلام ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن فقال : « ولا يلزم من كلام الحبر على هذا عدم حرمة الفرح ، فرح اعجاب وحب الحمد بما لم يفعل بالمرة ، بل قصارى ما يلزم منه عدم كون ذلك مفاد الآية — كما قيل — وهو لا يستلزم عدم كونه مفاد شىء أصلا ليكون ذلك قولا بعدم الحرمة ، كيف وكثير من النصوص ناطق بحرمة ذلك حتى عده البعض من الكبائر » وقال ابن كثير « ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء — أى أن الآية فى المنافقين — لأنها عامة فى جميع ما ذكر » .

وثانيا — يحرم الاسلام المدح مطلقا سواء فى حضور الانسان أم فى غيبته اذا كان فيه مبالغة وغلو بحيث يجازف المادح ويدخل فى الكذب وهذا التحريم بسبب الكذب ، لا لكونه مدحا . .

ومن أمثلة المبالغة فى المديح وصف شاعر للرشيد بقوله :

واخفت أهل الشرك حتى انه ... لتخافك النطف التى لم تخلق

ومما لا يقبل من المديح الا بتأويل وتكلف ظاهر بيت فى بردة البوصيرى مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :

فان من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فهذا البيت يوهم اللبس والشك الذى لم يكن البوصيرى رحمه الله قاصدا اليه ، لذلك فعلا لسنا مع أولئك الذين شنعوا عليه واتهموه بالشرك لأن قصده تمجيد الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدير ما أثر عنه فى حدود الشرع مريدا بذلك أن من خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس ، ومن خير الآخرة ضرة الدنيا : شفاعته صلى الله عليه وسلم فى الناس ، ومن علومه عليه السلام المعلومات التى أطلعه الله عليها وهى علوم الأولين والآخرين ، كما يقول الشراح .

قال النووى رحمه الله مبينا حكم المدح فى الغيبة : يستحب المدح

الذى لا كذب فيه اذا ترتب عليه مصلحة ولم يجر الى مفسدة بأن يبلغ المدوح فيفتتن أو غير ذلك .

ثالثا — يحرم المدح فى وجه الانسان اذا كان مدعاة للبطر والأشر والغرور والفتنة والظلم ومنع الحقوق ونحو ذلك بدليل الاحاديث الصحيحة التى تمنع هذا ، منها ما رواه الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه قال « سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يثنى على رجل ويطريه فى المدح ، فقال : أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل » والاطراء المبالغة فى المدح . وروى الشيخان أيضا عن أبى بكر رضى الله عنه « أن رجلا ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فأثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم — ويحك قطعت عنق صاحبك ، يقوله مرارا ، ان كان أحدكم مادحا لا محالة ، فليقل أحسب كذا وكذا ان كان يرى أنه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا يزكى على الله أحدا » . وروى مسلم عن همام بن الحارث عن المقداد رضى الله عنه أن رجلا جعل يمدح عثمان رضى الله عنه ، فعمد المقداد ، فجثا على ركبتيه ، فجعل يحثو فى وجهه الحصباء ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب » .

رابعا — يجوز المدح أثناء حضور الشخص من أجل التقدير والتشجيع وحث الآخرين على تقليد فاعلى الخير لا سيما فى مجال التعليم كما يقول علماء التربية ، ذلك بكلمات مقتضبة واشارات عابرة اذا كان المدوح كامل الايمان ، حسن اليقين ، واسع المعرفة والأفق بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ولا تلعب به نفسه ، فان خيف عليه شىء من هذه الأمور كره مدحه كراهة شديدة كما يقول الامام النووى رحمه الله .

والحقيقة أن أوقع الكلام والثناء عند السامع ما اتصف بالاقتصاد والاعتدال والايجاز والتلميح .

وقد وردت أحاديث نبوية تدل على اباحة المديح فى مثل هذه الحالات منها قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لأبى بكر رضى الله عنه « أرجو أن تكون منهم أى من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها » وقوله عليه السلام له أيضا « ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه « ما رآك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك » وفى حديث آخر قال : « افتح لعثمان وبشره بالجنة » وقال لعلى كرم الله وجهه « أنت منى وأنا منك » وقال لبلال « سمعت دف نعليك فى الجنة » وقال لأشج عبد القيس « ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله : الحلم ، والأناة » وقال للأنصار : « أنتم من أحب الناس الى » ومن المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم اجاز مديح كعب بن زهير له فى قصيدته اللامية المشهورة وخلع عليه بردته الشريفة .

خامسا ــ يحرم على الانسان تزكيته نفسه اذا كان بقصد الاعجاب أو الافتخار ، واظهار الارتفاع والتميز على الأقران ، أو الرياء ونحو ذلك لقوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » ، وليس القصد التكليف بعدم الحزن وعدم الفرح ، وانما المراد المنع من السخط حالة الحزن ومن التفاخر حالة السرور : ولقوله سبحانه « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » (١) فان لم يكن كذلك فلا بأس به ، ولا يعد فاعله من المزكين أنفسهم ، كأن يكون فى التزكية مصلحة دينية بأن يكون المزكى نفسه آمرا بالمعروف أو ناهيا عن منكر ، أو ناصحا أو مشيرا بمصلحة أو معلما أو مؤدبا أو واعظا ومذكرا ، أو مصلحا بين اثنين ، أو يدفع عن نفسه شرا أو نحو ذلك ، فيذكر محاسنه ناويا بذلك أن يكون هذا أقرب الى قبول قوله واعتماد ما يذكره ، كما قرر الامام النووى رحمه الله .

وقال شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام « ولا يمدح المرء نفسه الا اذا دعت الحاجة الى ذلك ، مثل أن يكون خاطبا الى قوم فيرغبهم فى نكاحه أو ليعرف أهليته للولايات الشرعية والمناصب الدينية ليقوم بما فرض الله عليه عينا أو كفاية ، كقول يوسف عليه السلام « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » وقد يمدح المرء نفسه ليقتدى به فيما مدح به نفسه ... وهذا مختص بالاقوياء الذين يأمنون التسميع ويقتدى بأمثالهم » .

هذه هى مبادىء الاسلام فى زاوية حساسة من زوايا المجتمع ، فهل نحن سائرون عليها ، أو أننا نسينا كل شىء عن الاسلام ما عدا الصلاة والصيام والحج ؟

وأخيرا وليس آخرا أقول لعلماء الاسلام بالذات على منابرهم ومكاتبهم ليتق الله كل خطيب فيما يخطب الناس فى المناسبات العامة ، فانه مسئول عن كل كلمة قالها ، وهو موئل الثقة من الناس وقدوتهم ، فاذا مدح قائدا أو رئيسا فليعتدل فى مدحته ، وليحمل المسئول تبعة مسئوليته العظمى وأمانته الكبرى ، ولا يكونن جسرا يعبر عليه لتضليل الناس وتمويه الحقائق ، وليترك كل انسان أعماله لتقدير التاريخ ، وليدع انجازاته العامة أو مقالاته أو مؤلفاته مثلا لتقدير المواطن أو القارىء ولحكمه الصادر من اقتناعه الذاتى ، ولا يغترن أحد بالالقاب والمناصب فليست هى أحيانا عن جدارة ، كما لا ينخدعن أحد بتقديم الكتب وتدبيج المديح فيها للمؤلف من أحد الاعلام ، مثلا ، فتلك مجاملة محضة فى الغالب ، ولنفعل الفعل القوى الصارم ونترك الجزاء لله وحده فهو خير الشاهدين وأعدل الحاكمين .

---

(١) وقيل فى تفسير الآية أيضا : لا يزكى بعضكم بعضا ، والمراد كما قال الالوسى : النهى عن تزكية السمعة ، أو المدح للدنيا ، أو التزكية على سبيل القطع ، وأما التزكية لاثبات الحقوق ونحوه فهى جائزة ، وبهذا الفهم للآية يضاف دليل جديد على حرمة مديح الغير على النحو الذى فصلنا البيان فيه .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

للدكتور : محمد تقي الدين الهلالي

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبى فى كتابه « تذكرة الحفاظ » ما نصه :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، افضل الأمة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤنسه فى الغار وصديقه الأكبر وصديقه الأشفق ووزيره الأحزم ، عبد الله ابن ابى قحافة عثمان القرشى التيمى قد أفردت سيرته فى مجلد وسط ، وكان أول من احتاط فى قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذويب أن الجدة جاءت الى ابى بكر تلتمس أن تورث ، فقال ما اجد لك فى كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ثم سأل الناس فقام المغيرة . فقال : حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيها السدس فقال له هل معك احد فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضى الله عنه . ومن مراسيل ابن ابى مليكة أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال انكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم اشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه .

فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التثبت فى الأخبار والتحرى ، لا سد باب الرواية ، الا تراه لما نزل به امر الجدة ولم يجده فى الكتاب كيف سأل عنه فى السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج .

وحدث يونس عن الزهرى أن ابا بكر حدث رجلا حديثا فاستفهمه الرجل اياه فقال ابو بكر هو كما حدثتك ، اى ارض تقلنى اذا انا قلت ما لم أعلم ؟ وصح أن الصديق خطبهم فقال اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور ، والفجور يهدى الى النار .

وقال على بن عاصم وهو من اوعية العلم لكنه سيء الحفظ أن اسماعيل ابن ابى خالد عن قيس ابن أبى حازم قال سمعت أبا بكر الصديق يقـــول اياكم والكذب فان الكذب مجانب الايمان قلت صدق الصديق ، فان الكذب رأس النفاق وآية المنافق والمؤمن يطبع على المعاصى والذنوب الشهوانية لا على الخيانـــة والكذب ، فما الظن بالكـــذب على الصادق الأمين صلوات الله عليه وسلامه ، وهو القائل ان كذبا على ليس ككذب على غيرى ، من يكذب على نبى له بيت فى النار وقال من يقل على ما لم أقل ، الحديث . فهذا وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله فكيف حال من تهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعمد عليه الكذب وقوله ما لم يقل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم من روى عنى حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ، فانا لله وانا اليه راجعون ما ذى الا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروى الاباطيل والاحاديث الساقطـــة المتهم نقلتهـــا بالكـــذب فحق على المحدث أن يتورع فى ما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على ايضاح مروياته ولا سبيل الى أن يصير العارف الذى يزكى نقلـــة الاخبار ويجرحهم جهبذا الا بادمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتقيظ والفهم مع التقوى والدين المتين ، والانصاف والتردد الى مجالس العلماء والتحرى والاتقـــان والا تفعل .

فدع عنك الكتابة لست منهـــا ولو سودت وجهك بالمـــداد

قال الله تعالى عز وجل (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فان آنست يا هـــذا من نفسك فهما وصدقا ودينا وورعا والا فلا تتعن ، وان غلب عليـــك الهـــوى والعصبية لرأى ولمذهب فبالله لا تتعب ، وان عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحـــدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فقد نصحتك فعلم الحديث صلف ، فأين عـــلم الحـــديث ؟ وأين أهله ؟ كدت ألا أراهم الا فى كتاب أو تحت تراب .

نعم فرأس الصادقين فى الأمة الصديق واليه المنتهى فى التحرى فى القول وفى القبول .

توفى الصديق رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة (٦٣) .

توضيحات وشروح لما تقـــدم

١ ــ قوله مؤنس فى الغار هذه فضيلة من فضائل الصديق خصه الله بها وذكرها فى كتابه العزيز قال تعالى فى سورة التوبة « آية ٤٠ » (الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها)) .

قال الامام ابن كثير فى تفسيره يقـــول تعالى (الا تنصروه) أى تنصروا رسوله فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره (اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) أى عام الهجرة لمَّا هَمَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبى بكر بن أبى قحافة فلجآ الى غار ثور ثلاثة

أيام حتى يرجع الطلب الذين خرجوا فى آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص الى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبى صلى اللـــه عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) اهـ .

فهذه المزية مع شهادة الله له بالصحبة من المناقب التى خصه الله بها ! . .

٢ ـــ قوله وكان أول من احتاط فى قبول الاخبار من المعلوم أن أعـــداء الاسلام الأولين والآخرين حاربوا الاسلام وكادوا له ، فبعضهم حاربه ، بوضع الأحاديث ، وبعضهم حاربه بردها وعدم قبولها ، وكلا الطرفين مذمـــوم ، وخير الامور الوسط ، فأهل الحق يتثبتون فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومتى صح لهم حديث عضوا عليه بالنواجذ وتلقوه بالقبول ، واعتقدوه وعملوا بـــه وامامهم فى ذلك الصديق الاكبر ، فلما جاءته الجدة تلتمس نصيبها من الميراث أخبرها أن كتاب الله لم ينص على شىء من الحق لها فى الميراث ، ولم ينف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه جعل لها حقا ، ولكن نفى علمه بذلـــك وهذا شأن الأئمة المحققين المتثبتين ثم سأل اصحاب رسول الله هل عندهم علم بأن النبى صلى الله عليه وسلم جعل لها شيئا فلما ثبت عنده الحديث برواية عدلين أعطاها حقها وهو السدس .

٣ ـــ قوله : ما ذى الا بلية الخ . . اذا استمعنا الى الخطباء فى المساجد والوعاظ وما يذكرونه من الاحاديث وينسبونها الى النبى صلى الله عليه وسلم بـــدون عزو الى مخرج ولا معرفة لصحيح أو ضعيف أو موضوع رأينـــا العجب العجاب ، هذا مع أن كتب الحديث الصحيحة التى خدمها الأئمة بالشرح وبينوا صحيحها ومعانيها ميسورة ، فلم يرد الخطباء والوعاظ بل والمدرسون فى المعاهد الدينية أن يكلفوا أنفسهم دراسة تلك الكتب وأخذها من أهلها العارفين بها ونقل الاحاديث منها على نـــور وبصيرة ، بل أقبلوا على دواوين الخطب التى تجمع كل غث وسقيم من فضائل الايام والشهور ، فتجد عندهم لكل شهر خطبة خاصة يجمعون فيها أحاديث واهية أو موضوعة فى فضل ذلك الشهر أو يوم مخصوص منه ، ولا يهمهم من شؤون الناس الذين يستمعون خطبهم الا ذلك ، وقد يذكرون خرافات وأباطيل يقطع كل من يسمعها ببطلانها ، وقد اشتكى الامام الذهبى من أهل زمانه فلو عاش الى هـــذا الزمان لـــرأى ما لم يخطر له ببال فالى اللـــه المشتكى .

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منـــكر

وبقيت فى خلف يزكى بعضهم بعضا ليسكت معور عن معور

٤ ـــ قوله : وان غلب عليك الهوى والعصبية لرأى ولمذهب فبالله لا تتعب الخ . . .

ما أصدق هـــذا الكلام وأحسنه فان طالب علم الحديث لا ينتفع بـــه ويكون من أهله الا اذا عقد العزم على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما صح عنه لا يمنعه من ذلك رأى كان من قبل يراه أو كان يراه أستاذه ولا مذهب ينتسب اليه بل ينشد دائما قول القائل

دعوا كل قول غير قول محمد   فما آمن فى دينه كمخاطر

بل يجعل نصب عينيه قول الله تعالى ((**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى .. يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**)) ٣١ سورة آل عمران .

٥ ــ قوله : اين علم الحديث واين اهله ؟ كدت الا أراهم الخ .. هكذا يقول الامام الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وكان عصره مشرقا عامرا بحفاظ الحديث ونقاده فقد ألف الحافظ ابن حجر العسقلانى (كتاب الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) وذكر فيه جما غفيرا من الحفاظ المحدثين وهو أحد أئمتهم فكيف بزماننا هذا وماذا نقول فيه اكثر من (لا حول ولا قوة الا بالله) .

فوائد من سيرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

الاولى ــ ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر ، وفى الاصابة للحافظ ابن حجر أن عائشة رضى الله عنها قالت : تذاكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ميلادهما عندى فكان النبى صلى الله عليه وسلم أكبر ، اهـ .

ومن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل أى فى العام الذى غزا فيه الحبش مكة بالفيلة فردهم الله على أعقابهم خاسرين (أنظر تفسير سورة الفيل) .

الثانية ــ صحب النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكان أول من آمن به من الرجال على الصحيح واستمر معه طول اقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى الغار وفى المشاهد كلها الى وفاته عليه الصلاة والسلام ، وكانت الراية معه يوم تبوك وحج فى الناس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، واستقر خليفة بعده ، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله فمن يتنقصه يريد أن يستر الشمس بالغربال فهو

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وفى مثله ينشد أيضا

يا ناطح الجبل الراسى بهامته   أشفق على الراس لا تشفق على الجبل

وما أحسن قول المتنبى

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها   ويجهد أن يأتى لها بضريب

الثالثة ــ روى أبو بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه الجم الغفير من الصحابة والتابعين منهم عمر وعثمان وعلى ، وهم الخلفاء بعده وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عمر وحذيفة وزيد بن ثابت وخلق لا يتسع المقام لذكرهم .

الرابعة ــ روى سعيد بن منصور بسنده الى عائشة قالت اسم أبى بكر الذى سماه بــه أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق .

الخامسة ــ كان أبو بكر رضى الله عنه أبيض نحيفــا خفيف العارضين معروق الوجــه ناتىء الجبهــة يخضب بالحناء والكتم ، ــ والخضاب بالحناء والكتم قريب من السواد وهو الى السواد أقرب منه الى الحمرة التى تنشأ عن الخضاب بالحناء ــ وقد صح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بالحناء والكتم هو الذى يسمى (بالوسمة) وقد قلت فى ذلك شعرا .

انى لأخضب بالحنـــاء والكتم — أقفوا بذلك خير العرب والعجم

محمدا وأناسا مـــن صحـــابته — كانوا مصابيح تجلو داجى الظلم

السادسة ــ قال الحافظ فى الاصابة وأخرج أبو يعلى بسنده الى عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بفناء البيت اذ جاء أبو بكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم **« من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر »** .

السابعة ــ قال الحافظ وقال ابن اسحق كان أبو بكر مؤلفا لقومه محببا سهلا ، وكان تاجرا ذا خلق ومعروف وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به . فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ا هـ .

قال الحافظ واخرج أبو داود فى الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة أخبرنى أبى قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم وأخبرتنى عائشة أنه مات وما ترك دينارا ولا درهما .

الثامنة ــ قال الحافظ وأخرج يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسنده الـــى هشام عن أبيه قال اسلم أبو بكر وله أربعون ألفا فأنفسها فى سبيل الله ، وأعتق سبعة كلهم يعذب فى الله أعتق بلالا وعامر بن فهيـــرة ونذيرة والنهدية وابنتها وجارية بنى المؤمل وأم عبيس .

التاسعة ــ قال الحافظ واخرج الدار قطنى فى الافـــراد من طريق أبى اسحاق عن أبى يحيى قال لا أحصى كم سمعت عليا يقول على المنبر ان الله عز وجل سمى ابا بكر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم صديقا ، انتهى مستفادا من الاصابة .

فوائد أخرى من الاستيعاب للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البر رحمه الله

الأولى ــ كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله هذا قول أهل النسب الزبيرى وغيره .

الثانية ــ قال فيه حسان بن ثابت يمدحه :

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة | فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها | بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده | وأول الناس من صدق الرسلا
وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد | طاف العدو به اذ صعدوا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا | خير البرية لم يعدل به رجلا

وقال فيه أبو محجن الثقفى :

وسميت صديقا وكل مهاجر | سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت الى الاسلام والله شاهد | وكنت جليسا بالعريش المشهر
وبالغار اذ سميت بالغار صاحبا | وكنت رفيقا للنبى المطهر

قوله ـ وكنت جليسا بالعريش المشهر ، يعنى أن أبا بكر كان يحرس النبى صلى الله عليه وسلم فى العريش الذى جعل له فى غزوة بدر ، فرافقه فى العريش كما رافقه فى الغار .

الثانية ـ سمى الصديق صديقا لمبادرته لتصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به .

الثالثة ـ قال أبو عمر قال صلى الله عليه وسلم « **ما نفعنى مال ، ما نفعنى مال أبى بكر** » معناه ما نفعنى مال مثل ما نفعنى مال أبى بكر لأن ما الأولى نافية والثانية مصدرية .

الرابعة ـ قال أبو عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **دعوا لى صاحبى أى أبا بكر ، فانكم قلتم لى كذبت وقال صدقت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلام البقرة والذئب آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر** » .

ومعنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه أن بقرة تكلمت وأن ذئبا تكلم ثم قال لهم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر ، فشهد لهما بتصديقه فى ما أخبر به من هذا الأمر الخارق للعادة ، وهذه منقبة لهما ، فويل لمن يعاديهما ويجحد فضلهما انه لمن الخاسرين .

الرابعة ـ قال أبو عمر قال عمرو بن العاص يا رسول الله من أحب الناس اليك ، قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها ، وروى مالك عن سالم بن أبى النضر عن عبيد بن حنين عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا**

خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الاسلام لا تبقين فى المسجد خوخـــة الا خوخة أبى بكر » .

الخامسة ــ قال أبو عمر روى سفيان بسنده الى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنهم قالوا لها ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان المشركون قعودا فى المسجد الحرام فتذاكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقول فى آلهتهم فبينما هم كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فقاموا اليه وكانوا اذا سألوه عن شىء صدقهم فقالوا ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى قال فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ الى أبى بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليـــه فقال (ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) قال فلهوا عن رسول الله صلى اله عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر يضربونه ، قالت فرجع الينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام .

السادسة ــ قال أبو عمر وروينا من وجوه عن أبى أمامة الباهلى قال حدثنا عمرو بن عبسة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ فقلت يا رسول الله من اتبعك على هذا الأمر قال (حر وعبد ، أبو بكر وبلال) قـــال فأسلمت عند ذلك اه .

السابعة ــ أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مبايعته بالخلافـــة ، لما ظهر لهم من امارات تدل دلالة قاطعـــة على أن النبى صلى الله عليه وسلم ارتضاه للخلافة بما تقدم من كونه أحب الناس اليه وتقديمه للصلاة بالناس ، وروى أبو عمر بسنده الى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال أتت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن شىء فأمرها أن ترجـــع اليه فقالت يا رسول الله أرأيت ان جئت فلم أجدك تعنى الموت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تجدينى فأتى أبا بكر ، قال الشافعى فى هـــذا الحديث دليل على أن الخليفـــة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر .

الثامنة ــ قال أبو عمر بسنده ذكره عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليل فدعاه بلال الى الصلاة فقال لنا مروا من يصلى بالناس قال فخرجت فاذا عمر فى الناس وكان أبو بكر غائبا فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان مجهـــرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون فبعث الى أبى بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس طول علته حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهـــذا أيضا واضح فى ذلك .

ومناقب أبى بكر رضى اللـــه عنه أكثر مـــن أن يتسع لها هـــذا المقال ، والمقصود هنا أنه رضى الله عنه هو أول أهل الحديث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نسأل الله أن يجعلنا منهم وينفعنا بمحبتهم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مائدة القارئ

تفسير آية

روى أن عمر بن الخطاب سأل الناس عن معنى قوله تعالى : ((أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجــرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها أعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون)) .

فما وجد أحدا يشفيه ، ففسرها له ابن عباس ، وقال فى بيان معناها : هذا مثل ضربه الله عز وجل ، فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى اذا كان أحوج ما يكون الى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء ، فأفسده كله ، فحرقه أحوج ما كان اليه .

أى الأجلين :

عن سعيد بن جبير قال : قال يهودى بالكوفة . وأنا أتجهــز للحج ــ انى أراك رجــلا تتبع أهل العلم ، فأخبــرنى : أى الأجلين قضى موسى ؟

قلت : لا أعــلم ، وأنا الآن قادم على حبر العرب ــ يعنى ابن عباس ــ فسائله عن ذلك، فلما قدمت مكــة سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ان النبى اذا وعد لم يخلف .

قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى ، فأخبرتــه ، فقال : صدق وما أنزل عــلى موسى .. هذا والله العالم .

الاسلام عــز

خرج عمر الى الشام ، ومعه أبو عبيدة ، فأتوا مخاضــة ، وعمر على ناقة له ، فنزل وخلع خفيه ، فوضعهما على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته ، فخاض فى الماء ، فقال أبو عبيدة : يا أميــر المؤمنين أأنت تفعل هذا ؟ ما يسرنى أن أهــل البلــد استشرفوك .

فقال عمر : أوه . لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لجعلته نكالا لأمة محمد .. إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام ، فمهمــا نطلب العز بغير ما أعزنا الله أذلنا الله .

فتنة السراء

قال معاذ بن جبل : أنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وانى أخاف عليكم فتنة السراء ، وهى النساء اذا تحلين بالذهب ، ولبسن ريط الشام ، وعصب اليمن ، فأتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يطاق .

الايمان أولا :

قال جندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه :

كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة (إبان شبابنا وقوتنا) فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا .

مفاخرة فى الخير

تفاخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس :

لنا غسيل الملائكة حنظل الراهب ، ومناعاصم الأفلح الذى حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ومنا الذى اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ .

فقالت الخزرج :

منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

مدارس دمشق

قال النعيمى فى كتابه (الدارس فى تاريخ المدارس) وهو من علماء القرن العاشر الهجرى .

كان فى دمشق للقرآن سبع مدارس ، وللحديث ست عشرة مدرسة ، وللقرآن والحديث معا ثلاث مدارس ، وللفقه الشافعى ٦٣ مدرسة ، وللفقه الحنفى ٥٢ مدرسة، وللفقه المالكى ٤ مدارس ، وللفقه الحنبلى ١١ مدرسة .

العصفور والفخ

رأى عصفور فخا فى التراب فقال له : من أنت ؟

قال الفخ : أنا عبد من عباد الله .

قال العصفور فلم جلست على التراب ؟.

قال الفخ : تواضعا لله .

قال العصفور : فلم انحنى ظهرك ؟

قال : خشية لله .

قال : فلم شددت وسطك ؟

قال الفخ : للخدمة .

قال : ما هذه القصبة .

قال : هذه عصاتى أتوكأ عليها .

قال العصفور : فما هذه الحبة؟

قال : أتصدق بها .

قال : أيجوز أن التقطها ؟

قال الفخ : أن احتجت فأفعل .

فدنا العصفور من الحبة فانطبق عليه الفخ ، فقال : اللهم انى أعوذ بك من شخص هذا قوله وذلك عمله .

أصالة الفكر السياسي في الإسلام

محمد يوسف

للدكتور محمد علي حيدر

١ ــ مقدمات الفكر السياسى

عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، اجتمع المسلمون أنصارا ومهاجرين ، فى سقيفة بنى ساعدة اجتماعا تاريخيا ، يعتبر أهم اجتماع سياسى ، فى تاريخ الدولة الاسلامية ، لما ترتب عليه من نتائج سياسية ، أبرزها انشاء منصب الخلافة ، وقد دارت المناقشات فى هذا الاجتماع الكبير بحرية وصراحة ، مما يذكرنا بالمؤتمرات السياسية الحديثة ، وما أشبهه بجمعية وطنية اسلامية ، أو مؤتمر سياسى يبحث فى مصير الدولة الاسلامية لقرون تالية .

وقبل أن نتناول هذا المؤتمر بالبحث والدراسة ، لنتعرف على ما دار فيه من أفكار سياسية ، وما أسفر عنه من نتائج على جانب كبير من الاهمية فى حياة الأمة الاسلامية نلم المامة يسيرة بالعوامل التى أثرت فى فكر الجماعة الاسلامية ، وجعلتها تتجه صوب السقيفة لتلتقى هذا اللقاء الكبير .

لعل أبرز العوامل التى أثرت فى الفكر السياسى فى الاسلام بصورة عامة ، وفى اجتماع السقيفة بصفة خاصة يمكن مردها الى هذه العوامل الثلاثة :

أ ـ النظام الذى أوجده الرسول عليه السلام :

لم يعد هناك شك فى أن النظام الذى أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنون معه بالمدينة ، يمكن أن يوصف بأنه « سياسى » بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى ، وهذا لا يمنع انه يوصف فى نفس الوقت بأنه « دينى » .

فقد بدأ تكوين الدولة الاسلامية بهجرة النبى عليه السلام وأصحابه من مكة الى المدينة ، بعد أن أيقن المسلمون بأن مكة ليست هى البيئة الصالحة لنشر الدعوة الاسلامية ، ونموها بعد أن حاول المشركون أن يطفئوا نور الله بأفواههم بمحاولاتهم المتكررة للقضاء على دين الله ، وتعذيبهم المسلمين ، ولكن « يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون » .

وفى المدينة ، أخذ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ينظم الجماعة الاسلامية ، فآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأخذ يحدد العلاقة بينه وبين الطوائف الدينية الاخرى ومن ثم أخذت مقومات الدولة الاسلامية تتحقق فى المدينة ، فقد أصبح لها الوطن الآمن فى المدينة وما حولها ، وصار الشعب الاسلامى يتكون من المهاجرين والانصار وأخذ الرسول القائد يحكم بين الناس بالعدل ويسوسهم بكتاب الله ، ولم يعد المسلمون يقفون موقف الضعيف ، بعد أن تحقق لهم الجيش القوى الذى أخذ يدافع عن حقوقهم السليبة ويذود عن كيان الدولة الاسلامية الناشئة .

ولم تكن الدعوة الاسلامية مقصورة على التغيير الكامل فى الوضع السياسى ، بل شملت أيضا الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وظل الرسول وفيا للمبدأ الذى نادى به وهو المساواة والاخوة بين جميع المسلمين .

والحق أن التاريخ لم يعهد مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الاخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير ، كما فعل محمد عليه الصلاة والسلام ، اذ لم تتجاوز دعوته ثلاثة وعشرين عاما مجيدا فى حياة الامة الاسلامية ، حتى أقام خلالها نظاما سياسيا ، وأوجد دينا ودولة معا ، وفى هذا المعنى الذى نقصد اليه نذكر بعض آراء المستشرقين :

يقول الاستاذ « نلينو » Nallion « لقد أسس محمد فى وقت واحد : دينا ودولة وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته . »

ويقول الدكتور شاخت : Schacht على أن الاسلام يعنى أكثر من دين : انه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول انه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا » .

ويقول الاستاذ « ماكدونالد » Macdonald هنا ـ أى فى المدينة ـ تكونت الدولة الاسلامية الاولى ، ووضعت المبادىء الاساسية للقانون الاسلامى » .

وهذه الدولة الاسلامية المثالية التى تحققت على يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، سوف تكون المحور والأساس الأول الذى تدور من حوله الافكار السياسية ، التى سوف تنطلق بعد وفاة الرسول مباشرة فى اجتماع السقيفة ، وبعد هذا الاجتماع . . . لأن هذا النظام حرك مشاعر المسلمين ، اذ لا بد له من قائم يقوم به ، ويحافظ عليه ، وان لا يترك هكذا

دون راع يرعاه ، والا عصفت به العواصف ، وضاع فى مهب الرياح .
وقد وفق المسلمون ، حين أدركوا بفطرتهم السليمة ، أن هذا البناء الشامخ فى حاجة ماسة الى من يرعاه ، ويحافظ عليه ، ومن هذا المنطلق الفكرى بوجوب حاكم يخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى أمته ودولته ، هرع المسلمون الأولون الى سقيفة بنى ساعدة ليختاروا من بينهم أحد المسلمين ليخلف النبى عليه السلام ليحافظ على دين الله ويرعى مصالح الدولة الاسلامية الناشئة .
وهكذا كانت الدولة الاسلامية التى أقامها الرسول عليه السلام على أساس من الدين ، هى المحرك الأول ، والدافع المثير ، فى ايقاظ الفكر السياسى ، الذى تمثل فى اجتماع السقيفة ولكن لا بد من عامل ثان لهذه اليقظة الفكرية ، والذى يمكن أن نطلق عليه بأنه الحرية المطلقة فى التفكير وفى التعبير ، والتى كانت مبدأ هاما من مبادىء الاسلام .

ب ــ حرية التفكير :

وقد ضمن الاسلام وجود هذا العامل باقراره لهذا المبدأ الذى سبق أن أشرنا اليه : وهو مبدأ حرية التفكير للفرد ، فالاجتهاد حق لكل مسلم ، ومبدأ هام من مبادىء التشريع الاسلامى ، واذا كانت أوربا لم تهتد الى هذا المبدأ الخطير الا فى القرن السابع عشر الميلادى ، فان هذا يظهر بجلاء سمو التفكير الاسلامى ، وأصالته ، وسبقه للفكر الاوروبى فى هذا المجال بحوالى عشرة قرون .
فقد ظلت الكنيسة فى أوروبا تحتكر لنفسها ــ من دون الناس ــ فهم النصوص الدينية ولم يكن يحق لفرد من أفراد الشعب أن يكون لنفسه رأيا ، أو يبدى فهما خاصا للنصوص الدينية ، وظلت أوروبا غارقة فى بحار الجهل قرونا طويلة ، حبيسة هذا الاحتكار الفكرى لجماعة قليلة متعصبة ، تمركزت فى رجال الدين ، الى أن كانت ثورة رجال الفكر ، على جمود رجال الدين ، بقيادة « لوثر » وأتباعه ، وكانت النتيجة لهذه الثورة التحررية ، أن تحقق مبدأ الحرية الفكرية فى أوروبا ، وأصبح من حق الانسان ، ان يكون لنفسه رأيا فى أوروبا ، ولكن بعد أن كان هذا المبدأ ، قد ساد أنحاء الدولة الاسلامية بحوالى ألف عام .
وهذه الحرية الفكرية النابعة من تقاليد الاسلام وتعاليمه ، هى التى حركت عقول المسلمين ، الى أن يكونوا لهم آراء سياسية ، وكان اجتماع السقيفة أهم مظهر من مظاهر هذه الاتجاهات السياسية فى فجر الدولة الاسلامية .

جـ ــ تفويض الأمر للأمة :

واذا كان هذان العاملان : الدولة والحرية ، قد أديا دورهما كمقدمات ضرورية للأفكار السياسية التى ظهرت فى اجتماع السقيفة ، الا أنهما كانا فى حاجة ماسة الى تجربة يمتحن فيها المسلمون ، وقد تهيأت لهم التجربة بموت الرسول عليه السلام ، دون أن يحدد لجماعة المسلمين الأسلوب

الذى يسلكونه ، ولا النظام الذى يتبعونه فى اختيار الحاكم من بعده .

وقد ذهب المستشرقون مذاهب شتى فى محاولتهم معرفة السبب الذى من أجله ترك الرسول هذا الأمر دون أن يحدد الشخص الذى يخلفه فزعم بعضهم أن المرض هو الذى شغله عن هذا الأمر ، وهذا زعم ظاهر البطلان ، ولا أساس له من الواقع ، فلم يكن المرض خطيرا الى هذه الدرجة التى تمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الكلام ، فقد أمر رسول الله عليه السلام أبا بكر أن يصلى بالناس ، وكان فى وسعه أن يردف قائلا ، وأنت يا أبا بكر خليفة المسلمين من بعدى .

فلم يكن اذن المرض على هذه الدرجة من الخطورة ، وعلى فرض صحة هذا الزعم ، فلماذا لم يعين الرسول من يخلفه أثناء صحته وقبل مرضه أثناء حياته الطويلة .؟؟

ولم يقف ادعاء المستشرقين عند هذا الحد ، بل ذهب آخرون بأن الرسول ترك هذا الأمر ، جريا وراء التقاليد العربية ، فى اختيار شيخ القبيلة . ولكن كيف يكون الأمر كذلك ، وقد جاء الاسلام لهدم التقاليد العربية ، والقضاء على العادات القبلية ، باحلال النظام الاسلامى محل تلك العادات البالية ، ثم لم يكن هناك تقليد واحد متبع حتى يتبعه المسلمون بل كانت هناك تقاليد عدة فأى التقاليد اذن ترك المسلمون ليسلكوه ؟ لقد كان لكل قبيلة نظامها الخاص فى اختيار شيخ القبيلة ، ومن هنا كان يمكن أن يكون هذا الأمر مثار نزاع طويل بين القبائل العربية المختلفة ، وسببا للفرقة والخصام . وهذا ما لا يرضاه الرسول لأصحابه .

ويبقى بعد ذلك السبب المقبول والمعقول هو أن الرسول عليه الصلاة والسلام ترك تحديد الشخص الذى يخلفه فى أمته ، لايمانه الذى لا يتزعزع فى حق الامة الاسلامية فى تقرير مصيرها بنفسها ، فهو لم يرد للأمة أن تكون حبيسة تقاليد معينة قد لا ترضى عنها الامة فيما بعد ، فنظرا لايمانه بالتطور ، وايمانه بحق الشعب المسلم فى تقرير مصيره بنفسه ، دون أن يكون هناك توجيه من أحد فيما بعد هو ما دفعه الى أن يترك هذا الأمر للأمة وحدها ، كى تواجه قدرها بنفسها حتى تكون لها حرية الارادة ، وحرية التفكير ، وحرية الاختيار ، وكأنه بهذا قد سبق الدساتير الحديثة التى تقرر بأن « الامة هى مصدر السلطات » . وأن ارادة الأمة فوق ارادة الأفراد ، لأن الامة باقية ، والافراد زائلون .

وهكذا كانت الدولة الاسلامية التى أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام والحرية الفكرية التى رعاها الاسلام ، وتفويض الأمر للأمة ، مقدمات طبيعية لاثارة الفكر الاسلامى ، والتأثير فيه . وقد ظهرت آثار هذا فى اجتماع السقيفة ، الذى أثيرت فيه نظريات سياسية لأول مرة فى تاريخ الفكر الاسلامى .

٢ ــ فى اجتماع السقيفة :

لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فى يوم الاثنين

١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هجرية (٨ يونيه سنة ٦٣٢) . وهو فى الثالثة والستين من عمره . ووجد المسلمون أنفسهم أمام مشكلة دستورية خطيرة فان هذه الدولة لا بد لها من قائد يتولى أمورها ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يحدد الشخص الذى يخلفه ، وهنا فكرت الأمة الاسلامية ، وقدرت موقفها وخطورته ، وهديت الى الصواب حين قررت أن لا بد من قائم يقوم بهذا الأمر ، برغم الصدمة ، وفداحة الخطب ، وجلل المصاب .

فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى عرف بالشجاعة ، يقول بعد أن سمع صوت النعى « إن رجلا من المنافقين زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى ، والله ما مات ولكنه ذهب كما ذهب موسى والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقطع أيدى رجال زعموا أنه مات »
ويثوب المسلمون الى رشدهم بعد أن ذاد عنهم أبو بكر الفزع والهلع بخطبته التى قال فيها :
أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

وقد بادر أحد الفريقين الرئيسيين اللذين كانت تتألف منهما الجماعة الاسلامية وهم الأنصار الى عقد اجتماع فى سقيفة بنى ساعدة ، ليتشاوروا فى الأمر ، ويختاروا من بينهم خليفة فقال سعد بن عبادة سيد الخزرج « يا معشر الأنصار لكم سابقة فى الدين ، وفضيلة فى الاسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إن محمدا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة ، فى قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه الا رجل قليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به ، حتى اذا أراد الله بكم الفضيلة ، ساق اليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الايمان به ، وبرسوله والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض ، وبكم قرير عين استبدوا بهذا الأمر من دون الناس ، فانه لكم دون الناس » .

كانت هذه المقدمات التى أراد بها الأنصار أن يصلوا بها الى النتيجة التى أرادوها وهى أنهم أحق المسلمين بالخلافة ، لاعزازهم الاسلام ، وعظيم جهادهم فى سبيل الدعوة الاسلامية بأنفسهم وأموالهم لأنهم أصحاب الدار ، ويحق لنا أن نقول بأن هذه النظرية ــ نظرية حق الأنصار ــ أول نظرية سياسية فى تاريخ الفكر السياسى فى الاسلام .

وانبرت نظرية ثانية لمقاومة هذه النظرية ، وهى الدفاع عن حق المهاجرين واثبات أولويتهم فى استحقاق الخلافة على غيرهم .

فقد علم المهاجرون بنبأ هذا الاجتماع ، فأسرع اليه أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة ، ووقف أبو بكر فى الناس خطيبا ، وأخذ يقيم الحجة على أحقية المهاجرين بالخلافة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والايمان به ، والمساواة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم له ، وتكذيبهم اياهم ، وكل الناس مخالف لهم ، زاد عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف (بغض) الناس لهم واجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله فى الارض ، وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم فى ذلك الا ظالم ، وانتم يا معشر الأنصار ، ممن لا ينكر فضلهم فى الدين ، ولا سابقتهم العظيمة فى الاسلام : رضيكم الله أنصارا لدينه ولرسوله ، وجعل اليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا من بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، فلا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور » .

وهكذا يسلم أبو بكر ببعض المقدمات التى ساقها الأنصار ولكنه لا يسلم بالنتيجة التى أرادوها لأنفسهم ، وانما يقيم الحجة على أن المهاجرين هم أحق الناس بالخلافة ، فهم أول من عبد الله فى الأرض ، وهم الذين هاجروا فرارا بدينهم تاركين أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم الذين جاهدوا وصبروا ، ثم هم أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لهذا كله يفضلون الأنصار فى دعوى أحقيتهم بالخلافة ، وبهذا تقررت نظرية المهاجرين فى أحقيتهم بالخلافة .

ثم يظهر فى ثنايا هذا الصراع الفكرى نظرية أخرى ثالثة ، دعا اليها « الحباب بن المنذر » وهى امكان اقتسام السيادة ، أو تعدد الامرة بأن يكون هناك خليفتان ، وذلك حين قال : « منا أمير ومنكم أمير » ولكن المجتمعين على اختلاف وجهات نظرهم قد أقروا مبدأ خطيرا وهو عدم اقتسام السيادة .

واستقر الرأى على انتخاب « أبى بكر » لما كان يتمتع به من مكانة دينية عالية ، راجعة الى سبقه فى الاسلام ، وحسن بلائه ، وطول صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، وعظيم اخلاصه ورسوخ ايمانه ، ثم الى صفاته الخلقية والعقلية النادرة التى جعلت من شخصه المثل الأعلى للمسلم الكامل .

وعلى هذه الصورة تم انتخاب أبى بكر ليكون أول خليفة فى الاسلام ، وأقر المجتمعون هذا المبدأ فى اختيار رئيس الجماعة أو الدولة ، وهو البيعة ، او الانتخاب ، وأطلقوا عليه لقب خليفة رسول الله الذى يشعر بالعلاقة التاريخية التى تربط الرسول وصحبه .

ومنذ هذه اللحظة التى تمت فيها البيعة لأبى بكر ، أصبح يباشر سلطاته الدستورية من خلال هذا الاجماع الذى انعقد عليه من جماعة المسلمين ، وهنا ينبغى أن نقف لحظة أمام هذا العقد السياسى الذى عقده المسلمون لأبى بكر لنتبين طبيعة هذا العقد السياسى .

فقد اهتم الباحثون بهذا العقد من وجهة نظر القانون والدستور فقرر الدكتور السنهورى : «ان الامامة عقد حقيقى مبنى على الرضا، وان الخليفة أو رئيس الدولة فى الاسلام يتولى السلطة نيابة عن الامة ، أى أن الأمة هى صاحبة السلطة ، تفوض الحاكم فى ممارستها نيابة عنها ، ووفقا لعقد صحيح بينها وبينه » .

فهذا العقد السياسى اذن الذى عقده المسلمون لأبى بكر ، انما هو عقد حقيقى ، نشأ عن ارادات حرة ، وجاء نتيجة لتطور الأحداث التاريخية وليس وليد الوهم أو التخيل أو الافتراض كما جاء فى الفكر السياسى الأوروبى .

ولبيان هذه الحقيقة نذكر فكرة الفلاسفة الاوروبيين حول العقود السياسية لنتبين منها الفرق الكبير بين الفكر السياسى الاسلامى والفكر السياسى الاوروبى .

لعل من أشهر النظريات السياسية التى تعالج موضوع نشأة الحكومات فى أوروبا نظرية الفيلسوف الانجليزى « توماس هوبز » التى جاءت فى كتابه « التنين » عن الحكم المطلق . « والتنين » اسم وحش بحرى ، جاء ذكره فى الكتاب المقدس فى سفر ايوب وقد وصف هذا الوحش الطاغى بأن الرعب يمشى فى ركابه ، ولكنه مع ذلك يخشى من دودة صغيرة ، تتعلق فى زعانف نوع من الأسماك الكبيرة .

ويقول « هوبز » فى مقدمة كتابه « ان دهاء الانسان وتحايله هو الذى خلق هذا الوحش الطاغى الذى نسميه الدولة » فالدولة فى نظره تتمثل فى نظام الحكم المطلق الذى يتمتع به الحاكم مما يجعل الافراد يرهبونه كذلك الوحش الطاغى الذى سمى الكتاب باسمه. وقد تبنى «هوبز» نظريته عن نشأة المجتمع والحكومات ، على أن الانسان أنانى بطبعه وأن هذه الأنانية تجعله لا يفكر الا فى نفسه ، وفى سعادته الفردية ، الا أن العقل ما لبث أن وجد تناقضا بين هذه الأنانية المطلقة التى تدفع القوى الى الاعتداء ، وبين رغبة الانسان فى الاحتفاظ بسلامته وأمنه ، لذلك فكر الناس فى طريقة للخلاص من هذا الصراع الدامى ، واتفقوا فيما بينهم لوضع حد لتنازعهم الأبدى باقامة الحكومات ، فلكى يضمن الفرد الاحتفاظ بتسعة أعشار حريته وأمنه فعليه أن يضع العشر الباقى من حريته بين يدى الحاكم الذى تكون مهمته السهر على مصالح الافراد ، والتدخل بالقوة لمنع أى اعتداء يقع على أحدهم من جاره .

(له بقية فى صفحة ١٠٤)

الإسلام والمسلمون

في المغرب العربي

للأستاذ: محمد الدسوقي

١) الأستاذ عبد الله كنون علم بارز من أعلام النهضة العلمية والوطنية فى المغرب العربى ، وفى مدينة طنجة حفظ القرآن الكريم ودرس على يد والده ــ فقد كان عالما كبيرا ــ وعلى غيره من العلماء الفقه والتفسير والحديث وعلوم العربية ، كذلك درس فى جامعة القرويين ــ مصدر الاشعاع الفكرى الاسلامى فى المغرب العربى .

٢) وفى نحو العشرين من عمره اشتغل بالتعليم واخذ مع هذا يكتب فى الصحف نثرا وشعرا يدعو الى الجهاد وتحرير الوطن من الدخلاء ، فاضطهده المستعمرون كثيرا ، وما زاده اضطهادهم له الا قوة فى عقيدته وعزيمة واصرارا على مواصلة العمل من أجل الحرية والاستقلال ، ومن ثم كان أحد المؤسسين للجمعية الوطنية الأولى التى تلت حرب الريف مباشرة ، وتفرعت عنها كتل العمل الوطنى التى انبثقت منها جميع الأحزاب السياسية بعد ذلك .

ولما كانت سياسة المحتل تسعى فى خبث وكيد لبتر صلة المغرب العربى بماضيه ، وتراثه الاسلامى العريق ، فان الأستاذ كنون أسس كثيرا من المدارس والمعاهد القومية ، ليحمى وطنه من مؤامرات الاستعمار التى كانت تمكر فى الظلام لمسخ عروبته وتمزيق وحدته وفرنسة أهله .

٣) وهذا المجاهد الثائر المصلح مفكر اسلامى أصيل ، له نشاط جم فى الدراسات الاسلامية والمباحث اللغوية ، وهوفى ميدان الأدب والنقد أستاذ له مدرسة وتلاميذ ، وكتبه تربو على العشرين ، منها « النبوغ المغربى فى الأدب العربى » فى ثلاثة أجزاء ، وهو تاريخ للحركة الفكرية والأدبية فى المغرب منذ دخله الاسلام حتى الآن ، و « مفاهيم اسلامية » وهو طائفة من الدراسات الاسلامية الرصينة حول بعض المشكلات المعاصرة ،

وكتاب « أدب الفقهاء » وهو دراسة مبتكرة تناولت بالتحليل والتعليق آثار فقهائنا الأعلام فى الأدب واللغة ، وتحقيق كتاب قواعد الاسلام للقاضى عياض ، وكتاب ترتيب أحاديث الشهاب لابن القلعى ، وكتاب عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب للحازمى .

وفضلا عما أسلفت فهو عضو بمجمع اللغة العربية ومجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، وقد مثل بلاده فى كثير من المؤتمرات العلمية والأدبية فى البلاد العربية وغيرها ، وقد انتهزت فرصة حضوره مؤتمر المجمع اللغوى فى الدورة الخامسة والثلاثين ورغبت اليه فى أن يحدث قراء الوعى الاسلامى عن الاسلام والمسلمين فى المغرب الشقيق ، فأبدى سروره لتحقيق هذه الرغبة ، وبخاصة أن مجلة الوعى أثيرة لديه ، وأنها تحمل رسالة الفكر الاسلامى المعاصر الى كل مكان فى الوطن الاسلامى .

٤) وجلست مع المفكر والمجاهد العربى الكبير أكثر من ساعتين ، وحدثنى حديثا موجزا جامعا استهله بالكلام عن الاخطار التى تعرض لها الاسلام فى ظل الاحتلال ، فقال :

« ما دخل الاستعمار بلدا اسلاميا الا سعى فى حقد ليبعد أهله عن جوهر اسلامهم ، وعمل فى كيد لتفريق كلمتهم وتوهين قوتهم حتى لا يثور ضده ثائر ، ولا يقف فى طريق اطماعه مكافح أو مناضل ، وحتى تظل له دائما كلمة السيادة والقيادة .

وحين دخل الفرنسيون المغرب العربى أخذوا يفكرون فى وسيلة يمزقون بها وحدة هذا الشعب ، ويضربون بها فى الوقت نفسه العقيدة الاسلامية فى هذا الجزء من الوطن الاسلامى ضربة قاصمة ، وقد تفتق ذهن المحتلين بعد نحو عشرين عاما من تاريخ الاحتلال ، عن ذلك المرسوم الذى وقعه الملك كرها وصدر فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ وعرف باسم « الظهير البربرى » وكان هذا الظهير يقضى بفصل السكان الذين هم من أصل بربرى عن العرب ، وأن يكون للبربر مدارس خاصة بهم يتعلمون فيها البربرية والفرنسية دون العربية ، وقد نص هذا الظهير أيضا على الغاء المحاكم التى كانت تفصل بين البربر ، طوعا لتعاليم الشريعة الاسلامية وأن تحل محلها محاكم أخرى يكون أعضاؤها من شيوخ البربر والضباط الفرنسيين ، وتخضع هذه المحاكم فى أحكامها للاعراف الجاهلية والقانون الفرنسى ، وبخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية .

وكان معنى هذا القضاء على الاسلام ولغة كتابه بين البربر ، واحياء العصبية الجنسية بينهم ، توطئة لأن يستقلوا بحكومة أو دولة ضد الاسلام والعرب .

ولذلك قامت سلطات الاحتلال فور صدور هذا الظهير أو المرسوم بنشاط محموم من أجل تنفيذ نصوصه ، أغلقت الكتاتيب القرآنية ، وأبعدت معلمى القرآن من المناطق البربرية ، وشجعت الدراسات المغرضة التى ذهبت الى أن البربر أصلهم آرى وليسوا ساميين كالعرب ، وأن قبائل البربر قد نزحت الى المغرب من أوروبا ، فهذه القبيلة من ايطاليا ، وتلك من أسبانيا .. وهكذا ..

وفى الوقت نفسه انبث المبشرون فى كل قبائل البربر وكانت وسائل الاحسان الى الفقراء وانشاء الوحدات الطبية والمكتبات العلمية ، من أهم

ما لجأ اليه المبشرون من أجل الغاية التى جندهم الاستعمار لها ، الا وهى تنصير البربر والتفريق بينهم وبين العرب .

٥) وقلت للأستاذ كنون : فماذا كان موقف العلماء والشعب من ذلك الظهير ؟

وصمت العالم المجاهد برهة ، وكأنه يسترجع ذكريات عزيزة عليه ، ثم قال :

بعد صدور الظهير البربرى قام العلماء فى المغرب الشيوخ منهم كالشيخ عبد الرحمن القرشى ، ومحمد بن العربى العلوى ، ومحمد غازى ، وابراهيم الكنانى ، والشباب كعلال الفاسى ومكى الناصرى وعبد الله كنون بحركة لتوعية الشعب ، من الوقوع فى حبائل تلك المؤامرة ، واندلعت المظاهرات الضخمة فى كل مكان فى المغرب ضد سياسة المحتل التى تعد من جهة نقضا لعهد الحماية ، ومن جهة أخرى محاولة لتنصير البربر ، وهذا يصادم ما تزعمه فرنسا من أنها دولة علمانية لا دينية .

لقد صدرت أبحاث كثيرة حول هذا الظهير ، وكشفت هذه الأبحاث عن البواعث الحقيقية له ، وأدرك الشعب فى وعى صادق احقاد المحتل الغاصب واتحدت كلمة العرب والبربر على العمل فى سبيل العقيدة والوحدة ، وبلغ من نفور البربر وثورتهم على ذلك الظهير أنهم قاموا بانشاء المساجد والمدارس الاسلامية ، والكتاتيب القرآنية ، وكانت الأفواج منهم تأتى الى الرباط يطلبون قاضيا شرعيا بدلا من المحكمة العرفية .

ولم تنجح حركة التبشير التى أنفق المستعمر عليها فى سخاء فى أداء مهمتها ، لأنها لاقت هجوما شديدا من البربر ، وكان هؤلاء يضربون المبشرين فى كثير من الأحيان على الرغم من المحاولات المختلفة لارضاء البربر والتقرب منهم ، وأذكر من ذلك أنه كان فى جبال الاطلس مركز للرهبان به مكتبة عظيمة ، وكانت تلقى فيه محاضرات ودراسات يقوم بها محاضرون ممتازون وكانت الضيافة فى هذا المركز مجانا ، لاغراء الشباب وجذبهم ، ومع هذا لم يحقق هذا المركز شيئا ، وقد أغلق بعد الاستقلال ، واشترت مكتبته احدى الجامعات الامريكية .

٦) ومن الجدير بالذكر حول الظهير البربرى أن الشعب انشأ دعاء خاصا كان الناس يتوجهون الى الله به فى كل مسجد بعد كل صلاة ، وهو « اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابرة » .

وكان هذا الدعاء يسبب للفرنسيين ذعرا وخوفا ، وصار اسم اللطيف عنوانا على هذه القضية ، حتى قال أحد القادة الفرنسيين : ما مدى هذا اللطيف ؟ لقد ظنه بعقله المادى القاصر مدفعا ، وما درى أنه فوق ظنه وتصوره ، وأنه القوة التى لا تغلب لأنها تهيمن على هذا الكون وبيدها كل شىء واليها المآب ..

وخلاصة القول أن الظهير البربرى قوى الوحدة الوطنية بين العرب والبربر ولم يحقق لفرنسا ما كانت تحلم به وتسعى اليه ، فأكرهت على العدول عنه .

٧ ـ وسألت الأستاذ كنون ، هل كان هذا الظهير الخطر الوحيد الذى تعرض له الاسلام فى المغرب ؟

فقال : لقد تعرض الاسلام لخطر آخر ، تمثل فى ظهور الحركة البهائية وبخاصة فى اقليم الريف ، ومن المؤسف أنها جاءت من طريق الشرق على أيـدى بعض المدرسين الـذين جاءوا للعمـل فى المغرب وأدى اعتناق بعض الرجـال لمبادىء البهائيـة الى مشكلـة أثارت الـرأى العـام وبسببها حملت الصحف الاجنبية على المغرب حملة مغرضة تحركها بواعث الحقد والكيد للاسلام والمسلمين ، وذلك ان كل امرأة كان يعتنق زوجهـا مبادىء تلك النحلة الضالة فانها كانت تذهب الى المحكمة تطلب الطلاق ، لأن زوجها لا يغتسل من الجنابة ، ولا يعترف بأن محمدا صلى الله عليه وسـلم خاتم الانبياء ، وكانت المحكمة تستدعى الزوج فيعترف أمامها بما قالت زوجه فتأمر بسجنه .

وتطور الأمر بعد ذلك الى حملة ضد البهائيين جميعا ، وكان للعلماء المغاربة دورهم البارز فى مقاومة هذا الانحراف ، وقد أعدم بعض البهائيين ، لاصرارهم على اعتناق تلك المبادىء الفاسدة ، كما سجن كثير منهم ، وقد فر بعضهم الى أوروبا ، وقاموا هناك بضجة خطيرة نجم عنها أن الصحـف الفرنسية أخذت تنشر المقالات العديدة تهاجم المغرب وتزعم أن محاكـم التفتيش عادت فى القرن العشرين فى هذا القطر . كما نجم عن تلك الضجة أيضا تظاهر عدد كبير من الامريكيين والانجليز ضد المغرب ، وكانت هـذه الاعمال فى الواقع لا تحركها الرغبـة فى حماية البهائيين ولكن تشـويه الاسلام والحملة على المؤمنين به ، وقد لجأت الحكومة المغربية بسبب نشاط البهائيين فى أوروبا وأمريكا الى الافراج عن بعض المسجونين البهائيين ، ثم خفت صوت البهائية بعد ذلك فى المغرب وتلاشى شيئا فشيئا « فأما الزبـد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

٨ ــ وقلت للأستاذ كنون يبدو مما ذكرتم أن لعلماء المغرب جهادهـم العظيم فى ميدان الدفاع عن الاسلام فماذا عن هذا الجهاد غير ما أشرتـم اليه ؟ فقال :

لقد حاول الاستعمار الفرنسى أن يتعاون مع الصوفية فى المغرب ، ونجح فى هذا بعض النجاح لجهل كثير من الصوفيين أو غرورهم ، وكان على علماء المغرب أن يبينوا للشعب أهداف التعاون بين الاستعمار وحركة التصوف ، وقادهم هذا الى الدعوة الى السلفية عقيدة وعملا ، وكان لهذه الدعوة تأثير على حركة التصوف ، فضعف نشاطها ، كما كان لها تأثيرهـا على المذهبية فى الفقه ، فقل المتعصبون لها ، وهذا يدل على أن علمـاء المغرب كانوا متحررين لا جامدين ..

وبعد الاستقلال قام هؤلاء العلماء بتأسيس جمعيات تحمل أسمـاء مختلفة لكنها كلها تسعى نحو غاية واحدة ، وهى تطوير التعليم الدينـى ، والمطالبة بشرعية القوانين وحماية الاخلاق والقضاء على الفساد ومظاهر الانحلال ، وكل ما خلفه الاستعمار من نظم وعادات لا يقرها شرع الله .

وحين حاولت وزارة التعليم المغربية التهوين من شأن جامعة القرويين وتضييق مجال عملها اجتمع علماء المغرب فى صورة مؤتمر عام ، وكـان أساس هذا المؤتمر هو وضع نظام هذه الجامعة التى تعد رائدة التعليـم الدينى فى المغرب كله .

وكان أهم ما أسفر عنه هذا المؤتمر ، هو انشاء رابطة علماء المغرب ،

وهى تجمع خيرة هؤلاء العلماء ، ولها مهمة مقدسة تتمثل فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية ، ومقاومة التبشير ، والمطالبة بشرعية القوانين والمحافظة على التعليم الدينى وبخاصة جامعة القرويين ، وأن يظل لها كيانها المستقل فلا تدمج فى الجامعات المدنية ، كما حدث فى بعض البلاد الاسلامية .

والرابطة تعقد مؤتمرا عاما على رأس كل عامين يشترك فيه كل العلماء المغاربة ، ويصدر قرارات وتوصيات داخلية وخارجية على مستوى الاحداث وأذكر مثلا أن الرابطة تدخلت فى قضية باكستان الأخيرة ، وان لها مواقفها الهامة من قضية فلسطين والوجود الصهيونى الدخيل فى الوطن الاسلامى .

وللرابطة جريدة اسمها الميثاق تصدر نصف شهرية مؤقتا ، لنشر أفكارها والدعوة الى مبادئها .. « والجدير بالذكر أن الأستاذ كنون أمين عام للرابطة منذ انشائها » .

٩ ــ وعن مدى تمسك الشعب المغربى بعقيدته ، قال الأستاذ كنون :

ان قضية الظهير البربرى ، وظهور البهائية فى اقليم الريف بوجه خاص يشيران الى أن الشعب المغربى متمسك بعقيدته الاسلامية ، غيور على دينه ، ومن دلائل ذلك أن الشعب لا يبخل بماله على انشاء المساجد الكثيرة ، فضلا عن جهود وزارة الأوقاف المغربية فى هذا المجال وأيضا فان الكتاتيب التى تعلم القرآن منتشرة فى البلاد ، وهذه الكتاتيب أنشأها الشعب ورعاها وأنفق عليها ، وان كانت وزارة الاوقاف تقدم اليها بعض الهبات ..

ومن مظاهر حرص الشعب على عقيدته وجود الحركات الاسلامية مثل جمعية شباب النهضة الاسلامية التى يرأسها الشيخ أبو بكر القادرى ، وتصدر مجلة الايمان ، وجمعية عباد الرحمن وتصدر مجلة الأمانة .

وبالاضافة الى كل ما سلف ، هناك حركة نشر فى ميدان البحوث والصحافة الاسلامية ، للحديث عن الاسلام والدفاع عنه ، ككتاب « المغرب المسلم ضد اللادينية للاستاذ ادريس الكتانى ، هو دراسة عميقة وافية عن الصراع بين الاسلام ومحاولات تشويهه والكيد له ، ويقظة الشعب المغربى لكل المؤامرات التى حيكت بقصد بتر الصلة بينه وبين ماضيه الاسلامى العريق ، وأما الصحافة الاسلامية ، فهى عديدة ، مثل دعوة الحق ، والميثاق والارشاد ، والايمان ، والامانة والبينة ، وتصدر وزارة الاوقاف مجلة للعامة والمغاربة الذين يعيشون فى غير المغرب وبخاصة فى أوروبا ، ولذا تصدر سهلة العبارة جدا وكاملة الضبط .

ولكن الذى لا سبيل الى انكاره مع هذا ان الزحف الحضارى العصرى على المجتمعات الاسلامية ، وما يحمل معه من الشك ، وقلة المبالاة باقامة الشعائر الدينية ، وما يحرض عليه من مظاهر الانحلال والفساد ، له تأثيره لا فى المغرب فحسب بل فى كل المجتمعات الاسلامية ونحن فى بلادنا نحاول جادين القضاء على كل ما يخالف تعاليم الاسلام ، ومن أجل هذا يطالب علماء المغرب بأن تكون فى أيديهم السلطة ، فالكلمة وحدها لا تكفى ، وكنا حين تشتد الازمة بيننا وبين المسئولين نلجأ الى الملك فكان دائما فى صف العلماء ، صدر قانون خاص بالضريبة على التركات ، وقاومنا هذا القانون ، لأنه يتعارض مع مبادىء الاسلام ، وبلغ الملك ما ندعو اليه

ونطالب به ، فطلب من العلماء أن يجتمع بعضهم مع وزير المالية ، وجرت بيننا وبين هذا الوزير مناقشة حول ذلك القانون واقتنع الرجل ، فالغى قراره .

١٠ — والذى لا جدال فيه أن البلاد الاسلامية قد غزتها مظاهر الحضارة المادية المعاصرة بما تحمله من سموم وأمراض وأن هذا الغزو أخطر عليها من الغزو العسكرى الذى أصيبت به ، لأن ذلك الغزو نشأ عنه فى المجتمعات الاسلامية نوع من الانفصام أو الازدواج بين أبنائها فى طرائق التفكير ومنهج السلوك ، فهناك الذين لا يبالون بتعاليم الاسلام ويذهبون الى أنها لا تصلح للتطبيق الآن ، لأنها ان كانت قد صلحت لعصر الجمل والصحراء ، فلن تصلح اليوم لعصر الصاروخ والفضاء .. وهؤلاء يعرفون عن ثقافة غيرنا أكثر مما يعرفون — ان كانوا يعرفون — عن ثقافتنا وتراثنا وحقائق ديننا .

وهناك من يرعى تعاليم الاسلام ويأخذ نفسه بها فى القول والعمل ، ويدرك كل الادراك أن سبيل الخير والنصر لهذه الأمة التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس هو الاعتصام بحبل الاسلام فى كل ما جاء به ، غير أن الذى تأسى له النفس أن هؤلاء لا يملكون من الأمر شيئا فى المجتمع الاسلامى فى كل مكان بوجه عام .

١١ — وقلت للعالم المجاهد ، وماذا ترون لتحرير المجتمعات الاسلامية من هذا الانفصام ، ولتعاون علماء المسلمين جميعا من أجل أن يكون للاسلام ومبادئه الكلمة العليا فى هذا العصر الذى يموج بمختلف التيارات المذهبية والسياسية ، والذى يتصارع فيه أصحاب تلك المذاهب رغبة فى القيادة والسيطرة وبسط النفوذ ؟

وجاء جواب الأستاذ كنون دعوة صريحة الى أن يكون للعلماء دور عملى فى الحياة حتى يؤدوا رسالتهم على أحسن وجه وأشرف غاية ، فقد قال :

ان انقاذ المجتمع الاسلامى من هذا الانفصام الذى أوهى بين المسلمين روابط الوحدة وعناصر القوة هو أن يلتزم الساسة والقادة فى كل البلاد الاسلامية بما دعا اليه الاسلام وسبيل ذلك أن تكون لعلماء المسلمين مشاركة فى الحياة السياسية وتمثيل فى المؤتمرات واللقاءات التى تتم بين قادة العالم الاسلامى ، وأذكر مثلا مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد فى المغرب، لماذا لم يمثل فيه العلماء المسلمون ، وبخاصة الذين يهتمون منهم بالقضايا الاسلامية المعاصرة ؟ .

ان الكلمة وحدها لا تكفى ونحن فى زمن يزع الله فيه بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ولكنا نريد السلطان الذى يخشى الله فى الرعية حتى يحملها على الجادة السوية وحتى لا يحيد عن شرعة العدل ودعوة الحق ، ومن ثم كان لا بد أن يشارك العلماء فى الحياة والا تكون مهمتهم قاصرة على القول دون العمل والتنفيذ .

١٢ — ولكن كيف يصل العلماء الى هذا ، وأنى لهم أن يفرضوا رأيهم ويشرفوا على الأخذ به وعدم التفريط فيه ؟

ان العلماء الآن فى المجتمع الاسلامى لا يتعاونون تعاونا مجديا مثمرا . والاتصال بينهم محدود وغير مفيد ويتمثل هذا الاتصال فى رابطة العالم الاسلامى بمكة وفى مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، ومع احترامى وتقديرى لما تبذله رابطة العالم الاسلامى من جهد ، وما يقوم به مجمع البحوث من عمل ، فانى أدعو الى أن يتسع نطاق التعاون والاتصال بين علماء المسلمين وأن يتحرر من قيود السياسة وأن يكون هناك تخطيط مدروس للعمل المثمر النافع الذى يواجه كل ما يتعرض له العالم الاسلامى من مشكلات فى الداخل والخارج .

ومع هذا الاتصال يجب امتزاج العلماء بالحكام ، وأن يحتل العلماء مراكز القيادةكما كان أسلافهم يفعلون ويؤثرون فى الحياة أبلغ تأثير .

ان ابعاد العلماء عن مراكز القيادة كان جناية ، لأنه جعل الحياة السياسية تسير فى طريق تحفه أشواك الاستبداد والطغيان والبعد عن شعائر الدين ، بيد أن الذى لا مناص من الجهر به أن تنحية علماء الدين عن مراكز القيادة تقع تبعته على هؤلاء العلماء أيضا لأنهم بما أخلدوا اليه من الدعة وبما فرطوا فى حق أنفسهم من الرضا بما لا يجدر بهم ، وبما انصرفوا اليه من دراسات لا تيسر لهم الانفتاح الفكرى والابتكار العلمى ، جمدوا وتخلفوا ، ولم يستطيعوا أن يؤكدوا صلاحية الاسلام لكل زمان وكل مكان .

ان الاسلام دين العلم ، ولكنه العلم القائم على الايمان ، ودين الحضارة ، ولكنها الحضارة التى تحترم الانسان فلا تفرق بين الناس بسبب الألوان والاجناس ، وقد أنقذ هذا الدين البشرية منذ أربعة عشر قرنا من وهدة التخلف الدينى والفكرى والخلقى وهو صالح اليوم كل الصلاحية لانقاذها مرة أخرى من هذه الحضارة المادية التى امتهنت كرامة الانسان على الرغم من مظاهرها الخلابة ، ومبتكراتها العلمية الرائعة . ومن ثم تبدو مسئولية علماء الاسلام جسيمة ، ورسالتهم اليوم خطيرة ، وعليهم أن ينهضوا بها نحو المسلمين والبشرية كلها حتى يعود للحياة أمنها وكرامتها وحريتها .

١٣ ــ وبعد فانى أقدم للعالم والمجاهد الكبير الاستاذ عبد الله كنون أعمق الشكر على حديثه القيم الذى القى ببعض الضوء على الاسلام والمسلمين فى المغرب الشقيق والذى أشار فيه الى رسالة العلماء فى العصر الحديث ، وأرجو أن تتاح فرصة أخرى للحديث عن آثار الأستاذ كنون العلمية ، فهى تمثل انتفاضة الفكر الاسلامى المعاصر فى جزء عزيز من الوطن الاسلامى الكبير .



الدعوة إلى الله سبحانه وأثرها في المجتمع

للشيخ عبد العزيز بن باز

لقد رفع الله شأن الدعاة اليه وابلغ فى الثناء عليهم حيث يقول سبحانه : (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين**) ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور ويخفف عبء الدعوة الى الانطلاق فى سبيلها بكل نشاط وقوة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصرى — رحمه الله — أنه تلا هذه الآية الكريمة (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله**) الآية . فقال : هذا حبيب الله هذا ولى الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الارض الى الله أجاب الله فى دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى اجابته ، وقال اننى من المسلمين هذا خليفة الله . انتهى .

ولا ريب أن الرسل — عليهم الصلاة والسلام — هم سادة الناس فى الدعوة وهم أولى الناس بهذه الصفات الجليلة التى ذكرها الحسن — رحمه الله — وأولاهم بذلك وأحقهم به على التمام والكمال امامهم وسيدهم وافضلهم وخاتمهم نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب — صلى الله عليه وسلم — الذى بلغ الرسالة وادى الأمانة وصبر على الدعوة الى ربه أتم صبر وأكمله حتى أظهر الله به الدين واتم به النعمة ودخل الناس بسبب دعوته فى دين الله أفواجا ثم سار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم فصدقوا فى الدعوة ونشروا لواء الاسلام فى غالب المعمورة لكمال صدقهم وعظيم جهادهم وصبرهم على الدعوة صبرا لا يعتريه ضعف أو فتور وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل فى جميع الأحوال فضربوا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها فى الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح وبذلك انتصروا على

أعدائهم وبلغوا مرادهم وحازوا قصب السبق فى كل ميدان وهم أولى الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التى ذكرها الحسن وكل من سار على سبيلهم وصبر على الدعوة الى الله وبذل فيها وسعه فله نصيبه من هـذا الثناء الجزيل الذى دلت عليه الآيـة الكريمة والصفات الحميدة التى وصف بها الحسن الدعاة الى الحق ، وقد صح عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : **(من دل على خير فله مثل أجر فاعله)** وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : **(من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا)** وقال لعلى ــ رضى الله عنه ــ لما بعثه الى خيبر : **(فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)** وفى هذه الأحاديث وما جاء فى معناها تنبيه للدعاة الى الله والمجاهدين فى سبيله على أن المقصود من الجهاد والدعوة الى الله سبحانه هو هداية البشر واخراجهم من الظلمات الى النور وانتشالهم من وهدة الشرك وعبادة الخلق الى عز الايمان ورفعة الاسلام وعبادة الاله الحق الواحد الأحد الذى لا تصلح العبادة لغيره ولا يستحقها سواه سبحانه وتعالى وليس المقصود من الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ المال واسترقاق النساء والذرية.

ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن الاسلام التى يشهد له بها أهل الانصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه وذلك من رحمة الله الحكيم العليم الذى جعل هذا الدين الاسلامى دين رحمة واحسان وعدل ومساواة يصلح لكل زمان ومكان ويفوق كل قانون ونظام ولو جمعت عقول البشر كلهم وتعاضدوا على أن يأتوا بمثله أو أحسن منه لم يستطيعوا الى ذلك من سبيل فسبحان الذى شرعه ما أحكمه وأعدله وما أعلمه بمصالح عباده وما أبعد تعاليمه من السفه والعبث وما أقربها من العقول الصحيحة والفطر السليمة ، فيا أيها الأخ المسلم ، ويا أيها العاقل الراغب فى الحق تدبر كتاب ربك وسنة نبيك ــ صلى الله عليه وسلم ــ وادرس ما دلا عليه من التعاليم القويمة والأحكام الرشيدة والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفى قلبك ويروى غلتك ويشرح صدرك ويهديك الى سواء السبيل .



الإمام الشيخ :

محمد بن عبد الوهّاب

للأستاذ عبدالله بن سعد الرويشد

ان دراسة مناقب الاعلام تملأ الاجيال المتأخرة روحا تقدمية ونفسا طموحة الى العلا شريطة أن تكون تلك الدراسة موزونة بميزان الكتاب والسنة ، وذلك كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (كنا أذل أمة فأعزنا الله بالاسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره اذلنا الله) لذلك يطيب لى أن أقدم هذه السيرة العطرة لنابتة البلاد العربية ولأجيالها الصاعدة خصوصا ولكافة المسلمين عموما لتكون حافزا لهم على التمسك بدينهم وعقيدتهم خالصا من شوائب الشرك والبدع .

نسب الامام :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على من سلالة عربية خالصة يمتد نسبها الى تميم الى نزار بن معد بن عدنان ، وهو امام الدعوة السلفية الحديثة والمجدد للعقيدة الاسلامية السليمة .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله فى بلدة العيينه بنجد قريبا من الرياض العاصمة السعودية سنة ١١١٥ هـ ــ ١٧٠٣ م فى بيت توارث بنوه العلم والتقى كابرا عن كابر ، وقد كان أبوه عبد الوهاب عالم بلدته وقاضيها وكذلك كان جده ــ سليمان من قبله . وقد نشأ الامام نشأة صالحة ، ثم أخذ يتلقى عن أبيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرهما ، وأكثر من القراءة والاطلاع

عَلم من أعلام الفكر العربي الاسلامي
والمجدد للعقيدة الاسلامية الصحيحة
وقائد الدعوة الاصلاحية السلفية
ورائد من روّاد النهضة الحديثة

على الكتب المتداولة بين الناس فى ذلك العهد ، وكان ذكيا المعيا ينفذ بذهنه وعقله الى ما وراء النصوص المدونة ، ويميز بين الحق منها والبهرج فلم يجد فيما قرأ ما يعادل كتب ابن تيمية وابن القيم ، فأعجب بهـا ومال اليها ، ورأى كثيرا مما نعاه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات والمروق عن الدين ومظاهر الشرك ماثلا أمام عينيه فى معتقدات قومه وأعمالهم لا سيما العامة منهم فهو اذا من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا منها على الرغم من طول العهد بينهما وان آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر الاثـر فى توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته .

رحلاته العلمية :

وتطلع الشيخ الى أفق علمى أرحب فذهب الى مكة المكرمة حاجا لله تعالى ، وملتمسا فيها من العلماء من يشفى غلته ويروى ظمأه ، ويظهر أنه لم يظفر بما كان يؤمله فرحل الى المدينة المنورة ، والتقى هناك بالشيخ عبد الله بن ابراهيم بـن سيف وهو عالم من أهالى المجمعة بنجد أقام بالمدينة ، فأخذ ابن عبد الوهاب عنه كما أخذ عن عالم مقيم بها هو الشيخ محمد بن حياة السندى .

رحلة الامام خارج الجزيرة :

ولم تكن هذه النفس الطلعة لتقنع بما يحسب الناس أن فيه كفاية وغناء ،

بل لا بد لها أن تنشد الكمال ، وتسعى اليه ، وتستعذب الصعاب ، وتركب الاهوال ، وتعتصم بالصبر ، وتطلب الحقيقة فى مظانها لعلها تظفر بشيء منها ، وهكذا كان شأن الشيخ فلم يجد بدا من الرحلة الى بعض العواصم الاسلامية التى اشتهرت بكثرة العلماء فيها وتوارثت البحث فى مسائل الدين وعقائده ، فرحل الى العراق ، ونزل ببلدة الزبير من أعمال البصرة ، وأخذ عن أحد فقهائها الشيخ محمد المجموعى ولكن الامام لم يقنع بالسماع والحفظ ، بل برح يناقش ويحاول ويمحص ويوازن بين ما يلقى اليه وما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ، فيجد فيما يقوله العلماء ميلا وانحرافا وخروجا عن نصوص الدين وتعاليمه وساءه ما عليه الناس من خرافات وأباطيل فجاهر بآرائه هذه فأنكر ونقد كثيرا من بدع الناس وضلالاتهم وفساد عقائدهم ، فثار به فريق من جهال البصرة وآذوه وخرج منها فى وقت الهجير خائفا يترقب بلا زاد ولا راحلة ، وما كان الله ليترك مجاهدا فى سبيل دينه فقيض له رجلا من أهل الزبير وهى بلدة عراقية أكثر سكانها نجديون فأعانه وحمله على دابته حتى بلغ به هذه البلدة ، وفكر الشيخ بعد ذلك فى مواصلة الرحلة الى بلاد الشام لعله يجد فيها خيرا مما لقى بالعراق ، ولكن الله أراد أن يريحه من سفر قد لا يحصل منه على فائدة تذكر ففقد ما كان معه من مال . وقفل راجعا الى بلاد نجد ، ونزل بالاحساء ، وأقام مدة لدى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعى الاحسائى من رجال الدين والعلم بها ، وكان والد الامام قد انتقل من العيينة الى حريملاء بعد نزاع نشب بينه وبين حاكم قريته محمد بن حمد بن معمر ادى الى عزله عن قضائها فرحل الامام الى أبيه وأقام معه فى بلدته الجديدة .

تنفيذ الدعوة ومراحلها :

بدأ الشيخ دعوته فى حريملاء ولم تلق هناك نجاحا يذكر ، ولكنه لم ييأس ولم يقنط وظل يدرس ويرشد ويعظ حتى مات والده فى عام ١١٥٣ هـ — ١٧٤٠ م وهنا أعلن دعوته وجد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فتبعه بعض أهلها وايدوه ولكن كان بحريملاء قبيلة يتبعها جماعة من الجهال يعيثون فى الارض فسادا ويجاهرون بالفسق والمعاصى ، فهتف الشيخ بهم ونادى بوجوب ردعهم وتنفيذ حكم الشرع فيهم ، فأضمروا له البغضاء ، وحاولوا الفتك به ، فحماه الله منهم ، وردهم على أعقابهم .

ولم يطب للشيخ مقام بحريملاء بعد هذا الحادث فانتقل الى مسقط رأسه بالعيينة ، وتلقاه أميرها عثمان بن حمد بن معمر بالترحيب وعاونه فى دعوته وتوثقت بينهما أواصر الثقة والمحبة خصوصا بعد أن أصهر الشيخ الى أسرته ، وقد تبعه كثير من الاهالى ، ثم شرع فى تنفيذ مبادئه عمليا فأستأجر اناسا ليقوموا بقطع الاشجار التى يعظمها العامة ، ثم خرج بنفسه الى كبراهن فقطعها .

ولكن أمر هذه الاشجار كان هينا ، وهناك ما هو أشد منه وأخطر ولا بد للشيخ أن يمضى فى طريقه بلا وجل ولا تردد فاتجه بذهنه الى قبر (زيد بن الخطاب) رضى الله عنه بقرية (الجبيلة) وأعد العدة لهدمه واستعان بعثمان لحمايته فاستجاب له ، ولكنه أبى أن يتولى الهدم هو أو أحد من رجاله فتقدم الشيخ وهدمه بنفسه حتى أتى عليه ومضى فى سياسته العملية « فأقام حد الزنا ونفذ أحكام الشريعة » ومن ثم اشتهر أمره وعظمت هيبته وأقبل كثير من الناس عليه مبايعين معاهدين .

مناواة الدعــوة :

وبينما الدعوة تشق طريقها الى القلوب الصلدة فتصدعها والى العقــول الضالة فتردعها والى النفوس الظامئة من العلم فتبل صداها وتجلو صدأ الجهالة الذى ران عليها ، نرى محمد بن عريعر الحميدى حاكم الاحساء والقطيف ينــذر عثمان بن معمر بالثورة عليه وقطع الخراج عنه ان لم يقتل الشيخ ويقضى علــى دعوته ، ويتخاذل عثمان ويأمر الشيخ بالخروج من بلدته ، ويوعز الى أحد رجاله بقتله اذا صار بين العينية والدرعية ، ويهم الرجل بتنفيذ ما أمر به فيأخذه الرعب والفزع ولا يستطيع أن يمد له يدا .

آل سعود يحتضنون الشيخ وينصرونه :

نزل الشيخ بالدرعية فى عام ١١٥٨ هـ فى بيت رجل يسمى محمد بن سويلم العرينى فآواه وأكرم وفادته ، ولكنه كتم أمره خوفا من بطش الأمير محمد بــن سعود مؤسس الدولة السعودية الاول ورجاله ظنا منه أن الامير يأبى تعريض بلاده لانقسام دينى وفتنة تعكر صفو الأمن فيها وأخذ الشيخ يبث دعوته سرا ، ثم لم يلبث أن جهر بها حين استطاع أعوان الشيخ أن يقنعوا الامير بمناصرته وتأييده فأقبل عليه وبايعه على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيله وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء ، ومن ثم تظاهر وتضافر الدين والسياسة ، ودخلت الحركة فى طور جديد اشتد فيه ساعد الشيخ ، وتابعه أهل الدرعية وكانوا له انصارا وأعوانا وبدأ الشيخ يراسل ذوى الرأى فى البلاد النجدية من قضاة وعلماء وأعيان ، فاستجاب بعضهم وصد عنه كثير منهم ، ورموه بالجهالة والمروق وغير ذلك من ــ النقائص وانذروا به ، وبدأوا يعدون العدة للفتك به وتمزيق حركته .

لم يكن بد حينذاك من الجهاد وامتشاق الحسام فاندلعت الحرب فى بلاد نجد واتخذت ادوارا عدة واستشهد فيها كثير من بينهــم ولدا الامير محمد بــن سعود . فيصل وسعود . ثم توالت الحروب والغزوات وتألب الاعداء من كل جانب الى أن توفى الامير وتولى بعده ابنه عبد العزيز فواصل الكفاح المر وانتصر على كثير من خصومه واستولى على الرياض والقصيم والخرج وغيرها مــن البــلاد .

الخطر الخارجى :

على أن هذه الحروب لــم تظل فى دائرتها الداخلية الضيقــة فقد هجــم العراقيون وأهل الحجاز على بلاد نجد بتحريض من الاتراك العثمانيين وكل يدعى الحفاظ على الدين والغيرة على تعاليمه ، فتبلبلت أفكار المسلمين فى سائر البــلاد وقذفت السياسة فى هذا الصراع بسيل من الدعايات المغرضة ، وخيلت للناس أن الشيخ متنبىء جديد يحاول القضاء على الاسلام والتعفية على آثاره ، واستطاعت بذلك أن تؤلب المسلمين عليه فى كل مكان .. وتوفى الشيخ رحمه الله فى ابان هذه المعارك سنة ١٢٠٦ هـ ــ ١٧٩٢ م وله من العمر اثنان وتسعون عاما ، ولما يشهد نهاية هذا الكفاح الخالد لكنه رأى مبادئه الاصلاحية ودعوته الاسلاميــة السلفية تشق طريقها ، وتسود فى جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذيــن أصبحوا خلفاءه فى نشر دعوته الى يومنا هذا والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة السلفية العظيمة .

واذا كانت الحروب قد نالت من النجديين واثقلت كواهلهم حينا من الدهر ، فانها كانت الصقال الذى شحذ عزائمهم وحرك هممهم وأثار حماستهم للدفاع عن حوزة بلادهم ونصرة مبادئهم وكان لهم الغلب فى آخر المطاف .

والسر فى نجاح النجديين فى حركتهم هذه يرجع الى قوة الايمان التى بثها الشيخ فيهم والصمود فى سبيل الدعوة والاستبسال فى الجهاد وتعبئة قوى الشعب وتعليمه فنون الحرب الى جانب تعاليم الشريعة فلقد كان بمنزل الشيخ مدرسة تسمى (وكر التوحيد) تلقن فيها علوم الدين طرفى النهار وفنون الحرب فى أوسطه .

خطب الشيخ ورسائله :

قضى الشيخ طوال حياته واعظا مرشدا مبينا لأحكام الدين حاضا على اتباعه والعزوف عما ينافى التوحيد من ـ ضلال وبدع وشرك ومحرضا على الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، وقد حفظ بعض أحفاده كثيرا من خطبه . ولقد كان فى خطبه يميل الى مخاطبة قومه باللغة التى يفهمونها وكان همه منصرفا الى المعانى لا الى العبارات ـ والتأنق فى الاساليب ولو فعل لأضاع كثيرا من جهده سدى ، فما كانت البيئة النجدية فى زمنه تتقبل غير الطريق الذى سار عليه .

مثال من رسائل الشيخ :

وهذه رسالة من رسائل الشيخ التى يشرح فيها عقيدته السلفية وهى رسالة موجهة منه الى أهل القصيم بنجد قال رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم : أشهد الله ومن حضرنى من الملائكة وأشهدكم أنى أعتقد ما أعتقده أهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله ـ الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل بل أعتقد أن الله (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) فلا أنفى عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه ولا ألحد فى أسمائه وآياته ولا ، أكيف ولا أمثل صفاته بصفات خلقه لأنه تعالى لاسمى له ولا كفء ، ولا ند له ولا يقاس بخلقه فانه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره وأصدق من أهل التحريف والتعطيل فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين) فالفرقة الناجية وسط فى باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية وهم وسط فى باب وعيد الله بين المرجئة والمعيدية . وهم وسط فى باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية ، وهم وسط فى باب أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج ، وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأومن بأن الله فعال لما يريد ولا يكون شىء الا بارادته ، ولا يخرج عن مشيئته ، وليس شىء فى العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور ، وأعتقد لكل ما أخبر

به صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت وأومن ـــ بفتنة القبر ونعيمه وباعادة الارواح الى الاجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غــرا لا تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون) وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ، وأومن بحوض نبينا محمد صلىالله عليه وسلم بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن واحلىمن العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وأومن بـــأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم . وأومن بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وانه أول شافع وأول مشفع ولا ينكر شفاعة النبى الا أهل البدع والضلال ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضا كما قال الله تعالــى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وهو لا يرضى الا التوحيد ولا يأذن الا لأهله . وأما المشركون فليس لهم فى الشفاعـــة نصيب كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وأومن بأن الجنة والنـــار مخلوقتان وأنهما اليوم موجودتان وانهما لا يفنيان وأن المؤمنيـــن يرون ربهـــم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ، وأومن بأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح ايمان عبـــد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ، وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم . وأتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم ، واستغفر لهم ، وأكف عن مساوئهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء ، وأقر بكرامات الاولياء الا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئا ، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنى أرجو للمحسن وأخاف على المسىء ، ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنبه ، ولا أخرجه من دائرة الاسلام ، وأرى الجهاد مع كل امام برا كان أو فاجرا وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى أن يقاتل آخر هذه الامة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل . وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله . ومن ولى الخلافة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ، وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا . وأحكم عليهم بالظاهر وأكل أسرارهم الى الله ، وأعتقد أن كل محدثة فى الدين بدعة ، وأعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالاركان واعتقاد

بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ، وهو بضع وسبعون شعبة اعلاه شهادة أن لا اله الا الله وادناها اماطة الأذى عن الطريق ، وارى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعـــة المحمدية الطاهرة . فهذه عقيدة وجيزة حررتها لتطلعوا على ما عندى والله على ما نقول شهيد) .

اثر الشيخ فى النهضة العلمية والأدبية :

لا مراء فى أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الصرخة المدوية ، والصيحة التى نبهت الأمة من وقدتها ، ووجهت الانظار الى البحث والجدل ومناقشة الآراء وقرع الحجة بالحجة والدليل بالـــدليل ، وحملت الناس على النظر فى الكتاب العزيز ، واستظهار كثير من آياته ومن الحـــديث النبوى الشريف وهما الغاية القصوى فى البلاغة والبيان والعلوم الدينية والعربية تتشابك وتترابط ولا يمكـــن الفصل بينها اذ أن علوم اللسان العربى كلها ما قامت الا لخدمة الكتاب والسنـــة وفهمها فهما صحيحا فكان لا بد من قيام حركة علمية شاملة ونهضة فكرية عامـــة ولكن لم تتكامل الاسباب لتنظيم هذه النهضة وتعميمها الا قريبا ، ومع ذلك خطت خطوات واسعة الى الامام، واذا سارت الامور على هذا المنوال فانها تبشر بظهور فجر جديد يجعل من هذه الجزيرة كما كانت من قبل منهلا للآداب ، ومنبعا للعلوم والمعارف ، ومهدا للحضارة الحقة والمدنية الصادقة .

مؤلفات الامام وآثاره العلمية :

وتفسير شهادة أن لا اله الا الله ، وكتاب التوحيد وكشف الشـــبهات فى معنى التوحيد وما يخالفه ، وكتاب معرفة العبد ربه ودينه ، وكتاب مفيد المستفيد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومختصر الانصاف ، وكتاب الكبائر ، وله رسالة فى التقليد ، ومختصر الشرح الكبير ومختصر الفتاوى المصريـــة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وكتاب المسائل التى تخالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ، وكتاب النبذة فى معرفة الدين الذى معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به سبب لدخول النار .

انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية :

ان استيلاء آل سعود على الحجاز ودخولهم مكة والمدينة فى أوائل القـــرن الثالث عشر الهجرى أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الاسلاميـــة ليتعرفوا أهداف الدعوة ويلتقوا بدعاتها ويناقشوهم فيما يدعون اليه ، وكان من نتائج هذا أن اعتنق بعض الحجاج هذه المبادىء وتعصبوا لها ثم حملوها معهـــم ودعوا اليها فى بلادهم بعد رجوعهم اليها ، فانتقلت هذه المبادىء الاصلاحية الى السودان والى الهند وسومطرة فى آسيا ، وكان هدف دعاتها فى كل مكان تحل به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات وتصحيح العقيدة الدينية ، ثم محاولة اقامة حكومة صالحة على أساس دينى لتنفيذ الاحكام وتقييم الحدود كما انتقلت هذه الدعوة الى مصر والشام وزنجبار واليمن وكذلك الحركة السنوسية التى ابتدأت فى الجزائر أواسط القرن التاسع عشر ثم غزت طرابلس بعد ذلك ، وانتشرت فى شمال افريقيا ثم مدت رواقها نحو الجنوب فتمكنت فى السودان وان هذه الحركة السنوسية التى ناهضت الاستعمار فى كل مكان حلت فيـــه والتى

الحركة السنوسية كان فى مكة يطلب العلم وقت استيلاء آل سعود عليها فعاشرهم وتتلمذ على علمائهم وتأثر بدعوتهم ثم عاد الى الجزائر وابتدأ حركته الاصلاحية على ضوء تعاليم الاصلاح الدينية الاسلامية التى أضرم نارها فى الجزيرة العربية الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

الدكتور طه حسين يتحدث باعجاب عن الدعوة وصاحبها :

قال عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين (ان الباحث عن الحياة العقلية والأدبية فى جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر الميلادى ، فلفتت اليها العالم الحديث فى الشرق والغرب واضطرته أن يهتم بأمرها وأحدثت فيها آثارا خطيرة هان شأنها بعض الشىء ولكنها عادت فاشتدت فى هذه الايام وأخذت تؤثر لا فى الجزيرة وحدها بل فى علاقاتها بالامم الاوروبية ، هذه الحركة هى حركة .. الوهابيين التى أحدثها (محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد) ثم ذكر نزرا يسيرا عن نشأة الشيخ ورحلاته العلمية ودعوته الى أن قال : (قلت ان هذا المذهب الجديدقديم المعنى والواقع أنه جديد بالنسبة الى المعاصرين ولكنه قديم فى حقيقة الامر ، (لأنه ليس الا الدعوة القوية الى الاسلام الخالص النقى المطهر من شوائب الشرك والوثنية . هو الدعوة الى الاسلام كما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم خالصا لله ملغيا كل واسطة بين الخالق والمخلوق . فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا اليه من جاهلية فى العقيدة والسيرة الى أن قال : ولولا أن الجاهلين اجتمعوا على حرب هذه الدعوة وحاربوها فى دارها بقوى وأسلحة لا عهد لأهل الدعوة بها لكان من المرجو أن توحد هذه الدعوة كلمة العرب فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الهجرى كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم فى القرن الاول ولكن الذى يعنينا من هذه الدعوة هو أثرها فى الحياة العقلية والأدبية عند العرب . فقد كان هذا الأثر عظيما وخطيرا من نواح مختلفة فقد أيقظ النفس العربية فوضع أمامها مثلا أعلى أحبته وجاهدت فى سبيله بالسيف والقلم والسنان) وأخيرا لقد كان لهذه الدعوة أثر عظيم فى العالم الاسلامى اذ كانت الشعلة الاولى لليقظة الحديثة فى العالم العربى والاسلامى كله تأثر بها زعماء الاصلاح فى سائر الاقطار الاسلامية وكل الحركات الاصلاحية مدينة لهذه الدعوة الاصلاحية ويمكن تحديد الصلة بينها وبين كل من هذه الحركات اما عن طريق الاقتباس أو المحاكات أو مجرد التأثر والتأثير .

مذبحة المسلمين

في الفلبين

محمد مؤذن

قام الأستاذ سامى محمود بتحقيق عن مأساة المسلمين فى الفلبين نشرته صحيفة (أخبار اليوم) القاهرية ننقله للقراء فيما يلى :

مذبحة تحدث الآن للأقلية المسلمة فى الفلبين ..
الهدف : القضاء على آخر معاقلهم فى الجنوب ..
الخطة : الاستيلاء على أرضهم .
الوسيلة الاغتيال المنظم .. الخطف .. نسف المنازل .. والقاء القنابل على المواطنين .. الطرد من الأراضى ..
اطلاق النار على المصلين .. اثارة الطائفية ..
الأداة : جيش سرى منظم يطلق على نفسه اسم (الفئران) .
المذبحة مستمرة بعنف منذ ثلاثة شهور متتالية . الجمعيات الاسلامية فى الفلبين استنجدت بالفاتيكان .
تنكو عبد الرحمن أرسل الى (ماركوس) رئيس جمهورية الفلبين يطلب منه تقريرا عن مذابح المسلمين ..

ويسالون لماذا ؟

والقصة قديمة عمرها ثلاثة قرون ونصف قرن والفاعل الأول .. اسبانيا .. لكن الخطة الجديدة بدأت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . وكانت تستهدف رشوة زعماء المسلمين ومنحهم مناصب كبيرة .. شراء أراضى المسلمين فى جزر الجنوب خاصة جزيرة (مندانا) و (سولو) .. تهجير اعداد ضخمة .. من أهم المحافظات الاسلامية وهى (لاناو) كوتباتو ــ دافاو ــ زمبوانجا ــ صولو (باسيلان) زيادة حملات التبشير .. الغاء أحكام الشريعة الاسلامية وسيادة القانون المدنى على كافة المسلمين خاصة أحكام الزواج والطلاق ، واباحة زواج المسلمة بغير المسلم ــ خلط العقيدة الدينية بالخرافات والاسرائيليات . الهجوم

الفكرى المستمر على الاسلام الذى تتزعمه جماعات شريكة لمنظمات صهيونية معاملة المسلمين كمواطنين من الدرجة الثانية عددهم ٥و٣ مليون من مجموع السكان الذى يصل الى (٣٤) مليونا ـ فرص أقل فى التعليم والخدمات الصحية وغيرها . مناطق اسلامية كثيرة لا تعرف شيئا اسمه الصحف أو التليفزيون ، وليس غريبا أن تكتشف قبيلة بدائية تماما تعيش بأسلوب العصر الحجرى فى جزيزة منداناو .. فى الجنوب الذى تتركز فيه الأقلية المسلمة !

والفلبين تقع من الجانب الغربى للمحيط الباسفيكى جنوب شرق آسيا وتحيط بها أندونيسيا وماليزيا وفورموزا والصين وتشتمل على ٧١٠٠ جزيرة ومساحتها (١١٥) ألف ميل مربع وعاصمتها مانيلا ويتكلم أهلها أكثر من ٨٧ لغة أهمها اللغة التاجوليكمية والاسبانية والانجليزية ، ويزيد عدد المسيحيين الكاثوليك على ٨٤٪ من السكان ،والمسلمين حوالى ٩٪ . وتقوم الحياة السياسية على حزبين أساسيين هما (الاحرار .. والوطنيون ..) وقد وصل اليها الاسلام فى القرن التاسع الميلادى الا أن أول حكم اسلامى كان فى أواخر القرن ١٣ .. ثم احتلها الاسبان فى بداية القرن السادس وتبعهم الامريكان فى بداية القرن العشرين .. وتشتهر بمعادنها الكثيرة ـ ذهب وفضة ـ وكذلك بالمحاصيل الزراعية .. الأرز والسكر والتمباك والمطاط ..

وموقع الفلبين الاستراتيجى فى جنوب شرق آسيا فى قلب الصراع بين أمريكا والصين يفرض عليها أوضاعا خاصة ..

السفارة تقول :

وقد ذهبت بعدد من القصص والأخبار والأحاديث التى جمعتها أثناء مقابلاتى مع عدد من زعماء العالم الاسلامى ومسلمى الفلبين . وأخبار الوكالات الأجنبية ـ الامريكية ـ خلال هذا الاسبوع وفى موسم الحج وفى عدد من اللقاءات الأخرى فى مناسبات مختلفة .. ذهبت بهذا كله الى المسئولين فى سفارة الفلبين .. حرصا على أخذ وجهة النظر الأخرى ـ لكنهم وعدوا بالرد على كل ما سيجىء بهذا التحقيق بعد الرجوع الى حكومتهم لسماع الرد الا أنهم من ناحية أخرى أكدوا أن الذى يحدث ليس حربا دينية !!! وان الحكومة شكلت لجنة لبحث مشكلة الأرض ! وان المسلمين لا يعاملون معاملة الدرجة الثانية .

مذبحة الأحد القادم :

ومهما كان رد المسئولين فى السفارة فان وكالات الانباء نقلت انذارا وجهه الجنرال جارسيا قائد الجيش الفلبينى الى المسلمين حول مدينة (بولدن) والذين سماهم (بالقمصان السود) بأنه ما لم يسلموا أنفسهم قبل يوم الأحد القادم فانهم سيتعرضون لهجوم مدمر من قوات البوليس التى يزيد عددها على (٢٠٠٠) جندى

والجدير بالذكر ان صداما وقع بين المسلمين والمسيحيين يوم الثلاثاء الماضى .. وأرسلت الحكومة قوات لفض النزاع . لكن هذه القوات الحكومية .. تحالفت مع المسيحيين فى قتالهم ضد المسلمين وهاجمتهم بالدبابات والطائرات .. ورغم هذا فان المسلمين المسلحين ببنادق مخلفة من الحرب العالمية استطاعوا أن يقتلوا ٢٠ ويسقطوا طائرة هليوكبتر ويدمروا دبابة وقد أعلن البروفيسور ابراهيم

اسماعيل احد زعماء المسلمين فى الفلبين بيانا اذيع من (مانيلا) نفسها أعلن فيه ذلك ان ١٠ مسلمين قد ذبحوا كالشاة .

ومن ناحية أخرى فان المسلمين ما زالوا متحصنين فى بعض المناطق ومحاصرين بقوات ضخمة من البوليس والجيش وهذه القوات مزودة بمدفعية عيار (١٠٥ ملليمتر) وطائرات هليوكبتر ودبابات وقد نسفت احدى سيارات البوليس المدرعة بلغم أول أمس وهي تحاول الاقتراب من معسكر المسلمين .. وكان الحصار مستمرا وتستعد قوات البوليس لمذبحة جديدة يوم الأحد ٧١/٨/١٥ ومن المقدر أن يكون عدد الضحايا من ١٥٠٠ الى ٢٥٠٠ وهى تقديرات متحدث بلسان البوليس الفلبينى .. ومما يدعو الى الدهشة أنه قد أذيع يوم الاربعاء ان طائرات الحكومة اسقطت منشورات تطلب فيها من المدنيين فى بولون اخلاء جزيرة ميندانو — والمعروف أن أغلبية المسلمين يتركزون فى هذه الجزيرة .

اسرائيل هناك ايضا :

ويتهم المسلمون فى الفلبين وعدد من شهود العيان من الفلبين أيضا — الصهيونية العالمية بمحاولة ابادتهم واغراء مسيحيى الشمال بالزحف على أراضى الجنوب الغنية فى محاولة لطردهم منها والاستيلاء عليها .. وقد تم بالفعل طرد أكثر من ٥٠ ألف أسرة ما زالت مشردة فى الجبال والغابات بنفس الاسلوب الذى استخدم فى فلسطين . وجدير بالذكر أن أقرب مستشارى رئيس الجمهورية جنرال صهيونى خطير يدعى (منسى) وبليونير يهودى آخر يدعى اليسالدى .

وطرد المسلمين من أرضهم مشكلة من أغرب المشاكل . فاغلب الاراضى التى يملكها المسلمون توارثوها جيلا بعد جيل لمدة تزيد فى بعض الاحيان على أربعة قرون .. وفجأة خاصة فى السنوات الثلاث الاخيرة . قررت الحكومة تشجيع هجرة أهل الشمال المسيحى الى أراضى الجنوب المسلمة الخصبة . ويأتى المهاجرون الجدد ويشرعون فورا فى تسجيل (أراضى المسلمين) — وهى غير مسجلة أشبه بالحكر — ويأتون فى صباح اليوم التالى بعد التسجيل يطلبون من المسلمين اخلاء أراضيهم .. لان الحكومة سجلت لهم هذه الأراضى — هكذا — يطالبون المسلمين بالأرض ويرفض المسلمون ويلجأ الاقطاعيون وأصحاب الأراضى الجدد من المسيحيين الى اعمال العنف والشغب وهى تبدأ عادة بحرق الأراضى وتسميم المياه والحيوانات .. وتنتهى بالاغتيال والخطف وبقر البطون . واستمرت هذه العمليات ونمت حتى أصبحت جيشا رهيبا يطلق عليه اسم الفئران أو الا (ايلاجا) .. وهذا الجيش فى الحقيقة مجموعات من الرجال الذين دربهم الجيش والبوليس ويشترك المزارعون الجدد فى تمويلهم .. اما لماذا لم تسجل الحكومة للمسلمين أرضهم أو تطلب منهم ذلك وهى معترفة بأنهم يعيشون عليها من قرون — فلا أحد يدرى .. ومن ناحية أخرى عندما طلب المسلمون تسجيل أرضهم رفضوا .. وعندما طلبوا تسجيل أراض جديدة رفضوا أيضا .. وأصبحت اكثر من ٥٠ ألف أسرة مشردة فى الغابات والجبال .. يعيشون كالأنعام ويتعرضون للقتل وهتك العرض والسلب والموت من الجوع والمرض والبرد !!

مذبحـــة للشبان فقـــط :

ومن أغرب القصص القادمة من الفلبين قصة (مذبحة الـ ١٦٩) شـــابا مســـلما . فقد اختارت السلطـــات من كل أسرة شـــابا لتدريبهم فى معســـكر (كوريجيدور) ولم يمض وقت طويل حتى عرف أنه قد تم ابادة هـــؤلاء الشـــبان جميعا عدا واحدا فقط اسمه جبين أرولا استطاع الهرب وروى هذه المذبحـــة الرهيبة واتصل بعدد من زعماء المسلمين بالقرب من مانيلا وروى لهم تفاصيل ما حدث وكان الهدف ابادة القادرين على المقاومة وحمل السلاح واحداث موجة ذعر رهيبة بين المسلمين . وفى يونيو الماضى حدثت مذبحة أخرى لم يستطيعوا هذه المرة اخفـــاءها .. فقد جمعوا المســـلمين داخل المسجد لعقد صـــلح بين المسيحيين وبينهم ــ حول مشاكل الأرض ــ وجلس المسلمون داخل بيت الله . جانحين للسلم مستعدين للصلح وفجأة اقتحم المسجد مجموعة من المسيحيين المسلحين بالمدافع الرشاشة وبدأوا اطلاق النيران .. واستطاعوا أن يذبحوا ٧٠ بينهم سيدات وأطفال ويجرحوا خمسين آخرين اصيبوا اصابات مختلفة ..

وللرئيس ماركوس مستشار يهودى صهيونى آخر هو (مانويل اليسالدى جوبنر) . واختصاصه هو شئون الأقلية !!! وهو ــ المتهم الأول فى الحـــوادث الأخيرة .. وقام منذ عدة أسابيع بزيارة هذه المناطق وتنظيمها .. وهو فضـــلا عن كونه مليونيرا فهو وزميله اليهودى الآخر الجنرال منسى يملكـــون مزارع شاسعة فى الجنوب .. هذا فضلا عن مناجم الذهب والنحاس وطائرة (السندى) الخاصة مثلا هى التى اكتشفت القبائل البدائية وقام (الستوى) بتوزيع الســـلاح على بعض القبائل اللادينية التى تعيش فى الجبال والتى استولى المسيحيـــون أيضا على أرضهم .. وقد بدأت هذه القبائل عمليات القتل بين المسيحيين وفـــر أغلبها الى الغابات فى الوقت الذى بدأ فيه المسيحيون عمليات الارهـــاب ضـــد المسلمين ، وكان هدفه اثارة الفتنة .. ومن المعروف أنه على صلة بأحد زعمـــاء قبائل الاغلبية واسمه (تونبك) وانه أمده بالسلاح .

جيش الفئران :

ويلجأ المسيحيون فى تنفيذ مخططهم الصهيونى لاجلاء المسلمين من أراضيهم .. الى تكوين جيش سرى مزود بأحدث الأسلحـــــة .. وهو أشبه بجماعـــات الهاجاناه فى فلسطين .. ويبلغ عدده فى كوتاباتو وحدها نحو ٣٥٠ ألف رجل ..

وفى مقاطعة (واو) حرقوا البيوت والمزارع وطردوا أصحابها فى الشهر الماضى .. وفى (باتوت) أيضا اشترك البوليس مع جماعة الفئران فى احراق مزارع القرية وطرد أهلها واحراق ٥ مساجد و ٥٨ منزلا فى قرية (بولفان) .. ونفس الشىء حدث فى (أوبى) لكنهم قتلوا هذه المرة عشرات من النساء والأطفال .. والى جانب الفئران توجد عصابة أخرى تطلق على نفسها اسم (الاخطبوط) وهى مدربة تدريبا راقيا وتقوم بغارات منظمة على المزارع لافزاع أصحابها .. وآخر غاراتهم على ٤ مدن فى كوتاباتو .. بينما اشترك معهم الفئران فى قتـــل ٦٨ رجلا من المسنين وجرحوا طفلا ، وأثناء دفاع الشيوخ عن أنفسهم قتلوا ثلاثة من العصابة .. وتعرف هذه المذبحة باسم (مذبحة الشيوخ) .. شاهد عيـــان لمذبحة المسجد الشهيرة فى شهر يونيو الماضى اسمه (بانكوسوماما) قال ان

القتل لم يقتصر على الـ ٧٠ ضحايا المسجد فحسب بل تعداه الى مدرسة تبعد عنه كيلومترا واحدا وقتل فيها ٧ من الأطفال داخل الفصول .. (توماما) قال أيضا ان رجال العصابة كانوا يرتدون زيا خاصا وانه كان يجلس بجوار زوجته التـى قتلت وشقيقته التى أصيبت اصابات بالغة وانه نجا باعجوبة .. وأكمل قصـة المدرسة (أحمد سولاى) عندما قال ان طفليه (نوردن ونورما) وزوجته (ليريرا) وشقيقه (جونون) قد قتلوا أيضا داخل المدرسة .. وان القتل حدث فجأة عندما اقتحمت جماعة من العصابة المدرسة وقتلت الأطفال ..

هذه مجموعة من الحقائق المؤلمة لما يحدث فى الفلبين ولا يستطيع أحد أن يتجاهل الحقائق الرهيبة التى تبرز وراء هذه القصص فى كلمة واحدة هى محاولة تصفية المسلمين والاستيلاء على أرضهم التى توارثوها لمدة تزيد على أربعة قرون .. وعلى حد تعبير (ساليدا بينون) عضو مجلس الشيوخ المسلم .. انه قـد أصبح واضحا لدى المسلمين الآن بشكل لا يدعو الى الريبة ان عملية منظمـة لابادتهم وتصفيتهم فى الجنوب تجرى الآن .. » وان البوليس يتخذ دفاع المسلمين عن أنفسهم بالعصى والسكاكين والبنادق القديمة التى ينقصها الذخيرة .. ذريعة للقضاء عليهم .. ان الذى يحدث الآن للمسـلمين فى الفلبين صورة مفزعـة — مكررة — لما حدث فى فلسطين .. وليس غريبا أن يقود عملية الفلبين اثنـان من أعتى الصهاينة اليهود : الجنرال منسى والبليونير اليسالدى .. وكلاهمـا يملك مزارع شاسعة فـى أرض المسلمين !

والمسلمون يقولون اننا نعامـل معاملة المـواطن من الدرجة الثانيـة .. المناصب القيادية والهامة ممنوعة .. الجيش نحن الجنود دائما وهم الضبـاط والجنرالات .. فرص العمل تكاد تكون معدومة للمواطن المسلم العادى .. وكل ٤٠٠ تلميذ لديهم مدرس واحد وكل نصف مليون لديهم مستشفى واحد به ٤٠ سريرا وطبيبا عاما .. مثلما يحدث فى سولو ومنداناو .. مياه الشرب والكهرباء معدومة فى أغلب مناطق المسلمين .. المساكن أغلبها من البامبو التى يصنعها الأهالى بأنفسهم المرافق والخدمات معدومة .. القرآن واللغة العربية ممنوعان فى كثير من المناطق .. الدعاية المضـادة للاسلام .. ونشر الاسرائيليـات و (الماسونية) . الحكومة تستولى على مناطق شاسعة من أراضيهم — وهى دائما غير مسجلة وتوزعها على المسيحيين بواقع ١٠ هكتارات لصغار الملاك .. الحكومة تقيم معسكرات الاصلاح والسجون للمجرمين الخطرين داخل أراضيهم .. الحكومة تشجع هجرات أهل الشمال المسيحى الى غزو مناطق الجنوب .. ووصل عدد المهجرين فى السنوات الأربع الأخيرة الى مليون ونصف مليـون .. والمهاجرون الجدد مسلحون بالمدافع والعلم والمال . ومعهم دائما دعاة تبشيريون يقيمون الكنائس والمستشفيات .. المسلمون أصبحوا لاجئين فى الجبال والغابات .. الحكومة تطرد الأهالى من مناطق كاملة فى حجم المحافظات الكبيرة بحجة عدم التسجيل .. ثم تعيد توزيعها بعد فترة على المسيحيين .. حدث هذا أخيرا فـى (واو) و (لاناودلسور) و (لاناود لسنترى) وفى (كوتاباتو) . والسؤال الذى يبرز دائما .. ان لم يكن هذا اضطهادا ومعاملة من الدرجة الثانية وتصفيـة وارهابا .. فما الذى يمكن أن نسميه !؟..

ورغم أن زعماء المسلمين متصارعون دائما فى الفلبين بحكم ارتباط مصالحهم بالقوى الاقتصادية والسياسية الرئيسية التى تحكم البلاد والتى تتمثل فى حزبى الأحرار والوطنيين .. الا أنهم رفعوا شعارا واحدا هذه الأيام وهو الوحـــدة للمحافظة على أرواح المسلمين .. واصدروا بيانا وقع عليه ٣٠ من كبار زعمائهم من الحزبين أعلنوا فيه استنكارهم للمذابح الدموية التى تحدث مثل (مذبحة زبيدة) ومذابح الجوامع والتفرقة فى المعاملة وقلة الفرص المتاحة للمسلمين ، وعـــدم احترام الشريعة الاسلامية أو الشعائر الدينية .. وعدم معاقبة المسئولين عن هذه الحوادث دائما ، وتواطؤ البوليس والجيش مع المجرمين .. ومحاولة تصفية المسلمين فى الجنوب تماما .. وهم أصحاب البلد الأصليون ..

ورغم أن المسلمين كانت تقودهم حركة اسلامية واحدة الا أنهم انشقـــوا وتمثلوا فى جميعية أنصار الاسلام التى يمثلها أحمد دوموكاو النتو .. والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ويتزعمه محمد على ديمابورو .. وجدير بالذكر أن الذى ساعد ديمابورو على انشاء هذا المجلس هو (ماركوس) رئيس الجمهورية وزعيم الحزب الوطنى .. وهكذا ترى أن المسلمين منشقون أو كانـــوا كذلك .. وقـــد استغلوا دائما كواجهات كاذبة على حسن معاملة المسلمين .. فهـــم دائمـــا الزعماء فقط ــ وهم دائما يملكون السيارات الفاخرة والمزارع الغنية ــ وهـــى طبعا مسجلة ! ــ .. ومن الأشياء التى تدعو الى الرثاء أن الحكومة تضع فى وزارتها وزيرا مسلما مسئولا عن شئون الأقلية ــ وهى فى أغلبها مســلمة ــ واسمه (تاتوما ماما) وتضع له من ناحية أخرى (كسالدى) اليهودى مستشار الرئيس .. وطبعا كل السلطة للمستشار الصهيونى .. و (ماما) مجرد واجهة .

بعد الحوادث الأخيرة تجمعت أعداد هائلة من شباب المسلمين المثقفيـــن وعدد من زعماء المسلمين يقودهم ــ اوتوج ماتالام ــ و (الزعيم كاملون) الذى استمر فى صراع مسلح مع الحكومة ست سنوات ويتحصن هؤلاء فى بلدة(بـــابا لومان) وهى منطقة لم يدخلها غير المسلمين منذ سبعة قرون تقريبا ــ وقد طالب هؤلاء بفصل اقليم (مندانا) و (سولو) الذى يتركز فيه المسلمون .. لحمايتهم من المجازر التى تحدث لهم الآن .. وهم من ناحية أخرى يطالبون العالم الاسلامى بالوقوف معهم ومساعدتهم فى الأمم المتحدة ولدى حكومتهم والفاتيكان لانقـــاذ أرواحهم ..

وقد زاد اتصال مسلمى الفلبين بالعالم الاسلامى منذ مؤتمر باندونج .. وكان السناتور (أحمد النتو) من أشد المتحمسين لذلك .. ودعيت بعد ذلـــك شخصيات مختلفة من العالم الاسلامى لزيارة مسلمى الفلبين وساعد على ذلك أن رئيس الفلبين (ماكاباجال) كان صديقا للرئيس الراحل عبد الناصر .. وكان صديقا أيضا للمسلمين .. وهو الذى دعا الى اتحاد ماليزيا والفلبين وأندونيسيا فيما يعرف باسم (مافلندو) .. وكانت أهم الزيارات التى قام بها الدكتور عبـــد العزيز كامل وزير الأوقاف منذ وقت غير بعيد وتوفيق عويضـــة رئيس المجلس

الأعلى للشئون الاسلامية وقبلها زار الشيخ الباقورى والمرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق .. ويزورها حاليا الدكتور محمد كاظم عميد كلية التربية بالأزهر والدكتور عبد اللطيف بدوى مدير جامعة الأزهر .. ويدرس أكثر من ١٥٠ طالبا فلبينيا مسلما .. فى جامعة الأزهر .. كما يوجد بعض المدرسين الأزهريين فى الفلبين .

وقد عبر عدد كبير من الشخصيات الاسلامية البارزة فى موسم الحج الماضى عن أسفهم الشديد لما يحدث للمسلمين المسالمين فى الفلبين .. فى بلاد اختارت الاسلام بنفسها دينا لها منذ قرون طويلة .

ومن الأشياء الغريبة ان الاسبان الذين قضوا على الاسلام فى اسبانيا .. هم أنفسهم الذين قضوا عليه فى الفلبين عندما غزوها عام ١٥٢١ .. وكانت توجد فى مانيلا العاصمة سلطنتان اسلاميتان وكان يحكمهما السلطان راجا سليمان .. وأطلق الأسبان على المسلمين (موروس) .. وهو نفس الاسم الذى كانوا يطلقونه على المسلمين فى شمال افريقيا الذين انتصروا عليهم واستمروا يحكمون اسبانيا لفترة تقرب من التسعة قرون .. ورفض المسلمون فى مانيلا خاصة فى سلطنتى تسرى ببسايس وقاجابات ، ان يغيروا دينهم .. فأبادهم الاسبان .. وبعضهم هرب الى الجنوب والبعض الآخر تظاهر بقبول الاحتلال الاسبانى .. واستمر الاسبان فى زحفهم على باقى الجزر .. لكنهم عجزوا دائما على الوصول الى سلطنتى سولو ومنداناو فى الجنوب واستمرت هاتان السلطنتان من القرن السادس حتى آخر القرن التاسع عشر تتمتع بالحرية والاستقلال .. حتى حل الامريكان مكان الاسبان فى عام ١٨٩٨ وبقوا فيها حتى عام ١٩٣٦ عندما غزا اليابانيون الفلبين ولم يجلوا عنها الا بانتهاء الحرب العالمية الثانية .

وقد شارك المسلمون المسيحيين وساعدوهم فى تحرير جزر الفلبين كلها وكانوا يحاربون فى ذلك الوقت ، مع الحلفاء .. لكن بعد انتهاء الحرب العالمية .. حل المسيحيون مكان المستعمرين .. وبدأت المأساة .. وخطط لتنفيذ زحف المسيحيين والاستعمار وراءهم الى المناطق التى لم يستطع الاسبان احتلالها والتى ظلت فى الحقيقة ومنذ القرن التاسع الميلادى .. — على أرجح الاقوال — تتمتع بالحرية ونشأ أول حكم اسلامى بالمعنى المفهوم مع بداية القرن الثالث عشر ... وكان بحر الصين والبحر المتوسط دلتا بحيرة اسلامية .. وطريق التجارة الدولى .. الى أن ظهرت قوة البرتغال والاسبان المستعمرة وكان هذا يعنى بداية غروب سيطرة الاسلام فى جزر بحر الصين والبحر المتوسط ..

والسكان المسلمون الأصليون اسمهم (أنديوس) وهم ينتسبون الى أهل الملايو وأندونيسيا من ناحية النوع .. أما (فلبيى) فيطلق على الاسبان الذين استوطنوا الفلبين وكذلك على أهلها الذين اعتنقوا المسيحية .. و (فيليب) هو ملك اسبانيا فى ذلك الوقت وقد أطلق عليها ..

ومن المؤكد أن الاسلام وصل الى الهند والصين فى وقت مبكر جدا فى القرن الثامن الميلادى .. وان الجزر المحيطة بهاتين القارتين كانت محطات للتجار

المسلمين والوفود الاساوسية وقوافل التجارة .. لذلك فانه من المؤكد أن هذه المناطق عرفت الاسلام منذ هذا التاريخ .. لكن مع بداية القرن ١٤ تمكن المسلمون تماما من الانتشار السريع فى الملايو وكانت (ملقا) منطقة اسلامية .. ومن الملايو انتشر المسلمون الى جنوب شرقى آسيا أندونيسيا ماليزيا الفلبين وكانت هذه الدول فى الحقيقة دولة واحدة كانوا يسمونها الملايو الكبرى وعاصمتها (جاوة) وقد قامت أول سلطنة أو حكم اسلامى ادارى بين أواخر القرن ١٣ .. ومن القصص الشهيرة فى تاريخ الفلبين ان سبعة أخوة عرب قدموا الى الفلبين وأنهم نشروا الاسلام فيها وكان أبرزهم أبو بكر ويسمونه (يادو كامها سارى مولانا السلطان شريف الهاشمى) وان أغلب الدعاة تصاهروا مع الأسر الحاكمة .. وان الشعب ولاهم أمره بعد أن اعتنق دينه .. وأنت لا تجد اطلاقا أى ذكر لقتال .. بل هى الحكمة والموعظة الحسنة .. التى نشرت الاسلام فى الفلبين .. وقد بهرت تعاليم الاسلام أهل البلاد . ووجدوا فيه حضارة كاملة وقانونا دنيويا وصلة روحية عالية .. لذلك هم الذين دخلوا فى دين الله أفواجا .

وقد ذهل ماجلان عندما وصل الى الفلبين عام ١٥١٩ ووجد الاسلام هناك .. وكان أول ما فعله ماجلان القادم من اسبانيا هو قتل زعماء المسلمين وملوكهم فى مانيلا .. ثم طلب الامدادات .. وقال لحكومته الاسلام الذى طردناه من اسبانيا وجدته هنا .. وذهبت حملات دموية لابادة معتنقى هذا الدين .. لكن ماجلان شهد نهاية يستحقها عندما قتل بيد الملك المسلم (لابو لابو) .

ان قصة الاسلام فى الفلبين بقدر ما فيها من صفحات مشرقة فى الماضى تؤكد حقيقة هذا الدين ، بقدر ما فيها من صفحات دامية ملطخة بالدماء تجرى هذه الايام ويتعرض المسلمون فيها للمذابح الجماعية والطرد والتعذيب والارهاب فى عصر الأمم المتحدة وحقوق الانسان وحرية العقيدة .. ان قلوب المسلمين كلها معهم وعيونهم دائما عليهم .. وان نصر الله لقريب ..



— ١ —

((أى صفوان ..
فداك أبى وأمى
هو أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس .
ابن عمك عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ..)) .

قالها عمير بن وهب ابن خلف القرشى الجمحي المكى لابن عمه صفوان بن أمية بن خلف ، فى تأثر شديد ، وضراعة ظاهرة ، واستعطاف كبير .

ويرد عليه صفوان فى غضب واستكبار ، وعزم وتصميم ، دعنى وطريقى ، لن أعود أبدا .

وكان صفوان قد هم بركوب السفينة من جدة ، لتقله الى اليمن ، يعيش فيها ، بعيدا عن مكة ، وعما آل اليه أمر مكة يومئذ .

وكان ذلك فى مطلع شوال من العام الثامن من الهجرة ، بعد فتح مكة بقليل .

ويعود عمير ليقول من جديد :
((أى صفوان ..
أى ابن عم .
لن أدعك وطريقك أبدا .
انزل من السفينة ، وعد معى الى مكة ، وطنك ، ووطن آبائك وأجدادك ، وأنت أنت ابن مكة ، وشريف العشيرة وسيد القوم ، وفيها صاحبتك وأولادك وأموالك » .

وكان صفوان سيد بنى جمح ، بعد أبيه أمية بن خلف ، كما كان من كبراء قريش فى حياة أبيه .

وكان أمر الأزلام فى الجاهلية موكولا الى صفوان ، ونشأ فى جاه أبيه ومجده وشرفه وماله ، وعمل فى التجارة ، وربح وأثرى ، وجمع الذهب ، حتى صار له قنطار من

عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

الذهب ، كما كان لأبيه قنطار من الذهب ، وبذلك جمع السؤدد من أطرافه ، ونال المجد بكلتا يديه .

وتزوج صفوان فى حياة أبيه من أكرم بيوت العرب ، تزوج برزة بنت أبى مسعود الثقفى ، وفاختة بنت الوليد بن المغيرة .

وكان أبوه ((أمية)) من أشراف قريش وسادتها واليه الرأى فى الكثير من الامور والمشكلات .

وجاء الاسلام ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الايمان به ، وصدت قريش عند ذلك صدودا عجيبا ، وقاومت رسول الله والمؤمنين به مقاومة ليس لها مثيل فى التاريخ : وكان عتبة ، وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام . والوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الاسود ، وسواهم يمثلون جبهة المعارضة للاسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب وهو عبد الله ابن أبى أمية المخزومى ، وحتى ابن عمه أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وكان أخا للرسول من الرضاعة ، أرضعتهما معا حليمة ، حتى هذان مع قرابتهما لرسول الله كانا من أشد الناس عداوة لرسول الله ، ولما جاء به من الحق والدين والشريعة ، فقال له ابن عمته عبد الله بن أبى أمية : والله لا أومن بك أبدا ، حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك .. وكذلك كان الأخنس الثقفى ، وأبى بن خلف الجمحى ، والعاص بن وائل السهمى ، وغيرهم ..

وكان أمية بن خلف هو الذى تولى تعذيب المسلمين من مثل بلال . وأمية ومعه الوليد بن المغيرة ، وبعض أشراف قريش هم الذين قالوا لرسول الله : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد . وقد حضر أمية بدرا هو وابنه صفوان ، فقتل أمية وقتل معه أبو جهل وأشراف قريش وسادتها وورث صفوان بعد أبيه أمية مجده وحسبه وشرفه ، وصار اليه ما كان لأبيه من قبله .

واستمر صفوان فى حربه للاسلام ولرسول الله ، كما كان يصنع ، وكما كان يصنع أبوه قبله .

— ٢ —

وبعد بدر أخذ صفوان بن أمية يكيد لرسول الله كل الكيد ، ويتآمر عليه بكل ما فى وسعه وطاقته من حيلة ، وهو الشقى الموتور ، قتل أبوه وأخوه فى بدر ، وقتل أشراف قومه وسادتهم . .

وجلس صفوان فى الحجر فى يوم من الايام وحوله ابن عمه عمير بن وهب الجمحى ، وكان شيطانا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله وأصحابه ، ويلقون منه عناء شديدا وهم بمكة ، وكان ابنه وهب قد أسر فى بدر .

وأخذ عمير يذكر مصاب قريش فى بدر ، ويذرف الدموع على قتلاهم ، فقال له صفوان . والله ما فى العيش بعدهم من خير ، فرد عليه عمير . صدقت والله ، أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضياع والهوان بعدى لركبت الى محمد حتى اقتله ، واشمت بالمسلمين فيه ، فان لى قبلهم علة ، ابنى وهب أسير فى أيديهم .

فقام صفوان واقفا ، فرحا جذلان لما سمع ، وما أكرم ما سمع على نفسه ، وقال يغتنم الفرصة حتى لا تفلت من يديه : يا أبا وهب ، يا أخى ، دينك على أنا ، أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى ، أواسيهم ما داموا على ظهر الارض فقال أبو وهب عمير : اكتم عنى شأنى وشأنك هذا ، لا تحدث به أحدا حتى لا يعرف أحد ما أنتويه ورد صفوان فى حماس شديد : أفعل ذلك .

وذهب عمير الى منزله ، فأخذ سيفه ، فشحذه وسممه ، وركب راحلته ، وخرج من مكة يريد المدينة ، والناس يسألونه الى أين تريد يا أبا وهب ؟ فيقول : أريد المدينة لفداء ابنى الأسير .

وقدم عمير المدينة فبينما عمر فى فى جماعة من المسلمين يذكرون ما أكرمهم الله به ، اذ نظر فرأى عميرا قد أناخ راحلته على باب مسجد رسول الله ، متوشحا بالسيف ، فقال لمن حوله : هذا الشيطان عدو الله عمير ابن وهب ما جاء الا لشر ، وهو الذى حرش بيننا ، وكان عينا علينا لقريش فى بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله وهو يقول : يا نبى الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه .

قال : فأدخله على ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه ، فلببه بها ، وقال لرجال من الانصار : ادخلوا فاجلسوا عند رسول الله ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فانه غير مأمون . ودخل به على رسول الله فلما رآه الرسول وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، قال : أرسله يا عمر ، أدن يا عمير .

فدنا عمير من رسول الله ، وجلس فقال له رسول الله : فما جاء بك يا عمير ؟ قال عمير : جئت لهذا

الأسير الذى فى أيديكم ، فأحسنوا فيه .

قال . فما بال السيف فى عنقك ؟

قال عمير : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا ؟ قال الرسول : أصدقنى ما الذى جئت له ؟

قال : ما جئت الا لذلك .

قال : بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين على ، وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ما تريد ، وصعق عمير لما يسمع ليس من أحد يعرف الأمر غير صفوان ، وقد أوصى صفوان بكتمانه عن كل الناس ، ان هذا الا الوحى نزل على محمد من السماء ، واهتزت أعماق عمير ومشاعره اهتزازا شديدا ، وقال أشهد انك رسول الله قد كنا يا محمد نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان ، فوالله انى لأعلم ما أتاك به الا الله ، فالحمد الله الذى هدانى للاسلام ، وساقنى هذا المساق ، وشهد عمير شهادة التوحيد ، والحق ، فقال رسول الله : فقهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، واطلقوا له أسيره .

فصنع المسلمون كل ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال عمير يا رسول الله انى كنت جاهدا فى أطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى حتى أقدم مكة ، فادعوهم الى الله ، والى رسوله ، والى الاسلا م، لعل الله يهديهم ، والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم وأذن له رسول الله .

كل ذلك وصفوان بن أمية فى مكة يصبح ويمسى وهو يقول لمن يلقاه من قومه ، أبشروا بحادثة تأتيكم قريبا فى أيام تنسيكم وقعة بدر ويخرج صفوان الى خارج مكة كل يوم ، يسأل الركبان عن عمير بن وهب وفى أحد الايام لقيه قادم من المدينة ، فسأله عن عمير ، فأخبره انه أسلم ، فرجع صفوان مهموما مغموما ، وهو يحلف لا يكلم عميرا أبدا ولا يؤدى له منفعة أبدا .

وقدم عمير الى مكة ، فأقام يدعو الى الاسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديدا ، حتى أسلم على يديه أناس كثيرون ، وعمير زوج عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى أروى بنت عبد المطلب .

– ٣ –

وجاءت معركة احد ، وقتل فيها عم صفوان ، وهو أبى بن خلف ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فازداد حنق صفوان على رسول الله وحربه وعداوته لله ولرسوله . وكان صفوان فى قلب المعركة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثناء المعركة .

اللهم العن أبا سفيان
اللهم العن الحارث بن هشام
اللهم العن صفوان بن أمية

– ٤ –

وفتح رسول الله مكة فى رمضان من العام الثامن للهجرة ، وأذل الله الشرك والمشركين ، ونكس راية الوثنية والبهتان ، وهدم الرسول صلى الله عليه وسلم الأصنام ، وترددت فى جنبات البيت الحرام شهادة التوحيد

ولكن الفتح لم يمض دون مقاومة من قريش ، لقد أسلم أبو سفيان قبل دخول رسول الله مكة بيوم ، بعد أن رأى بعينيه ما رأى ، وشاهد جيش محمد الذى لا قبل لقريش ومشركى مكة به ، ولا يستطيع أن يقاومه انسان ، وأسلم كذلك سهيل بن عمرو خطيب قريش وأحد أشرافهم وسادتهم يوم الفتح .

ولكن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وجموعا معهم ، قاوموا جيش خالد بن الوليد ، وهو يدخل مكة من أسفلها ، فقتل من المشركين أثنا عشر رجلا ومن المسلمين رجلان .

وبدأ السلام والأمان يعودان الى بلد الله الحرام ، وتردد النداء عاليا :

من دخل دار أبى سفيان فهو آمن

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

ومن دخل المسجد فهو آمن .

وخطب رسول الله الناس ، فأعلن العفو العام حتى عن رؤوس الشرك والضلال ، وقال لهم : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : خيرا .. أخ كريم ، وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

وأرسل رسول الله الى : صفوان بن أمية ، والحارث بن هشام ، وأبى سفيان : فقال عمر : لئن أمكننى الله منهم لأعرفنهم ، فقال رسول الله : مثلى ومثلكم كما قال يوسف لاخوته : ((لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم)) .

وأسلمت زوجة صفوان ، وهى فاختة بنت الوليد بن المغيرة ، وذلك يوم الفتح ، وهرب صفوان الى حيث لا يعرف مكانه انسان الا ابن عمه عمير بن وهب .

وجاء عمير الى رسول الله يقول له : يا نبى الله ان صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليركب البحر الى اليمن فرارا وذعرا ، فهلا أمنته !!

وفى رواية أخرى انه قال لرسول الله : أسألك أمانا لصفوان ، قد هرب ، وأخشى أن يهلك ، وانك قد أمنت الأحمر والأسود ، فأمنه يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وسلم : هو آمن وفى رواية أدرك ابن عمك فهو آمن .

قال عمير . يا رسول الله ، فاعطنى آية يعرف بها امانك ، فأعطاه رسول الله عمامته التى دخل فيها مكة كما يروى ابن هشام : ويروى الذهبى فى ((سير أعلام النبلاء)) أن رسول الله بعث اليه ابن عمه عمير بن وهب بردائه أمانا لصفوان ودعاه الى الاسلام وأن يقدم عليه مكة .

وخرج عمير يريد جدة حيث صفوان قد هرب اليها ينتظر فيها سفينة يركبها ليذهب الى اليمن ، ويعيش هناك بعد أن هزمه الله ، وهزم الشرك والمشركين وفتح مكة على الاسلام والمسلمين .

وأدرك عمير صفوان وهو يريد أن يركب السفينة ودار بينهما هذا الحوار الغريب : يقول عمير لصفوان :

يا صفوان .

فداك أبى وأمى .

الله ، الله ، فى نفسك أن تهلكها .

فهذا أمان من رسول الله قد جئتك به ويرد عليه صفوان :

ويحك ، أغرب عنى ، فلا تكلمنى

قال عمير :

أى صفوان .

فداك أبى وأمى .

أفضل الناس ، وابر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه ، عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه

ملكك ، ويقول صفوان دعنى وطريقى لن أعود أبدا . ويقول عمير :

عد معى الى مكة ، وطنك ، ووطن آبائك وأجدادك ، وأنت أنت ، ابن مكة وشريف العشيرة ، وسيد القوم ، ويقول صفوان : انى أخافه على نفسى . ويرد عمير هو أحلم من ذاك وأكرم ، وينتهى الموقف بنزول صفوان من السفينة ، ثم عودته مع عمير ابن عمه الى بلده مكة .

فلما قدم صفوان على النبى صلى الله عليه وسلم ناداه على رؤوس الناس : يا محمد ان هذا جاءنى بردائك يزعم أنك أمنتنى ، ودعوتنى الى القدوم عليك فان رضيت أقمت ودخلت فى دينك ، والا خرجت فى مدة شهرين لا أتجاوزهما .

فيرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقار وجلال وأناة وحلم :

صدق ، أنزل أبا وهب فيقول صفوان :

لا والله حتى تبين لى فيقول رسول الله : لك أربعة أشهر .

— ٥ —

وبعد قليل يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين فى شوال من العام الثامن للهجرة . وقبل خروجه يذكر له بعض أصحابه أن لدى صفوان أدرعا وسلاحا كثيرا ، فيبعث اليه ، ويقول له وصفوان يومئذ على شركه :

يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا فقال صفوان : أغصبا يا محمد ؟

قال : بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك . قال صفوان : ليس بهذا بأس . فأعطى رسول الله مائة درع بما يكفيها من السلاح .

وخرج صفوان وهو على شركه مع رسول الله الى حنين وانتصر الاسلام فى حنين انتصارا مؤزرا ، وعاد رسول الله صلوات الله عليه بالغنائم والأموال ، ومعه صفوان ، فجعل صفوان ينظر الى شعب ملأى نعما وشاء ، وأدام النظر ، ورسول الله يرمقه ، فقال له الرسول :

أبا وهب ، يعجبك هذا ؟

قال : نعم .

قال صلوات الله عليه : هو لك .

فقال صفوان : ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نفس نبى ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله. وكان ذلك فى آخر ذى القعدة من ثمان .

ويروى عن صفوان : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فما زال يعطينى حتى انه لأحب الخلق الى واستقرض رسول الله من صفوان فى مكة خمسين الفا ، فأقرضه أياها .

وعاش صفوان فى الاسلام يشهد انتصاراته ويحضر أيامه ، ويلقى حروبه فكان فى اليرموك أميرا على كتيبة من كتائب جيش المسلمين .

وكان فى غير اليرموك كذلك مجاهدا بطلا ، وعاش حتى توفاه الله الى رحمته عام ٤١ هـ . رحمه الله . .

طابع الفن الاسلامي

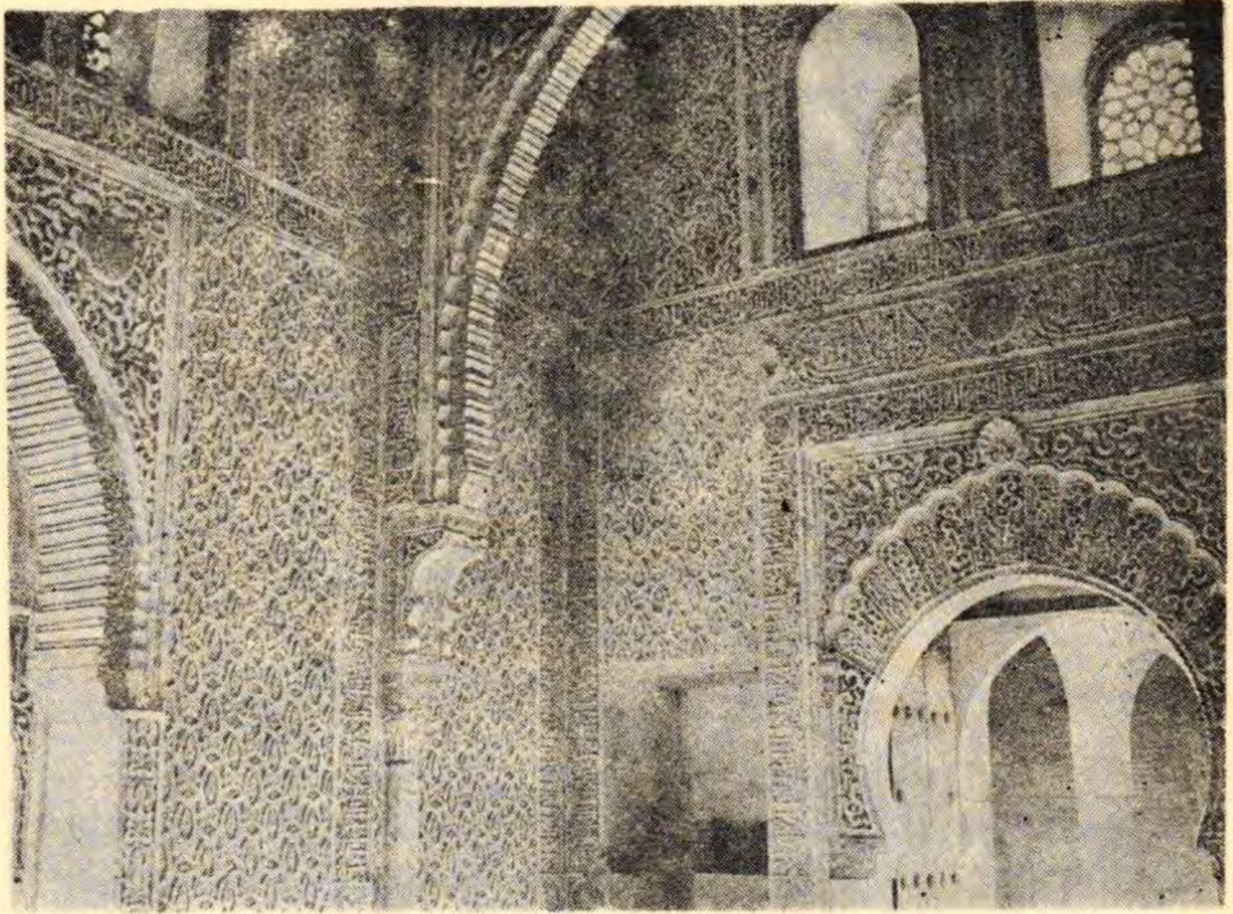
محمد موافي

للأستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

طبع الدين الاسلامى الحنيف الفنون والعمارة الاسلامية بطابعه الخاص وكان تأثيره بالغا فكانت أصول الدين وتعاليمه هى القانون الذى سار الفنان على نهجه ووفق نصوصه لم يحد عنها ولهذا ابتعد عن التماثيل وتصوير الاشياء التى تعتبر فى نظره تقليدا للبارى سبحانه الذى هو خالق كل شىء ، كما امتنع الفنان عن الرسوم الآدمية والحيوانية احتراما لأوامر الدين ونظمه واعتمد فى الفن الزخرفى على رسم أوراق الاشجار والازهار وما تفرع منها وعلى اجزائها الى جانب الزخارف كأغصان الاشجار والأزهار والوريقات ، فسرت فى أعطافها مرونة تكاد تبعث فيها الحيوية ، وتجلت عبقرية الفنان فى التأليف بين الالوان المستخدمة فى الطلاء بطريقة تبهج النظر وتريح العين .

الفن المعمارى .

ابتكر المعمار المسلم نظام المسجد على نسق مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة الذى شيد على مساحة مربعة الشكل محاط بجدران من الآجر والحجر وكان سقفه قد غطى بطبقة من الطين وجاء تصميم المسجد بسيطا كبساطة الدين وابتكارا اسلاميا خالصا اذ وضعت



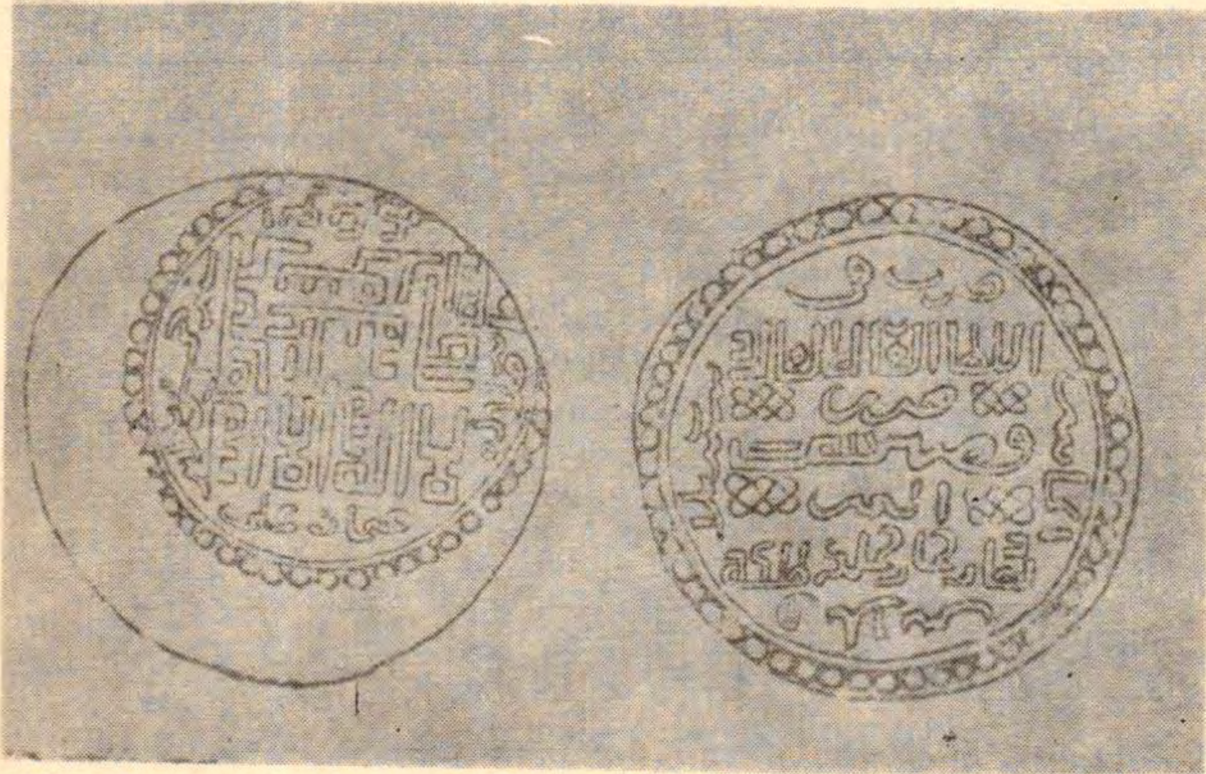
النقوش الرائعة داخل المحراب تحف بها الزخارف النباتية المورقة وتظهر الآيات القرآنية فى مناطق الاطار .

سقيفة للمسجد جهة الشمال حيث كانت القبلة الاولى للمسلمين نحو بيت القدس فلما أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام ان يتجه فى صلاته الى مكة بالجنوب أقيمت سقيفة فى هذه الناحية وأصبح للمسجد ظلتان أولاهما ناحية الشمال والثانية ناحية الجنوب ودفعت سنة التطور أن يصل المعمار بين السقيفتين بظلتين احداهما شرقا والثانية غربا وعلى هذه الصورة جاء المسجد الاسلامى الاول ايوان فى كل جانب يحف بصحن فى الوسط مكشوف وعلى مثال مسجد المدينة اقتبست المساجد فى كل الامصار الاسلامية وتطور الامر مع رخاء الامبراطورية الاموية فاستبدلت الاعمدة بدلا من جذوع النخل وزخرفت الاعمدة بالتيجان والجص كما زينت بطون العقود بكتابات من القرآن الكريم وأضيفت المآذن والقباب فى العصور التالية وعمد المعمار الى الاهتمام بالمسجد وتزيينه فصار ملتقى للناس من كل صوب وحتى يليق بما وصلت اليه الدولة من قوة ولا يجوز أن يقل فى رونقه وعظمته عن المعابد غير الاسلامية فى الطراز الزخرفى . وكان الخط العربى العنصر الاول فى الزخرفة فقد ساعد الخطاط لمرونته وقابليته للمد والانثناء والاستطالة والاستدارة التى تكسبه درجة كبيرة من الابداع والاتقان ، وقد استند الخط الى أصول هندسية وقواعد رياضية أصلها الالف وهى خط مستقيم يعتبر قطر الدائرة

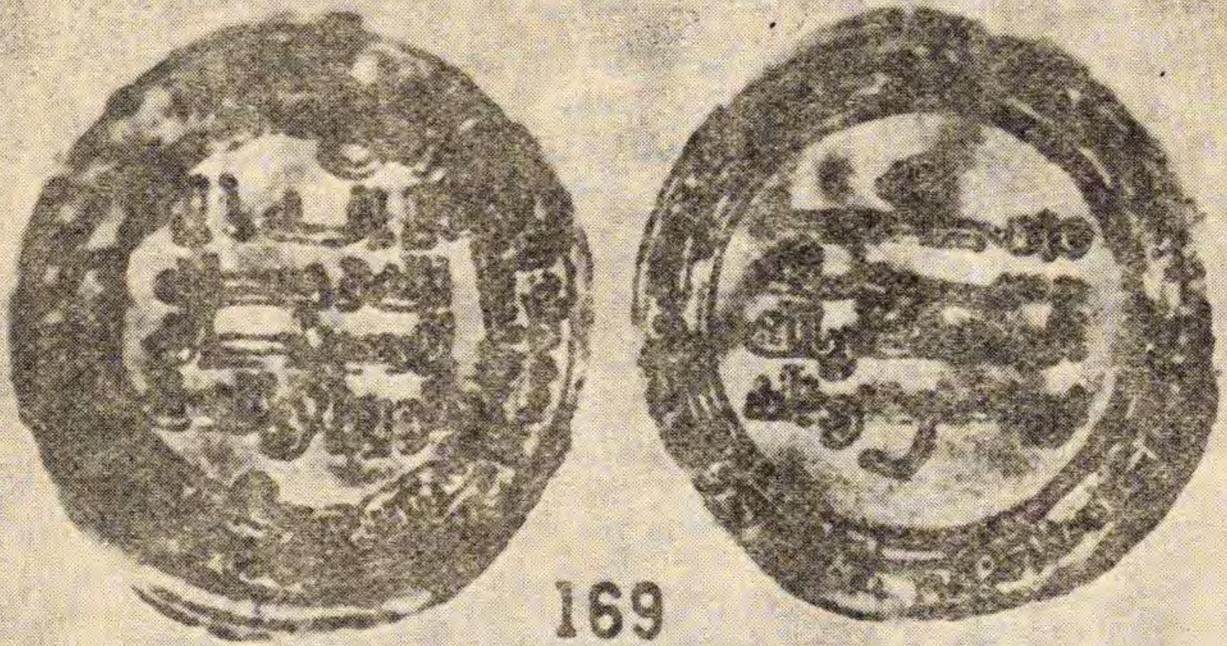
وبقية الحروف أجزاء منها تحيط بها ولو أعيدت جميع الحروف الى التسطيح وأزيل تقوسها لكانت من الالف بنسبة معينة ثابتة ولم يقتصر استخـدام الخط العربى على كتابة المصاحف والاحاديث النبوية وأوامر الخلفاء بل زينت به المساجد والمبانى ، وانتقل الى العمائر الاوروبية كأسلوب زخرفى وقد وضعت المدرستان الشامية والعراقية النظم والمقاييس للخط العربى وعمدت المدرسة المصرية الى تجويده ، وابتكرت منه خط الطومار بأنواعه النسخ والثلث ، وابتدعت المدرسة العثمانية بعد استقدامها لأمهر الخطاطين العرب أنماطا جديدة منها خط الرقعة والديوانى والاجازة والهمايـونى واستحدثت فى الدولة التيمورية التى حكمت شرق الدولة الاسلامية خط التعليق الذى تجلت فيه الحياة والحركة وابتدعت خط النستعليق الذى جمع بين النسخ والتعليق وتميز بالخفة والسلاسة والمطاوعة .

الزخارف النباتيـة :

يعمد الفنان المسلم الى استخدام الزخارف النباتية والبعد بها عن الطبيعة وعمد الى تطويرها ، فاستطالت الاغصان وتحورت الاوراق بطريقة انفرد بها الفنان وتميز بها ، وأصبحت سمة للفن الاسلامى على أنه جمع بين



عملـة تيمورية



الخط والزخرفة فأخذ يجمل فى الحروف ويعدل فى أشكالها ويصعد ببعض أجزائها ويحذف منها ما يتنافى مع أصول الزخرفة من تناسق أو تقابل أو تناسب ويملأ ما بين سيقان الحروف بوحدات زخرفية كما ينهى الحروف بوريقات نباتية زادت الحروف بهاء وجمالا وهكذا بدت عظمة الفن الاسلامى فى الخط الكوفى المشجر (المزهر) والارابسك والزخارف النباتية التى امتلأت بها تيجان الاعمدة فى المساجد والقصور .

وأبدع الفنان المسلم فى استخدام العناصر الهندسية كالدوائر المتشابكة والأشكال المتعددة الاضلاع كالمثمن والمعين واهتم بالجمع بين الرسوم الهندسية والنباتية والخط الكوفى فى نظام وتناسق بديع يدل على ذوق وأحساس مرهف .

الجص :

وتميز الفن الاسلامى باستخدام الجص على أوسع نطاق فى تزيين عقود المبانى والجدران على هيئة طراز يجرى عليها بالزخارف الهندسية أو النباتية أو بالكوفى أو على هيئة مناطق مستديرة أو معينة بداخلها زخارف نباتية رائعة ، وقد ظهر استخدام الجص فى تسافرا التى شيدها الخليفة المعتصم العباسى عام ٢٢١ هـ ثم أنتقل الى مسجد ابن

طولون بالقطائع ، ثم تطور فن الزخرفة بالجص فبلغ درجة عالية من الاتقان فى العصر المملوكى فاستعمل فى سد النوافذ كما ملىء الفراغ والثقوب بالزجاج الملون .

وانفرد الفنان الاندلسى خاصة بتغطية المساحات كلهــا بالرسوم واستخدام الخط الكوفى ذى الحروف المتشابكــة . ويظهر هذا فى قصور غرناطة الى جانب الاسراف فى استعمال المقرنصات (الدلايات) بصورة لم يسبق لها مثيل ، ومن أجمل القباب قبة قلاوون بالقاهرة التى ملئت فتحات النوافذ فيها بالبرونز والجص وتتجلى فيها براعة الفنان وحذقه فى أبهى صورة ويخال من يشاهدها أنها قطعة نسيج تفنن النساج فى تطويرها كما طعمها بقطع من الفسيفساء التى تبدو كعش النحل أو الرواسب الكلسية التى تكونها الطبيعة فى الجبال بسقوط نقط من الماء من أعلى الكهوف فتتدلى فى صورة بديعة وفى الحفر على الخشب اهتدى الصانع الــى طريقــة التعشيق والتجميع والخرط ويعتمد على تزيين الاسطح المراد تزيينهــا بحشوات من الخشب تقطع على أشكال هندسية منتظمة من مثلثات أو مربعات أو مخمسات أو مسدسات أو مثمنـــات وتثبت بطريقـــة التعشيق .

١ ــ استغل الخطاط الكوفى عنصرا زخرفيا فخرجت من أطرافــه سيقان نباتية ووريقات ذات فصوص وتجمع الحشوات معا فوق السطح ليتكون منها زخارف هندسية أو نباتية ، وقد استخدم اسلوب الخرط فى عمل المشربيات فى المساكن فى العصر المملوكى ليسمح بدخول الهواء والضوء فى فصل الصيف ويمكن السيدات من رؤية ومشاهدة من فى الخارج ولا يراها المارة ، وقد تطورت صناعة الحفر عــلى الخشب أيــام الطولونيين والفاطميين لكنها وصلت الى الذروة فى الاتقان فى العصر المملوكى وفى المتحف الاسلامى بالقاهرة نماذج لهذا النوع كتابوت الامام الشافعى الذى عنى الصانع بزخرفته وتنميقه وهو يزدان باشكال نجمية غاية فى الدقة والجمال وتزينه كتابات كوفية ونسخية رائعة وتتألف جوانبه وغطاؤه من حشوات صغيرة منقوشة بزخارف نباتية بديعة .

الصناعات الخزفية والزجاجية .

وكان أثر الدين السمح واضحا فى صناعة الخزف والاوانى الزجاجية مما دفع الصانع المسلم للنهوض بهذه الصناعة وابتكار أنواع جديدة مــن الخزف ذى بريق معدنى يضاهى الاوانى الذهبية التى كره المسلمــون استخدامها فظهر نوع من الخزف ذى البريق المعدنى جاء بتوجيه الدين ووحيه فأمعن الصانع فى انتاج خزف له جمال الذهب وبريقه ، وذلك بتغطية الخزف بطبقة شفافة من الميناء القصديرية ترسم عليها الزخارف بأكاسيد معدنية بعد حرقها وآنذاك تتحول الأكاسيد باتحادها مع الدخان الى طبقة

معدنية دقيقة ، وهكذا ابتدع الصانع المسلم طلاء مشتقا من أكسيد الفضة عرف بالبريق المعدنى كما اكتشفوا فى صناعة الزجاج طريقة التذهيب بوضع الزخارف على الاناء بالريشة عند رسم الخطوط الخارجية وبالفرشاة فى المساحات الكبيرة ، وبعد حرق الاناء للمرة الاولى يحدد موضع الرسم باللون الاحمر ثم يطلى بالميناء التى تعتمد على الاكاسيد المعدنية كما ابتكروا مزج ذرات الذهب بالزئبق وتوضع الاوانى بالافران فيحترق الزئبق فيبقى الذهب عالقا فى صورة رائعة وهكذا استطاع الفنان والمعمار المسلم أن يظهرا نبوغهما وتفوقهما فى رسوم معبرة تتمشى مع تعاليم الدين وتقاليد الاسلام وأصبح الدين مصدر الالهام والوحى للفنان لا يحيد عنه فاعتمد فى رسومه على الزخارف النباتية والهندسية لعمق العقيدة الاسلامية فى الفنان والمعمار عبر العصور الاسلامية .

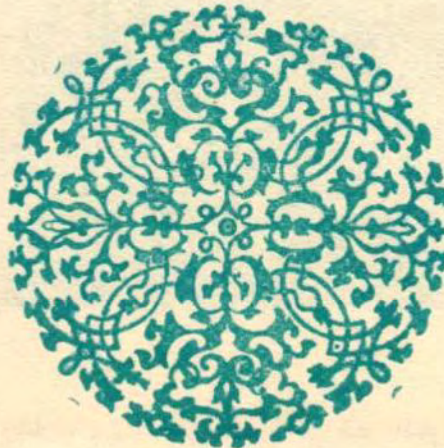


زخارف من الجص المفرغ فى قعر الطوبة .

وفى القرن الثامن عشر أى بعد حوالى قرن ردد « جان جاك روسو » ــ الذى يعتبر بحق أبا الديمقراطية الحديثة فى أوروبا ــ آراء « هوبز » ولكن بصورة مختلفة ، فاذا كان المفكر الانجليزى « هوبز » يرى أن الجماعة ليست من فطرة الانسان وانما اضطر اليها بحكم حاجته الى الاستقرار وتبادل المنافع ، وان حالة الانسانية الاولى كانت فى شقاء دائم ، وان الانسان كان يعيش فى جو ملىء بالصراع والنزاع وعدم الاستقرار ... فان « روسو » كان ينادى بالرجوع الى عهد الفطرة ، والى حياة الطبيعة ، لأنه عهد تساوى فيه الناس جميعا ، ولم يعش أحدهم عالة على الآخر ، ولم يكدس بعضهم المال على حساب الآخرين ، وانما عاش الناس جميعا فى أحضان الطبيعة ، وتمتعوا بخيراتها على قدم المساواة .

ومهما اختلفت وجهة النظر الاوروبية فى حالة الانسان قبل أن يهتدى الى اشكال الحكومات وهل كانت الانسانية شقية أو سعيدة ، فان نشأة الحكومات ، أو العقود السياسية فى الفكر الاوروبى انما نشأت نتيجة للوهم والافتراض والتخيل . أما الفكر السياسى الاسلامى ، فقد نشأ نتيجة للواقع ، وتطور الأحداث التاريخية ، كما حدث فى اجتماع السقيفة فالعقد السياسى الاسلامى نشأ فى وضح النهار ، نتيجة لهذه الارادات الانسانية الحرة فهو عقد حقيقى وليس عقدا خياليا كهذا الذى تصوره « هوبز وروسو » بعد الاسلام بقرون طويلة .

فما أحوجنا نحن المسلمين ، أن نفكر فى تراثنا الفكرى الاسلامى ، ونبعثه فى ثوب جديد ليقف شامخا أمام الفكر الأوربى الذى يغزونا فى عقر دارنا ، ويحاول أن يوهمنا بأن أصالته لم تسبق ، مع أن الفكر الاسلامى فى الحقيقة أسبق منه بحوالى عشرة قرون فى فكرة العقد السياسى مع الفارق الكبير فى الأساس الذى قامت عليه فكرة العقد السياسى فى الاسلام ، والعقد السياسى فى الفكر الأوروبى كما كشف عن ذلك هذا المقال .



الفتاوى

معاملة الأولاد

رجل يملك ثروة من عقار ومال ، وعنده زوجة ، وأولاد ، منهم ذكور ، ومنهم اناث ، وقد زوج بعض بناته ، وعلم بعض أولاده الذكور والمرجو الاجابة على الأسئلة التالية :

١ — هل يجوز له أن يحرم بعض أولاده العاقين ؟
٢ — هل يجوز له أن يحرم الولد الذى علمه وأصبح له وظيفة ؟
٣ — هل يجوز له أن يميز بعض أولاده ؟
٤ — هل يجوز له ان يخص بشىء من المال الصغير من أولاده ومن لم يكمل تعليمه منهم وكذلك البنات اللاتى لم يتزوجن ؟

الاجابة :

يجب على الوالد أن يسوى بين أولاده فى العطية والهدايا والانفاق قدر استطاعته ، ولا يجوز له أن يفضل بعضهم على بعض الا لمبرر ، فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((سووا بين أولادكم ولو بشق تمرة)) ، وأمر عليه الصلاة والسلام ألا يفعل الانسان شيئا يحمل أولاده على عقه ، فقال : ((لعن الله ما استعق ولده)) .

واذا أنفق الوالد على أحد أولاده نفقة ذات قيمة بأن زوجه ودفع له مهر الزوجة ، أو أنفق على تعليمه حتى أوصله الى وظيفة ذات غناء أو جهز احدى بناته كان عليه أن يعوض سائر ولده الآخرين بمقدار ما أنفقه على ولده الأول .

ويجوز تفضيل بعض الأولاد على بعض لمبرر شرعى ، ومن المبررات الشرعية العاهات المانعة من الكسب كالعمى والشلل ، وكذلك العجز عن التكسب .

الحلف بالنبى

السؤال :

بعض المسلمين يحلف بالنبى ويقول (وحياة النبى) فهل هذا يمين له كفارة عند الحنث ، وما هى الكفارة ؟

الاجابة :

قال صلى الله عليه وسلم : ((من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)) ومعنى

هذا أن الحلف بغير الله لا يجوز ، ولا يلزم كفارة لأنه ليس يمينا شرعية .

ليلة النصف من شعبان

السـؤال :

هل ورد فى فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث صحيحة ، وهل يسن فيها صلوات خاصة ودعاء مخصوص ، ثم هل هى الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم .

الاجابـة :

أقوال اكثر المفسرين على ان الآية الكريمة « انا انزلناه فى ليلة مباركة » تعنى ليلة القدر ، وانها ليست ليلة النصف من شعبان .

والدعاء المعروف بدعاء ليلة النصف ليس له مستند صحيح فى السنة ، والصلوات المخصوصة التى يصليها بعض الناس فى ليلة النصف ليست من عمل السلف الصالح وحديث « اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا ، فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتل فأعافيه ، ألا سائل فأعطيه ، ألا كذا ألا كذا .. ألا كذا حتى يطلع الفجر » والحديث المروى عن السيدة عائشة فى فضل هذه الليلة . لا شىء من هذين الحديثين صحيح .

فليلة النصف من شعبان ليست هى الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، ولم يرد فى فضلها ولا فى احيائها بالصلوات حديث يعول عليه ، والدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف لا أصـل له .

الدعاء فى الصـلاة

هل تصح الصلاة اذا دعا المصلى فيها بأدعية دنيوية وأخروية كأن يقول : « رب اغفر لى وارحمنى ونجح فلانا ، ووفقنى فى بيع السيارة » .

الاجابـة :

مذهب المالكية ان الدعاء فى الصلاة جائز بكل ما يشاء الداعى مما يجوز شرعا الدعاء به ، ولو كان الدعاء بأمر دنيوى من اللذائذ والنعيم ، وأصح مذهبى الشافعية والحنابلة كمذهب المالكية .

والحنفية لا يجيزون الدعاء فى الصلاة بما يشبه كلام الناس ومعـاشهم الدنيوى .

السيد البدوى

السيد البدوى أحد الصوفية المعروفين ، وله شهرة كبيرة فى مصر وغيرها من الدول الاسلامية فما اسمه الحقيقى .
اسمه أحمد بن على ابراهيم ولقبه البدوى لأنه كان يلبس اللثام على عادة بدو شمال افريقيا . ولد بفاس ، وحج طفلا مع أبيه ، وذهب الى العراق ثم دخل مصر واستقر بطنطا ، وبها توفى ، وله طريقة تعرف بالأحمدية وشارة أتباعه العمامة الحمراء والعلم الأحمر .

الرتب العسكرية

فى الجيوش رتب عسكرية مختلفة كل رتبة منها تدل على درجة حاملها ومهمته ، فهل عرفت الجيوش الاسلامية فى العصور الأولى هذه الرتب .
أول نظام وضع لتحديد مراتب الجيش الاسلامى كان فى أيام عمر بن الخطاب حين أنشأ الديوان لضبط عطاء الجيش ، فجعل الناس أعشارا على كل عشرة عريف ، ولما اختطت الكوفة والبصرة غيرت العرفاء والأعشاء ، وجعلت أسباعا وفى أيام الخليفة الأمين جعل على كل عشرة عريفا ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيبا ، وعلى كل عشرة نقباء قائدا ، وعلى كل عشرة قواد أميرا .
ولم تكن الرتب العسكرية ثابتة أو متشابهة فى جميع الدول الاسلامية ، ففى مصر أيام السلاطين المماليك قسمت كالآتى :

الطبقة الأولى : أمراء المئين ، ويقال لهم : مقدمو الالوف ، وكانت عدة كل منهم مائة فارس ، وله التقدمة على ألف فارس .
الطبقة الثانية : الأمراء ، وعدة كل منهم فى الغالب أربعون فارسا يكونون فى خدمته .

الطبقة الثالثة : أمراء العشرات ، وعدة كل منهم عشرة فرسان يكونون فى خدمته .
الطبقة الرابعة : أمراء الخمسات .
ولما استحدثت النظم العسكرية فى الدولة العثمانية ابان القرن التاسع عشر أخذت بها بعض الدول التى كانت خاضعة لها ، واستخدمت فى الدول العثمانية الرتب التالية : (١) الملازم الأول والثانى (٢) اليوزباشى ، وهو الرئيس اليوم ، (٣) الصاغ وهو الرائد (٤) البكباشى وهو المقدم الآن (٥) القائمقام وهو العقيد (٦) أميرالاى وهو العميد (٧) اللواء وهو الزعيم فى بعض البلدان العربية ، (٨) الفريق أو قائد الفرقة (٩) المشير هو أكبر الرتب العسكرية .

بـــدوح

الســؤال :

كثير من أصحاب الرسائل يكتبون على ظروفها كلمة بدوح فما أصل هذه الكلمة ، وما السر فى كتابتها؟

الاجابــة :

ان التجار وأرباب الرسائل والأموال فى بلاد العرب كانوا يكتبون تلــك الكلمة على بضاعتهم ورسائلهم تحصينا لها من الضياع اذ يعتقدون أن تاجرا من أهل الحجاز كان يسمى بدوحا ، وكان التجار من أهل عصره اذا وجهوا تجارتهم الى بعض الجهات نهبها اللصوص الا ذلك التاجر فان بضاعته ورسائله لا يتعرض لها أحد بسوء ، فتصل سالمة ، وما أن توفى هذا الرجل حتى أخذ أولئك التجار يضعون اسمه على بضاعتهم ورسائلهم ، فكانت تسلم من الأذى ، وكانــوا لا يكتبونه بالحروف ، بل مما يقابلها من الأرقام ، فى حساب الجمل هكذا (٨٦٤٢) وكثير من الناس قديما كانوا يرقمونه على فصوص خواتمهم للتيمن ورفع الأذى .

تعقيــب

تعقيبا على مقال (حكمة الاسلام فى تحريم لحم الخنزير) للزميل الدكتور أحمد شوقى الفنجرى بالعدد ٧٨ من السنة السابعة أود أن أضيف الآتى :

١ ــ أن لحم الخنزير له عدة أسماء مما يجعل كثيرا من المسلمين حسنى النية يقعون فى استعماله بدون قصد :

أ ــ الاسم العادى له	(يورك) .
ب ــ الاسم الثانى	(باكون)
جـ ــ الاسم الثالث	(هام)

ويكثر وجود الباكون والهام فى أسواق الكويت والبلاد العربية ويخلط فى غذاء الأطفال .

٢ ــ لو خطرت فكرة اقامة مزارع للحم الأغنام بالذات على أى مسلم غيور ويقوم بتنفيذها فى بلد مثل بريطانيا أو فرنسا حيث تكثر المراعى فالى جانــب الربح الطائل فان كثرة وجود لحم الأغنام سيحل بالتدريج مكان لحم الخنزيــــر حيث شاهدت الألوف من الانجليز يقبلون على أكل لحم الأغنام ولولا أنه مرتفع السعر لكان فى متناول الجميع ، فكل الشعوب الاوروبية شعوب مادية بحتة ولو توفر لها ذلك لأقلعت عن أكل لحم الخنزير ــ وهذا طبعا اقتراح يحتــاج لبضع ألوف من الدنانير لكى يبدأ .

هذا ما أردت أن أذكره والله ولى التوفيق .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(دكتور : فاروق محمود مساهل ــ مجمع الجهراء ــ الكويت) .

بأقلام القراء

حقيقـــة الاسلام

تحت هذا العنوان يقول الأستاذ ـ فكرى زكى الجزار ـ الاسلام روح وجسد .. فاذا ما انفصلت روحه عن جسده فلا وجود له البتة ، ولن يجـدى نفعا فى دنيا الناس ... فحينئذ تتقاذفه السنـــة السفهـاء بأنه لا صلـــة لـه بشئون الناس ونظم الحياة والمجتمع يقولون ذلك لأنهم يرونه شيئا ناقصا ... أو بمعنى آخر يرونه جسدا بلا روح ، أو روحا بلا جسد .

ولكن ما روح الاسلام ... وما جسده ؟

ان روح الاسلام هو ـ التوحيد الخالص من الشوائب الذى يبعث فـــى نفس الانسان العزة والكرامة ويضىء فى قلبه نور الايمان الحق ، والمعرفـــة الصادقة .

ولن يكون التوحيد ساميا الا اذا أفردنا المكان الاول لله فى قلوبنا ، وكنا على قلب رجل واحد ، ونهجنا فى الحياة كما يخاطبنا الله بقوله جل شأنه ((**وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)) ((وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون))** .

تلك هى حقيقة التوحيد .. وأسمى ما جاء به الاسلام ، وأجل ما يؤمن به الناس ويهتدون بنوره فى مدلهمات الحياة .

أما جسد الاسلام فهو ـ هذه القوة الكبرى ، والسبيل الاوحد الذى يحفظ للاسلام شريعته وينفذ أحكامه بين الناس ، هذا الجسد هو الهيئة الحاكمة التى تحكم بما أنزل الله ، وتهتدى بنور الاسلام فى دياجير الحياة ، وظلمات الطغيان والفساد ... طغيان الاغنياء وفساد الفقراء .

فالغنى اذا لم يجد قوة حاكمة تردعه عن تبديد أمواله واستئثارها لذاته ـ دون الفقراء ـ طغى بماله واستبد بجاهه ، وظلم الفقير حقه .. وتلك أهم سبل الفساد والاضطراب الاجتماعى .

والفقير اذا لم يجد من يحميه ويحفظ له حقه ، ويقوم برعاية شئونه ... فسد فى الارض وابتغى حقوقه من سبيل السرقة والنهب والافسادفى الارض وناهيك ما يحمله قلبه من حقد وضغينة لاولئك الذين ينعمون بالمال ، وينفقونه فى سبيل لذاتهم الدنية ، ومآربهم الذاتية .

لذا يمزج الاسلام بين الدين والدولة ـ لينال كل ذى حق حقه فى الحياة ـ فالدين والدولة جزآن لا يفترقان ، وكما ان الدين جزء من الدولة فالحكومة جزؤه الثانى ، بل هو الجزء الاهم .. وصدق الـــذى يقول .. ان الله يـــزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

وحــدة الأمــــة

وتحت هذا العنوان يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند :

ان الله عز وجل أمرنا بالاعتصام بالدين والاجتماع عليه ، ونهانا عـــن التفرق والاختلاف ، وحثنا على الأخذ بأسباب الاجتماع والائتلاف ، وشرع لنــا عبادات واوجبها ، وجعلها منأقوى أسباب الاجتماع ، يلتقى المسلم مع أخيــه المسلم ويعرفه . يعرف ما هو عليه من صحة واستقامة وما يحس به ويتألم منه فينصره أن كان مظلوما أو ظالما ويواسيه ان كان محتاجا ويرشده الى الخيــر ويعينه عليه .

والشيطان والعياذ بالله منه حريص كل الحرص على تثبيط المسلم وصرفه عن الخير وعن كل ما ينفعه والانسان مهدد من ناحيتين ناحية التفريط والاهمال والتثاقل عن أداء الواجب وناحية الافراط والزيادة والغلو فى الدين فاذا عرف الشيطان ميل العبد الى الكسل والتفريط وعدم المبالاة بالاوامر دخل من هـــذا الباب فأضعف عقيدته وجعله يتهاون بأوامر الله وشرعه فلا يؤدى الواجبــات كاملة ولا يحافظ عليها .

واذا وجده يميل الى الغلو والزيادة والافراط دخل من هذا الباب فلا يزال به حتى يخرجه من حدود الدين ويزين له أعمالا ليست مشروعة ولا هى من الدين فيتعبد ويتقرب بعبادات وأعمال لم تشرع ولم يأذن بها الله تعالى فترد أعماله عليه وتضربه حيث لم يكتف بما شرعه الله له على لسان رسوله محمد صلــى الله عليه وسلم ، وكلا الطرفين قبيح ، ومذموم والشيطان عدو الانسان لا يبالى بأيهما ظفر من العبد اذ غرضه اضلاله وافساد عمله .

ان المسلمين اليوم فى حالة يرثى لهــا تفكــك فى المجتمــع وأختلاف فى المشارب وجهل فى الدين واعراض عنه واهمال للمصلحة العامة واقبال علــى المصالح الخاصة وشح فى المال واسراف فيه وفساد فى الاخلاق واقبال عــلى الملذات والشهوات وتقليد الكافر الأجنبى فى كل مــا جاءنا به ، وتخــاذل .. وتباغض بين الاخوان وتقاطع فى الارحام بانتقاض عرى الاخاء بين عمـــوم المسلمين وانصراف كل فرد الى هواه وشهوته ثم فشل وضعف زلزلا كيـــان المسلمين وذهبا بمجدهم وجعلاهم فى ديارهم أذلاء وفى مواطنهم غرباء وفــى دينهم ضعفاء وكل فرد منهم بعيدا عن أخيه وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية فأين نحن مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ثم شبك أصابعه . رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

ان عصرنا الحاضر يطلب من المسلمين أن يتمسكوا بدينهم فالدين الاسلامى هو الدين لم يتغير ، وان أول شىء يجب علينا عمله هو العمل بالصالحــات والتواصى بالحق والتواصى بالصبر وان كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمــد صلى الله عليه وسلم يرشدنا الى سلاح ماض وجيش غلاب ــ وعدة قويــة تنفعنا فى البأساء والضراء وتدفع عنا كيد الاعداء الكافرين وتحررنا من ذلــة الاستعباد وتبوؤنا المكانة السامية تلك هى تمسكنا بقول لا اله الا الله والعمل بمعناها والله المستعان .



عناية المغرب بحفظ القرآن

والحديث

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الميثاق المغربية تقول :

نشرت الصحف اخيرا أعلانا عن مباراة جديدة لحفظ الاحاديث النبوية الشريفة تشرف عليها وتنظمها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، والفكرة فى حد ذاتها فكرة طيبة وصائبة وخطوة مباركة موفقة تهدف أولا وقبل كل شىء الى احياء أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ودفع الهمم لحفظها عن طريق التشجيعات الادبية والجوائز النقدية الهامة بعد ما أصبح حفاظ الحديث أقلية قليلة أعز من بيض الانوق كما يقال .

ولعلنا بهذا العمل نريد أن نتلافى بعض النقص الذى أحسسنا به وهو ضياع الحديث من صدورنا بعد ما كان المغاربة مضرب المثل فى حفظ الاحاديث بمتنها وسندها وسبب ورودها ويوم أسست دار الحديث الحسنية تفاءلنا وتبادر الى ذهننا ان هذه الدار ستخرج مجموعة من الحفاظ يباهى بهم المغرب الاقطار العربية والاسلامية بالاضافة الى تبحرهم وتضلعهم فى علوم التفسير والحديث ، واذا كنا نبارك هذه البادرة الطيبة من طرف الوزارة ، ونثنى عليها أحسن الثناء فاننا نود أن تولى نفس الاهتمام الى حفاظ القرآن الكريم وتهيىء لهم جوائز هامة فى كل مناسبة دينية فالمغرب كما عرف فى مختلف العصور بحفظ أبنائه للاحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله عرفوا بحفظهم للقرآن واستظهارهم لسوره وآياته والالمام بقواعد تجويده وطرق رسمه والاهتمام بعلم القراءات وعرضها وكانوا من أكبر الباحثين والمؤلفين فى العلوم التى لها اتصال بالقرآن ، ولقد أسست فى عهد المرينيين مدرسة السبعيين بفاس لمن يحفظ القرآن بالقراءات السبع والمكتبة القرآنية بالمغرب زاخرة بالمؤلفات المخطوطة والمطبوعة فى هذا الموضوع ، لكن الذى نخشاه اليوم ان يضيع القرآن من الصدور كما ضاع الحديث منها ، وان يصبح الذين يحفظون القرآن كله حفظا متقنا مستوفيا لشروط التلاوة كحفاظ الحديث لا يتجاوزون أصابع اليد .

ان الحقيقة المرة التى نعلنها ونجهر بها هى أن حفظ القرآن فى تناقص مستمر ، وان الجيل الصاعد لا يحفظ من القرآن قليلا ولا كثيرا ، والكتاتيب القرآنية المؤسسة حديثا لم تؤد دورها الذى أسست من أجله ، ولعلها بوضعها الحالى أن تكون عرقلة كبرى فى وجه من يرغب فى حفظ جزء كبير منه وخسارتنا

فى ضياع القرآن من صدورنا خسارة عظمى لا تعوض ، فعلى الذين يحاولــون انقاذ التراث وبعث الامجاد ان يعيدوا النظر فى وضعية القرآن ووضعية البقية الباقية من حامليه وذلك بتأسيس المدارس القرآنية والعناية بها والسهر عليهــا وتخصيص المنح والجوائــز لطلابها ، ورد الاعتبــار لحفظة كتاب الله بتحسين وضعيتهم وتوظيفهم واسناد المناصب الدينية المناسبة لهم على غرار ما هو موجود بالاقطار الشقيقة كالجزائر وليبيا .

ان الفراغ الروحى الذى نشعر به فى أعماق نفوسنا لا يأتينا من الشرق ولا من الغرب وانما يأتينا من ابتعادنا عن القرآن ولئن تقاعسنا عن وضع القرآن فى اطاره اللائق به كدستور سماوى وقانون الهى نحتكم اليه فى معاملاتنا وشؤوننا فلن نتقاعس عن وضعه فى متناول أطفالنا وابنائنا ليستظهروه كله أو بعضه وأخشى ما أخشى أن يصدق علينا قوله تعالى **((ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى))** .

الاسلام والحضارة

نشرت مجلة الحوادث البيروتية حديثا مع العقيد معمر القذافى جاء فيه : البعض يتساءل هل لدى الاسلام ، ما يقدمه للحضارة الانسانية فى أزمتها الحاليــة .. ؟

وبكل الحماسة الممكنة لرئيس دولة اجاب :

ــ مؤكد .. ان الحضارة العالمية اصبحت كالانسان الآلى .. كتلة من الصلب ، ولكن بلا روح ، بلا قيم .. والاسلام يستطيع أن يمنحها ما هى بحاجة اليه .. شرط أن يرتفع الانسان الى مستوى الاسلام . المشكلة ليست فى تخلف الاسلام عن احتياجات العصر ، بل فى تخلف الانسان المعاصر عــن مستوى الاسلام ، مستوى فهم الاسلام .

تؤكدون اذن على دور العقيدة فى بناء الدولة العصرية ؟

ــ مؤكد .. لا وجود حقيقيا لاى دولة أو حركة قومية بلا عقيدة ، العالم كله يبحث عن نغمة روحية تبعث الحياة فى الهيكل الآلى الميت الذى يوشك أن تتحول اليه البشرية .

ومهما وصل الانسان من تقدم ، وحلق فى الفضاء فلا بد من أن يعود الى الله ، أننى على ثقة من ذلك ، وقد أبرقت بهذا المعنى الى الاتحــاد السوفيــاتى معزيا بوفاة رواد الفضاء . ولكنهم لم يذيعوا البرقية !

أخبار العالم الاسلامي

اعـــداد الاستاذ : عبد المعطى بيومى

الكويت : يدرس مجلس الوزراء موضوع تقديم الدعم المـالى لمشروع أقامـة مدرسة لتعليم اللغة العربية ومبادىء الدين الاسلامى لابناء الجاليات الاسلامية فى واشنطن .

● عاد معالى الاستاذ راشد الفرحـان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية من زيارته الرسمية للاتحاد السوفيتى حيث تفقد خلالها أحوال المسلمين هناك .

● احتفلت الوزارة بليلـة الاسراء والمعراج فى مسجـد السوق الكبير وألقى معالى الوزير كلمة مناسبة فى الحفل .

● أبدت الوزارة اهتمامها بالمعهد العالى للدراسات الدينية الذى أفتتح فـى طشقند وستمده بالكتب الاسلامية .

● قامت الوزارة بتوزيع الجزء الثانى من كتاب ((المطـالب العالية بزوائـد المسانيد الثمانية)) على الهيئات والمهتمين بالثقافة الاسلامية .

● شاركت الوزارة عن طريق المحاضرات وخطب الجمعة فى الاحتفال باليـوم العالمى لمحو الأمية .

● زار البلاد وفد من المركز الاسلامى الاسبانى للتباحث فى أمـور ثقافية .

● قررت الوزارة تزويد (١٠٠) مسجد بأجهزة تكييف الهواء .

● تبدأ الدراسة فى دار القرآن الكريم فى الشهر القادم .

● تستضيف الوزارة عدداً من كبار علماء المسلمين والقراء لاحيـاء الموسم الثقافى فى شهر رمضان القادم .

القاهـرة : وافق الشعب العربى فى مصر وسوريا وليبيا على اتحاد الاقطار الثلاثة فى دولة (اتحاد الجمهوريات العربيـة) .

● ستقوم بعثة من جمعية الشبان المسلمين برحلـة الى بعض الدول الاسلامية لشرح خطـة تكوين البنك الاسلامى الذى تساهم به الدول الاسلامية والجمعيات الاسلامية .

● سيزود المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الهند واليابان وأفغانستان والاردن بالمكتبات الاسلامية .

السعودية : تواصل السعودية ومصر مساعيهما لحل النزاع بين الفدائيين والسلطـات الاردنيـة .

● احتجت رابطة العالم الاسلامى لدى الفلبين على المذابح التى يقتل فيها المسلمون فى المدارس والمساجد والشوارع .

● تعقد الدورة الرابعة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فى غرة شعبان ١٣٩١ هـ.

● قام وفد من جامعة كابول بأفغانستان بزيارة علمية الى رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بهدف التبادل الثقافى الاسلامى بين الهيئتين الاسلاميتين .

● أنشأت وزارة الدفاع والطيران ادارة للشئون الدينية تشرف على التثقيف الدينى لموظفى الوزارة .

الأردن : قامت اسرائيل بتفريغ عدة معسكـرات للاجئين الفلسطينيين من قطـاع غـزة وطـردتهم الى أماكن متفرقة من الضفة الغربية لنهر الأردن .

● وسعت اسرائيل نطاق الحفريات فى ساحة المسجد الاقصى حتى أصبحت تهدد المسجد بالانهيار .

العـــــراق : أجرى مسئولون جزائريون مباحثات فى العراق بهدف أن يزيد العراق من مساهمته فى حملة التعريب فى الجزائر ويزيد عدد مدرسى العربية والدين العراقيين فى الجزائر .

السودان : قدم السودان حوالى (٧) آلاف جنيه استرلينى الى تشاد لمساعدتها فى تعليم اللغة العربية كما سيقدم منحة دراسية الى عشرين طالبا من تشاد .

ليبيـــا : صرح العقيد معمر القذافى بأن الاسلام رسالة حضارة كاملة لهذا العصر ولكل عصر وان مشكلة المسلمين فى الاسلام انما هى فى مستوى فهم المسلمين للاسلام .

● أنشأ مجلس الثورة الليبى هيئة للدعوة الاسلامية تكون مهمتها العمل الجاد على نشر الدعـــوة الاسلامية وتفتح لها فروعا فى الدول الاسلامية .

تونس : أقامت تونس ـ خلال الصيف الماضى ـ عدة دور للمحافظة على القرآن الكـــريم فى مناطق العاصمة .

● أجريت فى تونس مباحثات ثقافية بينها وبين المغرب شملت مجالات الثقافة والتربية ووسائل تدعيمها بين البلدين .

البحرين : أعلنت البحرين استقلالها دولة مستقلة ويرأس الحكم فيها أمير دولة البحرين وأصبحت عضوا فى هيئة الامم المتحدة .

قطـــر : أعلنت قطر استقلالها وأصبحت دولة مستقلة ذات سيادة .

باكستان : واصلت باكستان جهودها لحل مشكلة اللاجئين من باكستان الى الهند إبان الفتنة الأخيرة بين شطرى البلاد الشرقى والغربى .

● صدر فى باكستان الكتاب الأول من ترجمة صحيح مسلم باللغة الانجليزية وقام بالترجمة السيد عبد الحميد صديقى والناشر أكاديمية أهل الحديث بلاهور .

الفلبين : أعلن السناتور الفلبينى المسلم مامنتال تامانو ـ يشغل أعلى منصب يشغله مسلم ـ أن المسلمين فى الفيلبين لم تعد لهم أراض يعيشون عليها وسيضطرون لشن حرب مقدسة دفاعا عن أنفسهم .

ماليزيـــا : أعلن تنكو عبد الرحمن أنه سيتقدم بمقترحات عملية لحل مشكلة اللاجئين بين الهنـــد وباكستان .

أخبـــــار متفرقـــة

جنوب أفريقيا : تقوم منظمة الجهاد الاسلامية بجمع التبرعات لانشاء مركز اسلامى فى مدينة مانيزج حيث يبلغ عدد المسلمين فيها (٦٠٠٠) مسلم ليس لهم أى مؤسسة تعنى بشئونهم .

أسبانيـــا : يعقد فى مستهل شعبان مؤتمر ثقافى اسلامى فى مدريد يشترك فيه (٢٤) دولة اسلامية .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : مكتبة مكة ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

رسالة الصيام والز

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

ة السابعة ـ العدد ٨١ ـ رمضان سنة ١٣٩١ هـ ـ ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١ م

سُورَةُ العَلَق مكية وهي اول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①

خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ

② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤



سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى دولة قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثانــى يستقبل معالى وزير الخارجية الشيخ صبــاح الاحمد الجابر ووفد التهنئة الكويتى .



الوفد الكويتى الرسمى يقدم لسمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين التهاني بمناسبة اعلان استقلال البحرين .



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الحادى والثمانون

غرة رمضان سنة ١٣٩١ هـ

٢٠ أكتوبر « تشرين الأول » ١٩٧١ م

نصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٩٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



العلم يدعو للايمان

للشيخ محمد الغزالي

الى متى يظل الانسان منطلقا فى هذه الحياة كالقذيفة الطائشة ، لا يدرى كيف يسير ، ولا الى أين المصير ؟

والى متى يبقى مندفعا بقواه المذخورة وأهوائه المحصورة حتى اذا نفدت قوته وبطلت حركته سقط حيث طاشت به مطارح الدنيا .

((فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)) .

عجبت لقوم ينكرون الله ، ويجحدون مبتداهم منه ومنتهاهم اليه .

وأعجب من ذلك أن يتوسلوا الى الحادهم بالعلم !! العلم الذى هو نهج الايمان الحق ، ودليل الوجود الأعلى ..

فاذا ذهبت تتعرف شبههم وجدت أما قصورا فى العلم يلحق صاحبه بالجهال ، واما غرورا بأدنى الحظوظ منه .

والمغرور بالقليل يرسل أحكامه مبتسرة مضللة ، لا وزن لها ولا معول عليها .

وفى بلادنا صنف من الناس ليس له زاد من المعرفة ، الا قراءات على هامش الاسفار الضخام التى كتبها العلماء الراسخون .

قابلت أحدهم يوما وما زلت أذكر الحوار العنيف الذى دار بينى وبينه ! كان هذا المغفل يجادلنى فى وجود

الله ، ويسوق كلمات حفظها من نظرية النشوء والارتقاء ، ويريد ليوهمنى أن خلق انسان سوى المشاعر نابض الاجهزة لماح الذكاء أضحى عملا فى مقدور العلم وأن معامل الكيمياء توشك أن تفاجئنا بهذا الاختراع !!

فلما تحسست حصيلة هذا المجادل من علوم الكون والحياة وجدتها قشورا يسيرة ، فاستغربت أن رجلا بضاعته حروف الهجاء فى فن من الفنون يصطنع فيه درجة الامامة التى تمحو وتثبت .. !! وفى ماذا ؟ فى حقيقة الوجود الاعلى .. !

فاكتفيت بان أكشف لهذا المغرور جهالته ، ثم تركته ، وعلى لسانى قول الشاعر —

نجا بك عرضك منجى الذباب
حمته مقاذيره أن ينالا !

وتذكرت قول الله تبارك وتعالى : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » .

من الخرافات الشائعة ، أن كثيرا من عظماء التاريخ لا أخلاق لهم ، وان كثيرا من علماء الكون لا ايمان لهم . !

وأحسب أن ترويج هذه الخرافة بعض ما تلجأ اليه الشياطين فى محاربة الايمان والاخلاق ، حتى تنشأ الاجيال الغضة وهى تحسب التحلل والتمرد أقصر الطرق الى العبقرية والسمو .. !

والحق أن عرا الاخلاق هى التى صنعت ألوف الرجال ، وأن الايمان بالله حقيقة مقررة لدى جمهور العلماء الراسخين .

نعم قد تكون لدى هؤلاء العلماء ريب فى أغلب الديانات المشهورة أو فيها كلها . بيد أن العيب لا يرجع الى أولئك العلماء الماديين قدر ما يرجع الى أصحاب الاديان الذين شوهوا رسالات الله ، أما بتحريف الكلم عن مواضعه ، وأما بالاعمال الشائنة التى تضع من أقدار المتدينين ، وما يحملونه من دين .

والقرآن الكريم لم يصم بالكفر الا قوما تكشف لهم الحق فجحدوه ، وعرض عليهم الدين كاملا فأزروا به وانتقصوه ((أن الذين أرتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم)) .

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى .. » .

أقول ذلك بعد ما انتهيت من مطالعة كتاب « العلم يدعو للايمان » وموضوع الكتاب يفهم من عنوانه ، أنه تعريف بالخلائق يقودك الى خالقها وشرح للكون ينتهى بك الى باريه ..

وهل للايمان الذكى العميق نبع يجيش به الا من هذه المطالعة الدارسة للحياة والأحياء ؟ ولأمر ما قال الله عز وجل « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين » .

ان الايمان لا ينمو فى قلب ، ويتخلل شعابه ، ويغمر رحابه الا بمدى ما يعى المرء من آيات الله فى ملكوته .

ومسلك المؤلف العالم فى كتابه هذا ، يقوم على عرض الحقائق المتيقنة عرضا لا أثر فيه للاوهام والفروض ، ولا مكان فيه للمغيبات والنصوص .

أنه يحترم قوانين المنطق الحديث والفلسفة الحرة ويستهدى الى غاياته طرقا لا يختلف على صحتها المؤمنون بما وراء المادة والجاحدون لها .

ولقد تابعته بعقلى كما تتبع العين الاشعة الكاشفة ، وهى تنتقل من أقصى الافق الى أقصى الافق أن ثروة هذا الرجل فى المعارف الكونية طائلة هائلة وانك لتعجب أهو أخصائى فى الفلك أم فى التشريح أم فى الكيمياء أم فى غيرها ؟

ولا غرو فهو رئيس اكاديمية العلوم بنيويورك ، فحديثه عن العالم الكبير الذى نعيش فيه ، وعن القوانين الضابطة لسيره ، وعن الاسرار الكامنة فى متونه وحواشيه حديث الخبير الراسخ المتأنق فى سرده واحتجاجه .. !!

والكتاب كله تفصيل مطرد متسق ، لما أسماه علماء التوحيد عندنا ((بدليل الابداع)) وأساس هذا الدليل على وجود الله لفت النظر الى ما فى الكون من دقة وحكمة .

هل رأيت شريط السكة الحديد الممتد من القاهرة الى الاسكندرية مثلا ؟

أنه يربو على مائتى ميل .

والمسافة بين الخطين المتوازيين المهدين لانطلاق عجلات القطار فوقهما لا تزيد ولا تنقص مع بعد الشقة .. !!

الا يدل ثبات هذا العرض على أعداد مقصود لسير القطار فوقه . الا تدل طريقة المد والتمكين على أن القطار المنساب سيجرى بسرعة معينة ؟ ويحمل أثقالا كثيرة ؟

هل اذا رأيت اذرعة القاطرة تغمز العجلات بعد ما حركتها سلسلة مضبوطة منسقة من الآلات والاجهزة، فاذا القطار يتحرك وينهب الارض نهبا . أتحسب أن هذه الاجهزة المتراكبة والآلات المتناسقة قد أخذت أوضاعها العتيدة من غير فكرة صاحبتها وغرض تنتهى به ؟

هذا مستحيل !

على هذا النحو أخذ الباحث الضليع يسوق آلاف الامثلة من حقائق الارض والسماء فاذا أنت أمام حشود لا آخر لها من براهين الوجود الاعلى أسمع اليه يقول —

((قد رأينا أن العالم فى مكانه الصحيح ، وأن قشرة الارض مرتبة الى مدى عشرة أقدام ، وأن المحيط لو كان أعمق مما هو بضعة اقدام لما كان لدينا « اوكسجين » ولا نبات ! وقد رأينا الارض تدور كل أربع وعشرين ساعة ، وأن هذا الدور أن لو تأخر لما أمكن وجود الحياة ، ولو زادت سرعة الارض حول الشمس أو نقصت لتغير تاريخ الحياة أن وجدت تغيرا تاما وقد رأينا هذه الشمس هى الوحيدة بين الآلاف التى جعلت حياتنا على الارض ممكنة وأن حجمها وكثافتها ودرجة حرارتها وطبيعة أشعتها يجب أن تكون صحيحة كلها على ما وجدناها ، وهى

صحيحة فعلا ورأينا أن الغازات التى بالهـــواء منظم بعضها الى البعض بنسب دقيقة . وان أقل تغيير فيهـــا يكون قتالا .. الخ)) .

ماذا يعنى ذلك كله ؟ الا يردك الى الله ويعلق كبه ؟

ومع ذلك فيوجد من الناس من يقول لك : ان الساعة التى فـــى معصمك قد استدارت تروسهـــا وتشابكت آلاتها وانضبطت دقائقهـــا تحرك عقرب الثوانى ، وتحرك عقرب الساعات بعد ما تحرك عقرب الدقائق كل ذلك بمحض الصدفة !

فهذا الحساب المحصى للزمن لم تشرف على تسجيله وأحكام مراصده فكرة واعية ولا يد صناع !! كذلـــك يقول بعض المتعالمين عن السموات والارض وما بينهما .

وقد تحدث هذا العارف الحصيف عن الصدفة وما ينسبها لها الواهمون من تنظيم واقتدار فقال ((ان الصدفة تبدو شاردة غير منتظرة أو غيـــر خاضعة لاية طريقة من طرق الحساب عند قليلى الخبرة ، ضعاف الملاحظة .

ولكن اذا كنا ندهش لمفاجآتهـــا فانها — مع ذلك — خاضعة لقانـــون صارم نافذ ! لنفرض أن معك كيسا يحوى مائة قطعة رخـــام ، تســـع وتسعون منها سوداء وواحـــدة بيضاء ..

والآن هز الكيس وخذ منه واحدة .

ان فرصة سحب القطعة البيضاء هى بنسبة واحد الى مائة .

والآن أعد قطع الرخام الى الكيس وأبدأ من جديد .

ان فرصة سحب القطعة البيضاء لا تزال بنسبة واحد الى مائة ، وان فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هى بنسبة واحد الى عشرة آلاف (المائة بعد ما ضوعفت مائـــة مرة) !!

ثم جـــرب مرة أخـــرى أو مرتين تصبح الارقام فلكية !!

ان نتائج المصادفة مقيدة بقانون صارم تقييدا وثيقا كما أن اثنين واثنين يساويان أربعة .

ويقول فى مكان آخر ((واذا نظرنا الى حجم الكرة الارضية ومكانها فى الفضاء وبراعة التنظيمـــات التى تمسكها فان فرصة حصول بعض هذه التنظيمات مصادفة هى بنسبة واحد الى مليون . وفرصة حدوثها كلهـــا لا يمكن حسابها حتى بالبلايين .

ونقول بل لا يمكن أفتراضها الا فى تصور المستحيلات ، فان العقل الذى يمنع أن تبنى المصادفـــات دارا مـــن بضع حجرات يجزم آكد الجزم بأن هذا العالم الكبير — بأفلاكه وآمادة وحيوانه وجماده وأنسه وجنـــه — يستحيل ان تنشئه صدفة عارضة !!

ثم هل نحسب ان مئونة ابقائـــه وحياطته أيسر من أيجاده لاول مرة ؟

ان كلا الامرين ليس الا الله((الله خلق كل شىء وهو على كـــل شىء وكيل . له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئـــك هم الخاسرون)) .



للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ : بجامعة الكويت

القرآن الكريم

((روى الامام مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى الصفة فقال : ((أيكم يحب أن يغدو كل يوم الى بطحان أو الى العقيق ، فيأتى منه بناقتين كوماوين (١) فى غير أثم ولا قطع رحم)) ؟ فقلنا : يا رسول الله كلنا يحب ذلك ، قال : أفلا يغدو أحدكم الى المسجد فيعلم (٢) أو يقرأ آيتين من كتاب الله ، خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الابل)) (٣) ..

١ ــ كتاب الله المعنى بهذا الحديث الشريف هو القرآن الكريم (قال أبو اسحاق النحوى : يسمى كتاب الله الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ، كتابا وقرآنا وفرقانا ، ومعنى القرآن ، الجمع ، وسمى قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها ، وروى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين ، وكان يقول : القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والانجيل ، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن كما تقول :قرأت القرآن) (٤) قال تعالى : **((وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** الآية ٤١ من سورة فصلت .

والقرآن هو كتاب الاسلام الأول ، بل هو كتاب الدنيا كلها ، فارق بين الحق والباطل ، ما فرط الله فيه من شىء ، أعيا الفصحاء ، وأخذ الطريق على البلغاء ، وأعجز الخلق أجمعين أن يجاروه أو يشاكلوه أو يقاربوه ، حوى كل ما يحتاج اليه البشر من عقيدة وعمل ونظام ، يدرك ذلك من آياته فى يسر وسهولة ، أمر الله سبحانه بتدبره ، وكلف رسوله صلى الله عليه وسلم بتوضيحه وتفسيره وتبيانه : **((وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم))** الآية ٤٤ من سورة النحل ، نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين لينذر الناس ويهديهم سواء الصراط ، وقد أعظم الله شأنه ، وأعلى مقامه ، وأبان قوة تأثير ما انطوى عليه من المواعظ والزواجر وعرض بقسوة

قلب الانسان وقلة خشوعه ، لما ورد فى الذكر الحكيم ما يزلزل الرواسى لو عقلت ، ويفتت الصم الصلاد لو وعت ، فقال جل شأنه « **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** » الآية ٢١ من سورة الحشر ، فأين قوة القلوب من قوة الجبال ، ولكن الله رزق عباده من القدرة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلا منه ورحمة .

وقد ورد فى السنة الشريفة أن القرآن هو الملجأ حين تضطرم الفتن وتحتدم ، وتدلهم الخطوب وتزداد ، فمما أخرجه الترمذى (٥) عن على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ فيه الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) وروى البخارى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وروى مسلم عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر) وفى رواية (مثل الفاجر) بدل (المنافق) وروى البخارى مثل نصه ، وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه (٦) وهو عليه شاق له أجران) أجر التلاوة وأجر المشقة ، قال القرطبى المفسر المتوفى سنة ٦٧١ هـ رحمه الله ورضى عنه : « ودرجات الماهر فوق ذلك كله ، لأنه قد كان القرآن متتعتعا عليه ثم ترقى عن ذلك الى أن شبه بالملائكة . والله أعلم » . وأخرج ابن ماجة فى سننه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقال لصاحب القرآن اذا دخل الجنة : اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه » وقالت أم الدرداء : دخلت على عائشة رضى الله عنها ، فقلت لها : ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة ؟ فقالت عائشة رضى الله عنها : ان عدد آى القرآن على عدد درج الجنة. فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن) .

والمقصود بقراءة القرآن ليست مجرد التلاوة وتكرار الألفاظ الشريفة وانما لا بد أن يتابع ذلك العمل والاخلاص وابتغاء وجه الله تعالى بتعلم القرآن وتعليمه ، وإلا كان وباله على صاحبه أشد من غيره ،

والاخلاص لله تعالى مطلوب فى كل عمل وبدونه لا يقبل ، ففى الذكر الحكيم (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لا يرائى ، الآية ١١٠ من سورة الكهف ، وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت (ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار) وأورد الترمذى هذا الحديث الشريف وزاد فيه : ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال : يا أبا هريرة: أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة) وروى أبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة) .

ونظرة الى العاملين فى حقول الحياة عامة ، ترى المتأمل قيمة العمل النامى عن اخلاص وايمان وخوف من مراقبة العلى الكبير ، وتظهر نتيجة ما ينشأ عن عمل المرائى الذى يخادع فيما يأتى وما يذر ، فالأول يشعر فى قرارة نفسه وحبات قلبه أنه انما يبذل قوته وخبرته وعلمه وكل ما يتصل بما يعمل مما يوصله الى الكمال المنشود ارضاء لله لأنه واجبه الصادر عن نفسه المفطورة على الاخلاص المطبوعة بالمعرفة الحقة القريبة من جانب الله سبحانه الذى يدرك خلجاتها ، وما يعتمل بداخلها ، لا تخفى عليه خافية ، انه يرانا أسررنا أو أعلنا ، جاهرنا ، أو خافتنا ، ولكل هذا تظهر النتائج باهرة لا مجال فيها لقول أو نقد أو ارتياب ، وهذا شأن بناة الدعوات الصالحة ، وديدن العلماء الفاقهين لصلتهم برب الوجود وما حوى ، فان شادوا بهر العالمين ما شادوا ، وان رسموا خطة هداية ، وسلوك كمال ، ومسارب رشد ، لا تملك قوى الدنيا العاقلة الا أن تطأطىء هاماتها لما أدوا من واجب وما قاموا به من عظائم ، أرقب هؤلاء فى سجلات أصحاب الرسالات المصطفين الاخيار ، فى أضابير أساطين العلوم المختلفة قديمها وحديثها فى مقيمى المجتمعات الفاضلة على أسس العدالة والتراحم والتواد والتعاطف ، لا على جماجم المظلومين وسحق عظام المستضعفين ، وصرخات الأرامل واليتامى ، والوالدات والأيامى .

والثانى المرائى المداهن لا ينبت الا خبيثا يثمر سما وهلاك الحرث والنسل ، ان قاد أباد من تزعم ، وان علم أهلك من تعلم ،

والقرآن الكريم ، عرف مرماه ومغزاه ، وأدركت اتجاهاته وتوجيهاته مصدره رب العالمين ، ومبلغه سيد المرسلين ، فمن حمله ليؤدى حقه كان له هداية ونورا ، ومن اتخذه وسيلة ليضل الناس على علم ، كان ساعيا الى حتفه بظلفه ، فقد ظلم نفسه ومن أحاط به ممن اغتروا بقوله وخدعهم ظاهر قوله **(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار)** الآية ٤٢ من سورة ابراهيم ، فاللهم أقل عثراتنا ، واجعل صلتنا بقرآنك خالصة لوجهك ، ووفقنا وارزقنا القوة والسداد للقيام بحق ما علمتنا ، وبرئنا من الرياء والمراء انك وحدك سميع الدعاء ..

٢ ــ أدرك شانئو الاسلام والحاقدون على رسوله وأمته عظمة القرآن ، ومدى أهميته وأنه لا اسلام بدون كتاب الاسلام ، الذى لا تبتغى به العاجلة وكفى، فهى وسيلة وليست هدفا ، فليحصل فيها عامروها ما يسعد إقامتهم فيها وليحملوا الانتاج الأهم والزاد الكافى الى دار أخرى هى للاقامة الدائمة ، لا ازعاج فيها لمن اتخذ اليه هواه وغره سراب لمن اتخذ الهه هواه وسحره سراب خادع . فمات ظمأ ولم يبتل بالماء فمه، والذى يدعو الى العجب أن الشانئين للاسلام الحاقدين على كتابه لم يقيموا عداوتهم على قواعد منطقية أو خلقية ولم تنشأ عن تبصر وروية ، وانما هو العداء الآثم ، وضراوة الأمارة بالسوء والرغبة الملحة لاقتناص (أم دفر) والاستحواذ على متاعها اعوجت الوسيلة أو استقامت **(اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله)** وماذا فعلوا ؟ ! : لقد أثاروا الشكوك حول المصدر ، وقشع غاشيتهم نور من الله وفضل ، فحاموا حول الحملة (بفتح الحاء المهملة والميم) ونوعوا وسائل الاغراء والفتنة ، وأجادوا تصويب السهام فى غفلة من غفل ، وغيبة وعى ، فأوقعوا فى الارض الفساد وسار الركب المعادى يحمل ألقابا علمية فى كل حقبة من زمان عمر القرآن العزيز ، وقاربوا النجاح لأنهم خططوا باتقان وعملوا دائبين ، وكان ذلك تحت سمع المسلمين وبصرهم وبلغة القرآن ، ولما خشوا أن تتطلع وحدات من أبناء جلدتهم الى مكنون سر الكتاب الحكيم فتصيخ سمعا وتستجيب ، وربما لا يستطيعون مقاومة حربين أحداهما شبت فى حصونهم ، فقالوا لقومهم : لننقل لكم هذا الذى بهركم حين شاهدتموه بنقل أمة أمية من بداوة وجهالة الى قمم حضارة وحكمة ، ومن ضياع فى بيداء الى سلطان كسرى وقيصر ، على أن ذلك كان ضرورة تاريخية ، وسنة كونية ، وظاهرة تتكرر فليست هى الأولى ولا الأخيرة ، وهاكم الدليل، فتلك معان خيالية هزيلة وعبارات بدائية سبق اليها شعراء سبقوا فى الزمان ، واذا غلبهم الحق وخافوا ضوءه ولم تقو عيونهم على مواجهته ، موهوا حوله بدخان الدعايات الباطلة فيخفى الدر المكنون ولكن الى حين ، وهكذا نقلوا معانى ــ على حسب أهوائهم ــ من القرآن محرفين الكلم عن مواضعه الى كل لسان أدركوا انتشاره وحاولوا وضع العملاق فى قمقم ، وما استطاعوا النجاح الكامل ولكن أحدثت فعالهم دويا مزعجا وبين يدى الآن عديد مما سجلوا وما زيفوا وحرقوا كله مدون فى ثلاثمائة مؤلف أو تزيد ، ويحتاج نقض ما قدموا ــ زيفا ــ الى جهود وجهود مصحوبة بالصبر والمثابرة والشجاعة التى تقاوم مغرياتهم وتهدم مفترياتهم .

٣ ــ مناسبة هذا القول لزمان

هنا فى هذا الوطن العربى الاسلامى الأصيل (الكويت) فقد صحت عزيمة وزارة الأوقاف على افتتاح دار القرآن الكريم فى مطلع العام الدراسى ١٣٩١ هـ ١٣٩٢/١٩٧١ — ١٩٧٢ وكان هذا أول عمل فعلى من نوعه فى تلك الديار ، وهو مشروع ثار فيه الكلام منذ أعوام سلفت ، وعاقت تنفيذه فى حينه عوائق ، وهنا لدى التنفيذ بدت ظاهرة بهرت وأدهشت القريبين من المشروع تلك هى الاقبال العجيب من طبقات الشعب المختلفة على الانتساب الى تلك الدار ، بدو من الصحراء ، وحضر فى المدائن ، وموظفون فى دواوين الدولة ، بل وأصحاب جاه ومال ، كل يرغب فى الدراسة للاجادة والتجويد ، فأبان ذلك عن نفوس كريمة عامرة بحب القرآن ، ولا تحتاج الا الى زند لتورى وتشتعل نارا تحرق أعداء القرآن والشىء من معدنه لا يستغرب .

وهل ينبت الخطى الا وشيجه
وتغرس الا فى منابتها النخل

والعامل الثانى دعوة تلقيتها من كبير من علماء الأجانب الذين يتبوأون أعلى المناصب العلميـة فى أرقى جامعات العالم المعاصر ، ولبيت فماذا وجدت ؟ فى قرية نائية فى ريف فرنسا تبعد عن باريس ثمانى ساعات بقطار سريع (أكس بريس) ثم ما يقرب للقطار تقطع بالسيارة لقيت الرجل العالم يجلس فى بهو واسع من داره القروية الجميلة وتتناثر حولـه كتب الاسـلام وفى مقدمتهـا التفاسير مخطوطة ومطبوعة (٧) . وكان اللقاء للبحث والدرس فميزة هذا العـالم اللوذعى ، والحبر النحرير أنه يطلب موارد العلوم فى منتجعها مهما بعدت الشقة ، وهذا ديدن العلماء المخلصين فيما يتصدون له من عمل . هو يكتب مقدمة لترجمة جديدة لمعانى القرآن ، أعجبته تلك الترجمة لأنها منصفـة للقرآن ويجب أن يستبين كل ما يتصل بما يكتب ، وكان لقاء علميا جميلا أثار شجنى فأصحاب القرآن المنزل على رسول الله يغطون فى ثبات عميق ، وان صحوا فلكى يشاكلوا غيرهم ، لا ليدلوا بحقائق القرآن لتدرج على أرضهم **فتجمع شملهم وتوحد متفرقهم** ولا أملك الا أن أنادى حى على الفلاح: يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ، يا قومنا : استجيبوا للـه وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، حى على الفلاح فقد طال النوم والصلاة فى محراب القرآن خير من النوم ، هيا اغدوا كما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المساجد فتعلموا القرآن وعلموه فذلك خير لكم من حمر النعم ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(١) كوما وين : تثنية كوماء ، وهى الناقة المشرفة السنام عالية .

(٢) فيعلم : ضبط بتشديد اللام من التعليم ، وبتخفيفها من العلم .

(٣) خلاصة معنى الحديث : الدعوة الى العمل لنشر الكتاب وحفظه وتطبيق أحكامه واشاعته بين العالمين ، ونهى عن أن يتخذ مهجورا فيأسى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) عن لسان العرب مادة قرأ .

(٥) ورد هذا الحديث فى صحيح الترمذى جـ ٢ ص ١٤٩ طبع بولاق بمصر مع اختلاف يسير فى بعض كلماته .

(٦) التتعتع : التردد فى الكلام عيا وصعوبة .

(٧) للتاريخ والحق أقول : لقد كان لكبير من رجالات الكويت المخلصين لدينهم ووطنهم الفضل الاوفى فى وصول الكتب الاسلامية الاصيلة الغالية الثمن النادرة الوجود الى معقل هـذا الرجل والى أكبر مركز علمى عالمى مشتغل بالبحوث الفلسفية الدينية والادبية عامة منذ قرون (مقره فى باريس) يؤمه طلاب العلم من أنحاء المعمورة .

الصوم

في مجال اجتياز الأزمات

محمد مؤذن

للدكتور : محمد البهي

① انه السبيل لوقوف المؤمن ، في صبر واصرار في وجه الحرمان المؤقت ومشقته

② ولنجاحه في الاختبار بنعم الله وعدم الافتتان بها ..

* ولكى يستطيع المؤمن بالله وحده أن يلتزم بما آمن به ، وأن يلتزمه مختارا ، وأن يجتاز العقبة النفسية الداخلية ، وهى هواجس الشهوة والهوى ، فى سبيل التنازل عن بعض ما فى يده ، ــ كثر أو قل ــ تحقيقا للمنفعة العامة للمال .. كانت عبادة الصوم كتجربة نفسية وكعبادة يتقرب بها الى الله ، يجب أن يمر بها المؤمن ، ويستمر من وقت لآخر فى مباشرتها .

ولكى يستطيع المؤمن بالله وحده ، أن يواجه كذلك مشقة الحرمان ويتغلب عليها ، حتى لا يذل لفتنة المتع الحسية واغرائها ، وعندئذ يقع تحت التبعية لها من جديد فيسىء الى ايمانه بوحدة الألوهية ، وينتقل الى سلوك الشرك والتقلب فى العبادة من أجل هذه المتع .. كانت عبادة الصوم هى السبيل الواضح للمؤمن فى الوقوف فى عزم وصبر واصرار أمام مشقة الحرمان المؤقت .

وتحقيق المنفعة العامة للمال عن طريق الصوم ليس اذن عطفا على من تعطى اياه ، بقدر ما هى واجبة الأداء فى صورة لا يشق على النفس

أداؤها ، عندئذ . فأوجه المنفعة العامة ليست فحسب رعاية العاجز عن السعى فى الحياة ، ولا تغطية حاجة من يقصر سعيه عن ضرورات معيشته . وانما هى عديدة ، بقدر ما تحتاجه المصلحة العامة للأمة .

فالصوم الآن — وهو التجربة النفسية على الحرمان كقربى الى الله — يستهدف تحقيق « القدرة » فى الذات ، وهى حقيقة نفسية تصور حرية الارادة الفردية فى تحديد الموقف وتعيين سبيل السلوك فى الحياة ، وبهذه القدرة الذاتية يفى المؤمن بما يلتزم به ، ويكون وفاؤه ليس عن الزام خارجى له .

هذه التجربة النفسية على الحرمان هى الكفيلة بتحقيق « النظرة » الاسلامية فى المادية وفى المال معا .

فاذا كانت النظرة الى المادية على أنها مصدر الفواحش والمنكر والبغى والطغيان والعبث والفساد فالوقاية من الاستسلام الى الاتجاه المادى فى الحياة ، أو تحدى هذا الاتجاه انما هو فى « استساغة » الحرمان استساغة نفسية وعدم اعتبار أنه شقاء ، بل اعتبار أنه ضرورة من ضرورات الحياة البشرية تقع ، كما تقع أية ضرورة أخرى من ضروراتها .

واذا كانت النظرة الى المال فى الاسلام أيضا على أن وظيفته وظيفة اجتماعية ، أى ان منفعته عامة للكل ، فالسبيل الى تيسير أمر هذه الوظيفة الاجتماعية للمال ، وتحويل تلك النظرة الى ما يشبه « العادة » فى سهولة أدائها . . يكمن فى تجربة الصوم كعبادة . فالامساك عن المتع الحسية وقتئذ — أى وقت كون الصوم عبادة — ليس عن عجز فى اقتنائها اذ هى موجودة ومتوفرة ، وانما عن عبادة وقربى الى الله تعالى ، عن اختيار ومشيئة .

وما يسمى بـ « القناعة » ليس الا امساكا باختيار القانع عن متع حسية وليس عن عجز عنها ، بل هناك رغبة فى رضاء الله ، بدلا عنها (عن هذه المتع) .

وتجربة الصوم كعبادة اذا كانت تجربة على استساغة الحرمان استساغة نفسية من المتع الحسية وشهوات النفس فيها ، وليس عن عجز وانما عن قدرة ، واذا كانت ضرورة فى حياة المؤمن كسبيل لتحويل النظرة الاسلامية الى « واقع » فى نفس الذات ، هو « عادة » أو « ارادة » أو « طاقة » على الصبر والتحمل . . فانه لا بد أن يكلف بها من يقدر عليها ، وان تكون فترتها فى استطاعة الانسان ، وأن تتخلل حياة الانسان ، كما يتطلب شأن العبادة التكرار ، وكما تتطلب القوى النفسية وجود البواعث لحيويتها .

وهنا نجد القرآن الكريم يحدد فى الآيات التالية ما تتطلبه هذه التجربة

من أوضاع كى تبقى حية ذات فعالية فى حياة المؤمن بالله :
« يا أيها الذين آمنوا ! :
١ ــ « كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون . أياما معدودات ،
٢ ــ « فمن كان منكم مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى « الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن « تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون .
٣ ــ « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من « الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه .
« ومن كان مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم « اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ،
٤ ــ « ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » (١) .

... فأولا : يحدد القرآن فرضية الصوم ووجوبه . وهو فريضة وواجب منذ رسالة الله على الأرض . وفرضيته ووجوبه اذن جزء لا يتجزأ من دين الله ، وهو الاسلام : « كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم » .

وكما يحدد وجوبه يوضح هدفه فى قوله : « لعلكم تتقون » وهو اتقاء فتنة المادية واغرائها ، والوقاية من الانسياق فى تيار الاتجاه المادى فى الحياة الذى يوصل عادة الى الطغيان والفساد .

... وثانيا : يربط وجوب أدائه باستطاعة الانسان البدنية . فان شق على الانسان فى وضع معين له كالسفر والمرض ، فيرخص له بالفطر ، على أن يعيد صوم الايام التى أفطر فيها فى وقت آخر لا يشق عليه أداؤه فيه .
« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

ومع هذه الرخصة للمسافر والمريض فالذى يستطيع منهما الصوم يجب عليه أن يخرج من طعام اليوم ما يكفى فردا عن كل يوم يفطر فيه ، وان زاد فيما يخرجه بحيث يكفى أكثر من فرد واحد فهو خير له يثاب عليه .
« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا « فهو خير له »
ومع ذلك فصوم المسافر أو المريض ــ الذى يستطيع منهما الصوم ــ خير لأى منهما من الافطار والفدية : « وان تصوموا خير لكم » . لأنه سينفع الصائم فى شد عزيمته وابعاد التراخى فى قوة احتمال الحرمان ومشقته :
« وأن تصوموا خير لكم ، أن كنتم تعلمون » .

و « الطاقة » على الصوم التى تتحدث عنها الآية هنا : « وعلى الذين يطيقونه » هى طاقة المسافر أو المريض ــ وليس القصد طاقة من يظن منه عدم الطاقة لشيخوخة مثلا ــ أثناء سفره أو أثناء مرضه . لأن عدم الصوم مع الطاقة للمسافر والمريض يكون رخصة له عندئذ . والا اذا كان أى من المسافر أو المريض يضره الصوم يكون افطاره واجبا ، وليس رخصة : يجوز له بسببها أن يفطر ، كما يجوز له أن يمسك .

... وثالثا : يحدد وقت أداء الصوم العبادة والفريضة بشهر رمضان المبارك . وهو بهذا التحديد يهيىء جوا روحيا خاصا يزيد من فعالية الصوم فى « التجربة » فى سبيل احتمال الحرمان ومشقته . فشهر رمضان هو الشهر الذى أنزل فيه القرآن بهدايته وببيانه للطريق المستقيم . وهو الطريق

الذى يجنب من يسلكه انحرافات المادية وعبثها : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وأما ما جاء مرة أخرى فى شأن المريض والمسافر فى قوله هنا : « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .. فجاء ليوضح سبب الرخصة فى عدم الصوم أثناء المرض أو السفر ، وهو دفع حرج المشقة التى قد تبعد الصوم عن كونه « عبادة » أى قربى تنطوى على مسرة يتقرب بها الصائم الى الله جلت قدرته : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة » .

وقد فهم بعض الذين يعالجون شئون التفسير لكتاب الله أن ما جاء فى قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » هو نسخ لما ورد من قبل فى الآية السابقة ، فى قوله : « وعلى الذين يطيقونه : فدية طعام مسكين » . وهو فى هذا التفسير يقطع صلة هذا القول : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » عن المريض والمسافر فى الترخيص لهما بالفطر ، مع استطاعتهما مباشرة الصوم ، ويجعل هذا الحكم مستقلا ومنشئا وضعا خاصا فى عبادة الصوم وهو : أن القرآن فى بداية تقرير عبادة الصوم جعل القادرين من المؤمنين مخيرين بين الصوم أو الفطر مع الفدية وهى اطعام المسكين . ثم نسخ هذا الحكم بما جاء فى الآية بعد ذلك من قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فرفع التخيير عندئذ وأوجب الصوم وحده .

ولكن ماذا يقول صاحب هذا التفسير فى بدء النداء للمؤمنين هنا فى تقرير الصوم : « يا أيها الذين آمنوا : كتب عليكم الصيام » ؟ . أليس هذا القول مساويا لقول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ؟ ان الله سبحانه وتعالى أعاد أمر الوجوب هنا فقط بالنسبة للمدة وهى الشهر . ولكن وجوبه كعبادة تقرر بما جاء فى النداء السابق : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » .

... ورابعا : يطلب من المؤمنين ان يشكروا الله جلت قدرته ويكبروا ويهللوا بذكره وبعظمته على فريضة الصوم كعبادة فى حياة المؤمن ، وعلى ما هداهم اليه فى تجاربهم ليكونوا خلقين بانسانيتهم ، وهى التجارب التى تتمثل فى العبادات . فكل واحدة منها وان اتصلت بمجال معين فى حياة الانسان اتصالا وثيقا فهى تتصل بالجانب الآخر بقسط له أثره فيه ، وهى كلها تصقل الانسان بما تكونه من عادات لديه ، وبما تنشئه من ملكات وقدرات خاصة تساعد على تحويل « النظر » الى « واقع » و « الفكر » الى « تطبيق » .

ولولا هداية الله — ولذا يجب على المؤمنين به شكره — لما استطاع أن يخرج الناس من اغراء المتع الحسية والتبعية لها :

« أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ، واتبعوا أهواءهم » (٢) .

ان الامساك — لاداء فريضة الصوم — وقت الرخاء ، أى وقت اقتناء المتع الحسية واستطاعة الاستمتاع بها ، يعبد للمؤمن طريق النجاح فى

الاختبار بالنعم التى يفيض بها الله عليه ، والتى لها اغراء وبريق يخدع ويفتن : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها ،لنبلوهم :ايهم أحسن عملا »(٣) فالصائم عن قدرة — وليس عن عجز — هو الذى لا يدع نفسه لخداع ما على الارض من زينة ويتورط فى بريقها ، وبذلك ينحرف فى مسلكه ، ويتخذ من تلك النعم طريقا للظلم والطغيان والفساد بسبب تبعيته لما أترف فيه حينئذ .

وذلك هو الطريق لاجتياز الابتلاء بتفاوت المستويات فى الاقتناء واختلاف درجات الثراء ومنازل الغنى بين الناس . فكما جعل الله ما على الارض زينة لاختبار أثرها على النفوس ، كذلك جعل تفاوت الغنى والمال امتحانا للنفوس الضعيفة والقوية ، والصادقة فى ايمانها والمترددة فيه : « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، ان ربك سريع العقاب ، وانه لغفور رحيم » (٤) .. سريع العقاب لمن جنح بسبب ما آتاه الله من مال ورزق وأصر على غيه فيه . وغفور رحيم لمن خدع به وقتا ما ثم تاب الى الله وسلك الطريق السوى ، فى الاستمتاع به من جهة ، وفى تحقيق المنفعة العامة لوظيفة المال الاجتماعية من جهة أخرى .

وكما يكون الابتلاء باقتناء النعم ، وبالتفاوت فى الثروات ، يكون بالحرمان أو بالأزمات فى ذلك : « كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون » (٥) . فالحياة عرضة للكثير والقليل، وللرخاء والضيق ، والرخاء أو الكثير اذا كان للانسان ولنشاطه فى السعى أثر فيه فان القليل أو الضيق قد يكون نتيجة لعوامل بعيدة كل البعد عن ارادة الانسان وقدرته : « ولنبلونكم بشىء من الخوف ، والجوع ، ونقص من الاموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » (٦) .

والمؤمن الذى يتقرب الى الله بعبادة الصوم وبامساكه عن المتع ، رغم وجودها بين يديه هو ذلك الذى تمر عليه الأزمات والشدائد بسبب نقص فى الأموال والأنفس والثمرات ، دون أن تحدث أثرا سلبيا فى نفسه ، حتى يهتز ويستسلم لشهوة النفس ، ويسأل ويلح فى السؤال لقضاء ما تشتهيه ، بطريق أو بآخر . وهو نفسه الذى تدرب على الصبر والاحتمال . فاذا ما كانت الأزمة فى الأنفس فانه ينقل صبره واحتماله الى مجال فقدها ، دون أن يضطرب ايمانه بالله وباليوم الآخر ، فيميل الى الاتجاه المادى فى الحياة فينكر ربه وآخرته . لأن الاحتمال قدرة وطاقة ، أينما تكون الأزمة تواجه بها .

ولذا فهو من أصحاب الهداية ، وممن رضى عنهم ربهم برحمته وتوفيقه فتمرس على الصبر بتدريب نفسه على الامساك فى الرخاء والشدة على السواء .

وربما قبل الابتلاء بالدنيا ومتعها ، اقتناء وحرمانا ، يواجه المؤمن بالله الابتلاء فى الايمان نفسه .. يواجه الابتلاء فى مدى صدق ايمانه واخلاصه فيه .. يواجه التعرض بسبب الايمان للقتال مرة ، ولايذاء الاعداء بالقول والتآمر مرة أخرى : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين

أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا ، أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا ، فان ذلك من عزم الأمور » (٧) .

ان المؤمنين سيختبرون فى أموالهم بانفاقها فى الجهاد فى سبيل الله ، وسيختبرون فى أنفسهم بالمواجهة فى قتال الاعداء ، وسيختبرون بالتعرض للسخرية والاهانة والتشهير وترويج الاكاذيب .. سيختبرون فى كل ذلك من أجل الايمان .

وما لم يكن لهم صبر وتحمل ، وما لم يدربوا على حماية النفس من التأثر بالدنيا فى متاعها والحرمان منها على السواء ، لا يكون لهم عزم ولا تكون لهم لرادة وقوة نفسية خاصة يتقون بها ما يوضعون فيه من أحوال ، من شأنها أن تهز الايمان وتضعفه . ولن يكون هذه المعانى النفسية ويجعل فى أعماق الذات « واقعا » يواجه الابتلاء الا عبادة الصوم .. الا الامساك عن نية وارادة ورغبة .. الا الامساك فى تحد لشهوة النفس ، وفى تحد لمتع الحياة المتوفرة ، وفى تحد للاغراء ولبريق هذه المتع الحسية .

ان الابتلاء فى شأن الايمان لا ليوضح حسن الاتجاه أو سوء الاتجاه قبل الاغراء بزينة الدنيا ومتعها . وانما ليظهر العناصر الايمانية الحقيقية والعناصر الاخرى الانتهازية . حتى يكون بناء المجتمع بناء سليما : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ، والصابرين ، ونبلو أخباركم (أحاديثكم عن ايمان النفس ومدى صدقها) » (٨) . ان الابتلاء فى شأن الايمان لبيان هذه القوى الثلاث : قوة الجهاد ، وقوة الصبر ، وقوة الصدق فى التعبير عن الحقيقة النفسية للايمان ذاته .. قوة الجهاد بالنفس والولد والمال ، وقوة الصبر على المشقة والحرمان ، وقوة الصدق فى تحمل نتائج الايمان .

وفى سبيل الابتلاء فى شأن الايمان بالله يقص القرآن : كيف وضع المؤمنون أمام حقيقتين ، ويوضعون فى كل وقت أمامهما .

الحقيقة الاولى : أن نصرهم على أعدائهم يجب أن يكون بيدهم هم ، طالما يسلكون طريق الحق صدقا ، بينما يتبع الاعداء طريق الباطل . والله قادر على نصرة المؤمنين ، ولكنه يتركهم لمدى صدقهم فى ايمانهم :

١ ــ « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ،

٢ ــ « والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وآمنوا بما نزل على محمد ،
« وهو الحق من ربهم ، كفر عنهم سيئاتهم ، وأصلح بالهم .
« ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ، وان الذين آمنوا اتبعوا
« الحق من ربهم ، كذلك يضرب الله للناس أمثالهم .
« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم
« (أضعفتموهم) فشدوا الوثاق (خذوهم أسرى) ،
« فاما : منا بعد ، واما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها ،

٣ ــ « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ،

٤ ــ « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » (٩) .

. . . فاتباع طريق الحق — ان كان اتباعه فى صدق واخلاص — فلا بد أن يوصل الى النصر . لأن الطريق الآخر — وهو طريق الباطل — لا يوصل الا الى الخراب والتدمير . . لا يوصل الا الى العبث والفساد ، والى الطغيان . . لا يوصل الا الى الانقسام بين كبراء وزعماء يتبعون ما أترفوا فيه ، وآخرين أذلاء مستضعفين ليس لهم من حظ فى حياتهم سوى الشقاء والحرمان وذل الضعف والتبعية .

واذن الباطل لا يؤدى الى بقاء ، وبالتالى لا يؤدى فى ذاته الى نصر لأتباعه . فاذا كان أهل الحق — وهم أهل الهداية والترفع عن الاغراء بالاتجاه المادى فى الحياة ، وتجنب الظلم والعبث والفساد — أصحاب صدق واخلاص فيما يقولون ويتبعون ، فلهم البقاء ولهم النصر ، طالما غيرهم ليس له بقاء ولا نصر .

ومن أجل هذا المصير لكل من أصحاب الاتجاهين ، فالله جلت قدرته ، فى اظهار كل على حقيقته ، يبلو بعضهم ببعض : « ولكن ليبلو بعضكم ببعض » .

فاذا أضيف الى مصير « الحق » فى النصر : ان الذين يقاتلون فى سبيله لن يضل لهم عمل ، ولن يذهب سدى . . كان هناك دافع آخر يضاعف فى نصر الحق لذاته . واذن فالمؤمن الصادق فى ايمانه فى مواجهته لعدوه فى قتال ، لا بد أن ينتصر عليه .

الحقيقة الثانية : أن المؤمنين فى قتالهم مع الكفار — فى أحد — وضعوا أمام هزيمة ، جرتهم اليها نفوسهم ، تحت التأثر بشهوة الغنائم والحصول على المنفعة المادية ، بعد ما رأوا أعداءهم يهربون من مواجهة القتال . فأسرعوا الى جمع الاسلاب وتفرقوا فى القتال ، فعاد اليهم أعداؤهم ونالوا منهم وهزموهم فى تلك الموقعة .

انتصروا أولا بفعل الدفعة الأولى من الايمان ، ثم طرح بعضهم الايمان جانبا وانجذب الى الاتجاه المادى فى الحياة وأغواه فكانت الهزيمة للمؤمنين جميعا . وضعوا أمام النصر والهزيمة فى موقعة واحدة ، وأمام أثر الايمان بالله والفتنة بالمتع الحسية فى تعاقب ليس بينهما فاصل زمنى ، كى يشهدوا بأنفسهم سبب النصر وسبب الهزيمة ، وكى يتضح الصادق فى ايمانه والمنافق فيه . . كى يتضح الذى أخذته تجربة الصوم فى صلابة الارادة وقوة العزيمة أمام المغريات الفاتنات أو فى مواجهة الحرمان والازمات ، من ذلك الذى لم يفد من عبادة الصوم الا امساكا عن الأكل والشرب من يوم الى آخر حتى اذا انتهت مدته عاد الى الانجذاب نحو المتع المادية ، والى الشكوى من الحرمان ، ان أصابه يوما ما .

وهذه الحقيقة الثانية : يقصها القرآن الكريم فى الآية التالية ، والآيات الأخرى بعدها .

١ — « ولقد صدقكم الله وعده (بالنصر) اذ تحسونهم باذنه (تحصدونهم وتبيدونهم) ،

٢ — «حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم « ما تحبون : منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم

« عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين » (١٠)

. . .

وبجانب الصوم الذى هو عبادة وفريضة — وهو صوم رمضان — هناك صوم النافلة ، وهو غير محدود فى زمنه وأيامه ، وانما على حسب الاستطاعة البدنية ، بحيث أداؤه لا يخل بواجب آخر كواجب السعى وتحصيل الرزق ، أو واجب الزوجية ، أو واجب الأمة والجماعة فى ميدان قتال مثلا .

وبجانب هذا النوع وذاك : صوم الكفارات . وهو صوم عبادة أيضا ، ويتقرب الانسان به الى الله سبحانه وتعالى ، كى يكفر عن جريمة اجتماعية ارتكبها فى اندفاع ، أو تحت التأثر بعادة معينة .. أى ارتكبها دون أن يخطط لها ويقصدها ويبيت النية على مباشرتها .

وفى القرآن جاء الصوم كفارة عن جرائم : القتل الخطأ ، والظهار ، والحلف بالله لغوا ، والصيد فى الاحرام للحج أو العمرة :

١ — فعن جريمة القتل الخطأ كان قوله تعالى :
« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ،
« ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله ، الا أن يصدقوا ،

« فان كان من قوم عدو لكم ، وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ،
« وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ،

« فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما » (١١) .

. . . وفى تعبير القرآن الكريم عن تحرير الرقبة المؤمنة مع الدية أو مع عدمها ، ثم عن الصوم فى حال عدم وجود الرقبة المؤمنة .. بأن ذلك توبة من الله : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله » — وليس عقوبة أو حدا — دلالة واضحة على انه أولا : أن صوم الشهرين المتتابعين هو عبادة ، وثانيا : أن العبادة لا تكون عقوبة أو حدا . وانما هى قربى الى الله يتوسل بها هنا للعفو عن هذه الجريمة التى لم تقصد ، كشأن العبادة دائما .

وفى معنى عبادة الصوم تحرير الرقبة المؤمنة . ففى تحريرها قربى الى الله ، لأن التحرير ينطوى على رد الاعتبار البشرى الكامل لانسان تملكه آخر بالوراثة أو بالقهر والشراء .. تملك موضوعا وأمرا لا يملك الا بفعل القوة وحدها . فاذا رد اليه اعتباره البشرى وشعر بالمساواة بينه وبين غيره لا ينعكس ذلك على نفسه وتصرفاته كانسان فحسب ، وانما تعود اليه « الكرامة » الانسانية التى خلق كل فرد عليها من الله جل شأنه ، وتتجلى فيه الطبيعة كما أرادها الله وسواها فأحسن صورها . وبذلك يدل على وجود الله وعدله ، أكثر مما لو بقى فى ملكية الغير ومسلوب الارادة والحرية والشخصية كحيوان يساق ولا يتجه بذاته .

ان تحرير الرقبة فيها معنى الزكاة العبادة ، وفيها معنى الانفاق فى سبيل الله الذى هو عبادة أيضا .

وجريمة القتال الخطأ هى جريمة اجتماعية ، لأن القتل هو القتل لنفس ذهبت وولت ، بغير حق . سواء أكان عمدا أم خطأ . فالعمد أو الخطأ فى القتل لا يغير اطلاقا من أنه : قتل نفس مؤمنة بغير حق .

والخطأ فى القتل يأتى بشىء واحد ، وهو عفو الله . ولكن لارتباط هذا الخطأ بجريمة اجتماعية ، أى بجريمة من شأنها أن تكون مترتبة على اتباع الاتجاه المادى فى الحياة ومن آثار المادية .. كانت الكفارة — أى القربى الى الله — تحرير رقبة أى احياء نفس برد اعتبارها البشرى اليها ، فان لم توجد فصيام شهرين متتابعين .. أى كانت الكفارة ممارسة لعبادة لها صلاحية التخفيف من حدة الاتجاه المادى ، والمعاونة على الخروج من دائرة المادية والتبعية لها .

فالكفارة هنا علاج عن طريق عبادة ، وليست عقوبة أو شبه عقوبة . لأن العقوبة تكون على ذنب . ولا ذنب هنا طالما كان عفو الله وغفرانه .

وهكذا : نجد أن الكفارات التى يكون الصوم فيها مستهدفا ، كبديل وعوض ، هى كفارات لجرائم اجتماعية لم تستكمل عناصر الجريمة الاجتماعية المترتبة على سيطرة المادية وطغيانها ، أو كفارات لجرائم لم يزل فيها أثر للاتجاه المادى ولم تخلص النفس التى ارتكبت هذه الجرائم من « الميل » أو « الذبذبة » بين « الروحية » الاسلامية و « المادية » الجاهلية .

٢ — وعن جريمة « الظهار » جاء قول الله تعالى :

أ — « الذين يظاهرون منكم من نسائهم — ما هن أمهاتهم ، ان أمهاتهم
« الا اللائى ولدنهم — **وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ،**
« وان الله لعفو غفور .

ب — « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا : فتحرير
« رقبة ، من قبل ان يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما
« تعملون خبير .
« فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ،
« فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ،

جـ — « ذلك لتؤمنوا (لتؤمنوا مخلصين وصادقين) بالله ورسوله ،
« وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب اليم » (١٢) .

... وقول الله تعالى هنا فى الظهار واضح فى :

انه منكر من القول وزور وكذب : « وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا » . هو منكر من القول لأن الذى يقول لزوجته : « أنت على كظهر أمى » .. فيسوى بين الزوجة والأم فى حرمة المباشرة الجنسية — تلك الحرمة التى يكنى عنها بقوله : كظهر أمى — ينقل أمرا من دائرة الحل الى دائرة الحرمة ، أو يصف الحلال بالحرام . ووصف الحلال بالحرام ، أى وصف الشىء بنقيضه ، فيه منكر من القول . ثم فى الوقت نفسه هو زور وكذب . لأنه يقول على أمر أحله الله بأنه حرام ، فكأنه يكذب على الله فيما يقول ، جل جلاله .

ومنكر القول ، والكذب على الله هو جريمة اجتماعية كذلك . فهو اشاعة للمنكر من جهة ، وتقول على الله فيما لم يقله من جهة أخرى . ويتصل اتصالا وثيقا بالعرف الجاهلى ، وهو عرف مادى . فصاحب الظهار — وقد أسلم وآمن بالله — لم تزل فى نفسه بعض رواسب المادية السابقة على المجتمع الاسلامى . ومن هنا كانت الكفارة : تحرير رقبة ، فان لم توجد فصيام شهرين متتاليين ، على غرار كفارة القتل الخطأ .

ولكن زيد فى أمر هذه الكفارة : اطعام ستين مسكينا فى يومهم ، عند عدم توفر الرقبة المؤمنة ، فعدم القدرة على صيام شهرين متتابعين .

واطعام الستين مسكينا هو جانب مالى يشبه الى حد ما تحرير الرقبة المؤمنة . وهذا وذاك تجربة لتخفيف أثر الاتجاه المادى فى الحياة كالصوم . ولكن فقط أحدهما عن طريق الاعطاء ، والآخر عن طريق الامساك ، حتى تكون هناك فضلة فى المال للآخرين .

وهدف كفارة الظهار على هذا النحو اذن هو تأكيد الايمان بالله والصدق فيه ، والعزم على دفع الاغراء المادى ، فضلا عن الوقوع فى اتجاهه : « ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله » .. فجعلت الآية صاحب الظهار بظهاره كأنه خرج من ايمانه أو لم يكن مؤمنا على سبيل الحقيقة ، واتخذت من كفارة الظهار طريقا الى الايمان بالله ورسوله . واذن الصوم كبديل ، وكعبادة كذلك ، خصص فى مثل هذه الجرائم الاجتماعية ، لا لاعادة التوازن بين الروحية والمادية — اذ الروحية الاسلامية هى التوازن فى الاستمتاع بالمتع الحسية بين الحرمان منها كلية والاستغراق فيها كلية — وانما لدفع سيطرة المادية ، والابقاء فى خطوط الروحية الاسلامية .

٣ — وعن جريمة اليمين اللغو كانت الآية الكريمة :

١ — « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم (أى لا يعذبكم ولا يعاقبكم ،
« بل هو يعفو عنكم) ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ،
« فكفارته : اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم
« أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ،
« فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ،
« ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم ،
« واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم
« تشكرون » (١٣) .

... فالحلف بالله لغوا ينطوى على تعريض الله — دون قصد — للحرج ، وعدم توفير الاحترام اللائق بجلاله . اذ صاحب لغو اليمين قد وعد باسم الله أمرا ولم يفعل ذلك الأمر . وهنا كان التعرض للحرج .

ولكن لأنها يمين غير مقصودة ، أى لم يبيت أمرها فى اهانة المولى سبحانه ، وكانت عفو الحديث أو وقعت تحت تأثير العادة ، لم يؤاخذ المولى سبحانه وتعالى صاحب هذه اليمين على الحرج الذى ترتب عليها : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » . ومع ذلك فهى تدل من جانب آخر على أن صاحبها لم يزل متأثرا ببعض جوانب الاتجاه المادى فى الحياة . لم يزل متأثرا بما يستتبعه هذا الاتجاه من الاستخفاف بالله وبالايمان به وبالمؤمنين به ،

وان لم يكن على شعور ووعى بهذا الاستخفاف .

ومن أجل تعريض قدسية الله للحرج فى اليمين للغو كانت جريمة فى حق الله ، وهى أشبه بالجريمة الاجتماعية . لأن ما لله هو للأمة كلها . وجاء لغوها سببا فى عفو الله عنها ، وبقى أصل الجريمة فكانت الكفارة التى تخير بين اطعام عشرة أو كسوتهم من جانب أو تحرير رقبة من جانب آخر ، ثم تنتهى الى الصوم ثلاثة أيام ، وأيضا متتالية ، حرصا من المولى جلت قدرته على أن يصفى رواسب الاتجاه المادى فى سلوك المؤمن الذى يعرض الله للحرج فى الحلف به .

ومن أجل ذلك تطلب الآية فى نهايتها أمرين : تطلب الكف عن الحلف بالله : ... « واحفظوا أيمانكم » . وتطلب كذلك شكر الله على أن وضح طريق الحق خالصا من شوائب المادية : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » .

٤ ــ وعن جريمة الصيد فى الاحرام للحج أو العمرة تقول الآيات القرآنية :

« يا أيها الذين آمنوا :
« ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ، ليعلم
« الله من يخافه بالغيب ،
« فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم .
« يا أيها الذين آمنوا :
« لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل
« ما قتل من النعم (الابل ــ البقر ــ الغنم) ، يحكم به ذوا عدل
« منكم ، هديا بالغ الكعبة (لفقرائها) .
« أو كفارة : طعام مساكين ،
« أو عدل ذلك صياما ،
« ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله
« منه ، والله عزيز ذو انتقام ،
« أحل لكم صيد البحر ، وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم
« عليكم صيد البر ما دمتم حرما ،
« واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (١٤) .

... كل آية من هذه الآيات الثلاث تنذر أو تحرم صيد البر فى الاحرام للحج أو للعمرة : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » . « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » . مما يوضح الهدف من هذا التحريم ، وهو توفير « الحرمة » لبيت الله . فاذا بوشرت جريمة قتل الصيد بعد النهى عن صيده وفى ظل مباشرة عبادة الحج أو العمرة فان ذلك لا يعد انتهاكا للحرم الآمن نفسه فقط ، ولا تحديا لما نهى الله عنه هنا من التحريم فحسب . وانما يعد تقليلا أيضا من شأن عبادة ، هى الحج أو العمرة ، فرض فيها التجرد ــ وقت أدائها ــ من كل مظاهر الدنيا وزينتها ، ومن كل ما يميز انسانا عن آخر . بل يعد نقضا لهدف هذه العبادة

من التجرد من كل ما هو مادى . لأن الصيد — رغم التحريم — هو انجذاب لما هو مادى سهل الحصول عليه . ولسهولة صيده ، كان موضع ابتلاء واختبار اذ تناله الأيدى أو الرماح . « ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم » .

والعقوبة على انتهاك حرمة البيت الآمن وحرمه بقتل الصيد المنهى عنه هى ما جاءت فى الآية فى قول الله تعالى : « ومن عاد (أى بعد التحريم) فينتقم الله منه ، والله عزيز « ذو انتقام » .

ولكن مع ذلك هناك كفارة قصد بها — كما يقصد من كل كفارة — أن لا تكون بديلة وعوضا عن العقوبة ، التى هى الانتقام . وانما قصد بها تصفية الميل والتبعية للاتجاه المادى فى الحياة ، أو قصد بها الوقوف الصلب فى مواجهة الاغراء والفتن التى تثيرها المتع وما فى الدنيا من متاع وزينة من جديد . فاطعام المساكين بما يساوى النعم التى يحكم بها ذوا عدل من المؤمنين ، أو الصيام أياما بما يعدل ذلك ، حسب تقدير الفقهاء ، هو تلك الكفارة التى نيطت بها مهمة التصفية للاتجاه المادى فى الحياة . واذ ذكرت الآية هنا فى التعليل للكفارة ما تقوله : « ليذوق (أى الذى أقدم على الصيد) اعتداء على حرمات الله وعلى نفس العبادة التى أريد لها أن تكفل عدم وبال أمره » .. فانها تقصد الى « تعظيم « الجريمة » . لأنها فى الواقع الاعتداء على تلك الحرمات ، وهى عبادة الحج أو العمرة .

ان هذه الاوضاع التى طلب فيها القرآن الكريم الصوم ككفارة أريد بها أن تكون فرصا أخرى لاداء هذه العبادة حتى تزيد فاعليتها فى حياة المؤمن فى صهر ارادته وقوة عزيمته فى مواجهة المادية وآثارها ، وحتى تسهم فى « التزام » ما يلتزم به المؤمن — وهو ما يلزم به نفسه عن اختيار — فى تحقيق نظرة الاسلام الى الحياة ، وتطبيق ما تقوم عليه النظرة من مبادىء وتوجيه .

---

(١) البقرة ١٨٣ — ١٨٥ .
(٢) محمد ١٤ .
(٣) الكهف ٧ .
(٤) الأنعام ١٦٥ .
(٥) الانبياء ٣٥ .
(٦) البقرة ١٥٥ — ١٥٧ .
(٧) آل عمران ١٨٦ .
(٨) محمد ٣١ .
(٩) محمد ١ — ٤ .
(١٠) آل عمران ١٥٢ .
(١١) النساء ٩٢
(١٢) المجادلة ٢ ، ٣ ، ٤ .
(١٣) المائدة ٨٩ .
(١٤) المائدة ٩٤ — ٩٦ .

ذو القرنين

محمود مؤذن

للشيخ أحمد حسن الباقوري

قال الله جل ثناؤه .
« ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شىء سببا فاتبع سببا .. الى قوله — وما استطاعوا له نقبا » (١) .

فأول ما يتساءل عنه فى هذه الآيات (ذو القرنين) من هو ؟
والثانى — ما المراد بمغرب الشمس ؟
والثالث — ما المراد بمطلع الشمس ؟
والرابع — ما المراد بالسدين ؟
والخامس — ما المراد بيأجوج ومأجوج ؟

فأما ذو القرنين فان اسلافنا يعرفونه بالرجل الطواف كما يقول ابن هشام والامام السهيلى ، ثم يختلفون فى اسمه فمن قائل ان اسمه (هرمس) أو (هرديس) وابن هشام يسميه الصعب بن ذى مرائد ، ويعتبره أول التبابعة ملوك اليمن ، وربما سموه أفريدون بن اثقيان الذى قتل الضحاك .

ويذكر الامام السهيلى أن قس بن ساعده ذكره فى خطبته فى سوق عكاظ —
(يا معشر اياد ، أين الصعب ذو القرنين الذى ملك الخافقين ، وأذل الثقلين ، وعمر الفين ، ثم كان ذلك كلحظة عين) .

وقد أنشدوا للاعشى .
والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا
والحنو — حنو قراقر الذى مات
والحنو — حنو قراقر الذ ىمات فيه ذو القرنين بالعراق .

ويقول ابن هشام — أنه رجل من أهل مصر اسمه مرزبان بزمرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح . واسمه الاسكندر ، وهو الذى بنى مدينة الاسكندرية فنسبت اليه .
ويقول ابن اسحاق رواية عن

معدان الكلابى ، وكان رجلا قد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم — ان النبى صلى الله عليه وسلم قد سئل عن ذى القرنين فقال — هو ملك مسح الارض بالأسباب ، ولم يشرح معنى الأسباب .

قال الامام السهيلى — وأهل التفسير لهم فيه أقوال متقاربة ، فقد قالوا فى قوله (وآتيناه من كل شىء سببا) أى علما يتبعه .

وفى قوله تعالى (فاتبع سببا) أى طريقا موصلة . ويقول ابن هشام فى غير السيرة : ان السبب هو حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه ، وقد قيل أن اسم ذلك الملك زياقيل .

وهذا يقرب من قول من قال : سببا أى طريقا . ويقرب أن يكون تفسيرا لقول النبى صلى الله عليه وسلم — مسح الارض بالاسباب .

وقد اختلفوا فى تسميته بذى القرنين ، كما اختلفوا فى اسمه واسم أبيه وأصح ما جاء فى ذلك ما روى عن أبى الطفيل عامر بن وائل — سأل ابن الكواء على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال — أرأيت ذا القرنين أنبيا كان أم ملكا ؟ فقال على : لا نبيا ولا ملكا ، ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين ، وفيكم مثله . يعنى نفسه،وقيل : كانت له ضفيرتان من شعر والعرب تسمى الخصلة من الشعر قرنا ومنه قول الاسدى —

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها
بنى شاب قرناها تصر وتحلب

أراد : يا بنى التى شاب قرناها .

فاما مغرب الشمس — فقد قرأ ابن عاصم وعامر وحمزة والكسائى : تغرب فى عين حامية . بدل حمئة ومعنى حامية حارة ومعنى حمئة كثيرة الحمأة ، وهى الطينة السوداء وقد يجمع بين القراءتين فيقال — كانت حارة وذات حمأة .

وقال عبد الله بن عمرو — نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غربت فقال — نار الله الحامية لولا ما يزعها من الله لاحرقت ما على الارض .

وقال ابن عباس — اقرأنيها أبى كما اقرأه رسول الله (فى عين حمئة) غير أن معاوية كان يقول هى حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص — فأنا مع أمير المؤمنين فجعلوا بينهم كعبا حكما وقالوا : يا كعب كيف تجد هذا فى التوراة ؟ فقال كعب : أجدها تغرب فى عين سوداء . فوافق ابن عباس .

وقال القفال :

ليس المراد أنه انتهى الى الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل الى جرمها ومسها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير أن تلتصق بالارض وهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الارض بل أكبر من الارض أضعافا مضاعفة وانما المراد أنه انتهى الى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة كما أنا نشاهدها فى الارض الملساء كأنها تدخل فى الارض ولهذا قال — وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا، ولم يرد انها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم بل أراد انهم أول من تطلع عليهم .

وقد وجد ذو القرنين عند نهاية العين قوما هم أهل جابرس وهى بالسريانية جارجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح كما قال السهيلى .

هذا ما رواه القرطبى وغيره من الاقدمين فى صدد الآيات الشريفة .

ويقول ابن القيم فى كتابه أغاثة اللهفان : ـ

ان الاسكندر المقدونى هو ابن فيلبس وليس بالاسكندر ذى القرنين الذى قص الله تعالى نبأه فى القرآن بل بينهما قرون كثيرة وبينهما فى الدين أعظم تباين .

فذو القرنين كان رجلا صالحا موحدا لله تعالى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكان يغزو عباد الأصنام ، وبلغ مشارق الارض ومغاربها ، وبنى السد بين الناس وبين يأجوج ومأجوج .

وأما هذا المقدونى فكان مشركا يعبد الاصنام هو وأهل مملكته ، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمائة سنة ، والنصارى تؤرخ له وكان أرسططاليس وزيره وكان مشركا يعبد الاصنام .

والامام جمال الدين بن نباته المصرى من أعيان القرن الثامن الهجرى يوافق الامام ابن القيم على رأيه هذا فيقول رحمه الله :

والصحيح أنه الاسكندر بن فيلبس، وسمى ذا القرنين تشبيها بذى القرنين المذكور فى الكتاب العزيز لبلوغ ملكه قرنى الشمس من المشرق والمغرب ، وهو صاحب أرسططاليس الحكيم الفيلسوف ، وكان أبوه سلمه اليه فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والأدب ، فنال منه ما لم ينل أحد من تلامذته ، ولما مرض أبوه خاف على الملك فاسترده وعهد اليه بالملك من بعده ، فلما تولى ملك ابيه أظهر من العبقرية وحسن الرأى والشجاعة وقوة التدبير وجميل الوفاء لمعلمه أرسطوما جعله مضرب الامثال فى كثير من فضائل الرجال .

ومما يذكر بالتقدير ما رواه ابن نباته عنه مما يدل على بعد نظره وقوة فكره وحسن سياسته فقد قيل له ذات يوم : أن فلانا يشتمك ، فلو عاقبته لاحسنت ، فابى أن يعاقبه قائلا (هو بعد العقاب أعذر) وتحاكم اليه اثنان ليقضى بينهما فى أمر، فقال لهما (الحكم يرضى أحدكما ، ويسخط الآخر فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا) وجىء اليه يوما بلص فأمر بصلبه فقال : (أيها الملك أنما فعلت ما فعلت وأنا كاره) فقال الاسكندر : (تصلب أيضا وانت كاره) وغضب ذات يوم على بعض شعرائه فاقصاه ، وفرق ماله فى أصحابه ، فسئل عن حكمته فى هذا التصرف فقال : أما أقصائى له فلجرمه ، واما تفريقى ماله فى أصحابه فلكى لا يشفعوا فيه ...

وجلس ذات يوم مجلسا عاما للرعية فلم يسأله أحد حاجة فقال : والله ما أعد هذا اليوم من ملكى ، فقيل له: ولم ذلك أيها الملك ؟ فقال : ان لذة الملك لا وجود لها الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين .

وأما مطلع الشمس فالمراد منه أنه انتهى الى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس أحد من الناس ، والشمس تطلع وراء ذلك بمسافات بعيدة ، وهؤلاء القوم فيما يقول الكلبى: يسمون تارس،وهاويل، ومنسك ، وهم حفاة عراة عماة عن الحق ، يتسافدون مثل الكلاب ، ويتهارجون تهارج الحمر ، وقيل هم أهل جابلق ، وهم من نسل مؤمنى عاد الذين آمنوا بهود عليه السلام ، ويقال لهم بالسريانية (مرقيسا) والذين هم عند مغرب الشمس هم أهل (جابرس) وهم يجاورون يأجوج ومأجوج .

والمراد بالسدين ـ جبلان : أرمينية ، وأذربيجان ، ومن وراء الجبلين قوم من الخلق لا يفقهون ، يعنى لا يفهمون من أحد قولا ، ولا يفقهون يعنى لا

يفهمون أحدا قولا كذلك ، وهمـــا قراءتان صحيحتان .

والسد هو وضع ما ينتقى بـه الخرق ومنه سدد السهم بمعنى أحكم تصويبه الى الهدف لانه سد عليـه طرق الاضطراب ، ومنه الســداد بمعنى الصواب .

والفرق بين السد والردم أن السد كل ما تسد به ، وأما الردم فهو وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجــاب منيع ، ومن ذلك ردم ثوبه اذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض ، ومن ذلك قول عنترة .

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم

يعنى عنترة ان الشعراء لم يغادروا قولا يركب بعضه فوق بعض .

واما يأجوج ومأجوج فمن أهل اللغة من ذهب الى انهما كلمتان عربيتان ، وجعل يأجوج على وزن يفعول ، ومأجوج على وزن مفعول وكأنــــه اعتبرهما من أجيج النار ، ومنهم من لم يهمزهما .

ويأجوج ومأجوج أمتان كل أمــة منهما ذات عدد كبير لا يعلمه الا الله وفى صفاتهم أختلفت الاراء اختلافــا شديدا بعضه يسوغ قبوله وبعضه لا يسوغ .

تلك خلاصة ما ذكره الاسلاف عن ذى القرنين .

ومولانا أبو الكـــلام آزاد العالم الهندى الفاضل له بحث جليل بذل فيه رحمه الله من جهده وماله ما لا يسخو به الا حريص على العلم غيور عــلى كتاب الله . وليس فى طاقة بحثنــا هذا أن يستوعب كل ما ذكره مولانا آزاد فنكتفى منه بذكر شواهد يستبين بها الفرق بين ما ذهب اليه الاسلاف وما كشف عنه الاخـلاف راجين أن تتهيأ لنا فرصة ينشر فيها بحثـه فى كتاب مستقل أن شاء الله .

قال أبو الكـلام :

والظاهر من أسلوب الآيــات الشريفة أن النبى صلى الله عليـه وسلم سئل عن ذى القرنين فجاءت الآيات جوابا للسؤال ، فروى الترمذى النسائى والامام أحمد أن قريشا بايعاز من علماء اليهود سألت النبى عــن أمور منها ذو القرنين فقال تمن هو ؟ وما أعماله ؟ وروى القرطبى عــن السدى قالت اليهود : أخبرنا عن نبى لم يذكره الله فى التوراة الا فى مكان واحد قال : ومن ؟

قالوا ذو القرنين ، وقد أحصى ابن جرير وابن كثير والسيوطى للروايات فى هذا الصدد فى تفاسيرهم .

وما ذكر فى الآيات من خصائص ذى القرنين يتلخص فيما يأتى :

١ ــ الرجل الذى سألوا النبى عنه كانوا يسمونه ذا القرنين أى ان هذا الاسم أو اللقب لم يضعه القرآن من عنده ، بل الذين سألوا عنه هم الذين أطلقوه عليه ، ولذلك قال : ويسألونك عن ذى القرنين .

٢ــ هذا الرجل أعطاه الله الملك وهيأ له أسباب الحكم والغلبة .

٣ ــ كانت مهماته الحربية الكبرى ثلاثا ــ الأولى غربية ، زحف من بلاده متوجها الى الغرب حتى وصل مكانا كان له حد المغرب فوجــد الشمس هناك كأنها تغرب فى عين حمئــة ، والمهمة الثانية وصلت به الى مكــان به مضيق جبلى ويشن من ورائه قوم الغارات على الاهالى وقد أطلق على هؤلاء المغيرين يأجوج ومأجوج .

٤ ــ أقام سدا فى المضيق الجبلى لمنع غارات القوم .

٥ ــ لم يتكون هذا السد مــن الحجر والآجر فقط ، بل استعمل فيه الحديد ، وأفرغ عليه النحاس كذلك

فأصبح سدا منيعا تعجز دونه همم المغيرين .

٦ — كان مؤمنا بالله وباليـــوم الآخر .

٧ — كان ملكا عادلا رحيما برعيته لا يتبع الفتك والقسوة بالمغلوبين فانه لما تغلب على قوم فى الغرب ظنوا أنه يرهقهم كغيره من الملوك الفاتحين ، فلم يفعل ذلك ، وهم فى قبضة يده لا ناصر لهم الا أنه انفق عليهم وكسب قلوبهم بعدله واحسانه .

٨ — لم يكن حريصا على المـــال فانـــه لما أرادوا أن يجمعـــوا لـــه المال لاقامة السد أبى أخذه منهم قائلا: ان ما أعطانى الله تعالى يغنينى عن أموالكم ، ولكن أعينونى بقـــوة أيديكم وأقم لكم سدا حديديا منيعـــا . فالشخصية التاريخية التى هـــذه أعمالها وصفاتها هى شخصيـــة ذى القرنين .

ولكن من ذو القرنين ؟ ومتى واين وجد ؟

ان أول ما يشغل بال المفسرين فى هذا الصدد هو اسم الرجل أو لقبه اذ لم يعرف أن يكون للانسان قـــرن أو قرون ، ولم يعرف فى التاريخ ملك لقب بهذا اللقب ، ولهـــذا تحيروا ، وتخبطوا فى تفسيره . فقال بعضهم : ان القرن لم يستعمل فى معناه الظاهر بل أريد به الزمن . ولما كان هذا الملك قد امتد حكمه واتسع نطاق فتوحـــه الى عهدين كبيرين لقب بذى القرنين ثم اختلفوا فى تحديد مدة القرن فقيل ثلاثون سنة وقيل خمس وعشرون سنة وقيل عشر سنين أقوال لا طائل تحتها .

وقد جمع ابن جرير فى تفسيره آثار الصدر الاول فى الباب ، ولكنها لا تلقى ضوءا على شخصية خاصة ، بل تبحث فى أنه كان نبيا أو غير نبى بشرا أو ملكا ، ولكن الآثار أجمعت على أن هذه الشخصية قديمة غارقة فى القدم ، ففى بعض الروايات أنه عاصر ابراهيم عليه السلام ، وانه كان من الانبياء ، فذكره البخـــارى مع الأنبياء القدماء ، وقدم ذكره عـــلى ابراهيم ، فكأن البخارى رأى أن ذا القرنين وجد قبل ابراهيم بزمن طويل أو فى عصره .

ولما بدأ عهد جديد للبحث والنقد اتجهت اذهان بعض المؤرخين الـــى اليمن ، فظنوا أنه كما ذكرت الروايات أسماء الملوك الحميريين كذى القرنين وذى الآذار ، فلا يبعد أنه وجد ملك يمنى سمى بذى القرنين كذلك .

وقد صرح بذلك أبو الريحـــان البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية » ، ووافقه عليه ابن خلدون ولكن هـــذه النظرية قامت على افتراض مخطىء لا يدعمه دليل تاريخى ، بل تخالفـــه القوانين والشواهد كلها .

فنرى أولا أن الذين سألوا النبى عن ذى القرنين هم اليهود أو قريش بايعاز من اليهود . ولا يغرب عـــن البال أن السائلين أرادوا بذلك تعجيز النبى ، وكانوا على يقين من أنه لم يصله خبر عن ذى القرنين من أبناء وطنه فيعجز هو عن الجواب .

فلو كان ذو القرنين رجلا من العرب وكان أهل الحجاز عـــلى علم بـــه لشاركهم النبى فيما يعلمونه ولما كان ثمة وجه للسؤال عن شىء معروف عنده والسؤال الذى نحن بصدده هو — هل تنطبق الخصائص والاعمـــال التى ذكرها القرآن لذى القرنين على ملك حميرى ؟ يذكر القرآن فتوحـــا له فى المغرب وفتوحا له فى المشرق واقامة سد حديدى يمنـــع هجمات يأجوج ومأجوج ولا توجد شهـــادة تاريخية على وجود ملك حميرى أمعن فى الشرق ولغرب مغيرا فاتحا ، وبنى سدا حديديا كما ذكره القرآن .

أما كون بعض ملوك اليمن لقبوا بذى القرنين فلا أهمية له . وكذلك التشبث بسد مأرب لا يجدى نفعا اذ لم يذكر أن هذا السد بنى لصد هجمات مغيرين واستخدمت فى بنائه ألواح من الحديد .

ومضى مولانا أبو الكلام فى شرحه لشخصية ذى القرنين فقال : انه لما تمكن من مشاهدة آثار ايران العتيقة ومن مطالعة مصنفات علماء الآثار فيها زال الحجاب وظهر كشف أثرى قضى على سائر الشكوك وتقرر لديه بذلك دون ريب ان المقصود من ذى القرنين ليس الا قورش الملك المؤمن القديم .

وقال ان هذا الكشف الأثرى الهام هو تمثال حجرى لقورش بعينه وجدوه منصوبا فى مكان يبعد عن عاصمة ايران القديمة (اصطخر) نحو خمسين ميلا على شاطىء نهر مرغاب .

وقد فحص علماء الآثار التمثال ونشروا رسما له ، وهو تمثال على القامة الانسانية يظهر فيه قورش وعلى جانبيه جناحان كجناح العقاب وعلى رأسه قرنان كقرنى الكبش ، ويده اليمنى ممتدة يشير بها الى الامام ، ولباسه هو لباس ملوك بابل وايران .

وربما كان هذا التمثال قد صنع بأمر قورش نفسه فى حياته ، أو بأمر خليفة من خلفائه كما هو الشأن فى ملوك ذلك الزمان فى كل مكان .

ومضى أبو الكلام يقول :

كانت فتوح قورش المتوالية فتوحا ليست لسفك الدماء ولا لجمع المال ، بل لبسط العدل والأخذ بأيدى المظلومين المقهورين ، وقد توغل غربا حتى بلغ ساحل بحر ايجه قريبا من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل فرأى الشمس تغرب مساء فى هذه العين ، وهذا هو ما عبر عنه القرآن بقوله ((وجدها تغرب فى عين حمئة)) أى أنه تراءى له كأن الشمس تغرب فى بقعة كدرة من الماء .

ثم توغل فى الشرق حتى بلغ «بلخ» وهى غاية الشرق الاقصى لايران وبذلك أخضع بلاد مكران وبلوخستان

ثم توغل فى الشمال حتى جبال القوقاز وهى بحر الخزر ، والبحر الاسود تكون سدا طبيعيا بين آسيا الغربية والبلاد الشمالية ، وكان فى جبال القوقاز هذه مضيق يجتازه المهاجمون ، ويشنون الغارت على البلاد الواقعة وراءه فبنى قورش فى هذا المضيق سدا حديديا ، وأقفل به الطريق على المغيرين ، ولم يأمن أهل سهول القوقاز وحدهم بهذا السد بل أصبح السد بابا مقفلا منيعا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية فأمنت جميع الشعوب القاطنة فى آسيا الغربية وفى مصر من جهة الشمال .

ويقول رحمه الله ــ عن سد يأجوج ومأجوج :

انه توجد فى البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الاسود سلسلة جبال قوقاز كأنها جدار طبيعى وقد سد هذا الجدار الجبلى الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب الا طريقا واحدا بقى مفتوحا وهو مضيق فى وسط سلسلة الجبال يوصل بين الشمال والجنوب ، ويسمى هذا المضيق فى أيامنا هذه

مضيق « داريال » ويشار الى موضعه فى الاطلس الحاضرة بين دفــلادى كيوكاس وطفيليس حيث يوجد الــى الآن جدار حديدى من قديم الازمان .

ولا ريب أن هذا هو الجدار الــذى بناه قورش اذ ينطبق عليه الاوصاف التى وصف بها القرآن سد ذى القرنين مقررا أنه استخدمت فى بنائه زبر الحديد ، وافرغ عليه النحاس بعــد أن اذابوه لتتصل مفاصله فلا يبقى به خلل ومقررا أيضا أنــه بنى بين جدارين جبليين فهذا هو ما نراه فى مضيق داريال ــ جدران جــبليان شاهقان أقيم بينهما هــذا السد الحديدى الذى أقفــل باتصالــه بالجدارين الطريق الذى كان مفتوحا بينهما والكتابات الأرمنية لهــا أهمية كبيرة فى هذا الأمر لانها لقرب المكان أصبحت بمنزلة الشهادة المحلية ، وقد سمت هذا السد أو الجدار الحديدى فى اللغة الاريمنية من الدهور السالفة (بهالك غوراش » و (كابان غوراش) ومعنى الكلمتين واحد هــو مضيق غوراش أو ممر غوراش ولا يخفى أن غور جزء لاسم غورش (قورش) بلا ريب أفــــلا يثبت هــــذا أن غـــورش (قـــورش) هـــو الــذى بنى الجــدار ، واليه نسبوه من قديم الزمان ، على أن هنالـــك شهادة أخرى لا تقل فى أهميتها عــن الاولى وهى شهادة لغة بلاد جورجيا التى هى القوقاز بعينها،فقد سمى هذا المضيق باللغة الجوروجية من الدهور الغابرة بالباب الحديدى وترجمــه الاتراك الى لغتهم (دامر كيو) وهو مشهور الى الآن عندهم .



فوائد الصوم

- ١ -

حل شهر رمضان المبارك على طلاب الكلية العسكرية سنة (١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م) وغمرت أنواره قلوب المؤمنين فى كل مكان ، فاستقبله قسم من الطلاب العسكريين بما يستحقه من حفاوة بالغة وصمموا على الصيام مهما تكن الصعوبات والمشاكل ..

لقد تعود هؤلاء على صيام هذا الشهر المبارك حين كانوا تلاميذ فى المدارس المدنية ، وليس من السهل على من اعتاد الصوم أن يتخلى عنه ، فهم قد تذوقوا فرحة الصائم ، وبركات الصوم ، وحلاوة الايمان ، وليس من ذاق كمن حرم ، ومتاع الدنيا كله لا يساوى شيئا بالنسبة الى ما تذوقوه ..

ومضى اليوم الأول من أيام الصيام ، واجتمع الطلاب الصائمون على مائدة الافطار والسحور ، تحف بهم الملائكة ، وترتسم على وجوههم سمات العزم والانشراح ، وكما عزموا على الصوم ، عزموا على ابراز أثر الصوم فى الصائم الحق معاملة حسنة للناس ، واخلاقا محببة للنفوس ، ومضاعفة للعمل المثمر البناء ، وامتيازا فى النجاح دون الاكتفاء بالنجاح وحده .

كان الصائمون من طلاب الكلية العسكرية أقلية ، وكانت الأكثرية تشك فى امكان الصوم وتحمل المشاق العسكرية فى آن واحد ، وكان المسئولون فى الكلية والطلاب يتوقعون الاخفاق للصائمين فى مجالى العلوم العسكرية والتدريب العسكرى ، وكانوا ينتظرون أن يتناقص عدد الصائمين بالتدريج حتى يتلاشى ، وكانوا بين مشفق على الصائمين ومستقبلهم وبين مستهجن لاصرارهم على الصوم .



العسكرية

اللواء الركن محمود شيت خطاب

ومضت أيام رمضان يوما بعد يوم ، وعدد الصائمين يزداد كل يوم ، ومضى الصائمون يثبتون عمليا أن الصوم حافز من أقوى حوافز العمل والانتاج والنجاح . وكان من أشد المقاومين للصائمين ضابط برتبة نقيب ، وكان هذا الضابط قائدا لفصيلة من فصائل الكلية العسكرية ، وكان قادة الفصائل يتنافسون فيما بينهم على التفوق ، وحين تفشى الصوم بين طلابه تنادى بالويل والثبور . وقد كانت فصيلته متميزة قبل رمضان فظن بعد حلوله أنها ستصاب بنكسة قاصمة . ولم ينقض الشهر المبارك الا ولمس تقدما مذهلا فى فصيلته فقد كان طلابه الصائمون يرتفعون كل يوم وينالون قصب السبق فى التدريب والالعاب والدروس ، فما حل العيد الا وكانت فصيلته قد بلغت درجة من التفوق لا تضاهى ، حتى أصبحت فصيلته بفضل الصائمين ، هى الفصيلة النموذجية بين فصائل الكلية العسكرية قاطبة ، وأصبحت مضرب الأمثال فى التدريب والتهذيب والعلوم العسكرية والألعاب الرياضية .

وصادفت هذا الضابط بعد عشر سنوات وقد أصبح برتبة عقيد قائدا لوحدة من وحدات المشاة فى فلسطين سنة (١٩٤٨ م) وزرت وحدته فى شهر رمضان من تلك السنة ، فرأيته صائما يقاوم الافطار ويأمر بالصوم ، ووجدت وحدته كلها ضباطا وضباط صف وجنودا صائمين ، ووجدته مهتما الى أبعد الحدود باحضار الافطار والسحور لرجاله ، فرحا غاية الفرح باجماع اتباعه على الصوم وحرصهم الشديد عليه .

وقال معللا سر تحوله عن مقاومة الصوم والصائمين « لقد تعلمت من طلاب الكلية العسكرية الصائمين أن الصوم سر من أسرار التفوق والامتياز ، وكنت قبل ذلك واثقا من أن الصوم يضعف الهمم ، ويحث على الكسل ، ويقلل من الانتاج وفرص النجاح » ..

إن كل فرائض الاسلام وكل تعاليمه خير وبركة ، اذا طبقها المسلمون كما ينبغى . ولو طبق المسلمون اليوم تعاليم دينهم تطبيقا سليما ، لقادوا العالم ، وسيطروا على مقاليده عسكريا ، وسياسيا وحضاريا .. ولكن أين من يطبق تعاليم الاسلام كما يجب .... أين ؟

– ٢ –

وطالما سمعت غير الصائمين يقولون – كيف تستطيعون الصوم عن الطعام والشراب ساعات وساعات ، هؤلاء وامثالهم لم يؤمروا بالصوم حين كانوا صغارا ، ولم يشاهدوا آباءهم وأمهاتهم يصومون ، فلما كبروا استقر فى أذهانهم أن الصوم صعب لا يحتمل ولا يطاق ولو أنهم صاموا وهم صغار وشاهدوا أبويهم يصومون لتغلغل حب الصوم فى أفئدتهم ومعه نور الله ، ولأصبحوا يقولون – كيف يستطيع المسلم القادر على الصوم الافطار فى رمضان ؟ كيف يصبح المرء عبدا لبطنه ؟ كيف يعصى المؤمن الحق أوامر الله . ؟

قبل بضع عشرة سنة ظهر طبيب المانى كبير درس آثار العقاقير فى الجسم البشرى ، فوجد أن قسما منها يفيد من ناحية ويضر من ناحية أخرى فهى تبنى وتهدم ، وقد يكون ضررها أكبر من نفعها كما وجد أن قسما من هذه العقاقير الطبية تترك آثارا سيئة فى الجسم ، اذا لم تظهر اليوم فانها تظهر غدا ، لأنها تعتمد على المواد السامة فى تركيبها .

وبعد بحوث مستفيضة أجراها ذلك الطبيب ، وجد أن العلاج الطبيعى الذى يعتمد على الحمية والهواء الطلق ، والتعرض لأشعة لشمس ، والايمان بالقضاء والقدر هو أنجع علاج لامراض البشر .

والف هذا الطبيب كتابا عن العلاج الطبيعى ، اشاد فيه بالصوم الاسلامى ، وبالايمان بالقضاء والقدر ، وقال – ان هذين العلاجين انجع العلاجات على الاطلاق ..

فقد ذكر أن المعدة وأجهزة الهضم الأخرى تضرها التخمة ، وأن فضلات الطعام تترك سموما قاتلة فى الجسم وأن الصوم يذيب هذه السموم بالتدريج حتى يتخلص الانسان منها ، فتعود اليه صحته ويتعافى .

كما ذكر أن المكثرين من تناول الأدوية الصناعية ، تكون نسبة السموم فى أجسادهم أكثر من المقلين من تناول تلك الأدوية وقد أورد قول الكاتب البريطانى برناردشو عن مضار العقاقير « لو ألقينا الأدوية فى البحر لمات السمك » ..

وأنشأ هذا الطبيب فى المانيا مصحا صغيرا لم يفتأ ان اصبح مستشفى ضخما يقصده المرضى من جميع أنحاء العالم للتطبب بالعلاج الطبيعى ، ثم انتشرت مستشفيات العلاج الطبيعى فى المانيا وفى العالم المتمدن وأصبح لهذا العلاج كراسى فى كليات الطب ومختصون من الأطباء كما تخرج فى تلك الكليات أطباء عرب يمارسون مهنتهم فى البلاد العربية ويلاقون النجاح ويحظون بثقة المرضى .

وكما علل الطبيب الألمانى أهميــة الصوم فى تخليص الأجسام من السموم ، علل أهمية الايمان بالقضاء والقدر فى العلاج الطبيعى . فقــد ذكر أن المريض الذى تنتابه الهواجس يكون قلقا خائفا،والقلق يقوض الجسم والخوف يحطم البدن ، وهما عاملان من عوامل استشراء المرض وتفاقمه . أما الايمان بالقضاء والقدر ، فيدخل الهدوء الى روع الانسان ويصــاول القلق والخوف ، ويشيع الاطمئنان فى النفوس ، مما يؤدى الى شفــاء المريض .

والاسلام هو الرائد فى الصوم والايمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى ، ولم يكن الطبيب الالمانى هو الرائد على الرغم من ادعاءاته وادعاءات غيره من الأطباء والناس .

ولكن الاسلام — مع الأسف الشديد — مظلوم حتى بين معتنقيــه جغرافيا وبالوراثة — وما أكثرهم عددا واقلهم جدوى ، وصدق الشــاعر :

إنى لأفتح عينى حين أفتحهــا   على كثير ولــكن لا أرى أحدا

— ٣ —

إن فوائد الصوم العسكرية ظاهرة للعيان ، ولعل إبرازها فى مثل هذه الأيام له أهمية خاصة نظرا للظروف العصيبة التى يجتازهــا العرب والمسلمون وهم فى حرب مصيرية على اسرائيل وعلى من وراءاسرائيل من دول الاستعمار القديم والجديد .

وإحراز النصر على أعدائنا لا يكون الا بالايمان العميق ، وهــــذا الايمان هو السلاح الذى نتفوق به على الأعداء ، فاذا تخلينا عنه تفــوق علينا أعداؤنا بما يمتلكون من سلاح وعتاد ومكر وخداع .

فى العسكرية نوع من التدريب يطلق عليه « التدريب العنيف » وهو تدريب العسكريين على النهوض بواجباتهم فى ظروف صعبة ، كالحرمان من الطعام والماء والترفيه عن النفس ، وتحمل التعب والسهر ، وقطــع المسافات الشاسعة ، واجتياز العقبات وعبور الموانع واقتحام العراقيل .

واهم ما فى هذا التدريب العنيف ، هو الحرمان من الطعام والماء ، لأن الجيش يمشى على بطنه كما يقول نابليون — وهذا الحرمــان هــو الصوم .

إن الصوم يهيىء الأسباب للتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب اما بقية فروع التدريب العنيف ، فهى ميسورة لكل شاب سليم الصحــة ، ومعظم عناصر كل جيش فى العالم هم الشباب .

ان ظروف الحرب قد تقتضى انقطاع سابلة الطعام والماء من جــراء القصف الجوى أو نسف الجسور ، فاذا لم يكن الجندى قادرا على تحمل الجوع والعطش يوما أو أياما عند الضرورة فانه بدون شك يستسلم للأعداء ويرضخ لارادتهم .

أما إذا كان الجندى قادرا على تحمل الجوع والعطش حتى تنجلى الغمة ، فانه يقاوم الأعــداء ويصاولهم ويحبط محاولاتهم لاجبارهم عــلى الرضوخ والاستسلام .

والتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب ، هو فى نفس الوقت تدريب على الصبر الجميل ، ومن المعلوم أن الجندى الصابر يتغلب دوما على الجندى الذى يعوزه الصبر ، وما أصدق المثل العربى « الحرب صبر ساعة » . .

ثم ان أعدى أعداء المرء نفسه ، والرجل إذا استطاع السيطرة على هوى نفسه ، فأدى ما « يجب » أن يؤدى لا ما « يهوى » أن يؤدى ، أصبح جنديا مثاليا فى تصرفه ورجولته واقدامه وتضحيته . وما الصوم الا سيطرة على النفس الأمارة بالسوء ، يوجهها الى ما « يجب » أن تعمل لا الى ما « تحب » أن تعمل .

فاذا كان الجندى مسيطرا على نفسه ، فانه يحول بينها وبين وساوسها فى التولى يوم الزحف وغيره ، ويحملها على التمسك بفضائل الجندية الحقة .

وصوم رمضان يحتاج الى عزم صادق ، وهذه المزية من مزايا الجندى المتميز ، اذ لا فائدة من القرار الصائب بدون عزم على تنفيذه ، ولا نصر فى الحرب بدون عقد العزم على تحقيقه .

وكيف يمكن أن ينتصر الجندى ، اذا كان مترددا لا يقر له قرار على خطة أو رأى ؟

ان الصوم يربى مزية العزم فى النفوس ، ويقضى على رذيلة التردد .

— ٤ —

والصوم الاسلامى يطهر النفس وينقيها من الدرن ، ويرتفع بها الى معالى الأمور ويقتلع منها الخبث وحينذاك تقبل على التضحية بالمال والنفس وتطلب الشهادة أو النصر ، والحرب فى الاسلام هى إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر .

فما أحوجنا اليوم الى جنود طاهرة نفوسهم ، يقبلون ولا يدبرون ، ويؤثرون ولا يستأثرون .

والصوم يحث على التعاون الوثيق ، لأن الصائم الحق يكون قريبا من الله بعيدا من الشيطان ، فيعاون أخوته فى الدين أفرادا ، ويعاونهم جماعات ، والتعاون مبدأ من مبادىء الحرب ، فاذا تألف الجيش من أفراد متعاونين على النطاقين الفردى والجماعى ، أصبح قوة لا تقهر ، لأنه سيكون متعاونا على نطاق الأسلحة المختلفة والقيادات المختلفة ، ويكون هدف رجاله المصلحة العليا للأمة دون المصلحة الشخصية للفرد . .

والصوم يغرس الخلق الكريم فى النفوس ، لأن الصائم الحق متسامح دمث ، يحب لغيره ما يحبه لنفسه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد يبدأ الصائم فى التمسك بالخلق الرفيع فى أول أمره « تطبعا » إذا غاضبه أحد قال إنى صائم ... ثم يمسى التطبع بالتدريج « طبعا » فيه .

والدين المعاملة ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم

الأخلاق ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم فقال « وانك لعلى خلق عظيم » . وقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم القادة ، لأنه كان أعظمهم أخلاقا والقائد المتمسك بالخلق الكريم ، والجندى المتمسك بالخلق الكريم عناصر مفيدة ودعائم قوية لكل جيش فى العالم .

فما أحوجنا اليوم الى قادة وجنود متمسكين بخلق القرآن الكريم .

والصائم يطيع الله وينفذ تعاليمه ، فيحرم نفسه من الطعام والشراب ومتاع الدنيا حتى يفطر .

وقد يكون جائعا فيخلو الى نفسه ويجد الطعام الشهى والشراب الهنى ولكنه يمتنع عن تناولهما مرضاة لله وتنفيذا لأوامره .

هذه الطاعة فى السر والعلن ، هى أرقى درجات « الضبط المتين » التى تنص على : إطاعة الأوامر وتنفيذها عن طيبة خاطر فى مختلف الظروف والأحوال دون رقيب أو حسيب ..

ومن المعلوم أن الفرق بين الجندى الجيد والجندى الردىء هو تحلى الأول بالضبط المتين وتحلى الثانى بالتسيب والتمرد والعصيان .

ومن المعلوم أيضا أن الفرق الأساسى بين الجيش القوى ، والجيش الضعيف أن الأول قوى الضبط والثانى ضعيفه لا يتميز عن العصابات بشىء .

أعرف أشخاصا يخشون رؤساءهم كخشيتهم لله أو أشد خشية ، ولكنهم يعصون الله خالق الكون وفالق الحب والنوى القوى العزيز .

وطاعة المرءوس للرئيس ما أطاع الرئيس الله واجبة ، ولكن طاعة الله هى من أوجب الواجبات .

فمتى يعرف الانسان قدر نفسه ، فيطيع الذى منحه الصحة والعافية والرزق والحياة ؟

— ٥ —

تلك هى مجمل فوائد الصوم العسكرية ، إذا استغلها العرب اليوم واستغلها المسلمون تبدل حالهم الى أحسن حال .

إنها تطبيق لمبادىء التدريب العنيف ، وسيطرة على النفس الامارة بالسوء ، والتحلى بالعزم الصادق ، وتطهير النفس من الخبث والدرن ، والتمسك بمبدأ التعاون الوثيق الذى هو مبدأ من مبادىء الحرب ، والتخلق بالخلق الكريم أفرادا وجماعات ، والالتزام بالضبط المتين الذى هو من أهم مزايا الجندية ، والتشبث بالصبر الجميل الذى هو قوة كل جيش منتصر .

والذى أريده من إخوانى قادة العرب والمسلمين أن يأمروا بالصوم ويشجعوا الصائمين ، وأن ينهوا عن الافطار ويؤنبوا المفطرين ، حتى يحققوا لأمتهم وجيوشهم تلك الفوائد الحيوية والله مع المتقين ، وما النصر الا من عند الله .

رمضان ...

بركاته وذكرياته

للأستاذ أحمد محمد جمال

شهر رمضان — بدون جدل — شهر البركات : روحية ومادية ، على السواء . وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول عليه صلاة الله وسلامه .. عن هذه البركات الرمضانية عديدة وأكيدة ..

وبوحي من طبيعة الشهر ، وبأثر من فضله تعود الناس في استقباله عادات كريمة ، هي كما أشرنا — بعض من آثار كرامته ، وشيء من ثمرات يمنه .

ففي رمضان تنفتح قلوب التجار ، وذوي اليسار ، وتنبسط جيوبهم أيضا .. للعطف على الفقراء ، واللطف بالمساكين ، والتصدق عليهم بالمال

المنقود حينا ، وبالاغذية والاكسية ، أحيانا ، وقد يكون ذلك زكاة واجبة ، عن أموالهم ، مؤجلة الى رمضان ، وقد يكون صدقة نافلة . والمهم أن رمضان هو الحافز على الوفاء والأداء .

ومن بركات رمضان : ظاهرة التسامح والتعاطف والتراحم ، والتزاور بين الاقربين والابعدين ، بل حتى بين المتخاصمين ، فرمضان — فى نظرهم وعقيدتهم وعلى السنتهم : شهر الرحمة والمغفرة ، ولذلك فانهم متأثرون بروحه الكريمة ، مستشعرون بظله الرحيم ..

ومن بركاته — كذلك — أن المظلوم يغفر لظالمه ، والمشتوم يصفح عن شاتمه ، لأن رمضان فى مشاعر الناس :شهر السماح والسلام .

وبركة أخرى — لهذا الشهر الكريم — هى اندفاع الناس فيه الى مزيد من الصلوات والنوافل ، سواء أكانت تراويح أو وترا أو تهجدا . بل ان من لم يصل طوال العام يحافظ على الصلاة فى رمضان . وكما يكثر الناس من الصلاة النافلة فى رمضان يكثرون — أيضا — من تلاوة القرآن ، على غير ما تعودوه طوال سنتهم . وهم يفعلون ذلك رجاء المزيد من رحمة الله ورضوانه ، والمزيد من جوده واحسانه .

وفى رمضان يستعد الناس حتى من لا يعبأ بالعاطفة الروحية نحوه بالاطايب من المأكل والمشرب ، ويتوسعون فى الانفاق بسخاء فريد ، ويتعهدون ذوى الجوار والقربى بالهدايا من ذلك ، كما يبذلون لأولى الحاجة والفاقة صدقات منه .

كل أؤلئك من بركات رمضان ، وليست كل بركاته . فمرحبا بأبى البركات ، شهر القرآن ، وشهر الغفران ..

وقد امتاز رمضان . هذا الشهر المبارك الميمون — بفضائل وخصائص وذكريات ، ليست لغيره من شهور العام ..

من هذه الامتيازات :

(ليلة القدر) التى هى خير من ألف شهر ، والتى تتنزل فيها الملائكة بالسلام والأمان ، والتى يفرق فيها كل أمر حكيم — أى التى يقضى الله فيها سبحانه قضاء العام كله ، من آجل عباده ، وأعمالهم ، وأرزاقهم .

ومنها (نزول القرآن) نزوله هدى وبينات من الهدى والفرقان توضح الحلال والحرام ، وتميز الحق من الباطل ، وتحث على الصالح ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ..

وفى هذا الشهر نفسه نزلت — كما يرى الطبرى — صحف ابراهيم ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

وفى رمضان — أيضا — كانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أعلنه الله تبارك وتعالى ببدء الرسالة والدعوة الى دين الحق ، دين الخير والنور .

ومن ذكريات رمضان غزوة بدر الكبرى — فى السابع عشر منه فى السنة الثانية للهجرة — وهى أول معركة وأعظمها بين المؤمنين والمشركين ، كانت فرقانا بين الحق والباطل ، وفيصلا بين الكفر والايمان .

وفى اليوم العاشر (١) من رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، كان فتح مكة المكرمة ، حيث سار اليها جيش الاسلام من المدينة المنورة بعد

نقض المشركين لصلح الحديبية .. وكان فتحا مبينا ، كما وصفه القرآن ، عز به الاسلام ، وقويت شوكته ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وفى عامى (٩١ — و ٩٢) للهجرة ، وفى رمضان بالذات كان غـزو المسلمين للاندلس ، وتم فتحها وخضوعها لحكم الاسلام ، ذلك الحكم العادل الفاضل ، الذى ظلت الاندلس تنعم خلاله بحضارة رشيدة مجيدة ، طوال ثمانية قرون .

هذه بعض (بركات) رمضان وشىء من (ذكرياته) وخصائصه وامتيازاته .

أهـداف الصيـام

هناك ، بين الناس : من يصوم يوما أو بعض يوم ، وعن كل الطعام أو شىء منه ، للتخلص من السمنة ، أو تطهير أمعائه من الرواسب الضارة ، أو لاكتساب جمال الجسم وقوته ، أو لكبت الفريزة الجنسية ، أو غير ذلك من أغراض وأهداف رسمها العلم الحديث ، فى دنيا الطب والرياضة والجمال ..

أما الاسلام فقد شرع الصيام لتحقيق (التقوى) فى نفوس اتباعه ، حيث يرتفعون بها الى مكارم الاخلاق ، وعزائم الامور ...

● فى القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

● وفى الحديث النبوى : (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

فأهداف الصيام وأغراضه فى الاسلام : التعويد على الصبر ، وتحمل المصاعب ، والاخلاص فى أداء العمل ، وكف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الاذى والخنا ، والتذكير بالفقراء ، من أجل البذل لهم من غذاء وكساء ..

فان لم ينتفع الصائم بآثار صومه الروحية والاخلاقية ، كان كما قال صلى الله عليه وسلم (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش) ، أما المنتفعون بالصوم ، السعداء حقا برمضان ، الظافرون ببركاته الروحية والجسدية .. فحسبهم أن الله جعل جزاءهم غير محصور ولا مذكور كما جاء فى الحديث القدسى : كل عمل ابن آدم يضاعـف — الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف .. الا الصوم فانه لى وأنا أجـزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى) ...

وبالمناسبة كنت أقرأ شيئا من آراء المفسرين العصريين للقرآن الكريم ولحديث الرسول العظيم ، عليه الصلاة والسلام . وكان الموضوع الـذى تناولته تلك الآراء : رمضان والصيام فيه ..

فقد أورد بعضهم الحديث النبوى : (كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش) . ثم قال : هذا هو مثل الذين يصومـون النهـار ، ولكنهم ينفقون على مأكل رمضان وشرابه ما يكاد يساوى نفقة السنة ، حتى كأنه موسم أكل ، وكأن الامساك عـن الطعام فى النهار انما هو لأجـل الاستكثار منه فى الليل ، وهذا هو الصوم المراد بقوله صلى الله عليـه وسلم (كم من صائم ... الخ)

وعندى : ان هذا الرأى فى تفسير الحديث النبوى غريب ونكير . فان لفظ الحديث بين ، ومغزاه أبين ... فى أن المراد بالصائم الذى لا حظ له من فضل صيامه الا الجوع والعطش ، هو الذى يظن أن حكمة الصوم هى الصبر على الجوع والعطش وحدهما ، دون بقية الشهوات والنزوات الاخرى من تصرفات اليد واللسان ، والعين والقدم ..

.. تلك التصرفات التى لا تكف عن انتهاك الحرمات ، وكشف العورات ، واجتراح السيئات ، وايذاء الغير بالقول أو الفعل ..

وكما يفسر القرآن بعضه بعضا ، فكذلك الاحاديث النبوية يفسر بعضها بعضا . فهناك حديث المرأتين الصائمتين اللتين لم تكفا ألسنتهما عن الغيبة ، وحديث (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) . وحديث (ليس الصيام من الاكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث) وغيرها مما يوضح معنى الحديث ، موضوع البحث .

(رمضان .. فى مكة المكرمة)

رمضان – كما قلنا – شهر البركة ، والمغفرة ، والرحمة . ما أحب أيامه ، وما أسعد لياليه عند كافة المسلمين ، فى مشارق الارض ومغاربها .

ولقد كان نبى الاسلام صلوات الله وسلامه عليه يدعو منذ رجب ، راجيا أن يدرك رمضان ليصومه ويقومه . كان صلى الله عليه وسلم يقول (اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان ، وبلغنا رمضان) .

انه الشهر الذى يرجو المسلم أن يعيشه ، كى يصومه ويقومه ، ويحظى ببركاته ورحماته ، وما خصه الله به من مغفرة للمذنبين ، ورضوان على الصالحين . وهو كذلك شهر الصبر ، لأنه يعلم الصبر والتسامح والتصافح والتصافى ، وبر الاغنياء للفقراء ، واحسان الاقوياء للضعفاء .

ويمتاز رمضان فى مكة المكرمة عن غيره فى غيرها ، لموقع البيت الحرام فيها ، ومشهد الكعبة منها ، والاعتمار اليها ، واعمال الطواف والسعى ، وما اعتاده بعض الصائمين من أهلها والوافدين عليها من الافطار فى المسجد الحرام كسبا لصلاة المغرب جماعة ، والتذاذا بمشاهدة البيت العتيق ، ومن انتظار صلاة الفجر فيه ، بعد السحور ، ثم ادائها جماعة كذلك .

وصدق القائل : « حبذا الكعبة من مشهد » فى كل وقت ، وفى رمضان بوجه خاص حيث تتنزل رحمة الله ومغفرته على عباده الصالحين والتائبين ..

وحسبى أن أنقل هنا اعتراف زائر مسلم بالمتعة الفريدة ، التى يمتاز بالحظوة بها صائم رمضان فى مكة المكرمة – فقد وفد اليها فى نفس الشهر فى عام ١٣٧٣ هـ الاستاذ أمين المميز الذى كان وزيرا مفوضا للعراق فى لندن وواشنطن وجدة . وكتب عن انطباعه فى أداء العمرة ، والصلاة بالمسجد الحرام الكلمة التالية :

(الآن .. وقد أدركت ضالتى وتمت لى نعمة الله بأداء العمرة . فما عساى أفعل ؟ ...

انها ليلة من ليالى رمضان . وأهل مكة والعمار والطائفون يقصدون المسجد الحرام للافطار بجوار الكعبة ، ولصلاة العشاء ومن بعدها صلاة التراويح والوتر . ومنهم من يقوم لصلاة القيام الى مطلع الفجر . . .

لقد شهدت فى حياتى مشاهد أخاذة لا تعد ولا تحصى فى كثير من بلاد الله . ولكنى أقر بأن المشهد الذى شهدته هذا المساء ليس له مثيل بين مشاهد العالم . . انه أروع مشهد يبهر العين ، ويأخذ بالقلب والوجدان . . .

المسجد الحرام تتلألأ جنباته بالانوار الكهربائية الساطعة . . . ألوف وألوف من المحرمين ، ومن غير المحرمين اصطفوا حول الكعبة من كافة جهاتها ، مولين وجوههم شطرها . . منهم من يصلى ، ومنهم من يتلو آى الذكر الحكيم ، ومنهم من يردد التسبيح والابتهال والدعاء والتكبير . .)

وفى مقدمة ثانية الى مكة ، فى نفس الشهر — قبل الحجر الأسود وقال : (طبعت عليه قبلة لم تتذوق شفتاى أشهى وأطيب منها) .

(زكـــاة الفطر)

الحديث عن بركات رمضان ، الكثيرة الغزيرة — يستتبع الحديث عن عيد الفطر ، الذى هو ختام بركاته . وقد شرع — أى العيد — ليكون تماما لعدد من أفراح الصائمين الصادقين .

فالصائم الصادق ، بلا شك فرح مسرور بأدائه لفريضة الصوم ، وهو مرتقب فضل الله ورحمته ، وامتنانه عليه بالقبول الحسن ، والمثوبة المدخرة ، وما يصحبها من غفران الذنوب وتكفير الخطايا ، والتوبة الصدوقة فى مستقبل العمر .

والصائم الصادق فرح كذلك باتمام صيامه ، واستقبال ختامه الذى هو (عيد الفطر) يفرح به فرحة الطالب بنجاحه فى الامتحان ، أو فرحة المجاهد بالنصر فى الميدان .

وقد شرع العيد كجائزة أولى للصائمين ، يتناولون فيه البرىء من اللهو ، والحلال من اللذة ، والمباح من المسرات ، ويتبادون فيه الزيارات بأقدامهم أو التحيات بأقلامهم اذا كانوا متباعدين بين بلد وبلد .

وليست فرحة العيد فردية تخص الفرد وحده . . وانما هى فرحة جامعة . ولذلك شرعت صلاته فى الاماكن الفسيحة ، لأن المساجد العادية تضيق بالجموع الكثيرة التى تسارع الى أدائها فى شوق وحرص ، واذن فيها باصطحاب الاطفال والنساء لتكون الفرحة أوسع وأروع ، ويكون مظهر وحدة المسلمين أكمل وأجمل . . .

كما شرعت زكاة الفطر لتكون جبرا لما قد يكون أصاب صيام الناس من خدش ، وطهرة لما يكونون قد أحدثوه من لغو ، ومواساة للضعاف منهم والمساكين ليفرحوا كما يفرحون . .

وبمناسبة الحديث عن زكاة الفطر . . فانى ألاحظ الناس الذين تعطى لهم هذه الزكاة حبوبا — من الحنطة مثلا — يبيعونها بأقل من أثمانها ، لاستغنائهم عن الانتفاع بها ، نظرا لانتشار المخابز التى تقدم الانواع المختلفة من أرغفة الخبز .

لذلك أميل الى الأخذ برأى الاحناف ، وهو جواز اخراجها من الدراهم – أى النقود – فهى أجدى على الفقراء ، وأنفع لهم فى قضاء حوائجهم ، من ملبس ومطعم .

كما أميل الى تقديم اخراجها خلال رمضان كما هو رأى فقهاء الشافعية وبخاصة فى العشر الاواخر .

ذلك أن مقصد التشريع الحكيم : هو الاسعاف والاكرام للمحتاجين ، والتضييق فى التوقيت الزمنى والتحديد النوعى ، يحول دون تحقيق المقصد التشريعى السامى .

تقبل الله صوم الصائمين وزكاة المتصدقين ، وأعاد (العيد) بخير وعزة وسلام على المسلمين ...

(توحيد الصيام .. والأعياد)

ولما كان رمضان – فى منهاج الاسلام وحياة المسلمين – مظهرا من مظاهر الوحدة .. وحدة الباعث الذى هو الايمان ، ووحدة الوسيلة التى هى الصبر على آلام الجوع والظمأ ، ووحدة الغاية التى هى : ارضاء المعتقد ، وتربية الروح والجسد – فان كمال هذه الوحدة يتحقق بتوحيد بدء الصيام ، فى بلاد الاسلام .

لقد كنت أستمع أول ليلة من رمضان الى راديو القاهرة – بعد راديو مكة – وهو يذيع بلسان مفت سابق مصرى ثبوت هلال رمضان فى المملكة العربية السعودية ، وان مصر رعاية للوحدة الاسلامية ستعتبر يوم السبت أول يوم من رمضان اتفاقا مع السعودية ، واعتمادا على ثبوت الهلال فيها .. »

وكان حديث المفتى رائعا فى سمعى وفى قلبى .. فان مصر وسوريا ولبنان والاردن ، والعراق ، واليمن ، والسودان ، وامارات الخليج العربى .. منطقة واحدة ، ان اختلف الوقت فيها ساعةأو بعض ساعة فى توقيت الصلاة ، فانه لايختلف يوما كاملا فى توقيت الصيام .

ولكن الدول العربية كانت لا تعتمد على ثبوت الهلال الا على نفسها وفى بلادها .. ومن أجل ذلك كانت احداها تصوم السبت – مثلا – والأخرى تصوم الاحد . ويتبع هذا الاختلاف فى بدء الصيام اختلاف فى ابتداء عيد الفطر ، وهذا الاختلاف بين الدول العربية المتجاورة المتقاربة فى صومها وعيدها : مثار للأسف والجدل حول وحدة الدين ، واختلاف مطالع الهلال ، ومبعث لتساؤل كثيرين من المسلمين وغير المسلمين : كيف يختلف المسلمون فى صيامهم وعيدهم ؟ ولماذا لا يتفقون ؟

ان من حق كل عربى مسلم أو مسلم غير عربى : ان يبتهج بانبعاث هذه الظاهرة الرائعة من ظواهر وحدة الدين بين المسلمين . هذا الدين الذى تقوم أركانه – من صلاة وصيام وزكاة وحج – على الوحدة ، وتأمر بالاتحاد . ومن حقه كذلك المطالبة بتوحيد بدء الصيام فى كافة البلاد العربية والاسلامية سواء بطريق الرؤية أم بالحساب الفلكى ..

فما أحوج المسلمين اليوم الى الوحدة والاتحاد ، ليعودوا كما كانوا أقوياء الارواح والاجساد والعقول .

---

(١) الوعى يرى كثير من أصحاب السير أن فتح مكة كان يوم ٢١ .



يوم الفرقان

للدكتور زكي محمد غنيث

اطلق على « غزوة بدر الكبرى » يوم الفرقان ، لأن الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل ، وأظهر فيها الاسلام ودحر الشرك « يوم التقى الجمعان » من المسلمين والمشركين « فى صبيحـــة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجـــرة » (١) فسميت لذلك « يوم الفرقان » كما ذكر فى قوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (٢) .

. . . . .

وبدر (قرية) بالحجاز تقع فى الجنوب الغربى للمدينة المنورة على بعد مائة وخمسين كيلومترا تقريبا ، وبينها وبين (ينبع) ــ ثغر على ساحل البحر الاحمر ــ نحو خمسة وعشرين كيلومترا ، وبها واد وآبار ، وفى أرجائها نخيل وحدائق ، وكانت من منازل القوافل المترددة بـــين الشام والمدينة ومكة ، ومجتمع سوق فى كل عام ، وهى اليوم مستراح للمسافرين فى الذهاب والاياب بين مكة والمدينة ، وتقع فى سهل يحـــده من الشرق جبال وعرة ، ومن الغرب الى جهـــة البحر الاحمر كثبان رملية ، ومن الجنوب الى جهـــة مكة آكام صخرية ، وفى شمالها من ناحية المدينة : « العدوة الدنيا » ، وفى جنوبها من ناحية مكة : « العدوة القصوى » ، وكانت وقعة بدر بين الجبال الشرقية والوادى حيث القلب (٣) والى هاتين العدوتين يشير الله فى قوله : « إذ أنتم بالعـــدوة الدنيا وهم بالعـــدوة القصوى » (٤) .

. . . . .

كانت « وقعة بدر » أول حرب بين المسلمين وقريش ، وأول مشهد من مشاهد القتال يباشره الرسول صلى الله عليه وسلم — بنفسه ، ويقف فيه موقف المحارب ، وقد سبقت موقعة بدر عدة غزوات وسرايا كان يراد بها تهديد قوافل قريش الذاهبة بالتجارة بين الشام ومكة ، ثم استطلاع أخبار قريش والقبائل العربية القريبة من المدينة ، ثم اظهار القوة حتى لا يطمع أعداء المسلمين فيهم ، وحتى يستجيب الاعراب الذين تقع بيوتهم على طريق تجارة الشام الى التحالف معهم .

. . . . .

توتر الموقف ، ونشأ ما يشبه « حالة حرب » بين المسلمين وقريش منذ الهجرة ، فقد خرج المسلمون من مكة فرارا بدينهم بعد أن صبروا على عدوان قريش وايذائهم سنين عدة ، وحالف الرسول — عليه الصلاة والسلام — الانصار من أهل المدينة على الايواء والنصرة حتى يبلغ رسالة ربه ، ووقعت البغضاء بين أهل المدينة وأهل مكة بسبب الهجرة ، فكانت قريش تخشى مكان المسلمين فى المدينة على مقربة من طريقهم الى الشام ، وكان المسلمون يخشون أن تقصد قريش لحربهم فى دار هجرتهم ، وساد الموقف شعور بأن هناك لقاء قريبا يستدعى أن يتخذ له عدته ، وأن يفعل من أجله شىء ، وليس فى نظر المسلمين من اجراء حاسم يتخذ أهم من القضاء على تجارة قريش .

. . . . .

كان الرسول — عليه الصلاة والسلام — يعرف أن حياة قريش فى تجارتها ، وعليها مدار حياتها كلها ، فاذا صودرت أو حيل بينها وبين أسواقها المعتادة ، أصابها ضرر بالغ ، ودمرت حياتها ، وفل حدها ، فاذا سلمت تجارتها ، وراجت وربحت ، قويت شوكتها واشتد ساعدها فكان على الرسول وصحبه أن يهدموا عوامل هذه القوة حتى تكف قريش يدها عن الرسول وصحبه ، ولذلك عندما سمع الرسول بقدوم عير قريش من الشام تحمل تجارتها يقودها أبو سفيان بن حرب فيها أموال كثيرة قدرت « بخمسين ألف دينار » (٥) ، ومعه ثلاثون أو أربعون رجلا ، ندب أصحابه اليها ، وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفَلكموها ، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — يلقى حربا (٦) ، فكان عدة من خرج ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، معهم فرَسان أو ثلاثة ، وسبعون بعيرا يعتقبونها واتجهوا نحو بدر (٧) ، وكان خروجهم يوم الاثنين لثمان ليال خلون من رمضان من السنة الثانية للهجرة (٨) .

. . . . .

ولما دنا أبو سفيان من الحجاز كان يتحسس الاخبار تخوفا على أموال الناس ، فعرف أن المسلمين خرجوا للعير فاستأجر : « ضمضم بن عمرو الغفارى » فبعثه الى مكة ، وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم الى

أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها مع أصحابه (٩) ، فجاء مكة مسرعا وقد جدع بعيره ، وحوّل رحله ، وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث (١٠) ، فتجهز الناس سراعا وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ، كلا والله ليعلمن غير ذلك ، (١١) ثم خرج القوم فيهم أشرافهم وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وقيل ألف رجل ، وكانت خيلهم مائة فرس ، وإبلهم سبعمائة (١٢) ، وخرجوا ومعهم المغنيات يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين وهم فى غاية البطر والخيلاء لكثرة عَددهم وعُددهم وفيهم نزل قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط » (١٣) .

. . . . .

ولما وصل الرسول — عليه الصلاة والسلام — وادى الصفراء على مقربة من بدر أتاه الخبر بمسير قريش لحماية عيرهم فاستشار أصحابه فتكلم المهاجرون فأبانوا عن طاعتهم وانقيادهم للرسول حيث توجه بهم ، وكان الرسول ينتظر رأى الانصار لأن العدد فيهم ، ولانهم لم يبايعوا على الخروج للحرب ، ولكن على الدفاع فى المدينة ، فقال : أشيروا علىّ أيها الناس ، فقال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ يا رسول الله لِما أردت ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسار بهم الرسول حتى نزلوا قريبا من بدر ، وقال : أبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم (١٤) .

. . . . .

وأما أبو سفيان فعرف اقتراب المسلمين من طريقه على بدر فعدل الى الساحل ونجا بالعير وأرسل الى قريش يخبرهم بما فعل ، وكانت قريش إذ ذاك « بالجحفة » (١٥) ، فرأى بعضهم من الحزم الرجوع الى ديارهم بعد أن نجت العير ، فرجعت بنو زهرة ، ورأى بعضهم أن يسيروا حتى ينزلوا ببدر ، قال ابن اسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل « عمرو بن هشام » : والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثا ، وننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا ، فامضوا ، فساروا حتى نزلوا وراء الكثيب الذى يحد سهل بدر من الغرب بالعدوة القصوى من الوادى (١٦) .

. . . . .

تحسس المسلمون الاخبار فعرفوا مكان قريش منهم فساروا حتى نزلوا على أدنى ماء من بدر ، فجاء الحباب بن المنذر ، وقال : يا رسول الله ، أهـــذا منزل أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، قال : يا رسول الله فان هـــذا ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء سواه فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا ونملأه ماء فنشرب ولا يشربون ، فعل رسول الله ذلك (١٧) .

وجاء سعد بن معاذ وقال للرسول قبيل الموقعـــة : يا نبى الله نبنى لك عريشا من جريد فتكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك مما أحببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك قوم يا نبى الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، فقبل الرسول وبُنِىَ له عريش فكان فيه (١٨) .

. . . . .

وفى صبح يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان مـــن السنة الثانية للهجرة ارتحلت قريش الى سهل بدر فاجتازت الكثيب ، قال ابن اسحاق : فلما رآها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم (أهلكهم) الغداة (١٩) ، وأصبح المسلمون وجها لوجه مع عدوهم ، ورأى بعض زعماء قريش أن يرجعوا ولا يؤرثوا الحرب ، وعارضهم أبو جهل وحرض عامر بن الحضرمى على المطالبة بدم أخيه عمرو الذى قتله واقد بن عبد الله التميمى فى سريـــة عبد الله بن جحش ، فصاح : واعمراه ، واعمراه ، وثار الشر بين الفريقين فخرج الاسود بن عبد الأسد المخزومى ــ وكان شرسا سىء الخلق ــ فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج لقيه حمزة بن عبد المطلب فضربه فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على الارض ثم حبا الى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه ، وتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض (٢٠) ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة ، وابنه الوليد بن عتبة يطلبون المبارزة ، فقصدهم ثلاثة من فتيان الانصار فأبوا الا أقرانهم من قريش ، فخرج اليهم عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طـــالب فتبـــارزوا وقَتَل الثلاثة المسلمون أقرانهم ، ثم تزاحف الناس وتدانوا والرسول فى العريش يناشد الله النصر ويقول : اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبى الله بعض مناشدتك ربك فان الله عز وجل منجز لك ما وعدك (٢١) .

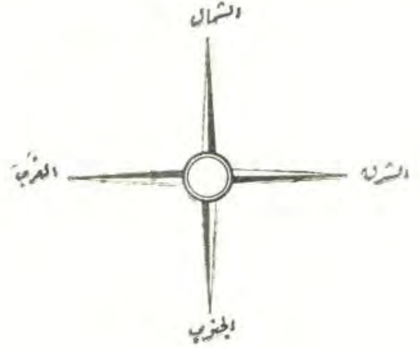
. . . . .

التقى الجندان « ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المسلمين منهم » (٢٢) ، وكانت هزيمة ساحقـــة للقرشيين ، قتل

شهداء معركة بدر الكبرى

١	عبيدة بن الحارث بن المطلب حمل الى المدينة مقطوعة رجله وتوفي بوادي الصفراء مهاجري.	
٢	عمير بن أبي وقاص	- 〃 -
٣	صفوان بن بيضاء (بن وهب)	- 〃 -
٤	ذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي	- 〃 -
٥	عاقل بن البكير	- 〃 -
٦	مهجع بن صالح مولى عمر بن الخطاب	- 〃 -
٧	سعد بن خيثمة	من الأنصار - خزرجي
٨	مبشر بن عبد المنذر بن زنبر	〃 〃 - 〃 -
٩	يزيد بن الحارث وهو الذي يقال له ابن فسحم	〃 〃 - 〃 -
١٠	عمير بن الحمام وهو صاحب التمرات	〃 〃 - 〃 -
١١	رافع بن المعلى	〃 〃 - 〃 -
١٢	حارثة بن سراقة بن الحارث	〃 〃 - أوسي
١٣	عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد } ابنا عفراء	〃 〃 - 〃 -
١٤	معوذ بن الحارث 〃 〃 〃 〃	〃 〃 - 〃 -

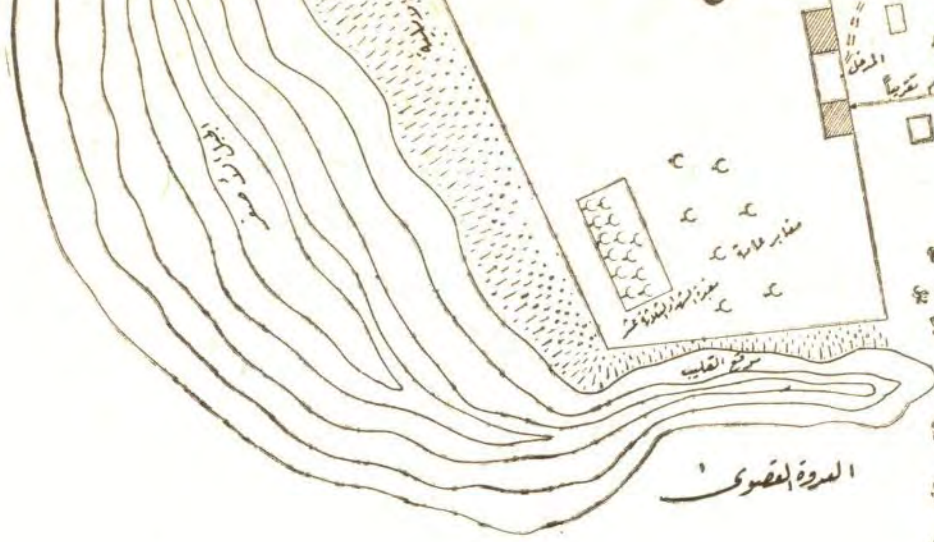
المرجع لأسماء شهداء معركة بدر وقتلى المشركين
كتاب غزوة بدر الكبرى لمحمد أحمد باشميل
الطبعة الثانية
عام
١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م





طريق المدينة المنورة بعد ١٥٠ كيلومتر
الى المدينة المنورة

«والركب أسفل منكم» - ركب أبي سفيان





بعض قتلى المشركين السبعين

١- من بني عبد شمس بن عبد مناف ١٢ رجلاً
منهم: ١- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
٢- شيبة بن " " " "
٣- الوليد بن عتبة

٢- من بني نوفل بن عبد مناف رجلان
١- الحارث بن عامر بن نوفل
٢- طعيمة بن عدي بن نوفل

٣- من بني أسد بن عبد العزى سبعة نفر
منهم: ١- زمعة بن الأسود بن المطلب
٢- أبو البختري بن هشام (واسمه العاص بن هشام)
٣- الحارث بن زمعة

٤- من بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر
منهم: ١- النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة
٢- زيد بن مليص مولى عمير بن هاشم
٣- نبيه بن زيد بن مليص

٥- من بني تيم بن مرة أربعة نفر
منهم: ١- مالك بن عبيد الله بن عثمان
٢- عمرو بن عبد الله بن جدعان
٣- عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب

٦- من بني مخزوم قبيلة خالد بن الوليد عدد ٢٤
منهم: ١- أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة
٢- العاص بن هشام بن المغيرة
٣- يزيد بن عبد الله . حليفهم من تيم

٧- من بني سهم بن عمرو قبيلة عمرو بن العاص ٧ نفر
منهم: ١- منبه بن الحجاج بن حذيفة بن سعد بن سهم
٢- ابنه العاص " " " " "
٣- أخوه نبيه بن الحجاج " " " "

٨- من بني عامر بن لؤي رجلان
منهم: ١- معاوية بن عامر حليفهم من بني عبد القيس
٢- معبد بن وهب حليفهم من بني كعب بن عوف

٩- من بني جمح بن عمرو بن هصيص أربعة نفر
منهم: ١- أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح
٢- ابنه علي " " " " "
٣- أوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح

مخطط موقع معركة بدر الكبرى
كما هي حالياً
في عام ١٣٩١ هـ

حسب مشاهدات وجمع محمد بن ... الخالد -
تخطيط ورسم : غالب أيوب -
بخط : مأمون خولة

الرياض في ٢١ ربيع الثاني لعام ١٣٩١ هـ الموافق ١٥ حزيران لعام ١٩٧١ م

منهم سبعون رجلا ، واسر سبعون ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر ، ثمانية من الانصار ، وستة من المهاجرين (٢٣) وطار خبر الهزيمة الى قريش بمكة فزلزلوا زلزالا عظيما ، وعمهم حــزن عميق لمصابهم ، فى سادتهم وأشرافهم وكبرائهم ، كما وصلت البشرى الى أهل المدينة بانتصار المسلمين ففرح المسلمون بنصر الله ، واغتم اليهود والمنافقون فى المدينة ، وامتلأت نفوسهم بالحقد والكراهية والضغينة (٢٤) .

* * * * *

انتهت الموقعــة بالنصر المبين ، ثم فرق الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ الاسارى بين أصحابه وأوصاهم بهم خيرا ثم كان الفداء على المال للقادرين ، وعلى تعليم أطفال المسلمين القراءة لمن استطاع ولم يكن ذا مال ، ومن الرسول على الآخرين ، وحينما ثار الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم على الغنيمة نزل قوله تعالى : « يسألونك عن الأنفال ، قل : الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » (٢٥) وحسم الرسول عليه الصلاة والسلام الموقف فجمع الغنائم كلها وحجز لنفسه منها الخمس ووزع الباقى تنفيذا لأمره تعالى فى قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » (٢٦) ، فكان فى ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وصلاح ذات البين (٢٧) .

* * * * *

وموقعـــة بدر الكبرى من أولها الى آخرها من تدبير اللـــه وحده سبحانه كما سجلته سورة الأنفال ابتداء من الخروج الى نهاية النصر ، ذلكم النصر الذى امتن الله بـــه على رسوله والمؤمنين فى قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » (٢٨) ، حيث كان المسلمون على الثلث من عدوهم ، ليس معهم من الظهر سوى فَرَسين أو ثلاثة ، وسبعين بعيرا يتعاقبون عليها ، البعير بين الرجلين والثلاثة والاربعة ، لم يستجمعوا عدة الحرب الكاملة ولا آلتها ، ولم تكن الروح المعنوية لديهم يومئذ عالية ، فقد خرجوا يريدون العير طمعا فـــى الغنيمة ، فلما عرفوا أن قريشا قد ساروا اليهم كرهوا لقاء القوم على هذه الحال ، وجادلوا الرسول فى ذلك ، فنزل قوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وان فريقا من المؤمنين لكارهون . يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون » (٢٩) .

وإحراز المسلمين النصر فى مثل هـــذه الظروف يعتبر من تدبير الله وحده ، يقول تعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (٣٠) ، ويقول : « إذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق

الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان » (٣١) ثم يقول سبحانه : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (٣٢) .

ثم هي أخيرا أعظم وأفضل غزوات الاسلام — اذا استثنينا غزوة الحديبية التي تمت فيها بيعة الرضوان ، والتي مهدت لفتح مكة — لان هذه الغزوة : استقر بها أمر المسلمين من بعد في بلاد العرب جميعا ، والتي كانت مقدمة وحدة شبه الجزيرة في ظلال الاسلام ، ومقدمة الامبراطورية الاسلامية المترامية الأطراف ، والتي أقرت في العالم حضارة لا تزال ، ولن تزال ذات أثر عميق في حياته (٣٣) ، وغدت منذ ذلك التاريخ من أمجادنا الاسلامية الخالدة .



---

(١) سيرة النبى لابن هشام ، ج ٢ ص ٢١٥ ، المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ، وتاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٦ المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٨٤ هـ ، وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٤٦ طبع دار المعارف بمصر ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير طبعة منير بمصر سنة ١٣٤٩ هـ . (٢) سورة الأنفال آية / ٤١ . (٣) انظر الخريطة . (٤) سورة الأنفال آية ٤٢ . (٥) امتاع الاسماع للمقريزى ج ١ ص ٦٦ . (٦) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ١٩٦ ، ١٩٧ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٢٧ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٠ . (٧) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٣١ ، ٤٣٢ . (٨) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٢ . (٩) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٢٧ والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٠ ، ٨١ . (١٠) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ١٩٩ ، والكامل فى التاريخ ٢ :٨١ (١١) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٣٠ . (١٢) الكامل فى التاريخ ٢ : ٨٢ . (١٣) سورة الانفال آية ٤٧ . (١٤) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٣٥ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٤ . (١٥) الجحفة ميقات أهل الشام للأحرام بالحج بالقرب من رابغ ميقات المصريين . (١٦) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٩ . (١٧) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢١٠ ، ٢١١ . (١٨) المرجع السابق ٢ : ٢١١ . (١٩) المرجع السابق ٢ : ٢١١ . (٢٠) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢١٤ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٤٥ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٦ . (٢١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢١٦ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٤٧ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٨٧ . (٢٢) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٢٤ . (٢٣) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٧ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٩٥، ٩٦ . (٢٤) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٣١ ، والكامل فى التاريخ ٢ : ٩٠ ، ٩٢ . (٢٥) سورة الأنفال آية : ١ . (٢٦) سورة الأنفال آية ٤١ . (٢٧) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٥٤ . (٢٨) سورة آل عمران ، آية ١٢٣ . (٢٩) سورة الأنفال آية ٥ ، ٦ . (٣٠) سورة الأنفال آية ٩ . (٣١) سورة الأنفال آية ١٢ . (٣٢) سورة الأنفال آية ١٧ . (٣٣) حياة محمد للدكتور محمد حسنين هيكل ، ص ٢٦١ ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٤ هـ .

مائدة القارئ

الخمس

« اعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى : أما واحدة فانه اذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ، ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية فان خلوف افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم ، وأما الرابعة فان الله يامر جنته فيقول لها : استعدى وتزينى لعبادى ، أوشك . وفى رواية : يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دار كرامتى ، وأما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا : « فقال رجل : أهى ليلة القدر يا رسول الله ؟ قال : « لا ، ألم تر الى العمال يعملون ، فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » .

شهر النبوة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته يجاور شهرا من كل سنة بغار حراء يطعم من جاءه من المساكين . حتى اذا جاء الشهر الذى أراد الله ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان خرج الى حراء كما كان يخرج حتى اذا كانت الليلة التى اكرمه الله فيها برسالته جاءه جبريل من الله عز وجل .

حائط الاسلام وبابه

خطب سعد بن شريك بحمص فقال :

ان الاسلام حائط منيع ، وباب وثيق .

فحائط الاسلام الحق ، وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعاً ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، واخذ بالعدل .

دعاء

دعت عربية لرجل احسن اليها ، فقالت:

اذل الله كل عدو لك الا نفسك .

وجعل نعمته هبة لك لا عارية عندك .

واعاذك من بطر الغنى وذل الفقر .

وفرغك لما خلقك له ، ولا شغلك بما تكفل به لك .

عــزة النفس

سئل حاتم الطائى عن اعز الناس نفسا فقال :

ذبحت يوما اربعين حلوبة للأضياف ، ثم سرت فى البيداء ، فبلغت اجمة فيها رجل يحتطب ، فقلت له : اما سمعت بكرم حاتم وسماحته ، قال : بلى ، قلت : هلا استضافك قال : ثكلتنى امى لو انه استضافنى وقبلت ضيافته فاننى ما دمت استطيع الكسب بعرق جبينى فمن العار ان يكون لكريم يد اغضى لها .

احرقوا اللوائح

يحكى أن الوزير على مبارك باشا دخل مكتبه يوما ، فوجد عليــه لوائح مكدسة وهى لكثرتها وتعقدها لا تنهى أمرا ، ولا تنجز عملا ، ولاحظ أن هنــاك لوائح ناسخة ولوائح منسوخة ، ومادة فى لائحة تناقض مادة فى لائحــة أخرى ، ومادة فى اللائحة القديمة والجديدة لا تتفق مع العدالة ، والوزارة كلها من كتبتها الى وزيرها مستعيدون للوائح التى وضعت لتنظيم العمل ، فاذا هى الآن تشل العمل .

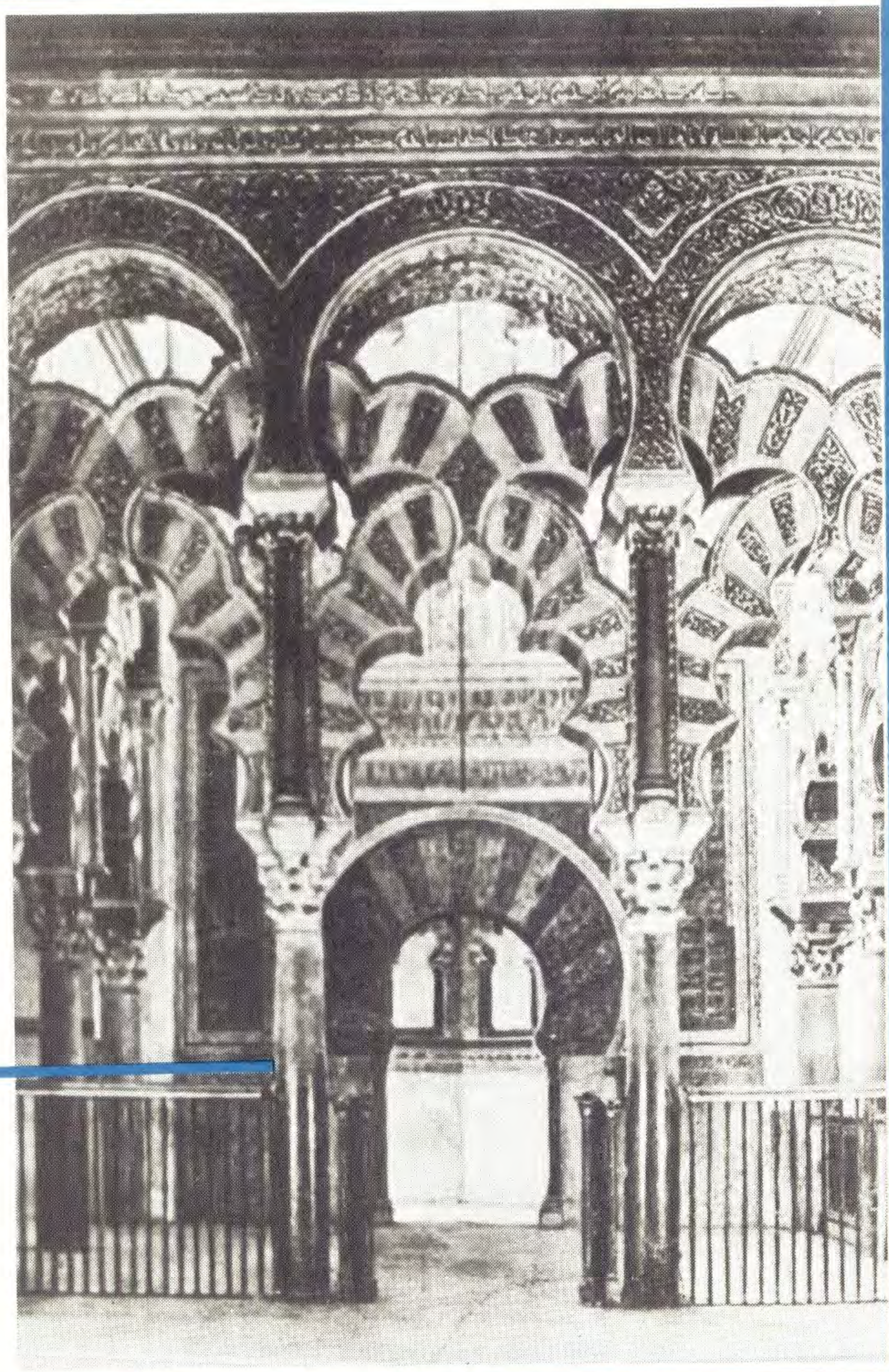
فأمر كاتبه أن يحضر مساء يوم لأنه هو سيحضر ، فلما كان الموعد حضر الكاتب وحضر الوزير ، فأمره أن يحمل هذه اللوائح الى حجرة خالية ، ففعل ، وذهب الباشا بنفسه الى الحجرة ، وأخرج من جيبه عود كبريت وأشعله فــى اللوائح ، ووقف يتلذذ من رؤية النار تلتهمها ثم عاد الى مكتبه وقــال : الآن نبدأ العمل على نظافة .

حق الحضانــة

روى ان امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت :
يا رسول الله . ان ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وثديى له شفاء ، وحجرى له حواء ، وان اباه طلقنى ، واراد ان ينتزعه منى .
فقال لها عليه الصلاة والسلام : انت احق به ما لم تنكحى ((تتزوجى)).

الانسان حيث وضع نفسه

كان كافور الاخشيد وصاحبه عبدين مملوكين ، فجىء بهما الى مدينة القطائع عاصمة الدولة الطولونية فى مصر ليباعا فى اسواقها ، فتمنى صاحبه ان يباع طباخا ، وتمنى كافور ان يملك هذه المدينة ، وقد بلغ كــل مناه ، فبيع كافور لاحد القواد ، وبيع صاحبه الطباخ ثم مرت الايام فاصبح كافور ملك مصر ، ومر يوما بصاحبه فرآه عند سيده يسىء معاملته فقال لمن معه ، لقد قعدت بهذا همته ، فكان [illegible] ترون ، وطارت بى همتى فكنت كما ترون ، ولو جمعتنى واياه [illegible] نجمعنا عمل واحد .



ليلة القدر في جامع قرطبة الأعظم

للأستاذ عبد المجيد وافي

منذ أن هدى الله العالم ببعثة خاتم المرسلين — صلوات الله وسلامه عليه — وانتشرت أضواء رسالته فعمت الأرجاء ، وطبقت الآفاق ، وشهر رمضان المبارك من كل عام ، موسم من مواسم الخير والهدى ، لا يخلو قطر اسلامى من احتفاء به ، ولا تجد مدينة صغيرة أو كبيرة تفترش بقعة من آفاق الاسلام الرحيبة الا وقد غمرتها بركات الشهر العظيم ونفحاته .

وما دخل الاسلام أرضا دون أن يكون لذكرى نزول القرآن احتفال بها واحتفاء ، صيام نهار وقيام ليل ، ما شذ عن ذلك بلد ولا أفق ، حتى دخل الاسلام — أوروبا — من غربها ، وعمر بالأندلس قرونا ثمانية ، نشر بها الهدى ، ورفع لواء الحضارة ، وأخرج الغرب من بداوته ، وأخرجه فى جهالته .

وكان للدولة الاسلامية بالأندلس أكثر من حاضرة ، عمرت جميعها بالمساجد الجامعة ، ومن فوق صوامعها ارتفعت أصوات المؤذنين مجلجلة

المحراب خلف القصور المخصصة المتقاطعة تحفة عمارة الحكم .

والفسيفساء كريش الطواويس بألوان قوس قزح تغطى واجهة داخل المحراب حيث كان مصحف الخلافة يوضع .

وتحت السقف — فوق الأقواس المتعانقة بقايا طرازى كتابة كوفية ، الاعلى فاتحة الكتاب وتحته البسملة وأول سورة آل عمران.

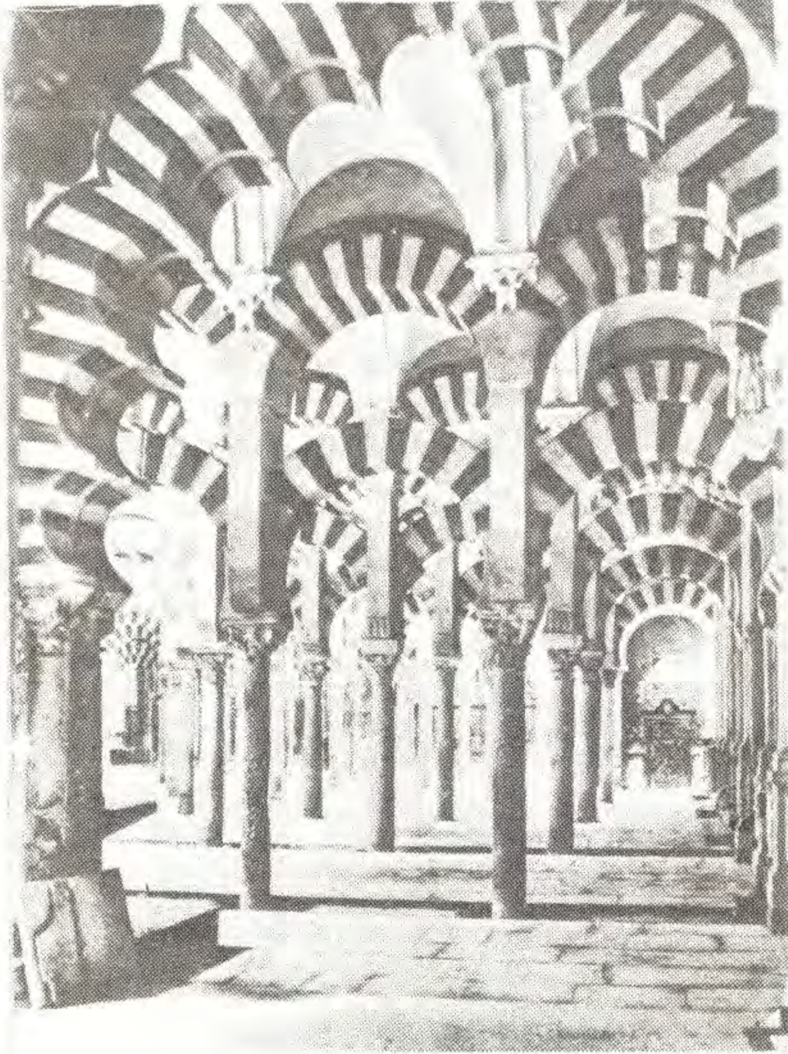
والسور الحديدى كان مكانه فى العصر العربى مقصورة خشبية روعة فى الصناعة والتلبيس بين الخشب والجوهر وكريم المعدن .

كل ذلك قد ضاع ...

بذكر الله وتكبيره كما امتلأت رحابها بحلقات الدرس ، وخلوات العبادة على طول أيام السنة .

فاذا ما اهل رمضان المعظم ، ازدحمت تلك المساجد بالذاكرين والقائمين ، وزاد القومة على أمرها من عنايتهم ، واعطى أصحاب النفقة ، لاجتلاب زيوت الاضاءة والشموع وفاضت اضواؤها حتى قارب ليلها نهارها في ضوئه ولألائه .

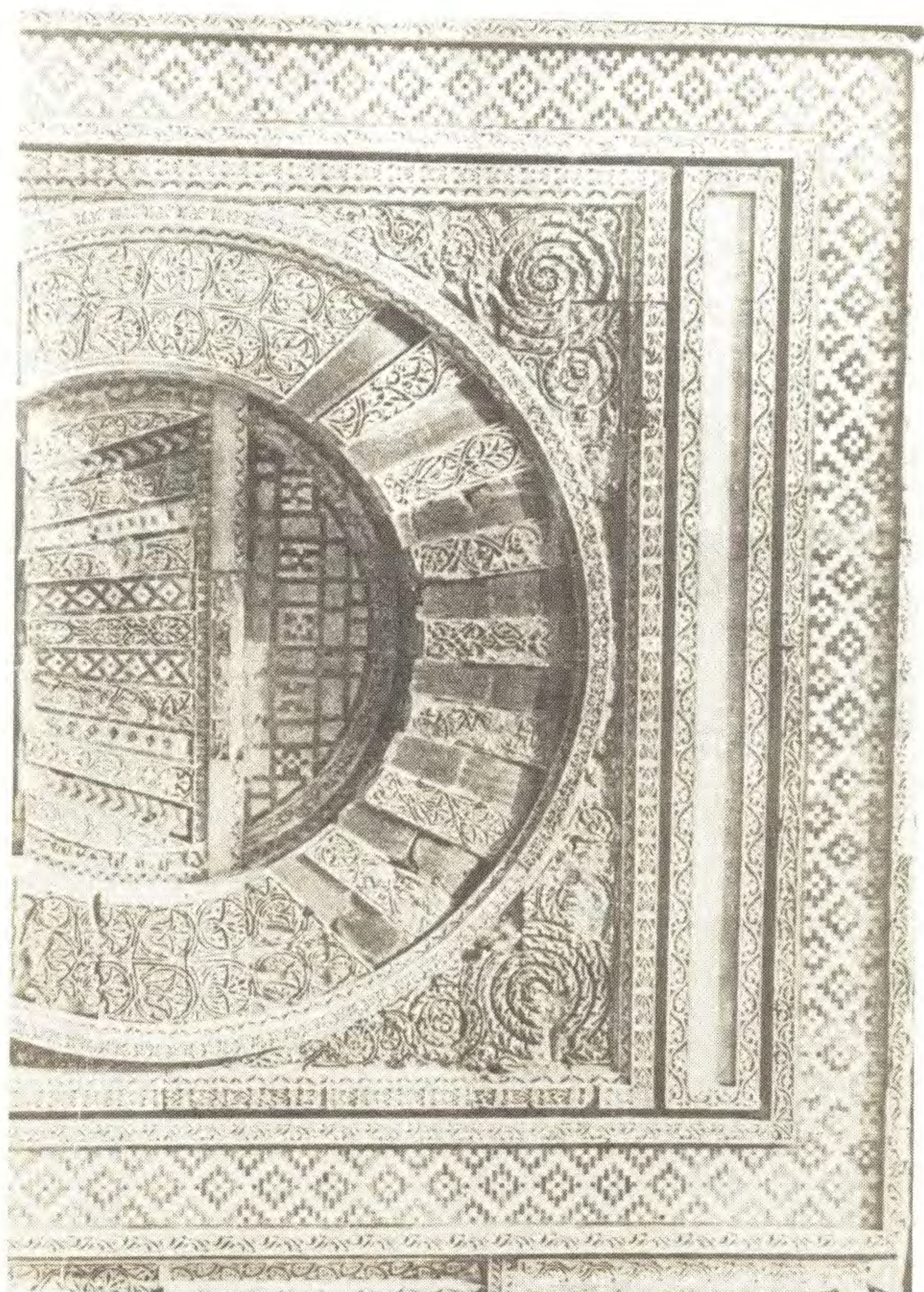
ولقد ظلت قرطبة عاصمة الاسلام بالاندلس ما يقرب من خمسة قرون (١) ينتشر منها الضياء ، ويرتفع عليها اللواء ، واليها يقدم طلاب المعرفة ، ورواد العلم والحضارة .



جزء من عمارة المنصور ابن أبي عامر بالمسجد الجامع .
وفي أقصى اليمين مصلى مسيحي مما أقحم على بيت الصلاة تزرى به روعة العقود الاسلامية المزدوجة والمفصصة .

كما ظل مسجدها الجامع ــ الجامع الاعظم ــ كما لقبه جميع مؤرخي الأندلس ــ لؤلؤة المساجد ودرة الخلافة ، ومنار العلم ، ومقصد حجاج المغرب الى أرض الفردوس .

بدأ عمارته عبد الرحمن الداخل عام ١٦٩ هـ قبيل وفاته حيث مات عام ١٧١ هـ قبل أن تتم اللمسات الاخيرة لمظهره العظيم ، وزاد في عمارته حفيده وسميه عبد الرحمن الاوسط زيادتين ، الاولى من جانبيه عام ٢١٨ هـ ــ



زخارف فوق محراب مسجـد قرطبة



غابة الأعمدة بالجامع القرطبي الاعظم ... وكراسي الصلاة المسيحية .
هذا جزء فقط من عمارة الداخل .

---

٨٣٣ م ، والثانية في العمق من جهة المحراب عام ٢٣٤ هـ ـ ٨٤٨ م اتمها من بعده ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن .

وكانت ذروة التوسعات وأروعها جمالا وفخامة ـ رغم روعة الأصل والزيادتين ـ ما قام به الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الثالث على مدى السنوات ٣٥٤ هـ ٣٥٥ ، ٣٥٦ هـ ، ثم ما زاد في صحنه ، واعادة بناء منارته « صومعته » ، وأجرى الماء في صحنه للوضوء بالقنوات من الجبال الى المسجد وجاء من بعد هؤلاء الأمراء الأمويين ، الوزير الحاجب ـ المنصور بن ابي عامر ـ أو محمد بن ابي عامر الذى تخرج في رحاب المسجد الجامع ، وتدرج في حلقات علمه ، حتى عرف بالفقه والكتابة .

فلما صارت الوزارة اليه ، وقام بالوصاية على ولي عهد الحكم ، بدأ زيادة في شرقي المسجد تساوي مساحة العمارات الأموية الثلاث في سنة ٣٧٧ هـ ـ ٩٨٧ م .

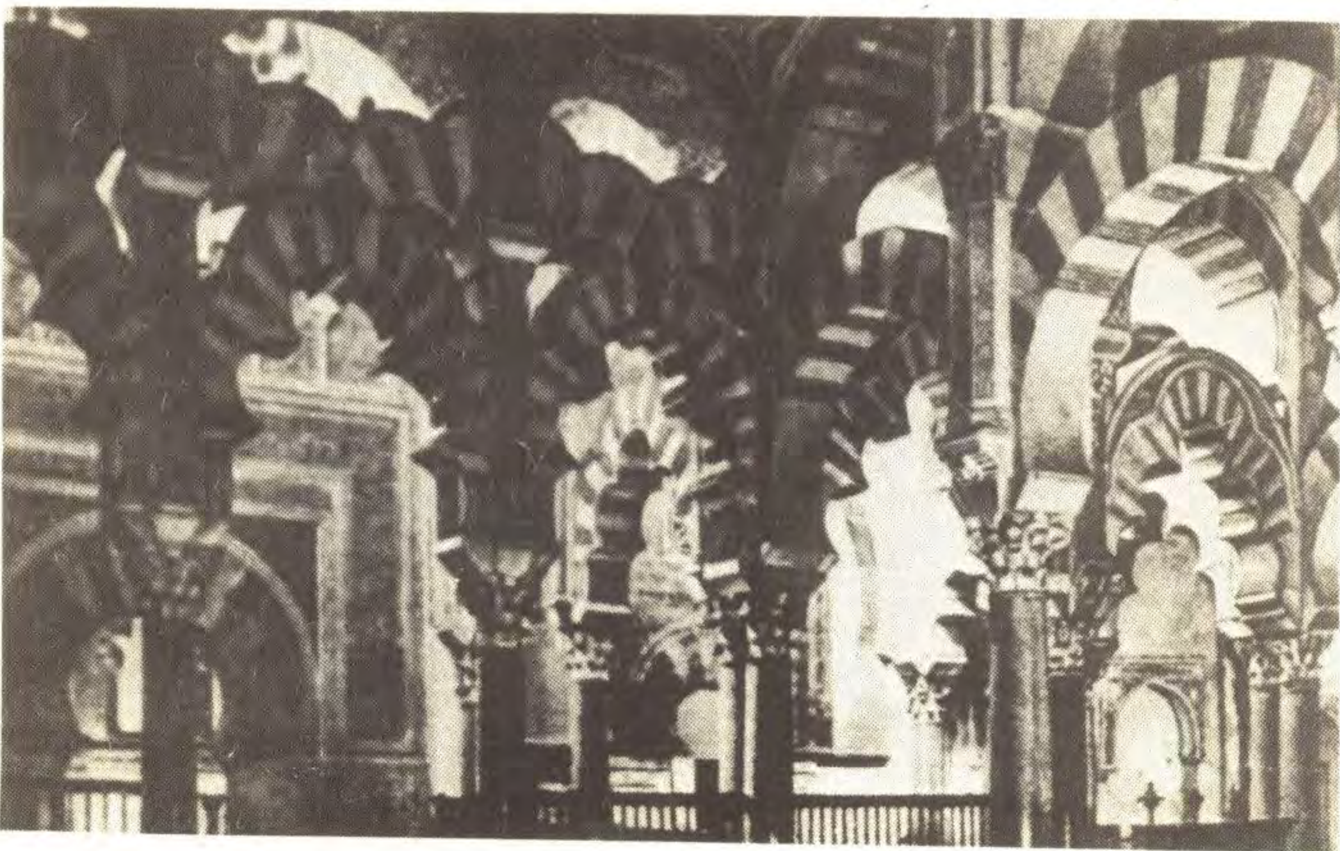
وما كانت عمارة المسجد أصلا الا بعد ضيق المسجد العتيق الذى اسسه التابعي حنش الصنعاني عقب الفتح أيام موسى بن نصير عام ٩٥ هـ .

وبدأ الداخل عمارته ، وكانت الزيادات جميعا لنفس سبب بناء المسجد العظيم ــ ضيق بيت الصلاة برواد المسجد ، حتي بلغت سواريه بعد زيادة المنصور ، ما يقرب من ألف وأربعمائة سارية ، غير الأكتاف والدعامات .

وظل للمسجد رواؤه ، وطبقت فى الآفاق شهرته وأخباره حتى سقطت قرطبة فى يد القشتاليين عام ٦٣٦ هـ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، وبقى بعدها المسجد مسجدا قرابة خمسين عاما يؤمه المسلمون بالصلاة تحت الحكم الاسبانى ، الى أن غلب التعصب الحضارة ، واقيمت فى قلبه الصلوات المسيحية قبل أن يقتطع من قلبه لبناء كاتدرائية .

واذا كانت كتب الرحلات وأخبار الرواة تذكر وتفيض فى وصف هذا الجامع الأعظم فان الوصف يقصر عن الحقيقة ، وليس السماع كالعيان حتى بعد انقضاء ألف ومائتى عام على بدء عمارته ومرور سبع مائة عام على وقوعه أسيرا بين يدى القشتاليين ، فانه ما زال المسجد الجامع الأعظم .

كيف كان الجامع الاعظم ــ جامع قرطبة ــ فى رمضان أيام أهله ، وأوليائه ، كان عامر النهار بالحلقات والدروس ، مضىء الليل بالثريات الكبرى والتنانير والسرج والشموع يؤمه القوام ــ قوام الليل ــ وقراء القرآن ، وما تكاد الحركة تهدأ بعيد صلاة الفجر ، حتى تبدأ من جديد حلقات الفقه والتفسير والحديث دورانها ، وينتهى ليله الساهر ويخفت صوت القراء والمبتهلين قوام الليل ، ليبدأ نهاره تتردد فى جنباته الفسيحة أصوات العلماء ، وهمسات الطلاب بالأسئلة حياة العلم مدارسته ، وحياة الجامع عمرانه بالعبادة والدرس .



المحراب من خلف العقود ، وكذلك باب الساباط قد وشيا بالفسيفساء .
والى أقصى اليمين مصلى مسيحى لا طعم له فى هذا القدس .

يروى مؤرخ الأندلس ــ المقرى ــ صاحب نفح الطيب ــ فى عباب ما يروى من أخبار المسجد ، صورة حية لليلة من ليالى رمضان المعظم فى أيام المسجد الأخيرة .

ولم يكن صاحب الصورة يدرى أن الزمن قد دار دورته ، وآذن مجد قرطبة بالزوال عما قريب ، الصورة يصورها ابو محمد ابراهيم بن الولبنى ، فقيه وكاتب من عصر الموحدين آخر موجة اسلامية ادركت روابى الأندلس الاوسط ، هبت عالية فأوقفت زحف القشتاليين الى حين ، وانحسرت بعدها ليقف حكم المسلمين على مشارف غرناطة مدة قرنين ونصف قرن قبل غروب شمس الاسلام من أفق الاندلس الحزين .

صورة حية تمتلىء بالوصف المتحرك ، تجتلى المحاسن ، وتحكى مشاعر الحس ، وعواطف النفس ، وتعكس الوميض المتلألىء فى ليلة القدر من الشهر المبارك ، لا يشوب جمالها الا اغراق صاحبها فى استعمال لوازم العصر ــ الادبية ــ من جناس وطباق وسجع ومقابلة .

خرج الكاتب الى قرطبة العامرة ، كعادة السراة والسادة ، من الحج الى قرطبة الحاضرة فى المواسم ، لحضور ليلة القدر .

((. . . وانى شخصت الى حضرة قرطبة ــ حرسها الله تعالى (٢) ــ منشرح الصدر ، لحضور ليلة القدر ، والجامع ــ قدس الله تعالى بقعته



رواق المحراب بالجامع الاعظم من عمارة الحكم المستنصر عام ٣٥٤ هـ .
والمحراب الى يسار الصورة والسور الحديدى لمنع دخول الزوار الا بعد دفع رسوم سياحية .

ومكانه ، وثبت أساسه وأركانه ـ قد كسى ببردة الازدهاء ، وجلى (٣) فى معرض البهاء ، كأن شرفاته (٤) فلول فى سنان ، او اشر فى اسنان ، وكأنما ضربت على سمائه كلل ، او خلعت على ارجائه حلل ، وكأن الشمس قد خلفت فيه ضياءها ، ونسجت على اقطاره افياءها ، فنرى نهارا قد أحدق به ليل (٥) ، كما أحدق بربوة سيل ، ليل دامس ، ونهار شامس » .

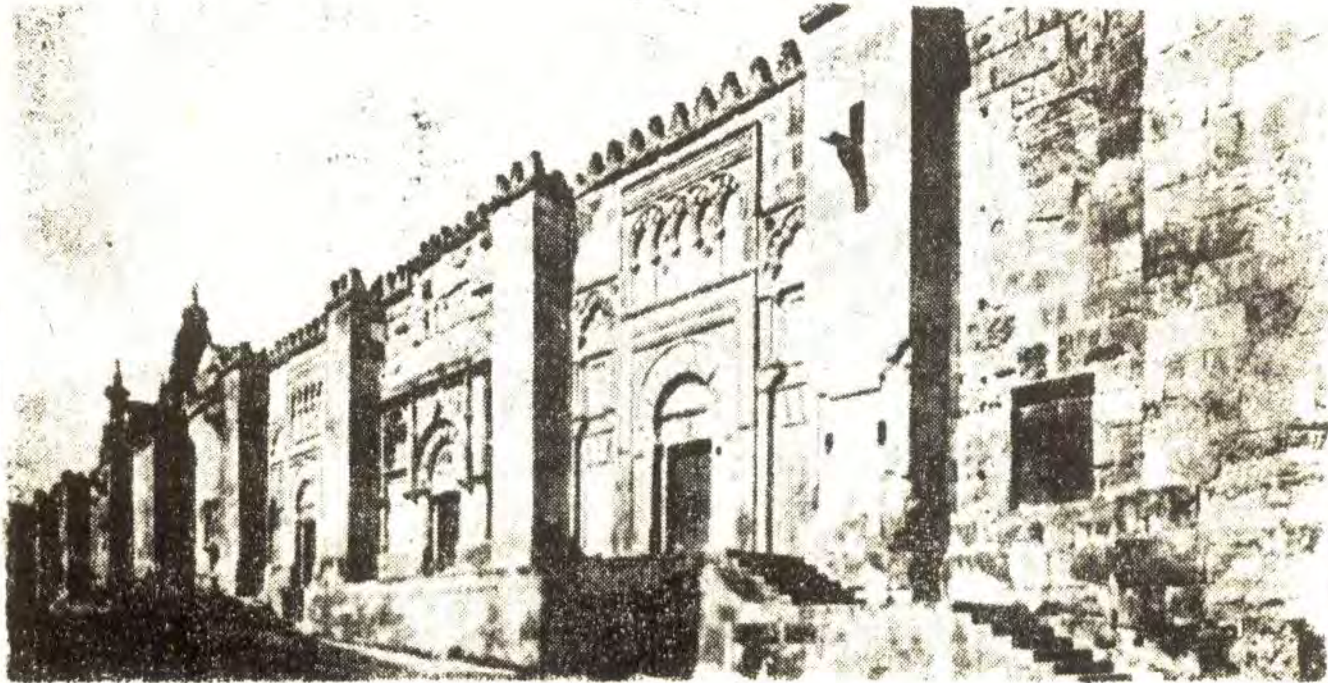
« وللذبال تألق كنضنضة الحيات (٦) ، أو اشارة السبابات فى التحيات ، قد أترعت من السليط كؤوسها (٧) ، ووصلت بمحاجن الحديد رؤوسها (٨) ، ونيطت بسلاسل كالجذوع القائمة ، أو كالثعابين العائمة ، عصبت بها تفاح من الصفر (٩) ، كاللقاح الصفر بولغ فى صقلها وجلائها ، حتى بهرت بحسنها ولألائها ، كأنها جليت باللهب ، وأشربت ماء الذهب . »

« .. ان سمتها (١٠) طولا رأيت منها سبائك عسجد ، أو قلائد زبرجد ، وان اتيتها عرضا رأيت منها أفلاكا ولكنها غير دائرة ، ونجوما ولكنها ليست بسائرة تتعلق تعلق القرط من الذفرى (١١) ، وتبسط شعاعها بسط الأديم حين يفرى (١٢) » .

« والشمع قد رفعت على المنار رفع البنود ، وعرضت عليها عرض الجنود ، ليجتلى طلاقة روائها القريب والبعيد ، ويستوى فى هداية ضيائها الشقى والسعيد ، وقد قوبل منها مبيض بمحمر ، وعورض مخضر بمصفر ، تضحك ببكائها وتبكى بضحكها ، وتهلك بحياتها وتحيى بهلكها (١٣) » .

« والطيب تضغم أفواخه (١٤) ، وتتنسم أرواحه ، وقتار الالنجوج والند ، يسترجع من روح الحياة ما ند (١٥) ، وكلما تصاعد وهو محاصر ، أطال من العمر ما كان قد تقاصر ، فى صفوف مجامر ككعوب مقامر (١٦) »

« وظهور القباب مؤللة وبطونها مهللة (١٧) ، كأنها تيجان ، رصع فيها قوت ومرجان (١٨) » .



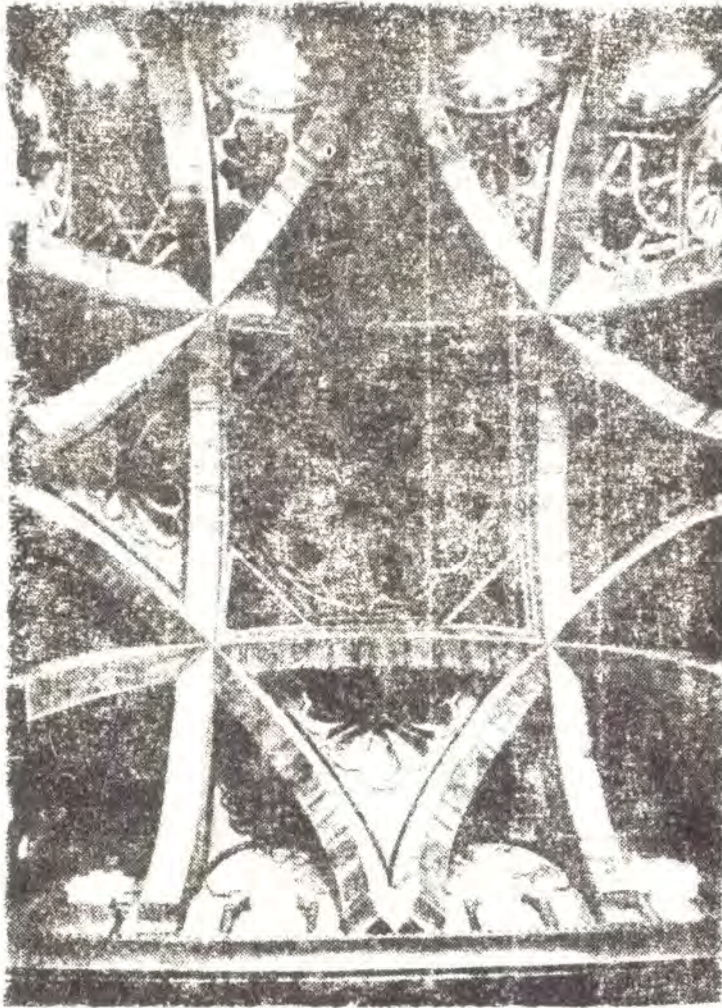
الجدار الغربى لجامع قرطبة الاعظم يطل على المحجة العظمى الطريق الذى كان يفصل بين الجامع والقصر .

والى أقصى اليمين باب الساباط اصبح مغلقا بعد هدم الساباط الذى كان يصل القصر بالمسجد لدخول الخلفاء .

« قد قوس محرابها أحكم تقويس ، ووشم بمثل ريش الطواويس ، حتى كأنه بالمجرة مقرطق ، وبترس قزح ممنطق ، وكأن اللازورد حول وشومه ، وبين رسومه ، نتف من قوادم الحمام ، أو كسف من ظلل الغمام (١٩) » .

« والناس أخياف فى دواعيهم ، وأوزاع فى أغراضهم ومراميهم ، بين ركع وسجد ، وأيقاظ وهجد ، ومزدحم على الرقاب يتخطاها ، ومقتحم على الظهور يتمطاها كأنهم برد خلال قطر ، أو حروف على عرض سطر » .

« حتى اذا قرعت اسماعهم روعة التسليم ، تبادروا بالتكليم ، وتجاذبوا بالأثواب ، وتساقوا بالأكواب ، كأنهم حضور طال عليهم غياب ، أو سفر أتيح لهم اياب ، وصفيك مع اخوان صدق ، تنسكب العلوم بينهم انسكاب الودق ، فى مكان كوكر العصفور — استغفر الله — أو ككناس اليعفور (٢٠) » .



قبة من قباب مسجد قرطبة الجامع فريدة الطراز اقتبست بعد ذلك فى العمارة الدينية بأوربا فى العصور الوسطى .

« كأن اقليدس قد قسم بيننا مساحته بالموازين ، وارتبطنا فيه ارتباط البياذق بالفرازين ، حتى صار عقدنا لا يحل ، وحدنا لا يفل (٢١) » .

« بحيث نسمع سور التنزيل كيف تتلى ، ونتطلع صور التفصيل كيف تجلى والقومة من حوالينا يجهدون فى رفع الضرر ، ويعمدون الى قرع العمد بالدرر ، فاذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين ، وسرت نحوهم سرى القين ، توهموا انها الى أعطافهم واصلة ، وفى اقحافهم حاصلة ،

نفروا بين الاساطين ، كما تفر من النجوم الشياطين كأنما ضربهم أبو جهم بعصاه (٢٢) ، أو حصبهم عمير بن ضابىء بحصاه (٢٣) . »

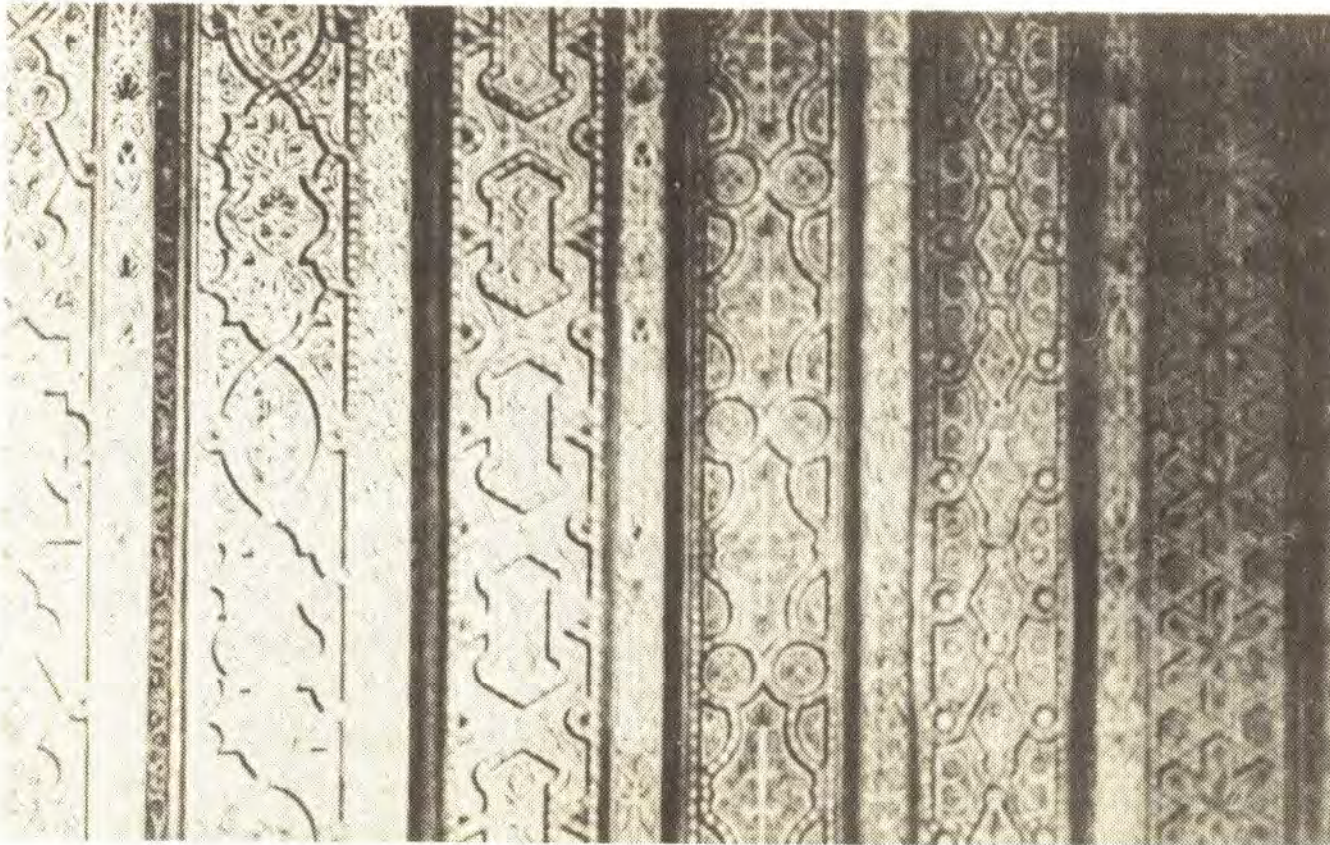
« فأكرم بها من مساع تسوق الى جنة الخلد ، وتهون فى السعى اليها الطوارف والتلد ، تعظيما لشعائر الله ، وتنبيها لكل ساه ولاه ، حكمة تشهد لله بالربوبية وطاعة تذل بها كل نفس أبية » (٢٤) .

وهكذا ينتهى هذا الوصف الرائق لاحتفال ليلة القدر المباركة بالجامع الأعظم ، وهى عبارات صادقة ، رائعة التصوير ، تناولت النظر والحس والعواطف المرهفة لقصاد الساحة المقدسة فى ليلة عزيزة على أهل الايمان عمرها الناس بالضراعة ، ومهد لها أصحاب الخدمة بالمسجد بما يشع عليها من جو الحفاوة والضياء .

ولا عجب أن يروى ، أن عدد ثرياته بين كبير وصغير كانت تقرب من الثلاثمائة هذا غير صغار كؤوس الزيت فى مصابيحها ، كانت تسقى زيتا بالارباع (٢٥)،فى رمضان وحده مائتين وخمسين ، ومثل ذلك بقية ليالى السنة ، هذا غير الشمع الكبير الذى كان وزنه فى رمضان وحده ثلاثة قناطير ، وثلاثة أرباع القنطار من الكتان والقطن فتيلا للشمع المذكور .

وكان وزن الشمعة الكبيرة التى توضع بجوار الامام بين خمسين وستين رطلا ، بينما يقوم على الخدمة فى المسجد ، ويتصرف فيه من أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة ووقادين ، قريب من مائة وستين فردا ، يحرقون فى الليلة الختامية وحدها أربع أواق من العنبر الأشهب ، وثمانى أواق من العود الرطب (٢٦) .

وتمر الايام وما يزال الصرح شامخا ، يزوره السواح الغربيون بين مبهور وحاقد ، ويؤمه زواره من المسلمين حزانى ، يهرعون الى السجود فى رواق محرابه ، على بلاط الرخام الذى قد عرى عن فرشه ، يؤدون حق



بعض زخارف السقف فى المسجد القرطبى الاعظم .

المسجد من تحية ، ويخرجون من رحابه وقد تركوا قلوبهم وأكبادهم أسيرة الأسير فى أرض المنفى .

لقد شاهدت عيناى هذا الصرح ، وشاهدت عبر الشرق والغرب مساجد فارهة ، ولكنى لم أشاهد فنا مثل ما رأيت فيه ، أصيلا وقورا ، وجوا خاشعا وعمارة شامخة ، وهندسة رائعة رفيعة ، حسب فيه حساب الضوء والظل ، وارتفاع السقف وخشوع الساجد ، فى تكامل رهيب ، امتص ما أقيم فيه بعد الأسر من صلوات مسيحية وكنائس ، تتضاءل فى رحابه الواسع ، حتى لا تكاد تبين .

فسلام على المسجد الجامع الاعظم ، وسلام على رمضان وليلة القدر ؟

---

(١) فتحت قرطبة سنة ٩٤ هـ مع الفتح الاعظم وسقطت فى يد القشتاليين سنة ٦٣٦ هـ .

(٢) هذا من كلام الفقيه ابن الولبنى ، اما المؤرخ المقرى — الذى يكتب بعد نكبتها — فيقول — ردها الله — .

(٣) كما تجلى العروس فى ثوب الزفاف .

(٤) الشرفات فى المساجد ما يكون من زخارف حجرية على اطراف الجدران الخارجية ، معانقة السماء باطرافها الممتدة ، والاشر ما يرى فى اسنان الصغار كمثل شرشرة المناشير .

(٥) النهار هو الضوء الشديد داخل المسجد والليل خارجه .

(٦) ضوء الفتيل المشتعل كحركة السنة الحياة فى افواهها .

(٧) السليط زيت الاضاءة فى الكؤوس .

(٨) العلاقات فى رؤوس المصابيح .

(٩) كرات النحاس الاصفر تجمع أطراف السلاسل .

(١٠) نظرت اليها بطول أروقة المسجد .

(١١) تعلق القرط فى طرف الأذن .

(١٢) مثل بسط الجلد حين يشق .

(١٣) صورة تشكيلية زخرفية من ترتيب الشموع وألوانها المختلفة على جوانب المنارة .

(١٤) رائحته الفواحة تملأ الخياشيم .

(١٥) الألنجوج والند نوعان من البخار ، والقتار بضم القاف ريحه المختلط بدخان احتراقه

(١٦) المجامر المباخر وكعوب المقامر فصوص النرد .

(١٧) وصف القباب من الداخل والخارج ، مستديرة كالأهلة من داخلها محددة التحديد من الخارج .

(١٨) هذا وصف فسيفساء القبة وفصوصها ذات الألوان الرائعة .

(١٩) هذا أصدق وصف لفسيفساء المحراب وألوانها وزخارفها التى جلبت خصيصا من بيزنطة أيام الحكم المستنصر ، والقرطق الثوب القصير ، وفسيفساء المحراب تقف فى وشمها عند خواصر العقد .

(٢٠) بيت الظبى وذلك كناية عن ضيق المكان بمن فيه .

(٢١) أقليدس عالم الهندسة اليونانى ، والبياذق والفرازين من أدوات الشطرنج .

(٢٢) أبو جهم بن حنيفة صحابى قرشى كان مهابا فى قومه .

(٢٣) عمير بن ضابىء حاول أن يحصب الحجاج لما طال سكوته على المنبر .

(٢٤) نفح الطيب للمقرى ج ٥ دار المأمون ص ٢١ — ٣١ .

(٢٥) نوع من المكاييل .

(٢٦) المرجع السابق .

مدرسة الاحسان

للأستاذ عبد الله كنون

قيل إن العرب لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة ، سموها بالازمنة التى وقعت فيها ، فوافق شهر رمضان أيام رمض الحر ، فسمى بذلك .

وسواء صح هذا ام لم يصح ، ومعنى المادة التى اشتق منها ذلك الاسم يصححه ، فان الاسلام قد جعل لهذا الشهر رمض حر معنوى لا يفارقه مدى السنين ، ولو جاء فى اشد الاوقات بردا وقرا ، وذلك هو الصيام الذى افترضه الله على المؤمنين وجعلهم يرتمضون فيه بحر الجوع ليذوقوا مما يذوقه الفقراء والمساكين فى كل شهر ، لا فى شهر رمضان فقط فيواسوهم ويحسنوا اليهم فى شهر رمضان وفى كل شهر آخر ، لأن الاحساس بالجوع غير وصفه ، والشعور بالخصاصة غير الخبر عنها .

وقد يكتب الكتاب ويعظ الواعظون فى الحض على المواساة والاحسان الى الفقراء والمساكين ولكنهم لن يبلغوا من النفس البشرية ما يبلغ منها صيام يوم واحد وتجويعها على النحو الذى امر به الشارع فى شهر رمضان للرياضة والتربية ، لا للتطبيب والاستجمام .

والصيام وان كانت له فوائد صحية لا تنكر ، ويصح أن يكون الشارع قصدها فيما قصد اليه من فرض هذا الركن العظيم من اركان الاسلام ، ولكن مسألة الاحسان هى منه فى الطليعة وربما كانت هى المرادة منه بالقصد وبالذات ، الا ترى الى ما روى فى الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم ، كان أجود الناس ، وأجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل فيذاكره بالقرآن ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

وكيف لا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم اجود الناس وهو الذى بعث ليتمم مكارم الاخلاق ؟ وكيف لا يكون افضل أكوانه بالنسبة الى الجود فى رمضان ، وقد اجتمعت فيه ثلاث دواع كل واحد منها كاف لمضاعفة أثر ذلك الخلق الكريم ، وهى الصيام ، ولقاء جبريل ، ومذاكرة القرآن ؟

فالصيام عامل طبيعى لاثارة عاطفة الاحسان بسبب ما يشعر به الصائم من الحرمان الذى يعيش فيه الفقراء دائما ، ويستوى فيه الرسول وغيره الا أن اثره فيه (صلى الله عليه وسلم) أعظم من غيره . ولقاء جبريل هو صلة مباشرة بالملأ الاعلى يصفو معها جوهر النفس وتسمو معنوياتها الى ابعد حد ممكن لبشر . ومذاكرة القرآن ، وهو معدن الاسرار والانوار ،

لا تأتى الا بأعظم النتائج فى باب التخلق لعموم الناس فأحرى الرسول الكريم .

وعلى كل حال فالغاية من الجميع هى الجود ، وذلك ما يجعل من رمضان مدرسة احسان ، يتخرج فيها ملايين المحسنين كل عام ، من الصائمين الذين يكونون على قدم الرسول صلى الله عيه وسلم فى الاتصاف بالجود أيام السنة كلها وفى أيام رمضان أكثر .

ومما يدل على أن فرض الصيام حكمته معالجة آلام الحرمان بالفعل ، لتربية عاطفة الاحسان فى الانسان ، ما روى فى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال « بينما رجل يمشى بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى . فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » .

فهذا الحديث يرشد الى أن الحرمان يولد العطف والعطف يبعث على الاحسان ، فما شعر بما يجده المحروم من الم نفسى وبدنى الا من حرم مثله من لذاته ومشتهياته ، واذ ذاك ترق عاطفته ويسخو بما لم يكن يسخو به من قبل هذا التمرين .

ولو لم يوخذ هذا الرجل بتجربة العطش الشديد الذى حمله على النزول فى البئر ، لما رق قلبه لذلك الكلب ولو رآه مندلع اللسان من العطش ، فكذلك يكون الذى عانى الصيام شهرا فى كل عام ، اذا راى جائعا أو عطشان أو محروما من ضرورية من ضروريات العيش على العموم

ولعل هذا هو ما يفسر قوة عاطفة الاحسان الفردى عند المسلمين برغم تخلفهم فى ميادين الاحسان العام لضعف تربيتهم الاجتماعية والسياسية .

على أن هذا المعنى الذى ذكرنا انه المقصود الاهم من الصيام وهو تنمية عاطفة الاحسان ، قد وقع التصريح به فى حديث سلمان رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال « يايها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، وهو شهر الصبر وشهر المواساة ، من افطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار » . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

ولا معنى لكونه شهر المواساة الا هذا بدليل ما بعده من الحض على تفطير الصائم الذى لا يجد ما يفطر عليه ، وناهيك أن كتاب الله العزيز لما عذر العاجز مطلقا عن الصيام لم يجعل له مندوحة من اطعام المساكين .

وتختم هذه الدروس التى تدوم شهرا كاملا بامتحان جعله الشارع علامة النجاح فى هذه المدرسة الاحسانية العظيمة ، وهو زكاة الفطر التى ورد فى الصحيح أنها طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وروى انه صلى الله عليه وسلم قال « صوم رمضان معلق بين السماء والارض لا يرفع الا بزكاة الفطر » .

فختمت دروس الاحسان بامتحان عملى فى الاحسان ، مما لا يبقى معه شك فى أن رمضان ما هو الا مدرسة للاحسان .

ان الصيام مواساة واحسان — قضى بذلك قرآن وبرهان
نعم الصيام مع المعروف تبذله — وليس فيه مع الحرمان هرمان

في القرآن منهج تربوي فريد

للأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي

فى القرآن منهج تربوى فريد ، وفيه مبادىء تربوية فريدة . وبينهما فارق كبير .

أما المنهج التربوى فهو الطريق الذى سلكه القرآن بالمسلم الى اتباع مبادئه والتمسك بأحكامه .

وأما المبادىء التربوية فهى تلك الأحكام والنظم والقيم التى أرساها ودعا اليها ، كأحكام الحلال والحرام وقيمة الصدق والجهاد والاخلاص .

وعندما نقول (المنهج التربوى) فانما نعنى الأسلوب والطريقة

ومشاعر الانسان فيهما . ولا تعنى هذه الأحكام والقيم بحال .

واذا تبين لنا الفرق ، فلنتساءل عن أسس المنهج القرآنى ومظاهر الابداع فيه .

المحاكمة العقليـــة

يقوم المنهج التربوى فى القــرآن على ثلاثة أسس : المحاكمة العقلية ، القصص والتاريخ ، الاثارة الوجدانية .

فأما المحاكمة العقلية ، فقد درج بها القرآن فى الجوانب الثلاثـــة التاليـــة :

الجانب الأول : تعريف الانسان بذاته قبل كل شىء . فقد بدأ خطابه للناس بالحديث عن الانسان وأصنافه وأصـــله وجوهره وكيفية نشأتـــه وتكاثره ، تقرأ ذلك فى بدء سورة البقرة التى هى أولى مراحل التنزيـــل الالهى للناس .

ولهذه البداءة التمهيدية أهمية تربوية كبرى ، ذلك لأن جميع المعارف التى يكتسبها الانسان انما هى فرع لمعرفة سابقة ، هى معرفته لذاته ، وبدون أن تتوفر هذه المعرفة الأولى لا يحرز الانسان أى ميزان سليـــم للمعارف الفرعية الأخرى . فلولا ايمانك بالعقل ووظيفته ما آمنت بشىء من مقولاته وأحكامه . ولولا معرفتك لتركيبك النفسانى والجسمانى لما عرفت شيئا من حقائق الكون التى تطوف من حولك ولما أدركت أى علاقة بينك وبينه . وبمقدار ما تكون معرفتك لذاتك دقيقة وسليمة فان معرفتك لحقائق الكون ووظائفه تكون دقيقة وسليمة . والعكس صحيح .

وهكذا ، فان الذى لم يتوفر بعد على معرفة ذاته وحدود أمكاناته ، لا يمكنه أن يتوفر على معرفة الوهية اللـــه له ولا على قصة هذا الكون ومجراه ونهايته . وما جحد الجاحدون بالله ولا أقاموا لأنفسهم عـــرش الربوبية فى الأرض ، الا لأن أعينهم ظلت تزيغ فيما حولهم دون أن تصحـــو لحظة واحدة للتأمل والنظر فى أنفسهم .

فمن أجل هذه الحقيقة ومدى أهميتها ، يبدأ القرآن فى محاكمتـــه العقلية للمنكرين بلفت أنظارهم الى أنفسهم والى قصة وجودهم ، حتى اذا استرعى أذهانهم ذلك ، أخذ يحدثهم عن وجود الله ووحدانيته وعبوديـــة الانسان له .

تأمل هذه الآية : « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى .. » الآية .. وتأمل كيف يأتى التقرير من بعدها عن البعث والنشور والحساب .

وانظر الى قوله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من مـــاء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » وتأمل كيف بنى على ذلك تصوير يوم الجزاء ، وأكد صدق ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من وعـــد ووعيد .

ثانيـــا : اختيار أسلوب صالح لجميع الناس على اختلاف ثقافـــاتهم وبيئاتهم وأزمانهم . فليس من سبيل لشد الناس الى المبدأ المطلوب ، طالما

كان أسلوب الدعوة صالحا لفئة منهم دون أخرى .

وانها لأشق شريطة من شرائط المنهج التربوى الذى يراد سلوكه مع جمهرة مختلطة من الناس . ولذلك فقد تمثل فى هذه الظاهرة أعظم مظهر من مظاهر اعجاز القرآن . اذ جاءت صياغة هذا الكتاب العجيب على قدر الطاقة الادراكية لدى طائفة منهم دون أن يتسبب عن ذلك أى خلل فى الأفهام ولا أى تضارب بين المفاهيم .

انظر الى قوله تعالى ، وهو يلفت أنظار الناس الى روعة الابداع الالهى فى خلق الكون : « ألم نجعل الأرض كفاتا ، أحياء وأمواتا . . » وتأمل فى لفظة (كفاتا) التى هى بمعنى الجذب والضم ، وعليه قول الشاعر :

كرام حين تنكفت الأفاعى — الى أجحارهن من الصقيع

لقد جاء وصف الأرض بهذه الكلمة على قدر ما يمكن أن يفهمه الأعرابى فى البادية ، فقد أدرك منها أن الارض له كالوعاء يحفظ ما فيه ويحرسه ، وهو ادراك صحيح . ثم جاء هذا الوصف ذاته على قدر فهم المختصين والمتعمقين فى دراسات الأرض والأفلاك . حتى فهم من ذلك ثابت بن قرة (٢٢١ — ٢٨٨) أن الانسان انما يستقر على الأرض بقوة خفية تجذبه اليها ، والا لما أمكنه الاستقرار من فوقها ، وهى نفس القوة التى تسمى اليوم بالجاذبية . وليس من كلمة تستوعب سلم هذه المعانى التى تبدأ بفهم الأعرابى فى البادية ، وتنتهى بما يفهمه علماء هذا العصر ، كما تستوعبه كلمة (كفاتا) !! . .

ومن أجل هذه الحكمة التربوية ، جاءت الصياغة القرآنية ، فيما يتعلق بالمعلومات الكونية ، بعيدة عن التعبيرات العلمية الضيقة ، اذ لولا ذلك لكان خطاب القرآن غير صالح الا لفئة قليلة من الناس .

ومن اجل هذه الحكمة أيضا جاءت الصياغة القرآنية فى هذه الأبحاث ذاتها ، مثيرة للنظر والبحث أكثر من أن تلزم الناس أن يؤمنوا باخبارات معينة عنها . اذ لو قامت صياغتها على هذا الالزام ، لكان مقتضاه وجوب التصديق بهذه — القضايا العلمية طبقا لما أخبر به القرآن ، دون أن يعملوا فى سبيل ذلك وسائل التجربة والمشاهدة ، التى هى الوسائل الطبيعية الأصيلة للوصول الى حقائق علمية عن الكون .

ومن أعظم الأخطاء التربوية أن يكون أمام تلميذك سبيل طبيعى مباشر الى لمس الحقيقة العلمية بجهده وسعيه ، ثم تثنيه عنها بما تفرض عليه من الفهم والعلم ، من مركز السيطرة والاجبار .

ثالثا : الاعتماد على المناقشة والحوار ، وللقرآن فى ذلك أسلوب رائع عجيب ، فهو اذ يناقش ويحاور ، يثير النظر الى الأدلة ويعرض لها ، دون أى نص على نتائجها ، بل يترك الربط والاستنتاج للسامع المتأمل .

وتلك هى فائدة الأسلوب الحوارى القائم على النظر والنقاش ، انه أسلوب تمرينى تربوى أكثر من أن يكون أسلوب خصومة وشقاق . وعندما يكون النقاش والحوار لهذا الغرض فان تصريح المناقش المربى بنتائج الأدلة وثمراتها (أثناء النقاش) يذهب بجدوى عمله التربوى كله .

انظر الى هذه الآيات التى جاءت فى أواخر سورة النمل : « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة

ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون .. » .

انه أسلوب حوارى كما ترى ، يقوم على اثارة الأسئلة المنبهة للعقل والمحركة للفكر ، ولا تجد اى جواب صريح على سؤال منها ، وانما تجد بدلا من الجواب لفت النظر الى حيث يمكن للفكر أن يدرك الجواب الصحيح ويتنبه له .

إنه يسأل .. ويلح فى السؤال وطلب الجواب .. ولكنه سرعان ما يضرب عن السؤال والجواب معا ليلفت النظر الى أساس المشكلة فى الأمر .. انهم يعدلون بالله غيره سلفا ، وإنهم لا يريدون أن يعلموا شيئا عن حقائق الكون وما فيه من طوايا الأدلة الرهيبة على وجود الله ووحدانيته وانهم لا يريدون أن يتذكروا نشأتهم الأولى وتدرجهم فى الخلق . ولو أنهم تذكروا .. وعلموا .. وانصفوا .. لعلموا الجواب على كل هذه الأسئلة ، ولأقروا به مؤمنين صاغرين .

تجد هذا المعنى بارزا بوضوح فى آخر كل آيات هذا الحوار : بل هم قوم يعدلون .. بل أكثرهم لا يعلمون .. قليلا ما تذكرون ..

وانظر أيضا الى قوله تعالى ، وهو يناقش الكافرين : ((أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين . أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)) ..

لقد عرض فى هذه الآيات وما يليها الى الاحتمالات المتصورة فى سبب جحود الكافرين ، فرد كلا منها ، بأسلوب فريد .. !! لم ينف الاحتمالات بعبارات سلبية جازمة ، فمثل هذا النفى لا يفيد المخاصم أكثر من أن يزيده صلابة وعنادا ، ولكنه ناقشها بما يكشف عن زيفها ، وترك التصريح بالزيف لعقل السامع وفكره . إن الاحتمال الأول ، هو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم متقولا على الله هذا القرآن ، واذا فليتقولوا هم أيضا على الله مثله . فاذا فعلوا ذلك أمكن لدعواهم أن تكون صحيحة . والاحتمال الثانى أن يكونوا عند انفسهم مخلوقين بغير خالق . واثارة هذا الاحتمال بهذا الأسلوب القرآنى تلفت النظر بطريقة مشفقة ساخرة الى ما يوجد فى تضاعيفه من دعوى رجحان الشىء بدون مرجح ، وهو من أبرز صور المحالات التى يجمع كافة العقلاء على امتناعها .

والاحتمال الثالث أن يكونوا — فى وهم تصوراتهم — هم الذين تولوا إيجاد أنفسهم . واثارة هذا الاحتمال ، بالأسلوب القرآنى الذى تراه ، تلفت النظر بطريقة ساخرة أيضا ، الى ما يوجد فى تضاعيفه ، من دعوى صحة الدور الذى هو أيضا من أبرز صور المحالات عند جميع العقلاء .

فانظر كيف حاكم الأسلوب الحوارى فى القرآن جماعة الكافرين الى قانون بطلان الدور وبطلان الرجحان بدون مرجح ، ليسقط بذلك دعواهم .! فعل ذلك كله بدون أن يسلك بهم اى مسلك تعليمى أو أن يلقنهم علم اى مجهول أو يلزمهم بأى قرار ونتيجة . وانما أثار أفكارهم الى موازين المنطق والعلم ، وتركهم بين ذلك كله ، وقد لبسوا زى الجهل أو التجاهل والتعامى عن الحق .

والحديث فى تطبيقات الأسلوب التربوى ، فى نقاش القرآن وحواره يطول . وأنه لحديث شائق مفيد . وليس ههنا مجال بسطه وتفصيله . ولكنى ألفت نظر المهتمين بالتربية ومذاهبها الى هذا الجانب ، وأدعوهم الى دراسته دراسة واعية مسهبة ، فلسوف يعثرون على ما هم بأمس الحاجة الى معرفته والتبصر به من الطرائق التربوية الحديثة المفيدة .

ألقصص والتاريخ

وللقصص والأبحاث التاريخية أهمية كبرى . ولكن الشأن ليس فى ايراد القصة كيفما اتفق ، وانما الشأن فى معرفة الطريقة التربوية التى يجب أن يتم نسيج القصة على أساسها .

للقرآن منهج رائع عظيم فى ذلك يمكن أن يلخص فيما يلى :

أولا : لا يسوق القرآن من القصة الا ما يتعلق به الغرض الذى سيقت من أجله ، كى تظل الصلة متينة بين القصة والمناسبة الداعية اليها ، بحيث تبعث فيها الأهمية وتمدها بالحياة . من أجل هذا لا تكاد تجد القرآن يسرد حوادث القصة سردا تاريخيا تبعا لسلسلة الوقائع والأحداث ، اذ من شأن ذلك أن تبتعد القصة بالقارىء عن المناسبة والغرض الأصلى اللذين ذكرت بصددهما .

تقرأ مثلا فى قصة أصحاب الكهف قوله تعالى : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا إذا شططا » ..

فأنت ترى أنه بدأ فوصف أصحاب الكهف بأنهم فتية انفردوا عن قومهم الكافرين بالايمان بالله وحده ، وأنهم من أجل ذلك عزموا على أن يعتزلوهم فى شواهق الجبال وبطون الكهوف . فمن هم هؤلاء القوم ؟ وفى أى بلدة كانوا يعيشون ، وكم كان عدد هؤلاء الفتية ؟ وما هى أسماؤهم ؟

لقد كان مقتضى السرد التاريخى أن تجيب القصة عن هذه الأسئلة كلها ، ولكنها لو سارت على هذا المنوال لما وفت بالغرض الدينى الذى استهدفته ، ولا نصرف فكر القارىء الى تتبع أحداث تاريخية شائقة يود أن يعرفها ، ولغفل بذلك عن العبرة والعظة اللتين سيقت القصة من أجلهما .

وهذا هو سر الاقتضاب الذى نجده فى أكثر قصص القرآن ، وهو سر يمكن أن يتنبه اليه الانسان من خلال شعوره بالرغبة فى أن تكون القصة القرآنية غنية بمزيد من التفصيل ، اذ هو لا يرغب فى ذلك الا بدافع مما يتصف به الانسان عادة من فضول الفكر وحب الاستطلاع . ولو استجيبت رغبته لند فكره عما قد وضعه القرآن فى سبيله من الانضباط مع خط الهداية والدعوة اليها (١) .

ثانيا : اقحام النصائح والعظات فى ثنايا القصة .

ويهدف المنهج التربوى من ذلك الى أن لا يندمج القارىء مع القصة وينصرف اليها بكل تفكيره ، فيطول به العهد وينسى المساق الأصلى للقصة . وتلك هى آفة الاستعانة بالقصة فى التربية والتهذيب ، واذا تغلب المربى

عليها فأتخذ منها أسلوبا لايقصى السامع خلال مختلف مراحلها عن المحور التربوى الذى ينطلق منه ، كانت القصة اذ ذاك أعظم وسيلة تربوية ناجعة وذلك هو منهج القرآن .

يقص الله علينا فى سورة طه خبر موسى وفرعون . حتى اذا تشعبت أحداث القصة وكاد السامع أن يغفل عن مساق القصة وعبرتها بواقعها وغريب أحداثها ، ظهر ــ بأسلوب بالغ الروعة ــ أثناء سياقهــــا حديث آخر جديد يتوجه الى السامع بالموعظة والارشاد ، ويشده الى الغرض الكلى الذى عرضت القصة من أجله . حتى اذا حقق هــذا الحديث الطارىء أثره المطلوب فى نفس السامع ، عاد السياق مرة أخرى الى القصــــة وأحداثها .

تأمل هذا كله فى قوله تعالى وهو يقص من خبر موسى وفرعون :

« قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى . الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيهــا سبلا وأنزل لكم من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى .. » .

فانظر كيف توقف سير القصة ، ليظهر من ورائها ــ فى لباقة ولطف ــ حديث آخر يتحول فيه الخطاب مما بين موسى وفرعون الى ما بين اللــه وعباده ، متضمنا الامتنان بالنعم والتحذير من النقم والتنبيه الى بالغ سطوة الله وعظيم جبروته .. حتى اذا اصطبغت القصة بهذا الجو الارشادى واستعاد بذلك السامع أو القارىء انتباهه الى الغرض الكلى الذى من أجله نزل القرآن ــ عادت القصة الى مسارها ، بدءا من قوله : « ولقــد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » .

وتأمل هذا المنهج التربوى أيضا فى عرض قصة أصحاب الكهف ، وانظر كيف ينتهز الأسلوب التربوى المعجز ظهور أول نافذة فى احداثهــا يمكن ان تتسلل اليها موعظة عــابرة مذكرة توقــظ النفس من ذهــول ، فيقحم فيها هذه العظــة بأسلوب رائع بليغ ، وسرعان ما يعود بها مرة أخرى فيربطها بمجرى القصة وأحداثها :

« سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمســة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قــل ربى أعلم بعدتهم مــا يعلمهم إلا قليل فلا تمــار فيهم الا مراء ظاهرا ، ولا تستفت فيهم منهم أحدا . ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا . الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا . ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا » ..

....

ثم ان هذا المنهج ليس خاصا بالقصة وحدها ، بل هو مطرد مع سائر المواضيع التى يعالجها القرآن ، لا يدع القارىء يستغرق مع أى موضوع من المواضيع سواء كان أحكاما أو عقيدة أو أخبارا عن المغيبات

وتصويرا لأحداث القيامة ، بل يصبغ هذه الأبحاث كلها بصبغة التوجيه والارشاد ، ويجعل المحور الأساسى الذى تنزل القرآن من أجلـه بارزا مسيطرا خلال سائر المواضيع والأبحاث ، حتى لا يشت الذهن عنه خلال المسائل والأبحاث المختلفة .

انظر الى قوله تعالى وهو يقرر لنا أحكام صوم رمضان : « .. فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيـام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريـد بكم العسر ولتكملوا العـدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون . أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ..)) الآية .

فأنت ترى كيف أقحم الله بين آيات الصوم وأحكامه ، هذه الآية التى شدت اذهان الناس الى جوهر العبودية لله والى الأصل الكلى الذى تفرعت عنه هذه الأحكام الجزئية الكثيرة .

والعجيب حقا أن تجد بعض الباحثين المثقفين ، وقد تاهوا عن هذا المنهج التربوى الذى ما ينبغى أن يغيب عمن كانت له أدنى مشاركة فى شئون الثقافة والتربية ، ثم راحوا ينقدون القرآن من أعظم جانب تربوى فيه ، وأخذوا يتساءلون : لماذا جاءت أبحاث القرآن متداخلة ولم تأت منظمة فى فصول وأبواب كبقية الكتب والمؤلفات ؟ ! ..

فأين كان يبقى أثره التربوى الذى نتحدث عنه لو أنه نظم كما يشاءون فجاء فيه باب فى العقائد وأدلتها ، وباب فى الأحكام والمعاملات ، وباب فى القصص والتاريخ ، وهكذا ؟ !

ان الذى يقبل منه على باب الأحكام ينسى من القرآن وأهدافه كل شىء الا المباحث القانونية الجافة التى يحاول أن يستوعبها ، كما يكون من شأن الفقهاء الذين يتدارسون بابا فى الرهن مثلا ، لا يكـاد أحدهم يذكر الله أو يذكر الغرض من هذا الفقه وأحكامه . وربما كانوا — وهم الفقهاء — أبعد عن الله تلك الساعة من ذلك العامى الذى يذكر الله خاليا ضمن دكانه ومتجره .

والذى يقبل منه على باب القصص والتاريخ ، ينسى القرآن وينسى نفسه ومسؤولياتها ، فى خضم ما يقرؤه أو يسمعه من الأحداث الغريبة التى يستعرضها .

والقرآن فى قصصه واحكامه وعقائده وبقية أبحاثه ، انما أنزل لأمر كلى واحد ، هو أن يكون الناس عبيدا للـه بالطوع والاختيار ، كما قد خلقهم عبيدا له بالقسر والاجبار .

فكان سبيل تحقيق ذلك يقضى ، لا جرم ، بصبغ مسائله ومواضيعه كلها بصبغة هذا الأمر الكلى ، وانما يكـون ذلك بتداخل مسائله طبقا لهذا المنهج التربوى الدقيق .

الاثـارة الوجدانيـة :

ولكم تمنيت أن يأتى الحديث عن هذا الجانب التربوى الهام فى كتاب الله تعالى ، فى كتاب لا فى جزء من مقال .

انه جانب يستأهل دراسة عميقة واعية مفصلة من أرباب الدراسات التربوية ، ومن المؤسف أن تجد علماء التربية قد وسعوا دراساتهم نحو كل شأو واستنهضوا كل نظرية وفكر حديث ، علهم يعودون من ذلك بفائدة الى اختصاصهم ولكنهم خلال ذلك كله لم يعلموا أى علم عن القرآن وطرائقه التربوية العجيبة !!

ذلك لأنهم لم يتعلموه ، فلم يقرؤوه ، فعاشوا غرباء عنه ! ..

ولنترك هذا الحديث المؤلم المؤسف ، ولنلخص شرح هذا الأساس الثالث ، من أسس المنهج التربوى فى القرآن .

إن منابع العواطف الوجدانية فى الانسان تنحصر فى المنابع الثلاثة التاليـــة :

عواطف دافعة : كالفرح ، والأمل ، والرغبة .

وعواطف رادعة : كالخوف ، والخشية ، والاشفاق .

وعواطف ممجدة : كالاعجاب ، والحب والتقديس .

وما من معنى عاطفى ووجدانى الا ويعود نسبه الى واحد من هـــذه الينابيع الثلاثة . وهى وحدها عمدة المربى عندما يعتمد عـــلى الاثارة الوجدانية .

وليس فى اعتماد المربى على العنصر العاطفى كبير أهمية أو خطورة، وانما تكمن الاهمية كلها فى القدرة على تكوين مزيج متكافىء معتـــدل من هذه العناصر الثلاثة التى هى ينابيع العواطف كلها . ذلك أن أحد هذه العناصر اذا استقل بالتأثير أو كانت له الغلبة على سواه أصبح مصــــدر سوء وسبب هلاك ولم يبق فيه للأهداف التربوية أى جدوى .

فسوق المربى لتلميذه بعصى الرهبة وحدها سبب واضح لهلاكه . ودفعه بعامل الفرح والرغبة وحدهما سبب خطير لافساده . وملء احساسه بمشاعر التقديس والاعجاب وحدهما لا يحرك فيه ساكنا ولا يغير منـــه أعوجاجا . وانما يصلح سبيل التربية اذا نهض على مزيج معتدل من هذه المشاعر الثلاثة كلها . وما فسدت المعالجات التربوية وتخلفت عن اعطاء ثمارها المرجوة الا لفقد هذا المزيج المعتدل .

وكتاب الله تعالى يجذب أفئدة الناس بقوة وجدانية (الى جـــانب المحاكمة العقلية) مكونة من هذه العواطف الثلاث فى اعتدال وتكافؤ .

فأنت لا تجد فيه آية تسلم الانسان الى رهبة مجردة ، أو تمنيـــه ببشارة صافية عن شائبة الخوف . بل إن من قواعد القرآن الكلية انه لا يذكر الانسان ببعض صفات الجبروت والانتقام لله تعالى الا ويذكره الى جانبها بصفات الرحمة والغفران ، ولا يتحدث عن الجنة وما فيها من نعم الا ويتحدث الى جانبها عن جهنم وما فيها من مظاهر التعذيب . ومهما بحثت فى آيات القرآن فلن تقف على نص يتضمن وصف احدى هاتين الدارين الا والى جانبه وصف مقابل للدار الأخرى .

انظر الى قوله تعالى : « نبىء عبادى انى انا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم » بل انظر الى قوله عز وجل : « قل يا عبـــادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)) والى جانبه تماما قوله : ((وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون)) .

وفائدة ذلك أن يبقى الانسان بين جاذبى الرغبة والرهبة دون أن يطغى أحدهما على الآخر . وفى ظل هـذا التجاذب ينشط للسعى الى مرضاة الله وتنفيذ أوامره وأحكامه ، ويتحقق فيه معنى العبودية التى لا تتكامل الا بشعورين من الرغبة والرهبة معا .

وتحقيقا لهذا المنهج نفسه فانك لتلاحظ بشكل مطرد أن القـرآن كلما وصف أهل الجنة وصفهم بأرقى أعمالهم وأجل صفاتهم ، وكلما وصف أهل النار وصفهم بأسوا اعمالهم وأشدها اثارة لغضب الله عليهم . فاذا تأملت صفات المؤمنين وعرضتها على حالك رأيت نفسك دون ذلـك فتقاصر بك الأمل فى اللحاق بهم ، واذا تأملت صفات أهل النار وعرضتها عـلى حالك رأيت نفسك فوقها فراودك الأمل أن لا تكون منهم وتبقى — فـى تقديرك — فى حالة بين أولئك وهؤلاء ، تشدك رغبـة وتخيفك رهبة ، فتجهد أن تعلو عن حال الكافرين وتسعى للحاق بحال المؤمنين .

وانظر هذا المعنى التربوى الرائع فى مثل قوله تعالى وهـو يصف أهل النار : « ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نـك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيـوم الدين . حتى أتانا اليقين)) إنك اذا قرأت أوصافهم هذه حمدت الله تعالى أنك لست منهم ، ولكن انظر الى قوله تعالى وهو يصف أهل الجنة : « انـهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالاسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » انك اذا رأيت صفاتهم هذه وجدت نفسك دونهم .

وهكذا يضعك بيان الله تعالى ومنهجه التربوى بين الخوف من عذابه والرجاء فى رحمته وثوابه ، حتى لا ترهب من عذابه رهبة توقعك فى اليأس ، ولا ترغب فى رحمته رغبة توكلك الى الدعة وتتمنى فيها على الله ما ليس لك .

وقد علمنا الله تعالى بصريح بيانه أن نكون على هذه الحالة من الخوف والرجاء ، فلا نعبد الله تعالى على حرف منهما ، ولا نتمثل من صفاته ما يدل على الشدة وحدها ولا ما يدل على الرخاء وحده ، فهو يقول فى وصف عباده الصالحين : ((وكانوا يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)) ويقول فى وصفهم أيضا ((تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ..)) .

• • • •   • • • •

هذا عرض ملخص موجز للمهنج التربوى فى كتاب الله تعالى ، واذا وفق الله ويسر عدت اليه بمزيد من الشرح والتفصيل وأخرجته فى كتاب يفى ببعض أهمية هـذا البحث وخطورته . أسأل الله تعالى أن يحققنا بمنهجه التربوى ويرزقنا حسن التمسك وصدق التأثر بكتابه القويم .

---

(١) هذا لا يعنى أن القصة القرآنية — باقتضابها — لا تعتمد على أى أساس فنى وأدبى بل القصة فى القرآن تقوم على منهج فنى رائع يطول بنا الحديث فى دخلنا فى شرحه وتحليله وارجع اذا اردت تفصيل ذلك الى كتابنا : « من روائع القرآن » ..

مواقف..

نخرتيجى

إن تاريخ أية أمة من الامم يضم فى ثناياه تقييمه العادل من خلال ما يقدمه من (مواقف) لخدمة الانسان وقضيته فى الارض .. إن ظروف الزمان والمكان ، ومواصفات البيئة والطبيعة ، تفعل فعلها فى توجيه التاريخ ، لكن صياغته النهائية وتخطيطه يبقيان أبدا بيد الانسان ، وينتظران دوما (أوامر) الارادة الانسانية لكى يلبيا ويخضعا .. ومن خلال (الموقف) الذى يتخذه الانسان فى لحظات التساؤل والاختيار والوقوف عند مفارق الطرق ، يأخذ الحدث التاريخى ، أو الواقعة التاريخية مجراها ومسارها . وكلما كانت تلك (المواقف) أكثر استشرافا وشمولا وتحررا من الضغوط المباشرة ، وأثقال الواقع ، وجزئياته الصلبة المغلقة ، كلما جاءت الحركة التاريخية بمثابة خطوات صوب الامام ، تبارك الانسان وتسعده وتزكيه وترفعه صعدا عن عالم النمل والنحل والحيوان .. !!

ولسنا هنا بصدد دراسة أبعاد (الموقف) الانسانى وعلاقته (بالحدث) التاريخى .. لكنا نريد فقط تسليط الاضواء على مواقف بعض قادة الفكر فى تاريخنا ورواده .. من قضية شرف الانسان وحريته وسعادته ، ورفع كرامة (الفكر) البشرى الى المصاف العليا التى لا ينزله من عليائها طغيان طاغ ، او غزو غاز او تجبر حاكم أمى لم يقرأ يوما باسم ربه الذى خلق ، ولم يمسك قلم المعرفة لكى يتعلم .. وما أكثر مواقف العلماء فى تاريخنا ، وما أروعها وأشرفها !! الخ ..

والحق يقال — مراكز الثقل فى ساحة هذا التاريخ الذى لا يكف عن التمخض والحركة ، ونجوم سمائه الدنيا المعلقة ، تنير للسالكين عبر الظلمات معالم الطريق .. وتتوهج حتى تكاد تذوب بالنور وتحترق بالنار .. ولن يقف أمام عالم اختار ضياء العرفان وقبس من حريق الفؤاد ، أى شىء .. فقط اذا اعتزم أن يقف الوقفة المناسبة فى الوقت المناسب والمكان الملائم ..

الدكتور: عماد الدين خليل

ندرة القرآن

ان تراجم نصف مليون رجل فى تاريخنا عدد يحسدنا عليه مفكرو الأمم الأخرى ، فكيف لو أطلعوا على موقف واحد منهم ، دفاعا عن حق ، وصمودا أمام غزو باطل ، وهتكا لبراقع زيف يريد أصحابه أبدا أن يطمسوا به نقاء الاشياء ومبررات الوجود الانسانى فى الارض . كيف لو تفحصوا الادوار التى لعبها هؤلاء على مسرح تاريخنا الاسلامى ، والنتائج العظيمة التى جاءوا بها كل فى حقله ، وهى نتائج تتعدى اطر الزمان والمكان ، صوب القيم الخالدة ، وتجاه موضع الانسان الذى كرمه الله على الارض واستعمره فيها ..

إن أبا عبد الله محمد بن غانم الأصبهانى ، الذى قدم بغداد فى العقود الاولى من القرن السابع الهجرى ، شابا فى عز الشباب ، وأسهم فى ميدان التفسير اسهاما عميقا ، يقف مناديا (المحبين) من أمته ، فى عصر كان فى أمس الحاجة الى نداء يهز وجدان الناس ويحركهم صوب الاهداف التى راحت تتأرجح أمام وقع سنابك الخيول التترية ، صوت يبعثهم من جديد ويقودهم الى التخوم ، دفاعا عن مصير الامة وحماية لشرفها الحضارى .. إن أبا عبد الله يريد ان يقول لهم : أن يحبوا الله وأن يذوبوا شوقا وغراما .. إنه يريد ان يبين لهم مواقعهم فى الارض وكم هو تافه سخيف الركون الأعمى الى حفنة من تراب يتحرك الانسان عليها ، ويختنق فيها ، ثم ما يلبث أن يأكله دودها وسوسها .. (العالم كالذرة) ــ يقول أبو عبد الله : الذرة كالعالم فى كتاب حكمته ، الأصول فروع إذا تجلى أجمال أوليته ، والفروع أصول اذا طلعت من مغرب نفى الوسائط شمس أخريته . أستار الليل مسدولة ، وشموع الكواكب مشعولة ، وأعين الرقباء عن المشتاقين مشغولة ، وحجاب الحجب عن أبواب الوصل معزولة . ما هذه الوقفة والحبيب قد فتح الباب ؟ ما هذه الفترة والمولى قد خرق حاجب الحجاب ؟

وقــوفى بأكنــاف العقيق عقــوق / اذا لم أرد والدمــــع فيه عقيــق
وإذ لم أمت شوقا الى ساكن الحمى / فما أنا فيما أدعيــه صــدوق !!
أيا ربع ليلى ما المحبوب فى الهوى / سواء ، ولا كل الشراب رحيــق
ولا كل من تلقــاه يلقــاك قلبه / ولا كل من يخطو اليــك مشــوق
تكاثرت الدعوى على الحب فاستوى / أسير صبابات الهوى ، وطليق !!

ويستمر أبو عبد الله ، واعظا جماهير بغداد : (أيها المؤمنون ، هل فيكم من يصعد الى السماء ، أيها المحبوسون فى مطامير مسمياتهم ، هل فيكم سليم فى الفهم يفهم رموز الوحوش والاطيار ؟ هــل فيكم موسوى الشوق يقول بلسان شوقه : (أرنى أنظر اليك فقد طال الانتظار؟) .. ثم ما يلبث أن يهزه الشوق ، وتحرقه النار .. فيصرخ فيهم (أيها النائمون تيقظوا) .. (١) .

وفى مطلع القرن ذاته (٦٠٦ هـ) كان سبطه بن الجوزى يقف فى جــامع دمشق ، يعظ ويحث على الغزاة والمقاومة ضــد الخطر الصليبى . واذا كان أبو عبد الله يريد من موقفه ذاك فى بغداد أن يهز أعماق الناس ويصغر فى أعينهم قيمة الحياة الدنيا من أجل أن يتحركوا صوب عظائم الامور ، دون خوف من موت أو رهبة من أذى وعقاب ، فإن حفيد ابن الجوزى الشهيد ، يتحرك بهم فعلا صوب ســاحات القتال والجود بالنفس والنفيس ، دفعا لعدو غاصب ، وتحــريرا لارض مغتصبة . يقــول ابن المعــاد (٢) : (وتجمع حوله الناس مــن باب الساعات الى مشهد زين العابدين ، واجتمع عنده شعور نساء كثيرة ، وقطعت احدى النساء شعرها ، وبعثت به اليه ، وقالت : اجعله قيــدا لفرسك فى سبيل الله .. فعمل من الشعور التى عنده مجتمعة شكلا لخيل المجاهدين .. وعندما صعد المنبر أمر بإحضــارها فكانت ثلاثمائة شكال فلما رآها الناس صاحوا صيحة واحدة وقطعوا مثلها .. ثم ركب وركب الناس ، وخرجوا الى باب المصلى وكانوا خلقا لا يحصون كثرة ، وساروا الى نابلس لقتال الفرنج .. فأسروا وهزموا وهدموا وقتلوا ورجعوا سالمين غانمين .. !!

ويقف أبو الوفاء ابن عقيل (٤٨٨ هـ) متحديا ارادة الوزيــر السلجوقى ابن جهير ، ناقدا تدهور الاوضاع الاجتماعية والســلوك الاخلاقى ، خلال اشتغال الناس فى بناء أحد أسوار بغداد .. وبينما يكافح أبو عبد الله فى ميدان النفس ويجاهد سبط بن الجوزى فى الجبهة الخارجية ، يقف ابن عقيل بوجه موجة من موجات الانحلال فى الداخل ، فى قلب المجتمع الاسلامى ، ويكتب الى الوزير : **(لولا اعتقادى صحة البعث ، وإن لنا دارا أخرى لعلى اكون فيها على حال احمدها ، لما بغضت نفس الى مالك عصرى ، وعلى الله أعتمد فى جميــع ما أورده بعد أن أشهده أنى محب متعصب . لكن اذا تقابل دين محمد ودين بنى جهير ، فوالله ما أزن هذه بهذه ، ولو كنت كذلك ، كنت كافرا !! فأقول : ان كان فى هذا الخرق الذى جرى بالشريعة عن عمد لمناصبته واضعها ، فما بالنا نعتقد الختمات ورواية الاحاديث ، وإذا نزلت بنا الحــوادث تقدمنا مجموع الختمات والدعاء عقبيها ثم بعد ذلك طبول ومخانيث**

وكشف عورات الرجال مع حضور النساء ، اسقاطا لحكم الله .. ترى باى وجـه تلقى محمدا صلى الله عليه وسلم .. وأى حرمة تبقى لوجوهنا وأيدينا وألسنتنا عند الله ، اذا وضعنا الجباه ساجدة .. ثم كيف نطالب الأجناد تقبيل عتبة ولثم ترابها ، ونقيم الحد فى دهليز الحريم صباحا ومساء ، على قدح نبيـذ مختلف فيه ، ثم تمرح العوام فى المنكر المجمع على تحريمه ، هذا مضاف الى الزنا الظاهر ، ولبس الحرير ، على جميع المتعلقين والاصحاب . يا شرف الدين اتق سخط اللهفإن سخطه لا تقاومه سماء ولا أرض ، فإن فسدت حالى بما قلت فلعل الله يلطف بى ويكفينى حوائج الطباع . ثم لا تلومنا على ملازمة البيوت والاختفاء عن العوام ، لانهم أن سألونا لم نقل الا ما يقتضى الاعظام لهذه القبائح والانكار لها .. فاتق الله تقوى من علم مقدار سخطه ، فقـد قال تعالى : (فلما آسفونا انتقمنا منهم) . وقد ملأتكم فى عيونكم مدائح الشعراء ، ومداجاة المتمولين بدولتكم الاغنياء الاغبياء الذين خسروا الله فيكم فحسنوا لكم طرائقكم . والعاقل من عرف نفسه ولم يغيره مدح من لا يخبرها) . (٣) .

إن أبا الوفـــاء لا يجابه فى موقفه هذا السلطة الحاكمة فحسب ، ويخوفها غضب الله وسخطه ، لكنه يسعى الى تعرية التناقضـــات التى تعانيها هذه السلطة بين الشكل والحقيقة ، والظاهر والباطن .. وأكثر من هذا ، انه يصب وعيده على ظاهرة النفاق الاجتماعى الـــذى تسرب الى النفوس حرصا على الدنيئ وتهافتا على لذاتها .. فالشعر يرخص ويبتذل حتى يغدو مديحا خاويا ينشد فى حضرة المسؤولين ، يزيف الحقائق ويغنى على حسابها .. والاغنياء ــ الاغبيـــاء ــ وما أروعهـــا من التفاتـــة .. خسروا أنفسهم ، فراحوا يداجون ويحلون للحكام ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، تزيينا لطرائق الحاكمين ، ووصولا الى مزيد من أكـــوام الذهب والفضة ..

وفى مواجهة زيف الشعر وبلادة الغنى يقف أحمد بن مـــــوسى الزرعى ، أحـــد كبار تلامذة ابن تيمية ، عاملا كادحا ، ينسج بيديه عباءات الصـــوف لكى يتقوت منها ، ويرفض طيلة حياته أن يقبل من أحد شيئا !! وينطلق من كدحه وتجرده هذا ، لكى يجابه بكلمة الحق ملوك الترك وأمراءهم فى مصـــر والشـــام ، فيزور القاهرة مرارا ولا يعود الا وقد أجيب الى كل ما أراد (فأبطل أشياء من المظالم ، وانتفع الناس به كثيرا .) وماذا تكون النتيجة ؟ أن يكرهه (الكثير من أهل الدولة ولا يتهيأ لهم رده فيما يطلب) (٤) .. ذلك أن جماهير الناس تقف معه .. ومع الطرفين .. .. العالم والامة ، يقف الحق الذى لا يغلب .. !!

وما دمنا بصدد فكر مؤمن متجرد كادح ، كما أراد له الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون .. ما دمنا بصدد اناس آلوا على أنفسهم أن يحموا كرامة (مواقفهم) بنسج عباءات الصوف وخصف النعال ، ما دمنا بصدد زعماء أدركوا بعمق أنه ليس بالفكر يغنى الناس ، ويكون الغنى والفقير ، والشبعان والجائع ، والمتخم والمحروم .. فلنستمع الى ابن شبرمة إذن وهو يقول (عجب لهذا الرازى ــ جرير بن عبـــد الحميد ــ عرضت عليه أن أجرى عليه مائة درهم فى الشـــهر مـــن

فقال : يأخذ المسلمون كلهم مثل هذا ؟ قلت : لا ، قال : فلا حاجة لى فيها) (٥) ولنستمع الى الجنيد وابن مسروق وهما يقولان : (إن حسنا المرحى كان اول من عقدت له الحلقة ببغداد ، وكان أستاذ أكثر البغداديين ، لم يكن له منزل ببغداد يأوى اليه ، وكان يأوى بباب الكناس فى مسجد يكنه من الحر والبرد) (٦) .. ولنستمع الى عيسى ابن موسى بن محمد بن المتوكل يحدث عن نفسه : (مكثت ثلاثين سنة اشتهى أن أشارك العامة فى أكل هريسة السوق فلا أقدر على ذلك لاجل البكور الى سماع الحديث ..) (٧) ..

وماذا عن الشيخ عبد القادر الجيلانى الزعيم الصوفى الكبير ؟ استمعوا اليه : **(طالبتنى نفسى بشهوة فكنت اضاجرها وأدخل فى درب وأخرج الى درب أطلب الصحراء .. ما للأقوياء والشهوات ؟ إنما خلقت الشهوات للضعفاء .. ولقد فتشت الاعمال كلها فما وجدت أفضل من إطعام الطعام . أود لو أن الدنيا بيدى فأطعمها الجيـــاع !!) ..** وستظل عبارة الجيلانى ، أبد الآبدين ، علامة شرف لفكرنا الاسلامى، وعدل لتاريخنا العقائدى .. كما ستظل أبد الآبدين ، لعنة على المتسولين على موائد الغرب يقتبسون ، بغباء وعمى منقطع النظير ، عبارات يهودى قالها يوما ، دونما تفحص لمسيرة الاديان واتباع الأديان فى كل مكان : (الدين أفيون الشعوب) .. وأسألكم بالله كيف يكون ديننا أفيـــونا للمحرومين وهذا زعيم من آلاف من زعمائه ، يعيش جائعا كادحا محروما ، وبامكانه فى لحظات أن يخوض الى ركبتيه فى أنهار الذهب والفضة ، ويخدع ويخدر ، باسم الدين ، أعصاب أولئك الــذين اعتصروا دماءهم وعرقهم فضة وذهبا .. أسألكم بالله كيف يكون الدين أفيونا وهذا الجيلانى يقول : (أود لو أن الدنيا بيدى فأطعمها الجياع) ؟!

إن فكرا حرا من زيف المادة ، وتخدير الترف الفاحش ، واستعباد الدرهم والدينار لقدير على أن يظل دوما فى (موقفه) العالى ، لا ينزل أبدا لاستقبال (عظيم) ولا يمد يده منحنيا ، تملقا لامبراطور أو ملك أو أمير .. ان أبا عبيد يحدثنا فيقول : كنا مع محمد بن الحسن اذ أقبــل الرشيد ، فقام اليه الناس كلهم الا محمد فإنه لم يقم . فسأله الخليفة : مالك لم تقم مع الناس ، فأجاب : كرهت أن أخرج عن الطبقة التى جعلتنى فيها . إنك أهلتنى للعلم فكرهت أن أخرج منه الى طبقة الخدمة التى هى خارجة عنه ؟) (٨) .. لله درك يا أبا الحسن .. ان العلم الشريف لا يمكن أبدا أن يخرج الى طبقة الخدمة والتمسح على الاعتاب .. إنه يوم يخرج الى هناك لا يكون علما ، ولكنه يغدو زيفـــا ، وتذللا .. وأفيـــونا .. !!

واذا كنا فى الصفحات السابقة قد استعرضنا عددا من (المواقف) استعراضا (أفقيا) ، فما أروع أن نختتم هذا البحث الموجز بعـــرض (عمودى) لمواقف واحد من علمائنا الذين لا يحصيهم العد ، يحدثنا عنـــه ابن العماد فى (شذرات الذهب) (٩) ، وهى مواقف ذات أبعاد شتى اجتماعية وسياسية وروحية وانسانية ، تتلاءم وتنسجم جميعا فى تكـــوين شخصى متجرد ذكى رقيق شجاع رائع ، طالما عودنا تاريخنا على الالتقاء به فى كل زمان ومكان .. إنه الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة

الحنبلى المقدسى .. ولد بجماعيل فى فلسطين عام ٥٢٨ هـ ، وهاجر الى دمشق لاستيلاء الصليبيين على الارض المقدسة ، وسمع الحديث على الكثيرين ، وقرأ القرآن والفقه ، وكان اماما فاضلا مقرئا زاهدا عابدا خاشعا من الله منيبا اليه ، كثير النفع لخلق الله ، ذا تهجد واجتهاد وأوقات مقسمة على الطاعات من الصلاة والصيام والذكر وتعلم العلم والفتوة والمروءة والخدمة والتواضع فلقد كان عديم النظير فى زمانه .. هاجر الى مصر .. ورجع .. وكتب كثيرا من الكتب والمصاحف وكان يكتب للناس بغير أجرة ، وكان سريع الكتابة ، ربما كتب فى اليوم كراسين من القطع الكبير .. وكان الله قد جمع له معرفة الفقه والفرائض والنحو ، مع الزهد والعمل وقضاء حوائج الناس .. وكان لا يسمع حديثا الا عمل به ، وكان لا يترك قيام الليل من وقت شبابه .. ومات وهو عاقد على أصابعه يسبح ..

وحدثت زوجته أنه كان يقوم الليل فإذا جاءه النوم .. عنده قضيب يضرب به على رجليه فيذهب عنه النوم ، وكان كثير الصيام سفرا وحضرا .. وكان لا يسمع بجنازة الا حضرها ، ولا مريض الا عاده ، ولا بجهاد الا خرج فيه .. وكان لا يخرج الى الجمعة الا ومعه شىء يتصدق به ، وكان يؤثر بما عنده أقاربه وغيرهم ويتصدق كثيرا ببعض ثيابه حتى يبقى فى الشتاء بجبة من غير قميص ، وكانت عمامته قطعة بطانة فإذا احتاج أحد الى خرقة قطع منها ، وكان يلبس الخشن وينام على الحصير .. ومكث مدة لا يأكل أهل الدير الا من بيته ، يجمع الرجال ناحية والنساء ناحية ، وكان اذا جاء بشىء الى بيته فرقه على الخاص والعام. وكان يقول : لا علم إلا ما دخل مع صاحبه القبر ، ويقول : اذا لم تتصدقوا لا يتصدق أحد عنكم ، واذا لم تعطوا السائل أعطاه غيركم . وكان إذا خطب ترق القلوب وتبكى الناس بكاء كثيرا . وكانت له هيبة عظيمة فى القلوب . واحتاج الناس الى المطر فى احدى السنين ، فطلع الى مغارة الدم ومعه نساء من محارمه ، واستسقى ودعا ، فجاء المطر حينئذ وجرت الأودية شيئا لم يره الناس من مدة طويلة ..

كان معتدل القامة ، حسن الوجه ، عليه أنوار العبادة ، لا يزال مبتسما ، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام .. وكان يحمل الشيح من الجبل الى بيوت الارامل واليتامى ، ويحمل اليهم فى الليل الدراهم والدقيق ، ولا يعرفونه .. ولا نهر أحدا ، ولا أوجع قلب أحد . وكان أخوه الموفق العلامة يقول : هو شيخنا ، ربانا وأحسن الينا ، وعلمنا ، وحرص علينا . وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم ، ومن غاب منهم خلفه فى أهله ، وهو الذى هاجر بنا وسفرنا الى بغداد وبنى الدير !! ولما رجعنا من بغداد زوجنا وبنى لنا دورا خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا . وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين .. وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته ..

وكان مجاب الدعوة ، ما كتب لأحد ورقة للحمى الا وشفاه الله تعالى .. وذكر جماعة أن كآبة غشيت وجهه قبل موته بست سنين .. وقال عنه سبط بن الجوزى : كان على مذهب السلف الصالح ، حسن العقيدة ، متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية . .من غير طعن على

الصـــالحين ..

ولما كان عشية الاثنين الثامن عشر من ربيع الاول سنة ٦٠٧ هـ جمع أهله واستقبل القبلة ، ووصاهم بتقوى الله ومراقبته .. وكان آخــر كلامه (**إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون**) وما لبث أن توفى دون أن يخلف قليلا ولا كثيرا .. وكان يوما مشهودا !!

تلك هى شذرات من ملايين (المواقف) التى صنعت تاريخنا وميزته على تواريخ الامم والشعوب ، ومنحته لونه ورائحتـــه .. إن كتب (التراجم) ، وما أكثرها وأحفلها وأغناها ، تضم بين ثناياها الكثير والكثير من مواقف كهذه بأبعادها الانسانية المختلفة : اجتماعية وسياسية وروحية وفكرية .. ومقارنة بسيطة بين رجال الفكر فى عصور العقيدة والابداع، وبينهم فى عصور التحلل والتقليد ، ترينا هوة سحيقة ، ومحزنة فى الوقت ذاته بين أجيال من قادة العقيدة والفكر قادوا أمتنا عبر المحن والملمات فى ميادين النفس والمجتمع والعالم ، وبين أجيال من رواد العقيدة والفكر اجتازوا بها ، فى فترات اخرى ، المضائق ، والمنعطفات الوعرة دون أن يخرجوا بها الى أرض الحرية الحقيقية والتوحد والعدل والانسجام .. ذلك أن مواقف الأولين وقياداتهم كانت تنبعث وتصدر عن عقيدة متوغلة فى أعماق النفس منبثة فى شرايين الفكر ، متأصلة فى حنايا الوجدان .. والآخرون — الا من رحم ربك — لم يصدروا ســوى عن تقليد ميت مزيف ، مهما أدعوا من انتماءاتهم العقائدية والايديولوجية. إن كل واحد من اولئك كان تمثيلا وتشخيصا حيا لافكاره ومبادئه ودعوته .. فكانت كلماتهم وتعاليمهم تنتشر فى نفوس الناس انتشار النـــار فى الهشيم ، وهم يرون معلميهم رأى العين : يقاتلون معهم إذا قاتلوا ، ويجوعون معهم إذا جاعوا ، ويبكون معهم إذا بكوا ، ويضحكون معهم إذا ضحكوا .. كانت العقيدة تمتلك من القدرة والحيوية ما يحيل المعلم والتلميذ الى (سيمفونية) تجاوب وانسجام وحركة متناغمة مع الطبيعة والعالم والاشياء ، ومن ثم صنع المعلم والتلميذ تاريخا ينبىء بالاصالة والتمخض والابداع .. فكانت القاعدة — دوما — ترتكز على خشية الله وحبه ، ومراقبته والاحساس برؤياه التى لا تفتر لحظة .. قاعدة لم يخب السائر عليها فى يوم من الايام .. وكيف يخيب من يحيل حيـــاته كلها الى معطيات ترضى الله سبحانه ولا تثير سخطه وغضبه !!

إن كل عالم من علمائنا الملايين قدوة حية ما أحرانا أن نتأسى بهـــا اذا ما أردنا أن نحصل ثانية على رضا الله ، ونقدر على صـــنع تاريخنـــا ومجدنا .. ومهما ضللنا وتخبطنا وأخطأنا .. فإننا لا بد وأن نصل يوما ، ما دمنا قد وضعنا خطانا على ذات الطريق الذى حفره فى أرضية العالم رواد شرفنا وكرامتنا ومجدنا .. فأعلنوا بمواقفهم هذه انتصار (الانسان) وتجـــاوزه عوالم النمل والنحل والحيوان ..

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٣/١٣ . **(٢) شذرات الذهب ١٨/٥ .**

(٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ٨٥/٩ و ٨٦ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ٣٢٤/١ .

(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٢٥٨/٧ .

(٦) المصدر السابق ٣٦٧/٧ . **(٧) المصدر السابق ١٧٨/١١ .**

(٨) المصدر السابق ١٧٣/٢ . **(٩) شذرات الذهب ٢٧/٧ — ٣٠ .**

حكم جمع القراءات في المحافل

حاصل ما ذكره علماء القراءات أن الجمع قسمان :

الأول ما يكون فى حال التلقى والمشافهة والأخذ عن الشيوخ ، بأن يقرأ الطالب على أستاذه القراءات السبع أو العشر ، فيقرأ الآية برواية مع استيعاب طرقها ، ثم يعيد الآية بالرواية الثانية مع استيعاب طرقها أيضا ، وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات فى قراءة هذه الآية . ثم ينتقل الى الآية الثانية فيصنع فيها كما صنع فى الآية التى قبلها ، وهكذا حتى ينتهى من قراءة القرآن الكريم كله على هذا النحو .

والقسم الثانى ما يكون فى المحافل ، وكيفيته هى كيفية القسم الاول ، فيقرأ القارىء الآية برواية ثم يعيدها بأخرى وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات أو معظمها فى هذه الآية ، ثم ينتقل إلى الآية الثانية ، فيسير فيها سيره فى الأولى إن شاء ، وهكذا حتى يفرغ من قراءته .

وحينئذ لا يكون ثمة فرق بين القسمين الا أن الأول يكون بين يدى الاستاذ ، والثانى يكون أمام الجمهور .

والجمع — بقسميه — مبتدع مستحدث لم يكن فى العصر النبوى ، ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولا فى الصدر الأول ، ولا فى عصر الأئمة المجتهدين .

على هذا اتفقت كلمة علماء القراءات سلفا وخلفا لم يشذ منهم أحد . فلقد كان الطالب فى هذه الاعصر يجلس الى أستاذه فيقرأ عليه ما يريد من القراءات السبع أو العشر ، ولكنه لا يقرأ الآية أكثر من مرة بل يقرأ القرآن الكريم كله برواية واحدة ، ثم يستأنف قراءته بالرواية الثانية ، فيقرأ ختمة برواية قالون وأخرى برواية ورش وثالثة برواية البزى ورابعة برواية قنبل وهكذا حتى يأتى على جميع الروايات .

وعلى هذه السنن كانت قراءة القرآن فى المحافل ، فكان القارىء لا يقرأ أمام الجمهور الا برواية واحدة لا يعيد آية ولا يكرر أخرى .

ظلت قراءة القرآن الكريم على هذا النهج الى أوائل القرن الخامس الهجرى ، وفى هذا القرن — وكان فيه من أئمة القراءة أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى — أحدث القسم الأول من الجمع وهو الذى يكون فى حال

التلقى ، وكان الحافز على احداثه واتباعه ما رأى أئمة القراءة فى هـذا العصر من ضعف فى العزائم وفتور فى الهمم واحتياج الى زمن طويل يمكن تلقى علم القراءات فيه على طريقة السلف الصالح .

فرأوا — تيسيرا على طالب تلقى القراءات وشحذا لعزيمته وتمكينا له من تحصيل هذا الفن فى وقت وجيز — أن يخترعوا هذا الجمع .

وهذا الجمع لم يتفق العلماء على جوازه ، بل منهم من أجازه نظـرا لما يترتب عليه من الفوائد السالفة ، ومنهم من منعـه نظرا لأنه لم يعهد فى عصر التنزيل ، ولا فى القرون التى شهد لها الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية . وهاك بعض نصوص العلماء فيه .

قال العلامة المحقق ابن الجزرى فى كتابـه (النشر فى القراءات العشر) .

((وكانوا يقرءون على الشيخ الواحد العدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها ، وهذا الذى كان عليه الصدر الاول ، ومن بعدهم إلى أثناء المائة الخامسة ، عصر الدانى وابن شيطا والأهوازى والهذلى ، ومن بعدهم ، فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة واستمر الى زماننا ، وكان بعض الائمة يكره ذلك من حيث أنه لم تكن عادة السلف الصالح عليه ، ولكن الذى استقر عليه العمل هو الأخذ به والتقرير عليه وتلقيه بالقبول ، وانما دعاهم الى ذلك فتور الهمم وقصد سرعة التلقى والانفراد)) .

وقال الجلال السيوطى فى (الاتقان) .

((الذى كان عليه السلف الصالح أخذ كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها الى اثناء المائة الخامسة ، فظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة واستقر عليه العمل)) .

وقال العلامة الدمياطى فى كتابه (اتحاف فضلاء البشر) .

((وكان السلف لا يجمعون رواية الى اخرى ، وانما ظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة اثناء المائة الخامسة فى عصر الدانى واستمر الى هذه الازمان)) .

وقال العلامـة الصفاقسى فى كتابه (غيث النفع فى القـراءات السبع) .

((لم يكن فى الصدر الاول هذا الجمع المتعارف فى زماننا ، بل كانوا لاهتمامهم بالخير وعكوفهم عليه يقرءون على الشيخ الواحد العـدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الـى رواية ، واستمر العمل على ذلك الى اثناء المائة الخامسة عصر الدانى وابن شريح وابن شيطا ومكى والاهوازى وغيرهم ، فمن ذلك الوقت ظهر جمـع القراءات فى الختمة الواحدة واستمر عليه العمل الى هذا الزمان وكـان بعض الأئمة ينكره من حيث أنه لم يكن عادة السلف .

قلت وهو الصواب اذ من المعلوم أن الحق والصواب فى كل شىء مع الصدر الأول قال تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » وقال صلى الله عليه وسلم « وإنه من يعش منكم بعدى فسيرى أختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من

بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار)) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه « من كان منكم متأسيا فليتأسى بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم)) .

ثم قال صاحب الغيث .

« وانظر الى توقف ـ أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ـ أبى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة فى جمع القرآن وكتبه فى المصاحف ، واشفقوا من ذلك مع أنه يظهر فى بادىء الرأى أنه حق وصواب ، اذ لولا جمعه وحفظه لذهب هذا الدين نعوذ بالله من ذلك .

« وتوقف كثير من أئمة التابعين وأتباعهم فى نقطه وشكله وكتب اعشاره وفواتح سوره ، وبعضهم أنكر ذلك ، وأمر بمحوه مع أن فيه مصلحة عظيمة للصغار ، ومن لم يقرأ من الكبار فى زماننا وزمانهم .

فاذا كان أعلم الناس وأفضلهم توقفوا فى مثل هذا ، وخافوا أن يكون ذلك حدثا أحدثوه بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فما بالك بأمر لا يترتب عليه كبير نفع ، وربما يترتب عليه الفساد والغلط والخلط والداعى اليه النفس لتحصيل حظوظها من الراحة وتقصير زمن العبادة . جنح الى هذا الكسالى والمقصرون ووافقهم على ذلك شفقة عليهم وخوفا من انسلاخهم من الخير بالكلية الأئمة المجتهدون » ..

ويؤخذ من هذه النصوص أمران —

الأول ـ ان المراد بالجمع فى كلام هؤلاء الأعلام هو القسم الاول منه وهو ما يكون فى حال التلقى والأخذ عن الشيوخ ، كما يرشد الى ذلك قول ابن الجزرى وصاحب غيث النفع .

كانوا يقرءون على الشيخ الواحد الخ ، وقول الشيخ السيوطى : الذى كان عليه السلف أخذ كل ختمة ، فان المراد بالأخذ انما هو التلقى والقراءة على الشيخ .

ويرشد الى ذلك أيضا قول ابن الجزرى وانما دعاهم الى ذلك فتور الهمم وقصد سرعة الترقى والانفراد ، فالمراد بالترقى والانفراد معرفة هذا العلم والاحاطة خبرا بمسائله ودقائقه والاستغناء عن المعلم .

الأمر الثانى ـ ان هذا الجمع مختلف فيه بين العلماء منهم من أجازه وهو ابن الجزرى لما ينشأ عنه من سرعة الترقى والانفراد والحصول على هذا العلم فى أقرب وقت ، ومنهم من منعه وكرهه لمخالفته ما كان عليه السلف الصالح ، وممن صوب كراهته ومنعه الصفاقسى صاحب (غيث النفع) وعبارته صريحة فى ذلك وليس فى النصوص ما يفيد مطلقا أباحة الجمع فى المحافل بل كلها صريحة فى جواز الجمع أو منعه فى حال التلقى ، وأما القسم الثانى من الجمع ـ وهو الذى يكون فى المحافل مع كونه مخترعا

كالقسم الاول ، فلم ينقل جوازه واباحته من أحد من علماء القرآن فى جميع الاعصار والامصار .

وبين أيدينا معظم كتب القراءات مطبوعها ومخطوطها وقد حكت الخلاف فى القسم الاول من الجمع وذكرت أن من العلماء من أجازه لما فيه من قصر الزمن وسرعة التحصيل ، ومنهم من منعه لعدم وروده عن الصدر الأول والسلف الراشد . وقد نقلنا لك بعض نصوصهم ولكن لم نظفر فيها بنص واحد عن أحد من العلماء يبيح الجمع فى المحافل لأن العلة التى من أجلها أبيح القسم الأول لا تتحقق فى هذا القسم .

فحيث أن الجمع فى المحافل لم يكن فى الصدر الأول ولم يؤثر عن أحد من العلماء فى أى عصر من العصور أباحته وجوازه ، وليس هناك ما يبرره ويسوغه تعين أن يكون من البدع الضارة والسنن المحدثة المقوته ويكون مندرجا تحت قوله صلى الله عليه وسلم ((من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

ذلك ان قراءة القرآن عبادة من أجل العبادات وقربة من أعظم القربات ، وقد اتفقت كلمة العلماء على أن ما حدث فى العبادات سواء كان ذلك زيادة أم نقصا ، وسواء كان قولا أم فعلا ، ولم يكن هناك من أدلة الشرع العامة ما يجيزه فهو بدعة وضلالة وتغيير بما لم يأذن به الله فيجب الوقوف فى جميع أنواع العبادات عند الحد الذى رسمه الشرع الشريف قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتى » الحديث .. وقد ذكرناه آنفا . وقال أيضا « اتبعوا ولا تبتدعوا فانما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا » وقال صلى الله عليه وسلم « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود فقد أخبر أن خير القرون مطلقا قرنه وذلك يقتضى تقديمهم فى كل باب من أبواب الخير . فلو لم يكن فى هذا الجمع الا أنه مخالف لما ورد عن الرسول وصحابته وعن التابعين بل وعن علماء القرآن فى جميع العصور لكان ذلك كافيا فى رده ومنعه .

على أنه قد ورد عن العلماء التصريح بانكاره ورفضه قال الأمام ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس ابليس » عند الكلام على تلبيسه على القراء :ـ أن من تلبيسه عليهم أن منهم من يجمع القراءات ، فيقول : ملك مالك ملاك وهذا لا يجوز لأنه اخراج للقرآن عن نظمه .

وقال الامام المجتهد أحمد بن تيميه فى فتاويه .

« ان جمع القراءات فى الصلاة أو فى التلاوة بدعة مكروهة ، وجمعها لأجل الحفظ والدرس من الأجتهاد الذى فعله طوائف ، وان الجمع لم يقع بحال من الصحابة والتابعين » .

والخلاصة أن الجمع فى المحافل بدعة منكرة لا ينبغى اقرارها ولا السكوت عليها .

يضاف الى ذلك ما فى هذا الجمع من التكرار الذى يقطع على السامع سلسلة تتابع المعانى ويضطره طوعا أو كرها الى أن يحصر ذهنه فى التفكير فى الروايات المختلفة التى تطرق سمعه فيحول ذلك بينه وبين المقصـود الأعظم من سماع القرآن وهـو فهمه وتدبره والانتفاع بما فيه من رشاد وهداية وعظة وعبرة .

ومن أقبح أنواع الجمع ما يسمونه الجمع الحرفى وهو أن يعمـد القارىء الى كلمة مشتملة على روايات متعددة أو أوجه متنوعة فيعيد هـذه الكلمة بعدد ما فيها من الروايات أو الأوجه فى نفس واحد فيقول مثـلا ــ وقالت هيت لك وقالت هيت لك وقالت هيت لك . وقالت هئت لك وقالت هئت لك . يقصد القارىء بذلك الاغراب على السامعين وايهامهم ان عنده من كثرة الروايات والأوجه ما ليس عند غيره وكل من عنده أدنى مسكة من فهم أو ذوق يدرك أن هذا النوع مخل بنظم القرآن مضيع لرونق التـلاوة مذهب لجمال الأداء .

والقارىء الذى فى قلبه بقية من دين وأثارة من توقير القرآن وتقديسه لا يرتكب هذه الجريمة النكراء فى تلاوة كلام رب العالمين .
وقصارى القول أنه يجب على القارىء شرعا أن يقرأ لراو واحد سواء كان حفصا أم غيره نعم اذا قرأ حزبا أو نصفه أو ربعه لراو كورش مثـلا وأراد أن يقرأ حزبا آخر فله أن ينتقل لراو آخر .

وعليه الا يقرأ لراو ما الا اذا كان واثقا مما يقرأه متثبتا من أصـول الراوى فاذا شك فى وجـه أو طريق فعليه أن يدع ما يريبه الى ما لا يريبه ، ويقرأ بما هو متثبت منه حتى لا يخلط بين رواية ورواية وحتى لا يقرأ بما لم يرد عن الراوى الذى يقرأ له .

---

* عن كتاب مع القرآن الكريم من سلسلة دراسات فى الاسلام التى يصدرها المجلس الاعلى الشئون الاسلامية بالقاهرة .



الشهيد

للفريق عبد الرحمن محمد أمين

ان الكلام عن شهيد المعركة هو أعذب الحديث وأشرف القصص . لأنه قمة الفداء ، وأعظم التضحية .

وشهيد المعركة يصور باستشهاده ، ما ينبغى أن يكون عليه المؤمن الذى يفتدى ما يعتقد باليقين والاخلاص والفداء .

وشهيد المعركة يحقق باستشهاده الايثار الذى حقق أمجد الانتصارات للدين الحق فهو يجود بنفسه من أجل تمكين العقيدة ، وتثبيت الدين .

من أجل مجتمع العزة والكرامة والحرية « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

فقد مكث النبى صلى الله عليه وسلم قائما بالدعوة ثلاث عشرة سنة وآمن به المسلمون الأول السابقون الى الاسلام .

وأوذى النبى صلى الله عليه وسلم ايذاء شديدا وصبر . وصبر معه أصحابه متحملين فى سبيل عقيدتهم ألوانا من العذاب لا يصبر عليها الا مؤمن مفوض محتسب .

وكانت هذه الفترة التى عاشها النبى ومن معه فى مكة فترة تدريب وتأهيل للمعركة المصيرية معركة الدفاع عن الحق بأسلحة الايمان والجهاد والصدق .

وذلك الى أن أذن الله لرسوله بالهجرة الى المدينة المنورة . ثم أذن الله له بالقتال ، ولم يشرع القتال محبة فى اراقة الدماء أو تقويض المجتمع بالهدم والتخريب ، وأنما شرع لدفع الضرر عن العقيدة والنفس والعرض والحياة ، وأذن الله لنبيه أن يقاتل قوما أخرجوه من بلده لأنه دعا الى الحق الذى بعث به ليكون المجتمع الفاضل . اذن الله لنبيه بالقتال لتكون الدعوة الى الله حرة لا يقف أمامها غاصب أو جاحد أو منكبر ، أذن الله لنبيه بالقتال ليكون الناس آمنين على أنفسهم وعقائدهم من سلطان الباطل وزلزلة الطغيان . وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

اذن الله لنبيه بالقتال تدعيما للسلام الذى أرسل به فلم يكن السيف طريقا الى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يزعم خصوم الاسلام ولكنه ضرورة لارساء قواعد السلام الذى ناضل من أجله رسول الله وصحابته وصبروا وصابروا ورابطوا حتى نصرهم الله .

وأكبر دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلجأ للسيف الا مضطرا وذلك بعد ثلاث عشرة سنة قضاها فى احتمال المكاره . .

ما رواه ابن اسحاق . من أن بنى مخزوم كانوا يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه — وكانوا أهل بيت اسلام — اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (صبرا آل ياسر موعدكم الجنة) فاما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام .

وقال ابن اسحاق : حدثنى حكيم بن جبيل عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يحملهم على ترك دينهم : قال : نعم والله .

وان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوى جالسا مع شدة الضر الذى نزل به . حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة . حتى يقولون له : اللات والعزى الهك من دون الله : فيقول : نعم حتى ان الجعل ليمر بهم فيقولون له : هذا الجعل الهك من فوق الله فيقول : نعم . افتداء منهم عما يبلغون من جهده .

وما كان يدور بخلد هؤلاء الصابرين ان يتحركوا لقتال . بعدما استقر فى قلوبهم من الايمان والصبر والاحتساب .

وكان كل ما يؤملونه مواساة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى عنهم وتخفف عن كواهلهم متاعب الايذاء .

وكانت الكلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفتح لهم الآفاق المغلقة — وتكشف الحجب ليروا بنور الله ان نصره لقريب .

روى البخارى عن أبى عبد الله خباب بن الارت رضى الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا : الا تستنصر لنا الا تدعولنا فقال « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها « ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »

وبهذا الأدب كانت الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذه التربية نشأهم الله فكانوا أهلا للجهاد فى سبيل الله .

الاذن بالقتال :

قال الله عز وجل (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .)

ومن هنا كان الاذن بالانتصار للعقيدة بالانتصار للوطن . للديار . للأهل . للعشيرة للحفاظ على كل مكان مقدس . وشعار مقدس تحركت القوى المؤمنة لحمل السلاح حتى الشهادة فى سبيل الله .

نعم القتال فى سبيل الله حتى الاستشهاد لأنه أمر من العلى الحكيم .

قال الله عز وجل (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم . يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم . أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها . ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم . ان الله يدخل الذين آمنوا وعملو الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم . وكاين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم .)

نعم وصدق الله (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم) نعم هو الله واهب الحياة . يرزق الهداية ، ويخلق السعادة ، وينزل المجاهدين الأبرار أعلا المنازل وأن استشهدوا فلهم الحسنى وزيادة .

يا فرحة المجاهدين ، وفى سبيل الله ما بذلوا انهم يعطون الله الذى أعطاهم . يعطونه أرواحهم وهى من أمره .

ويهبونه المال وهو من عطائه . ويتركون الاهل والولد فى رعايته . والله نعم الخليفة فى المال والاهل والولد .

فما أحلى المعركة ، وما أعظم تحقيق الهدف بالاستشهاد .

ان الحياة كلها الى فناء ، واما الدين فهو الخالد فاذا استشهد مؤمن ليبقى الدين وتعلو كلمة الله فانه المثل البشرى الذى يعطينا أكمل الايمان بالفناء فى ذات الله .

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى .

بيع الروح :

بيعها لله ونعم البيع :

قال الله تعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .)

ياثقة المؤمنين بالله ويا هناء الشهداء بوعد الله . وربح البيع لأن ربحه جنة عرضها السموات والارض .

صفات الشهداء :

وهل هناك أسمى من صفات أنعم الله بها عليهم (التائبون ، العابدون الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) .

وتلك منزلتهم من الايمان والخلق صفات تثبتهم فى مواطن الزلل ، وتزيدهم عند لقاء العدو صلابة واقداما .

ولا يواجه شهيد عدوا الا بصفاء فطرته ونضج عقيدته واستعانته بالله عز وجل . والشهيد لا يقبل على العدو بجسمه فحسب ، ولكنه بمشاعره كلها واحاسيسه التى تملك عليه كل شعرة فى جسده وكل نبضة من قلبه .

وهو بذلك فى سبيل الله لأنه يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا .

ومن أخص صفات الشهداء العمل يجدون فيه ميادين الجد والحرص على منفعة المسلمين وحتى تبرز تلك الصفات نسوق حديث القراء الشهداء وخلاصته : —

ان رجالا من أهل نجد ورائدهم (أبو براء بن ملاعب الاسنة) جاءوا الى النبى صلى الله عليه وسلم . يطلبون رجالا يعلمونهم ما أنزل عليه من كتاب وسنة ويحقق النبى لهم الرجاء فيبعث اليهمبسبعين رجلا من الانصار فيهم حرام بن ملحان مع عدد كبير من القراء .

وتلك هى صفتهم . ينفقون ليلهم فى قراءة القرآن ومدارسته ليزدادوا فقها وعلما وحكمة وتأهيلا وصلة بالله رب العالمين .

وأما نهارهم ففى خدمة الاسلام وأهله يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد لينتفع به المسلمون المحتاجون اليه شربا واستعمالا ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء .. وما يعزز ويؤكد هذه الصفات فيهم ما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود (لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها) . ويبعثهم النبى ويعترض طريقهم عدو الله عامر بن الطفيل فقتل حامل الكتاب حرام بن ملحان بطعنة فى رأسه فتلقى حرام دمه بكفه ثم نضحه على وجهه وقال فزت ورب الكعبة . وما الفوز الا بالشهادة

التى حققت له السعادة فيالها من شهادة لأول القراء وحامل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدور المعركة بين الصفوة من عباد الله عقيدة وعملا وبين عدو الله عامر بن الطفيل الذى استصرخ عليهم بنى عامر فأبـوا أن يجيبوه ، فاستصرخ عليهم قبائل من عصية وسليم ورعل فأجابوه . وخرج الكفرة البغاة وغشوا القوم المؤمنين وأحاطوا بهم فى حالهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا منزل أبى براء روى ابن سعد قال : لما أحيط بهم قالوا اللهم انا لا نجد من يبلغ رسول السلام غيرك فاقرئه منا السلام فاخبره جبريل بذلك فقال وعليهم السلام . انهم رضوا من الله بما رأوه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ورضى الله عنهم بما قدمـوه من طاعات وأبرزها الشهادة فى سبيله .

الحوافز الدافعة للاستشهاد :

١ ـ الحياة الطيبة عند ربهم والرزق الكريم فى جواره : قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المحسنين) روى الترمذى عن عبد الله رضى الله عنه انه سئل عن هذه الآية فقال انا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا أن أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى الى قناديل معلقة بالعرش فاطلع عليهم ربهم فقال هل تستزيدون شيئا فأزيدكم فقالوا تعيد أرواحنا فى أجسامنا حتى نرجع الى الدنيا فنقتل فى سبيله مرة أخرى وزاد فى رواية وتقرىء نبينا السلام وتخبره عنا أنا قد رضينا ورضى عنا وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى يا جابر مالى أراك منكسرا قلت يا رسلول الله استشهد أبى يوم أحد وترك عيالا ودينا قال الا أبشرك بما لقى الله به أباك قلت بلى يا رسول الله قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وأحيا الله أباك فكلمه كفاحا فقال يا عبدى تمن على أعطيك قال يا رب تحيينى فاقتل فيك ثانية قال الرب عز وجل انه قد سبق منى أنهم اليها لا يرجعون قال وأنزلت الآية .

٢ ـ المصير الى الجنة : روى الامام مسلم عن أبى بكر عن ابى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أبـواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى آأنـت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال نعم فرجع الـى أصحابه فقال اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فالقاه ثم مضى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل .

وروى الامام مسلم عن أنس رضى الله عنه قال انطلق رسول الله وأصحابه حتى سبقوا المشركين الى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقدمن أحد منكم حتى أكون أنا دونه فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى جنة عرضها السموات

والارض . قال يقول عمير بن الحمام الانصارى رضى الله عنه يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض قال نعم بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قول بخ بخ قال والله يا رسول الله الا برجاء أن أكون من أهلها قال فانك من أهلها فاخرج تمرات من قوته فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا بقيت حتى آكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة .

٣ ــ الوفاء مع الله : وروى عن أنس رضى الله عنه قال غاب عمى أنس بن أنضر رضى الله عنه عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وابرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر انى أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ان نعرفه لقد وجدنا به ثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانة . قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

٤ ــ تكفير الذنوب : روى الامام مسلم عن أبى قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه قام فيهم خطيبا فذكر أن الجهاد فى سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال . فقال رجل يا رسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت ؟ قال أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، الا الدين ، فان جبريل عليه السلام قال لى ذلك .

فالشهادة مغفرة عامة الا ما كان حقا لآدمى من دم أو عرض أو مال . على أن الدين فى ذمة الشهيد لا يمنع من أجر الشهادة بل هو شهيد مغفور له كل ذنب الا الدين .

٥ ــ الشفاعة : روى ابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة ، الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء .

وروى أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته .

٦ ــ التثبيت وعدم الفتنة : روى النسائى عن راشد بن سعد رضى الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد : فقال (كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة) وحسب الشهداء أنهم سيسكنون أحسن الجنان ويقيمون أطيب مقام ، وينالون من الله عز وجل خير كرامة . حتى أنهم يودون الرجوع الى الدنيا ليقتلوا فى سبيل الله مرة ومرة لما يروا من الكرامة والفضل فعن أنس رضى

الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد يموت له عند الله خير يسره ان يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها ، الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى : وهل هناك نفس بشرية اتقى من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى يحدث عن نفسه فيقول (والله انى لاتقاكم لله)

انه الرسول التقى النقى الوفى الشجاع المحارب ، ففى بدر يقدم القوم ، وفى أحد يثبت حين فر من حوله وفى حنين ينادى (وقد أعجب القوم كثرتهم) : (انا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب) حتى أعز الله به الملة ونصر بثباته الجيش .

وفى كل موقعة له من المواقف الرائعة ما يضيف الى فنون الحرب فنونا وفنونا هذا النبى العربى الشجاع حببت إليه الشهادة فى سبيل الله حتى ود ان غزا فقتل فى سبيل الله ثم يحييه ربه ليقتل مرة ومرة .

روى الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) .

حب الشهادة :

ومن أجل هذه المزايا وذلك الفضل كانت الشهادة أحب شىء الى من عاشوا حياة المجاهدين .

وكانت المنافسة عليها بين الوالد وولده والأخ وأخيه تبلغ حدا من الجدال لا يزول الا بتدخل الرسول صلى الله عليه وسلم ليضع له حدودا .

كما حدث مع خيثمة وولده سعد وكل من الولد والوالد يريد أن ينال شرف القتال فى أول لقاء مع الكفار فى غزوة بدر الكبرى ولا يجدان وسيلة الا أن يقترعا ويفوز سعد ويرجوه الوالد أن يؤثره على نفسه وتخرج الكلمات العذاب من فم الولد المحارب (والله يا أبت لو كان ما تطلبه منى غير الجنة لفعلت) . ويخرج سعد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وينال ما يريد من الشهادة فلقد استشهد فى بدر وصعدت روحه الطاهرة مطمئنة وراضية وكان الوالد فلم يكن به لوعة من فراق الولد الحبيب لابل كانت به لوعة الحرمان من الشهادة فى سبيل الله وها هو خيثمة يحدث عن نفسه فيقول :

(لقد أخطأتنى وقعة بدر ، وكنت والله عليها حريصا حتى ساهمت ابنى فى الخروج فخرج فى القرعة سهمه . فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها ويقول الحق بنا فى الجنة فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا) .

صوت المعركة :

وصوت المعركة يرن فى آذان العرب من جميع الآفاق وهو رنين يترجمه صدى الشهادة التى يحققها حرص شعوب العرب على نجاح المعركة : ونجاحها له أسس وأصول تنحصر فيما يلى : —

١) دفاع العرب لتحرير كل شبر عربى بالنفس والمال .
٢) حتمية المعركة لتحقيق النصر باذن الله .
٣) تسخير موارد الشعوب العربية للمعركة .
٤) قيام المعركة على البذل الذى ينتهى بالاستشهاد .

٥) الخطوط الخلفية وتتلخص فيما تأتى :

أ) التعبئة العامة وتنظيم الجهود الشعبية (حراسة ودفاعا مدنيا ودفاعا شعبيا) وتوعية روحية وقومية .
ب) رعاية الجنود .
ج) رعاية أسر الشهداء .

وهذا التنظيم لخصه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله (لينبعث من كل رجلين رجل والأجر بينهما) .

النفير العام :

ورنين المعركة صورة واضحة لنفيرها العام ويجب لدوام هذا النفير ابراز ما يأتى :

أولا — المناهج الدينية القتالية فى الكليات والمعاهد والمدارس على اختلاف درجاتها .

ثانيا — البيئة القتالية بتطويرها تطويرا كليا لصالح المعركة فى اقتصادياتها وتعاونها القتالى المطلق .

ثالثا — ان يكون هذا التطوير نابعا من الخلق القتالى الفاضل بالحفاظ على تراثنا الدينى واخلاقنا الدينية .

رابعا — ان تكون دراسات المعركة وبحوث المؤتمر القتالية أحاديث اللقاءات والندوات والشعارات .

خامسا — الدعوة الى تقشف عام والبعد كل البعد عن كل رفاهية بدنية وفكرية .

سادسا — الايمان بالواجب وتأديته باخلاص .

نحن قوم لا نأكل حتى نجوع

صدقت سيدى رسول الله ــ وقولك دائما الصدق ــ وكيف لا يكون ذلك ، وانت الصادق الوعد الأمين . . . فى كلمات لا تزيد عن العشر وضعت منذ أربعة عشر قرنا أساسا للطب متينا ، ونصحا لو وعاه المسلمون ــ بل والناس أجمعون ــ لما عرضوا أنفسهم لهذه الامراض التى يئنــون منهـا ويصرفون المال الطائل للتخلص من ألمها .

« **لا ناكل حتى نجوع** » ومن منا جلس الى مائدة طعام وهو يحس الجوع ولم يشعر بلذة الطعام حتى ولو كان فى قلة من النوعية والكم ؟ ومن منا لم يجبر مرة الى طعام وهو لا يحس بالجوع الا وكان هــذا سببا فى ارتباك شديد فى جهازه الهضمى ونحن نعلم معشر « الاطباء » فى علمنا الحديث أنه اذا جعنا قلت نسبة السكر فى الدم ، ويتبع ذلــك ارسال اشارات الى اجزاء بالمخ تجعل الانسان يحس بهذه الرغبة الشديدة الى الطعام ، بل وتجعل كل أجهزة الجسم تسعى اليه وتستعد لتلقيه . وعند الجوع تبدأ المعدة فى الحركة وتتبعها الامعاء ويشعر الانسان بهذه الحركة تنبهه لأن جسمه فى حاجة الى وجبة من طعام ، ولعل ذلك التنبيه يــكون شديدا مؤلما اذا طالت المدة وامتدت ، دون الحصول على ذلك الطعام . ولو تدبر ووعى الذى يجوع ، هذا الألم ، لتألم لفقير لا يجد طعاما يسد به رمقه ، ولمد الغنى يده الى ذى حاجة تتمنى نفسه أن تجد شيئا مــن الطعام يدفع عنها هذا الألم ، ويالها من حكمة بالغة لو وعاها الناس ، فلا حقد من فقير على غنى ، ولا استعلاء وخيلاء وتجبر من غنى على فقير ، فالكل مجتمع واحد يحس الفرد بأحاسيس من حوله ، وما أروعهــا من أمثلة ضربها سلفنا الصالح الخالد بروح التعاطف فيما بينهم كان يقتسم الفرد منهم تمرة ليأكل نصفها ويعطى المحتاج نصفها الآخر . فياله من إحساس بانسانية الانسان عندما يقوم بهذا العمل .

وإذا أكلنا لا نشبع..

للدكتور محمد محمد ابو شوك

وعند الجوع والجلوس الى الطعام ، وحتى من رائحة الطعام ، تزداد عصارات المعدة وتأخذ المعدة عدتها لاستقباله — فتهضمه هضما جيدا بما فيها من عصارات كافية — وتكون كمية الحامض الذى بها من القوة بمكان ، حتى تقضى على بعض ما يحمله الطعام من ميكروبات ضارة بالجسم فلا تذهب الى الامعاء ولا تمتص بالدم وتسبب الامراض المختلفة .

وعند الجوع والجلوس الى المائدة — يزداد اللعاب فى الفم — وتتهيأ كل خلية فى الجسم للعمل على انجاح عملية الهضم ، الم يلاحظ أكثرنا عندما ياكل طعاما لا رغبة له فيه — أو طعاما على شبع ، أن نفسه تتأفف منه ويحس وكأن حلقه وفمه جاف وبه شعور بغثيان ، بل وربما قام وتقيأ هذا الطعام ولفظه من فمه أو من معدته .

والأكل بعد جوع وراحة للجهاز الهضمى يجعل الاستجابة لدخول الطعام فى المعدة ومروره منها الى الامعاء أكثر فعالية وانتظاما فتسير عملية الهضم على احسن ما يمكن أن تكون . وكذلك تكون عملية امتصاص المواد الغذائية ذات الفائدة للجسم — بذا يستفيد الانسان من طعامه ويتمتع به . وما امراض المعدة التى نراها فى العيادة بالعشرات يوميا الا نتيجة لتناول الأطعمة فى أى وقت وبغير نظام — وعلى شبع أو على جوع . فالمعدة لا تستريح وبقية الجهاز الهضمى يعمل ليل نهار دون ما توقف ، فلا غرابة عند هؤلاء من ان يشكو مر الشكوى من آلام ، وغازات ، وإمساك ، واسهال .

« واذا اكلنا لا نشبع »

لو قيل لى كطبيب مارست المهنة أكثر من عشرين عاما — ما هو السبب الرئيسى للأمراض التى يعانى منها معظم الناس لقلت بلا تردد إنه

الشبع . الشبع هو سبب السمنة المفرطة التى يعانى منها الكثيرون ، وما تجره وراءها من مضاعفات ، وما أكثرها وأخطرها من مضاعفات — أمراض الشرايين وتصلبها ، انسداد فى الشرايين بما فيها جلطة القلب والمخ ، ارتفاع فى ضغط الدم ، مرض البول السكرى ، التهابات المرارة وحصى المرارة ، النزلات الصدرية ، آلام المفاصل — والفتق والدوالى ، قلة الحركة والخمول — الاضطرابات النفسية التى يعانى منها البدين ، كلها تكون قائمة طويلة من أمراض — تفتح لها عيادات ومستشفيات تعمل ليل نهار — لتستقبل العدد الهائل من هؤلاء المرضى .

وماذا نقول نحن الاطباء لاصحاب البدانة — خفف وزنك — اتبع حمية خاصة — لا تشبع . — ولمريض السكر — اتبع الطعام الخاص ، وحذار أن تشبع ويزيد وزنك ، ويزيد السكر فى الدم والبول . — ولمريض القلب ((اياك اياك — وزيادة الوزن — فهبوط القلب لك بالمرصاد اذا زاد وزنك)) — ولمرضى الجهاز الهضمى — كل من الطعام ما يكفيك ولا تملأ معدتك وتأكل على شبع فتزداد وطأة مرضك ، وحذار من الاطعمة الدسمة فانها تجر وراءها الاضطرابات الكثيرة من غازات كثيرة فى البطن وما يصحبها من مغص وآلام ، وأمساك — واضطرابات لا حصر لها .

أمراض الصدر والنزلات الشعبية وضيق التنفس — وعدم القيام بأى مجهود لصعوبة التنفس عند القيام به — كلها تزداد بالشبع — وبالتالى بزيادة الوزن .

وليذهب أى انسان وير بعينيه قسم العظام ، وعيادة العظام وما يتردد عليها من مرضى يشكون من آلام فى ظهورهم — والتهابات مفصلية ، تكاد تقعدهم عن العمل أو اقعدتهم حتى عن السير ، وجعلت منهم عالة على ذويهم . كله بسبب الافراط فى الطعام وزيادة الوزن .

ثم لماذا يرفض بعض الجراحين اجراء العمليات ويقدرون خطورتها على ذوى السمنة المفرطة ماذاك الا لانهم أما أن يكونوا تعرضوا لامراض عدة — تجعل اجراء العمليات عليهم خطيرة أو أن دور النقاهة عندهم بعد العملية يكون محفوفا بالمخاطر والمضاعفات .

قابلت مسنا جاوز الثمانين ، وهو انشط ما يكون ويتمتع بذاكرة قوية ، وحيوية فائقة — وسألته السؤال التقليدى ، اريد ان اعرف كطبيب سر كل هذا فقال على الفور ((لأنى لا أشبع ولا أدع للتخمة مجالا عندى وأنام مبكرا واستيقظ مع الفجر — أفطر على كوب من الحليب — وآكل قليلا من اللحم غير الدسم مع خضار وفاكهة مع الغذاء ، وكوب حليب فى المساء ، واترك الطعام وأنا أحس انى راغب فيه واقبل عليه وانا احس بالجوع حقا)) ويستطرد يقول ((ما أحسست بتلبك فى أمعائى ولا أحتجت لدواء طوال هذه السنين — ولا قمت فزعا من نومى أشكو ألما فى بطنى وانت كما ترانى نشيطا ، وما زلت أمارس اعمالى وكلى حيوية ونشاط)) . .

وكم من مسرف فى طعامه وشرابه شكا من ازدياد فى الحموضة والتهاب أو قرحة بمعدته ، وحصى فى مرارته ، واضطراب فى جميع أجزاء جهازه الهضمى ، ويحضرنى فى هذا المجال مريض زاد وزنه عن مائة وأربعين كيلو جراما ، تعرض لمعظم الامراض التى سردتها من قبل — ويرجع كل ذلك الى نهم فى الاكل عجز أن يوقفه ، ويتقيد بغذاء يقلل من

وزنه – وأخيرا هداه تفكيره وما قرأ من أخبار أن هناك عملية خاصة فى أمريكا لها أثر السحر فى انقاص الوزن – وفعلا سافر اليها واظهرته الصحف الامريكية بجوار الطبيب الذى سيجرى له العملية ، وفعلا أجريت له العملية أزيل بواسطتها أكثر من ثلاثة أرباع أمعائه – ظنا من طبيبه أنه بهذه الطريقة يقل الامتصاص – وبالتالى يقل الوزن – وعاد صاحبنا بعد أن نقص حوالى ثلاثين كيلو جراما . وبعد ما يقرب من شهر أصيبت أمعاؤه المتبقية له بمرض سبب له اسهالا شديدا ، ونقص فى جميع المواد اللازمة للجسم لعدم قدرة هذا الجزء الباقى على أمتصاص ما يحتاج من مواد هامة للجسم وأعطى كل هذه المواد بواسطة الحقن ، ولكن أنى له أن يستجيب لهذا العلاج – وقد فقد جسمه كل مقاومة لأى ميكروب ، وبرغم كل العلاجات ، وكل المجهودات المبذولة فقد حياته .

وهل يخفى على كل ذى حجا ما يسببه الشبع من تخمة ويجعل الدم الذاهب الى المخ والجهاز الحركى يقل عن مستواه فيجعل من صاحب التخمة خاملا ، لا يكاد يعى ولا يكاد يتحرك .

حتى أمراض الجلد تتأثر بالشبع وزيادة الوزن ، ويلتهب الجلد فى أماكن عدة منه لا يجدى نفعا علاجها الا التقيد بطعام خاص ونقص فى الوزن .

وهذه الاموال التى تنفق على أقراص تخفيف الوزن بدون طائل – مع ما يكتنفها من دعاية تنفق فى سبيلها الأموال ، كله يضيع هباء – بل وفى بعض الاحيان يعود بالضرر على من يتعاطون هذه الحبوب من اضطرابات فى الاعصاب ، ورجفة فى اليدين ، وهبوط فى الضغط وأرق فى الليل – وكان من الممكن توفير هذا المال لاغراض يستفيد منها المجتمع ، والبعد عن مضار هذه الحبوب لو اعتدلنا فى تناول وجباتنا ولم نسرف فى طعامنا .

ورحم الله شيخنا الغزالى حينما تعرض للنهم والشبع ووصفه بأنه من المهلكات فى كتابه (أحياء علوم الدين) فقال : –

((وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن ، فلا بد من كسر هذه الشهوة ، ومما يساعد على كسرها ألا يأكل الانسان الا حلالا ، ولا يدع الاكل هدفا وغاية ، والافضل بالاضافة على الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل بالمعدة ولا يحس بألم الجوع)) .

من هذا يتضح جليا أنه كم من الامراض يكون سببها الشبع وتحمل للجهاز الهضمى مالا يطيق ، وكم من صاحب نهم بات يتلوى من ألم يفتك بأمعائه – أو بأى جزء آخر من جسمه ، وليته خفف من ألمه هذا ، من ألم جوع ألم بجاره أو بفقير محتاج ، فتسلم أمعاؤه ، ويدعو له جاره الفقير بالصحة والعافية .

وها نحن نستقبل شهرا كريما – هو شهر رمضان المبارك وما أحوجنا لأن نعى كلام الله ((وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)) وأن نهتدى بحديث رسول الله : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » وليحذر كل منا الشبع والتخمة ، ولا يجعله شهر ولائم وحفلات ، يأكل ما لذ وطاب من طعام وشراب ناسيا حكمة الصوم الحقيقية ، وهى تطهير للأرواح وصحة للأبدان ، وتحمل للصبر ، وتهذيب للنفوس .

وفقنا الله للصيام الامثل صيام على تقوى وصلاح وإخلاص ، وبعد عن كل ما هو ضار للنفوس والابدان .

حوار رمضاني

للأستاذ محمّد الخضري عبد الحميد

صوت ١ رمضان اسم لا يذكر الا وتخفق القلوب وتنتشى الافئدة ، وتطرب كل جارحة وخلجة فى الابدان .
ان لـ (رمضان) لجاذبية خاصة وسحرا معينا الى جانب ما له من مكانة وجلال ، فيه تخشع النفوس ... تعنو الوجوه الى بارئها تحلق الارواح ، وتزداد شفافية وصفاء ... يهفو كل وجدان الى المزيد من الصفاء والسمو ... على أن لـ (رمضان) الكريم خصائص أكبر وأمجادا أعظم وأكثر ... هلا تحدثنا قليلا فى هذه المكرمات الكبار التى اختص بها الشهر المبارك ؟

صوت ٢ بكل سرور ، وأحب أن أضيف أن لشهر رمضان مكانة عظمى فى التاريخ الاسلامى فهو الشهر الذى شرفه الله عز وجل بنزول القرآن الكريم فيه على نبى الهدى والحق (محمد) عليه الصلاة والسلام ، وفيه شرع الصوم تكريما له وتعظيما .

صوت ١ حقا ولكن يقال ان (رمضان) يقترن عند المسلمين بخاصة والعرب بعامة بالانتصارات الخالدة والامجاد الكبيرة الباهرة .

صوت ٢ هذا صحيح رمضان هو بحق شهر الانتصارات العظيمة والبطولات الهائلة فى رمضان سنة / ٢ هجرية وقعت غزوة (بدر) التى قاتل فيها النبى محمد جيوش المشركين وهم كثرة كاثرة يفوقون جيش المسلمين فى العدد والعدة ... ولكن الله نصر المؤمنين بايمانهم على قوة الضلال ، وعلى كل تلك الكثرة التى يسندها البغى والعدوان ... وكان من آثار ذلك النصر المؤزر استقرار الدعوة الاسلامية فى بلاد العرب ... وفى السنة الثامنة للهجرة تم للنبى وجنده فتح مكة ، وانتشر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، ثم راح يبسط نوره الغامر الوضاء على كل البقاع والاصقاع .

صوت ١ سؤال هل اكتسب (رمضان) كل هذه الرفعة وهـذا السمو بظهور الاسلام فحسب ؟

صوت ٢ هذا سؤال وجيه وعندى له اجابة قد تبدو غريبة .. كتب الاديب العربى عباس محمود العقاد يقول (ان شهر رمضـان قديم الحرمة حتى فى الجاهلية قبل أن يشرق نور الاسلام ... كان يسمى فى الجاهلية كما يقول العقاد باسم (الناتق) أو (الناطل) من الناقة الناتق أى كثيرة الولادة أو من (الناطل) وهو كيل السوائل ولا تزال كلمـة الناطل تفيد معنى قريبا من هـذا المعنى .
أن تجعله موسما من مواسم الخصب والعطاء .
تجعله موسما من مواسم الخصب والعطاء .

صوت ١ هل تحدثنا عن موقف من مواقف الرسول الخالـدة كان فـى رمضان ؟

صوت ٢ بالطبع المواقف كثيرة وكلها رائعة ناصعة خذ مثلا تلك اللفتة المحمدية الكريمة فى غزوة بدر وقف النبى عليه صلوات الله وسلامه يستعرض رجاله ، ويتأهب واياهم لخوض واحدة من غزواته الكبار رأى رجلا بارزا عن الصف وكان اسم ذلك الرجل (سواد) فقرّب منه السهم برفق ، وهو يقول له (استوَ يا سواد) ولكن (سواد) لدهشة كل الرجال الواقفين حوله قال للنبى (لقد أوجعتنى يا رسول الله فدعنى اقتص لنفسى منك) .

صوت ١ يا لجرأته العجيبة فماذا فعل النبى ازاء ذلك الادعاء ؟

صوت ٢ مهلا لم يكن أوجعه قط بالطبع هذا مفهوم ... فما مسة خفيفة على كتف رجل محارب ؟ ومع ذلك فالذى فعله النبى أدعى الى الدهشة حقا ، وان كان لا يدهش فى شىء مطلقا لان محمدا كان أبا العدل والحق ... كشف النبى عن بطنه وقال (اضرب يا سواد) .

صوت ١ ويح سواد ماذا فعل ؟

صوت ٢ انكفأ عليه (سواد) كالجائـع الظامىء يشبع ذلك الموضـع المكشوف تقبيلا ولثما .. دهش المصطفون ببدر جميعا ..

حتى النبى الكريم نفسه دهش أيضا .. فقد سأله (ما حملك على هذا ؟) أجاب سواد (لقد أردت أن يكون آخر العهـد بك أن يمس جلدى جلدك) فدعا له النبى بخير .

صوت ١ ما أروع ذلك حقا ... قبل أن أنسى ... يطيف بالذهن ونحن

اليوم نرى وسائل حضرية مخصصة لاعلان الافطار والسحور والامساك سؤال . . . السؤال هو — كيف كانت تلك الوسائل الضابطة للتوقيت والمعلنة عنه فى أيام العرب الأوَل .

صوت ٢ ذكر البشارى ، وهو أحد رجال القرن الرابع الهجرى — أن من عجائب العالم الاسلامى (رمضان مكة) وفى هذا وصف ابن جبير الكنانى روعة رمضان فى مكة فقال :

(كانوا يؤذنون بالصيام بقرع الطبول . . . كانوا اذا أقبل الشهر المبارك يتصافحون ويهنىء بعضهم بعضا ويتغافرون ، ويلجأ أهل مكة الى (الفرقعة) يضربونها ثلاث ضربات عند الفراغ من أذان المغرب ، ومثلها عند الفراغ من أذان العشاء ، وهى عود مخروط أحمر وقد ربط فى رأسه حبل من الأديم الفتول رقيق طويل ، فى طرفه عذبة صغيرة ينفضها ممسك الفرقعة بيده فى الهواء ، فتأتى بصوت عال يسمع فى داخل الحرم وخارجه ، وكانت تستعمل فى غير رمضان فى صلوات الجمع وحدها . .

صوت ١ هذا عند الافطار فماذا عن السحور ؟

صوت ٢ فى السحور كانت هناك أشياء رائعة حقيقية لكن . .

صوت ١ هات ما عندك فالحديث ممتع ومشوق . .

صوت ٢ أما عن السحور فى مكة القديمة ، فقد كان يتولى التسحير المؤذن الزمزمى فيقوم فى وقت السحور داعيا ومذكرا للسحور ومعه أخوان صغيران يجاوبانه ، وقد نصبت فى أعلى صومعة المسجد خشبة طويلة فى رأسها عود كالذراع وفى طرفيه بكرتان صغيرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لا يزالان مشتعلين مدة التسحير . .

فاذا جاء الامساك حط المؤذن القنديلين من فوق الخشبة ، وشرع فى الأذان فمن لا يسمع الأذان ينظر الى مكان القنديلين ، وقد انقطع ضوؤهما ، فيعرف الوقت ، ويحدد بذلك بدء صومه . .

صوت ١ لكم كان ذلك بديعا ، هم العرب معلمو الاجيال وصناع التاريخ . .

صوت ٢ وعلى ذكر العرب وأمجادهم الخوالد . . . هل أقول لك شيئا آخر موجزا عن انتصاراتهم الضخمة فى رمضان بالذات ؟

صوت ١ بالله قل . . فلا أجمل ، ولا أمتع من ذلك حديثا . .

صوت ٢ كتب المؤرخ العربى عبد الرحمن الرافعى فقال (ثمة حوادث أخرى هامة وأعمال عظمى حدثت فى رمضان . . منها — مثالا لا حصرا ، والاعوام هنا بالتقويم الهجرى .

* فى رمضان من سنة / ٥٣ فتح العرب جزيرة (رودس) .

* فى رمضان / ٩٢ قاد طارق بن زياد جيشا لفتح الاندلس فنزل جيشه جبلا هو المسمى الآن جبل طارق ، والتقى بجيش

الملك فريدريك فى معركة فاصلة انتهت بانتصار العرب ، ودانت الاندلس للفتح العربى ...

* فى رمضان / ٣٦١ تم بناء الجامع الازهر بالقاهرة فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ..

* فى رمضان / ٥٨٤ قاتل صلاح الدين الايوبى الافرنج وحاصر قلعة (صفد) فى سوريا حتى سلّمت .

* فى رمضان / ٦٥٨ هزم الجيش المصرى جيوش التتار فى فلسطين كما هزمهم أيضا مرة أخرى بقيادة الظاهر بيبرس فى رمضان / ٦٦٦ ومرة ثالثة فى رمضان كذلك عام / ٧٠٢ وأسر منهم هذه المرة نحو عشرة آلاف أسير .

صوت ١ يا لروعة كل هذا ..

صوت ٢ أرأيت كيف أن لرمضان الكثير ما يستطيع أن يفخر بــه ، ويزهو بين الشهور ؟

صوت ١ حقا والآن ...

صوت ٢ آه ... أعرف أن الحديث قد طال شيئا ما ، وكثرت فيه التواريخ والارقام ولكن ...

صوت ١ لا ، ولكنى فقط كنت أفكر فى أن نختم حوارنا هذا الرمضانى الطريف ببعض الطرائف من الاقوال التى تتصل مثلا بالطعام فى رمضان ... سمعت أن أفضل ما يفطر عليه الصائم الماء المحلى بالسكر فما الحكمة من هـــذا ؟

صوت ٢ يحتاج الجسم الى السكر وعندما يحين الافطار يطلب الجسم تعويض ما نقص لديه من السكر فاذا أقبل الصائم على الافطار بأنواع من الاطعمة الاخرى التى لا تحتوى عليــه يكون برغم امتلاء بطنه بالطعام كمن لا يزال يواصل صيامه .

صوت ١ تذكرت شيئا هاما طبق الفول ، لون أساسي وصنف رئيسى على مائدتنا فى رمضان ، هل من طرفة أو لمحـــة عن (طبق الفول) ؟

صوت ٢ ربما كثيرون لا يعلمون أن (فول رمضان) عريق الشهرة فقد عرف منذ نحو نيف وألف سنة باسم (الباقلاء) ومن الطـــريف حقا أن ما ينسبه البعض الى الفول أحيانا من أنـــه مثبط لهمم العقول الذكية كان يحدث تماما مثله فى ذلك الزمن البعيد .

صوت ١ كيف ؛ إلى هذا الحد ؟

صوت ٢ نعم ولنا أن نتصور أن ذلك كان يحدث فى القرن الثانى الهجرى فقد روى صاحب (عيون الاخبار) أن رجلا من قدماء الاطباء قال ان الفول اذا أدمن أكل البصر ، وأحال الاحلام أضغاثا ولا يجد عابر الرؤيا الى تأويلها سبيلا .

صوت ١ ما أعجبها تهمة قديمة جديدة تلصق بالفول ..
على أية حال كل عام وأنت طيب ..

صوت ٢ وكل أمة العرب والاسلام .. بخير .

الفتاوى

يجيب على هذه الأسئلة فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف :

علاج الضرس فى الصيام

السؤال :

شخص اشتدت آلام ضرسه وهو صائم فاضطر لوضع بعض مواد طبية عليه مثل روح القرنفل ، فهل يفطر بذلك ؟

الجواب :

لا يفسد الصوم عندنا بوضع شيء من الزيت المعروف بروح القرنفل فوق الضرس ، وان وجد الصائم طعمه فى حلقه . وفى المحيط : « طعم الأدوية وريح العطر اذا وجد فى حلقه لا يفطر » أ هـ بل لو وضع فى ضرسه ثمر القرنفل ولم يدخل فى جوفه لا يفطر .

النزيف فى الصيام

السؤال :

رجل ينزف من أنفه ولو بقى أثناءه معتدل القامة يستنفد ذلك منه دما كثيرا ولو استلقى على ظهره حسب نصيحة أهل الخبرة يتسرب الدم الى حلقه ، فما حكم صومه شرعا ؟

الجواب :

سألت طبيبا فاضلا فأخبرنى بأن انقطاع النزيف من الأنف لا يتوقف على الاستلقاء على الظهر ، بل يمكن قطعه باستنشاق الماء البارد فى الوضع العادى بدون استلقاء ، فلا ضرورة تدعو الصائم الى الاستلقاء وقت النزف حتى ينصب الدم فى حلقه فيفطر بابتلاعه .

لذلك نفتى السائل بأنه ما دام فى الامكان علاج النزف باستنشاق الماء البارد ، لا يجوز الالتجاء الى الاستلقاء الذى يفضى الى الافطار ، فاذا تفاقم الأمر وقرر طبيب حاذق ضرورة اتخاذ وسيلة أخرى للعلاج والانقاذ تؤدى الى الافطار ، كان هذا الصائم من أرباب الأعذار ، فيفطر وعليه القضاء .

الحقنة الشرجية فى رمضان

السؤال :

هل الحقنة الشرجية مفطرة للصائم ؟ .

الجواب :

الحقن فى الشرج هو ادخال أى مادة سائلة من فتحة الشرج الى الأمعاء الغليظة ، اما بقصد طرد الفضلات وهى التى يستعمل فيها عادة البابونج أو الماء والصابون ونحوه مما لا يمكث فى الأمعاء الا يسيرا ثم يقذف مع الفضلات من هذه الفتحة ، واما بقصد امداد الجسم بالغذاء أو الدواء أو السائل فى الحالات المرضية التى يتعذر فيها اعطاء هذه المواد من طريق الفم أو حقنها فى الوريد أو العضل أو تحت الجلد ، وفى هذه الحالات تترك هذه المواد حتى تمتص . هذا ما قاله الأطباء .

وكيفما كان فادخال هذه المواد السائلة من فتحة الشرج الى الأمعاء مفطر شرعا باتفاق فقهاء المذاهب الأربعة اذ الأمعاء من الجوف كالمعدة وسائر الجهاز الهضمى ، وما يدخل فيه اختيارا مفطر ، لحديث (الفطر مما دخل) رواه أبو يعلى فى مسنده مرفوعا عن عائشة وذكره البخارى تعليقا فقال : وقال ابن عباس وعكرمة الفطر مما دخل وليس مما خرج والمراد الدخول من المنافذ المعروفة بدلالة العرف .

وقد نص الحنفية على أن من احتقن أفطر ووجب عليه القضاء ولا كفارة عليه فى الأصح ، وفسروا الاحتقان بصب الدواء فى الدبر بواسطة الحقنة ، وبمثله قال الحنابلة كما فى المغنى ، والشافعية كما فى المجموع ، والمالكية كما فى الشرح الكبير ، « وان خالفوا الطب بقولهم ان السائل يصل بالحقنة الشرجية الى المعدة » ..

وفى المجموع للنووى أن هذه الحقنة مفطرة على المذهب سواء كانت قليلة أم كثيرة وسواء وصلت الى المعدة أم لا ، وبه قطع الجمهور ونقله ابن المنذر عن عطاء ، والثورى وأبى حنيفة وأحمد واسحاق ، وحكاه سائر الاصحاب عن مالك ونقله المتولى عن عامة العلماء .

أول ما نزل من القرآن

السؤال :

ضمنا مجلس وأختلفنا فى أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه ونرجو بيان الرأى الصحيح ...؟

عبد الفتاح جلول – ليبيا

الجواب :

هناك أقوال كثيرة فى بيان أول ما نزل من القرآن الكريم والذى رجحه العلماء أن أول ما نزل هو الآيات الخمس الاولى من سورة العلق (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

وكذلك اختلفوا فى آخر ما نزل من الكتاب الكريم ، والذى رجحه العلماء أن آخر الآيات نزولا قول الله تعالى فى سورة البقرة (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .)

أسباب النزول

السؤال :

قرأت فى احد التفاسير أن الآية الكريمة (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الى آخر السورة نزلت فى غزوة أحد وفى تفسير آخر قرأت أنها نزلت فى فتح مكة فأيهما أصح ..؟

عدلى السيد – الاردن

الجواب :

أخرج البيهقى والبزار عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به فقال (لأمثلن بسبعين منهم مكانك) فنزل جبريل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بخواتيم سورة النحل .

وأخرج الترمذى والحاكم عن أبى بن كعب قال – لما كان يوم احد أصيب من الانصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة . منهم حمزة فمثلوا به ، فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا (لنزيدن) عليهم فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله (وان عاقبتم) الآية .

فالرواية الاولى تفيد أنها نزلت فى غزوة أحد والثانية تفيد أنها نزلت يوم فتح مكة .

ويرى العلماء أن الآية نزلت مرتين مرة يوم أحد ومرة يوم الفتح وانه لا مانع من ذلك وان لتكرار النزول حكمة جليلة وهى تعظيم لشأن المكرر وتذكير به وتنبيه الى ما فيه من الوصايا النافعة .

دولة البحرين

السؤال :

تلقينا بمزيد السرور والبهجة اعلان استقلال دولة البحرين الشقيقة ، ومع تمنياتنا للبحرين حكومة وشعبا التقدم والازدهار ، نرجو أن تنشروا لنا نبذة يسيرة عنها.

آدم عبد الحق ــ نيجيريا

الجواب :

تتألف من مجموعة من الجزر فى الخليج العربى ، بين قطر والاحساء ، (مساحتها ٥١٨ كيلومتر مربع ، وأكبرها جزيرة البحرين ، وطولها ٤٨ كم ، وعرضها ١٦ كم . بها عيون ماء عذبة . ويتصل بالجزيرة جزيرة المحرق ، وفيها مطار كبير . ومن الجزر الأخرى : النبى صالح ، وصرة ، وأم نسعان . وعاصمة الدولة : المنامة ، وسكانها أكثرهم عرب ، ومنهم جاليات ايرانية وهندية واوروبية ، واشتهرت البحرين قديما بصيد اللؤلؤ ، وتنتج اليوم كميات ضخمة من النفط الذى بدأ انتاجه (١٩٣٢ م) . ويتولى امارة دولة البحرين حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى آل خليفة .

دولة قطر

السؤال :

نبعث بأصدق تهانينا لدولة قطر الحديثة بمناسبة اعلان استقلالها وانضمامها لجامعة الدول العربية وهيئة الأمم ، ونطلب بعض المعلومات عن هذه الدولة الشقيقة .

عز الدين هانو ــ تايلاند

الجواب :

دولة قطر : مساحتها ٢٢٠١٤ كم مربع ، تحتل شبه جزيرة ناتئة فى الخليج العربى ، عاصمتها : الدوحة ، وتتناثر فيها واحات قليلة ، ومعظم سكانها من العرب يتبعون مذهب ابن حنبل ومالك ، وتقع الدوحة فى منتصف المسافة بين خور العدن ورأس لفان . وكانت تعرف باسم البدع ، وهى حديثة العهد ، أسسها محمد بن سعيد آل أبى كوارة ، شيخ قبيلة أبى كوارة ١٨٤٦ ، ثم غادرها ونزل بها من بعده الشيخ محمد بن ثانى . وتتصل الدوحة اتصالا منتظما بالبحرين ، وبالشارقة وأبو ظبى ، وبها مطار . وتنمو أشجار النخيل فى بعض واحاتها ، ويشتغل بعض الأهالى بصيد السمك واللؤلؤ . وبدأ استغلال آبار الزيت فى منطقة الدخان فى أواخر ١٩٤٩ ، وأهم موارد الدولة عوائد الزيت . شيد فى الاعوام الاخيرة عدد من المدارس والمستشفيات ، ومحطة للكهرباء ، وأخرى للمياه . وتنتشر فى القرى المدارس والمكاتب لتحفيظ القرآن . ويتولى امارة دولة قطر حضرة صاحب السمو الشيخ أحمد على آل ثانى .



قالت صحف العالم

الالتزام بالاسلام يوفر الاستقرار

كتبت مجلة (المجتمع) الكويتية فى احدى افتتاحياتها حديثا عن أوضـاع العرب وادعـاءات الصحافة الغربية قالت :

ان مقوماتهم الحضارية ــ تعنى العرب ــ تلزمهم بالنضج العقلـى والعاطفى ، وتلزمهـم بالمسئولية وهم يناقشون قضاياهم ويعالجونها . والتاريخ يؤكد هذا ...

يؤكد أن العرب ــ قبل الاسلام ــ أكلتهم الحروب ــ على أى مستوى كانت ــ ومزقتهـم الخلافات العصبية والقبلية فلما جاء الاسلام بدل خوفهم أمنا .. واضطرابهم استقرارا ، وفتنهـم وداعة وسلاما .

والخط البيانى فى تاريخهم الاسلامى يثبت أنه بقدر التزام العرب بالاسلام تكون نسبة استقرارهم صعودا وهبوطا ..

والالتزام بالاسلام الذى يوفر الاستقرار .. والتفلت منه الذى يسبب الفتن والاضطرابات هذا وذاك تفسير واقعى لقول الله سبحانه فى قرآنه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

ان تفلت العرب من الاسلام حملهم تبعات خطأ خطير مزدوج ، فالتفلت من الاسلام جعلهـم يستوردون عقائدهم وأفكارهم وحلولهم للمشكلات والقضايا من الخارج ، ودون وعى ولا حاجة ..

واستطردت المجتمع قائلة :

والتفلت من الاسلام جعل العـرب يتحملون تبعة التهمة الموجهة الى دينهم . وانه هـو السبب فى تخلفهم ، أى أن تفلتهم من الاسلام أضر بهم كشعب يحيا فى هذه الارض .

وأضر باسلامهم كدين .. أى أنهم شوهوا جمال أنفسهم ببعدهم عن الاسلام ، وشوهوا الاسلام اذ قدموه للآخرين فى صورة فتن وقلاقل واضطرابات .

ولا سبيل الى حياة آمنة مطمئنة ، ولا سبيل الى تقديم صورة مشرقة عن الاسلام ، الا بالالتزام بهذا الدين ، فمن يقدم على هذه الخطوة يا رجال ..؟

فى التربية الخلقية

وكتبت مجلة (صوت الجامعة) الهندية فى افتتاحيـة لهـا قول تحت عنوان « فى التربيـة الخلقية » :

ونظرا الى أهمية الاخلاق فى حياة الفرد والمجتمع ، ونظرا الى أن اصـلاح المجتمعات وفسادها منوطان بأخلاق أفرادها ، فقد دعا الاسلام الى التربية الخلقية ، وتهذيب الارادة ، واختيار الفضيلة ، والغرض من التربية الخلقية هو ايجاد حياة طاهرة مقدسة ، ملؤها الاخلاص والطهارة ، وتكويـن

رجال كريمى الاخلاق ، أقوياء العزيمة ، مهذبين فى أقوالهم وأفعالهم ، نبلاء فى تصرفاتهم وخلقهم ، ولقد أجمع علماء التربية وفلاسفتها على أن الغرض الخلقى الذى يجب أن يرمى اليه المربى هو الغرض الحقيقى من التربية التى يصح أن يطلق عليها ذلك الاسم .

والخطوة الاولى : والمهمة فى مجال التربية هى تربية الفرد ، ولقد أعار القرآن هذه الناحية عناية عظيمة ، حيث احتوى فصولا وآيات كثيرة جدا فى الحدود التى ينبغى للمسلم أن يسير فى نطاقها ، والاخلاق والصفات التى يجب أن يتحلى بها ، والمواقف التى ينبغى أن يقفها فى مختلف أدوار حياته ، وقد توخى فى كل ذلك أن يكون المسلم — كفرد — على أفضل ما يجب أخلاقا واستعدادا للقيام بواجبه نحو نفسه ، ونحو غيره ، ونحو مجتمعه ، ليضمن لنفسه ولغيره ولمجتمعه معا القوة والسعادة والطمأنينة والاحترام .

والحكمة السامية فى هذه العناية واضحة ، فالأفراد هم الخلايا التى يتألف منها المجتمع ، وليس من المعقول أن يكون المجتمع قويا نشيطا صالحا سعيدا اذا لم يكن أفراده أو غالبهم متصفين بالصفات والاخلاق التى تساعد على ذلك ، وكلما كانوا متخلقين بكريم الاخلاق مجانبين الرذائل والفواحش والمنكرات ، مقدرين ما لحسن الاخلاق وسوئها من أثر فى كيانهم الخاص والعام ، غير متجاوزين الحدود التى رسمها الله لهم — ساد الوئام والسلام والحق والعدل ، وكان المجتمع صالحا قويا سعيدا متمكنا .

وما يحدث كل يوم فى بلاد الغرب ، وما أخذ يحدث فى الشرق الاسلامى من مآسى وفواجع وشرور وآثام وانفعالات تؤدى الى محرج المواقف وازهاق الارواح ، وهتك الاعراض ، وانهدام كيان الأسرة من جراء الغلو ، والافراط فى التبرج والتبذل ، والاختلاط الواسع المنكر ، يمكن أن يكون شاهدا صادقا على الحكمة السامية الخالدة التى تضمنتها الآداب والتلقينات والمبادىء القرآنية ، التى تمنح كل ذى حق حقه ، وترسم لكل أمر نطاقا يدور فيه من غير افراط وتفريط ، ولا تترك العناصر الشريرة تدوس الآداب والمثل بالرجل ، وتنشر الاباحية والفوضى باسم الحرية .

لقد بلغت الانسانية فى هذا العصر حدا من التقدم والرقى فى الحضارة والمدنية ، ولكنها لم تقابل هذا التقدم المادى بتقدم روحى يريها حقائق الوجود ، ويفتح أمامها أسرار الحياة .

وهذا التقدم المادى قد سيطر على الانسان ، وهذه المادية قد اكتنفت حياته منذ بداية القرن التاسع عشر ، والواقع أنها هى المسئولة أساسا عن تهيئة البيئة لعوامل الانحراف النفسى والسلوكى ، وبدعم من التقدم العلمى والفنى تزحف هذه الحضارة المادية على كل البقاع ، وتنشر رسالتها عن قصد أو غير قصد ، وهى تهدف الى تحطيم المعانى والمثاليات ، والى تجريد الاشياء من كل قيمة عدا قيمتها التى تقدر بالمال ، فالانسان فى هذه الحضارة يقدر بالمال ، والحياة تقدر بالكسب المادى ، دون أن يدخل فى الحساب عمل من أعمال الخير أو لحظة من لحظات الحب والتضحية ، فكيف يمكن أن يهتم مجتمع هذا شأنه بالدين وبالاخلاق ، وكيف يمكن أن يرتفع فيه مستوى الانسان الروحى فيعمل لنشر الفضائل بين الناس ، ويسعى للقضاء على مظاهر الفجور والاستهتار ؟

ومن الآثار الوخيمة لهذا التفكير المادى أنه عطل فى الناس شعور الرحمة والبر والتسامح ، والوئام والاخوة الانسانية وكاد يميت فى الانسان — أو أماته فعلا — الضمير الذى يمكن أن يمد صاحبه بنوازع الخير والبر والحق والانصاف .

ثم ان المادية لعبت دورها فى شئون الجنس ، فأصبح الجنس يعنى الاغراء ، وفقدت الشهوة معنى الحب الذى ملأ قلوب الناس ، واتجه بهم الى السماء والرسل ، وعلمهم كيف يعيشون حياة طاهرة مطمئنة .

بأقلام القراء

من اشراقات الصيـــام

ومن كلمة لسماحة الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه العلوى — يقول فيها :

لقد جاء شهر رمضان أو كاد أنه على الباب فأهلا به ومرحبا بمقدمه انـــه شهر الصيام والقيام وشهر العبادة والسعادة فياله من شهر ملأ قلوب المؤمنين ايمانا وتقوى وعبودية للحى القيوم . فالمؤمن حقا لا يخالجه أدنى ريب فيما وراء الاوامر والنواهى مما أمره الله ونهى عنه من حكم بالغة وأهداف سامية تعود على الجميع فردا ومجتمعا منافعها وفوائدها فى جميع مرافق الحياة الانسانية وهكذا كان لفرض صيام رمضان من حكم وأهداف ما نعرف ومـــالا نعرف ومـــا سينكشف لنا بعد تقدم علومنا ومعارفنا .

هكذا يقول المؤمنون وأما غير المؤمنين الذين لا صلة لقلوبهم بالايمان بالله وما لله من قدرة وارادة فلا يتراءى لهم من الصوم الا الجوع والعطش والاجهـــاد بما لا ينفع ولا يفيد . فما أبعدهم فى الضلال المردى والخطأ المهلك ولقد قال الله سبحانه وتعالى مخاطبا المؤمنين فى القرآن الكريم .

((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (البقرة — ١٨٣) .

فظاهر من هذه الآية أنه تعالى خاطب المؤمنين وأخبرهم بأنه فرض عليهم الصيام كما فرض على الامم قبلهم من المؤمنين طبعا ، لماذا ؟ لعلهم يتقون ويزداد ايمانهم وعبوديتهم للواحد القهار . وأما غير المؤمنين فقد أهدرهم الله وتركهـــم وما خاطبهم لأنهم لم يؤمنوا به فكيف بأوامره ونواهيه .

وأما ما كان للصيام من حكم فأول ما يتبادر الى الذهن بعد كشف ما تحته من أسرار هو أن الصوم أداة تربوية جثمانية وروحانية فتربى الانسان على الصبر فى تحمل ما يلاقيه فى هذه الحياة من المشاق والمتاعب والمشاكل كصبره فى تحمل آلام الجوع والعطش وجه نهاره فلا ينى ولا يقنط ولا ييأس اذا دهمته داهية أو اعترضته مصيبة بل يصبر ويثابر على العمل بواجباته ويتوكل على الله حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

ومن حسنات الصوم فى المجال التربوى جثمانية كانـــت أو روحانيـــة أن صيام المؤمن ينمى فى قلبه الشعور والحساسية بما يلاقيه المعوزون والمقلـــون فى المجتمع من الجوع والعطش والعرى فيلين قلبه ويعطف على أخيه المعـــوز

الفقير فينبعث منه الايثار والرحمة ويسارع لتلافى هذه الظاهرة السلبية فى المجتمع .

ولهذا كان مما ينبغى على المؤمن عند ما يبدأ الصوم أن يحسن نيته ويخلصها الاخلاص كله لوجه الله ويزكى نفسه من جميع الادران والخصال غير المحمودة ليأتى صومه بثمراته المطلوبة وحكمه المرجوة حتى لا يكون هدرا وعبثا ليس وراءه الا العطش والجوع .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وجوب اعداد النفس بالنيات الخالصة عند الصوم « جاءكم شهر رمضان المبارك فقدموا فيه النية ووسعوا عليه النفقة » رواه الديلمى عن ابن مسعود قال المزى فى التنبيه اسناده صحيح .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » . رواه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة . قال ابن أبى حاتم فى الاقتراح اسناده صحيح .

توحيد الصيام والأعياد الاسلامية

من كلمة للأستاذ : محمد بلى الفوتى المشرف على الشئون الاسلامية فى توجو — غرب افريقيا — يقول فيها :

ان خير ما أرشدنا به النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الصيام واثبات شهر رمضان قوله : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين .

فقد ربط النبى صلى الله عليه وسلم ثبوت الشهر بهذه العلامة الحسية وعلق وجوب الصوم على تحقيق الرؤية البصرية ، أى رؤية الهلال بعد غروب الشمس فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان .

أما اذا كانت رؤية الهلال فى ذلك اليوم مستحيلة طبيعية بأن كان القمر لم يتم بعد دورة كاملة يتحقق بعدها الاجتماع ثم الانفصال الذى يسمى (الميلاد) أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التى تحول دون رؤية الهلال ، فقد أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم الى ما يتبع فى ذلك ، فأمر باكمال شعبان ثلاثين يوما . وحينئذ لا يكون المسلمون فى حاجة الى تفقد الهلال فى اليوم التالى ، لأثبات شهر رمضان ، غير أن هناك أمرا مهما يجب الالتفات اليه ، والفصل فيه ، بحكم ، يقطع الاختلافات التى تقع كثيرا بين أهل الاقطار الاسلامية فى اليوم الذى يبدأ فيه الصيام . ذلك أن بعض هذه الاقطار قد يتيسر لأهلها رؤية الهلال فى حين أنه تتعذر رؤيته على أهل قطر آخر .

فهل — والحالة هذه — يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر الثانى على ما يبلغهم من تحقيق الرؤية ببعض الاقطار الأخرى فيصوموا معهم من أول أيام صومهم فيتوحد بذلك مظهر المسلمين فى أداء فريضة هذا الركن الرابع من أركان الاسلام الخمس ؟

حقا أن موقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، واختلاف هذه المواقع يوجب بالضرورة اختلافا وتفاوتا فى المواقيت فقط ، ولذلك لا يمكن توحيد مواقيت الصلوات اليومية ، ولا أوقات الامساك والافطار فى رمضان فى جميع الأقطار الاسلامية ، ما دامت الاوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، ولكن اختلاف مواقع البلدان ليس له مثل هذا الأثر البالغ فيما يرجع الى اثبات الأهلة ، فانه ليس بين الاقطار الاسلامية الشرقية والغربية تفاوت بمقدار يوم كامل كما تقدم . واذن فيجوز أن يتفق أهل هذه الاقطار على توحيد أول أيام الصيام ، وذلك بالاعتماد على رؤية الهلال وثبوتها ثبوتا جازما فى أى قطر من الاقطار الاسلامية .

ومن هنا اختار بعض أئمة الفقه فى المذاهب الأربعة عدم اعتبار اختلاف المطالع فى اثبات أول رمضان وهو ملحظ قوى ، ووجهة نظر سديدة ، ويزيد ذلك قوة وسدادا أن توحيد بدء الصيام والاعياد الاسلامية من أقوى العوامل على توثيق الروابط بين الأمم الاسلامية فى جميع أقطار الارض وجمعهم على كلمة واحدة والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون الى عوامل التآلف ، وتوحيد الكلمة .

فقوله عليه الصلاة والسلام : (صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته) خطاب عام للأمة الاسلامية جميعا فى ايجاب الصوم على جميع المكلفين المسلمين متى تحققت رؤية الهلال .

فان الحديث لم يذكر فاعل المصدر الذى هو (رؤية) بل أتى بهذا المصدر على طريقة الفعل المبنى للمجهول ، فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : صوموا اذا رئى الهلال ، لا فرق بين قطر وقطر فيما يرجع الى ثبوت الهلال ، كما أنه لا فرق بين بلد وآخر من قطر واحد .

وأما قوله تعالى : ((فمن شهد منكم الشهر فليصمه)) فمعناه من حضر منكم شهر رمضان وأدرك زمنه ، وكان أهلا للتكليف بالصوم فليصمه ، فان الشهود فى الآية الكريمة ليس معناه الرؤية باتفاق المفسرين ، فالأعمى والبصير سواء فى ايجاب الصوم . هذا البيان لا يقتصر أمره على هلال شهر رمضان فحسب ، بل الحكم كذلك فى ثبوت جميع الاهلة وخصوصا هلال ذى الحجة اذ أن يوم (عرفة) وهو اليوم التاسع منه ظرف محدود لأداء ركن الحج ، وهو الوقوف بعرفة ، وهو لا يدور الا مرة واحدة فى السنة . وأكثر الحجاج لا يحجون الا مرة فى العمر ، فلعلهم أن أخطأهم الوقوف فى يومه الحقيقى يخشون أن لا يكونوا قد أدوا الفريضة عن أنفسهم . فيجب اذا على الدول الاسلامية كلها أن تبذل عنايتها وجهدها فى التماس الهلال ، وتحرى رؤيته ، بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، مع الاتفاق فيما بينها على أن تعلم بعضها بعضا بنتيجة ذلك التحرى ، وعلى وجوب الاعتماد على ثبوت رؤية أية دولة من تلك الدول الاسلامية لهلال رمضان أو غيره . ولا شك أنه لا يمكن أن تفوتها جميعا رؤية الهلال ، وبهذا يتم توحيد بدء الصيام والأعياد الاسلامية بين المسلمين فى العالم أجمع على نص الحديث الصحيح : (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته) .

وفى الختام نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعا الى ما فيه خيرنا واصلاحنا فى ديننا ودنيانا وان يقوى شوكة المسلمين ، ويدفع عنا شر الباغين انه ولى المؤمنين .

اعداد الأستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : قام الرئيس انور السادات رئيس جمهورية مصر العربية بزيارة الى البلاد استغرقت يوما واحدا من الشهر الماضى حيث أجرى وسمو الامير المعظم مباحثات هامة حول الوضع العربى والدولى .

● قامت الكويت بعرض ورقة عمل على مجلس الجامعة العربية لتدعيم الصف العربى فى وجه التحديات الصهيونية على المستوى الدولى ..

● طلبت حكومة الجمهورية العربية اليمنية مزيدا من المنح الدراسية فى نطاق التعليم الجامعى والثانوى وترغب اليمن بالاستفادة من مناهج التعليم ونظمه المتبعة فى الكويت ..

● أصدرت وزارة التربية بيانا أوضحت فيه ملامح الحركة التربوية فى الكويت كما أوضحت أن عدد الطلاب للعام الدراسى الجديد سيبلغ حوالى (٦٥) ألف طالب بزيادة (٢٠) ألف عن العام الماضى ..

● رفعت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مذكرة الى مجلس الوزراء بشأن مساعدة بعض الهيئات والجمعيات الاسلامية ..

● بدأت الدراسة فى الشهر الماضى بدار القرآن الكريم التى أقامتها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية وقد بلغ عدد المتقدمين (٦٢٠) طالبا ..

● استضافت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية عددا من العلماء لموسمها الثقافى فى شهر رمضان المبارك .

● اتخذت لجنة المعونات الاسلامية بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية عدة قرارات لمعونة بعض المحتاجين ..

● تبرعت الكويت بمبلغ ألفى جنيه استرلينى تشجيعا للمهرجان الاسلامى الذى سيقام فى شهر ديسمبر القادم ..

القاهرة : عقد فى الشهر الماضى بالقاهرة أول اجتماع لمجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية من رؤساء مصر وسوريا وليبيا .

● ستقام فى الصيف القادم على مستوى عال احتفالات مصر بالعيد الالفى للازهر وقد بدأ الاعداد لهذه الاحتفالات .

● ستقدم مصر عددا من المنح الدراسية لطلاب من عدة دول من آسيا وأفريقيا ..

● بعثت مصر عددا من القراء الى الدول الاسلامية لاحياء ليالى رمضان المعظم بقراءة القرآن الكريم .

السعودية : افتتحت فى الشهر الماضى الدورة الثالثة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، وقد ناقشت الرابطة موضوعات اسلامية هامة واقتراحات من كبار الشخصيات الاسلامية .

● قام الرئيس مختار ولد داده رئيس الجمهورية الاسلامية الموريتانية بزيارة الى المملكة حيث أجرى مع جلالة الملك فيصل مباحثات استهدفت تدعيم العلاقة بين البلدين المسلمين ..

● تقرر اقامة معرض دولى اسلامى فى جدة خلال موسم الحج القادم ..

● خصصت الحكومة السعودية مبلغ (٢٠) مليون ريال لمساعدة الهيئات الاسلامية وستقدم الحكومة مبلغ (٥٠) ألف ريال لمجمع الهيئات الاسلامية فى ترينداد ..

الأردن : ندد مجلس الامن باجراءات اسرائيل لتهويد القدس وطالب بوقف هذه الاجراءات ..

● بدأ العمل فى اعادة بناء قرية الكرامة التى هزمت فيها القوات الاسرائيلية فى معركة كبيرة فى مارس ١٩٦٨ أمام الجيش الاردنى والفدائيين متعاونين ..

العــــراق : تبرع العراق لوكالة غــوث اللاجئين الفلسطينيين بمبلغ مائة الف دولار كما تبرع بـ ٢٥ ألف دولار لمشروع تعليم أبناء اللاجئين الذى تنظمه الوكالة مع منظمة اليونسكو ..

ســـوريا : غيرت اسرائيل اسم مدينة الحمة الى (حمة غابر) زاعمة أنها من المواقع العبرية القديمة كما أغلقت مسجد المدينة ..

لبنـــــان : عقدت فى بيروت فى الشهر الماضى ندوة للخبراء العرب لتوحيد أســماء المواقـع الجغرافية العربية وكتابتها باللاتينية كما بحثت تغيير اسرائيل للاسماء العربية والمواقـــع الجغرافية بأسماء اسرائيلة ..

اتحاد امارات الخليج : من المنتظر أن يعلن اتحاد امارات الخليج العربى استقلاله قريبا ..

الســـودان : وعد الرئيس جعفر نميرى بدستور دائم للسودان وبالانضمام الى اتحاد الجمهوريات العربية فى العام القادم ..

ليبيـــا : أوقفت السلطات الليبية بعض الامريكيين والبلجيكيين ولبنانيا بتهمة توزيع منشورات دينيـــة خفيـــة ..

تـــونس : كلفت الجامعة العربية السيد محمد المصمودى وزير الخارجية التونسى أن يزور ليبيا والمغرب لتحسين العلاقات بين البلدين ..

● بعث الرئيس بورقيبة رسالة الى البابا بوليس السادس تتعلق باجراءات اسرائيــل لتهويد القدس باعتبار أن ذلك عمل يقلق المسلمين والمسيحيين على السواء ..

الجـــزائر : دعـــا الرئيس الجزائرى هوارى بومدين الى تقديم المسانـــــدة الى الفدائيين الفلسطينيين ، وقال : « ان حماية الثورة الفلسطينية واجب رئيسى لانها أفضل ضمان لتحقيق أمـــــانى أمتنـــا » ..

● نصت قوانين التعريب فى الجزائر على تعريب كل مواد التعليم والغاء تعليم الفرنسية للطلاب الجدد وادخال الرياضيات ضمن دراسة العلوم الانسانية ..

المغـــرب : وقعت لجنة مغربية زارت تونس مؤخرا برنامجا للتعاون الثقافى وتبـــادل المنح الدراسية وبعثات الشباب بين البلدين ..

ايـــران : احتلفت ايران بذكرى (٢٥٠٠) سنة لقيام أمبراطورية فارس ..

● بحث جلالة الشـــاه مع الرئيس يحيى خان ــ الذى زار ايران فى الشهر الماضى ــ تدعيم العلاقات بين البلدين كما بحثـــا المشكلات الاقليمية واطلع جلالة الشـــاه على الوضع فى باكســـتان ..

باكســـتان : أعلن الرئيس الباكستانى يحيى خان أنه يتم الآن اعداد دســــتور جـــديد لباكســــتان ..

● أتمت الاكاديمية الاسلامية فى دكـــا مشروع ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة البنغالية التى يتكلم بهـــا أكثر من ٦٥ مليون نسمة وقـــد بدأ هذا المشروع سنة ١٩٦٦ ..

أفغانســـتان : تأجل مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الى شهر مارس القادم وقـــد صرح تنكو عبد الرحمن سكرتير المؤتمر الاسلامى أن المؤتمر سيناقش قضية فلسطين والقضايا المشتركة للعالم الاسلامى والاماكن المقدسة ..

الفلبـــين : استمرت الاضطرابات فى اقليم (كوتاباتو) وقـــد راح ضـــحيتها عـــدد من المســـلمين ..

واشـــنطن : أسس أمريكى مسلم هو السيد محمد طاهر هيئة للدعوة الاسلامية فى واشنطن هدفها تعريف الاسلام للشعب الامريكى ومعالجة المشكلات الامريكية على ضوء الدين الحنيف ..

« الى راغبى الاشتـــراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلم الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : **مكتبة مكة** ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ـ العدد ٨٢ ـ غرة شـوال ١٣٩١ هـ ـ ١٩ نـوفمبر « تشرين الثانى » ١٩٧١ م





استقبل سمو الامير المعظم بقصر السيف العامر عـددا من الشيوخ والـوزراء ورجال السلك الدبلوماسى وأعيان البلاد ورجـالاتها وجمـاهير غفيرة من الشعب الكريم وذلك لتقديم التهانى الى سموه بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك . ويبدو فى الصورة سمو الامير يصافح رئيس الحرس الوطنى الشيخ سالم العلى السالم .



احد المواطنين يقدم التهـانى الى حضرة صاحب السمو الاميـر المعظم بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك .



مسجد صلاح الدين بالقاهـــرة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السـنة السـابعة

العــدد الثانى والثمانون

غرة شوال ١٣٩١ هـ

١٩ نوفمبر « نشرين الثانى » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمـــن

الكـويت	٥٠	فاعسـا
السعودية	١	ريـال
العـراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجـزائر		دينـــار وربع
المغـرب		درهم وربــع
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركـون رأسـا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنـوان المراسلات

مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص.ب : ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

سمو الأمير المعظم

يفتتح الدورة الجديدة لمجلس الامة

كان يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩١ هـ الموافق ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٧١ م يوما مشهودا من ايام الكويت الخالدة ، ففى صباح هذا اليوم الاغر تفضل حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم بافتتاح الدور الثانى للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة وسط احتفالات رسمية وشعبية ، وقد استهلت جلسة الافتتاح بتفضل سموه ــ حفظه الله ــ بالقاء توجيهه الى السادة النواب ، ثم القى سعادة رئيس المجلس كلمة رحب فيها بحضرة صاحب السمو الامير المفدى ثم القى حضرة صاحب السمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الاميرى الذى جاء معبرا عن سياسة الدولة على الصعيدين الخارجى والداخلى ، وفيما يلى التوجيه الكريم :

بعونه تعالى وتوفيقه نفتتح فى شهر رمضان المبارك دور الانعقاد العادى الثانى من الفصل التشريعى الثالث لهذا المجلس ·

أبنائى أعضاء مجلس الأمة :

انكم تبدأون هذه الدورة فى فترة حاسمة بالنسبة لأمتنا العربية وقضاياها المصيرية ·· وعلينا أن نكون يقظين ومستعدين لمواجهة أى طارىء ·· وان هذه الأمة التى صمدت فى وجه العديد من التحديات والشدائد عبر تاريخها الطويل لن تعجز عن التغلب على محنتها الحالية ، باستعادة حقوقها وتحرير الأجزاء المحتلة من أراضيها ، متى عقدت النية على ذلك ·· وانها لفاعلة باذنه تعالى ·



سمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح يلقي كلمة الافتتاح .

ولن تثنينا هذه القضية المصيرية عن مواصلــة جهودنا فى الداخل لتطوير بلدنا طبقا لمتطلبات العصر فى كافة المجــالات ·· وانى واثق من أنكم فى مناقشاتكم لمشروعات القوانين المختلفة التى ستحال اليكم فى هذه الدورة ، وفى ممارستكم لصلاحياتكم النيابية الأخرى لن تهتدوا الا بهدى الصالح العام وحده ، صالح هذا البلد وصالح أمتنا العربية والاسلامية الخــالدة · واللــه يوفقكم ، ويكلأنا برعايته ·· والسلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ··

حديث الشهر

مجتمع الايمان

أمنية كل انسان أن يعيش في مجتمع تسوده الحرية والعدالة والمساواة وترفرف عليه ألوية الأمن والسلام . وتقوم فيه المحبة والاخوة بين الناس مقام القانون .

وهذه الأمنية طالما راودت خيال الفلاسفة والحكماء من قديم الزمان ، فكدوا عقولهم وأجهدوا أنفسهم في التخطيط والتنظيم لهذا المجتمع الخير الفاضل ، ولكنهم وقفوا عند حدود الألفاظ والكلمات ، ولم يجاوزوها الى التنفيذ والتطبيق .

وجاء من بعدهم أقطاب السياسة والقانون والاجتماع في مختلف العصور ، فقننوا وشرعوا وأعلنوا المواثيق ، ووقعوا المعاهدات وانشأوا المنظمات ، وعقدوا المؤتمرات ، وحشدوا كل الطاقات لضمان حقوق الانسان واحلال التعاون والتراحم محل التقاطع والتخاصم فماذا كان حصاد تفكيرهم ونتاج جهودهم .

كان ما ترى وما نعيش فيه . عالم يسوده الخوف والقلق ، ومجاعات تهدد أكثر من نصف سكان العالم ، وبيض يقتلون السود ، ومجازر بشرية هنا وهناك ، وحروب دامية لا غاية من ورائها الا حراسة مطامع الأقوياء ، واستبقاء سيطرتهم على ثروات الضعفاء . وأقرب مثل الينا شعب فلسطين ، واغتصاب أرضه ، وتشريد أهله ، وما حل به من مظالم ونكبات يسود لها وجه التاريخ . فأين المواثيق والعهود . أين الحرية . أين العدالة . أين الأمن والأمان . أين التعاون والتراحم . لا وجود لشىء من هذا الا في ألفاظ معسولة وسطور مكتوبة وقرارات معطلة . النتيجة المنطقية لهذا الواقع الرهيب أن تخطيط البشر وقوانين البشر ومناهج البشر فشلت في ايجاد مجتمع فاضل وتربية جيل صالح يتعايش أفراده في ظلال الرحمة والحب والاخاء .

بعد هذا نتساءل أين يوجد هذا المجتمع وعلى أى أساس يقوم ، وهل وجد فعلا ؟ . لقد أقام محمد صلى الله عليه وسلم هذا المجتمع الفاضل وربى أصحابه على المنهج السماوى فكان المجتمع الذى زكاه رب العالمين ، وكان الجيل الذى شهد له أحكم الحاكمين « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

كان مجتمع الحج الذى لا رفث فيه ولا فسوق ولا جدال .. والمسلمون يغفلون عن النظر والتفكير في مجتمع الحج كل عام ، وهو مجتمع كبير وفريد يبلغ عدد أفراده قرابة المليون نسمة ، فيه من كل الشعوب والأجناس . من كل البيئات والأقاليم . من كل اللغات والألوان والطبقات فيه من

الأصقاع الباردة والمناطق الحارة والاقاليم المعتدلة . فيه من البيئات الصحراوية والزراعية والصناعية . فيه من الجبال والسهول والوديان . فيه الابيض والاصفر . فيه الغنى والفقير والقوى والضعيف . فيه الرجل والمرأه ، ولكل بيئة أثرها فى الطبع والاخلاق . فيه الهادىء الطبع والحاد الطبع ، فيه الحليم والغضوب . فيه أنماط من الناس مختلفون ، ومع هذه الفروق فان هذا المجتمع تسوده الحرية والعدالة والمساواة وترفرف عليه ألوية الامن والسلام ، ويقوم على التراحم والتعاطف والتعاون ، فأين ذهبت هذه الفروق . ذابت كلها أمام عقيدة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله هذا هو الاساس الذى قام عليه هذا المجتمع ، وهذا هو الرباط الذى يربط بين أفراده . فلا اقليمية ولا جنسية ولا عصبية ولا طائفية ولا مذهبية . آخت كلمة التوحيد بينهم حتى كأنهم أعضاء أسرة واحدة ، بل أعضاء جسم واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء ، فالتعاطف بينهم يبلغ أشده . حتى لترى الدموع تنهمر عند اللقاء لانه لقاء الاخوة فى الايمان « انما المؤمنون أخوة » .

طابع هذا المجتمع الصدق . الصدق فى كل شىء . الصدق فى القول والعمل فى الجهر والنجوى فى السر والعلانية فى البيع والشراء ، فلا نفاق . ولا رياء ولا تظاهر ولا غش ولا خداع لا يكذب فيه الانسان على ربه ولا على نفسه ولا على الناس .

طابع هذا المجتمع المسلم الامانة والامانة التى تصل الى ذروتها مما ليس له مثيل فى جميع مجتمعات العالم . يترك الحاج ماله أو متاعه فى الطريق أو فى مكان عام أو خاص فلا تمتد اليه يد غير يد صاحبه ، بل ولا تحدثه نفسه بالاستيلاء على ما ليس له .

طابع هذا المجتمع العفو والصفح والتسامح واحتمال الهفوات والتجاوز عن الزلات ومقابلة السيئة بالحسنة .

وفى هذا المجتمع تسود عاطفة التراحم وحب البذل والسخاء . نجد الحاج يدور بنفسه يبحث عن المحتاجين المتعففين وينقب عن المعوزين المستورين . يفرج كربتهم ويسد خلتهم فى ستر وحياء وهو فرح بما يأخذون .

المال الذى يتحرك فى يد هذا المجتمع مال طيب وكسب حلال لا شبهة ولا ريبة فيه . النظام والتوقيت وأداء الواجب فى موعده المناسب هو القانون الذى يسير عليه هذا المجتمع هذا المجتمع لا يعرف الفحش ولا الفسوق . طابعه العفة والطهر ، تلبس فيه المرأة ثيابها السابغة السائرة ، وتؤدى مناسكها مع الرجال جنبا الى جنب ، فلا تلمح نظرة خائنة ، ولا لفتة ماجنة ولا كلمة نابية ، ولا تبرجا جاهليا .

هذا هو مجتمع الحج وهو مجتمع مثالى نموذجى قام على الدين وعاش بالدين وتحرك فى حدود تعاليمه والتزم أخلاقه وآدابه بوحى من عقيدته لا محرك يحركه الا مرضاة الله ولا حاجز يحجزه الا مراقبة الله والخوف منه .

فهل يعى ذلك المسلمون ، وهل يقتنعون بأنه لا صلاح لامرهم الا باتباع صراط الله « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى



للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

بدء الوحي

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت :

« اول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو « التعبد » الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، قال : فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارىء ، فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ : فقلت ما انا بقارىء فاخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم » فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زملونى ، زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة واخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت له خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرا تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن اخيك ، فقال له ورقة يا ابن اخى ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم ، لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك انصرك نصرامؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفى ، وفتر الوحى » ..

— رواه البخـارى —

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمل ، فالذين اصطفاهم الله جلت قدرته لحمل رسالاته الى البشر هم القمة العليا فى الانسانية ، لا يدرك مداهم ، ولا يبلغ شأوهم ، ولا تنال بالاكتساب درجاتهم ، فهم أساة القلوب ، وهداة النفوس ، وقادة الخير ، ودعاة الفضل ، ودعامة كل كمال ، لهم القدح المعلى فى زيادة السعادة ، منشودة الادميين وضالتهم ، تلك السعادة التى يريدها الله تبارك وتعالى لخلقه وهو اعلم بمكامنها ومدارجها ، وسيدنا رسول الله عليه افضل الصلاة وازكى السلام فى القمة من صفوة الرسل ، هو خاتمهم ، وشريعته سيدة شرائعهم ، جمعت افضل ما جاءوا به من عند ربهم ، وقفت على آثارهم بما اراد الله ان يكون كفيلا بحاجة الناس فى معاشهم ومعادهم ، وكلما ارتفع قدر الشىء كلما غلا ثمنه وعز مطلبه ، وبعد مناله ، والسائرون فى السفح تلتوى رقابهم ليروا القمة وتعيا بهم اقدامهم فلا يصعدوا اليها ، فيحاولون النيل منهـا بذمها ، وينسجون القصص ويشبعون الخيال فى الحديث المسىء الى ما اشتملت عليه ، وما اكننه مما لم يدركوه ، ومقام النبوة مقام له سموقه واسراره وقداسته ، حاول كثيرون ممن لم يحترموا عقولهم ، ولم يضعوا انفسهم فى مكانها اللائق ان ينالوا من ذلك العلم الاشم فوهنوا وضعفوا ووقعوا صرعى حيث هم ، وكان مما أوردوا شبها واهية حول الوحى والرسالة ، ولا اطيل الوقوف مع هؤلاء المغرضين هنا ، وانما اسوق حديثا يصف واقعا من وقائع ما كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حدث له ، يرى القارىء صورة لذلك المختار لحمل اضخم رسالة واقوى دعوة متحملا اعنت المعارضات ومقابلا قحة الحاقدين بنور يبهر وضياء لا يقهر ، وقد تمثل فى سلوكه قبل الرسالة الجلال كله ، والفضل جميعه فنعت الصادق الامين من الاقربين والابعدين ، من الاعداء والاصدقاء ، ولمـا ضاق بالبيئة العمياء عن الهدى ذرعا تحنث فى الغار وتعبد ، وهجر رواد الأصنـام ، واعتزل مجالهم وخلا بروحه وسما بنفسه وبعد عن مدارج القوم وعاف مسالكهم ، وكان هذا إرهاصا بما سيكون له من شأن ، وما سيحملـه من هدى ورحمـة للعالمين ، وصقلا ربانيا لتلك النفس الأبية الطاهرة لتكون على مستوى خاص يريده رب العالمين ، وبارىء الكون ، فربطه بجلاله فى يقظته ومنامه فيقظته عليه افضل الصلاة والسلام تأمل وتدبر لهذا الكون وبحث عن اسراره ، وفى منامه يمد له خيط النور الذى سيقوى ويبدد الظلام ، ويأتى على ديجور هـذه المخلوقات الهائمة على غير رشد وليأخذ بيدها الى حيث ربها وبارئها الى دار تزخر مجتمعاتها بالتراحم والسلام ، وتنقى زيف أم دفر وضلالها ، وفى هذا المقام لن اعيى القارىء بايراد شبه وتفنيدها ولكن سأمر به فى رحاب هذا الحدث الضخم المتصل بسيد الرسل والمشتمل على ما اعيا جهد ارباب الفكر ، وما لو سلكوه طريقا هاديا ، ولو اتخذوه إماما ورائـدا وعضوا عليه بالنواجذ لكانوا كما اوضح محكم التنزيل خير مصادر الخير التى اخرجت للعالمين .

فى هذا الكلم الطيب الذى قصته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وعن قريناتها شرح وايضاح للطريق الذى سلكته دعوة الله الى رسول الله ان يحمل ما حمل وان يبلغ ما كلف بتبليغه ، وكيف بادهه الوحى ، وان رؤيا الانبياء وحى والوحى إعلام من اصطفاهم الله من عباده بكل ما اراد إطلاعهم عليه بطريقة خاصة اتخذت اشكالا متعددة كلها بعيدة عن ادراك الانسان لو ترك ونفسه ، وقد كان الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتدأ فى المنام كما تحدث هنا أم

المؤمنين ، ثم تنوع كما صوره رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حين أجاب سائله كيف يأتيك الوحى فقال : « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول ، وفى النص الذى نحن بصدده هنا أن رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فوجىء على غير انتظار بمن يدعوه الى شىء لا يحسنه ولم يلم به وهو القراءة ، ويناديه من حيث لا يتوقع نداء مؤكدا عليه أن يقرأ ويقرأ فيرسم بذلك خطة المستقبل وأنه لا حياة بلا علم ولا علم بدون قراءة وتعلم وأن أول معلمى هذه الامة الامية هو أعظم خلق الله قدرة على تلك الاستاذية الفذة فى بابها العجيبة فى توجيهها ، الغريبة على الناس فى بدايتها ومنتهاها . وحين يذكر سيدنا رسول الله حقيقة واقعه لمناديه السماوى وأنه لا يدرى ما القراءة يجيبه : اقرأ باسم ربك ، فأنت لا تقرأ بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك ، ومعونته فهو يعلمك كما خلقك ، وسيعلم أمتك فتخط بالقلم بعد أن كانت أمة أمية ويعيد الرسول جوابه بنفى القراءة وأنه لا يعرفها ويتكرر عليه الامر بها وهنا يضمه مناديه بصورة لا يعلمها الا الله ولا يدرى كنهها الا موجدها ، ويغط الرسول صاحبه ، « والغط هو العصر الشديد والكبس » ، ويبلغ هذا الفعل من رسول الله الجهد ، ورجع الى سكنه وعبة سره ، والسيدة الاولى فى الاسلام خديجة بنت خويلد ورجف فؤاده يضطرب اضطرابا شديدا من هول ما رأى وما حدث له طالبا من أفضل النساء وأعزهم وأقربهم الى قلبه وأحناهم على ولد رضى الله عنها وعن بنيها وبناتها أن تزمله وتدثره وقد أصابته الحمى فارتعش البدن ، واضطرب الفؤاد ، وذهبت نفسه الشريفة شعاعا ، وجالت به التأملات كل مجال وهو لم يدر بعد أن هذه مقدمة رسالة ، ومبدأ وحى السماء ، وأول خطوة فى رحلة شاقة مضنية مع البشر العتاة الذين لا يرون الحق حقا ولا يدركون من حقائق وجودهم شيئا ، وهنا فى هذا الموقف العصيب ، وبعد دوى الحادث الرهيب وبين ذراعى السيدة المصطفاة زوجه له ، تلكم العاقلة الاريبة ، والفهمة اللبيبة ، التى أدركت — سابقا — بثاقب فكرها وذكانتها وقوة بصيرتها أن هذا الفتى محمد ليس كالفتيان ، ولا هو من نماذج درجت أمام عينيها دهرا طويلا ، وانما هو من له شأن آخر لكنها لا تدرى تماما ما هو ذاك الشأن فاختارته زوجا . على بعد بينهما فى الثروة والمال ، ومفارقة فى السن والحياة ، واقترنت به رغم مجافاة ما فعلت لما عليه بنات جنسها فى كل زمان ، وقبل هو واستجاب لداعيها وعدها نعمة أنعمها الله عليه وقد كانت هذه هى خديجة بنت خويلد تضرب المثل الاعلى للزوجة ذى القلب الكبير ، والادراك النادر الشبيه ، المنقطع النظير ، الزوجة التى تعرف زوجها من خلال دراستها الفاحصة لسلوكه ، والتى تقيم حركاته وسكناته وتزنها بسمو أدركته منه هى وحدها ، عالمة أنها لا تساكن قرشيا اعتادته دروب مكة وشعابها ولا فتى يمر عابرا بحياة البداوة مجتازا قفارها ثم يمضى الى حيث ينسى ، وانما لمحت بمدركة نافذة تتمطى الظواهر الى اللباب ، وتغوص فى الاعماق على الدر النادر ، واللالىء الغالية ، تلمح هذا بيسر ودون عناء فى اجابتها لسيدها حين أبدى لها القلق الذى يساوره ، والالم الذى يعتصر قلبه ، والخوف من نهاية غير مرتضاة والوصول الى نتيجة ليست هى مبتغاه من تحتنه الليالى ذوات — العدد وحيدا الا من الانس بربه ، وفريدا الا من عناية عالم السر وأخفى ، مقدمات أوردتها تلك السيدة الحبيبة الى قلوب رواد خير الدنيا وطلاب سعادة الاخرة ، وبنت عليها نتائج ما كذبت لأنها لم تحمل خسة القضايا الكاذبة وانما كانت موجهة دائما وكلية

دائما ، وتأمل أخى القارىء العزيز قولها وحسن ايرادها لما أوردت فهى تقول متعجبة من سيدها حين يخاف على نفسه ويخشى عليها السوء من احتمالات أوردها الناظرون فى هذا الحديث وأوصلوها الى اثنى عشر صنفا من بينها خشية الجنون والمرض ، أو خشية الاخفاق فيما كان يرومه ولا يستطيع أن يعبر عنه أو يقر به فهما الى نفسه فضلا من غيره ، تعجب السيدة خديجة رضى الله عنها الجديرة بحب سيد المرسلين وحفظه لذكراها حتى بعد التحاقها بالرفيق الأعلى وتسوق عليها رضوان الله تلك الكلمات الحلوة الجميلة الغنية حتى فى الفاظها بكل ما تدل عليه وما اتخذت منه علمها : كلا يا سيدى لا والف لا يا سيدى ، أعيذك من تلك الفكر ، فأنت الذى لا يخزيك الله أبدا فلك فعال ليس فى نتائجها ما تتصوره أو ما تتوقعه فأنت أنت الذى يحمل الكل (يفتح الكاف) ويصل الرحم ، ويكسب المعدوم ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، وتلك لعمر الحق خلال ما اتصف بها انسان وأضاعه الله أو تخلت عنه عناية ربه ، وانما هى دواعى الحفظ والرعاية من رب العالمين ، وسمو القدر والمكانة بين الناس أجمعين .

وهنا نمسك القلم قليلا فنور سيدنا رسول الله يغشى الأفئدة فيضيئها ويغشى الضلالة ويبددها ، وحديث السيدة الحبيبة الى رسول الله والى قلوب المؤمنين يحتاج الى كثير من الوقوف فى رحابه ، ومزيد من الطرق لبابه ، زيادة على عظمة ما كان منها بعد ذلك مع سيد المرسلين ، ولهفتها على تطمينه واعادة السكينة الى قلبه وانى لأراها أشد حرصا على معرفة نتيجة ما حدث من أى انسان عاصرها أو جاء بعدها فذهبت رضى الله عنها مثلا عزيز المنال فى كمال العشيرة وجمال السكن وعظمة العقل الانسانى حين ينفتح وحين يؤمن بحقه فى الكرامة ، ومكانته فى الحياة الحرة العزيزة فالى لقاء قريب مع سيدة المؤمنين وسيدها رسول الله الى الناس أجمعين . والحديث موصول ان أذن رب كل شىء سبحانه .

دفاع عن
كتاب الله
تعالى



قضية الكلمات الأعجمية

في ضوء الدراسة والبحث

لم تكن اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم لغة ضعيفة فى مفرداتها ، وتراكيبها ، والفاظها ومعانيها ، بل كانت لغة تحمل فى طياتها عناصر الحياة ، وقوة التعبير ، وجمال الكلمة ، ورشاقة الألفاظ ، وغزارة المعانى .

اجل ، لم تكن اللغة العربية بلغت سن الشيخوخة ، يدب فى أوصالها الوهن ، ويعتريها الضعف لتلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولكنها كانت فى طور الشباب ، قوية فتية ، تسحرك بألفاظها ، وتدهشك بمعانيها ، وتأخذ بمجامع قلبك ، حينما تصغى اليها فى مجالات التعبير المختلفة : شعرا وخطابة ، ومحاورة ، وأمثالا .

وهذه اللغة التي بلغت القمة فى التعبير عن المعانى المختلفة ، المحسوسة أو المعقولة ، فى الفاظ جزلة ، وعبارات متآخية ، وكلمات عذبة ، هذه اللغة نزل بها القرآن الكريم ، ليتحدى من يملكون ناصية هذه اللغة فى مجال فصاحة الكلمة ، وبلاغة المعنى ، وجمال الأسلوب ، (فأقر جميعهم بالعجز وأذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على أنفسهم بالنقص الا من تجاهل منهم وتعامى ، واستكبر وتعاشى ، فحاول تكلف ما قد علم انه عنه عاجز ، ورام ما قد تيقن انه عليه غير قادر ، فأبدى من ضعف عقله ما كان مستورا ، ومن عى لسانه ما كان مصونا ، فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق ، والجاهل الأحمق ، فقال : والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، فالخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة) (١) .

واستطاعت اللغة العربية أن تستقى من هذه المعجزة الخالدة ما أعانها على التطور العجيب فى صيغها وتراكيبها ومفرداتها ، وأساليبها ، فبلغت بالقرآن الكريم درجة من الرقى ليس بعدها درجة .

في القرآن الكريم

للدكتور عبد العال سالم مكرم

وقد لفتت هذه المكانة التى وصلت اليها العربية انظار كثير من المستشرقين المتعصبين منهم وغير المتعصبين ، فهذا (آرنست رينان) يقول فى كتابه : (تاريخ اللغات السامية) ما نصه : « من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية ، وتصل الى درجة الكمال وسط الصحراء عند امة من الرحل تلك اللغة التى فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلل من الكمال الى درجة انها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى انها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة » (٢) ، واعجبنى ما كتبه (جول فرن) فى قصة خيالية أشاد فيها بلغة القرآن ، ذلك لأنه بنى قصته الخيالية (على سياح يخترقون طبقات الكرة الارضية حتى يصلوا ، أو يدنوا من وسطها ، ولما أرادوا العودة الى ظاهر الأرض بدا لهم ان يتركوا هنالك أثرا يدل على رحلتهم ، فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ، ولما سئل (جول فرن) عن وجه اختياره للغة العربية قال : انها لغة المستقبل ، ولا شك أنه يموت غيرها ، وتبقى حية حتى يرفع القرآن نفسه » (٣) .

ولما كانت لغة القرآن الكريم لغة التحدى والاعجاز على هذا المستوى الرفيع من البلاغة والفصاحة ، فانى لا استطيع ان اقبل ما يدعيه بعض العلماء والرواة من أن القرآن الكريم اشتمل على كلمات اعجمية ، ليست عربية الصنع ، وقبل أن أعرض رأيى فى هذه القضية أرى أن ابسط آراء العلماء حولها ، ليكون القارىء على بينة من أمرها . ثم أختم بحثى برأيى الذى اعتقده فى هذا الموضوع :

أ ــ أما الكلمات الاجنبية التى ثار حولها الجدل ، واحتدم النقاش ، فهذا بعض منها :

١ ــ ما ورد بلسان الحبشة : قال الطبرى : حدثنا عنبسة عن أبى

اسحاق ، عن أبى الاحوص عن أبى موسى : (يؤتكم كفلين من رحمته) (٤) قال : الكفلان = ضعفان من الأجر بلسان الحبشة .

وعن أبى اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : « ان ناشئة الليل » (٥) قال : بلسان الحبشة : اذا قام الرجل من الليل ، قالوا : نشأ .

= وعن أبى اسحاق عن أبى ميسرة : « يا جبال أوبى معه » (٦) سبحى بلسان الحبشة .

وحدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن قوله : « فرت من قسورة » (٨) قال : هو بالعربية : الأسد ، وبالفارسية : شار ، وبالحبشية قسورة (٨) .

وقال السيوطى فى الاتقان = الأواه = الموقن بلسان الحبشة : الدرى : المضىء : بلسان الحبشة (الجبت) : اسم الشيطان بلسان الحبشة (٩) . وقال الزركشى فى البرهان فى علوم القرآن : المشكاة : الكوة بلسان الحبشة (١٠) .

٢ ــ ما ورد بلسان الفرس :

الأباريق : جمع ابريق : التنور ــ الدينار : السرادق ــ الاستبرق : الزنجبيل .

٣ ــ ما ورد باللسان الرومانى :

الرقيم : اللوح ، القسطاس : العدل ، طفقا : قصدا .

٤ ــ ما ورد باللسان العبرى :

كيل بعير = البعير : الحمار . الأليم = المؤلم . درست = قرأت . هدنا = تبنا . راعنا = كلمة سب .

الرحمن : ذهب المبرد وثعلب الى انه عبرانى ، واصله الخاء المعجمة .

٥ ــ ما ورد باللسان القبطى :

الملة الآخرة = الأولى : والقبط يسمون : الآخرة : الأولى ، والأولى : الآخرة . بطائنها = ظواهرها : وراءهم ملك : امامهم . اليم = البحر .

٦ ــ السريانية : الطور ــ جبل .

٧ ــ اليونانية : سريا = النهر الصغير .

٨ ــ الزنجية : حصب جهنم : حطب جهنم : وقولوا حطة : صوابا .

٩ = النبطية : « رهوا : سهلا . سيدها : زوجها بلسان النبط ، قال أبو عمرو : لا أعرفها فى لغة العرب .

١٠ ــ كلمات مختلف فى نسبتها :

السجل : قيل حبشى ، وفى المحتسب لابن جنى : فارسى معرب .

السندس : قيل : رقيق الديباج بالفارسية ، وقيل الرقيق من الستر بالهندية .

١١ ــ كلمات أعجمية غير منسوبة . الرس : ومعناه البئر سلسبيل : عجمى (١١) .

وقد أفرد السيوطى هذه الكلمات الأعجمية بالتصنيف ، وسماها (المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب) . وقد نظم تاج الدين السبكى منها سبعة وعشرين لفظا فى أبيات جاء فيها :

السلسبيل ، وطه ، وكورت ، بيـــع
روم ، وطوبى ، وسجيل ، وكافور
والزنجبيل ، ومشكاة سرادق مـــع
استبرق ، صلوات سندس طـــور
كـــذا قراطيس ربانيهم ونمـــــارق
ثم دينار ، القســطاس مشــــهور
له مقـــــاليد فردوس يعد كـــذا
فيمـــا حكى ابن دريد فيه تنـــــور

وقد ذيل الحافظ بن حجر على هذه الأبيات ، وذيل السيوطى عليهما بالباقى وهو بضع وستون ، فتمت أكثر من مائة لفظة (١٢) .

ب) آراء العلماء حول هذه الكلمات :

١ = رأى من يقول انها اعجمية :

يستند هؤلاء فى هذا الرأى الى ماروى سعيد بن جبير قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن على رجل (أعجميا ، وعربيا) فأنزل اللـــه تعالى ذكره : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » (١٣) فأنزل الله بعد هـــذه الآية فى القرآن بكل لسان (١٤) .

وعن أبى ميسرة قال : فى القرآن من كل لسان » (١٥) .

ومن العلماء الذين يرون هذا الرأى الامام (الجوينى) ، ففى رأيه انه لا يستنكر وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، بل يرى ان له فائدة فى مجال البلاغة والبيان ، قد لا يشعر بها كثير من الناس ، لأنها تخفى عليهم بمـــا نشتمل عليه من دقة البيان ، وسر الاعجاز . استمع اليه يقول مدافعا عن كلمة (استبرق) ما نصه : « فان قيل : ان اســـتبرق ليس بعربى ، وغير العربى من الألفاظ دون العربى فى الفصاحة والبلاغة فنقول : لو اجتمع فصحاء العالم ، وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ، ويأتوا بلفظ يقوم مقامها فى الفصاحة لعجزوا عن ذلك ، وذلك ، لأن الله تعالى اذا حث عباده على الطاعة ، فان لم يرغبهم فيها بالوعد الجميل ، ويخوفهم بالعذاب الوبيل ، لا يكون حثه على وجه الحكمة . . الى أن يقول : ثم ان الوعد بما يرغب فيه العقلاء ، وذلك منحصر فى أمور : الأماكن الطيبة ، ثم المآكل ، والمشارب ، ثم الملابس الرقيقة ، وكان ينبغى أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها ، وأرفع الملابس فى الدنيا الحرير ، ثم ان الثوب مـــن غير الحرير لا يعتبر فيـــه الوزن والثقل ، وربما يكون الخفيف أرفع من الثقيل الوزن ، واما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع ، فحينئذ وجب على الفصـــيح أن يذكـــر الأثقل الأثمن ، ولا يتركه فى الوعد ، لئلا يقصر فى الحث والدعاء ، ثم ان هذا الواجب الذكر ، اما أن يذكر بلفظ واحد ، موضوع له صريح ، أو لا يذكر بمثل هذا ، ولا شك ان الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى ، لأنـــه أوجز وأظهر فى الفائدة ، وذلك (استبرق) ، فان أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ، ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه ، لأن ما يقوم مقامه ، اما لفظ واحـــد أو الفاظ متعددة . ولا يجد العربى لفظا واحدا يدل عليه ، لأن الثياب من

الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع فى اللغة العربية للديباج الثمين اسم ، وانما عربوا ما سمعوا من العجم ، واستغنوا عن الوضع لقلة وجوده عندهم ، وندرة تلفظهم به ، وأما ان ذكره بلفظين فأكثر فانه يكون قد أخل بالبلاغة ، لأنه ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ ــ تطويل فعلم بهذا أن لفظ (استبرق) يجب على كل فصيح ان يتكلم به فى موضعه ، ولا يجد ما يقوم مقامه (١٦) .

٢ ــ رأى من يقول : انها عربية :

على رأس هؤلاء الامام الشافعى رضى الله عنه ، فقد انكر كل الانكار أن تكون هذه الكلمات أعجمية الصنع ، لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين . ولا يمكن أن يصدق العقل ، أو يطمئن القلب الى مثل هذه الروايات ، التى تدعى أعجمية بعض الكلمات ، فالقرآن الكريم فى نظر الامام الشافعى من الفه الى يائه عربى فصيح ، لم يستعر كلمة من غير لغة العرب ، لأنه ليس فى حاجة اليها ، بل أحاط بهذه اللغة احاطة كاملة ، لأنه من صنع الله ، وصنع الله لا يتوقف على معونة فى كلمة أو كلمات ، تقدم اليه من مختلف اللغات .

وكان الشافعى صريحا كل الصراحة فى هذا الاتجاه ، مومنا كل الايمان بهذا الرأى . لدرجة أنه قدم النصيحة خالصة ، حارة ملتهبة لهؤلاء الذين يدعون ما يدعون ليتركوا هذا الانحراف فى الرأى ، حتى يسلم لكتاب الله جلاله وسلطانه .

وانى اترك المجال للشافعى ، ليعرض علينا رأيه ، معززا بالحجة ، مدعما بالبرهان ، قال الشافعى فى الرسالة :

« فقال منهم قائل : ان فى القرآن عربيا وأعجميا » فرد الامام على هذا الادعاء بقوله : « والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شىء الا بلسان العرب ، ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها الفاظا ، ولا تعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبى » الى أن يقول :

فان قال قائل : ما الحجة فى أن كتاب الله محصن بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟ فالحجة فى كتاب الله ، قال الله تعالى : وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (١٧) فان قال قائل : فان الرسل قبل محمد كانوا يرسلون الى قومهم خاصة ، وان محمدا بعث الى الناس كافة ، فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه ، وما أطاقوا منه ، ويحتمل أن يكون بعث بألسنتهم ، فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون السنة العجم ؟ ويرد الشافعى على هذا الاعتراض بقوله :

فاذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض ، فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل فى اللسان المتبع على التابع .

وأولى الناس بالفضل فى اللسان من لسانه لسان النبى ، ولا يجوز والله أعلم أن يكون اهل لسانه اتباعا لأهل لسان غير لسانه فى حرف واحد بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله ، فعليهم اتباع دينه » .

بهذا المنطق القوى رد الشافعى هذا الاعتراض ، ولكنه لم يكتف بذلك فوثق هذا الرد بكتاب الله تعالى فى وضوح يبدد الباطل ، وصراحة تكشف البهتان فيقول : وقد بين الله ذلك فى غير آية من كتابه : قال الله : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » (١٨) ، وقال : « وكذلك انزلناه حكما عربيا » (١٩) وقال : « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها » (٢٠) وقال : « حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (٢١) وقال : « قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون » (٢٢) .

قال الشافعى : فأقام حجته أنه كتاب عربى فى كل آية ذكرناها ، ثم اكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب فى آية من كتابه، فقال تبارك وتعالى : « ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » (٢٣) .

وقال : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى » (٢٤) ، ويختم الشافعى دفاعه عن كتاب الله تبارك وتعالى بهذه النصيحة العالية فيقول : « فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين والنصيحة لهم فرض لا ينبغى تركه ، وادراك نافلة خير لا يدعها الا من سفه نفسه ، وترك موضع حظه ، وكان يجمع مع النصيحة لهم قياما بايضاح حق وكان القيام بالحق ، ونصيحة المسلمين من طاعة الله ، وطاعة الله جامعة للخير . » (٢٥)

بهذا الرد المقنع ، وبهذه النصيحة الخالصة دافع الامام الشافعى عن قضية عروبة هذه الكلمات ، دفاعا حارا لزم فيه المنطق القوى ، والحجة البالغة والدليل القرآنى القاطع .

وانى حرصت كل الحرص على تسجيل عبارات الشافعى بنصها فى هذا المجال ، لأنها تحمل من حرارة الدفاع عن كتاب الله اكثر مما تحمل عباراتى .

وفى هذا الخط الذى رسمه الشافعى اتجه الامام الطبرى فى تفسيره هذا الاتجاه وكأنه بآرائه التى بسطها فى هذه القضية يضع الدلائل الواضحة على صحة رأى الشافعى ، ذلك لأنه يرى أن هذه الكلمات الأعجمية ، اتفقت بألفاظها ومعانيها مع الكلمات العربية ، فليس من المنطق ان نقول : انها غير عربية بل هى عربية أعجمية : يقول الطبرى : « ولم يستنكر ان يكون من الكلام ما تتفق فيه الفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف بمعنين معا ؟ ويقول أيضا ، كما قد وجدنا اتفاق كثير منهم فيما قد علمناه من الألسن المختلفة . وذلك كالدرهم ، والدينار ، والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك مما يتعب احصاؤه ، ويمل تعداده .

على أن الطبرى لم ينكر هذه الآثار المروية عن ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، بل يقرر صحتها من وجه آخر ، غير ما يدعيه هؤلاء الذين يقررون أنها أعجمية فيقول : « فلو أن قائلا قال فيما ذكرناه من الأشياء التى عددنا ، وأخبرنا اتفاقه فى اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية ، وما أشبه ذلك عما سكتنا عن ذكره ، ذلك كله عربى لا فارسى ، أو قال : بعضه عربى ، وبعضه فارسى ، أو قال : كان مخرج أصله عند العرب ،

فوقع الى العجم فنطقوا به ، أو قال : كان مخرج أصله عند الفرس ، فوقع الى العرب فأعربته ــ كان مستجهلا ، لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها الى العرب ، اذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ، ومعنى واحد موجودا فى الجنسين ، فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر .. بل الصواب فى ذلك عندنا أن يسمى عربيا أعجميا ، أو حبشيا عربيا اذا كانت الأمتان له مستعملتين . الى أن يقول : « وذلك هو معنى ما روينا عنه القول فى الأحرف التى مضت فى صدر هذا الباب من نسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الحبشة ، ونسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الروم ، لأن من نسب شيئا من ذلك الى ما نسبه اليه لم ينف بنسبته اياه الى ما نسبه اليه أن يكون عربيا » (٢٦) .

وتتفق وجهة نظر أبى عبيدة معمر بن المثنى مع الامام الشافعى والطبرى ، فيقول : « نزل القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن (طه) بالنبطية فقد أكبر ، وقد يوافق اللفظ اللفظ ، ويقاربه ، ومعناهما واحد ، وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية أو غيرها » (٢٧) .

ومع أن أبا عبيدة دافع عن عروبة هذه الكلمات الا أن الامام اللغوى الزبيدى صاحب تاج العروس ينسب الى أبى عبيدة رأيا آخر يوفق بين المانعين والمجوزين يقول : « قال أبو عبيدة : والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء الا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها ، وحولتها من ألفاظ العجم الى ألفاظها ، ثم لما نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال : إنها عربية ، فهو صادق ، ومن قال : عجمية فهو صادق » (٢٨) .

جـ = رأى ومناقشة :

فى رأيى أننا اذا أردنا أن تصل الى حل حاسم لهذا الاشكال ، فانه لا بد من الرجوع الى التاريخ العربى لنستفتيه فى هذه القضية التى كثر فيها الجدل ، واحتدم النزاع بين العلماء .

اننا اذا رجعنا الى التاريخ ليدلنا على كلمة (عرب) فماذا نجد ؟ نجد اختلافا كبيرا بين رجال اللغة من العرب فى مدلول هذه الكلمة ، فقد قال ابن منظور فى كتابه الكبير : لسان العرب ما نصه : « واختلف الناس فى العرب لم سموا عربا ؟ فقال بعضهم أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان ، وهو أبو اليمن كلهم ، وهم العرب العاربة ، ونشأ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام معهم ، فتكلم بلسانهم ، فهو وأولاده العرب المستعربة .

وقيل : ان أولاد اسماعيل نشئوا بعربة ، وهى من تهامة ، فنسبوا الى بلادهم .

ثم قال صاحب اللسان ، وكل من سكن بلاد العرب ، وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهم عرب ، يمنيهم ، ومعدهم (٢٩) .

والمستشرقون وعلى رأسهم المستشرق (ولفنسون) فى كتابه

(تاريخ اللغات السامية) : يرى أن كلمة (عرب) كانت مستعملة فى اللغة العبرية القديمة لتدل على أهل العربة (الصحراء) أى لنوع خاص من قبائل الجزيرة العربية (٣٠) .

ويرى هذا المستشرق أن ما يقال فى المعاجم اللغوية العربية من أن هناك فرقا بين كلمتى عربى وأعرابى ، وتخصيص الاولى بسكان المدن ، والثانية بسكان البادية فلم يحدث الا فى عصور قريبة من ظهور الاسلام أما قبل ذلك فلم يكن هناك فرق مطلقا ، بل كان كل من الكلمتين يدل على سكان البادية فحسب ، اما سكان المدن والامصار ، فكانوا ينسبون الى قبائلهم ، ويعرفون بمناطقهم . (٣١) .

ويرى مرة أخرى أن كلمة عبرى تؤدى المعنى الذى تؤديه كلمة عربى نفسها ، أى ان العبريين هم قبائل رحل كانت تنتقل بخيامها ، وابلها من مكان الى آخر .

وقد استدل على هذه النظرية بأن كلمة عبرى مشتقة من الثلاثى عبر الذى معناه بالعبرية والعربية : ذهب ، ورحل وقطع مرحلة من الطريق ، أى أن كلمة عبرى وعربى مشتقان من ثلاثى واحد هو عبر ، فحدث قلب مكانى فى هذه الكلمة الثلاثية فصارت عربا » (٣٢) .

وفى رأيى أن المعاجم اللغوية تحدثت عن هذه التفرقة فعلا ، ولكنها مع ذلك نصت أيضا على أن كل من سكن بلاد العرب ، وجزيرتها ، ونطق بلسان أهلها فهم عرب ، يمنيهم ، ومعدهم كما قدمت .

وأما القرن الذى ظهرت فيه هذه الكلمة ، فقد حددته النقوش والآثار التى اكتشفت فى عصرنا الحديث ، فقد أشار المستشرق لوبون فى كتابه (حضارة العرب) الى آثار الأشوريين التى تحدثت عن العرب فقال : « وذكر العرب قبل الميلاد بتسعمائة سنة فى بلاغ (سلما نصر الثانى) وأدت ملكتان عربيتان فروض الطاعة (تيفلا نفانصر) قبل الميلاد بنحو ثمانمائة سنة ، واستعان (بانيبال) بجيوش عربية عندما رفع راية العصيان » (٣٣) .

ويقسم المؤرخون العرب الى قسمين : بائدة ، وباقية ، ومن العرب البائدة : عاد ، ومسكنهم الأحقاف فى اليمن ، وثمود ، ومسكنهم الحجر فى جهة معان ، ومدائن صالح ، وطسم ، وجديس ، ومسكنهم اليمامة ، وعمليق ، ومساكنهم عمان ، والحجاز وتهامة ، وبعض نجد ، وتيماء وبترا ، وفلسطين ، وهم القوم الجبارون الذين تهيبهم قوم موسى اذ قالوا : « ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » ومنهم جالوت الذى قاتل داود ، فقتله داود عليه السلام . وجرهم ومسكنهم باليمن ، ومن بقاياهم قوم هاجروا الى مكة ، وهم أصهار اسماعيل عليه السلام ثم بادوا ، ووبار ، ومسكنهم اليمن فى وبار المسماة باسمهم ، وقد هلكوا .

والعرب الباقية : أولاد قحطان ، وأولاد عدنان (٣٤) .

وليس ثمة شك فى أن هذه القبائل العربية كانت تتكلم بلغة واضحة المعالم بينة السمات ، هذه اللغة هى العربية ، والعربية من أقدم اللغات السامية كما تنص على ذلك كتب العبريين ، بل ان العرب أنفسهم أقدم من العبريين فى تاريخ وجودهم على هذه الارض ، ولا زالت كتبهم تقص علينا

الشيء الكثير من أخبار العمالقة ، وأهل سبأ الذين كانوا يقيمون بجنوب جزيرة العرب .

على أن هذه القبائل العربية لم تغلق على نفسها أبواب مساكنها ، بل اختلطت اختلاطا شديدا بغيرها من أجناس الأمم ، اختلطوا بالمصريين حينما اتحدت قبائل من العمالقة مع عرب سوريا ، واستولوا على مصر فى حملة معروفة فى التاريخ المصرى القديم بحملة الهكسوس سنة ٢٠٠٠ ق.م وعرفوا بالرعاة ، ودام سلطانهم قرونا كثيرة (٣٥) .

وتنص الكتابات المسمارية على أن قبائل ثمود التى كانت تقيم فى بلاد الحجاز اشتبكت فى معارك طاحنة مع سرجون ملك آشور الذى مزقهم كل ممزق ، وأجلى البطون الثمودية الثائرة فى بلاد العرب الى مدينة غزة بفلسطين (٣٦) .

وقدماء اللحيانيين الذين كانوا يقيمون فى الحجاز عرفوا بالقوة والعظمة حتى كان الرومان يستأجرون منهم الجنود والعساكر (٣٧) .

ولا شك أن هذا الاختلاط الذى حدث بين العرب وغيرهم فى تاريخهم القديم أدى الى التفاعل اللغوى ، مما جعل اللغة تتطور فى قوة حتى اكتمل بناؤها واتسعت مفرداتها بفعل هذا الاحتكاك .

ولا أدل على ذلك من اعتراف المستشرقين أنفسهم بهذه الظاهرة فقد قال (لفينون) : « ان اللغة العربية تشتمل على عناصر تدل على أنها بصورتها الحالية ، ليست أصلية قديمة ، بل انها صيغ مرت عليها تقلبات كثيرة وتغيرات فى حين أن هذه الكلمات توجد فى العبرية أو الآرامية دون أن يظهر عليها شىء من آثار هذا التبديل ، فمثلا كلمة (قول) تؤدى بالعبرية معنى = صوت . أما فى العربية فلا تطلق الا على جملة أصوات مجتمعة ، وكذلك (أمر) تدل على الكلام العادى ، وتدل فى العربية على الطلب بشدة (٣٨) .

وقد استطاعت العربية بما تحمل من عناصر الحياة والتطور أن تؤثر كما تقول روايات المستشرقين أنفسهم (فى النبط الآراميين) فكان ذلك من أهم الأسباب التى حملتهم على نسيان لغتهم الآرامية ، وايجادهم لأنفسهم مزيجا من لغة الآراميين والعرب . ولم يكن هذا المزيج مفهوما عند العرب فأطلقوا عليه الرطانة النبطية (٣٩) .

من هذا العرض السابق أستطيع أن أقول : ان هذه اللغة العربية لغة قديمة تكونت بمرور الزمن ، وعبر التاريخ ، وسارت فى طريق التطور بخطى واسعة حتى وصلت الى ما قبل الاسلام الى الذروة من التقدم والرقى ، على حين تجمدت اللغات السامية الأخرى ، لتصبح أثرا بعد عين .

ومن المنطق أن أقول : ان لغة احتكت بغيرها من اللغات الأخرى ، فأثرت فيها ، ووصلت الى هذه الدرجة من التطور لا بد أن تكون موردا لغيرها من اللغات الأخرى ، تمدها بما تحتاج اليه من مفرداتها الواسعة ، وبمرور الزمن أصبحت هذه المفردات العربية لبنات فى بناء هذه الأمم ، ولا يصح فى مجال التفكير السليم أن نقول ان القرآن الكريم استعارها من

هذه اللغات ، اذا قلنا ذلك ، فهذا تحكم لا تسنده الا هذه الاخبار التى ذكرها الرواة ، وهى أخبار واهية تتعارض مع صريح القرآن الكريم حينما يقول : إنا أنزلناه قرآنا عربيا (٤٠) .

ومن العجب حقا أن ندعى أن مفردات اللغة العربية التى عاشت هذا العمر الطويل وتطورت هذا التطور الكبير عبر التاريخ ، وعبر الأجيال ، تمثلها هذه المعاجم اللغوية ، أو هذه الروايات التى جمعها لنا رواة العرب حينما بدءوا يدونون اللغة .

أجل لقد أحس بهذه الحقيقة راوية من كبار الرواة ، وعميد من عمداء اللغة انه أبو عمرو بن العلاء الذى يقول : « ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ولو جاءكم لجاءكم علم وافر ، وشعر كثير » (٤١) .

على أن العقل لا يمكن أن يسلم بأعجمية هذه الكلمات من ناحية أخرى ، فهذه الكلمات كما يقول السيوطى : أكثر من مائة لفظة ، وهو عدد قليل جدا بالنسبة الى كلمات القرآن الكريم التى تبلغ فى رواية الفضيل بن شاذان عن عطاء بن يسار : سبع وسبعون ألف كلمة ، وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة (٤٢) .

فما السر اذا فى أن يمد القرآن الكريم يده لأخذ هذه الكلمات المائة من لغات العجم . هل اللغة العربية فقيرة الى هذا الحد ، فتطلب المعونة بهذه الكلمات ، كيف ذلك ؟ وهى اللغة التى لا تستطيع أن تجاريها لغة أخرى فى مجال الاتساع ، كيف ذلك ؟ وهى اللغة التى تحفظ للمعنى الواحد المئين من الألفاظ .

استمع الى السيوطى يقول فى المزهر : « ان العجم لا تعرف للأسد أسماء غير اسم واحد ، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم .

وقال حدثنى أحمد بن محمد بن بندار قال : سمعت أبا عبد الله بن خالويه الهمذانى يقول : جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين .

ويروى ابن فارس قصة الأصمعى والرشيد ، وخلاصتها : « ان الرشيد سأل الأصمعى عن شعر لابن حزام العكلى ، ففسره ، قال : يا أصمعى ، ان الغريب عندك لغير غريب ، قال : يا أمير المؤمنين ، ألا أكون كذلك ، وقد حفظت للحجر سبعين اسما (٤٣) .

ويجدر بى أن أعزز رأيى هذا برأيين لرجلين من أعلام الفكر فى العالم العربى فى وقتنا الحاضر ، وهما المرحومان الدكتور عبد الوهاب عزام ، والشيخ أحمد شاكر .

أما الدكتور عزام فيرى : ان اللغات السامية وجاراتها تبادلت ألفاظا فى عصور متطاولة قبل الاسلام ، فدخل فى الفارسية مثلا ألفاظ سامية ، فرب لفظ فارسى يظن أصلا للفظ عربى هو فى الحقيقة لفظ سامى تسرب الى الفارسية فى العصور القديمة ، وقد بعد بالباحثين عن الصواب ظنهم أن العربية لم تهب اللغات الأخرى من ألفاظها الا فى العصور الاسلامية (٤٤) .

وأما المرحوم الشيخ أحمد شاكر ، فيرى : أن العرب أمة من أقدم

الأمم ، ولغتها من أقدم اللغات وجودا ، كانت قبل ابراهيم واسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها ، بله الفارسية ، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية التى يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعلها من بعض ما فقد أصله (٤٥) .

وبعد ، فلعلى بهذا العرض لهذه القضية استطعت أن أضع النقاط على الحروف دفاعا عن كتاب الله العربى ، هذا من ناحية ، ولعلى من ناحية أخرى أسد الباب أمام هؤلاء اللغويين المحدثين الذين يدعون أن القرآن الكريم سار على منهج التعريب ، حينما أخذ عن الفارسية والحبشية وغيرهما ، ونحن نلجأ الى التعريب ، لأننا لم نعش فى أعماق اللغة ، لنستخرج الكلمة الدالة ، واللفظة المعبرة ، وذلك لعجزنا عن الاحاطة باللغة من ناحية ، ولايثار مد اللغة العربية بكلمات جديدة سيرا على مبدأ التطور اللغوى منناحية أخرى . ان صح لنا أن نعرب ألوف الكلمات الوافدة فى عصر تقاربت فيه اللغات ، وتمازجت الأفكار ، فانه لا يصح مطلقا أن نتخذ من القرآن ذريعة نعتمد عليها فى شرعية هذا الغزو الأجنبى ، فانه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

---

(١) أنظر : مقدمة تفسير الطبرى : ٦/١ . (٢) نقل هذا النص من كتاب : « دراسات فى العربية وتاريخها » للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٩ . (٣) المرجع السابق نفسه ص ١٤ . (٤) الحديد : ٢٨ . (٥) المزمل : ٦ . (٦) سبأ : ١٠ . (٧) المدثر : ٥١ . (٨) الطبرى ج ١ ص ٨ . (٩) الاتقان ج ١ ص ١٣٨ . (١٠) البرهان فى علوم القرآن ص ٢٨٧ و ٢٨٨ . (١١) أنظر فى هذا الموضع : الطبرى ج ١ ص ٦ ، الاتقان : ج ١ ص ١٣٨ ، البرهان : ص ٢٨٧ و ٢٨٨ . (١٢) الاتقان ج ١ ص ١٤٠ ، ومفتاح السعادة ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ . (١٣) فصلت : ٤٤ . (١٤) الطبرى ج ١ ص ٨ . (١٥) المرجع السابق والصفحة . (١٦) الاتقان ج ١ ص ١٣٦ ، ١٣٧ . (١٧) ابراهيم : ٤ . (١٨) الشعراء : ١٩٥ . (١٩) الرعد : ٣٧ . (٢٠) الشورى : ٧ . (٢١) الزخرف : ٣ . (٢٢) الزمر : ٢٨ . (٢٣) النحل : ١٠٣ . (٢٤) فصلت : ٤٤ . (٢٥) الرسالة : ٥٠ . (٢٦) الطبرى ج ١ ص ٩ . (٢٧) مجاز القرآن ج ١ ص ١٨ . (٢٨) تاج العروس ص ٩ . (٢٩) لسان العرب : مادة : عرب . (٣٠) تاريخ اللغات السامية : ص ١٦٤ . (٣١) المرجع نفسه والصفحة . (٣٢) المرجع نفسه ص ١٦٥ . (٣٣) حضارة العرب ص ٩١ . (٣٤) تاريخ الأدب لحفنى ناصف ٨ . (٣٥) حضارة العرب ص ٩٠ . (٣٦) حضارة العرب ١٧٤ . (٣٧) المرجع نفسه ص ١٧٤ . (٣٨) تاريخ اللغات السامية ١٦٩ . (٣٩) المرجع نفسه ص ١٧٣ . (٤٠) يوسف : ٢ . (٤١) الاقتراح ٢٧ . (٤٢) البرهان فى علوم القرآن ج ١ ص ٢٤٩ . (٤٣) المزهر ج ١ ص ٣٢٥ . (٤٤) مقدمة المعرب للجواليقى : ص ٤ . (٤٥) من مقدمة الشيخ شاكر ص ١٣ .

المراجع :

١ ــ دراسات فى اللغة العربية وتاريخها : الشيخ محمد الخضر حسين . ٢ ــ تفسير الطبرى . ٣ ــ الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى . ٤ ــ البرهان فى علوم القرآن للزركشى . ٥ ــ مفتاح السعادة : لطاش كبرى زاده . ٦ ــ مجاز القرآن : لأبى عبيدة معمر ابن المثنى . ٧ ــ تاج العروس : للزبيدى . ٨ ــ لسان العرب / ابن منظور . ٩ ــ تاريخ اللغات السامية / والفنون . ١٠ ــ تاريخ الأدب : حفنى ناصف . ١١ ــ حضارة العرب : لوبون . ١٢ ــ الاقتراح : للسيوطى . ١٣ ــ المعرب : للجواليقى . ١٤ ــ الرسالة : للشافعى .

نظرة الإسلام إلى التعاقد

للشيخ : علي الخفيف

التعاقد فى نظر الاسلام ارتباط يرتبط به الانسان ، فيطلب منه الوفاء به ، وأساسه الاختيار وسلامة الارادة ، وقد يكون ارتباطا منفردا لا يقابل بارتباط آخر ، وقد يقابل بارتباط من شخص آخر ، غير أن الاسلام يرى أن منه ما يجب على المرتبط الوفاء به ، ويجبر عليه قضاء ، ومنه ما لا يجبر عليه .

ومرد النوع الأول الى امرين : أحدهما : أن يكون مقابلا بارتباط التزم به شخص آخر فى مقابلته ، فيجب الوفاء به لذلك حتى لا يكون من وراء عدم الوفاء به ضرر بمن ارتبط بسببه ، وثانيهما : أمر الشارع بالوفاء به لمصلحة ارتآها الشارع أوجبت ذلك أمرا باتا لا خيرة فيه .

وأما النوع الثانى : فقد رأى الشارع عدم الوفاء به قضاء وأوجب الوفاء به دينا وخلقا وهو ما صدر عن احسان وتبرع غير مستتبع حقا لازما لأحد ، وذلك ما اختلفت فيه الانظار تبعا لاختلافها فى متطلب المصلحة ، وأن اتفقت على أن الوفاء مطلوب دينا وخلقا فى كل ارتباط وتعاقد خلا من الضرر وذلك مقتضى عموم قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقوله تعالى : « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » .

ولا يلزم لوجود التعاقد واعتباره فى شريعة الاسلام شكل معين الا ما شرطه الشارع فى الزواج ، اذ يشترط أن يكون أمام شاهدين ، وفى ذلك خلاف مالك ، ويكفى فى تحقق التعاقد ووجوده العبارة الدالة عليه اذا صدرت من العاقل البالغ المختار ، وذلك فى أى شأن له الولاية عليه لا تتقيد ارادته فى ذلك بقيود الا عدم الضرر بالعاقد أو بغيره ، وسواء فى ذلك التعاقد فى أى شأن من الشئون المالية كالمبايعات والنفقات والكفالات

والاجارات ، والتعاقد فى الشئون الاجتماعية كالتعاقد فى الزيجـــات والنسب والحضانة ، وهذا هو نظر الشارع الى الاشتراط فى العقود ، فقد جعل للعاقد أن يشترط ما يرى أن حاجته ومصلحته فى اشتراطه ما دام أن ليس فى اشتراطه ضرر ولا تغيير لمشروع : لأن تغيير المشروع مفسدة ، وفيه يقول صلى الله عليه وسلم : « المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » .

أما الضرر الذى يبطل العقد لأجله ، فسواء فيه أن يكون ضررا يلحق العاقد أو المشترط ، وأن يكون ضررا يلحق المجتمع أو غير ذلك من الافراد، ويكفى فى ثبوته وترتب أثره عليه ورود نص من الشارع يدل عليه ، كمـــا يكفى حكم العقل فيه ، لأنه اذا كان العقل أساسا للاسلام فأولى أن يكون أساسا فى اثبات الضرر فى العقود والاشتراط والمعاملات ، وسلامتهـــا منـــه .

وعلى هذا الأساس يرى أن الفكر الاسلامى التشريعى يتجه الـــى اعطاء الناس حرية الاختيار فى انشاء العقود والاشتراط فيها ، سواء فى ذلك ما وردت به النصوص ، وما جرى به العرف ، وما تدعو اليه حاجـــة الناس ومعاملاتهم لا تحدهم فى ذلك حدود سوى ما ذكرنا ، وعلى هذا رأى المحققين من الفقهاء وبخاصة بعض الحنابلة كابن قيم الجوزية وابن تيمية ، خلافا لمن عارض فى ذلك منهم ، فزعموا أن كل عقد أو شرط لم يرد به عن الشارع نص عقد باطل أو شرط لغو ، ويعزى هذا الرأى الى أهل الظاهر .

نظرة الاسلام الى الفرد والمجتمـــع
ومراعاة فكرة التضامن
وصلاح الأسرة

يقيم الاسلام مجتمعه على أسس قويمة تصونه من الأنانية الفردية فى المعاملة والسلوك ومن طغيان نوازع النفوس التى تدعو الى الشر ، وتوقد نار العداوة والبغضاء بين أفراده ، وتؤدى بهم الى الاعوجـــاج والفساد والفرقة والتنابذ والفشل ، وقد قال الله لرسوله « فاستقم كمـــا أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ، وقال : « فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ، وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

أسس تربط بين أفراد المجتمع ، وتؤلف بينهم وتوحدهم وتجعلهم أخوة متناصرين بعضهم أولياء بعض تتلاقى كل قواهم فى المحافظة على مصالحهم الاجتماعية والشخصية ، ودفع الضر عنهم ، والقيام بسد حاجاتهم ، ونيابة بعضهم عن بعض ، فى أداء معروف اذا ما دعت الحاجة اليه وتتطلبتـــه المصلحة وفى ذلك يقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقـــوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، ويقول : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدة المجتمع الاسلامى، ومناصرة أفراده بعضهم بعضا أبلغ تصوير ، اذ يقول : « المؤمن للمؤمـــن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ويقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ومن نتائج هذه الروابط ، شعور كل فرد فى المجتمع بأن عليه واجبات يؤديها اليه لقاء ما له من حقوق قبله يتوقف وفاؤه بها على القيام بهذه الواجبات ، واذا قصر فى أدائها أدى ذلك الى انهيار البناء ، وتفكك روابطه ، وذهاب ريحه ، كما أن من نتائجه مسئولية كل فرد فيه فى جلب الخير والقصد اليه فى أعماله التى يأتيها ، ودفع الشر عند نزوله بما يستطيع من قوة وبما يملكه من معونة ، ولذا يقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

وعلى هذا الأساس أوجبت الشريعة على القوى اعانة الضعيف ، وعلى الموسر اطعام الجائع ، وعلى القادر اغناء الفقير والمسكين ، كما أوجبت الدفاع عن الضعفاء وأوجبت على القادر دفع الأذى والهلاك عن كل من تعرض لهما ، والحفاظ على القاصرين ممن يتعرض لهم وعلى أموال القاصرين وعديمى الاهلية والغائبين كما أوجبت اعانة الغارمين ، وانقاذ الاموال عند تعرضها للتلف ، والاخذ على أيدى المفسدين وفى سبيل هذه الوحدة قررت نيابة بعض المؤمنين عن بعض ، ومناصرة بعضهم بعضا، فيقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » .

وكانت نظرة الاسلام الى الفرد فى مجتمعه نظرة وسطا ليست كالنظرة اليه فى النظام الفردى الذى يجعل لكل فرد فى مجتمعه ارادة مطلقة وحرية واسعة غير مقيدة ، لا يراعى فيها الا مصلحته الشخصية دون اعتبار لمصلحة غيره الا بقدر يختلف باختلاف الأمم وتطورها ، وليست كالنظرة اليه فى النظام الاشتراكى الجماعى التى تجعل الفرد فى مجتمعه كالجزء من الآلة يتحرك بحركتها ، وسيره سيرها ، ليس لذاته قوة ولا نشاط الا فى محيطه ومجتمعه ، فلا يؤذن له بنشاط ينفرد به عن الجماعة وانتاجه يجب أن يكون أولا وابتداء لها .

ليست نظرة الاسلام الى الفرد اذن كنظرة هذين النظامين اليه ، بل ينظر اليه شخصا له ارادته وله حريته وعمله وانتاجه وثمراته ، ولكن بشرط ألا يكون ذلك موجها الى ضرر المجتمع ، أو ينال المجتمع منه أذى ، ولهذا كانت جميع حقوقه مقيدة بعدم الضرر .

وعلى الجملة كان نشاط كل فرد لنفسه على ألا يترتب عليه ضرر بغيره وبذلك حافظ الاسلام على الحوافز الطبيعية التى تحفز الانسان على العمل وتدعو الى النشاط وتحمله على الجد والاحسان فيه مما يترتب عليه وفر ثمراته التى تعود فى النهاية الى تحقيق مصالح مجتمعه وحافظ على الروابط الشخصية بين أفراد المجتمع بسبب ما حرمه عليهم من الاثرة . ودعا اليه من الايثار فاحكمت روابطهم وقوى تماسك بنيانهم وكان عليهم لمجتمعهم واجبات فرض عليهم أداؤها وذلك فى نظير حقوق لهم قبل مجتمعهم يجب عليه أداؤها وذلك ما يتمثل فيما يناله المجتمع من ثمرات اعمالهم وما يصل اليه من أموالهم وما يعود عليه من نشاطهم

وسعيهم وفيما يقوم هو به لهم من حفظ ورعاية وحماية ومعونة وتمكين وتوجيه واصلاح ووقاية على أنماط متعددة وصور مختلفة فصلها الكتاب الحكيم حين أمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وباطعام الجائع واعانة الغارم والوفاء بالعهد وحين نهى عن الفحشاء والمنكر والبغى والخبائث والظلم وغير ذلك مما جاء به كتاب الله وسنة رسوله من أمر ونهى تكامل بهما تضامن المجتمع ووحدته وتكافله حتى صار كما قال الرسول صلوات الله عليه جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

ولم يهمل الاسلام مع ذلك شأن الاسرة ومنزلة الفرد فيها ، بل عرض لما يجب للأسرة من رعاية وعناية تستهدفان صلاحها وأحكام الروابط بين أفرادها ، باعتبارها اللبنة التى يتكون منها المجتمع ، ويقوى بقوتها ويتماسك بتماسكها ، وفى وهنها وهنه وانحلاله ، فعنى الاسلام بها عناية شديدة وعرض لكثير من أحكامها فى كتابه بما لم تظفر به مسألة أخرى مما عرض له من المسائل ، وكان أساس نظره اليها أن تكون قائمة على السكن والمودة والرحمة والتعاون كما دل على ذلك قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، كما حض على الصبر والعفو اذا ما بدا فى محيطها مكروه ، فقال فى كتابه الحكيم « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

وجعل القوامة فى هذا المجتمع الصغير للرجل لما فرضه عليه من السعى والعمل والنفقة ، والذود عن البيت ، وبما حباه به من قوة وما للرجال على النساء من درجة وفى ذلك يقول الله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » ويقول « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » كما جعل انفصام هذه العقدة للرجل فكان له حق التطليق حين تسوء المعاشرة ويخشى من عدم اقامة حدود الله ، واخفاق الزوجية فى الوفاء بالغرض منها .

وعلى أساس هذا النظر شرعت حقوق كل من الزوجين قبل الآخر ، وعولجت أمراض الزوجية ، وحلت مشاكلها بما وضعه الشارع لها من أحكام كفيلة باقامة حياة سعيدة وافية بأغراضها ، وعلى هذا الأساس كان نظره الى الروابط الاجتماعية الأخرى ، تلك الروابط التى تقوم على ضرب من الرعاية والولاية والزعامة ، اذ جعل كل فرد مسئولا عما عهد اليه برعايته مطالبا بحفاظه والقيام عليه فى شئونه وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه عبد الله بن عمر : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها » وهى مسئولية تتطلب من كل من فرضت عليه حسن القيام وكمال الرعاية

والمحافظة والعمل باخلاص وأمانة فى مجال رعايته وولايته ، وذلك بأن يستهدف المصلحة فى كل ما يأتيه ويقصد اليه .

وبهذا تقوى روابط المجتمع وتشتد أواصره ، وعلى هذا أسس الشارع أحكامه .

مراعاة الاسلام فى نظره للعقيدة ، والخلق ، ومصالح الدنيا والدين

راعى الاسلام فى أحكامه حقوق الله تعالى ، وما تعبد به الناس من عقائد ، وما دعا اليه من فضائل وأخلاق — وكان هذا نتيجة طبيعية لصدورها من الله ، ونزول الوحى بها ، اذ لا يتصور أن يشرع الله للناس ما يخالف دعوته ويتعارض مع ما أمر به ويؤدى بالناس الى غير ما ابتغاه من دينه وذلك بتدنيس نفوسهم وافساد قلوبهم ولكن الشارع الحكيم حين شرع دينه شرعه عقيدة وعملا ، غايتهما واحدة وأثرهما واحد ، فكان له بهما أبعد المدى ، وأبلغ الأثر فى هداية الناس الى طريق كمالهم بتطهير قلوبهم وتزكية نفوسهم بمراعاته هذه الشريعة من فضائل، وما رغبت فيه من أخلاق، وباقامتها على أساس من التوجيه الفكرى عن طريق العقيدة واستعمال النظر والتدريب العملى بطريق العبادة ومراعاة الخلق الكريم مع النظر الى مصلحة المجتمع ، فكانت لذلك أحكامها متسقة مع الخلق والفضيلة والعقيدة غير موجهة الى المصالح الدينوية وحدها ، وقد قال الله لرسوله فى شأن ذلك « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » ، وبذلك تميزت قواعد التشريع الاسلامى بابتنائها على العقائد والاخلاق من ناحية ، وعلى المصلحة الدنيوية من ناحية أخرى ، وكانت نظاما شاملا متجانسا متكاملا روعيت فيه مصالح الناس فى دنياهم وفى آخرتهم ، وكانت بسبب هذا الى نفوس الناس محببة ، ولها من ضمائرهم عند ارادة اغفالها وتركها مراقبة ، ومحاسبة .

وكذلك كان نظر الاسلام الى شريعته وقد أراد بها صلاح الناس الا تكون نزعتها نزعة مادية خالصة ، بل جعلها شريعة وسطا بين النزعتين المادية والروحية حتى تكون من ناحية ماديتها تشريعا واقعيا يسهل اتباعه ، ومن ناحية روحيتها تشريعا خليقا بعيدا عن الأثرة حتى لا تغفل فيها مصالح الجماعة ، ولذا كان للانسان فى هذه الشريعة كل ما يسمو به عن الرضا بالدون فى حياته الدنيا ، والرضا بغضب الله وعذابه فى حياته الآخرة ، فتمضى كل نفس حسب استعدادها الى ما فيه رضاها وطمأنينتها سعيا فى مناكب الارض ، سعى المؤمل فى حياة دائمة لأجل الدنيا ، وسعى المرتقب لأجله فى غده لأجل الآخرة .

على هذا النظر أقام الاسلام شريعته . .

هذه هى الأنظار التى تصور لنا الفكر الاسلامى فى تشريعه الخالص من الشوائب ، ومما لبس به من أهواء الناس ، وضلالات المبتدعة ، وأباطيل المنافقين ممن اتخذوا الشريعة سبيلا الى ارضاء ذوى السلطان ، أو اغواء

النفوس متابعة للشهوات ، فأفسدوا أعمالهم ، وأضلوا نفوسهم وبــاءوا بخسران مبين .

ذلك ما انتهى اليه فكرى واهتدى اليه حكمى فى بيان اتجاه التشريع الاسلامى أو بيان الفكر الاسلامى التشريعى واكتشاف أسسه واستبانــة أهدافه وتحديد غاياته ، وقد ذكرت ما كان لهذا الفكر من سند فى القرآن الكريم وفيما حواه من أحكام بين عللها وأظهر حكمها وأهدافها وفيما كان لكل ذلك من توجيه لأصحابه ومن جاء بعدهم فى استنباط الاحكام وفهــم لكتاب الله وفيما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هدى فــى تشريعه وبيان لنصوص الكتاب وفى تأصيــل الاصول ووضع القواعــد والضوابط والتطبيق على ما كان يعرض لهم من وقائع وأحداث وتعــرف أحكام كل ما كان يستجد فى زمنهم من حوادث وينزل بهــم من نــوازل لا يمنعهم من هذا النظر الا يجدوا بعد البحث نصا من كتاب أو سنة لعلمهم أن شريعة الله عامة شاملة لا تضيق بأحكامها وأصولها عن حكم لله تعالى فى كل ما يحدث أو يستجد وان للعقل كفايته وقدرته فى تعرفه وكشــفه مــا استعان بنصوص القرآن واهتدى بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلــم فى تشريعه وبيانه وسلك مسلك أصحابه من بعده فى أظهاره واستخراجه وكل هذا قد صار موفورا لدينا بفضل ما قام به سلفنا الصالح من جمــع وتدوين .

وانا لنشاهد الآن تجدد الوقائع وتتابع الاحداث وتنوع المعامــلات بسبب تطور الاعراف والعادات والمعاملات وتجدد الاختراعات والاكتشافات ونحن أمام ذلك جامدون واقفون لا نتحرك ولا نستجيب لما أمرنا به من نظر وبحث ، والناس حيارى يضجون بالشكوى من حيرتهم فى أحكام ما تلجئهم اليه حاجاتهم من حديث المعاملات وجديد الاستثمار وتسوقهم اليه معاملاتهم من غيرهم ، مما لا سبيل الى مجانبته من معاقدات ليس لها فيما سبــق مثيل ولا فيما يعرفون حكمه نظير ولا يجدون مع ذلك مفرا عنها أمام دوافع الحياة الاقتصادية المعقدة ودواعى الاغراء المختلفة .

ألم يأن لأولى الفقه والنظر أن ينظروا فى هذا الأمر باحثين عن حكم الله تعالى بقدر جهدهم فيما هو مماثل أمامهم من وسائل الاستثمار بواسطة صناديق التوفير واستمارات الاستثمار على اختلافها وايداع الامــوال للاسترباح وعقود التأمين المختلفة وعقود المقاولات وغير ذلك من الاعمال المصرفية والمبادلات النقدية حتى يكون الناس على بينة من حكم شريعتهــم فيما يقبلون عليه أو يلجئون اليه من هذه الاعمال — وقد قرر المؤتمر الاول لمجمع البحوث الاسلامية جواز الاجتهاد الجماعى فيما يجد من الحوادث التى لا يرى لها حكم فى مذهب من المذاهب — ومن له غير مجمع البحوث — كما حض هذا المؤتمر على اصدار الفتاوى والاحكام المستمدة من أصــول الاسلام فيما يحدث ويستجد من المشكلات ، وانى لأرجو أن يستجيب مجمع البحوث لذلك حتى يبرأ مما قد ينسب اليه من تقصير ، والله الموفــق للصواب .

دراسات فى
علوم القرآن

الرسم العثماني للمصحف، ولماذا ينفرد به ؟

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

— ١ —

من المسلم به أنه لأول اتصال المسلم بالقرآن الكريم عن طريق تلاوته فى المصحف مكرها ، وأن يرد نفسه — حزينا أسفا — عن مورده العذب ، وثمره فى الخط العربى التى يجرى عليها الآن ، حتى أن كثيرا من الذين يرجعون الى كتاب الله عن طريق المصحف — لأول مرة — يجدون أنهم بين يدى نمط جديد من الكتابة لم يألفوه ، وأن على من يريد منهم أن يقرأ المصحف قراءة صحيحة أن يرجع فى ذلك الى معلم يعلمه ، ودارس يدرس عليه ، والا وقع فى حيرة وبلبال ، وكان أقرب طريق يأخذه للخروج من هذا الموقف ،هو أن يعتزل المصحف ، مكرها ، وأن يرد نفسه — حزينا أسفا — عن مورده العذب ، وثمره الطيب المبارك ، فذلك — فى تقديره — أدنى الى السلامة ، وأبعد من الوقوع فى المحظور !

— ٢ —

من أجل هذا تقوم بين الحين والحين تلك الدعوات التى نسمعها تتردد فى مختلف آفاق الاسلام ، الى تحرير المصحف من الالتزام بالخط العثمانى ، وكتابة القرآن الكريم بالخط المقروء للناس اليوم ، والمتداول فى الكتب والصحف وغيرها ، حتى يقبل كثير من المثقفين على تعلم كتاب الله ، وحفظه قراءة من المصحف ، الأمر الذى يحول بين كثير منهم وبينه ، استغلاق وقراءة الرسم العثمانى عليهم ، وهو الرسم الذى تلتزمه المصاحف فى جميع البلاد التى تقرأ العربية .

ويتساءل المتسائلون : لم لم تأخذ هذه الدعوات طريقها الى التحقيق ؟ ولم لم تجد استجابة من المسلمين فى أى عصر من العصور ، وبين أيديهم دعوة تلتقى مع شريعة هذا الدين القائم على اليسر ، ورفع الحرج والاصر عن الناس ؟ وأمر القرآن الكريم هو يسر كله ، فى بلاغة الأداء ، وتناغم الألفاظ ، ووضوح المعانى ، وقرب تناولها من سماواتها العالية .. والله سبحانه وتعالى يقول : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » .. فكيف يتفق أن يكون القرآن على هذا القرب واليسر ، فى جوهره ، وعلى هذا الكرم والجود عطاياه ، ثم تكون الوسائل اليه على الطريق الوعر ، المحفوف بالمعاثر والمزالق ؟!

— ٣ —

ولا نحسب أن هذه الحقيقة قد غابت عن أسلافنا ، رضوان الله عليهم ، فلقد واجهوا هذه المشكلة — ان صح أن نسميها مشكلة — ولكنهم آثروا أن يكتبوا المصحف على هذا الأسلوب ، كما ارتضى الذين جاءوا من بعدهم أن يبقوا الكتابة المصحفية على ما هى عليه فى مصحف عثمان ، رضى الله عنه ، دون أن يمسوا صميمها .. ولقد سجل كثير من الأئمة العلماء الفقهاء رأيهم فى عدم المساس بالكتابة الاسلامية التى كتب عليها المصحف العثمانى ، معللين لهذه الآراء ، أو مرسليها بغير تعليل ، اذ كان الأمر عندهم من المسلمات التى لا ينازع فيها ..

يقول الامام أحمد بن حنبل — رضى الله عنه — : « تحرم مخالفة خط مصحف (عثمان) فى ياء ، أو واو ، أو ألف ، أو غير ذلك » .. فهذا الامام الجليل يؤثم الخروج على الخط العثمانى الذى كتب عليه المصحف ، ويرتفع بالخروج عليه ، الى درجة التحريم ، لا الكراهية ، كما يرى ذلك بعض الفقهاء ..
وسئل الامام مالك رحمه الله : هل يكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء ؟ فقال : « لا ، الا على الكتبة الأولى » يقصد المصحف العثمانى ..
ويقول الزركشى (صاحب البرهان فى علم القرآن) : « الخط ثلاثة أقسام : خط يتبع الاقتداء السلفى ، وهو رسم المصحف ، وخط يجرى على اثبات ما أثبته اللفظ ، واسقاط ما أسقطه ، وهو خط العروض .. وخط يجرى على العادة المعروفة ، وهو الذى يتكلم عنه النحوى » ..
ويقول البيهقى (صاحب كتاب دلائل النبوة) : « من كتب مصحفا ، فينبغى أن يحافظ على طريقة الهجاء التى كتبوا بها المصاحف ، ولانخالفهم فيها ،

ولا نغير مما كتبوا شيئا ، فانهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا .. فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم » ..

— ٤ —

ولا شك أن هذه المقولات ، وتلك الآراء ، التى صدرت من علماء وأئمة لهم قدرهم ووزنهم فى الأمة الاسلامية — قد كان لها أثرها فى الابقاء على الكتابة المصحفية العثمانية الى اليوم ، والى ما بعد اليوم ان شاء الله .. ولكن — مع هذا — فان كثيرا من النفوس لا تتقبل هذا الأمر الا محرجة معه ، ضائقة به ، اذ تطرقها التساؤلات عن الحكمة فى التمسك بهذه الكتابة المصحفية التى تستغلق على كثير من القارئين لكتاب الله فيها ، فلا يجدون الجواب المقنع الذى يستريحون له ، أو يطمئنون اليه .. وأكثر من هذا ، فانهم يجدون أن المصحف العثمانى ، كان خلوا من النقط والشكل ، فلما كثر اللحن والتصحيف فى قراءته ، رأى المسلمون فى وقت مبكر جدا ، أى فى زمن الحجاج الثقفى ، أن يدخلوا النقط والشكل على كتابة المصحف ، ولم يمنعهم توقيرهم واحترامهم لهذا الأثر الصحابى أن يديروه على الوجه الذى اقتضته الضرورة ، ودعت اليه ظروف الحياة المعاصرة .. !! فلماذا اذن لا نستجيب نحن لحاجة عصرنا ؟ ولماذا لا ندير الخط الاسلامى للمصحف على الوجه الذى يعصمنا من التصحيف أو التحريف عند قراءته ؟

والحق أن هؤلاء المتسائلين لهم أن يتساءلوا ، ولهم أن يطلبوا الجواب المقنع لما يتساءلون عنه فى هذا المقام ، والا ظلت هذه القضية قائمة بغير حكم قاطع فيها ، يمسكون بها فى صدورهم ، خواطر مزعجة ، ومشاعر قلقة ، أو يرسلونها دعوات هادئة هادية ، أو صيحات ثائرة ساخطة ، تثير غبارا ، وتحدث بلبلة وازعاجا ..

— ٥ —

والذين هم على صلة بكتاب الله ، وعلى اتصال بمدارسة علوم القرآن ، يجدون بين أيديهم أكثر من داعية ، وأكثر من حكمة تدعو الى الاحتفاظ بالرسم العثمانى للمصحف ، دون اجراء أى تعديل املائى عليه ، بالزيادة أو الحذف ، الا ما كان قد دخل عليه من النقط والشكل ، الذى صنعة الحجاج عن مناصحة ومشورة من علماء عصره .

ولعل أول شعور يدخل على المسلم ، وهو بين يدى المصحف أن هذه الكتابة الاسلامية التى هو عليها ، هى أثر صحابى ، يجد فيه ريح النبوة العطر ، ويستروح أريجها الطيب الزكى .. وهذا السبب وحده كاف للاحتفاظ بهذا الأثر العظيم ، الذى يجعل رسم المصحف على هيئة فريدة متميزة ، لا يشاركه فيها غيره مما كتب الناس ويقرءون فى الكتب ، والصحف والرسائل وغيرها .. ثم هو من جهة أخرى يحمل المسلم الحريص على دينه أن يبذل شيئا من جهده ، وأن يهيىء نفسه ، ويعدها اعدادا خاصا قبل أن يضع كتاب الله بين يديه ، فلا يهجم على المصحف فى غير تهيؤ واستعداد للقائه .. ان هذه الوقفة التى

يقفها المسلم فى مقام التعلم للقراءة المصحفية ، هى استحضـار لمشـاعره ، وايقاظ لوجدانه ، أشبه بما يكون منه قبل الوقوف بين يدى ربه فـى محراب الصلاة ، من وضوء ، وأذان ، واقامة ، وتكبيرة احرام .. فاذا التقى بالمصحف بعد هذا ، التقى به وقد نقلته هذه الوقفة من حال الى حال ، ومن مقـام الى مقام ، وهذا ما يليق بكلام الله ، الذى هو صفة من صفاته ، وصفاته عين ذاته ، وتجليات من تجليات ذاته ..

أفليس هذا وحده كافيا للتمسك بالرسم المصحفى للقرآن ، باعتباره ميراثا اسلاميا ، وأثرا صحابيا ، وشاهدا من شهود عصر النبوة ، ومعلما من معالـم هذا العصر العظيم ؟ وبلى ، ثم بلى !!

— ٦ —

فاذا انكشف لنا بعد هذا أن الرسم العثمانى للمصحف القرآنى يقـوم فيما يقوم عليه ، على اعتبارات تتصل بالقرآن ذاته ، لا من حيث الرسـم الاملائى لألفاظه وحدها ، بل ومن حيث دلالة هذه الألفاظ على معان يشير اليها رسم اللفظ على صورة خاصة ، مغايرة للنمط المعهود فى الرسم الاملائى المتواضع عليه فى هذا العصر عصر كتابة المصحف العثمانى — أقول اذا انكشف لنا أن وراء الرسم العثمانى لبعض الكلمات ، اشارة دالة على معنى ، أو ملفتة اليه ، أفلا يكـون ذلك أمرا ملزما لنا نحن المسلمين ، أن نقوم له مثنى وفرادى ، وأن ندفع عنـه كل خاطر أو وسواس يريدنا على أن نغير من رسم المصحف ، بحجة التيسيـر على من يريد تلاوة آيات الله منه ، فتلـك حجة داحضـة أمام هذ هالمعجـزة المتحدية ، التى يحملها الرسم العثمانى بين يديه ، والتى هى نفحة من نفحـات كتاب الله ، وسر من أسراره ؟

وبلى .. أن ذلك أمر ملزم لا فكاك لنا عنه ، ولا تحلة لنا منه ، أن كان بنا حاجة الى فهم كتاب الله ، والى الوقوف على بعض أسراره ، وانها لحاجة قائمة أبدا ما دام لنا مقام بين يدى كتاب الله ، الذى لا تفنى عجائبه ، ولا تنفذ أسراره ، مهما ترددت عليه الانظار ، وتواردت على موارده العقول والأفهام .

— ٧ —

ولقد يسأل سائل : أهذه الدلالات المستقرأة وراء رسم الكلمات المصحفية ، يمكن التعرف عليها ؟ وهل تقع من الأنظار المتوسمة فيهاموقعا واحدا ؟ وهـل تعد هذه الدلالات تفسيرا لتلك الكلمات ، وبيانا لمعناها ؟ وهل نجد لذلك أمثلـة وشواهد ؟

ونقول ان علماء القرآن لم يغب عن انظارهم هذا الأمر ، ولم يفتهم الوقوف عند هذه الظاهرة التى انفرد بها رسم المصحف ، بل وقفوا عندهـا طويلا ، وحاولوا أنيعللوا لها ، وأن يكشفوا عن بعض أسرارها ..

وانه لطبيعى أن تختلف الأنظار فى هذا المجال ، وأن تتعدد وجهات النظر فى التعرف على المدلول الذى يشير اليه رسم الكلمات على تلك الصورة الخارجة

على المألوف ، اذ كان هـذا الرسم ـ كما قلنا ـ لا يعدو أن يكون أشـارة من طرف خفى الى أن وراء هذه الكلمات شيئا غير ما يدل عليه ظاهرهـا .. وأن الأمر يقتضى شيئا من النظر والتأمل ، أكثر مما يعطى لغيرها من الكلمات التـى كتبت على ما هو مألوف فى الخط العربى ..

وعلى هذا ، فان ما يأخذه الناظرون فى هذه الكلمات من معـان ، هو اجتهاد يعين على طول الصحبة لكتاب الله ، وترداد النظر فى هذه الكلمات ، ومقابلة بما يدخل معها فى القاعدة الاملائية .. ولا يجرى على طريقهـا فـى الخروج عن هذه القاعدة .. فبهذا ونحوه استطاع علماء القرآن أن يقيموا لهم مفهوما لتلك الكلمات ، وأن اختلفت مفاهيمهم ، وتعددت آراؤهم ..

وقد يقول قائل : وماذا أعطى هذا الرسم اذن من جديد فى هذا المقام ، اذا هو لم يعط للكلمات مفهوما واحدا يرتفع به الخـلاف بين المفسـرين لها ، والطالبين لتأويلها ؟ وما الفرق اذن بين هذه الكلمات فى رسمها الذى جـاءت عليه ، وبين غيرها من كلمات القرآن التى جاءت على الرسم المألوف ؟

ويتضح لنا الجواب على هذا فيما نعرضه من أمثلة لنظر العلماء فى بعض هذه الكلمات ، وفى فهمهم لها ، وفى تعقيبنا على هذا بما استقام لنا نحن أيضا من فهم ، نرجو أن يكون قائما على طريق الحق .

— ٨ —

ففى قوله تعالى : « لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه » « زيدت ألـف فى رسـم كلمة » لا أذبحنه « فكتبت بلام وألف بعدهما همزة ، على خلاف كلمـة (لأعذبنه) التى كتبت على الرسم الاملائى المعروف .

ويقول علماء القرآن تعليلا لهذا : ان من القواعد المقررة فى فقه اللغة ، أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .. فأشعر ذلك بأن الزيادة هنـا ليسـت زيادة فى المعنى الاشتقاقى للكلمة ، وانما هى زيادة بالنسبة للفعل المصاحـب لها ، فدلت الزيادة فى (لا أذبحنه) على أن سليمان يقصد بالذبـح فعلا أشـد وأنكى من فعل العذاب الذى توعد به الهدهد أولا !!

ونقول ـ والله أعلم ـ ان هذا الرسم الذى خرجت به كلمة (لا أذبحنه) على القاعدة المعروفة ، يراد به أن فعل الذبح خارج كذلك على مدلول الذبـح المألوف ، والذى يقع على الحيوان المراد تزكيته وتطهيره بالذبح ، حتى يـكون صالحا للأكل .. والهدهد طائر لا يؤكل ، ومن ثم فهو لا يذبح ، فاذا ذبح كـان ذبحه عقوبة له ، أشبه بذبح نفس حرم الله قتلها الا بالحق ! فـالذبح للهدهـد هنا ، هو عقوبة على جناية جناها ، تستوجب قتله !!

ومثل آخر نجده فى قوله تعالى : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبـالا ولا أوضعوا خلالكم » .. فقد كتب الفعل : « ولا أوضعوا » هكذا بزيادة ألـف بعد اللام الواقعة فى جواب لو الشرطية ..

ويقول علماء القرآن ـ ونعنى الزركشى ـ « ان الايضاع أشد افسـادا من زيادة الخبال » على حسب ما تقرر من قبل فى قوله تعالى : « لا أذبحنه » من أن الزيادة ليست زيادة فى المعنى الاشتقاقى للكلمة ، وانما هى زيادة بالنسـبة للفعل المصاحب لها ، وهو قوله تعالى : « الا خبالا » ..

ونقول — والله أعلم — ان الآية فى شأن المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله .. وأن الايضاع ضرب من السير المتماوج ، أشبه بالركض ، وقد يكون هذا الضرب من السير على طريق الخير ، للسعى فى كسب الرزق ، أو الجهاد فى سبيل الله ، ولكنه هنا سعى خارج على المألوف الغالب من تحرك الناس وتقلبهم فى وجوه الأرض .. هو سعى سقيم معلول ، يتمشى بين الناس كمايتمشى الداء الخبيث ، الذى سرعان ما تنتقل عدواه من السقيم الى الصحيح ..

فالألف الزائدة هنا ، هى اشارة الى أن هذا الفعل فى موضعه هذا ، هو فعل معلول ، ينبغى التوقف عنده ، للفحص عن علته ، التى يحملها فى كيانه ..

ومثل آخر ، للحذف ، لا للزيادة .. نجده فى التفرقة بين رسم لفظ الكتاب ، ولفظ القرآن ..

فقد التزم المصحف الامام رسم لفظ الكتاب من غير ألف ، هذا : (الكتب) على حين التزم رسم لفظ (القرآن) باثبات الألف .. هكذا « القرءان » .

ويقول الزركشى فى التعليل لهذه المفارقة : ان القرآن هو تفصيل الآيات التى أحكمت .. فالقرآن أدنى الينا فى الفهم من الكتاب ، وأظهر فى التنزيل ، قال الله تعالى : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » وقال سبحانه : « كتب فصلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون » .. وقال : « ان علينا جمعه وقرءانه » ولهذا ثبتت فى الخط ألف (القرءان) وحذفت ألف (الكتاب) ..

وفى رأينا — والله أعلم — أن هذا الذى ذهب اليه الزركشى فى التعليل لهذا الاختلاف فى رسم كلمتى الكتاب والقرءان — يقبل أن يضاف اليه قول آخر ، وهو أن الكتاب يحتاج الى عالم بالكتابة ، يعرف دلالة رسم الحروف ، ويقدر على انطاق ما خط فى المصحف ، وليس كذلك الأمر بالنسبة للقرآن ، الذى يمكن أن يتلقى عن طريق السمع من قارىء يقرؤه من الكتاب ، أو حافظ يتلوه من صحائف صدره ، فالطريق الى القرآن عن طريق السماع والمشافهة ، أيسر من الطريق اليه عن الكتاب .. ولهذا رسم لفظ الكتاب بهذا الرسم الذى يدل على الغرابة ، والذى يدعو من يضع الكتاب بين يديه أن يكون على قدر كبير من الحذق والمهارة فى فن الكتابة حتى يستطيع أن يقرأ الكلمات قراءة صحيحة ، وان خفيت بعض أصولها ، وذهبت بعض معالمها .. وفى هذا احتفاء بشأن القراءة ، والتمكن منها ، والاستدلال بالبعض على الكل ، وبالحاضر على الغائب ، وبالمشهود من صحف الوجود على المستور منها .. وليس هذا بالمستغرب من رسالة كان مفتتحها قوله تعالى: « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وهكذا ، يجد الدارس للكتابة المصحفية أكثر من داعية تدعو الى الاحتفاظ بهذا الأثر الجليل ، والابقاء على هذا الميراث العتيد ، الذى هو — فوق ما فيه من اشارات ودلالات تتصل بمعانى القرآن — معلم من معالم العصر النبوى ، وشاهد من شهوده . يصل أجيال المسلمين به ، ويشدهم اليه ، حيث تتفتح قلوبهم ، وتهيج مشاعرهم ، بما يطلع عليهم من ذكريات أيام الله تلك ، التى أشرقت الأرض فيها بنور ربها ، والتقت الانسانية فيها بخاتم المرسلين اليها ، هدى ورحمة للعالمين .

الايمان

٢ عقيدة وعمل

للدكتور : محمد سلام مدكور

انتهينا فى المقال السابق الى ان كل موجود لا بد له من موجد ، وان الايمان بذات عالية رقيبة على السرائر أقوى سلطانا على النفس من مجرد الايمان بقيمة الفضيلة والسلوك الحسن ، وأن الايمان يتحقق بالتصديق ويتم ويكمل اظهاره بالقول والعمل الصالح . ولذا فانه يزيد وينقص ، وأن العمل الذى يكمل الايمان به هو ليس فقط العبادات المألوفة وانما هو كل فعل من أفعال الخير النافعة للجماعة ما دام أسس على التقوى — وقد وعدنا بالكلام هنا عن العقائد التى طلب الشارع منا الايمان بها فنقول :

العقائد الاساسية التى طلب الله منا الايمان بها هى أن نؤمن بالله سبحانه وبصفاته وأنه يصطفى من عباده من يشاء . فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، وأن تبليغ رسالاته لرسله يكون عن طريق ملائكته الذين هم السفراء بين الله سبحانه ورسله وأن نؤمن بما أخبرنا به فى كتبه من البعث والحساب والثواب والعقاب يقول سبحانه جل شأنه « **آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** » كما يقول فى صفات المتقين : « **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** » ..

وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الصحيحين المعروف بحديث جبريل ، جملة ما يجب الايمان به فى قوله وقد سأله جبريل (أخبرنى عن الايمان) ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

والاسلام الذى جاء به محمد — النبى الامى الذى أصطفاه ربه من بين خلقه فأعده لتحمل رسالته — لا يحمل الناس على الايمان بهذه العقائد على كره منهم اذ يقول الله سبحانه : **(لا اكراه فى الدين)** ويقول لنبيه : **(ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .**

كما لا يحملهم على الايمان بها عن طريق الخوارق والمعجزات وانما يوجههم الى ذلك بالحجة والبرهان مخاطبا عقولهم لا عواطفهم ، فوجههم الى النظر فى أنفسهم كيف وجدوا ، وفى الكون المحيط بهم الملىء بالأسرار والقدرات يقول الله : **(وفى الارض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون)** ويقول : **(ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)** ويقول سبحانه: **(وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) .**

وهكذا نرى ان استعراض عجائب الطبيعة والكون كان لتوجيه كل عاقل الى الايمان به ، بل على رأس ما يوجه الى الايمان به ، بل على رأس ما يوجه فى نفسه ودقة تركيبه : النطفة وتحركاتها وتطورها الى مراحل الانسان المختلفة كما يقول الله سبحانه : **(ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) .**

تأمل سيطرة المخ على سائر أعضاء الجسم ، وتأمل حركة القلب ونبضه فى دقة دون توقف ، تأمل عدسة العين التى بها الابصار ، وهى تلقى صورة على الشبكية وهى طبقات عشر منفصلة وهى فى مجموعها ليست اكبر سمكا من ورقة دقيقة والطبقة التى فى أقصى الداخل تتكون من اعداد ومخروطات تبلغ الملايين عددا . .

تأمل المعدة وهى تتلقى كل ما ترسله اليها من طعام وشراب على اختلاف أنواعه وأصنافه وعديد عناصره . فتتحلل كل هذه الانواع تحليلا كيمائيا فى أكبر معمل كيمائى من صنع الله ، وتوزع الى مواد تصلح الى كل خلايا الجسم التى تزيد عدها فى جسم الفرد على عدد الجنس البشرى كله، ويجب ان يكون التوريد الى كل خلية فردية مستمرا وبانتظام وبالنوع الذى تحتاجه كل خلية لتحوله بدورها الى عظم ولحم وظفر وشعر . . انها معمل كيمائى ينتج من المواد المختلفة أكثر مما ينتجه أى معمل ابتكره ذكاء الانسان

وان نظام التوريد والتوزيع أدق من أى نظام عرفه العالم ووصلت اليه البشرية فى أزهى عصورها ،فهل وجد كل ذلك مصادفة من تلقاء نفسه أم هو من صنع الله خالق كل شىء ؟!

قد يتشدق انسان جحود ويقول: ان الانسان اوصلته مداركه الى غزو الفضاء والتعرف على ما فيه من أسرار وصنع العجائب والمعجزات ..

ونحن نقول له : من الذى أمده بهذا العقل وأعانه بهـــذا التفكير وزوده بهذه المعلومات ، انه الله خالق كل شىء وواهب الحياة والموت . ومع هذا فهل وصـــل الانسان الى ما وصل اليه باختراع شىء من عنده واستخدام شىء من خلقه هو . أم باستخدام بعض ما اكتشفه فى الكون من قوى . فمن الذى أوجد هـــذه القوى هل الانسان خـــالق الذرة ؟ وهل الانسان تحكم فى الكون واكتشف كل ما فيه ؟ الله جلت قدرته يقـــول على لسان رسوله الأمى : (عـــلم الانسان ما لم يعلم) ويقول : (وفوق كل ذى علم عليم) .

وقد كان أسلوب مخاطبة العقل وحده مسلك المسلمين فى توجيـــه الناس الى الايمـــان فهذا الاعرابى حين سئل كيف عرفت ربك ؟ فقال : (سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امـــواج الا تـــدل على اللطيف الخبير) . وهذا الامام جعفر الصادق وقد جاء له بعض الزنادقة الذين يتشككون فى وجود الله فقال له الامام جعفر هل ركبت البحر ؟ قال : نعم . قال : هل رأيت أهواله؟ قال : نعم . هاجت أمواجه ذات يوم فتكسرت بنا السفينة وكادت الامواج أن تبتلعنا فتعلقت ببعض ألواحهـــا وفجأة انفلت هذا اللوح من يدى وغلب اليأس على نفسى وكدت استسلم للغرق وان كنت أرجو السلامة فقال له الامام جعفر : ممن كنت ترجوها ؟! فسكت الرجل . فقال له الامام جعفر: انك كنت ترجوها من الله الذى عرفه قلبك وقت الشدة . وهذا الامـــام أبو حنيفـــــة وقـــــد أراد بعض الملحدين أن يفتكوا به خلســـة وهو بالمسجد ليتخلصوا من مهاجمته لهم فلم يقنط من رحمة الله ، وقال لهم فى ثبات وايمان : أجيبونى عن مسألة ثم افعلوا بى ما شئتم : فقـــالوا : مامسألتك فقال:انى رأيت سفينةمليئة بالبضائع تمخر عباب البحر تحيط بها أمواج متلاحقة ، وعواصف قوية ومن الغريب أنها تسير فى خطها باتزان وثبات دون ان يكون لها ملاح يقودها ويوجهها ولا أحد يتحكم فيهـــا فى مسيرتها . فسخروا منه فقالوا : كيف تحملنا على تصديقك فى شىء لا يقبله العقل ولا يتصوره ؟ فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله لا يقبل عقلكم ذلـــك ويقبل ان يقوم هذا الكون بما يحتويه من كواكب ونجوم ونظام دقيق من غير صانع ولا حافظ ومسير ؟! فبهتـــوا وآمنوا وحسن ايمانهم ..

وهذا الامام الشافعى وقد سأله بعض الملحدين الدليل على وجود الله فقال : ورقة التوت طعمها ولونهـــا وريحها وطبعها واحد لكن تأكلها دودة القز فتخرج الحرير ، ويأكلها النحل فيخرج العسل ، وتأكلها الشاة فتربى اللحم وتخرج اللبن ، وتأكلها الظباء فتغذيها وينعقد فى غوالجها المسك . فمن الذى جعل هذه الاشياء متنوعة الافرازات والغذاء واحد !! انه الله ســـبحانه ..

فالايمان بالله وانه وحده بجانب العبد يعينه ويشد أزره له قيمة لا يقدرها الا المؤمن ، وأن الفضائل الاجتماعية خاصة انما هى أثر من آثار الايمان بالله . واذا تأملت ما دعا الله سبحانه فى كتابه عباده الى الفكر فيه اوقفك على العالم به سبحانه وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته واحسانه وبره ولطفه وعدله ، ورضاه وغضبه وثوابه وعاقبه فبهذا تعرف الى عباده وندبهم الى التفكير فى آياته . .

ففيم يختلف الناس فى أمر هذا الخالق وكيف يتنكر الناس للقائه بعد ذلك . اليغالطوا عن الحقائق أنفسهم فيعيشوا فى الدنيا كما تعيش الانعام ويتمتعوا كما تتمتع ويرخوا لانفسهم حبل الامل فى حياتهم لتلعب وترتع؟! ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون . **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) .**

ثم حسبك ان الله سبحانه يكرر تصوير هذه المعانى لافتا بها الاذهان الى تقويم العقيدة وغارسا بها فى النفوس الطيبة معانى الاذعان لله سبحانه وحده بالعبودية ولصفاته بأنها فوق مستوى التصوير والادراك وهكذا نجد منطق القرآن الكريم الذى هو خير مؤدب لمن تعلمه وأكبر موجه لمن تدبر فى آياته ذلك المنطق يقضى بربط النظر فى الكون وفى أنفسنا بتصحيح الايمان واصلاح العقيدة اصلاحا يحقق معنى خلافة الله فى الارض وان يقوم الناس بالاحسان والقسط ينشرون العدل والسلام ويتعاطون فيما بينهم الحب والوئام. فلعمر الله ان من لم يتعظ بتوجيهات الله سبحانه بعد أن يؤمن به ايمانا كاملا صحيحا ، ويتدبر ما لفت اليه الذهن والروح لجدير أن تزيغ عقيدته وأن يمشى مكبا فى هذه الحياة على وجهه **(ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور) .**



لغة القرآن الكريم

اللواء الركن محمود شيت خطاب

أمضى الطالب المجد المجتهد عشرين سنة فى دراسة علوم اللغة العربية نحوا وصرفا ، وحين أتقن تلك العلوم سأل أستاذه قائلا : « لو بسطت كتب اللغة العربية لأتقنت علوم العربية بسرعة ولاقتصدت من عمرى أكثر ما أنفقته فى الدراسة » فقال الشيخ النحوى : « لو بسطنا هذه الكتب ، فمن أين نأكل ؟ ! » . .

لقد هول قسم من أساتذة اللغة العربية أمر تعلمها ، وجعلوه بدرجة من الصعوبة والتعقيد بحيث لا يقوى على تعلمها أحد الا بمشقة بالغة وجهد جهيد . .

وكثيرا ما نسمع بعض الناس يرددون تأكيدا لصعوبة تعلم اللغة العربية قول أحد أئمة النحو الذى قال : « سأموت وفى نفسى شى من

حتى » .. ولا أحسب الرجل قال هـذا الكلام ، ولا أدرى كيف يصدقه عاقل ..

وجاء الاستعمار فوجد فى هذه الفريسة فرصة ذهبية له : يروجهـا لابعاد العرب عن اتقان لغتهم ، وابعاد المسلمين عـن تعلمها بحجـة أن العرب يصعب عليهم تعلمها ، فكيف بغير العرب .. !

وسافرت البعثات العلمية من العرب الى الخارج ، فتلقى العـلم كثير من الطلاب العرب على أساتذة من يهود وحاقدين على العربية ، وتلقوا مع فتات العلم كره العربية والاشمئزاز منها .

ولم يكن للعديد من هؤلاء الطـلاب العرب رصيد من علوم العربية فصدقوا مزاعم أساتذتهم الأجانب ، فلما عادوا الى الوطن العربى بدأوا ينفثون سمومهم بترديد مزاعم أساتذتهم على أسماع التلاميذ والطـلاب العرب ، ثقة بتلـك المزاعم تـارة ، ودفاعا عن جهلهم بلغتهم العريقـة تارة أخرى .

وقد أتى على قسم من الاساتذة العرب الذين تعلموا فى الخـارج حين من الدهر ، كانوا يذكرون الكلمة الاجنبية ثم يقولون : لا نعرف كيف نعبر عنها فى العربية !

وكان أولئك الامعات التافهون ، يتحاورون فيما بينهم باللغة الأجنبية، تظاهرا بالثقافة وأظهارا لعظمة اللغة الغربية من جهة وعجز اللغـة العربية من جهة أخرى .

وظهرت بوادر محاولات مريبة ، مصدرها الاستعمـار وأذنابه ، تحاول احلال اللغة العامية محل العربية الفصحى ، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، بالاضافة الى التخاطب بالعامية من فوق منابر الجامعـات والمعاهد والمدارس .

بل ذهب قسم من هؤلاء الى مدى أبعد ، فألفوا الروايات المأجـورة فى اضحاك الناس على المتكلمين بالفصحى ، واظهارهم بمظهر التخلف والرجعية ..

وقد قرأت مقالا فى مجلة عربية ، كله هجاء مقذع للعربية الفصحى ، قال كاتبه فيه : « أن العربية الفصحى لغة أهل القبور وأهل الكهوف .. » .

وخطط الاستعمار وأذنابه لهدم العربية من أصولها فى محاولـة لاقتلاعها من جذورها ، وذلك باسناد التحرير فى الصحف والمجـلات لمن لا يحسن العربية أو لمن يكرهها ، وبالحط من قيمة المدارس والمعاهـد والجامعات التى تعلم العربية ، وباضعاف القيمة المعنويـة للمدرسين والاساتذة المتخصصين باللغة العربية باعتبارهم من الدرجة الثانيـة أو الثالثة بالنسبة لغيرهم من المدرسين والأساتذة ، وبالاصرار المتعمـد على تخريج معلمين وأساتذة للعربية ضعفاء فى مادتهم أو يكرهون العربيـة ، وبمكافحة سدنة اللغة العربية من الشيوخ والاساتذة ، وبترويج النكات التى تمس بسمعة مجامع اللغة العربية وأعضائها فى الوطن العربى ، وبتخصيص الجوائز المادية للذين ينتقدون العربية ويعادونها ..

ولكن ، هل ماتت العربية ؟؟ !

لقد تأثرت الفصحى بتلك المحاولات ، ولكنها لم تمت ولن تموت أبدا ،

وليس الضعف فى العربية ، ولـــكن الضعف فى العرب .. مع الأسف الشديد .

واذا استطاع التافهون والامعات من أبناء العرب الذين حاربوا لغتهم أن يسرحوا ويمرحوا ساعة ، فلـــن يستطيعوا أن يسرحوا ويمرحوا الى قيام الساعة .

إن الخزى والعار يلاحقهم فى حياتهم وبعد موتهم ، كما يلاحق الذى يجرب شجاعته بوالدته فيطعنها من الخلف فلا يفعل أكثر من اثبات خسته وجبنه الأصيل .

فما هى أهداف مخططات دعاة العامية ودعاة الكتابـــة بالحـــروف اللاتينية ؟

ان أهداف دعـــاة العامية كثيرة جدا ولكن أهمهـــا قطع دابـــر أول أساس من أسس الوحدة العربية وأول دعامـــة مـــن دعائم التعـــاون الاسلامى ..

إن أول مقومات الوحدة هى اللغة ، وحين نذكر الوحدة العربيـــة ونطالب بها ، نذكر اللغة المشتركة بين العرب مقومـــا أساسيا للوحـــدة فاذا تكلم كل قطر بلغته العامية المحلية ، استحال التفاهم بالعامية بين العرب ..

كان أحد شيوخ فلسطين ضيفى ، وكنا نتحدث عن دعاة العامية ، فضربت له مثلا حيا بالكلام بلغة الموصل العامية ، ثم سألته : هل فهمت شيئا ؟ فقال : لا ..

والأغرب من ذلك ، أن جماعة من سكـــان بغداد كانوا ضيوفى وكانوا يسمعون هذه المناقشة ، فلم يستطيعوا فهم لهجتى الموصليـــــة العامية ..

وقد أرسلت الدار القومية للنشر والتوزيع الى فرعها فى بغداد سنة ١٩٦٥ م بعض الكتب المكتوبة باللهجة العامية ، فلم يشتر أحد نسخة واحدة من تلك الكتب ، وأخيرا أضطر مدير فرع الدار القومية فى بغداد أن يبيعها بالوزن بثمن بخس دراهم معدودات .

ثم إن فى القطر العربى الواحد لهجات عامية متعددة ، فبأى لهجة من لهجات الاقطار العربية يريد أن يكتب دعاة العامية ، بل بأى لهجـــة محلية فى القطر الواحد يريدون أن يكتبوا .

إن الموصل مثلا ، وهى مدينة عريقة فى شمال العراق ، كانت عربية قبل الفتح الاسلامى الذى جرى سنة ست عشرة الهجرية ، وكـــان يقطنها **النمر ، وأياد ، وتغلب حين فتحها المسلمون على عهد الخليفة عمر بن الخطاب** رضى الله عنه .

هذه المدينة الواحدة ، فيها ما لا يقل عن خمس لهجات عامية !

إن اللهجات العامية تمزق كل مدينة عربية ، وتشتت كل قطر عربى ، وتفرق كل الاقطار العربية .

لذلك استهدف دعاة العامية تمزيق الامة العربية وتشتيتها وتفرقة صفوفها ..

هم يريدون أن يجعلوا من الشعب العربى الواحد ، شعوبا كثيرة لا تعد ولا تحصى ..

وهم يريدون أن يجعلوا من الأمة العربية الواحدة أمما ، ومن الاقطار العربية التى ستشملها الوحدة عاجلا أم آجلا باذن الله أقطارا تفصل بينها الحدود والسدود .

وهم يريدون أن يجعلوا من أمل الوحدة العربية التى لا أشك فى تحقيقه مستحيلا من المستحيلات .

لقد ذكر أنتونى ناتنك فى كتابه : « رأيت بنفسى » أن وزارة الخارجية الاسرائيلية صرحت له بأنها ستقاوم كل مشروع للوحدة العربية بكل الوسائل ، لأن فى اتحاد العرب نهاية اسرائيل ..

وأتساءل : هل من الصدفة أن تتفق أهداف دعاة العامية مع أهداف اسرائيل ؟ !

ومن أهداف دعاة العامية أن يصبح هذا القرآن مهجورا .

إن عظمة القرآن هو نسجه البيانى المذهل ، فاذا سادت العامية ، فان لغة القرآن الفصحى لن تفهم للمثقفين بالعامية الا بدراسة اللغة العربية الفصحى .

كانت اللاتينية هى اللغة الأم للاسبانية والبرتغالية والايطالية والفرنسية وغيرها من اللغات ، وحين نجح دعاة العامية وكتب كل قوم بلغتهم المحلية ، أصبح الاسبانى أو البرتغالى أو الايطالى أو الفرنسى لا يستطيع أن يفهم اللاتينية الا اذا درسها وكأنها لغة غريبة جديدة عليه .

وبالتالى ترجم الكتاب المقدس من اللاتينية الى لغاتها العامية المتفرعة منها ، كما أصبحت الدول التى كانت تجمعها اللغة اللاتينية دولا متفرقة حاربت بعضها فى كثير من الاحيان حربا لا هوادة فيها .

فاذا كتب المصرى بالعامية المصرية والسورى بالعامية السورية والعراقى بالعامية العراقية .. الخ .. فان أولادنا وأحفادنا لن يستطيعوا فهم القرآن الكريم الا بعد نقله الى العامية أو بعد دراستهم العربية الفصحى !

وهنا يتفق دعاة العامية مع غلادستون المستعمر البريطانى الشهير واضرابه من أعداء العرب والمسلمين ، فقد قال غلادستون : « لا يزال العرب والمسلمون بخير ، ولا يزالون يصاولون الاستعمار ويحبطون مخططاته ما دام القرآن بين ظهرانيهم .. يجب تمزيق هذا القرآن » ..

وأتساءل مرة ثانية ، هل من الصدفة أن تتفق أهداف دعاة العامية مع أهداف الاستعمار ؟ !

والنتيجة بعد ذلك أن نلغى تراثنا العريق المكتوب بالفصحى جملة وتفصيلا ، ويبقى ركاما فى المكتبات أو سلعة فى السوق الرخيصة التى تبيع أطنان الكتب بأرخص الأسعار .

واللغة العربية : هى الرباط المقدس بين الشعوب الاسلامية باعتبارها لغة القرآن الكريم ، وقد زرت الباكستان عام ١٩٦٤ م فوجدت الناس على اختلاف طبقاتهم يتلون القرآن ويفهمون العربية بمقدار ، وقد احتفل بنا عميد الجامعة الاسلامية فى مدينة (دكا) — أكبر مدن باكستان الشرقية — وحرص على القاء كلمته الترحيبية بالعربية الفصحى بلغة الجاحظ وابن العميد لا بلغة أدباء القرن العشرين .

فاذا حقق دعاة العامية دعوتهم ، فسينفرط هذا العقد الذى يجمع الأمة الاسلامية من المحيط الى المحيط ، ولا تبقى صلة بين العرب ، وإخوانهم المسلمين .

إن اسرائيل تعلم أن المسلمين هم السند القوى للعرب فى المطالبة بحقوقهم المغتصبة ..

وهى تشجع التبشير والمبشرين علنا ، لأنها تعلم أن الذى يصبح مسلما يكون حليفا طبيعيا للعرب وقضاياهم المصيرية .

فكيف نفرط بهذه الصلة الوثيقة بين العرب والمسلمين .. كيف .. ؟

إن يهود العالم يتعلمون العبرية باعتبارها لغة التوراة أولا ولأنها لغة قومية تجمع شملهم وترص صفوفهم ، وتظهرهم للعالم شعبا واحدا وأمة واحدة .

هم يتعلمون هذه اللغة فى أوطانهم الأصلية ، فى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والمانيا وفى كل دول الشرق والغرب التى يعيشون فيها .

وهم يتعلمونها حين يهاجرون الى اسرائيل ويستقرون فيها ، وحينذاك يصبح تعلمها فرضا لا مناص من أدائه .

انهم يحيون لغة ميتة ليعيشوا ..

والمشبوهون من العرب يحاولون إماتة لغة حية لتتلاشى الأمة العربية .

وقد بدأت الهجرة المنظمة الى فلسطين سنة ١٩٠٧ م وظهر وعد بلفور سنة ١٩١٧ م وتكاثفت الهجرة اليهودية الى فلسطين سنة ١٩٢٧ م بمعاونة الاستعمار البريطانى وتشجيعه .

وأتساءل مرة رابعة : هل من الصدفة أن تظهر الدعوة الى العامية فى هذه المدة الزمنية بالذات ؟ !

هل من الصدفة أن يبنى الصهاينة العبرية فى هذه المدة الزمنية تمهيدا لخلق اسرائيل . وأن تظهر بدعة الدعوة الى العامية فى هذه المدة لتكون احدى عوامل البلبلة واضعاف العرب وفك رباطهم بالمسلمين ؟

إن أهداف دعاة العامية هى : جعل الأمة العربية أمما ، ومحاربة الوحدة العربية فى أقوى مقوماتها ، ومحاولة جعل القرآن الكريم مهجورا والغاء التراث العربى الاسلامى جملة وتفصيلا ، وتعطيل التعاون بين العرب والمسلمين ، وتهيئة الأسباب نتيجة لكل ذلك أن تطبق اسرائيل مخططاتها التوسعية الاستيطانية فى اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

واذا كان غيرى قد أحجم عن فضح دعاة العامية قبل اليوم كما ينبغى، فأنا لا أتردد من اتهامهم بالعمالة لاسرائيل وللاستعمار ولأعداء العرب والمسلمين ..

إن وجود أمثالهم بين ظهرانينا من مصلحة العدو ، ما فى ذلك أدنى شك !

تلك هى مجمل أهداف دعاة العامية ، **ولكن الله غالب على أمره ،** وصدق الله العظيم : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، وقد قال المفسرون فى تفسير « حافظون » ـ حفظه عقيدة ولغة .

فما هى أهداف دعاة الكتابة بالأحرف اللاتينية ؟ وما وسائل تعليم اللغة العربية الفصحى ؟

ذلك هو موضوع حديث جديد باذن الله !

القدس

ومصير

القدس ــ أعظم قضايا العالم خطورة

فى الفصل التاسع والستين من المجلد الثالث من (تاريخ العالم) المشهور للسير جون هامرتن ملاحظات دقيقة عن ظاهرة تاريخية تثير العجب ، ألا وهى بروز القدس فى صدر العالم كله ، حين تجتاز البشرية مراحل انتقالية خطيرة مصيرية مؤثرة لمدى أجيال عديدة ..

فالقرن السادس قبل الميلاد شهد انتقال زمام المبادرات الحضارية من أيدى العناصر السامية والمصرية الى أيدى الآريين من فرس ويونان ورومان وفيه دمر بختنصر الهيكل وسبى اليهود الى بابل ، ثم كان انتصار كورش الفارسى لهم ، ورده اعتبارهم ..

وفى القرن الاول الميلادى ، وفيما كان الرومان يؤسسون سلطانهم المطلق على أخطر رقاع الارض ، وأعظمها شأنا دمر الهيكل وأعيد شتات اليهود ..

وكان فى وسع المؤلف نفسه أن يضيف الى ذلك بقية حلقات السلسلة التاريخية الى ساعة الازمة الكبرى التى تواجه العالم اليوم، وتتركز حركة محورها فى القدس ، لولا ان بحثه كان قاصرا على العالم القديم ..

كان فى وسعه أن يضيف أن القرن السابع الميلادى شهد مرحلة حسم تاريخية بظهور الاسلام . .

وان من القدس بالذات كان منطلق الرسول محمد عليه السلام الى السماء وذلك فى الرحلة المعجزة التى أكدت فى أخطر مراحل الدعوة الاسلامية حقيقة تحول التاريخ من المكان ذاته ..

لأستاذ أحمد العناني

الإنسانية

وبعد ذلك بستة قرون أخرى تقريبا ، وفى القدس بالذات ، وفى ليلة الاسراء والمعراج أيضا قرر انتصار صلاح الدين هزيمة الارادة التى حاولت اخراج الاسلام من معركة الوجود القديمة ، بعد أن وضحت نوايا البغى المسدد الى قلب الاسلام على شكل حملة وجهت الى مهد الاسلام فى يثرب ومكة ولكنها فشلت كما هو معروف ..

وبعد خروج آخر جندى من الغزاة من ثغر طرابلس أيام المماليك بستة قرون أيضا ، وفى مرحلة تحول تاريخية فتحت معركة جديدة تحت شعارات جديدة ، ولكنها فى جوهرها مرحلة مستجدة من المعركة القديمة وكانت القدس هى الهدف ، وهى محور الصراع الذى يفتتح تحولا تاريخيا جديدا ..

عداء قديم لارادة الخير فى الوجود البشرى :

ومن كتاب (اليهود والرأسمالية المعاصرة) الذى أعد مادته بصبر عجيب دماغ يمثل كل ما فى العقلية الالمانية من اصرار وعناد فى تحرى الحقائق ، واستخراج مكنوناتها من أدق التفاصيل والشوارد ، فى هذا الكتاب حديث عن حوالى خمسمئة أسرة يهودية يعود بعضها الى أصول أندلسية — وبعض هذا البعض كان منتحلا اسماء عربية ومدعيا الاسلام ، وبعضها يعود الى عناصر يهودية كانت متركزة فى المحطات التجارية لاتحاد مدن الهنسا المهيمنة على تجارة العصر الوسيط ، ومنها ما هو من هذه المدن الايطالية التى انتفعت أعظم انتفاع

من الحروب الصليبية حتى وصل بها الحال الى استدراج الشباب والاغرار لحملات أخرى ثم بيع حمولات سفن منهم رقيقا فى شمال افريقيا وغيرها ..

هذه الاسر تنقلت فى أوروبا الغربية منذ عهد شركات الهند الشرقية المربحة ، وأيام الغزوات الاستعمارية البربرية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية والوسطى ، وأيام المشاريع الكبرى بعد الانقلاب الصناعى فى أوروبا الغربية وترى العائلة تنتحل اسماء مسيحية، وقد تمارس كل ما يمارسه المسيحى فى الظاهر للعيان من حياته ، ثم اذا هى فى مكان آخر وتحت ظرف آخر تتحول لاسماء أخرى وأنشطة مختلفة وقلما تظهر على حقيقتها اليهودية ..

هذه العائلات فيما بينها ، ما ظهر منها وما استخفى ، وما ثبت فى مكان وما انتقل الى سواه ضمن مخطط خفى عجيب كانت المنتفعة الاساسية من كل التحركات والتحولات التاريخية العظمى ، ومن كل المخترعات العلمية ، والاستكشافات الجغرافية ، والتحولات الاجتماعية، والثورات الدامية ، والحروب الاستعمارية ، ثم أخيرا الازمات الاقتصادية الطاحنة والحروب العالمية . ناهيك عن وسائلها الخفية الاخرى ..

وهذه العائلات اليهودية كانت تخطط لشىء كبير جدا فى العالم يكون منطلقه من القدس ..

رجعة ثانية الى (تاريخ العالم) وتساؤلات أخرى أيضا :

ان كاتب الفصل التاسع والستين من المجلد الثالث من تاريخ العالم ليس مسلما ولا عربيا ولكنه دكتور فى اللاهوت ، أجنبى لا أستطيع اثبات جنسيته ، وانما أعود اليه لأقتبس منه بعض فقرات تعيدنا الى أصل الحكاية ، وتلقى على حاضر القرن العشرين أضواء كاشفة تعود الى أكثر من ألفى سنة ، وأحب أن أبين أن ما قد يبدو قديما موغلا فى القدم ، مبتور الصلة بالحاضر فى حياة الشعوب قد يكون حاضرا ماثلا كالعيان فى حاضر اليهود ، لان جوهر المزايا اليهودية التى تستطيع تجديد عذاب الانسان فى الارض ما يزال باقيا على حاله ، وهو جوهر عبقرى فى اصراره وعناده وثباته ، قادر على احتمال سائر المناخات فى المجتمع الانسانى ، لم ينهزم هزيمة صريحة مشروعة بشكل الحق ومحتواه الا على يد محمد صلى الله عليه وسلم ..

والآن الى فقرات كتاب (تاريخ العالم) (ان فى تفكير حزقيال — وهو مبلور خطط اليهود بعد عذاب السبى فى بابل — ناحيتين لا تتفقان مع تفكير الناس أولاهما تلك الرؤى التى يرى فيها حربا هائلة يخوضها يهوه وشعبه ضد حلف من الامم المعادية) ..

(ان العادات الطقسية كالاسبات وقوانين الطعام وتحريم الزواج من غير اليهود كانت أكبر عون على خلق قومية أساسها الدين ينفرد بها اليهود عن سائر الامم) ..

لقد ولدت عنصرية القومية الدينية اليهودية فى جو من الكراهية والآلام وكان استمساكها بالطقوس والمظاهر الهيكلية أساس

اتجاهها الى التعصب والقسوة والفساد وكراهية سـائر خلق الله ، ناهيك عن لون عجيب من الغطرسة والغرور ، واحتقار ذكـاء سائر البشر الآخـرين ، والتطلع الى تسخير الشعوب بمختلف الوسائل ، وتفضيل ما كان يوصل الى الغايات المرسومة من تلك الوسائل بأضمن طريقة وأسرعها ، كنشر الفساد والانحلال الخلقى ، وافساد الضمائر والتضليل والعهر والفتنة ، واثارة الشكوك وتهديم ثقة الناس ببعضهـم ، والتعويل على الاشاعات الكاذبة والحروب النفسية ، وكل وسيلة توصـل الى خطط اضعاف الآخرين وتسخيرهم واستغلالهم ، وفى سائر هـذه الوسائل يكون الذهب هو المحرك الرئيسى ، ولا يوجد أدنى ريب فى أن أساطين اليهودية وموجهيها يفاخرون فيما بينهم بكل ما أحرزوه من نجاح بهذه الوسائل جميعها ..

ومهما قيل عن مقررات حكماء صهيون وملاحقها السرية ، والوقت الذى يتطلع اليه مخططو اليهودية للاعتراف العلنى المتباهى بأمثـال تلك المقررات وما نتج عنها من آلام رهيبة ، وسقط فى سبيلها من ضحايـا الا ان تساؤلات كثيرة جدا على امتداد التاريخ تؤكد مسئولية اليهودية ـ ولا أقول الصهيونية عامدا متعمدا ـ لان هذه الاخيرة ان هى الا شكل متطور من الاساليب التـى أشرت اليها ـ عن أكبر قسـط من مصائـب الانسـانية .

وما اقترب اليهود يوما من هدفهم فى الهيمنة على القدس الا والعالم يتلوى ألما من مصائب انهيارات خلقية ، تتميز باستعلان الرذائل ، وانحلال الذمم ، وانتشار الفساد والرشوة ، وتهدم القيم الانسـانية ، وسفـك الدماء بلا حساب .

وأريد أن ألقى بتلك التسـاؤلات التـى ان لم تحمل اثباتا علميـا فهى لا تدع شكا فى الجهة التى ينبغى ان تتجه اليها أصابع الاتهام ، وتحملها وزر آلام هائلة تحملتها الانسانية ضريبة للعقد المترسـبة فى تقاليد اليهودية ومخططاتها الرهيبة ..

افتتح الكلدانيون مناطق كثيرة فى العراق وسوريا وجنوبى ايـران فلماذا لم يسبوا وينفوا الى بابل غير اليهود ، ولماذا اختصوا هيكلهم فى القدس بالتدمير التام ؟

لماذا أصبحت بابل قبل مجىء الفرس مركز تجميع ثروات هائلـة ، كما أصبحت مركز الاساطير والسحر والشعوذة ؟

من الذى كان فى ركب الفرس يقود خطى فتوحاتهم فى الشرق الادنى ؟ ولماذا بدا كورش وكأنما هو ملك اليهود دون الفرس ، وما سر حماسته لهم ، وتبنيه قضيتهم ؟ ولماذا شـغل بهم هـو وخلفاؤه أكثر مـن انشغالهم بقومه الفرس ؟

كيف تسنى لليهود ذبح الحاميات الرومانية ، وتقتيل أطفال ونساء جنود الفيالق الرومانية المقاتلة ضد البارثيين ، والنجاة من كل عقـاب مرة بعد مرة ؟

لماذا وجد تيتوس احب ابـاطرة الرومان لشـعبه من الضرورى هـدم الهيكل وتشتيت اليهود ؟ من الذى حول الرومان من أمة تتعبد الاستقامة والبساطة الى عباد ترف ، وأعلام فجور ، وما هى حقيقـة

محتكرى الضرائب فى روما ، ومتعهدى أموال الدولة ، وما هو سر الفحش الذى تميز به قصور الاباطرة قبل فاسباسيان الريفى المستقيم وتيتوس؟

لماذا تبدل موقف اليهود من رسالة كل من المسيح ومحمد عليهما السلام ؟ الأنهما فشلا فى الحالتين عن تطبيق أعظم عبقرياتهم الشريرة فى استغلال المبادىء الانسانية والمتاجرة بها ؟ أيما كان مؤلف أو مؤلفو الروايات المعروفة باسم روايات شكسبير فهى جميعها تمتاز بصفة أساسية هى انسانيتها العريضة الواسعة ، السمحة الفضفاضة فلماذا حرصت على أن تحوى أصدق صورة درامية عرفها التاريخ لشخصية شايلوك المرابى اليهودى المجرد من الانسانية ، وهل قفز ذلك الخيال الموفق من العدم ؟

من هو الممول والمحرض والمستفيد من قيام الحروب الصليبية ؟ وما هو دور اليهود المتواجدين فى البندقية وجنوه ومرسيليا واتحاد مدن الهنسا ــ وهى جميعا أعظم المستفدين من تلك الحروب ، فى قيام الحرب واستمرارها مئتى سنة ؟

أى دور لعبه اليهود فى تشجيع المسلمين على سرعة اقتحام أسبانيا ؟ ولماذا برزوا فى عملية اخراج المسلمين منها بحيث أثار السخط رجلا كالمعتمد بن عباد فقتل المسئول المالى اليهودى للأدفنش ؟ ثم ما ذلك الدور الذى لعبه اليهود فى ايجاد أجواء خلاعية فى الاندلس ؟ حتى مؤلفى الموشحات التى تغنيها الراقصات يهود والمشرفون على فرق الرقص كذلك ؟

ما سر العلاقة بين الهرمزان وأحد كبار المنافقين اليهود فى يثرب وأبى لؤلؤة فى استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب ؟ ومن ترى كان وراء التحريض المثير الذى حمل أبناء عمر رضى الله عنه على قتل الهرمزان ، وبذلك انطمست آمال التوسع فى البحث عن الجريمة حتى نشأ موقف لا أرى له شبيها فى التاريخ أقرب من الموقف الناشىء بعد مصرع كينـدى فى أمريكا ؟ ومن كان وراء غموض الحركة التى أدت الى استشهاد عثمان رضى الله عنه ؟ وما هو الدور الذى لعبه اليهود فى تركيا اعتبارا من خيانة كوتشك كينارجه الى تسليم عبد الحميد وثيقة خلعه بيد الرجل الخفى الذى كان عرض عليه السماح بوطن قومى لليهود فى فلسطين فرفض ذلك عبد الحميد ؟

ولماذا نذهب بعيدا ؟

من الذى جعل الالحاد من ضرورات المطالبة بالعدل الاجتماعى ، وكان العقل المفكر لليسار فىعالمنا المعاصر ؟ هارولد لاسكى فيلسوف حزب العمال البريطانى يهودى ، وماركس يهودى ، والحزب الاشتراكى الديموقراطى الالمانى قام على اليهود ، ولا تسل عن اليسار فى فرنسا وغيرها ؟ وحركات كثيرة قامت فى ايطاليا لتوحيد البلاد الممزقة فخانها النجاح .. حتى اذا قامت حركة وراءها مينون اليهودى فى البندقية الذى كان كافور واجهة له نجحت حركة الوحدة الايطالية وكان غاريبالدى الرجل الشعبى الغيور أحد ضحاياها ؟ والدور الذى لعبه تروتسكى فى ثورة اكتوبر بروسيا ما هو وما سره ؟

وفى كتابة وعد بلفور والتمهيد لها .. كيف أصبح لورد الصحافة

البريطانية داعية الوعد المجنون صاحب ملايين ، ومهيمنا على التايمز وغيرها الا أموال الاعلانات وشركاتها الممولة من اليهود ؟ واسكويث ذلك الرجل النزيه ، من أحل لويد جورج وبلفور محله قهرا فى الوزارة بلندن الا نفوذ وحركات اليهود ؟

ويقولون ان هرتزل نفسه وحاييم وايزمن كانا متلهفين على قبول اقتراح بانشاء وطن قومى يهودى فى افريقية ، ولكن قوى أقوى منهما أجبرتهما على المجاهرة بتخصيص فلسطين فى المطالبة بالوطن العتيد . من هى تلك القوى التى تأمر رجالا كهرتزل ووايزمن وتطاع بكل بساطة ؟

ومن هو بروكسماير صاحب النفوذ العريض فى الكونغرس الامريكى وما حكايته ؟ ولحكم من تخضع الحواضر الضخمة الامريكية فى نيويورك ولوس أنجيليس وشيكاغو ؟ ومن الذى يملك وسائل الاعلام والصحافة ومنابع السينما والتلفزيون ؟

ان العالم يزخر بأقليات كثيرة نشطة ، لها كل ما للاقليات الصغرى المغتربة فى العالم الفسيح من نشاط وحرص ..

لكن واحدة منها لا تقيم الحكومات أو تسقطها ، وتثير الحروب أو توقفها ؟

ليس هناك غير اليهود من يستطيع ان يباهى بتبرير الجريمة فى الارض على قاعدة عقل يدعى فرويد ، وتبرير الالحاد بفكر يسمى الداروينية وتحويل الاديان والمعتقدات الى ألسنة تنافق وسياط تجلد وتظلم ، وثورات السخط على الظلم الاجتماعى الى كفر واباحية وفوضى ..

ليس غير اليهود استطاع تحويل الجماهير التعسة لعبادة جسد المرأة ، وجعل مفهوم الحرية هو حرية الجنس المشاعة البهيمية ..

اليوم يعودون للقدس :

واليوم يعودون الى القدس ، ومعهم نفس مخططات العائدين من السبى فى بابل أن يحكموا العالم ، ويفتكوا كيفما طاب لهم بسائر شعوب الارض النجسة كما يعتبرونها وهم يرتفعون عن حضيض المذلة التى كتبت عليهم بحبل من الناس ..

ذلك الحبل هو امتلاكهم كل مفاتيح القوة فى عالم الرأسمالية الباغية المستعمرة ومفاتيح كل دعوات الكفر والانحلال الروحى فى دنيا اليسار الملحدة ..

بهم ترتبط الاحتكارات الباغية فى حواضر أمريكا وأروبا ، وخزائن الذهب والعملات النادرة فى كهوف زيوريخ ، ومصانع الرذيلة والفجور فى هوليوود وأوروبا ، ومعهم سدنة القسوة فى جنوب أفريقيا ولشبونة، وسائر المرتزقة من سياسيين وعسكريين فى أنحاء الارض ..

ومعهم كل ضعف الانسان وشرور نفسه وما يتعلق بها وينجم عنها فى الحياة .. وليس أمامهم الا القرآن وسنة محمد عليه السلام .. وهما ما لم يستطيعا تحريفه أو احكام المتاجرة به على مدى التاريخ ..

ومع القرآن وسنة نبيه أفراد مبعثرون فى الارض واعون كل شىء متشوقون للمجاهدة فى حماية البقية الباقية من كيان البشرية الذى لم يصل اليه سوس حكماء صهيون . ومع هؤلاء قلائل من أهل المسيحية

بداوا يتململون تحت وطأة اليقظة بين ملايين من اخوانهم مذهـــولين بسحر اليهود ..

فى موقف كالح كأنما انقطعت فيه حبال الارض عن السماء بدخول أعداء الله الى مسرى رسوله ..

وفى منعطف تاريخى رهيب خطر قد لا يترك للبشرية فرصة اخرى لمراجعة الامور يقف العالم حائرا مشدودا ، مروع الضمير ، لكنه عاجز عن الحركة .. فلماذا ؟

يريد الله للنصر أهل الصدق :

لقد ارتفعت فى القدس رسالات الانبيـاء التى حـرفها اليهـــود وحوروها ، وتاجروا بها وتنكروا لجوهرها ، بينمـا استمسكوا بطقـوس كرسوها فيها ..

وفى القدس أعلن المسيح كلمة الحق ، فسار به اليهود جهـارا نهارا على طريق الآلام ، وقد توجوا رأسه الكريم باكليل الشـوك ..

وفى القدس بدأت رحلة محمد عليه السلام الى السماء توثيقـا لرسالة السماء التى حملها بنجاح فى الارض ..

هناك يرتكب اليهود الان أبشع جرائم عرفتها الانسانية فى التاريخ فى غياهب السجون يزج بالابرياء العرب ، فتشتم معتقداتهم ، وتهـان كراماتهم ويعذبون كما لا تعذب فرائس الحيوان من وحوش الغاب ..

هناك لا تساوى نهية الدين والشريعة ، والحق والشرف ، وحقوق الانسان ومبادىء الامم المتحدة ، ومواثيق البشرية ثمن الورق الذى كتبت عليه ..

هناك تعاد ذكريات محاكم التفتيش ، ومشاهد نيرون ، ومعتقلات النازى وسبى الكلدانيين ، ومذابح الصليبيين ..

ومع ذلك تملأ الدنيا الدعاية أن اسرائيل لا تعتقل الا بمبرر ، ولا تحاكم وتحكم الا ببينة ، ولا تطرد وتعذب الا بحجة قائمة ..

الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله !

لم يبق فى الدنيا من روح الحق الا هذا النداء الذى باعـد اليهـود بينه وبين الناس بما صنعوا من عجول الذهب ، وما ضللوا من شياطين الانس ، وما فرقوا بالفتن ، وما أفسدوا من ذمم ..

الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله ..

يريد خلاص الارض من الطامة الكبرى رجالا فوق الشهوات ، وفوق المنافع ، وفوق المعاذير ، وفوق الخوف ، وفوق هوى النفوس ..

رجالا يحيون وكأنما يرون الجنة عيانا والنار عيانا ..

يريد الله رجالا يشرفهم بارادته فى نصرهم لانهم حقا ينصرونه والا فقد ماد العالم ، وانتهى أمر الانســان ، والتهمته فتنــة تـودى به الــى الخـــراب ..

يريد الله ربانيين صادقين ليطفئوا النار التى تحرق كل شرائع الحق المفترى عليها فى الارض التى باركها فى القدس ..

الإسلام.. وسيادة القانون

للأستاذ فتحي محمد سيد جمعة

تمهيـــد :

تخضع الامم لناموس الحياة العام الذى يخضع له جميع الاحياء ، فتنقلب من ضعـــــف الى قوة ، ومـــن قـــوة الـــى ضعف حركة دائبـــة ، قـــد تطول معها مدة القوة أو الضعف ، ولكنها ــ فى آخـــر الأمر ــ تتمرد على أســـباب الضعف فتقوى ، أو تعمى عن أسباب القـــوة ، فتتردى فى مهاوى الضعـــف والانحـــلال .

هذه حقيقة « انسانية » يشهد لها الواقع ، وتصدقها حركة التاريخ . ولا يعنينا هنا أن نستقرىء الحوادث ــ على امتداد العصور واختلاف الدول ــ وانما يعنينا أن نبلغ بالاستقراء الى مداه ، فنعرف ما يقترن بالقوة ، أو بالضعف مـــن ظواهر وعلامات .

فماذا عسى أن نصل اليه باستقراء التاريخ فى هذا الصدد ...؟

ان التاريخ هنا يقدم الينا « حقيقة » كبرى تفسر كثيرا من الأشياء التى نطلب تفسيرها فى هذا المجال .

ذلك أن قوة الأمة ترتبط دائما بشيوع الأمن والنظام بين أبنائها ، كما أن ضعفها يرتبط دائما بما فيها من فوضى واضطراب .

ولو سبقنا مجرى الحديث لقلنا :

ان القوة ترتبط بوجود « قانون » تدين له الأمة .

كما أن الضعف يرتبط بضياع هذا القانون ...

هذه ــ كما قلنا ــ حقيقة ثابتة أدركتها الانسانية من قبل أن يتكون مـــن الافراد جماعات ، ومن الجماعات أمم وشعوب .

ومن أجل هذه « السليقة الانسانية » ــ سليقة الشعور بالحاجة الـــى « نظام » جهدت التجمعات البشرية الاولى أن تصطنع لها ما يمكن أن نسميـــه

« قانونا عاما » ، يخضع له سائر الافراد . ومن هنا ، كانت الاعراف ، والتقاليد البدائية التى كشفت عنها الدراسات « الانثرويولوجية » وجـود النظـام أو « القانون العام » — اذن — ضرورة لازمة ، تمليها الفطرة الانسانية ، ومن أجل ذلك ، كان شعور الانسان بالطمأنينة والامان ما وجد هذا النظام ، وشعوره بالفزع ما اختل النظام ، واضطربت القوانين .

* * *

على أنه اذا ما غاب « القانون » الذى يحفظ الأمن ، ويعطى كل ذى حـق حقه ، فان الشعور بالقلق يكون شعورا عاما يغمر الأقويـاء والضعفـاء على السواء :

القوى فى خوف دائم من منافسة الأنداد ، ومن انقضاض الضعاف فـى لحظات الثورة والهياج .

والضعيف فى رعب دائم من تسلط القوى ، وجبروته ، واستبداده .

فلا هذا مطمئن فى ضعفه ، ولا ذاك وادع فى قوته .

— — — —

تلك هى الدرجة التى استوى عليها العالم قبل أن يبعث النبى العربـى محمد — صلى الله عليه وسلم — بدينه الجديد الى الناس كافة .

فماذا فعل الاسلام لاقرار الأمن ، وتوطيد أركان القانون ...؟

— — — —

ذلك هو ما نحاول — بعون الله وهدايته — جلاءه على الصفحات التوالى :

* * *

الاسـلام والقانون :

لسنا هنا بصدد شرح « القانون الاسلامى » أو تفصيل « مواده » التـى تناولت — فى شمول رائع — كل ما يهم الانسان فى دينه ، ودنياه ، فنظمت علاقة الانسان بخالقه — وهى علاقة الضمير الحى والقلب السليم — وعلاقة الانسان بنفسه ، وعلاقته بغيره من بنى جنسه . ثم علاقة الأمم بعضها ببعض ، وصدق الله العظيم اذ يقول : **« ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (الأنعام ٣٨)** . لسنـا هنا بصدد شىء من ذلك .

أولا : لأن هذه أغراض مستوفاة فى مواطنها لدى ذويهـا وأصحـاب القدرة عليها .

وثانيا : لأنا نقصد بهذا البحث القصير الى غاية واحـدة ، لا نريـد أن نتعداها ، وتلك هى بيان ما صنع الاسلام فى حماية الأمن وسيادة القانون .

* * *

الاسلام وحقوق الانسان :

ان تكن الثورة — فى أقرب معانيها — تغييرا لنظام سائد ، أو تبديلا لوضع مستقر ، أو اصلاحا لفساد قائم ، فلقد كان الاسلام — بحق — ثورة هائلة أحدثت تغييرات كبرى فى كل شىء يتصل بالحياة الانسانية .

وبحسبنا هنا أن هذا الدين الجديد قدم للانسان عقيدة جيدة فى الاله الواحد الذى ليس كمثله شىء .. وعقيدة جديدة فى « الرسول » الذى هو « بشر » اصطفاه الله ليبلغ رسالته الى الناس .

وعقيدة جديدة يرضى عنها العقل والقلب فى الملائكة وفى الموت والبعث وفى الجنة والنار .

ثم قدم له ــ الى جانب العقيدة الصالحة ــ الشريعة الصالحة التى أضاءت له الطريق الى الدين القيم والدنيا الطيبة .

والذى يعنينا هنا من ثورة الاسلام ــ على بعد مداها وتعداد جوانبها ــ أنها الثورة الاولى التى أعلنت « حقوق الانسان » ثم شرعت من النظام ، واستنت من القوانين ما يحمى هذه الحقوق أن تغتصب ، أو يعتدى معتد عليها .

* * *

لا تعصب هنا ، ولا ادعاء من غير دليل ؟؟

فلا جرم ، جاء الاسلام بثورته الكبرى على غير مثال سابق ، اذ لم يعلن فى الثورات السابقة على الاسلام ــ سواء أكانت دينية ، أم كانت سياسية اجتماعية ــ تلك الحقوق العامة التى نادى بها الاسلام ، وأعلنها للانسان بعد ميلاد المسيح بستة قرون . ذلك « لأن الانسان نفسه لم يكن » عاما « فيوليه الدين حقوقا عامة وانما ولد هذا « الانسان العام » يوم آمن الناس بالله يتساوى لديه كل انسان ، ويوم نيطت حقوقه بواجباته بغير تفرقة بين قبيل وقبيل (١) » .

وقد يكون من المفيد هنا أن نلقى بعض الضوء ــ فى اشارات موجزات ــ على ما سبق ظهور الاسلام فى هذا الميدان ، لكى نعرف حقيقة ما أداه هذه الدين للانسانية ، منذ خرج من الجزيرة العربية لأربعة عشر قرنا ــ الى يومنا هذا . لقد اشتهر عن اليونان والرومان أنه كان لهم قوانين ، وحكومات « ديمقراطية » ترعى هذه القوانين ، وتحميها ،ولكن هذه فى الواقع لا تزيد عن كونها خططا « عملية لأمن الفتنة ، واستجلاب الولاء من المجندين للجيش والاسطول من أبناء القبائل وأصحاب الصناعات .. وآية ذلك أن الحكومة الديمقراطية نشأت بين « الاسبرطيين » أصحاب النظم والاجراءات الادارية ، ولم تنشأ بين « الاثنيين » أصحاب الفلسفات والبحوث النظرية (٢) » .

* * *

ونتقدم مع الزمن حتى نصل الى « اليهودية » ، لنجد أن « بنى اسرائيل لم تكن لهم رسالة عالمية انسانية ، وأنهم قد وافقتهم عقائدهم ومعاملاتهم فى عزلتهم بين أبناء الحضارات ، فلما انتهت رسالتهم المحدودة بما يوافقهم ، تفرقوا بين الأمم من غير دولة ، ولا سيادة على أحد (٣) » .

* * *

أما المسيحية فقد لخص السيد المسيح ــ عليه السلام ــ رسالتها فى أنه « ما جاء لينقض الناموس ، بل ليكمله » .

فهو ــ عليه السلام ــ لم يأت بشرع جديد يخالف شريعة موسى عليه السلام أو بقانون يهدم قانونه ، وانما جاء ليتمم ذلك ويكمله .

ثم ظهر الاسلام . . .

ظهر الاسلام ، والعالم يتداعى بعد أن فقد العقيدة كما فقد النظام .

أى أنه — كما يقول العقاد رحمه الله — فقد طمأنينة الباطن التى تنشأ من الركون الى قوة فى الغيب ، تبسط العدل ، وتحمى الضعيف .

وطمأنينة الظاهر التى تنشأ من الركون الى « دولة » تقضى بالشريعة ، وتفصل بين البغاة والابرياء . . . (٤) »

* * *

ظهر الاسلام ليعيد الى العالم أمنه الضائع ، ويرد له طمأنينته المفقودة بما شرع من عقيدة ، وبما وضع من قانون لا يفرق بين انسان وانسان الا بالعمل وحده . . وتلك شرعة المساواة التى هى معجزة من معجزات هذا الدين العظيم لأنها نبتت فى أرض العصبيات والانسان .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . . . أن أكرمكم عند الله أتقاكم . . . » . (الحجرات : ١٣) .

— — — —

الأخلاق والقانون فى الاسلام :

من أعظم ما فى الاسلام — وكل ما فيه — والحمد لله — عظيم — أنه دين الاخلاق فى صورتها المثلى :

عباداته أسست على الاخلاق ، لأنها علاقة بين الانسان ورب العالمين ، وقوام هذه العلاقة هو — كما قلنا — ضمير الانسان الحى ، وقلبه السليم .

وكذلك معاملاته . . . !!

وحدوده . . . . !!

وجناياته . . . . !!

كل هذا أخلاق أو تربية للاخلاق .

ومن أجل هذا لا نبالغ اذا قلنا : ان القانون وتنفيذه يرتبطان — فى الاسلام — بالاخلاق أوثق ارتباط . . وهذا ما سوف نحاول — باذن الله — أن نبرزه فى ثنايا حديثنا عن وسيلة الاسلام فى اقرار الأمن ، وحماية القانون .

* * *

وقد كان للاسلام فى ذلك ثلاث وسائل :

أولها : تنصيب من يقوم على ذلك ، وهذا هو الامام أو الحاكم .

ثانيها : الحدود التى يجب ألا يتعداها الامام فى حكمه ، وفى علاقته بالمحكومين .

ثالثها : المبادىء التى وضعها فى هذه السبيل .

* * *

أولا : الامامة :

عنى الاسلام عناية كبيرة بأن يتولى أمر جماعة المسلمين فرد منهم يكون أصلح من فيهم لهذه الولاية . وقد جعل ذلك واجبا من أعظم واجبات الدين لا

يقوم أمر الدعوة بدونه ، يقول صلوات الله عليه . « اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا واحدا منهم » .

« فأوجب — صلى الله عليه وسلم — تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر ، تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يتم ذلك الا بقوة وامارة (٥) » . ومن هنا، بذل الفقهاء وعلماء الكلام جهدا عظيما رائعا فى بسط أحكام الامامة ، وبيان وجوبهاو ضروريتها وفى شرح حدودها ... الى غير ذلك من الأحكام التى ليس استقصاؤها من غايتنا هنا . وانما غايتنا أن نستخلص من « الامامة الاسلامية » معناها الذى نريده فى هذا المقام ، وهو أن الاسلام قد وضع « قوانينه » ثم تكفل بحمايتها ، فعهد الى من تتفق عليه الجماعة أن ينفذها ويرعاها .

* * *

الامام — اذن — هو « وكيل الأمة فى اقامة حدود الله » وهو « يتولى الامامة لايتاء كل ذى حق حقه ، ويملك الأمر وتجب له الطاعة فيما تدعو مصلحة الأمة فيه الى تشريع جديد (٦) » .

والامام هو — وحده — المسئول عن تنفيذ القانون ، وحفظ الأمن ، واقرار النظام .. وهنا يظهر التشريع الاسلامى شامخا سامقا ، وهو يضع مبادئه ، انه لا يكتفى بوضع المبادىء أو « سن » التشريعات والقوانين ، ولكنه يحيطها بسياج متين يحميها من الاجتراء عليها أو تعدى حدودها ، وذلك أنه حصر مسئولية « التنفيذ » فى يد الامام أو من يعينه لذلك .. أما أن يتصرف من يشاء كيف يشاء وتسترا وراء القانون ، فهذه هى « الفوضى » التى وقى الاسلام « قوانينه » منها .

ومن المعروف فى عصرنا هذا أن أحدا لا يملك الحق فى « اعتقال » أحد وانما الشرطة هى التى تفعل ذلك ، ثم تسلمه الى« النيابة » ، وهذه الى القضاء الذى يصدر الحكم ، فلا ينفذه القاضى ، وانما هناك « سلطة » أخرى للتنفيذ .

هذا هو القضاء فى أحدث ما وصلت اليه الحضارة العصرية .

وقبل أربعة عشر قرنا أدرك النبى العربى ذلك ووعاه ، وعلمه لأمته ، لأنه — صلوات الله عليه — علم أنه لو أباح أحد لنفسه أن يتصرف باسم القانون ، لانقلب الأمر الى فوضى .

ومن أجل ذلك غضب — صلى الله عليه وسلم — لأن أناسا من المسلمين قتلوا رجلا من المشركين غداة فتح مكة ، وقال فيما يروى الامام البخارى : « ... فان أحد ترخص لقتال رسول الله فيها ، فقولوا : ان الله اذن لرسوله ، ولم يأذن لكم .. وانما أذن لى فيها ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ... (٧) » .

وعلى أساس من هذا الالهام السديد ، نهج فى مصادرة الخمر نهجا يحقق — مع تنفيذ القانون — اقرار الأمن والنظام .

خرج بأصحابه الى الاسواق الملأى بزقاق الخمر ، وأخذ المدية من عبد الله

ابن عمر ، وشق ماوجد من هذه الزقاق ، ثم اعطاه اياه وامـــره الا يدع زقا الا شقه ، وأمر من معه أن يعاونوه فى مهمته .

* * *

ليس الأمر هنا أمر تحليل أو تحريم ، ولكنه نظام « وتنفيذ » ، فى مجتمع حافل ، يشتمل على شتى المصالح والاهواء ، ولا يصاب ببلاء هو أضر عليه من بلاء الفوضى والاضطراب ، واختلاف الدعاوى وانتزاع الطاعة ، وتجاهـــل السلطان (٨) » .

* * *

« الامامة الاسلامية » ــ اذن ــ مسئولية كبرى ، وأعباء وتكاليف ينهض بها الامام الذى ليس له من سند يستند اليه الا قيامه بهذا الواجب الكبير .

ومن هنا كان الشرط الاعظم فى الامام : أن يكون أصلح الناس للولاية ، والا لحق الاثم على من ولاه ، قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما يرويه الحاكم : « من ولى من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا ، وهـــو يجد من هو أصلـــح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

ثم يتتابع اختيار الاصلح فى جميع الامور ، فيجب على كل من ولى أمـــرا للمسلمين « ان يستعمل فيما تحت يده فى كل موضع أصلح من يقدر عليه (٩) »

* * *

ولكن « الامامة » تنحرف عن سوائها ، وتضل السبيل الى غايتها اذا كانت تسلطا ، أوقهرا ، أو استبدادا .. وما هكذا كانت « امامة الاسلام » !! انهـــا « أمانة الأمة » يحملها الامام ولا مزيد .

لا فظاظة فيها ولا غلظة ، ولكن قلب كبير رحيم ، وصدر رحيب حليم .

وها هوذا توجيه القرآن الكريم لنبى الاسلام ، ولكل امام يلى أمر الناس :

ـــ ـــ ـــ ـــ

« ليس لك من الأمر شىء » (آل عمران : ١٢٨)
« انما أنا بشر مثلكم » (الكهـــف : ١١٠)
« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (آل عمران : ١٥٩)
« وما أنت عليهم بجبار » (ق : ٤٥)
« لست عليهم بمسيطر » (الغاشية : ٢٢)

ـــ ـــ ـــ ـــ

هذه هى « الامامة » وهذه هى ــ أهميتها العظمى ، وسيلة من أعظـــم الوسائل التى توسل بها الاسلام الى اقرار الأمـــن ، وسيادة القانون بيـــن الناس (١٠) .

ثانيا : حدود الامام ، أو حقوقه وواجباته :

تتلخص الحقوق فى شىء واحد ، والواجبات كذلك فى شىء واحد .
فأما الحقوق فهى وجوب الطاعة له الا أن يأمر بمعصية ...!

وأما الواجبات فهى وجوب العدل عليه فى جميع أحكامه ..!

وفى سبيل ذلك ، يجب أن يبتعد عن كل ما يضعف فضيلة العدل فى نفسه وأسوأ ما يصاب به العدل أن يحابى ، أو يقبل من أحد هدية ، أو يسمح بأن يعامله الناس معاملة خاصة فى البيع أو الشراء لأنه أمير .

ذلك أنه — فى أى من هذه الأحوال — قد يضطر الى المجاملة كفاء ما قدم اليه فلا يستطيع أن يسير بالعدل بين جميع الناس . وبحسب الحكم من الآفة أن يحيد الحاكم عن العدل مرة واحدة .

* * *

ومن أجل ذلك نرى رسول الاسلام ، ومعلم الأمة يشدد نكيره على وال قبل هدية فقال — صلوات الله عليه — : « ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله ، فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدى الى ؟ فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه ، فنظر أيهدى اليه أم لا ؟

والذى نفسى بيده ، لا يأخذ منه شيئا الا جاء به يوم القيامة : ان كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى ابطيه : اللهم هل بلغت ؟ ثلاثا (١١) » .

وكذلك تكون محاباة الناس لولاتهم فى المعاملات المختلفة نوعا من الهدية — كما ذهب الى ذلك المجتهد العظيم أبو العباس أحمد بن تيمية — ولهذا شاطر عمر بن الخطاب من عماله ما كانوا خصوا به من أجل الولاية (١٢) .

ثالثا : المبادىء التى وضعها الاسلام لحماية القانون :

يجمع هذه المبادىء — فيما أرى — كلمتان صغيرتان :

العدل .

المساواة بين جميع الناس .

العدل هو القانون .

والمساواة أن يطبق القانون على الجميع بصورة واحدة ، دون تفرقة بين أحد وأحد .

ههنا يظهر الاسلام : عقيدة راسخة ، ونظاما عاما صلح فى زمانه ، ويصلح فى زماننا ، وفى كل زمان يأتى بعده .

وههنا تظهر أخلاق الاسلام ..!

وأخلاق الاسلام هى « أخلاق الانسان » فى أرفع ذراها ، لأنها تتوجه — أول الأمر وآخره — الى النفس :تربيها ، وتصلحها ، وتطهرها من أدران التعصب والهوى .. والى الضمير : توقظه ، وتمده بحياة متجددة القوة ، موصولة العطاء .

* * *

ان الاسلام يأمر بالعدل ، ويجعله غايته كما كان هو الغاية من ارسال الرسل : **« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط »** (الحديد : ٢٥) .

فالمقصود من ارسال الرسل ، وانزال الكتب هو اقرار العدل ، ولكن من الناس من لا يستقيم بالكتاب وحده ، فهنا تكون القوة : **« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس »** . (الحديد ٢٥ » (١٣) .

* * *

العدل — اذن — هو غاية الاسلام ، كما كان غاية الرسالات قبله . ولكن الاسلام يتجاوز هذه المرحلة ، فيخطو الى الامام خطوات واسعة اذ يتسامى باتباعه ، ويعلو بهم على أنفسهم ، ويقهر فيهم « نازعة » هى أسوأ آفة يمكن أن يصاب بها الضمير الانسانى ، وتلك هى « نازعة » التعصب ، والحكم بالهوى :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا .. » (النساء : ١٣٥) .

هنا أمر بالعدل ، وان تكون الشهادة لله ، ولو على النفس والوالدين والأقربين .

وهنا أمر بالتجرد عن الهوى ، وعدم اتباعه فى الحكم على الناس . وكلا الأمرين ، تربية لنفس الانسان ، وتنبيه لضميره أن يكون هو الرقيب على التزامه بالعدل فيما يأخذ وفيما يدع من أحكام . وما من سلطة يرهبها الانسان أقوى من سلطة الضمير والوجدان .

* * *

ولا يكتفى الاسلام بهذا ، بل يمضى فى شوط التربية الى نهايته ، فيأمر بالعدل مع الاعداء كما أمر به مع الاصدقاء : **« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى »** . (المائدة : ٨)

ان الاسلام — وهو يأخذ الناس بما يشرع لهم من أحكام — لا يفرق بين قبيل وقبيل ، ولا يقف مع المسلم لاسلامه ، وانما يقف مع الحق ، ولو كان فى جانب الاعداء .

فالناس — كل الناس — سواء أمام « القانون الاسلامى » ، لا فرق بين المسلم وغير المسلم ، ولا انتصار للصديق على العدو . وانما الانتصار : للعدل وحده ، والوقوف : مع الحق وحده ، ذلك أن العدل : « هو أقرب للتقوى » .

* * *

هنا لا يستطيع المنقبون عن « الثغرات » أن يجدوا فى قانون الاسلام « ثغرة » ينفذون منها الى نقضه أو هدمه ، لأنه متماسك البنيان ، ثابت القواعد : لا يطمع فيه الصديق ، فيجترىء على تعدى حدوده ، ولا يخشى العدو — فى جواره — أن يجار عليه ، أو تغتصب حقوقه .

وهكذا مكن الاسلام لقانونه أن يسود سيادة فعلية تمتد بامتداد الزمان ، لأنها مستقرة فى أعماق ضمير الانسان . فالانسان — هنا فى الاسلام — هو الذى يهيىء لهذه « السيادة » أسبابها ، ويمهد لها التربة الصالحة لأن تنبت وتؤتى أكلها ، لأن ضميره الذى أحياه الاسلام من موت وايقظه من غفلة — هذا الضمير ، هو الذى يحرك ، وهو الذى يأمر ، وهو الذى ينهى .

وتلك هى «أخلاق القوانين» فى الاسلام ...؟

فالقانون الاسلامى قانون عالمى، يشرع — اذ يشرع — للناس كافة ويطبق — اذ يطبق — على الناس كافة. ولا يستطيع أحد أمام قوة القانون وأحكامه — أن ينجو من هذا القانون، ولو كان نبى الاسلام نفسه:

«ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين». (الحاقة: ٤٤ — ٤٧)

* * *

واذا كان الله سبحانه يتوعد بالعقاب الشديد أحب أحبائه، وأصفى أصفيائه، لو حاد عن شرع الله، أو قال قولا من عند نفسه، ثم ادعى أنه وحى من السماء — اذا كان الأمر كذلك فان رسول الله لا يمكن أن يتسامح فى عقوبة وجبت على من تعدى حدود الله، مهما يكن جاهه ومنزلته فى قومه.. كذلك لا يمكن أن يقبل فيه شفاعة مهما تكن منزلة الشفيع فى قلبه صلوات الله عليه.

ذلك هو خلق الاسلام ...!!

وذلك هو خلق نبى الاسلام ...!!

* * *

وعندما سرقت المرأة المخزومية، واستجار قومها بأسامة بن زيد حب رسول الله أن يشفع لها عنده ... ويذهب أسامة، فيغضب النبى، ويرسل فى العالمين تلك الصيحة الرائعة التى لا تزال تدوى فى سمع الزمان:

« أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟

والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. انما أهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » ..

— — — —

ان رسول الله — هنا — يؤدب أتباعه بما لم تستطع الانسانية — مع كل ما قطعته من أشواط الحضارة — أن تتقدم بعده خطوة واحدة ..! موقف من المواقف الشامخة، يرتبط فيه المبدأ بالتطبيق، ويتصل فيه القانون بالتنفيذ.

القانون هو: قطع يد السارق — أى سارق — ولو كان فاطمة بنت محمد.

فاذا تسومح هنا، فقد يتسامح هناك.

ثم ... ؟

ثم يتحول الأمر الى فوضى، لأن أحدا لن يعدم أحدا يشفع له، ويجيره فى حماه.. وهذا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لأمته: القوانين لا تكون قوانين اذا ارتبط تنفيذها بقرب الناس، أو بعدهم من ذوى السلطان، أو بمقدار حظهم من الشرف والوجاهة أو الضعة والهوان.

* * *

هنا تضيع القوانين ...!

وهنا تضيع الأمة ...!

أمة لا ميزان لها ، ولا نظام يحكمها ، كيف يكون لها كيان ، وكيف تقوى على البقاء بين الأمم ؟

ذلك هو « قانون الحياة » الذى لمسه الرسول الكريم بهذا القول الجامع : « انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » .

* * *

لا محاباة — اذن — لقريب أو صديق ، ولا شفاعة لحبيب ، ولا جور على عدو ، ولا خوف من قوى ، ولا اهدار لضعيف . . . فى تنفيذ أحكام الله .

وانما الكل سواء لا يفرق بين أحد وأحد الا الحق ، والحق وحده وانما الكل سواء تحت راية هذا الدين الذى أقام « قانونه » على قاعدة العدل المتينة ، والذى كان العدل فيه « هو أساس التصرفات والاحكام ، وأنه لا ينبغى لمؤمن أن يحول بينه وبين العدل شىء من صلات النسب ، أو القربى (١٤) » .

* * *

الكل سواء !!

هذا هو قانون الاسلام الذى كان رسول الله — عليه الصلاة والسلام — أسوة المؤتسين ، وقدوة المقتدين فى تطبيقه على الناس جميعا مهما تكن منازلهم .

وعلى تلك السنة الحميدة ، سار خلفاؤه العظام الذين أضاءوا جبين التاريخ بجلائل أعمالهم .

هذا أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — يلخص « دستوره » فى الحكم بهذه الكلمات الجامعات :

« . . . القوى فيكم ضعيف عندى ، حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندى ، حتى آخذ الحق له » .

« ان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فقومونى » .

« أطيعونى ما أطعت الله ، فان عصيت الله ، فلا طاعة لى عليكم . . »

* * *

لله در أبى بكر !!

ان الصديق — رضوان الله عليه — لم يتلق « علم السياسة » فى مدارس السياسة ، ولكن هل تستطيع هذه المدارس أن تقول بعد أبى بكر شيئا ؟!

— لا قوة ولا ضعف الا باتباع الحق ، أو الاعتداء عليه .

— واجب الأمة فى مراقبة حاكمها ، وبذل النصح له .

— الطاعة واجبة للحاكم على الأمة الا اذا خالف شرع الله .

— — — —

أوليس هذا هو قانون الاسلام ؟!

أوليس هذا هو أدب رسول الله ؟!

بلى . . . . ؟!

* * *

وهذا هو الفاروق عمر بن الخطاب — رضوان الله عليه — يستدعى واحدا من أكبر ولاته ، وأخطرهم شأنا . . يستدعى عمرو بن العاص فاتح مصر ، وواليها .

لمـــاذا ؟؟

لينتصف منه ومن ابنه الذى جار علـــى مصرى ضعيف ، ليس له من ملاذ يلوذ به الا اطمئنانه الى عدالة الاسلام .

وعلى رؤوس الاشهاد ، يعطى الفاروق الدرة للمصرى ويقول له :

اضرب ابن الأكرمين .. ثم يلتفت الى ابن العاص ، ويقذف الى ذاكـــرة التاريخ بكلمة تستعصى على النسيان :

متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

* * *

ماذا استطاعت الحضارة ــ بعد أربعة عشر قرنا من نزول الاسلام ــ أن تصنعه فى حماية حقوق الانسان ؟

هل زادت شيئا عما فعله الخليفة المسلم ؟

أم هل بلغت ما بلغه ......؟

كلا !!!

يقولها المسلم وغير المسلم ، لأنها كلمة العقل المنصف ، والقلب الذى لم ترن عليه ظلمات الاهواء !

لأنها كلمة الحق !

الاسلام لا يقبل التحايل على القانون :

رأينا فيما سبق أنه لا تساهل فى تنفيذ الاحكام التى كان جميع الناس فى الخضوع لها والالتزام بها على سواء .

ونريد الآن أن نضيف كلمة أخيرة فى هذا الموضوع ، وهى أن الاسلام قـــد خطا خطوة أخرى رائعة فى هذه الطريق حينما طلب من ولاة الأمر أن يتحـــروا العدل دائما ، وألا ينخدعوا أبدا بمحاولات التزييف التى يتحايل بها البعض على الهروب من القانون ، والنجاة من عقابه .

وهذه قصة نزلت فيها تسع آيات من الكتاب العزيز ، تجلو لنا الاســـــلام حريصا على « قانونه » ، حريصا على حمايته أن تهدم أركانه ، حريصا علـــى سيادته ، وألا تتعدى حدوده .

خلاصة القصة أن رجلا من ضعاف المســـــلمين بالمدينة سرق من جـــاره درعا، ثم خبأه عند يهودى .. ولما اكتشف أمره حاول أهله أن يصرفوا عنــــه الجناية ويرموا بها اليهودى البرىء ، واستغلوا فى ذلك كراهة اليهود للنبى ، فقالوا ان هذا من كيد اليهودية للاسلام . والحوا على الرسول أن يجادل عـــن صاحبهم (١٥) ، فنزلت هذه الآيات :

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ، لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما » .. الى قوله تعالى : **« ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا ، فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ، ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون الا أنفسهم ، وما يضرونك من شىء وأنزل اللـــه عليك الكتـــاب والحكمـــة ، وعلمك ما لم تكن تعلم . وكان فضـــل الله عليـــك عظيما »** . (النساء : ١٠٥ ــ ١١٣) .

واذا كان هذا هو واجب الحاكم : أن يتحرى العدل ، ولا ينخدع فى حكمه

باحتيال المخادعين ، فان واجب كل فرد فى الأمة أن يجعل له رقيبا من ضميره الذى لا يعلم ما يطويه الا الله — عز وجل — فيتأبى على أخذ ما ليس من حقه أن يأخذه :

((ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام ، لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون)) . (البقرة : ١٨٨)

ويقول صلوات الله عليه : ((انما أنا بشر ، وانه يأتينى الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هى قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها)) .

وهكذا لا يكتفى الاسلام بالتشريع وحده ، وانما يكل الأمر فى النهاية الى ((ضمير الانسان)) بعد أن أيقظه وأحياه .

* * *

وصفوة القول

ان الاسلام قبل أن يشرع القانون ، صنع ((الانسان)) الذى يخضع للقانون ، فأحيى ضميره ، وربى نفسه وسما بها فوق الغرض والهوى ، بما شرعه من مبادىء وأخلاق كانت هى القاعدة المتينة التى قام عليها بناء القانون الاسلامى ، غتمت له ((السيادة)) أوفى تمام .

ويستطيع المسلمون اليوم ، كما استطاعوا بالأمس ، أن يقودوا — على طريق دينهم — هذا العالم القلق المضطرب ، الى حياة رضية وادعة ، يشيع فيها الأمن ، وتنتشر الحرية ، ويسود القانون على الناس كلهم أجمعين .

وبالله التوفيق من قبل ومن بعد ،،

---

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ الكبير : عباس محمود العقاد ، ص ١٤٧ .

(٢) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ الكبير : عباس محمود العقاد — ص ١٤٨ .

(٣) المرجع السابق — ص : ١٢٢ .

(٤) عبقرية محمد ، ص ١٨ من الطبعة الاولى .

(٥) السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية —ابن تيمية ، ص : ١٨٥ .

(٦) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه — للعقاد ، صفحة : ٢٥٥ .

(٧) صحيح البخارى ١٩٠/٥ طبعة : دار الشعب — القاهرة .

(٨) عبقرية محمد ، ص : ١٢٤ من الطبعة الاولى .

(٩) السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص : ١٨ وما بعدها .

(١٠) ارجع الى البيان الرائع الذى قدمه العقاد رحمه الله فى كتابه الشامخ : ((حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه)) صفحة : ٢٥٥ وما بعدها من الطبعة الاولى .

(١١) الرغاء صوت الابل ، والخوار صوت البقرة ، واليعار صوت الشاة ، انظر : ((السياسة الشرعية لابن تيمية)) ص ٥٩ وما بعدها من طبعة دار الشعب بالقاهرة .

(١٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص ٥٩ وما بعدها .

(١٣) أنظر السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص : ٣٨ .

(١٤) تفسير القرآن الكريم ، للامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت ، صفحة ٢٣٩ وارجع أيضا فى هذا التفسير الى صفحة : ٢١٢ ، وما بعدها ، والى صفحة : ٣٣٨ .

(١٥) القرطبى ٣٧٥/٥ ، وانظر تفسير الشيخ شلتوت ، ص : ٢١١ — ٢١٧ .

وقفة بين شبابين

للدكتور محمد محمد خليفة

الشباب خير ما تعتد به الامم الحية فى سلمها وحربها ، فهو لسانها الناطق ، وحيويتها الفائرة ، وعقلها المتحرك ووعيها المتحفز ، وعواطفها الجياشة ، وطاقاتها المحركة ، وقوتها الضاربة ، ودرعها الواقية ، هو كل ذلك فى حاضرها وهو حامل مسئولية مستقبلها .

والامم التى تعنى بمرحلة الشباب فيها عقليا وعلميا وثقافيا وروحيا واجتماعيا وبدنيا وعسكريا هى المطمئنة على مستقبلها وكيانها وآمالها .

وتعتمد عناية الامم الحية بهذه المرحلة على وضع المناهج التى تعد الشباب ، وتصونه من التيارات الدخيلة ، وتحميه من الانزلاق الى المهاوى المهلكة ، ثم تعتمد فى تنفيذ تلك المناهج على من يؤمن بها ، وبخطورة مسئوليته حيالها ، وبوجوب تهيئة نفسه لهاوتفانيه فى خيرها ، وابعاد الانتهازيين والمستغلين عن مسيرتها ، لان من يعيش لنفسه وهو متسنم أبراج مراكز القيادة هو الخطر كل الخطر على كل ما ترسمه الدولة أو ترجوه .

وقد يوجد فى الأمم اجناد مجهولون يعملون لخيرها فى دأب واخلاص يحثهم حب العمل ، والضمير الحى ، والرغبة فى خير الأمة على العمــل الخالص بعيدا عن الأضواء عرفتهم الأمة أو لم تعرفهم قدرهم المسئولون أو لم يقدروهم ، ولكن هؤلاء قد تنتكس نفوسهم حين يرون أزمة الأمــور فى قبضة نفوس تحركها الأهواء ، لاتقيم للعدل ميزانا ولا للعاملين وزنا ، بل قد يتحاملــون على العامل ويسلمــون مراكز القيادة لمــن لا يحسنون القيـــادة ، مع أن تقدير العامل من الشــباب يحيــى روح التنــافس ، ويضاعف العمل ويقوى روح الاخلاص ، ويبعث الثقة ، وللثقة أثرها فى تقوية الروح المعنوية وحملها على المزيد من الجهد .

وقفة للعبرة والدرس :

ولنقف ساعة بين شبابين نلمس خلالها الحياة بكل ما تحمل معانيها فى أحدهما ، ثم نلمس الاستهانة بالحياة بكل ما ينطوى عليه لفــــظ الاستهانة (فى الآخر) .

انها وقفة بين شباب فجر الاسلام وشباب الحاضر تدعــونا لنحنى الرأس اكبارا للأول ، ثم نتلمس الرءوس مخافة أن يطير بها الدوار اشفاقا على الثانى :

فشباب فجر الاسلام عاش فى رجولة مكتملة وهو فى طليعة عمــر الشباب ، فقام بأعنف ما تتطلبه الرجولة من مواقف وهز بايمانه ، وبالطاقات التى فجرها ذلك الايمان قلوب الصناديد الذين أذهلتهم روعة تلك المواقف حين رأوا فيها عزائم خارقة كلها من صنع الايمان الواثق الذى لا تعجزه قوى البشرية .

وكم للشباب الاسلامى من مواقف امتحن فيها ايمانه وثباته وصبره وقدراته المحاربة وشجاعته فكان أقوى مما عرفه الناس ممن ضربت بهم الأمثال فى كل ذلك :

مــوقف تحــــد :

بطل هذا الموقف على بن أبى طالب وهو فى الثالثة والعشرين مــن عمره أو يقل قليلا أو يزيد قليلا ، وكان ذلك الموقف ليلة الهجرة حين أعدت قريش عدتها لتنفيذ تآمرها لاغتيال الرسول حتى تستريح من محمد ومن دعوته ومن تحديه لها ولآلهتها ، وأغشى الله الأبصار ، وخرج الرسول بعد أن خلى عليا فى فراشه مغطى ببردته ليخدع بــه أنظار القرشـــيين حتى يتوارى عنهم وعن طلبهم .

واضطجع على فى فراش الرسول وهو يعلم أنهم سيغتالون ذلك الضجيع ، وأن سيوفهم ستمزقه حين يهوى بها أولئك الأشداء فى حنقهم الجارف ، وحقدهم العاصف ، ومثل هذا الموقف تفزع الرهبة فيه كل قلب الا قلب على المؤمن . نعم رقد على ينتظر سيوف القرشيين أو يرتقــب

تحركهم من حوله فى ظلام الليل لينفض عنه الغطاء ، ويواجه أعداء اللـــه الذين قد تعميهم الثورة عندئذ وتوهن الظلمة أبصارهم فلا يميزون بين على ومحمد ، وقد يصم الحقد آذانهم فلا يفرقون بين صوت على وصوت محمد حين يستصرخ الضجيع وقع السيوف ، ثم يذهب على ضحية الخديعة التى يختفى وراء صورتها .

ولاحت تباشير الفجر ، ولاحت معها الحقيقة المغطاة ، حقيقة على النائم فى مضجع الرسول ، وجن جنون قريش حين رأت وجه الحقيقـــة وكتمت الأنفاس ولوى الثائرون وجوههم يطلبون فوق ظهر الأرض أو فى بطنها محمدا ، ورماهم على بنظرات تحمل ما تحمل من المعانى ، وخـــرج فأقام بينهم ثلاثة أيام سخر خلالها من صرير الأنياب ومن كل ما أخرجــت الأفواه من نفثات وكلمات كما سخر من النظرات الحاقدة التى لم تحمـــل جديدا يجهله على .

وكان مقامه فى الأيام الثلاثة مقام المتحـــدى الساخر من كـــل ما رسمت قريش من أساليب وما أعدت من خطط وعدد . ان القلب الكبير الذى حمله فتى فى الثالثة والعشرين فتحدى بعزيمته وايمانه أحقاد قريش فى أعنف ساعات هياجها وتعاميها عن رؤية كل شىء الا الدم ذلك القلب لا يمكن أن يكون لغير فتى مؤمن أحب عقيدته وأحب البذل والجود بالروح فى سبيلها (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) .

« موقف آخـــــر » :

وبطل هذا الموقف أيضا على بن أبى طالب وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وكان ذلك يوم الخندق أو غزوة الأحزاب حين جمعت قريش من آفاق الجزيرة الجموع والأحلاف والمناوئين لدعوة اللـــه ، وحاصرت بهم المدينة ، وضرب الرسول حولها الخندق ، وجثم المسلمون وراءه يحتمون به ويصوبون من ورائه الى المنقضين نبالهم ، واقتحم الخندق بعض الفوارس وبينهم (عمرو بن ود) الفارس الذى لا يشق غبـــاره ، ولا يطيق كراتـــه منازل ، ودعا المسلمين الى المبارزة فهابه المسلمون غير على فقـــد وقف يريد مبارزته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجلس ، وصال عمرو وجال وصرخ : هل من مبارز ؟ وهم على فقال له الرسول : اجلس ، وخاف عليه من لقاء عمرو وهو على ما عرفه الناس من الدربة على المبارزة وسرعة الحركة والشجاعة وقوة الضرب والفتك ، ثم صرخ الثالثة : هل من مبارز ووقف على فقال له الرسول : اجلس انه عمرو بن ود فقال : وأنا عـــلى فأدناه الرسول وقبله وعممه بعمامته ، وخطا معه خطوات كأنما يودعه وقد بلغ به القلق عليه مبلغا ثم قال الرسول : الآن برز الاسلام كله للشرك كله ، وكأنه يرى الاسلام كله تمثل فى على والشرك كله تمثل فى عمرو .

وتقدم على وصمت المسلمون ، واستقبل الرسول بوجهه السمـــاء يدعو ربه ، وغطى التراب المتبارزين ، وشدت الأنظار الى الغبار ليعرف من يكون الذى ينكشف عنه ؟ ومن الصريع ؟

ثم قطع الصمت تكبير على فرجع المسلمون تكبيره ، وانكشف الغبار عن على يقف الى جانب ذلك الفحل الصريع يتخبط فى دمه بعـــد أن أرداه شباب على المؤمن وهتفت القلوب : لا فتى الا على ولا سيف الا ذو الفقار وسالت على شفرات سيف على تلك الدماء الحاقدة العنيدة وانهار أمـــام شباب على ذلك الصرح الشامخ الذى كان أسطورة القوة متمثلة فى عمرو وماضى صراعه وفتكه ورهبة لقاءاته .

وازداد بهذا الموقف ايمان المسلمين بأن قوة الايمان وقوة الثقة وقوة الاعتداد بالنفس هذه كلها أسلحة تتحطم أمامها كل ما اغتر به العدو من أسلحة .

« قيــادة شاب »

والشاب القائد هو أسامة بن زيد ، وقد ولاه الرسول صلى اللـــه عليه وسلم قيادة جيش أعده لغزو الروم ليثأر لهزيمة المسلمين فى موقعة (مؤتة) وضم هذا الجيش أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح .

وقد استنكف بعض المسلمين من تأمير أسامة وهو فى السابعة عشرة على جيش فيه كبار الصحابة من الســـــابقين الأولين من المهـــــاجرين والأنصار .

وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم بما قيل فخرج مغضبا وهـــو فى مرض الموت فجلس على المنبر فقال :

« أما بعد أيها الناس :

فما مقالة بلغتنى فى تأميرى أسامة ، ولئن طعنتم فى امارته فقـــد طعنتم فى امارة أبيه من قبله ، وايم الله أن كان لخليقا بالامارة ، وان ابنـــه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الى ، وانه لمظنة كـــل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم » .

وبهذا بين الرسول أن امارة الجيش ليست وقفا على أصـــــحاب الأحساب والأنساب .

وكان اختيار الرسول لأسامة فى هذه السن توجيها لتدريب الشباب على القيادات حتى يتحملوا المسئوليات فى المواقف الخطيرة .

ولم ينس الرسول فى ذلك الاختيار أن أسامة قتل أبوه فى مؤتة بأيدى الروم فتقديمه للامارة يحمل معنى قد لا يوجد فى غيره وهو استماتته فى القتال ليثأر لأبيه من قتلتـــه .

تاريخ الشباب فى فجر الاسلام :

واذا ذهبنا نقلب صفحات فجر الاسلام فسنرى فيها ألوانا وألوانا من الشباب الشجاع والشباب العالم والشباب المتفقه والشباب الحاكم وكـــل هذه الصفحات تفيض بالمفاخر وتتحدث عن شباب ماجد تحمل فى الدولة الكبيرة المسئوليات فاستقل بأعبائها كأحسن ما يكون الشيوخ دربة وتجربة واستعدادا وحيلة وبعد نظر .

« شــباب الحاضر »

فاذا تخطينا أعناق القرون ، وتسلقنا الزمن الى حاضرنا وتجاوزنــا شبابنا المحارب على خط النار فوقفنا بين شبابنا فى الجامعات والمعاهد أو بين المعامل والمصانع أو بين حقول الريف لنحاول الموازنة بينه وبين شباب فجر الاسلام من حيث الايمان أو العمل أو الاخلاص للدولة أو التفانى فى خيرها أو النهوض بالمسئوليات أو الاستعداد لبذل الجهد والعرق والمال أو التواصى بالحق والصبر لساء الحكم شبابنا ، وأضجرته الحقائق التى يعيش فيها واقعه وهو لا يفكر فى مغبتها : حقائق تنكره لكل القيم التى تعتمد عليها الأمم الحية وتقوم عليها دعائم مقومات حياتها :

فالعقيدة الدينية التى تربط الشاب بربه لا وجود لها فى دنيا شباب جمحت به العواطف الى أبعد ما يتصور الانسان من جمــوح الحيــوانية المعربدة ، فانطلق شبابنا لارضاء هذه الحيوانية وهو لا يجد فى قلبه بقية من وازع دينى تشده ساعة الى ربه ، وتحمل على الانصياع لأمــره أو نهيــه .

والاندفاع الى العمل تحت رقابة الضمير مات حين مات الضمير ومات سلطانه وارتبط التحرك للعمل بالقهر أو المال . والاخلاص يعيش لفظه فى القواميس وعلى ألسنة الرجعيين وأقلام الكتــاب والشــعراء ومحترفى السياسة أما معناه فقد دفنته دنيا المادة التى قضت على كل القيم .

وأصبح الشباب يقدر الاخلاص بمقدار ما يأخذ لا بمقدار ما يعطى وبذلك اضطربت موازين القيم واختلت مقاييسها .
والتفانى فى خير الأمة يخلقه الايثار وكيف يرفع الايثار رأسه فى وسط شباب تستبد بهم الأثرة بكل شىء فى حياته فهو مستعبد لغريزة التملــك وزمامه فى يد الأنانية تجره كما تشاء لا كما يريد الخــير . والنهــوض بالمسئوليات لا يعرفه الشباب الذى يفر من المسئوليات ويتخلص من الثبات .

وأخيرا الى أى هوة يساق ذلك الشباب ، وهلا ألقى النظر بعيدا ليرى المصير الذى يتزلق اليه ؟ وهلا أصاخ الى نداء المشــفقين قبــل أن يسقط فلا تستطيع قوة أن تنتشله مما تردى فيه .

« نــــداء » :

يا شباب المسلمين الغارق فى الخطيئة : ان أمواج الحياة مليئــة بالوحوش ، ولن تدعك تنعم بالحياة وهى تشقى بالجوع ، فانتزع نفسك من خطايا نفسك لتسمو فوق أمواج الحياة .

والله الله يا شباب المسلمين فليس لكم غد اذا لم تخرجوا من ظلمة هذا الليل بعد أن ينبثق فى قلوبكم نور الله فيحول شبابكم المظلم الى شباب يغمره الله بالايمان ، وعند ئذ تستعيدون دنيا أمة كانت خير أمة أخرجت للناس .

مائدة القارئ

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتـــا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم .

صفات القاضى

أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له ـــ انى لا أحسن القضاء ولست فقيها .. قال الرشيد ـــ فيك ثلاث خصال .
لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .
ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه .
وأنت رجل تشاور فى أمرك ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقـــه فسنضم اليك من تتفقه به فولى الرجل وما وجدوا فيه مطعنا .

مأزق حـــرج

حكى عن الحجاج أنه خرج يوما متنزها فاذا هو برجل عجوز من بنى عجل ، فقال له الحجاج من أين أيها الرجل قال من هذه القرية ، فسأله كيف قولك فى الحجاج ، قال ما ولى العراق شر منه قال أوتعرف من أنـــا فأجاب لا قال أنا الحجاج ، قال الرجل جعلت فداءك ، أو تعرف من أنا قال الحجاج لا ، فقال أنا فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتيـــن ، فضحك الحجاج وأمر له بصلة .

أوشك الصباح الجديد أن يشرق دون أن ينصرف أحد من الضيوف ، وأخيرا نظر اليهم صاحب المنزل الذى ملأ الغيظ قلبه وقال :

كان لطيفا منكم تفضلكم بزيارتنا مساء أمس .

قيل لعنترة :

بم تغلب الأبطال يا عنترة ؟

قال ــ أضرب الجبان ضربة ينخلع لها قلب الشجاع ، فأنثنى عليه فأقتله .

■■■■■■■■■

لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك فى المقدرة .

ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل .

ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان ..

■■■■■■■■■

سأل سائل عربيا حاجة فرده الاعرابى ..

فقال السائل ــ أين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فأجابه الاعرابى ــ ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس الحافا .

نفس كبيرة

كان يزيد بن المهلب بعد خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز مسافرا فى البرية يصحبه ابنه معاوية ، فمر بأمرأة بدوية ذبحت لهما عنزا فلما أكلا قال يزيد لابنه .

ــ ما يكون معك من النفقة ؟

قال مائة دينار ..

قال أعطها **اياها .**

فقال له ابنه ــ هذه فقيرة يرضيها القليل وهى لا تعرفك ؟

فقال يزيد ــ ان كان يرضيها القليل فأنا لا يرضينى الا الكثير وان كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى .

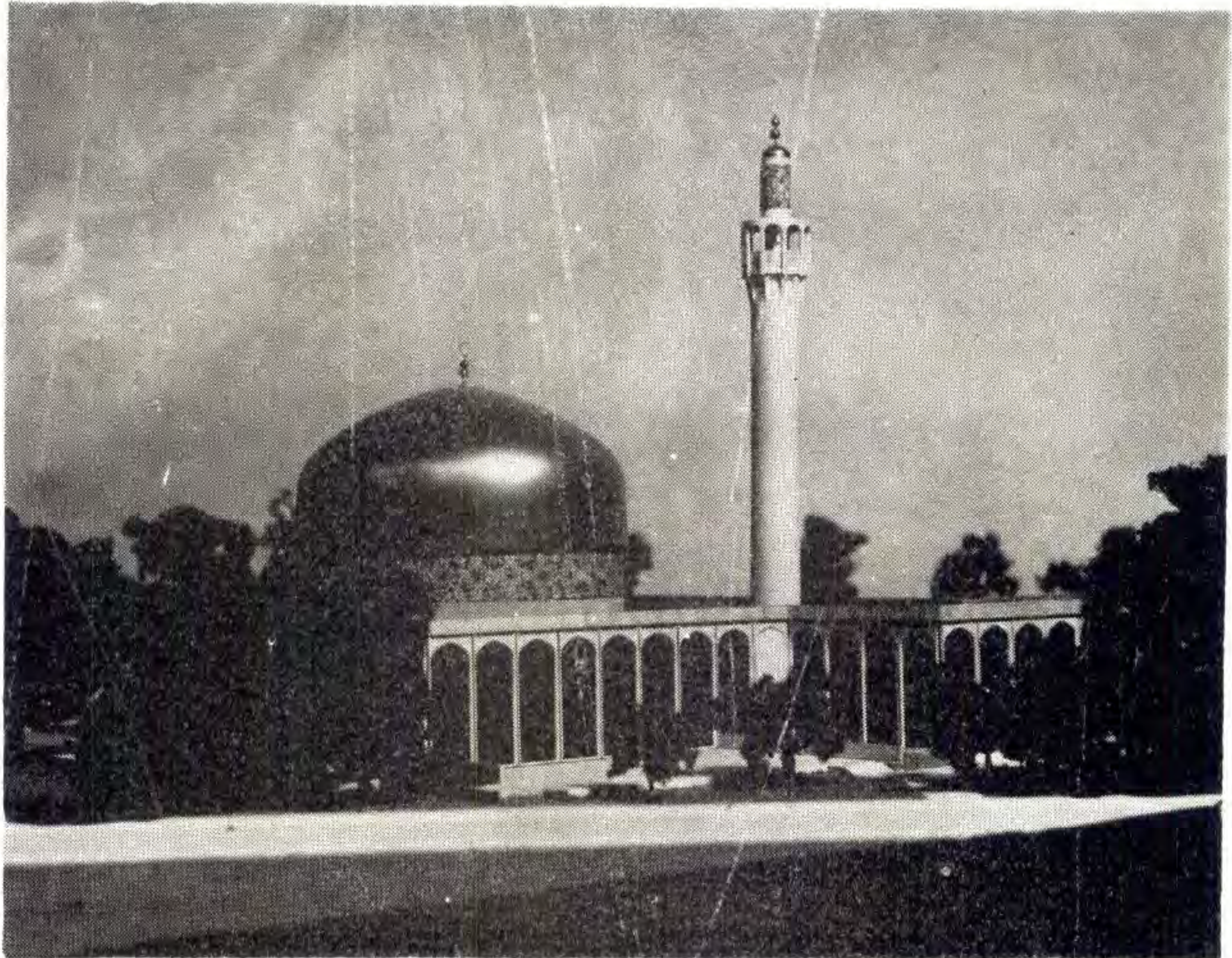
■■■■■■■■

كلمات مضيئة

أعقل الناس أعذرهم للناس .
خير الناس أنفعهم للناس .
أحمد الناس عاقبة فى الدنيا والآخرة أكتمهم للسر .
لا تقل ما لا تعلم ولا تقل كل ما تعلم .

المركز الاسلامى

ان أهم المساجد وأكبرها وأكثرها تأثيرا فى انجلترا هو مسجد لندن والمركز الثقافى الاسلامى بها ، فما هى قصة مسجد لندن ؟ انها قصة تمتد على مدى ثمانية وعشرين عاما منذ أن قدم الملك جورج الخامس المبنى الحالى للمركز الاسلامى والحديقة المحيطة به هدية الى الحكومة المصرية ليبنى عليها مسجد ، وفى نظير ذلك قدمت الحكومة المصرية قطعة أرض فى قلب القاهرة ، الى الجالية البريطانية ليقام عليها كنيسة وقد أقيمت الكنيسة فعلا منذ عام ١٩٤٥ وتسمى الكنيسة الانجلوكانية ، وموقعها حاليا على النيل بشارع الكورنيش على بعد حوالى ثلاثمائة متر



مبنى المركز الاسلامى فى لندن .

سلامي في لندن

من ميدان التحرير . وبالقرب من فندق الهلتون ، وقد أقيمت الكنيسة بدون تدخـــل من السلطات المصرية فى كيفية اقامة البنـــاء لأن المفروض أنـــه مكان للعبادة ، ومن حق المتعبدين أن يبنوه على الطريقة التى يرونهـــا متمشية مع أساليب تعبدهم ، ومرد هذا الى السماحة التى أمر بهـــا الاسلام مع المخالفين فى العقيدة ، والحرية المطلقة فى مباشرة ألـــوان التعبد حسب مقتضيات دينهم ما دامت لا تعتدى على حقوق الآخرين .

أما المسجد فلم يبن حتى الآن ، وقد تدرج فى الخطوات الآتية :

لما كان المسجد للمسلمين جميعا وليس للمصريين فقط رؤى أن يكون مجلس ادارته من سفراء الدول الاسلامية التى لها تمثيـــل سيـــاسى فى انجلترا فى ذلك الوقت ، وهى مصر والسعودية ، وايران ، وتركيـــا ، وجرى التقليد على أن يعتبر سفير أى دولة مسلمة عضوا فى مجلس أمناء المركز الذى يتكون حاليا من حوالى اثنين وعشرين عضوا ، ويكون أقـــدم السفراء رئيسا للمجلس يعاونه نائبان يلوونـــه فى الأقدميـــة ، ويرأس أقدمهما المجلس فى حالة غيابه ، ويختار ســـكرتير للمجلس من بيـــن السفراء ،ويمثل الباقون أعضاء المجلس ، والمفروض أن تسهم كل دولـــة بنصيب من نفقات المركز كل عام ، ولكن الملاحظ أن هذا الاسهام لم يكن بالقدر الذى يمكن المركز من أداء رسالته كما يرجى لها ، والأمل معقود أن يتلافى هذا مستقبلا .

وقد اتجه الجهد الأكبر للمجلس فى السنوات الماضية الى محاولـــة اقامة مسجد يمثل العالم الاسلامى وقد صادف بناء المسجد عقبات لم تكن فى الحسبان ، فقد جمع له مبلغ ربع مليون جنيه ، وأعد تصميم للبنـــاء وأرسى حجر الاساس فعلا عام ١٩٥٤ الا أن السلطات الخاصة بتصاريح البناء لم توافق على اقامة النموذج المقدم بحجج مختلفة فمرة قيل إن المئذنة مرتفعة ، ومرة اعترض على طريقة تصميم البناء ذاتها ، وفى عام ١٩٦٥ م كان الشعور السائد بين المسلمين أن المسئولين يضعون العقبات أمـــام المسجد لأنهم لا يريدون أن يقام مسجد فى هذا المكان الهام فى لندن ، ومما يذكر أن المكان الحالى للمسجد يطل على حديقة ريجنس بارك المشهـــورة ويؤمها الزوار من مختلف أنحاء انجلترا . ولما وصل الأمر الى هذا الحد كونت لجنة من السادة السفراء تسمى (لجنة المسجد) وأخذت تعمل على التعجيل ببناء المسجد ، وواصلت دراستها لكل العقبات ، ورؤى أن توضع

بشروط مسابقة عالمية لاقامة مسجد لنـــــدن ، وقطعا للطريق علـــى أى اعتراض من جهة السلطات البريطانية اتفق على أن تكون اللجنة من ثلاثة من المهندسين المعماريين أحدهم انجلزى والثانى مسلم والثالث اسبانى وقد اختير المهندس المسلم من باكستان ، ووضعت اللجنة شروط المسابقة ونظرت فى النماذج المقدمة ، وكانت نتيجة المسابقة فوز التصميم الذى تراه فى الصورة ، وهو من اعداد المهندس الانجليزى ، وكان المفروض أن يبدأ البناء عقب اعلان نتيجة المسابقة مباشرة الا أن الاموال المطلوبـــة غير متيسرة حتى الآن ، ويتكلف البناء حوالى مليون ونصف مليون جنيـــه استرلينى ، والمطلوب الآن جمع مليونين من الجنيهات ويستغل المبلـــغ المتبقى بعد البناء ليصرف من ريعه على أعمال الصيانة ومتطلبات البنـــاء المتجددة مع الزمن ، والأمل معقود أن تقوم الدول الاسلامية بواجباتها حتى يقوم بناء يمثل كل ما فى الاسلام من معان نعتز بها ، والانظار متجهة الى الكويت وشقيقاتها العربيات فى تحمل العبء الأكبـــر من هـــذا المشروع وخاصة هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالرزق الواسع والخير الكثير .

والمبنى الحالى للمركز الاسلامى عبارة عـــن قصر كبير تحيط بـــه حديقة فسيحة سيقام المسجد الجديد على أرضها وتستعمل ثلاث صالات واسعة بمثابة مسجد تقام فيه الصلوات ، يوم الجمعة يفرش الفنــــاء الذى يؤدى الى الصالات الثلاث وقاعة القراءة ، وتكون كلها غاصــــة بالمصلين الذين يتراوح عددهم فى الايـــــام العادية بين الخمسمائــــة والستمائة ، فاذا كان يوم الجمعة يوم عطلة ارتفع العدد الى ألف أو يزيد والمنظر المؤثر حقا هو يوم العيد فى لندن ففى هذا اليوم يجتمع فى ساحة المركز الاسلامى حوالى عشرة آلاف مسلم ينتسبون الى كل دول العالـــم فى الشرق والغرب وتغطى حديقة المسجد بالخيام التى تغص بالمصليـــن ومع ذلك فان عددا كبيرا منهم يضطر للصلاة خارج الخيام لأنه لا يجد مكانا وكثيرا ما يكون ذلك تحت المطر المتساقط بدون توقف مما يثير دهشـــــة الاجانب ، ويلفت انتباههم ، وسنعرض هنا لأهـــم ألوان النشـــاط التى يؤديها المركز الاسلامى فى لندن :

يلبى نشاط المركز الثقافى فى لندن حاجات المسلمين المقيمين فـــى انجلترا سواء كانت دينية أم ثقافية أم اجتماعية . وهذه التلبية تتم فى حدود الامكانات الميسرة للمركز .

فى النواحى الدينية : تقام الصلوات بانتظام وخاصة صلاة الجمعة من كل أسبوع ويسبقها الاستماع الى القرآن الكريم من تسجيلات أشهر مقرىء القرآن الكريم ويطبع المركز مواقيت الصلاة على مدار العـــــام ويوزعها على المسلمين مجانا . ويزداد هذا النشاط فى رمضان حيـــث تتخذ ألوان النشاط المناسبة لهذا الشهر الكريم فتعد امساكية خاصـــة بشهر رمضان مبينا فيها بدء الصيام ونهايته كل يوم مع أوقات الصــــلاة وصلاة التراويح التى تقام كل ليلة وتستمر حتى العاشرة والنصف مساء ، ومقدار الزكاة الواجب على المسلم فى هذا الشهر وميعاد صلاة العيـــد حيث تتم اجراءات ضخمة نظرا لارتفاع العدد الذى يتوافد على المركز فى ذلك اليوم الى ما يقارب العشرة آلاف . فتؤجر خيام تقام فى ساحة حديقة المركز مما يكلف حوالى (٩٠٠) جنيه « استرلينى » تقريبا أو يقل قليلا ، ويحصل مثل هذا العدد فى عيد الأضحى المبارك .



يبدو معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ راشد الفرحان مع مجموعة من العلماء وبعض من المسلمين فى محراب مسجد نور الاسلام بمدينة كارديف ـ انجلترا .

وفى خلال شهر رمضان تتم الاحتفالات بغزوة بدر وفتح مكة وليلة القدر حيث يبقى عدد من المسلمين فى المسجد حتى الصباح . ويعد لهم المركز طعام الافطار والسحور .

ويقوم المركز بعقود الزواج للمسلمين فى انجلترا وتبلغ هذه العقود سنويا قرابة مائة وخمسين عقدا وقد تبلغ المائتين . ويتقاضى المركز عن كل عقد خمس جنيهات وربع وقد يعفى منها غير القادر . ويقوم المركز باشهار اسلام الراغبين فى الاسلام واعطائهم شهادة بذلك بعد شرح الاسلام لهم ومناقشات معهم قد تستغرق شهورا أو أسابيع حسب معلومات الراغب فى اعتناق الاسلام . ويزودون بعدد من الكتب تشرح لهم الاسلام بعضها يقومون بشرائه من الخارج وبعضها يقدمه المركز هدية . ويبلغ متوسط الداخلين فى الاسلام حوالى مائتى شخص سنويا أو يزيدون .

ويقوم المركز بالرد على أسئلة المسلمين أو استفتاءاتهم فيما يعرض لهم من الامور التى يستوضحون عنها أو بعض المشاكل التى تعترض حياتهم مما يتعلق بأمور الأسرة وغيرها . كذلك يجيب المركز على أسئلة كثيرة من غير المسلمين الذين يستوضحون بعض الامور فى الاسلام أو يقومون باعداد دراسات فى مدارسهم أو كلياتهم فى الاسلام أو الاديان بوجه عام . وقد لوحظ ارتفاع عدد هذه الحالات فى الفترة الاخيرة بصورة ملحوظة .

كذلك يقوم المركز بأداء صلوات الجنازة على المتوفين من المسلمين فى لندن والذين يرغب أهلوهم فى اقامة الصلاة عليهم فى المركز .

النواحى الثقافية : وهى فى الحقيقة متصلة اتصالا وثيقا بالنواحى الدينية ولا تكاد تنفصل عنها لأن أى نشاط ثقافى يأخذ دائما الصبغة الدينية ومظاهر هذا النشاط تتمثل فى الصور الآتية :

(١) اعداد محاضرات دورية تتناول موضوعات اسلامية مختلفة وتتم فى دار المركز يدعى اليها جمهور المسلمين ، ويقوم بالقائها بعض الأساتذة المقيمين أو المارين بلندن والذين لهم القدرة على التحدث باللغة الانجليزية . وتشمل هذه المحاضرات الاحتفال بالمواسم الاسلامية الهامة مثل يوم الهجرة ، المولد النبوى ، الاسراء والمعراج ، وكذلك غزوة بدر ، وفتح مكة ، وليلة القدر ، والعيدين اللذين سبق ذكرهما .

(٢) كذلك يقوم المركز بارسال متحدثين عن الاسلام الى الكنائس والجامعات والمدارس والجمعيات والنوادى المختلفة التى تطلب متحدثين عن الاسلام أو تنظم دراسات عن الاديان المختلفة ، يتحدث فيها مندوب عن المركز عن الدين الاسلامى . وقد ازداد اقبال الانكليز فى السنوات الثلاث الاخيرة بشكل ملحوظ .

(٣) يقوم المركز باصدار مجلة باللغة الانجليزية تصدر مرة كل ثلاثة أشهر ، وتعتبر فى مستوى راق تهتم بها أقسام الدراسات الاسلامية والعربية فى جامعات العالم المختلفة فى أوروبا وأمريكا وآسيا وافريقيا .

أما النشاط الاجتماعى فيتمثل فى زيارة المرضى فى المستشفيات والمسلمين الذين يقضون فترات السجون . وأهم مظاهر النشاط الاجتماعى هو تقديم مساعدات مالية الى المحتاجين وتدفع هذه المساعدات من الزكاة أو من النقود التى يقدمها أصحابها ويطلبون توزيعها على المحتاجين من المسلمين . وأكثر هذه المساعدات تدفع للطلاب الذين يدرسون ويحتاجون الى معاونة مالية ليستمروا فى دراستهم ، والمظهر الثانى الهام من النشاط الاجتماعى هو حل مشاكل الأسر الاسلامية هنا وازالة الخلاف من بين أفرادها ومحاولة دراسة الظروف التى أدت الى الشقاق ومعالجتها بحكمة وقد تم علاج كثير من هذه الحالات واستؤنفت الحياة الزوجية بعد أن كانت قد تعطلت أو أصيبت بالتصدع .

هذا بالاضافة الى الجهات الكثيرة التى تكتب الى المركز وتطلب رأى الاسلام فى بعض الامور مما يتعلق بالاسرة ومشاكلها أو نظام الطعام أو الشراب أو علاقة الناس بعضهم ببعض .

هناك أمور عامة يقوم المركز بها بعضها دائم مثل قضية فلسطين والعمل من أجلها باصدار بعض النشرات والكتيبات التى تلقى أضواء على القضية وجمع التبرعات باستمرار وارسالها الى المنظمات الفدائية والمشاركة فى أى اجتماع عام يعقد فى لندن من أجل هذا الغرض ، وبعضها مؤقت مثل جمع التبرعات لبعض البلاد الاسلامية التى نكبت بأحداث طبيعية أو تعرض المسلمون فيها لظروف قاسية كما حصل بالنسبة لزلزال تركيا وايران وسيول تونس وباكستان ، وتعرض المسلمين فى مورشيس لظروف ارهاب أدت بهم الى هجر منازلهم . فى كل هذه الظروف قام المركز بجمع التبرعات وارسالها الى المنكوبين بهذه الأحداث .

هذا المركز الاسلامى فى لندن منارة للاسلام فى بلاد الانجليز .

مساجد الكويت



إعداد : الشيخ محمود وهبة

مسجد السوق الكبير

فى رحلة للنور لا يطولها الظلام ..وفى شموخ واعتزاز تتصاعد المآذن العديدة فى كل مكان بدولة الكويت لتكون دليلا أكيدا على أن التقدم الحضارى يواكبه وينظمه سمو روحى ليصل به دائما الى أسمى الغايات . والكويت كانت — ولا زالت تولى المساجد عناية خاصة وترصد لها



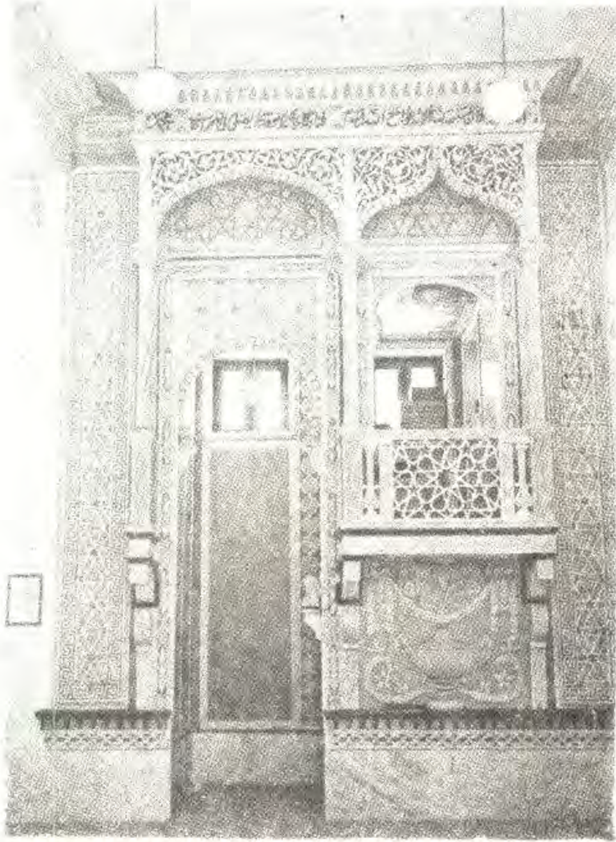
صورة لمسجد السوق من الداخل وقد ملئت قاعاته وساحته بالمصلين .

الاموال الطائلة بناء وتعميرا واصلاحا حتى بلغ عددها الآن أكثر من ثلثمائة مسجد تعتبر بحق مركز اشعاع روحى يهدف الى ايجاد مجتمع عف المشاعر نظيف السلوك يتعاون افراده على البر والتقوى ولا يتعاونون علـــى الاثم والعدوان ..

وأقدم مساجد الكويت هى : مسجد الابراهيم ومسجد آل خليفة ومسجد العدسانى ، فهذه الثلاثة هى أقـــدم مساجد الكويت على الاطـــلاق وقـــد بناها الرعيل الأول الذين استوطنوا الكويت منذ مئات السنين وكان البناء يتم بالطين والحجـــــارة والأخشاب وغيرها من مواد البناء المتاحـــــة حينذاك .

ومسجدنا الذى نفتتح به هـــــذه السلسلة من التحقيقات عن مساجد الكويت هو مسجد السوق الكبير وهو مسجد مهيب يمتاز بضخامة مساحته وجمال منظره ، وروعة نقوشه ، ودقة زخارفه ، مما يجعله بحق — من أعظم مساجد الكويت ..

وقد تم انشاؤه عام ١٢٠٩ هـ بجهود المحسن الكبير المغفـــــور له الشيخ محمد بن حسين بن رزق وبعـــض محسنى الكويت وكان فى أول أمره صغيرا لا يتسع الا لعشرات المصلين وكانت مئذنته عادية جـــدا لا يزيـــد ارتفاعها عن بضعة عشر مترا وكان تجار الكويت يحرصون دائما عـــلى الصلاة فيه . وفى عـــام ١٢٥٥ هـ تم تجديده لأول مرة بمعرفة المغفور له الشيخ يوسف الصقر بمساعدة بعض المحسنين وفى هذا التجـــديد أدخلت عليه زيادات هامـــة وأضيفت لـــه مساحات جديدة مما جعله يتسع لآلاف المصلين ، وأثناء عملية التجديد أوصى الشيخ يوسف الصقر أحد أصدقائـــه الذين كانوا يخوضـــون البحـــر فى رحلاتهم الطويلـــة الى آسيا وأفريقيا



محراب المسجد

بشراء الأخشاب اللازمة لعمليـــــة التجديد من النيبار (أفريقيـــــة) فاشتراها الرجل من هناك ولما عـــلم البائع أن هذه الأخشاب لتعمير مسجد رد ثمنها وتبرع بها طلبا لثواب الله .

وفى عام ١٣٧٣ هـ جددته دائـــرة الأوقاف للمرة الثانية وأعطته الدولة عنايتها الكاملة وبلغ ما أنفقته الدائرة على هذا التجديد (٦٢٥٣١١) روبية وهى العملة التى كانت متداولـــــة بالكويت فى ذلك الوقت ، وما زالت الوزارة توالى الانفاق على تجديده والمحافظة عليه ليبقى دائما منارة لنور الايمان على ضفاف الخليج .

والمسجد يقع فى قلب المنطقـــــة التجارية وسط العاصمة وهى المنطقة التى كانت تتم فيها الصفقات التجارية بين الكويت وبين دول آسيا وأفريقيا فى الماضى البعيد ، وما زالت تحتفظ بمركز الثقل التجـــارى حتى الآن ، وتجد فيها مئات بل آلاف المحـــلات

التى تبيع لك كل شىء بأرخص الأسعار ويعمل فى هذه المحـلات تجار وعمال من جميع أنحاء العالم العربى وان كان معظمهم من المهرة والعمانيين ..

واذا ألقيت نظـرة عامة عـلى المسجد من الخارج فستهزك حتمـا روعة مظهره ودقه نقوشه ، وجمال زخرفه ، وضخامة بنائه ، وامتـداد مساحته ، فواجهته الشمالية بها باب فخم يرتكز على اسطوانتين من الرخام الفاخر وتعلق عليهـا بعض الآيات القرآنية المكتوبة بخط رائع وعـلى بعد خطوات قليلة من الجهة الشمالية للباب نجد المئذنة التى بنيت عـلى الطراز الفاطمى وبها نقوش جميلـة وزخارف صنعت من الجص اللامـع الذى يزيدها بهاء وفتنة كما يوجـد بها أربع شرفات من جهاتها الاربع تنسجم مع طرازها وتعطى المشاهـد صورة أصيلة لفن العمارة فى الاسلام ـــ ومما زاد المئذنة جمالا تلك الساعة الضخمة التى وضعتها الدولة فـى المئذنة ليراها الناس من كل اتجـاه ويعرفوا بها أوقات الصلاة .

كما يوجد فى الواجهة الشرقيـة بابان كبيران من خشب السـاج يفضيان بك الى فناء فسيح يتسـع لحوالى ألف وخمسمائة من المصلين وألحقت به صالة كبيرة يجلس فيهـا الكثير من المسلمين عصر كل يـوم يقرأون القرآن الكريم ويتعلمون أحكام التلاوة والتجويد ومبادىء التفسيـر وغيرها من علوم القرآن كما يوجـد بالفناء أيضا دار فسيحة (لعابرى السبيل) يجدون فيها المأوى والراحة والهدوء والاستقرار .. واذا تركنا الفناء بما فيه ودخلنا المسجد نفسه فاننا سنجده فى غاية من البهـاء والرواء . فأرضه قد فرشت بالسجاد الفاخر الثمين وجدرانـه قد ازدانت بلوحات فاخرة كتبت فيها آيات كريمة من كتاب الله بخط كوفى رائع ــ كما توجد بالمسجد مكتبة ضخمـة تمد المصلين بزاد أصيل مـن الثقافـة الاسلامية بجميع فروعها ، ولا تجـد أحدا فى المسجد الا وبين يديه نسخة من كتاب الله أو كتاب اسلامى ينمى ثقافته ويزيد معرفته .. ويدفعه الى السمو الروحى فى هذه الحياة ..

أما السقف فيرتفع على أعمدة من الاسمنت المسلـح المغلف بالجص وتتوسطه قبة ضخمة ترتكز على ستة أعمدة وتتدلى منها ثريا جميلة جـدا تضاء فى الأعياد والاحتفالات الرسمية الى جانب الثريات الكثيـرة المتناثرة فى جوانب المسجد والتى تحيله فـى الليل الى شعلة متوهجة من الاضواء .. وحرصا على راحة المصلين فقد تم تركيب أربعة مكيفات كبيرة للهـواء تعمل ليل نهار وتجعل الجو فيه مريحا للمصلين . أما الجهـة الغربيـة والشمالية ففيها عشرة شبابيك مطلة على ساحة فسيحة مخصصة لوقوف سيارات المصلين ويلاصق المسجـد من هذه الجهة المدرسة المباركية وهى من المدارس الأولى التى كانت مـن مقومات الحركة الفكرية والعلمية فى البـلاد .

ويعتبر مسجد السـوق الكبيـر المسجد الرسمى للدولة ففيه يؤدى حضرة صاحب السمو أمير البـلاد المعظم وأعضاء حكومته صلاة العيدين كما تقام فيه الحفلات الرسمية وحلقات الوعظ والارشاد التى ترسم للنـاس طريقهم الواضح فى الدنيا والدين ، وتحدد لهم المنهج السوى فى شئون الاسلام والحياة ..

• • • •

تلك هى نبذة موجزة عن مسجـد السوق الكبير والى اللقاء فى حلقـة قادمة مع بيت آخر من بيوت الله ..

من المعارك الخالدة في تاريخ الإسلام

موقعة اليرموك

الموقعة الفاصلة بين

كان البدء فى فتح « الشام » متأخرا عن الفتح فى بلاد « العراق » فأول لواء عقده خليفـــة المسلمين أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ كان فى أول السنة الثالثة عشرة من الهجرة لخالد بن سعيد ، ثم عزله بناء على مشورة من عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قبل أن يأمره بالمسير ، وجعله ردءاً للمسلمين بـــ « تيماء » .

ثم اهتم أبو بكر الصديق بـــ « الشام » ، واعتزم الجـــد فى أمر « الروم » ، فاستنفر المسلمين للجهـــاد ، وجنّد الجنود ، وعقد الالوية الاربعة من كبار القواد المشهود لهم بالكفاءة والبطولة ، وعيَّن لكل واحد منهم طريقـــه ، والجهة التى يغزوها ويليها بعد الفتح .

١ ــ أبو عبيدة بن الجراح : ووجهته « حمص » ، وقاعدته « الجابية » .
٢ ــ يزيد بن أبى سفيان : وجهته « دمشق » ، وكان يرافقه أخوه معاوية .
٣ ــ عمرو بن العاص : ووجهته « فلسطين » ، وقد أمره أبو بكر الصديق بأن يمد الجيوش الاخرى بالمعونة اذا دعت الضرورة .
٤ ــ شرحبيل بن حسنة : ووجهته وادى « الاردن » .



المسلمين والروم..

للأستاذ محمد رجائي حنفي

وقد تراوحت تقديرات المؤرخين لعدد الجيش الاسلامى ما بين ستة وثلاثين ألفا وأربعين ألفا ، فيهم ألف صحابى ، منهم مائة يحملون وسام « بدر » .

ودع أبو بكر هذه الجيوش ، وأوصاهم وهو يودعهم بالعمل لله ، والجد والقصد ، واخلاص النية ، وذكرهم بما ورد فى كتاب الله عز جل من الثواب على الجهاد .

وأوصى يزيد بن أبى سفيان بحسن صحبة جنوده ، وأن يبدأهم بالخير ويعدهم اياه ، وأن يوجز فى وعظهم ، وان يكرم رسل أعدائه اذا وفدوا عليه ، وأن يقلل من مدة بقائهم عنده ، حتى يخرجوا من معسكره وهم جاهلون به ، فليس من المستبعد أن يكون هؤلاء الرسل جواسيس يقومون بجمع المعلومات عن جيشه ، وأن يمنع أى شخص من التحدث معهم ، بل يتولى هو بنفسه الحديث معهم ، وأن يكون يقظا بالليل فى أصحابه لتأتيه الاخبار ، وأن يصدق فى لقاء الاعداء ، ولا يجبن حتى لا يجبن الجنود ، فالقائد يعتبر المثل الاعلى لجنوده .

تحرك الامراء بجيوشهم وساروا حتى وصلوا « الشام » فنزل يزيد « البلقاء » ، وشرحبيل « الاردن » ، وأبو عبيدة « الجــابية » ، وعمرو « العربة » .

ويظهر أن « الروم » فى بادىء الامر لم يحفلوا بالمسلمين ، ولم يظنوا فيهم القوة والقدرة والجرأة على اقتحام عواصم البلاد ، والتغلغل فى داخلها بجيشهم القليل العدد الضعيف العدة ، فمهد هذا للمسلمين أن يقتحموا بجيوشهم بلاد « الروم » المجربين فى الحروب ، العارفين بمواضع الخطر ، الواقفين على عورات العدو ، الخبيرين بطرق البلاد ومسالكها .

لقد أوغل المسلمون فى جنوب « الشام » على شكل مثلث متقارب الاضلاع ، رأسه فى « البلقاء » مع يزيد بن أبى سفيان ، وأحد أضلاعه فى الجنوب الغربى فى « فلسطين » مع عمرو بن العاص ، والضلع الآخر فى الجنوب والجنوبى الشرقى فى « حوران » مع أبى عبيدة بن الجراح ، وفى الوسط شرحبيل بن حسنة بميل جهــة الغرب ، بحيث يمد بعضهم بعضا ، ومن ورائهم يزيد بن معاوية يحفظ عليهم خط الرجوع ، ويؤمن لهم طرق المواصلات والامــداد والتموين .

على هــذا الشكل دخلت الجيوش الاسلامية « الشام » ، وافتتح كل قائد من القواد ما مر بــه من البلاد اما بالصلح أو بالحرب ، حتى اذا أخذت الصيحة الروم من كل جانب هبوا من غفلتهم هبوب المذعورين ، فكاتب الامراء هرقل وهو بــ « القدس » فخرج منهــا حتــى وصل الى « حمص » ، فأعد الجنود وعبأ الجيش ، وأراد أن يشغل كل قائد من قواد المسلمين عن أصحابه ، ويضعفه عمن يكون بازائه ، فلديه الكثير من الجند والرجال ، فأرسل الى كل قائد أضعاف ما تحت إمرته من الجند ، فلجبهة عمرو بن العاص أرسل أخاه « تذارق » فى جيش قوامه تسعين ألفا من الجنود ، ولجبهة أبى عبيدة بن الجراح بعث « الفيقار بن نسطوس » فــى ستين ألفا ، ولجبهــة يزيد بن أبى سفيان أرسل « جرجة بن توذرا » فى خمسين ألفا ، ولجبهة شرحبيل بن حسنة بعث « الــدراقص » فى أربعين ألفا ، فصارت قوات « الروم » المواجهــة لقوات المسلمين مائتين وأربعين ألفا .

وعندما رأى المسلمون هــذه القوات هابوها ، ورأوا فى التريث الحزم كل الحزم ، فتداولوا فى موقفهم منها ، فهم لم يكونوا يتوقعون أن يجدوا مقاومة منظمة مثل هــذا التنظيم ، ثم وصل الى علمهم أن هرقل قد تحصن بــ « حمص » وأنه يتتبع أنباءهم بعناية بالغة ، وأنه جعل قيادة الجيوش لــ « تذارق » ــ الذى استطاع بمهارته وخبرته الحربية أن يوقع الهزيمة بالقوات الفارسية ــ ليطهر الاراضى الرومية من العرب ، وليلقى عليهم درسا لا ينسونه أبد الدهر .

وبعث المسلمون بالكتب والرسل الى عمرو بن العاص والخليفة أبى بكر الصديق ، يسألونهما الرأى والمشورة فى هــذا الموقف الدقيق ، فكان رأى عمرو : « ان الرأى الاجتماع ، وذلك أن مثلنا اذا اجتمع لم يغلب من قلة ، واذا نحن تفرقنا لم تقم كل فرقة لمن استقبلها لكثرة عدونا » .

وجاءهم كتاب من أبى بكر الصديق بمثل رأى عمرو ، يأمرهم فيــه بالاجتماع ، وأن يلاقوا زحف المشركين أعداء المســلمين بزحفهم ، وأن

يحترسوا من الذنوب ويجتمعوا بـ « اليرموك » .

وعندما بلغ هرقل ذلك كتب الى قواده أن : « اجتمعوا لهم ، وأنزلوا بالروم منزلا واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس التذارق ، وعلى المقدمة جرجة ، وعلى مجنبتيه باهان والدراقص ، وعلى الحرب الفيقار ، وأبشروا فان باهان فى الاثر مددا لكم » .

ولم يخف على هرقل أن المسلمين قد جمعوا فى جيوشهم كل ما أمكنهم ، وفى طليعة هذه الجيوش أهل القوة والشدائد وخوض الصعاب ، وأن المعركة التى ستدور بين جيشه وجيوش المسلمين ستكون معركة مريرة فاصلة ، فان قدّر لقواته النصر فيها فلن يجرؤ المسلمون على غزو بلاده مرة أخرى ، وان انهزمت قواته فسلام على « سوريا » سلاما لا لقاء بعده ، ومن أجل ذلك اهتم بهذا الجيش الذى عبأه ، وجنّد له كبار قواده وأمرائه .

المواجهة

ينبع نهر « اليرموك » من جبال « حوران » ، وينحدر سريع التيار بين آكام مختلفة الارتفاع الى غور « الاردن » والى « البحر الميت » ، وعلى بعد يتراوح بين ثلاثين وأربعين ميلا من ملتقى نهر « اليرموك » بنهر « الاردن » تقع واقوصة فى منبطح فسيح من الارض ، تحيط بها من ثلاث نواح جبال بالغة الارتفاع .

وقد وقع اختيار « الروم » على هذا المنبطح ليكون معسكرا لقواتهم ، وعندما قدموا اليها واستقروا بها تخطى المسلمون نهر « اليرموك » الى ضفته اليمنى ، واختاروا منبطحا آخر على الطريق المفتوح لجيوش « الروم » ، فأصبح « الروم » محصورين بين الجبال ، وعندما رأى عمرو ابن العاص ذلك قال : « أيها الناس ، أبشروا حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير » .

لقد أصبح موقف « الروم » باختيارهم للمنبطح معسكرا لقواتهم عسيرا ، وأصبح موقف الجيوش الاسلامية قويا ، وتغير الوضع ، ولكن .. عن أى شىء أسفر هذا الوضع الجديد ؟ هل هاجم المسلمون « الروم » فى المكان الذى اختاروه لانفسهم وقضوا عليهم ؟ هل هاجم « الروم » المسلمين مستغلين تفوقهم فى العتاد والعدة والعدد وأتاحوا لانفسهم فرصة الانتصار على المسلمين بانقضاض سريع ؟

كلا ، لم يحدث شىء من هذا ، بل لم يحدث أى اشتباك بين الفريقين ، وأقام المسلمون على طريق « الروم » لا يقدرون منهم على شىء ،ولا يقدر « الروم » منهم على شىء ، فاذا خرج « الروم » من معسكرهم ردهم المسلمون اليه ، واذا غامر المسلمون وقاموا بهجوم فانهم لم يلبثوا أن يتراجعوا خشية أن يحصرهم « الروم » بينهم فيكون فى ذلك القضاء عليهم ، واستمر الحال على هذه الصورة مدة شهرين كاملين اعتقد المسلمون خلالهما أنه لا بد لهم من مدد يأتيهم يعينهم على هذا الوضع ، فبعثوا الى أبى بكر الصديق يصورون له الموقف ، ويصفون له الحالة ، ويطلبون منه ارسال المدد .

وعندما علم أبو بكر الصديق بوضع القوات الاسلامية فى « الشام » قال : « والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » .

ووصلت تعليمات أبى بكر الصديق الى خالد بن الوليد وهو فى مدينة

« الحيرة » مقر قيادته العليا فى « العراق » ، ومضمونها أن يســير خالد حتى يأتى جموع المسلمين بــ « اليرموك » ، وأن يأخذ معه نصف الجيش الاسلامى ، ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيبانى ، ولا يأخذن معه من فيه نجدة الا ويترك عند المثنى مثله ، فامتثل خالد بن الوليــد لهــذه التعليمات .

وفكر خالد فى كيفية الوصول الى « الشام » من « العراق » ، ان الحرب خدعــة لا بد للانتصار فيها من المباغتة والمفاجأة ، فاذا توقعك عدوك من ثلاث طرق فاذهب اليه من الطريق الرابع ، هنا تكمن المفاجأة ، مفاجأة العدو بحيث يرى عدوه أمامه وهو غير متوقع .

ان خالدا يريد أن يسلك طريقا يفاجىء منه الجيش الرومى ، ويحفظ بــه الامن والسرية لتحركاته ، وعندما سأل لم يدله مجاوبوه الا على طريق صحراوى يشق على الجيش الاسلامى المسير فيه ، ويحمله ما لا يطيق من الصعاب والمشاق ، واستقر رأى خالد على سلوك هــذا الطريق الصحراوى ، فهو وان كان طريقا مخيفا رهيبا قليل الماء عظيم الخطر الا أنه طريق لا يتوقع العدو أن يأتى منه أى مــدد .

واتخذ خالد القائد العبقرى احتياطاته للمسيرة الرهيبة ، فجمع عددا من الابل ومنع عنها الماء أياما حتى عطشت واشتد عطشها ، ثم سقاها حتى ارتوت ، فشد أفواهها حتى لا تجتر ، وفى هذه الحالــة تختزن الابل كميات المياه التى شربتها فى مثاناتها لعدة أيام قبل أن تستهلكه تدريجيا ، وهذه الطريقــة يلجأ اليها البدوى فى الصحراء حتى الآن .

وأمر خالد قواته بالسير ، وعلى طول الطريق الصحراوى الخطر الى « الشام » كان خالد ينحر كل يوم عــددا من هذه الابل ليشرب الجيش الماء من بطونها ، وقطع خالد صحراء « العراق » وبادية « الشام » ، وهى جزء من الطريق يزيد على ٩٥٠ كيلومترا فى أشد الظروف قسوة وحرارة ، يغزو من يقابله من القبائل حتى وصل الى « تدمر » الذى كان وصوله اليها مفاجأة مذهلة لــ « الروم » ، ثم سار من هناك الى « ثنية العقاب » ناشرا راية سوداء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى « العقاب » ، ثم تجاوزها الى « مرج راهط » شرقى غوطة « دمشق » ، فأغار على أرباض « دمشق » ، ثم اتجه جنوبا حتى وصل الى « بصرى » ، فقاتل أهلها حتى صالحوه ، فكانت بصرى » أول مدينة بــ « الشام » تفتح صلحا على يد خالد ، فبعث بالاخماس الى أبى بكر الصديق ، ثم سار منها ووصل الى « اليرموك » حيث يرابض الجيش الاسلامى .

ولقد صادف وصول خالد تعزيز هرقل لجيشه بــ « باهان » القائــد المحنك ، فاغتبط « الروم » بــ « باهان » اغتباط المسلمين بخالد ، وأقام الجيشان الاسلامى والرومى يتحين كل منهما الفرصة المناسبة التى تمكن له احراز النصر على عدوه .

دقــة الموقف

لقد بلغ الموقف بين القوات الاسلامية والقوات الرومية مبلغا غايــة فى الدقة ، ولم تكن هذه الدقة متوقفــة على ما بين الجيشين من فرق فى عدد

الجنود ، بل كانت الدقة أيضا فى تفوق عدة « الروم » على عدة المسلمين ، بيد أن هذا التفوق فى العدد والعدة لم يظهر له أى اثر طوال أيام الشهرين اللذين مضيا ، منذ جمع المسلمون و « الروم » قواتهم على نهر « اليرموك » .

وتوالت الايام ، وانقضى أسبوع واثنان وثلاثة ، وكل من الجيشين فى مواقعه لا تتاح لاى منهما فرصة القتال والنزال . فكيف استطاع خالد ابن الوليد أن يتحمل هذا الموقف ويصبر عليه ، وما احتمل وصبر لمثله أبدا من قبل ؟ هل افزعته جيوش « الروم » بكثافتها فهابها مثلما هابها زملاؤه ؟ أم كان يدرس الموقف ويخطط للمعركة ويضع التكتيكات التى تضمن له سبل الفوز والنصر ؟ أم كانت عوامل أخرى تركت فى نفسه من الاثر ما جعله يظل هذه المدة لا يقوم بأى هجوم ؟

لقد أجمعت أكثر روايات المؤرخين على أن الجيش الاسلامى لم يكن موحد القيادة ، بل كان كل أمير يلى قتال من وُجِّهَ اليه ، وينظم خطته بما يكفل له عدم تراجعه ، ويصلى بجنوده على حدة ، وهذه الخطة فى مثل عدد جيش المسلمين لا تنيلهم من عدوهم ولا تمكنهم منه ، وأن خالدا جاء من « العراق » مددا لزملائه وليس أميرا عليهم ، فعسكر هو أيضا بجنوده على حدة وصلى بهم ، ولذا لم يستطع خالد أن يشن هجوما على العدو بمفرده ، اذ ليس تحت امرته من الجنود سوى تسعة آلاف تقريبا ، ولكن هذا التفرق فى القيادة لم يمنع الجيش الاسلامى من أن يصد هجمات الجيش الرومى التى شنها ويرده الى مواقعه .

تصرف حازم

ان أبا بكر الصديق لم يول خالدا امارة الجيش عندما أرسل اليه كتابا يأمره فيه بالسير من « العراق » الى « الشام » مددا للقوات الاسلامية ، المقسمة الى أربعة جيوش على كل جيش أمير .

وان « الروم » ينشطون كل يوم وينظمون صفوفهم ، وتدل أنباؤهم على أنهم يستعدون ويتجهزون لمعركة فاصلة ، وعرف أمراء الجيش هذه الانباء ، ثم تواترت الاخبار بأن « الروم » يتجهزون وكلهم حماس لقتال المسلمين ، وأنهم سينازلونهم فى الغد ، وأن « باهان » قسم الجيش فى صفوف لم يُسمع بها من قبل ، فاجتمع أمراء الجيش الاسلامى فى مجلس حرب للبحث والمشاورة ، واتخاذ كافة الترتيبات لمواجهة هجوم « الروم » المتوقع .

وابتدأ الحديث ، وتكلم كل أمير عن وجهة نظره وخطته فى لقاء الاعداء ، أما تعبئة الجيش تعبئة كاملة فلم يتناولها البحث ، لان كل أمير هو صاحب الرأى فى صف جنوده وتنظيمها ، وعندما جاء دور خالد بن الوليد فى الحديث تكلم وبيَّن للامراء أن التكتيك الحربى الذى يتبعه الجيش الرومى لا يصلح معه هذا الاسلوب الذى يتبعه أمراء الجيوش الاسلامية ، وانه يرى أن حشد القوات الاسلامية فى مواجهة العدو هو الطريق الامثل فى مثل هذه الظروف .

ومضى خالد بن الوليد يشرح وجهة نظره للامراء فقال : ان هذا

يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، اخلصوا جهادكم واريدوا الله بعملكم ، فان هــذا اليوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظــام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغى .

ولعل خالدا قد رأى أن تولية الامراء على مناطق محــددة تكون لهم بعد انتهاء الحرب أمر ربما يكون له أثر نفسى على القادة فضلا عن الجنود ، والقادة هنا ما هم الا الصفوة من الرعيل الاول الذين تخرجوا من مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فخالد يذكرهم بما هو أسمى وأبقى ، ويحذرهم من أن يكون للدنيا أثر فيما يتطلعون اليه ، لان ما عند الله خير وأبقى فيقول : ان الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما غشيهم ، وأنفــع للمشركين من امدادهم ، وقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه وان دان لأحد من أمراء الجند ، ولا يزيده عليه ان دانوا له ، ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفــة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فان هؤلاء قد تهيأوا ، وهــذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها .

ويعرض القائد العبقرى أن يتولــى كل أمير قيادة الجيش يوما ، ويقترح أن تكون له القيادة فى اليوم الاول ، فلم يتردد الامــراء بعدما سمعوا كلامه فى اجابته الى ما طلب ، وهم يظنون أن المعركة ستكون طويلة ، بينما كان خالد بن الوليد يرجو ويتمنى من أعماق قلبه أن ينتهى منها فى أول يــوم .

وكان خالد فى أثناء الشهر الذى أقامه بــ « الشام » قد عرف من أسرار قيادة « الروم » ما طوع لعبقريته أن يضع خطــة الملاقاة والانتصار على الاعداء ، لذلك نظم جيشه على أساس وجود قوى رئيسية على شكل فرق أوكراديس على حد تعبير المؤرخين ، وكل فرقة مكونة من الف مقاتل ، لاعتقاده بأن هــذا التنظيم سوف يظهر امكانيات المسلمين بصورة أكبر فى نظر العدو ، وجعل القلب مكونا من ثمانى عشرة فرقة وعليه أبو عبيدة بن الجراح ، وفيه القعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل ، وجعل الميمنة عشر فرق وعليها عمرو بن العاص ، وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة عشر فرق وعليها يزيد بن أبى سفيان ، وجعل على رأس كل فرقة قائدا يتلقى الاوامر ممن فوقه .

ولم يكتف خالد بن الوليد بهذا النظام البديع ، بل جعل للجيش طليعة وعليها قباث بن أشيم ، وقاضيا وهو أبو الدرداء ، وقارئا وهو المقداد ، يقرأ على الجنود سورة الجهاد « الانفال » كما كان يفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه من بعد موقعة « بدر » عند لقاء الاعداء ، وأسند تموين الجيش الى عبد الله بن مسعود ، وعين أبا سفيان بن حرب قائدا للتوجيه المعنوى ، مهمته وعظ الجنود وقراءة القرآن عليهم ، وتذكيرهم بالله عز وجل ، وحثهم على الجهاد وبذل الارواح فى سبيل الله ، فكان يسير فى الجيش ويتنقل بين الفرق وهو يقول : « الله الله ، انكم ذادة العـــرب وأنصار الاسلام ، وانهم ذادة الروم وأنصار الشرك . اللهم ان هــذا اليوم من أيامك . اللهم أنزل نصرك على عبادك » .

وعلى هـــذا التنظيــم المحكم الــذى عبأ به خالــد الجيش ، نراه

لم يترك أمرا يزيد فى قوة المسلمين ، ويرفع من روحهم المعنوية ، ويوقظ فيهم الحماس ، ويلهبهم للقاء عدوهم ، ويوقع الرعب فى قلوب الاعداء ويوهن من عزائمهم ، الا وفكر فيه وفعله فى هذا اليوم العظيم .

وقبيل بدء القتال طلب القائد الرومى أن يبرز اليه خالد ليقول له بضع كلمات ، فخرج اليه خالد حيث تواجها فى الفراغ الفاصل بين الجيشين ، وقال « باهان » ومن حوله أركان حربه يخاطب خالدا : قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم الا الجهد والجوع — غلاء الاسعار وضيق الامور على المسلمين — ، فان شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير ، وكسوة ، وطعاما ، وترجعون الى بلادكم ، وفى العام القادم ابعث اليكم بمثلها . فإنا قد جئناكم ومعنا من الجيوش والعدد ما لا قبل لكم به .

وفكر خالد قبل أن يجيب على كلام القائد الرومى ، ان « باهان » يستهدف من كلماته هذه ثلاثة أشياء :

الاول : انه يشكك فى الاوضاع الاقتصادية للدولة الاسلامية ، كما أنه يشكك فى الهدف وعدم ادراك الغاية التى يستهدفها الجيش الاسلامى.

الثانى : أنه يحاول رشوة الجيش الاسلامى بالمال والطعام والكسوة.

الثالث : أنه يشن حربا نفسية باستهانته وسخريته من قلة الجيش الاسلامى اذا قيست بما تحت يده من رجال وعدة وعتاد .

وضغط خالد أعصابه ، وجزّ على أسنانه بعدما أدرك ما يرمى اليه « باهان » من كلامه ، وقرر خالد أن يرد عليه بجواب مناسب ، فقال له : انه لم يخرجنا من بلادنا الجهد والجوع كما ذكرت ، ولكننا معشر العرب نشرب الدماء ، وقد علمنا أنه لا دم أطيب من دمكم ، فأقبلنا لنهريق دماءكم ونشربها ، ولقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا . ولوى البطل زمام جواده عائدا الى صفوف جيشه .

لقد كان فى رد خالد هذا مقابلة حاسمة تامة للاشياء الثلاثة التى ارادها « باهان » فى كلامه ، فقد أظهر وأوضح له أن خروج المسلمين لم يكن سببه الجوع أو ضيق الامور ، ثم ألقى عليه وعلى أركان حربه الواقفين حوله بقنبلة أحدثت انفجارا نفسيا رهيبا ، ونشرت الرعب والذعر فى قلب « باهان » ومن معه ، فالعرب لم تكن فى يوم من الايام شاربة للدماء ، ولكن الاثر النفسى لكلام خالد تحقق على الفور ، وظهرت آثاره فى نفوس العدو ، فقد سيطر الرعب والخوف والفزع على قلوب أركان حرب « باهان » ، ومال بعضهم على بعضهم يتهامسون بقولهم : هذا ما كنا نسمع به عن العرب من شربها الدماء .

ولم يستطع خالد أن ينكر فى رده على « باهان » تلك الامكانيات الهائلة الموجودة فى جيش « الروم » من حيث العدد والعدة ، ولكنه ركز تركيزا مباشرا على اعتبار له القيمة الحاسمة فى مصير المعركة من وجهة نظره ، انه يتحدث عن العقيدة التى يحارب بها المقاتل ، ونوعية ذلك المقاتل ، ولا شك فى أن لكل مقاتل عقيدة حتى ولو كانت باطلة ، فالجندى الرومى يحارب بعقيدة ، والجندى المسلم يحارب بعقيدة ، بيد انه يجب أن يكون ايمان الجندى المسلم بالحق الذى هو عليه أشد وأقوى من ايمان الجندى الرومى بما هو عليه ، والمقاتل الذى يحارب ويرغب فى الحياة

يختلف تمام الاختلاف عن الجندى الذى يحارب وهو يتحرق شوقا الى لقاء الله ، فهو لا يتعلق بشىء مما فى الحياة الدنيا ، لان ما فيهـــا الى زوال وانتهاء ، أما ما عند الله عز وجل فهو باق لا يزول ولا ينتهى . هـــذا هو هدف الجندى المسلم يبذل روحه رخيصة فى سبيل الله طمعا فى لقاء الله .

الموقعـــة

أمر خالد بن الوليد مجنبتى القلب أن ينشبا القتال ، وكان عليهمـــا القعقاع بن عمرو ، وعكرمة بن أبى جهل ، فخرجا فى حماس ، وأنشـــبا القتال ، والقعقاع يرتجز :

يا ليتنى القـــاك فى الطراد　　قبل اعترام الجحفـــل الوراد
وأنت فى حلبتـــك الوراد

وعكرمة يجاوبه بقوله :

قد علمت بهنكـــة الجـــوارى　　انى على عكرمـــة أحامى

وكانت هذه الأراجيز تفعل فعل السحر فى النفوس ، فتثير حماس المحاربين ، وتهيج كامن وجدانهم ، وتقوم مقام الموســـيقى فى استثـــــارة النفوس ، وتشجيع القلوب ، والهاب الحمية .

والتحم الجيشان ، وتطارد الفرسان ، وخرست الألسنة ، وصمت الآذان ، فلم يعد يسمع الا صوت السيوف وهى تتضارب ، وزئير الفرسان وهو يتعالى .

ثم خرج « جرجة » قائد قلب جيش « الروم » ، حتى اذا كان بيـــن الصفين صاح مناديا : ليخرج الى خالد . فخرج خالد اليه بعد أن أقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، ثم دار بين الاثنين حوار انتهى باسلام « جرجة » وصلاته ركعتين .

وأغلب الظن أن « جرجة » كان عربيا أوروميا أقام سنين طويلة ببلاد « الشام » ، فعرف اللغة العربية ، وسمع بأخبار المسلمين ، وبانتصارات خالد المتتالية ، فانضم الى الجيش الاسلامى بالقوات التى تحت امرته .

واعتقدت فرقة من جيش « الروم » أن « جرجة » قد حوصر ويحتاج الى المدد ، فانقضوا على المسلمين حتى أزاحوهم عن مواقعهم ، وحملوهم على التقهقر للوراء ، وعندما رأى عكرمة هجوم « الروم » وتراجع المسلمين ثار الدم فى عروقه وصاح : قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل موطن وأفر اليوم ثم نادى فى أصحابه : من يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام ، وضرار بن الازور فى أربعمائة من وجوه المسلميـــــن وفرسانهم ، من بينهم عمرو ابنه ، وهجموا على فرقة « الروم » هجمة رجل واحد ، مستميتين فى سبيل ربهم الكريم ، وقد تجلى لهم وجهه الأكرم فأضاء لهم بنوره سبيل الاستشهاد والجنة ، وزلزلت « الروم » مـــن الهجمـــة ، وزادهم زلزالا انضمام « جرجة » وجنوده للمسلمين فى مهاجمتهم ، ممـــا جعلهم يعتقدون أن بنى وطنهم قد غدروا بهم وانضموا لأعدائهم ، فأخذوا يتراجعون الى الوراء .

وعندما رأى خالد فرقة « الروم » ترتد وتتراجع أصدر أمره الى جميع

قواد الجيش بالتقدم ، فاذا بقوات « الروم » تلقاه بهجوم ليس دون هجومه عنفا وقوة ، فأيقن المسلمون أنه لا سبيل لهم ولا مفر من الفناء الا باحراز النصر على أعدائهم ، فازدادوا ايمانا بالله عز وجل ، وزادهم ايمانهم قوة فى هجومهم ، واندفع خالد بن الوليد يعمل فيهم سيفه فيخطف أرواحهم خطفا ، وجرجة يفعل مثله حتى أصيب ، وبلغت الحماسة بالمسلمين أن شاركت النساء الرجال فى القتال ، فكانت لجويرية بنت أبى سفيان مواقف تعيد الى الذاكرة موقف أمها هند فى موقعة أحد .

واستمات « الروم » فى قتال المسلمين ، وأخذوا يقتلون من المسلمين كل من يقع فى أيديهم ، فترجحتكفة المعركة واستمر ترجحها طوال النهار ، ووقف عكرمة ومن بايعوه على الموت لا يتراجع واحد منهم قيد أنملة عن مكانه بعد أن وهبوا أنفسهم لله ، فحملوا وطيس المعركة من بدايتها الى نهايتها ، فاستشهد البعض وأصيب البعض الآخر باصابات شديدة .

وعندما آذنت الشمس بالمغيب بدأت قوات « الروم » تضعف وتهن ، وبدا الاعياء والاجهاد على وجوه الفرسان ، وأدرك خالد أنهم يلتمسون الوسيلة الى الهرب ، فقدر أن فرارهم سوف يزيد من ضعف بقية الجيش الرومى ، فأصدر أمره لجنوده بأن يفسحوا طريقا يؤدى الى الوادى ففعلوا ، ولم يلبث هؤلاء الفرسان حين رأوا فرصة النجاة قد تهيأت لهم أن فروا هاربين وتفرقوا فى البلاد ، وعندئذ انقض خالد بفرسانه ومشاته على مشاة « الروم » ، مقتحمين عليهم خندقهم ، فتقهقروا وتراجعوا الى الوراء ، وكان وراءهم الواقوصة فوقعوا فيها وكأنهم جدار اندك من أساسه ، وعندما شاهد المسلمون ذلك شددوا الضغط عليهم حتى هوى فى الواقوصة مائة وعشرون ألفا .

وقد استمر القتال النهار كله ومعظم الليل ، ولم ينبثق نور الصباح حتى كانت « الروم » قد انهزمت هزيمة ساحقة ، وقتل « تذارق » أخو هرقل ، كما قتل عدد كبير من أمراء جيش « الروم » ، أما « باهان » فقد فر ونجا ليقف أمام المسلمين بعد ذلك فى مواقع لم يكن حظه فيها بأسعد من حظه فى « اليرموك » .

واستقر خالد فى رواق « تذارق » ، وغنم المسلمون كل ما فى معسكر « الروم » ، ولم يكن عدد من استشهد من المسلمين قليلا ، فلقد بلغ ثلاثة آلاف من بينهم عدد من كبار الصحابة والفرسان ذوى المكانة والبلاء .

وكان لكثير من فرسان المسلمين وأبطالهم أثر يذكر فى تحميس المسلمين واقدامهم ، وصبرهم وثباتهم ، فكان الزبير بن العوام أفضل من شهد موقعة « اليرموك » ، فقد اخترق صفوف « الروم » مرتين ، لم يصب فيهما الا بضربتين فى قفاه .

وكان عكرمة بن أبى جهل وابنه عمرو قد أصابتهما الجراح من كل جانب خلال المعركة ، فلما أصبح المسلمون جىء بهما الى خالد فى رواق « تذارق » ، فوضع رأس عكرمة على فخذه ، ورأس عمرو على ساقه ، وأخذ يمسح عن وجهيهما ويقطر الماء فى حلقيهما حتى استشهدا . رحم الله تلك النفوس التى استهانت بالدنيا ومتاعها التماسا للشهادة ، ورغبة فى نصرة الاسلام ، مطلبا لقهر العدو ، ونصرا لدين الله عز وجل .

وقد أبلت المسلمات فى ذلك اليوم كما أبلى الرجال ، فكن يقمن بسقى الماء ، ومداواة الجرحى والمرضى ، واستنهاض الهمم ، واستثارة الحماس فى قلوب الرجال ، ويواسينهم بأنفسهن فى ساحة القتال ، حتى بلغن من كيد العدو ما لا تبلغه منه السيوف ، وممن قاتلن فى هذه الموقعة أسماء بنت يزيد الاشهلية ، فقد حملت عمود خبائها وهجمت به على صفوف « الروم » تضرب به كل من تقابله ، فقتلت بهذا العمود تسعا من جنود الاعداء .

عــزل خالــد

وفى أثناء الموقعة والقتال على أشده بين الجيوش الاسلامية والجيش الرومى ، ولا يستطيع أحد أن يتكهن بنتيجة الموقعة وصل البريد بوفاة أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — وعزل خالد بن الوليد عن امارة الجيش ، وتولية أبى عبيدة بن الجراح مكانه (١) ، وحينما رأى المسلمون رسول الخليفة سألوه عما وراءه ، فأخبرهم بالسلامة والامداد ، وأسر رسول الخليفة الى خالد بالخبر وبما قاله للجند ، فحمد له خالد رأيه واستحسنه ، وأخذ خالد الخطاب من الرسول وأخفاه معه ، ولم يذع ما جاء بـه حتى لا تضعف قوة المسلمين أثناء المعركة ، وبعد انتهاء المعركة سلم خالد الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح وسلم عليه بالامارة .

وانتهى خبر هزيمة قوات « الروم » الى هرقل ، فارتحل عن « حمص » وجعلها بينه وبين المسلمين ، وولى عليها أميرا خلفه فيها ، كما ولى على « دمشق » أميرا ، وودع « سوريا » الوداع الاخير وعيناه مغرورقتان بالدموع بقوله : « سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده » ، وامتطى صهوة جواده وهو منكس الرأس ليعبر جبال « طوروس » متجها الى الغرب .

هذه هى موقعة « اليرموك » التى تعد من المعارك الفاصلة فى تاريخ الشرق ، وبعبارة أدق بين المسلمين و « الروم » ، فقد تقلص سلطان القياصرة عن رقعة فسيحة ، وظهر سلطان الاسلام ، وتتابعت بعدها الفتوحات الاسلامية فى « الشام » .

ولقد استطاع سيف المسلمين فى هذه الموقعة أن يستخلص ثأرا ويسوى حسابا كان مفتوحا منذ انسحاب الجيش الاسلامى الذى أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى حدود « الروم » فى سرية « مؤتة » ، وكان خالد فيه جنديا ثم قائدا بعد استشهاد قواده الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحه ، رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) فى اعتقادى أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قد توقع عندما أرسل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد مددا للجيوش الاسلامية فى « اليرموك » أنه سيتولى امارة الجيش بالاتفاق مع القواد ، وقد صدق توقعه فقد كان ملهما .

زهد المؤمن

محمود فوزى

للدكتور : أحمد الحوفي

١ — الزهد :

هو العزوف عن المباح مع القدرة عليه ، تهذيبا للنفس وايثارا لنفع الآخرين ، فان كان عن معجزة وضيق فانه اضطرار لا مندوحة عنه ، فلا يصح أن يسمى زهدا ، وان كان لاذلال النفس وتعذيبها بغير ما قصد الى نفع يتحقق للأمة أو لطائفة منها فليس من الزهد فى شىء بل هو رهبانية لا يقرها الاسلام ، قال تعالى « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . (١)

والزهد بهذا المعنى السامى فضيلة موصولة بفضائل أخرى مثل العفة والقناعة والصبر والتواضع والايثار .

وهو بهذا المعنى مظهر للقدرة على حرمان النفس مما تجد ، وتقوية للعزيمة ، وتغليب لها على الرغبات والحاجات ، لأن الاستمتاع الدائم يعود النفس على طلب المزيد ، فاذا منعت شيئا مما تريده ضاقت ألما وحسرة .

وما من شك فى أن صاحب الاخلاق الفاضلة يتجافى عن اللذات التى تستهوى غيره ، ويتعالى على الاستمتاع بما لا ينبغى الاستمتاع به ،

بل انه يبغض الاستهتار باللذات ، ولا يشعر بألم من الحرمان ، لأنه قليل المآرب والحاجات ، يرضى من حياته بما لا ضرر فيه ، وبما يلائم سيطرته على رغباته وايثاره غيره على نفسه .

٢ ــ ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الزهد ، لأنه زهد زهادة المختار القادر ، المؤمن بأن الاستمتاع المباح حلال ، المؤثر على نفسه فقراء الأمة ومصالح الاسلام .

وهو بزهده ربى كثيرا من الرجال فتخلقوا بمثل خلقه ، فانصرفوا عن الخضوع للذات ومآرب النفس ، وآثروا غيرهم على أنفسهم ، كأبى بكر وعمر وعلى وغيرهم من كبار الصحابة وولاة الأقاليم ، فصار زهدهم تربية وتنمية ، أما التربية فللنفوس ، وأما التنمية فلاسعاد الناس ولتقوية الأمة .

وحسبنا أن نذكر أن السيدة حفصة قالت لأبيها عمر بن الخطاب حينما فتحت عليه الفتوح : البس ألين الثيا باذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر .

فقال لها عمر ــ يا حفصة ، ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ فقالت ، بلى .

قال : ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن النبى صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ، ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الارض ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال : منعتمونى قيام الليل بهذه العباءة ، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ؟

فما زال يقول حتى أبكاها ، وبكى عمر وانتحب . (٢)

٣ ــ ويجدر بنا قبل أن نعرض بعض مظاهر زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجيب على هذا السؤال : هل كان الرسول ذا ثراء ومال حتى يثبت أن زهده عن وجد واقتدار ؟

نعم كان لرسول الله مال ، وكان ماله كثيرا فى بعض الأحيان .

أ) كان له نصيب فى خمس الغنائم التى يصيبها المسلمون من محاربيهم ، وقد كانت الحروب كثيرة وكانت غنائم المسلمين موفورة منذ غزوة بدر حتى تم فتح الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب ، فتوافدت الغنائم والجزية والصدقات .

قال تعالى « واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (٣) .

فللمجاهد أربعة أخماس الغنيمة ، وللرسول خمسها لنفسه ولأقاربه ولليتامى وللمساكين ولابناء السبيل .

ب) وكان للرسول نصيب من الفيء ، أى مما ناله المسلمون من أموال المشركين بغير حرب ، كالجزية ، وما تركوه فى حروبهم خوفا من المسلمين ، وما صالحوا المسلمين عليه .

قال تعالى « وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » . (٤)

وكان رسول الله ينفق من هذا الفيء على اهله نفقة سنتهم ، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله فى السلاح والخيل ومصالح المسلمين ، وهذا مذهب الجمهور .

وقال الامام الشافعى أن الفيء يقسم خمسة أخماس وفقا للآية ، ثم يقسم خمسة على خمسة أسهم ، للرسول منها سهم ينفق منه على مصالحه ، فمصرف هذا السهم للمصالح العامة كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر وأرزاق القضاة .

والسهم الثانى لذوى القربى وبنى هاشم وبنى المطلب ، والثالث لليتامى الفقراء ، والرابع للمساكين ، والخامس لأبناء السبيل ، وأما الاربعة الاخماس فهى للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام . (٥)

ومن هذا الفيء مزارع فدك وبساتينها ونخيلها وعينها الفوارة .

ج) يضاف الى الغنائم والجزية والفيء والصدقات ما كان يهدى الى رسول الله من بعض الملوك والأمراء .

٤ ــ أما زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المال فله صور ومظاهر شتى .

فهو لم يستأثر بشيء من المال الكثير الذى تدفق من الغنائم والفيء وغيرهما ، بل اقتصر على نصيبه من الخمس ، ثم لم يمسك درهما من هذا النصيب ، بل أنفقه فى وجوهه ، وقوى به المسلمين ، وأسعد به غيره ، وقال : ما يسرنى أن لى أحدا ذهبا يبيت عندى منه دينار الا دينارا أرصده لدينى .

وأتته دنانير فقسمها ، وبقيت منها ستة ، فدفعها لبعض نسائه ، لكنه لم ينم حتى قام وقسمها ، وقال : .. الآن استرحت .

واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعــو اليه الضرورة ، وزهد فيما سواه .

وأتى بمال من البحرين ، وكان أكثر مال أتى به ، فخرج الى الصلاة ولم يلتفت اليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس الى المال ، فقلما رأى أحدا الا أعطاه .

ولما توفى لم يترك درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمــة الا سلاحه وبغلته البيضاء وأرضا جعلها صدقة (٦) .

٥ — وأما زهده فى الطعام فانه يتمثل فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يجمع فى بطنه طعامين ، فان أكل لحما لم يزد عليه ، وان أكل تمرا لم يزد عليه ، وان أكل خبزا كفاه ، وان وجد لبنا أغناه . (٧)

وقالت السيدة عائشة : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض . (٨)

وقالت : لم يمتلىء جوف النبى شبعا قط ، وكــان لا يسأل أهلــه طعاما ولا يتشهاه ، ان أطعموه أكل ، وما أطعموه وما سقوه شرب . (٩)

وهنا يعرض لنا سؤالان :

أحدهما : هل أدخر رسول الله قوت عياله ؟ وهل هذا الادخــار يناقض الزهد ؟

لقد روى أنه نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئا لغد . (١٠)

وروى أنه كان يدخر لعياله قوت سنة (١١) وكان — كما قال عمر بن الخطاب — يبيع نخل بنى النضير ، ويحبس لأهله قوت سنتهم ، اذ كان نخلهم فيئا له .

وليس بين الخبرين تعارض ، لأن النبى نهى عن ادخار القوت سنة حينما لم تكن الموارد كافية ، فلما كثرت اتسعت لهذا الادخار .

ولا تنافى بين ادخار القوت للعيال وبين الزهد ، آن النبى كان يدخر ، فاذا رأى المحتاجين منحهم ما ادخر ، وهذه أعلى درجات الايثار .

ويؤيد هذا قول السيدة عائشة : توفى رسول الله حين شبعنا من الأسودين التمر والماء . وكان هذا الشبع منذ فتح خيبر ، لأنها قالت — لما فتحنا خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر ، وفى حديث ابن عمر ، ما شبعنا حتى فتحنا خيبر .

وقد فتحت خيبر قبل وفاة النبى بثلاث سنين . (١٢)

السؤال الآخر : هل عصب رسول الله الحجر على بطنه .. ؟

قيل انه كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع (١٣) .

فهل بلغ الحال به الى هذا الحد .. ؟ ولماذا ؟

لقد أنكر بعض العلماء ذلك، ومنهم أبو حاتم محمد بن حبان التميمى البستى ، وقالوا ان الأحاديث التى رويت فى هذا باطلة ، واستدلوا بحديث الوصال . « لست كأحدكم انى أطعم وأسقى » وقال ابن حبان: ان رسول الله لم يكن يشد على بطنه الحجر ، بل كان يشد عليه الحجز (١٤) . لأن الله تعالى كان يطعم رسوله ويسقيه اذا واصل الصوم فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه ؟ وماذا يغنى الحجر من الجوع .

وقالوا لقد ثبت أن رسول الله كان يدخر لأهله قوت سنة ، وانه قسم بين أربعة من أصحابه ألف بعير مما أفاء الله عليه ، وساق فى عمرته مئة

بدنه فنحرها وأطعم المساكين ، وأمر لأعرابى بقطيع من الغنم ، وأعطى جماعة كثيرة من خيرات خيبر ، وكانت فدك وقريظة والنضير خالصة له . ثم أن بعض الصحابة المقربين كانوا ذوى مال كثير مثل أبى بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن عبادة وعبد الرحمن بن عوف ، وكانوا يبذلون أموالهم وأنفسهم بين يديه ، فكيف يتركونه يشد الحجر على بطنه جوعا .. ؟

ولكن بعض العلماء ردوا على هذا بأن أهل الحجاز كان من عادتهم أن يعمدوا الى صفائح رقاق من الحجارة فى طول الكف يربطونها على بطونهم الخاوية لتعتدل القامة ، وكان رسول الله يفعل مثلهم ، ليعلموا أنه لا يملك ما يستأثر به عليهم ، وان لم يحصل له ألم من الجوع ، وقد فعل ذلك ايثار للثواب أيضا ، لا لفقدان ما يدفع به الجوع عن نفسه .

وذهبوا الى صحة الاحاديث التى رويت فى شد الحجر على البطن .

٦ ــ كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم زاهدا فى ملابسه وفراشه وآنيته ، فلم يكن له الا ثوب واحد من قطن ، وجبة ، ورداء ، وبردة يمانية ، وكان له رداء أخضر تداوله الخلفاء (١٥) .

ولما قبض أخرجت السيدة عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت : قبض رسوله الله فى هذين (١٦) .

وأهدى اليه أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل فروج حرير فلبسه ــ قبل تحريم الحرير فصلى فيه ، ثم انصرف فنزعه نزعا شديدا كالكاره له ، وقال لا ينبغى هذا للمتقين (١٧) .

ونهى عن الشرب فى آنية الذهب والفضة ، وعن الاكل فيها ، وحرم الحرير على الرجال (١٨) . وكان ينام على الفراش تارة ، وعلى النطع ــ الجلد ــ تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى السرير تارة ، وكان فراشه ادما ــ جلدا ــ حشوه ليف ، وكذلك وسادته (١٩) .

ولكن اذا قدم عليه وفد من الوفود التى كانت تجىء لتسلم لبس أحسن ثيابه وأمر كبراء صحابته بأن يلبسوا أحسن ما عندهم من ملابس (٢٠) لأن هذا يعظمهم فى عيون القادمين ، ويعلى حزب الله ، وبخاصة أن الوافدين لم يتخلقوا بعد بأخلاق الاسلام .

٧ ــ ولكن زهادة رسول الله لم تمنعه من الكلف بالنظافة والطيب ، فكان صلى الله عليه وسلم مع زهده وتواضعه وايثاره كلفا بنظافة جسمه وملبسه ، محبا للطيب ، نفورا من الرائحة الكريهة ، ولهذا كان يقبل هدية الطيب ولا يرده (٢١) .

وله فى هذا أخبار شتى منها أنه كان يرجل شعره ، ويسرح لحيته ، ويدهن رأسه ، ويضع قناعا فى بعض الاوقات فوق شعره (٢٢) .

وقال على المنبر يوم الجمعة : ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته (٢٣) .

وقال : اغتسلوا يوم الجمعة ، وأغسلوا رؤوسكم ، وان لم تكونوا جنبا ، وأصيبوا من الطيب (٢٤) .

وقال : ان الله جميل يحب الجمال ، سخى يحب السخاء ، نظيف يحب النظافة (٢٥) ..

٨ ــ وكثيرا ما حض النبى على الزهد كقوله : عليكم بالقناعة ، فان

القناعة مال لا ينفد (٢٦) .

وقوله : اذا أصبحت آمنا فى سربك ، معافى فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء (٢٧) . وقوله : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان لا بد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه (٢٨) .

وقوله : ليس الغنى عن كثرة العرض ، انما الغنى غنى النفس (٢٩) .

وقوله : أزهد فى الدنيا يحبك الله ، وأزهد فيما فى أيدى النـــاس يحبك الناس .. (٣٠)

لقد صدق رسول الله فيما قال ، ولقد كان القدوة المثلى فيما فعل ، فلعلنا نهتدى بهديه ، ونتبع سنته ، ونستضىء بنوره ..

---

(١) سورة الاعراف ٣١ — ٣٣ .

(٢) أحياء علوم الدين للغزالى ١٩٢/٤ .

(٣) سورة الانفال ٤١ .

(٤) سورة الحشر ٦/٧ .

(٥) فتح المبدى ٣٣٤/٢ .

(٦) الاحياء للغزالى ١٦٦/٤ ، ١٦٩ والشفا للقاضى عياض ٧٣/١ وصحيح مسلم ٧٦/١ وفتح المبدى ٣٣٤/٢ .

(٧) السيرة الحلبية ٣٧٩/٣ والاحياء ٣١٧/٢ .

(٨) فتح المبدى ٢٦٢/٣ .

(٩) نور اليقين ٣٨٣ .

(١٠) الاحياء ٢٣٩/٤ .

(١١) الاحياء ٢٠١/١ و ١٣٩/٤ .

١٢) فتح المبدى ٢٥٨/٣ ، ٢٦٠ .

(١٣) الاحياء ٣١٧/٢ .

(١٤) الحجز — جمع حجزة وهى التى يشد بها الوسط وهو طرة الازار .

(١٥) السيرة الحلبية ٣٧٩/٣ .

(١٦) فتح المبدى ٣٣٥/٢ والاحياء ٢٠٠/٤ ، ملبد مرقع .

(١٧) فتح المبدى ١٩١/١ .

(١٨) فتح المبدى ٢٩٦/٣ .

(١٩) زاد المعاد ٥٤/١ والاحياء ٢١/٢ م .

(٢٠) كنز العمال ٢٤/٤ .

(٢١) المواهب اللدنية ١٢٨ .

(٢٢) المواهب اللدنية ٤٦ .

(٢٣) زاد المعاد ٤٥/١ .

(٢٤) فتح المبدى ٢٨٨/١ .

(٢٥) الجامع الصغير ١٧٣/١ .

(٢٦) كنز العمال ٨٠/٢ والجامع الصغير ٩٤/٢ .

(٢٧) المصدر السابق .

(٢٨) الاحياء ٧٠/٣ ، ونور اليقين ٣٨٣ .

(٢٩) الاحياء ٢٠٦/٣ .

(٣٠) كنز العمال ٣٩/٢ .

هذا الزحف .. من يتصدى له ؟!

الصمت لا يجدى .. وليس يجدى كذلك أن نتجاهل الواقع الآنى الذى يدوس بغلاظة فاحشة على ما كان واقعا آنيا فى مرحلة من مراحل تاريخنا المفدوح !!

الصمت لا يجدى .. لأن جدلا عقائديا يصمت أحد طرفيه ، ينتهى فى نهـاية الأمر الى غلبة الجانب الصائت على الجانب الصامت ، وينتهى كذلك إلى عزلة باردة يقبع فى دياجيرها ذلك اللائذ بصمته ، الهـارب من حركة الجدل الى سكونية الغباء !!

وليس يجدى كذلك تجاهل الواقع . . لأن الواقـــع الموضوعى لا يستحيل خرافة إذا نحن ــ كجيل ــ تجاهلناه ، وربما كان النقيض هو الحقيقى ، أعنى أن تجاهلنا البليد لواقع موضوعى مدجج بآلاف الاسلحة . هـــو وحده الذى يتيح لهذا الواقع أن يعزز مواقعه ، وأن يكتشف من خـلال التجريب والتخريب جميعا أروع وسائل زحفه ، وأرحب إمكانيات انتصـــاره !!

فلنكسر كل قضبان صمتنا الفاجع !!

ولنحرك طاقاتنا فى اتجاه المبالاة وليس فى اتجاه اللا مبالاة !!

ولتكن عيوننا مفتوحة .. فإن الخدر الذى يسرى فى أوصالنا بـــلا حـــدود يكثف من تراكمات الصـــدأ الحضارى الذى نعانى من غبـــائه الوبيـــل !!

أدرى أننى بدأت هجوميا بـــلا تحفظ ، عدوانيا أكاد أن أكـــون ، وعن عمـــد فعلت .. لأن مسلمة باهظة عششت فى أخلاد هـــذا الجيل توشك أن تفرض منطقهـــا الهابط على كل العقول ، وهى أن عقائديتها ليست فى حاجة الى من يناضل عنها ، وليست فى حاجـــة الى من يدعو لها ، لأن هذه العقائدية تملك من قدراتها الـــذاتية على الاشعاع والتوصيل ما يغنيها عن معاناة الدعاة ، وكدح الراشدين !!

إن هذه المسلمة الباهظة غبية من جانبين .. أولهما : أن دينـــا من الأديان لا يمكن أن يكون قادرا (بـــذاته) على الفتح ، أو حتى على الدفاع !! لا بد من (رسول) لكل رسالة .. من (نبى) لكل دين .. من (دعاة) على مستوى الفهم والإصرار والاستعداد كل يوم للشهادة لكل عقائدية تريد لدورها أن يؤدى ، ولضوئها أن ينساح فى آفاق البقاء !! وثانيهما : أن إمكانية الخلود فى دين من الأديان تكمن بالضرورة فى كونه قابلا لمزيـــد من الكشف ، ولمزيد من العطاءات ، بما هو بالضرورة كذلك أكبر من أن يحتويه عصر ، وأرحب من أن يحتازه جيل ، وأثرى من أن يجف فيـــه الخصب بعد أول قطـــاف !!

والإســـلام واحـــد من الأديان السماوية الخالدة التى لم تنزل من السماء إلى الارض هكذا فى ليونة ونعومـــة وانسياب .. لقـــد عانده من عاند ، وكفر به من كفر ، وســـل عليه السيف غير جيل وغير قبيل ، ولم يقف منـــاط وحيه العظيم (محمد) موقف اللا مبالاة والاتكـــال .. لقد أشعل فى قلب العالم وعقله جميعا ثورة جدل فكرى وحضـــارى ما تزال قابضـــة على أعنـــاق هذا العالم حتى اليوم .. ولقـــد رفض ــ غير مـــرة ــ أن يخلع (لأمتـــه) حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه !! إن الثائر فى محمد لم يمت ولا ينبغى له أن يموت ، ولست أعنى بالثائر هنـــا مجرد القابض على سـيفه .. ولكنى أعنى به كذلك الثـــائر على بلادة الفكر ، والثائر على نضوب الوجدان ، والثائـــر على بتر التواصل الكونى بين إنسان هذا الكون وخالقه المحرك لكل قـــوانين النبض فى الأشياء !!

هـــذه مقدمة كان لا بد من إفراغها هكذا فى انفلات .. لنخلص

بعد إلى ما نحن بصدد الحديث عنه ، والحوار من حوله ، فقد حرجت الصدور من طول معاناتها بـــلا حدود !!

القضية .. ليست أن نختار هنا أو لا نختار ، ولكنها على المستوى الفكرى والعقائدى جميعا أن نكون أو لا نكون !! ولست أدعو من خلال هـــذه السطور إلى مصادرة القضية النقيض .. فإن أبعد الأشياء عن تصورى أن يستحيل الفكر فى يدنا إلى جلاد يهزم بالسوط معارضيه .. إن الفكر لا يمكن أن يكون إلا بطلا شريفا ، الحرف بالحرف ، والقضـــية بالقضية ، والحوار بمزيد من الحوار .. وثقوا معى أن الفكر المعارض يعطى القضية أكثر مما يعطيها الفكر الدعائى .. إن الفكر المعــــارض يكسبها جلادة فى العراك ، ومراسا فى المنافحة ، وبصيرة فى أصـــالة الإدراك .. فى الوقت الذى لا تجنى القضية فيه من الفـــكر الدعائى ســـوى المرور الأبله الساذج بسطوح القضايا ومشارف الأشياء !!

القضية إذن فى حاجة إلى فهم عاقل متفتح ، وليست فى حاجة إلى تشنج من أى لون مهما كانت مبرراته العجفاء !!!

ولنبدأ معـــا : إن الفكر الملحد يقتات كل يوم بجموع هائلـــة مـــن شبابنا القارىء شئنا أن نعترف بهذه الحقيقة أو لم نشأ .. ولعل انعكاسات هذه الحقيقة لا تخفى على أحد ممن يحاول أن يمر على حقـــولنا الفكرية الشابة ، فينظر فى إبداعاتها الفنية .. مسرحا .. أو قصـــة .. أو رواية .. أو شعرا ... إن هذه الحقول الإبداعية الشابة طافحة بمرارة العبث ، ولزوجة اللا جدوى ، وثورة الرفض ، وقساوة الإنكـــار ... وإذا كان كل شىء قائما على كل شىء .. إذا كانت كل نتيجة ثمـــرة طبيعية لكل مقدماتها بلا تخلف ، فإن هذا الإبداع الرافض الشـــاك إنما هو محصلة طبيعية لروافد قرائية هى ثقافة هـــذا المبدع الشاب ، لقد استطاع هذا الفكر المعبأ ضد كل ما هو مستقر فى حقول الفكـــر والدين أن يحتل مواقعه فى صفوف الشباب . بما استحدث لنفســـه من وسائل التوصيل والإشعاع ، وكان أخطر هذه الوسائل المسرح .. والقصة .. والرواية .. والشعر .. ولست أستطيع هنا أن أقوم بمسح شامـــل وكلى لكل هذه القطاعات والأنماط .. ولكننى أستطيع — إن استطعت — أن أقف عند كل ظاهرة منها وقفة خاصة، ربما تكشف عن جوانب العرامة فيها بـــلا أقنعة ، وهذا هو ما أريد أن أقوله الآن ... إننى لا أقدم إيجابات على الاسئلة المطروحة فى هذه الأعمال .. لأن ذلك وحده يحتاج الى تعبئة حاشدة من كل قوى النضال الفكرى المسلح بإيمـــانه

العقائدى ، وليس تبعة واحد من الافراد .. إن كل ما أطمح إليه من خلال هذه الكلمات هو أن أدق الأجراس ، وأرفع الراية ، وللمقاتلين المدربين بعد أن ينفروا إلى ساحة المعركة ، مزودين بثقة قد لا أملكها ، وبثقافة قد لا أحتازها ، وبجسارة قد تعوزنى كما تعوز آلافا بلا حدود !!!

فى المسرح .. يجند الفكر الهاجم كل تكنيك العمل المسرحى فى محاولات الوصول ، وهو ينجح فى عديد من محاولاته .. إن ذكاءه الخارق لا يوقعه على الاطلاق فيما نقع فيه نحن من خطابية قد تصرف القارىء عن العمل .. لا يوقعه فيما نقع فيه نحن من افتراض أن المتلقى مؤمن بكل شىء ، وبقداسة كل شىء ، وهو لا يحتاج منا إلا إلى تكريس إيمانه ، ومباركة تقديسه الوهلى . إن كاتبا مسرحيا مثل (جان بول سارتر) .. أو مثل (البير كامى) .. أو مثل (صمويل بيكيت) .. أو مثل (يونيسكو) . .لا يمكن أن يقع فى خطيئة اتكائه على افتراض القداسة فى المتلقى لأى شىء .. وهو إن وقع فى هذه الخطيئة يقع فيها بنية إشعال الحرائق فى هذه القداسات وليس على نية تقبيلها والطواف حول محورها الدائخ من كثرة معاناة الطواف !!

وهذه نقول من مسرحيات ترجمت إلى العربية ، وفى كل قطر من أقطارنا يلتهمها الشباب المثقف القارىء ، لتصبح من بعد خليفته الفكرية ، ولتشكل فى النهاية نوعية رؤيته للكون ، ونوعية عطائه فى مجال الأدب والفن على السواء .. لن يجدينا كما قلت فى مطالع هذه السطور أن نصمت حيالها كظاهرة ، فالصمت لا يجدى .. ولن يطامن من زحفها الكاسح أن نتجاهل وجودها الحى ، فالتجاهل لا يحيل القضايا إلى خرافات .. إن النعامة لم تهزم الصائد حين — فى رمال اليأس — دفنت رأسها أبدا ، ولكنها هزمت إمكانية ان تحيا فى نفس اللحظة التى دفنت فيها رأسها فى الرمال !!

فى مسرحية (الشيطان والرحمن) لجان بول سارتر .. يدير المؤلف الحوار على هذا النحو :

جويتز : مات الله !!

هيلدا : مات .. أو عاش .. لا يهمنى . انقضى زمن طويل وأنا لا أهتم به !!

جويتز : قلت لك : مات الله .. (يأخذها بين ذراعيه) لم يعد عندنا شاهد .. سأرى وحدى شعرك وجبينك .. لكم أنت حقيقة منذ عرفت أنه غير موجود !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

جويتز : هاينريش .. سأطلعك على سر خطير .. إن الله غير موجود .. غير موجود .. افرح .. ابك من الفرح .. أيها المجنون .. إننى أخلصك .. لا سماء بعد اليوم ، لا جحيم ، لا شىء سوى الأرض !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

جويتز : ان الله يسمعنى .. وأنا أقطع الآذان نكاية فى الله وهذا

يكفينى إنه عدوى الوحيد المساوى لى لا يوجد إلا الله وأنا ... وأشباح الناس .. وسأصلب الليلة الله (١) .

وفى مسرحية (الذباب) لسارتر كذلك نقرأ هـــــذا الحــــوار :

أورست : ماذا يهمنى جويتز ؟ العدالة هى قضيـــة بشريـــة .. ولست بحاجة إلى إله ليعلمنى إياها (٢) !!

وفى مسرحية (كاليجولا) لألبير كامى .. نقـــرأ هـــذا الحــــوار :

سيزونيا : كلا .. لن يقتلوك .. وإلا نزلت عليهم صاعقة مـــن السماء فأهلكتهم قبل أن يمسوك .

كاليجولا : من السماء !! ليست هناك سماء أيتها المسكينة !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

كاليجولا : إننى أمارس سلطانا محموما فى التخـــريب ، بحيث أن سلطان الخالق يبدو بالقياس إلى سلطانى تقليدا فاشلا .

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

كاليجولا : لقد أدركت أنه لا توجد سوى وسيلة واحدة لنكون فى مصاف الآلهة .. يكفى أن نكون قساة مثلهم (٣) !!

وفى مسرحية (سوء تفاهم) لكامى أيضا نقرأ هـــــذا الحـــــوار :

الأم : إننى أصرخ ولا أبكى ، لكن ألمى هو ألم الإحساس بالحب وهو يولد من جديد فى قلبى .. ورغم ذلك فهو ألم فظيع ، وأعرف أنه غير معقول ، لكن العالم نفسه غير معقول ، ومن حقى أن أعلن أنه غير معقول بعد أن خبرته كله .. من لحظة الميلاد إلى لحظة الفناء (٤) !!

وفى مسرحية (العادلون) لكامى أيضا نقرأ هـــــذا الحــــوار :

كالياييف : سنصبح كلنا إخوة .. وستجعل العدالة قلوبنا شفافة .. هل تعرف عن أى شىء أتحدث ؟

فوكـــــا : نعم .. مملكة الله ..

الحارس : اخفض صوتك ..

كالياييف : لا تقل هذا الكلام .. الله .. لا يستطيع شيئا !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

الدوقة الكبيرة : إن الدم يفصل بيننا ، ولكنك تستطيع أن تجعـــل فكرة الله تجمع بيننا فى نفس الفاجعة .. صل على الأقل معـــــــى ..

كالياييف : إنى أرفض .. لم أعد أعتمد على موعدى مع الله (٥) !!

وفى مسرحية (محطم الأطباق) لأرمان سالاكرو .. نقرأ هـــذا الحـــوار :

الشـــاب : إذن .. فإننى قد مت فعلا ..

محطم الاطباق : كـــــلا ..

الشـــاب : وهل أنا قريب من أحد الآلهة ؟

محطم الأطباق : نعــــم ..

الشـــاب : إذن هناك آلهة كثيرة ..
محطم الأطباق : إننى إله الأطباق ..
الشـــاب : إله الاطباق ؟ أنت تحطم وتقول إنك إله — أو ليس عمل الله أن يخلق ولا يحطم ؟
محطم الأطباق : (تاركا ثلاثة أطباق تسقط على الارض) : إننى أخلق قطعا من الأطباق ..
الشـــاب : ولكنك إن كنت إلها فلا شك أنك تعلم لغز هذا العالم ..
محطم الأطباق : نعـــم ..
الشـــاب : لقد سهرت ليالى بأكملها وعينى مركزة فى انبــوبة من البلور ينعكس عليها ضوء شمعة .. واعتقدت أنه يمكننى أن أتبين الله بين ألوان الطيف جميعا ..
محطم الاطباق : هذا ممكن ..
الشـــاب : ولكننى لم أستطع ذلك .. وهل تلهو بالاطباق كمـــا يلهو الله بالدنيا والأكوان كلها ؟
محطم الاطباق : وأحطم الاطباق كما يحطمك الله ..
الشـــاب : لماذا ؟
محطم الاطباق : بحكم المهنة (٦) !!

وفى مسرحية (أليس الصغيرة) لإدوارد آلبى ، نقرأ هذا الحـــوار :

جوليان : آه .. لقد فقدت إيمانى بالله .
بتـــلر : آه .. (ثم نظرة تساؤل) .
جوليان : هل هناك شىء آخر ؟
بتـــلر : هل هناك شىء آخر ؟
جوليان : حسن .. لا شىء ذو أهمية ، لقد انحـــدرت ، تقوقعت داخل نفسى .. هبطت تحت قبة زجاجية . . فى هذا الشك كنت بعيدا .. لا يصلنى . وأخيرا لا أصل إلى شىء (٧) !!

وفى مسرحية (الأفواه اللا مجدية) لسيمون دى بوفوار ، نقرأ هذا الحوار :

عجوز : يا إلهى .. الطف بنا .. يا إلهى .. ارحمنا !!
امرأة : لن يرحمنا أحد .. لقد (انطرش) الله (٨) !!

بديهى .. أن هذه النقول قطرة من محيط لا ساحل له ، وليست هذه أول مرة تطالعها جماهيرنا من خلال هذه السطور ، فإننى أزعم أنها حصاد كل يوم ، وقراءة كل لحظة من لحظات أجيالنا العربية ، أولا : بما هى مترجمة وممثلة ومتداولة على مستوى العالم العربى تقـــريبا . . وثانيا : بما هى كل ما لديه أو أعمق ما لديه على مستوى حضارى وتكنيكى .. وثالثا : لأن الجانب الآخر .. أعنى جانب الفن العقائدى .. ما يزال على مستوى البداوة أو قل على مستوى البوار !!

إن طلائع كتاب العبث .. واللا معقول .. والرفض .. لم ينزلوا أرض المعركة بلا تخطيط مسبق ، ولم يضربوا ضرباتهم هكذا خبـــط

عشـــواء ، إن كل حركة من حركاتهم محسوبة جيدا ، ومصممة بـــلا تفريط ، إنهم يعرفون بلا مبالغة كيف يحركون الصمت إلى جوارهم ، كيف يستفيدون حتى من الفوضى والجمود ، إن الانطباع الاخير لـــدى المتلقى هو ما يعنيهم ، وهم يركضون إلى هـــــذه الغاية على كـــل الجيـــــــاد !!

(فى خطاب كتبه يونيسكو إلى المخرج) سيلفين دوم أول من قدم مسرحية (الكراسى) يقول : لما كانت الفكرة المحورية فى هذه المسرحية هـــو (الخـــواء) الانطولوجى .. أو (الغياب) فإننى أعتقد أن اللحظة الاخيرة ، اللحظة الحاسمة فى المسرحية يجب أن تعبر عن هـــــذا .. (اللاحضور) ولذلك فانه يجدر أن يسدل الستار على أثر خروج الخطيب العاجز عن النطق بالرسالة بعد نزوله من على المنصة وتحيته للامبراطور، فعندئذ سيعاين الجمهور ــ تحت ضوء صار ذابلا معتما كمـــا كان فى البـــداية ــ الكراسى الخالية فى ديكور خاو تزينه أشرطة وأوراق مزركشة وهو ما سيعطى الاحساس بالتعاسة التى يخلفها مرأى قاعة حفل بعد انفضاض الحفل وبذلك يكون كل شىء وقد وجد بلا معنى .. هـــــذا الإحساس الذى يتعدى المنطق هو الذى نسعى إليه ويجب أن نحصل عليه (٩) !!

وقـــد لا يواجهون قضية الإنكار والرفض هكذا وجها لوجه . . ربمـــا لأنهم يدركون جيدا أن حالة من العناد والتصميم تجتاح المتلقى إذا أحس أن الفنان يريد أن يقسره على شىء .. ومن هنا .. فهم يواجهون المواجهة مـــرة لإحداث نوع من الدهشة تذيب صدأ العادة والبلادة فى ذهن المتلقى أو القارىء .. وهم يهربون من هذه المواجهة مرة أخرى عبورا إلى مناطق التلقى فى فطانة وذكاء !!

صحيح أن (أنوى) لا يتعرض لفكرة وجود الله بطريقة مبـــاشرة كمـــا يفعل (سالاكرو) مثلا .. ولكنه لا يكف عن طرق فكرة المطلق ، مع التسليم الضمنى بعدم وجود الله (١٠) !!

وقـــد يلجأون إلى طرح قضيتهم عن طريق المعادل الموضوعى ، أى عن طريق خلق صور موضوعية تعدى المتلقى بنفس ما يريدون له مـــن انطباعات ، إنهم هنا لا يواجهون ولا يهربون من المواجهة ، ولكنهم يخلقون عالما بديلا أو قل عالما (معادلا) .. يستطيعون من خلال تصالبه الفنى مع العالم المعاش أن يقولوا لجماهيرهم ما يريدون ، بلا حركة استعداء .. وبـــلا انسحاب إلى مناطق الصمت !!

يقول (روبير دولدبيه) فى معرض حديثه عن مسرحية (سوء تفاهم) لألبير كامى : (.. فى مورافيا) أم وابنتها (مارتا) تـــديران فندقا منعزلا فى الريف . ويأتى (زبون) غنى . فتضعان له فى طعامه منـــــوما وتسلبانه ماله ثم ترميانه فى النهر ، وذات يوم يطرق الباب فيكون القادم

(جــان) الابن الذى غادر القرية منذ عشرين عامــا فــلا تعــــرفه المرأتان (ذلك أنه قد أخفى هويته) ويكون مصيره أن يلحق بالآخـــرين فى النهـــر ..

(هذا المكان المنعزل الذى يعمره المجرمون إنما هو عالمنا العبثى اللا معقول وان جـــان الغريب الذى يطرق الباب هو السؤال المطروح .. أما الجواب .. فهو الجثة التى تنتن عند سد النهر (١١) ..

إن رصـــد ملامح التكنيك المسرحى فى أعمال هـــــؤلاء الرافضيـــن ليس ترفا نتلهى بالتحديق فى عينيه ، ولكنه ضرورة حياتية إلى جـــانب كـــونه ضرورة فنية بما هو ســـلاح قتالنا فى المعركة ، وبدونه تبقى أسلحتنا هجومية بـــلا هجوم !! ولكن مثل هـــذه الدراسة العجلى لا يمكن أن تنكفىء على رصـــد هذه الملامح ، فكل همومها أن تدق أجراســـا ، وتقرع طبولا ، وترفع رايات ، وللقادرين من بعد أن ينكفئوا على هذه الدراسة الأكاديمية البحتة . من أين هذا المسرح ؟ وإلى أين هـــــــذا المسرح ؟ وما مقوماته الجمالية والتكنيكيـــة والحضاريـــة ؟ إلى آخــــر ما يطرح فى هذا المجال من أسئلة بلا حدود !!

وقريبا من لحظة الوداع أود أن ألقى بقفازى فى وجـــــه المسرح العربى الحديث .. فقطاع منه يتلهى بالتسكع الفاشل على ضفاف فكرة الزمن !! وقطاع منه يتغنى بانتصاراتنا التى أجهضها الواقـــع الضــــاغط حتى من قبل مواعيد ميلادها الطبيعى !! وقطاع منه يتلكأ على صـــــدر مومس عجوز تبيع الحب فى طرقات المدينة !! وقطاع منه يتهاوى تحت معاول عجزه الذاتى فلا يقوى حتى على مجرد أن يقول !!!

إن مضمون المسرح العربى الحديث لم يتحدد بعد ، لم يتشكل حتى هذه اللحظات ، لم يعرف وجـــه قضيته الحقيقية ؛ وهو وحـــده المتهم والقاتل فى قضية انتماء شبابنا إلى غير هذه الأرض ، ونضالهم ان ناضلوا كل طواحين الهواء !!

وليكن واضحا أننى لا أريد من وراء هذه الكلمات أن أصادر ثقافة وافـــدة ، أو أغلق نافـــذة مفتوحة على فكر حديث ، مهما كان لون هذه الثقافة أو لون هذا الفكر .. إننى أكون جارما بلا حدود إن فعلت !! إننى أنفى نفسى من العصر الذى أعيش فيه إن حاولت أن أفعل !!

إن كل ما أريد هو الا يكون صوت واحد صارخ فى البرية .. لا بد من تعدد الأصوات ، لا بد أن نقول كلماتنا نحن كما نبيح للآخـــرين أن يقولوا كلماتهم أبدا ، لا بد أن نجد صيغة ما لمضمون حضارى ما يشكل فى نهاية الأمر رؤيتنا للكون ، وموقفنا من الله ، والتزامنا نحـــــو الآخـــرين .. أما أن يستحيل فكرنا إلى ملامسة .. وأدبنا إلى منادمة .. وفننـــا إلى استهواء غرائزى رخيص .. فهذا ما نرفضه .. وعلى جبينه الداعر ندوس .. وندوس !!!

إن التبعة هنا ذات شقين .. فواجب المثقفين العقائديين أن يناقشوا جذور هذه الفلسفات على مستوى فكرى بلا حماديات مبحوحة جوفاء ..

وواجب الفنانين العقائديين أن يبدعوا فنا بلا جلجلة ، فنـــا يستوحى هـــذا التراب ، ويستلهم هـــذه الأرض . ويعطى من اكتنازه الـــذاتى بآلاف المواعيد !!

.. إن التصدى لهذا الفكر ليس تبعة الفنان العقائدى وحده ، ولكنه تبعة كل المبدعين .. إن مقالاتنا ، وبحوثنا ، وجرائدنا ، ومجـــــلاتنا .. يجب أن تتصدى لهذا الفكر .. فى محاولة للاســـتيعاب من البـــدء ، ومحاولة أخرى للعطاء من بعد .. أما أن ننكفىء فوق ما تهرأ من طـــول ما كتبنا حوله ، ومن طول ما أثرنا فيه من حوارات ، فليس قضـــــية العصر ، وليس التزام أى من المبدعين الشرفاء !!!

إننى واحد من الذين يقرأون دوريات العالم العربى — أو قـــل جانبا منها — ويصيبهم من ذلك دور بـــلا حدود .. إن شهـــــوة النشر ، واكتناز الرصيد ، وإيثار السلامة ، هى ما يحرك قطاعا هائلا من الذين يلطخون وجه الورق الأبيض بمزيد من الحبر الأسود .. وليس أبـــدا الغيرة على راية سقطت فى أوحال عصر كل ما فيه شاهد زور !!

فلنتحرك من منطلق العقائدية وليس من منطلـــــق الوثـــوب الاســــــتفزازى !!

ولنضرب بسيف الحق ، لا بسيوف الانانيات !!

ولنقل كلماتنا المثقفة ، وليس كلمات من ماتوا بلا دفاع !!

ولتسقط كل الأقنعة .. عن كل وجوه الكاذبين !!!

---

(١) الشيطان والرحمن : جان بول سارتر .. ترجمة عبد المنعم الحفنى .
(٢) الذباب : جان بول سارتر .. ترجمة سهيل أدريس .
(٣) كاليجولا — البير كامى — ترجمة رمسيس يونان .
(٤) سوء تفاهم — البير كامى — ترجمة عبد المنعم الحفنى .
(٥) العادلون — البير كامى — ترجمة بسيم محرم وريمون فرنسيس .
(٦) المسرح الفرنسى المعاصر — دكتور لطفى فام .
(٧) أليس الصغيرة — أدوارد آلبى — ترجمة دكتور عبد العزيز حمودة .
(٨) الأفواة اللامجدية — سيمون دى بوفوار — ترجمة عبد المنعم الحفنى .
(٩) مسرح العبث — دكتور نعيم عطية .
(١٠) المسرح الفرنسى المعاصر — دكتور لطفى فام .
(١١) كامو والتمرد — روبير دولوييه — ترجمة د. سهيل أدريس .

مقتطفات من حجج الوقف

بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت

من محاسن الشريعة الاسلامية أن حثت على البر والتعاون بين الناس وصلة ذوى الأرحام ومواساة المحتاجين من الناس والعطف على الفقراء والمعوزين .

وعوامل الخير غير محدودة ولا منحصرة فى نوع معين من الاعمال ، فكما يكون الخير بالارشاد اليه يكون بعمله وبالمعاونة عليه والمساعدة لايجاده .

وقد كان من لطف تقدير الله أن استجاب ذوو النفوس الطاهرة والقلوب العامرة بالايمان للخير ، وابرازه فى جلائل الاعمال فارصد الخيرون من أموالهم على بيوت الله فأقاموها ، وعملوا على دوام صلاحيتها واقامة الشعائر فيها برجال قصروا أنفسهم على خدمة هذه البيوت الطاهرة .

كما أرصدت طائفة أخرى من الخيرين على جهات أخرى غير المساجد مثل المدارس والمستشفيات وتعليم القرآن ومساعدة طلبة العلم الشريف عونا لهم على تحصيل علومهم .

وهناك نوع آخر لا يغيب عن البال وهو الايصاء بثلث الاموال لجهات الخير والبر والاحسان .

كل هذه الانواع أوقاف خيرية يجرى ريعها على جهات كلها خير وتعاون وبر وصلات .

ووزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بصفتها الناظرة على هذه الاوقاف تديرها وترعى مصالحها وتصرف ريعها على ما شرطه واقفوها تقدم الى القارىء الكريم أمثلة من ملفات الأوقاف الخيرية بها .

بتاريخ ١ شوال ١٣٥٦ هـ أوقف المرحوم السيد حامد النقيب بن السيد رجب بيته الواقع فى محلة القبلة احدى محلات الكويت على أمام مسجد ابن عثمان أحد مساجد الكويت تصرف غلاته عاما بعد عام على امام المسجد المذكور مع العناية بتعمير هذا البيت ورعايته حتى تستدام غلته وتبقى به عينه حبسا تاما مؤيداً منجزا لا يغير عن حاله حتى يرث الله الارض ومن عليها .

وقد أراد بهذا الحبس وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجزيل ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ..

وقد جعل الواقف النظر عليه لامام المسجد المذكور كما حاز الناظر هذا الحبس وتولى عليه .

والآن هو ضمن أوقاف المساجد التى تديرها الوزارة بما فيه الخير والمصلحة .

الفتاوى

السؤال :

هل يصح حج الولد عن أبيه حجة الفرض ؟

الجواب :

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام فرضه الله على من استطاع اليه سبيلا .

وتتحقق الاستطاعة بالصحة فى البدن ، والقدرة فى المال ، والأمن فى الطريق ، والأمن فى أماكن الحج .

والقدرة فى المال هى أن يكون الانسان مالكا المال الذى يكفيه لنفقته ونفقة عياله ومن يعولهم فى غيبته كفاية فاضلة عن حوائجه الاصلية من ملبس وسكن ومركب وآلة حرفة (ان كان صاحب حرفة) من مبدأ سفره لتأدية الفريضة الى أن يعود الى وطنه .

فمتى توفرت هذه الشروط كان الانسان مستطيعا ووجب عليه الحج ، فان لم تتوفر عنده الصحة أو كان عاجزا عن النفقة وكان يكسب قوته وقوت عياله يوميا أو كان الطريق غير آمن أو يخاف على نفسه هلاكا كان غير مستطيع ولا يجب عليه الحج .

ومن استطاع بحيث توفرت عنده شروط الاستطاعة ، ومات قبل أن يحج وجب على ورثته أن يؤدوا عنه الحج قضاء ، كما يقضون عنه الديون التى عليه للناس .

فقد روى البخارى عن ابن عباس (أن امرأة من جهينة قالت أن أمى نذرت أن تحج حتى ماتت أفأحج عنها قال نعم أرأيت ان كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) . .

ومن استطاع السبيل الى الحج ثم عجز لمرض أصيب به لا يرجى برؤه ، أو شيخوخة ، أو كان يخاف على نفسه أناب عنه غيره .

وكذلك اذا مات وأوصى أن يحج عنه لزم الورثة تنفيذ الوصية بانابة من يحج عنه ان كان ترك مالا ، أو أن يتبرع الورثة ان لم يترك مالا .

ويشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد حج عن نفسه أما اذا لم يكن حج عن نفسه فلا يصح أن يحج عن غيره ، مستطيعا كان أم لا ، بدليل الحديث الذى رواه أبو داود وابن ماجه أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال صلى الله عليه وسلم له « أحججت عن نفسك قال لا قال له حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » .

من هذا نفهم أنه يصح للولد أن يحج عن أبيه اذا قضى فرضه أولا ، وحج عن نفسه ، وحجه عن أبيه بر منه لأبيه .

السؤال :

ويسأل السيد/محمد نخيلان عن الأضحية .

الجواب :

الأضحية ــ سنة مؤكدة على من وجد سعة بالمعيشة ، وهى ليست فرضا ، ولا فرق بين الأضحية للميت فى أول سنة أو فى ثانى سنة ، وليس هناك شىء يسمى ضحية الحفرة .

ويشترط فى الأضحية أن تكون سالمة من كل عيب ، ويصح الاشتراك فى الأضحية اذا كانت من الابل والبقر ، فاذا اشترك سبعة فى بقرة أو بعير صح ذلك ، ولا يصح أكثر من سبعة ، والسنة فى توزيع الأضحية أن يأكل وأولاده منها الثلث ، ويهدى الثلث ، ويتصدق بالثلث .

وان تصدق بها كلها جاز له ذلك ولا يجوز أن يتصدق بأقل من الثلث ، والأضحية توزع لحما .

السؤال :

بداخل مزرعتى حوض كبير حاولت تغطيته خوفا من وقوع المواشى فيــه فمنعنى جيرانى لأنهم ينتفعون به وفى يوم مضى دخل ابنهم المزرعة ليسبح فغرق ، فهل على بذلك كفارة ؟

الجواب :

الولد مات بأجله والحوض داخل المزرعة والمزرعة محاطة بسور بدون باب، وقد حاولت صيانة الحــوض فمنعك أهل الولد وليس عليك من ذلك شىء .

السؤال :

موظف صغير فى المباحث السياسية وظيفته حضور الاجتماعات للتجسس على ما يدور فيها ، ونقل أخبارها الى الجهات الخاصة . لا يتعمد ضرر أحد ، وهو صاحب عائلة ، ويشك فى أباحة رزقه من هذا المورد ، فهل راتبه حــلال أو حرام ؟

الجواب :

اذا كان العمل لتلافى خطر يقع على الأمة كاخلال بالأمن وارجاف فى الوطن، أو خطر يقع على عائلة ، أو هتك عرض ، أو سرقة مال ، أو سفك دم ، أو ما شابه ذلك مما يمس بالوطن أو المواطنين فيجب على من علم بذلك اخبار السلطة وتدارك الأمر سواء كان هذا العالم موظف دولة أم من المواطنين أيا كانت مكانته فى الأمة سواء كان رجلا أم امرأة . .

أما ان كان الخبر لا أساس له وانما سببه عداء بين المخبر والمخبر عنه أو بقصد الانتقام أو سمع فلم يتأكد وأخبر بما لم يتأكد أو كان ظنا وبعض الظن اثم أو أن المخبر يريد أن يتقرب الى رؤسائه بنقل أخبار لا أساس لها من الصحة أو أن الأخبار كانت صحيحة ، ولكنه بالغ بها ظنا منه أن المبالغة ترضى الرؤساء فيكون آثما يحمل وزره ووزر من استمع اليه .

وعلى السائل أن يتحرى الأخبار الصحيحة فهو بعمله هذا على شفا جرف هار من النار يجب عليه أن يتقى الله فى الاخبار التى ينقلها ، ألا يقول الا الحق والايخبر الا بالصدق فان فعل حل رزقه والا فانه يأكل بيده النار .

بريد الوعي الإسلامي

السؤال :

بعث السيد محمد عبد اللطيف برسالة الى المجلـــة يسألها : « نعرف أن الاسلام يحترم العقل الانسانى لكن بم تفسرون السمعيات فى الاسلام من ذات الله والحشر والحساب وغيرها من المغيبات التى يحجبها الاسلام عن العقل » ..

الاجابـــة :

تجلى احترام الاسلام للعقل ، بصونه عن الخوض فى أمور الغيبيات التى لا تنالها أدوات المعرفة الممكنة للانسان ولا يمكن للعقل أن يصل فيها الى شىء الا بارشاد الوحى .

وعلى كل حال ، فمجال الغيبيات فى الاسلام ، مجال ليس فيه ما يخشى الاسلام من الاطلاع عليه ومعرفة العقل لـــه بل أن الوحى أوضحـــه ، وبيَّن تفاصيله ، من صفات الله والملائكـــة ، والبعث والحساب الخ ، وكان بيان هذه الامور بيانالا يترك فى الحقيقة لدى المؤمنين شيئا جديداً يريد الوقوف عليه .

فمنع العقل البشرى اذن من البحث فى ذات الله ، وحقائق الغيب ، انما كان لمصلحة العقل ذاته ، لانه لا يستطيع أن يخوض غمار البحث فى هذا المجال دون أن يضل ويحار .

وذلك ما عناه ــ فى اعتقادى ــ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهلاك حين قال : « تفكروا فى مصنوعات الله ، ولا تفكروا فى ذاتـــه فتهلكوا » وحين قال « يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك ، فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته » .

والانسان الذى يتجاوز فعلا حدود الايمان بالله . وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، التى رسمها القرآن الكريم ، وفصلها بوضوحه ، ليقحم عقله فى محاولة استكناه حقائق الروح والعرش والكرسى والقـــلم والجن والشياطين وغيرها من الغيوب ، فانـــه لا يجد أمامه طريقـــا الى ما يريد ، الا الحيرة ، والتشتت .

وليس هذا الموقف ــ صون العقل عن التيه فى بحـــر الغيوب واستكناه حقائقها ليس موقفا جديدا فى الاسلام ولا بدعا ، بل سبقت الاديان والمذاهب

اليه ، بل ان من الاديان السابقة ، من حظر على العقل مجرد التفكير وطاب اليه أن يسلم تسليما بكل ما يفرض عليه من عقائد ، والفضل للاسلام فى أنه ضيق دائرة الحظر ، وقصَر التسليم والايمان على غيبيات محددة يعجــز العقل عن ادراك حقائقها ، ثم لا تفيده معرفـــة حقائقها فى شىء مــن دنياه الحــاضرة ووجوده النافـــع له .

ولقد أدرك الفيلسوف الالمانى الاشهر ((كانت)) هذه الحقيقة ، فمع ثقته بالعقل ، وتعويله عليه ، فانه أنكر على العقل أن تكون له قيمة فى مجال المغيبات لانها فوق قدراته ، ولذلك فانه لا يملك فيها غير الحيرة .

بل ان الذين يوجهون سهام النقد الزائف الى الاسلام لصونه العقل عن هذه الغيبيات ويدعون أنه لا ينبغى أن يوقف العقل عن شىء ويؤمنون بالفلسفة المادية العملية التى تقوم على العلم العملى يجــدون أنفسهم أمام تحد من نوع جديد ، أمام غيبيات لا تستطيع عقولهم ، أن تقدم لها تفسيرا ، أو تمسك لها بحقيقة .

ويقال مثلا ((أن الذرة تفتتت الى ذرات متناهية فى الصغر ثم تتفتت هذه الذرات الى ذرات أخرى وهكــذا حتى تتحول الى طاقة .

وهنا يقف بهم العقل .. فلا يستطيع أن يحدد : ما شكل الطاقة ؟ وما كنهها ؟ وعلى أى الاوضاع تكون ؟ غيب من الغيوب لا أحد يعلم حتى الآن كما لا يعلم أحد : ما حقيقة الجاذبية والمغناطيسية ؟ بل ما حقيقة الكهرباء ؟ تلك التى نرى آثارها تحيط بكل منا فى الحياة العملية .

فاذا عجزت الفلسفة المادية على هذا النحو أن تقدم شرحا لحقائق هــذه الغيبيات التى وجدت نفسها أمامها ، فهل يمكن أن يتهم الاسلام بشىء من الجمود أو التحجر على العقل حين يصون هــذا العقل عن التخبط فى حقائق الغيوب ، ويطلب اليه أن يمارس ما يستطيع من فكر ، فى حدود الحياة العملية فقط ، فهى أنفـــع له ، وأجدى عليه .

والى هنا نقرر مطمئنين : أن موقف الاسلام من العقل فى مجال الغيبيات يعتبر دافعا للعقل الى تركيز نشاطه فى التفكير الافيد لــــه . وباعثا له علــى التجديد الدائم لفكره العملى فى الحياة النافعة لذلك خير له من التخبط فى الغيب فهو موقف يحسب للاسلام فى امكانيات الانهاض والتجديد وتطوير المجتمعات ولا يحسب عليه ، فى نظر العاقلين المنصفين .



قالت صحف العالم

ذكرى انتصار الثورة الجزائرية

كتبت مجلة البلاغ الكويتية تعليقا فى افتتاحيتها على ذكرى انتصار الثورة الجزائرية وذكرى وعد بلفور قالت :

فالأولى تكرس بطولة شعب ، قدم من خيرة أبنائه مليون شهيد ، حتى انتزع استقلاله من براثن أشرس قوى استعمارية ، جربت فى الشعب الجزائرى أفظع أساليب التعذيب ، الجسدى ، والنفسى .

والثانية تجسد جريمة مسؤول صهيونى ، ربط بلاده بوعد لبنى قومه من الصهاينة ، الامر الذى كلف بريطانيا — حيث كان بلفور وزيرا لخارجيتها — غاليا من عداء العرب ، ومقتهم ، اعتبارها المسؤولة عن غرس خنجر « اسرائيل » فى قلب العالم العربى ، وعلى اشلاء مليون شريد وطريد من أبناء فلسطين .

ولعل من محاسن الصدف ، ان تسبق ذكرى انتصار الثورة الجزائرية ، ذكرى وعد ((**بلفور**)) المشؤوم باعتبارها الاشارة الحاسمة ، الى الاسلوب المجدى الكفيل بانقاذنا من الحالة البائسة الراهنة ، أسلوب الجهاد والتضحيات والدماء وتقديم المزيد من الشهداء .

وتاريخنا الاسلامى المجيد ، حافل بالعظات والدروس والعبر ، حيث كان المسلمون الفاتحون من دعاة الاسلام سادة الحروب ، واخبار انتصاراتهم جعلت الاعداء يهربون من لقائهم ، ذلك أن الايمان كان يعمر قلوبهم وصيحات الجهاد كانت الدافع الاقوى لتسيير فتوحاتهم ..

لم ينجح المسلمون فى معاركهم ، والوصول الى أقاصى الدنيا ، خلال أقل من قرن واحد ، يوم دانت لهم أعتى الامبراطوريات ، الا أنهم استرخصوا أرواحهم فى سبيل الله وباعوا الدنيا وما فيها ، بجنة عرضها السموات والارض ولم ينتصروا وتكتب لهم الحياة الا لانهم أحبوا الموت ، وبمثل تلك النفسية وبهذه الكيفية يسجل التاريخ للشعوب انتصاراتها .

فتحية للجزائر الشعبية ، وشعبها المكافح ، ودعاء نرفعه الى الله تعالى أن يلهم المجاهدين فى بطاح فلسطين ، التأسى بتجارب تلك الثورة المباركة حتى يعود الشعب المشرد الى دياره ، أو نقدم مليون شهيد جديد .

العلمانيــة

من مقال للأستاذ فتحى رضوان نشرته جريدة الاهرام فى احدى صفحاتها الدينية تحت هذا العنوان قال :

كيف حقق الاسلام ، كل ما عقد على (العلمانية) من آمال لم تتحقق لا فى داخل الدول ولا خارجها .

أولا : ليس فى الاسلام هيئة ولا طبقة تحترف صناعة الدين ، أو تستأثر بشرح أحكامه ، فكل مسلم مدعو لقراءة الدين والتفقه فيه ، وله الحرية فى أن يفهم ما يشاء ، ما دام يفهم لنفسه وله أن يستعين بمن هم أرسخ منه قدما فى اللغة ، وأقدر منه لثقافتهم وعلمهم ليأخذوا بيده ، فليست تلاوة القرآن حكرا لأحد ، ولا هى ممنوعة من أحد ، بل انها مستحبة كلما تيسرت للانسان . والانسان يصلى وحده بلا رقيب لا موجه واذا اجتمع المسلمون ، تقدم أحدهم فأمهم ما دام يعرف أصول الصلاة ، ولو كان أشعث أغبر لا يؤبه له .

وفى هذا المعنى يقول الشيخ شلتوت : قد اتصلت بالقرآن — بعد أن التحق الرسول بربه — افهام العلماء ، والأئمة فيما لم تكن من آياته نص فى معنى واحد وكثرت الآراء والمذاهب فى النظريات والعمليات ، لا على أنها دين يلزم وانما هى آراء وافهام . .

ثانيا : عبادة المسلمين وصلاتهم جائزة فى كل شبر من كل أرض فالله تعالى قال : « **فأينما تولوا فثم وجه الله** » وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : « وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا » .

ثالثا : ونبى المسلمين ورسول الله اليهم بشر مثلهم ، يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ، وكان له كل نشاط الآدميين فتزوج وأنجب ، وصام وأفطر وحارب وسالم وعاهد ، وعرف اليتم والثكل ، ماتت له زوجات وبنات وبنون وأكد القرآن والحديث بشريته ووصفه القرآن ، بأنه عبد الله ، وقا لعن نفسه انه عبد يأكل كما يأكل العبد ، ويجلس كما يجلس العبد . . ففى القرآن « **سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا** » وفيه « **قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء اللـــه** » وفى الحديث « **لست ملكا ولا جبارا ، انما أنا ابن امرأة تأكل القديد فى مكة** » والرسل جميعا — عند الاسلام — ليسوا الا مبلغين لرسالات اللـــه ووظيفتهم الارشاد والتعليم عن طريق الوحى .

رابعا : الأصل فى الأشياء الاباحة ولا تحريم الا بأمر الله ، فى نص من القرآن أو نص من الحديث قطعى الورود فالاباحة والتحريم من حقوق اللـــه وحده ولا يشاركه فى ذلك شريك من رسول أو خليفة ، أو هيئة أو جماعة أو طبقة أو فئة . وبالتالى لا يوجد من يغفر الذنوب الا الله ، وكل مسئول عن عمله لا تنفع أحدا عند الله قرابة حتى للرسول الكريم فقد قال عليه السلام : « يا معشر قريش **اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا** » وقال لو سرقت فاطمة — بنته رضى الله عنها — لقطعت يدها .

وأخيرا يساوى الاسلام بين رسل الله جميعا ، وأديانهم « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** » .

وقد نشأ من كل ذلك جو من حرية الرأى أتاح للمسلمين وأخوانهم من أهل الكتاب أن يتعاونوا فى انشاء حضارة انسانية طابعها المميز التسامح وكراهيـــة القسر والعنف حتى فى أدوار انحلالها ، وقد روى مصطفى كامل فى كتابه الشهير (المسألة الشرقية) أنه لما فتحت القسطنطينية على يد محمـــد الفاتح الســـلطان التركى ، وانتخب المسيحيون الروم بطريركا قال له السلطان محمد « كن بطريركا لليونان والله يحميك ، وفى كل الاحوال والظروف اعتمد على مساعدتى وتمتع بكل الامتيازات التى كانت لأسلافك من قبل » . .

فهل علمانية كائنة ما كانت قادرة على أن تحقق هذا أو شيئا قريبا منه ؟ .

بأقلام القراء

الحكمة ضالـــة المؤمن

وأرسل الينا السيد محمد سعيد السيد أحمد الشبيب من سوريا كلمـــة بهذا العنوان يقول فيها : ـــ

قال تعالى «**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**» المؤمن ينظر الى الأمور بعقله لا بعينه فقط . والرجل المؤمن لا ينظر الى الغرب كامام وزعيم خالد ، والى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، انما ينظر الى الغرب كمجتمع سبق وقرين تفوق فى بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منها ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه ان كان فى حاجة الى أن يتعلم من الغرب كثيرا فالغرب فى حاجة الى أن يتعلم منه أكثر ، وربما كان ما يتعلمه منه الغرب أفضل مما يتعلمه هو من الغرب .

والحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها ، فالمؤمن يأخذ من علوم الغرب والشرق ما تفتقر اليه أمته ، وينفض عن كل ما يأخذ من الغرب والشرق غبارا لصق به فى القرون المضحلة وفى عصر الثورة على الدين عصر التوتر العصبى والقلق النفسى ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الالحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويغلفها بايمان عميق بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منهـــا نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر اسعادا للانسانية مما توصل اليه أساتذة الغرب على الاطـــلاق .

اضرار المسكـــرات

وتحت هذا العنوان بعث السيد عادل جلال سعيد كلمة اقتطفنا منها ما يلى : ـــ

ان احتساء الانسا ن الخمر يفقد الانسان قيمة وعمل تلك الجوهرة التى ميزه بها الله تعالى عن سائر الحيوان ، ويجرده من عواطفه الغريزية ، فينسيه واجبه كابن أو كزوج أو كأب ، ويفقده مقدرته ويسلبه كفاءته فلا يستطيع القيام بعمله ويسوقه الى خيانة الامانة ، ويرغمه على الاحتيال والسرقة وارتكاب كل منكر ،

فيصبح مخالفا للشريعة مناقضا للناموس خارجا على القانون ، فنرى أن هنـاك من انتحر أو قتل غيره أو تجرد من أملاكه بيعا ، أو أفلس بسبب الخمر ، ولا يقف خطر المسكرات عند هذا الحد بل أنه يؤسس كثيرا من الامراض الخطيرة كالشلل والتهاب المعدة وأمراض الكبد والكليتين والآلام العصبية ، زد على ذلـك أن الأطباء قد قرروا أن مجال الشفاء يتسع للذين لا يتعاطون الخمور حين يصابون بمرض من الامراض السالفة الذكر أكثر مما يتسع للمسكرين ، هذا وان تعاطيه يؤذى الجسم ولا يفيده بحـال من الاحـوال ، والكحول سم قوى قاتل فلو طلب من سكير أن يشرب سما فتاكا كالزرنيخ مثلا لما قبل مع أن الأدلة التى تثبت ذلك عديدة وموفورة ، فاننا لو وضعنا دودة من ديدان الأرض أو سمكة فى وعاء يحتوى على ما نسبة الكحول فيه ١٪ لماتت سريعا ، وكذلك لو أخذنا زلال بيضة وصببنا عليه قليلا مما يسمى الويسكى أو أى مشروب روحى قوى فانه يجمده حالا ، ويغير لونه ، كما لو كنا نضعه فى ماء يغلى أو فوق حديد محمى ، وحين نذكر أن القلب والكبد والكليتين والعضلات مركبة فى نفس المواد التى يتركب منها زلال البيضة ، عرفنا أن الكحول يحدث هذا التأثير ، ويعطل أنسجتها ، ويميت حيويتها ويحرق الجزء الذى يلامسه فى الجسم ولا يعطيه فيوقف نموه ، أما الاطفال الذين يعطون جرعات من المشروبات الروحية فان نموهم العقلى يصبح بطيئا ، ولا تقوى بنيتهم ، ولا يصلب عودهم الى الحد الذى بالامكان الوصول اليه لولا استعمـال الخمور ..

فالرجل الذى يعاقر الخمر يحسب أنها تعينه على التفكير ، والواقع أن المخ فى غضون الدقائق العشر الأولى التى تعقب جرعة خفيفة من الخمر يحـدث معه تنبه فى الابتداء فتتنبه الذاكرة وتسيل القرحة ، وتتدفق الافكار ولكن يلاحظ فى الوقت نفسه . أن الأفكار مضطربة متبلبلة ، والكلام متلجلج سخيف ، والألفاظ سمجة وبعيدة عن الاخلاق الفاضلة لأن الرجل المستقيم فى سلوكه ، المتعقل فى قوله ، والمتروى فى فعله عادة يظهر فى مظهر غريب بعد الاسراف فى معاقرة الخمر ، ومن الأدلة القاطعة على الضرر الذى يلحقه الكحول بالمخ كونه من أقوى الأسباب الداعية الى الجنون .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت : افتتح سمو أمير البلاد المعظم الدورة الجديدة لمجلس الامة وقد ألقى سموه توجيها للشعب قال فيه علينا أن نكون يقظين أو مستعدين لمواجهة أى طارىء .

● أكد معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أن الكويت لن تدخر وسعا فى بذل الجهود لمساعدة المسلمين فى الفيليبين سواء على الصعيد الديبلوماسى أم المعنوى .

● استضافت الكويت فى موسمها الثقافى الماضى فى رمضان عددا من كبار المفكرين والعلماء المسلمين الذين ألقوا محاضرات فى بعض الجمعيات والمساجد الكبرى تناولت الفكر الاسلامى وشئون المسلمين .

● أغلق باب الانتساب الى دار القرآن الكريم بعد فرصة دامت ستة أشهر وقد بلغ عدد المتقدمين لحفظ القرآن الكريم فى السنة الاولى ٩٠٠ طالب .

القاهرة : وافقت ادارة الازهر على بعثة طلبتها الكويت من المتخصصين فى القراءات وذلك للتدريس فى دار القرآن الكريم .

● أهدت القاهرة مكتبات اسلامية الى تونس وزامبيا وغانا والى الجاليات الاسلامية فى جمهوريات سلفادور ونيكاراجوا وهندوراس وكوستاريكا وجواتيمالا .

السعودية : قرر المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فى دورته الثالثة عشرة دعم جميع القضايا الاسلامية والمطالبة بحقوق الاقليات الاسلامية فى العالم وانشاء صندوق للجهاد لدعم القضية الفلسطينية فى البلاد الاسلامية .

● أعلن وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية فى الامم المتحدة انه اذا أصرت اسرائيل على موقفها بشأن القدس فان العرب والمسلمين فى العالم كله سيضحون بأنفسهم من أجل التحرير .

● تقرر تبادل التمثيل الديبلوماسى بين المملكة وكل من قطر والبحرين .

● سيعقد مؤتمر وزراء الخارجية للدول الاسلامية مؤتمره القادم فى جدة فى شهر مارس القادم .

الاردن : أبلغ وزير الخارجية الاردنى الامم المتحدة بأنه طالما كان هناك احتلال اسرائيلى للارض العربية فلن يكون هناك سلام فى المنطقة .

● قدمت الاردن شكوى الى منظمة اليونسكو توضح فيها بالتفصيل عبث اسرائيل بالممتلكات الثقافية والحضارية فى الاراضى العربية المحتلة .

سوريا : قال وزير الخارجية السورى أمام الامم المتحدة ان طرد العرب من أراضيهم جريمة رهيبة وقال ان اسرائيل أهملت ٥٤ قرارا للامم المتحدة الامر الذى يجعلنا نطالب بطردها من المنظمة الدولية طبقا للمادة السادسة من ميثاق المنظمة .

لبنان : صرح لقمان هارون الزعيم الفيليبينى المسلم فى بيروت أن دولا عربية وعدت بتقديم المساعدات لمسلمى الفيليبين ، وقال ان اسرائيل تمد الفيليبين بالخبراء والمساعدات وان اليهود فى الفيليبين عدة آلاف يمثلهم وزير فى الحكومة بينما لا يمثل أربعة ملايين مسلم أى وزير .

ليبيا : ندد المؤتمر السادس للآثار العربية بجرائم اسرائيل .

تونس : قررت جمعية الجامعات الاسلامية فى تونس تقوية التعليم الاسلامى وتعصيره بالنسبة لسائر الكليات الاسلامية .

الجزائر : حلت اللغة العربية محل اللغة الفرنسية فى جميع المحاكم الجزائرية وسوف تكون هناك فقط ترجمة بالفرنسية للغة العربية .

السودان : أعلن الرئيس جعفر نميرى فى مهرجان شعبى كبير أن السودان عازم على الاشتراك فى تحرير الارض العربية واسترداد حقوق شعب فلسطين .

كينيا : قررت جمعية الدعوة الاسلامية فى كينيا مواصلة الجهود ونشر الدعوة فى كل مكان ومواجهة الحركات التبشيرية .

● ألقى الرئيس جومو كينياتا خطابا أكد فيه حقوق المسلمين فى وطنهم وأقر عيد الفطر والاعياد الاسلامية أعيادا وطنية لكينيا .

باكستان : حذرت الباكستان من نشوب حرب عالمية من جراء مشكلة اللاجئين وتدخل بعض الدول .

● تقوم بعثة من الجماعة الاسلامية فى باكستان بجولة فى بعض دول العالم لشرح حقائق الموقف فى باكستان .

أفغانستان : دعت الامم المتحدة دول العالم لمساعدة أفغانستان نظرا للقحط الذى تعرضت له خلال العامين الماضيين .

الفيليبين : تستمر المذابح ضد المسلمين فى الفيليبين وقد نشط زعماء المسلمين هناك لشن حملات توعية المسلمين فى العالم بما يلاقيه اخوانهم فى الفيليبين .

ماليزيا : دعا الدكتور تون اسماعيل رئيس الوزراء بالوكالة المرشدين ورجال الدعوة الاسلامية الى عرض الاسلام للشعب الماليزى بطريقة صحيحة .

● سيقوم المجلس الاسلامى الاعلى بانشاء معهد لتدريب الدعاة وغيرهم من العاملين فى حقل التربية الدينية .

جمهورية أوزبكستان السوفيتية : عثر فريق من المستشرقين الروس على مخطوطة نادرة تتناول بالتحليل والنقد العلمى التاريخ الاموى والعباسى .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : **مكتبة مكة** ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطـــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

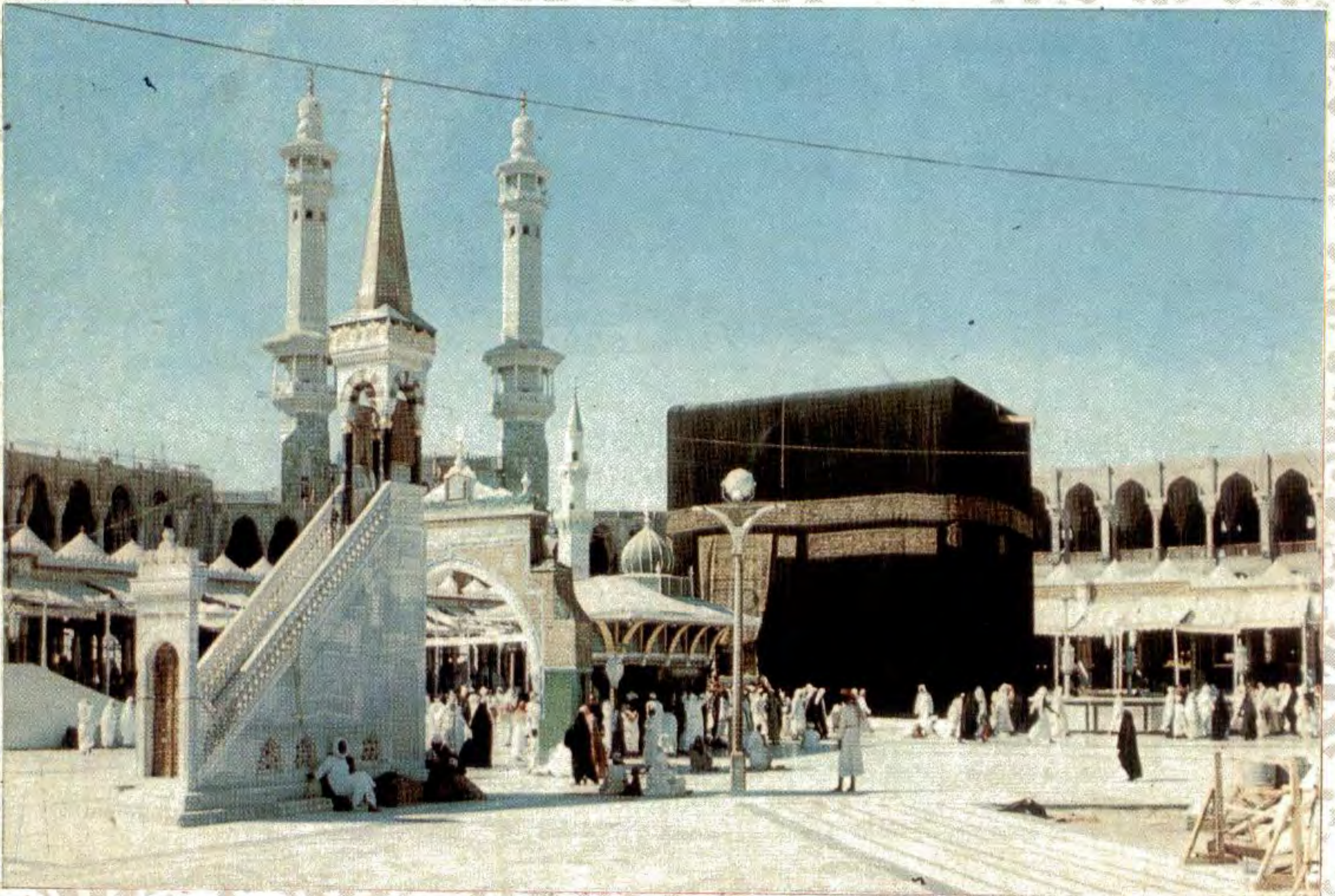
ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ـ العدد ٨٣ ـ ذى القعدة ١٣٩١ هـ ـ ١٩ ديسمبر (كانون أول) ١٩٧١ م



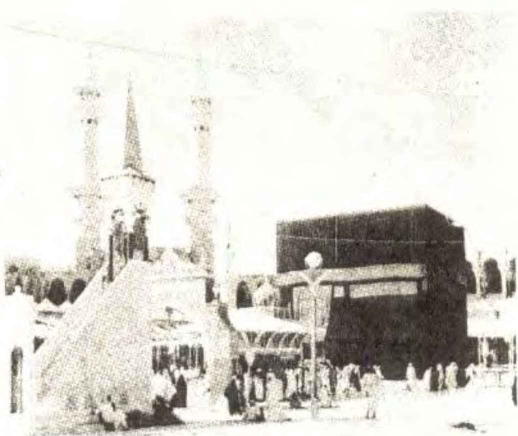
هديتك مع هذا العدد (رسالة الحج)



سمو أمير البلاد المعظم يصافح مهنئيه من رجال السلك الدبلوماسى بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد وذلك فى قصر السيف العامر .



سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وبعض أصحاب السعادة الشيوخ من آل الصباح يتقبلون التهانى من المواطنين بمناسبة عيد الفطر المبارك .



الكعبــة المشرفــة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

الســنة الســابعة

العـــدد الثالث والثمانون

غرة ذى القعدة ١٣٩١ هـ

١٩ ديسمبر « كانون الأول » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمــن

الكـويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العـراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجـزائر	دينـار وربع	
المغـرب	درهـم وربـع	
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسـا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنـوان المراسلات

مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

الرجولة

الرجولة مجموعة من الصفات النفسية والخلقية والعقلية تنسقها وتوجهها عقيدة تقدس الحق ، وتفنى فى سبيله ، وتعرف الواجب وتنهض لأدائه مهما كلفها من نصب ، وتهيم بمعالى الأمور ، وتترفع عن سفافها .

وليست الرجولة ارادة موية تظلم وتبطش ، ولا رحمة رخوة تمالىء فى الحق ، وتجامل على حسابه ، ولا عقلا محتالا يبرر الدنية ، ويتلمس المعاذير لقبول الهوان والصغار .

وتتجلى الرجولة بأكمل معانيها وصورها الحية فى الرجل الاول والنبى الاول والرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم . فحياته كلها كانت عنوانا على الرجولة الحقة ، وهو القائل : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله او اهلك دونه ما تركته .

وما اشد حاجتنا فى هذه الظروف التى تتعرض فيها لأمة الاسلامية لغزو اقطارها قطرا قطرا . الى التذكير بموقف من المواقف الحاسمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، اعتصم فيه بالحق . فلم ينكص عنه لقلة جنده . ولم يتهيب عدوه لشدة بطشه

روى ابن اسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أنه حضر قريشا يوما وقد اجتمع أشرافهم فى الحجر ، فذكروا رسول الله ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من امر هذا الرجل قط . سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ... لقد صبرنا على امر عظيم فبينا هم فى ذلك اذ طلع رسول الله ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرف ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : « اتسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى أن اشدهم وصاة فيه قبل ذلك ليرفؤه ، ويلاطفه بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول : انصرف يا أبا القاسم والله ما كنت جهولا .

وقد غنى تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد .. استعلوا على مغريات المال والجاه والحكم ، ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين أو أدنى منهم ، فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة ، ولو أن رجولتهم خانتهم ، فتخلوا عن واجبهم ، واستسلموا لشهوات السلطات وآثروا العافية ، على مشقات الجهاد وتكاليف العزة والحرية ـ لتغير وجه التاريخ وكانوا امثولة للاجيال من بعدهم .

ونذكر فى هذا الصدد موقف أبى

بكر خليفة رسول الله فى حروب الردة فقد أثارته ردة المرتدين ، وأغضبته أشد الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع ، ورفض أن يلين ويقبل منهم جزءا من الاسلام ويتسامح فى جزء آخر منه ، وصمم على الحرب ، ولم يقبل الا الاسلام كله . كلا من غير أن ينقض منه شىء وقد كان هذا الموقف للصديق مفخرته الكبرى التى انفرد بها فى تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك .

والرجولة ليست صفة كمال فى الفرد . وجودها وفقدانها فيه لا يقدح فى شخصيته . لا — انها صفة أساسية فيه ، فالناس اذا فقدوا أخلاق الرجولة صاروا أشباه رجال .. غثاء كغثاء السيل .. ذباب يتهاوى .. طبل أجوف .. جعجعة ولا طحن .. وقديما قال العرب : « ترى الفتيان كالنخل ، وما يدرك ما الدخل » .

والأمة الاسلامية لا تحتاج الى علم ، ولا تفتقر الى ثروة بقدر ما تحتاج الى رجولة ، وهى لم تؤت من قلة عددها ، ولا من ضيق رقعتها ، ولا من جدب أراضيها ، وانما أصابها الضعف والوهن ودب فيها داء الأمم من تهالكها ، على الشهوات ، وتقاتلها على الجاه والمركز وشيوع الملق والنفاق بين القادة والجماهير على حد سواء .

وأخلاق الرجولة من أساسيات الزعامة الناجحة والقيادة الظافرة ، فهى تفرض على القائد والزعيم أن يفكر فى أمته قبل أن يفكر فى نفسه ، وأن يرى المنصب وسيلة للخدمة العامة لا للجاه والثراء ، وأن يتخلى عن مركزه عندما يشعر بأن غيره أقدر منه على حمل العبء والنهوض بالمسئولية .

وكل فرد فى الأمة محتاج الى هذه الاخلاق مهما كان مستواه الاجتماعى ووضعه الوظيفى والمهنى فى المجتمع ففى الرجولة متسع للجميع ، وهى ميدان فسيح تتنافس فيه الأمة علماء وساسة ، أدباء وفنانين ، مدرسين وطلبة ، تجارا وصناعا وأقواهم رجولة أقدرهم على خدمة أمته وأنفعهم للناس .

نظرة لغوية :

واذا كانت الألفاظ وعاء للمعانى — كما يقول العلماء — فان مادة هذه الكلمة (ر . ج . ل) تدل بأصل وضعها فى اللغة على طائفة كبيرة من المعانى غير الذكورة المقابلة للأنوثة فى بنى الانسان ..

تقول العرب فى المفاضلة بين الاثنين وتفوق أحدهما على صاحبه (أرجل الرجلين) وللدلالة على القدرة على التصدى للأحداث والتفرد بحل المشكلات تقول « رجل الساعة » وفى مقام المباهاة بالشرف والسناء تقول (هو من رجالات قومه) وعندما وصفت السيدة عائشة رضى الله عنها ببعد النظر وسداد الفكر وأصالة الرأى قيل (كانت عائشة رجلة الراى) وعند الاشادة بالاعتزاز بالنفس والاعتداد بها وقدرتها على تحمل الصعاب

ومواجهة الاخطار يقول الشاعر العربى :

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول فى الدنيا على احد

واذا رجعنا الى المواضع التى وردت فيها هذه المادة فى القرآن الكريم وجدنا انها فضلا عن دلالتها على النوع افادت فى كثير من هذه المواضع معانى اخرى تتجه بالنوع الى السمو والامتياز .

استعمل القرآن الكريم (رجالا) وصفا للمصطفين الاخيار الذين اختارهم الله من الناس وابتعثهم لقيادة الأمم وتحرير الشعوب وهداية الانسانية ، وتكرر هذا الاستعمال فى عدة آيات من كتاب الله . قال سبحانه : ((**وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم**) ١٠٩ يوسف ٤٣ النحل ٧ : الأنبياء .

وساق الكتاب العزيز هذه الكلمة وصفا للاطهار والابطال قال تعالى : **(فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين)** ١٠٨ : التوبة .

وقال جل شأنه : **(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار)** .

٣٧ : النور . وقال عز من قائل : **(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)** . (٢٨ : الاحزاب) .

والوصف بالرجولة فى القرآن الكريم فى هذه المواطن وفى المواقف التى يتوارى فيها الجبناء ليس عفوا ، بل هو تعبير مقصود يوحى بمقومات هذه الصفة من جرأة فى الحق ومناصرة للقائمين عليه قال تعالى :

(وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين)

٢٠ : القصص ، وقال عز شأنه :

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) ٢٠ يس . وقال سبحانه : **(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)** ٢٨ : المؤمنون .

واذا انتقلنا من القرآن الكريم الى السنة النبوية رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلع الى الرجولة التى تناصره ، وتعتز بها دعوته ، ويسألها ربه فيقول : اللهم اعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو عمر بن هشام ، فيستجيب الله دعاءه فى الرجل عمر ، فما هى معالم الرجولة التى استشفها رسول الله فى عمر ؟ وما اثرها فى نشر الدعوة واعزاز الاسلام .. كان اسلام عمر حدثا كبيرا فى تاريخ هذا الدين ، ولو ان آلافا من عامة الناس اسلموا ما عدلوا عمر ولا قاربوه بدت رجولته فى اللحظة الاولى من اسلامه فبعد ان كان المسلمون لا يجرؤون على الجهر بدينهم جهروا به ، وكانت الدعوة من وراء حجاب ، فأرادها عمر علانية .. حمل نفسه على كفه دفاعا

عن عقيدته . وصمم على أن يموت أو تعلو كلمة الاسلام . فكانت الثانية .. قال ابن عباس : لما أسلم عمر قال : المشركون قد انتصف القوم اليوم منا . وقال ابن مسعود : ما زلنا اعزة منذ أسلم عمر . ولم تكن رجولة عمر فى قوة بدنه ولا فى فروسيته ، فقد كان فى قريش من هو اقوى منه بدنا ، واشد قتالا . ولكن رجولته كانت فى نفسه الكبيرة التى تشيع الرهبة وتبعث على التقدير والاكبار .. هاجر الصحابة خفية أما عمر فقد تقلد سيفه ومضى الى الكعبة فطاف ، وصلى فى المقام ، وأعلن هجرته على ملأ من قومه ، وقال لهم « من اراد أن تثكله أمه وييتم ولده ويرمل زوجته ، فليتبعنى وراء هذا الوادى » .. فما تبعه أحد منهم » .

وتمضى الايام وتتوالى الاحداث فتتكشف خصائص الرجولة فيه ويتجلى عدله وقدرته على تحمل المسئولية كاملة ، ويتألق ذهنه وصفاء عقله وسداد رأيه ، فينزل القرآن الكريم موافقا له فى اكثر من عشرين موقفا ، وقد روى فى هذا الباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون — فان يك فى أمتى أحد فانه عمر » .

وقديما نظر الشاعر العربى الى الناس نظرة فاحصة . يبحث عن مقاييس الرجولة ، فلم يجدها فى الشكل والمظهر ، ووجدها فى الحقيقة والمخبر فقال :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفى اثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير

وبعد هذا العرض السريع لمفهوم الرجولة ، ومقوماتها ومظاهرها واثرها فى حياة الأمة ، وبعد اللفتة العابرة الى هذه المادة فى اللغة . بقيت الاشارة الى أن الرجولة ليست وحيا يوحى ، ولا معجزة يعجز البشر عن تحصيلها ، بل هى ثمرة دانية للعقيدة المكينة ، والتربية الصحيحة ، والقدوة الحسنة ، وهى مهمة يتعاون على تحقيقها البيت ومعاهد التعليم .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى



من
هدي
السنة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

٢ بدء الوحي

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت :

« أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهى التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ قالت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى .

— رواية البخاري —

٢ ــ عهدا اكدته لك ايها القارىء الأريب أن نتجاذب أطراف الحديث عن ام المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أول سيدة عطر التاريخ باسمها صفحاته مستجيبة لله ورسوله منيبة الى الله تعالى ، متقية له فى صورة لم تعهدها الدنيا ، ولن تجود بتكرارها ، لأنه لا رسالة ولا رسول بعد سيدنا زوجها المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، لقد كان لموقفها الحاسم ــ وهى أول انسان يلتقى به الرسول بعد أول وحى ــ اثر كريم دافع الى البناء والعزم ، والمضى قدما دون رهبة ولا تردد ، والاقبال بقوة على الدعوة المنقذة للبشر من هوة الانحرافات القاتلة لكل كريمة ، والرافعة علم الهدى على طريق الرشاد ، !! فمن هى خديجة المعنية بالحديث ؟ وما احوالها التى تقلبت عليها ، قبل لقائها بسيدنا رسول الله ، وما هو الدافع لها الى الارتباط به صلى الله عليه وسلم زوجا يوم كان فقيرا معدما اعزل بعيدا عن ما يتمتع به كثير من شباب مكة من مال وتجارة ، وغير قليل مما يغرى النساء بالرجال ؟

والجواب . .اما من هى ؟ فهى خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى وامها فاطمة بنت زائد بن الأصم ابن رواحة بن حجر ، ويلتقى نسب ابيها وامها فى غالب بن فهر ، وقد تزوجت قبل رسول الله بزوجين اولهما عتيق (١) بن عائذ بن عبد الله بن عمرو ولما توفى عتيق تزوجها أبو هالة ابن زرارة التميمى ، ومات ايضا فى الجاهلية ، وقد ولدت له ذكرا اسمه هند ، وقد شهد بدرا وقيل احدا وكان يحدث عنه الحسن بن على ويقول حدثنى خالى لانه أخو فاطمة الزهراء لأمها ، وقتل هند يوم وقعة الجمل (٢) وعاشت خديجة بعد ذلك دون زواج رافضة يد كل من يتقدم اليها قال ابن هشام وكانت خديجة حازمة شريفة لبيبة مع ما اراده الله لها من كرامته ، كما كانت أوسط نساء قريش نسبا واعظمهن شرفا واكثرهن مالا ،كل قومها كانوا حريصين على الزواج منها لو يقدر عليه، وأما انجذابها الى محمد فنشأ منذ تسامعت بما تلوكه الألسن من الحديث العطر عنه ، وما ذكره لها خادمها ميسرة حين صحبه فى رحلة تجارية الى الشام فعلمت عنه ما لم تعلمه عن أحد من اترابه ، وقلبت أمره على وجوهه فما رات له شبيها ولا مماثلا فى السلوك والاخلاق والاستقامة ، ولا عرفت فتى يقاربه ، قد قدره عقلاء قومه حق قدره واضفوا عليه كل صفات الكمال ونعوت الفضائل ، فعملت على الارتباط به زوجا رغم فاصل السنين بينهما فهو فى شرخ الشباب وقد بدات هى فى طور الكهولة ، وليهن كل شىء فى سبيل الهدف الأسمى ، وكانت محاولات انتهت بزواجها كما حكت ذلك مفصلا كتب السيرة ، وكأنى بتلك السيدة الألمعية تنظر ما وراء حجب

الغيب فتستشف المستقبل الذى ينتظر الشاب محمدا ، واراد الله لها ان تخلد ما خلد الزمان ، وان تكون أولى امهات المؤمنين وخيرهن دامعت عن الدعوة بمالها وجاهها وعقلها وذكائها ، وكل ما تملك ، واعطت من البنين والبنات من كانت احداهن (٣) سببا فى امتداد نسل سيد البشر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فانطلقت به خديجة حتى اتت ورقة بن نوفل ، ومن اخبار ورقة هذا انه كره عبادة الأوثان التى بان له من حقيقتها انها حجارة صم لا تضر ولا تنفع ، فخرج مرافقا زيد بن عمرو بن نفيل الى الشام يسألون عن الدين فأما ورقة فقد اعجبه دين النصرانية فتنصر .

ويقول ابن حجر العسقلانى ناقلا عن كتب السيرة (وكان قد لقى من بقى من الرهبان على دين عيسى ولم يتبدل، ولهذا اخبر بشأن النبى صلى الله عليه وسلم والبشارة به الى غير ذلك مما افسده اهل التبديل) واتجاه خديجة الى ورقة يعطى مزيدا من الدلالة على فطنتها وذكائها ، وان الله اعدها لتكون الى جانب رسوله فى هذا الظرف العصيب ، وكان يجمعها مع ورقة ورسول الله نسب واحد ، ولهذا قالت يا ابن عم اسمع من ابن اخيك ، وكان ورقة مجيدا للعبرانية يكتب بها ، وينقل منها واليها ، وهذا دليل على انه كان عالما بأسرار الديانة المسيحية ، ومطلعا على كل ما ورد فى الانجيل والتوراة من البشارة بنبى هذه الأمة ، ولما قص عليه سيدنا رسول الله ما حدث له اجابه (هذا الناموس (٤) الذى نزل الله على موسى) واختص موسى لأن نزول جبريل عليه متفق على حصوله بين اهل الكتاب بخلاف عيسى ، فان كثيرا من اليهود ينكرون نبوته ، وتشوف ورقة الى مصاحبة رسول الله فى جهاده ، تمنى ان لو عاد شابا يحمل السلاح نصيرا لدعوة الحق ، وجنديا من بنائها (يا ليتنى فيها جذعا) والجذع بفتح الجيم والذال المعجمتين هو الصغير من البهائم ، وتمنى ورقة الشباب ليكون امكن فى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد عجب رسول الله كثيرا حين اخبره ورقة بأن قومه سوف يكذبونهويقاتلونه ويخرجونه من دياره فقال (أومخرجى هم) ؟ قال ورقة نعم — لم احد يأت بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ، ويشاء العلى الكبير ان يلقى ورقة ربه مبكرا ، تقول عائشة رضى الله عنها : (ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى)ثم تتابع وتوفيت خديجة عليها رضوان الله قبل ان تفرض الصلاة ، وروى أن عائشة قالت ما غرت على احد ما غرت على خديجة ولقد توفيت قبل ان يتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ولقد امر رسول الله ان يبشرها ببيت فى الجنة .

هذا وما احوجنا فى ظروفنا الراهنة ان نتذكر ما عاناه سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وما قاساه فى سبيل نشر الدعوة ، وما كان من هجرته من البلد الذى هو احب بلاد الله اليه ، وما جابهه به المشركون من عداء سافر له ولأتباعه ، ثم ما شنوا عليه من حروب ما تكافأت فيها العدة ولا العدد ابدا ، ولكن النصر كان حليفه عليه افضل الصلاة لثقته بالله ، واعتماده على قوة رب العالمين تحارب معه الملائكة فى بدر ، وعوامل الطبيعة فى يوم الأحزاب ، وما وهن عليه الصلاة والسلام ولا ضعف أمام عدو ابدا .

وصاحب الحق المؤمن به الواثق بعون ربه ، تهون أمامه كل الصعاب، وتتلاشى العقبات ، ويلين لعزيمته الحديد وتطوى الآفاق ، وما ضاع حق وراءه مطالب ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ، ولعل فى ذكر بدء الوحى بدء الجهاد النبوى الكريم ما يدفع الدماء الحارة الى قلوب المسلمين فى آفاق الأرض ، فيفيقوا ، ويتنبهوا للسيوف التى يعملها اعداؤهم فى رقابهم فى كل مكان ، وليتناسوا ما بينهم من منازعات ، وليعتصموا بحبل الله ليلتقوا بعدوهم فى ساحة الجهاد على قلب رجل واحد ، ومن عاذ بالله اعاذه الله ، ومن لاذ بحماه نصره ، ومن توكل عليه كفاه (**وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خاسئين**) .

---

(١) ص ١٢٤ من الروض الانف ، للسهلى جـ ١ وقيل أن أبا هالة هو زوجها الاول وعتيق هو زوجها الثانى .

(٢) ورد هذا فى شروح المواهب والاستيعاب .

(٣) فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين وزوج على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين ..

(٤) فى اللغة الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر .

مع العدد القادم
فهرس المجلة لعام
١٣٩١ هـ

القرآن والكعبة والخلافة

للشيخ أحمد حسن الباقوري

القرآن دستور المسلمين فى حياتهم ، والكعبة قبلتهم فى صلاتهم ، والخلافة مظهر وحدتهم ونظام شتاتهم .

وهذه الاصول هى الأسس التى قامت عليها أول دولة للاسلام فى مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقد ظلت هذه الاصول قرونا طوالا موطن اعزاز وموضع تقديس من المسلمين تسوى ــ على اختلاف النزعات ــ صفوفهم ، وتقوى فى مواجهة الازمات عزائمهم وتملأ بالامل فى بسط سلطان الحق صدورهم وبالهيبة لهم صدور اعدائهم .

وعلى مقدار ما استمسك المسلمون بهذه الاصول وحرصوا عليها وناطوا آمالهم بها ، راح أعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، ويتلمسون لهم المزالق ويتتبعون فى صفوفهم الثغرات ، حتى اذا سنحت الفرصة اهتبلوها بكل ما تنطوى عليه صدورهم من حقد ، وتتلمظ اليه اطماعهم من سلطان ، فاذا دول الاسلام وشعوبه فى أيديهم فرائس دامية واشلاء ممزعة ، من المحيط الهادىء شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، ومن البحر الابيض شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ، وكل ما تستهدفه أحقادهم وتتغياه دسائسهم ومكايدهم ، هو هذه الاصول الثلاثة التى لا قيام للامة الاسلامية الا بها وهى كما قلنا ــ الخلافة والكعبة والقرآن . ونقف فى هذا الحديث وقفة متأملة عند الكعبة والحج .

الكعبـــة :

من الكعوب وهو العلو والارتفاع ، والكعبة البيت المربع وجمعه كعاب .
والكعبة البيت الحرام ، سمي كعبة لارتفاعه وتربعه .

وقد ذكرت الكعبة فى كتاب الله فى مواضع كثيرة ذكرت باسم الكعبة فى قوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » وقوله تعالى « هديا بالغ الكعبة » وذكرت باسم البيت فى قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » وقوله تعالى « فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » وقوله تعالى « ان أول بيت وضع للناس » وقوله تعـــالى « فليعبدوا رب هذا البيت » .

وذكرت باسم الحرم فى قوله تعالى « أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا » وقوله تعالى « اولم نمكن لهم حرما آمنا » .

وذكرت باسم المسجد الحرام فى قوله تعالى « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقوله تعالى « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام » وقوله تعالى « ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام » .

وفى خبر انشائها انها كانت رضما(١) نضدت حجارته بعضها فوق بعض من غير ملاط وكانت تسعة أذرع . وتختلف الروايات فى خبر بنائها .

قيل : ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور وقيل بناها شيث ابن آدم ثم هدمها الطوفان ، وليس فى هذا خبر صـــحيح يعول عليه ، وانما اقتبسوه من مجمل الآية « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » .

فظاهر التعبير أن القواعد كانت موجـــودة ، وان كل عمل ابراهيـــم واسماعيل انما كان رفعها وليس تأسيسها ، وليس فى لغة العرب ما يمنع من أن يراد برفع القواعد ابتداء بناء البيت على ضرب من التوسع فى التعبير .

وفى تحديد مكان البيت وتاريخه يقول ابن خلدون .

ثم جاء نبى الله ابراهيم وكان من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف ، وقد أوحى الله الى ابراهيم أن يترك ابنه اسماعيل وأمه هاجر بالفلاة فوضعهما فى مكان البيت وسار عنهما فجعل الله لهما من اللطف ما جعل من نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم فسكنوا اليهما ونزلوا معهما حوالى زمـــزم . ثم اتخذ اسماعيل بموضع الكعبة بيتا يأوى اليه وادار عليه سياجا من الردم وجعله زربا لغنمه وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام. وقد أمر فى آخر زياراته ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب ، فبناه واستعان فيـــه بابنه اسماعيل ودعا الناس الى حجه وبقي اسماعيل ساكنا به . ولما قبضت امه هاجر قام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل أفق من جميع اهل الخليقة وقد نقل أن التتابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبعا كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا ، وقيل ايضا ان الفرس كانت تحج البيت وتقرب اليه وان من ذلك القربان غزالى الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتفـــر زمزم .

ولم يزل لجرهم الولاية على البيت من بعد ولد اسماعيل من قبل خؤولهـــم حتى خرجت خزاعة واقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثر ولد اسماعيل وانتشروا وتشعبوا الى كنانة ثم الى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهـــم قريش

على أمر البيت واخرجوهم منه . وملكوا عليهم قصى بن كلاب ، فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخيل .

ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق فتهدم واعادوا بناءه وجمعوا النفقة من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف ، وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا .

وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخل السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا من قواعده وتركوا منه ستة أذرع وشبرا وأداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر .

وبقى البيت على هذا البناء الى أن تحصن ابن الزبير بمكة وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق من النفط الذى رمى به على ابن الزبير . فأعاد بناءه أحسن ما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة فى بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة لولا ان قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف عن اساس ابراهيم وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه ثم شرع فى البناء على اساس ابراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ..

ثم جاء الحجاج لحصارها ايام عبد الملك ورمى على المسجد بالمنجنيقات الى أن تصدعت حيطانه . ولما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده فى البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هى اليوم .

هذا ما ذكر ابن خلدون وزيادة فى التفصيل يمكن تقسيم بناء الكعبة الى خمسة أطوار ..

الطور الأول :

بناء ابراهيم مع ولده اسماعيل عليهما السلام وهو ما تشير اليه الآيات الشريفة من كتاب الله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

الطور الثانى :

بناء قريش اياها قبل بدء الاسلام بخمس سنين وقد اتفقوا على الا يدخلوا فى بنائها من كسبهم الا طيبا يتجنبون فى ذلك مهر البغى وبيع الربا ومظلمة احد من الناس . ثم أن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة ــ انا أبدؤكم فى هدمها . فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا ترع اللهم انا لا نريد الا الخير . ثم هدممنناحيةالركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شىء فقد رضى الله عن صنعنا فهدمنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى اساس ابيهم ابراهيم نظروا فاذا قواعد البيت كأسنمة الابل ــ كما يروى البخارى وكانت القبائل من قريش تجمع الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة حتى اذا انتهوا الى موضع الحجر تنازعوا أيهم يضعه وتداعوا للقتال . وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدى على الموت ، ثم اجتمعوا وتشاوروا ، فاتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب المسجد فدخل محمد بن

عبد الله فقالوا جميعا هذا الأمين وبذلك كانوا يسمونه فتراضوا به وحكموه . فقال صلى الله عليه وسلم هلموا الي ثوبا فأتى به فأخذ الحجر الاسود فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه محمد بيده ثم بنى عليه وبهذا التصرف الحكيم انتهت الفتنة التي أوشكت أن تشب نارها بين القبائل العربية الحريصة على الظفر بنصيب من شرف اقامة البيت العتيق .

والطور الثالث :

بناء عبد الله بن الزبير اياها حين احترقت فى عهده . وفى هذا يروى مسلم فى صحيحه انه لما احترق البيت فى زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل الشام تركه ابن الزبير محترقا حتى قدم الناس الموسم يريد بذلك أن يجرئهم ويحزبهم على أهل الشام فلما صدر الحجيج قال ابن الزبير لمن حوله — يا أيها الناس أشيروا على فى الكعبة انقضها ثم أبنى بناءها أو أصلح ما وهى منها ؟ فقال ابن عباس أرى أن نصلح ما وهى منها وندع بيتا أسلم الناس عليه وأحجارا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير لو كان أحدكم احترق بيته ما رضى حتى يجدد فكيف ببيت ربكم ؟ انى مستخير ربى ثلاثا ثم عازم على أمرى فلما مضت الثلاث اجمع رايه على أن ينقضها فتحاماه الناس أن ينزل بأول من يصعد أمر من السماء حتى صعده رجل فألقى منه حجاره فلما لم يره أناس أصابه شىء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الارض فجعل ابن الزبير اعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه .

وقال ابن الزبير — انى سمعت عائشة تقول قال النبى صلى الله عليه وسلم لولا الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوينى على بنائه لكنت ادخلت فيه من الحجر خمسة أذرع وجعلت لها يعنى الكعبة بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه قال ابن الزبير فأنا اليوم اجد ما أنفق ولست اخاف الناس فزاد عليه خمس أذرع من الحجر حتى أبدى أساسا نظر الناس اليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقصره فزاد فى طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه وكان بناؤها هذا سنة خمس وستين هجرية .

الطور الرابع :

بناء عبد الملك بن مروان اياها حين قام بالامر وكان قد ارسل الحجاج لحصار مكة فرمى على المسجد بالمنجنيقات الى أن تصدعت جدران الكعبة .

ولما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده فى البيت فأمره بهدمه ورد البناء على قواعد قريش كما هى اليوم فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مكان الحجر وبناها على أساس قريش وسد الباب الغربى وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقى وترك سائرها لم يغير منه شيئا فكل البناء الذى فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج فى الحائط صلة ظاهرة للعيان ولحمة ظاهرة بين البناءين اشكال قوى والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لحم .

وهنا اشكال قوى يقوله الفقهاء فى أمر الطواف فهم يحذرون الطائف أن يجعل على الشاذروان الدائر على أساس الجدر من أسفلها حتى لا يقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدر انما قامت على بعض الاساس مع ترك بعضه وهو

مكان الشاذروان وكذلك قالوا فى تقدير الحجر الاسود انه لا بد ان يرجع الطائف من التقبيل حتى يستوى قائما والا وقع بعض طوافه داخل البيت .

واذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير ــ وهو انما بنى على اساس ابراهيم فكيف يقع هذا الذى قالوه ؟

ولا نخلص من هذا الاشكال الا بأحد امرين .

أحدهما ان يكون الحجاج هدم جميع البيت وأعاده على ما يروى ذلك جماعة الا ان العيان فى شواهد البناء بالتحام ما بين البناءين وتميز احد الشقين من اعلاه عن الآخر فى الصناعة يرد ذلك .

وثانيهما أن يكون ابن الزبير لم يرد البيت على اساس ابراهيم من جميع جهاته وانما فعل ذلك فى الحجر فقط ليدخله فهى الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم وهذا بعيد ومع ذلك لا محيص من أحد هذين الاشكالين .

ولما انتهى الامر الى الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور اراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور فى ذلك فقال مالك بن انس انشدك الله أمير المؤمنين الا تركت هذا البيت حتى لا تجعله ملعبة للملوك بعدك لا يشاء احد منهم ان يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس قال فانصرف يومئذ أبو جعفر عن عزمه من هدمه واقامته على ما كان عليه فى عهد ابن الزبير .

وكأن مالكا قد استشعر ان عبد الملك هدم ما بنى ابن الزبير عن هوى سياسى وليس عن حافز دينى وان أبا جعفر المنصور يريد هدم الكعبة ايضا عن هوى سياسى وليس عن حافز دينى ولهذا ناشده الله لا يفعل ، ثم ان مساحة البيت أعنى المسجد كانت فضاء للطائفين ولم يكن عليه جدار أيام النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر من بعده ثم كثر الناس فاشترى عمر رضى الله عنه دورا هدمها وزادها فى المسجد وادار عليها جدارا (سورا) دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعمد الرخام ثم زاد فيه المنصور والمهدى من بعده . ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك .

الطور الخامس :

تجديد عمارة الكعبة على يد السلطان مراد خان من سلاطين آل عثمان فى سنة ١٠٤٠ هـ ولهذا التجديد قصة خلاصتها ان مطرا عظيما معه برد استمر مدة طويلة حتى نشأ عنه سيل عظيم دخل المسجد الحرام وملأ معظم ارجائه ، واقتحم الكعبة المشرفة من بابها حتى وصل الى نصف جدارها فسقط الجدار الشامى منها وبعض الجدار الشرقى والغربى وسقطت درجة السطح فضج الناس وملأ الذعر قلوبهم فسارع السلطان الى عمارة الكعبة وهى العمارة الاخيرة التى لم يطرأ عليها تغيير الا بما هو اشبه بالصيانة منه بالتعمير .

والذين اكرمهم الله فيسر لهم سبيل اداء فريضة الحج قد رأوا بلا شك صورة اصلاح وتعمير فى الحرم لم يكن من السهل تحقيقها لولا ما وفق الله تعالى له وهدى اليه الاسرة السعودية الكريمة التى هى سادنة للبيت وراعية له ومحافظة عليه ، ولا يسع مخلصا الا ان يتمنى أن يتقبل الله تعالى هذا العمل الطيب وأن يجزى الذين قاموا به خير الجزاء ..

وتشريف الله هذا البيت وعنايته به أكثر من أن يحاط به وكفى من ذلك ان جعله مهبطا للوحى والملائكة ومكانا للعبادة وفرض شعائر الحج ومناسكه واوجب لحرمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم ما لم يوجبه لغيره فمنع كل من خالف دين الاسلام من دخول ذلك الحرم واوجب على داخله أن يتجرد من المخيط الا

ازارا يستره وحمى اللائذ به والواقع فى مسارحه من مواقع الآفات فلا يرام فيه خائف ولا يصاب له وحش ولا يحتطب له شجر .

وحد الحرام الذى يختص بهذه الحرمة من طريق المدينة ثلاثة أميال الى التنعيم ومن طريق العراق سبعة أميال الى الثنية من جبل المنقطع ومن طريق الطائف سبعة أميال الى بطن نمره ومن طريق جده سبعة أميال الى منقطع البشائر .

هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها ويقال لها ايضا بكة اما لأن الناس يبك بعضهم بعضا اليها يعنى يدفع بعضهم بعضا اليها واما لأن الباء والميم يتبادلان لقرب مخرجيهما كما قالوا من طين لازب أو من طين لازم وقال بعض اهل اللغة بكة بالباء البيت وبالميم البلد والزهرى يقول بالباء المسجد كله وبالميم الحرم . .

وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فى الجب الذى كان فيها سبعين الف أوقية من الذهب مما كانت الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار بمائتى قنطار وزنا فقال على يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك؟ فلم يفعل صلى الله عليه وسلم وأبقى الامر على ما كان ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه شىء اليـه .

وقد روى البخارى بسنده الى أبى وائل قال :

جلست الى شيبة بن عثمان فقال — جلس الى هنا عمر بن الخطاب فقال هممت الا ادع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين ، فقلت له ما انت بفاعل فقال ولم ؟ قلت — لم يفعله صاحباك قبلك فقال هما المرءان يقتدى بهما ، وقد اقام ذلك المال فى جب الكعبة الى أن كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن الحسين بن على بن على زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة فعمد الى الكعبة فأخذ ما فى خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا ينتفع به أحد نحن احق به نستعين به على حربنا فأخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ وفى شأن البيت يقول ابن اسحاق ان قصى بن كلاب هو اول بنى كعب ابن لؤى اصاب ملكا اطاع له به قومه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفاده والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطعها رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى اصبحوا عليها وقد هابت قريش قطع شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بيده واعوانه فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما يتزوج رجل ولا امرأة من قريش ولا يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء بحرب قوم من غيرهم الا فى داره يعقده لهم بعض ولده وما تدرع جاريه اذا بلغت أن تدرع من قريش الا فى داره فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى البيت وفيها كانت قريش تقضى أمورها وفى قصى هذا يقول الشاعر :

قصى لعمرى كان يدعى مجمعـا	به جمع اللـه القبائل من فهر
هم ملأوا البطحاء مجدا وسؤددا	وهم طردوا عنا غواة بنى بكر

هذا ويقول الواقدى رحمه الله ان قريشا حين ارادوا البنيان كانوا يحذرون قطع الشجر من الحرم مخافة أن تنزل بهم عقوبة الله فى ذلك فكان أحدهم يطوف بالبنيان حول الشجر حتى تكون فى منزلة وأول من ترخص فى قطع شجر الحرم عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقيقعان لكنه جعل دية كل شجرة بقرة وكذلك روى عن عمر رضى الله عنه انه قطع دوحة كانت فى دار اسد بن عبد

العزى وكانت اطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة وذلك قبل ان يوسع المسجد فقطع الشجرة عمر ووداها بقرة .

وائمة المذاهب يختلفون فى ذلك فمذهب مالك انه لا دية فى شجر الحرم وأما الشافعى فجعل فى الدوحة بقرة وفى مادونها شاة وفصل ابو حنيفة فقال ان كانت الشجرة التى فى الحرم مما يغرسها الناس ويستنبتونها فلا فدية على من قطع شيئا منها وان كان من غيرها ففيه القيمة بالغة ما بلغت . وذكر أبو عبيد أن قصيا اتخذ دار الندوة يجلس القوم فيها للتشاور . والندوة مأخوذة من لفظ الندى والنادى والمندى يجتمع القوم الذين يندون حوله اى يذهبون قريبا منه يرجعون اليه وهذه الدار صارت بعد بنى عبد الدار الى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى ابن أخى خديجة أم المؤمنين فباعها فى الاسلام بمائة الف درهم وذلك فى زمن معاوية فلامه معاوية فى ذلك وقال اتبيع مكرمة آبائك وشرفهم بمائة الف يا حكيم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة الف درهم واشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله فأينا المغبون ؟

وقد اشترى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه دار صفوان بن امية وجعلها سجنا بمكة وهو أول سجن اتخذ فى الاسلام ومن جمال النظر أن ينكر طاووس هذا التصرف من عمر ذاهبا الى أن دار العذاب لا ينبغى أن تكون فى بيت رحمة .

وليس شىء من بلاد الله يشبه مكة فلا يسع مسلما أن يذهب الى ما ذهب اليه طاووس فيمنع اتخاذ السجن فى اى بلد آخر صيانة للامن وتوفيرا للطمأنينة وكذلك لا يسع مسلما أن يمنع رباع اى بلد من البيع وبيوتها من الكراء كما هى الحال فى مكة بقضاء رسول الله فى قوله الشريف ـ مكة مناخ لاتباع رباعها ولا تؤاجر بيوتها » .

وقد كره صلوات الله عليه أن يستأثر لنفسه ببيت أو بناء يظله من الشمس فى منى حين اقترحت عليه عائشة ذلك فقال صلى الله عليه وسلم « لا يا عائشة انما هو مناخ من سبق » تلك احدى خصائص الحرم .

وخصيصة ثانية له هى أن المسلم يؤاخذ فيه بارادة المعصية ولو لم يأتها فلو ان مكلفا أراد وهو بعد أبين أن يقتل رجلا بالحرم لعذبه الله تعالى على هذه الارادة وان لم ينفذ ما انتواه بدليل قول الله تعالى « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » فقد علق الله فى الآية اذاقة العذاب على ارادة الالحاد بالظلم .

وليس المراد بالالحاد ما يبتدر الذهن من الميل عن الايمان الى الكفر فان الاسلاف كانوا يرون الالحاد فى الحرم ان يقول الرجل لا والله بلى والله كما يقرر ذلك عبد الله بن عمر رحمه الله ولذلك كان يتخذ فسطاطين احدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا اراد الصلاة دخل فسطاط الحرم واذا اراد بعض شأنه قصد فسطاط الحل لأن الله عظم الذنب فيه وكذلك كان لعبد الله ابن عمرو فسطاطان فى الحل والحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم فى الحل واذا أراد أن يصلى صلى فى فسطاط الحرم فقيل له فى ذلك فقال ان كنا لنتحدث أن من الالحاد فى الحرم أن نقول كلا والله وبلى والله .

والمعاصى تتضاعف فى مكة كما تتضاعف الحسنات فتكون المعصية معصيتين احداهما بالمخالفة لأمر الله والثانية باسقاط حرمة البلد الحرام .

ذلك ما يتصل بتاريخ الكعبة وما احاط بها من محن واحداث ، ولا يخفى

أن الـكعبة هى قلب الحـج ، فحين ذكر الله الحـج فى كتـابه كانت هى مدار النص الكريم فذلك حيث قال سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » يعنى جل ثناؤه أن من ترك الحج مع الاستطاعة فان الله غنى عنه لأن الله غنى عن العالمين . ومما لا يجوز التجاوز عنه دون تنبيه اليه أن القرآن استعمل كلمة « ومن كفر » بدلا من كلمة « ومن ترك الحج » ايذانا بشدة حرص الاسلام على أداء هذه الشعيرة .

ولا يخفى أيضا أن دعوة الاسلام المسلمين الى أداء فريضة الحج دعـوة مشددة مؤكدة لا تقف بهم عند قضاء حق الدين عليهم ، ولكنهم تضم الى ذلك منافع من صميم الحياة لا تستغنى عنها أمة تحمل رسالة الحق والخير . والى هذا المعنى يشير قول الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » يعنى جل ثناؤه أنه جعل الكعبة نظاما وانتعاشا لهم فى أمر دينهم ودنياهم ، ونهوضا الى أغراضهم ومقاصدهم فى معاشهم ومعادهم والى هذا أيضا تشير الآية الكريمة « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم » .

وربما ذهب أهل العلم الى أن المراد من المنافع فى الآية انما هو التجـارة وليس من الميسور التسليم بهذا فان المنافع أوسع دائرة وأرحب أفقا ، فلا تقتصر على التجارة وحدها فانما هى منفعة من المنافع ولعـل أبرز المنافع وأشملهـا للخير ، التجمع والتعارف مضيا مع قول الله تعالى « انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، ويؤيد هذا المعنـى ويقويـه شدة حرص الشارع على شهود المسلم للجمعة والجماعات فى الصلاة ، حتى لقد قال عليه الصلاة والسلام فى شأن قوم تخلفوا عن صلاة الجماعة « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم آتى قوما تخلفوا عن صلاة الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم » فليس وراء هذا دليل على فضل الجماعة وعلى شدة حرص الشارع عليها .

واجتماع المسلمين فى المسجد لاداء الصلاة انما هو اجتماع نفر قليل فى قرية أو بلد بيد أن اجتماع الحجيج فى الحج انما يكون من أبعد البلاد وأعمق الفجاج فالفائدة به أعم والثمرة أنفع والحرص عليه أشد ، وخليق بمن يتأمل حكمة الحج فى هذا الضوء ألا يقصرها على منافع التجارة والرزق ، وانما يمضى بها قدما الى ما أراده الله تعالى للمسلمين من التجمع والتعارف والتفاهم والتشاور الذى هو خير وبركة لكافة المسلمين .

والذين يتبعـون فى عصرنا هـذا ما صار عرفا متبعا بين الشعوب مـن المعاهدات الثقافية التى يتعارفون فيها ويتواصلون ، والمعاهدات الاقتصادية التى يتبادلون فيها المنافع والكسوب يرون الاسلام قد سبقهم الى ذلك بأربعـة عشر قرنا من الزمان .

فالحج بهذا النظر ركن عظيم تستند اليه الجامعة الاسلامية التى تصـون مصالح أمة القرآن .

الحج

الاسلام دين توحيد خالص ، دين لا يؤمن بالوساطة بين العبد وربه ، ولا بمشهود محسوس يركز عليه الانسان تفكيره ، ويصرف اليه همته ، ليتخيل به الاله الذى لا تدركه الابصار ، ويرتبط به فى خياله ويتمسك بأذياله ، فلا وسائط ولا مظاهر ، ولا صور ولا أصنام ، ولا هياكل ولا طبقة كهان ولا سدنة ، « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » « فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

اذا فالاسلام دين يطلب تجردا فى الخيال ، وسموا فى الفكر ، ونقاء فى الارادة والنية ، واخلاصا فى العمل والتطبيق وانقطاعا عن الغير ، لا يتصور فوقه أكثر منه ، ومستوى فى الفكر والعقيدة ، لم تبلغ الانسانية ولا الاديان والفلسفات ، والنظم الدينية أو العقلية الى مثله أو قريب منه ، وقد وصف الله نفسه بما لا مزيد عليه فى الدقة والسمو ، فقال : « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » .

ولكن الفطرة البشرية ، هى الفطرة البشرية ، فالانسان ما زال — ولا يزال — باحثا عن شىء يراه بعينه ، فيوجه اليه أشواقه ، ويقضى به حنينه ويشبع به رغبته الملحة ، فى التعظيم والدنو .

وقد اختار الله أمورا ظاهرة محسوسة ، اختصت به ونسبت اليه وتجلت عليها رحمته ، وحفتها عنايته بحيث اذا رؤيت ذكر الله ، وارتبط بها وقائع وحوادث ، وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه ، ودينه وتوحيده ، وحسن بلاء أنبيائه ، وسماها (شعائر الله) التى جعل تعظيمها تعظيمه ، والتفريط فى جنبها تفريطا فى جنبه ، وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن فى نفوسهم ، ورغبتهم الفطرية فى الدنو والمشاهدة ، بل حث على

الاسلام دين توحيد وتجريد لا وساطة فيه ولا تمثيل



لكاتب كبير

ذلك ، ودعا اليه فقال : « ذلك ، ومن يعظم شعائر الله ، فانها من تقوى القلوب » ، وقال : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

ثم ان الانسان ، ليس عقلا مجردا ، ولا كائنا جامدا يخضع لقانون ، أو ارادة قاسرة ، ولا جهازا حديديا يتحرك ويسير تحت قانون معلوم ، أو على خط مرسوم ، أن الانسان عقل وقلب ، وايمان وعاطفة وطاعة وخضوع وهيام وولع ، وحب وحنان ، وفى سر عظمته وشرفه وكرامته ، وفى ذلك سر قوته وعبقريته وابداعه ، وسر تفانيه وتضحيته ، وبذلك استطاع أن يتغلب على كل معضلة ومشكلة ، وأن يصنع العجائب والخوارق ، واستحق أن يحمل أمانة الله التى اعتذرت عنها السموات والارض والجبال ، فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ، ووصل الى ما لم يصل اليه ملك مقرب ، ولا حيوان ولا نبات ولا جماد .

ان صلة هذا الانسان بربه ، ليست صلة قانونية ، عقلية فحسب ، يقوم بواجباته ويدفع ضرائبه ، ويخضع أمامه ، ويطيع أوامره وأحكامه ، انما هى صلة حب وعاطفة كذلك ، صلة لا بد أن يرافقها ويقترن بها ، ويتحكم فيها حنان وشوق ، وهيام ولوعة ، وتفان وتهالك ، والدين لا يمنع من ذلك ، بل يدعو اليه ، ويغذيه ويقويه ، فتارة يقول القرآن : « والذين آمنوا أشد حبا لله » وتارة يقول : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » ويذكر أنبياءه ورسله وينوه بحبهم وحنانهم ، ويحدث عن أشواقهم وتفانيهم فى هذا الحب ، فيقول عن يحيى (عليه السلام) : « وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا » ويحكى قصة خليله ابراهيم كيف آثر حب الله وطاعته على حب

ولده ، وفلذة كبده ، وكيف وضع السكين على حلقومه ، وحاول ذبحه حتى شهد ربه بصدقه وحسن بلائه ، وقال : « يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين » ولذلك قال فى وصف ابراهيم : « ان ابراهيم لحليم أواه منيب » .

وذلك سر اطالة القرآن فى ذكر صفات الله وأفعاله ، وآلائه ونعمائه وأشادته بها ، والعودة اليها مرة بعد مرة ، فان الصفات ، هى التى تثير الحب وتبعث الحنان ، وتوجد الاشواق ، وذلك سر تفصيل القرآن الذى يعبر عنه بعض علماء الكلام وأئمة الاسلام ، « بالنفى المجمل والاثبات المفصل فان الاثبات هو الذى ينبع منه الحب ، ويفيض منه الحنان ، وتنبعث به الأشواق ، وتتغذى به العاطفة ، فاذا كان النفى رائد العقل ، كان الاثبات رائد القلب ، ولولا هذه الصفات العليا وأسماء الله الحسنى ، التى نطق بها القرآن ، ووردت بها السنة ، وهام بها الهائمون ، وتغنى بها العارفون ، وسبح بها المسبحون ، وسبح فى بحارها ، ونزل فى أعماقها الغواصون ، لكان هذا الدين جامدا ، لا يملك على أتباعه قلبا ، ولا يثير فيهم عاطفة ، ولا يبعث فيهم حماسة ، ولا يحدث فى القلب رقة ، ولا فى الصلاة خشوعا ، ولا فى العين دموعا ، ولا فى الدعاء ابتهالا ، ولا فى الجهاد تفانيا ، وكانت علاقة العبد بربه علاقة محدودة ميتة لا حياة فيها ولا روح ، ولا مرونة ولا سعة ، وكانت الحياة كلها حياة رتيبة ، لا عاطفة فيها ولا أشواق ، ولا حنان فيها ولا هيام ، واذا ، أى فرق بين الحياة والموت ، وبين الانسان والجماد ؟!

لقد كان المسلم فى حاجة الى غذاء للقلب ، والى زاد للعاطفة ، والى أن يقضى شوقه ، ويروى غلته ، مرة بعد مرة ، وعلى فترة بعد فترة ، وكان فى حاجة الى أن تطفح كأسه ، فما قيمة كأس تمتلىء ولا تطفح ؟. وكان فى حاجة الى أن تفيض هذا الكأس ، فما قيمة كأس تطفح ولا تفيض ؟.

لقد كان للمسلم أن يقضى هذا الشوق ، وأن يبرز هذا الحنان ، وأن تفيض كأسه فى الصلوات التى يصليها كل يوم ، فيسلى بها قلبه ويطفىء بها غلته ، ويهدىء بها ثائرته ، ويخفف بها حرارة شوقه ، ووهج نفسه ، ولكنها قطرات محدودة تتكون خشوعا ، أو تسقط دموعا ، انها قطرات قد لا تفى بما يجيش فى الصدر من حنان وولوع ، وهى قطرات قليلة فى بعض الأحيان لا تسمن ولا تغنى من جوع .

لقد كان المسلم فى حاجة — بعد هذه الصلوات ، التى يصليها كل يوم ، وبعد شهر رمضان ، الذى يصومه كل عام ، وبعد الزكاة ، التى يقوم بها اذا تم النصاب وحال الحول ، الى أن يشهد موسما هو ربيع الحب والحنان ، وملتقى المحبين والمخلصين ، ومشهد العشاق والهائمين .

وكان المسلم فى حاجة الى أن يثور على عقله ، الرزين الوقور ، المقلد المطبق ، وما لذة حياة لا ثورة فيها ولا تمرد ؟ وكان فى حاجة الى أن يتخطى الدائرة المرسومة من عادات ومألوفات ، وقوانين وضعية ، وحضارة مصطنعة ومجتمع قاس ، ويفك قيوده وأغلاله ، وينتزع الزمام من يد عقله ، الذى استبد به زمانا طويلا ، ويعطيه لقلبه وعاطفته ، فيتحكمان فيه ما شاءا ، ويهيم على وجهه كما هام الهائمون ، ويذهب فى الحب كل مذهب كما فعل العشاق المتيمون ، فلا حرية لمن ملكه المجتمع ، وسيطرت عليه الحضارة ، وتسلطت عليه آلهة التقاليد ، ولا توحيد لمن أسرته العادات ،

والمألوفات والشهوات ، ولا يعتبر مطيعا منقادا مسلما مستسلما ، من اعتمد دائما على عقله ، لا ينشط لعمل ، ولا يسرع لامتثال أمر ، حتى يزنه فى ميزان عقله المخلوق ، ويعرف فوائده المادية المحسوسة . والحج بوضعه الدقيق الغامض ، المنافى للمألوف المعروف ، لعباد العقل والمادة ، وأسارى النظم والترتيبات ، ودعوة الى الايمان بالغيب ، واتباع الأمر المجرد ، وعزل العقل عن وظيفته لمدة محدودة ، وفى مكان محدود ، وصرفه عن طلب الدليل والحكمة ، والمنطق والفلسفة فى كل حين وأوان ، وفى كل زمان ومكان .

والحج بمناسكه وأركانه وأعماله ، كله تمرين وتمثيل للاطاعة المطلقة ، وامتثال للأمر ، وتلبية واجابة للطلب ، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى ، وعرفات والمزدلفة ، ثم منى ومكة : يقيم ويرحل ، ويمكث وينتقل ، ويخيم ويقلع ، انما هو طوع اشارة ورهين أمر ، ليست له ارادة ولا حكم ، وليس له اختيار ولا حرية ، ينزل بمنى ، فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال الى عرفات ، من غير أن يقف بالمزدلفة ، ويقف بعرفات ، ويظل سحابة النهار مشتغلا بالدعاء والعبادة وتحدثه نفسه بالمكث بعد الغروب ، ليستجم ويستريح ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى المزدلفة ، ويقضى حياته محافظا على الصلوات فى وقتها ، ويؤمر بترك صلاة المغرب فى عرفة لأنه عبد لربه ، ليس عبدا لصلاته وعاداته ، فلا يصليها الا بالمزدلفة جمعا مع العشاء ، وتطيب له الاقامة فى المزدلفة ، فيريد أن يطيلها ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى منى .

وهكذا كانت حياة ابراهيم وحياة الأنبياء ، وحياة العشاق المؤمنين والمحبين والمتيمين ، نزول وارتحال ومكث وانتقال ، وعقد وحل ، ونقض وابرام ، ووصل وهجر ، ولا خضوع لعادة ، ولا اجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى .

وكان ينبغى أن يكون ذلك فى مكان ، قد قام فيه أكبر المحبين وامام المخلصين ، وأشد الناس حبا لله ، وأحبهم الى الله فى عصره ، وأسرته الصغيرة ، الطيبة المباركة ، بأكبر دور فى الحب والولاء ، والاخلاص والوفاء ، والايثار والفداء ، وقاموا بأروع رواية وأجملها ، فى تاريخ الحب السامى والولاء الطاهر ، والاخلاص المعجز ، وجاء من بعدهم الانبياء والمرسلون ، والموحدون المخلصون ، والمحبون فى كل عصر ، فنسكوا مناسكهم وشهدوا مشاهدهم ، واحتذوا حذوهم ، وترسموا خطاهم ، وحكوا هذه الرواية وأعادوها ، فطافوا حول البيت ، وسعوا بين الصفا والمروة ، ووقفوا بعرفات ، وباتوا فى المزدلفة ورموا الجمرات ونسكوا فى منى .

وكان فى المكان والزمان ، وفصول الرواية التى يعيدونها ، والأعمال التى يقلدونها ، ونسائم الحب التى ينشقونها ، والجو الفائض بالايمان والحنان الذى يعيشون فيه ، وطبقات الأمة ، التى يتصلون بها ويعاشرونها وفى هذا الالتقاء الدينى الروحى ، الذى لا نظير له على وجه الارض ، وفى هذا الضجيج من الدعاء ، والذكر والتلبية والاستغفار ، ما يعيد الحياة الى القلوب الميتة ، ويحرك الهمم الفاترة ، وينبه النفوس الخامدة ، ويشعل شرارة الحب والطموح التى انطفأت ، أو كادت تنطفىء ، ويجلب رحمة الله .

الحج

إن ايقاظ الجماعة من رقدتها وسباتها ، وهز اركان البنى الاجتماعية الواهية أو تغييرها ، ودحر فساد الحكم وعجزه عن طريق « الثورات » العالمية قد يرافقه أحيانا هدم وتخريب ، ومن أجل إنجاح الثورة يفرض رجـالها سلطانهم ، ويعملون على تحقيق أهـدافهم بالعنف والبطش والجاسوسية الرهيبة ، مما يؤدى الى تمزيق أوصال المجتمع ، وخلق نوع من الكراهية الجـديدة والحقد الدفين بين فئات الناس .

أما طريق الاسـلام اذا وجد حماته الى تحقيق أهـداف الثورة الاصلاحية الدائمة ، فهو فى تمثل معانيه الصـافية ، ووعى مقاصده الاصيلة ، والتزام تطبيق تعاليمه وواجباته الرشيدة .

وفهم مقاصد الحج على نحو سليم يوحى لنا بكثير من العبـر الخلاقة والقيم المبدعة فى تجديد بنية الجماعة وتخريج الاجيال المتطلعة الى مستقبل مشرق ونمط فى الحياة أصلح وأفضل .

ومن أهم قوى الدفع نحو حياة جديدة للجماعة هو التخلص مـن اوزار الماضى ، ونبذ كل عوامل التخلف والتجزئـة او التمزق والانقسام ، وطريق ذلك فى الاسلام هو الحج .

فالحج ذلك المؤتمر الاسلامى الاكبر الذى يتجدد فى كل عام فـى اقدس بقاع الله فى الارض طريق واضحة للوحدة والجامعة الاسلامية اذا شاء الحكام وساعدوا عليه واستغلوا امكانياته وطاقاتـه الخيرة الكبرى ، اذ هو العبادة الجماعية الحسية المتميزة فى الاسلام بهـذا

طريق الوحدة

للدكتور وهبة الزحيلي

الوصف ، فمناسكه وشعائره كلها مفروضة الاداء بصفة جماعية فى حد ذاتها ، أو لان وقتها محدود فى أيام معلومة معينة ، وهى قائمة أساسا على التجمع والتكتل والتعارف والتآلف ، وكل جماعة تؤم البيت الحرام وتفيد من منجزات الحج تكون خير رسل لاقوامها تبلغهم ما يجب عليهم ، وتبعثهم على انجاز ما يلزم ، ومع الزمن يتصل حبل الجماعة وتتضافر جهودها فى بناء الوحدة والاجيال القادمة بتكرار مناسبات الحج كل عام ، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام ، فلم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » .

وواضح أننا لا نجد لغير الحج من فرائض وعبادات الاسلام الاخرى هذه الصفة الجماعية الذاتية ، لان تلك العبادات يمكن القيام بها بصفة منفردة ، وهى اما ذات نفع شخصى محض ، أو ذات هدف اجتماعى محصور فى نطاق معين . فأداء الصلاة جماعة ودفع الزكاة مثلا يقتصر أثرها على بقعة ضيقة بدليل جعل الجماعة فى الصلاة فرضا كفائيا فى كل بلدة ، وأن الزكاة لا يجوز نقلها الى بلد آخر ، وهذا لا عيب فيه ، بل هو

فضيلة لما فيه من تمتين بناء الجبهة الداخلية ، وتكافل كل جماعة قليلة فيما بينها ، باعتبار أنها أعرف بمناطق عيشها ، وأهل موطنها ، مما يدعو الى اتحاد الجماعات الصغرى ، واجتماع كلمتها ، ووقوفها صفا واحدا إزاء مصالحها المشتركة ، وتوثيق عرى التآلف وتبادل المحبة والاخاء بين أفرادها ، كما يحصل ذلك أيضا فى أداء صلاة الجمعة والعيدين .

وقد أبان العلامة الدهلوى فى « حجة الله البالغة » حقيقة الحج وأثره التجديدى فى المجتمع فقال : « اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين فى زمان يذكر حال المنعم عليهم من الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ومكان فيه آيات بينات قد قصده جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين وراجين من الله الخير وتكفير الخطايا ، فان الهمم اذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ... » الحديث ثم قال : « وكما أن الدولة تحتاج الى عرضة — أى اختيار — بعد كل مدة ليتميز الناصح من الغاش ، والمنقاد من المتمرد . وليرتفع الصيت وتعلو الكلمة ، ويتعارف أهلها فيما بينهم ، كذلك الملة تحتاج الى حج ليتميز الموفق من المنافق ، وليظهر دخول الناس فى دين الله أفواجا ، وليرى بعضهم بعضا ، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده ، إذ الرغائب انما تكتسب بالمصاحبة والترائى .. »

والمكاسب الجماعية التى تتحقق بالحج متعددة متنوعة منها سياسى ومنها اقتصادى ، فبالتجمع المنظم وبتمثل وادراك غايات الحج يلتقى المسلمون على منهج واحد ، وخطة عمل موحدة ، ويقيمون دولة واحدة . وبالتعارف والتآلف تتعرف الشعوب حاجات بعضها وموارد وانتاج بلدانها ، بالاضافة الى ما تقوم به السفارات والقنصليات الحديثة والوفود الاقتصادية من دور وخدمة رسمية فى هذا الشأن . وبالاجتماع فى صعيد الحج يستنصر الضعيف بالقوى ، ويستعين صاحب الخطر الداهم بالبعيد عنه لدفع الاخطار وصد العدوان والضغط على الحكام المحليين اذا تراخوا أو قصروا فى القيام بواجبهم العام نحو اخوانهم المهدد وجودهم أو مصالحهم . وبذلك تتضح صور المواقف جلية وتنجلى الرؤى التى قد تشوهها أو تزيفها أو تسكت عنها وسائل الاعلام الحديثة .

وبهذا يتوصل المسلمون الى الظفر بمقاصد الحج الحقيقية ، اذ أن العبادة فى الاسلام ليست مقصودة لذاتها ، وانما لما يترتب عليها من ثمار ومنافع اجتماعية باعتبارها وسيلة اصلاحية تربوية ناجعة لمن يدرك معناها ويحظى بمغزاها الاصيل . ومن هنا لا نريد أن يتقوقع الاسلام فى زاوية ومفهوم العبادة المحضة ، وترك جوانبها النافعة بين أبناء المجتمع ، فالهدف الاول بجعل الاسلام رهين المسجد أو المنزل أو القلب هو غرض العدو ، والهدف الثانى بمد أثر العبادة الى المجتمع هو لب الاسلام وسمته وقصده الصحيح . ومن المؤسف أن الاعداء

استطاعوا غزو المجتمع الاسلامى وروجوا لهدفهم الاول ، وشلوا أو عطلوا فاعلية الحج وغيره فى اصلاح الاخلاق والمعاملات وتأييد التجمع الاسلامى .

وتتجلى أهداف الحج الجماعية من وجوه مختلفة فى التشريع الاسلامى ، وأخصها بناء الوحدة الاسلامية :

ففى أصل ايجاب الحج خاطب الحق تبارك وتعالى المكلفين بعبارة « الناس » التى هى أعم من عبارة « يأيها الذين آمنوا » التى يغلب استعمالها فى المطالبة بأداء العبادات ، فقال سبحانه « ولله على الناس حج البيت » « وأذن فى الناس بالحج » وكان نداء ابراهيم عليه السلام تنفيذا لهذا الامر الالهى « يأيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا ، فحجوه ، فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الارض ، وأسمع من فى الارحام والاصلاب ، وأجابه كل شىء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج الى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك » مما يدل على معانى الشمول والاحاطة فى أصل مفهوم الحج . وما أجمل تعبير النبى صلى الله عليه وسلم بوصف الحجاج أنهم وفد الله حيث قال : « الحجاج والعمّار وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم » والوفد فى اللغة : الجماعة المختارة لشأن هام ، وليس هناك أهم شأنا من العمل على توحيد الصف الاسلامى . وفى سبيل ذلك وردت أحاديث نبوية كثيرة ترغب فى الحج وتبين فضله ، وأنه يلى مرتبة الايمان بالله ، والجهاد فى سبيل الله : « من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » « أى الاعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة برة تفضل سائر الاعمال كما بين مطلع الشمس الى مغربها » .

وقد ذكرت أحكام الحج فى سورة البقرة بعد أحكام القتال فى سبيل الله باعتبار أن الجهاد طريق تكوين الجماعة وبناء كيانها وحفظ وجودها . وأما الحج فهو سبيل توحيد الامة ولمّ أشتاتها وجمع كلمتها واتجاهها نحو غاية واحدة . وبعدئذ أعقب الله تعالى ذكر النفاق وعلامات المنافقين تحذيرا من خطر التجزؤ والتفرقة والدسائس ، إذ ليس هناك كالنفاق أعظم تهديما منه لصرح بنيان الجماعة وتقويض شوكتها ، وبعثرة جهودها وعرقلة سيرها نحو سمو الهدف المنشود ، والحج طريق نبذ المنافقين والمثبطين المعوقين لاقامة الوحدة بين المسلمين .

واذا خالج الشك بعض الناس بقيمة الوحدة ، وانتابتهم مخاوف الحفاظ على مصالحهم الشخصية ، فان الاسلام يطمئن تلك القلوب المترددة بأن مبدأ الاسلام وشعاره هو المساواة بين جميع الناس ، والحج يترجم ذلك المبدأ الى واقع عملى ، حيث يتمثل الحاج أنه بزيارته لبيت الله تعالى مقبل على الله سبحانه قاصد له ، فيتجرد عن عاداته وينسلخ من مفاخره ومميزاته على غيره ، ويخلع كل مظاهر الدنيا ومفاتنها ،

فيتساوى الغنى مع الفقير ، ويتماثل الدنى مع الامير ، الكل عبيد لله ، وإخوة متحابون فى سبيل الله . وكان ذلك المعنى هو أبرز ما فى خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حجة الـوداع فى الثانى مـن أيام التشريق : « يأيها الناس . إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . ألا لا فضل لعربى على عجمى . ولا لعجمى على عربى ، ولا لاحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر إلا بالتقوى » .

وبما أن تنظيم الجماعة سياسيا واقتصاديا ودفاعيا وبناء الوحدة الاسلامية لا بد له من جو يسوده الاستقرار والطمأنينة ، كان مكان الحج وزمانه الحرمة والجلال . وكان موسم الحج عيدا أكبر للمسلمين . ففى جعل الحرم آمنا وقصر دخوله على المسلمين ، وفى إيقاع الحج فى الاشهر الحرم إعلان لمبدأ الحرية والسلام ، وإكبار لشأنهما وتمكين من ممارستهما دون تخوف من سلطان جائر أو حاكم ظالم أو مفسد عات .

وفى أجواء الحرية والسلام والمساواة بحق تنبت الافكار الصالحة وتتهيأ الخطط الملائمـة وتتضح معـالم الشخصية الاسلامية الذاتية التى تريد الاستقلال والوحدة والتقدم وإقامة العدالة الشاملة فى شؤون الحياة . وأخصها الاستفادة من منتجات البلاد وعطاء الله الخير : « خلق لكم ما فى الارض جميعا » أى أن جميـع ما فى الكون مخصص للناس على جهـة الانتفاع المشاع ، دون استئثار ولا احتكار ولا استغلال .

وحيثما تقلب الحاج لأداء مناسك الحج يجـد لفتة قرآنية الـى ضرورة التآخى والتعاون وتغيير مفاسد المجتمع وتجديد شباب الحياة وقلب الاوضاع الاجتماعية بأعدل الوسائل وأكرم الغايات ، ففى قولـه تعالـى بعد ذكر بعض أحكام الحج : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » فى ذلك حث على فعل الخير والتزود من التقوى ، والخير اسم جامع لكل الفضائل الاجتماعية ، والتقوى التى هى التزام الاوامر والنواهى الالهية عنوان بارز على التقيد بآداب المجتمع كما حددها الله ، ومن أولى الاوامر وأهمها المطالبة بوحدة الجماعة الاسلامية ودعمها : « واعتصموا بحبل اللـه جميعا ولا تفرقوا » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وفى قوله سبحانه : « فاذا قضيتم مناسككم ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » دلالة على أهمية النتائج المستفادة من الحج ، وإدامة تذكر المطالب والمقاصد الربانية والتزام الاوامر العامة إثر التفرق فى أرض الله ، ومن أوجبها قوة الاحساس بمشاعر الاخوة ، وعواطف الايمان ، وتقوية الوحدة . وإحكام روابطها الاساسية : « إنما المؤمنون إخوة » . ومن المعروف أن سبب نزول آية الامر بذكر الله يوحى بضرورة التجمع على أساس الصالح العام ، فقد كان أهل الجاهلية يقفون فى مجامعهم فى الموسم ، فيفاخرون فيها بآبائهم ، ويذكرون أنسابهم وفعال آبائهم ونحو ذلك مما لا نفع فيه .

وليس فى الدعوة الى الاتحـاد بين المسلمين هـدف سوى قوة الجماعة ورهبة جانبها وتحقيق الخير والنفع الكبير لهم فى الدنيا والآخرة ، وهذا هو شعار الحجاج المؤمنين البررة : « ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » .

يتبدى لنا من كل هـذه الاشارات النصية أن العبادة ولا سيما الحج لا تقصد لذاتها كما أشرنا ، وإنما لما تتمخض عنه أو تهدف إليه من إصلاح عام ، أو خير جماعى شامل . وأما الاحاديث المرغبة فى الحج فهى لبعث الهمم وشحذ العزائم باعتبار أن الانسان لا يقدم على فعل شىء غالبا إلا اذا كان منساقا بغايات نفعية خاصة ، وهـذا لا ننكره عملا بمقتضى الاحاديث المقررة للثواب العظيم لمن بر فى حجه .

ولكن لا يصح الاكتفاء بالثمـار الخاصة للحج ، وإنما لا بد من تمثل الاهداف البعيدة التى يرمى اليها المشرع من وراء أداء شعائر الحج وتعظيم حرماته وإطعام المحتاجين والانفاق فى سبيل الله . وهذا ما يميز الغرض من فريضة الحج فى الاسلام عن غيره من الديانات كاليهودية والمسيحية والبوذيـة مثلا التى تقصر معنى الحج على التقديس والتبريك والتطهر من الذنوب والخطايا ، أى أنه مجرد عبادة شخصية ، ولـذا فلم تثر اهتمام الاوساط الغربية عن اتباع تلك الديانات ، أما فى الاسلام فقد اهتم المستعمرون الغربيون بشأن الحج ، وحاولوا كما أبنت فى فاتحة مقالى عزل الحجاج عن الاهتمام بالمصالح العامة ، وقصر نشاطهم على العبادة المحضة والتزود منها للآخرة ، وترك قضايا الدنيا لاهلها وللحكام فيها ، وفى ذلك البلاء المبين ؟!

ولعل ذلك هو السبب ـ بالاضافة الى جهل الحجاج وعدم ادراكهم مغزى الحج ـ فى أن الحاج الواعى يؤوب الى بلده يائسا أو آسفا على عـدم الافادة من طاقات هذه الجموع المؤمنة الغفيرة فى مضمار الحياة العامـة وقضايا الاسلام الكبرى ومصير المسلمين . وقد بدت بوارق أمل باسمة وصيحات اسلامية واعية بضرورة الاستفادة من موسم الحج وعقد مؤتمرات اسلامية متكررة ، لكننا مع الاسف لم نجد للآن صدى وتجاوبا صادقا فى تنفيذ مقررات تلك المؤتمرات ، مما يؤكد ما ندعو إليه من أن الحكام هم المسؤولون عن توحيد روابط المسلمين فى العصر الحاضر .

اليمينيون واليساريون

- ١ -

اليمين واليسار فى اللغة أمرهما ذائع معروف ، وقد أصبحت الكلمتان تطلقان على المعتدل والمتطرف ، وعلى السهل والصعب ، وعلى المعقول وغير المعقول من العقائد والمذاهب والآراء .

والفضل فى استعمال هاتين الكلمتين بهذه المعانى ، وفى ذيوعهما يرجع للقرآن الكريم وحده ، فهو الذى كان له السبق الاول فى ذلك كله ، وعن القرآن الكريم أخذ القدماء والمحدثون يستعملونهما ويرددونهما كثيرا فى أحاديثهم ومحاور كلامهم ..

وليس هناك اليوم كلمات ذائعة مشهورة ، تتردد على الألسنة كهاتين الكلمتين ..

وفضل القرآن الكريم ، على اللغة ، وعلى التجديد والتطور اللغوى ، فى القديم والحديث ، لا يحتاج الى بيان ، فألفاظه وأساليبه هى التى أمدت أدبنا بكثير من كنوز اللغة وطرائفها وأماثيلها ، وصقله للالفاظ ، وتهذيبه للأساليب وتخليده لصور البيان الرائعة والأساليب البديعة ، والبلاغة النادرة ، مما لا يحتاج الى بيان ، ولسنا فى حاجة للدلالة عليه الى برهان ..

- ٢ -

ولأول مرة فى اللغة العربية يرد استعمال اليمين واليسار بالمعانى السابقة فى كتاب الله الحكيم ، فليست هناك نصوص أدبية أقدم من القرآن الكريم ، يتردد فيها ذكر هاتين الكلمتين للدلالة على المعتدل والمتطرف من العقائد والمذاهب والافكار ، أو على الجزاء الالهى العادل فى الآخرة لأهل اليمين وأهل اليسار .

في القرآن الكريم

محمد مؤذن

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم يستعمل اليمين فى كل قصد واضح وجليل ونبيل وانسانى من العقائد ، وليس هناك لفظ أخف استعمالا، ولا أدق معنى ، ولا أبلغ دلالة من هاته الكلمة فيما استعملت فيه من مقاصد واليمين ترمز الى اليمن ، والحظ الطيب ، والتفاؤل الكريم ، والطريق اللاحب والى سلوك السبيل السوى ، والى مرضاة الله وثوابه لسالكيها .

وقد استعمل الشمال فى الدلالة على عكس ذلك كله ، وفى لفظة الشمال رمز الى تنكب الفطرة ، والى البعد عن المحجة الواضحة ، والى ما فى سلوك مثل ذلك من غاية أليمة ، وفى الشمال ما فى الشؤم من تطير ، وهى توحى بأن طريق الشمال من وسوسة الشيطان ، كما أن طريق اليمين من هداية الله ، ولذلك استعمل القرآن الكريم كلمة الشمال لتدل على أعمق معانى كلمة اليسار ، والتى نستعملها نحن اليوم مخطئين متنكبين عن الاستعمال الدقيق ، كما تنكبنا طريقنا فى فهم معنى اليمين واليسار ، فعكسنا معنى الكلمتين فى استعمالاتنا عكسا بينا ، حتى أصبحنا ندل بكلمة اليمين على الجمود والتأخر والرجعية ، وبكلمة اليسار على التحرر ونبذ القديم والدين والعقيدة ، نظن أن ذلك هو سبيل التقدم والنهوض وحاشا لله أن يكون فى اطراح العقيدة ونبذ الدين تقدم أو نهوض أو تحرر .

ومن ثم كان استعمال القرآن الكريم لكلمة (الشمال) ، وإيثاره لها على كلمة (اليسار) ، أعمق فهما ، وأدق مسلكا ، وأدل على المقصود منها .

— ٣ —

وفى القرآن الكريم من سورة الحاقة يقول الله تعالى : « **فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه . انى ظننت انى ملاق حسابيه . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا وأشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية . وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول : يا ليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم ألجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون** » (الحاقة — الآيات ١٩ — ٣٧) .

والصورتان هنا متقابلتان ، وعلى غاية ما تكون البلاغة والروعة والبيان والسحر والاعجاز ، وفيهما من تطويع الأسلوب وموسيقاه وجماله ما لا نجد له نظيرا ولا شبيها من كلام أبلغ البلغاء أو أعظم الشعراء .

والبلاغة القرآنية هنا تسير فى طريقها الجليل النبيل ، من خدمة الانسانية ، وهداية البشرية الى الحق والى الله والى مثل الحياة وقيمها الرفيعة ، واللفظ هنا بقدر المعنى ، والأسلوب والبيان يسيران مع العقل والمنطق والحكمة . . ولا يمكن لواصف أن يصف شتى عناصر البلاغة والنظم فى هذا النص القرآنى العظيم ، لأن القرآن استعصت بلاغته على فهم البلغاء ، وعلى فلسفة النقاد ، فلم يعودوا يعرفون من أمر هذه البلاغة شيئا الا انها من كلام الخالق العظيم والاله القادر الحكيم .

— ٤ —

وفى سورة الواقعة يذكر الله عز وجل أهل الميمنة ، وأهل المشأمة ، وطبقة ثالثة هى طبقة السابقين المقربين ، ويبدأ بذكر الطبقتين الأوليين لوضوحهما وكثرتهما ، وأنهما الغالبية العظمى من بنى البشر ، ويؤخر الكلام على الطبقة الثالثة ، لقلتها وندرتها ودقة أمرها .

والسورة كلها فى الحديث عن هذه الطبقات الثلاث ، من بدئها لختامها . . ولننظر فى آياتها الكريمة ، نقف عندها ، نتأمل جلالها وروعتها ، وسحرها وحكمتها ، لنتفهم دلالتها فى حياة الانسانية كلها ، فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

يبدأ الله عز وجل سورة الواقعة بذكر وقوع الواقعة ، أى قيام القيامة وأثرها العظيم على الانسان والكون . . « إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة » . .

نعم إنها حق وصدق .

« خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . »

ثم يذكر الله عز وجل أقسام البشر يومئذ ، يحسب أعمالهم ومنازلهم من الله عز وجل ..

« وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون » .

ثم يذكر نصيب السابقين فى الآخرة من رضاء الله ونعيمه ، وحظهم فيها من الخير والجزاء الجميل .. وبدأ بهذا القسم الثالث تنويهـا وتعظيما وتشريفا وتبجيلا لمقامهم عند الله .

« أولئك المقربون . فى جنات النعيم . ثلة من الأولين (١) . وقليل من الآخرين (٢) . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون . لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قيلا سلاما سلاما » .

وهكذا تمضى هذه السورة الرفيعة ، جليلة كريمة ، ساحرة باهرة ، تتحدث عن السابقين ومنزلتهم فى الآخرة عند اللـه عز وجل .. وليس غرضنا هنا أن نفسر السورة ، ولكننا نقصد الى بيان مضمونهـا وحده ، وصلة هذا المضمون بماضى وحاضر ومستقبل الانسانية ، ومن ثم فلم نعرض لتفسير الآيات ، ولا لتوضيح الصور ، ولا لبيان بلاغة الاساليب ، فهى ماثلة أمـام كل ذى ذوق ، واضحة عند كل ذى طبع وموهبة من البيان .

ثم يذكر الله عز وجل أهل اليمين ، وما أعده الله لهم فى الآخرة من نعيم ..

« وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهن انشاء . فجعلناهن أبكـارا . عربا أترابا . لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين (٣) . وثلة من الآخرين » (٤)

وتنتقل السورة الكريمة المكية ، وهى سورة الواقعة ، الى ذكر أصحاب الشمال ، وما أعد لهم فى الآخرة ، من وبال ، وما يلقونه فيها من نكال ..

« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون : أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ؟ أو آباؤنا الأولون . ؟ قل إن الاولين والآخرين . لمجموعون الى ميقات يوم معلوم » ..

وتستمر السورة فى خطاب هؤلاء الشماليين ، وبيان جزائهم فى الآخرة ، وفى الحجاج معهم رغبة إقناعهم بالبعث وصدق الأمر فيه وإمكان حدوثه عند العقل ، لان قدرة الله لا يستعصى عليها شىء . ولا يعجزها أمر فى الارض ولا فى السماء .

ثم تتحدث السورة الى الرسول الكريم عن القرآن العظيم ، وأنه تنزيل من رب العالمين .. وتعود الى جدال هؤلاء المشركين المكذبين الضالين والى مصيرهم عند الموت .. (٥٠ — ٨٧ من السورة) .

وتلخص السورة ما تتلقى الملائكة به عند الموت كلا من هؤلاء الطبقات الثلاث :

« فأما ان كان من المقربين . فروح وريحان . وجنة نعيم . وأما ان كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما أن كان من المكذبين الضالين . (٦) فنزل من حميم . وتصلية جحيم . ان هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم (٧) » . .

وهكذا مضت هذه السورة سورة الواقعة ، فى ذكـــر اليمينيين واليساريين ،وفى ذكـــر طبقة رفيعة من خيار الانسانية وأصفيائها ، وهى طبقة السابقين المقربين .

على ما رأينا من الجلال والحكمة والروعة والبلاغة والبيان والسحر ، سارت الى هدفها المقصود من تبصير الانسانية وهدايتها واضاءة الطريق أمامها ، ورسم النهايات المحتومة للبشر واضحة أمام عقلها ومخيلتهـــا وعينيها ، ليهتدى من اهتدى عن بينة ، وليضل من ضل عن بينة .

— ٥ —

وجملة ذلك كله أن الله عز وجل تحدث فى كتابه الحكيم عن اليمينيين واليساريين ، ووصف كلا بأوصافه ، وأبـــان ما ينال كل منهما من جزاء فى الآخرة عند الله . .

فاذا كان الأمر عند المسلمين المعاصرين قد انقلب الى النقيض ، فصار اليمينيون عندهم كأنهم المنبوذون أصحاب الشمال ، وصار اليساريون عندهم هم المختارون وكأنهم أصحاب اليمين ، فان ذلك من وسوســـة الشيطان ، ومن انقلاب الميزان ، ومن فساد المنطق بتأثير ســـموم الصهيونية ، التى تنفث فى عقول ضعفاء الدين شرورها ، لتضلهم عـــن الطريق ، وتبعدهم عن الهدف ، وتقصيهم عن رضاء الله ، وعن سبيل العزة والقوة والكرامة ، ولتنقلهم من حالة الذاتية والشخصية الواضحـــة الى حالة أخرى من التبعية الذليلة والتقليد الأعمى لكل ضال وضار من المذاهب والعقائد والآراء . وفى ذلك للمسلمين المعاصرين الهوان والذل والشقاء الأبدى المقيم .

اللهم اجعلنا من أهل اليمين ، وابعدنا عن ضلالات أهل الشمال ، وأنزل علينا من رحمتك ، ما يهدينا الى سواء السبيل .

---

(١) أى هم عدد ضئيل من الامم السابقـــة .

(٢) وعدد قليل من اتباع رسالة محمد آخر الرسالات .

(٣) أى هم عدد قليل من الديانات السابقة .

(٤) وعدد قليل من أتباع رسالة الاسلام آخر الرسالات .

(٥) أى أو يبعث كذلك مع ا آباؤنا الاولون ؟ ممن مضت عليهم آلاف السنين وهم فى أجداثهم راقدون .

(٦) وهم أهل المشأمـــة .

(٧) الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . .

الإمام ابو حنيفة..



للدكتور محمد محمد أبو شهبة

فى مقال سابق تحدثت عن بعض جوانب حياة إمام الفقهاء ، وهو الامــام أبو حنيفــة النعمان ، أحد الائمة المتبوعين والمشهورين ، وقد ركزت عنايتى فى ذاك المقال على نفى تهمة الصقت بالامــام زورا من قديم الزمــان ، وهى قلــة بضاعته فى الحديث ، واليوم أعرض لجوانب أخرى من حياة هذا الامام الكبير ، ولا سيما اجتهاده الفقهى ، ومنحاه فى هــذا الاجتهاد ، فأقول وبالله التوفيق .

تحول فى حياة الامــام

لم يشتغل الامــام فى صغره ومبدأ حياته بطلب العــلم ، والاختلاف الى مجالس العلماء ، وانما كان يختلف الى الاسواق ، فقد كان يحترف التجــارة فى البز (١) ، وفى غدوة من غدواتــه الى السوق ، مر على الامــام الشعبى وهو جالس . فدعاه ، فقال له : الى من تختلف ؟ فقال أبو حنيفة : أختلف الى فلان — — يريد رجلا معروفا بالتجارة — فقال الشعبى : لم أعن السوق ، عنيت الاختلاف الى العلماء ، فقال له أبو حنيفة : أنا قليل الاختلاف اليهم ، فقال له الشعبى : لا

تفعل ، وعليك النظر فى العلم ، ومجالسة العلماء ، فانى أرى فيك يقظة وفطنة . فقال أبو حنيفة : فوقع فى قلبى من قوله ، فتركت الاختلاف الى السوق ، وأخذت فى العلم فنفعنى الله به .

اشتغاله فى أول طلبه بالجـــدل والكلام

وقد رأى أبو حنيفـــة فى أول طلبه للعلم الاسلام يتعرض للطعن من بعض الطوائف كالزنادقة وأضرابهم ممن دخلوا فى الاسلام وهم يضمرون الكيد والعداء كمـــا رأى ظهور كثير من الطوائـــف المبتدعة الذين ابتـــدعوا فى الاســـــلام ما ليس منه كالروافض ، والخوارج ، والمرجئة ، والقدرية الذين يزعمون أن لا قدر ، وأن الامر أنف (٢) ، فاشتغل فى أول أمره بعلم الجدل ،و الكلام ، والرد على الروافض والخوارج والزنادقة وأضرابهم ، وقد أكسبه هذا اللون من المعرفة قوة فى الحجاج والجدل واقحام الخصوم ، والمرونة العقلية الفائقة ، والقدرة على حل المشكلات والمعضلات ، وسرعة البديهة فى المجادلة ، والمناظـــرة مما سنعرض لشىء منه فيما بعد .

ثم خطر له خاطر فقال : ان المتقدمين من أصحاب رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ، والتابعين من بعدهم ، لم يكن فيهم شىء مما نذكره نحن ، وكانوا عليه أقدر ، وبه أعرف ، وأعلم منا بحقائق الامور ، ولم يـــروا منازعين ، ولا مجادلين ، ورأيت خوضهم فى الشرائع ، وأبواب الفقه ، فبدا له فى ــ الامـــر بـــداء (٣) ــ .

اشتغاله بالفقـــــه

وبينما هو على هذا الحال ، وكان يجلس بالقرب من حلقة الامام حماد بن أبى سليمان الذى صار فيما بعد أجل أساتذة أبى حنيفة ، وأعظمهم تكوينا له ، وتأثيرا فيه ــ اذ جاءته امرأة فقالت له : رجل له امرأة أراد أن يطلقها للسنة ، كيف يصنع ؟ قال أبو حنيفة : « فلم أدر ما أقول ، وسقط فى يدى فأمرتها أن تسأل حمادا ، ثم ترجع الى فتخبرنى ، فذهبت فسألت حمادا ، فأجابها ثم رجعت فأخبرتنى وكان لهـــذه الحادثة تأثيرها فى نفسه فقال : لا حاجة لى فى الكلام فأخذت نعلى وصرت أجلس الى حماد أسمع مسائله وأحكظ قوله حتى قال : « لا يجلس أحد فى صـــدر الحلقة بحذائى غير أبى حنيفة فصحبته عشر سنين » فقال أبو حنيفة فنازعتنى نفسى الطلب للرياسة يعنى أن يتصدى للتدريس ، فأحببت أن أعتزله وأجلس فى حلقة نفسى ، فخرجت ليلة ، وعزمى أن أفعـــل ، فلما دخل المسجد ورأيته لم تطب نفسى أن أعتزله ، فجلست معه ، ولأمر ما ، تخلف حمـــاد عن الدرس ، فأمر أبا حنيفة أن يجلس مكانه ، فوردت عليه مسائل ، فكان يجيب عنها ويكتب الجواب ، وبعد شهرين قدم أستاذه حماد ، فعرض عليه أبو حنيفة المسائل التى أفتى فيها فوافقه فى أربعين مسألة وخالفه فى عشرين فآلى الامام أبو حنيفة على نفسه ألا يفارق شيخه حمادا أبدا حتى يموت ، فلم يفارقه حتى مات بعد ما أخذ عليه كل ما كان عنده من علم ، وكان كثيرا ما يناقش شيخه حمادا ويسأله ، ويناظره حتى كان ربما يتبرم منه لذلك روى عن الامام أنه قال : « لزمت

حمادا لزوما ما أعلم أحدا لزم أحدا مثل ما لزمته ، وكنت أكثر السؤال فربما يتبرم منى ، ويقول : « يا أبا حنيفة قد انتفخ جنبى ، وضاق صدرى » .

ولعلك أيها القارىء الكريم على ذكر من الكلمة الصادقة المعبرة عن غاية الاستقصاء التى قالها له شيخه حماد : « لقد أنزفتنى » .

تأهل أبى حنيفة للاستاذية

ولما مات شيخ الامام حماد فكر طلاب العلم والمعرفة فيمن يقوم مقامه فأجلسوا كثيرين من أهل العلم فلم يجدوا عندهم كبير غناء (٤) ، ثم أجلسوا الامام أبا حنيفة ، فوجدوا عنده من العلم والفقه ما لم يجدوه عند غيره ، ووجدوا عنده فى سائر المعارف ، والثقافات السائدة آنئذ نفاذا ، وسعة أفق وعلما غزيرا فلزموه وتركوا غيره ، وعظم شأنه حتى صارت حلقته أعظم حلقة فى المسجد ، فتخرج به أقوام صاروا أئمة فى العلم من أشهرهم الفقهاء : أبو يوسف ، ومحمد ابن الحسن الشيبانى ، وظفر بن الهذيل العنبرى ، وواعظ زمانه الحسن البصرى، وإمام أهل المغازى محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة المشهورة ، ومتصوف زمانه ابراهيم بن أدهم وغيرهم .

وكذلك كان مرجع الناس فى الفتوى وحل المشكلات المستعصية والمسائل العلمية العويصة ، بل كانوا يرجعون اليه فيما يعتريهم فى حياتهم الدنيوية ، فيجدون عنده المعونة الصادقة والحل الموفق لا يدخل بلدا الا اجتنع عليه الناس ، فيجدون عنده المعونة الصادقة والحل الموفق لا يدخل بلدا الا اجتمع عليه الناس ، وسألوه ، قال الامام الليث بن سعد محدث مصر ، وعالمها وفقيهها : كنت أتمنى رؤية أبى حنيفة حتى رأيت الناس متقصفين (٥) على شيخ فقال له رجل يا أبا حنيفة وسأله عن مسألة ، فوالله ما أعجبنى صوابه ، كما أعجبنى سرعة جوابه .

منحاه فى الاجتهاد

الامام أبو حنيفة كغيره من الكثيرين من أئمة الفقه والاجتهاد يأخذ بالاصول الاربعة ، التى تستنبط منها الاحكام ، ويعرف الحلال والحرام : ١ — الكتاب ٢ — والسنة ٣ — والاجتماع ٤ — والقياس والثلاثة الأولى قدر متفق عليه بين جميع الفقهاء ، وأما القياس فهو محط خلاف الفقهاء فى الاخذ به أو عدم الاخذ به ، والآخذون به يختلفون فى الاخذ به قلة وكثرة ، فمنهم المكثر ومنهم المقل لاصول أصلوها وقواعد وضعوها .

وقد كان الامام أبو حنيفة — رضى الله تعالى عنه عالما بالاصلين الشريفين ، اللذين اليهما عند التحقق مرجع جميع الاحكام ، وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة ، علما أهله لان يكون إماما كبيرا بين أئمة الاجتهاد فى الاسلام ، أما علمه بالقرآن الكريم ، وأسباب نزوله ، وأول ما نزل ، وآخر ما نزل ، وتدرجه فى التشريع ، ومكيه ومدنيه ، وعامه ، وخاصه ، ومطلقه ، ومقيده ، ومحكمه ، ومتشابهه ، وناسخه ، ومنسوخه فهذا ما أقر به الموافق والمخالف ، وأما علمه بالمصدر الثانى من مصادر التشريع فى الاسلام . . . . فقد بينت فى المقال السابق

بما لا يدع مجالا للشك علم الامام أبى حنيفة بالسنن والاحاديث ، ونفيت عنه تهمة قلة بضاعته فى الحديث ، وندرة ما صح عنه من أحاديث .

وقد بين لنا الامام أبو حنيفة منهجه فى الاجتهاد ، فقد روى عنه أنه قال : « آخذ بكتاب الله ، فان لم أجد فى كتاب الله فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم أجد فى سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع من شئت ، ولا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم فاما اذا انتهى الامر الى ابراهيم يعنى النخعى — والشعبى وابن سيرين والحسن يعنى — البصرى — وعطاء — أى التابعين — فقوم اجتهدوا ، فاجتهد كما اجتهدوا » وروى عنه أيضا أنه قال « اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « فعلى الرأس والعين » واذا جاء عن الصحابـــة اخترنا ولم نخرج عن رأيهم ، واذا جـــاء عن التابعين زاحمناهم » (٦) وقد قدمت فى المقال السابق أن الامام أبا حنيفة يعتبر من التابعين لانه لقى بعض الصحابة بل قيل إنه روى عن بعضهم فهو حينما يزاحمهم ويجتهد مثلهم فلأنه من طبقتهم ، وهو منهج لا غبار عليه .

ولكن بعض الحاسدين له ، والحاقدين عليه رموه بأنه لا يأخذ بالاحاديث والآثار ويغلب الرأى والقياس عليها . وها هو الامام يدافع عن نفسه فيقول : « عجبا للناس يقولون أفتى بالرأى وما أفتى الا بالاثر » .

وقال لما سئل عن الكلام فى الاعراض ، والاجسام : هذه مقالات الفلاسفة عليك بالاثر وطريقة السلف واياك وكل محدثة فان كل محدثة بدعة (٧) ، فهل بعد هذه المقالات الواضحة البينة يدعى مـــدع أن الامـــام كان لا يأخـــذ بالاحاديث والآثار (٨) — .

نعم اذا لم يجد فى القرآن والسنة والاحاديث وضاق عليه الاستدلال بها ولم يكن فى المسألة اجماع فليس الا إعمال الرأى والاجتهاد وهذا هو ما دل عليه الحديث المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل الانصارى الخزرجى ، الامام المقدم فى علم الحلال والحرام حين بعثه الى اليمن فى السنة العاشرة للهجرة أميرا وقاضيا ومفتيا « كيف تصنع إن عرض لك قضاء » قال بما فى كتاب الله ، قال « فان لم يكن فى كتاب الله » ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد ، وإنى لا آلو — أى لا أقصر . — قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى (٩) ، ثم قال « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله» رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، وهذا تقرير قولى من النبى صلى الله عليه وسلم لطريقة معـــاذ ، ومنهجه فى الحكم والاجتهاد — وقد شاع على ألسنة بعض أهل العلم ولا سيما المتحاملين منهم على الامام أبى حنيفة أنه لا يأخذ بكثير من الاحاديث ، وأنه يرجح الرأى والقياس عليها ، وهى مقالة فيها تجن على الامام ، ومجافاة للحق والواقع ، واليك ما قالـــه إمام اشتهر بحـــدة اللسان ، وصراحة النقد ، وعدم المداهنة فى الحق ، وهو الامام أبو محمد ابن حزم الاندلسى قال : وجميع أصحاب أبى حنيفة مجمعون على أن مذهب أبى حنيفة : ان ضعيف الحديث أولى عندهم من القياس ، والرأى : فهو لا يقيس الا اذا انسدت عليه مسالك الاستدلال بالاحاديث التى يحتج بها .

وقد بينت أن الامام له شروط شديدة فى الحكم على الاحاديث بالصـــحة

والحسن ، ومعاذ الله أن يترك حديثا صحيحا ، ثم يحتج بالقياس والرأى ، وما عسى أن يبدو فى نظر بعض العلماء والباحثين أنه كذلك بادىء الرأى ، فعند التحقيق والتدقيق يظهر أنه ليس كذلك ، وأرجو أن تتاح لى الفرصة للحديث عن ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

على أنى أحب فى هذا المقام أن أقول : ان المجتهد مهما جلت منزلته واتسع علمه بالاحاديث والآثار لا يلزم أن يبلغه كل حديث مروى ، ولو بلغه فليس بلازم أن يصح عنده ، ولو صح عنده فليس بلازم أن يأخذ به لانه قد يكون — ولو فى نظره هو — مرجوحا ، أو منسوخا ، أو مخصصا بدليل آخر أو مقيدا ، أو غير ذلك مما يعرفه أهل العلم بأصول الفقه ، ومسالك الاجتهاد فى الاسلام ، ومن ثم كان اختلاف الائمة فى الفروع الفقهية مع أنهم جميعا كان معولهم فى استنباط الاحكام الفقهية على القرآن والسنة ، وكانوا ينشدون الحق والصواب لا يبغون بهما بديلا ، ولم يكن للهوى النفسى ، والتعصب للرأى بغير حق أى أثر فــى استنباطاتهم ، واجتهاداتهم ، واذا حدث فى بعض العصور تعصب مذهبى فقد كان ذلك فى العصور المتأخرة ، ومن اتباع الفقهاء المتأخرين حينما كسدت سوق الاجتهاد وغلبت ملكــة التقليد .

وقد نقل الامام الشاطبى فى الموافقات أنه ما من إمام من الائمة الاربعــة الا صح عنه أنه قال : « اذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط » وهذا هو اللائق بمقام أئمتنا الكبار وأخلاقهم ، وجلال أقدارهم .

هذا ولا يزال فى الحديث عن الامام الاعظم أبى حنيفة مجال ومجال ، فالى المقال الآتى إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى القاموس المحيط : البز : الثياب ، أو متاع البيت من الثياب ونحوها ، وبائعه البزاز ، وحرفته البزازة .

(٢) أى مستأنف : أى أن الله لا يعلم بالاشياء قبل وقوعها ، وقد تطورت كلمة القدرية فأضحت وصفا لمن يقولون ان العبد يخلق أفعاله الاختيارية وهم المعتزلة .

(٣) أى ظهر له رأى .

(٤) غناء بفتح الغين — أى نفع واستغناء بهم عنه .

(٥) مجتمعين فى التزاحم عليه .

(٦ ، ٧) عقود الجمان فى مناقب أبى حنيفة النعمان مخطوط بمكتبة الحرم المكى .

(٨) الحديث : هو قول النبى صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته الخلقية ، والاثر : هو ما روى عن الصحابة من أقوالهم وأفعالهم من غير أن يرفع وينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم .

(٩) يعنى بيده تثبيتا لما فى قلبه من هذا العلم المكنوز ، والفقه الاصيل ، وزيادة شرح لصدره .

التراث

محمد يوسف

المفقود والموجود..

للاستاذ عبد الرحمن أحمد شادي

طالما وجدت الكتب من ينفق عمره فى مطـالعتها وحفظها وصيانتها ولا يبخل عليها بشىء من ماله .. أما النكبات والمحن والبؤس الذى صادفته الكتب فشىء محزن كان نتيجة لعواصف الحقد البشرى الذى أتى فيما أتى على الكتب فدمرها وأحرقها وفعل بها الافاعيل ومزقها شر ممزق ، وويل للمغلوب من الغالب ، وللناسك من الفاتك ، وللمفكر من الذين لا يعرفون الا الظفر والناب والمخلب .

وقد خطر لى أن أجمع من مطالعاتى بعض حوادث بؤس الكتب ونعيمها وحين يطالع القارىء هذه الحقائق التاريخية والبيانات الواردة فى البحث فسيرى فداحة النكبة وبشاعة المحنة التى تعرض لها هذا التراث .

ولم يبق للأمة العربية والاسلامية بعد هذه الكوارث التى تعرضت لها الكتب ودورها وخزائنها — وأصيب بها الفكر العـربى والاسـلامى فى الصميم — الا واحدا فى الألف ، أما ما ضاع فهو تسعة وتسعون وتسعمائة كما قال المرحـوم أحمد زكى شيخ العروبة .

وقد صدق فيما قال ولم تتطرق المبالغة الى كلامه فى قليل ولا كثير وتبدو فداحة هذه الخسائر اذا علمنا أن بعض العلماء كالبيرونى كان فهرس كتبه فى نحو ستين ورقة بخط مكتنز فى علوم النجوم ، والهيئة والمنطق والحكمة وقد رأى ياقوت (١) هذا الفهرس لكتب البيرونى فى وقف الجامع بمرو ...

وهذا مثل آخر عن ابن حزم العالم الاندلسى المشهور روى نجله الفضل أبو رافع أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وبلغت مصنفاته حمل بعير ولم يتعد أكثرها عتبة باديته (٢) .

والجاحظ أيضا من المكثرين فى التأليف ، فله أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتابا .

والكندى له مائتان وثلاثون كتابا .

والرازى له مائتان من الكتب ، أشهرها الحاوى فى الطب والمنصورى فى التشريح .

وأبو العلاء المعرى له هذا العدد من الكتب أيضا ، وشعره وحده أكثر من مائة ألف بيت .

ومن أراد أن يستكثر من المعلومات فى هذا الشأن فليطالع كتاب عقود الجوهر ، فيمن لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر . تأليف جميل العظم طبع فى بيروت ١٣٢٦ هـ ، وقد رتب العلماء فيه بحسب الشهرة ، ولكنه جعل كتب كل عالم أو مفكر أو فيلسوف حسب الحروف الأبجدية ، وقد ذكر الكتب ولم يبين الموجود والمفقود والمطبوع والمخطوط بصفة مطردة ، وان كان قد فعل ذلك أحيانا ، وفيه كتب الغزالى وابن العربى وابن الجوزى الخ .

هذا من جهة العدد ، أما ضخامة حجم الكتب فيكفى أن نذكر أن بعضها بلغ (٣) ثلثمائة مجلد وهو كتاب الشامل فى الطب لابن النفيس .

وبلغ كتاب الايك والغصون لابى العلاء المعرى مائة مجلد .

ويقع تاريخ الاسلام للذهبى فى خمسين مجلدا ، لم يطبع منه الا خمسة فقط .

مسالك الابصار فى ممالك الامصار للعمرى يقع فى خمسة وأربعين مجلدا لم يطبع منه الا الجزء الأول فقط .

والأغانى لأبى الفرج الاصفهانى فى واحد وعشرين جزءا وطبع أكثر من مرة .

وتفسير القرطبى طبع فى عشرين جزءا . الخ .

وهذه أمثلة فقط وهناك كتب كثيرة مشهورة بضخامة حجمها وكثرة أجزائها ومجلداتها ولا يستطيع ناشر واحد أن يقوم بطبعها على نفقته ، فحبذا لو كان هناك تعاون وثيق بين الناشرين فى مختلف الدول العربية والبلاد الاسلامية ودوائر المستشرقين ، فتوزع على هذه الدور أجزاء الكتاب لتقوم كل واحدة بطبع جزء مخصوص وبذلك يتم طبع الكتاب الضخم مرة واحدة ثم تكرر هذه العملية فى كتاب آخر ، وهكذا الى أن يتم طبع جميع المخطوطات ، ولا يبقى الا الأصول فقط الى أن يسعدنا الحظ بظهور مخطوطات أخرى لا يعرف الناس عنها شيئا .

بذلك نتقدم فى هذا الميدان بدلا من التوقف الذى نعانيه أو التقدم

البطىء ، وهذا شىء من مجهـود الذين بذلوا النفس والنفيس وساعدهم غنـاهم على ذلك فى جمـع الكتب من المشارق والمغـارب ونقبوا عن المخطوطات حتى جمعوا منها ثروة طائلة .

ومن هؤلاء الحكم المستنصر بالله بن عبـد الرحمن الناصر الخليفـة الأموى بالأندلس ، فقد كان يرسل وكلاءه ومنـدوبين وسفراءه ومبعوثيه لجمع الكتب من سائر الأمصار الاسلامية كبغداد والقاهرة ودمشق ودفع فى نسخة من كتاب الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى ألف دينار من الذهب الخالص ، واشترى من تاريخ الطبرى نسخة بمائة دينار ، وتعددت النسخ من الكتاب الواحد عنده حتى كان فى مكتبته من كتاب الخليل بن أحمد نيف وثلاثون نسخة احداها بخط الخليل بن أحمد مؤلف الكتـاب وكان عـدد الفهارس أربعة وأربعين فهرسا فى كل منها عشرون ورقة .

وكان بعواصم الاندلس الاخرى غير قرطبة نيف وسبعون مكتبة (٤) .

ومن هؤلاء ابن عباس وزير زهير أمير المرية أحد ملـوك الطوائف بالاندلس اجتمع فى قصره أربعمائة ألف مجلد عدا الكراسات (٥) .

أما المشارقة فمنهم الصاحب بن عباد كانت مكتبته تحمل على اربعمائة جمل أو أكثر وانشأ دار كتب بالرى أوقفها على طلاب العلم وكان فيها كتاب الحجة لأبى على الفارسى .

وأسس نوح بن منصور السامانى فى بخارى مكتبة يحملها أربعمائة جمل . وكانت كتب القفطى الوزير المشهور تساوى خمسين ألف دينار أوصى بها للناصر صاحب حلب ولم تكن له زوجـة تشغله عن كتبه وقصد بها من الآفاق لحبه لها وحرصه على اقتنائها .

أما آل عمار القضاة بطرابلس الشام فكان لهم مائة ألف ناسخ تجرى عليهم الارزاق سنويا وبلغ عدد الكتب عندهم ثلاثة ملايين .

أما فى الحديث فيكفى أن نشير الى جهود المرحوم أحمد زكى شـيخ العروبة فقد زار الاسكوريال بمدريد قبل ١٨٩٤ م وحصل وحده على أكثر من ستة آلاف مخطوط بالنسخ أو التصوير أو الشراء .

وجمع المرحوم أحمـد تيمور عشرين ألف مجـلد من الكتب المطبوعة والمخطوطة وبذل فيها الأموال بسخاء وخصوصا على المخطـوطات ، وقد ضمت المكتبة الزكية والمكتبة التيمورية الى دار الكتب .

وعلى مبارك هو صاحب الفضل الأول فى انشاء دار الكتب المصرية عام ١٨٧٠ م لانقـاذ الكتب وحفظها من الضياع والأطمـاع وبقائها رهينة الانتفاع (٦) وقد وصف هو انشاءه لدار الكتب فى كتابه المعروف الخطط التوفيقية .

ويتكون قسم كبير مما فى المكتبات العامة ودور الكتب من وقف الأفراد واهدائهم الكتب فى حياتهم وبعد موتهم .

ومن الخطوات الهامة التى تمت لانقاذ التراث المبعثر فى ارجاء العالم انشاء معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، فقد بلغ ما صور وسجل (٧) من المخطوطات العربية القديمة ما يزيد على عشرة آلاف مخطوط .

وانشـاء مجلة تصـدر عن هذا المعهد مرتين فى العـام لاحصاء المخطوطات العربية فى العالم ووصف أهم ما فيها ، والتعريف بمحتوياتها

الأستاذ عبد السلام هارون فى كتابه نوادر المخطوطات فى أربعة أجزاء .

ومخطوطات الموصل وداود جلبى طبع بغداد عام ١٣٤٦ ــ ١٩٢٧ .
والمخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى لأسامة ناصر النقشبندى نشرته وزارة الثقافة والاعلام ببغداد .

ولم تكن التفرقة بين المطبوعات والمخطوطات معروفة فى العصور القديمة لم يعرفها أحد الا بعد اختراع الطباعة ، فقد كان خط النساخ هو الأداة الوحيدة لنقل الكتاب . أما بعد أن عرف العالم الطباعة فقد ظهر الاتجاهان . .

احصاء الكتب المطبوعة ومحاولة التعريف بها وبمؤلفيها وبموضوعاتها ومن أقدم الكتب فى هذا الموضوع اكتفاء القنوع بما هو مطبوع للمستشرق أدورد فنديك طبع عام ١٣١٣ هـ ــ ١٨٩٦ م رتبه حسب العلوم والموضوعات ثم ألحقه بفهارس لأسماء الكتب والمؤلفين وبمراجعة الفهارس الثلاث يعرف القارىء ما فاته فى النظرة العجلى .

ومنها معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس فى أحد عشر جزءا طبعة ١٣٤٦ هـ ــ ١٩٢٨ م مرتب بحسب أسماء المؤلفين .

ومعجم المؤلفين ــ عمر رضا كحالة طبع بدمشق سنة ١٣٧٦ هـ ــ

١٩٥٧ م فى أربعة عشر جزءا ويذكر فيه كتب كل مؤلف المطبوعة والمخطوطة وأماكن وجودها . وهو مرتب بحسب أسماء المؤلفين .

ومن قبل أن ينفصل الاتجاهان كان كتاب الفهرس لابن النديم من أوائل الكتب التى حاولت حصر واحصاء كتب التراث العربى . وقد رتب الكتب فيه حسب العلوم ، وجعل لكل علم مقالة خاصة ويذكر قائمة بكتب المؤلف الذى يتحدث عنه .

وبعده بأمد طويل كان كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للا كاتب جلبى المشهور بحاجى خليفة محصيا لكتب التراث وقد رتبها حسب أسماء الكتب . .

أما حديث النكبات والمحن فيبدأ بحريق مكتبة الاسكندرية التى أحرق الأسقف تيلو فيلوس جزءا منها سنة ٣٩٠ م ثم أحرق معظمها فى عهد الملك تيودوس سنة ٩٣٠ م واتهم العرب عند فتحهم لمصر باحراقها وأبى الزاعمون والمتهمون الا أن يجعلوا عمر بن الخطاب شريكا لعمرو بن العاص فى هذه التهمة .

وقد صرح المستشرقون أنفسهم ببراءة العرب من هذه التهمة كما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية صـ ٣٢٨ جـ ٣ الترجمة العربية الطبعة الثانية . وخلاصة تاريخ العرب لسيديو ص ٨١ ط ١٣٠٩ هـ .

ومنها احراق مكتبة بغداد التى أنشأها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير الذى تولى الوزارة لبهاء الدولة أحد ملوك الديالمة ثلاث مرات وتوفى سنة ٤١٦ هـ ببغداد ، فقد جمع فيها أكثر من مائة ألف مجلد ،

ووقف عليها الاوقاف ولم يكن فى الدنيا أحسن كتبا منها كانت بخطوط الائمة المعتبرة وأصولهم المحررة كما قال ياقوت (٨) واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية الى بغداد سنة ٤٤٧ هـ .

وأحرق الصليبيون سنة ٥٠٢ هـ — كتب آل عمار فى طرابلس الشام وسبقت الاشارة الى عددها .

ولما ورد محمود بن سبكتكين مدينة الرى زعموا له ان ما فى مكتبتها هو كتب الروافض واهل البدع واستخرج ما كان منها فى علم الكلام « وأمر » بحرقه (٩) وكان فهرس مكتبتها فى عشرة أجزاء .

أما مكتبة بخارى فقد أحرقت واتهم ابن سينا باحراقها بعد أن حصل ما فيها من العلم لئلا يعرف أحد من أين أخذ علمه وهذا مستبعد (١٠) وكان فى ساوة وهى مدينة حسنة بين الرى وهمذان دار كتب لم يكون فى الدنيا أعظم منها قال ياقوت ان التتار قد أحرقوها (١١) وفى مرو عاصمة خراسان وصف ياقوت خزائن الكتب التى كانت بها وانها بلغت عشر خزائن وقد نسى من حبها كل بلد حتى الاهل والولد كما قال هو فى معجمه المشهور .

«١» صـ ٣٤٢ جـ ٢ بلدان ياقوت .

«٢» صـ ٣١٥ جـ ٢ ادباء ياقوت ط مرجليوث .

«٣» صـ ١ جـ ٥ وفيات الاعيان لابن خلطان .

«٤» صـ ٢١ جـ ٥ بلدان ياقوت .

وذكر أن فى العزيزية احدى هذه الخزائن بالجامع اثنا عشر ألف مجلد (١٢) وبلغ من سهولة الاستعارة وفرط الثقة بين الناس أنه كان يجتمع فى منزله مائتا مجلد أكثرها بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار واضطر ياقوت الى الرحيل فرارا من التتر وفارقها قبل النكبة وقد خربها التتر ولم يكن للكتب عندهم قيمة فقد اتخذوا من الكتب فى بغداد جسرا يعبرون عليه نهر دجلة . .

وفى الاندلس كانت كتب الفلسفة مضطهدة حتى احرق عبد الرحمن الناصر كتب ابن مسرة فيلسوف قرطبة الاول . .

وأحرق المنصور بن أبى عامر كتب الفلسفة أيضا ليتقرب بذلك الى الفقهاء .

وأحرقت كتب ابن حزم الفقيه الظاهرى المعروف بأشبيلية فى عهد المعتضد بن عباد (١٣) .

وفى حصار البربر لقرطبة بأمر الحاجب واضح من موالى المنصور ابن أبى عامر بيع أكثر ما جمعه الحكم المستنصر ونهب الباقى عند اقتحامهم المدينة .

ثم كانت الطامة الكبرى بعد الهزيمة فقد أعدم مطران طليطلة

الكردينال كيمنيتش جميع آثار المسلمين وأحرق ثمانين ألف كتاب عــربى بخط اليد فى الميادين والرحبات العامة بمدينة غرناطة (١٤) .

وفى احدى ساعات اليأس أحرق أبو حيان التوحيدى بيديـــه كتبه التى ألفها قصدا وعمدا وكان فى عشر التسعين ، واعتذر الى القاضى أبى سهل على بن محمد الذى كتب اليه يعذله على صنيعه ولعل كتبه الباقية قد صدرت عنه وانتشرت بين الوراقين قبل ان يفعل فعلته تلك ..

وهذا أبو سعيد السيرافى لم يفعل ذلك بنفسه وانما أوصى ابنـــه بحرق كتبه اما ابو عمرو بن العلاء فقد لجأ الى طريقة أخرى لابادة كتبه وهى دفنها فى الارض ، وقد أوصى محمد بن العلاء بن كريب الهمذانى أحد شيوخ البخارى ومسلم والسجستانى والترمذى والنسائى وابن ماجه ان تدفن كتبه فدفنت ومات بالكوفة لثلاث بقين من جمادى الاولى ســـــنة ٢٤٣ هـ .

وهذه طريقة جديدة وهى طرح الكتب فى البحر لجــأ اليها داود الطائى وسبقت الاشارة الى طرح التتار للكتب فى دجلة لتعبر عليها جنودهم ومنهم من مزق كتبه وطيرها فى الريح كما فعل سفيان الثورى .
ومنهم من كان العجز سببا فى ضياع كتبه كما حدث لعبد الله بن خلف بن رافع المسكى أبى محمد المصرى الذى جمع تاريخا لمصر ومات وهو فى المسودات وعجز عن تبييضها فبيع على العطارين لصر الحـــوائج كأن لم يكن بمصر من يعينه على تبييضه ولا ذو همة فيشتريه كما قال ياقوت (١٥).

ولا زالت هذه المحنة قائمة لكثير من العلماء والادباء الناشئين الذين يعجزون عن نشر كتبهم على نفقتهم ويأبى أى ناشر أن يغامر بالطبعة الاولى لمؤلف مجهول أو كاتب مغمور وكم أضاعت هذه العقبة الكئود مـــن كتب ودفنت من مواهب ..

وتنكب الكتب بعد موت أصحابها وعدم اهتمام الورثة بهواية أبيهم وتقديرهم لما أفناه فيها من زهرة عمره وصفوة ماله ومن هذا على سبيل المثال (١٦) أن مكتبة الحاج أمين الجليلى بالموصـــل قد تشـــتت بعد وفاة صاحبها ..

ومن أسباب الضياع أيضا كثرة التنقل والاسفار لأن العالم لا يريد أن يفارق كتبه ويحب صحبتها فى أى مكان فتتعرض للضياع ..

وتعيث عوامل البلى كالعثة والارضة والفئران فى المخطـــوطات الباقية فسادا كلما طال عليها الزمن فهى لا بد أن يكتب عليها الفناء الا أن تبعث من جديد بواسطة المطبعة فتصدر عن المخطوط الواحد آلاف النسخ ومن ألوان المحن التى تتعرض لها الكتب السرقة والنهب والتهريب وبهذه الطريقة نقلت وهربت الكتب فى الحروب الصـــليبية من قبرص وكريت وجزائر البليار والاندلس والاستانه ومصر .. الى أوروبا .

وحرض علماء الحملة الفرنسية على مصر على أخذ الكتب ونقلها الى فرنسا بعد الاستيلاء عليها من المساجد والزوايا .

ونقل الاتراك كثيرا من النفائس والكتب من مصر وايران والعراق والشام الى تركيا فى مختلف الازمنة .

ولذلك كانت مكتبات أوروبا وتركيا غنية وعامرة بالمخطـــوطات وخصوصا بريطانيا وفرنسا وايطاليا والفاتيكان وألمانيا وهولندا وروســـيا وأمريكا . ومن هذه الحوادث أن مكتبة مولاى زيدان كانت فى سفن ثلاثة فاستولت عليها مراكب الاسبانيين سنة ١٦٧١ م ١٠٨٢ هـ وأودعت فى قصر الاسكوريال وضاعت كمية ضخمة من المخطـوطات عند هجــــوم الفرنسيين واحتلالهم لتونس عام ١٥٣٦ م وأحرقوا ما فى قسطنطينة من الكتب المخطوطة والمطبوعة عند احتلالهم للجزائر سنة ١٨٣٠ م . .

وغالبا ما تجنى المحن التى يتعرض لها العلماء والادباء والفلاســـفة والمفكرون على كتبهم ومن هذه المحن الاضطهاد بسبب مخالفته رأيه لمن يضطهده وقد ذكرنا مصير كتب ابن مسرة وابن حزم .

١ ــ وهذا ابن الابار قتل طعنا بالحراب لأنه هجا السلطان ســـنة ٦٥٨ وفى اليوم التالى أحرق رفاته ومصنفاته وأشعاره وأجازاته العلمية محرقة واحـــدة (١٧) .

وهذا شهاب الـــدين السهروردى قتل بحلب ٥٨٧ هـ قاربـــت كتبه الخمسين ولم يبق منها الا هياكل النور طبع ومجموعة ضخمة فى الحكمة الالهية نشرتها له جمعية المستشرقين الالمانية (١٨) .

وسأذكر بعض الامثلة على ضياع معظم كتب العلماء .

هذا ياقوت مؤلف معجم البلدان والادباء والمشترك لم يبق من كتبه الا هؤلاء الثلاث فقط . .

والقفطى الوزير الاديب بلغت مؤلفاته ستة وعشرين ولم يبق منهـــا الا ثلاثة فقط (١٩) .

وأبو حيان الاندلسى المولود بغرناطة فى شـــوال ٦٥٤ هـ والمتوفى بالقاهرة ٧٤٥ ألف وخمسة وستين مصنفا كثير منها فى أكثر من مجلد ولم يبق له الا خمسة عشر (٢٠) .

وابن الخطيب الوزير المشهور صاحب كتاب الاحاطة فى تاريخ غرناطة بلغت مؤلفاته ستين لم يبق منها الا ثلثها (٢١) .

وماذا بقى لأبى العلاء المعرى الا سقط الزند واللزوميات ورســـالة الغفران والفصول والغايات وهو ناقص لا يوجد الا الجزء الاول فقط . . ورسائله ، أما الشعر فيكفى أن نذكر فيه مقالة أبو عمرو بن العلاء (٢٢) .

« ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » . .

ومن الشعراء الفلاسفة الذين ضاع شعرهم ابن الشبل البغدادى والخريمى من شعراء بغداد فى عهد الامين والمأمون وابن الحجـــاج من شعراء بغداد فى عصر ملوك الديالمة وكان ديوانه فى عشرة مجلدات يباع بالثمن الغالى كما روى ابن خلكان .

وهناك كتب ابتسم لها الزمان بعد عبوسه نصف ابتسامة فضاعت أصولها ولكن الترجمة أبقتها للعالم مثل شروح ابن رشد الفيلســــوف الاندلسى لأرسطو فقد ترجمت الى اللاتينية والعبرية ، أما الاصول العربية فهى ضائعة . .

ومنها كتب بقى القليل من نصوصها محفوظا فى مؤلفات من نقلوا واقتبسوا عنها وعلى سبيل المثال فقد حفظ لنا الثعالبى فى كتابه يتيمة الدهر شعرا كثيرا ضارعت دواوين شعرائه أو بقيت منها نسخة أو بقية صادفها رجل من أهل البصر بالكتب والتقدير لما فيها والمال الذى يشتريها فأنقذها (٢٣) من العدم ومن هذا الجزء الاول من الفصول والغايات (٢٤) الذى عثر عليه محب الدين الخطيب فى دشت اشتراه من شيخ وراقى بمكة المكرمة عام ١٣٣٧ هـ واستخرجه ورتبه ثم حفظه بالمكتبة التيمورية الى أن طبع ونشر .

أحيا الله الموتى من الكتب وبعث ما فى القبور من المخطوطات على يد الطبع والنشر ..

وبعد فكم سررت بهؤلاء الذين اشتهروا بحب الكتب وأفنوا فى جمعها ومطالعتها وحفظها أعمارهم .. وانفقوا كثيرا مما ملكته أيديهم من أجل الحكمة المسجلة والعلم المعروف والأدب الخالد .. وسبحان من وضع فى كل قلب ما يشغله ..

ثم حزنت وأنا أجمع هذه المعلومات التاريخية المتناثرة فى بطون الكتب والصحف حول التراث المفقود فأورثت فى الصدر غلة لا مياه النيل ترويها ولا أمواه دجلة كما قال المرحوم أحمد شوقى ..

---

(١) ص ٣١١ جـ ٦ أدباء ياقوت ط مرجليوث .
(٢) ص ٢٣٩ جـ ١٢ أدباء ياقوت ط فريد رفاعى .
(٣) ص ٤٠٣ جـ ٣ دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية الطبعة الثانية .
(٤) ص ١٤٩ تاريخ العرب فى اسبانيا محمد عبد الله عنان ط ١٩٢٤ .
(٥) ص ٤٧ ملوك الطوائف بالاندلس لدوزى ترجمة كامل كيلانى .
(٦) ص ٥١ جـ ٩ الخطط التوفيقية على مبارك مادة برنبال .
(٧) ص ٨٧ دليل جامعة الدول العربية وبطرس غالى ١٩٧٠/٣ الاهرام الاقتصادى .
(٨) ص٣٤٢ جـ ٢ بلدان ياقوت .
(٩) ص ٣١٥ جـ ٢ أدباء ياقوت ط مرجليوث .
(١٠) ص ١١ جـ ٥ وفيات الاعيان لابن خلكان .
(١١) ص ٢١ جـ ٥ بلدان ياقوت .
(١٢) ص ٣٦ جـ ٨ بلدان ياقوت — مرو .
(١٣) مقدمة طوق الحمامة فى الالفة والآلاف.
(١٤) ص ٢٦٥ خلاصة تاريخ العرب لسيديو .
(١٥) ص ٥٦ جـ ٨ بلدان ياقوت .
(١٦) ص. جـ مقدمة رسائل الجاحظ نشر باول كراوس ومحمد طه الحاجرى ١٩٤٣ .
(١٧) ص ١٩٥ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ، الطبعة الثانية .
(١٨) أضواء من الماضى سامى الكيالى اقرأ ص ٩٢ .
(١٩) مجلة العربى الكويتية ١٩٧٠/٢ ابراهيم القطان .
(٢٠) ص ٤٥٨ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية .
(٢١) ص ٤٥٨ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية .
(٢٢) ص ٢٦٩ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية .
(٢٣) ص ١٧ طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى .
(٢٤) مقدمة الفصول والغايات لابى العلاء المعرى .

المعاني المستوحاة من الحج

للأستاذ : جابر حمزة فراج

ان الناظر الى أداء فريضة الحج يرى عجبا .. والرائى لا يشاهد الا ما يدعو الى الدهشة فاذا رأيت ثم رايت موكبا من مواكب الله وقافلة من قوافل الايمان .. وجيشا من جيوش الحق .. وجندا من جنود اليقين .. هديرهم تكبير .. وهتافهم تسبيح .. ونداؤهم تلبية .. ودعاؤهم تهليل .. مشيهم عبادة .. وزحفهم صلاة .. وسفرهم هجرة الى ربهم .. وغايتهم مغفرة ورضوان .. تراهم فى حشدهم صورة متكاملة متناسقة فى اطار نورانى على اختلاف أجناسهم .. وتباين اللغات وتغاير الأوطان .. اجتمعوا على كلمة الله .. والتأموا فى بيت الله .. والتحموا امام الله فى رحمة وعطف .. وحنان ، شعار كل فرد منهم ((واخفض جناحك للمؤمنين)) .. مظهرهم كأنهم بنيان مرصوص .. تركوا البلاد والديار والأهل والأولاد .. والتجارة والأعمال .. لم تسقهم قوة قاهرة .. ولم تجبرهم قوانين دنيوية .. بل جاءوا مندفعين بدافع من أعماقهم منبثق من وجدانهم نابع من فيض ايمانهم .. ومعين يقينهم .. قطعوا الفيافى والقفار .. واجتازوا الجبال والوديان .. وعبروا البحار والأنهار .. وطاروا على متن الهواء .. قاصدين بيت الله الحرام .. يعيشون فى رحابه .. وينعمون بقدسيته .. مستشرفين بضيافته متلمسين لرحمته .. مستهدفين المغفرة .. مستمطرين الرضوان كما قال ربهم ((واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)) ..

البيت الحــرام : ـــ

هو بيت العز والشرف ، بيت المجد والكرم ، بيت الرجاء والأمل .. واحة الضال .. وهداية التائه .. وملجأ القاصد .. وملاذ الخائف .. ومقام الطائف ، والعاكف .. من دخله كان آمنا .. فى جنباته الطهــر والنقاء .. وعلى أبوابه البذل والعطاء .. وبين أركانه الجود والسخاء .. فالأجر مضاعف .. والجزاء موفور .. والذنب مغفــور .. والســعى مشكور .. عند رب لا تغلق رحابه .. ولا تســد أبوابه .. لا يخيــب سائلا .. ولا يرد طالبا .. فهو الحليم الذى لا يعجل .. والكريم الــذى لا يبخل .. وفى ميدان هذا البيت يتجلى الدين فى أروع صورة وأبــدع مظهر .. جموع تطوف وتطوف .. وفئات تصعد وتنحدر بين الصـــفا والمروة .. فمن خلال الطواف نتعلم النظام ، ونتدرب على التعاون وانكار الذات ، ونتلقى دروسا عملية فى الآداب ، والمروءة ، والحب . والعطف والحنان ، ونؤمن بأن التوجيه الدينى أسمى من أى توجيه ، فأى توجيــه تكون له مثل هذه الفعالية .. ان الجيوش تحتاج الى ربط واحكــام ، وضبط ودقة .. بعد تدريب متواصل .. واشراف حازم .. الا أننا نرى الحجيج ـــ على كثرتهم واختلاف أجناسهم وتباين لغاتهم ـــ يسيرون فى اتجاه واحد .. وارتباط وتآزر ، ووحدة وتكاتف .. ووسط التلبية الهادرة ، والأصوات العالية .. اذا أذن المؤذن سمعوا الأذان .. ولبوا النداء .. فاذا بالجميع وقوف وكأن على رؤوسهم الطير .. لا تســمع حينئذ الا همسا .. ولا تحس الا أنفاسا ، ولا ترى الا أجساما منظومة ، وأقدامــا مصفوفة .. اذا ركع امامهم ركعوا ، واذا ماسجد سجدوا ، واذا قرأ أنصتوا ، واذا دعا أمنوا .. انها صورة من صور الجمال .. من الحسن والجلال .. ومشهد من مشاهد الكمال .. ولتأت الدنيا .. الدنيا كلهــا لتطل على هذا المنظر البديع المتناسق .. وليشهد الوجود كل الوجود . بأن الاسلام هو دين النظام .. ودين التضامن .. ودين الألفة .. وديــن الحياة ..

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ..

نعم يا ابراهيم .. أذن .. أذن .. أذن .. فالدنيا تســمعك .. والكون يصغى اليك .. والجود يلبى .. فنداؤك عبر الزمان .. ينشر على الارض السلام .. ودعاؤك يبعث فى الآفاق رونق الحياة .. وعجبت يا ابراهيم عندما قال لك ربك اذن يا ابراهيم .. فقلت وقتئذ وما يبلــغ صوتى ؟ فقال لك مولاك .. يا ابراهيم عليك الأذان .. وعلينا البلاغ .. فناديت فى الأجواء والآفاق .. يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحــج فحجوا .. فلبى نداك أهل الأرض وأهل السماء .. حتى النطف فـــى أصلاب الرجال .. والأجنة فى أرحام الامهات ..

السعى بين الصفا والمروة : ـــ

ومن خلال السعى بين الصفا والمــروة يستشعر الحجــاج معنى التضحية والجهد .. هذا الجهد الذى قاسته السيدة هاجر من أجل شربة

ماء تروى غلة طفل رضيع أنهكه الجوع وأرهقه الظمأ .. امرأة وحيدة وسط الجبال الشاهقة .. وبطون الوديان السحيقة تهرول هنا وهناك .. فى صعود وانحدار .. وحيرة واضطراب .. يمزق أحشاءها أنين ولد عليل .. جف ريقه .. وجمد لسانه اللاهث من شدة العطش .. فاذا ما اشتد الخطب .. وادلهم الأمر .. تجلت رحمة الله كالنور بعد الظلمة .. كالأمل الباسم وسط اليأس الحالك .. فتفجر الماء سلسا .. وانساب عذبا دافقا انه بئر زمزم .. زمزم الميمون .. زمزم المبارك .. النبع الطاهر .. الرحيق الحلو .. الدواء الشافى .. ليعرف الناس أن الله تعالى لا ينسى مخلوقاته .. وأن الفرج بعد الضيق .. وأن مع العسر يسرا .. « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » ..

الوقوف بعرفات : ـــ

وفى الموكب الالهى .. وفى الركب الروحانى .. وفى مسيرة الايمان .. يتوجه الحجاج بين الزحام المتكاثف .. وسط الجموع الصاخبة .. وخلال الكتل الزاحفة قاصدين عرفات .. متجردين من ملابسهم اللهم الا من إزار ورداء أبيضين يتساوى فيهما الغنى ذو المال الوافر والجاه العريض .. بالفقير والمسكين ليتذكروا جميعا ذلك الكفن الذى يلفهم عند وداعهم الأخير .. وكما قال عيسى عليه السلام « يا أيها الناس لقد جئتم الى الدنيا وأنتم عراة وستخرجون منها وأنتم عراة » .

ان هذا الزحام المائج يذكرهم كذلك بيوم الحشر وما فيه .. يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .. فى عرفات تذوب الطبقية .. وتتلاشى التفرقة .. وتتجسد المساواة الحقة .. المساواة الصادقة .. المساواة الخالية من كل تكلف أو خداع .. المساواة التى فقدت فى العالم المتحضر .. وضاعت فى دنيا المدنية الزائفة ..

عند الصعود الى عرفات .. يتسابق الحجاج ويتنافسون .. يتسابقون الى ربهم .. ويتنافسون فى كسب رضاه .. لله درك يا عرفات .. فيك ينسى المؤمن الدنيا وما فيها من متاع .. ويهجر الحياة بما تحويه من ترف وملذات .. لا يهمه لفح الهجير .. أو وهج الشمس .. ولا يمنعه شدة برد .. أو هطول مطر .. لأنه خرج من نطاق البشرية الى رحاب الروحانية .. لأنه انسلخ من المادية الى عالم المعنويات .. لأنه تجرد من ترابيته ليصعد الى الملأ الأعلى .. الملائكة .. وينتظم فى صفوف الأبرار .. أى سحر فيك يا عرفات ؟؟ ان البصر لا يقع عليك الا ويرى عابدا يتبتل .. ومذنبا يتوجع .. ومؤمنا يخشع .. ومصليا يركع .. وعاصيا ذا عين تدمع .. فكأنى بك بحيرة قدسية تغسل الآثام .. وتمسح الخطايا .. وتمحو السيئات .. يومك يوم نور .. ويوم رحمة .. يوم بركة .. ويوم عطاء .. يوم يباهى به الله ملائكة السماء .. فتبتسم الآفاق .. وتشرق الأكوان .. وبعم الغفران . .فينتحر الشيطان ..

كأنى بالحجاج يسألون عرفات عن هذه الأمجاد التى اعتلت ذروته ..

وتلك الكتائب الأولى التى عاشت على سطحه فترة من الزمن .. وكأنى بالجبل الرحيب يقول : كانوا أبطالا أفذاذا جنودا بواسل .. كانوا أنقياء أطهارا .. صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا تعرفهم بسيماهم من أثر السجود .. فرضى الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز المبين ..

كأنى بالجبل الأشم يذكرنا بالقائد الأعظم .. بالـــزعيم الأكبر .. بالمرشد الملهم .. محمد بن عبد الله وهو يلقى أسمى خطاب فى الوجود .. وأخلد حديث على صفحات الزمان .. وأظهر دستور عرفه التاريخ فـــى حجة الوداع .. يرسم للبشرية طريق خلاصها .. وسبيل مجدهـــا .. ودروب سعادتها .. وسكب فى أذن الدنيا أصدق قانون .. فيه صـــلاح المجتمع .. وتقويم للخلق أجمعين .. صان فيه حقوق الناس .. وكرامة الأنسان « اليوم أكملت دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينـــــا » .

زيارة الحبيـــــب : ـ

زيارة تختلف عن كل زيارة .. زيارة فيها السعادة والهناء .. زيارة فيها الصدق والوفاء .. زيارة فيها الفوز والفلاح .. لأنها نزهة القلب .. لأنها فرحة الفؤاد .. لأنها فسحـــة الروح .. لأنها متعة الخـــاطر .. لأنها فرصة الحياة .. زيارة فواحة بالعطر شذية العبير .. دافعـــة بالطهر .. وهاجة بالنور .. فياضة بالأمل الوضاء .

انها زيارة محمد عليه السلام أفضل العابدين .. درة الخاشعين .. سيد المرسلين .. انه أعظم مخلوق فى الوجود .. انه تاج الشرف عـــلى رؤوس البشر .. انه وشاح الحق على كتف الزمن .

وعبر هذه الزيارة الخاشعة .. تنهمر الدموع .. ويشتد النحيب .. وينتفض الوجدان .. فالكل أتى يدفعه شوق جارف وحنين عارم .. وشغف متحفز .. لزيارة رائد الانسانية ، ومعلم البشرية .. وباعث المحبة .. ليكحـــل العين برؤياه .. ويضمـــخ النفس بلقياه .. متنسمـــا ريـــح الجنة .. وأريج الفردوس .. فى صمت وخشوع .. ورهبة ورغبة .. وروعة وجلال .. فهنا مهابط الوحى .. ومنابع الطهر .. ومنزل الرحمة .. وشاطىء الأمان .. ومشرق الحضارة .. ومحراب القداسة .. ومن خلال تلك الرحـــاب .. يتفجر الايمـــان .. وينطلق اليقين .. وينبثق الدين .. وتذوب النفس فى كؤوس الصفاء .. فيبدو الحاج وقتئذ مجلوا بنور الله .. وضاء بشعاع التقوى .. ومزودا بخير زاد ، مغتسلا من الخطايا والآثام .. متوجا بتاج العز والكرامة .. عليه فيض من رضى .. وغمرة من حنان .. ولمسة من رحمة .. وهكذا يعود الحجاج من رحلتهم الميمونة ، ودراستهم المباركة ، الى بـــلادهم فى تألق واشراق ، ونقـــاء وانطلاق ، يمنحون الحياة الخير والرجاء ، وينشرون البر والسلام ؟

عمر بن الخطاب

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

مولـــده ونسبه :

قال الحـــافظ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب « ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة . وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : « إنه ولد بعد الفجار الاعظم بأربع سنين ، وذلك قبل المبعث النبوى بثلاثين سنة ، ورواية ابن عبد البر أوضح وعليها يكون النبى صلى الله عليه وسلم أسن من عمر بن الخطاب بثلاث عشرة سنة » .

فأما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى القرشى أبو حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية . قاله الحافظان ابن عبد البر وابن حجر وقال ابن هشام : « وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة وعلى هذا تكون أمه أخت أبى جهل بن هشام بن المغيرة » . .

وقال أبو عمر بن عبد البر : « وقالت طائفة فى أم عمر : حنتمة بنت هشام بن المغيرة ومن قال ذلك فقد أخطأ . ولو كانت كذلك لكانت أخت أبى جهل بن هشام بن المغيرة وليس كذلك وانما هى ابنة عمه . فان هاشم بن المغيرة وهشام بن المغيرة أخوان . فهاشم والد حنتمة أم عمر وهشام والد الحارث وأبى جهل . وهاشم بن المغيرة هذا جد عمر لأمه كان يقال له ذو الرمحين » .

صفته الخلقية :

قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : « وأخرج ابن أبى الـــدنيا بسند صحيح عن أبى رجـــاء العطاردى قال : كان عمر طويلا جسيما أصلع أشعر شديد الحمرة كثير السبلة فى أطرافها صهوبة وفى عارضيه خفة » . .

وروى يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسند جيد الى زر بن حبيش قال رأيت عمر أعسر أصلع آدم قد فرع الناس كأنه على دابة قال فذكرت هذه القصة لبعض ولد عمر فقال سمعنا أشياخنا يذكرون أن عمر كان أبيض فلما كان عام الرمادة وهى سنة المجاعة ترك أكل اللحم والسمن وأدمن أكـــل الزيت حتى تغير لونه وكان قد احمر فشحب لونه .

وروى الدينورى فى المجالسة عن الأصمعى عن شعبة عن سماك كان

عمر أروح كأنه راكب والناس يمشون والاروح الذى – يتدانى عقباه اذا مشى .
وأخرج سعد بسند فيه الواقدى كان عمر يأخذ أذنه اليسرى بيده اليمنى ويجمع جراميزه ويثب على فرسه فكأنما خــلق على ظهره » .
وقال الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب « وكان آدم شديد الادمة طوالا كث اللحية أعسر أيسر يخضب بالحناء والكتم .
نكتفى بهذا القدر من صفة خلقه بفتح الخاء وفيها ألفاظ تحتاج الى توضيح ليعم النفع القراء كلهم قويهم وضعيفهم .
الفجــــار : قال فى اللسان : « قال الجوهرى الفجــار يــــوم من أيام العرب وهى أربعة أفجرة ، كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وانما سمت قريش هذه الحرب فجارا لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجارا .
والصهوبة : حمرة شعر الرأس واللحية .
والأعسر : هو الذى يشتغل بيده اليسرى والأعسر اليسر هو الذى يشتغل بيديه جميعا . وقد روى أن عمر كان كذلك .
والأدمة : الحمرة وهى حمرة ناشئة عن بياض لأنه جاء فى وصف عمر أنه كان أبيض وقوله فرع الناس : أى كان أطول منهم ، وقوله كأنه على دابة : أى اذا مشى مع القوم فكأنه راكب لطــول قامته .
شحب لونه : شحب اللون ككرم ، وشحب كمنع تغير لونه من هزال أو عمل أو جوع أو سفر .
وهذا من مناقب عمر التى لا يتصف بها الا خليفة نبى لان المجاعــة فى العادة لا تصيب الا عامة الناس ، أما الرؤساء فلا يجوعون وعمر رضى الله عنه فضل الجوع وترك الطيبات من الطعام عند قلته إيثارا للعامة على نفسه . رحمه الله ورضى عنه فويل لمن يتنقصه من المبتدعين الضالين .
قوله سعد : لعل الصواب ابن سعد .
وجراميزه : ثيابه ويدل ذلك على أن عمر كان رياضيا ، قوى الجسم لأن ركوب الخيل بالصفة المذكورة لا يتأتى الا لقليل من مهرة الرياضيين . وفى ذلك دليل على أن المسلم ينبغى له أن يكون قوى البدن مرتاضا . قال الله تعالى فى سورة البقرة فى قصة طالوت حين قال بنو اسرائيل لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فاخبرهم أن الله سبحانه بعث لهم طالوت ملكا . فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . فظنوا لجهلهم أن الملك خاص بالأغنياء فرد عليهم نبيهم بقوله : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكــه من يشاء والله واسع عليم » .
فالملك لا يكون أهلا للملك بسبب ثروته وكثرة ماله ، ولــكن لقــوة جسمه وعلمه وتقواه . فان مال الدولة يكون بيــده وهو الــذى يقسمه طبقا لما أمر الله به أن يقسم فما حاجته الى المال . وهكذا قال العــرب أهل مكة : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » « سورة الزخرف » فرد الله عليهم بقوله « أهم يقسمون رحمة ربك » فظنوا لجهلهم أن النبوة لما كانت الرئاسة ملازمة لها لا تكــون الا لمن كان غنيا كثير المال

وقوة الجسم ، والرياضة البدنية من السنة التى اتصف بها الأنبياء ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحظ الأوفر من ذلك فقد ثبت في صحيح البخارى أنه سابق عائشة أم المؤمنين فسبقته فلما ثقل جسمها باللحم سابقها مرة أخرى فسبقها وقال لها هذه بتلك .

وقوله : **يخضب بالحناء والكتم** : ذكر الحافظ فى الفتح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بهما وقد جاء مثل ذلك عن النبى . وقلت فى ذلك شعرا .

إنى لأخضب بالحناء والكتم أقفو بذلك خير العرب والعجم
محمدا وأناسا من صحابته كانوا مصابيح تجلو داجى الظلم

والكتم : يسمى بالعامية العراقية « الوسمة » وهو نبات شديد الخضرة وصفة الخضاب بها أن يخضب الرأس أو اللحية أو هما معا بالحناء ويبقى ثلاث ساعات ثم يغسل الشعر غسلا جيدا ويخضب بالكتم وبعد ساعة يغسل الشعر فيصير أسود . .

صفته الخلقية :

قال الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ « أبو حفص العدوى الفاروق وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أيد الله به الاسلام وفتح به الأمصار وهو الصادق المحدث الملهم الذى جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو كان بعدى نبى لكان عمر » الذى فر منه الشيطان وأعلى به الايمان وأعلن الأذان .

قال نافع بن أبى نعيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه . . وأين مثل أبى حفص فما دار الفلك على مثل شكل عمر هو الذى سن للمحدثين التثبت » انتهى .

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ما نصه :

قال الزبير وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشراف قريش واليه كانت السفارة فى الجاهلية ، وذلك أن قريشا كانت إذا وقعت بينهم حرب ، أو بينهم وبين غيرهم بعثوا سفيرا وان نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر رضوا به ولقبوه منافرا أو مفاخرا .

اسلامه :

قال ابن اسحاق وكان اسلام عمر — فيما بلغنى — أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما خوفا من عمر وكان نعيم ابن عبد اله النحام رجل من قومه من بنى عدى بن كعب قد أسلم وكان أيضا يستخفى باسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن . فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم فيمن أقام

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقـــال : أريد محمدا هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك مـــن نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا . أفلا ترجع الى أهل بيتك ، فتقيم أمرهم قال : وأى أهل بيتى ؟ قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه . فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (سورة طه) يقرئهما اياها . فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم ، أو فى بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التى سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد . فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك . . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ماصنع فارعوى وقال لأخته أعطنى هذهالصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها . قال لها لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها . فلما قال طمعت فى اسلامه وأعطته الصحيفة وفيهـــا « طه » فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام ، فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له : يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس وهو يقول : « اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر » فقال له عند ذلك عمر : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال له خباب هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وســـلم وهو فزع فقـــال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف . فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان جـــاء يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لـــه . فأذن لـــه الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة . فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم . فتفرق ــ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا فى

انفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم .

وذكر ابن هشام عن ابن اسحاق فى سبب اسلام عمر قصة أخرى اختصرها فيما يلى :

قال عمر : كنت أحب الخمر وأشربها فى الجاهلية . وكان لى رفقاء ينادمونني على شرب الخمر وكان لنا مجلس معلوم نجلس فيه كل ليلة نشرب الخمر فذهبت ليلة الى المجلس فلم أجد منهم أحدا فقصدت حانة لخمار مكة لأشرب فلم أجده فقصدت الكعبة لأطوف بها سبعا أو سبعين فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين الركنين ركن الحجر الاسود والركن اليمانى — مستقبلا الشام جاعلا البيت بينه وبين قبلته فأردت أن أستمع لقراءته دون أن يعلم بمكانى فجئت الكعبة من قبل الحجر فدخلت تحت كسوتها وأخذت أمشى بين جدارها وثوبها حتى قمت فى قبلته مستقبلا له وهو لا يرانى ولا يعلم بوجودى .

فلما سمعت القرآن رق قلبى له حتى بكيت فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته انصرف الى بيته فتبعته حتى أدركته فى الطريق فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى فظن انى تبعته لأوذيه ، فنهمنى (أى زجرنى) ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ فقلت جئت لأومن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ومسح صدرى ودعالى بالثبات .

واذا أردنا أن نجمع بين القصتين نقول : إن القصة الأولى سابقة للثانية وأن عمر حين قرأ الصحيفة فى بيت أخته مال قلبه الى الاسلام ولكن أراد أن يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فاحتال لذلك حتى سمعه منه فازداد يقينا وأسلم فى تلك الليلة ثم قصد بعد ذلك دار الأرقم التى عند الصفا وأعلن اسلامه .

ويؤيد ذلك ما روى ابن اسحاق فى السيرة « عن أم عبد الله بن عامر ابن ربيعة بنت أبى حثمة . قالت : والله إنا لنرحل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر أى زوجها فى بعض حاجاتنا اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه : قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا . قالت فقال : انه للانطلاق يا أم عبد الله . قالت فقلت نعم والله . لنخرجن فى أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا . قالت : فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها . ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا . قالت فجاء عامر بحاجته تلك . فقلت له : يا أبا عبد الله : لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا . قال : أطمعت فى اسلامه قالت : نعم . قال فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على أهل الاسلام » . .

ومن ذلك يظهر لنا أن اسلام عمر لم يكن فجأة فانه من المستبعد فى طباع البشر أن يكون الرجل على دين متعصبا له أشد التعصب ويرى دينا جديدا فيحاربه أشد المحاربة ثم ينتقل من الدين الاول الى الثانى فجأة بدون أن يتقدم انتقاله فترة تردد وتأمل . وهذا مشاهد معروف عند من خبر أحوال المنتقلين من دين الى دين .

ومما يناسب ذلك أنى كنت فى برلين الغربية سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى فقصدت الجامع لصلاة الجمعة وهو فى

القسم الغربى ، وكنت أعرفه وأصلى فيه حين كنت طالبا ومدرسا هناك من سنة تسع وثلاثين الى سنة اثنتين وأربعين بالتاريخ المذكور فلما رآنى الامام دعانى لأصلى بهم الجمعـــة وبعد الفراغ من الصـــلاة قام وخطبهم هو باللغـــة الجرمانية ثم أخذنا نتجـــاذب أطراف الاحاديث فرأيت رجـــلا حسن الاصـــغاء لكل حـــديث يدور حسن السمت تظهر عليه الرغبة فى الازدياد من علوم الاسلام ويكثر الاسئلة فقلت له يا أخى تسمح لى أن أسألك منذ كم سنة أسلمت ؟ فقال لى لم أسلم بعد ! فقلت ولماذا جئت الـــى هنـــا وحضرت الصـــلاة ؟ فقـــال حضرت الصلاة ولم أصـــل !! ولـــكن استمعت الى الخطبة التى ألقيت باللغـــة الجرمانيـــة فقلت هـــل زرت المسجـــد قبـــل هـــذه المـــرة ؟ فقـــال لـــى منـــذ سنـــة لم تفتنى ولا جمعة واحدة ومسكنى بعيد من المسجد أركب ساعة فى القطار لأصل إليه فقلت له : والى الآن ما تبين لك أن الاسلام حق ؟ فقال لى : أريد أن أزداد يقينا حتى يكون اسلامى مبنيا على أساس متين فان قلت : هذا الالمانى بقى سنة يدرس الاسلام وعمر فيما ذكرت لم يبق الا مـــدة قصيرة فهل كان الالمانى أكثر تثبتا منه ؟ فالجواب ان بين الالمانى وعمر فرقا شاسعا لأن الالمانى لا يعرف لسان القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولا يستطيع أن يقرأ القرآن أو يسمعه فيفهمه وانما يعتمد على ترجمـــة المترجمين ومن الفروق أن عمر يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صباه ويعرف صدقه وأخلاقه ويعرف من آمن به قبله وهم أربعون رجلا واحدى عشرة امرأة وكيف ثبتوا على دينهم واستعذبوا العذاب فيه ، وصبروا على مفارقة الوطن بل كان عمر يشاهد نور رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ولا يحجب الا عن شقى .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر بسند ذكره من طريق ابن معين عن هلال بن يساف قال :

« أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة قال أبو عمر فكان اسلامه عزا ظهر به الاسلام بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم » ..

وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابـــة بسند ذكره عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : « اللهم أعز الاسلام بأبى جهل ابن هشام أو بعمر بن الخطاب » فأصبح عمر فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج أبو يعلى وذكر سنده الى ابن عمر قال : ان رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام وكان أحبهما الى الله عمر بن الخطاب » ..

وأحب هنا أفعل تفضيل من حب بضم الحاء مبنيا لما لم يسم فاعله وقد منعه ابن مالك ولكنه كثير من كـــلام العرب ، وهو من جريان أفعل التفضيل على غير بابه فأحب هنا بمعنى محبوب لأن أحدهما وهو أبو جهل لا يشارك الآخر فى محبة الله حتى يفضل عليه فهو كقولهم الأشج والناقص أعدلا ملوك بنى مروان ــ أى عادلا ملوك بنى مروان اذ لا عادل فيهم غيرهما .

ثم ذكر الحافظ روايات متعددة لهذا الحديث عن جماعة من الصحابة تختلف ألفاظها ويتفق معناها .

بعض مناقبــه :

١ ــ منها ما تقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا أن يعز الله الاسلام ويشده برجل يحبه الله تعالى فكان ذلك الرجل فثبتت له محبة الله تعالى . .

٢ ــ ومنها ما رواه البخارى فى صحيحه فى باب مناقب عمر بسنده الى جابر بن عبد الله قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيتنى دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا ؟ فقال هذا بلال ورأيت قصرا بفنائه جارية فقلت لمن هذا ؟ قال لعمر فأردت أن أدخله فأنظر اليه فذكرت غيرتك فقال : عمر بأبى وأمى يا رسول الله أعليك أغار » ؟ انتهى .

والخشفة بفتح أوله وثانيه أى حركة وقع الاقدام ، وفى رواية أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى الى جانب قصر عمر امرأة تتوضأ والباقى مثل ما تقدم وفيها زيادة أن عمر حين سمع ذلك بكى وقال أعليك أغار يا رسول الله » .

٣ ــ ومنها ما أخرجه البخارى بسنده الى حمزة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم شربت يعنى اللبن حتى أنظر الى الرى يجرى فى ظفرى أو فى أظفارى ثم ناولت عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال : العلم » .

فهذه شهادة من النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بالعلم النافع الذى أخذه عنه عليه الصلاة والسلام .

٤ ــ ومنها ما أخرجه البخارى فى مناقبه عن عبد الله بن عمــر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة على قليب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعــا ضعيفا والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا ، فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطــن . .

قال ابن جبير العبقرى عتاق الزرابى ، وقال يحيى : الــزرابى : الطنافس لها خمل رقيق مبثوثة كثيرة .

شرح بعض ما يعسر فهمه على بعض القراء من هذا الحديث .

على دلو بكرة : البكر بفتح الباء والكاف : خشبة مستديرة يعلق عليها الدلو لتسهيل نزعه من البئر ــ والقليب البئر . الذنوب الدلو الممتلئة ماء الغرب . الدلو العظيمة تتخذ من جلد ثور يعنى أن عمر لما أخذ الدلو عظمت فى يده وكبرت وذلك اشارة الى كثرة الفتوحات التى أجراهــا الله على يديه واتساع حوزة الاسلام ، ولم يقع مثل ذلك فى خلافة أبى بكر الصديق ، ولكن له مناقب أخرى كثيرة لا يشاركه فيها عمر .

والعبقرى : قال أبو عمر : وعبقرى القوم سيدهم وقيمهم وكبيرهم .

حتى روى الناس وضربوا العطن . قال فى اللسان العطن للابل كالوطن للناس ، يعنى حتى رويت الابل وبركت بمعاطنها ، كناية عما تقدم من كثرة الفتوحات والارزاق ، وانتشار العدالة والامن ، ورغــد العيش وصلاح الاحوال .

٥ ــ وأخرج البخارى عن سعد بن أبى وقاص قال استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش

يكلمنه ويستكثرن عالية أصواتهن على صوته — فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، فقال أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم . « عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب » قال عمر : « فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله » ثم قال عمر « يا عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله » فقلن : نعم أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إيه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك » .

قولهن « أنت أفظ وأغلظ » جرى أفعل التفضيل أيضا على غير بابه ، فان النبى صلى الله عليه وسلم ليس عنده شىء من الفظاظة ولا من الغلاظة حتى يشارك عمر فيهما ويكون عمر أشد منه فى ذلك ، قال الله تعالى « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » معناه برحمة الله وفضله لنت يا محمد لاصحابك فأحبوك ولو كنت فظا غليظ القلب لتفرقوا عنك . .

قال الجمل فى حاشيته على الجلالين : الفظاظة الجفوة فى المعاشرة قولا وفعلا ، والغلظة التكبر ثم تجوز فيه عن عدم الشفقة وكثرة القسوة فى القلب —

٦ — ومنها أن الله أعز به المسلمين ، فأخرج البخارى بسنده عن عبد الله يعنى ابن مسعود قال عبد الله ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر —

٧ — منها ثناء على رضى الله عنه على عمر ، أخرج البخارى عن ابن أبى مليكة ، أنه سمع ابن عباس يقول : وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع ، وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل أخذ منكبى فاذا على بن أبى طالب فترحم على عمر وقال : « ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى بمثل عمله منك ، وايم الله ان كنت لأظن ، أن يجعلك مع صاحبيك وحسبت أنى كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر »

٨ — ومنها بشارة النبى صلى الله عليه وسلم بالشهادة أخرج البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : صعد النبى صلى الله عليه وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: « أثبت فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيدان » .

٩ — منقبة التحديث والتكليم . ومنها ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فيما قبلكم من الامم ناس محدثون فان يكن من أمتى أحد فانه عمر » ، زاد زكرياء بن زائدة عن سعد عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فى من كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن فى أمتى منهم أحد فعمر » . .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح . والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الموافقات التى نزل

القرآن مطابقا لها ، ووقع له بعد النبى صلى الله عليه وسلم عدة اصابات .

١٠ ــ شهادة النبى صلى الله عليه وسلم بقوة ايمان عمر ، ومنها ما أخرجه البخارى بسنده فى صحيحه عن سعيد بن المسيب ، وأبى سلمة ابن عبد الرحمن ، قالا سمعنا أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما راع فى غنمه عدا الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها فالتفت اليه الذئب فقال له : « من لها يوم السبع ليس لها راع غيرى ، فقال الناس سبحان الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم فانى أومن به وأبو بكر وعمر وما ثم أبو بكر وعمر » انتهى ، يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم بالايمان أخبر لهذا الامر المغيب . .

١١ ــ كمال دين عمر :

وأخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدى ، ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص اجتره » قالوا فما أولته يا رسول الله قال : الدين .

١٢ ــ بشارة النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بالجنة :

أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى موسى رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط من حيطان المــدينة فجاء رجل فاستفتح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبى صلى الله عليه وسلم : افتح له (وبشره بالجنة) ففتحت له فاذا هو عمر فأخبرته بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله . ثم استفتح رجل فقال لى : افتح له وبشره الجنة على بلوى تصيبه فاذا عثمان ، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال : الله المستعان .

١٣ ــ ومنها قولــه « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » أخرجه الترمذى وأحمد وصححه الحاكم .

وهذا الحديث يدل على فضل عمر رضى الله عنه وتوفيق الله له لاصابة الحق ، وكذلك حديث التحديث والتكليم ، وأحاديث أخرى فى هذا الباب ولا يدل شىء من ذلك على أنه معصوم من الخطــأ فلا عصمة الا للانبياء .

واقتصر على هذا القدر من مناقب هذا الامام رضى الله عنه فانها لا تحصى الا بكلفة ولا يتسع لها المقام .

خلافتـــــه :

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب :

وولى الخلافة بعد أبى بكر بويع له يوم مات أبو بكر رضى الله عنه باستخلافه له سنة ثلاث عشرة فسار بأحسن سيرة ، وأنزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من الناس ، وفتح الله الفتوح بالشام والعراق ومصر ، ودون الدواوين فى العطاء ، ورتب الناس فيه على سوابقهم وكــان لا يخاف فى الله لومة لائم ، وأرخ التاريخ من الهجــرة الذى بأيدى الناس اليوم ،

وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين لقصة نذكرها هنا ان شاء اللـــه تعالى ، وهو أول من اتخذ الدرة وكان نقش خاتمه « كفى بالموت واعظا يا عمر »

ثم قال أبو عمر « وأما القصة التى ذكرت فى تسمية عمر نفسه بأمير المؤمنين ، فذكر الزبير قال قال عمر : لما ولى كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقال ، خليفة خليفة يطول هذا ، قال فقال له المغيرة بن شعبة « أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين ــ قال : فذاك اذن .

استشهاد عمر وسبب قتلـــه :

سبب قتله : المحافظـــة على اقامة العدل بين الناس .

قال ابن عبد البر عن الواقدى بسنده الى الزبير بن العـــوام قال : غدوت مع عمر رضى الله عنه الى السوق وهو متكىء على يـــدى فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، ألا تكلم مولاى يضع عنى من خراجى ، قال : كم خراجك قال دينار ، قال ما أرى أن أفعل انك عامل محسن ، وما هذا بكثير ثم قال له عمر: ألا تعمل لى رحى ، قال : بلى ، فلما ولى قال أبو لؤلؤة لأعملن لك رحى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب ، قال فوقع فى نفسى قوله قال فلما كان فى النداء لصلاح الصبـــح خرج عمـــر الى الناس يؤذنهم للصلاة قال ابن الزبير (راوى هذا الخبر عن أبيه) وأنا فى مصلاى وقد اضطجع له عدو الله أبو لؤلؤة فضربه بالسكين ست طعنات احداها من تحت سرته هى قتلته ــ فصاح عمر أين عبد الرحمن بن عوف فقالوا هوذا يا أمير المؤمنين فقال تقدم فصل بالناس ، فتقـــدم عبد الرحمن فصلى بالناس وقرأ فى الركعتين قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، واحتملوا عمر فأدخلوه منزله فقال لابنه عبد الله اخرج فانظر من قتلنى ، قال فخرج عبد الله بن عمر فقال من قتل أمير المؤمنين فقالوا أبو لولؤة غلام المغيرة بن شعبة فرجع فأخبر فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلى بيد رجل يحاجنى بلا الـــه الا اللـــه .

وقد روى أبو عمر وغيره فى قصة استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبارا كثيرة بأسانيدها وهى لا تخرج عن معنى ما تقـــدم ..

تثبته فى رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم

كان عمر رضى الله عنه متثبتا فى رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع أحدا يروى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصحاب رسول الله يتردد فى قبوله منه حتى يتيقن وهذا مشهور عنه فمن ذلك ما ذكره الحافظ الذهبى فى التذكرة ، وهو مروى فى كتب الحديث ان أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن ، فرجع فأرسل عمر فى اثره فقال لم رجعت ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع قال : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بـــك ، فجاءنا أبو موسى منتقعا لونه ونحن جلوس ، فقلنا ما شأنك فأخبرنا وقال : هل سمع أحد منكم فقلنا نعم كلنا سمعه فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره . أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبى موسى يقول صاحب آخر ففى هذا دليل على أن

الخبر اذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد .

ولا يلزم من كلام الذهبى رحمه الله أن يكون الخبر الواحد ليس بحجة أو أنه لا يفيد العلم ، وان كان أكثر العلماء من المتأخرين يقولون إن الخبر الواحد يفيد الظن فقط ، ولا يفيد العلم الا خبر التواتر ، قال المحققون ان خبر الواحد قد يحتف به من القرائن ما يجعله يفيد العلم ، وقد عقد البخارى رحمه الله لذلك بابا فى صحيحه وأورد حججا كثيرة فليراجع —

ولا يفهم من تثبت عمر رضى الله عنه أنه كان لا يقول بأن خبر الواحد حجة فانه رضى الله عنه هو نفسه حدث بأحاديث كثيرة انفرد بها وقبل خبر الواحد وجعل حجة حين كان يفتى بأن من أجنب ولم يجد ماء الا يتيمم بل يترك الصلاة حتى يجد الماء فجاءه عمار بن ياسر وذكر أنه كان معه فى سرية فأجنبا جميعا فأما عمر فترك الصلاة ، وأما عمار فتمعك كما تتمعك الدابة فى الصعيد ، فلما رجعا أخبرا النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمار : « إنما يكفيك أن تفعل هكذا » وضرب بيده الارض ضربة واحدة فمسح بها وجهه وظاهر كفيه صلى الله عليه وسلم فعند ذلك قال عمر لعمار أبصر ما تقول يا عمار ، فقال ان شئت لم أحدث به ، فقال لا بل نحملك ما تحملت والقصة مشهورة فى كتب الحديث . .

بعض مروياتـــه :

لا يتسع المقام لذكر كثير من مرويات هذا الامام وهى سهلـــة التناول فى كتب الحديث ، ولا سيما كتاب المسند للامام أحمد بن حنبل ، فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٣١٠) أحاديث ولكنى أردت أن أنتخب بعض مروياته لاختم بها هذا المقال تبركا ليكون ختامه مسكا وسأذكره بترتيب المحقق أحمد شاكر رحمه الله — ٨٩ — قال الامام أحمد بسنده عن معمر بن أبى طلحة اليعمرى إن عمر بن الخطـــاب قام على المنبر يـــوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال : رأيت رؤيا لا أراها الا لحضور أجلى ، رأيت كأن ديكا نقرنى نقرتين ، قال وذكر لى أنه ديك أحمر فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبى بكر فقالت : يقتلك رجل من العجم قال وان الناس يأمروننى أن استخلف وان الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التى بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يعجل لى أمر فان الشورى فى هؤلاء الستة الذين مات نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فمن بايعه منهم فاسمعوا له وأطيعوا ، وانى أعلم أناسا سيطعنون فى هذا الامر أنا قاتلتهم بيدى هذه على الاسلام أولئك أعداء الله الكفار والضلال وايم الله ما أترك فيما عهد إلى ربى فاستخلفنى شيئا أهم الى من الكلالة وايم الله ما أغلظ الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى شىء منـــذ صحبته أشد مما أغلظ لى فى شأن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى ، وقال تكفيك آية الصف التى نزلت فى آخر سورة النساء وانى ان أعش فسأقضى فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ وانى أشهد الله على أمراء الامصار ، وانى انما بعثتهم ليعلموا الناس ويبينوا لهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويرفعوا الى ما عمى عليهم ، ثم انكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهمـــا الا خبيثتين هذا الثوم والبصل ، وايم الله لقد كنت أرى نبى الله صلى الله عليه وسلم يجد ريحهما من الرجل فيأمر به فيأخذه بيده فيخرج به من المسجد حتى يؤتى به البقيع ، فمن أكلهما لا بد فليمتهما طبخا ، قال فخطب الناس يوم

الجمعة وأصيب يوم الاربعاء ، رواه مسلم أيضاً .

٩ — قال الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر قال . خرجت أنا والزبير والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها فلما قدمناها تفرقنا فى أموالنا ، قال فعدى على تحت الليل وأنا نائم على فراش ففدعت يداى من مرفقى فلما أصبحت استصرخ على صاحباى فأتيانى فسألانى عمن صنع هذا بك ، قلت لا أدرى قال فأصلحا من يدى ثم قدما بى على عمر فقال هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيبا ، قال أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم اذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم من عدوتهم على الانصار قبله لا نشك أنهم أصحابهم ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحقه به فانى مخرج اليهود فأخرجهم .

قال الامام أحمد بسنده عن الحارث بن معاوية الكندى انه ركب الى عمر بن الخطاب يسأله عن ثلاث خلال : قال فقدم المدينة فسأله عمر ما أقدمك ؟ قال لاسألك عن ثلاث خلال قال وما هن ، قال ربما كنت أنا والمرأة فى بناء ضيق فتحضر الصلاة فان صليت أنا وهى كانت بحذائى ، وان صلت خلفى خرجت من البناء ؟ فقال عمر تستر بينك وبينها بثوب ثم تصلى بحذائك ان شئت ، وعن الركعتين بعد العصر ، فقال نهانى عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعن القصص ؟ فانهم أرادونى على القصص ؟ قال ما شئت كأنه كره أن يمنعه قال إنما أردت أن أنتهى الى قولك قال : أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم فى نفسك ثم تقص فترتفع حتى يخيل اليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك .

فى هذا الحديث فوائد أذكر بعضها :—

الاولى : علوهمة السلف وجدهم وصدقهم فى طلب العلم فان الحارث ابن معاوية سافر الى عمر ليسأله عن هذه المسائل الثلاث وكان فى امكانه أن يكتب اليه أو أن يكلف أحد المسافرين أن يسأله ويأتيه الجواب .

الثانية : فقه عمر رضى الله عنه اذ أفتاه أن يجعل ثوبا يحول بينه وبين المرأة وتصلى الى جانبه فكأنه فهم أن الحكمة فى تأخر الزوجة اذا اقتدت بزوجها منع الملامسة وما أشبهها من الاستمتاع كالنظر فأباح صلاتها الى جانبه للضرورة .

الثالثة : كان عمر رضى الله عنه شديدا على من يصلى ركعتين بعد العصر حتى انه تغيظ على على بن أبى طالب حين صلاهما والذى نختاره وندين الله به أن النافلة بعد العصر لا تجوز حتى تغرب الشمس سواء أكان لها سبب أم لا . .

الرابعة : اللغة وما أعظمها من فائدة وأجدرها بالاعتبار وهى القصص ومعنى القصص فى لغة ذلك الزمان الوعظ والتعليم فقد خاف عمر رضى الله عنه على سائله مع فضله وتقواه وورعه اذا انتصب للوعظ والارشاد أن يشعر بالتعاظم والكبر فيخسر خسرانا مبينا فنهاه عن ذلك . .

ومحل ذلك اذا كان هناك من العلماء من يقوم لهذا الواجب ولم يتعين عليه والا وجب عليه أن يستعين بالله تعالى على النفس الامارة ويعظ ويعلم ويرشد ولا يترك الوعظ خوفا من ذلك . .

الحج

والعبادة المتكاملة

اذا لم يكن فى الفكر القرآنى غير تلك الصورة المتكاملة التى تستوعب فى خطوطها وألوانها أبعـــاد الوجود الانسانى كله ، فقد كفاها برهانا على عظمة هذا الدين الذى من الله به علينا وجعل منه طريق الهداية والرشاد .

عندما يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة المائـــدة : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليـــــكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .)) فقد قصد بهذا القول الكريم الى تقرير واقـــع الصورة التى يستخرجها المتدبر لآيات اللـــه وكلماتـــه المنزلة ويكتشفهـــا بكامل خطوطها وألوانها وفنون التعبير مرسومة فى دقة بالغة .

نعم أن القارىء المتدبر الذكى قادر بصورة من الصور علـــى استيعاب الرؤية القرآنية التى هى بدورهـــا حكاية دقيقة ومعجزة لواقع الانسان والكون وعلاقتهما بالخالق جل وعلا .

واذا كان هناك ما يغمض معناه على القارىء المؤمن فهو نابع مـــن العجز فى الفهم والقصور فى التفكير والانفعالية فى الرؤية .

كيف تفهم القـــرآن ؟ :

والسبيل الى فهم القرآن لا تتحدد ابعادها كما لا تتعين اتجاهاتها الا حين يدرس كلام الله ككل لا كآيات منفصل بعضها عن بعض . فالقرآن لا يفهم الا بالقرآن كله . تماما كما هو الكون الذى خلقه الله سبحانــــــه وتعالى وأخضعه لسنن وقوانين دقيقة ثابتة لا تتغير .

وكما أن الاخطاء فى فهم الكون ناجمة من اقتطاع جزء منه دون الاجزاء الأخرى فان الأخطاء فى فهم القرآن الكريم ناجمة هى بدورها من الاقتصار على تدبر آية أو آيات معينة دون بقية كلمات الله .

في الإسلام

للأستاذ رمضان لاوند

والجدير بالذكر أن هناك وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة والانفصام في ذكر الله . أن كل سورة بل كل آية بل كل كلمة تتردد بها معاني معينة أو تتكرر بها بعض المعاني دون بعض هي أشياء في صميم الرؤية الفكرية المتكاملة للقرآن الكريم .

في ضوء هذه الحقيقة التي نقررها بمثابة مدخل لدراسة آيات الله نستطيع أن نقول : ان المعجزة القرآنية ليست في ظاهرة معينة من التعبير بل هي في الظاهرات كلها .. البيانية منها والفكرية والأخلاقية والتعبيرية بالاضافة الى ما يتقرر بها من فنون التكرار والالحاح في معنى دون آخر وفي وجهة دون وجهة أخرى .

ان وحدة الوعي القرآني هي صورة لوحدة الوجود الكوني كله وبالتالي انعكاس لوحدة الارادة الخالقة والسنة التي تعين بها مسيرة الخلق من بعد . وقد علمنا سبحانه وتعالى هذه الحقيقة حين قال لنا :

١ — في الآية الثانية من سورة الفرقان : (ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا » .

٢ — في الآية الحادية والعشرين من سورة الحجر : « وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .

٤ — في الآية التاسعة والاربعين من سورة القمر : « انا كل شيء خلقناه بقدر » .

٥ — في الآية الثامنة عشرة من سورة المؤمنون : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض » ..

حتى السيول التي تسيل بها الوديان تتجمع بقدر معين ، والظاهرة نفسها تتكرر في وقائع الحياة والموت ،

والخراب والعمران ، والصحة والمرض ، وحركات الكواكب ،وتقلبات المناخ ، ومسيرة الرياح وغيرها من أجزاء الكون وأشياء الحياة ، كما تدخل فيها أيضا دقائق الانفعالات والافكار والعواطف .

هذه الوحدة ندركها من خلال آثارها وهى موضع لتناقضات عجيبة مدهشة فيها الكون والفساد والبقاء والفناء والثبات والتغير . وهى كلها تتعاقب على نحو معين وتبرز للمشاهد على صور متعددة من التغيرات خلا ظاهرة الوحدة فى الوجود التى لم تفسد أو تتفتت حتى اليوم وستبقى حتى يأتى أمر الله .

ولما كانت وحدة الخلق والتكوين تعنى وحدة التفكير والسلوك والتصرف فقد وجب أن تكون الوحدة فى الرؤية القرآنية على صورة الوحدة الشاملة فى الكون كله .

هكذا فطر الله السماوات والارض وما فيهن ، وهكذا يجب أن يكون الفكر القرآنى حكاية لهذه الفطرة وظاهرة من ظاهرات التعبير عن الحقيقة التى هى وحدها سبيلنا الى الله .

العبـــادات :

وكما أن كل ذريرة من ذريرات الجزئيات الدقيقة جانب ضرورى من جوانب الاستمرار فى هذه الجزئيات فان كل أمر أو نهى هو أيضا جانب ضرورى من جوانب التكامل فى الوحدة القرآنية .

يدخل فى ذلك بالطبع فنون العبادات وألوان المعاملات ، وكل أنواع السلوك والتصرف ، وينابيع التأمل والتدبر ، والعجز عن ادراك هذه الوحدة المعجزة أو المعجزة الموحدة فى القرآن الكريم لا يعنى انتفاءها وعدم وجودها بل يبدو لنا حافزا يحفزنا جميعا لاعادة النظر وتقليب وجوه الرأى والتأمل العميق فى أبعاد الفطرة حتى يأتى اليوم الذى تكتشف فيه تلك الوحدة القرآنية المعجزة .

الشمول فى العبادات :

واذا كانت هناك عبادات معينة ذات شروط وحركات خاصة من مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة والنطق بالشهادتين فهى لا تقف عند هذه الحركات والتصرفات وحسب بل تنتشر فى عالم الانسان كله وتنسحب على فنون فكره وعقله حتى يكون كل أمر ذى بال من أمور الانسان شيئا داخلا فى مفهوم هذه العبادة . أو ليس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال لأصحابه : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أجزم » ؟ أو ليست البسملة هنا أعلانا عن نوع من أنواع العبادة ؟ أو ليست تعبيرا عن ارادة الوحدة فى تقرير الارتباط الشامل والواعى بين الانسان وربه وبينهما والكون كله .

عبادة الحـج :

فى ضوء هذا المفهوم الشامل للعبادة نستطيع أن نتعرف الى الخطوط الرئيسية فى صورة العبادة كما نتعرف الى اللمسات الدقيقة التى ترافق هذه الخطوط فتكتمل بها صورة العابد وبالتالى يتم بها التكامل الذى يجعل من الانسان وجودا فى مكانه الطبيعى من الوجود الكونى كله .

فالحج ركن من أركان الاسلام . اذا تركه المسلمون مع توفر شروطه فقد أرتكبوا أثما عظيما ، وافتقدوا بالتالى الشخصية الاسلامية التى تحكى حكاية الفطرة ، والتى أطلق

الله سبحانه وتعالى عليهـــا اسم (الفطرة) بالذات أو ليس أنه يقول فى محكم كتابه « فطرة الله التى فطـــر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » ؟

قصـــة الحج :

والحج ليس عبادة مشرعة مـــع الاسلام وحسب ، فهو قديم قـــدم الدعوة الى الله ، بدأ منذ بدأ وجود مكة فها هو سبحانه وتعالى يقول فى الآية ٩٦ من سورة آل عمران « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكـــة مباركا وهدى للعالمين » . واذا فالعبادة لله قد نشأت لأول مرة وخصص لها بيت لأول مرة أيضا فى مدينة مكة . ولم تكن هناك عبادة يمارسها الانسان قبل نشوء هذا البيت المطهر الكريم . أما الاحداث والتغيرات التى تعاقبت من بعد فانها لا تغير من حقيقة الحج أبدا .

على ان عبادة الحج الى بيت الله الحرام تدخل فى التاريخ المعروف مع ظهور ابى الانبياء ابراهيم الخليـــــل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . واذا كان القرآن الكريم لم يحدثنـــــا حديث مكة والحج قبل هذا التاريخ فهو لا يعنى عدم وجودها بل يعنى أن حركة التاريخ الانسانى الذى ارتفع الـــى مستوى الدعوة المنظمة والمقررة فى كتب أو صحف منزلة قد انطلقت منذ أيام ابراهيم الخليل .

وهذا هـــو السر فى ان الآيات القرآنية قد حدثتنا عن جهود ابراهيم وولده فى رفع القواعد من البيت أى فى رفع الجدران فوق قواعده المقررة الثابتة . فهو يقول فى الآية ١٢٧ ، ١٢٨ من سورة البقرة : « واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتـــب علينا انك انت التواب الرحيم » .

ان الحقيقـــة التى نخرج بها من هاتين الآيتين هى أن الجدران التـــى رفعت فوق القواعد من بيت مكة أعلان عن مرحلة جديدة فى تاريخ الدعـــوة الى الله . وقد تقررت بتلك الخطوة ظاهرة الاسلام باعتبارها رسالـــــة الانسان نحو نفسه ونحو الآخـــرين حتى يوم القيامة . لقد دعا ابراهيم وابنه اسماعيل ربهما أن يجعلهمـــا مسلمين له وأن يخرج من ذريتهما أمة مسلمة له ايضا .

وليس هذا وحسب فقد أوحى الله اليهما أن يطالباه ببعث رسول أو رسل من هذه الأمة يتلو عليهم آيات اللـــه ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم كما جاء فى الآية ١٢٩ من سورة البقـــرة نفسها « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتـــاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيـــز الحكيم » .

هذا الموقف الدينى التاريخى منح بيت مكة مكانة خاصة من دون بيـــوت الله الأخرى . فكان الحج اليه بمثابة الاحتفال الدورى بالرسالة التى يرمز اليها ، والمهمة التى يقوم بهـــا فى مسيرة العقيدة البشرية .

فى هذا البيت يجد الناس مثابـــة وأمنا ويحسون فى جـــواره بالرضى والطمأنينة ويقتربون فى ظلـــه مـــن رحمة الله عز وجل ، ثم يجدون شيئا آخر فيه هو المصلى الذى تتطهر به النفوس .

واذ تقرر فى علم الله أن يكـــون الحج الى هذا البيت الكريم آية على كل هذه المعانى فقد توجه الأمر الـــى ابراهيم واسماعيل عليهمـــا السلام بالمبادرة الى تطهيره واعـــداده بحيث يصبح صالحا للطائفين والعاكفين على

العبادة فيه من راكعين وساجدين ، هذه المعانى نجدها فى قوله تعالى فى الآية ١٢٥ من سورة البقرة . « واذ جعلنا البيت مثابـة للناس وأمنا واتخذوا من مقـام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيـل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

ولكن كيف يمكن الاحتفاظ بهـذا البيت على الصورة التى أرادهـا الله له ؟

ويجيب ابراهيم الخليل عليه السلام على هذا التساؤل بوحى من السماء فيتوجه بالدعاء الى الله يسأله أن يجعل مكة بلدا آمنا وأن يرزق اهله من الثمرات بحيث تستمر أسبـاب الحياة فيه ويكون فى كـل الظروف صالحا لاستقبال أفواج الحجاج اليه .

وردهذا المعنى فى جزء من الآيـة ١٢٦ من سورة البقرة حيث يقـول تعالى ، « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » .

نقطـة ارتكـاز :

حتى هنا تبرز مكة فى تاريخ الدعوة الى الله مرتكزا تدور جهود المؤمنين من حوله يلجأون اليه فى كـل عام ليتبادلوا فيه الرأى ويغزوا بحرمته ومعناه حرارة العقيدة وارادة الكفاح من أجلها ، ويجدوا الى جانب هـذا الغذاء الروحى ، بفضـل الاحساس العميق بوحدة الرسالة والمصير منافع لهم تمهد الطريق لتبادل المصالـح المادية عن طريق التجـارة أو تبادل المساعدات بحيث يتم التلاحم،ويتكامل التواد ، وتتعمق جذور الوجود المادى والروحى لمجتمع المسلمين فى العـالم كله .

اغراض اخـرى :

وفى تقديرنا أن هـذا الوادى المحروم من الماء والزرع قد وقـع الاختيار عليه لأغراض أخرى غير التى ذكرناها من قبل .

أولا : أن القحولة فى أرضه وسيلة لتذكير الانسان بعريه أمام اللـه ، يخرج فيها من حوله وطوله ومالـه ورزقه ليجد نفسه أمام الذات الالهية فقيرا اليه سبحانه ، وتتضح فى نفسه أمام الصورة الكاملة للسلطة الالهية العليا والوحيدة ، فليس اشد اغراء للانسان واثارة لغروره من أن يجـد معالم الثراء تحيط به من كـل جانب

ثانيا : أن الناس فى حاجة مستمدة الى ينبوع يلجأون اليه كلما نزل بهم ضر أو أغواهم الشيطان أو صرفتهم الصوارف عن ذكـر الله وليس كالصحراء بما فيها من العرى التام ومن العزلة عن متاع الدنيا وزينتهـا مصدرا لمثل المعنى الذى تحدثنا عنه قبل .

ثالثا : أن التربية الاعتقادية فـى الاسلام قد قصدت ، بجعل الوادى القاحـل مكانـا لعبـادة الحـج ، الـى أن تعلـن حقيقـة نفسية اجتماعية هى أن عناصر التقدم فـى المجتمع ليست محددة بمواطن الثروة المادية وحسب ولكن هذه العناصر فى حاجة مستمرة الى تلـك الطاقـة الروحية والمتوفرة فى مفهوم العبادة المحضة ، والتى بدورها تغذى ارادة التعاون والتجمع والجهاد . واستمرار مكة مدينة حافلة بالحياة رغم كـل الظروف وكل المعوقات المادية هـو الآية والعلامة على أن العامل الروحى الـذى تصنعـه العقيدة هو عنصر أساسى من عناصر التكوين المجتمعى ومصدر لانطـلاقة مسيرة الحضارة البشرية .

ان قدرة العقيدة على استقطاب الرجال والنساء واجتذابهم لزيارة هذا الوادى المبارك هى وحدها التى تفسر احتفاظ مدينة مكة بوجودها الدائم .

رابعا : أن وجود البيت الحرام فى الارض القفراء والذى يرمز الى الوجود المستمر للعقيدة الاسلامية يبدو لنا بمثابة الضمانة المادية دون انصراف الاطماع الكافرة اليه . فليس فى ارضه ما يغرى أعداء الاسلام على اجتياحه أو يدفعهم الى القضاء على معالمه الدينية .

اخلاق الحج :

اذا كان البيت الحرام مثابة للناس وامنا ، واذا كان وادى مكة مكانا صالحا للعبادة ولتبادل المنافع بين الناس كما جاء فى بعض آيات الذكر الحكيم ، فقد وجب أن يكون السلام شرطا أول للحفاظ على هذا الأمن وتلك المثابة من ناحية ، ولتوفير الظروف المادية التى تساعد على تبادل المنافع بين الناس من ناحية اخرى ، كما وجب أن يتقيد المؤمن بأخلاق الأتقياء فيمتنع عن كل تصرف أو سلوك يتعارضان مع مفهوم العبادة أولا والسلام ثانيا ، ومن هنا كان قوله تعالى فى الآية ١٩٧ من سورة البقرة « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب . »

فى هذه الآية القرآنية دعوة صريحة للتجاوب مع معنى المثابة والأمن فى مكة خلال أيام الحج ، أنها دعوة للامتناع عن فحش الكلام وعن الخروج على حدود الشريعة بل هى دعوة للامتناع عن الخصومة والمشاحنات حتى فى دقيق الأمور وصغيرها ، ان السلام فى فترة الحج يجب أن يكون ظاهرة شاملة فى داخل النفوس ونفى العلاقات بين الناس ، انه يعنى التطهر الكامل فهو يذكرنا بما يمكن أن نسميه اليوم بعملية غسل القلوب والعقول من أدران النيات الفاسدة ومن أغراض الشهوات الدنيا .

فاذا بلغ الحاج المؤمن هذه المرحلة من التطهر الذاتى ، وبعد أن يصبح السلام هو المحتوى الحقيقى لعالمه الخاص فى ظاهره وباطنه ، فان فى وسع الناس من بعد أن يبتغوا فضلا من ربهم،وأن يتبادلوا التجارات وأن يحققوا المكاسب المشروعة بالحفاظ على حدود الله .

عملية تربوية متكاملة :

فى ضوء هذه الصورة الدينية التى رسمها القرآن الكريم لعبادة الحج نستطيع أن نستبين الأبعاد الحقيقية للتربية الاسلامية ، هذه الأبعاد تعنى أن الغرض من الحج هو الغرض المقصود نفسه من عبادة فى الاسلام أو من الثقافة الاسلامية كلها ، فالعبادة فى الاسلام ليست مجرد طقوس تؤدى ، ولكنها طقوس يقوم بها صاحبها فى صميم حركة الحياة اليومية بكل ما فيها من تبادل المنافع واختلاط المصالح واشباع الرغبات .

والناس فى نظر الاسلام ليسوا ملائكة معصومين من ضغط المطالب الدنيوية ، ان مهمتهم لا تقف عند العبادات الروحية المحضة ذلك أن عباداتهم تنسحب فى معانيها واعراضها على اشياء الحياة العملية .

الطواف حول الكعبة عبادة محضة، ولكن الطواف يشتمل على معنى يجب أن ينسحب على التجارة أيضا ،

فالتجارة الصالحة عبادة ولا يبلغ الطواف غرضه المقصود الا بالقيام بالعمل الصالح ، وفى هذا الربط الذى يشد التجارة الى العبادة ، ويجعل منهما طرفين لوجود واحد مشترك آية على أن الوجود الانسانى كله هو عملية تعبدية .

فالعمل المتقن عبادة ، والكفاح فى سبيل رفع مستوى العيش ، وتوفير اسباب الراحة للناس عبادة ، وحسن السياسة فى التعامل مع الناس عبادة شرط أن تكون وراء كل هذه التصرفات الدنيوية ارادة العمل لوجه الله والاستنارة بنور الله .

الحج كل وجزء من الكل :

واذا فالحج عبادة متكاملة تتلاحم بها العقيدة والعمل ، ولكنه فى الوقت نفسه جزء من العبادة الشاملة فى الاسلام ، ان العملية التربوية فى عبادة الحج تتكرر على صور اخرى فى عبادات الصلاة والصوم والزكاة ، وان كلا من هذه العبادات وحدة متكاملة تستوعب الفرض العام من الدعوة الى الله ، ولكنها فى الوقت نفسه جزء مكمل للعبادات الأخرى بحيث لا تغنى الواحدة منهما عن غيرها أبدا . هذا هو معنى الرؤية المتكاملة فى العقيدة والشريعة ، أنها تستوعب كل الأوامر والنواهى بحيث تتحقق بها وحدة التربية الدينية الشاملة .

بين العبادة والكون :

ولتقريب راينا فى مفهوم العبادة نستطيع أن نقول ان البناء الكونى العام هو صورة لمفهوم العبادة فى الاسلام ، فاذا كانت الذرة البالغة الصغر ، كما يقر علماء الفيزياء صورة لحركة الكواكب فى الفضاء كما يقررها علماء الفلك فان هذا لا يعنى أن الكون فى بنائه الذرى يمكن أن يستغنى عن بنائه النجمى ، ان وحدته تتحقق بتحقق التلاحم بين بناء الذرة وبناء المجرات ، فالكل أجزاء لوحدة متكاملة لا يلبث أن يفقد أصالته حين ينفصم أى جزء منه عن الأجزاء الأخرى ، هكذا العبادات فى الاسلام طقوسا تؤدى أو تصرفات تصدر عن صاحبها ، هذه وتلك وحدة متكاملة لا انفصام لاجزائها بعضها عن بعض .

فى ضوء هذا المفهوم نواجه عبادة الحج ، ومن خلاله نضيع هذه العبادة فى صميم البناء التعبدى الاسلامى كله ، واذا كان المسلمون اليوم يفتقدون النتائج المترتبة على العقيدة والعمل فى الاسلام ، وهى التى وعدنا الله بها فى كتابه الكريم ، وفى مقدمتها النصر والعزة والسيادة فلان العابد المسلم يعيش حالة من الانفصام يفتقد معها الاحساس القوى بوحدة العملية التربوية فى الاسلام .

ان النطق بالشهادتين هو المدخل الوحيد للانضواء فى عالم الاسلام وللالتزام بمسؤولياته كلها ، فاذا لم يكن الانضواء كاملا والالتزام شاملا ، فقد فقد النطق بالشهادتين وحدته والغرض والمقصود منه ، ان الاسلام لا يؤخذ بعضه ويترك بعضه بل يشترط فى صاحبه أن يحتفظ به وحدة متكاملة الأجزاء .

نفقات حج عمر

لقى سفيان الثورى الخليفة ابا جعفر المنصور فى منى ، فقال له سفيان ــ اتق الله فانما انزلت وصرت فى هذا الموضع بسيوف الانصار والمهاجرين وابناؤهم يموتون جوعا .

لقد حج عمر بن الخطاب فما انفق الا خمسة عشر دينارا ، وكان منزله تحت الشجر فقال له ابو جعفر ــ اتريد ان اكون مثلــك ، قال : لا تكن مثلى ولكن كن دون ما انت فيه ، وفوق ما انا فيه .

تأويــل آيـــة

قوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج) احرم فيهن .

وقوله سبحانه (فلا رفث ولا فسوق ولا جــدال) الــرفث الجماع ، والفســوق السباب والجدال ــ ان تمارى صاحبك حتى تغضبه .

دخــول الكعبــة

عن عائشة ام المؤمنين قالت ــ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال ــ صنعت اليوم شيئا لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت ما صنعته ، قالت ــ قلت وما ذاك يا رسول الله ؟ قال دخلت البيت وانه لم يكتب علينا دخوله إنما كتب علينا طوافه .

الصلاة على رسول الله

عن كعب بن عجرة قال ــ لما نزلت (يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ــ يا رسول الله ــ هذا السلام عليك قــد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟فقال ــ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد .

الانسان بين المادة والروح

ندوة ثقافية اشترك فيها :
سعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية والشيخ محمد الغزالي

اعداد الأستاذ : عبدالله خلف

اقامت اللجنة الثقافية بجمعية الهلال الاحمر الكويتي امسية ثقافية ، اشترك فيها وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ راشد الفرحان والشيخ محمد الغزالى مدير ادارة الدعوة والارشاد بوزارة الأوقاف فى جمهورية مصر العربية ، وطرحت فى هذه الأمسية ندوة عنوانها : « الانسان بين المادة والروح » وقدم الأستاذين لجمهور الحاضرين الأستاذ سعدون الجاسم وكيل وزارة الاعلام بكلمة مناسبة .

* * *

بدأ الندوة فضيلة الأستاذ محمد الغزالى فتكلم عن الفكرة القديمة التى كانت سائدة حول الجسم والروح قبل أن يظهر الاسلام بتعاليمه الهادية . وبين أن هناك صراعا قديما بين الجسم والروح وأن فكرة سادت فى تلك الفترة أعلنت بأن كمال احدهما لا يتم الا على حساب الآخر وان طلاب التسامى الروحى قديما كانوا يلجئون الى رياضات عنيفة بدنية شاقة يكبتون فيها غرائزهم ويعودون فيها أبدانهم كثيرا من المشقات والصعاب ويعتقدون أنه لا سبيل الى ادراك الصفاء النفسى الا على أنقاض بدن مهشم قد خذلته قواه وضعفت أركانه وذلك هو السبيل الى سناء النفس وزكاة الروح . كأن الروح والبدن كفتا ميزان ما ترتفع أحداهما الا على حساب انخفاض الاخرى كان ذلك قديما هو الفكر السائد . وربما احتضنه الهنود القدماء وكانت الرهبنة الهندية والرياضات التى نجمت عنها عبارة عن وأد البدن واذلاله وتكليفه ما لا يطيق، وتسللت هذه الى المسيحية وكانت الرهبنة ودعا اليها بعض الصوفية المتطرفين .

نظرة الاسلام :

آمن الاسلام بالروح والجسم معا ونظر للانسان نظرة متكاملة فهو انسان



اقامت جمعية الهلال الاحمر الكويتي ندوة عنوانها (الانسان بين المادة والروح) وقد اشترك فيها وزير الاوقاف والشئون الاسلامية راشد الفرحان وفضيلة الشيخ محمد الغزالى مدير ادارة الدعوة بوزارة الاوقاف في جمهورية مصر العربية ،وحضرها عدد كبير من المواطنين . ويبدو في الصورة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وفضيلة الشيخ الغزالى اثناء الندوة .

بعقله وبدنه وأفكاره وغرائزه ، هو انسان كل لا يتجزأ وانه يجب أن ينظر اليه على انه هذا الكيان المتكامل المتماسك .

وبالنسبة الى الجسم نظر الاسلام اليه نظرة فيها شيء من الاعجاب . قال الله تعلى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » . ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا الجسم باعجاب ايضا فيروى أصحاب السنن عنه أنه كان وهو ساجد يقول :

« سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين » .

هذا الجسم ما ينبغى قط أن يهمل أو يضيع . فالآلة الميكانيكية التى تخدم الانسان يعطيها الانسان كثيرا من رعايته واهتمامه فكيف بهذا الجسم العجيب الذى خلقه الله سبحانه .

وموضوع الجسم وحاجة الانسان فى حياته وأفعاله كلها أعمال مادية اهتم بها الاسلام كما اهتم بحياة الانسان الروحانية . اهتم بالجسم والروح فى الدنيا والآخرة ويتضح ذلك فى دعوات المسلم عندما يسأل الله العفو والعافية ، العافية لبدنه والعفو لنفسه فى الدين والدنيا والآخرة ويسأل الله الأمرين فى المعاش والمعاد : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » . ونرى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : « اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا اله الا أنت » . قال العلماء استعاذ به من الكفر لأنه ضياع الآخرة واستعاذ به من الفقر لأنه ضياع الدنيا . والاسلام يهتم بالدنيا والآخرة على سواء . قال تعالى « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا » . . ونسمع فى أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطالة » . عندما استعاذ به من

الخيانة فانه يستعين به من الرذائل التى تستهلك دين المرء وتضيع ضميره وأخلاقه وعندما يستعيذ به من الجوع فهو يستعيذ به من الازمات التى تجعل الانسان ينطلق فى الدنيا وليس له وقود يتحرك به وليس له ما يجعل الدنيا فى عينيه ويجعلها ميدانا لأداء رسالته فيها .

واهتم بالجسم من ناحية النظافة وجعلها رمزا ودلالة على الايمان ، لهذا فرض الطهارة المستمرة لأطراف الانسان والمواضع التى تنشط فيها الافرازات عادة كما أوجب الاغتسال ، ولم يخص النظافة بجسم الانسان وحده بل الزمه النظافة العامة وعدم مضايقة الآخرين برائحة غير كريمة . نرى ذلك فى الاغتسال والتطهير عند الصلاة والتطيب عند دخول المساجد واتخاذ الزينة فيها . ولهذا قرر الفقهاء ان المريض فى فمه الذى تظهر منه رائحة كريهة تسقط عنه صلاة الجماعة وتسقط عنه صلاة الجمعة فلو أن انسانا فيه مرض البخر أو أى مرض تؤذى الآخرين رائحته فان صلاة الجماعة والجمعة تسقطان عنه ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على أن الاسلام يتجه الى النظافة العامة . واجمل من هذا اهتمام الاسلام بالزينة ، وغريب أن يهتم دين بزينة الانسان فقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا عليه ثياب رثة فقال له : الك مال ؟ فقال نعم . من كل أنواع المال آتانى الله . قال : فلير اثر هذا عليك ، ان الله يحب أن يرى اثر نعمته على عبده .

وراى رجلا ثائر الراس فقال :

« اما وجد هذا ما يسكن به راسه » فلما سرح راسه ورجله وطيبه قال صلى الله عليه وسلم « هذا خير من أن يجيىء أحدكم ثائر الراس كأنه شيطان » . والرسول كان جميلا ونظيفا وكان الناس اذا وجدوا رائحة كريمة فى مكان قالوا لعل محمدا مر من هنا لأن الرائحة الطيبة كانت تتبعه حيث كان قد عرف بهذا .

سأله احد الناس أحب أن تكون نعلى حسنة وثوبى حسنة اهذا من الكبر قال لا هذا جمال والله جميل يحب الجمال . ومن لطائف القرآن الكريم فى هذا قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » كأن زينة الحياة أصلا كانت للمؤمنين ولكن سمح أن يشركهم فيها الكافرون فى الدنيا ثم ينفردوا بها فى الآخرة دون الكفار .

وبعد ان بين فضيلة الشيخ مواضع الأخذ بالنظافة والطهارة والزينة من النصوص المشرعة فى الاسلام من القرآن والسنة ، وأسهب فى الندوة مع الشرح والايضاح تناول جانبا آخر وهو مكانة المسلم فى هذه الدنيا ، وكيف أن عليه أن يعيش مكرما فيها قويا لا ذليلا ضعيفا يحيا على هامشها ؟؟ ان الاسلام دعا المسلم أن يعيش ملء هذه الدنيا .

وقد رد فضيلة المحاضر على بعض دعاة التدين الذين يذهبون الى أن الايمان لا يكمل وان التقوى لا تتم الا اذا كان الانسان غير ممكن من الدنيا أو بعيدا عن ثرائها وجاهها أو محروما فيها ومن طيباتها ، وضح الشيخ الغزالى لهؤلاء رأى الاسلام بالآية الكريمة التى تحدث الله تعالى بها عن يوسف عليه السلام بعد أن اسند الى يوسف منصب تدبير المال :

« وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوء منها حيث يشاء » ثم قال : « نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » . . هذا التمكين لا يقصد منه الا التمكين فى الحياة الدنيا وليس عن حياة الآخرة لقوله تعالى بعد ذلك مباشرة « نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » .

كما أوضح راى الاسلام فى هذه الموجة الانسحابية التى انتشرت فى العالم الاسلامى وتشبعت بأفكار المتصوفين الحمقى المتطرفين وردد اقوال الأئمة المتصوفين الصالحين الفاقهين ، وروى أن رجلا وضع يده على ملابس أبى الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الصوفية المعروفة وقال له يا امام أهذا ثوب يعبد الله فيه ؟ وكان ثوبا فاخرا فقال له الحسن :

ثوبى ينادي علي بالغنى عن الناس أما ثوبك فينادى عليك بالفقر على الناس وقال له آخر :

انى اترك اناء الماء فى الشمس حتى اشرب الماء ساخنا لأن نفسى تريد الماء باردا وانا أريد أن أكبت نفسى فقال له : انقل الماء من الشمس الى الظل فانك ان شربت الماء باردا ثم حمدت الله انتزعت الحمد من أعماق قلبك . هذا اتجاه رجال الصوفية الأتقياء عندما كانوا فقهاء مثقفين مدركين لمعالم الشريعة التى ينتسبون اليها فلما جاء ناس بعد ذلك لا قدم لهم فى الفقه روجوا ، محبة الفقر بين الناس واشاعوا نوعا من البطالة فى الاسلام وجهلوا أن يتصوروا أن دينا لا مال له لا ينتصر ، ويستحيل أن تكون لدين عدة جهاد وهو فقير ومحروم من القدرة المالية التى يعد بها سلاحه وجيشه وعلى أن يلقي الأعداء . وكان انسحاب هؤلاء من الحياة العامة سببا فى شرور كثيرة .

والاسلام حدد مكانة الانسان بين الروح والمادة ويتضح ذلك فى مواضع كثيرة أشار اليها كتاب الله وما يخص المال قال : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » فالمال قيام الانسان ، ويقول فى وصف المال انه خير « وانه لحب الخير لشديد » ويقول سبحانه « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا » كلمة خير هنا بمعنى المال . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص بعد اسلامه وقد بعثه فى غزوة من الغزوات : « سأبعثك فى غزوة تغنم فيها وتسلم فشعر عمرو وكأن هذه الكلمة تتهم ايمانه فقال : يا رسول الله انا ما أسلمت طلبا لمال فقال له الرسول : يا عمرو نعم المال الصالح للعبد الصالح .

وبعد ذلك تناول المحاضر ناحية أخرى انفرد فيها الاسلام عن الشرائع الأخرى وهى نظرة الاسلام الى الجنس . الجنس الذى اذله رجال الديانات السابقة بالرهبنة والرياضات القاسية والتزمت ، جاء الاسلام وحدده ولم يغفله لأنها فطرة فطر الله الانسان عليها ومشاعر خلقها الله فى الانسان ، كما خلق الطعام ودله عليه بحدود معينة وعلمه الحلال منه والحرام وكيف يقدم عليه . وكما وفر له أى نعمة من نعم الله الأخرى وهداه اليها وجعل لها أنظمة وحدودا تكفل له الهناء والسلام واحترام النفس واكرامها . وتناول الشيخ الغزالى باجمال نظرة الدول الغربية للجنس وموقفها بين الرهبنة والاباحة وعدم التزامهم بنظم اخلاقية معينة وكيف ولد عندهم الانفجار الأخلاقى والابتذال بالجنس بالطرق غير المألوفة وبطرق

الحرام والضياع . اما الاسلام فكانت نظرته نظرة طبيعية بالنسبة للجنس .. ما قال الاسلام قط ان غريزة تولد فى الانسان وينمو كيانه عليها ويتصل وجوده بها يمكن أن تكون شرا ابدا ، نظر اليها كما نظر الى المتع والنعم الأخرى اذا كانت من مصدر شريف ومن كسب حلال مع عفة وادراك لوظيفة الانسان فى الارض ، وقد ساق الله هذه النعمة وسط نعمه الكبرى التى تفضل بها على عباده « ومـــن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون » .

« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

وكما اهتم بالسمو المادى اهتم بالسمو النفســـى وكما اهتم بالطهـــارة الجسدية اهتم بالطهارة النفسية .

ومن حكم ابن عطاء السكندرى الصوفى : اذا مدحك أحد فانما مدح نعم الله عندك والفضل لمن منحك لا لمن مدحك .

والروحانية هنا ليست بالتجرد من الدنيا والجسد ، ولكنه غذاء فكرى يجب على المسلم أن يهتم بعقله وبدنه وليس كالدابة التى تعيش لتأكل فقط بل الانسان يأكل ليعيش وفى عيشه يطلب لجسمه وعقله معا .. وبعد ذلك تحدث سعادة وزير الأوقاف الأستاذ راشد الفرحان فى نفس الموضوع الانسان بين المادة والروح . وموعدنا للحديث عن الجزء الآخر من الندوة العدد القادم .



مساجد الكويت

مسجد الميلم

يقع مسجد الميلم الفخم الذى بناءعلى نفقته الخاصة الحاج محمد عبد العزيز الميلم على شارع الرياض أحد شوارع الكويت الفسيحة وقد اسس هذا المسجد فى ٤ ذى الحجة ١٣٨٧(٣/٣/١٩٦٨ م) ٠

وتلفت الناظر الى المسجد هــذهالمئذنة السامقة التى تعبر بجــلال عن تسامى القلوب المؤمنة الى السماء فىشوق ومحبة وهى أعلى مآذن الكويت على الاطلاق وقد غطيت فتحاتهــاالمستطيلة بالزجاج الاخضر حتى اذا أضيئت ليلا ســطعت شعلة خضراءتحيط بها هالات وسط الظلام يراها الناظر من مسافات بعيدة ٠

ويحيط بالمسجد سور له أبــواب أربعة وقد بنى على أحد جوانبه سبيل به مبرد كبير للماء للمارة والمصلين وحين تدخل السور فانك ترى خضرة العشب فى شبه حديقة صغيرة صفت فيها مقاعد رخامية أعــدت كى يجلس عليها من ينتظر فتح أبواب المسجــد للصلاة ٠

والمسجد على الطراز العربى المزين بفنون النقش العربى ذى الاشكــال الفنية الرائعة وفى داخل هذا السور مبنى لدورة المياه وهو مزود بالمــاء الساخن والبارد كما يضم غرفتيــن خصصتا لموظفى المسجــد وبه كذلك مبرد للماء ٠



منظر لمسجد الميلم من بعيد تحيط به الاشجار ٠

أما المسجد ذاته فانك ما تكاد تدخل من احدى بواباته الثلاث الحديدية ذات الزجاج الاخضر والقبضات النحاسية حتى تطأ أقدامك أرض الساحة الكبيرة التى تتصدر المسجد وهى معـــدة لاستيعـــاب المصلين عنـــدما يزدحم المسجد فى صلاة الجمعة والعيدين ، وقد ظللت مساحة كبيرة من هـــذه الساحة وأقيم سقفها على أعمـــدة كسيت بالرخام الابيض وأرضيتهـــا من الرخام الملون .

وعندما تدلف الى المسجد فانـــك لا بد ستدهش برهة من الوقت امام الفن الرائع الجمـــال ، فالمسجـــد تعلوه قبة كبيرة تكـــاد تغطى ثلث مساحة المسجد وقد أضيئت اضاءة غير مرئية بالنور الابيض (النيون) تتدلى منها ثريا كبيرة تضفى عـــلى المسجد ضوءا أخاذا بجانب الضـــوء الـــذى ينبعث من الثريات الكثيـــرة المتقاربة المتدلية من السقف .

أما الاعمدة الاربعة التى تقـــوم عليها هذه القبة فهى من الرخـــام الابيض وقد حفلت جدران المسجـــد بفنون هندسية متناسقة وحفرت عليها اللوحات القرآنية الجليلة والمذهبـــة بينما علقت لوحـــات أخـــرى بيـــن كل نافذة وأخـــرى من نوافذ المسجد الكثيرة ذات الطراز العربى المستطيل والمصنوعة هى والابـــواب من خشب الساج العظيم وفى جدران المسجـــد خزانات مصنوعة من خشب الساج وقد أعدت كخزائن للكتب فى وضع هندسى رائع بحيث تعتبر مكتبة كبيرة

فاذا تقدمت على السجاد ذى اللون الاخضر الهـــادىء الذى فرشـــت أرض المسجد به وخطوت نحـــو المحراب أخذت بلبك الاضواء غيـــر المباشرة التى تحيط بالمحراب وتوحى للنفس بكل معانى الاجلال والرهبـــة وخاصة عندما تنعكس هذه الاضواء على حائط المحراب الذى غطى بطبقة من المربعات الصغيرة ذات اللـــون الذهبى ويحف بالمحراب شرفتان تطل نافـــذة كل منهما على المصلين واليمين منهما شرفة فسيحة يقف عليها خطيب المسجد .

أما الشرفة الثانية فعبارة عن غرفة صغيرة مزودة بتليفـــون وبكافـــة



وهذا منظر آخر للمسجد عن قرب

الاستعدادات اللازمة لنقل الاذاعـــة والتلفزيون شعائر الصلاة والندوات والحفلات الدينية فـــى المناسبات المختلفة . وبلغت نفقات بناء المسجد واحدا وسبعين ألف دينار .



القادياني والقاديانية

تـأليف : أبوالحسن الندوي

عرض وتحليل : عبد المعطي بيومي

منذ أن ظهر القاديانى ، والكتابات الاسلامية والعلماء المسلمون ، فى ملاحظة دائمة له ، يكشفون أمره ويظهرون زيفه أمام الناس .

ومن أقدر الذين كتبوا عنه ، الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه « القاديانى والقاديانية » دراسة وتحليل ، والذى نشرته الدار السعودية . وفى هذه الصفحات سنقف بالعرض والتحليل لكتاب الاستاذ الندوى ، الذى وضعه — وهو الهندى — بأسلوب عربى ، سهل واضح العبارة ، سليم المنهج .

وقد قسمه على أربعة أبواب : —

١) عن الميرزا غلام أحمد

٢) تطور فكرة القاديانية .

٣) القاديانى فى الميزان .

٤) القاديانية فى الميزان .

فالكتاب كما نرى يحتوى على جانبين :—

● جانب تاريخى يتضمن التحليل التاريخى المفصل والامين ، لحياة الميرزا غـــلام أحمد كما يتضمن رصـــد التطورات التى مرت بها فكـــرة القاديانية .

● جانب نقدى .. ويضمنه الشيخ أبو الحسن تقييما صحيحا يعتمد على وقائع التاريخ للقاديانى والقاديانية .

ومع أسلوبه المشرق ندلف الى الباب الاول من كتاب أبى الحسن ، وهذا الباب عن الشخصيات الاساسية وعصرها وبيئتها ، وهو ثلاثـــة فصول ..

ففى الفصل الاول : يجمل الكاتب حالة القرن التاسع عشر الميلادى ، وهو القرن الذى اشتد فيه عنف الصدام بين الحضارة المسيحية وحضـــارة الاسلام ، وفى هـــذا الصدام غلب العلماء المسلمون على القسس وأبانوا حجج الاسلام ، لكن المسلمين لم ينجوا من القلق الـــذى صاحب هـــذا الصراع ، ومن الاستعمار الذى غذى هذا القلق بسيطرته حيث كانت الجولة للقـــوة لا للحجـــة .

وكانت البنجاب أكبر مواقع القلق فى هـــذا القرن ، الذى ما أوشك على الانتهاء حتى ظهر الميرزا غلام أحمد القاديانى .

فمن هو الميرزا غـــلام أحمد هـــذا ؟..

هذا ما يجيب عنه الفصل الثانى من الكتاب .

ويقول المؤلف فى هذا الفصل انه لا يعتمد فى نســـب الميرزا غـــلام وعائلته غير مصادر الميرزا نفسه ، ومن هذه المصادر يتبين أنه انحدر من اسرة هى من أخلص الاسر للانجليز ، ويقول الميرزا ذاتـــه « لقد أقرت الحكومة بأن أسرتى فى مقدمة الاسر التى عـــرفت فى الهنـــد بالنصح والاخلاص للحكومة الانجليزية ... وقد قدم والدى فرقة مؤلفة من ٥٠ فارسا لمساعدة الحكومة الانجليزية فى ثورة عام ١٨٥٧ ، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة ، وكان أخى الاكبر « غلام قادر » بجوار الانجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة » .

ولد الميرزا سنة ١٨٣٩ أو ١٨٤٠ فى قاديان ، وتلقى بعض العلوم الدينية والفلسفية والادبية والطب ، ثم عمل موظفا صغيرا بمبلغ شهرى قدره ١٥ روبية ، وكان أول أمره من قلة الفطنة بحيث لم يكن ـــ كما يقول نجله الاوسط ميرزا بشير أحمد ـــ يميز بين فردتى الحذاء اليمنى واليسرى حتى اضطر الى وضع علامة عليها بالحبر وكان يخطىء رغم ذلك . وكانت حياته مليئة بالطرائف . من ذلك :

● تحديه العالم بأنه قد أوحى اليه أنه سيتزوج فتاة اسمها « محمدى بيكم » وان ذلك أمر إلهى لا مرد له ، ولكن الفتاة تزوجت شابا آخر وعاشا بعد وفاته أعواما طويلة .

● ومن ذلك انه تحدى عام ١٩٠٧ العالم المشهور ثناء الله الامـــر تسرى بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت قبـــل الآخر بالهيضة أو الطاعون وفعلا مات الميرزا غلام نفسه قبل ثنـــاء الله بأربعين عاما ومات ـــ كما اعترف هو لصهره ـــ بالهيضة الوبائية سنة ١٩٠٨ وخلفه الحكيـــم نور الدين البهيروى .

وفى الفصل الثالث يروى المؤلف قصة حياة هذا الحكيم نور الدين ، الذى يعتقد بعض الباحثين أنه صاحب الفكـــرة والتصميم فى الحركـــة القاديانية ، فيقول إن نور الدين ولد ١٨٤١ م فى بهيرة من مديرية شاه بور فى بنجاب ، وثابر على الدراسة حتى عمل طبيبا لامراء جمون ولكنه عزل ، وفيما كان فى جمون تعرف على الميرزا غلام أحمد ، الذى كان مقيما حينئذ فى سيالكوت فلما ألف الميرزا كتابه « براهين أحمديـــة » ألف نور الدين « تصديق براهين أحمدية » وظلا معا حتى تولى خلافة الميرزا ست سنوات الى أن سقط من فرسه واعتقل لسانه قبل أيام من وفاته فى مارس ١٩١٤ وكان نور الدين يرفض التقليـــد أولا الامر ثم دان لنزعة اخضـــاع القرآن والدين للعلوم الطبيعية ، وتأويل المعجزات والحقائق .

وبعد أن ينتهى المؤلف من بحث الظروف التى ولد فيها الميرزا وحياته وحياة رفيقه نور الدين ، ينتقل الى الباب الثانى عن تطور فكرة القاديانية فيقف فى الفصل الاول مع هـــذه الفكرة وهى فى دور التأليف والمناظرة ، وينصب بحث المؤلف فى هذا الفصل على كتاب « براهين أحمدية » .

ويعيد المؤلف هنا الى الاذهان أن العصر كان عصر مجادلة فى العقائد وهجوم على الاسلام ، ولذلك فان الميرزا نهض لاستغلال ذلك ، وأعلن على الناس عزمه على تأليف كتاب للدفاع عن الاسلام بثلاثمائة دليل ، وانه تلقى الوحى بتأليفه ، وتحدى أن يأتى أحد بمثل هذا الكتـــاب ويثبت حجة دينه بالدلائل التى تكافىء دلائله فى هذا الكتاب أو تبلغ نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها ، والذى يقدم هـــذا الكتاب الذى يحكم له ثلاثة حكام عادلون يقدم له عشرة آلاف روبية ، وطلب من المسلمين أن يتبرعوا بنشاط وحماسة لتكاليف طبع الكتاب العظيم الذى هو انتصار للاسلام .

واخيرا تمخضت الدعاية الكبرى عن أربعـــة أجزاء فقط ظهر بهـــا الكتاب واستمر يؤلف فيها أربع سنوات ١٨٨٠ ـــ ١٨٨٤ وتوقف فلم يؤلف الجزء الخامس الا سنة ١٩٠٥ بعد أن توفى كثير من الذين اشتركوا فـــى الكتاب .

والكتاب ملىء بادعاء الالهامات المختلقة حتى لقد نزل عليه الهامـــان بالانجليزية .

ومن أظهر ما فى هذا الكتاب أنه يدعو المسلمين الى موادعة الانجليز وتحريم جهادهم وضرورة الموالاة لهم ، ثم هو لا يتضمن دليلا واحدا كاملا من الثلاثمائة التى وعد بها .

وينتقل المؤلف الى الفصل الثانى متعقبا تطور القاديانى من التأليف

والنشر والدعاية لنفسه ، الى دعواه انه المسيح الموعود ، وذلك على الرغم من أنه أوضح فى كتابه أنه لا حاجة للامـــة الى وحى جديد ، ولقد كان ادعاؤه بأنه المسيح اجابة لاقتراح اقترحه عليه رفيقه الحكيم نور الدين الذى راح يملى عليه أوصاف المسيح ويحل معه المشكلات التى تعترضه فى هذا السبيل ، مثل حله لمشكلة احاديث نزول المسيح فى دمشق مع أنه فى قاديان .

ولكن الميرزا غلام احمد لا يكتفى بادعاء أنه يمثل المسيح بل ينتقل من ذلك ــ كما بين الفصل الثالث ــ الى ادعاء النبوة ذاتها ، وقد مهد لها كثيرا من قبل فى كتبه حتى أعلنها صريحـــة فى يوم جمعة سنة ١٩٠٠ عندمـــا وقف الشيخ عبد الكريم ــ الرجل الثالث فى القاديانية بعد الميرزا والحكيم نور الدين ــ يقول للناس فى خطبة الجمعة إن الميرزا غلام أحمد رسول من الله وأن من لا يؤمن به يفرق بين الرسل ويخالف قول الله تعالى « لا نفرق بين أحد من رسله » فلما تصايح الناس وعلا نقاش المنكرين مـــع الخطيب خرج الميرزا من بيته وهو يقول « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » وكان يرى أن نبوته مستقلة يستطيع أن ينسخ زيف القرآن وأن من لم يتبعه كان كافرا وأنه يجوز أن يكون فوق الانبياء جميعا وأن الله أوحى اليه « اسمع ولدى » « يحمدك الله من عرشه ويمشى اليك » ويذكر أن الله أراد مرة أن يوقع على صحيفة فنضح الحبر الآخر من القلم على قميص الميرزا .

والى هنا يكون الشيخ أبو الحسن الندوى قد انتهى من الجـــانب التاريخى فى الكتاب حيث عرض كما رأينا ــ من مؤلفات القاديانية ذاتها ــ ومن مؤلفات الميرزا وابنه على وجه خاص ــ لينتقل بعد ذلك الى الجانب النقدى .

وفى هذا الجانب يبدأ الباب الثالث عن القاديانى فى الميزان حيث يخصص الفصل الاول عن حياة الميرزا ومعيشته وعن التحول الكبير الذى جرى على هـــذه الحياة .

ظل خمسا وعشرين سنة فى شظف وخمول وضيق عيش ، اذا به يتحول الى بذخ باذخ وحياة مترفة لا تشبه فى شىء حياة الدعاة الحقيقيين الذين يشغلهم أمر الدعوة عن ترف الحياة وبذخها حتى لقد اعترض بعض أتباعه على ذلك التبذير فى أموال المسلمين وليست أمواله ، منهم الخواجة كمال الدين الذى قال « ان من الظلم المبين أن هذا المال الذى يكتسبه فقراء المسلمين بكد اليمين وعرق الجبين ويشحون به على نفوسهم وبطونهم لينفق فى المصلحة الاجتماعية يضيع فى الشهوات والاغراض » .

ويذكر المؤلف أن هذا البذخ فى « قاديـــان » تفاقم بعد مـــوت الميرزا

وانتقال الخلافة القاديانية الى ولده الميرزا بشير الدين ، حتى وصلت روايات هذا المجون الى ما يفوق ألف ليلة وليلة وقد وصف هذه الحال الاستاذ عبد الرحمن المصرى الذى كان من كبار القاديانية بحيث كان يستخلفه الميرزا بشير فى الصلاة قال « ان الخليفة الحالى الميرزا بشير الدين محمود من كبار الفساق انه يتصيد الفتيات فى ستر من الزعامة الدينية ، وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء يحضرون له الفتيات الغافلات والشباب الغر ، وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريا من أعضائه الرجال والنساء يفسق فيه » .

وفى الفصل الثانى يقدم الشيخ أبو الحسن دليلا آخر على كذب القاديانى فى ادعائه بتواطئه مع الانجليز الغزاة الذين قوضوا مملكة الاسلام فى الهند وقوضوا قواعد الاسلام ذاته ، وافنائه بتحريم الجهاد وعزلته عن حركات التجديد فى العالم الاسلامى لدرجة وصفها الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد اقبال فى قوله « انه — أى الميرزا — يعتقد أن بهاء الاسلام ومجده فى حياة العبودية وأن سعادة المسلمين فى أن لا يزالوا محكومين أذلاء انه كان يعد حكومة الاجانب رحمة إلهية لقد رقص الرجال حول الكنيسة ومضى لسبيله » .

ويقدم المؤلف دليلا ثالثا فى الفصل الثالث من هذا الباب على كذب القاديانى ببذاءة القاديانى فى المناقشة وسلاطة لسانه واقزاعه ، مع أن المقرر فى حياة الانبياء عفة اللسان وسلامة المنطق . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذىء » .

وكدليل رابع وطريف يعرض المؤلف نموذجا من التحديات التى تحدى عليها الميرزا ولم يتحقق كتحديه بزواج « محمدى بيكم » بقوله « ولقد الهمنى الله .. ويستئلونك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين زوجناكها لا مبدل لكلماتى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ومع ذلك تزوجت الفتاة بشاب آخر كما قلنا وعاشا معا بعد وفاته بزمن .

وفى الباب الرابع والاخير الذى خصصه المؤلف للقاديانية فى الميزان ذكر فى الفصل الاول أن القاديانية ليست فرقة اسلامية وانما هى ديانة خاصة مستقلة وزائفة تماما عن الاسلام بل هى تزاحم الاسلام فى شعائره ومقدساته فهى فرقة خارجة عن الاسلام خروجا كاملا ومن هنا كان اهتمام الهنادك وترحيبهم بها .

وليتها كانت ديانة خارجة عن الاسلام وكفى ، اذن لكانت اضرارها على متبعيها وحدهم بل هى ثورة على النبوة المحمدية ومنافسة كما بين المؤلف ذلك فى الفصل الثانى ثم هى تؤدى الى تفريق كلمة المسلمين وانهاء ارتباطهم بشخصية محمد صلى الله عليه وسلم ثم هى تفتح المجال للتنبؤات الكاذبة .

ويرى الشيخ أبو الحسن الندوى أن القاديانية التى يتزعمها الميرزا بشير الدين محمود صريحة فى ادعاء النبوة للميرزا غلام أحمد لكن الفرع

(البقية — ص ٩٥)



جلست ذات يوم امام الكعبة المشرفة واثر فى نفسى منظر الذين يطوفــون حولها ليل نهــار ، لا ينقطع الا عند الصلاة ثم ذلــك المنظر الذى يأخذ بالقلوب ــ ساعة الصلاة والمصلون ملتفون حــول الكعبة ــ قبلة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها جاءوا من كل فج عميق . لا فرق بين سيد ومسود ، وأبيض وأسود ، ولا تمييز بين هذا وذاك بــل الكل سواء ــ يجمعهم علم واحد هو علم الاسلام ، وتدور فى مخيلتى الذكريات الخالدات من يوم أن أمر رب العباد خليله ابراهيم بالنداء الخــالد الــى يومنا هذا والى أن تقوم الساعة « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نــذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » وما زال هذا الطواف قائما وما يزال الله حافظا لبيته العتيق الى أن تقوم الساعة ــ وهذا المنظر يزداد روعة على مر الايام ونداء الخليل يتجدد بمرور الاعوام ، رغم مرور آلاف السنين ، ولم لا ؟ وهو أمر الله على لسان نبيه الكريم ــ وأى قوة تقف أمام قوة الخالق الذى يقول للشىء كن فيكون .

وبينما أنا هائم فى هذه البحار من الذكريات ــ وهذه المناظر التى تأخذ بالالباب اذا بكهل أخذ يتمتم بلغة لا أكاد أفهمها لم يكد يجد بجوارى

للدكتور محمد محمد أبو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى
الكويت

دين اليسر والنظافة

فرجة من مكان حتى تهالك وجلس وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه — وخفت على الرجل أن يلفظ نفسه الأخير وهو يستوى بجوارى — وتركته يستريح بعض الوقت حتى اذا أحسست منه أنه يمكنه أن يتجاذب معى أطـراف الحديث أخذت القى عليه بعض الاسئلة وهو يجيب بصعوبة ، وفهمت فى نهاية الامر أنه قدم من بلاد بعيدة وقطع المسافة بين بلده الى الحجاز فيما يقرب من ثلاثة اشهر سيرا على الاقدام ، وبمساعدة أهل الخير ، وكم قاسى الامرين وكم اشتدت عليه الامور ويعود فيقول (إن كل شىء بثوابه ولا بد لى أنى سأجازى أضعاف أضعاف من يأتى الى هنا بطرق سهلة ولا يقاسى من سفره) .

وبينما أنا أستقبل المرضى فى عرفات اذا بسيارة الاسعـاف تحضر اثنين فى أشد الاعياء — قىء وشبه غيبوبة وهذيان ، ما هذا ؟ انهما وجدا وهما يصعدان جبل الرحمة من شدة الحر أثناء الظهيرة والحر على أشده ، لماذا ؟ ليكسبا أجرا عظيما — وتقبل حجتهما .

ثم هذه التى أتت من أقصى بلاد المسلمين وأفهمت أنه ليس أحسن للمرء من أن يذهب الى الحجاز ويموت هناك فى الاراضى المقدسة ، كانت جلدا على عظم وتعانى من داء الصدر « الدرن » وكم قلت لنفسى ما ذنب هذه وهى تحتضر وما ذنب أمثالها من النساء وأمثالها من الرجـال سمعوا

هذا النصح وجاءوا ليقاسوا هول السـفر ويلقوا بأنفسهم الى التهلكـة ويقدموا على هذه المخاطرة يحضرون ليموتوا فى الاراضى المقدسة . ثم أقول لنفسى كم من عدوى تنتشر أيام الحج من هؤلاء المرضى ومن حاملى ميكروب لامراض أخرى .

ومن عجب أنك تشاهد حاجا لا يعى ما يفعل ، وتنتابه نوبات جنون ويقوم بأعمال تضره وتضر بحجاج آخرين . بالله لمـاذا حضر هـذا الى الاراضى المقدسة ، فتجد الرد لعله يشفى من المرض الذى ألم به وتحـل عليه البركات ويذهب عنه جنونه .

وصور أخرى تتراءى أمام عينى وأفحصها ــ وأرى العجب وأحمد الله كيف وصل هؤلاء الحجاج الى الارض الطاهرة ، وقد لاقوا ما لاقوا من مشقة السفر ، هذا يعانى من هبوط فى القلب وذاك من ارتفاع شديد فى ضغط الدم ، وتلك من سمنة مفرطة أثرت على جميع مفاصلها وجعلتهـا قعيدة فى عقر دارها ، ثم هذا الذى يعانى من مرض صدرى مزمن لا يكاد ينتقل خطوات حتى يلهث من ضيق النفس ، وغير ذلك من صور لا تنتهى .

ثم أمام كل هذه الصور أذكر النداء نداء الخليل « واذن فى الناس بالحج » وحديث المصطفى وهو يشرع ويضع العمد الخمسة للاسلام « بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليـه سبيلا » ومن الاستطاعة استطاعة المال واستطاعة الصحة وتحمل مشقة السفر ، فمن كان مريضا أو ضعيفا بسبب كبر سنه أو شيخوخته ولا يمكنه أن يتحمل السفر عد من الذين لا يستطيعون . ثم ما هذا التشدد فى الدين وديننا يسر ، وما شاد الـدين أحد الا غلبه ، فالبحث عن المتـاعب ، والاجهاد وتسلق الجبال فى أشد أوقات الحر والسير المسافات الطويلـة لارهاق الجسم ، وتعذيب البن بشتى الوسائل ، وعـدم الاكل والمبيت فى الخارج فى شدة البرد القارس ، كلها ضارة بالجسم ، وحاشا لديننا أن يأمرنا بهذا أو يقبل منا ذلك ، وكان رسولنا الكريم يختـار مـن الشىء أيسره . .

فأنى لهؤلاء بهذه الاعمال التى يقومون بها ، وأرجو من القائمين على الاسلام فى شتى البلاد الاسلامية أن يوفقوا فى اقناع حجاجهم فى أن يحافظوا على أبدانهم اثناء السفر ــ لا أن يعرضوها للاخطار طمعا فـى الغفران ، وأن يأخذوا من الامور أيسرهـا وديننا الـذى يحث دائما على النظافة فى قوله تعالى « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وقوله « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسـجد » والقول المأثـور « النظافة من الايمان » كلها دفع قوى الى حيث تكون النظافة فى الملبس والمأكل والمشرب .

ففى الملبس أنه والله ليسىء الى المسلم والاسلام أن يرتدى الحـاج ملبسا ممزقا أو تعلوه الاوساخ فيأنف منه من يراه أو يجلس بجـواره ،

ويتحاشاه القريب والبعيد ، ووالله ما كان اللباس القذر رمزا للتقشف كما يدعى بعض الناس ، فديننا دين نظافة ، وأما ما دون ذلك فقد دخل على الاسلام لتشويه سمعته والنيل منه .

والنظافة فى المأكل يجب أن تكون رائد كل حاج فلا يأكل الا كل نظيف فكم من حاج تعرض للتسمم الغذائى لاكله طعاما غير صحى ويا حبذا لو تخير من الطعام أطيبه — وأسهله هضما ويكون فاكهة تغسل غسلا جيدا ويتحاشا ملء معدته فيسلم من الارتباكات المعدية والمعوية أثناء الحج والتى يعانى منها الكثيرون .

ويجب أن تذبح الضحية فى مكان الذبح لا أن ينحرها بجوار مسكنه ، فتجر عليه من الامراض والروائح الكريهة مالا يحمد عقباه وتكون سببا فى تفشى الامراض المعدية التى طالما تكثر زمن الحج لهذا السبب .

والنظافة فى الشرب وعدم تلوث الماء من واجب كل حاج حفظا على صحته وصحة الحجيج — فليس من الاسلام أن يحمل الماء أو يوضع فى أوان قذرة ، ويدعى ساقيها أنها بركة ولا تضر — ويأخذها الحاج بعد ذلك فى أوان غير مضمونة النظافة ، ويحملها مسافات طويلة الى بلده يهدى منها الاصحاب والاحباب . .

ثم يجىء دور النصيحة لنشر الوعى الصحى بين الحجاج ولكى يحافظ الحاج على صحته يجب أن يتبع القوانين الصحية فيطعم ضد الامراض السارية وهى الجدرى والكوليرا قبل سفره ثم أنه اذا كان مريضا لا بد وأن يستمر فى علاجه والا تعرض لمضاعفات المرض الذى يعانى منه .

ثم ليدفع كل حاج زميله بالتى هى أحسن ليبتعد عن كل ما يسىء الى صحته وصحة الحجيج . فلا يغالى فى أن يشق على نفسه وعلى أصحابه مقنعا اياهم بحسن الثواب وزيادة الجزاء . فكم رأيت من الحجاج المسنين يتبعون أناسا يحثونهم على تعرضهم للمشاق ، بل وللهلكة لكى يكون حجهم مبرورا وذنبهم مغفورا .

وما بالنا ونحن فى زمن العلم والتقدم لا نطبق ذلك فى أيام الحج فنجد البعض يضربون بالقوانين الصحية عرض الحائط ، ولا رادع يردعهم ولا وازع يمنعهم من أن يقوموا بهذه الاعمال التى تسىء الى سمعة الحج الصحية — فترى بعض الناس يرمون بالاوساخ بجوار مكان سكناهم ، ويبصقون ويتبرزون أنى وجدوا الى ذلك سبيلا غير مقيدين بالاماكن المخصصة لذلك . ثم هؤلاء الذين يتكدسون فى حجرات ضيقة ليساعدوا على انتشار العدوى فيما بينهم .

ثم من لى بهؤلاء الذين يدعون الطب ويعالجون الناس بالوصفات التى تكون فى بعض الاحوال ضارة ، أو يهون المرض على حاج ويحول دونه والذهاب الى الطبيب أو المستشفى للعلاج .

ثم هؤلاء المرضى من الجاليات الاسلامية المختلفة الذين يترددون على

العيادات والمستشفيات ، ولا يمكنهم ان يفصحوا عما بهم ، ويبقى الطبيب فى حيرة من أمره وامرهم . ويا حبذا لو كان معهم دليل يعرف لغة كل جالية ويعرف العربية حتى يتسنى علاجهم على الوجه الاكمل .

وكم تمنيت تكاتف جميع الحجاج من كل بلاد المسلمين على جعلهم الحج فى المكان الاسمى الذى يليق بــه ، سواء فى ذلك الناحية الروحية والناحية الصحية ــ والثقافية ــ ويتناول وجهات النظر ، وما يدور فى البلاد الاسلامية من أحداث والمساهمة فى كل اصلاح . بذلك نكون قد قمنا ببعض واجبنا نحو هذا الركن الاسلامى المتين ــ ونكون قد جنينا بعض ثماره ، والتى من الممكن أن تتكاثر وتتكاثر بمرور السنين ويعم نفعها على المسلمين فى أنحاء العالم . وبذلــك نكون قد ربطنا أجزاء هذا العــالم الاسلامى المشتت بجهود كل المسلمين وبازدياد وعيهم فى كل مجالات الحياة ونعيد للاسلام مجده ، ولا ندع الفرصة لمن يتقولون عليه ويفترون ، من أنه دين التأخر وهو والله دين التقدم والعلم والازدهار ، وسيبقى نوره ساطعا يزهو بتفهمنا له والرجوع اليه ــ « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا » . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » . .

هذه بعض خواطر وصور تتراءى أمام ناظرى وأنا فى بيت الله الحرام ــ أرجو من كل مسلم غيور على دينه أن يرعاها ، وأتمنى لكل الشــعوب والحكومات الاسلامية أن تضعها نصب أعين حجاجها حتى تقوم بهذا الركن المتين خير قيام .



وانتقال الخلافة القاديانية الى ولده الميرزا بشير الدين ، حتى وصلت روايات هذا المجون الى ما يفوق ألف ليلة وليلة وقد وصف هذه الحال الاستاذ عبد الرحمن المصرى الذى كان من كبار القاديانية بحيث كان يستخلفه الميرزا بشير فى الصلاة قال « ان الخليفة الحالى الميرزا بشير الدين محمود من كبار الفساق انه يتصيد الفتيات فى ستر من الزعامة الدينية ، وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء يحضرون له الفتيات الغافلات والشباب الغر ، وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريا من أعضائه الرجال والنساء يفسق فيه » .

وفى الفصل الثانى يقدم الشيخ أبو الحسن دليلا آخر على كذب القاديانى فى ادعائه بتواطئه مع الانجليز الغزاة الذين قوضوا مملكة الاسلام فى الهند وقوضوا قواعد الاسلام ذاته ، وافنائه بتحريم الجهاد وعزلته عن حركات التجديد فى العالم الاسلامى لدرجة وصفها الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد اقبال فى قوله « انه ــ أى الميرزا ــ يعتقد أن بهاء الاسلام ومجده فى حياة العبودية وأن سعادة المسلمين فى أن لا يزالوا محكومين أذلاء انه كان يعد حكومة الاجانب رحمة إلهية لقد رقص الرجال حول الكنيسة ومضى لسبيله » .

ويقدم المؤلف دليلا ثالثا فى الفصل الثالث من هذا الباب على كذب القاديانى ببذاءة القاديانى فى المناقشة وسلاطة لسانه واقزاعه ، مع أن المقرر فى حياة الانبياء عفة اللسان وسلامة المنطق . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذىء » .

وكدليل رابع وطريف يعرض المؤلف نموذجا من التحديات التى تحدى عليها الميرزا ولم يتحقق كتحديه بزواج « محمدى بيكم » بقوله « ولقد ألهمنى الله .. ويسئلونك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين زوجناكها لا مبدل لكلماتى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ومع ذلك تزوجت الفتاة بشاب آخر كما قلنا وعاشا معا بعد وفاته بزمن .

وفى الباب الرابع والاخير الذى خصصه المؤلف للقاديانية فى الميزان ذكر فى الفصل الاول أن القاديانية ليست فرقة اسلامية وانما هى ديانة خاصة مستقلة وزائفة تماما عن الاسلام بل هى تزاحم الاسلام فى شعائره ومقدساته فهى فرقة خارجة عن الاسلام خروجا كاملا ومن هنا كان اهتمام الهنادك وترحيبهم بها .

وليتها كانت ديانة خارجة عن الاسلام وكفى ، اذن لكانت اضرارها على متبعيها وحدهم بل هى ثورة على النبوة المحمدية ومنافسة كما بين المؤلف ذلك فى الفصل الثانى ثم هى تؤدى الى تفريق كلمة المسلمين وانهاء ارتباطهم بشخصية محمد صلى الله عليه وسلم ثم هى تفتح المجال للتنبؤات الكاذبة .

ويرى الشيخ أبو الحسن الندوى أن القاديانية التى يتزعمها الميرزا بشير الدين محمود صريحة فى ادعاء النبوة للميرزا غلام أحمد لكن الفرع

(البقية ــ ص ٩٥)



جلست ذات يوم امام الكعبة المشرفة واثر فى نفسى منظر الذين يطوفــون حولها ليل نهــار ، لا ينقطع الا عند الصلاة ثم ذلــك المنظر الذى يأخذ بالقلوب ــ ساعة الصلاة والمصلون ملتفون حــول الكعبة ــ قبلة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها جاءوا من كل فج عميق . لا فرق بين سيد ومسود ، وأبيض وأسود ، ولا تمييز بين هذا وذاك بــل الكل سواء ــ يجمعهم علم واحد هو علم الاسلام ، وتدور فى مخيلتى الذكريات الخالدات من يوم أن أمر رب العباد خليله ابراهيم بالنداء الخــالد الــى يومنا هذا والى أن تقوم الساعة « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نــذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » وما زال هذا الطواف قائما وما يزال الله حافظا لبيته العتيق الى أن تقوم الساعة ــ وهذا المنظر يزداد روعة على مر الايام ونداء الخليل يتجدد بمرور الاعوام ، رغم مرور آلاف السنين ، ولم لا ؟ وهو أمر الله على لسان نبيه الكريم ــ وأى قوة تقف أمام قوة الخالق الذى يقول للشىء كن فيكون .

وبينما أنا هائم فى هذه البحار من الذكريات ــ وهذه المناظر التى تأخذ بالالباب اذا بكهل أخذ يتمتم بلغة لا أكاد أفهمها لم يكد يجد بجوارى

للدكتور محمد محمد أبو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى
الـــكويت

دين اليسر والنظافة

فرجة من مكان حتى تهالك وجلس وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه ــ وخفت على الرجل أن يلفظ نفسه الأخير وهو يستوى بجوارى ــ وتركته يستريح بعض الوقت حتى اذا أحسست منه أنه يمكنه أن يتجاذب معى أطــراف الحديث أخذت القى عليه بعض الاسئلة وهو يجيب بصعوبة ، وفهمت فى نهاية الامر أنه قدم من بلاد بعيدة وقطع المسافة بين بلده الى الحجاز فيما يقرب من ثلاثة أشهر سيرا على الاقدام ، وبمساعدة أهل الخير ، وكم قاسى الامرين وكم اشتدت عليه الامور ويعود فيقول (إن كل شىء بثوابه ولا بد لى انى سأجازى أضعاف أضعاف من يأتى الى هنا بطرق سهلة ولا يقاسى من سفره) .

وبينما أنا أستقبل المرضى فى عرفات اذا بسيارة الاسعـــاف تحضر اثنين فى أشد الاعياء ــ قىء وشبه غيبوبة وهذيان ، ما هذا ؟ انهما وجدا وهما يصعدان جبل الرحمة من شدة الحر أثناء الظهيرة والحر على أشده ، لماذا ؟ ليكسبا أجرا عظيما ــ وتقبل حجتهما .

ثم هذه التى أتت من أقصى بلاد المسلمين وأفهمت أنه ليس أحسن للمرء من أن يذهب الى الحجاز ويموت هناك فى الاراضى المقدسة ، كانت جلدا على عظم وتعانى من داء الصدر « الدرن » وكم قلت لنفسى ما ذنب هذه وهى تحتضر وما ذنب أمثالها من النساء وأمثالها من الرجـــال سمعوا

هذا النصح وجاءوا ليقاسوا هول السفر ويلقوا بأنفسهم الى التهلكة ويقدموا على هذه المخاطرة يحضرون ليموتوا فى الاراضى المقدسة . ثم أقول لنفسى كم من عدوى تنتشر أيام الحج من هؤلاء المرضى ومن حاملى ميكروب لامراض أخرى .

ومن عجب أنك تشاهد حاجا لا يعى ما يفعل ، وتنتابه نوبات جنون ويقوم بأعمال تضره وتضر بحجاج آخرين . بالله لماذا حضر هذا الى الاراضى المقدسة ، فتجد الرد لعله يشفى من المرض الذى ألم به وتحل عليه البركات ويذهب عنه جنونه .

وصور أخرى تتراءى أمام عينى وأفحصها — وأرى العجب وأحمد الله كيف وصل هؤلاء الحجاج الى الارض الطاهرة ، وقد لاقوا ما لاقوا من مشقة السفر ، هذا يعانى من هبوط فى القلب وذاك من ارتفاع شديد فى ضغط الدم ، وتلك من سمنة مفرطة أثرت على جميع مفاصلها وجعلتها قعيدة فى عقر دارها ، ثم هذا الذى يعانى من مرض صدرى مزمن لا يكاد ينتقل خطوات حتى يلهث من ضيق النفس ، وغير ذلك من صور لا تنتهى .

ثم أمام كل هذه الصور أذكر النداء نداء الخليل « واذن فى الناس بالحج » وحديث المصطفى وهو يشرع ويضع العمد الخمسة للاسلام « بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » ومن الاستطاعة استطاعة المال واستطاعة الصحة وتحمل مشقة السفر ، فمن كان مريضا أو ضعيفا بسبب كبر سنه أو شيخوخته ولا يمكنه أن يتحمل السفر عد من الذين لا يستطيعون . ثم ما هذا التشدد فى الدين وديننا يسر ، وما شاد الدين أحد الا غلبه ، فالبحث عن المتاعب ، والاجهاد وتسلق الجبال فى أشد أوقات الحر والسير المسافات الطويلة لارهاق الجسم ، وتعذيب البن بشتى الوسائل ، وعدم الاكل والمبيت فى الخارج فى شدة البرد القارس ، كلها ضارة بالجسم ، وحاشا لديننا أن يأمرنا بهذا أو يقبل منا ذلك ، وكان رسولنا الكريم يختار من الشىء أيسره . .

فأنى لهؤلاء بهذه الاعمال التى يقومون بها ، وأرجو من القائمين على الاسلام فى شتى البلاد الاسلامية أن يوفقوا فى اقناع حجاجهم فى أن يحافظوا على أبدانهم اثناء السفر — لا أن يعرضوها للاخطار طمعا فى الغفران ، وأن يأخذوا من الامور أيسرها وديننا الذى يحث دائما على النظافة فى قوله تعالى « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وقوله « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » والقول المأثور « النظافة من الايمان » كلها دفع قوى الى حيث تكون النظافة فى الملبس والمأكل والمشرب .

ففى الملبس أنه والله ليسىء الى المسلم والاسلام أن يرتدى الحاج ملبسا ممزقا أو تعلوه الاوساخ فيأنف منه من يراه أو يجلس بجواره ،

ويتحاشاه القريب والبعيد ، ووالله ما كان اللباس القذر رمزا للتقشف كما يدعى بعض الناس ، فديننا دين نظافة ، وأما ما دون ذلك فقــد دخل على الاسلام لتشويه سمعته والنيل منه .

والنظافة فى المأكل يجب أن تكون رائد كل حاج فلا يأكل الا كل نظيف فكم من حاج تعرض للتسمم الغذائى لاكله طعاما غير صحى ويا حبذا لو تخير من الطعام أطيبه ــ وأسهله هضما ويكون فاكهة تغسل غســلا جيدا ويتحاشا ملء معدته فيسلم من الارتباكات المعدية والمعوية أثناء الحج والتى يعانى منها الكثيرون .

ويجب أن تذبح الضحية فى مكان الذبح لا أن ينحرها بجوار مسكنه ، فتجر عليه من الامراض والروائح الكريهة مالا يحمد عقباه وتكون سببا فى تفشى الامراض المعدية التى طالما تكثر زمن الحج لهذا السبب .

والنظافة فى الشرب وعدم تلوث الماء من واجب كل حاج حفظا على صحته وصحة الحجيج ــ فليس من الاسلام أن يحمل الماء أو يوضع فى أوان قذرة ، ويدعى ساقيها أنها بركة ولا تضر ــ ويأخذها الحاج بعد ذلك فى أوان غير مضمونة النظافة ، ويحملها مسافات طويلة الى بلده يهدى منها الاصحاب والاحباب ..

ثم يجىء دور النصيحة لنشر الوعى الصحى بين الحجاج ولكى يحافظ الحاج على صحته يجب أن يتبع القوانين الصحية فيطعم ضد الامراض السارية وهى الجدرى والكوليرا قبل سفره ثم أنه اذا كان مريضا لا بد وأن يستمر فى علاجه والا تعرض لمضاعفات المرض الذى يعانى منه .

ثم ليدفع كل حاج زميله بالتى هى أحسن ليبتعد عن كل ما يسىء الى صحته وصحة الحجيج . فلا يغالى فى أن يشق على نفسه وعلى أصحابه مقنعا اياهم بحسن الثواب وزيادة الجزاء . فكم رأيت من الحجاج المسنين يتبعون أناسا يحثونهم على تعرضهم للمشاق ، بل وللهلكة لكى يكــون حجهم مبرورا وذنبهم مغفورا .

وما بالنا ونحن فى زمن العلم والتقدم لا نطبق ذلك فى أيــام الحج فنجد البعض يضربون بالقوانين الصحية عرض الحائط ، ولا رادع يردعهم ولا وازع يمنعهم من أن يقوموا بهذه الاعمال التى تسىء الى سمعة الحج الصحية ــ فترى بعض الناس يرمون بالاوساخ بجوار مكــان سكناهم ، ويبصقون ويتبرزون أنى وجدوا الى ذلــك سبيلا غير مقيدين بالاماكن المخصصة لذلك . ثم هؤلاء الذين يتكدسون فى حجرات ضيقــة ليساعدوا على انتشار العدوى فيما بينهم .

ثم من لى بهؤلاء الذين يدعون الطب ويعالجون الناس بالوصفات التى تكون فى بعض الاحوال ضارة ، أو يهون المرض على حاج ويحول دونه والذهاب الى الطبيب أو المستشفى للعــلاج .

ثم هؤلاء المرضى من الجاليات الاسلامية المختلفة الذين يترددون على

العيادات والمستشفيات ، ولا يمكنهم أن يفصحوا عما بهم ، ويبقى الطبيب فى حيرة من أمره وأمرهم . ويا حبذا لو كان معهم دليل يعرف لغة كل جالية ويعرف العربية حتى يتسنى علاجهم على الوجه الاكمل .

وكم تمنيت تكاتف جميع الحجاج من كل بلاد المسلمين على جعلهم الحج فى المكان الاسمى الذى يليق بـــه ، سواء فى ذلك الناحية الروحية والناحية الصحية ــ والثقافية ــ ويتناول وجهات النظر ، وما يدور فى البلاد الاسلامية من أحداث والمساهمة فى كل اصلاح . بذلك نكون قد قمنا ببعض واجبنا نحو هذا الركن الاسلامى المتين ــ ونكون قد جنينا بعض ثماره ، والتى من الممكن أن تتكاثر وتتكاثر بمرور السنين ويعم نفعها على المسلمين فى أنحاء العالم . وبذلــك نكون قد ربطنا أجزاء هذا العــالم الاسلامى المشتت بجهود كل المسلمين وبازدياد وعيهم فى كل مجالات الحياة ونعيد للاسلام مجده ، ولا ندع الفرصة لمن يتقولون عليه ويفترون ، من أنه دين التأخر وهو والله دين التقدم والعلم والازدهار ، وسيبقى نوره ساطعا يزهو بتفهمنا له والرجوع اليه ــ « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا » . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » . .

هذه بعض خواطر وصور تتراءى أمام ناظرى وأنا فى بيت الله الحرام ــ أرجو من كل مسلم غيور على دينه أن يرعاها ، وأتمنى لكل الشـــعوب والحكومات الاسلامية أن تضعها نصب أعين حجاجها حتى تقوم بهذا الركن المتين خير قيام .



اللاهورى من القاديانية الذى يتزعمه محمد على صاحب ترجمة القرآن أخبث وأشد تعقيدا لانها نلقب الميرزا أحمد بمجدد القرن الرابع عشر ومع ذلك تعتقد أنه المسيح الموعود وتلحد فى التأويل وتحرف تفسير القرآن عن مواضعه ويعرض المؤلف نماذج من هذا التفسير مثل تفسيره « فألقوا حبالهم وعصيهم » بأنهم لم يلقوا حبالا ولا عصيا بل انهم بذلوا غاية ما أمكنهم من حيل .

ويقول المؤلف ان هذا الفرع بالذات لجأ الى الدعاية الكاذبة والتهريج بانها عملت على اسلام العدد الكبير من المسيحيين ولكن ذلك لم يحدث الا فى القليل النادر حينما استغلت هذه الجمعية اسلام بعض الناس ومنهم المرضى والعجزة .

وفى الفصل الرابع والاخير يودعنا المؤلف بكلمة عامة عن حاجة الاسلام حينئذ الى المصلح والمجدد الذى يقيم ما أعوج من أخلاق الامة واعتقادها وعلومها فجاء الميرزا غلام أحمد ليضيف أزمة الى أزمات واعوجاجا فوق اعوجاج .

وهكذا ينتهى كتاب الشيخ أبى الحسن الندوى ويبدو فيه أن المؤلف ركز فيه البحث على إبطال فكرة النبوة لميرزا غلام أحمد القاديانى وكان المؤلف بارعا حقا وواضح العبارة فى هذا الغرض وان كنت أرى أن القارىء كان ينتظر المبادىء التى دعا اليها النبى المزعوم مع ما دعا اليه من تحريم الجهاد ، وان كان عذر المؤلف على ما يبدو أنه هدم الاساس الذى تقوم عليه تلك المبادىء وهو ادعاء النبوة واذا بطل ادعاء النبوة بطل ما بنى على هذا الادعاء من آراء .

حسب المؤلف انه قدم للقارىء العربى المسلم هذه الفكرة الواضحة عن القاديانية معتمدا على المصادر القاديانية ذاتها .



قصة اسلامية

للأستاذ عبد اللطيف فايد

لم تكن من أجل الغنائم والمكاسب المادية تلك الحرب الضروس التى خاضها المسلمون على أرض فارس ، والتى انتهت فيها دولة الأكاسرة الى غير رجعة ، فقد ذهب المؤمنون بدين الله الحق الى هذه البلاد ، وفى قلوبهم يقين بأن هذه الحرب هى الفاصلة بالنسبة لهم وللعقيدة التى آمنوا بها خيرا وسعادة للبشرية جمعاء .. إذا انتصر الفرس دالت دولة الاسلام ولن تقوم لها قائمة ، واذا انتصروا هم فقد حطموا ملك الأكاسرة الجبابرة الى الأبد ، ومكنوا لصوت التوحيد من أن يرتفع عاليا فوق ايوان كسرى الذى بهر العالم بفخامته وأبهته ..

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يعرف الدولة يعرف لهذه الموقعة قدرها وما ينبغى أن يكون عليه الاستعداد لخوضها ، فقد سبق للمسلمين أن ذهبوا الى هذه البلاد منذ ثلاث سنوات فاتحين، واستطاعوا أن ينشروا الأمن فى رقعة كبيرة منها .. ولكن الفرس تجمعوا بعد أن اشتدت الفرقة بينهم ، ونبذوا خلافاتهم التى جعلتهم شيعا وأحزابا .. واختاروا الشاب « يزدجرد » الرجل الوحيد الباقى من سلالة « كسرى أبرويز » ليجلس على عرش أجداده ، يقودهم فيمتثلون ، ويأمرهم فيطيعون ويوجههم فلا يختلف اثنان فى الطريق الذى رسمه لهم .. وذلك حتى يثأروا لكرامتهم من المسلمين الذين فتحوا بلادهم ، ودخلوا اليها بدين بهر الناس فتركوا دياناتهم اليه ، وأظهروا على أرضها بسالة أذهلت قلوب الشجعان فحطموا الأسطورة القديمة عن دولة الفرس التى لا تقهر كما يحطمون الآن الأسطورة القديمة عن دولة الروم التى لا تنهزم ، وقد كان العالم

سوار كسرى

قسمة بينهما يختلفان عليه ويتفقان .
عندما ترامت الأنباء الى عمر بهذا الاستعداد ، وأن مناوشات الفرس للمسلمين هناك بدأت من جـديد لم يتردد فى الاذن بمسيـر الجيش الاسلامى مرة أخرى الى فارس تحت امرة القائد العظيم « سعد بن أبى وقاص » ..

* * *

جيش الايمان الـذاهب لتأديب الفرس لا يزيد عدده على أربعة آلاف فقط .. سيواجه هناك جيشا فارسيا مدربا على كل فنون القتال يزيد عدده على مائة وعشرين ألفـا بين راجـل وفارس ، تتقدمهم مجموعة كبيرة من راكبى الأفيال المدربة على القتال .. والأفيال فى جيوش الفرس قوة كبرى ضاربة لا يفوتهـا النصر فى أقسى المعارك ضراوة واستبسالا ..

ومع الأمر لجيش الايمان باتخـاذ طريقه الى بلاد فارس أصدر أميـر المؤمنين أمرا بالتعبئة العامة فى سائر الدولة الاسلامية يحشد للمعركـة كل القوى التى تساعدها وتدعمهـا ويدعو كل قادر الى المشاركة فيها بما يملك ، ويحمل الأمر تكليفا الى عماله بالتنفيذ فورا وبلا ابطاء ..

انطلقت رسل أمير المؤمنين مـن المدينـة الى كـل الامـارات والقبائل فى الدولة تحمـل الى المسئولين فيها كتبه ، وفى كل منهـا عبارة موجزة واضحة صريحـة تقول:
« لا تدعو أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى الا انتخبتموه ثـم وجهتموه الى .. والعجل العجل » .
حتى الذين عرفوا بحسن النظـر ودقة الرأى وصواب الحكم ممـن يعيشون بعيدا عن المدينة ومقر الأمير

دخلوا فى هذا الأمر الهـام والعظيم بالتعبئة العامة للمعركـة الحاسمة الفاصلة ..

وقبل أن يصل جيش الآلاف الأربعة الى القادسية حيث الوقعة المرتقبـة كانت الامداد قد بلغته من كل أطراف الدولة الاسلامية حتى بلغ عدده ستة وثلاثين ألفا ..

ومهما كان هذا العدد من الشجعان الصناديد والفرسان المغاوير فـان قوتهم المادية تتضاءل كثيرا أمام قوة جيش الفرس بقيادة ((رستم)) عظيم جندهم وصانع انتصاراتهم على أمم كثيرة استذلها الفرس ، وحكموا فيها، وسلبوا خيراتها ..

لكن المقياس المادى وان كان لـه اعتبار عند جيش المسلمين الا أنه لم يكن العامل الحاسم فى سائر حروبهم، فكل المعارك التى خاضوها من قبل كان المقياس المادى فيهـا يرجح الميزان لصالح أعدائهم ، مع ذلـك فالنتيجة كانت دائما فى جانب المؤمنين ذلك لأنهم يحملون فى قلوبهم ايمانـا يحاربون به ، وعقيدة سادت كـل تصرفاتهم ، فهانت أمامهم الشدائد ، وتبددت المحن ، وأقبلوا على الموت راضين ، فكتب الله لهـم الحياة ، وأيدهم بنصره .

* * *

انفتاح على الحقيقة الكبـرى فى دين التوحيد والعدالة هو الذى صنع هذا الايمان ، ورحلة طويلـة من المعاناة والآيات مع النبى مكنت لـه من نفوس المؤمنين وقلوبهم .

لقد آمنوا بالنصر فى كل معركـة خاضوها لأنهم آمنوا بأن قوتهم المادية لن تستطيع وحدها تحقيق النصر ، وبأن الله من وراء الاستعداد المؤمن ، وهم لم ينسوا يوم أن اغتروا بقوتهم وعددهم فى معارك واجهوا فيها الكفار فلقنهم صانع النصر دروسا يذكرونها ويعتبرون بنتائجها ..

ولقد سبقتهم بسنوات طويلـة آمالهم العظيمة الى فتح بلاد فارس والسيطرة عليها ونشر دين الله عـلى أرضها .. وتحولت هذه الآمال الى ايمان يفرض أرادة لن تقهر ، وليس دونها شىء الا الموت :

فهم يذكرون جيدا أن النبى حينما هاجر من مكة الى المدينة ، وتعقبـه سرا فى الطريق ((سراقة بن مالك)) ليعود برأسه الى كفار مكة ـ ومـا حدث لسراقة فى وقت المواجهـة وفرسه يكبو به على الارض ثلاث مرات ويوشك أن يقتله ، ثم يطلب العفو من النبى والأمان .. ويـرى النبى بنقاء أحساسه مستقبل الايمان فى وجه سراقة ، فيقول له : ((يا سراقـة ، كيف بـك اذا تسورت بسوارى كسرى ..)) ويحسبهـا سراقة وقتئذ دعابة ثقيلة من النبى أو سخرية .. لكنهم آمنوا بأن هذا وعد من الله لنبيه بفتح بلاد كسرى ..

ويذكر المؤمنون كذلك وهم فـى طريقهم الى تأديب فارس حينمـا اشتدت عليهم الحال فى غزوة الخندق والعدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، وأبصارهم زائغة ، وقلوبهم تكـاد تخرج من أفواههم ـ يذكرون أن النبى وعدهم وهم يحفرون الخندق أن الله سيفتح عليهم بلاد الفرس وبلاد الروم ولم يؤثر فى عزيمتهم أنهم أصبحوا من الموت بمقدار رمية سهم ، بل آمنوا بأن الله سينصرهم على الرغم مـن هذه المحنة القاسية التى تأخذ عليهم كل طريق ، وما ظن واحد من المؤمنين أن وعد الله لهم بفتح بلاد الفـرس وبلاد الروم كان تنجيما أو دعابة ، وانما هو وعد من الله لرسولـه ، فرسول الله لا ينطق عن الهوى ... ونصرهم الله يومئذ بالمطر الشديـد

والريح العاتية ، وصرف عنهم اعداءهم ..

ويذكرون وهم فى طريقهم الى القادسية غير ذلك الكثير والكثير مما يقوى ايمانهم بالنصر ، ويؤكد فى نفوسهم ان الله محقق لهم وعده .

ليست هذه احلام يقظة تساور هؤلاء الجنود وهم فى طريقهم الى تاديب فارس ، وهى لم تساور خليفة المسلمين فى المدينة وجه الجيش لهذه المهمة فقد اعد الجميع انفسهم للاقاة العدو ..

الخليفة فى المدينة يعيش معارك جنده يوما بيوم .. يبعثون اليه بالأنبياء ، ويبعث اليهم بالامداد والرجال .. ويقيم العدل بين اهليهم حتى لا يشغل احد منهم على قومه العدو بشبهة ظلم تقع على قومه وذويه ..

والناس جميعا فى المدينة وكل اقطار الدولة يعيشون حياة المعركة .. ليس بينهم مترف استبدت به انانيته ، او صاحب مال حبسه عن اغراض الجهاد ، او مالك ابل او خيل لا يستاقها للمقاتلين يكرون بها على اعداء الله ..

وما كان الخليفة الذى بعثهم الى هذه المعركة الضارية العاتية القاسية ليسمح بترف او رهافة او نعيم ، يعيش فيه البعيدون عن صليل السيوف ، وصهيل الخيول ، ودماء الشهداء تسيل زكية طاهرة على ارض المعركة دفاعا عن امجاد الاسلام .. وهو القدوة بين الناس جميعا ..

الجنود الذاهبون يعلمون ذلك حق العلم ، ويعلمون ان الخليفة شديد فى الحكم ، لا تاخذه فى الحق لومة لائم .. لا يحابى ، ولا يتهاون ، ولا يفرط، ولا يضعف ..

ولا تزال فى آذانهم اصداء قوله عقب ان بايعوه خليفة : « انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده ، فلينظر قائده .. حيث يقوده .. اما انا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق .. » ..

وليس بعيدا عن اذهانهم كلام آخر طيب ورقيق قاله للمقاتلين وهو يوجههم الى المعارك : « ولكم على ايها الناس خصال اذكرها لكم فخذونى بها :» ..

« لكم على الا اجتبى شيئا من خراجكم ولا ما افاء الله عليكم الا من وجهه .. ولكم على اذا وقع فى يدى الا يخرج منى الا فى حقه .. »

« ولكم على ان ازيد عطاياكم وارزاقكم ان شاء الله تعالى ، واسد ثغوركم .. »

« ولكم على الا القيكم فى المهالك ، ولا اجمركم فى ثغوركم » ..

« واذا غبتم فى البعوث فانا ابو العيال .. » ..

والخليفة لا يرد على احد عصيانا او تمردا ، فهم يطيعون الله ورسوله فيما يوجه اليهم من امر او يسدى من نصح .. لم يخرج فرد منهم على امر له ، ولم يتمرد على اجماع لأهل الراى والشورى ..

الدولة كلها كانها رجل واحد .. ليس فيها مظلوم او ظالم ، وليس فيها صاحب حق ضاع منه دون ان يرده عليه خليفة رسول الله ، وينتقم له ممن تسبب فى حبس هذا الحق عنه ..

كل الناس فى الدولة سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأحدهم على آخر بنسب او ثراء او قرابة من صاحب السلطة .. وانما الجميع امام كتاب الله وسنة رسوله واجماع الأمة سواء .

تقوى الله واداء الواجب هما اساس التمييز والتفضيل والتقديم .. من هذا الاسلوب الفاضل فى

الحياة كان من حق المسلمين ان يفكروا فى غزو الفرس مرة ثانية ، وكان من حقهم ايضا ان يطمعوا فى الانتصار على هذه الدولة القوية العاتية المتجبرة التى تملك السلاح الكثير يزلزلون الجبال الرواسى ..

* * *

على مشارف القادسية صف «سعد ابن ابى وقاص » جنوده وعباهم ، واقبلت عليه الامداد من كل امارات الدولة الاسلامية .. واوصاهم ، وامر الخطباء والشعراء بان يتحدثوا فيهم ، وان يشحذوا هممهم ، ويذكروهم بالايام العظيمة التى خاضوها من قبل وانتصروا فيها على اعداء الله ، وانهم اليوم امام عدو جسور ، لن ينتصروا عليه بالعدد او بالسلاح ، وانما بالايمان الذى يملأ قلوبهم وبتقوى الله التى تشد سواعدهم وهم يتدافعون على العدو ويضربون رقابه ..

وتقدم اصحاب رسول الله والذين جاهدوا معه صفوف الكتائب المؤمنة .

وعبر اليهم جيش « رستم » نهر دجلة ، وصف عسكره وجنده ، وجعل فى المقدمة القوة الضاربة الكبرى من الفيلة المدربة على القتال الشديد العاتى الذى لا رحمة فيه ..

وهدد عظيم جند فارس وتوعد :

ما هى الا جولة واحدة حتى ادفنكم ايها الأعراب تحت رمال القادسية ، وارسل الى دياركم من يزيل دولتكم هناك ، ويحكم فيكم ويقضى ..

لكن هذه التعبئة المحكمة وما تجشا به « رستم » من تهديد ووعيد لم يضعف من عزيمة المسلمين ..

ودارت المعركة حامية قاسية وشديدة .. بالنهار قتال ، وبالليل قتال ، وتدافع الرجال الصفوف من هنا وهناك حتى مرت اوقات لم يكن راصد المعركة يعرف فيها من المنتصر ومن المنهزم من الفريقين ..

حقيقة ان الفرس اشداء اقوياء .. كثير عددهم .. كثير سلاحهم .. والفيلة تؤدى مهمتها .. و « رستم » عظيم الجند وقائدهم فى كامل قوته ونشاطه ، يدير المعركة ويوجهها ويامر بالكر والعدو والضرب ، بينما امير جند المسلمين « سعد بن ابى وقاص » قد دهمه فجاة مرض شديد ارقده فوق منصة يشرف منها على المعركة ، ويصدر اوامره مع آهات الألم وانين التوجع ، وهزال الجسد العليل ..

لكن جيش الايمان صمد فى اليوم الاول صمودا باهرا ..

وفى اليوم الثانى كر على العدو ، فكشف صفوفه .. واختفت الفيلة من المعركة لأن جيش الايمان فعل بها آخر نهار الأمس ما عطلها عن الاشتراك فى جولة اليوم .. واستمر القتال باسلا عظيما حتى منتصف الليل ..

وفى اليوم الثالث جمع الفرس صفوفهم ، واستماتوا قتالا ودفاعا ، واظهروا من البسالة والشجاعة ما يشهد لهم بانهم مقاتلون اكفاء .. الا ان المسلمين كانوا اكثر بسالة وشجاعة وكفاءة .. لكن ذلك لم يمنع من ان تكون الحرب سجالا بين الفريقين فى هذا اليوم ، حتى ان تقييم المعركة التى هدات آخر الليل لم يستطع ان يسجل الغلبة لاحد الفريقين على الآخر .

وكان لا بد من يوم رابع على ارض القادسية يتقاتل فيه الفريقان .

والمسلمون على الرغم مما وقع بهم احسوا بنصر الله فى قلوبهم ونفوسهم .. وخاضوا قتال هذا اليوم وامامهم خيار بين امرين لا ثالث لهما : اما ان ينتصروا على العدو ، او يموتوا شهداء العقيدة والحق ..

ولم يكد ينتصف النهار حتى نصر الله جنده ..

تفرقت صفوف الفرس من شدة ضرب المسلمين فيهم ..

أعمى الله بصائر الفرس حتى صار بعضهم يضرب بعضا ..

عند فرار الفرس الى الضفة الأخرى من نهر دجلة تحطم من تحت ارجلهم الجسر الذى يعبرون عليه فتدافعوا الى النهر فغرق فيه نحو ثلاثين الفا .

ومن قبل كل ذلك كان واحد من المسلمين قد انقض على « رستم » عظيم جند فارس ، وقتله بسيفه وهو يوشك ان يهرب ، ثم استولى على مقر قيادته ..

وسجل التاريخ هذه الأيام الأربعة باوصافها لتظل أعلاما مرفوعة خفاقة فى دنيا الجهاد والقتال دفاعا عن الحق والعقيدة .. وغنم المسلمون من مخلفات المعركة اموالا كثيرة لم تكن تخطر لهم على بال ، أو يدركها تصورهم ..

لكنهم لم يقبلوا الى هذه البلاد من اجل الغنائم والاموال يجمعونها بعد جولة او جولات .. انما جاءوا لهدف آخر ، هو تاديب دولة طغت وتجبرت وأعتدت ، ونقضت الأمن والأمان ، وتطلعت الى سابق عهدها لتستذل الشعوب وتحكم فيها بما يشاء لها الهوى .

وهم وان كانوا قد فرحوا بما حققوا على ارض القادسية فرحة خففت مرض قائدهم « سعد بن ابى وقاص » فامامهم مهمة اكبر من هذه المهمة ، هى ان يعبروا دجلة الى « المدائن » العاصمة الجديدة لبلاد فارس ، ووارثة مجد بابل القديم ، ومقر « يزدجرد » كسرى الفرس الجديد ، فان المدائن اذا انهارت فقد انهار ملك فارس الى غير رجعة .. وهم لم ينسوا امرا وجهه « عمر ابن الخطاب » من المدينة الى « سعد بن ابى وقاص » قبل بداية المعركة يقول فيه : « ان منحك الله ادبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم « المدائن » فانه خرابها ان شاء الله » ..

* * *

لا بد قبل ذلك من جولة ثانية فى سواد العراق ، هذا الذى تمرد اهله على حكم المسلمين بعد ان اقاموا العدل بينهم عقب الفتح الأول منذ ثلاثة اعوام .. ولا بد من مطاردة الفلول التى فرت من القادسية الى بابل والى سائر مدن السواد ، لاعادة الحياة فى هذه المنطقة ايمانا وامنا وسلاما ورخاء ..

وتم للمسلمين ما ارادوا من ذلك كله ..

بقى حصن واحد هو الطريق الى المدائن ، وان كان يفصله عنها نهر دجلة .. انه « بهرسير » ذات الأسوار العالية المنيعة ، وقد تجمعت داخلها حامية قوية من جيش فارس وعلى راسها عدد غير قليل من خيرة قواده ..

حاصر « سعد » المدينة قرابة عام ونصف عام يضرب أسوارها بالمنجنيق وله فى كل يوم مع حاميتها القوية مناوشات ..

وتطير ابناء هذا الحصار مع كل مساء الى « يزدجرد » كسرى فارس، ويوقن ان المدينة ذات الأسوار المنيعة ستقع حتما فى ايدى المسلمين طال الحصار او قصر ، فامر حاميتها ان تخرج بليل لتتحصن بالمدائن ، وتدافع عنها حين يعبر المسلمون اليها ..

ويستولى المسلمون على «بهرسير» بعد أن فر جندها ..

وتبدو امامهم « المدائن » بكـــل عظمتها وجمالها على الشاطىء الثانى من « دجلة » نهر العراق المتدفق ..

* * *

كيف للمسلمين أن يعبروا النهـر الى « المدائن » ؟!!

جسر العبور احرقته حاميــة « بهرسير » بعد ان نجت بحياتهـــا فى قرار الليل ..

وسفن الفرس التى كانت تطفو على ماء النهر قريبا من « بهرسير » قـد ذهبوا بها بعيدا حيث لا يدركهـــا المسلمون ولا يتمكنون من العبـور فوقها الى الضفة الأخرى .. ويبقى النهر بين الفريقين يمثل خط دفـاع طبيعى عن مجد فارس فـى شمال العراق بعـــد انهيارمجدهـا فى الجنوب ..

وماء النهر فى وقت فيضان .. تيار سريع دافق يلطم الشاطئين ..

وأعماق دجلة تهدد بالابتـلاع كـل من تسول له نفسه عبــور النهر بمغامرة جنونية ..

وفلول جند فارس تجمعوا عـلى الضفة الأخرى يهددون بالرمى ايـة محاولة بائسة للعبور ، بعد ان افاقوا من الهزيمة النكراء ..

على الرغم من كل هـذه العوائق لم يكن امام جيش الايمان خيار عـن العبور ، فايوان كسرى الجديد الذى بناه اجداده من مائة عـام يرتفـع شاهقا على الضفة الأخـرى يخلب الأبصار بهـاء ، وروعة ، وفن بناء ، وصنعة زخرفة وتشييد .. ونفوس الجند تهفو الـى اقامة صلاة لله بين اعمدته الراسية العملاقة ، وان يرتفع من فوق سقفه صوت المنادى للصلاة مع وقت كل فريضة : « اللــه اكبر » « الله أكبر ... »

واختار المسلمون مكانا من النهـر ضاقت المسافة فيه بين الشاطئين ، والعمق فيه لا يسمح للماء بان يغطى فارسا يعبر النهر سبحا بجواده ..

واعلن القائد «سعد بن ابى وقاص» نداء بين جنده الى عبور كتيبة تحمى الشاطىء من الناحية الأخرى ليامن بقية الجند العبور ، فاعلنوا جميعـا الاجابة للنداء .. واختـار القائـد ستمائة من اهل النجدة على راسهم « عاصم بن عمر » الملقب بذى الباس.

وتقدم « ذو الباس » كتيبته الـى لجة النهر يعبره سبحا بفرسه ، ودعا فى اول الأمر ستين جنديا ان يعبروا معه ..

كان الفرس على الشاطىء الآخـر يرقبون والدهشة تكاد تخرج عيونهم من حدقها ، ونفوسهم تحدثهم : أنس هؤلاء الذين يعبرون أم جن .. ليكونوا كما يشاءون انسا او جنا ، فلجة النهر مقبرتهم لا محالة .. وتقدموا الـى الشاطىء يرمون بنبالهم وسهامهـم الجند العابرين ..

ودارت المعركة بين جند وسط الماء لا يستطيعون الحركة ، او توجيــه خيلهم هنا وهناك ، وبين جنـد آخرين يحاربون من فوق ارض صلبة تعـدو خيلهم كما يريدون ، وتأتى لهم الأمداد كما يشاءون .

ويلهم الله قائد هـــذه الكتيبة الفدائية وسيلة النصر ، فيصدر امره من لجة النهر الى جنوده العابرين ليصوبـوا رماحهم الى عيـون خيول الفرس ويضربوا ..

وانطلقت رماح المسلمين الى عيون خيل الفرس فى تصويب دقيق تخترقها فتطير منها الشرر ، فتعدو عـلى غير هدى ، وترمى فرسانها على الأرض ، وتدوسهم باقدامها ..

وتختل صفوف اعداء الله عـلى الشاطىء الذى حسبوه امنا وسلاما .

وتعبر بقية الكتيبة سبحا بالخيول .
ويتفقد ((ذو الباس)) جنده فلا يغيب عنه واحد منهم ، او يرى فيه اصابة من نبل او رماح فارسية ..
ويكبر ((سعد بن ابى وقاص)) فى جيش الايمان على الشاطىء فيتدافع ابطاله بخيولهم الى النهر يعبرون ويكبرون ، تغطى اصوات تكبيرهم على كل صياح الفرس وهم يفرون من ((المدائن)) ..
وتمت المعجزة !!
ودانت للمسلمين مدينة كسرى !!
وصدق الله وعده لرسوله وللمؤمنين ..
وارتفع نداء التوحيد من فوق الايوان المنيف ..

* * *

اخذ المسلمون يحصون غنائمهم من قصر الاكاسرة وسائر القصور التى كانت ملكا للجبابرة العتاه .. حوت هذه القصور من التحف والنفائس ما لم يكن يخطر للعرب على بال ، وتجمعت فيها فنون الفارسيين وفنون الشعوب التى حاربوها وهزموها ، وسلبوا من خيراتها الشىء الكثير ..
بين يدى ((سعد بن ابى وقاص)) القائد المظفر وضع جند الاسلام الغنائم والحلى والأمتعة ونفائس الأشياء مما حوت خزائن الاكاسرة وعظماء الفارسيين الذين تركوها من خلفهم او فروا يحملونها فى الركب المنهزم لكبيرهم ((يزدجرد)) ..
كل جندى حمل ما ظفر به والقاه فى اكوام امام قائد جيش الايمان المنتصر .. لم يختص احدهم نفسه بشىء .. ولم يختلس جوهرة ولا سلاحا ، ولا تحفة ، ولا اناء ، ولا ثوبا، ولا طعاما .. فليس من اجل شىء من هذا المتاع جاء يحارب ويقاتل ، وانما اتى مؤمنا يحارب فى سبيل الله ، ويقاتل فى معركة ايقن انها الفاصلة بين الكفر والايمان ..
اربعة اخماس هذه الغنائم قسمت عدلا بين المقاتلين ـ كما تقضى شريعة الاسلام فى غنائم الحروب ـ لكل بقدر ما بذل من جهد ونضال ... وارتفعت بين الجند روح الايثار واخذ كل منهم يسند شرف القتال الضارى الأكبر الى زميله فى الجيش لينال حظا من الغنائم اكثر منه واغلى ثمنا ... فاصاب كل منهم ما يماثل اثنى عشر الفا ..
وبمثل هذه الروح العالية تركوا من انصبتهم غنائم نفيسة لترسل مع الخمس الباقى الى المدينة .
وحمل هذا النصيب الى المدينة ، وفى مجلس عمر بن الخطاب خليفة المسلمين وضعته القوافل مع آخر انباء النصر ..
هذا تاج كسرى مرصعا بالماس والياقوت والزمرد ..
وجواهره وحليه التى كان يتزين بها فى مناسبات الدولة واعيادها ..
وثيابه من الديباج المنسوج بالذهب تزينها انقى الجواهر واخلصها ..
وخرزاته ، ووشاحه ، وسيوفه ، ودروعه ..
وسيوف ودروع الملوك وكبار القواد من جميع الدول التى حاربها الفرس وانتصروا عليهم وكلها مرصعة بالجواهر محلاة بالذهب : ملء عيبتين كبيرتين فيهما من نادر اسلحة القياصرة وهرقل ، والنعمان بن المنذر ، وخاقان الترك ، وملوك آخرين .. شىء كثير يرتفع على الوصف ..
وبساط الاكاسرة الكبير .. طوله ستون ذراعا وعرضه ستون مثلها ، وهو غاية فى الروعة والجمال ... قطعة واحدة من اغلى القطيف ،

صورت فيه طرق مملكة فارس ، وبدت فيه ارضها مذهبة تجرى خلالها صور الانهار مرصعة بالدر ، وحافتـــه كالأرض المزروعة استطال فيهـا نبات الربيع على سوق من ذهب ، تدلت منه أوراق من الحرير بينها الثمر من الجواهر ..

وهذه صناديق كثيرة وسلال فيهـا التحف ، والأوانى ، والتماثيـــل ، واللطائف من الذهب والفضة المزدانة بالجواهر الثمينة ، وثياب من الحرير والدمقس ، مطرزة بخيوط الـذهب والفضـة ، ومرصعـة باللؤلـؤ والمرجــان ..

وغير ذلك كثير وكثير مما لم تر عيون العرب مثله نفاسة وفنا وقيمة غالية ..

استعرض امير المؤمنين هـــذه الغنائم وهو يفرزها صنوفا وانواعا . ثم بكت عيناه !!

فيأتيهم جوابه : ان الله يبتلى النـــاس

فيأتيهم جوابه : ان الله يبتلى النـــاس
بالخير الكثير ماذا يفعلون به وفيمـا ينفقونه .. ولقد ابكتنى فرحتى بنصر الله وبامانة الجند فان قوما باعـوا لله انفسهم وادوا هذا كلـه لأمناء مؤمنون » .

ويرد سامعوه : يا امير المؤمنين .. الناس على دين ملوكهم .. وقـد ضربت للمسلمين المثل بامانتك وعفتك وزهدك فسارت رعيتك على دربك ..

* * *

وشاهد عمر تدافع الناس ليـروا ثياب كسرى وما فى زينتها من عجب ، فامر بان يحمل اليه فرع شجرة طويل غليظ ، ففرسه فى الارض والبسه هذه الثياب ليراها كل الناس ..

وبينما الناس يتفرجون راى عمر ابن الخطاب رجلا بدينا جسيما يتفرس فى الثياب وقد انبسطت اسارير وجهه .. ويعرفه عمر فيدعوه اليه .. انه « سراقة بن مالك » ..

وبيد عمر يرتدى سراقـة ثياب كسرى .. ويقول عمر وهـو يلبسه الثياب : هذا قميص كسرى ياسراقة ، وهذه سراويلـــه ، وذاك قباؤه ، ومنطقته ، ونعل قدميه ، وتاجه .. البس يا سراقة بن مالك ؟ ..

واكتملت الثياب على جسد سراقة، فقال له عمر : ادبر يا سراقة ، فادبر .. ثم قال له : اقبل يا سراقة ، فاقبل .. ثم قال عمر : « بخ بخ ، اعيرابى من بنى مدلج عليه قبـــاء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجـه وخفاه ! .. رب يوم يا سراقة بن مالك لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى كان شرفا لك ولقومك ! »

ويجيب سراقة : والله يا اميـر المؤمنين ما احسست بعد لهذه الثياب

كلها بالفرحة ، فانى اذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى يوم تعقبته من مكة وهو فى طريقه مهاجرا الى المدينة وبعد ان فشلت مؤامرة الكفر ضده : « يا سراقة .. كيف بك اذا تسورت بسوارى كسرى » .. ثياب كسرى فوق جسدى .. ولكن اين السواران .. ترى يا امير المؤمنين انهما غابا من متاع كسرى ! ..

ويتفقد عمر السوارين بين الجواهر والحلى وهو يقول : صدق رسول الله .. فيجدهما ..

ويتهلل وجه عمر .. ويتهلل وجـه سراقة ..

ويكبر المسلمون الحاضرون ، وهم يرون سوارى كسرى فى يدى اعرابى فقير ..

* * *

الفتاوى

الحــج عن الغير

هل يجوز الانابة فى الحــج الفرض والتنفــل ؟

الاجابــة :

قد انعقد الاجماع على انه لا يجوز لمن قدر بنفسه على الحج المفروض أن ينيب عنه غيره فى ادائه ، بل يجب عليه أن يؤدى بنفسه ولو احج عنه غيــره لا يسقط عنه الفرض لاستطاعته الحج وقت الانابة ، فكان تركه الحج بنفسه ايثارا للراحة لنفسه على أمر ربه ، وهو بهذا يستحق العقاب ، بخلاف الحج النفل فانه تقبل فيه الانابة ولو مع القدرة لأن باب النفل أوسع خلافا للشافعى ، وعن أحمد فيه روايتان .

أما من عجز عن أداء الحج بنفسه بعد القدرة عليه لمرض أو حبس ونحوهما فقد رخص الله تعالى له أن ينيب عنه غيره ، أو ينوب عنه غيره فى أدائه وهــو مذهب الحنفية والجمهور ، فاذا أدى النائب الحج سقط الفرض عن المحجوج عنه فى ظاهر الرواية وهو مختار الامام السرخسى ومحققى المتأخرين ويشهد له مــا رواه احمد والنسائى من « أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان فريضة الله فى الحج ادركت ابى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة افأحج عنه ؟ قال : ارايت لو كان على ابيك دين أكنت قاضيته ؟ قالت : نعم ، قال : فدين الله أحق أن يقضى » وبما رواه الجماعة عن ابن عباس قال : « جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع فقالت : يا رسول الله ان فريضة الله على عباده فى الحج ادركت ابى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوى على الراحلة فهل يقضى عنه ان احج عنه ؟ قال : نعم » ففى الحديثين دليل على جواز الحــج من الولد نيابة عن ابيه اذا كان ميئوسا من قدرته على الحج المفروض بنفسه . وقوله عليه الصلاة والسلام : نعم . معناه حجى عنه أى قضاء عنه ، فأفاد أن الحج يقع عن المحجوج عنه ، وظاهر ان هذا الحكم لا يختص بالخثعمية ولا بحج الولد عن والده لأن الأصل عدم الخصوص فى بيان الاحكام ولم يوجد ما يدل على التخصيص .

ويشترط لجواز النيابة عن العاجز فى الحج المفروض دوام العجز الــى الموت ، لأن الحج فريضة العمر فيجب أن يستوعب العجز بقية العمر ليقع بــه اليأس عن الأداء بالبدن ، فاذا احج عنه غيره فى حال قيام العذر فان استمر العذر حتى مات ظهر أن الحجوقع مجزيا عنه لتحقق شرط الرخصة ، وأن زال العذر ظهر أن الحج لم يقع مجزيا عنه لانتفاء شرط الرخصة ووجب اعادته بنفسه . وأفاد

الكمال فى (الفتح) انه لا فرق فى لزوم الاعادة بزوال العـذر بين ما يرجى من الاعذار زواله كالمرض والحبس وما لا يرجى كالعمى والزمانة . وفصل آخرون عن الغير أن تكون نفقة المأمور من مال الآمر وهى ما يحتاج اليه فى الحج من طعام من فقهاء الحنفية فأجبوا الاعادة فى الاول دون الثانى ، ويشترط لجواز النيابة وشراب وثياب احرام وركوب حسب المتعارف وأن ينوى النائب الحج عن الآمر . والأفضل عندنا ان يكون النائب قد أدى حجة الاسلام عن نفسه اذا تحقق وجوبها عليه ، ومن هذا يعلم انه يجوز للسائل ان ينيب عنه غيره فى الحج عنه ويقوم بنفقته وينوى الغير الحج عنه .

حج المراة

هل يجوز سفر المراة الى الحج بدون زوج او محرم ؟

الاجابة :

ان الائمة قد اختلفوا فى اشتراط الزوج أو المحرم فى السفر البعيد فذهب الحنفية الى انه يشترط فى سفر المرأة الى الحج شابة كانت أم عجوزا أن تكون مع زوج أو محرم بالغين عاقلين مأمونين ، فان لم يوجد لها زوج ولا محرم لا يجب عليها الحج ، لأنها تعد غير مستطيعة ، ولا يجوز لها هذا السفر ، والمحرم هو من لا يجوز له زواجها على التأبيد بسبب قرابة أو مصاهرة أو رضاع ، والسفر البعيد هنا ما كانت مسافته بالسير المعتاد ثلاثة أيام ولياليها ، وقيل يوما واحدا ، ولا عبرة بالسفر الآن بالطائرة ، بل المعتبر شرعا تقدير المسافة بالسير المعتاد . وذهب الشافعية الى انه لا يجب الحج على المرأة اذا لم تكن مع زوج أو محرم أو نسوة ثقات ، فاذا وجد أى واحد من هذه الثلاثة لزمها الحج ، وأن لم تجد شيئا منها لم يجب عليها الحج — وهذا فى حج الفريضة . أما الحج النفل فالصحيح عندهم انه لا يجوز الا مع الزوج أو المحرم لعدم الضرورة فيه .

ونقل الشوكانى عن الامام أحمد انه لا يجب الحج على المرأة اذا لم تجد محرما ومثله الزوج وأن اشتراط المحرم أو الزوج فى الحج مذهب آل البيت وأبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه . ونقل عن مالك وأحمد فى رواية أخرى انه لا يشترط الزوج أو المحرم فى سفر الفريضة ، ورجح ابن حزم فى المحلى عدم وجوب الزوج أو المحرم فى سفر الحج ، فاذا لم تجد واحدا منهما تحج ولا شىء عليها . وقد فرق بعض الفقهاء بين الشابة والعجوز فاشترط وجود الزوج أو المحرم مع الشابة دون العجوز ، والجمهور على عدم الفرق بينهما .

بريد الوعي الإسلامي

كســـوة الكعبة

تكسى الكعبة كل عام بالثياب الفاخرة ، وتطرز هذه الكسوة بالقصب وتزين ببعض الآيات المناسبة من القرآن الكريم ، ولباب الكعبة ستارة من الحرير الموشى تعتبر آية فى الجمال والروعة ، فهل لهذه الكسوة اصل فى الاسلام .

عبد الرحمن على — مصر

كان الناس على عهد الجاهلية يكسون الكعبة تعظيما لبيت الله ، حتى جاء الاسلام فاقر كسوتها ، فقد ذكر الواقدى بن اسماعيل بن ابراهيم بن ابى حبيبة عن ابيه قال — كسى البيت فى الجاهلية بالانطاع — وهو جمع نطع وهو ما يفرش على الارض كالبساط ويصنع من الجلد الأحمر — ثم كساه رسول الله صلى الله عليه وسلم القباب اليمانية وكساه عمر وعثمان (القباطى) جمع قبطيه وهو الثوب من ثياب مصر رقيق ابيض ، ثم كساه الحجاج الديباج — الحرير .

وروى أن أول من كساها الحميرى وهو (تبع) .

واخرج الواقدى عن اسحاق بن ابى عبيد بن ابى جعفر محمد بن على قال :

كان الناس يهدون الى الكعبة كسوة ويهدون اليها البدن عليها الحبـــرات فيبعث بالحبرات الى البيت كسوة . واخرج سعيد بن منصور أن عمر رضى الله عنه كان ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة فيقسمها على الحجاج فيستظلون بها على السمر بمكة .

فكسوة البيت بفاخر الثياب سنة متبعة من قديم الزمان اقرها الاسلام وقام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والمسلمون بعده وهناك أوقاف فى كثير من البلاد الاسلامية وقفها المسلمون الخيرون على الكعبة المشرفة والبيت الكريم موضع تكريم المسلمين واعظامهم على توالى العصـــور وتطييبه وتجمـــره بالعود عمل مشروع فقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره وطيب ابن الزبير جوف الكعبة كله ، وكان يجمر الكعبة كل يوم برطل من العود ويجمرها كل جمعة برطلين .

ثواب من يدفن بالمدينـــة

يحرص بعض المسلمين ويتمنى على الله عز وجل أن يوافيه اجله فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يدفن فيها ، وأن الزائر للمدينة يرى كثيرا ممن تقدم بهم السن من مسلمى العالم مقيمون فيها انتظارا للأجل فهل لهذه البقعـــة الطيبة خصوصية تمتاز بها على غيرها ، وهل لهذه العادة من اصل ؟

علي حمزة ــ لبنـــان

المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام قبة الاسلام ودار الايمان، وقد دعا لها رسول الله بالبركة وأخبر بأن الايمان يأرز اليها ، وكفى أنها مثــوى رسول الله وصاحبيه وأمهات المؤمنين والشهداء والصالحين ، وفى جيرة هؤلاء خير وأى خير والموت فى المدينة كان امنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد حقق الله له أمنيته فقد روى البخارى عن زيد بن أسامة عن أبيه ان عمر قال ــ اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى حرم رسولك صلى الله عليه وسلم .

وروى الطبرانى باسناد حسن عن امراة كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فانه من مات بها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة .

ج. النصف ــ الكويت

المزاحمة على الحجر الأسود

نلاحظ اثناء الطواف بالكعبة أن كثيرا من الطائفين يتزاحمون على تقبيـــل الحجر الأسود ، ويتدافعون بشدة ، وبين الطائفين المريض والمسن والمرأة ، فهل اذا طاف الانسان ولم يقبل الحجر ينقص ذلك من ثوابه ؟

محمد فقيه ــ وادموني

تقبيل الحجر الأسود عند بدء الطواف مع التكبير والتهليل ورفع اليديـــن ووضعهما عليه سنة ان امكن ذلك فى يسر وسهولة وعدم ايذاء ، فان لم يتمكــن الطائف من تقبيله واستلامه لشدة الزحام مثلا يكفيه ان يشير اليه من اقرب مكان يكون فيه .

وقد ورد فى تقبيل الحجر احاديث كثيرة قال ابن عمر استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ، واستلمه ووضع شفتيه يبكى طويلا ، فاذا عمــر يبكى طويلا ، فقال يا عمر هنا تســكب العبرات ــ رواه الحاكم وقال صحيــح الاسناد .

وعن ابن عباس ان عمر اكب على الركن فقال ــ انى لأعلم انك حجر ، ولو لم أر حبيبى صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلتك .

ويروى عن أبى الطفيل قال ــ رأيت رسول الله صلى الله عليه وســــلم يطوف بالبيت ، ويستلم بمحجن معه ويقبل المحجن .

ولا بأس فى المزاحمة على الحجر بشرط ألا يكون فى ذلك ايذاء لأحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ــ يا أبا حفص انك رجل قوى فلا تزاحم على الركن فانك تؤذى الضعيف ، ولكن اذا وجدت خلوة فاستلم والا فكبر وامض .

بأقلام القراء

اسمى المراتب

من رسالة للاستاذ محمد العربى الخطابى

الذى يؤمن ايمان العجائز ، فلا يكلف نفسه مشقة التأمل والتفكر واستكناه الحقيقة يجد راحة النفس ، ويخلد الى الدعة ، وينام قرير العين ولسان حاله يقول : اللهم إنى أومن بك ايمانا اعمى !

أما الذى يريد أن يؤمن ايمان أصحاب اليقين فانه يلازمه القلق ويصيبه الأرق من فرط الحضور والتدبر وتقليب النظر . وهو لا يفتأ يدعو : اللهم أرنى آيتك حتى يستقر ايمانى على قرار مكين !

خاطب الحق سبحانه نبيه قائلا : « فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب » عند فراغك الى نفسك بالعبادة — وهذا جهد روحى — فالنصب ، اذن ، شرط اى اذا فرغت من سعيك فى تبليغ رسالة ربك — وهو جهد بدنى وعقلى — فالنصب اذن شرط ملازم للعبادة المؤدية الى اليقين الذى لا سكينة بدونه .

الطريق الى الله دربان : درب يسير فيه السائح مفتح العينين لا يرى أبعد مما يقع عليه بصره . ودرب يسلكه السالك وهو مفتح القلب حاضر الوجدان فهو لا يفتأ يصيخ السمع ويرهف الحس ، يذهب بــه الاستغراق أبعد مــداه فيخترق الحجب وتنكشف لــه أسرار الطريق .

من الناس من يعبد الله عن طاعة أصلها الخوف والطمع ، ومنهم من يعبده حبا فى وجهه الكريم .

ومن الناس من يتوجه الى الله بالــدعاء يسأله العافية وسعة الرزق ، وكثرة الولد ، وطول العمر ، واقالة العثرات . فهو دائما يسأل المزيد وقلما يعطى من ذاته ونفسه . يصيبه الهلع فى الضراء والبطر والجزع فى السراء .

ومنهم من يتوجــه الى الله بذاته وقلبه وسائر جوارحه ، يقــدم بين يديه كل شيء ، لا يشتكى ولا يجزع ، ولا يلح ولا يسرف فى السؤال ، وان هو طلب فمن الله لله .

اسمى مراتب الايمان . . المحبة ، وخير المحبة ما كان فى صالح الجمــاعة قولا وفعلا . ولا محبة الا مع السعى والعمل وبــذل المجهود واجتماع الكلمة ، فذلك ، مع الايثار ، من وسائل التقرب الى الله ، والحصول على مرضاته .

دعـــــاء

رب ، يا من خذلتنا بذنوبنا ، وكسرت شوكتنا بما جنته يميننا ونبذتنا فى العراء لافراطنا وتفريطنا .

رب ، يا من نسيناك وقت طغياننا ، وندعوك عند ضعفنا واندحارنا ، امنحنا القدرة على تحمل عواقب اسرافنا .

وامنحنا الصبر على تجرع مرارة انهزامنا .

واصفح عنا حتى نكون جديرين بطلب النصر منك .

والهمنا الهدى حتى نسير فى السبيل التى رسمتها لنا

والثبات لنحافظ على الارض الطيبة التى وهبتها لنا .

ولنسترجع ما ضيعناه منها .

رب ، يا من كانت نعمتك حقا علينا ، ارزقنا القوة وحب العدل والحريـة وسواء القصد .

امنحنا العلم والعمل بــه ، والرزق وحسن التصرف .

امنحنا التكاثر واجتماع الصف .

واهزم ، يا رب ، من ظلمنا وعادانا وظاهر على اخراجنا من ديارنا واغرانا بالعصيان والتنازع والتفرقة .

يا رب آميـــــن !



شبهات الماديين

من مقال بهذا العنوان تقول مجلة (التربية الاسلامية) :

من مناقشتك للماديين او قراءة كتاباتهم تراهم يتبجحون بمثل هذه العبارات : اذا كان الله موجودا فلماذا لا نراه ؟ اننا لا نرى الله ، اذن هو غير موجود . ان كل شيء لا نراه بأعيننا او نلمسه بأيدينا او نحسه باحدى حواسنا الخمس هو وهم من الأوهام .

وما اشبه ما يقول هؤلاء بما قال اليهود لنبيهم موسى عليه السلام :

ـــ (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون) البقرة ٥٥

فلا عجب ان يتغلب على اليهود طبعهم المادى فيصنعوا عجلا من ذهب ويعبدوه ، ولا عجب كذلك أن يتصل الماديون باليهود على مدار التاريخ بأكثر من سبب .

ان هؤلاء الماديين قد نسوا ـــ او تناسوا ـــ حقيقة مهمة وهى أن عدم رؤية الشيء أو عدم تمكن احدى الحواس الخمس من الاحساس بوجود شيء معين لا يعنى أبدا عدم وجود ذلك الشيء ، وانما يعنى فقط عجز تلك الحواس عن الاحساس .

ان عدم رؤية الأعمى لضوء الشمس لا يجعل له الحق فى أن يمارى فى وجودها . ان كثيرا من الاشياء ، حتى فى عالمنا المادى لا تعرف بذاتها وانما بآثارها ، وكثيرة هى الاشياء التى دلت عليها آثارها .

ان هؤلاء الماديين يقولون انهم لا يؤمنون الا بما ادركته حواسهم يكذبهم واقعهم المادى ، فهم يؤمنون بأشياء كثيرة لم يدركوها بحواسهم وانما عرفوها من آثارها . اننا نسألهم عن اقرب الاشياء اليهم .. عن الحياة ، من راى منهم الحياة ؟ ما الحياة ، ما شكلها ، ما حجمها ؟ ما وزنها ؟ ما طعمها ؟ ما لونها ؟ هل ينكرون وجودها ، أم انهم يتعرفون عليها بآثارها .. ـــ الحركة ـــ الحس ـــ النمو ـــ التنفس ـــ التكاثر .. الى غير ذلك من مميزات الحياة ..

كذلك نسألهم عن الجاذبية الأرضية ، هل راوها ؟ كيف اذن عرفوها ان لم يكن بآثارها ؟ .

ونسألهم عن المغناطيسية ، من رآها واحس بها ؟ انهم عرفوها من جذب الحديد ، ولكن هل ان جذب الحديد هى المغناطيسية ، أو هو اثر من آثارها ؟

ان الاجواء المحيطة بنا مليئة بالأمواج الكهرومغناطيسية ، فهل يشعر بها منا احد ؟ فهل يحق لنا لعدم احساسنا بوجودها أن ننكر هذا الوجود ؟ وماذا نعمل حين يأتى البعض بجهاز ترانزستور صغير يحول لنا بعض هذه الامواج الى اصوات مسموعة ؟!

ان حواسنا قاصرة وعاجزة ، ولنأخذ مثلا على ذلك حاسة البصر ، ان العين المجردة لا ترى الا فى حدود معينة ، فهى لا ترى فى الظلام ولا ترى الصغير جدا ولا البعيد جدا ، ولا تستطيع أن تخترق الجدر والحواجز لترى ما وراءها ، فانت لو سألك ماذا يوجد وراء هـذا الجدار ، وهو منك جد قريب لقلت عـلى الفور : انى لا أرى ما وراءه ، ولا تقول : لا يوجد شىء .

البكتريا كائنات حية صغيرة جدا فهى لا ترى بالعين المجردة وانما تـرى بالمجهر ، والفايروس مخلوقات أصغر من البكتريا بكثير ، فهى لا ترى بالمجهر العادى وانما ترى بالمجهر الاليكترونى ، وهذه الكائنات لها دور مهم فى حياة البشر وفى حياة الحيوان والنبات .

والانسان لم يكن يراها ولا يشعر بوجودها قبل اختراع المجاهر على اختلاف أنواعها ، فهل لم يكن لهذه الكائنات وجود قبل اختراع هذه الالات ، لمجـرد أن الانسان لم يكن يراها ؟

من من الماديين رأى الذرة ، فضلا عن بروتوناتها واليكتروناتها . . والذرة لا ترى بأقوى المجاهر ، اذ هى من الصغر بحيث اننا لو وضعنا مائة مليون ذرة جنبا الى جنب لبلغ طولها بوصة واحدة فقط ، فلماذا يؤمن الماديون بوجود الذرة وهم لم يروها ولن يروها ؟ !

الشريعة الاسلامية هى اساس الحكم

نشرت صحيفة اخبار العالم الاسلامى السعودية ما يأتى :

اتخذت ليبيا الشريعة الاسلامية مصدرا اساسيا للقوانين ، هذه الخطـوة لها مغزاها العميق الرائع فى سير الأحداث التى تتابع على منطقتنا العربية .

لقد اعلنت جمهورية مصر ومن قبل جمهورية اليمن أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الاساسى الذى سيقوم عليه تقنين القوانين فى مصر ، واليمن . بعد أن ثبت أن الأمة العربية المتمسكة بدينها وبأصالة تاريخها لن تتخلى عن قيمهـا وتراثها ، فخطوة جمهورية ليبيا اليوم واعلانها بجعل الشريعة الاسلاميـة هى الاساس الاول الذى تسن بموجبه كافة القوانين المدنية ، التى يحتاج اليهـا سير الحياة اليومية فى القطر الليبى ، هذه الخطوة تؤكد من جديد تصميم الشعوب العربية على تمسكها بدينها واصرارها على رفض كل ما يخالف هذه الشريعة او يمس بحقوقها وواجباتها .

وأيضا كان اللواء النميرى رئيس جمهورية السودان قد أعلن قبل فترة بأن شعب السودان شعب مسلم حريص على تقاليـده ومعتقداتـه ، وان دستـور السودان المقبل سيكون مبنيا وقائما على عقيدة هذا الشعب . فالاسلام هذا الدين العظيم الذى أعطى الأمة العربية امجادها ، وبعث فيها العزة والكرامة ، وصان مقدساتها ، وحفظ أصالتها ، هذا الدين العظيم جدير بهذه الامة أن تكون وفيـة لمبادئه ، حريصة على تعاليمه منفذة لأوامره . . ساعية ما بلغها السعى فى سبيل تحقيق اهدافه وتطبيق تعاليمه على حياتها اليومية فى كل مجالاتها ، وتطبيق تعاليمه على حياتها اليومية فى كل مجالاتها ، حيث أنه يملك العطاء الكامل لمنـح هذه الأمة من جديد عزتها المهدورة وكرامتها المسلوبة ، ومجدها الضائع اذا هى عادت اليه معتزة بتعاليمه ، متمسكة بأهدابه .

نسأل الله سبحانه أن يعيد الى امتنا الاسلامية اعتزازها بدينها ، ونصرها على أعدائها .

أخبار العالم الاسلامي

اعداد الاستاذ : ع. ب

الكويت : ادلى معالى وزير الخارجية ببيان فى مجلس الامة حول الاحتلال الايرانى لبعض الجزر جاء فيه أن موقف الكويت من موضوع الجزر نابع من ايمانها المطلق بعروبة هذه الجزر تاريخيا وبشريا وواقعيا .

● اجتمع معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بالامين العام للجامعة الاسلامية فى باكستان وتناول البحث أوضاع المسلمين هناك .

● أعلن معالـــى وزير الداخلية والدفاع أن جمع شمل العرب ضرورى لاستعادة الاراضى المحتلة ، وأن الكويت أميرا وحكومة وشعبا سيظلون بجانب مصر .

● تجرى المباحثات بين الكويت والاردن كى يزود الصندوق الكويتى للتنمية العربية مشروع انشاء سد الزرقاء وتقـدر تكاليفـه بحوالى خمسة ملايين دينار .

● بعثت الكويت (٣٢٠) صندوقا من الكتب والمراجع المدرسية والمقررات المدرسية هدية الى المسلمين فى أندونيسيا .

● بلغ عدد الخريجين بالكويت من سنة ١٩٦٦ — ١٩٧٠ — ١٢٠٠ مدرس كويتى .

● طلبت وزارة الشئون الاجتماعية من جمعية الاصلاح الاجتماعى تنظيم دورة لتحفيظ القرآن الكريم فى مراكز الشباب التابعة للـوزارة .

القاهرة : قررت مصر تحرير الارض المحتلة بعد أن رفضت اسرائيل لمـدة أربع سنوات تنفيذ قـرار مجلس الامن لحل المشـكلة ، كما رفضت التعاون مع ممثل الامم المتحدة وكل الجهود السلمية .

● بحث وزراء الخارجية والدفاع ورؤساء الاركان العرب خطط المستقبل من أجل المعركة .

● تقرر تدعيم العلاقات الثقافية الاســلامية بين جمهورية مصر العربيـة ، وكل مـن الاردن وأفغانستان واليابان وتزويد هذه البلاد بالمكتبات الاسلامية وتبادل الخبرات بينها وبين مصر .

● يجرى حاليا دراسة توحيد المناهج للتعليم الثانوى بين دول اتحاد الجمهورية العربية ، وسيتم توحيد المناهج فى التعليم الاعدادى فى العام الدراسى ٧١ — ٧٢ .

السعودية : صرفت وزارة المالية مساعدات الى عدد من المؤسسات الاسلامية فى مقديشو وغانا وجنوب الهند والاردن .

● حذرت رابطة العالم الاسلامى الشركات السينمائية من تمثيل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو شخصية أحد من أصحابه رضى الله عنهم .

● أقامت ادارة التعليـم بمكة المكرمة أسبوعا للقـرآن الكريـم ، وقد تبـرع جلالـة الملك فيصل لجماعة تحفيظ القرآن الكريم بمبلغ (٢٠) ألف ريال .

● تم صرفمبلغ(٤٣٧٫٠٤٠) ريال سعودى تكاليف طبع (٥٠٫٠٠٠) نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغـة اليابانية وهى أول ترجمة بهذه اللغـة .

العراق : تبذل العراق جهودا ديبلوماسية من أجل العمل على توحيد الجهد العربى فى مواجهة اسرائيل وحماية عروبة الخليج .

● ابدت العراق استعدادها لبذل المساعدة فى نهضة الامارات العربية وانجـاح اتحادها .

الاردن : تواصل اسرائيل تنفيذ مخططاتها لتهويد القدس عن طريق بناء المستعمرات ، وهـدم البيوت العربية ، ثم فتح الباب الذهبى المؤدى الى داخل الحرم القـدسى والمغلق منـذ مئات السنين .

سـوريا : ستقوم وزارة الخارجية السورية بحملة اعلامية ودبلوماسية على نطاق واسـع لتفنيد ادعاءات اسرائيل بشأن اليهود فى سوريا .

● عقد فى دمشق مؤتمر الكتاب العرب الثامن فى الفترة من ١١ ــ ١٦ ديسمبر .

لبـــنان : شكل المجلس الاسلامى الاعلى لجنة لدراسة أوضاع العلماء فى لبـنان ورفع مستوى التعليم الدينى .

ليبيا : بدأت لجنة من فقهاء القانون والشريعـة الاسلامية فى وضع قانون اسلامى جديد للاحـوال الشـخصية .

● سجل حوالى (٢٠) الف حاج ليبى اسماءهم لاداء فريضة الحج وهو رقم قياسى لم يسبق من قبـل .

● اغلقت ليبيا متاجر الخمر والمتاجر المشبوهـة ، واعلن عن عرض القوانين على الشريعة الاسلامية ، وترك القوانين التى لا تتمشى مع هـذه الشريعة .

● صدر فى ليبيا قانون تجبى بمقتضاه الزكاة طبقا لاحكام الشريعـة الغراء .

تـــونس : بعث الرئيس الجزائرى هوارى بومدين رسالة للرئيس التونسى مع رئيس جبهة التحرير الجزائرى تتعلق بالمشكلات التى تهم أفريقيا الشمالية والشرق الاوسط .

المغـــرب : بلغ عدد الجمعيات الثقافية التى تتقاضى المساعدات من وزارة الثقافة والتعليم العالى (٢٧٤) جمعية .

الصومال : قام الرئيس الصومالى محمد زياد بجولة لزيارة مصر والسعودية وسوريا اجرى مباحثات هـــامة استهدفت تدعيم العلاقات بين هـذه البلاد الاسلامية .

اتحاد الامارات العربية : اعلنفى الشهر الماضى فى (أبو ظبى) عن قيام دولة اتحاد الامارات العربية ، وقد انضمت الدولة الجديدةالى الجامعـة العربية والامم المتحدة .

● تم فتح الطريق الذى انجزته وزارة المواصلات السعودية لربط امارات الخليج العربى بعضها ببعض ، وبالمملكة العربية السعودية .

اليمـــن : فرضت ضريبة على طوابع البريد وتذاكر دور الملاهى جعل ريعهـا لتعليم الاميين فـى البـــلاد .

اندونيسيا : انشىء معهد اسلامى فى جاكرتا للفقه الاسلامى بهـدف المساعدة فى وضع القوانين واصدار مجلـة اسلامية ودائـــرة معـارف اسلامية كذلك .

ماليزيـا : افتتح ملك ماليزيا فى الشهر الماضى المسابقـة العالمية فى تلاوة القرآن الكريم اشتركت فيهـا (١٤) دولة اسلامية وحكم المسابقة علمـاء من مصر والسعودية والكويت والمغرب .

● اقيم فى الفترة ١١/٥ ــ ١٢/٥ فى المسجد الوطنى فى كوالا لامبور معـرض اسلامى موضوعه (الاسلام ومساهمته فى تنمية العلم والتكنولوجيا) .

باكستان : اشتعلت نيران الحرب بين الهند وباكستان بعد تازم العلاقات واشتد الخلاف بين البلديـن بسـبب باكستان الشرقية .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : **مكتبة مكة** — السيد عوض با عامر — ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكــة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين

عــدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبــى : مكتبة ومطبعة دبى — السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

قطــر : مكتبة الثقافة — السيد سالم الانصارى — الدوحة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ـ العدد ٨٤ ـ ذى الحجة ١٣٩١ هـ ـ ١٧ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٢ م



العدد القادم" عدد ممتاز"



قام سعادة عبد الستار السيد وزير الأوقاف السورى برافقه سـعادة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية راشد عبد الله الفرحان بزيارة لدار القرآن وفى الصورة يبدو الوزيران فى أحد فصول تدريس القرآن الكريم



جانب خارجى من الحـــرم النبـــوى الشريف وتبدو فى الصورة احـــــدى مآذن الحـــرم ••

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السـنة السـابعة

العـــدد الرابع والثمانـــون

غرة ذى الحجة ١٣٩١ هـ

١٧ يناير « كانون الثانى » ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســـياسية

الثمـــن

الكـــويت	٥٠	فلســا
السعودية	١	ريـــال
العـــراق	٧٥	فلســا
الاردن	٥٠	فلســا
ليبيـــا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـــا
الجـــزائر		دينـــــار وربع
المغـــرب		درهـــم وربـــع
الخليج العربى	١	روبيـــة
اليمن وعدن	٧٥	فلســا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـــا
مصر والسودان	٤٠	مليمـــا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـــويت ١ دينـــار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأســـا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنـــوان المراسلات

مدير ادارة الدعـــوة والارشـــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

القتال ...

على امتداد تاريخ الانسان الطويل على هذه الارض لم يخل جيل من الأجيال ، ولا عصر من العصور ، ولا مكان من الأمكنة من حرب تسفك فيها الدماء ، وتزهق الأرواح .
أن حياة الانسان منذ نشأته الاولى الى الآن سلسلة متصلة الحلقات من المعارك والحروب ، وستظل هذه الظاهرة ملازمة للانسان ما دام له ظل على الارض .

والناظر فى تاريخ البشرية يجد صدق هذه الظاهرة من العصر الحجرى الى العصور التى تليه الى عصر الفضاء الذى نعيش فيه .. من عصر التخاطب بالاشارة الى عصر اللاسلكى والعقل الالكترونى .. من عهد الكهوف والمغارات الى عصر ناطحات السحاب .

والزائر للمتاحف يبصر بعينيه السكاكين التى كانت تستخدم لبقر البطون ، والفؤوس التى كانت تهشم بها الرؤس ، والسهام التى سددت فأصابت المقاتل والسيوف التى طالما حزت الرقاب وأروت ظمأ العطشى الى الدماء .

وأخيرا يبصر الانسان فى حاضره الصواريخ عابرة القارات والطائرات التى تخترق الحاجز الصوتى، والقنابل النووية التى تنسف الجبال نسفا وتحصد الأحياء حصدا .

ويبدو أن نزعة البغى والعدوان فى الانسان لم تكن وليدة بداوة ، ولا ناجمة عن جهالة ، والا لكان شهر السيوف واشتراع الأسنة سمة عصور الفوضى والهمجية ، وارتفاع رايات السلام وسيادة الحب والوئام ميزة عصر العلم والنور والمدنية .

كما يبدو أن الاقتتال بين الناس لم يكن منشؤه الفقر والحاجة لتحصيل القوت ودفع الضرورة ، والا لكانت

أغنى أمم الارض أكرههــا للحرب ، وأشدها نفورا منها ، وأحرصها على حقن الدماء .

ان التقدم العلمى زاد الحــروب ضراوة واتساعا ونقلها مــن ميدان المتحاربين الى الآمنين الوادعين ، ومن الارض الى البحر الى الجو ، وسخر مواد الحياة وقوانين الطبيعة للتدمير والابادة : **(أفرأيت من اتخــذ الهــه هواه وأضله الله على علم)** .

وان وفرة الغنى والثروة فجــرت أطماع الغنى ، وأشعلت شره الثرى ، وزادت من غشمه وظلمه ، وفجوره وبغيه ، **(ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى)** .

ان ومضات العقل والحكمة بددها قتام المعــارك وغبار الميادين ، وان صيحات السلام طغى عليها قعقعــة السلاح وضجيج معدات التهلكــة والتخريب ، فلم يعد للرأى السديــد حكم يطاع ، ولا للحكمة قول يسمع ، فقامت مصانع الذخيرة والمتفجــرات مقام هيئات التحكيم ومجالس الحكماء واستبد السيف والمدفع بنصرة القوى وقهر الضعيف ، وفى ظل هذا الافلاس للحكمة والحجة فى حسم الشر ودفع البغى قال القائل :

السيف أصدق أنباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

وأنتهى علماء الاجتماع من دراسة تاريخ البشرية الذى تقطر صفحاتــه دما الى أن الانسان حيوان محارب ، أما منطقه فتضليل وأما ضحكه فخداع وأما عقله فهواء ، وأما قلبه فحجــر **(وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه المــاء وان منها لما يهبط من خشية الله)** .

ولعل الملائكة تراءى لهم هذا الجانب من الصورة التى يكون عليها الانسان بعد خلقه واستخلافه فى الارض ، فاشفقوا على المخلوقات من وجــود البشرية المحتربة الضالة ، وغلبت عليهم نظرتهم الملائكية الطاهرة التى لا تتصور الا الخير المطلق والا السلام الشامل ، فتمنوا ألا يكون لهذا الانسان وجود ، وخفيت عنهم حكمة المشيئة العليا فى بناء هذه الارض وعمارتها ، وفى استمرار الحياة وتنوعها ، وفى تحقيق أرادة الله جلت حكمته فــى تطويرها على يد هذا ــ الانسان الذى قد يفسد ، وقد يسفــك ، فقالوا : **(اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)** ..

ولعل جريمة القتــل الاولى التى حدثت فى فجر البشريـــــة ، وراح ضحيتها المسالم وبقى بعده قاتلــه على قيد الحياة .. لعل هذه الجريمة كانت أنذارا وايذانا للأخلاف من بعد بما يكون عليه مستقبل البشرية مــن تعاد وتقاتل ، ونهم بأراقــة الدماء وأزهاق الارواح ، وذلك ليقيمـــوا حياتهم مع الحب والاخاء على الحذر والحيطة ، ومع الامان والسلام على الاستعداد لتوقى الغدر والغيلــة ، ودفع الغادر ورد المغتال .

ان تسجيل القرآن الكريم لقصــة هذه الجريمة التى يتوهم أنها فردية

وقتية ، وتصويره لاحداثها بوضعه نموذج الطبيعة الشريرة العادية الباغية وجها لوجه مع نموذج الطبيعة الوادعة الخيرة ، السمحة الطيبة ، ثم ما كان من نتيجة هذه المواجهة المؤسفة المحزنة .. ان هذا كله يوضح بجلاء فشل الاسلوب الرفيق والمنطق اللين فى حسم الشر ودفع العدوان .

وهذا هو النص القرآنى المعجز ينقل القارىء والسامع الى مسرح الحادثة القديمة ويصور له وقائعها خطوة خطوة فى سلاسة ووضوح قال الله تبارك وتعالى : **((واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين . انى أريد أن تبوء بأثمى وأثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)) ..**

وغير طبيعى ولا منطقى أن يترك الضعيف طعمة للقوى ، وأن يطلب من المظلوم أن يستسلم لظالمه ، وأن يخلو الميدان للذئاب تصول فيه وتجول وتقتحم الحرمات وتنتهب الأموال وتسفك الدماء .

لقد وقفت الديانات السماوية كلها صفا واحدا تمقت البغى والباغين وتعنف الظلمة والظالمين على اختلاف فى وسائل المقت والتعنيف ومناصرة الحق وأزهاق الباطل حتى جاء الاسلام فلعن الحروب التى تخوضها البشرية كفرا وعنادا وطغيانا واستعلاء ، ولعن الخائضين فيها والمساندين لهم ، وكان له فى مواجهة الشر موقفين متعاقبين ، اذا لم يجد أولهما فليس الا ثانيهما :

الموقف الأول : من الصراع تقوم فيه الآراء مقام الجنود وتقوم الحجج مقام السلاح ، وتقوم العقول مقام الذخيرة ، فيحل بالرأى ما يحل بالحرب ، ويعالج بقوة الصبر ما يعالج بقوة الحديد والنار ، ويداوى بضبط النفس والتحكم فى الاعصاب ما يداوى بفحيح الغيظ ولهيب الغضب **((وجادلهم بالتى هى أحسن)) ((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)) ((قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين)) ((وأصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون)).**

فاذا لم يحسم هذا الاسلوب الصراع ، فلا مفر من الموقف الثانى ، وهو القتال ، ومقابلة القوة بالقوة ورد العدوان بالعدوان ودفع الشر بالشر اذا لم تكف الحجة المقنعة ولا الكلمة الطيبة ، فليس الا السلاح ، ولا يفل الحديد الا الحديد .

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم
والشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم

هذا هو منطق الحق والعدل ، وهذا هو الموقف الجاد لاقرار الأمن

والسلام ، والاسلام يفرض علـى الأمة اذا واجهت هذا الموقف ان توقظ كل خلاياها . و ن تحشد كل قواها ، وتوفر على استعدادها وتجمع كـل طاقاتها لتواجه القوة المهاجمة بايمان لا يتزعزع وارادة لا تتخلخل ويقين فى النصر لا يتحول .

والانتصار فى المعارك ليس بالامر الهين ، ولا المطلب السهل المنال ، وخاصة اذا كان العدو شرسا ضاريا، ولهذا نجد القرآن الكريم وهو يحرض المؤمنين على القتال بعد أن يأمرهـم بالاعداد المادى يتجه الى أمرين أولهما تقوية الروح المعنوية فى أوليائـه وثانيهما بث الخوف واشاعة الهزيمـة واليأس فى قلوب أعدائه .

ففى جانب المؤمنين يقول الله لهم : ((**فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين**)) **ويقول** ((**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين**)) . **ويقول** ((**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قـوم مؤمنين**)) **ويقول** ((**ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون**)) ((**لا يقاتلونكم جميعا الا فـى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**)) وبعدهم على الشهاده فى سبيلـه بالحياة الدائمة فى دار النعيم ((**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل اللـه أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقـون فرحين بما آتاهم الله من فضله**)) ..

وفى بث الفزع واشاعـة اليأس وتبديد الأمل فى قلوب الأعداء يقول الله سبحانه : ((**ان الذين كفـروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيـل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**)) **ويقول :** ((**قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم**)) .

بقى موقف ثالث لا يعترف الاسلام به ، ولا يدخله فى حسابه ، بل يأباه ويرفضه ، وينهى عنه ويحرمه لأنـه طريق الى الموت والفناء ، وهو موقف التخاذل والاستسلام والرضا بالواقع ((**ولا تهنوا وتدعو الى السلم وأنتم الأعلون**)) .

والمسلمـون اليوم على قـدر مع القتال بعد اخفاق الحجة والبرهان وضياع الجهود المبذولة من أجـل السلام وتمادى العدو فى صلفـه وغروره ((**كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)) .

مدير ادارة الدعوة وارشاد
رضوان البيلى



لفضيلة الامام الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

ان توافد الناس الى مكـــان مقدس يجتمعـــون فيه للتعارف وتقـــديم الضحايا والقربات للآلهة التى يعبدونها أمر مقرر عند أكثر الأمم قديمهـــا وحديثها على اختلاف ما بينهم فى المعبود الذى يتقربون اليه ، وفى القربة التى يقدمونها ، والطقوس التى تلازم هذه العبادة ، والى رسوخ هذه الشـــعيرة وقدمها وعمومها يشير قوله تعالى فى سورة الحج ، « ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام » وقوله فيها أيضا « ولكـــل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم » .

وقد جاء الاسلام فجعل للمسلمين منسكا يتقربون فيه الى الله بالضحايا ويجتمعون لتبادل المنافع وتوكيد التعارف ، وهو الحرم الآمن المقدس فى مكة ، عند ذلك البيت الذى اختاره الله لسيدنا ابراهيم مكان عبادة يجمع عليه العرب الذين يتناسلون من ذريته من اسماعيل الذى تركه وحيدا مع أمه هاجر فى هذا الوادى الذى لا زرع فيه ولا علامة تدل على حياة أو أنس . لقد دعا ابراهيم ربه وهو يترك وحيده مع أمه أن يبارك هذا المكان ويجعله آهلا بالسكان ، وأن يفيض عليه الخير من كل صوب وحدب وأن يجعل لأهله ذكرا باقيا وشرفا رفيعا جزاء ما قدموا من تضحية أرضوا بها ربهم قال تعالى : « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » .

لقد حج العرب هذا البيت استجابة لدعوة ابراهيم كما قال سبحانه له « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » لقد كان للعرب مناط عزهم ومعقد فخرهم ، وكم تنافست عليه القبائل والعشائر لادارته وخدمته ، ثم شاء الله لهذا البيت أن يتبوأ مكانه الرفيع فولد فى رحابه خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء الاسلام مؤكدا لفرضية الحج اليه فقال سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

وان اختيار هذا البيت مثابة للناس وأمنا ومنسكا امتداد للاختيار الذى أراده الله لابراهيم أبى الأنبياء ، وايذان بالدعوة العالمية التى يدعو اليها محمد صلى الله عليه وسلم على دين أبيه والى الناس أجمعين . وقد نال المسلمون شرف الانتساب الحق الى ابراهيم مقرر دعوة التوحيد على أسس متينة أساسها البرهان القوى النابع من النظر فى الكون ، وكانوا بدعوتهم العالمية قاضين على فكرة المتعصبين من الأديان الأخرى الذين حاولوا كذبا وزورا أن يدعوا نسبة ابراهيم الى ملتهم كما قال سبحانه « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » .

لقد فرض الله الحج على المسلمين بعد أن أتم النبى صلى الله عليه وسلم تطهير البيت مما ألصقه به المشركون من صور وتماثيل وبما أدخلوا على مناسكه من تحريف وتشويه ، وكان هذا التطهير فى السنة الثامنة من الهجرة حين فتحت مكة ففرض بعدها الحج فى السنة التاسعة على مارآه المحققون .

ان الحج مفروض على كل قادر ببدنه وماله وعلى كل من توافرت لديه كل الوسائل وواتته كل الظروف التى يستطيع معها أن يؤدى هذه الفريضة فى

أمن تام وهدوء كامل ليتفرغ قلبه كل التفرغ لاستمطار رحمة الله وليستعد كل الاستعداد لاستقبال نفحات الله وليحقق تماما أنه جدير بالانتساب الى وفد الله الذى يقول فيه النبى صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » رواه النسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حيان فى صحيحيهما عن أبى هريرة ، ان الحج الذى يرجع منه الحجاج مغفورا لهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، والذى يباهى فيه الله الملائكة بمن لبوا دعوته وتركوا أوطانهم وأهليهم وتحملوا ما تحملوا من متاعب السفر والتضحيات الأخرى ، فيقول للملائكة يوم عرفة « انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق . أشهد كم أنى قد غفرت لهم » رواه البيهقى وابن خزيمة فى صحيحه عن جابر .

ان الحج الى جانب هذه النفحات الربانية العظيمة فرصة لتلاقى المسلمين لتبادل المنافع بينهم وهى منافع عامة واسعة تتناول الجوانب الاقتصادية والثقافية والسياسية وسائر الجوانب التى تقوى وحدة المسلمين وتشعرهم جميعا بأنهم جسد واحد . كل أمة أو جماعة تمثل عضوا فيه تستمد منه وجودها ويقوم كيانه عليها جميعا ، والمسلمون اذا وعوا هذه الحكمة العظيمة حق الوعى جعلوا من الحج مؤتمرا سنويا عالميا يبحثون فيه قضاياهم ويحلون فيه مشاكلهم ، ويجددون العهد مع الله أن يعيشوا أمة واحدة كما قال سبحانه « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . نعم ان المظاهر التى توحى بالوحدة كثيرة فى موسم الحج ، فالتلبية واحدة وهى شعار يدوى فى الأرجاء وتردده الأجواء وليس هناك الا معبود واحد كلهم لبوا دعوته وأقروا له وحده بالنعمة ودانوا له وحده بالطاعة ، والوقوف بعرفه فى الملابس المتواضعة التى ردت الانسان الى أصله الأول يوم خلق مجردا عن كل زيف كسابه نفسه ليمتاز به على اخوته وبنى جنسه ، والاجتماع فى هذه الساحة الواسعة على رمالها وصخورها بعيدا عن العروش والأرائك والفرش والنمارق والتوجه بالقلوب عند الافاضة الى وجهة واحدة هى بيت الله الذى بيده كل شىء لا بيت فلان أو فلان الذى يفتن بالقصد اليه من نسوا أن ربهم هو الغنى وحده والعزيز وحده من قصده أغناه ومن لجأ اليه أعزه وأواه ، والطواف حول البيت العتيق فى أمواجه المتتالية وتزاحمه الشديد الذى يشبه دوران الذرات حول نواتها وتمسكها بمركز قوتها والتزام مدارها المحدد لها ، كل أولئك وغيره من المظاهر يوحى ايحاء قويا بأن المسلمين لا تقوم لهم حياة كريمة الا بوحدتهم ولا يرتفع لهم شأن الا بتعاونهم ولا يستقر السلام بينهم الا بتآلفهم ومحبتهم .

ان المسلمين الآن وهم فى محنتهم التى اغتصب فيها المسجد الأقصى وطرد اخوتهم من بيوتهم وسلبت حقوقهم واعتدى على أراضيهم — أحوج ما يكونون الى وحدة الصف وجمع الكلمة وتألف القلوب وتقارب النفوس ، والى البذل والفداء ، والى نسيان المصالح الخاصة فى سبيل المصلحة العامة

والى تناسى الأحقاد وطرح الحزازات ، وبدء حياة جديدة يشعرون فيها بماضى عزهم ويعقدون العزم على استعادة أمجادهم .

ان مؤتمر الحج الذى يشهده ممثلو المسلمين من جميع أنحاء العالم جدير أن يلاحظ هذه المعانى وهو يؤدى الفريضة المقدسة . وان كل مسلم يعيش لحظاته السعيدة فى هذه الأراضى الطاهرة يجب عليه أن يستعيد الذكريات القديمة لحياة الدعوة الاسلامية ويقرأ فى الجو الذى يعيش فيه كيف انطلقت أول صيحة لتحرير الانسانية من رقها ، وكيف واجه النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه الصعاب وتخطوا العقبات التى وضعها الشرك أمامهم ، وكيف تحملوا وصمدوا وصبروا وصابروا ، فما لانت لهم قناة أمام الوعيد ، ولا سال لهم لعاب أمام الاغراء والوعود ، وكيف انتقلوا بالدعوة الى ميدانها الفسيح فى المدينة فانطلقوا بها الى الآفاق الواسعة ينشرونها شرقا وغربا فى اخلاص كامل وتعاون تام وتضحية بالغة حتى قامت لهم دولة تغنى بها التاريخ ولا يزال يتغنى بأمجادها حتى تقوم الساعة .

كل هذه المعانى جدير أن يمتلىء بها قلب المسلم ليعود انسانا جديدا كله ايمان بربه وثقة بنفسه وغيرة على دينه واخلاص لوطنه وحب لمجتمعه ، انها معان تنبع من وحى هذه الجملة القصيرة التى صدر الله بها حكمة تشريع الحج « ليشهدوا منافع لهم » .

أرجو الله لحجاج بيته حجا مبرورا وعودا محمودا ، وتوفيقا لعمل الخير ، وأتوجه اليهم بالرجاء أن يدعوا الله فى الأماكن الطاهرة أن يلهم المسلمين الرشد ليوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم ويخلصوا قدسهم ووطنهم السليب من أيدى المجرمين . والله سبحانه ولى التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير .



في رحاب القرآن الكريم

للاستاذ عبد العزيز العلى المطوع

هذه نظرات فى كتاب الله تعالى بدأها الاستاذ عبد العزيز العلى المطوع القناعى بهذا المقال ، ووعد — مشكورا — بمتابعتها ، وسنوالى القراء بها ان شاء الله ..

مقدمة فى اعجاز القرآن وبيانه :

القرآن العظيم : آخر الكتب السماوية ، نزل على خاتم رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو المعجزة الكبرى ، والنعمة العظمى ، التى أنعم الله بها على عباده الى يوم الدين ، وهو المرجع الأكبر لهم فى شئون دينهم ودنياهم ، الصالح لكل زمان ومكان ، ولكل عصر ومصر ، وحسبنا فيه ما وصفه الرسول الكريم به حيث قال : « كتاب الله فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الاتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا « انا سمعنا قرآنا عجبا » من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » — الترمذى .

جاء القرآن الكريم مصدقا لجميع الكتب السماوية من قبله ومهيمنا عليها ، فقد قال سبحانه فى سورة المائدة : « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** » (الآية ٤٨) .

والقرآن العظيم أنزله الله محكما ثم فصلت آياته ثم ازدادت تفصيلا وبيانا بتقدم العلم وتطور الزمن لأنه منزل بعلم الله الذى له ما فى السموات والارض : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » .

ولقد قال جل شأنه فى الآية الاولى من سورة هود : « **الر . كتاب**

أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » وقد جاء فى الآية (١٧) من سورة هود ما يضيف الى هذه الآية بيانا جديدا وذلك فيما يظهر من قوله سبحانه **« أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة »** .

والبينة هى النور المبين والقرآن العظيم ، ويتلوه أى يتبعه شاهد مما يظهر من تفصيل ما أحكم من آيات كتاب الله ، ويكشف عنه العلم كلما تقدم ، أما الشاهد قبله فهو كتاب موسى اماما ورحمة ، وفى الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سورة القيامة **« لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه »** .

وفى الآية ٣٨ من سورة الانعام : **« وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ، ثم الى ربهم يحشرون »** .

كما جاء فى الآية ٥٩ من سورة الانعام : **« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين »** وفى الآية ٨٩ من سورة النحل : **« ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ، وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ، ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »** .

وجاء فى الآية ٣٨ من سورة يونس : **« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين »** .

وفى الآية ٧٥ من سورة النحل : **« وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين »** . وفى مستهل سورة يوسف : **« الر . تلك آيات الكتاب المبين ، انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »** . وفى الآية ٥٢ من سورة الاعراف : **« ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون »**

وفى الآية ٥٣ منها : **« هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله ، يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ، أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ، قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون »** .

وفى الآية الثالثة من سورة فصلت يقول سبحانه : **« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون »** . وفى الآية ١١١ من سورة يوسف : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن **تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »** .

يتضح لنا من الآيات المتقدمة أن القرآن العظيم منزل بعلم الله ، وأن فيه تفصيلا لكل شىء ، وتبيانا لكل أمر ، وهذا التفصيل يأتى تأويله تباعا فى أوقاته كما تتفتح البراعم فى مواسمها بحدائق البصائر النيرة ، وبفعل النظرات المخلصة ، والتفكير الموفق فى النفوس المؤمنة ، والافئدة المستعدة للنور ، والاجهزة المستقبلة للخير فى مختلف الازمنة والامكنة وآيات الله تحث الانسان على التفكير والتبصر والنظر مع البعد عن التكلف فى الرأى أو التعجل به قبل أوان الفتح وتفصيل الآيات لقوم يعلمون ..

ولقد جاء فى سورة فصلت : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »** (الآية ٥٤

من سورة فصلت) وجاء فى سورة الواقعة : ((**فلا أقسم بمواقع النجوم . وأنه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين**)) (الآيات ٧٥ الى ٨٠) .

ولعل الذى يظهر من جواب القسم أن بين دفتى هذا القرآن العظيم المنزل من رب العالمين مكنونات من العلم كثيرة تتجدد مع تقدم المعرفة فى مسـيرة الزمن وأنه لا يتماس معه لاسـتخراج هذه الكنوز المكنونة الا المطهرون ، ولعل بيان هذا الطهر جاء فى جواب المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الراسـخين فى العلم وهو : « من طهرت سريرته وحسنت سيرته وعف بطنه وفرجه » وأن المقصـود من هذا الحـديث فيما يظهر أن يكون الانسان وعاءا طاهرا نظيفا لاستقبال الفيض ، وحمل أمانة العلم فى الوقت المناسب : ((**واتقوا الله ويعلمكم الله**)) .

والقرآن العظيم هو كتاب الزمن ومأدبة الله الخالدة ، مصداقا لقوله سبحانه : **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**)) وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « أنا رحمة مهداه » وقوله صلى الله عليه وسلم « القرآن مأدبة الله فى الارض فخذوا من مأدبة الله ما استطعتم » .

وفى الأثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآيات ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ من سورة الانعام وهى : ((**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نفصل الآيات لعلهم يفقهون**)) الى قوله سبحانه : ((**لكل نبأ مسـتقر وسوف تعلمون**)) قال : انها ، آتية ولم يأت تأويلها بعد ، ولعل هذه الحروب من تأويلها : فالطائرات من فوق ، والالغام من تحت ، والحروب المذهبيـة والحزبية قائمة بين الأخ وأخيه فى جميع أنحاء العالم ، وما تلك الانباء الا من اعجاز القرآن العظيم واخباره عن المستقبل ، وقد كان السلف الصـالح يتورع عن التكلف خشية استعجال المعنى قبل الأوان وقد وعد الله سبحانه ببيانه بعد الوعد بحفظه فى بضع آيات من سورة القيامة وقد تقدم ذكرها .

ومما يؤثر عن أبى بكر الصديق أنه سئل عن حرف من القرآن فقال رضى اله عنه : « أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، وأين أذهب ، وكيف أصنع ، اذا قلت بحرف من كتاب الله فى غير ما أراد الله » .

وسئل على بن أبى طالب كرم اله وجهه : هل خصكم الله بشىء من القرآن أهل البيت ؟ قال « لا ، الا فهما أوتيه رجل فى كتاب الله » .

ويقول سبحانه : ((**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**)) تكرر ذلك فى سورة القمر ويقول سبحانه : ((**ولقد يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون**)) سورة الدخان (الآية ٥٨) ــ وجاء فى سورة الانعام : ((**قد جاءكم بصـائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ . وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون**)) ١٠٤ ، ١٠٥ ولعـل مما يظهر من هاتين الآيتين وما قبلهما من السورة نفسها أن المتقدمين من العلماء فى العالم سيقولون بعد ما يسـتبين لهم الأمر : حقا لقد درست يا محمد بمدرستك الربانية فسبقت مدرستك جميع المدارس بل فاقتها : ((**وما ذلك على الله بعزيز**)) .

: ((**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**)) (الآية ٢٤ من سورة محمد) ((**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**)) (الآية ٨٣ من سورة النساء) . ((**يا أيها الناس قد جاءكم برهان من**

ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا » (الآية ١٧٤ من سورة النساء) .

ان كتاب الله العظيم هو دستور الزمن ونوره ومرجع الناس الى يوم القيامة وهو معين العلم تنهل منه النفوس العطشى الى المعارف والعلوم وتتطلب المزيد من معينه الصافى الذى لا ينضب .

ان طالب العلم نهم لا يشبع من سلسبيله وخضم العلم أمام طالبيه واسع الجنبات مترامى الشطان ، متزاحم الموج ، عذب المورد والله سبحانه يقول : « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » ولا يخفى ما فى ذلك من التشجيع للازدياد من العلم : « **وقل رب زدنى علما** » .

وقد كان رسول الله لا يستعجل بيان القرآن ولا يتكلف فيه وهو الذى نزل عليه القرآن وهو الطاهر الأمين الذى هو أولى النـاس بالازدياد من العلم ، ومما يدل على عدم تكلفه صلى الله عليه وسلم فى معانى كتاب الله وتركه الامر للزمن وللاذهان المتفتحة أمر الله سبحانه لخاتم رسله فى ختام سورة (ص) « **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين** » . وقوله صلى الله عليه وسلم « من سمع منى مقالة فليبلغها كما سمعها رب مبلغ أوعى من سامع » والسامع صحابى والمبلغ من بلغه الار بعد ذلك الى يوم القيامة .

على أن جانبا من المتأخرين قد أطلقوا أقلامهم بتفاسير مطولة لا تخلو من تكلف متعاقب ونقل مكرر ، وجاء بعضها كموسوعات كبيرة ومفيدة فى أمور كثيرة غير التفسير ، واذا كانت بعض آيات كتاب الله تشـتمل على ما جاء فى بعض هذه التفاسير فانها لا تتقيد بها وحتى أسباب التنزيل تشتمل عليها الآيات دون التقيد بها وقد قيل : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . .

وغالبا ما يقيد المفسر نفسه بما سبقه من تفاسير محملا المسؤولية فى ذلك لغيره وربما كان ذلك خشية الرد عليه وفقدان مكانته بين الكثرة الغالبة فى المجتمع وربما أدى ذلك الى قطع رزقه ، ومعروف أن الاقوال القديمة لها استقرارها فى الأذهان على ما قد يكون فيها من غريب ودخيل وقد يذهب البعض الى ما يظنونه تمكينا للمعنى فيؤيدون ما يفسرونه ببيت من الشعر قد يرصونه رصا يحشرون معنى الآية فيه حشرا أو بأحدوثة من الاسرائيليات أو غير ذلك مما قد يشغل أغلبية القراء عن التفكير فى سمو المعانى القرآنية وأهدافها الكريمة وأسلوبها الرصين ، راضين بهذا الحشو الغريب عن مفهوم السلف الصالح وورعه .

ثم أننا فى عصر العلم وعصر العلم مدعاة لاستخراج الجديد من كتاب الله لتعلم الدنيا أن كل جديد فى العلم انما هو كشف عن بعض مكنونات هذا الكنز العظيم والكتاب الخالد الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أنه علم الله المبدع العظيم الذى يسـعى الانسان لاكتشافه ما وسعه جهده فى هذا السبيل مصداقا لقوله سبحانه : « **لكن الله يشهد بما أنزله اليك أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا** » الآية ١٦٦ من سورة النساء .

وما دام القرآن العظـيم هو المنزل بعلم الله والاسرار العلمية التى يحاول اكتشافها العلماء هى من علم الله فلا بد من يوم يعلم فيه الذين آمنوا بالعلم أن القرآن الكريم قد سبقهم الى الانبـاء بهذا الكشف فيعودون الى فطرة الايمان بآله واحد مالىء للكون ومهيمن عليه ، وتصحو روح الخير

فيهم ويستيقظ بيقظتهم الحيارى والمتشككون وكل منحرف عن الطريق الأقوم ، فيطلون على الحقيقة من النافذة التى اطل منها من آمنوا قبلهم فتتبلور الافكار الشاردة والآراء المتأثرة بالعصبية الموروثة والمعتقدات المتشعبة حول هذا الكتاب الخالد المنزل بعلم الله الذى يعلم الخبء فى السماوات والارض والذى سجل فضل العلماء بقوله سبحانه : **((قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون))** ــ وأن آيات كتاب الله فى فضل العلم لكثيرة ، كما ورد عن المصطفى صلى اله عليه وسلم الكثيرم فى فضل العلماء على النساك أذكر من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ((لغدوة أو روحة فى سبيل العلم تعدل عبادة أربعين خريفا)) وفى الاثر عنه صلى الله عليه وسلم : ((من تساوى يوماه فهو مغبون)) ويفسر هذا الحديث حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم : ((اذا طلع على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك لى فى شمس ذلك اليوم)) .

وحبذا لو نقح ما لدينا من تفاسير واستخرج منها ما هو دخيل وغريب ثم ركز على ما يظهر من مفاهيم كتاب الله دون تكلف أو تزمت سيما ما ظهر حتى اليوم من علوم تؤيد ما ورد فى كتاب الله وشرحت فى اطار العلوم الثابتة دون الجنوح الى التشكيك فى أثر القديم وفضله ، ولا الى التثبت بالجديد وروائه واتخذ كتاب الله وسنة رسوله حكما وفيصلا فى ذلك .

وكما أن فى الكتاب العظيم منبعا لكل علم فان فيه حلا لكل الخلافات المذهبية فى المجال الاقتصادى والسياسى والاجتماعى وغير ذلك ، قديما وحديثا وأنه الوسط بين اليمين واليسار وكذلك كانت الأمة التى نزل عليها هذا الكتاب وفى موقعها الجغرافى أيضا لتكون فى الذروة المرموقة وفى موضع الحكم بين الناس ، قال جل شأنه فى سورة البقرة : **((وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) الآية ١٤٣ .**

فاذا ما أمرت الأمة بالمعروف ونهت عن كل ما ينكره العرف عن ايمان بالله وتصديق بكلماته ، كانت خير أمة أخرجت للناس مصداقا لقوله سبحانه، ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) الآية ١١٠ من سورة آل عمران . وفى الآية ٦٤ من سورة النمل قال جل شأنه : ((وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)) . وفى الآية ٢١٢ من سورة البقرة : **((كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم))** .

والقرآن العظيم كثيرا ما يطلب الى الجميع التفكر والتبصر والتدبر فى الآيات وفتح القلوب ، وعندها تفيض المعانى العظيمة منها على الالسنة والأقلام المؤمنة فتنطلق رسلا وكتبا الى العالم أجمع فى مختلف أحواله وعصوره ، وفى هذا نشر لرسالة الحق والسلام ، وبعث لنور الهداية المحمدية الى الدنيا بأسرها ، لتخرجها من الظلمات الى النور ، قال سبحانه : **((أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم))** الآية ٩ من سورة يونس . والايمان هو الهدف الأول وهو وسيلة الهداية التى هى المرحلة التالية بعد الايمان والعمل الصالح مصداقا لقوله سبحانه : **((وانى لغفار**

لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » الآية ٨٣ من ســـورة هود وقوله سبحانه : « **يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل الســـلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »** الآية ١٦ من ســـورة المائدة : « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين »** الآية ٦٩ من سورة العنكبوت . ولقد جاء فى الآية ١١ من سورة التغابن : « **ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم »** .

كذلك يوجب القرآن الكريم أن يقوم كل بدوره دون تقصير أو كتمان ، حيث حرم الله الكتمان فى كتابه ، وانى لأكتفى فى هذا المجال بذكر ما ورد فى سورة البقرة فى الآيتين ١٥٩ ، ١٦٠ : « **أن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم »** .

وان من يوفق للايمان والهدى كمثل المشكاة الصالحة المتصلة بالتيار تستمد النور وتشعه لذوى الابصار فتبدل ظلامهم نورا .

ومرة أخرى أقول أن القرآن العظيم حلقات متماسكة يفسر بعضه بعضا ويمكن أن تكون الفاتحة عنوانا له وواسطة لعقده ، بحيث يمكن أن يلتقى طرفا القرآن العظيم عند سورة الفاتحة (والطرفان هما ســـورة البقرة وسورة الناس) . على أنى قبل أن أتابع الترتيب القرآنى أود أن أبدأ بسورة الناس وهى الخاتمة لأنها ترتبط مع الفاتحة برباط وثيق كما ترتبط السورتان (الناس ، والفاتحة) بسورتى (الفلق ، والاخلاص) وهذا ما أرجو أن أوفق الى تقديمه كانموذج وجهد محدود راجيا أن يحقق الله على أيدى من هم أوسع منى علما وأنسب ظروفا وامكانات اتمام ما سأبدأ به باذن الله .

وأنه على الرغم مما يحيط بى من مشاغل تستنفد جل وقتى ومن قلة معلوماتى وضيق اطلاعاتى فيما عدا تلاوة القرآن الكريم ، ككل مسلم يتلو كتاب الله أو يســـمعه ، فانى أرى أن على واجبا لا مناص من أدائه ازاء مسئوليتى أمام الله حول عرض ما ظهر لى من معان خلال تفكيرى عند تلاوة كلام الله مع اعترافى بالتقصير . وأنى لأعترف أيضا بأن ما أقدمه قد يحتوى جديدا على القارىء والسامع ومعروف أن الاستجابة السريعة للجديد ليست بالأمر السهل حتى ذلك الذى جاء على أيدى رسل كرام يوحى اليهم من رب العالمين ، مؤيدين بالمعجزات فكيف اذا كان الجديد من انسان مثلى يعترف بتقصيره وعدم سعة اطلاعه ولكن الذى يشـــفع لى ويطمئنى أنى أحرص استطاعتى على ألا أتكلف ولا أخرج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أجانب العلوم الراسخة ولا أجافى المنطق السليم ولا أعرض معانى كتاب الله للنظريات القابلة للتغيير والتبديل ، الى جانب ذلك فانى كلى اصغاء لمن يرشدنى الى أخطائى وجل من لا يخطىء « والحكمة ضالة المؤمن » « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » .

واذا كنت أقدم للقارىء اللبيب ما وسعنى من جهد المقل فذلك للعرض لا للفرض وان هذا العرض ليس تفسيرا ولكنها خواطر تلوح لى عند تلاوة كتاب الله والتأمل فى رحابه .

فرأيت لزاما على أن أدونها عسى أن يكون بها من النفع ما أرجو معه عفو الله ورضوانه والله سبحانه هو العلام الحكيم والهادى الى ســـواء السبيل ..



د. على عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

الشهيد

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد » رواه البخارى وغيره بلفظ مقارب .

١ ـ ورد عن الحافظ بن حجر العسقلانى فى رواية هذا الحديث قصة تعطينا صورة صادقة لما كان عليه المسلمون الاوائل من التزام لحدود الله تعالى ، وامتثال تام لأوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يتعدونها ولا يخالفون هديها قيد أنملة ، مع حفاظهم على المال والعرض معادلين للحفاظ على النفس دون اعتداء أو مجاوزة للطريق السوى .. قال ابن حجر رضى الله عنه : « لما كان بين عبد الله بن عمرو وبين عنبسة بن أبى سفيان ما كان ، يشير الى القتال ، فركب خالد بن العاص متوجها الى عبد الله بن عمرو ، فوعظه ، فقال عبد الله بن عمرو : أما علمت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر له الحديث ، وذلك أن عاملا لمعاوية أجرى عينا من ماء ليسقى بها أرضا ، فدنا من حائط لآل عمرو بن العاص فأراد أن يخرقه ليجرى العين الى الارض ، فأقبل عبد الله ومواليه بالسلاح فقالوا : والله لا تخرقون حائطنا حتى لا يبقى منا أحد ، وذكر الحديث » والعامل المشار اليه هو عنبسة بن ابى سفيان كما روى الامام مسلم وكان عاملا لأخيه معاوية على مكة والطائف وكانت الارض بالطائف ،

وقد أخرج هذا الحديث : النسائى ومسلم والطبرى وأبو داود والترمزى ، كلهم بلفظه المشهور ، وفى رواية لأبى داود والترمزى : (من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد) قال النووى : « فيه جواز قتل من قصد أخذ المال بغير حق سواء كان المال قليلا أم كثيرا » وعند بعض أصحاب مالك رضى الله عنه : لا يجوز اذا كان المأخوذ مالا قليلا ، ويعقب على هذا القرطبى بقوله : من دواعى الخلاف عند المالكية أنهم نفارقوا فى أصل المسألة ، فرأى بعضهم أن ذلك من باب تغيير المنكر فلم يفرق بين القليل والكثير ، ورأى آخرون أنه من باب دفع الضرر فيختلف الحال ، وعن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : « من أريد ماله أو نفسه أو حريمه ، فله الخيار أن يكلمه (بسكون الكاف) أو يستغيث ، فان منع أو امتنع لم يكن له قتاله ، وان لم يمتنع أو يمنع فله قتاله ، ولو أتى على نفسه وليس عليه عقل ولا دية ولا كفارة ، لكن ليس له تعمد قتله » وفى رواية الامام مسلم رضى الله عنه روى الحديث بلفظ : « أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى ؟! قال : فلا تعطه ، قال : أرأيت ان قاتلنى ؟! قال : فاقتله ، قال : أرأيت ان قتلنى ؟! قال : فأنت شهيد ، قال : أرأيت ان قتلته ؟! قال : فهو فى النار » . ولفظ (دون) الوارد فى حديث الباب تستعمل فى الاصل ظرف مكان بمعنى تحت ، وتستعمل للسببية على سبيل المجاز ، وتوجيه ذلك فى نص الحديث : أن الذى يقاتل عن ماله انما يجعله غالبا خلفه او تحته ثم يقاتل عليه .

٢ ــ جرت سنة الله تعالى فى خلقه أن القوة تعنى المنعة (بفتح الميم والعين المهملة) بمعنى أنه لا يمكن الوصول الى صاحبها ولا النيل منه ، ولا الاعتداء على حرماته ، فهو دائما عزيز الجانب ، مهيب السلطان، بينما الضعف والتخاذل يطمعان العدو فيمن أتصف بهما ويصبح نهبا مشاعا للأهواء ، وهدفا واهيا للطغاة ، ومنال مرمى سهام الغزاة :

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وجرى مثلا (من لم يتذأب أكلته الذئاب) . وقد حرص الاسلام على التواصى بوجوب حفظ حقوق المسلمين من أموال وغيرها كأفراد ، وحماية الدولة من كل اعتداء ، فلا بد من الاعداد ، واخذ الحذر ، وتوقع العدوان فى كل وقت ، وتهيئة الامة الاسلامية للتغير العام عند أول بادرة تشعر بانتهاك حرمات الديار الاسلامية ، وهذا يستلزم المرابطة على الحدود ، والحراسة القوية للثغور ، وتدريب كل بالغ رشيد على حمل السلاح واجادة استعماله ، وتنويع آلات القتال مع تغير الزمان ، ومما يمكن للمسلمين فى هذا الامر أن تنشأ فى ديارهم المصانع الكاملة لبناء الاساطيل الحربية من جوية وبحرية وبرية ، وايجاد معامل البحث والدرس واعطاء الفرصة كاملة واتاحتها دائما للمفكرين المسلمين ليصلوا بأنفسهم الى ما وصل اليه غيرهم ويتفوقوا بجدهم ودأبهم ، ولما كانت الامة الاسلامية قد أهملت ان طوعا وان كرها أمثال تلك البحوث ، واكتفت دور العلم فيها بالامور النظرية وتاهت فى فلسفات بعيدة عن هذا الميدان ، فأولى لها الآن ودون ابطاء أن تبعث الى مختلف الاقطار المتقدمة من يدرس ويعلم ويتفقه مدركا حاجة بلاده الى المعارف المعاصرة مما يدور هناك فى المصانع

ودوائر البحوث مهما كان نوعها وأيا كان مصدرها ، ففى الاثر : « خـذ الحكمة ولو من فم الكافر » ثم يعود أولئك الدارسون الى ديارهم معلمين ومؤسسين للدراسات العلمية العملية فى كافة صورها ، يقول الله سبحانه « .. فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فىالدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » الآية ١٢٢ من سورة التوبة ، ومعنى الآية الكريمة ليس بعيدا عما تقصد اليه من لزوم تعلم العلوم التى يسمونهـا دنيوية ، ولا أجد فارقا بين علم دنيوى وأخروى ، فالكل موصل الى التمكين لمن تعلمه فى الارض والنصرة على أعدائه فى كل ميدان ، وهذا هو طريق الحصول على مرضاة الله تعالى اذ هو مصدر للقوة « والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » وقد فسر العلماء الذين سبقونا فى الزمان هذه الآية الكريمة بما يؤيد ذلك المعنى ، فقال القرطبى ما نصه : (ليتفقهوا فى الدين) أى ليتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ، قال أبو بكر بن العربى : (وهذا يقتضى الحث على طلب العلم بأدلته والتعمق فيه ، وذلك بحسب ما يسره الله لعباده وقسمه بينهم من رحمته وحكمته بسابق قدرته) ، وروى الدرامى فى كتاب (بيان العلم) عن الاوزاعى عن الحسن قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا فيمن سبقنا من الامم ، أحدهما كان عالما يصـلى المكتوبة — حسبما ورد فى تعاليم نبيه — ثم يجلس فيعلم الناس الخير ، والآخر ، يصوم النهار ويقوم الليل — ولا يعلم أحدا شيئا مما علم — أيهما أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل العالم الذى يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذى يصوم النهار ويقوم الليل ، كفضلى على أدناكم » قال العلماء السابقون من شراح هذا الحديث : المراد بتعليم الخير هنا : ما يشمل علوم المعاش والمعاد ، فبالأولى تكـون الغلبة على الاعداء والنصرة على الكافرين ، وبالثانية يكتسب رضوان الله وعونه ، وواضح بداهة من روح تعاليم الاسلام وهدى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل ما يعمل مقصودا به الدفاع عن حوزة الامة الاسلامية ، واعلاء كلمة الله تعالى هو من الباقيات الصالحات التى هى خير ثوابا وخير أملا ، وأن من جلس فى معمله أو فى مصنعه يكشف مخبآت الكون ويزيل النقاب عن أشياء لم يسبق اليها كان ذلك مما يضاعف مثوبته عند الله ، ويرفع درجته فى الصالحين ، فهناك وسائل للحياة الحـرة الكريمة لا ينبغى أن يظل المسلمون يستجدونها من غيرهم ، فقد تنوعت وسائل الدفاع والقتال ، كما أصبح لاستغلال موارد الارض والبحـار ، وغيرهما الكثير من الطرق والآلات ، ولا يمكن الحصول على الجنى المستطاب الا باستعمال مكتشفات العقول النيرة التى خدمت الانسان فى ميادين الحياة الصناعية وغيرها ، وفى وصـول الآلات ذات الحدين الى يد المؤمن الذى يخشى الله واليوم الآخر ضمان لعدم استعمالها فى ايذاء الآخرين والسطو على حقوقهم واغتصاب أوطانهم كما هو دأب أعداء الانسانيـة الذين لا يتورعون عن الولوغ فى دمـاء الابرياء ، والذين يهيجون الدول الواقعة تحت سلطانهم بعضها على بعض ليضمنوا أسواقا رابحة لمـا تنتجه مصانعهم من وسائل الهلاك والدمـار والافناء ، ثم ليخلو لهم الجو فيبيضوا ويصفروا ، ويستولوا على خيرات الدنيا دون منازع أو رقيب ..

٣ — وفى اللحظات التى تحياها الامة الاسلامية الآن يجـرى دم

ابنائها على يد الطغاة فى كل مكان ، ولا أرى وسيلة تصد عنهم العــدوان الا اعتصامهم بالله ، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم ، ونبذ كل ما يسبب الخـــلاف بينهم ، واطراح ما يدعو الى التفرق حتى يعملوا يدا واحــدا مقاتلين دون أموالهم وأعراضهم مستصرخين النافر منهم ، متراحمين متوادين، مطيعين لقول الله تبارك وتعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين • واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » الآيات : ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ من سورة البقرة ..

وبعــد ، ففى أثناء دراسة الحديث وتسجيل شرحه كما وفق الله سبحانه وتعالى سألنى أحد الابناء الحريصين على فهم مرامى الســنة الشريفة ، قائلا : هل تجوز الاستعانة بالكافر فى حروب المسلمين مــع أعدائهم ، ولم أجد جوابا أفضل ولا أصدق من قول سيدنا رســول الله صلى الله عليه وسلم وفعله فهو عليه أفضل الصلاة والسلام القــدوة والاسوة ، روى الامام مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليــه وسلم قبل (بكسر القاف وفتح الباء الموحدة) بدر فلما كان (حرة الوبرة)(١) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليــه وسلم : جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « تؤمن بالله ورسوله » ؟! قال : لا ، قال : « فارجع فلن أستعين بمشرك » قالت ثم مضى ، حتى اذا كنا بـ (الشـــجرة) أدركه الرجل ، فقال كما قال أول مرة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة ، قال : « فارجع فلن أستعين بمشرك » قالت ثم رجع فأدركه (بالبيداء) فقال له كما قال أول مرة : « تؤمن بالله ورسوله » ؟! قال : نعم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فانطلق » .

والمسلم الحق هو الذى يرتضى كل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطبقه على سلوكه واعتقاده ولا يبغى به بديلا ، ولهذا ليس لنا ما نضيفه جوابا على التساؤل فوق ما ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى طياته تكمن حكم وتوجيهات يحتاج بيانها الى مجلدات، ولدى المؤمن من ايمانه ما يكفيه للرضى والقبول الحسن ، والله يهدى من يشاء الى الصراط المستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ، ومن بيده ملكوت كل شىء وهو الولى الحميد سبحانه وتعالى العزيز الحكيم لا اله الا هو ربى عليه توكلت واليه أنيب ..

---

(١) اسـم مكان ..



فرض الله سبحانه حج بيته الحرام على من استطاع اليه سبيلا ، فكان ذلك باعثا على تجمع مئات آلاف المسلمين من جميع أنحاء الدنيا ، كل سنة ، فى وقت واحد ، فى بقعة تتصل بالدعوة الاسلامية ، وذكريات الجهاد فى سبيلها ، وتحمل صنوف الأذى والعذاب من أجلها ، وتغلب قوى الشرك والظلم ، حتى اضطر الرسول أن يخرج من وطنه مهاجرا لاجئا ، الى من ألف الدعوة ، وقنع بها ، وحمل أعباءها فى المدينة الجديدة (يثرب) ، ثم تتابع أصحابه فى الهجرة اليها ، حتى كونوا المجتمع الاسلامى ، والدولة الاسلامية ، والقوى الاسلامية ، الى أن استعادوا الوطن الاسلامى الأول ، وعاد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما عاد اليه أصحابه الأكرمون ، من المهاجرين والأنصار ، تظللهم راية الانتصار ، وترفرف عليهم أعلام العزة والكرامة ، وقد حطموا الأصنام ، وهدموا الأوثان ، ورفعوا شعار الوحدة والايمان .

والوحدة الإسلامية

للشيخ عبد الحميد السائح

واذا كانت فريضة الصلاة جذبت كل مسلم الى الكعبة والبيت الحرام حينما اتجهوا اليها فى أثناء الصلاة ، فان فريضة الحج ربطت الشعوب الاسلامية ، على اختلاف لغاتها وألوانها ، بهذا المركز الاسلامى العظيم ، يتهيأون لزيارته ، ويعدون العدة لمشاهدته ، ويلتقى أسودهم بأبيضهم ، وعربهم بعجمهم ، فى مظاهر واحدة ، من التجرد عن الدنيا وزخارفها ، لا فرق بين رئيس ومرءوس ، وحاكم ومحكوم ، متجهين الى العلى القدير ، الذى اختار لهم الاسلام دينا ، فواجب المسلمين ، أن يغذوا مقتضيات هذه الوحدة ، بمشاعر واحدة ، ومناهج واحدة ، واتجاهات واحدة ، حتى يحققوا ما يهدف اليه الاسلام ، من اخاء رفيع ، يستلزم أن يمدوا أيدى العون

والمساعدة الى بعضهم ، سواء كان ذلك بصورة مادية أم معنوية ، لا منا ولا اختيارا ، وانما هى طبيعة الاسلام ، الذى جعل الحج واحدا من أركانه .

قال تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم(١) » .

وقال أيضا « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان(٧) » .

وقال سبحانه « ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون(٣) » .

وقال عز من قائل « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون(٤) » .

فالوحدة الاسلامية هدف واضح من أهداف الحج ، فيه يلتئم المسلمون من كل حدب وصوب ، ليتشاوروا فى شئونهم ، ويتبادلوا الرأى فيما يعود عليهم بالخير والمصلحة ، سواء كانت دينية أم دنيوية ويدعموا الوحدة فيما بينهم .

قال تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم .. (٥) » .

وقال سبحانه « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم(٦) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم(٧) » .

فاذن ليس القصد من الحج ، مجرد الزيارات ، وتأدية المناسك والعبادات ، والقيام بالتظاهرات فقط ، وانما القصد ترسيخ عوامل الوحدة وتثبيت مقتضيات الأخوة الدينية ، واظهار الشخصية الاسلامية ، والعمل على تنمية هذه المعانى بالنفوس ، والتصرفات والاعمال .

وفد الرحمن ..

ان حجاج بيت الله الحرام هم وفد الرحمن ، استجابوا لندائه ، وأخلصوا فى دعائه ، وتجردوا لعبادته ، وتنزهوا فى مناجاته ، لذلك كانت لهم عند الله منزلة المقربين ، ودرجة الأخيار المصطفين ، فواجبهم أن يستجيبوا لله وللرسول ، فى نشر الدعوة الاسلامية ، والاذعان لحكم الله فى تشريعه ، والمبادرة لما يرضى الله والرسول ، والاهتمام بأمور المسلمين .

قال تعالى « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وانه اليه تحشرون . واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب(٨) » .

وقال « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما(٩) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم(١٠) » .

وقال أيضا « وفد الله ثلاثة ، الحاج والمعتمر والغازى(١١) » .

الحج والقدس ..

هذا الاسلام عجيب فى عظمته ، بديع فى أهدافه ، ولا يستكنه هذا السر الا من فتح الله قلبه ، ويسر أمره ، وأزال عنه الرين ، وأبعد عنه الغين ، كما قال سبحانه « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء(١٢) » .

وتتجلى هذه العظمة هنا ، بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أهل بعمرة من بيت المقدس غفر له(١٣) » . وقوله « من أهل بالحج والعمرة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام ، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة(١٤) » .

ومعلوم أن الرسول حينما قال ذلك كله لم تكن القدس فى سلطان المسلمين ، ولم يكن المسجد الاقصى متعبد المسلمين ، ولكنه فى مخطط العليم الخبير ، أن تدخل القدس فى حوزة المسلمين ، وقد مهد لذلك باسراء الرسول اليها ، وعروجه الى السماء منها ، ثم الاعلام بأن المسلمين سيحرمون بالحج أو العمرة من المسجد الاقصى ، يوم تكون القدس عزيزة بسلطانهم منيعة بحيازتهم .

واذن فليس القصد من ذينكم الحديثين وغيرهما من الأحاديث الشريفة النبوية ، الواردة فى فضل الاحرام بالحج أو العمرة من القدس ، أو المسجد الأقصى ، هو مجرد الترغيب ، وانما القصد أبعد من ذلك وأعمق ، هو ضرورة تكتيل الجهود الاسلامية ، والكفاءات الاسلامية ، والقوى الاسلامية ، والعقول الاسلامية ، للتخطيط والعمل ، على تخليص القدس أو المسجد الأقصى من أى خطر يتهدده أو عدو يقصده بالأذى والضرر .

وانه بعد دخولهما فى حوزة المسلمين أصبحا مرتبطين بعقيدتهم ، وجزءا من عباداتهم ، لا يجوز التفريط بهما ، أو التهاون فى أمرهما .

أيها الحجاج والمعتمرون :

ان الله سبحانه وتعالى جعلكم فى درجة المجاهدين ، الذين يمتازون عن القاعدين ، ويتقدمون على المتفرجين ، وذلك لأنكم لبيتم النداء ، وأجبتم الدعاء ، نطقت ألسنتكم ، لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، وهتفت قلوبكم بوحدانية الالوهية ، لا اله الا الله ، ووحدانية الربوبية ، لا مربى ولا مشرع الا الله ، قاومتم أصنام البشر كما حطمتم أصنام الحجر ، وكل تشريع ينافى كتاب الله فهو باطل ، وكل تقنين يتصادم مع شرعة الله فهو غير معتبر ،

وكل تصرف أو موقف أو اجراء يتضارب مع ما هدفت اليه شريعة الاسلام فهو موضوع .

أيها الحجاج والعمار :

اذا كنتم صادقين فى عبادتكم ، مخلصين فى رحلتكم ، متجردين فى نسككم فاستمتعوا بهذه الفرصة السانحة ، وتشاوروا فى شئون المسلمين ، وما أصاب ديار الاسلام ، من الغزو والاغتصاب ، وما أصاب المسلمين من الذلة والمهانة والاحتقار ، وقد شرع الحج لتشهدوا منافع لكم ، وأنتم تعلمون أن الله سبحانه جعل العزة من شعار المؤمنين ، فقال سبحانه « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين(١٥) » . وقال سبحانه « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا(١٦) » .

فكيف يجوز لكم أن تمروا على ما أصاب المسجد الأقصى ، ثالث المساجد التى تشد اليها الرحال ، من المهانة والتهديد ، وكيف يسوغ لكم فى شرعة الاسلام أن تسكتوا على حرمانكم من الاهلال بالحج أو العمرة من القدس أو المسجد الاقصى ، بسبب العدوان الصهيونى الأثيم ، على الديار المقدسة . وكيف يسوغ لكم أن تسكتوا على قتل المسلمين فى الفلبين ، زرافات ووحدانا . وكيف يرضى عنكم ربكم ، والاسلام متعتع مهتز فى كثير من الديار والبقاع ، بسبب اهمالكم وتقصيركم ، وتخاذل حكامكم ، وأنتم غارقون فى مصالحكم معرضون عن القيام بواجبكم ؟؟

أيها المسلمون فى المشارق والمغارب :

ان الاسلام صنع لكم فى تشريعاته ، ما يجعلكم أمة واحدة ، تصدر عن دستور واحد ، هو القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتحجون جميعا الى مكان واحد ، تتشاورون فى شئونكم ، ما أصاب جماعة المسلمين من آن لآخر ، وتشعرون بشعور واحد ، هو شعار الاخاء والوفاء « انما المؤمنون اخوة »(١٧) .

وقد كان المسلمون فعلا أمة واحدة ، لا فرق بين عربها وعجمها ، شرقها وغربها ، يوم كانت يقودها دينها ، ويسيرها اسلامها ، ويوم كان حكامها وأمراؤها هم المنفذين لشريعة الاسلام ، وعدالة الاسلام والمنقادين لاحكامه ، فتتبعهم شعوبهم ، وتتأثر بهم جماعاتهم ، وكما تكونون يولى عليكم ، فيكون المجتمع كله اسلاميا ، المال مال الله معد للدفاع عن بيضة الاسلام ، والحفاظ على مقدسات الاسلام ، وعلى أرض الاسلام ، فاذا اعتدى معتد على أية بقعة اسلامية ، تحركت الجماهير المؤمنة ، وتنادت بشعائر الاسلام ، الله أكبر ، الله أكبر ، كما تجاوبت أصداؤها فعلا بالاجابة فى موسم الحج ، لبيك اللهم لبيك ، وتحركت جيوشكم للنصرة والتأييد . .

ولكنكم فى عصور الفساد والتدجيل ، تفرقت كلمتكم ، وقطعتم ما وصل الله ، وحرمتم ما أحل الله ، ومنعتم جنودكم وأموالكم عن أن تتجه أو توجه للدفاع عن دين الله ومقدساته ، فانتهكت الحرمات ، وهددت المقدسات ودنست الكرامات ، فأصبح المسلمون يعيشون فى ظلال المهانة والاذلال ، والضياع والمتاهات ، كأن آيات القرآن وضعت فيه للمشاهدة لا للتنفيذ ، وللعرض لا للعمل .

فاتقوا الله يا أيها المسلمون فى أنفسكم ، واتقوا الله فى ذراريكم ، واتقوا الله فى مقدساتكم ، واتقوا الله فى أوطانكم ، واتقوا الله فى حضارتكم المهددة ، ليحل محلها حضارة زائفة ، ضالة مضلة ، فاذا استيقظتم وتنبهتم ، ووضعتم المخططات السليمة للانقاذ ، وهديتم الطريق المستقيم ، وشرعتم فى التنفيذ ، فحينئذ نقول لكم ، تقبل الله حجكم ، وأثابكم عن نسككم ، ورجعتم من آثامكم وتقصيركم ، كيوم ولدتكم أمهاتكم ، فاللهم ألهم ولاة أمرنا أن يسيروا على طريق الهدى والرشاد ، وألهم جماعات المسلمين أن يتكتلوا فى طريق السداد والصواب ، وطهر نفوسنا ، من الاغلال والاحقاد ، انك سميع مجيب الدعاء .

---

(١) الآية ٧١ من سورة التوبة .
(٢) الآية ٢ من سورة المائدة .
(٣) الآية ٩٢ من سورة الانبياء ..
(٤) الآية ٥٢ من سورة المؤمنون .
(٥) الآيتان ٢٧ و ٢٨ من سورة الحج ..
(٦) الآية ٣٧ من سورة الحج .
(٧) رواه مسلم ..
(٨) الآيتان ٢٤ و ٢٥ من سورة الانفال ..
(٩) الآية ٦٥ من سورة النساء ..
(١٠) رواه القزوينى ..
(١١) أخرجه النسائى وابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما .
(١٢) الآية ١٢٥ من سورة الانعام ..
(١٣) أخرجه ابن ماجه باسناد صحيح ..
(١٤) أخرجه البيهقى ..
(١٥) الآية ٨ من سورة المنافقون .
(١٦) الآية ١١١ من سورة الاسراء ..
(١٧) الآية ١٠ من سورة الحجرات .



بحجة حقا تعبدا ورقا

للشيخ عطية صقر

هذا العنوان الذى رواه البزار والدارقطنى عن النبى صلى الله عليه وسلم حين كان فى حجة الودع ، مع قول سيدنا عمر رضى لله عنه وهو يقبل الحجر الاسود ، « والله أنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » كما رواه البخارى ومسلم — هذان القولان يجران الى الحديث عنحكمة التشريع للعبادات بوجه عام ، وحكمته للحج بوجه خاص .

ان عبادة الله تقتضى القيام بالتكاليف دون الحاجة الى فهم أسرارها والوقوف على الحكمة منها ضرورة ايمان العبد بأن أفعال الله سبحانه لا تخلو عن حكمة وان قصرت العقول عن فهمها ولم تصل الى ادراك سرها ، كما قال سبحانه فى تشريع القتال « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (البقرة ٢١٦) .

والله سبحانه يعلم أن العباد ليسوا على درجة واحدة من التسليم والانقياد . ولهذا بين لهم بعض نواحى الحكمة فى هذه التشريعات ، يأتى بها مجملة أحيانا ومفصلة أحيانا أخرى ، وتأتى الاحاديث النبوية فتوضح جوانب

هذه الحكمة وتكشف عن بعض أسرارها . ولم يحظر سبحانه على الفكر أن يسرح فى تفهم هذه الحكمة على ضوء ما جاءت بها النصوص . فما وصلت اليه العقول لا يغير حكما قرره الاسلام ، ولكنه يدعمه لتنشط النفس لادائه ، وتزداد ايمانا بحكمته .

وقد تحدث العلماء فى تقويم العبادة حين تؤدى دون ملاحظة حكمتها وحين تؤدى والنفس متعلقة بما يترتب عليها من خير عاجل أو آجل ، فقالوا : ان فهم الحكمة وان كان ينشط النفس عند الآداء ، ويحمى المكلف من الشبه التى يوجهها الاعداء الا أن العبادة المؤداة فى هذا الجو تشوبها شائبة المنفعة التى لولاها ما توجهت النفس اليها ولا تحملت ما فيها من تكليف . وهى فى درجة الاذعان لله ليست كالعبادة التى يؤديها المؤمن لمجرد أنها أمر من الله الموصوف بالحكمة والمنزه عن العبث ، غير متطلع الى ما وراءها من نفع ، فليس للعبد حاجة عند ربه ، فلله أن يأمر وعلى العبد أن يطيع – على ما يشير اليه ما جاء فى وصف صهيب نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه .

ومن هنا احتفظ الله بسر بعض التكاليف فلم يبينه ولم يشر اليه ليمحص ايمان المؤمنين ويميز الخبيث من الطيب . ومثل له العلماء بالحروف المنقطعة أوائل السور ، وببعض الاحكام الواردة فى ثنايا العبادات التى منها مثلا رمى الجمرات فى الحج .

يقول الامام الغزالى فى الاحياء « ج ١ ص ١٩١ طبعة عثمان خليفة » واجبات الشرع ثلاثة أقسام ، قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه – وذلك كرمى الجمرات مثلا اذ لاحظ للجمرة فى وصول الحصاة لها ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى ، لأن ما يعقل معناه فقد يساعد الطبع عليه ، ويدعو اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية ، وقال فى ص ٢٤٠ « واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان مالا يهتدى الى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق ، الى مقتضى الاسترقاق . واذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات » .

ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحس أن فى بعض النفوس خواطر تحوم حول بعض الشعائر التى تؤدى فى الحج فنبه الى جانب التعبد والتسليم المطلق فيها قائلا وهو يلبى : « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا » . فالامر فى أداء العبادة لا بد أن يسيطر عليه مبدأ التسليم الذى أعلنه عمر وهو يقبل الحجر الاسود ، مقررا أنه ليست للنفوس حظوظ فى تقبيل مالا يضر ولا ينفع ، ولكنه الامتثال المطلق والاتباع التام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو القدوة الحسنة والذى نزل فيه قول الله سبحانه : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » (آل عمران ٣١) . وقوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . (الحشر ٧) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم فى وجوب اتباعه فى العبادة بنوع خاص : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وقال فى الحج : «خذوا عنى مناسككم» كما روته الكتب الصحيحة .

وإذا كان فى بعض التشريعات الجزئية نواح لم ينص على حكمتها فإن العبادات .. الاساسية جاءت حكمتها منصوصة . أما فى القرآن وأما فى السنة ، مع اطلاق العنان للفكر ليشرحها أو يبحث عن جوانب أخرى تدعمها ، فالله سبحانه أمر بالنظر والتفكر والتدبر ، والنبى صلى الله عليه وسلم شجع على البحث حتى جعل للمخطىء فيما وصل اليه باجتهاده أجرا لا يحرمه من ثمرة العمل ، فهو مثاب بنيته ، وان كان للمصيب اجران ، أجر على بحثه وتعبه ، وأجر على توفيقه الذى يفيد منه كما يفيد منه غيره .

ومهما يكن من شىء فان الحكمة العامة للتشريع تتلخص فى نقطتين أساسيتين أولاهما : ربط المخلوق بالخالق ، لأنه هو الذى خلقه ثم رزقه ثم يميته ويحاسبه ، فهو منه مخلوق واليه راجع ، فلا تنقطع صلته عن الله بدءا ونهاية ، وثانيتهما : اعداد العبد للحياة على الارض ليحقق خلافته فيها .

ومن مظاهر النقطة الاولى الايمان بالله واليوم الآخر والتوجه اليه سبحانه بالعبادة وطلب المعونة ، على ما يفيده قوله تعالى « اياك نعبد واياك نستعين » ..

ومن مظاهر النقطة الثانية الاخلاق الفردية والاجتماعية والتنظيمات الخاصة والعامة فى ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد والعمران وسائر الميادين التى تحدد فيها الحقوق والواجبات وعلى ضوء هذه ــ الحكمة العامة بشقيها يمكننا أن نوضح حكمة تشريع الحج فيما يلى :

قال تعالى فى بيان حكمة الحج المفروض من أيام ابراهيم عليه السلام والمأمور به فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأحد الاركان التى بنى عليها الاسلام « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام » . (الحج ٢٧ ، ٢٨ . فكلمة المنافع التى يشهدها الحجاج كلمة عامة جامعة تشمل كل منفعة دينية ودنيوية ، مادية ومعنوية ، سياسية واقتصادية ، ثقافية واجتماعية وغيرها ، واليك تفصيل هذه المنافع على ضوء حكمة التشريع العامة للعبادات .

أولا : صلة العبد بربه تظهر فى الحج عندما يحرم الحاج ملبيا مقرا بوحدانية الله شاكرا له أنعمه : « لبيك اللهم لبيك ــ لبيك لا شريك لك لبيك ــ ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » وحين يطوف بالبيت سائلا متضرعا يستمنح الله عفوه وبره ، وحين يقبل الحجر ويستلمه معاهدا ربه على الطاعة مجددا معه البيعة على ما رواه ــ أحمد وابن خزيمة فى صحيحه عنه « أنه يمين الله يصافح بها خلقه » وفى سعيه بين الصفا والمروة كالمتردد قلقا على مصيره ، هل تفضل الله عليه عند طوافه فقبله أولا ، وفى وقوفه بعرفة متجردا من كل زينة خاشعا ضارعا فى ذلة وانكسار يباهى الله بأهل عرفات الملائكة اذ أتوه شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق ، يرجون رحمته ويخشون عقابه . وفى رميه للجمرات تشبه بحربه للشيطان ، وفى الهدى والفداء رمز للتضحية بالدم وبأغلى ما يملك الانسان ، ايثارا لما عند الله وجهادا فى سبيله .

وفى الحج ارتباط بمهد النبوة وعمارة لبيت الله ، وتذكر لحوادث ماضية كانت سببا فى قدسية هذا المكان ، من وجود هاجر واسماعيل وحيدين فى هذا الوادى ، ولطف الله بهما فنبعت زمزم وعمر المكان وبنى أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين . وذلك كله الى جانب ذكر الله بالتكبير والتلبية

عند المشاعر ، فى عرفات والمشعر الحرام ورمى الجمرات . مما يدل على حكمة الحج فى ربط العبد بخالقه كما يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « انما فرضت الصلاة وأمر بالحج وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح .

ثانيا : الاحرام بالحج فى ملابس متواضعة وبعد عن مظاهر الترف درس عملى فى التواضع وعدم الغرور بزخارف الحياة ، وفيه نكران للذات وتركيز على الاخلاص لله فى الطاعة ، وقد حج النبى صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة خلقة ، وقال : « اللهم حجا لا رياء فيه ولا سمعة » رواه الترمذى . وعن ابن عمر أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من الحاج ؟ فقال : « الشعث التفل » رواه ابن ماجة باسناد حسن . والشعث هو البعيد العهد بتسريح شعره وغسله ، والتفل هو من ترك الطيب والتنظف حتى كادت تتغير رائحته ، وفى الحج تمرن على الاسفار والترحال ، وتحمل المضايقات ، وضبط النفس عن السبب والفسوق والمغريات ، وفيه الى جانب ذلك ثقافة واطلاع وتفكر واعتبار ، وكل هذا كمال نفسى يفيد منه الحجاج .

ثالثا : لا ينكر أحد أن الحج فرصة لعقد مؤتمر اسلامى يتخطى حدود البيئة والجنس واللغة ، ويعلو على الفوارق والعصبيات ــ ينبغى أن تناقش فيه المشاكل وتوضع الحلول ... وتتلاقى الافكار وتتلاقح الثقافات وتتبادل المنافع من كل لون ، توكيدا للوحدة الجامعة التى يقررها الله فى قوله « ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » (الانبياء ٩٢) وذلك كله لننهض سويا بالواجبات الدينية والانسانية ، ولنقف صفا واحدا امام المحاولات التى التى تريد السوء للاسلام والمسلمين . وان للمسلمين فى هذا الموسم من عوامل الوحدة ما يعلو على كل العوامل . فربهم جميعا واحد ، ورسولهم واحد ، وشريعتهم واحدة ، وقبلتهم واحدة ، وزيهم واحد ، ونشيدهم واحد وكل ذلك يجعلهم كالجسد الواحد والبنيان المرصص . وفى موسم الحج فائدة لأهل الوادى المقدس ولأرض النبوة الاولى ، اجابة لدعوة ابراهيم « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . (ابراهيم ٣٧) .

هذه بعض جوانب الحكمة فى شريعة الحج .. تدور حول المنافع التى ذكرت فى القرآن .. تلك المنافع التى يمكن أن تكون لها صور تختلف باختلاف الظروف والاحوال ، وعلى المسلمين أن يفيدوا منها ويطبقوها فى حياتهم العملية ليكون هناك تجاوب بين الدين والحياة ، ولعل مما يلح علينا فى هذه الايام أن نتنبه اليه هو وحدة الكلمة للوقوف أمام الاستعمار وأذنابه ، ولتخليص أرضنا المقدسة من رجس اليهود ، وتمهيد الطريق لانطلاق الثورة العربية لتعيد ماضيها المشرق المجيد ، الذى كانت به زعيمة العالم يوم كانت الدول المسيطرة على مصير الناس اليوم تعيش فى الاحراش وتتخبط فى الظلمات . ولا يكون ذلك الا بالتزام الطريق الذى خطه الاسلام واتباع النور الذى جاء به القرآن ، وصدق الله العظيم :« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (المائدة ١٥ ، ١٦) .

« يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا . فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيد خلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » . (النساء ١٧٤ ، ١٧٥) .



روائعه ومنافعه

ما أعظم هـذا الدين ـ الاسلام ـ وما أروعه .. !

وما أكثر عنايته بتربية الناس ، على الاخلاق القويمة ، فترة بعد فترة ، وموسما بعد موسم .. يذكرهم بها ان نسوا ، ويوقظهم اذا غفوا ، ويحفزهم اذا تكاسلوا ..

منذ شهرين ـ شوال والقعدة ـ فرغ المسلمون من تدريب عملى على الصبر ، وضبط النفس ، والاحساس باحتياج الفقير ، ومعاونته على قسوة الحياة ، بشطر من أموالهم ..

كان ذلك فى رمضان خلال ثلاثين يوما ختمناها بعيد الفطر ، وفيه تبادلنا الزيارة ، وصلة الارحام ، ونسيان العداوات القديمة ، وبر ذوى القربى والصحبة ، والاحسان الى من يستحق الاحسان من الأبعدين ..

واليوم ـ بعد شهرين من رمضان المبارك ـ نبدأ فى تدريب عملى آخر على الصبر وضبط النفس ، والاحساس بالاخطاء والذنوب والأمل فى التوبة والصلاح ..

واليوم أيضا نستشعر قرابة المسلم للمسلم مهما شطت الديار ، ومهما اختلفت الالسنة والألوان ، ونحس بأن المؤمن للمؤمن كالبنيان

ما أعظم هذا الدين الإسلام
وما أروعه

للأستاذ أحمد محمد جمال

المرصوص يشد بعضه بعضا ، وندرك أن المسلمين عامة أمة واحدة ، لا بد من العمل على تجميعها وتشجيعها ، ومقاومة تعديدها وتنويعها ..

انهـا فترة الحج .. موسم الجهاد الأصغر الذى هو تمرين وترويض للنفوس المؤمنة على الجهاد الاكبر : جهاد الأهواء والاخطاء ..

مرة أخرى .. ما أعظم هذا الدين وما أروعه ، وما أكثر عنايته ، وأكبر رعايته فى تربية أتباعه على مكارم الاخلاق ..

وصدق الله العظيم فيما يقوله :

ـ ان الدين عند الله الاسلام .. »

ـ دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا .. »

ـ وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه .. »

ـ وان هـذه امتكم أمة واحدة ، وانا ربكم فاتقون .. »

الحج .. مؤتمر اسلامى

ان (الحج) كسائر الفرائض الاسلامية ـ مثل الصلاة والصيام والزكاة ـ جميعها عبادات يجب على المسلم أن يخضع لادائها ، ولو لم يدرك مقاصدها ومصالحها ـ تصديقا لقول الله عز وجل : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ..

ومع ذلك يدرك العقلاء المفكرون المتأملون : أن للعبادات فى الاسلام ـ كما للمعاملات ـ مقاصد ومصالح ومكارم . واذا كنا نذعن بأداء (الحج) كعبادة ـ يجب ـ فى الوقت نفسه ـ أن ننتفع بمقاصده ومصالحه ومكارمه . التى أشار اليها القرآن الكريم بقوله : (واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ..)

(والمنافع) .. وان فسرها بعض المفسرين أو معظمهم بالتجارة ـ الا أنها فى حقيقتها تتسع لمعان وأبعاد ومجالات متعددة ومتنوعة .. فكل أمر أو فعل أو عمل أو سلوك فيه منفعة لجماعة المسلمين دينية كانت أم مادية أم اجتماعية أم سياسية ، فهو من (منافع) الحج لا ريب فيه ..

ولذلك ينبغى للمسلمين أن ينتهزوا فرصة الحج للتعارف والتعاون

على حل مشكلاتهم ، وفصل قضاياهم ، والتوفيق بين المتخاصمين منهم ، وللعمل على رفع شـــأن الاسلام وعــزة المسلمين ، فى كل مكـــان من العالم ، وتحقيق وحدتهم وقوتهم ..

واذا كان الحج فرصة واســعة لاجتماع المسلمين من مختلف بقـــاع الارض على مستوى عالمى وائتمارهم بما يصلحهم ، ويجمع كلمتهم على الحق والخير ، فان صلاة الجماعة والجمعة قد شرعتا للمسلمين لكى يتلاقوا على مستوى قومى أو محلى ، ويتعاونوا على قضاء حوائجهم ، ويتعارفوا على مشكلاتهم ، ويستمعوا الى خطبة الجمعة ، وما تحمله من موعظـــة وذكرى تنفعهم فى معاشهم ومعادهم ..

وكما شرعت صلاة الجماعة كل يوم خمس مرات ، والجمعة كل اسبوع مـــرة .. فقد شرعت صلاة العيدين ــ الفطر والاضحى ــ مرتين كل عام ، لتتكون بهذه اللقاءات الاخوية عواطف البر والتعاون فى المجتمعات الاسلامية .. وبهذا سبق الاسلام علم النفس الاجتماعى ، كما يشهد بذلك علمـــاء النفس المسلمون ..

فالاسلام ــ اذن ــ دين المقاصد والمصالح والمكارم ، وليس دين العبادات المجردة من منافع الفرد المسلم ، والجماعة المسلمة ..

متى نحج حجـــا مبرورا :

لنتساءل : لمـــاذا نحـــج ؟

ــ ألنطوف بالبيت الحـــرام ؟

ــ أم لنبيت فى مزدلفة ؟

ــ أم لنقف فى عرفات ؟

ــ أم لنرجم بالحصى الجمرات الثلاث ؟

أم لنقدم الاضحيات والفدى ؟

ــ وغير ذلك من أعمال الحج ومناسكه ؟

حقـــا هـــذه مظاهر الحج وشعائره ، ولكنها ليست لبابه وجوهره . وحقـــا تلك وسائله وصوره . ولكنها ليست غايته ومغزاه ..

اننـــا ــ منـــذ مئـــات السنين ــ نحج من أجـــل مظاهر الحج ، ونتخذ وســـائله وصـــوره ، ونرجع ببعض بركاته : المريض يشفى ، والفقير يستغنى ، والعقيم تلد ، والعانس تتزوج ، والفاسد يصلـــح ، والمـــذنب يتـــوب ــ وهى بركات ــ للحج المبرور ــ لا ريب فيها . لانها ثمرات للدعاء المخلص فى مواقف مباركات ورحاب مقدسات ..

والحج ــ وان شرع من أجل الصلاح الفردى والنجاح الذاتى ــ الا أنه شرع كذلك لاصلاح الجماعة الاسلامية كلها .. شأنه فى ذلك شـــأن بقية المشروعات الاخرى : كالصيام والزكاة والصلاة ..

ان القرآن الكريم يتحدث عن دعوة المسلمين الى ــ الحج ــ ويعللها بقوله : (ليشهدوا منافع لهم) والمنافع هنـــا فردية وجماعيـــة فى وقت واحـــد ..

ومن طبيعة البشر أنهم حريصون على تحقيق منافعهم الخاصة ، فهم ســـاعون اليها ، باذلون فيهـــا كل جهدهم ، جادون لهـــا كل وقتهم .. ولذلك فالمنافع الفردية الخاصة ــ فى التشريعات الدينية ــ ليست محل تأكيد والحاح وحض . ولكن المنافع الجماعية التى بها يصـــلح المجتمع

الاسلامى ، ويقوى ويعز ، هى التى يؤكدها التشريع الدينى ، ويلح فيها ، ويحض عليهـــا ..

فمتى نحج من أجل جوهر الحج ولبابه ؟

— من أجل اصلاح المجتمع الاسلامى وتقويته ؟

— من أجل تطهير أرضنا وتنويرها ؟

— من أجل تحريرها من الاستعمار والصهيونية ؟

الى جانب ما نحققه من بركات فردية خاصة : من شفاء بعد مرض ، وغنى بعد افتقار ، وصلاح بعد مفسدة ..

مـــرة أخـــرى : متى نحج حجـــا مبرورا ؟؟

حجوا قبـــل الا تحجوا :

يقول الله تبارك وتعالى : (ولله على الناس حج البيت ، من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفـــر فان الله غنى عن العالمين) ..

وهنـــا نريد أن نقف قليلا لنضيف الى هذا النذير الآلهى : نذرا نبوية وصحابية ، صارخة للذين يتباطؤون ويتكاسلون عن الحج ، مع مقـــدرتهم الماليـــة واستطاعتهم البدنية ، ويعللون أنفسهم بالامانى عاما بعـــد عام أو يعتذرون بأنهم لم يتزوجوا بعد ، أو لم يزوجوا أولادهم ، أو لم يكملوا تعليمهم ، الى آخـــر المعاذير الملقاة ..

ان الزمن وأحداثه يمضى بهؤلاء ، وبوعودهم ومعاذيرهم حتى يفقدوا القـــدرة المالية والبدنية على الحج ، فيأثموا ويدخلوا تحت طائلة الوعيد الآلهى : (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) ..

ولذلك فانى مذكرهم بتلك النذر فى سطور قلائل ..

(١) فى صحيح مســـلم : ان النبى صلى الله عليه وسلم قـــال : (أيهـــا الناس ان الله قـــد فرض عليكم الحج ، فحجوا) — وفى الحديث الصحيح : (ان الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع) — وفى الصـــحيحين : (العمرة الى العمرة كفارة لمـــا بينهما ، والحج المبرور ليس له جـــزاء الا الجنة) — وفى حديث عائشـــة — كما أخرجه أحمد وابن ماجة — أنها قالت : يا رسول الله هل على النســـاء من جهـــاد ؟ قال : (عليهن جهاد لا قتـــال فيه : الحج والعمرة) ..

(٢) وروى عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أنه قال : (لقـــد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الامصار ، فينظر كل من كان له جدة — أى مـــال — ولم يحج ، فيضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمســـلمين ، مـــا هـــم بمســـلمين !) ..

(٣) وروى عن الامـــام على أنه قال : (من قدر على الحج فتركه فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا) ..

(٤) وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تعجلوا الى الحج — أى الفريضة — فان أحـــدكم لا يدرى ما يعرض له) ومثله قوله : (حجوا قبل ألا تحجوا) ..

وهنـــا نريد أن نقف قليـــلا لايضاح بعض النذر النبوية ...

الحج بلا رفث ولا فسوق ولا جدال :

حـــرص القرآن الكريم على تهـــذيب الفـــرد الحاج ، وهو يؤدى نســـكه ، لان الفرد المهذب : أصـــل الجماعة المهذبة ، فهى تتألف منـــه

ومن أمثاله . ولن تكون جماعة صالحة ما لم يكن فرد صالح ، وصلاح الجماعة : طريق الى تعاونها وتضامنها فى الخير المشترك ، والسلام العام ..

يقول الله عز وجل — من أجل تهذيب الفرد الحاج — : (الحج أشهر معلومات .. فمن فرض فيهن الحج : فلا رفث ، ولا فسوف ، ولا جدال فى الحج — وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الالباب) ..

هذه الآية من القرآن الكريم تؤكد النهى عن الرفث والفسوق والجدال أثناء تأدية مناسك الحج ، وهى فى خلاصة معانيها : الفحش فى القول والفعل والعمل ، وعصيان أوامر الله ووصايا رسوله ، وتعدى حدود الآداب والاخلاق ، وكثرة الكلام جدلا ومراء واختلافا فى الآراء والمذاهب والمعتقدات ..

ونقول : (هذه الآية تؤكد النهى) لان تلك المناهى : وهى الرفث والفسوق والجدال هى مكاره ومذام فى كل مكان وكل زمان . ولكنها أشد كراهية واثما ومذمة فى موسم الحج ، لان الحج عبادة يرجى بها التطهر من الخطايا ، والمغفرة من الذنوب ، واستقبال عهد جديد من العمل الصالح — من جانب فردى ، كما يرجى بها من جانب جماعى التعاون بين المسلمين على الحق والخير ، وكل مكرمة من شأنها توثيق الرابطة الاخوية ، وشد الكيان الاجتماعى بين أبناء الاسلام ..

ان الحج — فى وجوب التأدب له — مثله مثل سائر العبادات الاسلامية الاخرى : كالصلاة والصوم ، لا بد حين تأديتها من تهيئة واستعداد ، وابتعاد عما يفسدها أو يبطلها ، ويذهب بأجرها سدى وبأثرها هباء ، فعلى الحجاج أن يذكروا أنهم فى عبادة روحية واجتماعية خاصة وعامة . خاصة بالنسبة لكل فرد منهم ، وعامة بالنسبة لمجموعهم كأمة اختارها الله تبارك وتعالى لأفضل رسالة وأكرم رسول — صلى الله عليه وسلم — وفرض عليها الحج لتجتمع من أقطار الارض ، ويلتقى بعيدها بالقريب ، وفقيرها بالغنى ، وسعيدها بالشقى ، ومصابها بالمعافى ، ومحتاجها بالموسر .. فيتعاونوا على البر والتقوى ، ورفع ما بينهم من بؤس وشكوى ، وتتحقق بذلك غاية الحج العظمى ، وهدفه الاسمى .. كما رسمهما القرآن الكريم فى قول الله عز وجل : (واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ..) .

ليذكر الحجاج أنهم فى فرصة مباركة ، نادرة التكرار ، وليتزودوا فيها — بالتقوى — وبالتوبة النصوح ، وبالعهد الصادق .. على أن يعودوا خيرا مما جاءوا : أقوياء الانفس ، أصفياء الارواح ، اسخياء الايدى بالخير ، يقولون الحق وبه يعدلون ..

موسم الحج فى نظر أعداء الاسلام :

مكة المكرمة : كانت وما زالت العقبة الكؤود فى سبيل أعداء الاسلام ومكائدهم وأعمالهم التخريبية لانها محضن (الكعبة) المشرفة ، ومهبط الوحى الآلهى ، ومثابة الوافدين ، ومهوى أفئدة المسلمين من كل مكان فى العالم قريبه والبعيد ..

انها المحور والمركز والمبدأ ، والمنتهى ، والملتزم ، والرابطة

لكل مسلم مهما نأت به دياره ، ومهما اختلفت لغته ، وجنسيته عن اخوانه المسلمين فى شرق الدنيا وغربها ..

والمسلمون — وبخاصة العرب ، يقرأون اعترافات الكائدين لدينهم ولقبلتهم ، وهم غافلون عن مقاصدها وأهدافها ، وعلى حركات الحاقدين الصريحة والخفية :

يقول القسيس (وليم جيفورد بالكراف) : (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب .. أمكننا جينئذ أن نرى العربى يندرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه) ..

ويقول الكاتب الروسى (كليموفتش) — فى مجلة فوستكا سنة ١٩٤٥ م — (ان الحج مصدر دخل لتجار العربية واقطاعييها ، وان القرآن انما ألف لارضاء الاقطاعيين والتجار) ..

وتجاوبا مع مقاصد الاستعمار ، المتربص بالمسلمين الدوائر — أوصى (البهاء) مؤسس الديانة البهائية بهدم الكعبة المشرفة .. لانها الجامعة المانعة : الجامعة لشمل المسلمين على اختلاف الديار والالسنة والألوان ، والمانعة من تصدعهم وتمزقهم .. اذ يتجهون اليها أكثر من خمس مرات فى اليوم ، لا يذكرون الها الا الله الواحد ، ولا أمة الا المسلمين فى كل مكان ..ثم يحجون اليها كل عام ، فيلتقى الاباعد والاقارب ، السود والبيض .. لا نسب بينهم الا الاسلام ، ولا تحية لهم الا الاسلام ..

فالحج — كما يقول الاستاذ محمد الغزالى فى كتابه (دفاع عن العقيدة والشريعة) — عمل ينغص على المستعمرين استقرارهم ، ويوهن كيدهن .. فان المسلم فى داكار على شواطىء الاطلسى عندما يلتقى بأخيه فى سنغافورة والملايو على شاطىء الهادى .. يخترق نطاق العزلة التى يريد الاستعمار حبسه وراء أسوارها ، كى يتمكنوا من الاجهاز عليه — ان تقطيع أوصال العالم الاسلامى ، وجعل كل قطر عربى غريبا عن الآخر : غاية أولى للسياسة الصليبية ، والحج عبادة تلقائية لجمع المسلمين من الارجاء القصية فى يوم واحد ، ومكان واحد ، فاذا ظهرت تعاليم دينية — كما هو الشأن فى البهائية — تسقط هذه الفريضة ، وتذود الجموع عنها ، فهذا ربح عظيم للاستعمار ، وخطوة فسيحة لتحقيق أغراضه) ..

واذا جاء الكاتب الشيوعى كليموفتش يزعم : ان موسم الحج فرصة للاقطاعيين والتجار ، وأن القرآن ألفه محمد أو ألفه المسلمون ارضاء للاقطاعيين منهم — فذلك لصرف حجاج بلاده والبلاد الدائرة فى فلك الشيوعية الدولية عن أداء هذه الفريضة الجامعة المانعة ، والاحتفاظ بنفقات الحج لزيادة الانتاج .. اذ لا ضرورة للحج ، بل لا ضرورة للدين كله ، فهو بزعمهم أفيون الشعب .. !

* * *

وبعد .. فان (الحج) فرصة كبرى للصلاح الفردى ، والاصلاح الجماعى . وعلى قادة المسلمين من أمراء وعلماء : ان يعملوا صادقين للانتفاع من هذه الفرصة المتكررة كل عام مرة لتحقيق عزة العالم الاسلامى ، ووحدته ، وقوته ، وانتصاره على المتآمرين ..

والله الموفق والمستعان ..

نظرات في حجة الوداع

للاستاذ : أحمد العنانى

- ١ -

عقد واحد من الزمان ، مقداره عشر سنين ، عشر فقط انقضت على الدموع التى سفحها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى الغار من خشيته على الرسول أن يصيبه شر الذين وقفوا على الغار ، وانتشروا من حوله جمعا غاضبا يتميز غيظا ، ويتنزى حقدا ، كل يريد أن يفتك بمحمد ، والله الذى معه يرد الى نحورهم كيدهم ، ويحكم على رغم أنوفهم أمره .

عشر سنين فقط مرت على ساعة الخطر الاكبر فى طريق الهجرة الى يثرب حين بكى أبو بكر تحسبا وانفعالا وخشية على الرسول والرسالة ، ومستقبل الاسلام والحق ، ومصير عبادة الله فى الارض .

والآن بعد عشر عددا يبكى أبو بكر فيما هو يسمع قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ، يبكى وهو موقن من وداع الرسول .

ولكن شتان بين دموع ودموع ، وبين حال وحال .

مع الدموع قبل عشر سنين كان المسلمون فرادى وجماعات صغيرة تتسلل من مكة خائفة تترقب ..

ومع الدموع الاخرى بعد عشر سنين تتقدم جموع هادرة كالسيل العرم من سائر أطراف جزيرة العرب تغطى أرض عرفات ، منصتة ، لو استطاعت بالأنامل تداولت السمع ، تتسقط كل كلمة يفوه بها الرسول

الكريم ، ويرددها من بعده بصوت جهورى ربيعة بن أمية بن خلف ، ليتمادى الصوت مغلغلا فى الجماهير الغفيرة الواقفة على عرفات لكى يسمع من حضر ، ثم ليبلغ الحاضر الغائب ..

- ٢ -

سبحانك اللهم ، آمنا بك ربا واحدا له الخلق والامر ، وبيده المحيا والممات ..

من مختبأ فى الغار قبل عشر سنين ، الى أعلى نشز مرتفع على أوسع منبسط من الارض .

ومن حال وحدة لا رفيق فيها سوى أبى بكر الى هذا الجمع الزاخر من سائر العرب ..

أحقا هذا الذى يتشرف بترديد كلمات الرسول مقطعا مقطعا ، ويصغى له سائر العرب هو ابن أمية بن خلف ، أمية الذى طالما شقى به بلال ، ثم أرداه الله بذنوبه يوم هزيمة الكفر الاولى ببدر .. ؟ وحقا هذا الذى يردد كلمات الرسول هو ابن أمية .. يرى المنتقمين من أبيه فيرد تحياتهم بأحسن منها ، يهش لهم ، ويبش فى وجوههم كأنما يخالط حبهم لحمه ودمه ؟

اليوم تجتمع وفود من سائر أطراف شبه جزيرة تكاد تعدل قارة بمساحتها وترامى أطرافها .

اليوم يجتمع العرب لغير ما كان يجتمع له بعضهم فى عكاظ أو ذى المجنه ، من مفاخرة ومنافرة وملاحاة ، وتحريض وفسق ، وخيلاء ..

اليوم يجتمعون بقلوب مجتمعة ، وزى أبيض موحد ويرددون كلهم كلمة حق واحدة ، ويعبدون كلهم ربا واحدا وينصتون كلهم لخطيب واحد ..

اليوم صلح العرب للحياة لأول مرة ..

وتحرروا من الخوف والعداوات والأحقاد دفعة واحدة وتكامل ما ابتدأ بدموع أبى بكر ساعة الروع قبل عشر سنين فأصبح بنيانا شامخا فى مشهد يهز القلوب ، ويطلق الألسنة بالشكر لله جل وعلا .

- ٣ -

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى له هاتف خفى بأنه قد لا يلقى الناس بعد ذلك العام ، وكذلك بأمر الله كان . لقد تمت النعمة ، واكتمل الدين الذى رضيه الله لعباده الذين رضوا عنه .

والرسول الأمين ، وهو يرى الأمر رسخت قواعده ، وتغلغلت فى الارض جذوره ، يريد بحرص الموقن من لقاء ربه لقاء قريبا ، أن يشهد الله والناس على أنه أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ..

والموقف لا يحتمل تكرار التفاصيل فليقتصر على المبادىء الكبرى ، والأسس الأهم .. ولينذر العرب مما يخشاه عليهم ، ثم لينذر الانسانية بعامة مما لا يرضاه لها ربها ، ذلك بأن أمر الهداية بين العرب قد انتهى ، ولا مزلزل لأمر الله فيهم أبدا .. وانما ثمة جيش يوشك أن يوجهه الى الروم ، ورسالة لا بد لها أن تنطلق الى أهل الارض طرا من فرس وأعجام .

— ٤ —

فمن ماذا حذر الرسول الكريم والى ماذا دعا فى ذلك الموقف الفذ ؟
ولننظر نحن العرب بخاصة ، ولنعرض واقعنا البئيس على وصـــايا نبينا ولننظر الى أين انتهى بنا حالنا . .

— ٥ —

كان طبيعيا أن يبدأ الرسول بشكر الله تعالى والثناء على نعمته وهو يرى أمة بكاملها دخلت فى عقد واحد من السنين فى دين الله أفواجا . .
ثم استغفر عليه السلام واستجار بالله تعالى للمسلمين من شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم فيا لله ما أدق هذا الترتيب وما أروعه وما أحكمه .
هل كان شىء فى الدنيا ، أو قوة فى الوجود تستطيع أن تصد تيــار الاسلام عن شمول الارض بنوره ، وجمع سائر البشر تحت لوائه . . لولا سيئات أعمال وشرور أنفس من بواطن المسلمين تولدت منها فتن سوء أدت الى وقف امتدادهم ؟

ثم أوصى عليه الســـلام بتقوى الله ليمكن لأهمية اليقين فى أنفس المسلمين . . فلقد كان اليقين منذ حراء ، وما كانت الصلاة الا بعد الاسراء . .
وهل بغير اليقين تصلح عبادة أو معاملة ، أو تصح حياة فى ســـلم أو حرب ؟

— ٦ —

ثم انتقل عليه السلام الى أشد خطر يتهدد الاسلام فى حياة العرب ، وبدفع من بيئتهم وسابق أعرافهم ، ألا وهو القبلية أم العصبية ، ومزاحمة الولاء لروح الاسلام ، ومثيرة أشكال الظلم والثأر والخصام .
من استغلال الانسان للانسان .
وما الربا فى الاعماق من معانيه ، والفـــادح من آلامه ومخـــازيه الا صورة الشرك فى عبادة حطام الدنيا دون خالق الدنيا ، والا صـــورة القسوة التى تنضب لها ينابيع التجاوب فى الرحمة ، والا أفدح انحراف عن طبيعة المجتمع الربانى القائم على العدل والاحسان والمرحمة ، الى مجتمع التحكم والاذلال وروح الاسترقاق وامتهان انسانية الضعفاء والفقراء .

ثم ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم بحسه القيادى الأمثل وذوقه السامى مثلا لسائر الناس على ائتماره بما يطلب وادكاره نفسه وأهله حين هو بالبر يأمر ، فوضع ربا عمه العباس ، وسامح فى دم ابن عمه عامر بن ربيعة بن الحارث .

وبعد أن أعلن عليه الســـلام اطمئنانه الى تمكن أسس الاســـلام فى الارض بحيث لن تقدر قوة معادية مهما بلغت من العتو والجبروت أن تطمس معالمه ، حذر المسلمين من الاهمال فيما يستصغر من أمور الحياة متصلا

بشهوات النفوس ، ورخيصات المطامع ، ومحاولة التحايل على الحقيقة ضاربا على ذلك مثلا ما يكون فى النسىء وهو تأخير حرمة شهر الى شهر .

ثم مضى يضرب بسيف الحق جذور المساوىء الجاهلية ونواتها ، الظلم الذى طالما اتخذ أفدح شكل له فى استضعاف المرأة فكرر تعداد واجباتها وحقوقها بحيث لا يحق بعد ذلك لأحد أن يظلمها أو يتجاوز حدود الله فى أمرها .

- ٧ -

ثم انتقل عليه الصلاة والسلام الى الجانب الأممى منرسالته الى الناس كافة .. فأكد وحدة المودة بين سائر المسلمين فى الارض ، وحذرهم من أعظم مصيبة يتعرضون لها ألا وهى الفتنة الداخلية ، والانقسام الى شيع متحاربة ، ودعاهم الى أن يعرضوا كل خلاف على كتاب الله وسنة رسوله .

وحيث أنهم أمة التوحيد يلتقون جميعا فى العبودية لرب واحد ، وحيث أنهم جميعا بشر ينتمون الى أب واحد فان مشروعية التمايز بينهم لا تنهض على غير الكفاية ، وهى الكفاية فى التقوى وما مظهرها الا العمل الصالح ونفع الناس فى الارض وما يتم شىء من ذلك الا بالكفاح المتصل وأكبر الجهد ، ثم أعلن حق الملكية المشروعة وتوريثها بالحق .

- ٨ -

ولم يلبث بعد حجة الوداع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالرفيق الاعلى وكان صدقا ما خشى منه أبو بكر ، فدمعت له عيناه !

ليت شعرى هل يفكر عاقل منصف فى سائر مصائبنا على امتداد ماضينا وحاضرنا فيجدها الا على قدر انفراج المسافة بين نصائح رسولنا وواقعنا ؟

ليت شعرى .. هل لنا من أمل فى مسيرة تسعدنا غير مسيرة تغطى الفرق بين أعمالنا والمنهج الذى رسمه لنا الرسول الذى أرسله لنا ربنا ، رحم به ضعفنا ، وأصلح أمرنا ، وجعل لنا بين الامم مكانا ، بل جعلنا برسالته خير أمة أخرجت للناس .

الأعياد في ال

للشيخ حسيني عرابي عطوة

في حياة كل أمة من الأمم فواصل تاريخية ، تنقلها من وضـــع الى وضع ، وتحولها من طبع الى طبع ، من جـــد ومتابعـــة ، الى طراوة واسترخاء ، ومن يقظة وحرارة ، الى هدوء وتوقف ، ومن تعقـــل واحساس بالمســـئولية ، الى لهو وعبث ، وهذه الظواهر فى حيـــاة الامم ، تسمى بالاعياد ، وهى تسمية قديمـــة فى قواميس كل أمة ، فى الكتب المقدسة لكل دين ، مر بهـــا القرآن سريعا فى التحدث عن ابراهيم عليه السلام مع قومه حينما كسر أصنامهم فى يوم عيدهم ، وحينمـــا ندبوه ليشاركهم فرحتهم بالعيـــد ، فاعتذر بالمرض ، وهم كانوا يخافون العدوى ، وظل فى مكانه حتى يصل الى ما انتواه وعزم عليه « وان من شيعته لابراهيم . اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لأبيـــه وقومه ماذا تعبـــدون . أئفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة فى النجوم . فقـــال انى سقيم . فتولوا عنه مدبرين » الخ . من ٨٣ الى ١٠٠ من ســـــورة الصافات .





وقد أشار اليه القرآن الكريم فيما وقع بين الحواريين وعيسى عليه السلام ، وحينما ألحوا عليه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ولم يجد بدا من دعائه لربه عز وجل فى أن ينزل عليهم تلك المائدة « قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وأرزقنا وأنت خير الرازقين » الآية ١١٤ من سورة المائدة . وقد كان للفراعنة عيد يظهرون فيه وفاءهم للنيل ، ويسمونه بيوم الزينة ، تعرض له القرآن الكريم حينما قص ما وقع بين موسى وفرعون وسحرته، حينما طلبوا منه موعدا يلتقون معه فيه فقال لهم فيما سجله القرآن الكريم « قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى » الآية ٥٩ من سورة طه .

وكان لقبط مصر فى شهر (توت) وهو من الاشهر القبطية عيد وهو عيد (النيروز) وكان الفرس يحتفلون به أيضا اعتزازا بفترة تاريخية سعدوا فيها بملك عادل عظيم ، وهناك فى دنيا كل أمة أعياد مختلفة لها ايحاءاتها الخاصة ، وذكرياتها البارزة فى حياة الامم والشعوب .

وليس المهم لدينا حصر الأعياد فى حياة الأمم والشعوب ، انما المهم أن نقول بأنه لم يثبت لدىأمة من الأمم تقليدا أو دينا أو اصطلاحا أو عرفا وضع سنن ثابتة وآداب عامة ، يدور الاحتفال بالأعياد فى فلكها ، ويتأدب بأدبها ، ويتخلق بأخلاقها ، وانما تركت من غير قيود ولا ضوابط ، فاختلط الحسن بالقبيح ، وغلب الشر الخير ، وضاع المعنى الكريم المقصود من الأعياد ، وهو الانسلاخ لفترة من حياة العناء والهم والنصب ، والخلود للراحة والاستجمام ، حتى يعود للجسم بناؤه ، وللفكر نشاطه ، وللعقل قوته ، لأن متابعة العمل من غير راحة ولو لفترات متباعدة يورث الجسم الكلل والنفس الملل ، وذلك أخطر شىء على حياة الانسان وسعادته .

لذلك كان للاسلام منهجه الخاص فى استقبال الاعياد والاحتفاء بها وهو فى هذا المنهج لا يخرج عن طابعه الأصيل ووجهته المعروفة ، فهو الدين الذى لمس القلب ومس النفس ، وأشرف على الضمير ، وخاطب

العقل ، واعترف بحاجات النفوس ، ونداء الفطرة ، وحث على العمل ، وجعل الراحة جزءا منه ، وعمودا من أعمدته وكانت له توجيهات هادفة ، ونصائح بناءة ، تعتبر دليل عمل للتوفيق بين حظوظ النفس وأداء الواجب للانسانية كلها « نفث روح القدس فى روعى وقال لى يا محمد أعلم أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها وتستوفى رزقها فلا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى اطلبوا الاشياء بعزة الأنفس فان الامور تجرى بمقادير » حديث شريف .

« روحوا القلب ساعة بعد ساعة فان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد »

« ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » الآية ٧٧ من سورة القصص .

وللاسلام أعياده الهادفة ، التى تجعل العبد موصولا بربه حتى فى أحوال سروره وفترات تطلعه للاستمتاع بأنعم ربه ، فليس فيها مجال للتمتع الرخيص الذى يقوم على طغيان الشهوة وتمرد النزوة واشباع الغريزة ، والانحراف عن حدود القصد والاعتدال فى المأكل والمشرب والملبس حتى فى الكلمة التى يملأ بها فراغ هذه الأيام المباركة ، فلا بد فيها من التكبير والتهليل ورفع الصوت بالحمد على اتمام النعمة ، والنجاح فى تطهير النفوس ، والانتصار على نوازع الشر ، فى صراع لا تعرف فيه مداخل العدو ولا مخارجه ولا مصادره ولا موارده وأعدى عدو للانسان نفسه التى بين جنبيه « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » سورة الشمس .

والأكل والشرب والملبس فيها بقانون قوامه القصد والعفاف والاعتدال « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين » ٩٢ سورة المائدة .

« أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة » حديث شريف رواه البزار .

« من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة وألهب فيه نارا » حديث شريف رواه ابن ماجة .

وعلى رأس هذه الاعياد ، يوم الجمعة فهو عيد أسبوعى شرعه ديننا لجمع آحاد الأمة فى لقاء يتجدد عن قرب حتى تظل الرابطة بين الجماعة المسلمة قوية كما أرادها الله « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم . وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » ٥١ ، ٥٢ من سورة (المؤمنون) لذا أكد الاسلام الحفاوة به والتنويه بسيادته على الأيام وندب الاغتسال فيه مع الاخذ بشىء من الطيب والسواك وجعل له سورة فى القرآن تحمل اسمه وتحض فيه على ذكر الله والسعى بالمبادرة للصلاة وتعمير المساجد « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » وروى الامام مسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة » .

والناس يوم القيامة على قدر تراوحهم للجمعة ، قال علقمة : خرجت مع عبد الله بن مسعود الى الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة من الله ببعيد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس يجلسون يوم القيامة على قدر تراوحهم للجمعات الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع وما رابع أربعة من الله ببعيد » رواه ابن ماجه والمنذرى .

هذا عيدنا الاسبوعى ولنا عيدان سنويان ، أولهما يربطنا بذكريات بدء الدين وهو عيد الفطر بعد صيام رمضان الذى ابتدأ نزول القرآن فى النصف الثانى منه ، وثانيهما عيد النحر الذى يذكرنا بتمام الدين حيث نزلت فيه تلك الآية فى يوم عرفة وكان يوم جمعة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » بعض الآية (٣) من سورة المائدة وأى عيد فى حياة أية أمة ينافس هذين العيدين ان أولهما يرمز الى بدء بناء الدين ولذلك سمى بالأصغر والثانى يرمز الى تمام البناء وشموخه ولذلك سمى بالأكبر ، ورد بأن أحد اليهود ويقال بأنه (كعب الاحبار) دخل على أمير المؤمنين عمر وكان كعب لم يزل على يهوديته وقال لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذى نزلت فيه فاتخذوه عيدا يجتمعون فيه فقال عمر : أى آية يا كعب فقال « اليوم أكملت لكم دينكم » فقال عمر « قد علمت اليوم الذى نزلت فيه وكان يوم جمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد » .

ومن خلال هذه المعانى شرع الاسلام الصلاة فيها فى السنة الاولى من الهجرة وهى سنة مؤكدة واظب النبى صلى الله عليه وسلم عليها وأمر الرجال والنساء وأن يخرجوا للحفاوة بها حتى العوائق والحيض يخرجن لشهود الخير ودعوة المسلمين ويعتزل الحيض المصلى وحرصا على تمام الحفاوة بتلك المناسبة شرعت الصلاة فيها فى الصحراء الا فى مكة فتؤدى فى البيت الحرام ، وذلك كله يعطى أقوى الدلالات على اهتمام الاسلام بهذين العيدين وذلك بعض ما يشير اليه قوله سبحانه فى آخر آية الصوم « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » الآية ١٨٥ من سورة البقرة . وهذا ما يخص عيد الفطر ، وأما ما يخص عيد الاضحى فهو قول الله عز وجل « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » من الآية ٢٠٠ — ٢٠٢ من سورة البقرة .

ولقد كان لأهل المدينة قبل الاسلام عيدان النيروز والمهرجان ، وعيد النيروز أول يوم تتحول فيه الشمس الى برج الحمل ، ويكون عادة فى شهر (برمهات) القبطى ، وعيد المهرجان أول يوم تتحول فيه الشمس الى برج الميزان ويكون فى شهر توت وهما يومان معتدلان فى الحرارة والبرودة يستوى فيهما الليل والنهار، فلما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلم بعيديهم وعاداتهم فيهما قال لهم « ان الله تبارك وتعالى أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم النحر » .

وتمتاز أعياد الاسلام بمصاحبتها

لتشريعات تستهدف البر بالفقراء والعطف على أصحاب الحاجات والمعوزين ، وبوقوعها عقب أداء ركنين من أركان الاسلام كلاهما تجربة غنية لتأديب النفس ، وصياغتها على مبادىء التعاطف الموصول والبر المبذول ، والتكافل الشامل ، وكمال الاحساس بما للجماعة على الفرد من حق المواساة والتراحم ، واشاعة السرور ، وصلة الارحام ، والانسلاخ من الأثرة والانانية ، ونبذ الخصام والبغضاء فعيد الفطر عقب فريضة الصوم وعيد الاضحى عقب فريضة الحج وكان فى صحبتهما تشريع صدقة الفطر والاضحية لتأكيد هذه المعانى الكريمة وتأصيلها كقاعدة تنطلق منها الروح الاسلامية الحريصة على اسعاد الفرد والجماعة .

ومن هنا يتضح بأن فى أعياد المسلمين معانى يتعذر أن تسمو اليها الاعياد فى أية أمة فهى تستسيغ الضحك والسرور وتلتذ البهجة والمرح وتعانق السعادة على أنها طاعة يعبد بها الله سبحانه ، وتبذل العون والرفد ، والمعروف والبر ، على أنه لون من ألوان سمو النفس وعشق الروح ، حتى يصبح العالم كله أسرة واحدة متحدة العواطف متعاونة على الخير الذى أراده الله لعباده ، ولا بأس فيها من تناول المرح واللعب فى صوره المباحة الهادفة كركوب الخيل والانتضال بالسيف والسباحة والالعاب المستحدثة التى تفيد الجسم قوة ، والفكر توقدا ، والعقل حركة ونشاطا ولا ضرر فيها من سماع الاغانى غير المثيرة ويا حبذا لو كانت من النوع الهادف الموجه كالاغانى الوطنية أو الدينية فلقد ورد عن السيدة عائشة « ان الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لى منكبيه فجعلت أنظر من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت » رواه أحمد والشيخان .

وروى البخارى عنها قالت « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمارة الشيطان عند النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال (دعهما) فلما غفل غمزتهما فخرجتا » وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا وان اليوم عيدنا » وقد لعب السودان فى يوم عيد بالدرق والحراب وسمح النبى صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة بأن تنظر وقال يومئذ « لتعلم يهود المدينة أن فى ديننا فسحة انى بعثت بحنيفية سمحة » رواه ابن السراج من طريق أبى الزناد عن عروة عن عائشة . وقد دخلت فى الاسلام أعياد دينية وقومية لها خطرها ودلالاتها وذكرياتها كالهجرة وميلاد النبى صلى الله عليه وسلم والاسراء والمعراج ويوم بدر ، وعيد العمال والفلاحين والاسرة وموقف الاسلام منها الاجازة مع الأعزاز والتقدير لأن بعضها يمثل منارات هادية وتاريخا مجيدا فى حياة الأمة والبعض الآخر يمثل مواقع تحول فى حضارة الأمة ومجدها وانا لننظر فى الغد القريب عيد الانتصار على الاعداء مع عيد الوحدة الكبرى الشاملة ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم

نساء ذوات عزائم وهمم

الاستاذ على الجندى

لم يخل الزمن السابق ، بل لم يخل أى زمن من نساء صالحات قانتات لهن عزائم الرجال الناسكين العباد ممن طرز ذكرهم أعلام التاريخ وعطرت سيرتهم صفحات الاسفار وسنوا للأعقاب السنن الحق فى الوصـــول الى رحاب القدوس الاعلى ــ عز وجل وتباركت ذاته وعزت صـــفاته ، منهن السيدة عائشة بنت الامام جعفر الصــادق ــ رضى الله عنهما ــ المدفونة بباب قرافة مصر بلغ من ثقتها بربها وحسن ظنها به وادلالها عليه أنها كانــت تقول : وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأدور به على أهل النار وأقول لهم : وحدته فعذبنى .

ومنهن معاذة العدوية المكنية بأم الصهباء زوجة صلة بن أشيم العابد كانت تحيى الليل كله وكانت اذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه فتصوم واذا جاء الليل قالت : هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام وتصلى حتى تصبح فلا تزال صائمة قائمة ، وكان اذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول : يا نفسى النوم أمامك ثم لا تزال تدور فى الدار الى الصباح تخــاف الموت على غفلة ونوم ، وكانت تصلى فى اليوم والليلة ستمائة ركعة ،ولمامات زوجها لم تتوسد فراشا حتى ماتت ، وقد أدركت السيدة عائشة وروت عنهــا كما روت عن الامام على ، وروى عنها كثير من الشيوخ وكان ابن معين يوثقها توفيت سنة ٨٣ هـ .

رابعة العدوية :

كانت كثيرة البكاء والحزن وكانت اذا سمعت ذكر النار غشى عليهــا زمانا وكانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول : مالى حاجة بالدنيا وقد عمرت الى الثمانين فأصبحت كأنها شن بال تكاد تسقط اذا مشت ، وكان كفنها لــم يزل موضوعا أمامها فى موضع سجودها ، وكان موضع سجودها كالمــــاء المستنقع من كثرة دموعها .

وتعد رابعة أشهر النساء الناسكات ولها كلام نفيس يدور على الالسنة من ذلك : أنها سمعت سفيان الثورى يقول : واحزناه فقالت له : واقلة حزناه لو كنت حزينا ما هناك العيش وكانت تقول : استغفارنا يحتاج الى استغفار . وكانت تقوم الليل كله ثم تقول : ان شكر قيام هذه الليلة أن أصوم غدا . وقالت عبدة خادمتها : كانت رابعة تصلى الليل كله فاذا قرب طلـوع الفجر هجعت فى محرابها هجعة حتى يطلع الفجر ثم تقـوم وهى فزعة قائلة : يا نفسى كم تنامين ؟ يوشك أن تنامى نومة فلا تقومين الا لصرخة القيامة . فكان هذا دأبها الى أن ماتت .

ومن كراماتها : أنها باتت ليلة فجاء اللص فأخذ ثيابها ثم أراد الخروج فلم يجد الباب فهتف به هاتف ان كان المحب نائما فالمحبوب يقظان ضع الثياب واخرج من الباب .

ماجدة القرشية :

كانت تقول : ما حركة تسمع ولا قدم يوضع الا ظننت أنى أموت فى اثرها . ومن قولها : لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضـاء الرحمن الا بتعب الابدان ومن كلامها البليغ : يا لها من عقول ما أنقصها سكان دار أوذنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون فى المهلة كأن المراد غيرهم والتأذين ليس لهم ولا عنى بالامر سواهم .

حبيبة العدوية :

كانت اذا صلت العشاء قالت : الهى قد أقفلت الملوك أبوابها وحجبتها حجابها وكل حبيب خلا بحبيبه وهذا مقامى بين يديك . ثم تصلى حتى الفجر !

شعوانة الزاهدة :

قال يحيى بن بسطام : دخلنا على شعوانة نأمرها أن ترفق بنفسـها ونلومها فى كثرة بكائها فبكت ثم قالت : والله لوددت أن أبكى حتى ينفد دمعى ثم أبكى دما حتى لا تبقى قطرة دم فى جارحة من جوارحى وأنى لى بالبكاء . فلم تزل تقول وانى لى بالبكاء حتى غشى عليها . ومن مناجاة شـعوانة لخالقها ــ جل وعلا : الهىما أشوقنى الى لقائك وأعظـم رجائى لجزائـك وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان قد دنا أجلى ولم يقربنى عملى فقـد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عملى فان عفوت فمن أولى بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنالك . الهى قد جرت على نفسى فى النظر لها ، وبقى لها حسننظرك ، فالويل لها ان لم يسعدها حسن نظرك . الهى أنت لم تزل بى برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد وفاتى ولقد رجوت من تولانى فى حياتى باحسانه أن يسعفنى عند مماتى بغفرانه . الهى ان كانت ذنوبى قد أخافتنى فان محبتك لى قد أجارتنى فتول من أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله . الهى لو أردت اهانتى لم تهدنى ولو أردت فضيحتى لم تسترنى فمتعنى بما له هديتنى وأدم لى ما به سترتنى . الهى ما أظنك تردنى فى حاجـة أفنيت فيها عمرى . الهى لولا ذنوبى ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك . الهى انك لتعلم أن العطشان من حبك لا يروى أبدا .

ثم لا تزال تبكى حتى يطلع الفجر . وكان الفضيل بن عياض يزورهـا ويسألها الدعاء !

عفيرة العابدة :

كانت كثيرة الخوف من الله وكانت ملازمة لذكر الله يقـول أحمد بن على : استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا البـاب فلما عرفت ذلك قامت وهى تقول : أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك . ثم فتحت الباب لنـا فدخلنا وسألناها الدعاء فقالت : جعل الله قراكم من نبق الجنة وجعل ذكر الموت منى ومنكم على بال ، وحفظ علينا الايمـان الى الممات وهو أرحم الراحمين .

فاطمة النيسابورية :

كان ذو النون المصرى يقول عنها : فاطمة أستاذتى ، وكان أبو زيد يقول : ما رأيت امرأة مثل فاطمة ما أخبرتها عن مقام من المقامات الا وقد رأته عيانا ، ومن قولها : من لم يراقب الله تعالى ــ فى كل حال فانه ينحدر فى كل ميدان ، ويتكلم بكل لسان ، ومن راقب الله تعـالى فى كل حال أخرسه الا عن الصدق وألزمه الحياء منه والاخلاص له .

أم هارون :

كانت من الخائفات العابدات وكانت تأكل الخبز وحده من غير ادام ، وكانت تحب الليل وتقول ما أنشرح الا بدخوله فاذا طلع النهار اغتممت ، وكانت تحييه كله وتقول : اذا جاء السحر دخل قلبى الروح ــ الراحـة .. وسمعت مرة قائلا يقول : خذوها فتمثلت القيامة فسقطت مغشية عليها .

عمرة امرأة حبيب :

كانت تقوم الليل كله ، فاذا جاء السحر قالت لزوجها : قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وانفض كوكب الملأ الأعلى وسارت قوافل الصالحين وأنت متأخر لا تدركهم ، واشتكت عينيها مرة فقيل لها : ما حال وجع عينيك ؟ فقالت : وجع قلبى أشد .

أمة الجليل :

كانت من العابدات الزاهدات وبلغ من ثقة الصالحين بها : انهم اختلفوا مرة فى تعريف الولاية على أقوال فقالوا : امضوا الى أمـة الجليل لنسمـع رأيها فقالت لهم : ساعات الولى ساعات شغل عن الدنيا ليس منها ساعـة يتفرغ فيها لشىء دون الله عز وجل .

ثم قالت : من حدثكم ان وليا لله تعالى ــ له شغل بغير الله ــ تعالى فكذبوه ..

عبيدة بنت أبى كلاب :

كان الناس يقدمونها على رابعة العدوية وكانت تتردد على مالك بن دينار وهو من هو فى العلم والزهادة وتأخذ عنه .

بلغ من ورعها انها كانت تقول : لا أبالى على أى حال أصـــبحت أو أمسيت . وسمعت شخصا يقول : لا يبلغ المتقى حقيقة التقوى حتى لا يكون شىء أحب اليه من القدوم على الله تعالى فخرجت مغشية عليها . .

منفوسة بنت زيد بن أبى الفوارس :

كانت اذا مات لها ولد ، تضع رأسه فى حجرها وتقول : والله لتقدمك أمامى خير عندى من تأخرك بعدى ولصبرى عليك أولى من جزعى عليـــك ولئن كان فراقك حسرة فان فى توقع أجرك لخيرة ثم تنشـــد قول عمرو بن معد يكرب :

وأنا لقــوم لا تفيض دموعنـــــا على هالك منا وان قصم الظهرا

ميمونة السوداء :

حكى أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض أن ابن زيد سأل ربه ثلاث ليال أن يريه رفيقه فى الجنة فاذا بقائل يقول له : هى ميمونة السوداء ، قال :

فقلت : وأين هى ؟

قـــال : بالكوفة .

قـــال : فخرجت فى طلبها ، فلما سألت عنها قالوا : هى مجنونة ، وانها بموضع كذا ترعى غنما لها فأتيت اليها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشترى ووجدت الغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر ووجدتها قائمة تصلى ، فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت : يا بن زيد ليس هذا موضع الموعد .

قلت : ومن أين عرفتنى ؟

قالت : الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منهـــا اختلف .

وفى رواية : قالت : جالت روحى وروحك فى عالم الملكوت فتعارفنا .

فقلت لها : عظينى .

فقـــــالت : واعجبا من واعظ يوعظ !

ثم قالت : يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط ــ العدل ــ على جوارحك لخبرتك ــ أى الجوارح ــ بمكنون ما فيها .

يا بن زيد ، ما من عبد أعطاه الله شيئا من الدنيا فابتغى اليه ثانيـــا ، الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الانس الوحشة ثم أنشدت :

يا واعظـــا قام لاحتســــــاب يزجـــــر قوما عـــــن الذنوب
تنهى وأنت الســـــقيم حقـــــا هـــــذا من المنـــــكر العجيب
لو كنت أصـــلحت قبـــــل هذا غيـــــــك أو تبت عـــن قريب
كان لمـــــا قلت يا حبيـــــــبى موضع صـــــــدق من القـــلوب
تنهى عن الغى والتمـــــــادى وانت فى النهـــــــــى كالمريب

قـــال : ثم سألتها ؟ ما بال الذئاب ترعى مع الغنم لا تضرها ؟

قالت : أصلحت ما بينى وبينه ، فأصلح ما بين الذئاب والغنم .

آمنة الرملية :

كانت تسكن مدينة الرملة من أعمال فلسطين وكانت آية فى الورع والتقوى وقد حدث أن مرض بشر الحافى ـ رحمه الله ـ فسافرت الى بغداد لتعوده ، فلما دخلت اليه صادف مجىء الامام ابن حنبل اليه عائدا فقال : من هذه ؟ فقال بشر : هذه آمنة الرملية جاءتنا عائدة ..

فقال الامام أحمد : اسألها لنا الدعاء ، فقالت آمنة : اللهم ان بشر الحافى وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين .

قال الامام أحمد : فرأيت فى تلك الليلة فى المنام رقعة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ذلك ولدينا مزيد .

امرأة رباح القيسى :

كانت اذا صلت العشاء تطيبت ولبست ثياب الزينة ثم تقول لزوجها الك حاجة فان قال : لا . نزعت ثيابها وصلت حتى الفجر وكانت تقوم الليل كله فاذا قضى الربع الأول تقول قم يا رباح فلا يقوم وهكذا تعاوده الى تمام الليل ، فتجيئه فتقول قم يا رباح ، قد مضى عسكر الليل وانت نائم فليت شعرى من غرنى بك يا رباح ما أنت الا جبار عنيد ، وكانت تأخذ تبنة من الارض وتقول : والله للدنيا أهون على من هذه .

بريرة السعدية :

كانت بريرة كثيرة العبادة مواظبة على القراءة فى المصحف الشريف وظلت تبكى من خشية الله حتى ذهب بصرها .

ويقول ابن عمها العلاء السعدى : دخلنا اليها فقلنا لها : كيف أصبحت يا بريرة ؟

قالت : أصبحنا ضعافا مقيمين فى أرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب .

فقلت لها : لم هذا البكاء ؟ قد ذهبت عيناك منه !

فقالت : ان يكن لعينى خير عند الله فما يضرهما ما ذهب منهما فى الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا .

فقال القوم : قوموا بنا فهى والله فى شىء غير الذى كنا فيه .

وعن عبد الله بن المبارك قال : بينما أنا أطوف فى الجبال اذا أنا بشخص . فلما دنا منى اذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فسلمت ثم قالت : من أين ؟ قلت : غريب .

قالت : وهل تجد مع سيدك وحشة الغريب وهو مؤنس الضعفاء ومحدث الفقراء .

قال : فبكيت لكلامها .

فقال : ما أسرع ما وجدت طعم الدواء !

فقالت : هكذا العليل .

ثم قلت : عظينى يرحمك الله .

فأنشدت :

دنياك غرارة فذرها فانها مركب جموح

دون بلوغ الجهول منهـــا أمنيـــة نفســه تطــوح
لا تركب الشر فاجتنبـــــه فانه فاحش قبيـــــــح
والخير فاقدم عليه جهــرا فانه واســـع فســـيح

فقلت : زيديني ..

فقالت : سبحان الله أوما فى هذا الموقف من الفوائد ما أغنىعن الزائد ؟

فقلت : لا غنى لى عنه ..

فقالت : أحب ربك شوقا الى لقائه ، فان له يوما يتجلى فيه لأوليائه .

وقال عبد الرحمن بن الحسن : كانت لى جارية رومية ــ وكنت أحبهــا ــ فنامت ليلة الى جوارى فانتبهت فلم أجدها . فطلبتها فاذا هى ســـاجدة تقول : اللهم بحبك لى اغفر ذنوبى ..

فقلت لها : كيف تقولين بحبك لى ؟

فقالت : يا مولاى ، بحبه لى أخرجنى من الشرك الى الاسلام وبحبه لى أيقظنى وكثير من خلقه نيام .

وقال بعض الصالحين : كانت لى جارية حبشــية ، فمضت معى الى السوق فى حاجة فأقعدتها فى مكان وقلت لها : اقعدى حتى أجىء .

ثم مضيت ، فقضيت ما أريد ، وعدت الى المكان فلم أجدها .

فأتيت منزلى فلما رأتنى قالت : يا سيدى لا تغضب انك تركتنى فى موضع لم أجد من يذكر الله تعالى فيه فخفت أن يخسف بهم ويخسف بى معهم .

فقلت لها : ان هذه الأمة قد أمنها الله من الخسف .

فقالت يا سيدى ، انما خفت أن يخسف بالقلوب فتزل عن الاستقامة .

فقلت لها : اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى .

فقالت يا سيدى ، حرمتنى من خير كثير كنت أعبد ربى وأخدمك فيكون لى أجران .

وقد ذكر الجاحظ فى كتابيه الحيوان والبيان والتبيين من نساء الخوارج الناسكات : الشجاء ، وحمادة الصوفية ، والبلجاء ، وغزالة الشيبانية وكحيلة وقطام .

ومن نساء الغالية : الميلاء ، وحميدة ، وليلى الناعطية والصدوف ، وهند وقد قتل بعضهن فأظهرن من الصبر والشجاعة فوق ما تتصـــوره العقول ..

هذا غيض من فيض مما حفلت به الكتب من تراجم الكرائم الســلفيات وقد يكون فى بعض ألوان هذه العبادة نوع من المغالاة التى تجــافى روح الملة الحنيفية السمحة البيضاء ولكن لا يصح أن ننسى أن هذه التعبدات تصدر عن رغبة صادقة وعقيدة راسخة وانبعاث حبى لا تعمل فيه كلفة وكل ميسر لما خلق له ومهما يكن فالتعالى فى الطاعة خير من التدلى فى المعصية خير من السرف فى التبرج الشائن أو التكشف المقيت خير من لبس المينى جيب والميكروجيب .

والله الهادى الى سواء السبيل ..

مع الخليل ابراهيم عليه السلام

للأستاذ : عبد الرحيم عبد الخلاق

● لماذا اخترت هذه المعية السنية .. ؟

أولا : ايمانى بأن هذه هى الصفوة الممتازة من البشر التى اصطفاها الله من بين خلقه وصنعها على عينه .. وعلى قمتها ابراهيم عليه السلام .

ثانيا : أن تعهد الوحى لها كذلك .. عصمها من الخطأ الذى ينزل اليه كافة النـــاس فيهبطون تارة ويرتفعون أخرى .. !! فهى منارة الســـالكين والمهتدين ..

ثالثا : أن الله قد أراد بوجودها بين الناس ، وتسجيل حياتها فى كتبه المقدسة .. نموذجا يختص بالاسوة والاقتداء .. « قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه .. »(١)

رابعا : موجات زحمت الفكر العالمى الحديث عن قصص زعماء وتعاليم قادة .. أحيطت بهالات من القداسة لم تبلغ فى حقيقتها ترابا مشى عليه هؤلاء الأنبياء والمرسلون .. !!

خامسا : آية من كتاب الله الكريم أوجبت على هذه المعية .. « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا » (٢) ..

سادسا : المأساة التى يتعرض لها قبره عليه السلام فى فلسطين ..

حيث تعمل حفريات اليهود هناك بحثا عن هيكل سليمان المزعوم .. !!

سابعا : حلول موسم (الحج) استجابة لندائه عليه السلام من آلاف السنين « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »(٣) . بعد دعائه ربه « فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم »(٤) .

ثامنا : أمل فى أن تكون ذكرى « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ..

المعية ..

● ومن ثم عايشت الخليل ابراهيم عليه السلام ــ متخطيا حدود الزمان والمكان ــ لم أفارقه فى يقظتى ومنامى أياما .. !!

ــ عشت معه حواريا .. أستشف بمنظار البصيرة نفس النبوة الخالدة لأبى الأنبياء .. لعلى أستطيع أن أترسم الخطى وأسير على الدرب .. !!

ــ عشت معه فى بناء شخصيته وتكوينه .. حتى أصبح فتى يواجه وحده دنيا الشرك والضلال التى اجتمعت وتآمرت عليه .. حتى استحق وصف ربه له « ان ابراهيم كان أمة ، قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين »(٥) .

ــ عشت معه .. فى محنه القاسية .. أبحث عن عوامل القوة الصامدة أمام عوامل الشرك والتكذيب والمحاجة والعدوان تارة .. !! وأمام نوازع النفس وعواطف الانسان تارة أخرى .. !! وهو يخرج منتصرا كل مرة .. لم يهزم أو ينتكس .. !! مع تعدد المعارك وتباين الميادين والأعداء .. !! لعلنا نجد مددا لنفوسنا أمام التيارات المختلفة فى حياتنا المعاصرة ..

ــ تجولت معه فى كل ميدان ، ولحظته فى كل حركة وسكنة ، وراقبت طائفة الجند معه : « اذ قالوا لقومهم : انا برءاء منكم ، ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم .. »(٦) .

وأبصرت كتائب الأعداء تجاهه ــ بعد أن سفهوا رأيه واستصغروا شأنه ــ يصيحون : « حرقوه ، وانصروا آلهتكم ، ان كنتم فاعلين »(٧) .

● فتعالوا معنا فى ركب المعية السنية لابراهيم عليه السلام .. حتى تصل قافلتنا الى حيث كنا : أمة عظيمة وسط ، تفتح الامصار لتعلى كلمة الله ، وتجلو البصائر بنور التوحيد لتكرم الانسان ، وتبعث الامن والطمأنينة فى نفوس الناس بالعدالة المحكمة بين العالمين .. ولنسجد لله حينئذ شاكرين :

« قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ، دينا قيما ، ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين »(٨) .

« ذلك من فضل الله علينا ، وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ! »(٩) .

عقيدة ابراهيم ..

● ونقلب الصفحة الاولى فى حياة الخليل ابراهيم .. لنرى خطها الأول : ايمانا بالله واحد أحد ، فرد صمد ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .. انفاذا للعهد الذى أخذه الله على البشر جميعا منذ الأزل « واذا أخذ ربك من بنى آدم ، من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ،

ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين ! »(١٠) .

— ولعل دلالة هذا العهد والميثاق هى الفطرة السليمة المركوزة فى النفوس التى تهتدى اليها أفئدة الناس متغلبة على ما حواليها مما يخالفها .. حتى ينشد بها شعرا (زيد بن عمرو بن نفيل) فى الجاهلية :

أربا واحـــــدا ؟ أم الف رب ؟! أدين واحد اذا تقســـمت الأمور
فلا الــــلات والعــــزى أدين ولا صـــنمى بنى عمــــرو أزور

ويلتقى معه على هذا الاهتداء أربعة نفر سموا جميعا (حنيفيون) .. كيف اهتدى اليها ابراهيم .. ؟

● اذا كانت الفطرة السليمة تهتف فى أعماق كل الموجودات بالوحدانية « كل مولود يولد على الفطرة ، وأبواه يهودانه ، وينصرانه ويمجسانه » .

فانها تجسدت فى نفس ابراهيم عليه السلام فى حالة الرفض لـــكل ما رآه وسمع عنه ، من عبادة غير الله سبحانه وتعـــالى .. مرحلة أولى تدفعه الى التجربة المريرة الشــــاقة فى الانصراف عن كل معبودات الآباء والأجداد ، والاصحاب والأنداد ، والتفكير فيما درجوا ونشــــأوا عليه من قداسة الأصنام والنجوم والكواكب واتخاذها آلهة من دون الله .. واستجاب لنداء فطرته ، ومن منهلها العذب أروى عقيدته .. حتى اذا ما أعمل فكره تجاه الأصنام التى لها يعبدون .. أدرك على التو أنها لا تنفع ولا تضر ، وأنها صنعة الانسان المخلوق مما لا يتفق عقلا ومنطقا فضلا عن الفطرة مع خلق الانسان وايجاد الكون .. فكان حكمه على عابديها فوريا بالضلال « أتتخذ أصناما آلهة ؟! انى أراك وقومك فى ضلال مبين »(١١) .

وحينما تقلب بوجهه فى السماء يبصر جهـــاز المعبودات الاخرى من النجوم والكواكب .. وصل الى اليقين بأن الوجود والعدم ، والظهور والخفاء لا يوصف بها خالق يبرىء النسم ويبدع الكون ، وتحتاج الى رعايتـــه كل المخلوقات « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا . قال : هذا ربى . فلمـــا أفل قال : لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى ، فلما أفل قال : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى . هذا أكبر . فلما أفلت . قال : يا قوم انى برىء مما تشركون » فأنهى ابراهيم مرحلة الرفض بمرحلة الادراك ، وحسم المرحلتين فى نفسه باليقين لمن فهم ووعى : « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين »(١٢) .

موقف المحـــاجة .. !

● لكن هذا الايمان الذى انتهى اليه ابراهيم من رحلات المعرفة ، وهذا النور الذى سعى بين يديه بعد أن استضاء به فؤاده ، رمدت تجاهه أبصـــار قومه ، ولم تستطع القلوب المغلقة أن تستقبل أشعة النور من فتاهم .. !! « وحاجة قومه !! قال : أتحاجونى فى الله وقد هدان !! ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا ،وسع ربى كل شىء علما . أفلا تتذكرون ؟! وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا !! فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ؟! »(١٣) .

— لقد أدرك ابراهيم عليه السلام أن الشرك وتعدد الآلهة .. يورث القلق النفسى ، ويبعث فى نفوس ذوى البصائر الاستنكار والتساؤل : أى

اله أقوى يستطيع التغلب على الآلهة الاخرى وينكل بعابديها ؟! وأى اله ينعم فى ظله ورعايته عابدوه وسدنته وحاملوا القرابين اليه ؟! وأى معبود يأتى السجود والخضوع له ببركات الصحة والعافية ، والغنى والجـاه ، والغلبة والسيادة ؟!

.. اذن ستظل عوامل الاصطراع والخوف قائمة فى النفوس ما تراءت أمامها آلهة متعددة .. ويسيطر عليها الهلع والفزع ما لم تهتد الى اله واحد له القوة ومنه الرحمة وعنده ميزان العدالة المطلقة « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمـانهم بظلم ـ أى شرك ـ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ـ « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان ربك حكيم عليم »(١٤) وصدق الله العظيم « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . تتنزل عليهم الملائكة ألا تخـافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنـة التى كنتم توعدون »(١٥) .

فنفوس المؤمنين بالواحد الأحد مطمئنـة ، وقلوب الموحـدين هادئة (مستكنه) ، .. ومن هنا وقف عمر بن الخطاب بعد ابراهيم بآلاف السنين ليرد على (أبو سفيان) يوم (أحد) « الله مولانا ولا مولى لكم » حينما افتخر (أبو سفيان) عليه بأن له ولقومه (العزى) ولا (عزى) للمسلمين .. !

تعدد الآلهة .. !!

● ولقد يعتقد بعض الناس أن الآلهة أصنام من حجارة دون ما سواها ، وأنهم قد نجوا من الشرك ما كفروا بها وأنكروها على عابديها ، وأن عهـد عبادتها كان مرحلة من البدائية الفكرية عفى عليها الزمن برشد وأتى الانسانية فى مراحل التقدمية من علم ومدنية .. !!

لكنهم جهلوا دوافع الانحراف عن الفطرة ، وأن الزيغ عن العقيدة من أمراض البيئة وسلطان الغفلة ، وأن الشرك يتسرب الى أفكارهم من مجارى التقاليد التى تتعصب للموروثات دون وعى واعمال فكر .. !! والا فما سر وجود عبدة النجوم والابقار ، ومنح بعض الأشخاص قداسـة الأصنام ، والتمسك بموروث خرافات أسموها ديانات .. !! ذلك فى عصر الانطلاق الى الفضاء والصعود الى الأقمـار ، ومع مكانتهم فى المجالس الدولية زعمـاء وحكام ، ومنزلتهم كأصحاب رأى وذوى شأن .. ؟!

ـ ولقد كانت أدوار التمثيل والاندماج فيها على مسرح السلطة هى التى جعلت من (النمروذ) الها يدعى قدرة الاحياء والاماتة فيقول لابراهيم عليه السلام « أنا أحيى وأميت » !! حينما حكم على انسان من رعيته بالاعدام فنفذه ، وعلى آخر فأوقفه .. !! وهنـا ألقى ابراهيم اليه بدليل معجز من وحى ايمانه ونظرته « ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب .. فبهت الذى كفر .. » .

ـ ولقد أصاب خلفاؤه من بعده نفس المرض فنادى (فرعون) موسى فى قومه :

« أليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون » ؟! وتطاول على مالك الملك كله قائلا « أنا ربكم الأعلى » !!

ـ وأصاب غرور العلم وما حققه ، والفكر المحدود وما أنتجه : من استثمارات طائلة وقوة غالبة .. نفس الوزير (قارون) فقال : انما أوتيته على علم عندى !! » أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ؟! » .

ـ وحينما يستحيل متاع الدنيا من أموال ونساء .. من وسـائل الى غايات تستهدف جذب الانسان اليها والانحصار فى متطلباتها .. تصبح له آلهة معبودة من دون الله خالقها وموجدها ، مفنيها وآخذها ، ويصـبح الانسان لها عبدا مسخرا للحصول عليها من أى طريق وبأية وسيلة معميا عن حلالها وحرامها ، بعيدا عن الغاية من وجودها وتسخيرها لخدمته .. وذلك قول محـمد صلى الله عليه وسـلم « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة .. » .. ومن هنا كان الحكم الالهى فيها قاطعا أنطق الله به نبيه وأوحى به اليه قرآنا « أفرأيت من اتخـذ الهه هواه ، أفأنت تكون عليـه وكيلا ؟! » ..

مؤهلات حمل الرسالة

ونقلب الصفحة الثانية فى المعية السنية لابراهيم عليه السلام متتبعين بناء شخصيته المصطفاة لتكون داعية الى الله على بصيرة .. فنرى :

١ ـ أن حمل الدعوة والتبشير بها بين الناس تحتاج الى عقلية متمكنة وفكر متقد .. يقاوم الحجة والبرهان بحجج أقوى وبراهين أنصع :

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » ولذلك وقف من أقرب الناس اليه ، ومن له فضل انجابه وتربيته موقف المحاجة ثم المفاصلة .. « اذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟! قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين » انصياعا لموروث العادات والتقاليد ، والأحساب والأنساب ، وعزوفا عن تغيير المراكز والمواقع ، وألفة للأهواء والشهوات .. رانت على قلوبهم .. فحالت بينهم وبين حق أنطق الله به فتاهم وأجراه على لسانه .. لكنه « قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟ » سخرية منه واستصغارا لشأنه .. لكن الفتى العاقل الراشد المؤمن قال لهم : « بل ربكم رب السـموات والارض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين » .

٢ ـ وتحتاج الرسالة كذلك الى لسان قوى ينطق بالحق عمـلاقا لا يطاوله لسـان ولا بيان .. ولذا كان دعاء ابراهيم « رب هب لى حكما ، وألحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » ، فمن الحكمة بلاغة القول تعبيرا عن المضمون .. فكان لسانه قويا ، وحكمته بالغة ، وحجته دامغة « اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟! قالوا : نعبد أصـناما فنظل لها عاكفين . قال : هل يسـمعونكم اذ تدعون ؟! أو ينفعـونكم أو يضرون ؟! قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال : أفرأيتـم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فانهم عدو لى الا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشـفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمـع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

ولذلك كان طلب موسى عليه السلام من ربه « وأخى هارون هو أفصح منى لسـانا فأرسله معى ردءا يصـدقنى انى أخاف أن يكذبون » وكانت الاستجابة سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا ، فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون » .

وكان وصف شوقى رحمه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم :

واذا خطبت فللمنـابر هزة ... تغزو النـدى وللقـلوب بكاء

٣ ـ وتحتاج الرسالة كذلك الى تفكير حركى يأخذ من الواقع والحوادث دروس الاعجاز والاقناع :

« وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين » وفى جمود فكرى وقلوب مغلقة ، لم يدركوا كيف يكيد لأصنامهم وآلهتهم ، فانصرفوا عنه غافلين » !! وانسل هو اليها هازئا وساخرا .. وفى أبعاد تفكيره « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » وفى أعماقه « ما وسعتنى أرضى ولا سمائى ، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » فقال لها : « ألا تأكلون ؟! ما لكم لا تنطقون !! » « فراغ عليهم ضربا باليمين » وأعمل الفأس فيها تكسيرا وتحطيما .. الا احداها ليكون مشجبا يعلق عليه أداة التحطيم ، وليكون علامة العجز للمعبودين ، ودلالة الافحام للمتناظرين « فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ، لعلهم اليه يرجعون ! قالوا : من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ؟! قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » .. انه لمن الظالمين !! ليت شعرى هل ظلمهم أم ظلم آلهتهم ؟!

هذا الفتى الذى سمعوا وعيده وتجاهلوه ، وطرق آذانهم تهديده لكنهم استصغروه حتى اذا رأوا ما غاب عن ظنهم وفكرهم ، أقبلوا اليه يزفون ! فى موكب تزاحمت فيه جماهير القوم ، وتدافع الناس من كل حدب وصوب .. فكانت فرصة ابراهيم المواتية ليعلن عليه السلام عقيدته ، ويبلغ رسالته .. فأنى له أن يطرق كل باب وقد اجتمعوا الآن حوله ! وأنى له أن يلقاهم واحدا واحدا أو يجمعهم فى مكان واحد !! وها هم أولاء فى مؤتمر جامع ومشهد عظيم ، كلهم آذان صاغية وعيون ناظرة .. ليقف ابراهيم اذن ثابت الجنان ، قوى اللسان ، ساطع الحجة والبرهان « أتعبدون ما تنحتون ؟! والله خلقكم وما تعملون » . فيسألونه فى تغيظ وانفعال ، لاهين عن المنطق الأخاذ والقول السليم « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم » ويجيب الفتى فى تؤدة واطمئنان فى أشد حالات السخرية والهزء بهذه العقول المعطلة « بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون » لكنهم فى خزى وألم ، ومحاجة بالباطل ، واصرار عليه — شأن الكثيرين من مطموسى البصيرة « نكسوا على رءوسهم ، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » ويظلون فى جمودهم الفكرى ، وعماية الضلال الموروث والهوى المتبع ، وطول الأمد الذى كثف الغشاوة على الابصار .. فيسلط ابراهيم أمامهم أضواء الحقيقة لعلها تجد ثغرات فى جانب من جوانب الأغطية فتنفذ الى أفئدتهم « أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟! » ويوبخهم أخيرا مستثيرا بقايا عقولهم « أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ؟! » .

توقف العقول !

لماذا توقفت العقول عن الحركة ؟ وقد حاول ابراهيم أن يزحزحها عن الموقف الخاطىء ، مستثيرا فيهم بقايا الفطرة السليمة .. لكن طول المكث على الاوزار ، واستمرار الاوضاع ، والحفاظ على المناصب ، والاعتزاز بالأنفس .. أسدل على عقولهم ستارا كثيفا من الدخان الأسود القاتم .. فخدر العقول وأعمى البصائر فتنادوا « ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم !! » « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين »(١٦) .

نصر المؤمنين .. !

لكن الله العلى الكبير الذى اختاره واصطفاه « انه من عبادنا المؤمنين »(١٧) « انه كان صديقا نبيا »(١٨) لا بد أن يحقق وعده « ان الله

يدافع عن الذين آمنوا »(١٩) « انا لننصر رسـلنا والذين آمنوا فى الحيـاة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »(٢٠) فكانت النجاة « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ، ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين »(٢١) .

٤ ـ وتحتاج الرسالة كذلك الى قلب سليم من أمراض الشرك وهوى النفوس ، وفؤاد غير عليل بضعف الايمان وخور العزيمة ، وجنان قوى لا يخاف الآلام ومتاعب الطريق ، ولا يركن الى دعة أو راحة ، ولا يفزعـه تكاثر الأعداء وتكالب المكذبين .. !! « لا يخشى فى الله لومة لائم » فالله أحق أن يخشاه .. وهو على الهدى لا يوزن به كل المبطلين !! ومن هنا سار ابراهيم عليه السلام فى طريقه لا يبالى : ألقاه أعداؤه فى النار أو عذبوه ولسان حاله يقول :

ولست أبالى حين أقتل مسـلما ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

« اذ جاء ربه بقلب سـليم » مطمئنا الى دينه الذى اصـطفاه الله به « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » .

وكان وثوقه بحسن الخاتمة فى نهاية المطـاف مدار دعائه ، ومنتهى آماله « ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » ..

٥ ـ وتحتاج الرسالة كذلك الى قوة فى الايمان تشد انتباه الداعى الى الله وحده ، فلا تهتز عقيدته ولا تتخلخل « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله » .

ـ ولا تزيده مطارق القوم الا لمعانا وضياء ، ولا تفعل به نيران المكذبين الا ظهورا واستعلاء ، ولدعوته بلاغا وانتشارا .. وهو فى شـدته وكربه صابر محتسب ، متجه الى الله الذى « يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السـوء ، ويجعلكم خلفاء الارض » « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » ..

ـ فلا تحوم فى نفسه عوامل الشك ، ولا تنتابه لحظات من اليأس ، ولا تساوره عوامل القنوط .. !! لأنه موقن بوعد الله بعد أن اطمأن الى علامات الايمان فى نفسه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنـا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ..

ـ وهو يقف فى كل مواجهة بينه وبين الاعداء بهذا الايمان .. لا يرهبه وعيد ولا تهديد .. يحاور ويداور ، ويتصدى ويواجه .. ويأخذ بكل الاسباب التى يحسبها تحقق الغرض وتأتى بالنتيجة .. موقنا بضآلة الكفر وأتباعه ، وأن سلطان الله أقوى وغلبته أشد .. !! ومن هنا وقف ابراهيم عليه السلام يواجه قومه قائلا :

« قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ، ان الله على كل شىء قدير ، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه

تقلبون ، وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء ، وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ، والذين كفروا بآيات الله ولقــــائه أولئك يئسوا من رحمتى ، وأولئك لهم عذاب أليم ، فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار أن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » ..

فقد كان عليه السلام بقلبه وجوارحه ، بكل أعصابه ومشاعره ، بروحه وجسده مع الله ربه .. لا تطرف عينه الا لبارئه ولا ينبض قلبه الا حبا فى خالقه .. !! لقد غاب عن المجتمع المتآمر حوله ، وان تراءى لهم شــــبحا يوقدون عليه نيرانهم .. ألقى بين أيديهم وعلى أسماعهم جميعا نذيرا بسوء المآل « وقال : انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ، ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضكم بعضا ، ومأواكم النار ، ومالكم من ناصرين » !!

●● وحينما نتوقف الآن فى المعية لابراهيم عليه السلام عند هذا الحد .. بينما وفود الحجيج تتجه الى (مقام ابراهيم) فى الارض المقدسة .. فلنا أمل فى أن يتعرف كل فرد من المسلمين — الذين أكرمهم الله بالوجود هناك — الى نفسه وذاته فلا يستصغر شأنه ودوره .. ويتأس بالنبى الكريم وهو فرد ! ويقتدى به وهو فتى ! ويغذ السير فى الطريق الذى رسمه له .. معتمدا على الله وحده فهو من وراء القصد والهادى سواء السبيل ..

---

(١) المتحنة ..
(٢) آل عمران ..
(٣) الحــج ..
(٤) ابراهيم ..
(٥) النحــل ..
(٦) المتحنة ..
(٧) الانبيــاء ..
(٨) الانعــام ..
(٩) يوســف ..
(١٠) الاعراف ..
(١١) الانعــام ..
(١٢) الانعــام ..
(١٣) الانعــام ..
(١٤) الانعــام ..
(١٥) المؤمن ..
(١٦) الانبيــاء ..
(١٧) الصافات ..
(١٨) مريم ..
(١٩) الحــج ..
(٢٠) غافر ..
(٢١) الانبيــاء ..



مكتبة المجلة

لسان العرب المحيط

اعادة لبناء معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور رتب ترتيبا جديدا على الحرف الاول من الكلمة بعد أن كان على لام الفعل ليتيسر على المطلع الوصول الى غرضه ، وجمعت الحواشى التى كانت فى ذيول الصفحات فى جدول ألحق بآخر كل مجلد ، كما اشتمل أيضا على المصطلحات العلمية والفنية باللغات العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، وهو فى ثلاث مجلدات تحتوى على خمسة آلاف صفحة كبيرة ، ومزين بالصور والرسوم ، به حوالى ستة آلاف صورة ، ومعه أطلس جغرافى لثمانية وأربعين خارطة بالالوان للعالم العربى ، وصور هذا المعجم عن دار لسان العرب ..

لصاحبها يوسف خياط فى بيروت / لبنان ..

الاسلام وقضايانا المعاصرة

من تأليف الاستاذ أحمد موسى سالم ، ويبحث فى أكثر من قضية أهمها :

العرب والاسلام والعالم الجديد ..

وحدة أجزاء العلم فى الاسلام ، القومية العربية فى جهادنا المعاصر ، الاسلام والاشتراكية العلمية . التربية الدينية قضية الشعب والدولة ..

الجهاد وعقيدة القتال فى الاسلام ..

ويحتوى هذا المؤلف على ٢٩٠ صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة الحديثة بجمهورية مصر العربية ..

الحجة فى القراءات السبع
للامام ابن خالويه

كتاب من تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم الاستاذ بجامعة الكويت يعرض للقراءات فى ضوء النحو واللغة عرضا جذابا لا يبعد القارىء عنه ولا يجعل الملل يتسرب الى نفسه بأسلوبه الجزل وعباراته المختارة ، ويعطى النتيجة فى صراحة ووضوح من غير اجهاد أو تعب ..

ويحتوى الكتاب على ٤٠٠ صفحة ، ومن طبع ونشر دار الشروق بيروت / لبنان ..

منافع الحج

١ — « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

انى لأمر بهذه الآية من كتاب الله فأقف عليها طويلا أقلب النظر فى دقائقها واشاراتها وعباراتها ، فأشعر بجديد من أهمية الحج لا أستطيع له تحديدا ، فاذا قدر لى الوقوف بعرفة ، والمبيت بمنى ، والطواف بالبيت أثناء الموسم أطللت — فى ظلال تلك الشعائر — على الكثير من أبعـــاد الآية ودلالالتها . .

فالحج حق الله على الناس . . ولكن . . أى النـــاس هؤلاء ؟ . . وما دلالة التعريف فى الكلمة ؟ . . أهى للعهد فتكون خاصة بأمة الاستجابة ، الذين هدوا سواء السبيل ، فأقبلوا على معانى الاسلام يحققونها فى وجودهم كله ، صلاة وصياما وزكاة وحجا وسلوكا . . أم هى للاســتغراق ؟ فيكون التكليف بالحج واقعا على أمة الدعوة أى الناس جميعـــا . . دون تفريق ولا استثناء ؟! . . أما أنا فلا أشك فى كونها أدنى الى الاستغراق ، اذ الأصل

من معجزات هذا الإسلام

للشيخ محمد المجذوب

فى الانسان مطلقا أن يكون مؤمنا خالص العبودية لله ، تحقيقا للغاية التى من أجلها خلق ، وهى عبادة الله بما شرع ، فاذا غلبت عليه الشياطين فاجتالته ، لم يسقط عنه التكليف ، بل أدرجت مسئوليته تحت طائلة الكفر الذى خرج به من جنة الايمان ، ومن ثم يأتى عقابه على الكفر شاملا العقوبة على سائر التكاليف التى ميز بها الانسان السوى ، كالشأن فى القضاء حين يصدر حكم الموت على مجرم اقترف عشرات الجنايات ، فيكتفى له بالعقوبة القصوى التى تنطوى فيها العقوبات الاخرى جميعا .. ومما يؤكد هذا المفهوم أن أول دعوة أطلقها ابراهيم عليه السلام عقب بناء البيت كانت موجهة للناس جميعا دون تخصيص ..

والانسان الذى يعيش شعائر الحج بكل طاقاته العقلية والروحية يتوفر له شىء غير قليل من الادراك لهذا المعنى الدقيق ، اذ يحس من خلال الوهج الذى يحتويه مدى الخسار الهائل الذى أصيب به ذلك المخلوق المحروم كل هذا الخير ، الذى لا تعويض له فى أى عمل أو تجارة أو متعة .. وأى ربح

يمكن له أن يسد الفراغ الذى حفره فى كيانه الفطرى حرمانه نعمة الشعور بمصدره ومصيره ، والروابط العليا التى ترد اليه الشعور بكونه العضو الحى فى الأسرة الانسانية الكبيرة !

ويأتى بعد ذلك شرط الاستطاعة للمكلف ، فكل مؤمن ملزم أداء حق الله هذا بمجرد توفرها له .. وقد تعددت أقوال الفقهاء من السلف فى تحديدها . وفى الأثر الصحيح أنها الزاد والراحلة ، ولكن العلمـــاء لم يجمعوا على أن المقصود بالزاد والراحلة دلالتهمــــا الحرفية ، بحيث لا يجب الحج الا على مالكهما فى الحال ، بل (يجب على القادر على المشى على رجليه اما لعدم طول المسافة واما لقوته عليه ، وكذلك يجب على ذى الصنعة التى يحصل منها قوته فى سفره ، لأنه فى حكم واجد الزاد ..)(١) وهذا كله اذا أمنت السبل ، ولم يحل سبب قاهر دون الوصول الى المشاعر ..

ولا جرم أن فى ذلك توكيدا قطعى الدلالة على أهمية هذا الركن الاسلامى .. اذ سوى فى حكم الوجوب بين القاطن طوكيو ، والذى يجاور الحرم ، متى قدرا عليه ، ثم لم يعف منــــه أحد حتى الزمن والهرم ما دام لهما مال يؤديانه الى من يحج عنهما ، كما قرره جمهور العلماء من أئمة السلف .

وهنا ننتهى الى خاتمـــــة الآية ، حيث نرى التعبير عن الشرك بالكفـــر مباشرة ، فبدلا من القول (ومن ترك الاجابة مع الاستطاعة ..) جاء سبحانه بفعل الشرط من الصفة التى يصير اليها التارك وهى الـــكفر .. وفى ذلك دلالة خطيرة من حقها أن توقظ النائمين ، وتنبه الغافلين ، اذ تريهم حقيقة ما هم عليه مقبلون باهمالهم ذلك الركن العظيم .. ولئن كان ثمة تفاوت فى نوع الكفر اذ هو كفر دون كفر — كما فهم أولو العلم — أن بحبسهم شرا أنهم دخلوا فى بعض صفات الكافرين فشـــــاركوهم فى الاعراض عن هذا الخير العميم .. !

فاذا رجعنا البصر فى صـــورة الجواب (فان الله غنى عن العالمين) وجدنا مثل ذلك ، اذ كان مقتضى السياق أن يرينا تبارك وتعالى عواقب الكفر من ألوان العذاب ، ولكنه ترك لنا أن نستنتج ذلك من المفهوم ، وعمد الى التعبير الذى يلخص غاية هذه الشعيرة ، وهى أنها لمنفعة الانسان ، فلا فائدة فيها لله سبحانه ، اذ هو الغنى عن عمل العاملين ، واليه يتجه بحاجاتهم جميع العالمين .. وانما هى مصلحتهم وحدهم ، شأنها شأن سائر التكاليف الشرعية ، يريد بها تربيتهم على المثل العليا ، التى تضمن لهم الهداية الـــى الحياة الكريمة ، التى تليق بالمخلوق الممتاز ، الذى نفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ..

وعلى ضوء هذه المعانى الربانية نقدر تلك الأهمية البالغة التى صورتها الآية لهذا الركن السامق من بناء الاسلام ، حتى جاء صريحا فى الأثر (من لم يحبسه مرض أو مشقة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج فليمت ان شــــاء يهوديا أو نصرانيا)(٢) .

٢ — ولكن .. ما هذه المصلحة التى ركزت عليهـــا الآية والآثار الى هذا الحد .. ؟

وللجواب على هذا التساؤل لا مندوحة لنـــــا من وقفة تدبر عند قوله تعالى (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ..) .

فها هنا رسالة من الله يكلف أبو الأنبياء عليه السلام تبليغها الناس ، وهى أن يهيب بهم : (يا أيها الناس ان ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه ..) فيكون جواب ذلك اقبال المستجيبين عليهمن أكناف الارض مشاة وركبانا .. وتكون غاية هذا الكدح أن يشهدوا منافع لهم ، ويتوفروا على ذكر الله ..

وقد أطلقت الآية الكريمة نوعية المنافع بالزامها التنكير .. فهى غير مقيدة بلون ولا شكل ولا ضرب .. وانما هى منافع تتجـــدد على الدهر مع تجدد حاجة الانسان ..

وقد زاد سبحانه هذه المنافع ايضاحا فى قوله الآخر (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ..) (المائدة — ٩٧) ففى التعبير عنها بكونها (قياما للناس) شمول يستغرق كل ما يتصور وما لا يتصور حدوثه من مرافق البر العام لكل المتصلين بهذا البيت المجيد ، من عاكفين — مقيمين مجاورين — وبادين — آفاقيين . .ذلك أن المدلول اللغوى للفظة القيام هنا هو أنها النظام الذى عليه تقوم حياة الانسان(٣) ولا تستكمل خصائصها الانسانية الا به ، وعلى هذا فهى مزيج من المقومات المـــــادية والمعنوية جميعا ، ومن هنا كان شمولها الذى يستغرق كل خير يعود على الانسانية بالنفع العام كما أســـــلفنا ، دون تقييد بمفهوم محدود فى زمن محدود .

ولقد جنى الجاهليون من منافع ذلك البيت المعظم الكثير من الخير الذى أنقذهم من شتى الكوارث ، ووضـــع عن أعناقهم الـــكثير من الأوزار التى اقتضتها حياتهم القبلية ، فهو لهم الحرم الآمن الذى يوفر السلامة لكل لائذ به ، مهما يكن شأنه وجنايته ، بل ان الخائف المطارد ليكفيه أن يتقلد بشىء من شجر الحرم فيأمن على نفسه الغارة والأذى حتى من أشد الجاهليين عداء له — وتلك هى المشار اليها بلفظة القلائد فى الآية — ثم يلى ذلك تبـــادل المنافع المادية بتقايض السلع ، وتقارب الأفهام واللهجات ، وما يستتبعه من ألفة الامن وتحبيبه الى النفوس ، وبخاصة فى شهر الحج ، الذى يؤلف مع أخواته الثلاثة — رجب وذى القعدة والمحرم — فرصة السلام البيضاء فى ظلمات ذلك النظام القائم على الغارة والثأر ..

حتى اذا أشرقت شمس الاسلام اتسع نطاق تلك المنافع حتى عمت كل من هداه الله اليه من شعوب الارض ، فهو لهم المثابة التى يفيئون اليها لتجديد حياتهم ، وشحن جوارحهم بالأمداد الروحية ، وهو المحشر الذى يتعارفون فى ظلاله ، والمؤتمر الذى يدرسون أحوالهم من خلاله ..

ومن موحياته العليا يستقبلون ذكريات الماضى ، الذى يخطط لهم طريق المستقبل ، حيث يتصورون هجرة هاجر بصغيرها الحليم ، وعمل ابراهيـــم

واسماعيل فى بناء هذا البيت المطهر ، ثم محاولات أبرهة لتدميره ، وارتداده على أعقابه خاسرا مدحورا ، ثم انبعاث الحيــاة الجديدة برســـالة خاتم النبيين ، وما لاقاه والمؤمنون السابقون فى سبيلها من بلاء وعناء ، وهم ثابتون فى مهيع الحق لا يستجيبون لاغراء ، ولا يستهويهم اغواء حتى انتصر دين الله ، وعمت أنواره معظم أرجاء الدنيا ..

٣ — وتتصل خطوات القافلة الاسلامية فى طريقها حول هذه البنيــة المكرمة تقيم شعائر الله ، وتتزود بموحياته السامية ، وتنتفع بعوامل التطور فاذا هناك اليوم — الى جانب تلك المنافع القديمة — ضروب أخرى من المنافع الجديدة ، تتمثل فى سوق اسلامية يعرض فيها نتاج الأمة فى مختلف بقاعها ، على مستوى عالمى لم يتحقق قط قبل هذا العهد(٤) الى مؤتمر سنوى يتألف من أساطين رجالات الاسلام ، تبحث أثناءه مصالح الأمة على المســـتوى العالمى نفسه ، فتعرض أوضاعه ، وتعالج مشاكله ، فتصدر القرارات الهامة والفتاوى النافعة ، التى تضىء طريق المسلمين فى ظلمات الفتن التى تجتاح العالم الحديث ، فيساعد بذلك كله على تثبيت المفاهيم الاسلامية الصحيحة ، التى تؤلف الاساس الذى عليه تنهض حضارتهم الربانية ، وتتضح فى ضوئه خصائصهم الاسلامية ، فيتماسكون على المنهج الامثل الذى لا يقبل انحيازا الى شرق أو غرب ، ويمين أو يسار ..

وانها لمنافع عجيبة الأثر ، تعجز عن تحقيق بعضها كل قوى البشر ، لأنها من معجزات هذا الاسلام الذى يهدى دائمـــا وأبدا للتى هى أقوم .. ولا جرم بعد ذلك أن تضيق بهذا الركن العظيم صدور الطواغيت من دعاة المذاهب الهدامة والأديان المزورة ، والحاقدين على الاسلام وأهله ، فيعلنوا بين الحين والآخر ألا سبيل الى انتصار حاسم على الاسلام الا بتدمير البيت الحرام ، وصرف المسلمين فى أنحاء العالم عن الحج اليه ! .. وعلى هــذا تلتقى جهود القرامطة الأولين مع تدابير الغاشمين من المتحكمين فى مصاير المسلمين من أجانب ووطنيين ، ومع مخططات الهدامين من شياطين المبشرين والشيوعيين والمستعمرين ! ..

فكما يتذكر أولو الوعى من الحجيج — وهم على مزيد ولله الحمد — محاولات القرامطة تعطيل هذه الشعيرة المقدسة فى أوائل القرن الرابـــع ، يوم اقتحموا المسجد الحرام بقيادة النجس أبى طاهر ، فقتلوا المؤمنين وهم بين راكع وساجد وطائف ، حتى ملئوا بأشلائهم بئر زمزم وفناء البيت ، ثم مضوا يفتكون ويسبون ويدمرون ، وعادوا الى هجر بالحجر الأسود ، حيث جعلوه فى بناء زعموا أنه بديل من الكعبة ، ودعوا الناس للطواف به ، ثم لم يعد الى مكانه الحق الا بعد ثمانى عشرة سنة أجل .. كما يتذكرون فجائع الأمس على أيدى القرامطة الحاقدين على الاسلام وأهله ، يتذكرون محاولات نظرائهم من أعداء اليوم ، وهم ينفثون فى صدور ضحاياهم من أبناء المسلمين سموم التشكيك فى حقائق الرسالة الاسلامية باسم العلم وحرية البحث ،

أو يحظرون على رعاياهم من المسلمين الخروج لأداء هذه الفريضة المحيية .. لكي يقطعوا أرحام المسلمين ، ويمزقوا وشـــائجهم ، حتى اذا انتهى وجود الجيل المحافظ ، أعقبه الجيل الذى لا يعرف شيئا عن دين الله ، كما هو حال المسلمين وراء الأسوار الحديدية فى مناطق الديكتاتوريات الجهنمية ..

وفى ضوء هذه الروافد المجددة أبدا لبناء المجتمع الاسلامي — وهى نماذج محدودة لجوانب غير محدودة — يستشرف القارىء المتدبر لآيات الحج سعة الأفق الذى يشير اليه التعبير القرآنى ، حين يجعل من غايات الحج للناس أن (يشهدوا منافع لهم) وحين يوجه النظر المؤمن الى بعض حكمه تعالى من جعله الكعبة (قياما للناس) ..

على أن هذا كله على روعته لن يستوعب المضمون الكامل لحقيقة الحج اذا انفصل عن تفاعل الضمير ، الذى على احيائه ومدى حساسيته ، يتوقف استكمال النفس المسلمة خصائصها المتميزة ، ومن هنا نطـــل على المعنى الكبير الذى أعقب المنافع فى الآية الكريمة ، فهنــــاك ذكر الله على ذبائح الشكر ، ثم التحلل من قيود المحظورات ، وايفاء النذور تزيدا من القربات ، ثم الطواف بالبيت العتيق .. وانما تستكمل تلك المنافع جمـــالها الحق حين تحاط بذلك الجو الروحانى ، الذى توفره هذه المناسك ، فترســــخ جذور الربانية فى أعماق الحاج ، حتى تكون كل حركة منه وسكنة تعبيرا حيا عن الشخصية المسلمة .. (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ..) و (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ..) .

٤ — والعبادات فى الاسلام هى المنطلقات الأســـاسية لاعداد الفرد الصالح ، ومن ثم لتكوين المجتمع الربانى المتكامل .. فالمواظبة على أداء الصلوات هى الحلبة اليومية الاولى لتدريب المؤمن على نظام الاسلام ، ثم يأتى رمضان مدرسة الثلاثين يوما السنوية — على تعبير الرافعى — وخلال ذلك تتوالى مناسبات الجمع والعيـــدين وتلاوة القرآن ، وملازمة ذكر الله جهرة وخفية .. ثم تقبل دورة الحج بما فيها من التجرد والانقطاع عن ملاذ الدنيا .. وهكذا تكون نفس المؤمن أبدا فى تدريب مستمر على معـــانى الاســـلام ، يؤهله للنهـــوض بأمانة الله فى الدعوة اليه ، وتقديم الانموذج الصالح عنها الى الآخرين ، الذين لم تتيسر لهم سبيل الاطلاع عليه ..

وعلى الرغم من أن دورة الحج الملزمة لا تعدو الواحدة فى العمر كله ، فهى لا تقل من حيث عمق الأثر عن مجموع تلك الدورات ، ففيها المساواة الانسانية التى يتلاقى عليها المسلمون فى سائر عباداتهم ، فتحطم الفوارق الطبقية والعنصرية ، التى تنتج عن تفاوت المنازل الاجتماعية بسبب تفاوت العمل والمواهب .. الا أنها فى الحج أتم بما يشمل الحجيج من وحدة الشكل والسعى والمشقة والحرمان والتقشف ..

وفيها الى ذلك ضوابط الجوارح التى تحبسها عن السوء ، اذ هى كالصلاة اعتكاف يحصر النفس فى نطاق الذكر والتأمل حتى تنصرف الى عملها ، وكالصوم قيد للطاقات فى حدود العزائم وحدها حتى يحين موعد الافطار ، ولكن فى الحج فضلا عن ذلك كله الامساك الجـــاهد عن الرفث والفسوق والجدال ، ثم التفرغ المتصل لذكر الله والاكباب على تلاوة كتابه

وتدبره . والتشدد فى محاسبة النفس على كل نزوة او هفوة . وذلك على مدى أيام بلياليها لا يحجب فيها رأسا . ولا يرتدى ثوبا . ولا يقص ظفرا . ولا يحلق شعرا . ولا يؤذى حيا الا لضرورة وبفدية من الاحسان يرجو بهـــا غفران الصغائر . لأنه مصون بالمراقبة الصـــارمة عن اقتراف الكبائر .. وبهذه المميزات العالية حظى الحج بالسهم المعلى من الكرامة . حتى قال رســول الله صلى الله عليه وسلم فى مؤديه على الوجه الاكمل : « من حج فلم يرفث . ولم يفسق .. رجع كيوم ولدته أمه »(٥) وبشرنا بان « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »(٦) بل أكد لنا على لسان عائشة رضى الله عنها تفوقه على الجهاد بقوله : « لكن أفضل من الجهاد حج مبرور »(٧) .. ولا غرابة فمثل هذا الحج هو الذى يعد الطراز الأعلى من الأبطال الميامين لكل الميادين .

واذا كان للحج كل هذه القداسة فلا عجب أن يحرم الله زمانه فيفرض لوفوده السلام . ويوجب عليهم التطهر من كل الآثام .

ولا جرم أن يقدس مكانه فيحرم على الناس عضد شجره . الا لحاجة . وايذاء حيوانه وطائره . الا ما ثبت عدوانه . وحتى ليعد مجرد الهم بالظلم فيه ــ بله تنفيذه ــ موجبا لسخطه وعقوبته « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » .

ثم لا غرابة بعد هذا كله أن نسمع النبى أشعياء يحدد معالم هذا الحرم المكرم . وهو يبشر بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم فيعين صفاته التى بها يمتاز على سائر بقاع الدنيا . اذ يقول فى المستجيبين لدعوة خاتم النبيين : « وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة . لا يعبر فيها نجس بل هى لهم »(٨) وهى الدلالة نفسها التى حققها التعبير القرآنى فى قوله تعالى : « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا .. » .

وأخيرا .. ما أروع نبوءة أشعياء أيضا وهو يصف عودة الحجيج من تلك البقاع الآمنة المقدسة الى صهيون ــ بيت المقدس ــ فيقول : « يسلك المفديون فيها ، ومفديو الرب يرجعون . ويأتون الى صهيون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم .. ابتهاج وفرح يدركانهم . ويهرب الحزن والتنهد »(٩) .

وأى فرح أروع وأمتع وأسعد من ذلك الذى يداعب قلب الحاج وهو فى طريقه الى أهله بعد أدائه المناسك . وقضائه التفث . ووداعه البيت . وقد اطمأن الى رحمة الله ، فراح يذرف دموع الشوق الى موعود الله ..!

---

(١) أنظر أضواء البيان جـ ٥ ص ٩٢ .

(٢) تكاثرت الآثار التى رويت فى هذا المعنى وبالفاظ متقاربة حتى أصبحت من القوة بحيث لا تقل عن درجة الحسن ، أنظر نيل الاوطار وأضواء البيان ٥/١١٩ .

(٣) الاصل قوام : قلبت الواوياء لمجانسة الكسر قبلها .

(٤) من مقررات مؤتمر رابطة العالم الاسلامى لهذا العام اقامة سوق اسلامية ، نرجو أن تتحقق على أوسع مدى فتكون سببا للتخفيف من استيراد سلع الأعداء التى جعلت من ربـــوع الاسلام سوقا استعمارية .

(٥ و ٦) متفق عليهما .

(٧) رواه البخارى ..

(٨ و ٩) أنظر كتاب أشعياء من العهد القديم الاصحاح ٣٥ .

القرآن بين الإيمان والتطبيق

لكاتب كبير

ان الله عز وجل لما انزل كتابه على آخر انبيائه صلى الله عليه وسلم انزله معلنا بأنه اكمل دينه ، ولن يبعث بعد ذلك نبيا جديدا ولن ينزل كتابا جديدا من عنده .. وهذا الاعلان نفسه يتضمن حقيقة ناصعة هى أن القرآن هداية ثابتة خالدة لكافة النوع البشرى فى جميع الازمنة والأمكنة . اذ لو ثبت أن هدايته غير كافية أو أصبحت مفتقرة الى الاكمال والتنمية فى عصر من العصور أو فى قطر من الاقطار أو فى وضع من أوضاع المجتمع الانسانى لكان يعنى ذلك عدم صحة ما أعلنه الله ، ومعاذ الله سبحانه وتعالى عن أن يكون فى كلامه شائبة من الخطأ . ولأجل ذلك يجب علينا ، كمسلمين ، أن نقرر فى كل شأن من شؤون حياتنا كنقطة الانطلاق : أن هذا الكتاب هو المصدر الحقيقى للهداية نستمد منه كل ما

نحتاج اليه من التوجيه .

والسؤال عن « نقطة الانطلاق » هذا هو الموضوع الوحيد الذى له اهمية بالغة اليوم بالنسبة لجميع اهل العلم والراى من المسلمين فى انحاء العالم . وان كانت مهمتنا الرئيسية تتركز على ان ندعو الدنيا الى هداية الله . الا انه من سوء حظنا ان السيطرة الشاملة للحضارة المادية فى العصر الحاضر اثارت فينا معشر المسلمين أنفسهم تساؤلا : هل حقا نعتبر القرآن مصدرا حقيقيا للهداية فى جميع شؤوننا للحياة ؟ واذا اعتبرناه كذلك ، فهل نعتبره جادين مخلصين ؟ واننا ما دمنا لا نجيب على هذا السؤال فى حد أنفسنا لا نستطيع أن نحقق مهمتنا العالمية التى كلفنا بها كأمة اخرجت للناس .

ان هناك عناصر فى الطبقات التى بيدها أزمة التوجيه والقيادة لا تعتبر القرآن مصدرا للهداية فى الحقيقة ، أو تشك فيه على الاقل . فهؤلاء يفتقرون الى دلائل تقنعهم على أن الانسان كائن لا مندوحة له من هداية الله تعالى ، وأن القرآن كتاب منزل منه سبحانه ، وهو كتاب شامل مأمون يحتوى على توجيه خالد أبدى .

وهناك أناس آخرون سولت لهم انفسهم الفكرة القائلة بفصل الدين عن الدنيا . وكل فرد منهم يجعل هداية الله مقصورة فى اطار تصوره المحدود للدين . ولن تزول شبهات هؤلاء القوم ما دامت لا تواجه ضربة قاضية على فكرة فصل الدين عن الدنيا ،وما دام لا يثبت بدلائل ناصعة قوية كون الانسان فى حاجة الى هداية الله ، فى جميع شؤون حياته ، وكون القرآن كتابا يهدى الى سواء السبيل فى جميع شؤون الحياة من أصغرها الى اكبرها .

وهناك نوع ثالث من الناس يقرون بشمول هداية القرآن وكماله وخلوده الا انه لما ينشأ السؤال حول استمداد الهداية منه ، رأينا بعضهم يلتفت الى مصادر غير القرآن يستورد منها الافكار والمبادىء ، ثم يكرس جهوده فى جعل القرآن يؤيدها ويصادق عليها . ورأينا بعضهم يحاول ان يستخرج من القرآن التعاليم التى تصل اليها عقليته هو من خلال الفاظ القرآن ، لا بقطع صلة القرآن بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب ، بل بصرف النظر عما حققه علماء هذه الأمة وفقهاؤها ومفسروها من اعمال جسيمة فى شرح معانى القرآن واستنباط الاصول والفروع من تعاليمه . وهذه الاتجاهات فى باب الارتشاف من النبع الالهى لا تجد اى رجل عنده حظ من العقل ان يراها صورة صحيحة سليمة من الاستنارة بنور الهدى الالهى . كما لا يمكن ان ينشأ على اساسها نظام موحد من الفكر والعمل للامة الاسلامية . لانه من المستبعد ان يقبل ضمير الامة هذا النوع من التفسير فى جانب ، وفى الجانب الآخر لا يمكن ان يجمع هذا النمط من المفسرين على تفسيراتهم . ولن يتولد من ازدهار هذه الاتجاهات الا المزيد من الخلافات فى الامة المسلمة واثارة شبهات وعقد جديدة فى اذهان المسلمين نحو دينهم وكتابهم . وبدل أن يلعبوا

دورهم العظيم فى دعوة الناس الى هداية الله يصبحون هم أنفسهم ضحية الحيرة والتخبط فى حقيقة هداية الله نفسها . وليس من العلاج لما يعانى هؤلاء القوم فى باب القرآن ، أن يوجه اليهم الطعن أو التقريع أو التأنيب ، بل انهم — فى الحقيقة — يحتاجون الى من يرشدهم الى الطريق القويم للاستفادة من هداية القرآن بوسائل وبراهين معقولة ، ويكشف لهم خطأ الطريق الذى يسلكونه فى هذا الشأن .

والذين قد ضنت بهم رحمة الله من أن يقعوا فى هذه الزلات ينشأ السؤال فى شأنهم أيضا ، وهو : الى اى مدى هم جادون فى اعتبار القرآن مصدرا حقيقيا للهداية ؟ ولا يقتصر معنى (الجدية) فى هذا الصدد أن نكون مخلصين فى ايماننا بالقرآن ككتاب الهداية فقط ، أو أن نكتفى باعلان هذا الايمان والبوح به ، بل الذى يقتضيه كوننا جادين كل الجدية فى هذا الباب أن نرجع الى هذا المصدر فى كل ما يتعلق بحياتنا الفردية والجماعية فى واقع الأمر ، وان نفرغ فعلا اخلاقنا وسلوكنا فى الحياة ، وقوانيننا وحضارتنا ، ونظمنا للتعليم والتربية ونظمنا للاقتصاد والسياسية فى قوالب الهداية التى يأخذ بنا القرآن اليها . والذى اشعر به واشاهده : أن ينعدم هذا المستوى من الجدية فى طبقات تتولى أمر هذه الأمة مع كونهم على اعتقاد صحيح بالقرآن . أو لا تصل هذه الجدية المستوى المطلوب أن لم تنعدم فيهم كليا . وعلينا أن نستنفد جهدنا ، قبل كل شىء فى خلق الجدية هذه فيهم . لأنه ما دامت لا تولد هى لا تعدو جميع بحوثنا العملية ، فى تطبيق تعاليم القرآن فى مسائل الحياة ، حبرا على الورق حيث لا تجدى بشىء فى دنيا الواقع . وأن الدنيا لن تقتنع أبدا بحقية الاسلام من خلال البحوث التجريدية الفارغة بل لا بد من اقناعها بذلك من أن يتمثل الاسلام فى حياتنا القومية الواقعية . وبدون ذلك مهما بذلنا جهودنا فى تبليغ الاسلام لا تجد الدنيا أمام أعينها الا علامة الاستفهام التى تنم عن تساؤل : هل ان هذه الامة التى لا يتجاوز دينها حدود المساجد ، والتى تتبع مبادىء الاجانب وافكارهم ، وتنتهج نهجهم فى الحضارة والتشريع والتصورات للحياة — هل أن هذه الامة تؤمن بحقية الاسلام فى واقع الامر ؟

هذه بضعة أمور أريد أن ألفت اليها الانظار آملا أن تنال من عناية المفكرين المسلمين ما تستحق من الاهتمام .

الانسان بين المادة والروح

ندوة ثقافية اشترك فيها :
سعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية والشيخ محمد الغزالي

إعداد الأستاذ : عبدالله خلف

أقامت اللجنة الثقافية بجمعية الهلال الاحمر الكويتي أمسية ثقافية في برنامجها الثقافي لهذا العام واشترك فيها سعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الأستاذ راشد الفرحان ، وفضيلة الشيخ محمد الغزالي مدير ادارة الدعوة في وزارة الاوقاف بجمهورية مصر العربية ..

وعنوان هذه الندوة : « الانسان بين المادة والروح » .

وبدأ الندوة فضيلة الشيخ الغزالي . وقد وضحت في العدد الماضي ما ورد في حديثه حول الموضوع ورأينا كيف تناوله بعرض تاريخي فبين موقف الانسان من الروح وكيف كان يعتقد أن هناك صراعا بين الجسم والروح ، وأن كمال أحدهما لا يتم الا على حساب الآخر . وكان طلاب التسامي الروحي يلجؤون الى رياضات بدنية شاقة يكبتون فيها غرائزهم ، ويعودون فيها ابدانهم كثيرا من المشقات والصعاب ، ويعتقدون أنهم يدركون بذلك الصفاء الروحي .

وكانت هذه الفكرة عند قدماء الهنود والشعوب القديمة وتسربت الى رجال الديانات السابقة للاسلام وبعض المتطرفين من رجال الصوفية في الاسلام .

أما الاسلام فانه نظر الى البدن الانساني نظرة فيها شيء من الاعجاب والتقدير ، وعرض كثيرا من النصوص الشرعية من القرآن والسنة ، وأن الاسلام أمر بالاهتمام بالبدن ونظافته وطهارته الى حد كبير ، كما بين الطريقة التي يجب أن يعيش عليها الانسان المسلم كما أرادها الدين الاسلامي له . وليس كما اعتقد بعض أدعياء التدين والمتطرفين من الصوفية بأن الانسان المسلم عليه أن يعيش متجردا من المادة وعلى هامش الحياة ملتزما بالحياة الفقيرة الخالية من المال والغنى ، فان الاسلام زين له المال وعده خيرا ان جاء عن طريق الحلال ، وجعله حرا طليقا على هذه الارض لينعم ويكسب منها بحدود أخلاقية تكفل السعادة له ولغيره .

كما نظر الى الجنس نظرة بعيدة عن التزمت والرهبنة ، لقد خلق فيه الله تعالى غريزة الجنس لتكون له خيرا وبين له حدود التمتع فى هذه الغريزة . ولم يشر الى كبتها أو أماتتها كما اعتقد بعض رجال الديانات الاخرى ، وما الانفجار الجنسى الذى نشأ فى أوربا وأمريكا فى السنوات الاخيرة الا من ذلك الكبت وتلك الحدود التى لم يطقها الانسان فى تلك الحياة ، فانفجرت ليعم بانفجارها الضياع الخلقى وليتهدم النظام الاجتماعى والروابط الانسانية .

ثم تحدث بعد ذلك الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية فعرض الموضوع على صورة جواب لسؤالين طرحهما فى مطلع الحديث فقال : أختصر الحديث فى الاجابة على السؤالين التاليين :

١ ــ ما هى المادة ؟ وما هى الروح ؟

فالمادة التى نعنيها فى حديثنا : هى الافعال التى يقوم بها الانسان كالبيع والشراء والسير والأكل والشرب وما الى ذلك من الأفعال الاخرى .

أما الروح : فلها معان متعددة . فمنها اسم جبريل عليه السلام ، جبريل يسمى الروح « نزل به الروح الأمين » والروح تطلق على سر الحياة فى الانسان ، والروح التى نعنيها فى حديثنا هى صلة العبد بخالقه وبربه وهذه تسمى بالناحية الروحية .

وعندما نتكلم عن الناحيتين الروحية والمادية نحاول أن نربط بين «المادة» أى الأفعال التى يقوم بها الانسان من الأفعال المادية الى الناحية (الروحية) التى هى صلة الانسان بربه وخالقه .

وصلة الانسان بربه وخالقه لها مجالات عديدة ومعظمها فى العبادات : كالصيام وفيه صلة لا يعرف كنهها الانسان لأنه سر بين العبد وخالقه « الصيام لى وأنا أجزى به » وعندما نأتى الى الصلاة نجد أن فيها أسرارا بين العبد وخالقه فيقول الله سبحانه وتعالى : « وأقم الصلاة لذكرى » .

ويرى بعض المفسرين فى قوله تعالى : « الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » اشارة الى الصلوات الخمس ، فكأن العبد عندما يأتى الى الصلاة كأنه يطير الى الله سبحانه وتعالى بهذه الأجنحة . وهذه الصلة الروحية التى تعددت فى الصيام، والصلاة ، والحج لا يعلم سر كنهها حتى الانسان نفسه .

هذه الناحية الروحية حددها الله سبحانه ، وفصل أحكامها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن بعض الناس تجاوزوا هذه الحدود ، وتجاوزوا هذه الاحكام وأوغلوا فى الروحية خرجوا بها عن حد الاعتدال ، ونشأ عن ذلك الآراء المتطرفة ، والفرق المختلفة .

وهناك اناس آخرون خرجوا عن الناحية المادية التـى ارادهـا اللـه سبحانه لهم الى الحيوانية ، والمادية البحتة ، والله خلق الانسان خلقا عجيبا متميزا وأوجد فيهغرائز معينة وأشواقا عليا تلبى حاجة روحه ووجدانه، فجعل فيه ميلا للمادة وميلا للروح ، جعل فيه غريزة التدين ، وجعل فيه غريزة الجنس وجعل فيه الغرائز الاخرى ، هذه الغرائز اذا تركت على حالها سارت على غير هدى واختل توازن الانسان فى الحياة ، واذا سارت سيرا حسنا اتزنت حياة الانسان .

٢ — والسؤال الثانى الذى عرضه السيد الوزير واجاب عليه هو :

هل يكتفى الانسان بالناحية المادية عن الناحية الروحية ؟

هل يستغنى الانسان بالناحية المادية عن صلته بربه ؟

الجواب : لا .

وأود أن أضرب لكم امثلة شهدتها وسمعتها من بعض الأصدقاء أن الكثير من الشيوعيين الملحدين من المسلمين أصلا كان احدهم اذا قاربته الوفاة يوصى بأن يصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين .. عجبا !! ملحد لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فى النهاية يوصى أن يصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ؟..

ما هذا السر الذى دخل فى قلوب هؤلاء وجعلهم يوصون هذه الوصية !! طبعا هى الناحية الروحية التى لا يستغنى عنها الانسان .

وحدث مرة أخرى أن زرت أحد البساتين الكبيرة فى طشقند وكان يراسها احد كبار الشخصيات ممن نال المداليات والاوسمة للاعمال التى قدمها لدولته ، فسرنا على مكان يجرى من تحتنا فيه الماء ، وفى مكان جميل وبديع وجدت هذا الشخص يهمهم ببعض الكلمات فهمت منها انه يذكر اسم الجنة فظننت انـه يستهزىء بالجنة التى وعد الله بها المؤمنين فطلبت الى المترجم أن يسأله هل هو مسلم ؟ فصمت قليلا ثم اقترب منى ورفع يده الى السماء وقال الحمد لله انى مسلم ، فتأثرت كثيرا وزادنى ايمانا وثقة وتأكيدا بأن الناحية الروحيـة موجودة فى أعماقه ، وهذه الناحية تكمن فى كل انسان وليس فى المسلم فقط ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة » اى يولد على التدين ، فطرة الله التى فطر الناس عليها .

كما وجدت بعض الانجليز يعقدون حلقات يذكرون فيها الله ، ورسوله ، محمدا ويذكرون فيها الاسلام ، ولا بد للانسان أن يرجع الى حقيقة أمره لعبادة الله مهما تراكم عليه من الشوائب والحجب .

والله سبحانه خلق الانسان ليعيش بين المادة والروح ، وان اوغل فى

أحدهما بعد عن انسانيته السوية ، والوضع الصحيح هو مزج المادة بالروح ، ووضع الموازين فى أماكنها ، ويحضرنى فى هذه المناسبة أن الرسول عليه الصلاة والسلام وجد رجلا يعبد الله فى المسجد ليل نهار فقال له : « من يكد عليك قال : أخى . . قال : أخوك أعبد منك » وهنا يقر الرسول حقيقة بأنه لا بد من مزج المادة بالروح .

ويجب على المسلم أن تكون أفعاله وأن تكون حركاته وسكناته مسيرة بأمر الله عز وجل بأوامره ونواهيه ويجب أن يقيس كل شىء بمقياس الحلال والحرام عندما يريد أن يفعل شيئا من الاشياء ، أو أن يقدم على عمل من الاعمال ، وفى الحالة التى يستطيع السيطرة على نفسه لا بد وأن يكون النصر حليفه فى كل أمر وفى كل شىء .

ومن هنا كان المسلمون الاولون ينتصرون فى قتالهم ، وتقوى عزيمتهم لأنهم كانوا يعملون للدنيا والآخرة ، يطلب المؤمن فيهم أحد أمرين : اما النصر أو الشهادة ، ويقدم على الموت مستبشرا فرحا كما يقدم على الحياة فى نصره وتغلبه ، والنصر ناحية مادية ، والشهادة ناحية روحية وهكذا يسير المؤمنون فى جميع أفعالهم وجميع أعمالهم وأقوالهم .

وبهذه المناسبة أود أن أقول ان علينا واجبا يدعونا الى القيام بالدعوة وبتحريك الناحية الروحية التى يستطيع الانسان بها أن يعود الى ربه ، وعلينا أن ندله ونرشده الى الطريق المستقيم ، طريق الايمان ، طريق الخير ، وطريق الانسانية الخيرة ، وطريق الاسلام ، وطريق الامن والسلام ، ووجب علينا نحن العرب الذين شرفنا الله بحمل هذه الرسالة أن نواصل حملها ونهدى من بعد عن الاسلام الى هذا الدين السمح العظيم قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » .

وبعد ذلك طرحتّ عدة أسئلة تولى الرد عليها الاستاذ راشد الفرحان والشيخ محمد الغزالى .



مائدة القارئ

الكتب النبوية

فى شهر ذى الحجة سنة ست من الهجرة (ابريل ٦٢٨ م) بعث النبى صلى الله عليه وسلم كتبه وسفراءه الى ثمانية من الملوك والأمراء يدعوهم فيها الى الاسلام وهم قيصر قسطنطينية . وكيروس حاكم مصر الرومانى . والحارث بن أبى شمر الغسانى عامل قيصر على الشام . وكسرى (خسرو) ملك فارس ونجاشى الحبشة . وثلاثة آخرين من أمراء الجزيرة هم صاحب اليمامة وصاحب البحرين وصاحب عمان .

ستغلبون

جمع النبى صلى الله عليه وسلم اليهود فى سوق بنى قينقاع بعد رجوعه من غزوة بدر ، وقال لهم :

يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا ، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال ، انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس ، وانك لم تلق مثلنا ، فانزل الله عز وجل : (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) .

لا تحارب بمشغول

عن عبيد بن عمير قال :

غزا نبى من الأنبياء أو غير نبى . فقال : لا يغزون معى ثلاثة :

١ — رجل بنى بناء لم يكمله .

٢ — رجل تزوج امرأة لم يدخل عليها .

٣ — رجل زرع زرعا لم يحصده .

فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ..

(قرآن كريم)

لا تحتقر عدوك

لما التقى جند الحجاج مع جند ابن الأشعث فى المربد ــ خطب ابن الأشعث فى جنده ، فقال :

أيها الناس : انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة (البرص) تضرب به يمينا وشمالا ، فما تلبث الا أن تموت ، فسمعه رجل من قشير ، فقال :

قبح الله هذا ورأيه . يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ، ويعدهم الأضاليل ، ويمنيهم الأمانى .

ابن حنبل يحج

حج الامام الورع الزاهد أحمد بن حنبل رضى الله عنه حجتين راكبا فكم تقدر له من نفقة فى كل حجة ؟ كم تقدر لرجل يحج من بغداد عاصمة العراق الى الحجاز ، ثم يعود الى وطنه فيما يتراوح بين أربعة أشهر وستة أشهر ؟ .

لقد حدث ابنه عبد الله انه انفق فى احدى هاتين الحجتين عشرين درهما لا غير .

نظرة عاقلة

يروى أن ملكا كان له أخ من العباد الصالحين ، فقال له : ادع لى ، فقال : (كل وتبرز) .

فقال : ان هذه مسألة عادية تجرى تلقائيا لكل الناس .. فقال : اذن كل ، ولا تتبرز .

وكان الأمر كما قال ، واستجار الملك بكل الأطباء ، فلما استحال الدواء طلبوا هذا المتعبد ، وقالوا له : ان الملك يدعوك لتدعو له ، فلما رأى منه ما رأى قال : وماذا تعطينى ؟ قال : كل ما تطلب ، ولو طلبت ملكى لأعطيته لك ، قال : وماذا أصنع بملك هذا ثمنه ؟ .

عقوبة الإعدام

وموقف

تطالعنا اليوم بعض الدعوات الى الغاء عقوبة الاعدام من قانون العقوبات المصرى وقوانين الدول العربية اقتداء ببعض القوانين الغربية بدعوى ان هذه العقوبة اصبحت لاتتناسب مع التقدم الحضارى ، وانه من الناحية الانسانية يجب عدم مقابلة جريمة القتل بعقوبة قتل أخرى ، ونسى هؤلاء أن توقيع العقاب على الجانى يمنع غيره من ارتكاب جريمته.. فالعقوبة فى الشريعة الاسلامية لا يقصد بها العقاب فى حد ذاته بقدر ما يقصد بها الزجر والتخويف .. فشدة العقوبة تجعل الجانى يفكر مرات ومرات قبل ارتكاب الجريمة خوفا من العقوبة الرادعة التى تنتظره .

وعقوبة الاعدام لها قوة ردع لا ترقى اليها أية عقوبة أخرى سواء أكان ذلك فى مجتمع فقير أو مجتمع غنى لان شدة العقوبة (ازهاق الروح) تردع الجانى مهما كان مركزه الاجتماعى ولا يمكن اعتبار السجن كافيا كعقوبة رادعة لجريمة القتل فى المجتمعات الغنية كما يدعى البعض .

عقوبة الاعدام فى الامم السابقة :

كانت عقوبة الاعدام (قتل الجانى) مقررة فى الامم السابقة ، ولكنها لم تكن منظمة فكان المجنى عليه ينتقم بنفسه من الجانى أو من أى فرد من اسرته واحيانا ينتقم من عدد كبير من اسرة القاتل وقد تندلع الحروب وتستمر شهورا من أجل قتل فرد ، فلم يكن لهذه العقوبة ضابط أو رابط حتى جاءت الاديان السماوية فنظمتها على الوجه التالى : ـ

للأستاذ : توفيق علي وهبة

الإسلام منها ..

اولا ــ اليهودية :

جاء فى سفر الخروج « اصحاح ٢١ عدد ١٢ »
(من ضرب انسانا فمات يقتل قتلا ، ولكن الذى لم يتعمد بل اوقع الله فى يده فانا اجعل له مكانا يهرب اليه . واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحى نأخذه للموت ، ومن ضرب اباه أو أمه يقتل قتلا . ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا واذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر وبلكمه ولم يقتل بل سقط فى الفراش فان قام وتمشى خارجا على عكازة يكون الضارب بريئا الا انه يعوض عطلته وينفق على شفائه . وان حصلت اذية نعطى نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكى وجرحا بجرح ورضا برض ، والقاتل خطأ يخرج الى احدى المدن التى اعدت للالتجاء ولاعقاب عليه ولا يجوز لولى الدم قتله) .

وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مشروعية القصاص فى الشريعة اليهودية يقول الله سبحانه وتعالى « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا » ويقول جل شأنه « وكتبنا عليهم فيها (أى فى التوراة) ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون » .

ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان فى بنى اسرائيل

قصاص ، ولم يكن فيهم دية . فقــال الله تعالى لهذه الامة : (كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شيئا فاتباع بالمعروف واداء اليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) فما كتب على من كان قبلكم إنما هو القصاص وليس الدية .

ثانيا ــ المسيحيــــة :

جاء السيد المسيح عليه السلام بدعوة الحق والخير والسلام وكانت دعوته الى التسامح واضحة فى كل تعاليمه . . ولم تنقض المسيحية الدعوة اليهودية وانما كانت متممة لها يقول المسيح عليه السلام :« ما جئت لانقض بل لاتمم » . . ومن هنا كانت دعوته إتماما واستكمالا لدعوة موسى عليه السلام وعلى هذا فحكم القصاص الذى جاءت به اليهودية بقى ساريا فى المسيحية . . ولــكن السيد المسيح بما هو معــروف عنه من حب للعفو والتسامح دعا ولى الدم الى العفو عن الجانى وعدم الاقتصاص منه وترك أمره الى الله . وأود أن انبه الى أن ذلك ليس دعوة الى ترك القصاص وعدم الاخذ به فكما سبق القول لم ينقض المسيح تعاليم موسى وانما هو يدعو الى العفو ويفضله عن الاقتصاص وإن رفض ولى الدم العفو فمن حقه أن يقتص من القاتل . . يقول المسيح عليه السلام « سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من ضربك على خدك الايمن فأدر له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ رداءك فاترك لــه الرداء أيضا . . ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين » وهذا منتهى التسامح .

وقول السيد المسيح هذا يقابل ما جاء بالقرآن الكريم من قوله سبحانه وتعالى فى آية القصاص « فمن عفى له من أخيه شيئا فاتباع بالمعروف وأداء اليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

فالعفو فى الاديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام جوازى لولى الدم وان لم يعف ــ فلسلطة الدولة أن تقتص من الجانى .

عقوبة الاعدام فى الشريعة الاسلامية :

وعقوبة الاعدام (قتل الجانى) مقررة فى الشريعة الاسلامية لبعض الجرائم منها الردة ــ والحرابة (قطع الطريق) والقتل العمد . وتوقــع العقوبة على القاتل قصاصا .

والقصاص فى الشريعة الاسلامية معناه المساواة بين الجريمــــة والعقوبة وعقوبة القصاص مقررة بالكتاب والسنة .

أما مشروعيتها بالكتاب ففى قول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيئا فاتباع بالمعروف وأداء اليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم فــى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون » .

وفى أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم توضيح لهذه العقوبة حيث يقول عليه السلام « من أصيب بقتل أو خبل فانه يختــار إحدى ثلاث : إما أن يقتص وإما أن يعف وإما أن يأخذ الدية فإن أراد الرابعة

فخذوا على يديه ومن أعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « العمد قود » ويقول « من قتل رجلا مؤمنا عمدا فهو قود به ومن حال دونه فعليه لعنة الله وغضبه ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا » .

وتقرر السنة النبوية قتل الجواسيس والخارجين عن الجماعة الذين يريدون تفريق المسلمين يقول صلى الله عليه وسلم : « من اتاكم وأمركم جميعا على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه» ويقول عليه الصلاة والسلام « ستكون بعدى هنات وهنات وهنات فمن اراد ان يفرق أمر المسلمين وهم جميعا فاضربوه بالسيف كائنا من كان » .

واذا كان القصاص هو المساواة بين الجريمة والعقوبة فمن الواجب ان يقتل الجانى بنفس الطريقة التى قتل بها المجنى عليه فقد روى انس بن مالك رضى الله عنه ان جارية وجد راسها قد رض بين حجرين فسألوها من صنع هذا بك ؟ فلان — فلان — فلان — حتى ذكر يهـوديا فأومأت برأسها فأخذ اليهودى فأقر فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرض رأسه بالحجارة » .

وتقرر معظم قوانين العقوبات فى العالم عقوبة الاعدام لكثير مـــن الجرائم ، كالقتل العمد المقترن بظرف مشدد ، والرشـــوة ، والتجسس والخيانة العظمى ، والاهمال ، والاضرار بالمصلحة العامة . . وغير ذلك .

وسنكتفى ببيان موقف قانون العقوبات المصرى من عقوبة الاعدام المقررة لجريمة القتل العمد التى تقابل القصاص فى الشريعة الاسلامية .

يعاقب القانون الجانى بالاعدام اذا اقترن القتل بأحد الظروف الخمسة التاليـــة : —

١ — سبق الاصرار : وهو القصد المصمم عليه قبل الفعل لارتكـــاب جنحة أو جناية يكون غرض المصر منها ايذاء شخص معين أو أى شخص غير معين وجده أو صادفه سواء كان ذلك القصد معلقا على حدوث أمـــر أو موقوفا على شرط (مادة ٢٣١ ع) ويتوافر سبق الاصرار اذا استخلصته المحكمة من مرور بضع ساعات على المتهم وهو يفكر فى أمر الجريمة ويعمل على جمع عشيرته واعداد عدته فى سبيل مقارفتها ومن سيره مســـافة كيلومترين حتى وصل الى مكان الحادثة (نقض ٢٨ اكتوبر ١٩٤٠) .

٢ — الترصد : وهو تربص الجانى وترقبه للمجنى عليه مدة من الزمن كثرت أم طالت فى مكان يتوقع قدومه اليه ليتوصل بذلك الى الاعتداء عليه دون أن يؤثر فى ذلك أن يكون الترصد فى مكان خاص بالجانى نفســـــه (نقض ٥ مارس ١٩٥٥) وتعرف المـــادة ٢٣٢ ع . الترصـــد بأنه تربص الانسان لشخص فى جهة أو جهات كثيرة مدة من الزمن طويلـــة كانت أو قصيرة ليتوصل الى قتل ذلك الشخص أو إيذائه بالضرب ونحوه .

٣ — اذا حصل القتل بجواهر سامة يتسبب عنها الموت عاجـــلا او آجلا (مادة ٢٣٣) .

٤ — اذا اقترن القتل بجناية أخرى أو اذا كان القتل مرتبطا بجنحه (مادة ٢/٢٣٤) .

٥ ــ الشركاء فى القتل الذى يستوجب الحكم على فاعله بالاعدام يعاقبون بالاعدام أو الاشغال الشاقة المؤبدة (مادة ٢٣٥ ع) .
هذا هو موقف القانون من عقوبة الاعدام أوضحناه من خلال جريمة واحدة من الجرائم المعاقب عليها بالاعدام .

رأينا فى الموضـــوع :

نرى ضرورة الابقاء على عقوبة الاعدام حيث انها مقررة بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه الاعظم عليه افضل الصلاة وازكى الســـلام ، وقصرها على الجرائم التى يحددها الشرع الاسلامى .

بالاضافة الى ذلك فعقوبة الاعدام لها قوة ردع غير متوافرة فـــى عقوبة السجن ــ كما سبق القول ــ ويتضح ذلك مما يأتى : ــ (١)

١ ــ عقوبة القصاص جزاء من جنس الجريمة فمن قتل يقتل فليس من الرحمة فى شىء ان نفكر فى الجانى ولا نطفىء نار الم المجنى او وليـــه والرحمة فى غير محلها ظلم بين .

٢ ــ الخوف والرهبة لدى الجانى مـــن توقيع عقوبة عليه تماثل ما يرتكبه مما يجعله يحجم عن ارتكاب الجريمة .

٣ ــ القصاص يشفى غيظ ولى المجنى عليه لان من قتل ابنه او من يلى أمره لا يكفيه سجن الجانى مهما ررىذأأبتةمشصضكفشامرلمؤ «لبغ قتل القاتل انتقاما منه وفى ذلك راحة نفسية كبيرة لا يحققها السجن .

٤ ــ فى القصاص حياة للمجتمع كله اذ يجتث الاشرار منـــه بقتلهم « يقول الله سبحانه وتعالى « ولكم فى القصاص حياة » فالاقتصاص لايعود على ولى الدم فحسب وانما تعم فائدته على المجتمع كله ، فحياة الجماعة فى القصاص لانه اذا لم يكن قد شرع القصاص لأهدرت الدماء واصبح الامر بيد الأقويـــاء والأشرار يعتدون على حيـــــاة الناس وامنهم دون رقيب أو حسيب وبذلك تصبح الامور فوضى بلا رابط ، ولكن لكى يطمئن الناس فى حياتهم ويعيشون مترابطين تسودهم الرحمة والطمأنينة وتغشاهم العدالة لابد من تطبيق عقوبة القصاص ومساواة العقوبة بالجريمة ، فيحيا الناس مطمئنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ولذلـــك اقتضت عدالة اللـــه سبحانه وتعالى ان تكون العقوبة من جنس الجريمة . . ومن قتل يقتل . . ومن قطع يد غيره قطعت يده بالعدل والقسط ، ومن قطع الطريق وروع أمن الناس يقتل ويصلب . . ومن ارتد عن الاسلام بعد ايمانه يقتل . . ومن زنا وهو محصن يرجم حتى الموت .

وان الدعوى التى يروج لها البعض لالغاء عقوبة الاعدام سوف تفتح الباب لازدياد جريمة الثأر لان ولى الدم اذا لم يجد المجتمع متمثلا فى سلطة الدولة قد اقتص له وشفى غيظه بحث هو بنفسه عن طريقة ينتقم بها من عدوه فتنتشر الفوضى ويسود الاضطراب ولا يأمـــن الفرد على حياته أو ممتلكاته .

وعقوبة القتل للمرتد عن الاسلام أو الداعى الى توهين العقيدة (لانه لا يدعو الى توهين العقيدة الا من كان قلبه غير مطمئن بالايمان) مقـــررة بنص حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وســـلم « من بدل دينـــه فاقتلوه » .

وعلى هذا فعقوبة القتل عقوبة مقررة بنص الشارع ولا يجوز تعديلها أو تغييرها . واذا كانت بعض قوانيننا تجنح الى الغرب تستقى من قوانينه ما يخالف عقيدتنا وبيئتنا وتقاليدنا ، فانه قد آن الأوان لكى نعود الى حقيقتنا ... الى ديننا لكى ننهل من مبادئه وأحكامه كل قوانيننا بما فيها الدساتير وهى أعلى قوانين الدول .

لقد كانت الشريعة الاسلامية مصدرا احتياطيا للقوانين فى مصر قبل الثورة ولكننا الآن وقد نص الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية على أن تكون الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع فقد أصبح الطـــريق مغلقا أمام دعاة التغريب ومدعى التقدم ويجب منعهم من بث دعاواهـــم الباطلة التى تتعارض مع الدين ومع الدستور حتى نقيم دولتنا العصريـــة الجديدة على أساس راسخ من العلم والايمان ..

والله سبحانه وتعالى الموفق والهادى الى سواء السبيل .

---

(١) راجع فلسفة العقوبة فى الفقه الاسلامى جـ ٢ لفضيلة استاذنا الكبير الشيخ محمد أبـــو زهرة ..

العـدد القـادم
عـدد ممتـاز

الخاتم الضائع

لك ارثى يا عليل … ايها الشرق النبيل
داؤك اليوم عضال … وعريض وطويل
أترى منه ستنجو … وهو الخطب الثقيل ؟
كيف والداء دواء ؟ … فمتى عنك يزول ؟
انت تختار طبيبا … طبه داء وبيل
لم يزل يغويك حتى … صرت ترضى وتميل
وترى الموت حياة … انه خطب يهول

.. ..

ايها الشرق المريض … منك فى الحلق جريض
كنت نبع النور دهرا … فيك بالوحى يفيض
ثم أمسى من زمان … ذلك النبع يغيض
وجرى فوقه سم … جيلنا منه مريض
كانت الارض ربيعا … كلها روض اريض
ثم صارت سبخات : … مرتقاها والحضيض
اى ويل ! اى شؤم ! … انه هم عريض

.. ..

يا تراب الأنبياء … يا سماء من صفاء !
يا مهب الروح نورا … من عقول الحكماء !
يا نجى الوحى دهرا … بقلوب الأتقياء !
كيف حادت ؟ كيف ولت … عنك اضواء السماء ؟
بالسما فيك ضباب … سد آفاق الفضاء
والثرى فيك كئيب … كاسف جون الرداء
اى يأس بعد بشرى … غم ارض الأذكياء !

الاستاذ المدنى الحمراوى

يا محيط الفاتحينا يا منار الحائرينا !
يا ضياء المعجزات فى طريق السائرينا !
يا دليلا كان يهدى خطوات العالمينا !
كيف ضاع السر حتى تهت مثل التائهينا ؟
ومشى ركبك — جهلا — فى طريق الخاسرينا
وتدهورت — ضلالا — بخداع الماكرينا
اى عقبى ومصير ؟ هو حظ العاثرينا

.. ..

يا لباب الكون هلا ! صنت مجدا كان نبلا !
كان خلقا من صفات بسمو تتحلى
كان فخرا كان عزا ليس يفنى ، ليس يبلى
كان درعا ، كان حصنا من عواد تتجلى
كان نورا ليس يخبو كان وحيا كان يتلى
فيه للشرق بقاء هو روح ، هو اعلى
فناى عنه بجنب وتجافى وتخلى

.. ..

خضت يا شرق صراعا كان مكرا وخداعا
كان سوقا من قمار شغلت حزنا وقاعا
وقف الشيطان فيها داعيا حرا مطاعا
ثم اغراك بدس فاشترى منك وباعا
بعته النور بنار لم تكن الا شعاعا
بعته القلب بعقل لم يكن الا ضياعا
ايها الشرق عزاء خاتم الحكمة ضاعا

مقاصد الحج في الدراسات المعاصرة

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن البلهي

حيثما اتجه الانسان بطرفه الى جانب من جوانب الاسلام وجد انه قد اشبع بحثا وشرحا وتحليلا .. وهذه ظاهرة من مظاهر خلود هذا الدين .. وهي ظاهرة تجعل المسلم يمتلىء غبطة وارتياحا .. وحينما اردت ان أساهم بكلمة متواضعة فى العدد الخاص بالحج من هذه المجلة .. وجدتنى منساقا الى تسجيل هذه الظاهرة .. لأدل القارىء على جملة من الدراسات المعاصرة التى تتناول موضوع العبادات فى الاسلام بوجه عام وتلك التى تعالج موضوع الحج بوجه خاص .. ولأقتطف بعض الفقرات التى تنير الطريق لفهم أسرار الحج ومعرفة مقاصده .

ولعل اول ما يطالعنا من هذه الدراسات كتاب « حجة الله البالغة » للعلامة الهندى احمد بن عبد الرحيم الدهلوى ومما قاله فى هذا الصدد : ومن مقاصد الحج موافقة ما توارث الناس عن سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فانهما اماما الملة الحنيفية ومشرعاها للعرب ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث لتظهر به الملة الحنيفية وتعلو به كلمتها وهو قوله تعالى « ملة ابيكم ابراهيم » فمن الواجب المحافظة على ما استفاض عن امامها كخصال الفطرة ومناسك الحج وهو قوله صلى الله عليه وسلم « قفوا على مشاعركم فانكم على ارث من ارث ابيكم .. » .

وللشيخ الجرجاوى بحث ضخم عن « حكمة التشريع وفلسفته » وقد أبان مقاصد الحج وأهدافه باستفاضة واطناب . .

أما الاستاذ محمد كامل حته فقد شرح مناسك الحج فى أسلوب قصصى ممتع يشد القارىء ويثير انتباهه وهو يشير الى فوائد الحج القريبة ومقاصده العاجلة فيقول : « . . ان الحج فريضة جماعية على مستوى عالمى وهو بذلك يستهدف غايتين : أما الغاية الاولى فهى التجريد ولعلها وسيلة الى الغاية الاخرى . . . تجريد الانسان من كل ما التصق به أو خالطه من مواريث فكرية أو اجتماعية ومن امتيازات طبقية أو جنسية تبعد به عن فطرته أو تقطع الصلات الانسانية بينه وبين المجتمع . . فهو يجىء هنا متجردا من كل زينة أو شارة فى لباس متواضع بسيط يتساوى فيه الغنى والفقير والامير والاجير يذكره باللباس الذى يخرج به من دنياه يوم يستقبل الموت ويستدبر الحياة وهو يجىء هنا متجردا من جاهه وعصبيته وطبقته وماله وولده . . نكرة بين الملايين لا سيدا منتفخ الاوداج بين الاتباع والعبيد . . وهو يجىء هنا متجردا – بل متحررا – من أغلال الفقر والعبودية التى طحنت روحه وأذلت وجوده فلا يرى للغنى المدل بغناه ولا للجبار المعتز بسطوته ولا للابيض المستعلى بلونه . . لا يرى لأولئك فضلا ولا امتيازا على من عداهم من عامة الناس الا بالتقوى والعمل الصالح لخير المجتمع . . ربما يملكون من رصيد انسانى هو وحده الذى ترجح به كفة الميزان أو تشيل . . ومن أجل ذلك تتجرد – بل تتحرر – الملايين فى الحج من هذه الاغلال اذ تسقط عن وجوه الآخرين اقنعة الزيف والضلال . . ذلك هو التجريد الذى يعود بالضمير الانسانى فى الحج الى فطرته ويطرح عنه كل ما لصق به أو خالطه فى صراع الحياة من رواسب هى مبعث كثير من الشر والبغى والفساد وتستيقظ فى أعماقه المعانى الحقيقية لوجوده وانسانيته فى مجتمع تتكافأ فيه الحقوق والواجبات . .

أما الغاية الاخرى – بعد التجريد – فهى التوحيد وهى النتيجة الطبيعية لذلك والحكمة الكبرى فى فريضة الحج تنتهى اليها شعائره وتؤدى اليها أعماله . . التوحيد فى صورته الكاملة الشاملة فى الفكر والعمل . . فى الحقوق والواجبات . . لأنه حين يتم التجريد فيعود المجتمع الى فطرته السوية النقية . . يسهل على النفوس أن تتقبل معانى التوحيد فى ظل المبادىء الانسانية فتتلاقى على هذه المبادىء تأخذ منها بمقدار ما تعطى لا تستأثر ولا تحتكر ولا تحقد ولا تحسد ولا تضل ولا تشقى . . تتلاقى الملايين فى موسم الحج من مختلف أقطار الارض وقد اختلفت السنتهم والوانهم وأجناسهم وتباينت مستوياتهم الفكرية والاجتماعية فلا يلبثون – وقد تلاقوا متجردين متحررين – أن تتهيأ نفوسهم للوحدة وتهفو نفوسهم اليها . . انهم يلتقون وجها لوجه وقلبا الى قلب ورأيا الى رأى . . يتكاشفون ويتدارسون . . يعرضون على صعيد الوحدة كل ما لديهم من حصيلة العلم والتجربة وكنوز الطبيعة ومصادر القوة ثم يستعرضون ما أصاب بعض الشعوب من تخلف وحرمان وعزلة فرضها المستعمر الغاصب وما أصاب الجماهير فى البعض الآخر مما فرضه الطغاة والمستغلون . . . يستعرضون هذا وذاك فى تجرد من التعصب والانانية وفى تعبير عن الفطرة السليمة واحساس بالمعانى الانسانية الاصيلة فيستشعرون ما بينهم من حقوق وواجبات يتم بها التكافل والتكامل وتتحقق بها الوحدة التى ارادها الله لخير أمة أخرجت للناس . . . » .

ويعود الكاتب المبدع ليبين مقاصد الحج كلما انقدح له شىء من هذه المقاصد وهو يؤدى فريضة الحج . . فهو حين يذكر الوقوف بعرفات . . يقول :

« وفى هذا الموقف العظيم يوم الحج الأكبر على عرفات .. تتجلى روعة الحج وحكمته وتبدو المنافع التى وعد الله دانية القطوف ولكن كثيرا من هذه المنافع لا يغتنمها الناس كما أرادها الله للفرد والجماعة وقد يكون اغتنامهم هذه المنافع كأفراد أوفر من نصيبهم كجماعة تهيأت لهم من الاسباب المادية والروحية ما لا يتهيأ لهم أو لغيرهم من الامم على الصورة الرائعة يوم عرفات ... »

وينبغى أن اشير الى أن هذا الكتاب مفيد جدا للحاج .. ولعل هذا هو الذى جعل دار المعارف تعيد طبعه ثلاث مرات فى سلسلة « اقرأ » .

وقد انتهى الشيخ يوسف القرضاوى فى كتابه « العبادة فى الاسلام » الى حيث انتهى الاستاذ محمد كامل حته .. فأكد أن الحج يحقق الوحدة الاسلامية الضخمة الشاملة : وحدة فى المشاعر ووحدة فى الشعائر ووحدة فى الاهداف ووحدة فى العمل ... »

ويضيف الى ذلك الدكتور احمد الغندور فى كتابه « العبادات من القرآن والسنة » غاية أخرى للحج هى تدريب المسلم على المسلم والمحبة واستشعار الاخوة الاسلامية والانسانية ..

أما الدكتور عبد الحليم محمود فقد ألف كتابا مؤلفا من جزئين عن : « العبادة : أحكام وأسرار » ثم عاد واختصره وأخرجه بعنوان : « أسرار العبادات فى الاسلام » .. وهو يرى أن الحج احياء لذكرى أبينا ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام .. وهو يتلو قوله تعالى : « .. انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين .. » .. ثم يقول : « .. هذا الاسلام الذى ينطوى فيه الانسان انطواء كليا تحت الراية الالهية فيكون فى حماية الله ورعايته وعنايته هو الذى يسجل بحفل تذبح فيه الذبائح يأكل منها البائس والفقير ... واذا كانت الأمة الاسلامية كلها تحتفل فرحا بالعيد فان ذلك انما هو احتفال بهذه النخبة النادرة القليلة التى كمل دينها وتمت نعمة الله عليها وغمرها نور الاسلام .. والحج هو الوسيلة الكبرى للاسلام الخالص .. اذ هو اقتفاء لأثر سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى الانقياد والاستسلام للخالق العليم .. » .

ويرى الدكتور عبد الحليم محمود أن الحج يحقق كثيرا من المبادىء الانسانية وفى طليعتها : الاخلاص .. فهو بالتلبية يسجل على نفسه الاتجاه الخالص لله وحده ويسجل على نفسه العزم الوطيد على ألا يشرك به شيئا .. وأعمال الحج تختم برجم مصدر من اهم مصادر الشر والاثموالمعصية وهو : ابليس .. رجمه مرارا وتكرارا .. وذلك تسجيل مؤكد واعلان مشهود واشهاد سافر على أن الحاج قد عزم عزما لا تزعزعه أعاصير الشهوة أو مغريات الفتنة على أن يصبح خيرا كله لا مجال لنزعات الشيطان للتسلل الى نفسه فقد أصبح بتطهير نفسه وبرجم الشيطان : من عباد الله المخلصين الذين لا سلطان للشيطان عليهم .. »

أما الدكتور محمد البهى فيرى فى كتابه البالغ النفاسة : « الدين والحضارة الانسانية أن الحج دعامة من دعائم الحضارة الانسانية .. ووسيلة من وسائل التفاهم وعامل من عوامل التوازن والعدل والاستقامة .. وتحت عنوان : الدين فى حياة الانسان من هذا الكتاب القيم .. يبين أهمية الدين كعامل حضارى ثم يبين فضل الاسلام ثم يذكر أثر العبادات الاسلامية ومقاصدها .. ويقول عن الحج : « .. وجاء الاسلام بالحج .. وفى الحج عود بالانسان الى حالته الطبيعية .. فيه ترك ومنح معا .. فيه ترك للمظاهر

الزائدة على الطبيعة الانسانية وفيه منح عن طريق الأضحية .. وبذلك تصب عبادة الحج فى نفس الغاية التى تهدف اليها عبادات .. الصلاة والزكاة والصوم .. فيتحقق للانسان اتجاه واحد ويكون سلوكه سلوكا متزنا مستقيما معتدلا .. » (ص ٩٥) .. وتحت عنوان : « عناية الاسلام بالجانب العملى او الارادى » .. يقول عن الحج : « .. أما الحج فهو عبادة تعود بالانسان الى أصله والى ماضيه قبل أن تحيط به الدنيا وزينتها فيرى نفسه أمام خالقه متجردا من كل ما هو عارض على البشرية وفى هذه اللحظات لا يذكر الا الله والا نفسه فى صلته بالله وبالتالى لا يقيم فى هذه اللحظات الا ما يتصل بالله وما يتصل بعلاقته الخالصة بالله سبحانه وتعالى وعندئذ لا ترجح لديه فى مقياس الحياة وفى مقياس العمل والانتاج الا ما يتصل بانسانية الانسان ومثل هذا الانسان لا تطغى على تفكيره ولا على وجدانه عوامل أخرى غير انسانية ومهما لاقى فى سبيل القيم الانسانية وتطبيقها فى الحياة من صعاب فانه سيجتازها حتما بارادته وبعزمه وبتصميمه لأن ايمانه قد استقر على أن الموجود الحقيقى فى هذه الحياة هو الله ونفسه البشرية .. ولا قيمة لعارض من عوارض هذه الدنيا بعد ذلك تعدل قيمة وجود اى منهما .. » ص ١٣٩) وتحت عنوان : « الاسلام كنظام للحياة » يقول : « ... واذا استعرضنا بعد ذلك عبادتى الزكاة والحج نجدهما تطبيقا عمليا لروح الجماعة التى أيقظتها صلاة الجماعة .. » ص ١٥٣ .

وهو يرى : « أن الحج عندما يؤديه القادر على أدائه : يضم فى نفسه معنى يزيد من قوة استطاعته التى تكونت لديه للمحافظة على كرامته الانسانية عن طريق العبادات الثلاث : الصوم والصلاة والزكاة — وهذا المعنى هو ما يتولد عن الأخوة والمساواة فى الطبيعة البشرية التى تفرضها عبادة الحج من وقوف الحجيج فى وقت واحد وفى لباس موحد وبشعار موحد .. هو شعار الطاعة والولاء لله وحده عندما ينادونه سبحانه وتعالى بقولهم : « لبيك اللهم لبيك » .. والشعور بالاخوة والمساواة يساعد حتما فى أن يحتفظ الفرد فى جماعته بمستواه الانسانى وبكرامته الانسانية اذ لا يكون هناك سيد ولا مسود وانما هناك أخوة فى البشرية والمساواة فى التوجه الى الله وفى الايمان به . ص ١٩٦ » .

ومن أكثر الكتاب افاضة فى بيان مقاصد الحج .. الاستاذ ابو الحسن الندوى فى كتابه القيم : « الأركان الاربعة » .. فلقد استوعب ما كتبه السابقون وخاصة الغزالى والدهلوى فى كتابيهما « احياء علوم الدين » و « حجة الله البالغة » .. وأضاف الكثير مما هداه الله اليه .. ومما قاله :

« .. فالاسلام دين يطلب تجردا فى الخيال وسموا فى الفكر ونقاء فى الارادة والنية واخلاصا فى العمل والتطبيق وانقطاعا عن الغير لا يتصور فوقه وأكثر منه ومستوى فى الفكر والعقيدة لم تبلغ الانسانية ولا الاديان والفلسفات والنظم الدينية او العقلية الى مثله او قريب منه وقد وصف الله نفسه بما لا مزيد عليه فى الدقة والسمو فقال « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » ولكن الفطرة البشرية هى الفطرة البشرية فالانسان ما زال — ولا يزال — باحثا عن شىء يراه بعينه فيوجه اليه أشواقه ويقضى به حنينه ويشبع به رغبته الملحة فى التعظيم والدنو .. وقد اختار الله أمورا ظاهرة محسوسة اختصت به ونسبت اليه وتجلت عليها رحمته وحفتها عنايته بحيث اذا رؤيت ذكر الله وارتبط بها وقائع وحوادث وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه ودينه وتوحيده

وحسن بلاء انبيائه وسماها : « شعائر الله » التى جعل تعظيمها تعظيمه والتفريط فى جنبها تفريطا في جنبه وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن فى نفوسهم ورغبتهم الفطرية فى الدنو والمشاهدة بل حث على ذلك ودعا اليه فقال : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » . وقال : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

لقد أطال الندوى فى بيان مقاصد الحج .. فلنقتصر على العناوين : « عنصر الهيام والحنان فى طبيعة الانسان : أثرهما فى الحياة ومنزلتهما من الدين » « الصفات هى التى تثير الحب وتبعث الحنان لذلك أطال واكثر من ذكرها القرآن » « ماقيمة كأس لا تطفح ولا تفيض؟ » « تسلية البيت والحج لحنان المسلم وهيمانه » « طفرة أو قفزة واسعة من سجن ضيق الى عالم فسيح » « تحد لعبادة العقل والمادة ودعوة الى الايمان بالغيب واتباع الأمر المجرد » « الحاج طوع اشارة ورهين أمر » « فضل المكان والزمان وموسم الحب والحنان واجتماع أهل الصدق والطلب فى جلب رحمة الله وتحريك الهمم » « تجديد الصلة بأمام الملة الحنيفية ابراهيم : من اعظم مقاصد الحج » « اعادة قصة ابراهيم وتمثيلها فى الحج » « قصة ابراهيم فى القرآن وصلتها بالبلد الأمين » « الحج تخليد لخصائص ابراهيم ومآثره وتحديد لدعوته وتعاليمه » « مركز دائم للهداية والارشاد » « عرضة سنوية تحفظ على الأمة نقاءها واصالتها .. » « مركز الاشعاع العالمى الخالد » « مظهر الجامعة الانسانية الاسلامية » ... الخ .

وممن أطالوا فى عرض مقاصة الحج وبيان منافعه .. الاستاذ احمد حسين المحامى .. فى كتابه « الحج ! اسراره ومناسكه » .. ولست املك فى هذه العجالة تلخيص كل ما كتبه عن أسرار الحج .. ولعل فى العناوين التالية ما يشير الى المحتوى الرفيع .. « الفناء فى الوجود » حكمة المبيت بمنى — التفكير جوهر العبادة — المساواة فى ذروتها العليا — سحر المبيت بالمزدلفة — فكرتى عن رمى الجمار — المؤتمر الجامع فى منى — حكمة المرابطة فى منى — التفرقة العنصرية — مجتمع الوفرة — منظر فريد — ...

ولقد أحسن المؤلف فى عرض مقاصد الحج .. وجاء ذلك بشكل ترتاح اليه النفس بعيدا عن التكلف والاعتساف .. انه لم يزد على أن صور خوالج نفسه ونبضات قلبه وتطلعات فكره .. وهو يؤدى فريضة الحج .. فكان الكتاب قصة ممتعة .. وكان مع ذلك بيانا لأسرار الحج ومناسكه ..

أما الاستاذ محمد أسد (ليوبولدفايس) .. فيقول فى كتابه « الطريق الى مكة » وهو المترجم باسم « الطريق الى الاسلام » : « ... ان جزءا من فريضة الحج أن تطوف بالكعبة سبع مرات : لا احتراما لقدس الاسلام المركزى فحسب بل لتذكير النفس بالمطلب الاساسى للحياة الاسلامية .. ان الكعبة هى رمز وحدانية الله .. وحركة الحاج الجسمانية من حولها هى التعبير الرمزى للنشاط الانسانى .. ومضمونه أن أفكارنا ومشاعرنا — وكل ما يشمله تعبير « الحياة الباطنية » — ليست هى وحدها التى يجب أن يكون محورها الله بل كذلك حياتنا الخارجية الناشطة وأفعالنا ومساعينا العملية

ويصف شعوره وهو منصرف من عرفات : « .. ونتابع ركوبنا هاجمين طائرين فوق السهل ويخيل الى اننا طائرون مع الريح منغمسون فى سعادة لا تعرف نهاية ولا حدودا .. وتزعق الريح فى أذنى بنشيد النصر : « انك لن تكون غريبا بعد الآن ابدا ابدا .. اخوان لى عن اليمين واخوان لى عن اليسار

كلهم لا اعرفهم ولكن احدا منهم ليس غريبا عنى : فنحن فى فرحة سباقنا المضطربة جسم واحد يسعى الى هدف واحد .. ووسط الضوضاء التى تصم الآذان من خطوات الالوف من الابل المندفعة والمئات من البيارق المصفقة تنمو صرختهم الى زمجرة منتشية ظافرة : « الله أكبر » وتسيل هذه الزمجرة فى موجات عارمة قوية فوق رؤوس الالوف من الرجال فوق السهل الفسيح الى اطراف الارض جميعا : الله أكبر » .. لقد سما هؤلاء الرجال فوق حيواتهم الصغيرة وها هو ايمانهم يدفعهم الآن دفعا الى الامام كأنهم بنيان واحد نحو آفاق غير محدودة والحنين لم يعد بحاجة الى أن يبقى تافها مكتوما فلقد وجد يقظته ، وجد وعد الله متمما ، هذا الاتمام يخطو الانسان خطوات واسعة بكل ما وهبه الله من بهاء وسناء : خطوه بهجة ومعرفته حرية وعالمه دائرة دونما حدود ... »

وأنت تلمح فى كتابات الاوربيين الذين أسلموا وأدوا فريضة الحج .. الشعور الفياض يملأ نفوسهم بروعة الحج وجلال المنظر المتمثل فى حجاج بيت الله الحرام ..

وهذا المستشرق روم لاندو يصف الحج فى كتابه « الاسلام والعرب » فيؤكد : أن الحج كان وما يزال قوة موحدة فى الاسلام اذ يجتمع المسلمون فى موسمه من بلدان متناثرة فى أطراف الارض كالصين وأندونيسيا واميركا لأداء شعيرة دينية مشتركة .. » .

ويشير الدكتور أحمد شلبى فى كتابه عن « الاسلام » الى نقطة هامة وهى أن لذة الحج يدركها الحاج أكثر مما يدركها أولئك الذين يكتبون عن الحج دون أن يقوموا به ... » .

وبعد فقد أطلت وما جئت الا على بعض ما أريد وفى الختام اذكر القارىء بأن اكثر المؤتمرات الاسلامية والمنظمات والجمعيات والمراكز الاسلامية .. قد انبثقت من الحج .

كما اشير الى مؤلفات أخرى عن الحج ومنها : « الحج والعمرة فى الفقه الاسلامى » للدكتور نور الدين عتر وهو مشتمل على بعض الصور التى تعين الحاج على أداء الفريضة ومعرفة الامكنة .. و « العبادات الاسلامية مقارنة على المذاهب الاربعة » للشيخ بدران ابو العينين بدران .. وقد درجت هذه المجلة على اصدار رسالة عن الحج فى كل عام .. تقدمها كهدية مع المجلة أما الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى فقد جمع أطراف حديث جابر المتعلق بالحج واخرجها فى كتيب سماه « حجة النبى صلى الله عليه وسلم كما رواها عنه جابر رضى الله عنه » ..

وللاستاذ محمد اسماعيل ابراهيم كتاب عن الحج ومناسكه ..

ان روعة الحج وجلاله وجمال المنظر وبهاءه .. والسعادة الغامرة التى يصيبها الحاج كل أولئك أمور يقصر عنها الوصف ويعجز عن جلائها البيان .. ولا يدركها حق الادراك الا الذين حظوا بالاشتراك فى هذا الموكب المهيب الرائع .. المتجه نحو الخالق العليم .. وليس أدل على ذلك من هذا الحنين الغائر الذى يدفع بعض الناس الى موالاة الحج مثنى وثلاث ورباع .. ثم لا ينفك عنهم الوله والحنين .. حتى يعودوا لهذه المرابع المقدسة .. وما يكاد أحدهم ينصرف من حجه حتى يفيض الدمع من عينيه كأنما هو منتزع من أهله وولده .. ثم لا يملك — والحشرجة تملأ صدره والوجد يغمر جوانحه — الا أن يضرع الى الله بألا يعوقه عن العودة الى بيته العتيق .

قصة عصرية من الأدب الهندي



محاكمة قابيل !

بقــلم : محمد لبيب البوهى

وضـــع السيد ــ ف ــ منظاره على عينيه وقرا النبأ العجيب ... نبـــا انتدابه لرئاسة محكمة لمحاكمة بضعة جنود وضابط صف ... لانهم احاطوا فى جوف الليل .. والناس نيـــام ــ بقرية صغيرة من قرى جنوب شرقى آســـيا واخرجوا بضع مئات من الاطفال والنساء .. واقامـــوهم والنـــوم ما يزال بمعاقد اجفانهم ، الى جوار جدار .. وحصدوهم بالرصاص حصـــدا ..

* * *

لم يكن المستر ــ ف ــ يصدق عينيه ، وهو يتلو كتاب انتدابه لرئاسة هذه المحكمة .. كان يضع القرار الى جانبه .. ويحتسى كاسا ، ثم يعود لقراءة القرار .. وسالته امراته .. : لماذا تبدو قلقا على غير العادة .. ؟

.. فاجاب : انظرى هذا القرار العجيب .. !!

.. لقد قراته .. فاى عجب فيه .. !؟

قال وهو يهـــز رأسه .. ويديه .. وكتفيه : محكمة لمحاكمة عشرات من جنودنا .. لانهم ابادوا ذبابا .. !! ؟

واجابت امراته فى عجب : انك لم تتعود مثل هذا القول .. فهل أنت واقع تحت تاثير الشراب .. ؟ انهم ليسوا ذبابا ..

فصرخ السيد القاضى المستر ــ ف ــ اذا لم يكونوا ذبابا .. فليحاكم هؤلاء الكبار الذين اصدروا قرار انتدابى انفسهم .. فهم يقتلون .. او على

وجه الدقة يصدرون الاوامر ويوافقون على قتل ألوف منهم كل يوم .. فلماذا هذه المحاكمة ..

قالت امرأته فى رفق : يجب أن تدرك أنهم يريدون تغطية الموضوع .. تغطيته من حيث الشكل ..

* * *

وثار مستر ــ ف ــ وهو يحتسى الكأس التاسعة أو العاشرة : الشكل .. الشكل .. الشكل .. كل شىء من حيث الشكل .. لقد جعلونا اضحوكة .. لقد جعلوا دنيانا مثل التفاحة العفنة .. التى ينخر الدود باطنها .. ثم نكتفى بأن نغلفها بغلاف مذهب .. ثم ندعى بأننا نعيش فى أرقى دول العالم حضـــارة .. !! ؟

قالت امرأته .. ليس لك من الامر شىء يا عزيزى .. ان الشـــكل هو المهم فى مجتمعنا .. ألا ترى أنهم يسمون المرأة المومس بالصـــديقة الفاضلة .. والخمر : إنهم يسمونها الشراب الروحى .. وتشريد مليون أو أكثر فى احدى بلاد الشرق نسميه العمل من اجل السلام .. أنه الشكل يا عزيزى .. وانت تدرك هذا تماما فلماذا الجدل .. ؟

قال السيد ــ ف ــ وأنت ماذا ترين .. ؟

ــ لا امل تكرار القول بأن الاسماء يجب أن تسمى بأسمائها ، هــذا حين تتوفر الشجاعة .. والمهم أنك سوف ترأس محاكمة نفر من النــاس قتلوا نفرا آخــر من الناس ــ أى أخوة قتلوا أخوة .. انني اشمئز من جريمة القتل .. انها جريمة بشعة قذرة .. لقد ابتكرها فى التاريخ قابيــل الذى كان أول قاتل على الارض .. لقد قتل أخــاه ..

قال السيد القاضى المستر ــ ف ــ ان قابيــل هذا مسئول عن هذا النوع من الجرائم ــ أنه هو الذى اخترع القتل ــ ليتنى أستطيع أن أحاكم قابيــل هذا ، وضحكت امرأته وقالت : يبدو انك شربت من الخمر اكثر مما ينبغى هيــا الى فراشك يا عزيزى ..

* * *

ولم يكن المستر ــ ف ــ مستغرقا فى النعاس تماما حين رأى نفسه وسط اثنين من كبار مستشاريه .. وقد قامت على باب مبنى عظيم لافتــة تحمل جملة عجيبة .. ومسح القاضى منظاره واستمع الى صوت الحاجب وهو يصيح :

محكمة التاريخ ..

المتهم قابيل ..

وأنصت رئيس المحكمة .. وأنصت المستشاران .. ونظر كل منهم الى الآخر .. ذلك انه قد مضت فترة زمنية .. ولم يمثل المتهم أمامهم .. فملأ الغيظ نفس القاضى وصاح :

المتهم ..

فانحنى الحاجب فى مزيد من الاحترام وقال : ســيدى .. يجب أن تصبر قليلا .. اننا ننادى عليه من جوف الزمن .. ان ذرات جسده الفانى الذى تلاشى منذ عشرات الالوف او ربما الملايين من السنين .. هــذه الذرات قد تبعثرت فى اركان الارض .. فلنصبر حتى تتجمع ذرات جسده ويحضر أمام المحكمة ..

قال عضـــو اليمين : ما دام قد مات من عشرات الالوف .. أو ربما الملايين من السنين فلا بد أن جسده قد تلاشى تماما .. وقـــد صار الى العدم .. فكيف يستطيع أن يحضر .. !؟

قال المستر ــ ف ــ لا شيء يذهب الى العدم .. ان ذرات جيســـده الفانى مبعثرة فى أركان ألارض الاربعة .. وهى فى طريقها الى التجمع لتمثل أمـــام المحاكمة باسم الزمن والمسئولية والتاريخ ــ كل انسان مسئول عن عمله ــ ولو بعـــد ملايين الملايين من السنين .. المسئولية لا تنعدم ..

* * *

وارتجت أركان المحكمة .. وانشقت الجدران .. وظهر عملاق يمسك بيـــده ســـكينا .. وعلى جسده بعض أوراق من الشجر .. فقال رئيس المحكمـــــــة :

من أنت .. ؟

وأجـــاب المتهم بصوت قوى : قابيــــــل ..

وطبقا للصيغة التقليدية ساله رئيس المحكمة فى وقـــار :

ــ اسمك .. ومحل اقامتك ..

ــ أنتم تعرفون اسمى .. أما محل اقامتى .. فهو سؤال عجيب .. اننى ميت منذ عشرات الالوف من الأجيال .. التى لا يعرف عددها غير الله ..

* * *

فغضب رئيس المحكمة وصاح : ولكن لا بد لكل متهم أن يذكر محل اقامته .. فاذا كنت أنت الآن ميت .. فاين قبرك .. ؟ انه محل اقامتك ..

قال قابيـــل .. يا أحفادى .. تسالوننى عن قبرى وقد ذكرت لكم اننى مت منذ الوف الاجيال البعيدة التى لا أعرف عددها ــ واذا كان لا بد لكم أن تعلموا شيئا عن قبرى فاستمعوا الى .. لقد دفنت فى أرض الشرق ــ وبعـــد أن تحللت عظامى وصارت ترابا .. ثار فى الارض بركان .. فانفجر قبرى .. فحملت الرياح ذرات ترابى الى اماكن بعيدة .. ان بعض ذرات جسدى تقبع الآن فى قاع المحيط الاعظم .. وبعضها على قمة جبـــــــل افرست .. والوف الالوف من هذه الذرات فى أماكن لا أستطيع لهــــــا حصـــــرا ..

* * *

ولمــــا كانت القـــاعة قد ضـــاقت بعدد كبير من النظـــــارة الذين جاءوا من كل مكان لحضور هذه المحاكمة الطريفة ــ فقد استاذنت احدى الحاضرين أن توجه الى المتهم سؤالا ــ اذا كانت ذرات اجسادنا الجميلة .. تلقى هذا المصير المهين .. فلماذا اذن نقيم القبور من الرخام العظيمة وأحيانا نكسوها بالذهب ، هكذا فعلنا بجدى القائد العظيم الذى قتل مائة ألف فى معركة واحدة ..

قال قابيـــل : يا سيدتى .. افعلوا ما تشاءون .. ولكن سنة الوجود تمضى كما شـــاء لها صاحبها .. انك تفخرين بجدك العظيم الذى اقيمت له مقبرة من الرخام المموه بالذهب ..

قالت السيدة : نعم ــ لقد كان أكثر من عظيم ــ لقد دمر بلدانا باكملها .

قال قابيـــل :

وا أسفاه لما أصاب ذرات جسد جدك العظيم يا سيدتى .. ان بعضها الان فى قاع مستنقع ..

فصاحت المرأة غاضبة تحتج ، فقال قابيـــل :

يا سيدتى هدئى من روعك .. ان الجسد لا يهم — انه مثل الرداء الذى ترتدينه وحين يتلف الرداء وتلقين به ينتهى امره — ولكن هذا الجسد ليس هو الانسان .. انه مجرد وعاء .. الوعاء يفنى .. أما الانســـــان الحقيقى فانه لا يفنى ..

قالت السيدة وقد رضيت : اذن فجدى البطل العظيم .. الذى دمر البلدان وقتل مئات الالوف هو شىء آخر غير وعاء جسده — انه الان فى مكان ما .. ترى اين هو ذلك المكان ..

قال قابيـــل :

وا أسفاه يا سيدتى لما يعانيه الســـيد البطل .. انه يود الآن لو كان مجرد تراب فحسب ..

ولمـــا صرخت المرأة أمـــر رئيس المحكمة باخراجها من القاعة وعاد الى سؤال قابيـــل :

أنت متهم بارتكاب اول جريمة قتل على الارض — أنت الذى اخترعت هذه الجريمة — وبذرت بذورها .. ونشرتها — كما ينشر حامل الميكروب المرض فى ارجاء الارض ..

قال قابيـــل :

لا بد أنك تهزل يا سيدى — أو تريد ان ترفه عن نفسك ببعض كلمات مضـــــحكة ..

وضجت القاعة بالضحك .. وهدد الرئيس فى حـــزم — ان يلتزم الجميع الصمت والا أمر باخلاء القاعة .. وعاد يسأل قابيـــل :

اجب بـــلا .. أو نعم .. هل قتلت اخـــاك .. ؟ .. ولماذا سولت لك نفسك هذا الاثم الكبير الفظيع .. ؟

قال قابيـــل : هل أستطيع قبل ذلك أن أبدى بعض ملاحظـــــاتى عن هذه المحاكمة :

فتشاور الرئيس مع عضوى اليمين والشمال ثم أجاب :

تستطيع أن تفعل — فنحن نعيش فى مجتمع متحضر .. ونعطى المتهم الحق فى رد المحكمة اذا كانت هناك أسباب لها قيمتها ..

قال قابيـــل : اننى متهم باننى قتلت اخى .. ان السيد رئيس المحكمة والسادة الاعضـــاء يقرأون الصحف وهذه صحيفة من صحفكم جاء فيها ما يلى :

ان نصف مواليد العالم يموتون قبل السادسة .. بسبب سوء التغذية — وكل من يظل على قيد الحياة فى اكثر الدول النامية — نادرا ما يصلون الى امكانيات النمو الفعلى .. والسبب سوء التغذية ..

قال عضو اليسار غاضبا : يبدو أن معلوماتك ضـــعيفة أيها المتهم ، ذلك لان آخر احصاء لدينا هو أن ثلثى سكان العالم يعانون جميعا من سوء التغذية .. ومن بينهم بعض ذوينا هنا فى بلدنا الكبير المتحضر فلماذا تقصر ابحاثك على الدول النامية .. ؟ أنك لا تعطى اهتماما لما يحدث هنا فى بلادنا .. انك متهم أيضا بالتعصب العنصرى .. هذه تهمة سوف تضاف اليك ..

قال قابيل ضاحكا : ليكن .. أضيفوا الى ما تشاءون من تهم .. غير أننى اضيف .. انك أنت بالذات يا سيدى .. والسيد ــ ف ــ وكل من فى هذه القاعة يرتكبون كل يوم من جرائم القتل ..

قال الرئيس : اذا كنت تبغى أن تشير الى ما يحدث فى فيتنام .. أو كوريا .. أو الهند الصينية أو الملايو .. أو الفلبين . .أو الشرق الاوسط أو .. أو .. فان هذا ليس من اختصاص المحكمة .. أنها اجراءات تقــوم بهــا الدولة من أجل حفظ الامن والسلام العالمى .

قال قابيل : اننى لا أتحدث عما تقوم به دولتكم ــ انما أعنى جرائم قتل اكثر فظاعة .. قتل غير مباشر .. انك تقتل وانت جالس فى بيتك عشرات ومئات ــ دون أن ترى ضحاياك .. هذا هو الفرق .. انك يا سيدى تناولت عشاءك أمس من البطارخ .. وفخذ من لحم الخنزير المتبل .. والسيد عضو اليسار كان يزور الطبيب من يومين بسبب اكلة من اكباد العصافير فى نقيع النبيذ الابيض .. ان كل اكلة من هذه الاكلات تكلفت عـــددا من الدولارات ..

قال الرئيس : نحن لسنا وحدنا الذين نفعل ذلك .. ان أكثر اخواننا أهل أوروبا . .وفى غير أوروبا تتكلف الاكلة الواحدة مثل هــذا القدر

قال قابيل : ومع ذلك تعلمون أن نصف سكان العالم يموتون جوعا .. على حين أن كل أكلة من هذه الاكلات .. كانت تكفى عشرات .. أنه يمكن أن يقال الآن .. أن نصف العالم يعمل على قتل النصف الآخر فى زمن علمى متحضر يزعم أن العقل فيه بلغ أقصى غايات التفتح .. أنت قاتل يا سيدى القاضى .. والسيدان الآخران .. وكل من فى القاعة .. هم قتلة بصورة ما .. يرتكبون جرائم قتل يومية بصفة مستمرة .. وبطريقة غير مباشرة .. غير منظورة .. وهذا مما يجعل الامر اكثر فظاعة .. فى احصاءاتكم الرسمية يا سيدى ، أن الطفل عندكم يتكلف عشرين ضعفا مما يتكلفه الطفل فى آسيا .. أى يعيش بامتصاص دمــاء عشرين من الاسيويين والاشعاع الذرى الناتج من قنابلكم يملأ الجو ــ وينفذ الى اعماق البحار ــ حتى السمك فى الاعماق البعيدة لم يسلم من جرائمكم بطريق غير مباشر ..

وسكت الجميع ــ وران الصمت ــ كان الطير على رؤوس الحاضرين. وراح قابيــل يجــول ببصره فاذا به يرى فتاة تبتسم وتصفق فى استحسان فقال لرئيس المحكمة : هذه الفتاة قد فهمت ما قصدته ..

قال رئيس المحكمة : انها ليست فتاة .. انها ولدى .. ولــد طيب متخنفس ..

قال قابيل : ولماذا تركته يتخنفس يا سيدى ؟

قال المستر ــ ف ــ انه نوع من الاحتجاج على مجتمعنا ــ ان شبابنا يبدون فى ازياء الفتيات ــ لعلهم يريدون ان يقولوا بلسان الحـــال : ان الرجولة فى هذا الزمن أصبحت أنثى ..

قال قابيــل : وكذلك أرى يا سيدى الى جانب ولدك المتخنفس سيدا وقورا يهــز راسه موافقا ..

وضجت القاعة بالضحك والتصفيق حين نظر الجميع الى الرجل الذى أشار اليه قابيل وصاح السيد المحترم المستر ـ ف ـ قائلا :

أنه ليس بسيد وقور يا سيدى ـ انها زوجتى ـ انها هى الاخرى ترتدى ملابس الرجال ـ أنها تريد أن تقول أن مجتمعنا المتحضر قد فقد كل شىء حتى الشكل ـ هذا ما تريد أن تعبر عنه بلسان الحال .. ولكن اذا كنت تشمت أيها السيد قابيل ـ فاعلم أنه يوجد لديكم فى بلادكم ـ فى الشرق من يفعلون هذا ـ بلا ضرورة ـ بلا مبرر ـ لان مجتمعكم لم يصل الى ما يصح الاحتجاج الصامت عليه ـ ولكنها العدوى يا سيدى ـ او قل هو التقليد السهل الظاهرى التقليد الشكلى فحسب ـ الشكل فى كل شىء ولا غير الشكل .. ان الضعيف يريد أن يقلد شكل القوى ـ ولكن الاسد المحنط ليس أسدا على الاطلاق ـ انكم تقلدوننا شكليا ـ لاننا اقوياء ـ أقوى أقوياء العالم .. اننا نملك من القنابل الذرية ما نستطيع به ان ندمر العالم فى لحظات .. فهل تستطيع أن تدلنى على مصدر للقوة أعظم من هذا ؟

قال قابيل : اذا كان التفاخر بالقوة العمياء ـ فانه يكفى إن تعلم أن هناك مخلوقا تافها حقيرا ـ هو وحده أقوى من حيث الشكل منكم مئات المرات ـ انه الشيطان ..

* * *

ضرب رئيس المحكمة المنضدة وصاح : لنعد الى موضوعنا ـ انك أنت يا قابيل السبب فى هذا البلاء ـ أنت الذى اخترعت القتل ـ قتل الانسان لاخيه ـ لنفسه ـ للمجتمع .. انك انت الذى ابتكرت مبدأ الاحتكام الى القوة الطائشة العمياء الحيوانية الضالة المضلة لتقضى على أخيك بغير رحمة .. أنه لا مناص لك من قبول هذه الوصمة فماذا تطلب ..

* * *

وعلى حين غرة انبعث صوت قوى ارتجت له اركان المحكمة قائلا :
اننى ارى تأجيل المحاكمة حين يستعد الدفاع ..

قال رئيس المحكمة : من هذا المتحدث الذى لا نراه .. ؟

فأجاب الصوت القوى : اننى صوت التاريخ المنبعث من اعماق الزمن ..

قال رئيس المحكمة : وما الاجل الذى تطلب اليه التأجيل ..

قال الصوت القوى : أطلب التأجيل .. الى الحين الذى تكفون فيه عن التخمة ـ عن القتل الجماعى غير المنظور ـ عن تسميم الهواء والماء ـ أو تستيقظ الضمائر ـ أو يصحو العقل ..

قال رئيس المحكمة : واذا لم يتم شىء من ذلك ..

قال الصوت القوى : اذا لم تستيقظوا فلن تكون هناك محاكمة .. ولن يكون هناك محكمة ـ ولا مجتمع ـ لان القاتل والمقتول سيتساوون ـ ان قنابلكم الذرية هى التى سوف تحكم وتقضى على كل شىء ..

* * *

وجاءت امرأة السيد المحترم المستر ـ ف ـ تريد ايقاظه من النوم .. ولكنه ظل نائما .. ان المحكمة لا تريد ان تستيقظ ..



المفكر الانسان

تأليف : محمود الشرقاوي
عرض وتحليل : محمد عبد الله السمان

ترددت كثيرا وأنا استحث القلم للكتابة عن هذا الكتاب (سلامة موسى المفكر والانسان) فقد كان من الممكن أن نغض الطرف عنه ، لو أن مؤلفه كاتب عادى ، من محترفى الكتابة فى كل ما هب ودب ، لكن حين يكون المؤلف عالما من علماء الازهر الشريف ، وله أكثر من كتاب ، فان السكوت عنه يصبح تقصيرا ولا أقول .. اثما ..

عندما صدر هذا الكتاب منذ سنوات وابتليت بقراءته ، تمنيت — لو عقدت العزم على الكتابة عنه — أن أكتب عنه فى حياة مؤلفه ، ليتمكن من الرد على ان كان فى مقدوره أن يرد ، لكن جدت ظروف بالنسبة لى لم تكن تسمح لى بالكتابة ، وأنا فى معزل عن الحياة ، وما أن انتهت هذه العزلة وفكرت فى الكتابة ، حتى ترددت ، وقد أصبح المؤلف فى جوار الله ، ولم يعد متمكنا من الدفاع عن نفسه ، ان كان ثمة له قدرة على الدفاع ..

واقتنعت بأن ما يكتبه الكاتب يصبح بعد وفاته جزءا من تاريخ الفكر ، وملكا له ، فلا ينبغى حمايته لأن صاحبه أصبح فى ذمة الله ، ولنا أسوة حسنة فى علماء السلف ومفكريهم ، فقد كان المتأخرون يتناولون أفكار المتقدمين بالنقد الذى يصل أحيانا الى التجريح ، ولم يكن يشفع للموتى لديهم أنهم أصبحوا فى جوار ربهم ، فالامام الغزالى مثلا تعرض بالنقد لأفكار سابقيه بعشرات السنين ، ثم تعرضت أفكاره هو للنقد من متأخرين عنه ، لا بعشرات السنين ، بل بمئاتها ..

ولهذا الكتاب ومؤلفه قصة غاية فى الايجاز ، فقد عرضه للطبع والنشر بالقاهرة ، ولكنه لم يجد صدرا رحبا له ، ولا اقرارا عليه من المسئولين عن

النشر ، وكان أن يمم المؤلف وجهه شطر بيروت ..

فماذا فى هذا الكتاب المثير .. ؟

وهل أحسن المؤلف بهذا الكتاب الى (المفكر والانسان) أم أنه أساء ؟

ان القارىء سيلمس عند قراءته لهذا الكتاب ، أن المؤلف قد وضـــع (سلامه موسى) فى صورة الحـــاقد على كل شىء فى الوجود الا أوروبا والثقافة الاوربية ، فهو حاقد على الدين ، حاقد على العرب والفكر العربى ، بل حاقد على الشرق وتراثه الفكرى وعلى كل ما يمت اليهما بسبب ، وحاقد على الازهر .. الذى يبث ثقافة القرون الوسطى المظلمة ، وعلى رجاله : الذين يمثلون معوقات الفكر ، وعلى اللغة العربية الرجعية المتخلفة ..

كذلك وضع المؤلف (سلامة موسى) فى صورة الداعية للالحــاد ، المشايع لنظرية دارون وغيرها ، المناصر لكل فكر وقلم يشـــيعان الالحاد والانحلال .. ويدعوان الى العامية ونبذ اللغة العربية الفصحى ، وربط مصر بالفرعونية والاوربية الى الأبد ..

يقول المؤلف ص ١٨٩ : ان سلامة موسى فى مطلع شبابه عام ١٩١٠ عرف فى لندن جماعة من الدهريين فلم يترك لهم كتابا لم يقرأه . وكانت معظم مؤلفاتهم فى نقض الأديان ..

وهذه بالطبع بداية الطريق بالنسبة لسلامة موسى ..

ويقول المؤلف ص ٦٢ ، ٦٣ : كذلك نجده — أى — سلامة موسى .. يؤلف كتابه عن الأدب الانجليزى فيضمر الدعوة التى لا ينفك يذكرها ويؤمن بها ويدعو اليها ، وهى زعزعة المخلفات الضارة من الغيبيات ، وهو يسرف فى ذلك حتى ليكتب عن (شلى) الذى بدأ حياته بتأليف كتاب عن (ضرورة الالحــاد) وعن (شو) الكافر الذى يعتقد فى نفسه أنه مؤمن ، والمــادى الذى يظن أنه روحى ، والذى يدعو الى انتخاب السلالات البشرية ، ولا يتقيد بالزواج وما يشعر نحوه الناس من قداسة زائفة لا قيمة لها ولا فائدة فيها .. كما يكتب عن (ويلز) الذى حاول أن يؤمن ، وأخلص فى المحاولة الا أنه فشل .. ويشرح مذهب (لورانس) الذى يتلخص فى أنه (يؤمن بدين عظيم هو الدم واللحم ، وهو يسمو على الايمان بالذهن) ..

ويؤلف ســـلامة موسى فى عام ٩٢٨ كتابه عن (نظرية التطور وأصل الانسان) ثم يقول بعد ذلك بعشرين سنة فى كتاب (تربية سلامة موسى) : أنه ألف نظرية التطور ، وكان مأربه من ذلك مكافحة الغيبيات الشـــائعة . ثم يقول المؤلف فى ص ٢٠٦ : « وفى الفلسفة الدينيـــــة كان يعتقد مذهب سينوزا اليهودى فى وحدة المادة والقوة ، فالقوة عنده هى المادة المتدفقة ، والمادة هى القوة المتجمدة . وكذلك الروح والجسد ، والعقل والمادة أيضا .. لذلك كان من أشد المنكرين لوجود الروح — وخلودها طبعا — وكان يرى أن حرق جثمان الميت أطهر وأنظف وأيسر ، وقد تمنى أن يحرق جسده فى (المرمدة) الهندية بالقاهرة » ..

والعجيب المؤسف أن المؤلف يحاول فى أواخر الكتاب — دفاعا عن صاحبه — معتمدا على مجرد حوار جرى بينهما ، يحاول تفسير الغيبيات بالأحجبة والتمائم والخرافات ، لكن المؤلف ينسى ما أورده على لسان صاحبه مما يؤكد ارتباط الغيبيات عنده بالأديان والبعث فى ص ٢٠٦ : ليست لى أية مطامع غيبية بعده — أى الموت — وكثيرا ما يخطر ببالى لذلك أن احراق

الجثمان خير من دفنه ، لأن النار التى تلتهم الجسد وتحيله الى غاز ورماد تؤكد هذه النهاية ، أو على الأقل تؤكدها فى احساسنا ، لذلك أرجو أن أنتهى الى هذا المصير .. » .

كما ينسى المؤلف ما ذكره من أن سلامة موسى كان يعنى فى صحفه بنشر الافكار الالحادية ، ومن ذلك فى العدد الثانى من مجلته (المستقبل) اذ نشر لشبلى شميل قصيدة فيها مناقشة للعقائد ، وانكار للبعث والحساب والخلود ، ووصف للأديان بأنها (فتنة وحروب) وأن عصرنا الحاضر خير من العصور السابقة التى سيطرت على مشاعر أهلها العقيدة والايمان بالدين .. وشبلى شميل هذا هو الذى يقول عنه سلامة موسى : ص ١٨٤ .

« رجل يجاهر بكفره ، ويسطو على رجال الدين مثلى .. بنظرية التطور .. » .

ماذا كان يريد سلامة موسى لمصر والشرق ؟ وماذا كان يريد لتراثنا الاسلامى والعربى والشرقى ؟

لندع المؤلف يجيب فى ص ٩٠ :

« كانت لسلامة موسى دعوات وآراء تشمل كل ما يشغل ذهن المفكر والكاتب فى مصر والشرق ، ويمكننا أن نطلق عليه وصفا واحدا يقرب مفهوم دعوته هذه وآرائه تقريبا كبيرا فنسميه (المصلح الاجتماعى) فقد كانت جميع الآراء التى يرتئيها فى صدر حياته ، والدعوات التى يجهر بها ، لها محور واحد هو اصلاح المجتمع المصرى والشرقى ، وكان السبيل الذى يرتئيه .. هو صبغه بالصبغة الاوربية ، كان لا يرى سبيلا للاصلاح سوى هذا السبيل .. ولا يرى سبيلا لسعادة الفرد فى المجتمع الشرقى الا اذا أقبل على ثقافة الغرب واعتنقها ، وآمن بها ، وسار على نهجها ، وترك وراءه ثقافة الشرق وتقاليده وأساطيره ومثله ومفاهيم الحياة التى تسوده .. كما يترك غيبياته أيضا .. يترك أزياءه فى اللباس فيلبس القبعة والبنطلون بدلا من اللباس الشرقى .. وأزياءه فى التفكير ، فيؤمن بالعلم والانسان ، بدلا من الغيبيات والميتافيزقا ، وأزياءه فى الأداء ، فيكتب ويقرأ بالحروف اللاتينية بدلا من العربية .. » .

وفى الصفحة التالية ينقل المؤلف عن لسان صاحبه :

« ان من مصلحتنا ومصلحة العالم كله أن نغرس فى أذهان الجميع .. جميع العرب في مصر والعراق وسوريا وشمال أفريقيا أنهم أوربيون سلالة وثقافة وحضارة ، وأنهم يجب عليهم أن يسيروا مع أرقى الشعوب الاوربية ، يتثقفون بثقافتهم ويتعودون عادتهم » .

وفى نفس الصفحة : « نحن فى مصر ليس لنا من المؤسسات الحسنة كالمحاكم أو المدارس أو الدستور الا ما أخذناه عن أوربا .. وكل ما هو باق لنا من القديم سيء لا يزال يؤذينا مثل وزارة الاوقاف والمحاكم الشرعية والازهر والمجالس الملية والبطركيات العديدة .. » .

وفى الصفحة : ١٠٩ — بعد أن قدم للجزأين من كتاب (صبح الأعشى) للقشقلندى :

« **وبديهى أن كل** فائدة هذه الكتب تاريخية لا تتعدى وصفا للحالة التى كان يعيش فيها المؤلف ومبلغ المعارف التى كان يعرفها أهل زمانه ، وبديهى أيضا أن مقالة واحدة يترجمها المقتطف أو الهلال عن مجلة علمية أفيد

للقراء فائدة مادية من قراءة ألف صفحة من هذا الكتاب .. » .

وفى صفحة : ١١١ يقول المؤلف :

« ونجد فى مجلته (المستقبل) من الدعوات الجديدة دعوته المصريين للزواج من الأجنبيات ، ودعوته لحرية المرأة وسفورها ، وعنـــايته بأدب المرأة فى حديث أجراه مع (مى) والدعوة لاباحة الزواج المدنى لرفع الظلم عن غير المؤمنين الذين لا يريدون تقييد حريتهم فى الاحوال الشخصية » .

وفى ص ٩٣ : يقول المؤلف على لسان صاحبه فى مقال له (الموتى يحكمون الاحياء) :

ان بلاد الشرق هى بلاد (السلف) يحكمونها وهم فى قبورهم بآدابهم وتقـاليدهم وشرائعهم ، وليس للخلف الراهن الذين هم نحن ، ســـوى الاذعان .. !

وفى صفحة ٩٥ على لسان صاحبه :

« .. لنا حكومة منظمة على الاساليب الاوروبية . ولكن وسط الحكومة أجساما شرقية مثل وزارة الاوقاف والمحاكم الشرعية — قبل الغائها — تؤخر تقدم البلاد ، ولنا جامعات تبعث بيننا ثقافة العالم المتمدين ، ولكن الجامع الازهر يقف الى جانبها يبث ثقافة القرون المظلمة ، ولنا (أفنـــدية) قد تفرنجوا ، لهم بيوت نظيفة يقرأون كتبا سليمة ، ولكن الى جانبهم شيوخ لا يزالون يلبسون الجبب والقفاطين ولا يتورعون من التوضؤ على قوارع الطرق فى الارياف » .

وفى ص ٩٩ يقول المؤلف عن صاحبه :

« كان لا يرى أن تقوم الروابط بين مصر والبلاد الاخرى على أساس من الدين ، فقد كان من أكبر المعارضين للجامعة الاسلامية ، وكذلك لا يرى أن تقوم هذه الروابط على أساس من الجنس — يقصد العروبة بالطبع — فهذه الرابطة قائمة على وهم وخطأ ، وأن العرب أوربيون .. كان يرى أن الرابطة الشرقية سخافة والرابطة الدينية وقاحة — أما الرابطة الحقيقية التى تثبت ولا تتزعزع فهى رابطة الحضارة والثقافة : هى رابطتنا بأوروبا . لأننا فى حاجة لأن نزيد ثقافتنا وحضارتنا . وهما لن تزيدا من ارتباطنا بالشرق بل من ارتباطنا بالغرب .. » .

ويواصل المؤلف تسجيل تطاولات صاحبه ففى ص ١٣٥ يذكر على لسان صاحبه كما ورد فى كتابه (النهضة الاوربية) :

« .. فالحـكومة العربيـة كانت فى أرقى وأحسن أوقاتهـا حكومة استبدادية ، ولا عبرة لما يقال : بأن الاسلام يأمر بالشــورى ، فان عمر بن الخطاب نفسه لم يكن يستشير أحدا فيما يراه خيرا لرعيته . دع عنك أنه ليس فى الشورى معنى الالزام ، وجميع خطب الخلفاء تثبت أنهم كانوا ينظرون الى أنفسهم نظرا بابويا ، بل البابا نفسه اذا قيس اليهم فى بعض الاشياء يعد دستوريا .. » .

« لنا من العرب ألفاظهم فقط ولا أقول لغتهم ، بل لا أقول كل ألفاظهم ، فاننا ورثنا عنهم هذه اللغة وهى لغة بدوية لا تكاد تكفل الأداء اذا تعرضت لحالة مدنية راقية .. واللغة العربية مع ذلك لغة شــاقة تكبد الذهن فى حفظ قواعدها التى لا تنتهى .. اذا فرضنا أن اللغة الفصحى كانت يوما ما

يتكلم بها الناس ، فان اعتقادى أنها كانت الى حد بعيد لغة الكتابة فقط — أى لغة ميتة حتى فى زمن ظهور القرآن .. ولكن تعليم اللغة العربية فى مصر لا يزال فى أيدى الشيوخ الذين ينقعون أدمغتهم نقعا فى الثقـــافة العربية — أى فى ثقافة القرون المظلمة ، فلا رجاء لنا باصلاح التعليم ، حتى نمنع هؤلاء الشيوخ منه ، ونسلمه للافندية الذين ساروا شوطا بعيدا فى الثقافة الحديثة .. » .

هذا جزء يسير من الاطار الذى وضع فيه المؤلف العـــالم الازهرى صاحبه ، وأعتقد أنه كان رحيما به ، فقد ادخر لذاكرته الكثير مما لم يشأ أن يذكره فى كتابه عن (المفكر والانسان) فالذى لا ريب فيه أن هذا (المفـــكر والانسان) لم يكن داعية من دعاة مصر الفرعونية ثم مصر الاوربية ، ومن دعاة الالحاد الا بدافع عن حقده على الاسلام والعروبة ، ومهما حاول المؤلف أن يبعد عنه شبح الشـــعوبية ، فقد كان شـــعوبيا غارقا الى أذنيـــه فى الشعوبية ، فقد اشترك فى جميع الاحزاب المسيحية والصحف أيضا ، التى كانت تناهض الحزب الوطنى وتدافع عن الاستعمار الاوربى ، ومهما حاول المؤلف أن يبعد عن صاحبه شبح الطائفية ، فقد كان طائفيا غارقا الى أذنيه فى الطائفية ، ولعل المؤلف تجاهل الدور الذى قام به صـــاحبه من اثارة الطائفية بعد الاربعين على صفحات جريدة مصر ، حتى كادت مقالاته تؤدى الى فتنة عمياء ..

ان سلامة موسى يصرح فى كتابه (اليوم والغد) متهجما على الحضارة العربية : ليس علينا للعرب أى ولاء ، وادمان الدرس لثقافتهم مضيعة للشباب وبعثرة لقواهم .. » .

هذا بينما يقول مستشرق أيرلندى من غلاة المستشرقين هو (ديلاس أوليرى) : « أصبح الفكر العربى عاملا مثيرا فحول الفلسفة المسيحية الى مسالك عديدة ، وكاد يذيب اللاهوت التقليدى فى الكنيسة ، وأدى مباشرة الى النهضة التى كانت الضربة القاضية لثقافة القرون الوسطى .. » .

وبعد ..

فلم يكن القصد من الكتابة عن هذا الكتاب التصدى بالرد على مفتريات وأحقاد (المفكر والانسان) فهذا مجال آخر أرجو أن يكون قريبا — ان شاء الله — وانما القصد من الكتابة هو تلمس الاجابة عن سؤال جدير بالاجابة : هل أحسن المؤلف العالم الازهرى الى صاحبه أم أنه قد أساء اليه ؟ والمؤلف الذى أصبح فى ذمة الله عاجزا الآن عن الاجابة ، أما أنا فأقول : ان المؤلف استطاع بكتابه هذا أن يخرج جثة صاحبه (المفكر والانسان) ثم ينبشها بقلمه أو بأظفاره .. كان خيرا للمؤلف أن لا يكتب ، وكان خيرا له أكثر من ذلك أن لا يجعل خاتمة أعماله الكتابية مثل هذا الكتاب الذى أراد أن يحسن به الى ذكرى صاحبه ، فأساء اليه والى ذكراه كل اساءة ..

الفتاوى

وردت هذه الاسئلة الى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز من بعض مناطق اليمن ، وقد تفضل بالاجابة التالية عليها :

.. .. ..

السؤال : ما حكم الآذان ، والاقامة فى قبر الميت عند وضعه فيه ؟

.. .. ..

الاجابة : لا ريب أن ذلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان لأن ذلك لم ينقل عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا عن أصحابه ــ رضى الله عنهم ــ والخير كله فى اتباعهم ،وسلوك سبيلهم كما قال الله سبحانه : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » الآية ، وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق على صحته ، وفى لفظ آخر قال ــ عليه الصلاة والسلام : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول فى خطبة الجمعة : « أما بعد فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثه بدعة ، وكل بدعة ضلالة » خرجه مسلم فى صحيحه من حديث جابر ــ رضى الله عنه .

.. .. ..

السؤال : ما حكم ما جرت به عادة بعض الناس من ذبح الابل ، والغنم ، واقامة وليمة عند موت الميت يجتمع فيها المعزون وغيرهم ويقرأ فيها القرآن ؟

.. .. ..

الاجابة : هذا كله بدعة لم يفعله رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا أصحابه ــ رضى الله عنهم ــ وقد ثبت عن جرير بن عبد الله الصحابى الشهير ــ رضى الله عنه ــ قال : « كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت وصنعة الطعام بعد الدفن من النياحة » أخرجه الامام أحمد ، وابن ماجه بسند صحيح ، وانما المشروع أن يصنع الطعام لأهل الميت ، ويبعث به اليهم من أقاربهم أو جيرانهم أو غيرهم لكونهم قد شغلوا بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم لما ثبت فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن جعفر ــ رضى الله عنه ــ قال : لما أتى نعى جعفر بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم : اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم ، أخرجه الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه باسناد صحيح ، وهذا العمل ــ مع كونه بدعة ــ فيه أيضا تكليف أهل الميت وأتعابهم مع مصيبتهم ، واضاعة أموالهم فى غير حق ، والله المستعان .

السؤال : هل على السيارات التجارية التى تسافر وتجلب الحبوب ، وغيرها زكاة ، وهكذا ما أشبهها من الجمال ؟

.. .. ..

الاجابة : ليس على السيارات ، والجمال المعدة لنقل الحبوب ، والأمتعة ، وغيرها من بلاد الى بلاد زكاة لكونها لم تعد للبيع وانما أعدت للنقل ، والاستعمال ، أما ان كانت السيارات معدة للبيع ، وهكذا غيرها من الجمال ، والحمير ، والبغال ، وسائر الحيوانات التى يجوز بيعها اذا كانت معدة للبيع فانها تجب فيها الزكاة لأنها صارت بذلك من عروض التجارة فوجبت فيها الزكاة لما روى أبو داود ، وغيره عن سمرة بن جندب — رضى الله عنه — قال : كان النبى — صلى الله عليهوسلم — يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع ، والى هذا ذهب جماهير أهل العلم ، وحكاه الامام أبو بكر بن المنذر — رحمه الله — وعليه اجماع أهل العلم .

.. .. ..

السؤال : بلادنا تنتج الحب ، والعملة عندنا بالحبوب لقلة النقود ، فاذا جاء وقت البذر اشترينا من التجار الصاع بريال ، فاذا جاء وقت الحصاد وصفيت الحبوب سلمنا للتجار عن كل ريال صاعين مثلا لأن السعر فى وقت الحصاد أرخص منه فى وقت البذر ، فهل تجوز هذه المعاملة ؟

الاجابة : هذه المعاملة فيها خلاف بين العلماء ، وقدر رأى كثير منهم أنها لا تجوز لأنها وسيلة الى بيع الحنطة ونحوها بجنسيها متفاضلا ونسيئه وذلك عين الربا من جهتين ، جهة التفاضل ، وجهة التأجيل ، وذهب جماعة آخرون من أهل العلم الى أن ذلك جائز اذا كان البائع ، والمشترى لم يتواطآ على تسليم الحنطة بدل النقود ، ولم يشترطا ذلك عند العقد ، هذا هو كلام أهل العلم فى هذه المسألة ، ومعاملتكم هذه يظهر منها التواطؤ على تسليم حب أكثر بدل حب أقل لأن النقود قليلة وذلك لا يجوز ، فالواجب على الزراع فى مثل هذه الحالة أن يبيعوا الحبوب على غير التجار الذين اشتروا منهم البذر ، ثم يوفوهم حقهم نقدا ، هذا هو طريق السلامة ، والاحتياط والبعد عن الربا ، فان وقع البيع بين التجار ، وبين الزراع بالنقود ، ثم حصل الوفاء من الزراع بالحبوب من غير تواطؤ ، ولا شرط فالأقرب صحة ذلك كما قاله جماعة من العلماء ، ولاسيما اذا كان الزارع فقيرا ويخشى التاجر أنه ان لم يأخذ منه حبا بالسعر بدل النقود التى فى ذمته فات حقه ولم يحصل له شىء لأن الزارع سوف يوفى به غيره ويتركه أو يصرفه — أى الحب — فى حاجات أخرى ، وهذا يقع كثيرا من الزراع الفقراء ، ويضيع حق التجار ، أما اذا كان التجار والزراع قد تواطؤوا على تسليم الحب بعد الحصاد بدلا من النقود فان البيع الأول لا يصح من أجل التواطؤ المذكور ، وليس للتاجر الا مثل الحب الذى سلم للزارع من غير زيادة تنزيلا له منزلة القرض لعدم صحة البيع مع التواطؤ على أخذ حب أكثر .

بأقلام القراء

مــا قــل و دل

كتب الاستاذ عبد الرحمن أحمد شادى تحت هذا العنوان يقول :

ذكــر جليس فى معرض المناقشة والجدل ، الايمان بالله واليوم الآخر والرسل والملائكة ، وأن هذا الايمان بالغيب مفروض على كل مسلم ومسلمة . .

ولكنه اشترط على أن تكون المناقشة بيننا عقلية لا تعتمد على النصوص ليقتنع بهــا ، فقلت له أنا أرد عليك ردا حسنا وأوافق على شرطك ، هل رأيت أوروبا وأمريكا وآسيا واستراليا وما فى هذه القارات الأربع من آلاف المدن والقرى وملايين الخلق ؟ قال لا . . قلت انها غيب بالنسبة لك فكيف صدقت بوجودها دون أن تراها ؟! . . من أين علمت أنها موجودة ؟ قال : نقل الينــا الرحالة والمسافرون ومدرسو الجغرافيا وشركات الانبــــاء أنهم شاهدوها وعاشوا فيها فصدقناهم . .

قلت كما صدقت هؤلاء فى كثير من الاخبار التى قالوها وفيهم العدل المأمون على الاخبار والانباء ، وفيهم غير المأمون على ما يروى ، فالرسل اذن أولى بالتصديق ما دمت تصدق من دونهم فى العدالة والامانة والتبليغ والفطانة وليس من العدل أن تفتح باب التصديق على مصراعيه ليدخل منه كل من هب ودب وتغلقه على الرسل وحدهم ، وأستطيع أن أذكر لك ملايين الامثلة فى الاشياء التى هى غيب بالنسبة لك ، ولكنك تصدق من يذكرها وعامة الناس وخاصتهم يستوون معك فى هذا التصديق . . ومعظم العلوم على هذا الحال . . التاريخ والجغرافيا والفلك ، وفى هذه العلوم وفى غيرها عجائب لم نشاهدها، واختراعات اكتشفها العلماء بعقولهم وأبحاثهم . .

أتصــدق كتب التاريخ والرحلات وأى كلام ينشر عن أشياء هى غيب بالنسبة لمن يصدقها ثم لا تصدق القرآن الكريم والاحاديث الشريفة الصحيحة ، وهنا سكت محدثى وأقنعته الحجة فحمدت الله تعالى « ومنه التوفيق والعون »

على أن المباراة الفكرية انتهت من أول جولة بفوز الايمان على شرط السائل والمنافق والجليس دون الاستعانة بالنصوص .. ثم رأيت أن هذا سؤالا يتردد فى كثير من الاذهان وخصوصا لمن كان فى سن الشباب فنقلته من مناقشة محصورة بين جدران تدور بين جليسين ، اما باقى الجلساء فكانوا سماعين للخير — الى فكرة تنشر بين الناس لعموم المنفعة وهداية النفوس الحائرة وعلى الله قصد السبيل ..

« لعبة الموضة ... وأصابع الصهيونية »

تحت هذا العنوان يقول الاستاذ جعفر الهادى :

« انه لا بد من اشاعة الفوضى الاخلاقية فى العالم ، حتى نتمكن من السيادة اذ بتأثير الفوضى الاخلاقية يمكن عزل الجماهير عن واقعها السياسى ، وهو مدخل حساس ، عن طريقه تتم الغلبة وتتحقق السيادة » .. بروتكولات — حكماء صهيون

ان حركة الأزياء والموضة الفلتانة التى أخذت تكتسح أكثر أوساطنا ، وأن ما تحمله معها هذه الحركة من ميوعة ودلع مثير وعرى وبما تؤدى من اثارة واشاعة لروح الانحلال ، وتمييع الرجولة والفتوة فى شبابنا الطليعى .. ان هذه الحركة ليست الا حركة مقصودة عالميا ومقصودة بالذات بالنسبة للمنطقة .. وخصوصا فى هذه الظروف ونعنى ظروف مواجهتنا مع الصهيونية، وهى حركة يقبع خلفها ، ويأخذ بخيوطها ويحركها ، ويروجها ويصرف عليها الصهيونية العالمية التى تتطلع نحو استعمار واستغلال عالمى ، وقبل ذلك استعمار محلى مسرحه الارض التى نعيش عليها وضحيتها شعبنا بأسره ، اذ الغرض من هذه الحركة هو الهاء الشعوب عن قضاياها المصيرية باستدراجها الى الفساد والتحلل تمهيدا للاستعمار والاستغلال ..

وحتى لو لم تستطع الأرقام رغم كثرتها وتواترها ودلالتها — من اثبات هذا الامر فان تصريح حكماء صهيون — يكفى لاثبات الامر ، والكشف عن الوجه الحقيقى لأصحاب لعبة الموضة الحقيقيين .. فان التصريح المذكور وان كان لا يشير بالتحديد الى ظاهرة الموضة الا أنها أكثر دلالة من الدلالة على الموضة التى قد تعتبر مدخلا لاشياء أخرى ومرحلة تمهيدية ليس أكثر ..

وبعد بات لاصحاب الرأى المخلصين أن يروا رأيهم ..

ولا ننسى أن نقول ان هذا القول موجه بالطبع الى الذين يجهلون حقيقة الامر حقيقة ، وأما الذين يعلمونها ويسكتون عنها ، وبالأحرى يتجاهلونها وهم أبصر بها من أمورهم الشخصية فان أمرهم متروك للعدالة الحقيقية عدالة الله ..



مؤتمر المسلمين

وتتحدث مجلة (الشبان المسلمين) القاهرية عن : مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا :

المؤتمر الذى حضره ستمائة وخمسون من المسلمين من جميع أنحاء القارة الامريكية الشمالية ، سافر بعضهم ما يربو على ثلاثة آلاف من الأميال ليستزيد علما بدينه ويلتقى باخوانه وأحبته يعيش معهم حياة اسلامية جماعية صافية لعدة أيام يغذى فيها قلبه وعقله .

ان أبرز ما فى المؤتمر الروح الاسلامية الصميمة : روح الأخوة الصافية .. روح المجتمع الاسلامى المترابط المتناسق يجتمع المؤتمرون للصلاة فى عدد كبير وكأنها صلاة العيد فى بلد اسلامى يمثلون كل البلاد الاسلامية فى الكرة الارضية وقد لبس بعضهم زيه الوطنى وتصلى الاخوات المسلمات فى الصفين الأخيرين وبينهم بعض أولادهن وبناتهن يشتركون معهن فى الصلاة .. ويتقابل الأصدقاء ويتعارف غيرهم فى حرارة وأخوة نادرة .. يكلم أحدهم الآخر فى تفاهم وشوق وكأنه يعرفه منذ السنين الطوال .

ان هذه المؤتمرات كالحج الأصغر يتقابل فيه المسلمون ويتدارسون دينهم ويجتمعون على طاعة الله ليقوى كل منهم عزيمة الآخر وتصميمه على اتباع صراط الله ورسوله ، ويناقشون مشاكلهم ويبحثون سويا عن حل هذه المشاكل . وان شباب المسلمين فى جمهورية مصر العربية وغيرها من الدول الاسلامية لفى حاجة ماسة الى مثل هذه المؤتمرات الجامعة وخاصة فى فصل الصيف .. ويا حبذا لو أقيمت الى جانب مثل هذه المؤتمرات الدراسية ، مخيمات صيفية اسلامية يمارس فيها الشباب الحياة الاسلامية الجماعية ويصقلون فيها عقولهم وأرواحهم وأجسادهم .. وهناك مخيم اسلامى يقام فى الولايات المتحدة كل عام فى فصل الصيف فى ولاية كاليفورنيا ويشرف عليه اتحاد الطلبة المسلمين العام والاتحادات المحلية القريبة ، وهو يستمر لمدة أسبوع ويحضره عدد كبير من المسلمين الكبار منهم والصغار . وتتعارف فيه العائلات ومن الطريف أنه يعتبر فرصة يتعارف فيها الشباب المسلم على الشابات المسلمات فى جو اسلامى نظيف وكثيرا ما تنتج عنه زيجات بينهم .

صلاة الفجر :

والبرنامج اليومى فى المخيم الاسلامى يبدأ كذلك بصلاة الفجر التى يعقبها برنامج رياضى مكون من تمرينات رياضية وسير على الاقدام فى الغابات

القرية أو على سفوح الجبال أو التلال المجاورة .. ويعقب البرنامج الرياضى الافطـــار ثم برامج تعليمية ودراسة فى الدين يقسم فيها أعضاء المخيم الى مجموعات مختلفة حسب العمر .. ويسبق صلاة الظهر مباريات فى الرياضات المختلفة بين الشباب ويعقب الغداء فترة راحة حتى صلاة العصر التى يفتتح بها برنامج المســـاء حيث تنعقد فيه فترة دراسية أخرى تعقبها صلاة المغرب ثم تعد مائدة العشاء . ويختتم اليوم بعد صلاة العشاء بسمر مشوق حــــول نار هادئة يتبادل فيه الشباب الملح والطرائف . وهكذا يعيش المســـــلمون الذين قد تمكن الايمان من قلوبهم فى وسط مجتمع تشيع فيه رائحة الانحـــلال الكريهة ويستشرى فيه عفن التبذل .. رجال يحبون أن يتطهروا « **رجـــال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يـــوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب** » صدقت ربنا وتعاليت وبلغت رسلك ونحن على ذلك من الشاهدين .

أزمـــة باكســـتان الشرقية

كتبت مجلة البلاغ الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

ان الحقيقة التى لا شك فيها هى أن أهداف الهند البعيدة المدى تهدد الاستقرار فى كامل منطقة جنوب شرقى آسيا ، بل ربما يتجاوز التهـــديد هذه المنطقة تجاوزا كبيرا .

ان التوهم بأن بالامكان القضاء على باكستان لا يزال هو العامل المسيطر على كل التخطيطات الهندية البعيدة المدى ، سواء فيما يتعلق بالنزاع حول كشـــمير او انشاء ســـد فاراقا ، أو عمليات التذبيح الدورية لمســـلمى الهند التى لا تنتهى ، أو محاولة فصل الجناحين عن طريق منع الطيران المدنى ، والاستفزازات الهندية التى لا تنتهى ، صغيرة كانت أم كبيرة وأخيرا احتلال باكستان الشرقية بغض النظر عن جميع القوانين الدولية ، وبغض النظر عن ذيول هـــذا العمـــل .

فهل نطلب كثيرا عندما نأمل من العالم أن يجعل الهنـــد تدرك أن باكستان انمـــا جاءت لتبقى .. ؟ وان السلام الدائم لا يمكن تحقيقه الا اذا عاش البلدان معا كجيران على أساس متبادل .

ان الدليل المقنع الوحيد على هـــذا هو فى معالجة الهند للنزاعـــــات القائمة منذ وقت طويل بين البلدين بطريقة جديدة ، والا تنظر الى هذه المشاكل كأســـلحة فى الصراع الهـــادف للقضـــاء على باكستان واعادة ابتلاعها مرحلة وقطعة أثر أخرى .

ولكن يجب النظر الى هذه المشاكل كمشاكل ينبغى حلها باتفاق وعدل على أساس دائم ولمصلحة البلدين ، والاعتراف بحقيقة هذه المشاكل وفى كونها ستظل دائما عقبة فى وجه التفاهم والسلام اذا لم يتم التغلب عليها . وطبعا فى وجه الاستقرار أيضا . أنه أنه فى التهديد للاستقرار يكمن الخطر الاكبر ، على الهند كما على أى دولة أخرى ..

حديث موضوع

السؤال :

بعض الناس ينسبون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكلام « لو أحسن أحدكم ظنه فى حجر نفعه الله به » .. فهل هذا حديث صحيح ؟

أبو أياد ـ لبنان

الاجابة :

تناول شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الكلام فى منهاج السنة ، وقال انه حديث موضوع وكذب مصنوع ، وهذا كلام فاسد اذ معناه أن احسان الظن بأى شىء ولو كان حجرا سبب فى الانتفاع به وهذا غير صحيح ، فان إحسان الظن بالأصنام والأوثان وما أشبهها كفر بواح يوبق صاحبه فى النار ، واحسان الظن بالزنادقة وأهل الزيغ والضلال والظلمة والفجار من المضار ، واحسان الظن بالمشعوذين الدجالين من أشد الأخطار ..

وسوسة :

السؤال :

أنا ـ والحمد لله ـ شاب مستقيم الحال ، ونشأت من صغرى محافظا على الصلوات مؤديا للفرائض ولكن مرت بى ظروف وسوس لى الشيطان فيها ، فارتكبت بعض المحرمات ، وانى أشعر بضيق ويأس ، فماذا أصنع .. ؟

لطيف عمر ـ وادمدنى

الاجابة :

المؤمن اذا وقع فى خطيئة ، ثم تاب الى الله ، وندم ، قبل الله توبته ، ومحا خطيئته ، ان الله يغفر الذنوب ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، فلا يمنعك الاستمرار على طاعة الله ما فرط منك ، جانب الله ، واستعن بالله ، واحذر الشيطان فان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ..

شبح القتيل :

السؤال :

عندنا عقيدة متوارثة وهى أن الانسان اذا قتل يظهر شبحه فى المكان الذى قتل فيه ، فهل لذلك أصل .. وما رأيكم .. ؟

عز الدين محمد ـ عمان

الاجابة :

هذه العقيدة الباطلة من آثار الجاهلية الاولى ، فقد كان العرب يعتقدون أن روح القتيل الذى لم يؤخذ بثأره تظهر فى المكان الذى ارتكبت فيه جريمة القتل ، وتصيح : اسقونى اسقونى ، ولا تزال كذلك حتى يؤخذ بالثـــأر . والعرب يسمون هذه الروح الهامة ، ولما جاء الاسلام حارب هذه العقيدة الخاطئة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبها ونهى عن هذا الاعتقاد الباطل فقال : لا هامة .

عبد رب النبى :

السؤال :

سمانى أبى عبد النبى ، ويقول الناس أن هذه التسمية غير جائزة ، وأنا فعلا أحس بأن فيها أثما .. فما رأيكم ، وماذا أصنع .. ؟

عبد النبى ـــ الاسكندرية

الاجابة :

لا يجوز شرعا التسمية بعبد النبى لأنها تشعر بأن المسمى عبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعبودية لا تكون الا لله وحده ، وقد ثبت أن بعض الصحابة كان اسمه قبل الاسلام عبد العزى ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، ومنشأ هذا كله التهاون والجهل بالدين ..

وإنا ننصحك بأن تختار اسما آخر وخير الأسماء ما عبد أو حمد ، وأن تتخذ الاجراءات القانونية لتغيير هذا الاسم ..

التعزير .. ؟

السؤال :

ما معنى التعزير فى الشريعة الاسلامية .. ؟

صفاء الدين ـــ الموصل

الاجابة :

المعصية ثلاثة أنواع مختلفة ، وكل نوع له عقوبته التى تتناسب معه :

١ ـــ النوع الأول : فيه حد ، ولا كفارة فيه ، مثل السرقة .

٢ ـــ النوع الثانى : فيه كفارة ولا حد فيه ، مثل المباشرة الجنسية فى الاحرام .

٣ ـــ النوع الثالث : لا كفارة فيه ، ولا حد ، مثل سرقة ما لا قطع فيه .

والمقصود بالتعزير حينئذ فى الشريعة الاسلامية التـــأديب على ذنب لا حد فيه ، ولا كفارة فهو عقوبة تأديبية يفرضها الحاكم المسلم المقيم لحدود الله على معصية لم يعين الشرع لها عقوبة ، وقد شرعه الاســـــلام لزجر العصاة ، وتأديب الخارجين على النظام ..

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزر ويؤدب ، ويحلق الرأس ، والنفى والضرب ، كما كان يحرق حوانيت الخمارين ، وقد اتخذ عصا يضرب بها من يستحق الضرب ، واتخذ دارا للسجن ، وضرب النائحة ..

والتعزير يكون بالقول ، مثل التوبيخ والوعظ ، ويـــكون بالفعل مثل الضرب والعزل والحبس ، وقد روى أبو داود أنه أتى النبى صلى الله عليه سلم بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء ، فقال : ما بال هذا ؟ فقالوا : يتشبه بالنساء ، فأمر به فنفى الى البقيع ، فقالوا : يا رسول الله نقتله ، فقال : انى نهيت عن قتل المصلين ..

والتعزير يتولاه الحاكم لأن له الولاية العامة على المســـلمين ، وللأب تعزير ولده وضربه على ترك الصـــــلاة مثلا ، وللزوج تعزير زوجته فى النشوز ..

السؤال :

قصدت فى بعض أمورى الخاصة التى تتصل بالدين أحد الاصـــدقاء المعروفين بين الناس بالفقه فى الدين ، فعرضت عليه مشكلتى ، فأفتانى ، ولكنى زيادة فى الاطمئنان توجهت بمشكلتى الى الجهة الرسمية فى وطنى المسئولة عن الفتوى ، فكانت فتاواهم مناقضة تماما لما أفتانى به صديقى ، ولذلك ذهبت اليه وطلبت منه الدليل أو المصدر الذى رجع اليه فى فتواه ، فلم يستطع جوابا ، فما رأيكم فى أمثال هذا الانسان الذى يفتى بغير علم .. ؟

زيد عثمان ــ البصرة

الاجابة :

الفتوى فى المسائل الدينية مسئولية كبرى وتبعة جسيمة ، ويحتاج من يتصدى لها الى فقه فى الدين ، وبصر بالكتاب والسنة وسعة اطلاع وفوق هذا كله دين يحجزه عن الفتوى بغير علم قال الامام الشـــافعى رضى الله عنه : « لا يحل لأحد أن يفتى فى دين الله الا رجلا عارفا بكتاب الله بصيرا بحديث رسول الله ، بصيرا باللغة الفصحى والشعر الجيد ، وما يحتـــاج اليه منها فى فهم القرآن والسنة ، وتكون مع هذا له قريحة فاذا كان هكذا فله أن يفتى فى الحلال والحرام ، واذا لم يكن كذلك فليس له أن يفتى » .

وكان المســـلمون الأولون من أهل العلم يبتعدون عن الفتوى تعظيما لشأنها وخوفا من مسئوليتها أمام الله ، روى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه قال : أدركت عشرين ومائة من أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، ما منهم رجل يسأل عن شىء الا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث حديثا الا ود أن أخاه كفاه ..

وقد توعد رسول الله صلى الله عليه وســـلم الذين يفتون بغير علم بالعذاب الشـــديد . فقال : من قال على ما لم أقل فليتبوأ بيتا فى جهنم ، ومن أفتى بغير علم كان اثمه على من أفتاه ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد فى غيره فقد خانه ..

وبعض الجهلة يجترئون على الفتيا ، وماذا عليهم لو أنهم أحالوا الامر على أهل العلم والبصر بالدين .. ؟



الكويت : يراقب المسئولون باهتمام شديد تطورات الوضع فى باكستان ، ويرفضون حل الوضع الجديد على أساس الامر الواقع بعد أن انتهت الحرب بينها وبين الهند فى الشهر الماضى باحتلال الهند لباكستان الشرقية ، وتكوين حكومة بها تحت اسم دولة بنجالاديش .

● استقبل سمو أمير البلاد المعظم سماحة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ، وقد أجرى الوزير السورى مباحثات هامة واطلع على بعض المنشآت الحديثة بالكويت وزار دار القرآن الكريم .

● طالبت الكويت فى الأمم المتحدة بحماية حقوق الانسان فى النزاعات المسلحة ، بعد اهدار هذه الحقوق فى بعض النزاعات .

● اجتمعت لجنة المساعدات الخارجية برئاسة السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ، وقد درست اللجنة أحوال بعض الهيئات الاسلامية والطلبات المرسلة منها .

● قررت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية اطلاق اسم المرحومين : ملا مرشد السليمان الحمد ، ومحمد ابراهيم الشايجى على مسجدين من مساجد الكويت تقديرا لخدماتهما فى حقل التعليم ..

● عهدت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الى عدد من الوعاظ لشرح مناسك الحج بمختلف اللغات للحجاج الذى يعبرون البلاد الى أداء الفريضة ..

● أصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية رسالة فى الحج ضمنتها كل ما يحتاجه الحاج من ارشادات وأحكام وقامت بتوزيعها على الحملات وسائر الراغبين ، كما أصدرت الوزارة من قبل كتابا عن (الله . صفاته وأسمائه) بأسلوب مبسط .

● أجرى تنكو عبد الرحمن السكرتير العام للأمانة الاسلامية محادثات مع المسئولين تناولت الشئون الاسلامية

القاهرة : أجتمع فى الشهر الماضى مجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية وقد أصدر كثيرا من القرارات لبناء الكيان الاتحادى .

● تقوم مصر بدور الوساطة بين الهند والباكستان لحل المشكلات الناتجة عن الحرب بينهما .

● استقبل وكيل الأزهر وفدا أندونيسيا اسلاميا أجرى معه مباحثات اسلامية .

● يتم الآن ترميم عدد من المساجد الأثرية الهامة أشهرها الجامع الازهر بمناسبة الاحتفال بعيده الألفى على مستوى الملوك والرؤساء فى الصيف القادم .

● أكد الأزهر انه لا يوافق على تمثيل شخصية الحسين ، ولا أى شخصية من الشخصيات الاسلامية من أهل البيت فى المسرحيات والأفلام ..

السعودية : أصدر الديوان الملكى بيانا ندد فيه بالهجوم على باكستان ، وطالب بمساعدة باكستان فى جهادها وسحب القوات الهندية ، كما أصدرت رابطة العالم الاسلامى بيانا بهذا الصدد ..

● طلب معالى وزير الحج والاوقاف تكريم المقرئين الاندونيسيين الذين فازوا فى مسابقة حفظ القرآن الكريم .

● قامت وزارة الحج باعداد الامكانيات اللازمة لراحة الحجاج هذا العام .

● أنشئت مكتبة للقرآن الكريم فى المسجد النبوى ضمت مئات المصاحف المخطوطة وغيرها الى جانب كتب التفسير المختلفة

الأردن : تعتزم الاردن عرض انتهاك اسرائيل للمقدسات الدينية على مجلس الامن الدولى .

● أحصى المراقبون عدد المهاجرين الروس الى اسرائيل بنحو (١٥٠٠) مهاجر ، وقد أعلنت اسرائيل أن عدد هؤلاء بلغوا عشرة آلاف فقط فى عام ١٩٧١ .

سوريا : أعلن سماحة وزير الاوقاف عقب عودته من الكويت أنه اتفق مع معالى وزير الاوقاف الكويتى على عقد مؤتمر لوزراء الاوقاف لتعزيز العلاقات والتعاون فيما بينهم .

● تقرر ترفيع جميع الموظفين الدينيين فى سوريا ..

لبنان : وافق البرلمان اللبنانى على اتفاق التعاون التجارى والاقتصادى بين لبنان والسعودية .

ليبيا : أممت ليبيا شركة البترول البريطانية بها ردا على تواطؤ بريطانيا فى احتلال ايران للجزر الثلاث فى الخليج العربى وهى جزيرة (أبو موسى) و (طمب العليا) و (طمب السفلى) .

● أسهمت الحكومة فى بناء مسجد محافظة مرادى بالنيجر .

الجزائر : أصبحت اللغة العربية هى لغة التعليم فى جميع المراحل التعليمية ، كما أصبحت من قبل لغة الادارات فى جميع المكاتبات الرسمية .

● أقيم فى الشهر الماضى أسبوع للثقافة التونسية فى الجزائر .

المغرب : صرح وزير الشئون الدينية المغربى أنه فى الفترة ما بين عامى ٦١ — ١٩٧١ اعتنق الاسلام رسميا ٦٨٢ من المقيمين من جنسيات مختلفة .

● تجرى فى الرباط مباحثات مغربية جزائرية لتخطيط الحدود بين البلدين .

السودان : تقرر رفع كافة القيود التى كانت مفروضة على الراغبين فى الحج ، وينتظر أن يرأس بعثة الحج السودانية هذا العام وزير الشئون الدينية .

● أعلن الرئيس السودانى أن شعب السودان يشارك بأبنائه على خط النار ، وأنه مهما غلت التضحيات فانه على استعداد لتقديمها .

ايران : تجرى المباحثات بين ايران وبعض الدول العربية لمناقشة احتلال ايران للجزر العربية الثلاث فى الخليج العربى .

باكستان : من المنتظر أن يزور الرئيس الباكستانى الجديد ذو الفقار على بوتو الصين وروسيا وأمريكا فى القريب العاجل .

● أفرج عن مجيب الرحمن الزعيم الانفصالى الذى تزعم حركة بنجالاديش لفصل باكستان الشرقية عن باكستان .

أندونيسيا : عرضت حكومة أندونيسيا وساطتها بين الهند وباكستان اذا طلب منها الجانبان ذلك ..

● عقد فى أواخر الشهر الماضى مؤتمر حزب نهضة العلماء فى أندونيسيا وهو ثانى الاحزاب فى البلاد .

● أصدر السيد تنكو عبد الرحمن أمين عام الامانة الاسلامية بيانا استنكر فيه عدوان الهند وتآمرها لفصل وحدة باكستان .



فهرس عام للمجلة

في عامها السابع

١٣٩١ هـ ٧١/١٩٧٢ م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

حديث الشهر

للشيخ رضوان رجب البيلى

من هدى السنة

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

دراسات قرآنية

عقيدة

فقه وتشريع واقتصاد

تاريخ وحضارة

مناسبات اسلامية

تابع مناسبات اسلامية

الموضـــــوع	الـكاتب	العدد/الصفحة
دار الهجـــرة	الاستاذ محمد عبد الغنى حسن	٦٤/٧٣
الرسول	الدكتور محمد سلام مدكور	٥٦/٧٣
رمضان بركاته وذكرياته	الاستاذ أحمد محمد جمال	٣٨/٨١
شجاعة النبى عليه السلام	اللواء محمود شيت خطاب	٤٨/٧٥
طريق الهجرة فى سطور	التحريــر	٥٥/٧٣
العبرة من الهجرة	فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الازهر	٤/٧٣
على طريق الهجرة	الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار	١٩/٧٣
على هامش الهجرة	الشيخ أحمد حسن الباقورى	١٦/٧٣
فى ذكرى الاسراء والمعراج	الشيخ أحمد حسن الباقورى	٢٠/٧٩
فى مستهل عام ١٣٩١ هـ	الاستاذ أنور الجندى	٧٢/٧٣
القرآن والكعبة والخلافة	الشيخ أحمد حسن الباقورى	١٢/٨٣
لماذا أرخ المسلمون بالهجرة	الشيخ عبد الحميد السائح	٢٨/٧٣
المسجد الاقصى فى السنة النبوية	التحريــر	٣٦/٧٩
المعانى المستوحاة من الحج	الاستاذ جابر حمزة فراج	٤٨/٨٣
من وحى الاسراء والمعراج	الدكتور وهبه الزحيلى	٥٤/٧٩
من وحى الهجرة	الدكتور محمد عبد الرؤوف	٩٤/٧٣
مولد الكرامة والانسانية	الشيخ أحمد حسن الباقورى	١٦/٧٦
مولد نبئ وميلاد كلمة	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	٣٦/٧٥
نـــداء الهجرة	الاستاذ أحمد العنانى	١٠٨/٧٣
النسب الشريف	التحريــر	٧٦/٧٥
الوطن مهاد لا بد منه	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٤٤/٧٣
الهجرة بين القرآن والسنة	الدكتور أحمد الشرباصى	٧٨/٧٣
هجرته عليه الصلاة والسلام	الاستاذ رمضان لاوند	٨٨/٧٣
يوم من أيام الاسراء	الدكتور زكى محمد غيث	٤٨/٧٩

ركن الموسوعة

الموضـــــوع	العدد/الصفحة
الموسوعة كمرحلة تمهيدية للاجتهاد والتشريع المعاصر	٩٨/٧٤
الموسوعة مرجعا للفهم والتفســير والتطبيق	٨٣/٧٦

تربية واجتماع

تابع تربية واجتماع

الفتاوى

تابع الفتاوى

مكتبة المجلة

اعداد : الاستاذ عبد الستار محمد فيض

مائدة القارئ

العدد/الصفحة	العدد/الصفحة	العدد/الصفحة
٦٢/٧٣	٦٠/٧٧	٥٢/٨١
٥٦/٧٤	٤٦/٧٨	٦٨/٨٢
٧٨/٧٥	٦٢/٧٩	٧٦/٨٣
٣٨/٧٦	٥٨/٨٠	٧٦/٨٤

قصائد

عنوان القصيدة	الشاعر	العدد/الصفحة
بيت المقدس فى الشعر الحديث	الشاعرة نازك الملائكة	٩٨/٧٩
عودى الى ثوب العفاف	الاستاذ عبد الحى عبد اللطيف محمد	١١٢/٧٩
غزو الفضاء	الاستاذ على عبد العظيم	٤٠/٧٤
كيف ترقى رقيك الانبياء	الامام البوصيرى	٩٤/٧٥
ما أحلى الفدا	د. محمد عبد المنعم خفاجى	٦٤/٧٥
مملكة العجائب	الاستاذ محمد الأسمر	٤٢/٨٠

قصص

عنوان القصة	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن عمك (عزه عزك)	د. محمد عبد المنعم خفاجى	٩٢/٨٠
اشراقة النور	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	٩٦/٧٦
حبل المسد	الاستاذ عبد البديع صقر	٧٦/٧٩
حوار رمضانى	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	١٠٠/٨١
حوار عن الارض فى كوكب بعيد	الاستاذ محمد لبيب البوهى	١٠٠/٧٧
سوار كسرى	الاستاذ عبد اللطيف فايد	٩٦/٨٣
شهداء بئر معونه	التحرير	٨٣/٧٨
فى خيمة أم معبد	التحرير	٧١/٧٣
مريم العذراء والمسيح	د. مصطفى عبد الواحد	٩٠/٧٤
من قصص الهجرة فى القرآن	الاستاذ أحمد محمد جمال	١٠٤/٧٣
النسمة المباركة	الاستاذ عبد المقصود حبيب	٩٦/٧٥
وانطفأت الفتنة	الاستاذ أحمد محمد السفارينى	٩٠/٧٩
هذا الزحف من يتصدى له	الاستاذ محمد أحمد العزب	٩٥/٨٢
يوم عصيب	الاستاذ أحمد العنانى	٩٨/٧٨

الموضـــــوع	الـكاتب	العدد/الصفحة
أبو بكر الصديق	د. محمد تقى الدين الهلالى	٥١/٨٠
أبو حنيفة	د. محمد محمد أبو شهبة	٣٥/٨٣
أهل الحديث	د. محمد تقى الدين الهلالى	٥٥/٧٦
أهل الحديث	د. محمد تقى الدين الهلالى	٥٢/٨٣
ذو القرنين	الشيخ أحمد حسن الباقورى	٢٥/٨١
الرافـــعى	الاستاذ محمد أحمد العزب	٨٦/٧٤
محمد بن عبد الوهاب	الاستاذ عبد الله سعد الرويشد	٧٦/٨٠

كتاب الشهر

الكتاب	المؤلـــف	الناقـــد	الصفحة / العدد
القديانى والقديانية	الاستاذ أبو الحسن الندوى	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٨٥/٨٣
منهج القرآن فى التربية	الاستاذ محمد شديد	الاستاذ ابراهيم عبد الرحمن البليهى	٩٠/٧٨

قالت صحف العالم

الموضـــــوع	الصحيفـــة	العدد/الصفحة
مجلة البلاغ الكويتية	أزمة باكستان الشرقية	١٠٩/٨٤
الاسلام والحضارة	مجلة الحوادث اللبنانية	١١٢/٨٠
الالتزام بالاسلام يوفر الاستقرار	مجلة المجتمع الكويتية	١٠٨/٨١
التغلغل الاسرائيلى فى افريقيا	حضارة الاسلام السورية	١٢٧/٧٣
دخل الحجاج عصر النصف مليون	مجلة المجتمع الكويتية	١٠٦/٧٤
ذكرى انتصار الثورة الجزائرية	مجلة البلاغ الكويتية	١٠٩/٨٢
شبهات الماديين	مجلة التربية الاسلامية	١١١/٨٣
الشريعة الاسلامية هى أساس الحكم	صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية	١١٢/٨٣
الضياع بالذنوب الصغيرة	صحيفة الاخبار المصرية	١٠٧/٧٦
العلمانيـــة	جريدة الاهرام المصرية	١٠٩/٨٢
عناية المغرب بحفظ القرآن والحديث	مجلة الميثاق المغربية	١١١/٨٠
فى تحضير الأرواح	صحيفة السياسة الكويتية	١٠٩/٧٩
فى التربية الخلقية	مجلة صوت الجامعة الهندية	١٠٨/٨١
مؤتمر المسلمين	مجلة الشبان المسلمين المصرية	١٠٨/٨٤
مأساة المسلمين فى الفلبين	صحيفة الاهرام المصرية	١٠٩/٧٨
المجتمع الاسلامى والانسانية العذراء	مجلة الشبان المسلمين المصرية	١١١/٧٧
من صفات الرسول	مجلة لواء الاسلام المصرية	١٠٦/٧٥
وراء السوالف الطويلة تقف الصهيونية	مجلة الازهر المصرية	١٠٧/٧٤
الهند وباكستان	صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية	١٠٨/٧٦

بأقلام القراء

كلمات وأحاديث

أدب

طب وعلوم

الكتاب

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
ابراهيم عبد الرحمن البليهى	منهج القرآن فى التربية (كتاب الشهر)	٩٠/٧٨
	مقاصد الحج	٨٦/٨٤
أبو القيم الكيسى	ملاحظات حول مقال دين زاحف	١٠٦/٧٨
أبو الوفا الغنيمى التفتازانى	الشباب ومفهوم الحرية	٩٩/٧٧
أبو الوفا المراغى	اسقاط التدبير	٤٨/٧٨
أحمد الحجى الكردى	حكم التلقيح الصناعى	٧١/٨٣
أحمد حسن الباقورى	على هامش الهجرة	١٦/٧٣
	مولد الكرامة والانسانية	١٦/٧٦
	مشكلة تخلق فى الشباب المشكلات	٢٢/٧٧
	فى ذكرى الاسراء والمعراج	٢٠/٧٩
	ذو القرنين	٢٥/٨١
	القرآن والكعبة والخلافة	١٢/٨٣
أحمد الحوفى	زهـد المؤثر	٨٩/٨٢
أحمد الشرباصى	الهجرة بين القرآن والسنة	٧٨/٧٣
	واجبنا نحو الشباب	٧٦/٧٧
أحمد شوقى الفنجرى	حكمة الاسلام فى تحريم لحم الخنزير	٦٣/٧٨
أحمد عبد الرحمن عيسى	قضية الشيوع الادبى	٧٨/٧٩
أحمد عبد المنعم البهى	كيف نربى شبابنا ونرعاه	٩٧/٧٧
أحمـد العنانى	نـداء الهجرة	١٠٨/٧٣
	يوم عصيب (قصة)	٩٨/٧٨
	القدس ومصير الانسانية	٤٤/٨٢
أحمد محمد جمال	نظرات فى حجة الوداع	٣٨/٨٤
	من قصص الهجرة فى القرآن (قصة)	١٠٤/٧٣
	اهتمام الاسلام بالشباب	٨٦/٧٧
	حوار حول الزكاة	٢٢/٧٨
	رمضان بركاته وذكرياته	٣٨/٨١
	الحج روائعه ومنافعه	٣٢/٨٤
أحمد محمد السفارينى	وانطفأت الفتنة (قصة)	٩٠/٧٩
أنور الجنـدى	فى مستهل عام ١٣٩١	٧٢/٧٣
	خطران فى وجه الشباب	٦٨/٧٨
بدر المتولى عبد الباسط	نداء للشباب	٩٣/٧٧
توفيق على وهبة	عقوبة الاعدام وموقف الاسلام منها	١٠٧/٨٤
جابر حمزه فراج	المعانى المستوحاه من الحج	٤٨/٨٣

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
جعفر الهادى	لعبة الموضة وأصابع الصهيونية	٧٨/٨٤
حسن خالـــد	الشخصية المسلمة	٢٣/٧٣
	خواطر فى ذكرى الاسراء والمعراج	٢٤/٧٩
حسن هويدى	نقل الدم لا يحرم	١٢٠/٧٣
حسنين محمد مخلوف	حكم الصلاة فى النعال	١٠٣/٧٥
	علاج الضرس فى الصيام	١٠٤/٨١
	النزيف فى الصيام	١٠٤/٨١
	الحقنة الشرجية فى رمضان	١٠٥/٨١
حسينى عرابى عطوة	الاعياد فى الاسلام	٤٢/٨٤
حمد العبد القاضى	الهدى فى الحج	١٢٤/٧٣
رضوان رجب البيلى	حديث الشهر	**جميع الاعداد**
رمضان لاونـــد	هجرته عليه الصلاة والسلام	٨٨/٧٣
	لماذا عدوان الصهيونية ؟	٦٨/٧٩
	الحج والعبادة المتكاملة فى الاسلام	٦٤/٨٣
زكريا البرى	الوقاية هى العلاج	٩٤/٧٧
زكى محمد غيث	يوم من أيام الاسراء	٤٨/٧٩
	يوم الفرقان	٤٤/٨١
صبحى الصالح	البلاغة النبوية	٢٨/٧٦
صلاح عـــزام	مؤتمر علماء المسلمين السادس	٨٦/٧٦
عادل جلال سعيد	اضرار المسكرات	١١١/٨٢
عبد البديع صقر	حبل المسد (قصة)	٧٦/٧٩
عبد الحميد السائح	لماذا أرخ المسلمون بالهجرة	٢٨/٧٣
	أعظم مولود وأشرف موجود	٢٨/٧٥
	الاسراء والمعراج	٤٠/٧٩
	الحج والوحدة الاسلامية	٢٣/٨٤
عبد الحى عبد اللطيف محمد	عودى الى ثوب العفاف (قصيدة)	١١٢/٧٩
عبد الخالق عبد الرحمن	رعاية الاسلام للعقل	١٠٥/٧٤
عبد الرحمد أحمد شادى	موازنة بين صحافة الرأى والخبر	١٠٤/٧٤
	اختلاف الاشكال	١١١/٧٦
	التراث المفقود والموجود	٤٠/٨٣
	ما قل ودل	١٠٦/٨٤
عبد الرحمن محمد أمين	الشهيد	٨٨/٨١
عبد الرحيم عبد الخلاق	مع الخليل ابراهيم عليه السلام	٥٣/٨٤
عبد الستار محمد فيض	مكتبة المجلة	٧٧/٧٣
		١٠٣/٧٦
		٨٥/٧٧
		٦٧/٧٨
عبد العال سالم مكرم	غريب القرآن	٦٤/٧٤
	الشباب فى اطار التربية	٤٥/٧٨
	قضية الكلمات الاعجمية فى القرآن	١٢/٨٢

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
عبد العزيز خياط	الحضارة الغربية وأثرها فى حياس	٧٨/٧٦
	من مسائل الربا	١٢١/٧٣
	الدعوة الى الله وأثرها فى المجتمع	٧٤/٨٠
عبد العزيز عبد الله بن باز	حكم الأذان	١٠٤/٨٤
	زكاة السيارات	١٠٥/٨٤
	البيع بالمجانســة	١٠٥/٨٤
عبد العزيز العلى المطوع	فى رحاب القرآن الكريم (١)	١٢/٨٤
عبد القادر السبسبى	المستشرقون وتعدد الزوجات	٧٣/٧٤
	مولد نبى وميلاد كلمة	٣٦/٧٥
عبد الكريم الخطيب	الشباب تربيته ومشكلاته	٣٦/٧٧
	الرسم العثمانى ولماذا ينفرد به المصحف .	٢٩/٨٢
عبد اللطيف فايد	سوار كسرى (قصة)	٩٦/٨٣
عبد الله خلف	الانسان بين المادة والروح (١)	٧٨/٨٣
	الانسان بين المادة والروح (٢)	٧٢/٨٤
عبد الله سعد الرويشد	محمد بن عبد الوهاب	٧٦/٨٠
عبد الله عبد القادر بلفقيه العلوى	من اشراقات الصيام	١١٠/٨١
عبد الله عبد الرحمن السند	ذكرى مولد الرسول	١١٠/٧٥
	وحدة الامـــة	١١٠/٨٠
	آية الاسراء والمعراج	٢٨/٧٩
عبد الله كنـــون	مدرسة الاحسان	٦٥/٨١
عبد المجيد وافى	ليلة القدر فى جامع قرطبة	٥٤/٨١
	يهود يثرب	١١١/٧٤
	الاحوال الشخصية	١١٢/٧٤
	مؤتمر المراكز الاسلامية فى الرباط	٧٣/٧٨
عبد المعطى بيومى	مسجد الميلم	٨٣/٨٣
	القديانى والقديانية « كتاب الشهر »	٨٥/٨٣
	الاخبـــــار	**جميع الاعداد**
عبد المقصود حبيب	النسمة المباركة (قصة)	٩٦/٧٥
عثمان خليـــل	الشباب والقلق والدين	٩٦/٧٧
	ارتيريـــا	١٠٠/٧٣
عرفات كامل العشى	نيجريـــا	٥٦/٧٥
عطية صقر	لبيك بحجة حقا	٢٨/٨٤
على الجندى	نساء ذوات عزائم وهمم	٤٧/٨٤
	الفكر التشريعى فى الاسلام (١)	١٢/٧٨
على الخفيف	الفكر التشريعى فى الاسلام (٢)	٣٥/٨٠
	الفكر التشريعى فى الاسلام (٣)	٢٣/٨٢
على عبد العظيم	غزو الفضاء (قصيده)	٤٠/٧٤

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
على عبد المنعم عبد الحميد	من هدى السنة	جميع الاعداد
عماد الدين خليل	خطوات فى الهجرة والحركة	٣٣/٧٣
	مواقف لخريجى مدرسة القرآن	٧٦/٨١
فاروق محمود مساهل	تعقيب على مقال تحريم لحم الخنزير	١٠٨/٨٠
فاروق منصور	الفكر الاسلامى	٢٦/٧٤
فاروق يوسف غنيم	قاموس الفلسفة	١٠٩/٧٧
فتحى محمد جمعه	الاسلام وسيادة القانون	٥١/٨٢
فكرى زكى الجزار	حقيقة الاسلام	١٠٩/٨٠
قيس القرطاس	هل قال ابن خلدون بنظرية التطور	٥٩/٧٨
محمد ابراهيم الجيوشى	المركز الاسلامى فى لندن	٧٠/٨٢
محمد أحمد العزب	الرافعى	٨٦/٧٤
	دعوة الى أدب اسلامى	٨٤/٧٨
	هذا الزحف من يتصدى له	٩٥/٨٢
محمد الاسمر	مملكة العجائب (قصيدة)	٤٢/٨٠
محمد بلى الفوتى	توحيد الصيام والاعياد الاسلامية	١١١/٨١
محمد البهى	الصلاة	١٤/٧٤
	الزكاة	١٦/٧٥
	الشباب المسلم	١٤/٧٧
	الاسراء فى مجال الدعوة	١٢/٧٩
	الصـــوم	١٣/٨١
محمد تقى الدين الهلالى	أهل الحديث (١)	٥٥/٧٦
	أهل الحديث (٢)	٥١/٨٠
	أهل الحديث (٣)	٥٢/٨٣
محمد الحسينى عبد العزيز	مجالس العلم الزاهرة	٨٠/٧٤
	طابع الفن الاسلامى	٩٨/٨٠
محمد الخضرى عبد الحميد	اشراقة النور (قصة)	٩٦/٧٦
	حوار رمضانى (قصة)	١٠٠/٨١
محمد الدســـوقى	الاسلام والمسلمون فى المغرب العربى	٦٧/٨٠
محمد الذهـــبى	الانحرافات فى تفسير القرآن الكريم	٤٠/٧٦
محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	موقعة اليرموك	٧٨/٨٢
محمد رشيد رضـــا	أسباب النصر	١٠٩/٧٦
محمد صبيح	اليهود فى اقامتهم وخروجهم من مصر	٣٥/٧٤
محمد سعيد رمضان البوطى	الوطن مهاد لا بد منه .	٤٤/٧٣
	قصة القافلة التائهة	٨/٧٥
	تناقض المجتمع وازدواجه عما سر مشكلة الشباب	٤٤/٧٧
	رسالة	١٠٣/٧٩
	منهج تربوى فريد فى القرآن	٦٧/٨١
محمد سعيد السيد أحمد الشبيب	الحكمة ضالة المؤمن	١١١/٨٢

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
	صور من المعانى السامية فى الهجرة	٥٦/٧٣
	جوانب من العظمة المحمدية	٣٢/٧٥
	فلينظر الانسان مم خلق (٤)	٢٩/٧٨
محمد سلام مدكور	الايمان عقيدة وعمل (١)	١٩/٨٠
	الايمان عقيدة وعمل (٢)	٣٥/٨٢
	رحلة الفهرسة	٨٧/٧٥
محمد سليمان الاشقر	الايمان فضيلة وحضارة	١٢٥/٧٣
محمد سيد أحمد المسير	دعاوى المبطلين	١١٢/٧٥
	الايمان المادى	١١١/٧٨
محمد الصادق عرجون	كتاب المصاحف لابنأبى داود (٢)	٤٤/٧٤
	كتاب المصاحف لابن أبى داود (٣)	٦٧/٧٦
محمد عبد الرحمن بيصار	على طريق الهجرة	١٩/٧٣
محمد عبد الرحيم عبد الله السمان	الاسلام والربـــا	٢٩/٨٠
محمد عبد الرؤوف	من وحى الهجرة	٩٤/٧٣
	دار الهجرة	٦٤/٧٣
محمد عبد الغنى حسن	السيرة النبوية فى الأدب القديم	٥١/٧٤
	شباب الشرق والعرب والاسلام	٦٨/٧٧
محمد عبد الله السمان	المفكر الانسان (كتاب الشهر)	٩٩/٨٤
	ما أحلى الغدا (قصيدة)	٦٤/٧٥
	الاسلام فى العصر الحديث	٧٦/٧٨
محمد عبد المنعم خفاجى	ابن عمك (قصة)	٩٢/٨٠
	اليمينيون واليساريون فى القرآن	٣٠/٨٣
محمد العربى الخطابى	فى دروب الايمان	١١١/٧٩
محمد عزة دروزه	يهود الحجاز اسرائيليون يقينا	١٠٨/٧٨
محمد عطيه الابراشى	الايمان بالله سر القوة الاسلامية	٢٣/٨٠
محمد على حيدر	اصالة الفكر السياسى فى الاسلام	٦٠/٨٠
	دين زاحف مهما كانت العوائق	٥٠/٧٣
	لا علاقة بين العلم والالحاد	٣٢/٧٦
محمد الغزالى	التضحية بين الشباب والشيوخ	٦٢/٧٧
	العلم يدعو للايمان	٤/٨١
محمد لبيب البوهى	حوار عن الارض فى كوكب بعيد	١٠٠/٧٧
	محاكمة قابيل « قصة »	٩٢/٨١
محمد محمد أبو شهبه	أبو حنيفـــة	٣٥/٨٣
	أمراض الشتاء	١١٣/٧٣
	حياة طبيعية لمرضى السكر	٦٣/٧٦
محمد محمد أبو شوك	نحن قوم لا نأكل حتى نجوع	٩٦/٨١
	الاسلام دين اليسر والنظافة	٩٠/٨٣
محمد محمد خليفة	وقفة بين شبابين	٦٣/٨٢

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية
الكويت

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأ‍م‍ر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ــ الكويت